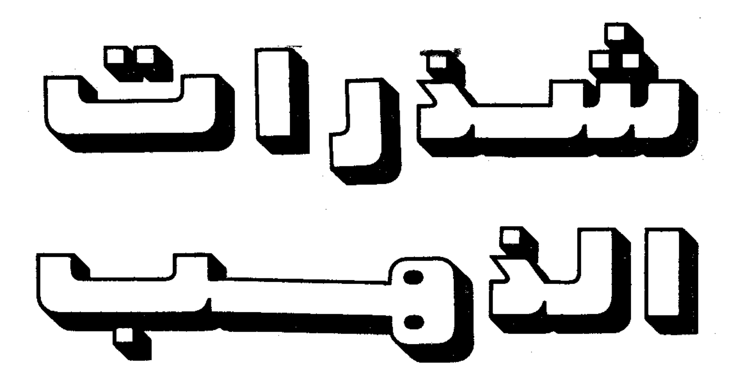
أحمد بن ابراهيم الغزاوي





الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

الإهداء

"شذرات الذهب" قطع مختارة منتقاة في:

الدين والأدب والتاريخ والفكر .. في العادات والتقاليد والاجتماع .. هذه الشذرات شرائح من المثل السائر والحكمة والقول المأثور .. ينظمها كلها عقد فريد من فكر وعلم كاتبها .. فيها يناقش ويعلق ويعقب ..

هذه الشذرات نقدمها وفاء لكاتبها وبذلا لمعرفة نرجو الإفادة منها ..

"المنهل"



حسان عبدالعزيز

شعر : إبراهيم خليل علاف

يرحم الله الشاعر الكبير أحمد إبراهيم غزاوي

تطلع للآفاقِ واستقبلَ الأخرى | أديبٌ به قد عزت النهضةُ الكبرى
همام بعيد الطرف يسخو تواضعاً | طروبٌ بليغ ينثر الدرَّ والتبرا
عصبي زئيره .. مستجاب | عبقري المزاج : يفترُّ ثغرا

• • •

وذو هيكل فخم يروق رجولة | جليل حوى جل التجاريب واستشرى
وفي الجبل الهندىّ طال مقامه | وفي (حارة الباب ، استوى توأما بدرا
وقد كان (للزهراء ، منه بقيةٌ | ومن بعدها أوصى الممات به قبرا
وحيدُ أبيه ، لم يخلف مُذكَّراً | يباهي به الشبان يسعى له وِترا
وكان مثالي في الطفولة والصبا | وكان أبى في الروح ، أَعْظِمْ به فخرا

• • •

لقد كان لى نعم الصديق افتقدتُهُ | وخالاً وحيداً يُسعد الرأسَ والصدرا
تربى عصاميّاً . يشق طريقَهُ | بعزمٍ وحزمٍ وما عاش مغترا
وما كان خدّاعاً ولا ذا طوية | مسممة بالحقد أو تضمر الشرا
ولا كان طماعاً . وللإفك شانىء | يمدك بالشورى وقد نضجت ذخرا
وما كان سوقيٌّ ، السلوك مراوغا | وما كان مهزوزَ الضمير به أثرى
وما كان يعلو الجو إلا ضرورة | سياحته الاسفار .. مستمتعا يقرا
ولم تك للصهباءِ منه التفاتةٌ | ولا اللغو . فالاوقاتُ اشبعها فكرا

• • •

رعى اللهُ أيامَ المصيف (بطائف) | ضواحيه تستهويه ، تأسِرُنا أسرا
روائح أشجار تجوس خلالها | تموج بها الأغصانَ قد فتّحت زهرا
تعانقها الأنسام هبت رقيقة | تألف فيها الحسنُ فاستنشد الطيرا
فما أروع التغريد .. والماء سلسل | جداول ، عِطفاها هو المخمل اخضرا
ينافسه حلو السماع مساجلا | به رعشة الأوتار قد أوقعت سحرا
وللصحب أنسٌ مفرط وتجاوب | تناسى الجميع السوءَ واستطلقوا بشرا
ودبَّ شبابٌ في الشيوخ مشعشع | وشاع ارتياحٌ يبعث السر والذكرى
فكم كان ذياك الجمال مؤثرا | عميق الرؤى في نفسه ، يشحن الشعرا

• • •

المعي الحجا تَنْزِّي نشاطا ... رغم شيخوخة أذاها اسبَطرَّا
جَهْوَرِيُّ النداء سامي المعاني ... ووفي ، لم ينثر الشعر حرا
وما هو تقليد ولكن أصالة ... وقد جدد الأهداف واستوعب العصرا

• • •

أخوه (الفقي) لم يَخطِم الوزن رِدة ... لنشأته خلف القرون . وما أزرى
(وحمزةُ) أيضا (والخميس) ومثلهم ... هو الشعر موسيقى تموج بنا سكرا
(وآليا) (وخوْرى) (وصاحب منهل) ... « وأحمدُ » « والعقاد » ما فرنجوا شعرا
ولا يُعْجِزُ الفنانَ بعضُ قيوده ... اذا أحسن التصريف عز به قدرا

• • •

بحور قريض قد تناهى اكتمالها ... قوالبها يمنى ، تشاكلها يسرى
ولا ضير من عرض القوافي تنوعت ... تيسر ما استعصى وتنظيمها أغرى
أوائلَ بالتوشيح جادوا وجددوا ... وما كان فوضى أو تهاويلَ أو كَسْرا
وإنا لمن قوم تمادى تراثهم ... جليلاً وما يرضى التنكر والهجرا

• • •

لقد كان في (عبد العزيز) وآله ... مُشيداً بمجد يرتقي هامة الشّعْرى
مضى نصف قرن بل يزيد ، وشعره ... حوافز للعلياء تستدرج الصخرا
وأهدافه ان ينهض الغرْب نهضة ... شمول سناها يملأ الجو والبحرا
وآماله للمسلمين تضامن ... وموفور عز .. يجلب السعد والنصرا

• • •

لم يقل كل ما لديه وإني ... لسعيد بأن يكرر نشرا
وقد ترك الدنيا قريراً بفرقة ... وخلف فيها رائعاً خالداً ذكرا
تحمل فيها للعناء مواقفاً ... لذاك انحنت عُليا عصاه له قدرا

• • •



كلمـة حــق

للاستاذ محمود عارف

مجلة المنهل الشهرية التى تعنى بالآداب والعلوم والثقافة وجدت من واجبها أن تهتم باشاعة الثقافة على مختلف المستويات في العلم والثقافة والادب . ومن منطلق واجبها أخذت تبحث عن آثار الكُتّاب والشعراء السعوديين الكبار الذين عرفوا بالاصالة والجودة . وبالأخص الأعلام الذين كانت لهم جولات في خدمة الأدب ، ولهم بهذا السبق عشرات السنوات يملؤون الساحة الأدبية بما ينشرونه على صفحات الجرائد والمجلات المحلية حتى أصبحوا من الأعلام الذين يشار إليهم بالبنان في عالم الأدب .. وحسبنا أن شهرتهم قد تجاوزت حدود بلادهم حتى ملأت سمع الدهر .

ومن الأعلام الذين تفخر بهم بلادنا لمكانته في الرعيل الأول ، وقدرته في النثر والشعر ، فقيدنا الراحل الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي ... وفي تصورى ان هذا الشاعر غزير الانتاج لكثرة ما كتبه في النثر وسطره من مبدعات الشعر وهو على امتداد حياته كان يعد من صفوة الذين نسمع بامثالهم في العصر الاموي والعصر العباسي ولعل في بعض انجازاته ما يفوق امثاله في العصرين السابقين .

وانا أرى أن هذا التعريف بأحمد بن إبراهيم الغزاوى فيه شيء من القصور لانه موسوعة أدبية على مدى ستين عاما ولا ينقصه الا قلم دارس فاحص يلم بكل جوانبه في النثر والشعر ... وألمع الجوانب التى اشتهر بها الغزاوى (شذرات الذهب) وهى عبارة عن تحقيقات وتصويبات وتعليقات كان ينشرها في مجلة المنهل لعدة سنوات ... والقصائد الطويلة التى عرفت بين الناس بالحوليات وكان يلقيها في مواسم الحج بمكة ومنى أمام الملوك فكانت مثلاً للشعر الرائع يبدع فيه على طريقته في الانشاد والاشادة بضيوف الرحمن ، ومعظمهم من عِلية القوم وأعيان الامم في البلاد العربية والشعوب الاسلامية .

ودور الغزاوى في هذا المجال معروف ، وقد بلغ في اطاره الأدبى على الساحة السعودية مكانة الشاعر الأول فكان يدعى ــ حسان الملك ــ وهذه المكانة نالها بكفاءة من صقر الجزيرة الملك عبد العزيز آل سعود طيَّبَ الله ثراه واحتفظ بهذا اللقب طيلة حياته بدءً من عهد الملك عبد العزيز ... ومرورا بالملوك سعود وفيصل وخالد حتى عهد الملك فهد بن عبدالعزيز أطال الله عمره .

وكان الغزاوى ينشد القصائد المعروفة بطول النفس يخلد فيها المناسبات الرسمية بما في ذلك تأملات العقل ولواعج القلب التى تحيط بالشاعر كإنسان له وجدانيات وسوانح وخوالج تحرك العقل وتهدهد القلب .

ومجلة المنهل حين اصدرت كتاب « الشذرات » هذا ــ أرادت أن تضيف الى موكب التقدير صورة معبرة من الاعتراف بما للغزاوى من منزلة في عالم الأدب ، ويكفى أنه من أول المعجبين بها لما تؤديه في سبيل خدمة الآداب والعلوم والثقافة .... ولعلنا نلاحظ أن طبع الشذرات كان من جملة امنيات المرحوم الاستاذ عبدالقدوس الأنصارى في حياته فلم يظفر بها ولكنها تحققت على يد ابنه البار الاستاذ نبيه بن عبدالقدوس الأنصارى الذى أخذ يحقق كل آمال وأحلام والده ... فلكليهما ــ المنهل .. ونبيه ــ الشكر والتقدير ووفقهما الله عز وجل لمزيد من هذه الاصدارات العبقة التى لها أثرها وفضلها .

والشذرات وهي مطبوعة ومقروءة ومنتشرة تحمل أفكار رجل من الجيل الأول يعتبر فارساً من فرسان الشعر المجيدين .. وكاتباً من قادة النثر المعروفين .. ومعظم موضوعات الشذرات انجازات كاتب وشاعر تعالج مسائل لغوية وأدبية .. وقضايا عربية وإنسانية .. وحكايات اجتماعية يلتقي فيها الفكر المجرب بالقلب الملهم . ولا أريد أن أحكم على الشذرات بشيء يفسد القارىء متعة التجربة ولذة الشفافية الملهمة التي يجدها مطلة من بين الكلمات والحروف إطلالة تباشير الصباح في أفق النهار .

والعصاميون من الرجال قليلون ، ومن الرجال الذين لهم تاريخ حافل بعصاميته وإنسانيته الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي .. فالعصامية في نفسه متأصلة .. والإنسانية في قلبه متجذرة .. وبالعصامية بَنَى مجده حتى أصبح رجل دولة .. وبشفافية الإنسانية تعمق في قلوب الناس بالحب .. وكنت أحد الذين تجمعني وإياه صلة الوظيفة فكان يعاملنا بالحب وسعة القلب إلى درجة الإيثار وأعني بالايثار التنازل بكل ما يحب إلى من يحب .

وعلاقتي به كموظف هي علاقة احترام بين الرئيس والمرؤوس ولكن الصلة الفكرية التي تجمعني بالغزاوي هي من أعمق الروابط بين كاتب وشاعر . والروابط الفكرية هي علاقات خالدة مع الزمن .. وهي روابط تراث .. وصلات تاريخ تعيش في أحضان الوطن مع ذكريات الماضي .. واشراقات الحاضر وآمال المستقبل .. هذا هو الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي صفحة مشرقة في تاريخ بلادنا وسيبقى بأدبه وشعره مَعْلَماً بارزاً في ساحة أدبنا ورائداً في هذا الوطن عندما يُذْكَر النبغاء والرجال العصاميون .

بارك الله في « المنهل » وصاحبه ورئيس تحريره الحالي وجهده وتبنيه إخراج هذه الشذرات إلى عالم النشر والمعرفة والبيان ، خاصة وإننا وقفنا ونقف على مدى حرصه على فتح الأبواب أمام الأدباء الذين يحرصون على نشر آثارهم .. والله الهادى الى سواء السبيل .

الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى

١٣١٨ هـ ــ ١٤٠١ هـ

عبد القدوس الأنصارى
الأربعاء ٢٥ جمادى الثانية ١٤٠١ هـ

في الساعة الواحدة بالتوقيت الزوالى المحلي ، بعد منتصف ليلة الأحد ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٠١هـ(★) هوى نجم مشرق في سماء أدبنا الحديث شعره ونثره بعد عمر مديد مبارك حافل بالمجد والانتاج الزاخر الذى اثرى شعرنا ونثرنا الحديثين .. وكان ذلك النجم الذى هوى يتمثل في شخصية الشاعر الكبير الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى رحمه الله رحمة واسعة .

هذا وقد اشترك في تشييع جنازة الفقيد العزيز الى مثواه الأخير في مقبرة المعلى يوم الأحد جمهور كبير من العلماء والوجهاء والأدباء والمواطنين بعدما صلى عليه بالمسجد الحرام . ونسأل الله أن يتغمده برضوانه وان يسكنه فسيح جنته كما نقدم لأسرته وأقاربه وقادرى فضله أحر العزاء وندعو لهم أن يلهمهم الله الصبر السلوان .

(١)

كان الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى أحد كبار الرواد في عالم أدبنا وشعرنا المعاصرين ، وقد انتخب في المؤتمر الأدبي الأول للأدباء السعوديين واحداً من كبار الرواد المعترف لهم بالتحليق في آفاق الشعر والأدب أمداً مديداً ظل فيه عملاقاً مرموقاً من هذا الجانب ومن جوانب أخرى مضيئة في عالم الأدب والفكر واللغة العربية الكريمة .

(٢)

ولد الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى بمكة المكرمة سنة ١٣١٨هـ (١٨٩٩ ــ ١٩٠٠م) من أسرة عريقة في بلد الله الحرام وتلقى علومه بالمدارس الاهلية (الصولتية الخيرية) و (الفلاح) وشغل وظائف عديدة هامة في عهد حكومة الملك حسين بن علي في مكة المشرقة . فتولى الكتابة في وزارة الاوقاف ، ورئاسة ديوان قاضى القضاة وسكرتارية مجلس الشورى والخلافة .

وفي عهد الحكومة العربية السعودية تولى أيضا رئاسة ديوان رئاسة القضاة بمكة ، وعين معاونا لمدير الطبع والنشر ، وسكرتيراً لمجلس الشورى مرة ثانية وبمكة أيضا ، ثم رفع الى منصب نائب رئيس مجلس الشورى وهو المنصب الذي شغله حتى لقى ربه .

كما أنه خلال تلك الفترة المديدة تولى الوظائف التالية : رئاسة لجنة الحج العليا لمدة عامين ونيف ، بسنتى ١٣٥١هـ و ١٣٥٢هـ .

- أحد مؤسسى جمعية الاسعاف الخيري بمكة .
- رئاسة المجلس البلدي بالنيابة وبالانتخاب بمكة المشرفة .

(★) المنهل ــ من الموافقات الملهمة تطابق موافقات القدر ان يكون تاريخ وفاة هذا العالم وصديقه ورفيق دربه الاستاذ عبدالقدوس الأنصارى في نفس اليوم والشهر حيث توفى الاخير في ١٤٠٣/٦/٢٢هـ . رحم الله الجميع .

ـ عضوية لجنة التعويض والتنسيق والتقاعد بوزارة المالية السعودية .
ـ عضوية جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين بمكة .
ـ كما قام بعدة عضويات في لجان متعددة .

(٣)

أنعم عليه جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود بلقب : حسان جلالة الملك وشاعره في سنة ١٣٥٢هـ[١] .

كما أهدى أوسمة من كل من : الملك حسين ابن علي ، ونيشانا من الطبقة الثالثة من الملك فاروق ووسام الدرجة الرفيعة من محمد ظاهر شاه ملك الافغان .

وتكريما له أهداه جلالة الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية سيفاً ذهبياً مكتوبا على سلته بماء الذهب كما أهداه جلالة الملك فيصل ، ساعة ذهبية وقلماً ذهبياً مكتوباً عليه الاهداء .

كما أهداه جلالة الملك حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، ساعة ملكية في الرياض .

(٤)

قام رحمه الله برحلات عديدة الى بلاد السودان ، والى أرتيرية وعدن ، ولحج ، وحضرموت ، والهند ، ومصر . وكانت رحلته الى مصر مع جلالة الملك عبدالعزيز . كما ان له عدة رحلات الى نجد والى شمال الحجاز .

وكانت له مساجلات شعرية كثيرة .. أجراها مع كبار شعراء العرب من الحجاز ونجد ومن الشام ومصر ، ومن فلسطين ، والمغرب ، ولبنان ، واليمن ، وحضرموت . نشر بعض هذه المساجلات في الصحف المحلية وفى الصحف العربية[٢] .

(٥)

أسهم الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى بقلمه وفكره الفياضين بنصيب وافر وهام وقيم ومرموق في حقول أدبنا الحديث . وكان فيه بالطليعة من أوائل مؤسسيه ، وقد ترجم له ترجمات حافلة تدل على تقدير واعتراف بأوليته ، في حقل نشأة هذا الأدب بأم القرى أول مدينة احتضنت حديثاً هذا الأدب وهو طفل في مهده ، فتجد له ترجمات تعريفية بمكانته في كتاب (أدب الحجاز) لمحمد سرور الصبان ، وفى (وحي الصحراء) وفي مجلة المنهل (عدد الادباء) وغيره . وفي الموسوعة الأدبية لأدباء المملكة العربية السعودية . وفي حركة الأدب للدكتور أمين شيخ . وقد كتب عنه العديدون من كبار كتاب وأدباء العالم العربى وشعرائه ، اقراراً بريادته وقوة شاعريته .. ويظهر جلياً من متابعة ما كتبه ونشره نثراً ، انه قوى العارضة قوى الاسلوب ، ناصع التفكير جيد الرؤية والوعي لكل ما تمقته يراعته سواء في صحافتنا المحلية من عهد جريدة القبلة ، الى أم القرى ، والاصلاح الى صوت الحجاز ، والمدينة المنورة ، والمنهل وما واكبهن وخلفهن من صحف ومجلات الى مجلات وصحف عربية كانت تصدر في الخارج بالعالم العربى وبالعالم الاسلامى أيضا .

---

(١) وحي الصحراء : لمحمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير ، والموسوعة الأدبية لأدباء المملكة العربية السعودية لعبد السلام طاهر الساسى .

(٢) الموسوعة الأدبية لأدباء المملكة العربية السعودية لعبد السلام طاهر الساسى .

(٦)

لا غرو أن تستقبل هذه البلاد وبلاد العالم العربى الاسلامى انتاج الفقيد الكبير ـ بالترحيب والتقدير والحفاوة فان صوته الشعري كان من أندى أصوات الشعراء وأجداها قيمة وأهمية ، وأروعها أسلوباً وأحفلها موضوعات . ويخطيء من يتوهم أن شاعرية فقيدنا الجليل مقصورة على الجانب المديحي وحده ، فالذى أعرفه ويعرفه غيرى أيضا ممن يعنون بدراسات أدبنا الحديث من مصادره الأصلية ، ان لشاعرنا الغزاوى نصيباً كبيراً من الشعر الوصفى والاجتماعى ، والفكاهي والغزلى ، والابتهالى الى البارىء جل وعلا ، وقد يرتفع الكثير من شعره في هذه الميادين الى درجة عالية من الابداع ، وليس الخبر كالعيان ... والعيان هنا يتمثل فيما لو نشر سائر شعره بشتى ألوانه وأفنانه في ديوان مستقل ، وقام الدارسون الفطناء من ذوى الثقافة الأدبية ، والقدم العالية في النقد الأدبي المنزه الصحيح الكامل الذي هو : التمحيص والتحليل الحق الهادف الكشاف .

وعندى من قصائده المنشورة والمخطوطة بخطه ما يقوم برهانا ساطعاً في قضية شمول شاعريته العريقة المرموقة .

(٧)

أما نثره فحدث عن البحر ولا حرج فأسلوبه يتسم بالدقة والطراوة والطلاوة .. وكما هو شاعر قدير ، فهو أيضا ناثر كبير وقدير .. واذا راجع القارىء أعداداً من أعداد مجلاتنا وصحفنا اليومية والاسبوعية والشهرية فانه سيجد فيضاً زاخراً من نثر الغزاوى الفياض الذى تهطع الأذهان المتفتحة الى تلقفه للاستنارة به في متاهات الحياة بلطف وكياسة وحسن أداء .

(٨)

رأس تحرير صوت الحجاز وأسهم في العديد من اعداد المجلات والصحف بدءاً بالبلاد السعودية والمنهل وجريدة المدينة المنورة .. وقبل ذلك في مجلة الاصلاح وغيرها وكان كريماً بنتاج فكره لطالبيه بدون مَنٍّ ولا تكلف .. وكان للموضوعات القيمة التى يطرقها بذهنه اللماح رنين ونور مبين كشاف وتوجيهات وتنبيهات قيمة تغذى الشباب بغذاء دسم لذيذ وتحوى من عوامل الاصلاح المنثور (شذرات ذهبية) رائعة كانت تنشر من قبل نشرها بالمنهل بعنوانى (قراءات وتعليقات) وقد رأيت ووافق رحمه الله على أن أبدل العنوانين السابقين بعنوان (شذرات الذهب) لأنه الاسم الأليق بمكانة هذه الكتابة المنوعة الرائعة .

(٩)

ماذا يمكن أن يقال في قصيدته الغراء التى ألقاها بصوته الأنيق في محفل المؤتمر الادبي الأول لأدباء المملكة العربية السعودية الذى اقامته جامعة الملك عبدالعزيز في حدائق الزاهر بمكة المكرمة ، في شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٤هـ باشراف معالى وزير المعارف اذ ذاك الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالى الآن .

وبقيادة معالى الدكتور محمد عبده يماني ابان توليه لمنصب ادارة جامعة الملك عبدالعزيز ، فان تلك القصيدة من حقها أن توضع بين القصائد التى حوت من أهداف الشعر ما لا يقتصر على المديح ، بل يتجاوز الى شعر الوطنية المتوهجة وشعر العروبة والاسلام الناضج ولا بأس أن نورد هنا بعض ابياتها للاستدلال على عظمة انشائها وجمالها وأهدافها بالنسبة للنهضة الوطنية الشاملة التى غرس جذورها جلالة فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله .

يقول الغزاوى في مطلع القصيدة العامرة :

عرفت من ذات نفسى غير ما عرفوا ... فمن يلوم اذا ما قمت أعترف
فما توهمت اني شاعر أبدا ... فيمن شأونى وما كاللؤلؤ الصدف

ويقول في مبادىء النهضة الوطنية بمرافق الحياة التى غرس بذورها الملك الشهيد :

حتى أطل علينا الفجر وانطلقت ... (مواهب) في الشباب النضر تختلف

ويضيف الى ذلك أبيات القصيدة :

ان (التطور) حق في (مصانعنا) ... وفي (مزارعنا) تنمو وتقتطف
وفي (الدفاع) وفي (نسج الحديد) وفي ... جميع ما هو للأعداء ينصرف
أما (عقائدنا) أما (خلائقنا) ... فانها (الدين) ــ دين الله ــ والهدف

ثم يضيف أيضا قوله :

انى أحيى بحمد الله (جامعة) ... (عبد العزيز) لها الاشراف والشرف
تمضى على ضوئه في ظل دولته ... بما به العلم والتاريخ ــ يعترف

وأخيراً يختتم القصيدة الرائعة بقوله :

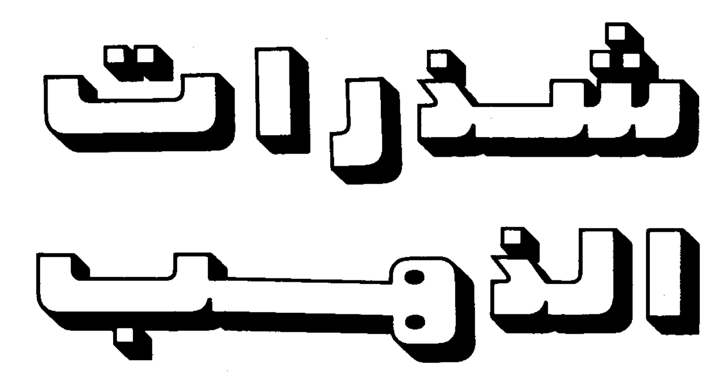
وليحيى فينا (وزير العلم) مغتبطاً ... بمن هم اليوم بالاحسان قد عرفوا
وليحفظ الله للاسلام فيصله ... ما استقبل البيت أواه ومزدلف

(١٠)

ان من الحقائق التى لا تنكر وتذكر لتشكر وتقدر ان القصائد العظام التى نظمها الشاعر الكبير طيلة زهاء ستين عاماً ونيف في وصف مفاخر ومحامد الملوك من آل سعود بدءاً بجلالة الملك المؤسس ، فالملك سعود فالملك الشهيد فيصل ، وحتى جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز ، ان تلك القصائد المتسلسلة التى نظمها الشاعر المجيد ، والقى أكثرها في المحافل والحفلات والمناسبات الكبيرة بين أيديهم ونشرت في معظم المجلات والصحف المحلية ــ لهي ثروة عظيمة من ثرواتنا الأدبية الحديثة التى تستحق الاعزاز والتقدير لأنها حوت تاريخاً واقعياً ومجسداً في شخصية الشعر الرصين البليغ من فكر شاعر كبير سعودي مخلص ثابت على المبدأ الى آخر حياته المديدة رحمه الله .

(١١)

أسرة مجلة المنهل التى حظيت بتشجيع الفقيد الجليل فآثرها طيلة ٢٣ عاماً بشذراته الذهبية تقدر له ذلك وتأمل أن يوفقها الله لنشر (شذرات الذهب) في كتاب مستقل جميل الاخراج وأن يصدر في نفس شهر جمادى الثانية اعترافا بجميله وتقديراً لذكراه العطرة في آفاق بلادنا .


شذرات
الذهب

① الرعيل الأول

ثم التمشي في (الرعيل الأول)
مشي الجمال في حياض (المنهل) !!

قلتُ : وما أعجب أن يكون الأستاذ الكبير الشيخ **عبد القدوس الأنصاري** قد جمع واستتمَّ المعاني كلها في هذا البيت القديم .

فهو من « الرعيل الأول » .. وهو أيضا بذاته (صاحب المنهل) فهل كان الشاعر يعنيه في بيته هذا ؟ أو يرهص به قبل قرون وقرون ؟ أو هو محض اتفاق صادف محله ؟!

② أم النجوم

كل الناس يعرفون (أم الكتاب) و (أم القرى) .. وأيضا (أم الحمض) بطريق الطائف .. مما يليه !! ولكن أكثرهم قد لا يعرفون ما هي (أم النجوم) ؟ ولا بأس من الاحاطة بذلك لمن يعنيه أن يعرف ذلك .

قال (**ذو الرمة**) :

وشعث يشجون (الفلا) في رؤوسه
إذا حولت (أم النجوم) الشوابك !!

ويقصد بها (المجرة) .. لأن الأم هي التي تجمع الشيء ..وكفانا الله شرور (أم الخبائث) !!

③ خط الورق ؟!

قال **ابن دريد** (٢٢٣ — ٣٢١) هجرية : في كتابه (الاشتقاق) :

والورق والمال .. رجل وراق كثير المال : قال الراجز :

جارية من ساكني العراق
تأكل من كيس امرىء ورَّاق

واختطبت ورق فلان أي سألته ماله ، قال الشاعر :

وليس مانع ذي قربى ولا نسب
يوما — ولا معدما من (خابط ورقا)

قلت : فإذا كان (الورق) لغة مما يعني (المال) .. بمقتضى هذه الشواهد وبفتح الراء لا بكسرها .. فهو إذن صحيح كل الصحة بالنسبة إلى استعمال الأمم والشعوب (ورق البنكنوت) .. أو ما يسمى (بالانواط) .. في زماننا هذا الا أن يقترن بما يضاف إليه كورق الكتابة أو ورق الشجر أو ورق السجارة !! .. والمهم أن (يخبط) خبطا .. إذا كان (نوطا) !

④ اسأل مجربا ؟!

تتطلع نفوس الناس في هذه الأيام إلى ما يذاع وينشر عن العلاجات المُسْتَحْدَثة .. للصحة والنشاط والقوة وطول العمر !! وما يدرون أن (الخيرة في الواقع !) .. وأن رجالا عمروا طويلا وبلوا ضروب الحياة .. لم يخلدوا إليها — ولا حرصوا عليها .. فهذا (**اكثم بن صيفي**) حكيم العرب المشهور قد عاش مائة وتسعين سنة فيما حكاه الرواة .. وما جاء به نص من شعره إذ يقول :

ان امرءا قد عاش تسعين حِجَّةً
إلى مائة لم يسأم العيشَ جاهل !!

قلت : ولن يملك بشر أن يتأخر أو يتقدم عن أجله لحظة واحدة .. وإذا سلمنا بأنه يستطيع أن يأخذ بأسباب من الوقاية أو العلاج لاستدامة

نشاطه وقوته بعض الوقت فالى حين ، ثم .. ينتهى إلى مصيره المحتوم ! وهنا يتفق مع ما قدر له من عمر طويل أو قصير .. وسر البقاء الاعتدال .. والقصد وعدم الاسراف .. وخيركم من طال عمره وحسن عمله .. والعاقبة للمتقين .

⑤ السلاة .. والسليق ؟ !

قال **امرؤ القيس** فى معلقته :

فظلَّ طهاة اللحم ما بين منضج
(نشيل قدير) — أو (شواء) معجل

قلت : فهل السليق الا (النشيل) وهل السلاة الا (الشّواء) ؟ إذن فهما طعامان عتيقان لا يزالان كما كانا أيام امرىء القيس .. لم يتطورا .. فهما عربيان أصيلان .. مرقا ولحما .. وطهيا .. وانضاجا !! ومن البيت نفسه نستطيع أن ندرك أن أخفهما مؤونة (الشّواء) لأنّه جعله (معجلا) .. وللقارىء الخيار فى أن يأخذ (بالبطىء) أو أن يجنح إلى (المرىّ) — على أن تمشى شلالات (المصاف) .. ويعود لها عهدها (العاق) !

⑥ لله درك يا قتب

روى صاحب (معجم الشعراء) **محمد بن عمران بن موسى المرزبانى** المتوفى سنة ٣٨٤ هجرية أى قبل ألف عام .. شعرا يُعْزى **لقتب بن حصين الفزارى** من بنى (**شمخ**) وهو :

ألا أيها الناهى (فزارة) بعدما
اجَدَّتْ لغزوٍ ، إنّما أنت حالمُ
وقد قُلْتَ للقوم الذين تروحوا
على الجرد فى أفواههن الشكائم :
قفوا (وقفة) من يحى لا يخز بعدها
ومن يخترم ، لا يتبعه التلاوم
وهل أنت ان أخرت نفسك بعدهم
لتسلم — مما بعد ذلك — سالم ؟

قرأت هذه الأبيات الأربعة .. وتفهمت معانيها فاذا بها كأنما عنى بها الشاعر كل عربى فى عصرنا هذا .. بعد أن انقضت القرون الطويلة على مقطوعته !! وكم فى الزوايا من خبايا ؟! وما أحسب شاعرا عربيا محدثا يستطيع أن يتجاوز هذا المدى .. إلا اسهابا فيه .. وترديدا له .. فخير الكلام ما قل ودل ..

وليحفظ الله العرب وتضامنهم .. وليكبت اعداءهم .. وليحيى الإباء والشمم .

⑦ الحمام ... واليمام ؟ !

قال **النابغة** :

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الثمد
قالت : الا ليتما هذا (الحمام) لنا
إلى (حمامتنا) أو نصفه فقد
فحسبوه — فألقوه كما زعمت
تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

وقال **جران العود** :

وذكرنى الصبا بعد التنائى
حمامة أيكة تدعو (حماما)

وقال **الاصمعى** :

إن اليمام هو الحمام البرى .. والفرق بين الحمام واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها فيه

بياض .. وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه .. ونقل **الأزهرى** عن **الشافعى** : كل ما عب وهدر وان تفرقت أسماؤه فهو (حمام) ..

(انتهى)

قلت : ومعذرة إلى أهل اللغة .. وبهذا التعريف يكون (شاعرنا الإسلامى الكبير) الأستاذ (**محمد مصطفى حمام**) ممن ينطبق عليه لفظا ومعنى فهو لا يغب عن العب .. ولا يغيب عن الهدير .. أسبغ الله عليه أثواب الصحة والعافية .. وأمده بالالهام وأعانه على الخير ووفقه لما يحب ويرضى .

⑧ من خواص القمر

حكى « **القزوينى** » المتوفى سنة ٦٨٢هـ .. فى كتابه (عجائب المخلوقات) : « من خواص القمر ان الانسان إذا أكثر القعود أو النوم فى ضوء القمر تولد فى بدنه الكسل والاسترخاء ويهيج عليه الزكام والصداع .. » اهـ

قلت : أما صحة ذلك علميا فى زماننا هذا فلا أدرى ثبوتها سلبا أو ايجابا ؟! غير أننى اعتقد أن فى استطاعة الهواة الذين تشوقهم الليالى المقمرة .. أن يجمعوا بين النظر إلى البدر فى شهر ! والاتقاء من خاصيته ! فلا يصيبهم الكسل .. ولا يهيج الزكام ولا الصداع .. وأحسب أن ذلك كان — ربما — لأسباب خارجة عن أثر الضوء القمرى .. واللحن القمرى .. ولعل من أضناهم النشاط .. ورهافة الحس وانتهوا إلى آخر الاشواط من الجيل (الهابط) .. يغتبطون بهذه الخواص .. لو وهبهم الله بها قليلا من الراحة والسكون .. وللناس فيما يعشقون مذاهب .

⑨ الهلال .. والانسان !

قال **أبو عبد الله محمد بن يزداد** وزير المأمون :

المرء مثل هلال عند مطلعه
يبدو ضئيلا ، ضعيفا ، ثم يتسق
يزداد حتى إذا ماتم ، أعقبه
كر الجديدين نقصانا فيمَّحق !!

وكذلك هو ابن آدم .. وهو يقطع مراحل هذه الحياة الفانية .. وحسبنا قوله تعالى فى سورة يس : ﴿ **ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون** ﴾ ونسأل الله تعالى التثبيت على الايمان .. والاهتداء بالفرقان ..

⑩ هدية المكى !

نزل **أبو الحسن محمد بن أبى حليم المخزومى** — وهو من أهل مكة — ببغداد واتصل **بمحمد بن اسحاق بن ابراهيم المصعبى** .. وكتب إليه عند شربه (الدواء) :

تنوق فى الهوية كل قوم
إليك غداة شربك للدواء
فلما أن هممت به مدلا
لموضع حرمتى بك .. والاخاء
رأيت كثير ما يهدى قليلا
لقدرك .. فاقتصرت على الدعاء !!

« المرزبانى »

قلت : ما أظرف ما تخلص من التكليف إلى التخفيف ؟! وأن الهدية من الوافدين من الأراضى المقدسة .. غالبا ما تكون دعاء ! فإذا زادت فمن

الاراك .. أو الحناء .. أو ماء زمزم .. أو **قطعة** مباركة من ثوب الكعبة المشرفة .. وهى أحب إلى المؤمنين من كل ما طلعت عليه الشمس .

⑪ مجنون ليلى في منى

« كان **أبو المجنون** ــ مجنون ليلى ــ ورهطه أتوا أبا ليلى وأهلها وسألوهم بالرحم وعظموا عليهم وأخبروهم بما ابتلى به ، **فأبى أبو ليلى** ، وحلف أن لايزوجها إياه ، فقال الناس **لأبى المجنون** ، لو خرجت به إلى مكة فعاذ بالبيت ودعا الله رجونا أن ينساها أو يعافيه الله مما ابتلى به .. فحج ، فبينما هو يمشى بمنى وأبوه معه قد أخذ بيده يريد الجمار .. نادى مناد من تلك الخيام : **ياليلى** ! .. فخر مغشيا عليه ، واجتمع الناس عليه وضجوا ونضحوا عليه من الماء .. وأبوه يبكى عند رأسه ، ثم أفاق وهو مصفر لونه متغير حاله .. فأنشأ يقول :

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى
فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها .. فكــأنما
اطار بليلى طائرا كان فى صدرى

قلت : وأحسبه عنى بالطائر قلبه الخفاق .. وفؤاده المراق وصدق الله العظيم ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ .. حمانا الله من فتن الحب وتباريح الفراق !!

⑫ البجاحة .. مظلومة !

تنص اللغة على أن البجاحة .. هى التباهى والتفاخر .. وفى حديث **أم زرع** : وبجحنى فبجحت ! أى فرحنى .. ففرحت .. وقيل ، عظمنى فعظمت نفسى عندى ، وفى الأساس : « والنساء يتباجحن .. يتباهين ويتفاخرن .. »

وقال الشاعر **أبو زكريا يحيى بن صبح التنوخى** مادحا :

وإذا بجحت به بجحت بسيــــد
ترك الطرق إلى الندى ماهولا

قلت : فما أقسى وأبهت أن تقرن البجاحة .. وهى على ما ذكر آنفا .. بالوقاحة ؟! ولابد للأذهان من إنصافها .. وتصويب الخطأ فى تداولها .. إلا أن تقترن بالتطاول .. والتزيد .. وإلا فهى الكلمة المحرفة المظلومة !!

⑬ التبويج ... فصيح صحيح !

إذا أصاب جهاز السيارة خلل .. وتصاعد منه الدخان الأسود .. قالوا عنه أنه (مبوش) تبويشا .. وجرى بذلك الاصطلاح ..

وفى تاج العروس وجدت النص على ما يأتى :

« وعن **الأصمعى** جاء فلان بالبائجة . والفليقة .. وهى من أسماء الداهية .. يقال : باجَتْهُم البائجة تَبُوجُهُم أى أصابتهم .. وقد باجت عليهم (بَوْجا) وانباجتْ بائجة أى انفتق فتق منكر .. وانباجتْ عليهم (بوائجُ) مُنْكَرةٌ إذا انفتقت عليهم » .

وقال الشماخ يرثى **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه :

قَضيْتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها
(**بوائجَ**) فى **أكمامهــا لم تُفَتّــقِ**

قلت : إذن يكون « البوج » أصح من البوش .. ولا أدرى هل كان أول من أطلق ذلك على معناه الحديث أحد المجامع اللغوية .. أو جاء مصادفة واتفاقا ؟! وهو محل العجب !

(١٤) الجباب .. لا الجبب

قال **أبو وهب يحيى بن ذى الشامة** (من ولد الوليد بن عقبة بن أبى معيط) :

جاء الشتاء وليس عندى درهم
وبمثل هذا قد يخص المسلم
وتأهب الناس (الجباب) لبرده
وكأننى بفناء مكة محرم !!

قلت : ونستفيد من هذين البيتين أن (الجبة) بهذا اللفظ .. قديمة الاستعمال إلى صدر الإسلام .. وان جمعها(جباب) لا جبب .. ونلمح خفة روح الشاعر القديم !؟ وقد شبه نفسه بالمحرم بفناء مكة .. ولو قابل بين فوائد الاحرام فى الحر والومد .. وحين يستهل العرق من الجباه .. أخمص الاقدام .. لقرن هذه بتلك .. وزاد عليها وأربى .. ان أغلب الفصول على أم القرى حماها الله ما يستأهل التخفف لا التجبب ، والترهف لا التصلب ! وتلمس من قوله هذا جانبا من حياة المجتمع فى عصره .

(١٥) خفض الصوت وقوة الحجة

قال **الأزهرى** اللغوى المتوفى سنة ٣٧٠ هجرية .. فى مقدمته على تهذيب اللغة : « ان **سليمان بن على الهاشمى** جمع بالبصرة بين **المفضل** وبين **الاصمعى** ، فأنشد **المفضل** قول **أوس بن حجر** :

أيتها النفس أجملى جزعا
ان الذى تحذرين قد وقعا

ومنها :

وذات هدم عار نواشرها
تصمت بالماء ثولبا جذعا

ففطن **الأصمى** لخطابه ــ وكان أحدث سنا منه ــ فقال : إنما هو (ثولبا جدعا) (وأراد تقريره على الخطأ) فلم يفطن **المفضل** لمراده ، وقال : كذلك أنشدته ، قال **الأصمعى** حينئذ : أخطأت .. انما هو (ثولبا جذعا) فقال **المفضل** : جذعا ، جذعا !! ورفع صوته .. فقال له **الأصمعى** : لو نفخت فى (الشبور) مانفعك ، تكلم كلام النمل وأصب ، إنما هو (جدِعا) .. بكسر الدال فقال سليمان الهاشمى : اختارا من نجعله بينكما ، فاتفقا على غلام من **بنى أسد** حافظ للشعر ، فبعث **سليمان** إليه من أحضره فعرضا عليه ما اختلفا فيه ، فصدق **الأصمعى** وصب قوله ، فقال له **المفضل** : وما الجدع ؟ .. قال السيىء الغذاء » اه قلت : وهكذا هو في كلام العرب ، يقال أجدعته أمه إذا أساءت غذاءه .. » اه

ومن هذه القصة نستفيد معنى (الجدِع) بكسر الدال . ونجد النصيحة فى قول **الأصمعى** .. وصاحبه يصيح به .. (تكلم كلام النمل وأصب) !! فإن أكثر من يناقش لا يقتصر على الصوت المعتاد فى كلامه ويرفع صوته .. ويضجر .. ويصخب .. ويغضب ! ويظن خطأ أنه بذلك يملك حجته .. وهو إنما يعين خصمه أو محدثه عليه !! فما أجمل وأكمل الحديث في

طمأنينة وسكينة .. وأدب ووقار .. وما أضيعه وأبشعه وهو متأثر بما لا قبل لأحد معه بالاحتمال .. ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ هدانا الله سواء السبيل .

١٦ ولكن الله يدرى ؟!

وفى طبقات **ابن سعد** : عن **منذر الثورى** قال : قال **الربيع بن خثيم** لأهله : اصنعوا لنا خبيصا ، قال : وكان لايتشهى عليهم شيئا ، قال : فصنعوه . وأرسل إلى جار له مصاب كان به خبل !! فجعل يلقمه ولعابه يسيل ! فلما خرج قال أهله : تكلفنا وصنعنا ثم أطعمت هذا ؟ ما يدرى هذا ما أكل ؟ فقال **الربيع** : ولكن الله يدرى » . اه

أولئك هم السلف الصالح الذين بارك الله لهم فى أعمارهم وأنفسهم وأموالهم وأولادهم .. وأعزهم وأكرمهم بايثارهم وادخارهم للباقيات الصالحات .. (فهل من مذكر) ؟!!

١٧ حروف الطبع ؟!

كتب شاعر العرب الكبير المرحوم الشيخ **فؤاد الخطيب** إلى صديقه الحميم المرحوم الشيخ **الطيب الساسى** قصيدة من خمسة أبيات جاء فيها قوله :

وكم من خطة خالفت فيها ... فكان سداذك العجب العجابا ؟!

كما نضدت (حروف الطبع) عكسا ... فكانت عندما قرئت صوابا

قلت ، وكان الشيخ **الطيب** تغمده الله برضوانه يكثر من تمثله بها فى مجالسه ومسامراته .. وهى فى الحقيقة احدى الومضات التى جادت بها قريحة الفقيد الملهم .. وأحسبه لم يسبق من شعراء عصره .. إلى هذا المعنى البديع ؟!

١٨ المروءة صنفان .. والسكر والعقل

قال **وكيع** فى كتاب (أخبار القضاة) قال **سفيان بن الحسين** : « **قلت لاياس بن معاوية** : ما المروءة ؟ قال : أما فى بلدك وحيث تعرف (فالتقوى) .. وأما حيث لا تعرف فاللباس! »ا هـ

وعن حماد بن سلمة قال : دخلت على **اياس بن معاوية** وبين يديه رطب سكر وهو يأكل ، فقال : أدن فكل فانه يزيد فى العقل !! » اه

قلت : أحسب ان **اياسا** لم يعن باللباس حيث لا يعرف الرجل الاستغناء به عن (التقوى) **فهى** شرط المؤمن .. وزينته وكرامته .. بل أن مجرد تقواه خارج بلده .. مع البذاذة والرثاثة .. ربما حملت من يحمله على عدم الاكتراث به أو تقديره .. فهو (مع التقوى) محتاج إلى اللباس وحسن السمت .. أما فى بلده فيكفيه أن يكون معروفا بالصلاح والورع ولو لم يهتم باللباس ..

فأما أكل الرطب الذى سكر — أو تصبح حتى غلب سكره .. وأنه يزيد فى العقل .. فإن موسمه قد حان .. وما احتمل الناس شدة القيظ وحمارته سدى .. فإنهم لآكلون بسببه هذا الذى يزيد من عقولهم !! فبقدر ما يأخذ منها الصيف العنيف يعطيها ، وسبحان من له الخلق والأمر .. وهو علي كل شيء قدير .

١٩ (زمزم) وابن دقيق العيد ؟

كان شيخ الإسلام **محمد بن على بن وهب بن مطيع** المولود سنة ٦٢٥هـ بناحية ينبع إماما متفننا محدثا مجودا فقيها مدققا أصوليا أديبا شاعرا ذكيا .. ومن شعره قوله رحمه الله .

تهيم نفسى طربا عندما
استلمح البرقَ الحجازيا
ويستخف الوجد عقلى وقد
لبست أثواب الحجى زيا !!
ياهل أقضى حاجتى من منى
وأنحر البزل المهاريا
وارتوى من (زمزم) فهى لى
أرق من ريق المها ريا !!

قلت : إنما أوردت هذه الأبيات من حيث حنين الشاعر الإمام الفقيه إلى المشاعر المقدسة .. والبلاد المطهرة وشغفه بها وبماء زمزم .. أما ما فيها من التوريات والجناسات وما إلى ذلك من فنون البديع .. فقد كاد يتلاشى أثره .. ويفقد أنصاره .. وان كان بلوغه صعب المنال .. ولا يتأتى الا عن ترف ونعومة بال ؟!!

٢٠ فى الثلث الأخير

« فى الصحيح عن **أبى هريرة** رضى الله عنه عن النبى ﷺ : ينزل الله عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر ـــ فيقول : أنا الملك من ذا الذى يسألنى فأعطيه ؟ من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له . فلا يزال كذلك حتى الفجر) اه (مسند الامام أحمد)

قلت : ألا ما أسعد أولئك الذين يدعوهم الله إلى مسألته ويعدهم بإجابة دعائهم !! وما أغفل الذين يحرمون من هذه النعمة الكبرى .. وما أجدرنا جميعا بالتذكير بها والدعوة لها .. والمنافسة فيها .. فقد كانت إحدى المآثر التى يميز بها السابقون الأولون من المؤمنين الصالحين .. ووسيلتهم إلى الله ورضائه وكرمه وسخائه ولطفه فى قضائه . وهو ولى التوفيق والهادى إلى أقوم طريق ﴿ **وما تشاءون الا أن يشاء الله** ﴾ .

٢١ صلاة الفجر ؟

عن **أبى هريرة** رضى الله عنه : « **عن النبى** ﷺ : من أدرك من الفجر ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدركها . » اهـ (مسند الامام أحمد) .

قلت غفرانك اللهم !! وليكن منا على أنفسنا رقيب وحسيب فى هذه الفريضة التى جاء فيها : « لو علمتم ما فى العتمة لأتيتموها ولو حبوا » .. ولننظر كم كانت الصفوف جامعة فى المساجد عامة والمسجد الحرام خاصة فى صلاة الفجر ؟! يتسابق اليها الكهول والشباب وطلبة العلم من كل سهل وجبل .. وكيف هى اليوم ؟! إنها ظاهرة تثير فى القلب أعمق الشجن والحزن .. ونسأل الله جل وعلا أن يهدينا إلى ما يحبه ويرضاه ويعيننا على طاعته .. ويشرح صدورنا ويقوى جوارحنا على القيام بفرائضه .. فى حرص ودأب واغتباط .. وهو (رب التقوى . ورب المغفرة) ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

(٢٢) تعريف المروءة ؟

قال (**محمد بن عمران**) آخر قضاة بنى أمية على المدينة المنورة : « ما شئ أشد من عمل المروءة ، قيل له : أى شيء المروءة ؟ قال : لا أعمل شيئا فى السر استحى منه فى العلانية .. » اهـ

قلت : لقد عرف العلماء والشعراء والأدباء المروءة فى مختلف الأزمنة والأمكنة .. بكثير من التعاريف .. ولكن **ابن عمران** هذا أوجز تعريفها وأبهظ تكليفها .. وجعلها قرينة الورع والتقوى .. فمن كان من أهلها استحى أن يعمل فى السر ما يخجل منه فى العلانية . ولو اصطنعها كل الناس بهذا الوصف لما ضاقت صدور ولا نضحت شرور .. ولا تعقدت أمور ولاحبطت أجور .. وما هى بعزيزة على من يسره الله لمحابه وأعانه على مرضاته .. ولكل امرئ ما نوى ..

(٢٣) شفرة الفاروق ؟

« أخبرنا **حماد بن سلمة عن الجريرى** عن **أبى عثمان النهدى** أن **عمر بن الخطاب** رأى على **عتبة بن فرقد** قميصا طويل الكم فدعا بالشفرة ليقطعه من عند أطراف أصابعه .. فقال **عتبة** : يا أمير المؤمنين انى أستحى أن تقطعه .. وأنا أقطعه .. فتركه » .اهـ (ابن سعد) .

قلت : لم يكتف صاحب الدرة .. بالأمر بقطع الكم الطويل .. بل طلب الشفرة ليقطعه بنفسه مبالغة فى النهى والزجر .. هذا فيما طال !! وعلى الرجال !! فكيف بما قصر .. ومن (قاصرات الطرف) ؟! لقد كان له غير الشفرة علاج عنده .. يستأصل الداء من جرثومته !! ولو أدى إلى تكميل الناقص كما فعل فى تنقيص الزائد .. عند حدود الشريعة الغراء .. ومن العجائب ان تكون أكمام الأقمصة الرجالية فى عصرنا هذا مرتفعة متقلصة إلى ما فوق المرافق مجاراة لحركة النشاط والعمل .. وأن يجاريهم فى ذلك (ربات الحجال) ؟؟! من قمة الرأس إلى أخمص القدم ؟! وزيادة (شوية) فيما يجب أن يستر ويصان وتسدل عليه الجلابيب .. من الرود الرعابيب .. وعسى أن يكون فى الجيل الناشئ منهن من يعود بهن عهد العقائل والعواتق والفواطم من أمهات الصيد الأشاوس .. والكماة الفوارس .. فهن المدارس الأولى للشعب العريق والمجد الأثيل .

(٢٤) شريح القاضي وابنه

« حدثنا **وهيب عن داود عن عامر** : ان ابنا **لشريح** قال لأبيه : ان بينى وبين قوم خصومه ، فانظر فإن كان الحق لى خاصمتهم ، وان لم يكن لى الحق لم أخاصم .. فقص قصته عليه .. فقال : انطلق فخاصمهم فانطلق إليهم فخاصمهم فقضى على ابنه !! فقال له لما رجع إلى أهله : والله لو لم أتقدم اليك لم الملك ، فضحتنى !! فقال : يا بنى ، والله لأنت أحب الى من ملء الأرض مثلهم ولكن الله هو أعز على منك ، خشيت أن أخبرك ان القضاء عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم » اهـ (ابن سعد) .

قلت : وهذا من أخلاق الأبرار .. والتقاة الأطهار .. والذين هم بربهم يوقنون .. وما كان أجدر بابنه أن يقول له : انقذتنى .. بدلا من

(فضحتني) .. فما كان ليرضى ان يسحته الباطل .. ولا أن يحيق به الخسار .. وهو فلذة من كبده .. وبهذا يستطيع تاريخ الاسلام أن يفاخر ويباهى الأمم والشعوب .. ويضرب لهم خير الأمثلة على ايثار الحق .. والعدل .. والله الهادى إلى أقوم سبيل .

(٢٥) سعيد بن جبير .. والمغتاب

« حدثنا اسرائيل عن أبي الجحاف عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير أنه كان لا يدع أحدا يغتاب عنده احدا ، يقول : ان اردت ذلك ففى وجهه » اه (ابن سعد) .

قلت : وقد أدركنا الناس على هذا .. فلا يدعون مغتابا يغتاب عندهم أحدا الا زجروه .. وكرهوا مجالسته .. وكانوا على هذه الخصلة أشد حرصا منهم على سلامة مجالسهم من كل ما يشين .. وتحليتها بكل ما يزين .. وما يزال الخير فى أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه .. وبهذا يزجر الغواة والمتحذلقون .. ومن لم يجد لقوله سامعا آثر السكوت !! وصلاح الفرد والمجتمع متلازم كل منهما بالآخر .. والذكرى تنفع المؤمنين .

(٢٦) ذو الرقاعتين (٤١٢ هـ)

« محمد بن عبد الواحد القصار أبو الحسن المعروف بصريع الدلاء قتيل الغواشي « ذى الرقاعتين » شاعر بصرى المولد والمنشأ استوطن بغداد ، وقدم مصر ومدح الظاهر الفاطمى وتوفى فيها قال الثعالبى : « لما رأى سخف الزمان وأهله نزع ثياب الجد وتلقب بصريع الدلاء ونفقت سوقه » ومن شعره مقصورة تزيد على مائة بيت منها :

من نام لم يبصر بعينى رأسه
ومن تطاطا راكعا قد انحنى !
من دخلت فى عينه مسلة
فسله من ساعته عن العمى !

(الاعلام) للخير الزركلى

قلت : كنا نسمع ونقرأ عن (صريع الغوانى) وهذا صريع آخر .. يكنى بذى الرقاعتين .. كما يقولون فلان ذو الوزراتين فى الاندلس .. وكما هما تشريف فى هذا الجانب فانها فى ذلك مبالغة فى السخافة والرقاعة .. وانما رقص فى وقته على مقدار توقيع الزمان .. ولو انه وجد رواجا لما استمر فى طريقه .. وما هو بالغريب فى ذلك القرن الذى نخر فيه سوس التحلل .. ونفق فيه سوق التبذل .. والسعيد من اتعظ بغيره .

وانما المرء حديث بعــــده
فكن حديثا حسنا لمن وعى !!

(٢٧) اسعد الخلق ؟!

قال شاعر العرب الكبير (**فؤاد باشا الخطيب**) تغمده الله برحمته :

وأسعد خلق الله من قال عن رضى
لقد عشت هذا اليوم غير منغص
وما يشغل الأفكار بالخوف من غد
وما الغد مما نالــــه بالمنتقص

قلت : ليس المهم أن تشغل الأفكار بالخوف من الغد .. وان كانت مفطورة على ذلك .. وانما

أن تشعر القلوب بالسعادة فى اليوم الراهن .. ولا تجد فيه ما ينغصها !! ولذلك احتاط شاعرنا الكبير فقال : من قال عن رضى .. أى بما اصابه فى يومه كيفما كان !! وحسب ان خير ما يجب أن يسعد به الانسان فى هذه الدنيا الاطمئنان إلى رحمة الله وعفوه والقيام بطاعته والاحسان إلى خلقه .. وأن يكون متمتعا بالصحة البدنية والعقلية .. فيها يكون انسانا .. اقرب إلى السعادة والهناء منه إلى الغصص والنغص !! والانطواء .. والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

(٢٨) معاشر البادية

« قال **ابن الكلبى** : بيوت العرب ستة : قبة من أدم ، ومظلة من شعر ، وخباء من صوف ، وبجاد من وبر وخيمة من شجر ، وأقنة من حجر » (مجالس ثعلب) .

قلت : وكأن ابن الكلبى ـــ وهو رجل بادية ـــ انما كان يرى العرب معاشر البادية فقط دون سواهم ، ولولا ذلك ما حصر بيوتهم فى الصحراء والفلاة .. وأطلق عليهم العرب .. وهم الاعراب !

فإن للعرب قصورهم ـــ من العصور القديمة ـــ فى غمدان .. والخورنق والسدير .. وغيرها مما اشتملت عليه حواضرهم الكبرى .. وحصونهم واطومهم .. وما تزال الشواهد العمرانية قائمة لهم من شرق الصين إلى المحيط الاطلنطى وغرب اسبانيا .. وما حولها .. والطريف فى الرواية هذا التقسيم العجيب فى بيوت البادية .. (سقاها الحيا صوبا من المزن هاميا) ..

(٢٩) كل شيء عندكم جائز !

قال **أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب** فى مجالسه ـــ وهو المولود سنة ٢٠٠ والمتوفى سنة٢٩١هـ .. : « أخبرنا **محمد** ، حدثنا **أبو العباس** قال : وحدثنى **ابن قادم** قال : كتب (فلان) إلى **المأمون** كتابا فيه : « وهذا المال مالا من حالة كذا » ... فكتب اليه : اتكاتبنى بكاتب يلحن فى كلامه ؟ فقال : ما لحنت ، وما هو إلا صواب ، قال **ابن قادم** : فدعانى **المأمون** فلما أردت الدخول عليه قال لى : ما تقول لامير المؤمنين إذا سألك ؟ قال قلت : أقول له : الوجه ما قال أمير المؤمنين وهذا جائز .

قال : فلما دخلت قال لى : ما تقول فى هذا الحرف ؟ قال : فقلت : الرفع أوجه ، والنصب جائز ، قال : فقال لى : مر ، كل شيء عندكم جائز ؟؟!! ثم التفت إلى ذلك فقال : لاتكتبن إلى كتابا حتى تعرضه » .

قلت : كذلك كان التعقيب والسؤال .. والتوجيه من أصحاب الشأن الذين يهتمون بالصواب وسلامة القول من اللحن وعدم الأخذ بالتأويل فيما هو اصح وأبين .. وقد أنهى **المأمون** الاشكال والجدل .. بعرض كل ما يكتب عليه .. حتى لا يصدر الا ما هو صحيح وتلك إحدى الوسائل إلى هذه الغاية .. ولكن هل كان بوسعه فى زماننا هذا أن يستعرض (جزازات الصحف) .. قبل الطبع وبعده ؟!

٣٠ أبلغ العظات !

(عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من اسخط الله فى رضا الناس ، سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه ، ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله فى عينه » .

قلت ألا ليت كل مفكر ومتذكر .. يجعل أمامه هذا الحديث النبوى الشريف مكتوبا بقلم عريض .. ويرفعه امام عينيه .. ليراه صباح مساء .. ويجعل عمله وتصرفه وكل ما يصدر عنه خاضعا لهذه الكلمة الجامعة .. فقد قامت الشواهد .. المحسوسة ، والادلة والبراهين الملموسة ، على انه الصادق الامين ﷺ وانه قد أوتى جوامع الكلم .. وانه قد ابلغ النصيحة .. وأوجز .. فان الله تعالت اسماؤه وجلت قدرته .. ﴿ يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ﴾ وقديما قال الشاعر :

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده !

٣١ كل ما شئت ؟

قال ابن عباس رضى الله عنه : « كل ما شئت ، والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان : سرف ومخيلة » .

قلت : والنص واضح وصريح لا يحتاج إلى بيان أو تفصيل .. غير أن الناس قد ارسلوا فى الأزمنة الاخيرة مثلا سائرا فى المأكول والملبوس . فقالوا (كل ما يعجبك ، والبس ما يعجب الناس) ..

وهنا يشتبه الأمر .. فان من تحرى ما يعجب الناس فيما يلبس أدخله ذلك شاء أم أبى فى المنافسة والمظاهرة .. وحمله على ما لايرضى من المسايرة .. والمطاورة .. ان رضى عن هذه الصيغة استاذنا الكبير الشيخ **عبد القدوس** .. بمعنى التطور .. فان لم يرضه ذلك نعبر عنه بما هو ايسر واسهل .. فنقول : و (الموايضة) !!!!؟ أى اتباع (الموضة) ... وما هى الا البلاء العظيم .. فقد خلعت عن الرؤوس .. القلانس .. وفشيت رغم الحجاب البيض الاوانس .. وما أجمل وأفضل اتباع خير الامة فيما أمر به ونهى ... ووعظ وأرشد « ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

٣٢ الفرق بين المداراة والمداهنة !

قرأت فى كتاب (الأدب النبوى) للأستاذ **محمد عبد العزيز الخولى** أستاذ الشريعة الاسلامية بدار العلوم والقضاء الشرعى (سابقا) تعريفا للمداراة والمداهنة .. قال فيه : « والفرق بين المداراة والمداهنة ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين .. أو هما معا .. وهى مباحة .. وربما استحبت ، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا » ..

قلت : وبهذا الوصف والتحديد .. تتميز المداراة عن المداهنة .. وتنفصل كل منهما عن الأخرى .. فلا تلتبس على الافهام .. ولا تختلط بالآثام .. « وانما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » .

٣٣ الفضول الملطوم ؟ !

« روى **البخارى** ، فى الأدب المفرد عن **سعيد المقبرى** قال : مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث ، فقمت اليهما ، فلطم فى صدرى وقال : إذا وجدت اثنين يتحدثان فلا تقم معهما حتى تستأذنهما .. وذكر ان رسول الله ﷺ نهى عن ذلك » .

قلت : بذلك جاء أدب الاسلام .. وبه اقتدى وتأسى السابقون الأولون .. ولم يدعوا شيئا من مكارم الاخلاق الا بينوه وفصلوه ولو اتبع الخلف .. ما دونه السلف .. لما صاروا إلى ما هم عليه .. من عدم المبالاة ! ولا يزال الخير فى أمته ﷺ .. وسر البقاء والهناء .. والتقدم والارتقاء ، فى التمسك بسنته ، والاقتداء بسيرته .. وهما سبيلنا فى الحياة وطريقنا إلى النجاة .

٣٤ اذن لا حرج ..

« يقال : اللهم لا تبلنا الا بالتى هى أحسن ، وابلاه الله يبليه « ابلاء حسنا » إذا صنع به صنعا جميلا ، وقال زهير :

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم
فابلاهما خير البلاء الذى يبلو
(أدب الكاتب)

قلت : اذن لا حرج على ما قال لصاحبه : (أبلاك الله) .. على أن يضيف اليها (بلاء حسنا) .. اما إذا اطلقها .. فقد مرن القوم وجرى اصطلاحهم على عكسها .. على أن المسلم لا ينبغى حمل حاله الا على الصلاح .. فلا محل فى كل حال لسوء الظن .. ما دام لذلك تأويل حسن .

٣٥ ذو المجاز - والزيما ؟

أما ذو المجاز .. فانه واقع أيمن عرفات وأيسر (الشرائع) للهابط من بطن نخلة .. وأما (الزيمة) أو (الزيما) .. فانها المحطة الأولى للقوافل من مكة إلى الطائف ــ أيام الشقاذف .. والجمال .. وبها عين ماء جارية .. وبساتين نامية ..

وقرأت **للنابغة الذبيانى** هذا البيت فى وصف ناقة .. قال :

باتت ثلاث ليال ثم واحدة
(بذى المجاز) تراعى منزلا (زيما)

بكسر الزاى .. وفتح الياء والميم .. ولا أجزم إن كان أراد بذلك المحطة إياها .. وتحرفت بمرور الزمن !؟ أم غير ذلك ؟

والنابغة يعنى .. بثلاث ليال ، ليالى التشريق ــ وزيم ــ بمعنى متفرق .. فلعل حجاج المشرق كانوا اذا وصلوا إليها يتفرقون منها صوب ديارهم وأقطارهم إلى الشرق .. أو الغرب .. أو الشمال أو الجنوب .. والله أعلم ..

٣٦ ماهو الشعار ؟

فى رأس كرا فوق الهدا بالطائف ــ جبل يطلق عليه (شعار) ... ولا ندرى ما هى علة التسمية .. فما يزال القوم .. يقولون الأسماء لا تعلل !! غير أننى قرأت فى كتاب (أدب الكاتب) **لابن قتيبة** ، قوله :

« وأرض كثيرة الشعار ــ بفتح الشين .. وتشديدها .. أى : كثيرة الشجر » ومن هنا

أدركت أن (شعار رأس كرا) .. إنما سمى بذلك لشجر كثيف ينبت فيه .. ولو فى القديم .. ما دام لنا هذا الوجه الصريح .

وأعتقد أن العرب لا يطلقون إسما ما على شيء .. حتى يكون له من اسمه نصيب شأنهم فى ذلك مع أرقائهم وأبنائهم .. وكل ما يتصل بهم من متاع واثاث وعقار : والله اعلم .

٣٧ الفرق بين اللدغ ـ واللدع

« نصت اللغة على ان اللدغ ما يكون من ذوات السموم .. واللدع بالعين ما يكون من النار » .

قلت : إنها نقطة واحدة .. ليس غير ... فرقت ما بين اللفظين .. والمعنيين .. والعجب أن العامة كالخاصة فى فهم ذلك بالمعلوم والمدلول والاستعمال والتداول ..

وفى هذا ندرك مدى اختلاط المعانى والمبانى فى هذه الأخطاء المطبعية التى تعكس المقاصد .. وتثير الأعصاب ... ولا علاج لها الا بصرف أكبر المجهود فى تقليلها إذا تعذر محوها كليا .. فأما التصويب .. بعد التصعيد !! .. فلا رأى له من فائدة فى الصحف السيارة .. و « إياك أعنى فاسمعى يا جارة » .

٣٨ الخزر ـ والتخازر

(التخازر) النظر بمؤخر العين تداهيا ومكرا !! فإن كان ذلك خلقة فهو الخزر .. ومن الشعوب فى الشمال من يطلق عليه ذلك عامة .. كما أن هناك بحرا ينسب إلى السكان بهذا الاسم نفسه كما هو معروف .

قال الراجز أرطاة بن سهية :

اذا تخازرت ـــ وما بى من خزر
ثم كسرت العين من غير عور
الفيتنى الوى بعيد المستمر
احمل ما حملت من خير وشر
كالحية النضناض فى أصل الحجر

قلت : لقد احسن الراجز الوصف ودق فيه حتى جعله صورة محسوسة .. وما برح التخازر فى ابن آدم .. معهودا .. محذورا .. يدركه حتى الطفل الصغير .. ويفهم ما وراءه من تعريف وتنكير .. ويغلب أن يكون من مميزات الكبر .. والتكبير والصلف والتجبر .. ويكفى أنه قد شبه .. صاحبه .. بالحية النضناض .. وأحسب أنه هو .. (الشنزر) أو ابن عمه .. أو أخوه .. فكلاهما بغيض مبغوض .. وكربه مرفوض !

٣٩ الغلط ـ غير الغلت

إذا وقع الخطأ فى الكلام ـــ أو فى الحساب عبرنا عنه فيهما معا وعلى حد سواء بالغلط .. وليس الأمر كذلك فى علم الاولين ..

قال ابن قتيبة : « الغلط فى الكلام .. فإن كان فى الحساب فهو « غلت » !!

فهل نرجع إلى الصواب على بعد العهد به ؟ أم نستمر فى الغلط ؟! على كل حال كفانا الله التاء والطاء معا .. فى القبض والصرف والأخذ والعطاء، وفى الحديث والكتابة .. وقديما قال الشاعر :

حب التناهى غلط
خير الامور الوسط

(٤٠) نائب رئيس مجلس الشورى الموسيقى العربية ؟

قال الأستاذ **فيليب حتا** فى كتابه المطول (تاريخ العرب) .. وهو يبحث عن الموسيقى فى الأندلس خاصة : « وكان كلما ازداد ارتياح النصارى فى الأندلس إلى النماذج الغنائية العربية ازدادت الأغانى العربية انتشارا وشعبية فى أنحاء الجزيرة .. » اهـ

قلت : ما أعجب أن تتأثر أوروبا فى ذلك العصر الذهبى بألحان العرب .. ويطرب أهلها بها .. فى أرقى بلادها ثم يدور الفلك فنجد من أهل الشرق .. من لايطرب ولايأنس إلا بالحان أوروبية دخيلة .. لا تمازج القلب ولا الروح ولا البدن .. ولا تهضمها أحاسيس العرب وطبائعهم .. تقليدا للأوروبيين .. فقط لا غير .. إن ذلك لدليل ساطع على أن الموسيقى — حتى الموسيقى — تتطور وتعلو وتهبط فى الأمم والشعوب بمقدار ما تكون عليه من مكانة وحصانة .. وفطانة وزكانة .. وحفاظ وكيان .. وتقدم وعمران .. وحكم وسلطان .. وكلما أخذ بالتقليد وترك الطريف والتليد إلا من نسى تاريخه .. وتابع غيره .. فى رضوخ واستسلام .. و (لجس واحد) و (طريقة) يمانية أو حجازية .. خير من كل ما تقوم وتقعد له (الأوبرات) !! ويعجب به ويطرب له المقلدون والمقلدات !!

(٤١) كلام الشيطان ؟ !

قال **أبو العباس أحمد بن يحيى (ثعلب)** (٢٠٠ — ٢٩١) هجرية : « كتب **معاوية بن أبى سفيان إلى زياد** : « إذا جاءك كتابى فأوفد إلى ابنك (**عبيد الله**) .. فأوفده عليه فما سأله عن شىء إلا أنفذه .. حتى سأله عن الشعر فلم يعرف شيئا !! قال : ما منعك من روايته ؟ قال : كرهت أن أجمع كلام الله — وكلام الشيطان فى صدرى !! قال : اغرب .. والله لقد وضعت رحلى فى الركاب (يوم صفين) مرارا ، ما يمنعنى من الانهزام إلا أبيات **ابن الاطنابة** حيث يقول :

أبت لى عفتى وأبى تلادى
وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واعطائى على الاعدام مالى
واقدامى على البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت
مكانك ، تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات
وأحيا بعد عن عرض صحيح

وكتب إلى أبيه : أن روه الشعر ، فرواه .. فما كان يسقط عليه منه شىء .. » اهـ

قلت : ولما فى وصية (**معاوية**) رضى الله عنه .. من توجيه رشيد .. آثرت نقل الخبر كما ورد عن مجالس ثعلب .. وهو ما لا ينبغى أن تغفل عنه الأجيال الصاعدة فى دنيا العرب إبان وثوبهم ونهوضهم واستعادتهم أمجادهم الرائعة .. وفى هذا المجال اعتقد أن المحافظة على الأسلوب العربى الفصيح .. والنسيج التقليدى المليح خير ألف مرة

من تنويعه وتفريعه وتضييعه !! أما فيا سواه من الصناعة والزراعة ووسائل الحياة الحديثة .. فإن التطور بها والأخذ بأفضلها — مع كل ما ينفع ولا يضر .. من عتاد واستعداد فإنه جدير بأن يكون لنا فيه المكان الأول .. وكل من سار على الدرب وصل بإذن الله ..

٤٢ الموازنة بين الكاتب والحافظ

وازن **أحمد بن محمد العروضى** بين **أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب** .. وبين **أبى سعيد السكرى** (٢١٢ — ٢٧٥) هـ راوية البصريين فقال : « فضل **أبو العباس** اهل عصره بالحفظ للعلوم التى تضيق عنها الصدور .. وقد كان **أبو سعيد السكرى** كثير الكتب جدا .. فكتب بيده ما لم يكتبه أحد . وكانا فى الطرفين .. لأن **أبا سعيد** كان غير مفارق للكتاب عند ملاقاة الرجال . **وأبو العباس** لا يلمس بيده كتابا ، اتكالا على حفظه ، وثقة بصفاء ذهنه .. » اهـ

قلت : عجيب هذا الامتياز — الذى يهبه الله لبعض خلقه .. فى الحفظ .. وانه بلا شك من قبيل الإلهام .. أو نور البصيرة .. وبركة العلم .. ومن يوازن أو يقارن بين من إذا التفت عليه المجامع انطلق كالبحر الهادر ، والسحاب الماطر .. بما استوعبه صدره من مختلف الفنون والعلوم والسير والتواريخ .. دون أن يحتاج إلى كتاب .. ومن لا يملك من ذلك شيئا إلا أن تكون بيده (المحفظة) .. أو المجلدات ؟!

وأحسب أن هذه الميزة قد أخذت تختفى وتتضاءل فى زماننا هذا إلا فيمن ندر من رجال الفضل والعلم والأدب .. أما الذين لا يتمتعون بها فهم الكثرة الغالبة .. اعتمادا على ما هو مطبوع ويسير جمعه من الكراريس والقراطيس !! وإنما الفرق بين الفريقين .. أبعد من أن تحصى آماده .. وأبعاده .. وسبحان واهب الحظوظ ورحم الله الحافظ والمحفوظ ؟!!

٤٣ المداحى - هى (اليرسى) ؟!

فى لسان العرب : « ان المداحى : جمع مدحاة ، وهى أحجار أمثال القرصة .. كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار .. فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها ، وإن لم يقع غلب .. » اهـ

وكان الحسن والحسين رضى الله عنهما يلعبان المداحى مع **أبى رافع** مولى رسول الله ﷺ .

قلت : ومن هذا نفهم ان المداحى .. هى التى يطلق عليها الأطفال فى عهد طفولتنا وحتى الآن — وقد عدمت تقريبا — « اليرسى » .. وأظن التسمية تطورت وتجددت .. باعتبار أن الغلبة لا تتم فى هذه اللعبة إلا إذا (رسى) الحجر فى قلب الحفرة .. واستقر .. كما ترسو الجبال ؟!! هذا إذا اردنا التعليل وما بنا حاجة إليه وقد ذهبت كأمس الدابر .. وليس هناك من وقت يلعب فيه الاطفال كما كانوا قبل ذلك منذ أزمان طويلة .. فقد تطوروا هم أيضا وتطورت معهم ألعابهم .. وشغفوا بالدراسة والمذاكرة .. إلا أن تكون رياضة منظمة .. وكان الله فى عونهم .. وقربهم عيون بلادهم وآباهم وأمهاتهم .. وجعلهم خير خلف لخير سلف بمنه وكرمه ..

ولعلي لم أصب في تسمية المداحي .. بأنها هي (اليرسى) .. فقد يكون هناك من هو أحدث عهدا بها مني .. بعد انقضاء ما يزيد على نصف قرن مضى على اصطناعها .. في أوقات العصر الفارغة !!

(٤٤) الشـيخ لكده ؟!

سيستغرب القارئ الكريم هذا العنوان — ولكنه كما نقلته نصا من الجزء الرابع من مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق الصادر في ٢٥ صفر سنة ١٣٧٦ .. من مقال مطول عن **أبي الفتح ابن جني** .. للاستاذ الكبير الدكتور **محمد أسعد طلس** قال : « ... **وأبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني** المشهور بلقب (لغده) أو (لكده) !! (في أواخر القرن الثالث) وهو إمام نحوي بلداني لغوي جليل قال **السيوطي** : كان إماما في النحو واللغة جيد المعرفة بفنون الأدب وحسن القيام في القياس أخذ عن **الباهلي** صاحب **الأصمعي** ... الخ » ثم قال : « .. ولم يبق من آثاره إلا كتاب (مياه وجبال وبلاد جزيرة العرب) .. وذيل ذلك فقال : « ويعنى الأستاذ **حمد الجاسر** بنشره وتحقيقه فيما حدثني وفقه الله .. » اهـ

قلت : ما أعظم ما أنتجه هذا (اللكدة) !! وما أقل اللكد من نوعه وصفته ؟! فقد درج الناس في بلادنا على نعت (المعقدين) .. والبلداء .. بهذه اللكادة .. ولعل المترجم انما سمي بها من قبل خصومه ومنافسيه .. فما يصح أن يقال عنه أنه (لكدة) مع كل ما أثمر من علم .. وخلف من تراث .. وعلى كل فإننا لنرجو من الله جل وعلا أن يمد في حياة الأستاذ الشيخ **حمد الجاسر** ليخرج لنا هذا الكنز الغالي مطبوعا مصححا مهمشا من يراعه السيال بكل ما يزيد من فخارنا .. ويبسط من ديارنا ..

(٤٥) (ومى) ـ لفـة ؟!

اختص بهذه اللفظة — عندنا ربات الحجال = دون الرجال .. فهي غالبة في الدور ... ولا يكاد يخلو من بيت فهي على ألسنة العقائل تدور ... وإذا نطق بها (الرجل) تلفتت إليه الأنظار .. منكرة عليه ؟! وقد وردت في القرآن العظيم ﴿ **وي كأنه لا يفلح الظالمون** ﴾ قالوا « وي منفصلة عن كان عند البصريين .. قال سيبويه : « وي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم يستعملها النادم لإظهار ندامته .. » اهـ

قلت : وقد كنت أسمع هذه الكلمة من عم لي توفي قبل عشر أعوام .. تقريبا .. وقد شارف الثمانين .. فكنت أعجب كثيرا لاستعماله إياها ... وأقول له : ما هذا ؟ إنما يقولها النساء ! وتبين أن الحق معه .. ما دامت انما تعني التنبيه على الخطأ أو الندم .. فلا ضير على الجنسين في اصطناعها معا ، وما أعجب أن تحافظ عليها (حواء) طوال القرون .. بما فيها من فصاحة وإيجاز وسكون ؟! ويتفاداها (قوامها) العارفون ! — وهنا وجب أن نقول : (وي) كأنهم ... لا يقرؤون ؟!

(٤٦) من توارد الخـواطر !

هناك ما يسمى (بتوارد الخواطر) .. في المجال الشعري .. إذا اتفق المعنى من شاعرين .. دون نقل أو اقتباس !!

وقد يكون من هذا القبيل ما رواه صاحب أنيس الجليس للعلامة المكى (**أحمد بن علان**) .. وهو من فحول شعراء أم القرى فى أوائل القرن الثانى عشر (١١٢٩) هـ ... قال :

ولو أن أرض الهند يا صاح جنة
وسكانها حور ، وأملكها وحدى
لما قوبلت عندى ببطحاء مكة
ولا اخترت عن ليلى بديلا هوى (هند)!

قلت : ومع لطيف التورية فى هذين البيتين الجميلين .. وما فيهما من حب الوطن وإيثاره والحنين إليه .. فما أحسبه بلغ بها المنزلة التى وصل اليها أمير الشعراء **شوقى** فى قوله المشهور :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

رحمهما الله وعفا عنهما .

٤٧ فطنة الخادم !

كان لرجل خادم فما زال يوصيه بالفطنة حتى قال له : « متى أرسلتك فى حاجة وقدرت أن تضم إليها غيرها .. فلا تكره .. فاتفق أن مرض سيده فأرسله إلى الطبيب فجاء به وبالغاسل معه ! فقال له : ويحك ما هذا ؟ قال : قد قدرت على الآخر كما أمرتنى وأدبتنى .. » .

وقال احد شعراء الريحانة .. **نور الدين العسيلى** :

انى بليت بزنجى قبائحه
ليست تعد على ما فيه من عوج

كل الأمور إذا ضاقت لها فرج
إلا أمورى فإن ضاقت فمن (فرج)

قلت : أما الخادم الأول .. **فإنه لم يصطنع** الذكاء .. ولكنه (مفطور عليه) فطره الله وأمثاله (بتشديد الطاء) !! فما ابتلى الانسان بأشد من بلادة من يقيس البيض بالباذنجان ولو دون الناس نوادر هؤلاء .. لكانت منها نماذج مضحكة مبكية .. ولولا ذلك لكانوا فى المستوى الذى يرتفع بهم عن الخدمة .. إلى التخديم .. فأما الشاعر فقد بلغ غاية اللطف والإجادة فى استخدام المقابلة بين الضيق والفرج .. وذلك هو (الظرف) الذى يكاد يثقل على كثير من الناس فى زمن السرعة والاختراع ؟! ولا يكترثون بهذا الأدب الميت المضاع !!

٤٨ شعبة العفاريت وفلق عبد المطلب ؟!

جاء فى (أنيس الجليس) **للعباس بن على نور الدين المكى الحسينى** الموسوى وهو يتحدث فى أوائل القرن الثانى عشر .. ذكر « شعبة العفاريت » و « فلق•عبد المطلب » .. بمكة المكرمة .. وذلك سنة ١١٤١هـ ..

وتوقفت .. عند ذلك .. لأتبين ماقصده من هذه الأمكنة .. واستطعت أن أفهم أن (شعبة العفاريت) .. هى التى يمر بها الصاعد إلى (الأسطح) من وراء الشارع العام .. يمين (مسجد الحرس) .. بالمعلاة .. وعلامة التسمية فيما أظن بالعفاريت .. أن الموضع يقع فى مواجهة (مسجد الجن) .. وهو (مسجد الحرس) ايضا .. لأن حراس مكة كانوا يقيمون ليلا عنده .. أو حوله ..

فأما (**فلق عبد المطلب**) .. فأحسبه ما يتصل بشعب عامر إلى المعابدة .. بدليل أن صاحب

(أنيس الجليس) عرفه فقال : « فى شعبة العفاريت فى مكة .. فى أعلى فلق **عبد المطلب** » .. وقد يكون هذا الطريق صخريا فى العصر الجاهلى ففلقه **عبد المطلب** .. ربما للمرور منه عند انحدار السيول العرمة إلى (وادى **ابراهيم**) !! خشية انقطاع المواصلات فيه ..

ولا جدال أنه لا يعنى به مطلقا (فلق الشامية) . إلى (النقا) فانه من عمل (**عبد الله بن الزبير**) رضى الله عنه وقد تحدث عنه غير واحد من مؤرخى مكة .

٤٩ المراوح ... أجمل هدايا الحجاج

قرأت فى مجلة الهلال جزء ١٠ الصادر فى ١٠ ربيع الثانى ١٣٨٠ كلمة للأستاذ على الجندى تحت عنوان (المراوح فى التاريخ والأدب) جاء فيها قوله :

يروى صاحب « مطالع البدر » عن **أبى الفوارس سوار بن اسرائيل** قال : « كنت عند السلطان **صلاح الدين** ، فحضر إليه رسول عامل المدينة المنورة .. ومعه خيول وهدايا .. فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران منسوجان بالسعف الأحمر ، ثم قال : وهو يقدمها للسلطان : إن **الشريف** خادم السلطان يقول : خذ هذه المروحة فما رأيت أنت ولا أبوك ولا جدك مثلها ! فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا .. فقال له الرسول : لا تعجل بالغضب قبل أن تتأملها ، فسكت الغضب عن **صلاح الدين** ــ وكان معروفا بالحلم ــ وأخذ ينظرها .. فإذا عليها مكتوب :

أنـــا من نخلـــة تجاور قبرا
ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتنـــى سعـــادة الـــقبر حتـــى
صرت فى راحة (ابن ايوب) أقرا

وكانت المروحة من خوص النخل الذى بمسجد الرسول صلوات الله عليه ... » .

قلت : وما زالت المدينة المنورة شرفها الله حتى الآن تختص وتمتاز بصناعة (المراوح) وزخرفتها .. فى أشكال جميلة جذابة ، إلا أنها غير مطرزة بالكتابة ، ومن السهل على أهلها لو كتبوا عليها ، ما يفيد أنها من صناعة المدينة المنورة .. لتكون من أجمل هدايا الحجاج إلى أهلهم إذا رجعوا إليهم .. هذا وان المتأمل فى كلمة رسول صاحب الهدية ليداخله الشك فى صحة ما عزى إليه من هذه الجملة النابية الكريهة .. فما يليق به أن يقولها فى حضرة السلطان ... إلا بالأسلوب المناسب !! وقد كفاه حلم صلاح الدين من (قرقعة) أصابعه على الاقل بها .. ولكن الله سلم .

٥٠ أبو قلبين ؟ !

من المبتكرات الطبية الحديثة جهاز جديد يسمى (صندوق القلب) وحجمه لا يزيد عن حجم الكتاب المتوسط .. ووظيفته تنظيم (دقات القلب) فإذا بدأ فى الاضطراب أو قل عدد النبضات عن ٦٠ دقة فى الدقيقة .. فإن الجهاز يبدأ عمله فى الحال ويقول مقام المراكز القلبية المنظمة لدقاته .. » .

قلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ... ذلك هوالذى كان يعنيه القائل : فلان (أبو قلبين) ؟!

أم أنه تنبؤ به قبل مئات الأعوام ؟ الحق أن الناس إنما كانوا يقصدون بذلك أن صاحب القلبين .. كبير قلبه أو مضاعف .. ويعنون به أنه بطيء الحركة .. بليد الحس .. غير متأثر بما يدور حوله أو يمسه من قريب أو بعيد !!

أما الآن فانه مسكين يستحق الرثاء هذا الذى يضطر أن يكون له قلب اضافى خارجى يحمله على صدره ؟!! وصدق الله العلى العظيم .. حيث يقول عز من قائل : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** ﴾ .. فاما أن يكون ما أسموه قلبا آخر .. خارجيا .. فإنه فيما أظن أقرب إلى التعليل منه إلى العلاج .. إلا (إيحاء) ... وأين الأثر من العين ؟ .. والثابت من المتحرك .. والمخلوق من الخالق ؟! وهو الحفيظ العليم ..

٥١ التعليم فى الصغر والكبر

« أكد أحد الاختصاصيين أنه من الخطأ التسليم بأن (التعليم فى الكبر مثل الرقم على الماء) فكبار السن يستطيعون إذا توافرت لهم الرغبة والعزيمة أن يتعلموا أى شيء وهو يضرب لذلك أمثلة كثيرة من بينها قصة رجل يدعى (**مازوفانتى**) — وقد لقبه باسم « ملك اللغات غير المتوج » فقد ظل يتعلم لغات جديدة حتى مات فى سن الخامسة والسبعين ، فتمكن من أن يجيد أكثر من خمسين لغة » اهـ

قلت : هذا صحيح .. فى الأفذاذ .. وقلما يتم إلا لمن اتفق له مزاج سليم .. ودليلنا عليه فى شرقنا العربى .. زعيم مصر الخالد « **سعد باشا زغلول** » فقد حذق بعض اللغات الاجنبية ابان شيخوخته .. ولكن كم من الناس امثاله فى الحذق والفطنة والذكاء ؟! خصوصا مع احتمال التكاليف وتهدم البنية .. وهلهلة التلافيف ؟!! ومن أمثال العامة : (بعد ما شاب ودوه الكتاب) إنكار أو استنكار لمن يحاول أن يستأنف حياته بما كان يجب أن يبدأ به فى عنفوان نشاطه وحيويته .. ولعل فى هذا حافزا لنا معاشر « الاشياخ » أو الكهول — مثلي — ومثل الشاعر الكبير الأستاذ **حمام** .. والأستاذ **الصباحى** .. والأستاذ **فؤاد شاكر** على الاستزادة فى الدراسات الجامعية .. « جامعا — وجامعة » أو التضلع فيها .. أو مزاحمة الشباب الصاعد .. فى مجالاته الواسعة .. (لا كرة القدم) .. و (لعبة الكبد .. أو الكبت) فان الركب المخلخلة .. والأعصاب المنخلة .. لا تسمحان بغير (الحبوة) !! والجلوس على (الحصوة) !! وكل شيء فى وقته مليح .. وأشهد انه لا حدود لذكائى المفرط فقد أقمت فى بلاد الهند نحوا من مائة يوم متوالية .. وما حفظت من « الأردو » .. وهى اللغة الشائعة الذائعة هناك .. إلا (بانى لاو برف هى) .. أو « جاو .. ولاو .. » ثم هى الإشارة بشارة ؟! وسر ذلك عدم الاضطرار لوجود الوسائط والترجمان .. وقديما قال الحكماء « الحاجة أم الاختراع » !!

٥٢ المطالعة .. والكتب ..

قال **الجاحظ** فى المحاسن والاضداد : « وسمعت **محمد بن الجهم** يقول : إذا غشينى النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازى للفوائد الأريحية التى تعترينى من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فإنى

إذا استحسنت كتابا واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضا .. ولم أبغ له بدلا .. فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة .. كم بقى من ورقة مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله .. » اه

قلت : وكذلك كان استئناس الاولين بالمطالعة .. وهى سر عقولهم الناضجة .. وأخلاقهم الزكية .. ومعلوماتهم الواسعة بل هى (جامعاتهم) التى تخرجوا عليها .. شريطة الفهم والتمييز .. بين الغث والسمين .. والصالح والطالح .. والحلو والمالح .. وما أشد ما بذلوا وما لاقوا فى سبيل ذلك من عنت وإرهاق يوم لا يجد القارئ كتابا إلا بعرق القربة !! ومن أصحاب الوفر والثراء .. أما اليوم فإن المطابع قد يسرت الحصول عليه .. للقوى والضعيف .. والبعيد والقريب .. ولكننا انصرفنا عنه .. سأما أو مللا .. أو حرمانا على الاصح ..

وكم فى كنوز الأدب العربى من ذخائر ومكنونات ؟!

٥٣ المقصورات .. والقصيرات ؟

قال **الفراء** فيما نقله عنه صاحب (الاضداد) — **الانبارى** — :

يقال رجل بحتر وبهتر وبحترى إذا كان قصيرا .. وامرأة بحترة وبهترة وبحترية اذا كانت قصيرة من نسوة بحاتر وبهاتر .. وانشد :

لعمرى لقد حببت كل قصيرة
إلى — وما تدرى بذاك القصائر
عنيت قصورات الحجال ، ولم أرد
قصار الخطى ، شر النساء البحاتر

قلت وهذا دليل آخر على كراهة القصر فى النساء كما يكره من الرجال .. ولعل الشاعر الفحل العظيم (**أبا عبادة البحترى**) إنما بحتروه لقصر كان فى قامته ؟! وما يعيبه ذلك وقد طال به نفسه الطويل وشعره الأثيل و« قيمة كل امرئ ما يحسن »

٥٤ العفرية - النفرية !

نسمع الناس يقولون دائما : « فلان عفريت نفريت .. » ونحسبها اتباعا — واشباعا .. وانها من العفرتة .. مشتقة من « العفاريت ، أو العفريت .. وهو الشيطان » .

ويقول **الأنبارى** فى (الأضداد) .. « وفى الحديث : كان رسول الله ﷺ يبايع الناس ، وفيهم رجل (دحمان) .. وهو الأسود السمين .. فقال له : « هل اعتللت قط ؟ » قال : لا ، قال : « فهل رزئت فى مالك ؟ » قال : لا ، فقال ﷺ : « إن أبغض الرجال إلى الله العفرية النفرية الذى لم يرزأ فى نفسه ولا فى ماله » .. ويقال : العفرية النفرية الجموع المنوع — أو القوى الظلوم .. » اه

قلت : وقد لايعلم هذا النص إلا القليل من القوم .. وفى إيراده تذكرة وتبصرة .. ونسأل الله العفو والعافية .. والسلامة من مصائب الدنيا والآخرة .. والتوفيق لما يحبه ويرضاه .

٥٥ الجهل - والحلم !

قال زهير بن ابى سلمى :

اذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا
اصبت حليما — أو أصابك جاهل!

قلت : ما أعدل وأحكم وأجمع هذا البيت .. وما أنصح قائله لمستمعه .. فما يتدبره الإنسان بامعان حتى يجده فى بلاغته واحاطته ـ على إيجازه ـ قد أوفى على الغاية .. وبلغ أعلى المستويات .. هذا وصاحبه (جاهلى) لم يتجاوز الصحراء .. ولا درس الفلسفة .. ولا عرف أرسطو .. ولا أفلاطون !!

ولو سئل الناس كافة .. أن يزيدوا على هذين الشطرين كلمة واحدة .. مع تقيدهما بالوزن والقافية .. لأعياهم ذلك .. وذلك هو الإيجاز الممتنع .. والميدان غير المتسع إلا لمن أتاه الله الذكاء الخارق .. والحس الحاذق .. وسبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامة (أعمى وأعشى ثم زرقاء اليمامة) .

٥٦ الطول والقصر !

قال الشاعر :

تبين لى ان (القماءة) ذلة
وان اشداء الرجال طوالها !

والقماءة ـ هى الصغر وهو القصر ! ـ فاذا كان القصر ذلة .. فلا شك من هنا قالوا : ـ الطول عز ـ ولكن يظهر أن القصار نقموا على الطوال فرموهم .. نفاسة عليهم .. بما هم منه براء ! .. ولا يخلو كل فريق من مزاياه .. ولكن النظر لا يقتحم إلا الضآلة .. ولا يعجب إلا بالأصالة .. و (العمالة) ! ـ ولم يدع الطول القصار .. قالوا : كل قصير نقمة ! والعبرة بالعقول ، لا ، بالعرض ولا بالطول ! وما لأحد فى خلقه خيار ؟ وكل من الأخيار !

٥٧ صباح الخير ؟ !

قال **أمية ابن أبى الصلت** :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا
بالخير صبحنا ربى ومسانا !

قلت : وهذه إحدى الكلمات أو الجمل الباقية المتداولة من عصر أمية حتى اليوم .. فما تزال تحية الناس فيما بينهم كل صباح وكل مساء .. بالخير .. وهى من أخلاق العرب الكريمة الأولى .. أقرها واستحسنها من بعثه الله ليتم مكارم الأخلاق صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .

٥٨ التضمين قديم من عهد النابغة !

قال **محمد بن سلام** فى طبقات الشعراء : (وأخبرنى خلف : انه سمع أهل البادية من **بنى سعد** يروون بيت النابغة **للزبرقان بن بدر** (فمن رواه **للنابغة** قال) :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقى مربض المستأسد الحامى !

ومن رواه **للزبرقان بن بدر** قال :

ان الذئاب ترى من لا كلاب له
وتحتمى مربض المستنفر الحامى

قال : وسألت **يونس** عن البيت فقال : هو **للنابغة** ، أظن **الزبرقان** استزاده فى شعره كالمتمثل حين جاء موضعه لا مجتلبا له .. » اه

قلت : وهكذا يثبت بهذا الدليل المنصوص أن

التضمين قديم من العصر الجاهلي .. وهو جائز إلا أن يدعى فيه ! اما فى زماننا هذا فقد تميز بالتقويس .. وإلا فما أقسى ما يلاقى السارق ، من المغارب والمشارق !

٥٩ هجـاء ابليس ؟ !

« أتى الفرزدق **الحسن** فقال : انى قد هجوت إبليس فاسمع .. قال : لا حاجة لنا فيما تقول ، قال : لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس : **الحسن** ينهى عن هجاء ابليس !! فقال **الحسن** : اسكت ، فإنك عن لسانه تتكلم ؟! » اهـ

(الطبقات لابن سلام)

قلت : ما أتقى وأنقى هذا السلف الصالح .. فما استطاع **الفرزدق** أن يخدع هذا الحبر الورع .. وقد عرف عنه أنه هجاء .. لا يحجزه عن خصمه رهبة ولا رغبة .. الا ما استدرجه اليه الشيطان ولو قد غلب خيره شره .. لأصغى اليه.. وتعطف عليه .. ولكنه كما قال .. وما أدرى أين منه على ذكائه ونبوغه وإسلامه وقربه من عصر الرسالة .. ومعاصرته للأحبار والأخيار .. الحديث النبوى الشريف : (**قل الخير والا فاصمت**) ؟!

٦٠ أصل العشاشى أو العششى !

قال فى المخصص : « عن **أبى عبيد** ، إذا صغر رأس النخلة وقل سعفها فهى عشة وهن عشاش .. » اهـ

قلت : إذن تطورت العشة من هذا الأصل حتى أصبحت تستوعب ظلا وارفا .. وبهوا شارقا ! .. والجامع بينها فى وضعها الراهن .. وما كانت ترمز إليه لغة .. هو اتخاذ سعف النخل فى بعضها سقوفا .. أو جنوبا .. ثم كسوتها بالحلفاء .. أو الخسف .. وربما أحيانا بالصفيح .. وقد رأيت متأنقا فى عشته قبل زمن طويل فى إحدى ضواحى مكة المكرمة .. وقد صف حولها وفى أطنافها « القوارير » من الزجاج .. حتى نافست بذلك ما فى القصور العالية من (فسيفساء) !! وكل ذى ذوق سليم يستطيع أن يجعل من مكانه .. مباءة للجمال وبهجة للانظار .. وقديما قالت الأعرابية .. وهى فى غوطة دمشق وبين الرغد والرفاهية ..

لبيت تخفق الارياح فيه
أحب إلىّ من قصر منيف

وبالطبع فإنها إنما تعنى (الخدر) .. وشتان بينه وبين العشة .. فما تصلح هذه ولا تتاح إلا فى القرى وأطراف الأمصار .. أما فى عرض الفلاة .. وجوانب البيداء فلا وقاء ألا الأطناب والأوتاد .. والأعمدة .. وأحسب أن صاحبها لو خير بين أن يستظل بها أو بإحدى العمارات الشاهقة .. لاختارها راضيا دون سواها .. وسبحان من أرضى عباده بما هيأ لهم من أسباب الحياة !

٦١ السربوت هو السبروت !

كثيراً ما ينطق هذه الكلمة من يذم غيره : فيقول انما هو (سربوت) .. وكنت أحسبها من الدخيل .. حتى وقفت لها على أصل أصيل .

قال **ابن سيده** : « والسبروت ــ بضم السين وتشديدها .. مثل الصعلوك وحكى عن بعض بنى قريش ــ رجل سبريت .. وحكى **ابن دريد** (سبروت) ..

وبهذا يتبين أن الكلمة لا تعنى أكثر من الصعلكة .. ولا تتجاوزها إلى ما يعيب !! وكفى بها هوانا لمن لم يتدرع بأخلاق المروءة .. ويتجنب طريق الهوان .

(٦٢) العبط والعباطة !

قال **أبوعبيد** : « العبط » الشق حتى يدمى ، وأنشد :

وظلت تعبط الأيدى كلوما

وعن **الأصمعى** : « العبط شق الجديد من كل شىء عبطه يعبطه عبطا ..

قلت : لعل ما تردده الألسنة فى أوساط العامة يوميا من قولهم .. هذى عباطة .. أو لا تعابط .. مأخوذ من العبط .. كما ذكر .. فيكون معناه الشق .. ومن الشق ما يمزق ويخرق !! وأعتقد أن العرب لم يستعملوا فى شتى أقطارهم وأمصارهم كلمة ما إلا ولها جذور عريقة .. وأصول عميقة . ولكنها لا تظهر إلا بالتعقيب .. والله أعلم .

(٦٣) ماهى « السياحة » ؟

نحسب أن السائح .. هو من يضرب فى الأرض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا للنزهة أو تبديل الهواء ولكن اللغة لم تعرف السياحة إلا بأنها فى سبيل الله وعبادته .

قال صاحب العين : السياحة الذهاب فى الأرض للعبادة والترهب .. قال : وسياحة هذه الأمة الصيام ولزوم المساجد ..

قلت : فأين هذا من مدلولها فى زماننا الحاضر ؟! ــ وقد اشتمل على كل ما هو ترفيه وترف .. ولو استبدل بهما البعض التقشف والشظف .. سأما مما أمعن فيه من بلهنية العيش ورفاغته .. كأولئك الذين يتقحمون الصحارى وقمم الجبال ويتزحلقون على الجليد !.

أما السياحة بمعنى التعبد .. فإنها لا تصدق إلا فى هذه الجموع التى تفد إلى الحج والطاعة والاستغفار .. ونعما هى .. فى تهذيب النفوس وتقويمها .. وصفاء الأرواح .. وتكريمها !!

(٦٤) بلاط المدينة المنورة ؟ !

قال شاعر :

وكائن (بالبلاط) إلى (المصلى)
إلى (أحد) إلى ماحاز (ريم)
إلى (الجماء) من خد اسيل
نقى اللون ليس به كلوم !

« والبلاط موضع بالمدينة المنورة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله ﷺ ، وبين سوق المدينة ، والمصلى : موضع بعينه فى عقيق المدينة . وأحد : جبل بينه وبين المدينة قرابة ميل فى شمالها .. وعنده كانت الغزوة المشهورة . وريم : واد لمزينة قرب المدينة و (الجماء) جبيل من المدينة على ثلاث أميال من ناحية العقيق إلى الجرف .. » .

قلت والهدف من ذكر ذلك .. هو (هذا البلاط) الذى رصفت به هذه المنطقة فى صدر

الإسلام .. حتى لم تجد خبره فى كتب التاريخ وحدها .. بل وفى الشعر العربى القديم .. باعتباره علما على جهة ممتازة .. ولو قد رصفت بقية الأجزاء المجاورة له حتى تعم المدينة كلها .. لما كان ذلك صعبا ولا عزيزا على الدول الاسلامية المتتابعة قبل ألف وثلثمائة عام ؟! وأحسبها ستستقضى ديونها وتوفى لها حقوقها . خلال أعوام قليلة إن شاء الله فتمهد وتسفلت .. وتبلط وتملط .. وتكون فى مظهرها ومخبرها قرة الناظرين .. وغبطة الزائرين .. إن شاء الله تعالى .

٦٥ بين قرطبة - واشبيلية

حدث مرة فى مناظرة جرت فى حضرة (**المنصور**) (١١٨٣ — ١١٨٨) ميلادية .. ثالث ملوك الموحدين بين **ابن رشد** والرئيس **أبى بكر بن زهر** فى المفاضلة بين قرطبة واشبيلية أن رد **ابن رشيد على ابن زهر** بهذا الكلام مدافعا عن قرطبة ، قال : « ما أدرى ما تقول ؟ غير انه اذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية . « المقرى » .

قلت : كذلك كان المعيار فى قيمة وتقويم البلد النابض الناهض ... ولا يزال هو المقياس الصحيح بين مدينة وأخرى فى مجال العلم .. واللهو .. وبضدها تتميز الاشياء .

٦٦ تقليد أوروبا للشرق العربي حتى في تربية اللحى !

قال صاحب تاريخ العرب المطول .. فى الجزء الثالث وهو يتحدث عما نقله الصليبيون إلى أوروبا بعد عودتهم من الشرق العربى : « ولم تكن كل الأذواق الجديدة التى اكتسبها الغربيون مقتصرة على المأكل . ففى مضمار الأزياء .. والملابس وأثاث المنازل نشأت عندهم مطالب وعادات جديدة ، وانتشرت فى ذلك العهد عادة تربية اللحى !! .. الخ .. » اه

قلت : وجاء زمان رأينا فيه انتقام الغرب من الشرق أو رد الجميل له .. أن أدخل اليه عادة حلق اللحى !! وقد أخذ عنه إعفاءها وإرسالها ؟! كما دونه المؤرخون القدامى ؟! ... كما اقتبس كثيرا من مدنياته العريقة .. وما نقده ثمنا لذلك كل مايئن منه ويشكو من زوائف وزواحف .. وزلازل وعواصف .. ومقاصف وزخارف .. والحمد لله على نعمة الإسلام وأعظم بها من نعمة ..

٦٧ الماء - والصخرة ؟

قال **ثعلب** : « حدثنى **الفضل بن سعد ابن سالم** قال : كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه ، فعزم على تركه فمر بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة قد اثر فيها ، فقال : الماء على لطافته قد أثر فى صخرة على كثافتها ، والله لأطلبن — فطلب فأدرك !! » اه

قلت : إذن لامحل مطلقا لليأس مع الحياة ! — ولا اتهام للبلادة .. مع كثافة الصخرة ! .. والمهم المثابرة والدأب والدوام .. ومعاشرة أصحاب المواهب والمدارك المرهفة .. وهنا نجد للبيئة الصالحة والجو الملائم .. الأثر البارز فى الأخذ بيد المجتمع كله إلى الخير وما اقوى القدوة الحسنة فى كل اتجاه سليم .. ومن أمثال الصين القديمة :

« مائة الف كيلو متر .. أولها خطوة » .. (وكل قرين بالمقارن يقتدى) .

٦٨ القرمطة بين الحروف

روى **الجهشيارى** فى كتاب الوزراء : ان **على بن أبى طالب** قال لكاتبه **عبد الله بن أبى رافع** : « يا **عبد الله** ألق دواتك ، واطل شباة قلمك وفرج بين السطور ، وقرمط بين الحروف » — و (القرمطة هى الدقة فى الكتاب والتقريب بين الحروف . كما ان قوله ألق دواتك يعنى به أصلح مدادها ..) .

قلت : فإذا كانت القرمطة بين الحروف هى المقاربة بينها .. فماذا تعنى العامة من قولهم فلان مقرط ومقرمط ؟! أظنهم باتباع الأخرى للثانية .. إنما يعنون فى الأولى (القراريط) .. ومنها (التقريط) .. وهوالضيق والتبرم .. حتى إذا اشتد الصيف بالصائم قال : انه قرط عليه الصيام .. أى اشتد .. ويعنون بالأخرى .. الدقة فى الصرف .. فلا يجود إلا بقدر ومقدار ؟! والله اعلم .

٦٩ التفاح الحامض

قرأت ترجمة (**أبى شهاب الزهرى**) القرشى التابعى الحافظ المتوفى سنة ١٢٤ هـ « كان اذا قعد فى بيته وضع كتبه حوله واشتغل بها عن كل أمر من أمور الدنيا .. قيل .. وكان يكره أكل التفاح الحامض ويقول إنه يورث النسيان .. وكان يشرب العسل ويقول إنه يورث الذكاء .. » اهـ

قلت : وتذكرت اننا كنا فى أيام الحداثة .. نتحاشى أكل الحوامض من الفواكه وسواها .. ونلقن أنها (تدبع القلب) وتضاد الحفظ .. وكان من لطف الله بالبيوت جهلنا بأن العسل يورث الذكاء .. على رخص ثمنه فى تلك الأيام ! . وإنما الفرصة سانحة لهذا الجيل الصاعد .. إذا كانوا بحاجة إلى عناصر تقوى فيهم هبة الذكاء .. على أن لا يسرفوا مراعاة للغلاء !

٧٠ أبونا آدم .. وأمنا حواء

قال **المسعودى** فى (مروج الذهب) .. « ويقال أن **آدم** مات عن أربعين ألفا من ولده وولد ولده — وتنازع الناس فى قبره فمنهم من زعم أن قبره بنى فى (مسجد الحنيف) — ومنهم من رأى انه فى كهف (جبل **أبى قبيس**) — وقيل غير ذلك والله اعلم بحقيقة الحال » اهـ

قلت : وعلى هذا الإسناد — إن لم يختلف عن نص شرعى صحيح يكون كل من الجد والجدة (**آدم وحواء**) بين جدة ومكة قد دفنا أما نسلهما فمن كل حدب ينسلون .. وإنا لله وانا اليه راجعون .

٧١ ابن خلكان المؤرخ الشاعر

كان **شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن خلكان** المؤرخ المعروف — والمتوفى سنة ٦٨١ هجرية شاعرا رقيقا .. ومن شعره قوله :

أحبابنا لو لقيتم فى إقامتكم
من الصبابة ما لاقيت فى ظعنى
لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا
والبر من أدمعى ينشق بالسفن ؟!

قلت ولو صح هذا التخيل الشعرى فى عصرنا هذا على الأقل لأغنى العباد عن شق القنوات .. وفتح الترع .. ومنع كثيرا من المشاكل الدولية والبحرية ولا بأس من الاشارة إلى أن ماء الدموع مالح .. فيصدق به الوصف من حيث لم يخل به الايجاز وكذلك هوالتبريز !

٧٢ المعـــاقب نفسه

روى أن **عبد الرحمن بن مهدى** الزاهد المولود سنة ١٣٦ والمتوفى سنة ١٩٨ هجرية قام يتهجد ليلة إلى الصباح .. ثم رمى بنفسه على الفراش .. فنام عن صلوة الصبح .. فمنع نفسه الفراش شهرين .. وكان يقول : لا أغبط اليوم إلا مؤمنا فى قبره .. » اه

قلت .. هذا متى ؟ قبل ألف ومائتى عام .. ومع التهجد والصلاح والتقوى والعمل الصالح .. فأين صرنا ؟ وكيف كنا ؟ (اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

٧٣ العين الوامقة والأذن العاشقة !

قال **ابن الخشاب** فى أوائل القرن الخامس وهو من شعراء الخريدة . ملغزا فى كتاب — :

وذى أوجــه لكنــه غير بائــح
بسر — وذو الوجهين — للسر مظهر
تناجيــك بالأسرار أسرار وجهــه
فتسمعها بالعين ما دمت تنظر

قلت : وكما أن العين هنا هى الأذن .. أو هما معا ... فكذلك قال الشاعر قبله :

والأذن تعشــق قبــل العيــن أحيــانا

وكذلك هى الجوارح .. تتبادل المنفعة .. ولا تعدم الحيلة إلى الاستمتاع .. ولا سيما فى باب التأمل والاطلاع .. وكم للأدب من خبايا .. تتلذذ بها الأبصار والأسماع ؟ ولكن فيما يبدو (قد ضاق على الناس الاتساع) ! وتشتت أذهانهم بين مختلف المشاكل والأصقاع .. وفى مأثور الدعاء . (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا) .

٧٤ النشـــاط والوقار

قال **أبو الفتح تقى الدين القشيرى المنفلوطى** المالكى ثم الشافعى أحد أعلام القضاة فى القرن السابع الهجرى :

تمنيت ان الشيب عاجل لمتــى
وقـرب منــى فى صبــاى مزاره
فآخـذ من عصر الشباب نشاطه
وآخـذ من عصر المشيب وقــاره

قلت : هذا هوالانصاف .. فلكل من الفريقين مزاياه ولا مكابرة فيها .. وما أظن الآباء أقل غبطة وقرة عين بأبنائهم من هؤلاء بآبائهم .. بل هم أكثر سرورا وحبورا بالخلف إذا تميز عن السلف .. وإنما الأم الأخلاق ولا محل للمناظرة — والمفاخرة إلا بالعمل الصالح .. « **وان أكرمكم عند الله أتقاكم** » مهما كان كبيرا أم صغيرا وطويلا أو قصيرا .. وما هى الا « شنشنة » من الاخازم وان أسعد الناس وأهناهم أن يرى حوله من أولاده وأحفاده من يعتز بهم فى مجالات الفخر والسعى والعلم والعمل .. وأحق الفريقين بالعطف والتجلة والاحترام من اشتعلت

بهم الرؤوس ووهنت العظام ! وهم بدورهم يجب أن لايعيشوا بالغد القادم فى أمسهم الغابر .. إلا فيما هو حق لا محيص منه ولا عدول عنه .

٧٥ تأدية الأمانات

قال **ابراهيم بن المبلط** — وكان شيخ سوق الوراقة بالقاهرة .

حدثت بأنه الحمى عن صباها
عن « ثنيات مكة » عن (صفاها)
ان عصر اللقاء آن ووافى
وزمان النوى انقضى وتناهى !
ونسيم الصبا يؤدى الامانا
ت ، إلى أهلها كما قد رواها

قلت : ما أصبح هذا الحديث المسلسل .. وفيه تبشير للمفارق .. وترويح من المخانق .. والمهم من النص ان نعرف ما قصد من (ثنيات مكة) — كما عرفنا (ثنيات الوداع) بالمدينة المنورة ..

وأحسبه يعنى بها (تثنى مداخلها) من المشارف عبر الوادى .. إلى بطنها فى (المسجد الحرام) ..

٧٦ جاء يتبختر على (الأبجر)

كثيرا ما سمعنا الأولين يرددون هذه الجملة .. كلما أرادوا أن يتفكهوا مع قادم راكب .. على أتانه أو حصانه !

وما ندرى ما هو (الأبجر) هذا ؟! وفيما قرأت أخيرا وجدته — فهو اسم فرس **لعنترة بن شداد العبسى** .. الفارس المشهور — ومن هنا كانت (النكتة) أو (التريقة !)

٧٧ ماهو « الكوكو »

تقول الأم لولدها الصغير .. وهى تحدثه عن غضبه أو ما يهمه من شأنه : شوف الكوكو .. شوف الكوكو .. صرفا له عن ذلك .. وهى تعنى طيرا يرفرف فوق رأسه على السقف أو فوق الرف !

وقرأت : أن هناك سمكا يطلق عليه سمك افريل .. أى ابريل .. ويسمونه فى اسكوتلاندا بالكوكو ... وهو طائر يسهل قنصه ..

وعجبت من انتقال هذا الاسم عبر البحار ... إلى أوساطنا العائلية .. حقا ان للهجرة آثارا لا شك أن هذا منها .. وكم له من اخوات وضرات ؟!

٧٨ نقط المداد من القلم

قال **أبو العيناء** : كنت عند **ابراهيم بن العباس** وهو يكتب فنقط من القلم نقطة مفسدة ، فمسحها بكمه .. فتعجبت ! فقال : لا تعجب المال فرع والقلم أصل . ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب .. والأصل احوج إلى المراعاة من الفرع .. » اهـ

قلت : كان هذا والمداد سهل الإزالة .. أما اليوم فلا ينفع فيه (عصير الليمون) ولا منقوع الكمون .. ولابد لإزالته من (التاى) ! وما اجمل ما اجاب به الناقط .. وقديما قال الشاعر :

إنما الزعفران عطر العذارى
و (مداد الدواة) عطر الرجال

٧٩ العقوق

« قيل مر رجل **بيونس بن الخياط** من شعراء الدولتين الأموية والعباسية وهو يخنق اباه ! فوبخه وأخذ يعزى أباه .. فقال له أبوه : ياأخى لا تلمه إنه ابنى حقاً .. والله لقد خنقت أبى فى هذا الموضع الذى تراه يخنقنى فيه .. فانصرف الرجل عنهما وهو يضحك .. » .

قلت : إنها عقوبة معجلة .. وقد رأيت مثلها أكثر من مرة ! .. ولا شك أنها ديون توفى .. وعظات تتجلى .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٨٠ الوزغ والصراصير

نفدت كل الحيل فى مقاومة هذين العدوين اللدودين .. والحليفين الكريهين .. فما يطيب لهما النقيق .. ولا يحلو الترجيع والتصفيق .. الا عندما يخلو المرء من مشاكل النهار .. ويحاول الركون إلى النوم .. فهناك تركض الجرذان وتعبث (الوردان) ! وتنطلق الاوزاغ من جحورها وراء (البيبان) .. والصراصير من كهوفها خلف المراكن والاركان .. وانطلق الى المكافحة حردا ذات اليمين وذات الشمال .. وقد بلغ بها الذكاء العجيب انها تحس الهم قبل الحركة .. فتختفى عن العين .. وهكذا دواليك — طول الليل — .. وقد مرنت وارتاضت وامتنعت على (الفليت) .. وفرخت وباضت .. وتوالدت وأعاضت .. وكأنها من بقايا السيوف .. فلها من الخلف الفاسد ألوف وألوف .. ورحم الله **كمال الدين بن الأعمى** وهو من شعراء القرن السابع الهجرى فقد ذم دارا سكنها بقصيدة خالدة جمع فيها وأوعى ..

ومما قاله فيها عن الوزغ ..

ما راعنى شىء سوى (وزغاتها) فنعوذ بالرحمن من نزغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها ورق الحمام سجعن فى شجراتها !

وقد تبسط فى عيوبها .. وحشراتها حتى تمنى أن يجمع الله شمله بمن اختاره إلى جواره — رحمه الله —

وزاد الطين بلة .. هذه (الأصوات المجلجة) من الراديو عند هجوع المكلفين .. والطلبة والموظفين .. والمرضى والممرضين ولكن مما يخفف الكرب ان ذلك لا يقع إلا شاذا من بعض المغترين .. أو غير المسؤولين ! ونرجو لنا ولهم الهداية من الله تعالى ..

٨١ الفطور والغداء

قرأت فى مجلة الهلال فى الجزء ١١ الصادر فى ١٢ جمادى الأولى ١٣٨١ كلمة عن سر الغداء .. والفطور .. للأستاذ **محمد شوق أمين** جاء فيها : ان الغداء فى اللغة : طعام الصبح .. لأنه مشتق من الغدوة . وهى أول النهار وتطورت الكلمة مع الزمن وعلى الألسنة حتى صارت تعنى طعام الظهر . وقال : « ان **يوسف** عليه السلام فى أثناء المجاعة التى حلت بمصر واستمرت سبع سنين دأبا كان لا يأكل حتى يشبع !! فقيل له : « أتجوع وفى يدك خزائن الأرض ! » فأجاب : « أخاف أن أشبع فأنسى الجياع .. » ولم يكتف يوسف بذلك بل زاد عليه أن أمر طباخ الملك ان يجعل طعم غداءه نصف النهار حتى يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين من أهل مملكته وسارت تلك

السنة فجعل الملوك غداءهم نصف النهار » . ثم قال : وكلمة (الفطور) لم توضع اصلا لطعام أول النهار ، وانما هى كلمة مخصوصة لطعام الصائم .. بعد انتهاء ساعات صومه .

قلت : فكم من الزمن أن ننتظر أو حاولنا تصويب الكلمتين وإرجاعهما إلى ما كانا عليه فى اللغة ؟ واذا كان الفطور .. مساء فعاد صباحا .. فإن الغداء والعشاء .. مازال كل منهما صحيحا لغة واصطلاحا .. فإن من الناس من يتغدون مبكرين .. لمحافظتهم على التبكير .. وأداء صلاة الجماعة فى الفجر .. ومنهم من يجعلونه كالفطور متأخرا .. لأنهم إنما يتغدون فى العشية أو ما هو فى حكمها عصرا ولا مشاحة فى ذلك مادام هو مفهوما معلوما للأفراد والجماعات .. على السواء .. إنما الذى يجب أن يعدل عنه إلى ما هو خير منه هذه المواعيد التى تضرب فى الدعوات والولائم .. وهى (بعد الظهر) وبعد المغرب .. ثم لا يكون ذلك إلا عصرا فى الأولى .. ونصف الليل فى الأخرى !! الأمر الذى لا يحسن السكوت عليه فلابد من تحديد وقت الطعام بالساعة والدقيقة حتى لا يحضر المتأخر .. ولا يعصر المتقدم ولا يحرج المضيف .. وهى إحدى محاسن التطور الحديث .. وإلا فعلى الوقت والعمل والمعدة السلام .. أو العفاء !

(٨٢) الدموع - وقرحة المعدة

قرأت بحثا علميا عن علاقة البكاء بالصحة .. فإذا به يقرر أن علماء النفس ووظائف الأعضاء أثبتوا أن الانسان فى العصر الحديث تتحسن صحته إذا ما أسلم نفسه للدموع من حين لآخر !! وان من الحقائق الكيمائية الثابتة أن الدموع تحتوى على مادة اسمها (الليزوزيم) .. وان سبب عدم اصابة اكثرية النساء بقرحة المعدة يرجع إلى كثرة دموعهن ! والرجل يحتفظ بتلك المادة السامة فى جسمه من جراء كبته للدموع !!

قلت : ما اعجب حكمة الله جل وعلا .. وما أعظم أسراره فى خلقه ؟ فما من شيىء إلا وله علله وأسبابه وفوائد — وأضراره .. وهو الخلاق العظيم ..

وقد قال المرحوم فقيد الأدب العربى شاعر العرب الكبير **فؤاد باشا الخطيب** فى هذا المعنى المتصل بالدموع ، فى قصيدة له منشورة فى ديوانه الخالد :

هات الدموع وحسبى فى البلاء بها
ان الدموع يد لله بيضاء

(٨٣) الرق المبشور !

كنت أفهم أن الرق يوصف بالنشر : أما أن يكون « مبشورا » فذلك ما ظفرت به فى إحدى مطالعاتى بكتاب « الذخيرة فى محاسن الجزيرة » **لابن بسام** (٥٤٢ هـ) وذلك أنه قال : ان شاعرا رفع إلى المستظهر بالله مهنئا له بالخلافة شعرا كتبه فى رق مبشور !! واعتذر عن ذلك بهذين البيتين :

الرق مبشور — وفيه بشارة
ببقا الامام الفاضل المستظهر
ملك اعاد العيش غضا شخصه
وكذا يكون به طوال الادهر

قال : فأجزل له المستظهر بالله صلته وقال له مجيبا :

قبلنا العــذر فى بشر الكتـــاب
لما أحكـمت من فصل الخطــاب

قلت : وعجبت لهذا الرق المبشور ـــ ولم أدر ما هو أو كيف هو ؟ ولعل أستاذنا **الأنصارى** يتحفنا بنص يدل على حقيقته ؟! إلا أن يكون معنا ـــ أو نكون معه فى حد علمنا .. واقتصاره على (مبشور أهل مكة !!) ... وأحسبه وافدا من بلاد الهند فى العصور الأولى شكلا وموضوعا ؟!!

(٨٤) ريش الفراريج ؟

قرأت للوزير **أبى حفص عمر بن الشهيد** أبياتا من شعره جاء فيه قوله :

يا أخى نحن على انا نتاج (بدوى) !!
سادة ناس لنا فى هذه الدنيا دوى
عندنا إن جاء ضيف شبع جم ورى
وسرير حشوه ريش الفراريج وطي
وكرامات كثيرات ـــ وهيئات وزى

قلت : والغرض من إيرادها هو أن القدامى من أهل الأندلس كانوا يتخذون من ريش الفراريج .. حشوا للأسِرَّة .. أو (للفراش) .. وذلك أنه ألين مسا .. وأرق لمسا .. ثم انصرف الناس عن ذلك إلى (القطن المندوف) .. أو ما يسمى (بالبردى) المقطوف !! وأحسب أن العودة إلى ريش الفروج لا تسهل على غير أصحاب البروج ... وقد اعجبنى فى الشعر تفاخره بالبادية .. وانهم لم يجهلوا حتى رفاهية الحواضر !!

(٨٥) عمر بن الخطاب و «أم كلثوم» ؟

روى **الأصفهانى** فى أغانيه هذه القصة عن دهاء **المغيرة بن شعبة** وسعة حيلته قال : عن **مسلمة بن محارب** قال : قال رجل من قريش **لعمر بن الخطاب** رضوان الله عليه : ألا تتزوج **أم كلثوم** بنت **أبى بكر** فتحفظه بعد وفاته وتخلفه فى أهله ؟ فقال **عمر** : بلى ، انى لأحب ذاك فاذهب إلى **عائشة** فاذكر لها ذلك . وعد إلى بجوابها فمضى الرسول إلى **عائشة** فأخبرها بما قال **عمر** فأجابته إلى ذلك وقالت له : حبا وكرامة !! ودخل اليها بعقب ذلك **المغيرة بن شعبة** فرآها مهمومة ، فقال لها : مالك يا أم المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة **عمر** .. وقالت : إن هذه جارية حدثة وأردت لها ألين عيشا من **عمر** .. فقال لها : على أن اكفيك .. وخرج من عندها فدخل على **عمر** ، فقال : بالرفاء والبنين .. قد بلغنى ما أتيته من صلة **أبى بكر** فى أهله وخطبتك **أم كلثوم** فقال : قد كان ذاك .. قال : الا أنك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك .. وهذه صبية حديثة السن .. فلا تزال تنكر عليها الشيء فتضربها .. فتصيح : يا أبتاه !! فيغمك ذلك ، وتتألم له **عائشة** .. ويذكرون **أبا بكر** فيبكون عليه !! فتجدد لهم المصيبة به مع قرب عهدها فى كل يوم !! فقال له : متى كنت عند **عائشة** ؟ .. واصدقنى .. فقال .. : آنفا .. فقال **عمر** : أشهد أنهم كرهونى فتضمنت لهم ان تصرفنى عما طلبت ، وقد أعفيتهم ، فعاد إلى **عائشة** فأخبرها بالخبر .. وأمسك **عمر** عن معاودتها . » اهـ

قلت : هكذا كان السلف الصالح حلما وعلما وفضلا وعدلا .. وسعة صدر .. وما تزال فى هذا القبيل من (ثقيف) بقية من الذكاء الخارق .. والفصاحة النادرة ! وما أحسبهم اذا تعلموا .. إلا أفذاذا عباقرة .. وآسادا قساورة .. وكل آت قريب .

٨٦ ماهو (الطنف) ؟

قال **الزمخشرى** فى كتابه الثمين (أساس البلاغة) : « طنف الحائط ، وحائط مطنف ، جعل له طنف أو طنف ، وهو سقيفة (نادرة) من أعلاه تقيه المطر — وهو (الافريز) و (الكنة) وأهل مكة يبنون حول السطح جديرا قصيرا يسمونه الطنف .. » اه

قلت : قال هذا وكان قبل ثمانية قرون .. أما مفهوم الناس عن الطنف اليوم فهو غير ما أشار اليه من أنه (سقيفة) (نادرة) من أعلاه تقيه المطر ! فذلك وهو ما يطلق عليه أهل مكة المبيت و (الطارمة) .. التى يغطى بها مدار الدرج قديما .. وقوله « نادرة » .. أى خارجة تدل على استعمال الندور .. مقابل أو بدل الخروج — كليهما — قديم أيضا .. فأما الطنف فكل ما بين من حجر أو مدر أو حتى من خشب .. حول أى بناء عال أو واطىء .. وليس هو من السقف فى شيء الا أن يكون طنفا له من علوه .. والله أعلم .

٨٧ العلق - قديما وحديثا !

قال **ابن زيدون** فى إحدى فرائده وغرره :

يا علقى الاخطر الاسنى الحبيب إلى
قلبى إذا ما اقتنى الأحباب أعلاقا
الآن أصهر ما كنا لعهدكم
سلوتم ، وبقينا نحن عشاقا

والشاهد هو قوله (يا علقى) .. فلو هو قالها فى زماننا هذا .. لأدنى الناس لهاجمه .. بالصفع .. وبادره بالقمع .. لما طرأ على هذا اللفظ من تطور مع الأيام ! فهو لغة الشيء النفيس .. ولكنه فى الاصطلاح أخذ يطلق عند المتأخرين على من هو سارب .. مسرب ! وقد تقدم إلى منذ أكثر من ثلاث وثلاثين سنة شاعر الكويت الشهير (محمود شوقى الايوبى) بقصيدة تزيد عن المائة بيت أطرانى فيها اطراء كثيرا ... وجاء فى أحد أبياتها وهى (قافية) (علق) ! فاضطررت إلى سترها وكتمها والزهد فى كل ما احتوت عليه من صفات الخير وما كان إلا على حق فى اللغة .. ولكنه .. الحذر من المتخابثين .. ولا حيلة فيها الا بحذفه منها كليا !!

٨٨ مرحبا بك يا أبا سليمان ؟

كان **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه أشبه الناس **بخالد بن الوليد** .. فخرج **عمر** سحرا ، فلقيه شيخ فقال له : مرحبا بك يا **أبا سليمان** ، فنظر اليه **عمر** ، فاذا هو **علقمة بن علاثة** .. فرد عليه السلام ، فقال له **علقمة** : عزلك **عمر بن الخطاب** ؟ فقال له **خالد** : نعم ، قال : ما شبع لا أشبع الله بطنه ! قال له **خالد** ، فما عندك ؟ قال : ما عندى إلا السمع والطاعة . فلما أصبح **عمر** دعا **بخالد** وحضره **علقمة بن علاثة** فأقبل **خالد** فقال له : ماذا قال لك **علقمة** ؟ قال : ما قال لى شيئا . قال : اصدقنى ، فحلف **خالد** بالله ما لقيه .. ولا قال له شيئا .. فقال له **علقمة** : حلا **أبا سليمان** .. فتبسم **عمر** .. فعلم **خالد** أن

علقمة قد غلط .. فنظر اليه ، وفطن علقمة .. فقال له .. قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فاعف عنى عفا الله عنك .. فضحك عمر وأخبره الخبر .. » اه

قلت : وهكذا تجاوز الفاروق عن علقمة .. لاعترافه بالذنب .. ولشيخوخته .. ولسابقته .. ولقوله له « السمع والطاعة » ولو عرف من صاحبه غير الخير .. لما قاله صاحب الدرة ولكنه العفو مع القدرة .. والنظر إلى ما يجب اعتباره من موجباته ومبرراته ..

٨٩ لباس الحزن !

اعتاد أهل البلاد المشرقية لبس السواد فى ظروف الحزن .. على عكس أهل المغرب والاندلس .. فقد كانوا يلبسون (البياض) لذلك .. وتابعهم عليه النساء فقط فى الشرق حيث يتقبلن العزاء أو التعزية .. وهن متوشحات بالبياض ..

ومن ذلك قول الحلوانى :

إذا كان البياض لباس حزن ... بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى ... لأنى قد حزنت على الشباب

قلت : لقد أحسن الشاعر فى توليده لهذا المعنى !! لولا انه لا يملك فيه حيلة الا بالخضاب .. فما لبسه الا مكرها .. لا بطلا .. وحقه أن يفرح به اذا وثق من نفسه بالطاعة .. ومن عمله بالتقوى .. وكل من عليها فان .. ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام .

٩٠ النقع .. واللقلقة ؟

لما مات خالد بن الوليد بكته النساء .. وخاصة من بنى المغيرة .. فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دعوا نساء بنى المغيرة يبكين أبا سليمان .. ويرقمن من دموعهن سجلا أو سجلين .. ما لم يكن نقع أو لقلقة ! » اه

قالوا : والنقع مد الصوت بالنحيب .. و (اللقلقة) حركة اللسان بالولولة ونحوها .. » اهـ .

قلت : ونحمد الله تعالى أن المآتم .. والجنائز قد خلت من كل ما هو منكر أو كادت .. بفضل الوعظ والنصح والارشاد .. وهذا ما يدعو اليه ديننا الحنيف وشرعنا الشريف ولعل قولهم فى أيامنا الاخيرة عن اللقلقة .. انها كثرة الكلام .. انما تطور أو تحرف من معناه القديم إلى هذا الاصطلاح الحديث .. أما أصله فهو كما سلف .. ولله الأمر من قبل ومن بعد .

٩١ أم العيال ووادى «فاطمة» ؟!

قال عرام فى كتابه أسماء الجبال .. (ومنها — أى من القرى(أم العيال) قرية صدقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ .. وعليها قرية يقال لها « المضيق » !

قلت : ظفرت بهذا النص .. وتوقفت عنده كبصيص من النور يضيىء سبب تسمية (مر الظهران) كله بوادى فاطمة .. رضى الله عنها .. ومن منبعه إلى مصبه كما يقولون فهو من باب

التفاؤل والبركة بهذا الاسم الشريف وما ثمة من يعارض هذا !؟ وأحسب أن (أم العيال) كانت فى واقعها محدودة .. إلا أنها تقع فى هذا الوادى الكبير بقرينة قوله وعليها قرية يقال لها « المضيق » وهى حتى اليوم فى أول وادى مر الظهران فاصطلح القدامى على اطلاق الاسم الكريم عليه كافة .. كما أسلفت إلا أن نظفر بتأويل أوضح وأصرح والله أعلم .

٩٢ الشراة (بالشين) غير السراة ؟ !

قرأت فى كتاب (**عرام**) **بن الأصبغ السلمى** (أسماء جبال تهامة وسكانها) الذى تفضل بنشره فضيلة العالم السلفى الكبير الشيخ **محمد حسين نصيف** بمشاركة المرحوم الحاج **يوسف زينل على رضا** .. ما يأتى :

« ثم الشراة وهو جبل مرتفع شامخ فى السماء تأويه القرود ، وينبت النبع والشوحط والقرظ .. وهو لبنى **ليث** خاصة . ولبنى **ظفر من سليم** — وهو من دون **عسفان** من عن يسارها ، وفيه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز لمن سلك عسفان يقال لها « الخريطة » مصعدة مرتفعة جدا .. والخريطة تلى (الشراة) جبل جلد صلد لا ينبت شيئا .. » اهـ

قلت : فالشراة إذن بفتح الشين .. جبل فرد غير جبال السراة التى تمتد كالطوق فى بلاد العرب أو هى كالجيد منها ممتدة من الشمال إلى الجنوب .. وتبدأ من لبنان وما وراءه إلى أقاصى بلاد اليمن السعيدة وجنوبها .. وتنتظم أقطارا عديدة من أهمها بلادنا العزيزة الحجاز وعسير وما اليهما .

٩٣ أهل بخارى - والطائف منذ سنة (٤٠٠) هـ

قرأت فى تراجم فقهاء الحنفية : **أحمد بن إسحاق بن شيث الصفار** كان من أهل بخارى سكن بمكة وكثرت تصانيفه وانتشر علمه بها ومات بالطائف ، وروى انه ما رؤى مثله فى حفظ الفقه والادب ببخارى » اهـ .

قلت : كان هذا فى النصف الأول من القرن الرابع أى قبل ألف سنة تقريبا .. وله أمثال كثيرون من أفاضل العلماء الذين جاوروا بمكة والطائف والمدينة المنورة . غير أن القصد من إيراد هذا هو أن اخواننا من أهل بخارى الكرام .. يؤثرون الحياة فى الجو البارد — لملاءمته لأمزجتهم ومقاربته لطقس بلادهم فهم يكثرون غالبا فى (الطائف) ويستأنسون بالاقامة فيه من قديم الزمان حتى الآن والحق انهم أهل جد وعمل واستقامة وتدين وورع ومثال صالح لخيرة المسلمين أعاننا الله واياهم على ما يحبه ويرضاه .

٩٤ تيمورلنك - وابن الشحنة سؤال - وجواب ؟ !

ذكر **ابن الشحنة** انه لما جاء (**تيمورلنك**) إلى حلب كان معه **عبد الجبار بن نعمان الدين الحنفى** .. وقد حضر عنده العلماء والقضاة ، فقال له : قل لهم انى سائلكم عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة .. وسائر البلاد التى افتتحتها ولم يوضحوا الجواب . وكان بلغنا عنه أنه يعنت العلماء فى الأسئلة ويجعل ذلك سببا

لتعذيبهم وقتلهم فقال القاضى **شرف الدين موسى الانصارى الشافعى** : عنى هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه ، فقال **عبد الجبار** سلطاننا يقول بالأمس قتل منا ومنكم فمن الشهيد ؟ قتيلنا أم قتيلكم ؟ ففتح الله على بجواب سريع بديع وقلت : هذا سؤال سئل عنه رسول الله ﷺ وأجاب عنه وأنا مجيب بما أجاب به فألقى **تيمور** سمعه وبصره إلى وقال لى : **عبد الجبار** يسخر من كلامى كيف ؟! فقلت : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ وقال : إن الرجل يقاتل حمية وشجاعة ويقاتل ليعرف مكانه فأينا فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) فمن قاتل منا ومنكم لإعلاء كلمة الله فهو الشهيد .. فقال **تيمورلنك** : (خوب) !! وقال **عبد الجبار** ما أحسن ما قلت ! » اهـ

قلت : وكذلك كان التوفيق والإلهام واعلان الحق ديدن العلماء الاعلام من ورثة الانبياء .

(٩٥) مكيال « التعايش » !

روى **المبرد** فى كتابه (الكامل) عن **محمد بن على بن الحسين** أنه قال : « جميع التعايش والتناصف والتعاشر فى ملء مكيال ، ثلثاه فطنة وثلث تغافل ، فلم يجعل لغير الفطنة نصيب من الخير .. ولا خطأ فى الصلاح ، لأن الإنسان لا يتغافل الا عن شيء قد عرفه وفطن به .. » اهـ

قلت : ومن هنا قول الشاعر :

ليس الغبى بسيد فى قومه
لكن سيد قومه المتغابى !

والمهم أن لا يستغفله من يتغافل عن أخطائهم .. وإلا كان عليه أن يعلنهم بحذقه وفطنته حذر الاملاء .. والتمادى وانما يصلح هذا فيما لا يضر .. ولا يؤذى ! وان أمض وأرمض ! ... ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ولا حول ولا قوة الا بالله .

(٩٦) سلاح الشبيبة

قال **قيس بن الحدادية الخزاعى** من كنانة :

هل الادم كالارام ، والزهر كالدمى
معاودتى أيامهن الصوالح ؟!
زمان سلاحى بينهن شبيبتى
لها سائغا فى سيبهن ورامح
فأقسمن لا يسقيننى قطر مزنة
لشيبى ، ولو سالت بهن الاباطح !

قلت لهذا يجب على الشباب أن يحتفظوا به ولا يسرفوا فيه .. وأن يتعظوا بمن سبقهم إلى الكهولة والشيخوخة .. وينتصحوا بما يهدونه إليهم من التجارب ! وإلا انتهوا سراعا إلى ما يحذرون .. ولم يسقوا قطرة من المزون ولو سال بها المحصب .. وما فوق الحجون !!

(٩٧) بين الوقع والنزع

قال **ابن الرومى** :

نظرت فأقصدت الفؤاد بسهمها
ثم انثنت عنه فكاد يهيم
الموت ان نظرت ، وان هى اعرضت
وقع السهام ونزعهن أليم

قلت : لا ضير ! ما دامت الحياة ملازمة لبدنه والروح لم تفارقه .. وإنما هى مجرد آلام تنشأ عن وقوع السهم أو وقعه فى فؤاده .. أو نزعه منه .. وكلها أخيلة يتراءى له انها حقيقية ! . وان سبقه إلى هذا فى جوهره الأصيل أبو حرزة .. عفا الله عنه بقوله :

إن العيون التى فى طرفها حور
قتلننـــــا ثم لا يحيين قتلانــــا
يسلبن ذا اللب حتى لا حراك به
وهـــن أضعـف خلـق الله انسانــا

وكفى الله عباده المتقين .. من أشراك الحسن والجمال !

(٩٨) يسقـط من عينـه

قال ابن بسام على بن **محمد** بن نصر بن **منصور** الكاتب : وقد توفى عام ٣٠٢هـ :

رأيت لسان المرء وافد عقله
وعنوانه ، فانظر بماذا تعنون ؟!
ولاتعد اصلاح اللسان فانه
يخبر عما عنـده ــ ويبين
ويعجبنى زى الفتى وجماله
فيسقط من عينى ساعة يلحن
على ان للاعراب حدا ، وربما
سمعت من الاعراب ما ليس يحسن
ولا ضير فى اللفظ الكريه استماعه
ولا فى قبيح اللحن ، والقصد أبين

قلت : كان هذا قبل ألف وسبع وسبعين حولا !! وكان اللحن ــ لا ريب ــ مقصوراً على الدخلاء .. فكيف بصاحبنا لو هو استمع اليوم إلى انتشاره بين العامة والخاصة ؟! هل كان ذلك ايضا مما يدعوه إلى أن يسقط من عينه كل لاحن ؟ على انه تحفظ واحترز فى الرابع والخامس من ابياته . والقصد بين !!

(٩٩) الصـــديق الوفي

قال على بن معدان **الطائى** وهو شاعر اسلامى :

يقولون لا تذكر اخاك ولا تزد
جزاء له ما عشت غير الترحم
سأبـــذل مالى كلـــه فى جزائـــه
ليغنـــى به أولاده بعـــد معـــدم

قلت : وكذلك كان الناس الأخيار .. ولا يزال الخير باقيا فى أمة **محمد** صلوات الله وسلامه عليه .. وانها لأخلاق شريفة وخصال كريمة .. نرجو أن يتعهدها الخلف كما حفظها السلف .. وأن لا طمس الموت آثار المودات بين الاخوان والندات .. فبذلك يصدق فيهم قول من لا ينطق عن الهوى :

« **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » .

وهل أعظم تراحما وتعاطفا من أن يبذل الأخ أو الصديق ماله كله أو حتى بعضه فى إعالة اليتامى وتربيتهم وتأهليهم للحياة الكريمة الصالحة ؟!!

(١٠٠) البدنجان الأســـود ؟!

قال أحدهم وهو من شعراء الأندلس :

ومستحسن عنــد الطعام مدحرج
غذاه نمير الماء من كل بستـان
تطلـــع فى اقماعـــه فكأنـــه
قلوب نعاج ــ فى مخاليب عقبان !

قلت : وكذلك نجد الناس حتى فى الباذنجان الأسود فريقين محبا وكارها .. ولو قد طعم الكارهون طبقا منه ــ مطهيا على الطريقة المغربية ! المغرية ــ لآثر أن لا يكون غذاؤه غيره ؟! مهما كانت النتائج .. ولكانت مخاليب العقبان فى يديه .. أو أسنانه .. وكان الله فى عون النعاج وقلوبها !!

١٠١ نقــر الانــاء ؟ !

قال أبو بكر بن الجزار السرقسطى :

ايـاك من زلـل الـلسان فانما
عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الانـاء بنقـره
ليرى الصحيح به من المصدوع

قلت : انها الحكمة .. جديرة بالاتباع والانصياع .. وفى البيت الثانى ما يدل على أن الناس كانوا ينقرون الآنية الزجاجية أو الفخارية . بالأصابع !! ليتميز الغث من السمين والصحيح من المصدوع .. وهذه البنية على ذلك يدونها الادب قبل قرون وأجيال !

١٠٢ «التنبلة» لغة واصطلاحا !

قلت مرة فى إحدى قصائدى المطولة عند عودة الجيش السعودى الظافر من معارك فلسطين قبل نحو ١٣ سنة خلت :

« عاش البواسل وليفن التنابيل »

وعلق على الكلمة الأخيرة الأديب اللغوى الشاعر المؤرخ الشيخ **محمد بن بليهد** رحمه الله .. فقال : إنما التنبل القصير من الرجال .. وليس ما تواضع عليه العامة من انه الكسول العاجز .. واستشهد بقول كعب فى لاميته :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيـل

أى قصروا خطوهم عند اللقاء .. لقصرهم .. وقرأت **لمعبد بن ابى معبد الخزاعى** أبياتا يوم « حمراء الأسد » جاء فيها قوله يصف جيش رسول الله ﷺ :

كادت تهد من الاصوات راحلتى
اذ سالت الأرض بالجرد الابابيل
تردى بأسد كرام لا « تنابلة »
عنـد اللقاء ــ ولا ميل معازيل

وفهمت سر اصطناع القوم لهذه الكلمة ــ واطلاقها على كل قاصر مقصر ، تطويرا لها من المفاهيم المتجددة .. كغيرها من الكلمات التى زادت أو نقصت مع الزمن فى مدلولها القديم .. ولا حرج مادامت تركزت فى الأذهان وجرت على الالسنة .. ونمت إلى أصل سليم !

١٠٣ الاتوى ـ هو (الاتى) ؟ !

كان رجلا (اتيا) ــ أى غريبا ــ فى صفوف المسلمين ــ لا يدرون من أين هو ؟ قاتل قتالا شديدا يوم أحد حتى أنه قتل وحده ثمانية من المشركين من بين اثنى وعشرين قتيلا مشركا .. فذكره بعض المسلمين عند رسول الله ﷺ اعجابا لشجاعته وبطولته !! فكلما ذكر لرسول الله ﷺ وتحدثوا عن بطولته وشجاعته وثباته ، قال ﷺ : انه من أهل النار .. وقد كانت خاتمته وقد اشتدت عليه الجراح أن قتل نفسه بيده .. اهـ

قلت : والشاهد من الرواية قوله : (كان رجلا أتيا) .. ويقول الناس فى زماننا هذا أنه (أتوى) .. وأحسب أن كلها صحيح فى لفظه ومعناه .. وان شارك الأول السيل ! والثانى الهيل والميل .. وشتان بين النهار والليل .. و ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ صدق الله العظيم .

١٠٤ الشرة - من الشر ؟ !

قال **الأعشى** فى لاميته :

وقد أقود الصبا يوما فيتبعنى
وقد يصاحبنى ذو (الشرة) الغزل !

قلت : ذكر الشارح ان الشرة (نشاط الشباب) . اهـ وبهذا لا تتصل بالشر رغم اشتقاقها .. وانطلاقها .. فى عرف القدامى .. ولكننى أقول ان نشاط الشباب اذا اقترن بالغزل .. فانه لا يخلو من بعض الشر أو كله .. الا من وفى الله وهدى .. ولقد ادركنا الناس يقولون فلان (شرة) ويقصدون أنه من أهل الشر .. فلو كان نشاط الشباب وحده هو المراد لكانت خيرة وخيرا كبيرا .. اذا انصرف اليها .. وبضدها تتميز الاشياء ..

١٠٥ تربة - الثالثة ؟ !

لم نكن نسمع أو نقرأ شيئا الا عن (تربة) واحدة .. تقع فى جنوب الحجاز الشرق وهى أشهر من ان تعرف !! غير اننى رأيت فى الخرائط الحديثة .. (تربة) أخرى فى شمالى نجد — والقصيم .. وتربة ثالثة فى جنوب اليمن السعيد .. على الساحل المقابل لجزيرة (بريم) عند باب المندب .

فمتى نجد (ياقوتا) جديدا يدون لقراء العربية ما استجد من بعده من مدن وقرى واسماء ومسميات .. فى بلاد العرب الواسعة ؟! انها احدى الامنيات التى تعتلج بها الصدور وتتطلع اليها العيون .. ولا بد لها ان تتحقق بإذن الله — بجهود الجهابذة الاعلام من فلذات أكباد هذه الجزيرة الفتية النامية المتطورة .

١٠٦ أم احدى وعشرين ؟ !

كلنا يعرف الحشرة التى تسمى (أم أربعة وأربعين) — ولا أدرى لماذا سميت بذلك ؟ وأحسبه بعدد مالها من شوكات تمتد على جانبيها .. وقليل منا من يستطيع إذا بوغت بالسؤال عن أم احدى وعشرين .. أن يقول ما هى ؟ إنها الدجاجة .. فان من أمثال العرب القديمة قولهم : اعطف من أم احدى وعشرين .. أى لأنها تحضن جميع فراخها وتزقها كلها ، وإن ماتت إحداهن تبين الغم فيها ..

قلت : وسبحان الخلاق العظيم الذى أودع فى قلب الحيوان من عواطف الامومة مايدعو إلى التفكير والعجب .. و (فى كل شىء له آية ، تدل على أنه واحد) .

١٠٧ الوعول - والتحوت

فى باب (امارات الساعة) أورد **الحافظ الهيثمى** فى كتابه « موارد الظمآن » إلى زوائد **ابن حبان** الحديث الآتى : عن **أبى هريرة** عن رسول الله ﷺ انه قال : « والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر

التحوت قالوا : يا رسول الله وما الوعول والتحوت ؟ قال الوعول وجوه الناس واشرافهم ، والتحوت الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يعلم بهم » اه

قلت : وعلى ما فى هذا النص الشريف من فوائد دينية فان تفسير الوعول هنا فائدة لغوية أخرى — تدل على أن الوعل لفظ مشترك .. يطلق على الحيوان والإنسان .. ويتميز بقرينته من البيان .. وصلى الله وسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين وهدانا إلى الشرع القويم والصراط المستقيم .

١٠٨ ماهو « النقا » ؟!

قال ابن دريد فى مقصورته المعروفة :

ثمت طاف وانثنى مستلما
ثمت جاء المروتين فسعى
ثمت راح فى الملبين إلى
حيث تحجى المأزمان ومنى
ثم اتى التعريف يقرو مخبتا
مواقفا بين (ألال) و (النقا)

قلت : و (الال) جبل معروف بعرفات — وهو الموقف — الذى يقف عليه الامام يوم عرفة .. و (النقا) موضع الرمل وهو مقصور .. من هنا نعلم أن تسميته (محلة النقا) قديما بذلك .. إنما كانت بسبب اجتماع الرمل فيها من انحدار السيول من أعالى المحصب أو من قعيقعان .. الذى يرتفع عنها من جانبها الأيسر .. وكثيرا ما تغزل الشعراء فى نقاوات شتى متعددة فى قلب الجزيرة وهو لفظ عذب لطيف يقترن بذكريات حلوة شأن أمثاله من الكلمات التى حفل بها الشعر العربى التليد ..

١٠٩ حاتم الطائي وجيرانه

يقول حاتم :

وما ضر جارا يا ابنة القوم فاعلمى
يجاورنى الا يكون له ستر
بعينى عن جارات قومى غفلة
وفى السمع منى عن حديثهم وقر !

قلت : من أجل ذلك قال رسول الله ﷺ لابنته : ان أباها كان يحب مكارم الاخلاق .. والله يحب مكارم الأخلاق .. وهذه هى الشهامة العربية التى توارثها الخلف عن السلف فى قلب جزيرتهم وشعاف أوديتهم .. ولن يدعوها ما أشرق ثبير .. وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .. وإنا لله وإنا اليه راجعون .

١١٠ حياض (الجبا)

قال الفرزدق من قصيدة فى الفخر والهجاء مطلعها :

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف
وانكرت من حدراء ما كنت تعرف
نعجل للضيفان فى المحل بالقرى
قدورا بمعبوط تمد وتعزف
تفرغ فى شيزى كان جفانها
(حياض جبى) منها ملاء ونصف

قلت : والجبى ، ما جمع من الماء فى الحوض .. وما كانت تملأ الا لكل صادر ووارد .. واحسبه من هنا شاع استعماله فى المتأخرين بمعناه الحديث أو المتداول .. حيث يعنى بقوله : جبا : انك ايها القادم انما تقبل على ما تريد من ارواء فى غير ما من

ولا تكليف !! وقد تجاوز ذلك أحيانا أصله فى الكرم والسخاء إلى ما لا يحسن استمراره من العنت والارهاق .. والغاؤه خير من احتماله على الأكثرين .. وهو إلى التلاشى والزوال ، بعد ان تبين القوم اضراره واعساره على كل حال ..

(١١١) الغيل ـ والسعد ؟ !

قال **النابغة الذبيانى** فى داليته إلى **النعمان بن المنذر** :

فلا العمر الذى مسحت كعبته
وما هريق على الانصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير تمسحها
الـخ

قال الشارح : الغيل والسعد اجمتان بين مكة ومنى ؟! قلت : لعل هذين الاسمين لا يزالان كما كانا من عصر النابغة .. وتعرفهما البادية بالتواتر .. أما الاكثر من أهل المدر فلا أظنهم يستطيعون تحديدهما .. من الآكام المحيطة بمكة ومنى .. إلا ان يدلهم عليهما سكان الوبر .. فهل لنا من خبير يعين على التعريف ، مع تقادم العصور .. وتتابع الاعوام والشهور ؟!

(١١٢) (عكاظ) ـ هو (المضيق) ؟ !

عثرت على هذا النص وأنا اقرأ فى تاريخ **العصامى** المكى المتوفى سنة ١١١١هـ (وقد تفضل بطبعه حديثا حضره صاحب السمو أمير قطر السابق عالم الأمراء الشيخ **على بن ثانى** أطال الله عمره .. وضاعف ثوابه وأجره) .

حيث يقول : (وعكاظ هو المسمى الآن بأرض نخلة ويسمى (بالمضيق) وبه الآن عيون ونخيل وزروع ومساكن . كذا ذكره **السهيلى** رحمه الله » .

قلت : وأدركنا الناس قبلنا يقولون ان (عكاظا) فى السيل الصغير .. واستمعنا إلى التحقيق الذى انتهى اليه المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ــ والمرحوم **الشيخ محمد بن بليهد** .. فإذا عكاظ شرق الحوية .. بأميال .. اعتمادا على الأوصاف التى أوردها الرداعى فى ارجوزته وبعض الشعراء .. القدامى .. وانما هى رواية غريبة نوردها كما جاءت .. دون تعليق .. وهى خالية من الشواهد والبراهين !! واحسبها كامثالها من الظنون المرجومة .. أو الموهومة .. ولتعلمن نبأه بعد حين !

(١١٣) (المعجز) وسبب تسميته!

قال **العصامى** فى تاريخه : « إن ما وقع بين قضاعة وخزاعة من قتال بمفضى مازمى (منى) من قبليها ــ هو السبب فى تسمية ذلك المكان بالمفجر لما فجر وسفك فيه من الدماء ..» اه

قلت : وكنت ممن يظن أن سبب التسمية بذلك تفجر الماء من صخور الجبل المحاذى له وذلك ان قناطر عين زبيدة تمشى بسفوحه وتنتهى إلى علوه بآلات بخارية !! حتى تعلو سطح منى وتهبط إلى واديها ومنازل الحاج فيها . وما عرفت هذا السر إلا أخيرا والحمد لله على الأمن والطمأنينة فى مشاعره المقدسة .

١١٤ (ثبير) - المقابل أو ثبير (رم) !

قرأت فى تاريخ **العصامى** المكى جملة جاء فيها : « قلت المشهور فى ثبير أنه المطل على مسجد الخيف والمنحر المشهور فى سفحه — وتصح الرواية فان المقابل يقال له (ثبيررم) نص عليه العلامة **الفاسى** وغيره وعدها سبعة اثبرة وبينها) اهـ

قلت : وفى إحدى قيلاتنا بمنى منذ أكثر من خمس عشرة سنة خلت كنا نتحدث عن (ثبير) ... وذلك فى يوم النفر من مزدلفة إلى منى إلى يوم عيد النحر .. قال العالم الجليل السيد **صالح شطا** — رحمه الله — هل تدرى أن ثبيرا فى بعض نصوص أهل الفقه انما هو هذا الذى يقع يمين الصاعد من منى إلى عرفات وليس ذلك الذى تواضع الناس على تسميته بهذا الاسم حتى الآن وهو الذاهب فى الارتفاع إلى يسار الصاعد ويمين الهابط إلى الجمرات !! قلت هذا شىء عجيب .. والمتواتر عند عامة الناس وخاصتهم هو هذا الأيسر لا الأيمن .. واختلفنا فى الدلالة الحسية من حيث الاشراق وأين يكون أول ما يذر قرن الشمس ؟! ومضت الأيام وتتابعت الاعوام وقرأت اليوم هذا النص فإذا به يزيل الخلاف بقوله — (فإن المقابل له يقال له (ثبيررم) .. وهو حل فيه اقناع واجماع على ما هو متواتر وما هو منصوص .. والله اعلم .

١١٥ زيارة القاسم بن سلام للإمام أحمد بن حنبل !

قال **أبو عبيد القاسم بن سلام** : زرت الإمام **أحمد** فلما دخلت قام فاعتنقنى وأجلسنى فى صدر مجلسه ، فقلت : أليس يقال . صاحب البيت أو المجلس أحق بصدر بيته أو مجلسه ؟ قال : نعم يقعد ويقعد من يريد قال : قلت فى نفسى . خذ يا **أبا عبيد** فائدة ثم قلت : لو كنت آتيك على قدر ما تستحق لأتيتك كل يوم ، قال : لا تقل ذلك . فان لى إخوانا ما ألقاهم كل سنة إلا مرة أنا أوثق فى مودتهم ممن ألقى كل يوم !! قلت : هذه أخرى يا **أبا عبيد** ؟ فلما أردت القيام قام معى قلت : لا تفعل يا **أبا عبد الله** فقال : قال **الشعبى** : من تمام زيارة الزائر ان تمشى معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه قال : قلت يا **أبا عبد الله** من عن الشعبى ؟ قال : **ابن أبى زائدة** عن **مجلد** عن **الشعبى** قلت : هذه ثالثة يا **أبا عبيد** » اهـ

قلت : وبدورى أسرد هذه الفوائد الثلاث وكلى أمل ورجاء أن يأخذ الخلف عن السلف مكارم الأخلاق .. ويرووها لمن بعدهم من الاجيال الصاعدة .. من حيث الآداب النفسية .. حتى يجمع الله لهم بين التفوق المادى والمعنوى .. فما شىء أثمن ولا أغلى من هذه الكنوز التى تزخر بها مكتباتنا الكبرى ومخطوطاتنا ومطبوعاتنا القيمة .. وانها لأنفس وأمتع من كل ما طلعت عليه الشمس بما حوته من علم وادب وتهذيب وتثقيف أصيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

١١٦ قبر ابن عمر بمكة بذي طوى!

جاء فى ترجمة **ابن عمر** رضى الله عنهما أنه ولد قبل الوحى بسنة ومات بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل **ابن الزبير** بثلاثة أشهر . ودفن بذى طوى بمقبرة المهاجرين وله اربع وثمانون سنة وقيل : « ست وثمانون . » هـ (قرة عن المسعد)

قلت : ومقبرة المهاجرين — هى فيما أظن تلك التى كانت فى جانب بستان عين زبيدة بجرول — أمام موردة (أم قبة) .. وكانت إلى ما قبل خمسين عاما أو أقل جبانة يدفن فيها أهل مكة موتاهم ثم توقف ذلك .. وكانت تسمى بـ (**الشيخ محمود**) .. ومن الترجمة السالفة الذكر يظهر ان قبر **ابن عمر** رضى الله عنهما ليس كما هو متواتر بالزاهر أو بوادى (فخ) .. الا ان تكون الروايات متعارضة .. فرجحت الثانية على الأولى .. والله أعلم .

١١٧ المخابرة - قديماً وحديثاً!

قال **الامام أحمد** رضى الله عنه فى ثلاثياته : حدثنا **سفيان** قال : سمع **عمرو ابن عمر** : كنا نخابر — ولا نرى بذلك بأسا حتى زعم **رافع** أن رسول الله ﷺ نهى عنه فتركناه .

قال الشارح (السفارينى) — كنا نخابر .. أى نزارع — والمخابرة المزارعة ..واشتقاقها من الخبار وهى الأرض اللينة والخبير (الاكار) .. اهـ

قلت : وفى عصرنا الحديث انما تعنى (المخابرة) المراسلة البرقية — غالبا .. وهى مشتقة من الخبر والاخبار .. لا من الخبار وانما يتميز هذا عن ذاك بقرينته !! وقلما اجتمعا ؟!

١١٨ داء الكلام ؟ !

قرأت فى (شرح ثلاثيات **سند الامام أحمد**) هذه القصة عن **ابن خلكان** فى تاريخه قال : ان **سفيان بن عيينة** رضى الله عنه خرج يوما إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست **ضمرة بن سعيد** ؟ وجالس هو **أبا سعيد الخدرى** — وجالست **عبيد بن دينار** — وجالس هو **ابن عمر** رضى الله عنهما . وجالست **الزهرى** وجالس **انس بن مالك** ؟ حتى عد جماعة ، ثم انا اجالسكم ؟! فقال له حدث فى المجلس : انتصف يا **ابا محمد** ؟ قال : ان شاء الله تعالى . **فقال** : والله لشقاء أصحاب رسول الله ﷺ بك أشد من شقائك بنا .. فاطرق وانشد قول **ابى نواس** وهو هذا :

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة الحدث .. وكان ذلك الحدث **يحى بن اكثم التيمى** ، فقال **سفيان** : هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء . يعنى السلاطين . اهـ

قلت : وفى تأمل هذه النادرة وأمثالها عظات بالغات وقديما قال الحكماء : (رب كلمة تقول لصاحبها دعنى) — ونسأل الله السلامة من دار الفتون .. وكم ترك الاول للآخر ؟ ويرحم الله الشاعر إذ يقول :

ليس الحداثة عن حلم بمانعة
وقد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

(١١٩) ماهو (الصرى) ؟!

قال ابن دريد فى مقصورته :

من ملك الحرص القياد لم يزل
يكرع من ماء من الذل صرى !

قال الشارح الخطيب التبريزى : (والصرى الدائم الذى قد طال مكثه ويقال : صرى الماء وصراه فى ظهره اذا حبس الماء فى ظهره سنين لا يتزوج) .. واستشهد بهذا البيت :

رات غلاما قد (صرى) فى فقرته
ماء الشباب عنفوان شرته

اهـ

قلت : لعل ما يطلق عليه الناس فى زماننا هذا « الصرى — أو الصراء » يرجع فى اصله إلى هذا المعنى متطورا مع الزمن إلى ما يدل عليه الآن .. من الترتيب والمتابعة ؟ — فانى عهدت الكلمات كالاحياء .. تزيد وتنقص وتصح وتسقم وتحيا وتموت .. والله اعلم ..[1]

(١٢٠) الشنب ؟ ورؤبة بن العجاج ؟!

روى أن رؤبه بن العجاج الراجز سئل عن الشنب فدعا برمانة ففرك حبة منها بين اصابعه وعصرها فقال : هذا .. وقد عرفه البعض بقوله : « رقة فى الاسنان مع عذوبة فى الفم » . اهـ

(١) (المنهل) ومعنى الصرى فى عرف الحجازيين اليوم هو التسلسل والتتابع .

قلت : لو أن كل ما استشكل على مستفهم يكون الجواب عليه كما اختار رؤبة بالمشاهدة .. والعصر .. لما استبهم الكثيرون من الالفاظ والكلمات ! وما أبعد الشنب الذى يطلقه العامة على الشارب .. (ولو وقف على جانبيه النسر أو الصقر .) عن الشنب الذى يعصر .. ولا يحلق !! وليهنأ كل فريق بشنبه الموروث !! أو عهنه المنفوش !!

(١٢١) (الخسا) و (الزكا)

الخسا فى اللغة (الفرد) والزكا — الزوج .. وكثيرا ما تستعمل البادية الكلمة الأولى بمعنى (التخسئة) فى باب الشتم والذم .. فيقول أحدهم لمن يخاصمه (خسا) .. اذن لا تكون بهذا النص نقيصة ولا شتما — وعلى هذا الاعتبار يجب أن يتلقاها الآخر .. وإحسان الظن خير من اساءته !

(١٢٢) تطور الأسلحة والبارود قبل ٢٥٠ سنة

قال الامام السفارينى صاحب منظومة الآداب .. وشارح ثلاثيات الامام أحمد بن حنبل وهو يتحدث عن حديث الرومى وتعلمه .. وتعليمه .. « تتمــة ، لا يخفى ان فروسية القسى ان كانت بالمثابة المذكورة والمكانة المزبورة . فهى الآن كالمنسوخة والعبادة المفسوخة .. والناسخ لها فروسية (البارود) الذى هو اعظم منها نكاية واجسم منها شكاية فهو الذى عم وطم . وجرع الاعداد كؤوس السم فقد طأطأ من الاعداء رؤوسا ، وجرع قطاع الطريق كؤوسا ودمر

الحصون والقلاع وفل المجموع والاتباع وصار لفرسان الخيل والنشاب كالقضاء المنزل والجبل الذى لا يزلزل .. الخ .. » اهـ

قلت : قال هذا قبل نحو قرنين ونصف من الزمان .. فما باله لو سمع أو رأى (الذرة والهيدروجين) ؟ وما فعلته الأولى بهيروشيما ؟ . وكيف جعلتها حصيدا أو هشيما .؟ وكيف لو هو معاصر لما يتهدد الكون من تدمير وتخسير وتهويل وتعجيز .. اذن ما الذى كان يقول غير ان يفزع إلى من بيده ملكوت السموات والارض أن يجير عباده من هذه الصاخات .. ويقيلهم من الظنون الخاطئات والخطايا الموبقات ، هو نعم المولى ونعم النصير ..

(١٢٣) حياء من عمـــر ؟ !

عن **عائشة** رضى الله عنها قالت : « كنت أدخل البيت الذى دفن فيه رسول الله ﷺ ، وأبى واضعة ثوبى عنى وأقول : إنما هو زوجى وأبى ، فلما دفن **عمر** والله ما دخلته إلا مشدودة على ثيابى حياء من **عمر** .. » .اهـ

قلت : رضى الله عن أم المؤمنين **عائشة بنت أبى بكر** .. انها استحت ان تبدو فى بيتها ــ غير مشدودة عليها ثيابها ؟! أمام **عمر** وقد واراه الثرى ولحق بربه ؟! فماذا عساها تقول اليوم فى عصرنا هذا لو رأت وسمعت ما آل اليه أمر العواتق والعواتك .. وذوات الحجال .. فى أغلب بلاد المسلمين ؟ لا ريب انها تفجع وتفزع .. وتبكى وتضرع .. و (لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها) والله ولى التوفيق .

(١٢٤) الحاء أجدر من الضاد فى نظر العقاد

كتب الأستاذ الكبير (**عباس محمود العقاد**) فى عدد شهر المحرم سنة ١٣٨١ فى مجلة الأزهر الغراء مقالا بعنوان (الحروف والمعانى فى اللغة العربية) جاء فيه قوله :

(... وان حرف الضاد خص بالشؤم يسمم جبين كل لفظة بمكرهة لايكاد يسلم منها اسم ، أو فعل : ضجر ، ضر ، ضير ، ضجيج ، ضوضاء ، ضياع ، ضلال ، ضنك ، ضيق ، ضنى ، ضوى ، ضراوة ، ضئزى ، ثم قال : وبعكسه الحاء .. التى تكاد تحتكر اشرف المعانى وأقواها ، حـب ، حـق ، حـرية ، حيـاة ، حسـن ، حلم ، حزم .. وأرى انها لهذه المزية ولامتناعها ــ أو على الاقل مشقتها ــ دون سائر حروفنا الحلقية على حناجر الاعاجم هى أولى بان تنسب اليها لغتنا فنقول : لغة (الحاء) .. بدلا من قولنا (لغة الضاد) .

قلت : كلام وجيه .. وتوجيه نبيه ، وحجة قائمة .. ولكن هل يستطيع ان يحول الالسنة عن ماثورها القديم ؟ وهل لذوى الرأى من حماة لغة الضاد .. تعقيب على هذا التصويب[1] ؟!

١ ــ (المنهل) : نعم ان حماة لغة الضاد بوسعهم ان يزيفوا هذا الرأى .. فالضاد فيها خير وبهجة ورضى . الضرب بفتح الراء .. أى الشهد .. المنضد . نضيد . ضمير .. ضحى . ضاحية . رضى . الخ ولى الحاء مكرهة مثل : حقد . حسد . حسرة . حماة ، حقارة .. حسم .. حرب الخ .. فالأولى إذن ابقاء الضاد على ما هى عليه .

١٢٥ من هو البليغ التام ؟

نشرت مجلة (الأزهر) الغراء فى عددها الصادر بشهر رجب سنة ١٣٨١ نصوصا من صحيفة **بشر بن المعتمر** المتوفى ببغداد سنة ٢١٠هـ : جاء فيها قوله :

« والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة . وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال . وما يجب لكل مقام من المقال » .

« وكذلك اللفظ العامى والخاص ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك إلى تفهم العامة معانى الخاصة ، وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الاكفاء فانت البليغ التام » اهـ

قلت : آثرت نقل هذه الجمل كما وردت عن بشر ووصاياه الخالدة لأن روحها واطراد حكمها يتمشى مع الزمان والمكان .. ولا يختلف باختلاف الظروف والبيئات .. عسى ان نجد فيها اسوة صالحة .. وقدوة طيبة .. وكل وما اختار .. والله يهدينا إلى سواء السبيل .

١٢٦ البحترى والمبرد

حدث **البحترى** قال : « خرجت من منزل **أبى الصقر** (أحد وزراء المعتمد) نصف النهار فى تموز .. فقلت : ليس بقربى منزل اقرب من منزل (المبرد) وكان منزلى بعيدا بباب الشام .. فجئته ، فادخلنى إلى حويشة[1] له ، وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين وسقانى ماءا باردا .. وقال لى : احدثك إلى ان تنام ، فجعل يحدثنى أحسن حديث ، فحضرنى لشؤمى وقلة شكرى بيتان ، فسألته ان انشدهما ، فقال : ذلك اليك .. وهو يظن انى مدحته بهما فقلت :

ويوم كحر الشوق فى صدر عاشق
على انه منه أحر وأوقد
ظللت به عند (المبرد) قائلا
فمازلت فى ألفاظه أتبرد !

فقال لى : قد كان يسعك اذا لم تحمد أن لا تذم ، ومالك عندى جزاء الا اخراجك .. » اهـ

قلت : وفى الحكاية .. فوائد عدة منها ما جره شعر البحترى عليه من الاخراج لما فيه من التعريض ببرودة ألفاظ مضيفة !! والاتعاظ بذلك حتى لا يكافأ المحسن بما لا ينبغى من الجحود وهو ما اعترف به **أبو الغوث** نفسه ومنها ان ما يطلقه العامة غالبا على ما لايرضونه من الناس أو الأعمال أو الأقوال من انه (بارد) ... قديم الاستعمال من ذلك العصر وما قبله !! ومنها ان (الاسد) من انواع الحر الشديد مع وقوف الهواء وركوده وما نزال نستعمله فى اوقاته — أيام الاسد والسنبلة !!

١٢٧ أصل « الكويس » !

كثيرا ما يسمع المرء كلمة (كويس) .. من ألسنة العوام والخواص أيضا .. ويغلب استعمالها فى اللهجة المصرية (الحلوة الظريفة) ..

---

١ — (المنهل) : وكذلك استعمال (حويشة) ولعله من تصغير (حوش) المستعملة علما الآن بمعنى فناء البيت المسور .

والعجيب فى الكلمة انها تعنى (الطيب والجميل والظريف والحسن وكل ما يرادف ذلك فى مدلولها العام . وهى كذلك فى أصلها اللغوى فانها تصغير (الكيس) وهو مصدر يقصد به العقل والظرف والفطنة والجود وحسن التأنى فى الامور !

وفى ذلك غبطة للحريصين على الفصيح .. وقلما تفطن له الا المعنيون بارجاع العامى إلى اصوله العربية الصحيحة .. وما اكثر الكلمات التى تعود إلى أمها (أم اللغات) .. ولو عراها بعض التحريف ؟!

١٢٨ « أم لج » أم « أملج » ؟

فى سواحلنا الشمالية بعد ثغر ينبع البحر يقوم ميناء يسمى (أملج) .. بضم الألف .. وفى اللغة (الأملج) بفتح الألف .. القفر لا شيء فيه من النبات .. فهل كانت التسمية على هذا الاساس ابتداء؟! أم ان صحتها (أم لج) .. من حيث انها على الشاطئ .. فهى ذات لج أو لجج ؟!! لا أدرى .. فكل ذلك جائز وممكن وصحيح .. والله اعلم .

١٢٩ (ام العيال) في (وادي الفرع) لا في (مر الظهران)

تلطف الأخ الكريم الأستاذ (**حمد محمد العبيدى**) بوزارة الزراعة (بجدة) .. فبعث إلى بخطاب جاء فيه أنه قرأ ما نشر فى الجزء السابع من المجلد ٢٢ من مجلة المنهل الغراء فى شهر رجب سنة ١٣٨١ بعنوان « أم العيال » ووادى فاطمة .. وقال : ان أم العيال ليست من قرى وادى فاطمة « مر الظهران » بل انها من قرى « وادى الفرع » الواقع فيما بين المدينة المنورة ومكة المكرمة .. وقد سبق لحضرته التجول فى بعض جهات ذلك الوادى وان من قراه ما يأتى : (الريان) (السدر) ، (الفقيرة) ، (الشهباء) ، (الاكحل) ، (المضيق) ، (البصيرة) ، أم العيال) ، (ابو ضباع) ، (الريض) ، (الملبنة) .. إلى أن قال : « وقرية أم العيال صدقة **فاطمة الزهراء** رضى الله عنها هى : التى ذكرها **عرام بن الاصبغ السلمى** فى كتابه وما زالت معروفة فى ذلك الوادى وهى السابق ذكرها . فى كتاب عرام المشار اليه ..) وهو الكتاب المسمى (أسماء جبال تهامة وسكانها) ذلك الأثر الذى افضل بنشره كل من فضيلة العلامة الجليل الشيخ **محمد حسين نصيف** وسعادة المرحوم **الحاج يوسف زينل** .. وبذل كثيرا من الجهد فى تحقيقه الاستاذ **عبد السلام محمد هارون** ، وقد ابدى فى مقدمة الكتاب الذى عرفه بالكتاب هو فضيلة الاخ الجليل مدير مكتبة الحرم الشريف .. وعضو مجلس الشورى الموقر الشيخ سليمان العبد الرحمن الصنيع .. احسن الله ثوابهم جميعا .

وإنى إذ أنشر هذا التعقيب أو التصويب أشكر لسيادة الأخ **حمد** ارشادنا والقراء اليه . وتبقى بعد ذلك فكرة تعليل تسمية (مر الظهران) كله أو بعضه (بوادى فاطمة) ؟! وأى الفواطم هى ؟! ومن أى عهد أطلق ذلك عليه ؟ وعسى أن نظفر من الباحثين بما يضيئ السبيل إلى ذلك عاجلا أو آجلا ان شاء الله .. والحقيقة بنت البحث كما يقولون : وكل من سار على الدرب وصل ، باذن الله .

(١٣٠) هذا ـ وهو « ابن عباس »

« كان الحبر **عبد الله بن عباس** رضى الله عنهما من الرفعة والعلم والفضل والادب بالدرجة القصوى ـــ وكان **الفاروق** رضى الله عنه يجلسه مع كبار الصحابة ويدنيه منه . وكان يقول له : « انك لأصبح فتياننا وجها ، وأحسنهم خلقا ، وأفقههم فى كتاب الله . وقال فى شأنه : ذاكم فتى الكهول .. ان له لسانا سؤولا ، وقلبا عقولا ، وكان لفرط أدبه اذا سأله عمر مع الصحابة عن شىء يقول : لا أتكلم حتى يتكلموا !! وكان **عمر** رضى الله عنه يعتد برأى **ابن عباس** مع حداثة سنه .. » اه (مجلة الازهر)

قلت : هذا ـــ وهو **ابن عباس** .. نسبا وحسبا وعلما وفضلا .. يتوقف عن الكلام (تأدبا) مع من هم أكبر منه سنا .. ويتأخر عنهم فى ابداء آرائه .. لعله يجد عندهم ما هو أصوب وأصدق .. وهو الذى استخلفه **علىّ** رضى الله عنه على الموسم .. فقرأ فى خطبته (سورة البقرة) وفى رواية (سورة النور) ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا !!! وكذلك هو أدب الاسلام ..

(١٣١) الزمخشرى ـ والنسفى بمكة

حكى صاحب (الفوائد البهية فى تراجم الحنفية) ابو الحسنات **محمد عبد الحى اللكنوى** « ان **عمر بن محمد النسفى** الفقيه الحنفى المشهور المولود سنة ٤٦١هـ والمتوفى سنة ٥٣٧هـ بسمرقند .. اراد أن يزور **جار الله الزمخشرى** فى مكة فلما قدم وصل إلى داره ودق الباب ليفتحه .. فقال العلامة الزمخشرى : من هذا ؟ فقال : **عمر** ... فقال **الزمخشرى** انصرف فقال **نجم الدين عمر النسفى** : ياسيدى **عمر** لا ينصرف ! فقال **الزمخشرى** : إذا نكر صرف ! »اه

قلت : وهذا من ظرف العلماء وآدابهم .. وهو يدعو إلى أن يعرف الطارق والقادم نفسه بأكثر من الاسم فان الناس يشتركون فيه كلهم .. ولابد من اضافة ما يكشف عن ماهيته وهويته .. فان اقتصر على الاسم أشكل على السامع ... كقوله اذا سئل من بالباب : « أنا » ... « أنا » فهذا ما ينبغى التنبه له من الأكثرين ..

(١٣٢) من هو المشكل قديما وحديثا ؟!

قال **السخاوى** فى الضوء اللامع وهو يترجم **حيدرة بن أحمد** الفقيه الحنفى المولود سنة ٧٨٠هـ بشيراز .. « وكان (مشكلا) حسنا حلو المحاضرة حافظا لكثير من الشعر فصيحا بالتركية والعجمية وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٤هـ » اه

قلت : وقد استوقفنى من وصفه قوله (مشكلا) !! فقد أدركنا الناس فى أول النشأة ينعتون الشجاع من أهل (الهوشة) فى الحوائر .. والذى ينقلب على أقرانه عند المواقف الحاسمة بالمشكل ! واذا بها ترجع إلى القرن الثامن وربما إلى ما سبقه .. وينعت بها أجلة الفقهاء أيضا .. والظاهر أنها كانت تعنى حسن الشكل والاناقة .. ولها أصل لغوى عريق .. ثم تناولها العامة .. بعد

الخاصة .. واكتست من المعانى ما أضيف اليها بحكم التطور الذى لا تخلو منه الكائنات فى مختلف الأزمنة والأمكنة .

١٣٣ الحج في لامية ابي طالب

من القصيدة اللامية الشهيرة لأبى طالب قوله فى وصف مواقف الحج :

أعوذ برب الناس من كل طاعن
علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول
و « ثور » ومن أرسى (ثبيرا) مكانه
وراق ليرق فى (حراء) ونازل
و (بالبيت) حق البيت من (بطن مكة)
وبالله ان الله ليس بغافل
وبـ (الحجر المسود) اذ يمسحونه
اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل
و (موطئ ابراهيم) فى الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعل
و (اشواط بين المروتين) إلى الصفا
وما فيهما من صورة وتماثل
ومن حج (بيت الله) من كل راكب
ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
و (بالمشعر الاقصى) اذا عمدوا له
(الال)[1] إلى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية
يقيمون بالايدى صدور الرواحل
وليلة (جمع) والمنازل من (منى)
وهل فوقها من حرمة ، ومنازل ؟
و (جمع) اذا ما المقربات أجزنه
سراعا . كما يخرجن من وقع وابل
و (بالجمرة الكبرى) اذا صمدوا لها
يؤمون (قذفا) رأسها بالجنادل !
و (كندة) اذ هم (بالحصاب) عشية
تجيز بهم حجاج بكر بن وائل !

قلت ما أبدع وأروع هذا السرد الشعرى الجزل ، وهذا الوصف لمناسك الحج ــ فانه صورة طبق الاصل لما هى عليه حتى الآن منذ أرسل الله نبيه **محمدا** صلوات الله عليه وسلامه عليه « رحمة للعالمين » وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وقد بهرنى فيها الاحاطة والشمول .. وكأنما هى الراح والشمول ! دون ما اثم أو حرج ... فهى مما يجب ان يتجمل بحفظه كل من يسكن هذه البطاح .. وتهزه هذه المشاهد وتشيع فى قلبه الانشراح .. وحمى الله فى « أم القرى » حماه وهدانا إلى سواء السبيل وما يحبه ويرضاه .

١٣٤ كسوة الكعبة

يروى ان (تبعا) لما كسا البيت المسوح والانطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه . وفعل ذلك من كساه (الخصف) فلما كساه الماء والوصائل قبلها . والوصائل ثياب موصله فى ثياب اليمن واحدثها وصيلة .. ومن قوله حين كسا البيت :

وكسونا البيت الذى حرم الله
(ملاء) معضدا وبرودا
فأقمنا به من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه اقليدا

١ ــ و (الال) هو (جبل عرفة) .. والمشعر الأقصى هو (عرفة) نفسها . قالوا : انه سمى (ألالا) لأن الحجيج اذا رأوه (آلوا) فى السير أى اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف ... والله أعلم .

ونحرنـــا بالشعب ستـــة الـــف
فــترى النـــاس نحوهــــن ورودا
ثم سرنـــا عنـــه نؤم سهيـــلا
فرفعنـــا لواءنـــا معقـــودا

وكان هذا قبل الاسلام بسبعمائة عام .

قلت : ونحمد الله تعالت أسماؤه أن وفق خادم الحرمين الشريفين وحامى حمى البيت العتيق إلى كسوته الثمينة الرائعة .. تنسج حوله خلال عام كامل بأيد عربية سعودية ومكية ويشفعها بأخرى تكون معدة لاستبدالها بالأولى فى السنة مرتين وهى من الديباج والحرير .. والدمقس الاثير .. والذهب والفضة .. مطرزة بالآيات والمثانى .. وما ذلك الا من مآثر حضرة صاحب الجلالة « **الملك سعود** » **بن عبد العزيز** أمد الله فى حياته .. وأعز به دينه وأعلى كلمته وايده بروح من عنده .. وما أعظمها من مأثرة خالدة .. وكذلك يؤتى الله فضله من يشاء ، ويؤثر به فى اختياره للخير والانماء وناهيك بما بذل فى توسعة المسجدين والمسجد الأقصى .. مما لم يرو التاريخ له مثيلا منذ آدم وحواء .. وذلك فى حب الله وحب رسوله صلوات الله وسلامه عليه . وهل بعد ذلك من مجد أو فخار ؟! أثابه الله وأبقاه .

١٣٥ مواقيت الحج !

(ذو الحليفة) ـــ وهو أبعد المواقيت من مكة فى شمالها وهى على بعد عشرة مراحل من مكة أى ٤٥٠ كيلو مترا ... (وقيل تسع مراحل) .

(الجحفة) .. على ثلاث مراحل من مكة فى شمالها الغربى أى ١٨٧ كيلو مترا . وسميت بذلك لان السيل احتجفها فى بعض الأزمان ـــ أى استأصلها .

(قرن المنازل) : جبل شرق مكة يطل على عرفات على مرحلتين من مكة أى ٩٤ كيلو مترا .

(يلملم) : جبل جنوب مكة .. على مرحلتين منها أى ٥٤ كيلو مترا .

قلت : وكلها معروفة لأهل جهاتها والقادمين من صوبها .. إلى أداء مناسك الحج .. وانما يزيد هنا التمتير .. لمن يقطعها بالسيارات .. أما من كان دون ذلك فقد نص الفقهاء على ان من كان بين الميقات وبين مكة .. فمن حيث انشاء إحرامه .. وأهل مكة من مكة ..

١٣٦ جبل الرحمة وجبل النور بمكة

منذ قرون طويلة واجيال بعيدة يطلق المكيون ـــ خاصة ـــ والمسلمون عامة على جبل عرفات .. (جبل الرحمة) .. إيمانا بما وعد الله به عباده المخلصين من الحجاج من الغفران والرضوان وهم محرمون ضارعون .. لائذون عائذون .. حاسرون حافون ..

كما يطلقون على (جبل حراء) .. (جبل النور) لنزول الوحى فيه أول ما نزل وهو نور يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل الرشاد .

١٣٧ كداء و (كداء) و (كدى)

عن **عبد بن عمر** رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ حين دخل مكة من (كداء) من الثنية العليا التى بالبطحاء .. وخرج من الثنية السفلى » .

قلت : وقد نص العلماء على ان (كداء) بالفتح الحجون وهى الثنية العليا التى ينزل منها إلى المعلى (مقبرة أهل مكة) والثنية السفلى يقال لها (كداء) بالضم من أول حارة الباب بمكة وهى التى يطلق عليها المتأخرون (ربع الرسان — أو الرسام) .. وسبب كل منهما معقول فقد كان بها مركز للترسيم .. كما كان بها حانوت لصنع أرسان الجمال .. فأما (كدى) فهى الثنية التى بأسفل مكة وقد فتح بها طريق إلى منى ومزدلفة ورصف وسفلت وعرف بهذا الاسم ..

١٣٨ ارانب مر الظهران

عن **أنس بن مالك** رضى الله عنه قال : انفجنا أرنبا (بمر الظهران) فسعى القوم فلقبوا (أى تعبوا — وأعيوا) .. وادركتها فاخذتها ، فاتيت بها أبا طلحة فذبحها وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها أو فخذها فقبله .. (رواه البخارى) .

قلت : وبعد أن يتم رصف الطريق بين مكة و « مر الظهران » .. ستنطلق السيارات فى تلك السهول .. ويسهل صيد الارانب .. وهناك تمزج « بالملوخية » .. وعليها « السمن والِلية » .. ولا يعدم الصائدون « الليمون البنزهير » .. وإلى جانبه الحلوى من الرطب .. والماء البارد .. ويعتق الله بعض الوقت « كباش الحرة » .. من شفرة الجزار .. لتستعيد نماءها ووفرتها .. وكل ذلك من نعم الله التى لا تحصى نسأله الشكر والقناعة والرضى .

١٣٩ شتاؤنا هذا العام بمكة ١٣٨٢ هـ

عشت — ولله الحمد والمنة — أكثر من الستين .. وتوسطت عشرة السبعين .. — وأقول ذلك — فى صراحة — واعتراف .. دون لف أو دوران .. كما يفعل شيخنا وأبونا **أبو عصام أو أبو عزة** .. « الأستاذ الكبير **فؤاد شاكر** » وامثاله كثيرون ممن يروعهم ان يقروا — بالعمر المديد — والعمل الصالح .. ان شاء الله . ثم بدا لى بعد كل ما مر بى من صيف وشتاء خلال هذه الحجج الطوال انه لم يمر علينا بأم القرى عليها سلام الله ..

شتاء فاتر .. وطقس متقلب وحرور غير معتاد كهذا العام ١٣٨٢ — منذ عرفت الدنيا — وهى ظاهرة غريبة تكاد تكون عامة فى المنطقة العربية كلها أوجلها .. ومازلت فى قرارة نفسى اتعجب من ذلك ! واخيرا عللته بقلة أو ضعف المطر .. وأحيانا (بالتفجيرات الذرية) البعيدة الاثر ..

وقبل ذلك كله وبعده إلى قوله تعالى : ﴿ **وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا** ﴾ وقوله تعالى : ﴿**فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا .. مالكم لا ترجون لله وقارا .. وقد خلقكم اطورا**﴾ . أعاننا الله على طاعته .. وألهمنا الرشد وهدانا إلى سواء السبيل .

(١٤٠) وايضا (كتان) الأعشى

قلت فيما سبق فى إحدى المطالعات أن امرأ **القيس** ذكر فى أحد أبيات معلقته اللامية .. (الكتان) : « بأمراس كتان إلى صم جندل » .

وعثرت بعد ذلك على نص جاهلى آخر **للأعشى** فى الكتان .. قال : يصف **ممدوح قيس بن معدى كرب الكندى** بأنه :

هو الــواهب المسمعــات الشرو
ب بين الحرير وبين (الكتــن) !

ويظهر أن القافية اضطرته إلى هذه التسمية . أما النوع فإنه هو .. ومن اقترانه بالحرير يتبين ايضا انه كان نسيجا ممتازا لا يكتسى به الا من يملك الاكتساء بالحرير من القينات والمغنيات والعقائل المترفات .. وهن بطبيعة الحال لا يخترن إلا الناعم من الكساء .. فالكتان إذن معرق فى القدم والاستعمال .. عدى كونه ذا بذور دوائية ما تزال حتى اليوم تستعمل فى الاستطباب ويطلق عليها (بذر الكتان) وله دهن أيضا وأكثر ما يستعمل فى الالتهابات والدمامل والقروح الصلبة وامراض الجلد .. والسعال الجاف ويزيل الامساك ويسكن آلام القرحة المعدية والمعوية ونوبات المغص الخ .. فهو كساء ودواء .. وسبحان من أحسن الخلق والابداع .. وعلم الانسان ما لم يعلم .

(١٤١) أول احصاء رسمى فى مكة قبل ٤٦٠ سنة

جاء فى تاريخ القطبى أنه فى سنة ٩٢٣ على اثر إرسال ما كان يسمى (بحب الجراية) إلى مكة المكرمة صدر الامر فرقم أسامى الناس الشيخ **رضى الدين الحناوى** كبير الشهود العدول فى باب السلام الملكى وكتب بيوت كل محلة وما فى كل بيت من أعداد الانفار رجالا ونساء واطفالا وخداما (عدى التجار والسوقة والعسكر) فكانوا (اثنى عشر الفا) .. وعلى مقتضى ذلك اتخذ دفتر باصحاب الاستحقاق فى تلك الجراية .

قلت : هذا ما عثرت عليه وكان مدونا تدوينا احصائيا دقيقا — وأحسب أن أربعة قرون ونصف كافية لان تضاعف عدد السكان إلى الحد الذى بلغه الآن أو يزيد عليه كثيرا فى مكة المكرمة فقط . وبارك الله فى أمة محمد ﷺ ومكن لها فى الخير والرشد والهدى والاستقامة والتقوى .. فما لهذا الحرم الامين والربوع المقدسة إلا من يؤهلهم الله للمجاورة والإقامة فيه من عباده الصالحين ، مع العمل الصالح فى كل ما هو دائما محل رضاء الله وصيانة شريعته وحفظ دينه وهو الذخر الباق والخلود المنشود . وبذلك تكون الجدارة لهذه المزية الكبرى .

(١٤٢) كتان امرىء القيس

قال امرؤ **القيس** فى وصف الليل :

فيا لك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل

كأن الثريا علقت فى مصافهــا
بأمراس (كتان) إلى صم جندل

قلت : ومن هذا نتبين ان الكتان كان معروفا من العصر الجاهلى .. إلا أنه لم يصف .. حتى تطور إلى النعومة والاناقة التى أدركناه عليها أخيرا .. ويظهر انه كان مقصورا على الحبال فقط .. وما اختاره الشاعر الا لصلابته وقوته فى الشد والربط أما نحن فقد لبسناه مغزولا .. ونعمنا به مسدولا ومجدولا .. وكان الابيض منه لباس الخواص .. والازرق مما يغرم به اصحاب الفتوة و (المشكلة) من حملة الشماريخ (المزقرة) ! ايام العياقة المتبطرة ! والأعصاب المتوترة .. والزنود المتعنترة .. ثم انقطع وروده منذ حين .. مع انواع اخرى من الاقمشة التى كانت فبانت .. ولم يبق منها غير الذكريات منذ انقرضت (الجبب) و (الشايات) .. (وكل ما فات مات .. وكل ما هو آت آت) .

١٤٣ جبــة المهلهــل

قال **المهلهل** يرثى أخاه كليبا :

خذوا العهد الاكيد على عمرى
بتركــى كل ما حوت الديــار
وهجرى الغانيــات وشرب كأسى
ولــبسى (جبــة) لا تستعــار
ولست بخالــع درعــى وسيفــى
إلى ان يخلــع الليـــل النهار
والا ان تبيـــد سراة بكـــر
فلا يبقــى لها ابـــدا آثـــار

قلت : والشاهد من ذلك قوله : (لبسى جبة لا تستعار) .. فيكون استعمال العرب للجبب قديما .. يذهب فى القدم إلى ما قبل عصر المهلهل .. مع نكتة أخرى وهى أنها لا تعار .. وما ذلك الا لعلو منزلها .. وانها مما لا يتميز به الا من يشار اليه بالبنان .. اما انها لم تكن من (الانقورى) أو (القرامسود) فقد تكون من اسلاخ النمور والفهود .. أو اديم الأشبال والأسود .. وهى على كل حال من نتاج البادية .. ولا فضل فيها لأنوال الحاضرة .. وتلك أولى دعائم الاستقلال الاقتصادى .. وقديما أرسل العرب المثل : « غثك خير من سمين غيرك » .

١٤٤ (الكلة) هي الناموسية

قال **النابغة** :

قامت تراءى بين سجفــى كلــة
كالشمس يوم طلوعهـــا بالأسعــد

والكلة بالكسر هى ما نسميه فى عصرنا هذا (بالناموسية) والسجف هو الستر الرقيق ومن ذلك نعلم ان البعوض لم يكن جديدا على الناس ــ بعد ان أمعنوا فى الحضارة .. والترف .. وانما هو اخو الذباب .. وابن عم الجراد .. منذ هبط آدم وحواء .. إلى هذه الغبراء !! وأن الجاهليين فى بطون الصحراء .. قد عرفوا .. الكلل أو الناموسيات .. وان كان الارجح ان اتخاذهم اياها انما كان فى الأمصار المزدحمة .. ذات المياه الوخيمة .. والمطابخ الدسمة .. والنفايات الوذمة ! وهل زاد الأواخر عن الأوائل فى ذلك الا بالألحان المقلقة ، والقرصات الموبقة .. و (الملاريا) المحدقة ؟! والنفقات المغدقة ، على المبيدات المغلقة ، والعلاجات المرهقة !؟ كفانا شر المدميات الهازجات .. والقارصات الراقصات .. وكان الله فى عون العيون والوجوه .. وصرف عنا

كل ما نخشاه وحقق لنا ما نرجوه .. انه سميع الدعاء .

١٤٥ الغيل والسعد

قال **النابغة الذبياني** فى داليته التى مدح بها **النعمان بن المنذر** :

فلا لعمر الذى مسحت كعبته
وما هريق على الانصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير تمسحها
ركبان مكة بين الغيل والسعد !؟

قال الشراح : ان الغيل والسعد ، اجمتان بين مكة ومنى ؟ فهل لنا أن نتعرف إليهما ونقف عليهما ؟ كما تعرفنا إلى « شامة وطفيل » أم امحى اثرهما وعفى عليهما الزمن ؟ ارجو ان نظفر بذلك من قريش الظواهر .. فأهل مكة ادرى بشعابها وآجامها .. أو اجماتها !

١٤٦ جيرة حاتم الطائي

قال **حاتم طيء** فى رائيته المشهورة :

وما ضر جارا يا ابنة القوم فاعلمى
يجاورنى ، الا يكون له ستر
بعينى عن جارات قومى غفلة
وفى السمع منى عن حديثهم وقر

قلت : هذا فى الزمن الجاهلى .. وجاء رسول الله ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق فهل درج أهل الحضارات من بعدهم على هذه الشمائل والشيم !؟ وقد أنزل الله عليهم من الفرقان والذكر الحكيم ما يهدى إلى الرشد .. وينقذ من الضلال ؟! أم هى العوائق والبوائق .. والرواعد والصواعق .. والمزاهق والمزالق ؟! وقانا الله شر الهوى .. وكل من ضل وغوى !

١٤٧ (العباطة) .. واللين ؟

قال **الاخطل** :

ولقد علمت اذا العشار تروحت
هدج الرئال تكبهن شمالا
انا نعجل بالعبيط لضيفنا
قبل العيال ونضرب الابطالا

والعبيط عند العرب وفى لغتهم اللحم الطرى .. فهل كان ذلك أصل الكلمة المستعملة حديثا فى (العباطة) بمعنى الليونة .. أو المكابرة .. ام ان لها مادة مستقلة فى المفاهيم ؟. ارجو ان يتحفنا بما يعلمه فى ذلك ابو نبيه فى منهله الفياض .

١٤٨ بين سنة وثلاثة أيام

حدث **على بن مجاهد** قال :

قال الأخطل لعبد الملك بن مروان : يا امير المؤمنين : يزعم **ابن المراغة** (يعنى جريرا) انه يبلغ مدحتك فى ثلاثة ايام ، وقد اقمت فى مدحتك : (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) سنة فما بلغت كما أردت ، فقال **عبد الملك** ، ما سمعناها يا أخطل ، فأنشده اياها .. فجعلت ارى **عبد الملك** يتطاول لها .. قال : ويحك يا اخطل .. أتريد أن اكتب إلى الآفاق انك اشعر العرب ؟ قال : اكتفى بقول أمير المؤمنين .

قلت : إذا لا يكون زهير بن أبى سلمى وحده

صاحب الحوليات .. إلا أن تحفظ له الأولوية فى التهذيب .. وطول التأمل وحسن التخير .. وفى الرواية ما يدل على ان شهادة الممدوح من الخلفاء مما يجب ان يؤمن بها الظاعن والمقيم .. والبعيد والقريب .. كيفما اتفق .. وحيثما نفق ، وليس من العدل أن يحكم بالأفضلية المطلقة بمثل هذه المعايير العابرة ؟! وإنما هى هزات عاطفية .. لا تلبث أن تهدأ بعد أن تجيش .. وبالمقارنات يموت الشاعر أو يعيش .

١٤٩ جبل ثبير الأثيرة (بمكة) أو الصدر - أو الرخم

على يمين الصاعد إلى الطائف — وفوق العدل — أو السد القديم والجديد .. وبيسار الهابط من منى من سفوحه (بالسيارات) فى الطريق الجديد .. ترتفع قمة « ثبير الأثبرة » .. وهو الذى عناه **امرؤ القيس** بقوله :

كان ثبيرا فى عرانين وبلــــه
كبير انـــاس فى بجاد مزمـــل ؟

هذا الجبل يطلق عليه الناس من قديم — جبل الصدر — لأنه يقوم فى صدر البطحاء — وهو أول ما تقع عليه الابصار للصاعد إلى « نخلة اليمانية » أو الشامية أو إلى جمع وعرفات وشداد والكر وكرى ! ويطلقون عليه ايضا اسم جبل الرخم — لأن هذا النوع من الطير يتخذ منه مأوى فى المساء .. وقد ترك أثره فى أحجاره العليا ببقع بيض .. لا يكاد الوبل — يمحوه ولا السيل المتحدر منه يجلوه ! ويقابله إلى الجنوب الشرق (جبل خندمة) وانها لخواطر من الحق ان لا تهمل ليعرفها اللاحق عن السابق .. خشية ان يتطرق اليها الاغفال — بمرور الايام وكرور الاعصار .. والله أعلم .

١٥٠ لج البحـــر

« دخل الشيخ **عبد الرزاق الشيبى** فاتح بيت الله الحرام **على الشريف الحسن بن أبى نمى** شريف مكة المشرفة يستأذنه فى السفر وركوب البحر فأنشده الشريف قول الطغرائى من لاميته :

فيم اقتحامك لج البحر تركبــه
وانت تكفيك منه مصة الوشل ؟!

فأنشده الشيخ على البديهة من القصيدة نفسها :

أريـد بسطــة كف أستــعين بها
على قضاء حقــوق للــعلى قبلى

فأمر له الشريف بقضاء دينه وأمر له بألف أحمر « وترك الشيخ السفر » !؟

قلت : أما الاحمر فأظنه الدينار .. لانه من الذهب ! وأما استشهاد كل منهما بما استشهد به من لامية الطغرائى ، فانه يدلنا على ما كان لهم فى ذلك الوقت من احاطة أو إلمام بالادب العربى ، وأن القوم كانوا أهل عناية به . وحفاظ عليه وأريحية فيه .. وبارك الله فى أخلافهم الطيبين .

١٥١ الشماع - شاعر الحجاز بالاجماع

حكى **السيد العباس بن نور الدين المكى** : أنه اجتمع بمكة فى شعبان عام ١١٤٠هـ — بالعلماء والادباء وعد منهم طائفة .. كان منها

بوصفه : « الألمعى اللبيب واللوذعى الأديب شاعر الحجاز بالاجماع الشيخ **سالم الصفدى الشماع** .. وبأخيه الشيخ **عبد الكريم الشماع** .. » .

قلت : هذا الشماع ــ شاعر الحجاز بالاجماع .. قد أورد له صاحب « نزهة الجليس » بعض قصائد رائعة جميلة ، غير أننا لم نظفر له بديوان حتى الآن ! فهل لنا ان نرجو ممن لديه من آثاره من المخطوطات أو المكتبات .. ان يتحفنا بما تقر به العيون .

(١٥٢) « فرجية » أبي الحسين الجزار

قال أبو الحسين الجزار معارضا معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال
ودراعة لى قد عفا رسمها البالى
وما ان من يبكى لاسماء ، ان نأت
ولكننى ابكى على بفقد أسمالى
لو أن امرأ القيس بن حجر رأى الذى
أكابده من فرط هم وبلبال
لما مال نحو الخدر : خدر عنيزة
ولا بات الا وهو عن حبها سالى
ولا سيما البرد وافى (بريده)
وحالى بما عودت من عسره حالى
ترى هل يرانى الناس فى (فرجية)
أجر بها تيها على الارض أذيالى ؟
ويمسى عدوى غير خال عن الاسى
اذا بات عن امثالها بيته خالى
(ولو أننى أسعى لأدنى معيشة
كفانى ولم أطلب قليل من المال)
(ولكنما أسعى لمجد و (جوخة)
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى)

قلت : ومن هذا ندرك ان (الفرجية) كانت تستعمل من عدة قرون بهذا الاسم .. وانها غالبا ما تكون من الجوخ .. وقد ذهبت مع الأيام .. وانطوت منها التخاريص والأكمام ؟ ولكل زى زمان . و ﴿ **كل من عليها فان .. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** ﴾ .

(١٥٣) مقعد الصدق

قال الشيخ ابراهيم بن أبى الحزم المدنى يؤرخ مقعدا له :

عندما تم (مقعد الصدق) هذا
قيل ارخه ! قلت : يا صاح حاضر
هاك تاريخه ولا شين فيه
مقعد للجليل عال ، وعامر

قالوا : ولا شين فيه ــ أى باسقاط عدد حروف شين بالابجدية !

ومن هذا نفهم طرف الشاعر فى اقتباسه (مقعد صدق) .. كما نعلم ان ما يسمى بالمقعد ــ حتى الآن .. كان استعماله قديما منذ ٣٠٠ سنة .. أو اكثر .

(١٥٤) الشعر طبع لا صناعة

قال ابن حجاج :

مستفعلن ــ فاعلن ــ فعول
مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا
من قبل ان يخلق الخليل

وقال أبو فراس الحمدانى :

تناهض الناس للمعالى
لما رأوا نحوها نهوضى
تكلفوا المكرمات كدا
تكلف النظم (بالعروض)

وقال **الصفدى** : « قال قول لا حاجة إلى العروض ، لأن من نظم بالعروض شق ذلك عليه وأتى له متكلفا ، ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة يدخل الوزن وينظر فى حركاتها وسكناتها هل من سببين وفاصلة صغرى أولا ؟ إلى غير ذلك من التفعيل الا بعد مكابدة مشقة عظيمة ، وإلى ان ينظم الناظم فى العروض بيتا نظم صاحب الطبع السليم قصيدة .. » .

قلت : ولا يعنى هذا بحال ان يكون صاحب الطبع السليم معفى من القواعد .. أو منطلقا مع الشواذ !! بل لابد لسلامة طبعه من طواعيته بالسليقة لكل ما هو أصل واساس .. والا كان ملحقا بغيره من ذوى الوسواس والهجراس ..

و **(اذا لم تستطع شيئا فدعه**
وجاوزه إلى ما تستطيع)

١٥٥ عيد الملوخية ؟ !

قال فى نزهة الجليس : (الملوخيا) غليظة لزجة باردة ، والاكثار منها يضر بالمرطوبين و(المبلغمين)! واصلاح ضررها ان تطبخ بلحوم الغزلان ! لخفته وحرارته .. أو مع (الفراريج) وماء الليمون يلطف غلظها ويقطع لزوجتها ولا يصلحها إصلاحا تاما الا هو ! واذا قطع ورقها الاخضر ووضع على لسع النزبور نفعه وطبيخ ورقها ينفع من حرق النار ، وفيه أكثر منافع الخطمى ، وهو فرع منه .. وذكر انها قديما لم يكن لها ذكر ولا قدر ولا تعرف فى مدينة ولا اقليم إلا بعد الثلثمائة والستين من الهجرة النبوية (أى قبل اثنين وعشرين والف سنة) خاصة بمصر المحمية ..

قال : « وكان السبب فى ذلك أن **المعز العبيدى** بانى القاهرة لما دخل مصر استوباها واختلف عليه الهواء الذى كان يعهده بافريقية ورطوبته لمجاورة البحر فاصابه يبس .. واستولت عليه امراض حادة فدبر له الاطباء فى مصر قانونا للعلاج من جملته الغذاء بالملوخية فوجد لها نفعا بينا فى التبريا والترطيب واقلع عنه ما كان يجده من الاعراض الرديئة التى سببها اليبس والحرارة .. وأدمن أكلها فعوفى من مرضه ووقعت منه وقعا عظيما .. وأمر باصلاحها له ولخواصه .. حتى سميت « بالملوكية » وبلغ من اعتنائهم بها انهم كانوا يجففونها ويطبخونها مجففة ، السنة كلها . وكان باكورها إذا دخل يكون ذلك اليوم (عيدا كبيرا) ويعطى لمهديها عطاء كثيرا » اهـ

قلت : فليعلم القراء ذلك .. وليزيدوا من شغفهم بها وليضيفوا اليها ما تعودوه من (السمن واللية) بشرط أن لا يكون الا (بقريا) لا صناعيا ، ولا حاجة للعيد فى بواكيرها .. بعد أن هرمت .. وخلف من بعدها ما هو أكثر فائدة منها عند الاطباء .. فهى ملحقة بالباذنجان الاسود وفضائله .

١٥٦ وصية زياد بن ابيه

قال **زياد ابن ابيه** فى ولايته بالعراق : « استوصوا بثلاثة منكم خيرا ، الشريف والعالم والشيخ ، فوالله لا يأتينى شيخ بشاب قد استخف

به الا أوجعته ! ولا يأتينى شريف بوضيع استخف به الا انتقمت له منه .. »

هذا ما وصى به (**زياد**) فى عصره قومه وعماله .. قبل ثلاثة عشر قرنا .. وله فيه سند من الادب النبوى على الرغم مما عرف به **زياد** من البطش والجبروت .. والخير خير أنى كان فاعله .

١٥٧ الهدية - والرشوة

بلغ **عبد الملك بن مروان** أن بعض كتّابه قبل هدية فقال له : « والله إن كنت قبلت هدية لا تنوى مكافأة المهدى لها فإنك لئيم دنئ وان كنت قبلتها تستكفى رجلا لم تكن تستكفيه لولاها فانك خائن ، وإن كنت نويت تعويض المهدى عن هديته وأن لا تخون له أمانة ولا تثلم له دنيا فلقد رضيت بما بسط عليك لسان معامليك ، واطمع فيك سائر مجاوريك ، وسلبك رهبة سلطانك » ثم صرفه عن عمله .

قلت : ما أحسن ما فصل التعريف ، وبينّ التكليف ، فى عبارة موجزة محيطة جامعة .. وهى ما يجب ان يحفظ ويدون وينفع الله به كل عصر وجيل .

١٥٨ العرض العسكرى فى صدر الاسلام

حينما قدم **ابو سفيان** قبيل فتح مكة على رسول الله ﷺ — فى جوار العباس رضى الله عنه — واسلم بين يدى النبى ﷺ (بمر الظهران) واستأمن لمن دخل داره بمكة .. أمر رسول الله ﷺ أن يحبسه العباس بمضيق من الوادى عند (خطم الجبل) وتمر به (جنود الله) ليراها .. ففعل ، فمرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ! من هذه ؟ قال العباس : فأقول : (سليم) .. فيقول : مالى ولسليم ؟ ثم تمر القبيلة فيقول : **يا عباس !** من هؤلاء ؟ فاقول : (مزينة) — فيقول : مالى ولمزينة ؟ حتى نفدت القبائل .. ماتمر قبيلة الا سألنى عنها ، فأخبرته بهم قال : مالى ولبنى فلان ؟ حتى مر به رسول الله ﷺ ، فى كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والانصار قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، ثم قال : والله يا **أبا الفضل** لقد اصبح ملك ابن أخيك عظيما ، قال قلت : يا **أبا سفيان** إنها النبوة . قال : فنعم إذن ! قلت : النجاء إلى قومك .. اهـ

قلت : وهذا هو الاستعراض أو العرض العسكرى .. وفيه أكثر من معنى لدرء الشر .. والانذار والاعذار .. وقديما قالت العرب : (لا يفل الحديد الا الحديد) !

١٥٩ فى يوم حنين ! راعى ضأن : والله ؟!

من حديث (يوم حنين) أن هوازن وثقيفا ومن معهم من القبائل قدموا إلى « بطن نخلة » فى أربعة آلاف مقاتل !! وكان فيهم (**دريد بن الصمة**) .. وكان قد عمى من الكبر وبلغ مائة وخمسين سنة ! وكان صاحب رأى وتدبير وله معرفة بالحروب .. فساروا حتى انتهوا إلى (أوطاس) إجتمع الناس وفيهم **دريد بن الصمة** .. فلما نزل قال : فى أى واد أنتم ؟

قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل .. لاحزن خرس ، ولا سهل دهس !! قال : مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟؟ قيل ساق (**مالك بن عوف**) مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال : أين **مالك** ؟ فدعى له ، فقال : يا **مالك** ، انك اصبحت رئيس قومك ، وان هذا اليوم له ما بعده من الايام ! مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقنا مع الناس اموالهم ونساءهم وابناءهم أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم ! قال : راعى ضان والله ؟! وهل يرد المنهزم شيء ؟ ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، ثم قال : مافعلت **كعب وكلاب** ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد . قال : غاب الجد ـــ والجد !! لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه **كعب وكلاب** ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت **كعب وكلاب** فمن شهدها منكم ؟ قالوا : **عمرو بن عامر ابن عوف ـــ وعوف بن عامر** .. قال : ذانك الجذعان لا ينفعان ولا يضران ! **يا مالك** انك لم تصنع بتقديم بيضة **هوازن** فى نحور الخيل شيئا ! ارفعهم إلى مجتمع بلادهم وعليا قومهم ، ثم الق « الصباة » على متون الخيل .. فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك الفاك ذلك .. وقد احرزت أهلك ومالك . قال : لا والله أفعل ، انك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لتطيعننى يا معشر **هوازن** أولاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، وكره أن يكون **لدريد** فيها ذكر ورأى .. قالوا : اطعناك . قال : **دريد** : « هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى » .

قلت : وانتهت المعركة بهزيمة **هوازن** ومن جاء معها فى يوم حنين كما هو معروف ! وما زال التاريخ يروى نصائح **دريد** كقائد جرئ مجرب اتهم بالخرف .. والكبر .. وكان ما أمر به هو الصواب لو أطاعوه ولكن الله غالب على أمره !! ولسان حاله ينشد قول الشاعر :

اذا اراد الله اهـــلاك نملـــة
اطال جناحيها فسيقت إلى العطب !!

(١٦٠) لاتســوى لى رنة

من الكلمات الدارجة على الألسنة ـــ خاصة بين العامة ـــ وخلال المجادلات الكلامية قول احدهم لمخاطبه : « لا تسوى لى رنة » . ويقصد بها لا تعمل معى ضجة ولجة .. ويزيد بعضهم : « رنة ـــ وشنة » .. وكلاهما اختان .

وقد قرأت الأبيات التالية **لعبد الله بن رواحة** فى غزوة « مؤتة » وكان قد خطب فى المسلمين الغازين قائلا : « والله يا قوم ان الذى تكرهونه للذى خرجتم له تطلبون الشهادة ! وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، وانما نقاتلهم بهذا الدين الذى اكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ، اما ظفر ، واما شهادة . فمضى الناس إلى تخوم البلقاء ـــ وحينما اخذ الراية **عبد الله بن رواحة** قال :

اقسمت يا نفس لتنزلنـــــــه
لتنزلـــــن ، أو لتكرهنـــــه !
ان أجيب الناس وشدوا (الرنه)
مالى أراك تكـــرهين الجنـــه ؟
قد طال ما قد كنت مطمئنـه
هل أنت إلا نطفـة فى شنـه

قلت : فهذا أصل كلمة (الرنة) !! وما يستعمل الناس لفظا ودرج على ألسنتهم الا وهو منحدر اليهم من أصل قديم وسبب قويم ، حتى ما هو (دخيل) — فانه يستعرب مع التقويم !!

١٦١ اعطيته جمعا !

يقول هذا — من يجمع قبضة يده ويضرب بها خصمه — كاللكمة فى العربية — و « البكل » عند إخواننا الاندونيسيين — (جاوى) ..

ووجدت لها أصلا فى كتب السيرة النبوية حيث ورد فيها وصف « خاتم النبوة » فى غضروف كتفه اليسرى صلوات الله وسلامه عليه ، ففى **البخارى** انه مثل زر الحجلة .. وفى **مسلم** ، انه « جمع عليه خيلان كانها الثآليل السود عند نفض كتفه ، والجمع — بضم الجيم وسكان الميم — أى جمع الكف ، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها .. » اه

قلت : وهذا أصل الاستعمال .. وصفا — ثم صار فى المتأخرين (صفعا) .. ووترا وشفعا ! وهو أيضا من مصطلحات المصارعة اليابانية .. وكان الله فى عون المتلقيه ؟! وسقى الله ايام الطفولة وما مر بنا خلالها من هذا اللكم والترفيه ؟!

١٦٢ العز بهدلة !

قال **الفرزدق** فى (**الأحيمر بن خلف بن بهدلة بن عوف**) :

فما ثم فى سعد ولا آل مالك
غلام إذا ما قيل لم « يتبهدل » !
لهم وهب النعمان بردى محرق
بمجد معد . والعديد المحصل

ومن « بهدلة » أيضا كان **الزبرقان بن بدر** وسمى (**سعد الأكرمين**) . وفيهم كانت الإفاضة فى الجاهلية . » اهـ

قلت : ما زلنا نسمع ما هو فى حكم المثل السائر .. قولهم : « العز بهدلة » . وقل من يدرك القصد من ذلك فى الاصل ، ويظهر انه كان على وجهه صحيحا فى هذه القبيلة ذات المجد الاثيل ثم تطور المعنى إلى ما هو أوسع .. أو أضيق !! فنرى البعض يقول : « بلاش بهدلة ؟ » أى كشف حال أو ستر أو ما يحسن اظهاره من قول أو عمل !! وبذلك تحول من السمعة الحسنة إلى السيئة كما تحول (العلق) من النفيس إلى الخسيس .. فكأنما منيت الألفاظ والمعانى .. بما منى به الانسان والحيوان .. من ارتفاع وهبوط ، ورجاء وقنوط .. (فمنها الحجال ، ومنها القمروط ؟!) ومنها الصعود ومنها الهبوط) !

١٦٣ الأصمعي تلميذ الشافعي (بمكة)

قال **الأصمعى** : « قرأت شعر **الشنفرى** على **الشافعى** بمكة .. » .

قلت : وناهيك بالتلميذ وأستاذه علم الأئمة وفقيه الأمصار والأقطار ! وهكذا هى أساليب الامام الشافعى رحمه الله فى نظمه ونثره مستوحاة من (البيان العربى) الفصيح ترتل به (آيات الفرقان) المبين .. ومن أقحاح العرب البادين والحاضرين .. مضافا إلى ذلك انه من صميم قريش افصح العرب ألسنة ، وأهداهم طريقة إلى

الايجاز والاعجاز .. فهل لنا أن نستعيد مثل هذه القراءات .. أو الدراسات ؟ فهى التراث الادبى الخالد والمجد الطريف التالد ! ولن تغنى عنه حضارة القرن العشرين ولا التسعين !؟ كما لا يغنى هو فى عالم (المادة) شروى نقير .. فلابد من الاعداد والاستعداد وحذق الفنون الصناعية الحديثة ، والعلوم التطبيقية التى لابقاء للأمم والشعوب بدونها إلا أن تكون عالة على غيرها .. غير ان استعجال الزمن لسد الثغرات الواسعة ومنافسة المتقدمين .. فى محاولات مبتورة مبتوتة ؟! لا تصل بنا إلى الهدف المنشود .

والطفرة محال .. والطريق مراحل .. والعمل واجب ، وأوجب منه الصدق والاخلاص ! والمهم الاستقامة على النهج المستقيم والخلق الكريم .. وان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

(١٦٤) أسماء مكروهة !

فى مداخل مكة ــ كرمها الله ــ مواضع ذات أسماء مستهجنة .. ربما كان لها فى الماضى ما يبررها لسبب أو آخر .. مثل (المقتلة) ــ و (أم الدود) فى طريق جدة ، وفى بطنها كشعبة « العفاريت » و « ربع اللصوص » .. والأولى فى الجانب الايمن من (مقبرة المعلى) والأخرى فى الجانب الايمن من وادى الزاهر من الناحية الشرقية .. الا يستحسن ان تبدل بأسماء أحب وأجمل .. من تلك التى لم يعد لها معنى سوى التشويه ؟!

بودى لو أن أمانة العاصمة ، استحدثت لكل ذلك ــ وما أشبهه ــ أسماء تعفى على الأثر المكروه .. ولا بأس أن يعلن ما كان وما يجب أن يكون ــ إيثارا للأفضل والأمثل .. وهذا من قبيل التمثيل ــ لا الحصر .. فقد يوجد مثله ايضا كقوز المكاسة ، بأسفل مكة .. فما بقى (للمكس) من أثر مطلقا ؟!

واذا كان سبب التسمية قديما .. منطبقا مع واقعها .. وانما أحدث قبل ان لا يوجد له سابقة لحادث طارئ ! فما الذى يمنع من إزالته وتخير ما يتفق مع الذوق والأدب والتاريخ .. والسمعة الحسنة ؟! اظن ذلك لازما ولابد منه ولا يمنع منه مانع مطلقا .

(١٦٥) أبواب المسجد الحرام قديما وحديثا

سمى المؤرخون ــ القدامى ــ والمحدثون ــ أبواب المسجد الحرام ــ قبل التوسعة الجديدة ــ بأسماء ــ كانت ذات اتصال مباشر باحداث تاريخية .. مباشرة ! ومنها ما كان من صدر الاسلام وربما قبله ! ومنها ما أحدث خلال عصور مختلفة شتى .. وقد طرأ على بعضها التعديل ــ كما روى **العصامى** ــ فى تاريخه : إذ قال : ان (باب النبى) كان يطلق عليه فى زمانه (باب الحريريين) كأنما كان باعة الحرير ونساجه ــ يقيمون فى حوانيتهم حوله وأمامه ؟! وهكذا سمى (باب الباسطية) و (باب القطبى) و (باب ابراهيم) و (باب العمرة) و (باب السلام) و (باب الدريبة) .. و (باب على) و (باب أم هانىء) و (باب الداوودية) و (باب الزيادة) وغيرها ــ بهذه الاسماء نسبة إلى كبار السكان أو الملاك الذين كانوا حولها أو تلقاءها !

والآن وقد تجددت الأروقة .. واتسعت المساحة .. واختلفت مناطق الابواب وزالت أسباب التسميات الأولى .. فمن الضرورى ان يعاد النظر فى تسمية الابواب الجديدة المحدثة بما يتفق والوضع الجديد .. على ان يراعى فيها التدوين بما كان من قبل .. بنصوصه واسبابه وجهاته بالدقة .. وما حل محله أو قريبا منه — للاحاطة بذلك من الناحية التاريخية .. مع ضرورة الابقاء على (الاسماء) الأولى فى مثل (باب السلام) بالذات و (باب العمرة) لبقاء علة التسمية وسببها واحسب ان ذلك محل عناية واهتمام ذوى الشأن فى اللجنة العليا التنفيذية .. وولاة الأمور أيدهم الله .. أتم الله هذا المشروع الخالد — مشروع عمارة المسجد الحرام — وأحسن جزاء القائم به وجعله فى موازينه .

١٦٦ جلباب العروس

يقول **ذو الرمة** .. وهو شاعر جاهلى معروف :

وليل كجلباب العروس قطعته
بأربعة — والشخص فى العين واحد

قلت : وقد استوقفنى منه تشبيه الليل بجلباب العروس .. فأولته انه أسود اللون .. وفى تفسيره : انه (ادرعته) كجلباب .. ولا باس بذلك لولا اضافته إلى العروس .. فهذا دليل على أن ثوب العروس أو ما يسمى فى زماننا (بالفستان) فى عصر (الموضة) ! إنما كان يختار (أسود) اللون .. لتكون هى فيه أبهى منظرا — وازهى أناقة .. واعترضنى خاطر آخر وهو : (لماذا لا يكون طويلا ذا ذيول تجرها ذات الدلال ؟! وهى تختال ! ووراءها الوصائف تماما كما هو شأن عرائس حضارة القرن العشرين ؟! وليكن بعد ذلك وقبله (لازورديا) أو أبيض — أو أحمر .. وتولد هذا الخاطر عندى من قرينة ما بعده بقوله (قطعته) فمن قبله كان ليل **النابغة** بطىء الكواكب ، وليل **امرىء القيس** .. كموج البحر أرخى سدوله .. وما اعجب ان نظفر من النصوص القديمة — بما يؤكد لنا أن العصر الجاهلى لم يكن مقفرا — فى المعانى الدالة على التحضر .. ولو جاء ذلك عن طريق الحوار والاقتباس ! ولو أثرت (المصانع) و (المناسج) فى قلب الجزيرة يومئذ .. لما تعسفنا ولا تكلفنا الاثبات و (ما فات مات ، وكل ما هو آت آت !!) ونحن على ذلك أقدر — وبه أجدر ، فهل نتبصر ؟

١٦٧ الزراد والوراق ؟

أوصى **المهلب بن أبى صفرة** أبناءه فقال :

« يا بنى لا تقوموا فى الأسواق لا على زراد ، أو وراق » .

قلت : والمعنى ظاهر لا يحتاج إلى إيضاح — فهو يأمرهم أن يستعدوا بالزرد للرمى والدفاع — وأن يستمدوا ثقافاتهم من الكتب والاطلاع .. ولعل انصراف بعض الناشئة عن « حمل المكتل » أو « الزنبيل » ! وشراء المقاضى .. فى الزمن الأخير إنما كان امتثالا للنصيحة المشار اليها فقط ، لا استنكافا كما يزعم البعض ! وقد فاتهم أن هذا لا يتناقض مع ذلك . ولهم من العذر أوسعه — بما هم مشتغلون به من الدراسات فى المعاهد والجامعات .. و (أين الخلى من الشجى)؟! ولهذا أشفق الكثيرون منهم من تحمل المسؤوليات . قبل أوان الانتاج مادة ومعنى .. وحسب الشاب الصالح الورع العفيف .. أنه أولئك السبعة الذين

يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .. صانهم الله وزانهم بالتقوى .. وجعل الجنة لنا ولهم هى المأوى .

١٦٨ التعايش عند العرب ؟

قال **محمد بن على بن الحسين** رضى الله عنهم : « جميع التعايش والتناصف والتعاشر فى ملء (مكيال) — ثلثاه فطنة ، وثلث تغافل ، فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ، ولا حظا فى الصلاح لأن الإنسان لا يتغافل الا عن شيء قد عرفه وفطن به » اهـ . (الكامل للمبرد) .

قلت : وتجرى على ألسنة الناس فى هذا العصر — وفى أنهار الصحف وأمواج الأثير (كلمة التعايش السلمى) ! على الرغم مما يحيط به من وعيد وتهديد ؟ وأغلب الظن أن مكياله القديم إنما يصح فى الأفراد وعلاقاتهم الخاصة ! أما فى الشعوب والدول المتطورة .. فان « ثلثيه » صواريخ وملحقاتها ! وثلثه .. (مخادعة ومراوغة) .. وتأزف الآزفة : « ليس لها من دون الله كاشفة » ثم تكون الجبال كالعهن المنفوش .. وأين منه (منفوش ليالى رمضان) . وكان الله فى عون الانسان والحيوان ..؟!

١٦٩ الريط .. والمروط ؟!

قال عمر بن أبى ربيعة :

ابصرتها ليلـــــــة — ونسوتها
يمشين بين المقام — والحجـر
يمشين فى (الريط) — و(المروط) كما
تمشى الهوينا سواكن البقـر ؟!

ومن ذلك نفهم أن الريط جمع (ريطة) بسكون الياء .. وهى.« الملاءة » ولا تكون إلا (بيضاء) .. و « المروط » جمع (مرط) بكسر الميم وسكون الراء — وهو كساء من خز أو صوف أو كتان .. اهـ

وقد أدركنا ذلك بعده بألف وثلاثمائة عام .. أيام البراقع والملايات أو الملاءات .. والبوابيج .. والاخفاف .. والخلاخيل والتولات ! وما من فارق جديد سوى ان (البيض) للجدات والأمهـات .. والطاعنـــات فى السن .. و (السود) للعواتق المصونات .. والكواعب المخدرات .. ومن البيتين نستفيد أنهن ما كن يطفن إلا إذا خلا المسجد ليلا من الازدحام !! وفى سجوف الظلام ! وخلف من بعدهن ما يمكن أن يؤخذ من أصل المادة .. أى (المرقطة) ! ومسفسطة وحيى الله ذوات الجلابيب .

١٧٠ هلالا .. هلالا

قال **سفيان بن عيينة** (إمام أهل مكة) المولود سنة ١٠٧ والمتوفى بها سنة ١٩٨هـ : (انى أرى جارنا هذا السهمى قد أثرى وانفسحت له نعمة ، وصار ذا جاه عند الامراء ووافدا إلى الخلفاء ، فمم ذاك ؟ يعنى (**اسماعيل بن جامع**) . فقال له جلساؤه : انه يصير إلى الخليفة فيغنى له .. فقال **سفيان** : فيقول ماذا ؟ فقال أحد جلسائه : انه يقول :

أطـــوف نهارى مع الطائـــفين
وأرفـــع من مئـــزرى المسبـــل

فقال **سفيان** : ما أحسن والله ما قال : ويقول :

واسهـــر ليلى مع العاكـــفين
واتلـــو من (المحكـــم المنـــزل)

فقال : حسن والله جميل ، قال : ان بعد هذا شيئا !! قال **سفيان** : وما هو ؟ قال :

عسى فارج الكرب عن يوسف
يسخـــر لى ربـــة (المحمـــل) !!

فزوى **سفيان** وجهه ، وأومأ بيده أن كف ! وقال : حلالا ، حلالا .

قلت : كذلك كان الناس دماثة وورعا ، ونصيحة ، ومرحا ، وخشية من الله ، وتحاشيا عن معاصيه ، وتفانيا فى مراضيه .. « وكل جان يده إلى فيه » .

(١٧١) من اهل الجنـــة ؟!

لقى أعرابى رجلا من الحاج ، فقال له : ممن الرجل ؟ قال : (باهلى) . قال : أعيذك بالله من ذلك ! قال : أى والله .. وأنا مع ذلك مولى لهم !. فأقبل الاعرابى يقبل يديه ويتمسح به ، قال له الرجل : ولم تفعل ذاك ؟ قال : لأنى أثق بأن الله عز وجل لم يبتلك بهذا فى الدنيا إلا وأنت من أهل الجنة !! اهـ

قلت : إن صحت الرواية : فما أشد التعصب على هذه القبيلة التى أنجبت كثيرا من العباقرة الأبطال ؟! وإن لم تكن الا من نسج الخيال والانتحال .. فما أكرم أن يعطف السائل على رفيقه أو محدثه .. وأن يرثى له ويتبرك به ! اعظاما لابتلائه .. وتأميلا فى حسن جزائه .. والعاقبة للمتقين .

(١٧٢) من الهدى النبوى ؟!

قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ، ومن سره ان يكون أقوى الناس فليتوكل على الله** » اهـ

أقول : وددت لو تواصينا بها بالعشى والابكار .. وأن لو تولى الكبار تلقينها للصغار .. فانها من جوامع الكلم .. وأمهات الحكم ، وما غير الله على أمة الا بما غيرت .. والله يحب المحسنين .. « ربنا عليك توكلنا ـــ واليك أنبنا واليك المصير » .

(١٧٣) ابن القاضى شريح

كان **شريح بن الحارث** شاعرا مجودا ، وقد استقضاه **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه ، فكتب إلى مؤدب ولده ـــ وقد وجده وقت الصلاة يلعب بجرو كلب ـــ وأودع الابيات رقعة وأنفذها مع ولده مختومة إلى المؤدب قال :

ترك الصلاة لأكلب يسعـــى بها
طلب الهراش مع الغواة الرجس
فليأتيـــنك غدوة بصحيفـــة
كتبت له كصحيفـــة المتلـــمس
فإذا هممت بضربـــه فبـــدرة
واذا بلغت به (ثلاثا) فاحبس
واعلـم بأنك ما أتـيت فنـفسه
مع ما يجرعنى أعـز الانـــفس

قلت : وهذا الحد الذى قدره القاضى شريح ،

هو العدل والفصل فى الحالات الداعية إلى الضرب دون الطرح ! وعفا الله عما لقيناه أيام الكتاتيب من الخيزران .. المدبب !. والافعوان المحدب !. وما كنا والله من أهل العناد ولا الشقاوة ، ولا العبث ولا الضراوة ، ولكنها الطفولة والطراوة ، (والمصطكات والكجل) والحلاوة !! ومع ذلك نترحم على من أبكانا ؟ فأضحكنا ! ولا خير فيمن أضحكنا فأبكانا !

١٧٤ الجيد والردىء ؟!

قال شيطان الشعراء دعبل بن على :

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره
ويكثر من أهل الروايات حامله
يموت ردىء الشعر من قبل أهله
وجيده يبقى — وان مات قائله ؟!

قلت : لقد ظلمه من وصفه بالشيطان ؟! وهذا قوله الفصل ، وحكمه العدل ، وقضاؤه الخالد ، ونصحه الراشد !! وما بعده ان ما يقال ، الا ما يتعلق منه بالاذيال . (والله عنده حسن المآل) .

١٧٥ نصيب الطائر

قال نصيب :

وددت — ولم اخلق من الطير — اننى
اعار جناحى طائر فأطير ؟!

قلت : عفا الله عنه .. لقد تمنى وود أن يكون له من الطير جناحاه ليطير . إلى حيث يهوى .. ولو هو ادرك (النفاثات) فما أحسبه إلا (قائدا) مقداما — أو مظليا دواما ؟! وربما تجاوز ذلك إلى استباق الدائرين حول الارض .. والغازين للفضاء .. ولآلمه وامضه وأخجله أن تطوف بها (امراة) هى أولى امرأة اياما وليالى متتابعات .. وعشرات المرات ؟! الا ما أعظم العزم وأقوى الاقدام وما أحقر الخوف وأذل الاحجام .. فالى الامام .. أيها الشباب فما بعد اليوم الا التراب أو السحاب ؟! و « يد فى الكتاب ، ورجل فى الركاب » و « ان فى ذلك لعبرة لأولى الألباب » ؟!!

١٧٦ العجاج .. والهجو ؟!

قيل للعجاج — الرجاز الشاعر — وهو من هو : لم لا تهجو ؟ فقال : ولم أهجو ؟ ان لنا احسابا تمنعنا من أن نظلم ، وأحلاما تمنعنا من أن نظلم ، وهل رأيتم (بانيا) لا يحسن ان يهدم ؟ ثم قال : تعلمون اننى أحسن أن أمدح ؟ قالوا : نعم قال : افلا احسن أن أجعل مكان : (أصلحك الله) قبحك الله — ومكان : (حياك الله) أخزاك الله اهـ

قلت : بخ بخ أيهذا العجاج : هذا هو الأدب الرفيع والخلق الكريم .. وهو ما أمرنا به الشرع القويم والنبى العربى العظيم .. وحسبنا قوله تعالى : ﴿ **وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ .. وما للأدب وفنونه كلها معه من أثر مباشر فى الحياة أجمل ولا أفضل من الارتفاع بالنفوس إلى ما يطهرها ويزكيها .. « وكل إناء بالذى فيه ينضح » .. ومن يضلل الله فما له من هاد ..

١٧٧ أبو العيناء .. والمتوكل ؟!

دخل **أبو العيناء** على المتوكل العباسي فقال له : بلغني عنك (بذاء) ! قال : ان يكن البذاء صفة المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته فقد زكى الله وذم . فقال : ﴿ نعم العبد انه أواب ﴾ .. وقال : ﴿ **هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ فذمه حتى قذفه ، واما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي فقد اعاذني الله من ذلك وقد قال الشاعر :

اذا أنا لم أمدح على الخير أهله ... ولم ازجر الوغـد اللـئيم المذمما

فقيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لى الله المسامع والفمـا ؟

قلت : ولم يعترض المتوكل عليه .. ولا بدا منه الا الاقتناع .. ومن الامزجة ما لا يصلحه الا الاقذاع !! ومنها ما يحاذر أن يشنط به اليراع أو تزلق به الاقدام وتشتط الطباع ! وقديما قال الحكيم :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف فى موضع الندى

أصلح الله أسرارنا وأنار بصائرنا وألهمنا رشدنا وكفانا شر أنفسنا ووقانا عذاب السعير .

١٧٨ مالم يدونه التاريخ

حكى لى الشيخ **محمد على بن الشيخ محمد سعيد أبى الفرج المكى** .. عن أبيه .. رحمه الله ان الشريف **محمد بن عون** .. وكان أميرا لمكة فى القرن الثالث عشر وفى إحدى المرات أبدل **بالشريف عبد المطلب** من ذوى زيد .. وتوجه مع ابنه **الشريف عبد الله** إلى الاستانة كما هى العادة !! فيمن ينحى عن الامارة وأقام ثمة مدة طويلة حتى اعيد إلى مكة أميرا عليها مرة أخرى .

وخلال اقامته فى الاستانة ــ كان ابنه **عبد الله** .. قد تطور وأخذ فى مجاراة عصره .. وتقاليد محيطه العصرى .. ان هو !! فقد كان محافظا على سمته وعوائده .. وفطرته الأولى !! قال : فعاتب **السلطان عبد العزيز العثمانى** ــ وهو آنئذ (الخليفة) .. ابنه **عبد الله** .. وقال له : اين ابوك ؟ لماذا لم يزرنا ! قل له يواجهنى وائتنى به غدا .. فذهب إلى ابيه واعلنه بامر (أمير المؤمنين) .. فتردد ثم قال : ماذا يريد منى ؟ قال : انه يحب ان يراك وان تدعو له .. وربما كان فى ذلك الخير .. فوافقه واستعد لذلك .. وهنا لفت نظره ابنه المشار اليه إلى أن هناك تقاليد ومراسيم فى المقابلة السلطانية .. لابد من اتباعها .. والدقة فى القيام بها .. فمن ذلك ضرورة الوقوف والانحناء .. والتقبيل ! والسكوت حتى يؤذن له بالكلام ! وعدم الجلوس الا برخصة .. و ... و .. فهز رأسه ، وقال : ان شاء الله .. وفى الوقت المعين توجها سوية إلى القصر أو « المابين » .. ورفع امره إلى السلطان فأذن له بالتشرف بالمقابلة .. وصعد فى (زيه العربى) .. وما إن وقع بصره على (الخاقان الاعظم) حتى باداه صائحا .. بقوله : (السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته) .. (وذلك شيء غير معهود ولا مسموح به فى هذا المقام !! فما كان من السلطان إلا أن أجابه برد التحية ووقف .. ومشى اليه واستقبله بكل إكرام وضمه إلى صدره .. وبالغ فى احترامه .. وطلب اليه أن يدعو له بالتوفيق وأكبره لمحافظته على شكله

وزيه وخلقه ودينه .. ولم يتذمر من تصرفه وأعجب به وكان له بذلك المقام المحمود !! وأعيد بعد ذلك إلى الامارة (ربما لهذه الفطرة السليمة) !! والله أعلم .

وبهذا نجد العبرة ونرجو الاعتبار بضرورة تمسك المرء بكل ما يمتاز به فى دينه وسمته ونطقه وصمته .. ونهيه وأمره .. على اساس من العقيدة الصحيحة والخلق الكريم .. وإلا ضاع ما له ولقومه من مميزات وخصائص ومقومات ! والله الهادى إلى سواء السبيل .

(١٧٩) من أفــواه الرواة

وسمعت من فضيلة السلفى الكبير الشيخ **حمد حسين نصيف** أطال الله بقاءه ومتعه بالصحة والعافية : « انه لما عزل الشريف **محمد بن عون** من إمارة مكة .. وتوجه إلى جدة للسفر إلى الاستانة .. وكان فى طريقه من البلدة إلى الميناء للوصول إلى المركب الذى يسافر عليه — وكان شراعيا .. أى قبل أكثر من قرن من الزمن .. وقبل ان توجد البواخر ومن تلك المراكب الشراعية ، ما يبلغ محموله ثلاثين الف طرد .. أو أكثر أو اقل . قال : وكان احد الشامتين به واقفا على الرصيف يضحك ! ويشيربما لايليق ! فانتبه اليه الشريف **عبد الله بن محمد بن عون** .. وعرفه .. وأسرها فى نفسه ! وبعد اعوام ثلاثة عاد أبوه إلى الإمارة مرة أخرى فلما وصل إلى مكة المكرمة استدعى الرجل .. الضاحك الشامت .. اليه ، وقال له : ماذا حصلت عليه من الامير السابق ؟ هل جعل لك وظيفة ؟ هل ساعدك بمال ؟ فحلف انه لم يحصل منه على شيء من ذلك مطلقا .. فقال له : اذن فاطلب منى ما يلزم لك ، فإن كان بيتك خرابا ويلزم له تعمير نعمره لك ؟ فقال : نعم ان بيتى خرب ومحتاج إلى التعمير بنحو مائتى ريال (٢٠٠) فأعطاه ذلك .. وطلب الشريف (الشربات) .. فامتنع الرجل من الشراب .. خشية أن يكون سما (هاريا) ! فأدرك الامير توجسه وظنه فأخذ الكوب وشرب قبله منه .. فاطمأن قلبه وشرب وانصرف يشكر ويدعو .. وهو يكرر للناس هذه الحكاية .. وصدق الله العظيم : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** .. ﴾ والله أعلم .

(١٨٠) ومن افواه الرواة ايضا! خراز القرب

ومما سمعته من فضيلته أيضا فيما يرويه عن المسنين انه : « بلغ أمير مكة الشريف **عبد الله بن محمد بن عون** ان خرازا للقرب بسوق المعلا .. كان يشيع دائما أنه يجرى فى (وقت حديثه) تبييض وتعمير قصر (القرارة) .. وكان مقر الامارة — لذوى **زيد** .. وذلك بزعمه — لان الامارة وجهت للشريف (**عبد الله المطلب**) .. كما هو مكتوب فى ختمه (**عبد الله المطلب**) وان هذا الخراز كان مستأجرا بيتا ودكانا يسكنهما من أوقاف (آل غالب) واجرة كليهما فى السنة خمسة وعشرون ريالا .. قال الراوى : فأمر الشريف **عبد الله بن عون** بإحضار الخراز وقال له : هل أنت تخرز (قرب الامارة) أيام الحج .. ام لا ؟ فقال : لا ! لأن شيخ الخرازين يختص بذلك اصحابه ويفضلهم عليه وانه لم يخرز للامارة شيئا ابدا !! فقال له : قد أمرنا الشيخ بأن يجعل لك حصة من القرب تخرزها .. ونفحة بخمسين ريالا . (وهى ما هى لمثله فى زمنه) ! قال ثم

تعقبه المخبرون وقالوا : ان الخراز لم يفتر لسانه عن ذكر (محاسن دولة سيدنا) فقال : **قطعنا لسانه بالاحسان** .. » .

وهكذا كان التصرف الحكيم .. والخلق الكريم .. خلافا لما يروى عن بعضهم قديما من انه اذا سمع إشاعة كهذه .. اشتعل غيظه .. وقذف بمن يرمى بها إلى أعماق السجن ولو هلك .. وكل ميسر لما خلق له (والخير أحسن ما أوعيت من زاد) .

(١٨١) سوق عكاظ

(تحديدات القدامى والمحدثين)

عن **ياقوت** قال :

« وقال **الاصمعى** : (عكاظ) » نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال . وبه كانت تقام سوق العرب بموضع — منه يقال له (الايثداء) وبه كانت أيام الفجار . وكان هناك صخور يطوفون بها ويحجون اليها .. » اهـ

وعن **الآلوسى** ، قال :

« وقال **محمد بن عبد الملك الاسدى** : حد الحجاز ، الأول بطن نخلة وظهر حرة ليلى . والحد الثانى مما يلى الشام شعب وبداء والحد الثالث مما يلى تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع شابة وودان . ثم ينجدر إلى الحد الأول » .

« وقال **أبو عبيدة** .. انه كان بعكاظ أربعة ايام — يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، ويوم شرب ، ويوم الحريرة ، وهى كلها عكاظ » .

وقال **اللميانى** : « هو موسم معروف للعرب بل كان من أعظم مواسمهم وأسواقهم .. وهو نخل فى واد بين نخلة والطائف . وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن » .

وقال (**باسلامه**) : « أصح الأخبار فى ذلك والذى ينطبق على الواقع هو قول **أبى عبيد** : (هى صحراء مستوية لا جبل فيها ولا علم . وهى بين نجد والطائف) . وأردف ذلك بقوله : « وهذا الموضع الذى تحدد بقول **الأصمعى** ان بينه وبين الطائف ليلة . وبينه وبين مكة ثلاث ليال . والذى تبين شكل موضعه بقول **أبى عبيدة** هى صحراء مستوية لا جبل بها ولا علم . وهى بين نجد والطائف يدل دلالة قطعية انها « ركبة » .

وقال **البكرى** فى معجم ما استعجم :

« عكاظ نخل فى واد بين مكة والطائف على مرحلتين من مكة ومرحلة من الطائف . وموقعها جنوب مكة إلى الشرق . وتقوم فى مكان يعرف بالاثيداء فيه مياه ونخل وهو مستو لا علم فيه ولا جبل إلا ما كان من الانصاب التى كانت لأهل الجاهلية . وبها من دماء البدن كالارحاء العظام . كانوا يطوفون حول صخور فيها . وربما كان ذلك شعيرة من شعائرهم فقد ذكروا أنهم كانوا يحجون اليها . وبالاثيداء كانت أيام الفجار » .

ورجح **الزركلى** فى « ما رأيت وما سمعت » و « أرسلان » فى الارتسامات اللطاف انه « فى القانس بموضوع القاوى : أى السيل الصغير » .

وفى « **تاج العروس** » : قال **الأصمعى** : عكاظ نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه كانت تقام سوق

العرب . وقال : قال الزمخشرى : « عكاظ ماء بين نخلة والطائف إلى بلد يقال له الفنق كانت موسما من مواسم الجاهلية ــ وفيه تقول العرب : انت مرة تعكظ ومرة تنكظ . والأولى تمنع . والأخرى تعجل » !

وروى **الأزرق** ، قال : وقال **أبو الوليد** وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء فى عمل الطائف على بريد منها . وهى سوق **لقيس ابن عيلان** وثقيف وأرضها لنصر » .

وقال **ابن رسته** صاحب كتاب « الاعلاق النفيسة » وهو كتاب القرن الرابع وصفا للطرق التى تصل بين مكة والطائف : « تأخذ على بئر **ابن المرتفع** ثم إلى قرن المنازل وهو ميقات أهل اليمن للاحرام (وقرن المنازل فى عصرنا الحاضر ميقات أهل نجد) ومنها تعدل إلى الطائف .. والطائف مخلاف من مخاليف مكة وعمل مكة مما يلى نجد نجران . وقرن والفتيق وعكاظ والطائف الخ .. » .

ويقرر المستر **فيلبى** ان عكاظ موقعة فى (السيل الصغير) .

وذكر **هيكل** فى كتابه « فى منزل الوحى » انه يميل إلى ان عكاظ يقع فى السيل الكبير فى موضع يقال له (الخر) من واد ويقال له (غسلة) وراء جبل يسمى (دما) عند آثار بناء فى تخوم الأرض مستوية مع سطحها يدل وجودها على وجود عمارة قديمة فى المكان تتألف من ثمانى غرف حسنة البناء ليست فى شيء من منازل البدو » .

« وفى الروايات التى ذكرها أنه يقع فى (آخر وادى ركبته المتصل بوادى عشرة) . وانها عند السيل الصغير ــ وانها بالسيل الكبير ، وانها بوادى عقرب فى شرق الطائف بعد قليل من أم الحمض » .

« وزار عشيرة ومال إلى أنها قد تكون هى (عكاظ) لانفساحها ووجود الماء فيها . الا أنه لم يقطع بذلك لاختلاف الوصف المتواتر من جهة أن عكاظ يقع على مرحلة من الطائف ومرحلتين من مكة فى الطريق » .

هذا عدا ما قرره ودلل عليه المرحوم الدكتور **عبد الوهاب عزام** فى رسالته عن سوق عكاظ بالاشتراك مع المرحوم المؤرخ الاستاذ الشاعر الشيخ **محمد بن بلهيد** وما علق عليه فى ذلك الاستاذ **حمد الجاسر** .

قلت : ان هذا البحث يستدعى تأليف هيئة علمية أثرية قوية الاطلاع على مختلف الروايات والنصوص والمواقع للوقوف عليها والقطع فيها برأى حاسم لما فى ذلك من تجلية للغموض والالتباس ولا سيما للاجيال المقبلة . وما يستطيعه البحث العلمى الآن فى ذلك لتقرير الحقيقة .. السير فيما لو ترك دون تحقيق للمستقبل البعيد .. ولابد من البت فيه بصورة فاصلة قاطعة فانه أحد الآثار والمآثر العربية الخالدة .

وكذلك هى الحال فى (وعى الحجاز) ، و (مجنة) وهما من أسواق العرب أيضا . وتقعان فى ضواحى مكة المكرمة القريبة . والله أعلم .

(١٨٢) ابن فهد المؤرخ

انها لطرفة لطيفة أن يكون العلامة **جار الله بن فهد القرشى** صاحب التاريخ المعروف .. وهو من أجلة العلماء واكابر الادباء .. فى أواخر القرن التاسع الهجرى بمكة .. « تلميذا لامراة تدعى (استيته) بنت **كمال الدين محمود بن شيرين** . وهى كما قال **العصامى** عنها : اديبة عجيبة فاضلة كاملة من جملة تلامذتها الشيخ العلامة **جار الله بن فهد القرشى الظهيرى** » .

وأقول : ان القصة أو الرواية كلمة (استيته) فهى قديمة الاستعمال .. من قبل هذا التاريخ ..

وأغلب الظن انها تصغير (ستى) .. وهى فى الاصل (سيدتى) .. وكان الله فى عون الباحثين عن الاصول والفروع ــ والقديم والحديث .. والأصيل والدخيل غير ان الاشتغال بذلك ــ فيه كثير من السلوى .. ولا يخلو من التفكيه ! والفائدة .. ويصل الحاضر بالماضى .. وإذا كان لى من تعليق بعد ذلك على شيء فى هذا المعنى .. فهو تلاشى صيغ التكريم ــ حتى بين الستات والبنات .. فما تكاد كلمة (استيته) تسمع منذ سنوات وهو ما يدل على (الكبرياء) .. أو (التكبر) .. وتوقير الكبير واجب على الصغير .. كما يجب أن يعطف الكبير على الصغير ويأخذ بيده إلى الخلق الكريم .. والعمل الصالح .. ويبذل له النصيحة فى دينه ودنياه .. والحياة حلقات آخذ بعضها برقاب بعض . وكل امرىء بما كسب رهين .

١٨٣ تعليم البنت

(مر **الوليد بن عبد الملك**) بمعلم كتاب .. فوجد عنده (صبية) ! فقال : ما تصنع هذه عندك ؟ فقال : اعلمها الكتابة والقراءة .. قال : فاجعل الذى يعلمها أصغر منها سنا ! اهـ

قلت : ومن هذا نتبين أنه لم ينكر تعليم الصبية ــ الكتابة والقراءة .. وفى (المصحف الشريف) .. بل نصح بأن يكون الذى يتولى تعليمها من الاولاد أصغر منها سنا .. والغاية من ذلك لا تخفى على أهل الفطن .. ولو كانت ثمة مدرسة خاصة لهن ومدرسات صالحات تقيات .. لما احتاج إلى هذه الوصية .. ونرجو من الله تعالى أن يجمع لهن بين الطهر والعفاف والتقى .. وأن يعينهن على تربية الأجيال الصاعدة .. والقيام بواجبات (الأمومة) و (الزوجية) فى خشية من الله وغبطة بالحياة .. واحتراز من كل ما يشين ولا يزين .. والله ولى المتقين .

١٨٤ الطندباوى بمكة

« واجتمع القواد فى أسفل مكة بمحل يسمى الطنبداوى » ــ وذلك فى موسم عام ٨١٧ هـ

قلت : وكنت أحسب فى هذه التسمية تصحيفا ــ وأميل إلى أنه (التنضباوى) وعللت ذلك بأنه كان به هذا النبت الذى يسمى (التنضب) ؟! إلا أن يكون التحريف قد سبق هذا الزمن الطويل .. وهو ما ارجحه لان (الطنبداوى) ــ لا معنى له .. فيما اظن .. والله أعلم .

١٨٥ النوارية

هناك جبل إلى يسار الذاهب من التنعيم إلى (سرف) و (وادى مر) أو مر الظهران المسمى بوادى **فاطمة** منطقة من الجبال .. كانت ولا تزال مصدراً للكلس أو النورة البلدية ــ ومنها بنيت بيوت مكة من عهود بعيدة ويطلق عليها (النوارية) ! وقد قرأت فى تاريخ **العصامى** انها كانت فى عام ٩٠٣ معروفة بهذا الاسم .. فهى من مصانع مكة العتيقة . ولو استخدمت إلى جانبها الآلات الحديثة .. لأنتجت كميات تجارية ضخمة .. وما أكثر مصادر الثروة فى جبالنا ورمالنا ؟ .. ولعل مواد البناء بعد الآن تأخذ أوضاعا يستغنى بها عن النورة (بالبلاستيك) وما هو فى معناه وربما بالحديد والبلور ؟! (ومن يعش ير) .

١٨٦ الفيل العراقي

« وفى موسم سنة ٧٣٠هـ اتفق أن أهل العراق جاؤا بفيل عظيم جعلوا (محملهم) عليه ــ فتطير العالم منه ــ وقالوا ، هذا عام الفيل ، ثم دخلوا به

مكة ووقفوا به بعرفة ــ ثم توجهوا به إلى المدينة المشرفة ، فلما وصلوا (الفريش) وقدموا على البيداء أوقفه الله فلم يستطع المشي .. فضربوه ضربا مبرحا فلم يبرح .. فلم يزالوا يضربونه حتى مات هنالك » اهـ .

قلت : إذن يكون هذا الفيل ــ هو الثاني ــ بعد (فيل الحبشة) ! أما الثالث فهو (فيل أمير مكة **الشريف عون الرفيق**) وقد مات قبل وفاة الشريف بقليل فى حدود عام ١٣٢٣هـ .. ولا يزال بمكة رجل صديق يكبرنى سنا قال لى : قد أركبتك على ظهر الفيل وأنت طفل صغير .. فى (قاعة الشفا) بمكة .. وجاء أبوك وضربنى كفا ــ وانزلك منه .. ولا أذكر هذا مطلقا ، ربما للطفولة فاننى حينئذ لم أتجاوز الرابعة إلى الخامسة .. لأننى مولود فى ربيع الأول ١٣١٨هـ .

ولم اعلم ان كان هذا الفيل الثالث قد كتب له أن يحج إلى عرفات كسابقه أم لا ؟ ــ وكل ما علمته أنه كان بين مكة والطائف .. تارة هنا وتارة هناك .. وانما هى استطرادات فيها بعض الذكريات .. « والذكريات صدى السنين الحاكى » .

١٨٧ اليــابــا

إذا أقبلت على المعلم البناء أو النجار أو (المنقل) بادرته بقولك .. « عواف يابا » تكريما له وتطييبا لنفسه .. وتقديرا لعمله ودعاء لاعانته وعافيته .

فما هي حقيقة (اليابا) هذه ؟ انها في الواقع ذات أصل مكين .. ومعنى رصين .. فهي « يا أبا » فحذفت الألف .. تخفيفا .. فهو يقول له يا أبتى والدليل على قدم استعمالها وعراقتها أن (**العليف**) شاعر البطحاء .. استخدمها فى إحدى قصائده فى أوائل القرن العاشر بمكة .. فقال :

انت (يابـــــــــا) زهير أعلى محلا
فعـــلام الهنـــاء والاعـــلام ؟
لم ترثــــه كلالــــة لا
ولا العهــد حديث به ولا الايــام

١٨٨ شاعر البطحاء ٩١٥ هـ

كان فى عهد الشريف **بركات بن محمد أبى نمى** ــ فى مكة المكرمة ــ شاعر عظيم يسمى **شهاب الدين احمد بن الحسين بن العليف** .. ويطلق عليه (شاعر البطحاء) وله قصائد وخرائد مطربة .. تدل على أنه من الطبقة المجددة .. المتطورة .. كما يتضمن شعره فى معانيه ومبانيه كثيرا من نوادر الأدب القديم .. واصطلاحاته ومأثوراته وأوابده .. وكان حقا علينا ان نحيى ذكره ونحييه .. وعسى أن يظفر الجيل الصاعد بمن ينشر له ما طواه الزمن من آثار السابقين ومزايا النابغين من ابناء هذا البلد الأمين .. (وكل من سار على الــــدرب وصل) !

١٨٩ الهلال . والحجاج والدفاتر

« عن **ابن شهاب** قال : خرجنا مع الحجاج (حجاجا) فلما انتهينا إلى البيداء وافينا ليلة الهلال هلال ذى الحجة ، فقال الحجاج : تبصرون

الهلال ؟ فأما أنا ففى بصرى غبرة فقال له **نوفل بن مساحق** : أو تدرى لم ذلك أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أدرى قال : لكثرة نظرك فى الدفاتر » اهـ

قلت : هذا كان فى عصر الحجاج ، وقبل المطابع والمطبوعات التى لا يشبع منها القلب والسمع والبصر .. ثم قبل هذه الاضواء القوية الخاطفة من الكهرباء .

ولقد أدركت جدى وأعمامى .. وهم خطاطون مشهورون ، وقد تجاوز كل واحد منهم الثمانين حولا من عمره .. وما اضطر إلى استعمال (النظارة) وكان أحدهم إذا جلس للسمر .. (فى داره) جعل بينه وبين الضوء حاجزا حتى لا يجهره ويؤذى بصره ! وعسى ان لا تكون دفاتر الحجاج ذات علاقة بالجبايات والمحاسبات ؟ فهى بذلك مضاعفة لعناء العين .. والفكر .. والحواس كلها .. والاعتدال خير فى جميع الأحوال .

١٩٠ (الكراع) ـ لغـــة !

يطلق (الكراع) على كل ما هو حيوان مركوب من خيل وبغال وحمير وجمال .. فيما اصطلح عليه الأقدمون .. فهل يجوز للمتأخرين .. فى عصرنا هذا اطلاقه على ما هو بديل أو رديف للحيوان من المركوبات الحديثــة .. كالطيـــارات والصواريخ والدبابـات والسيـارات والدراجـات ؟! أم لا بد للمجامع اللغوية من احداث أسماء جديدة لها تتفق مع مزايا كل واحدة منها ؟ وما هو رأى شيخنا **الأنصارى** فى هذا الاستفتاء ؟ وبهذه المناسبة أتذكر أن هناك بين مكة والمدينة ـــ فى أغلب الظن ـــ مكانا يطلق عليه (الكـراع)[1] .. فهـل كان مجمعا ـــ (للأكرعة) ؟! أم له معنى غير هذا ؟! لعلنا نظفر والقراء الكرام بتعليق شاف عن ذلك من أستاذنا الجليل أبى (**نبيه**) بارك الله فى حياته الحافلة بالخير والافادة .

---

١ ـــ « المنهل » : الكراع فى أوله بضم أوله وآخره عين مهملة : طرف الشىء وكراع الأرض ناحيتها ، وما سال من انف الجبل أو الحرة ، واسم لجمع الخيل والكراع من البقر والغنم : بمنزلة الوظيف . من الفرس وهو مستدق الساق ، وقيل : الكراع من الدواب : ما دون الكعب ومن الانسان ما دون الركبة من مقدم الساق .

ويطلق لفظ الكراع على الخيل والبغال والحمير .. من باب اطلاق الجزء على الكل .. والكراع اختصار لصيغة (كراع الفحيم) .. يقول عنه ياقوت (انه موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد امام عسفان بثمانية أميال وهذا الكراع جبل اسود فى طرق الحرة يمتد اليه .. والكراع الغميم ذكر فى السيرة النبوية يقول ابن هشام فى غزوة بنى لحيان : (ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم) ويقول فى موضع اخر فى أمر الحديبية : (وخرج رسول الله ﷺ حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم ابدا .. وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم) واعتقد جازما ان كراع الغميم هو المعروف اليوم شمال جدة فى طريق المدينة المنورة باسم الكراع (تخففا من العامة) .. وهو الذى يعنية الأستاذ الجليل الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوى فى (شذرته الذهبية) هذه .. كما اعتقد انه المكان الذى ساخت فيه قوائم فرس سراقة بن جشم مطارد الرسول وصاحبه فى هجرتهما إلى المدينة من قبل قريش .. بدليل ما جاء فى سيرة ابن هشام ايضا عن الطريق التى سلكها الرسول فى الهجرة النبوية قال : ـــ ثم مضى بهما ـــ أى مضى الدليل عبدالله بن أرقط بالرسول ﷺ وصاحبه الصديق رضى الله عنه ـــ على الساحل ، (وذلك بعد خروجهما من غار ثور) حتى عارض الطريق اسفل من عسفان ..) .

وبكل هذا نصل إلى النتائج التالية :

أولا ـــ ان الكراع المعروف لليوم والذى بنى عليه جسر ليفيض من تحته فائض خليج البحر .. هو كراع الغميم .. واعتقد انه سمى كراعا لانه طرف من الساحل يعلوه البحر انا ويجزر عنه أخرى .

ثانيا ـــ مصطلح الأقدمين فى تسمية الخيل والبغال والحمير بالكراع لا أعتقد صحة إطلاقه على السيارات ووسائل الركوب الحديثة مطلقا للفرق الكبير .. ان العرب إنما اطلقوا على مراكبهم الحيوانية الاسم المذكور من باب المجاز .. من باب اطلاق الجزء على الكل مثل قوله تعالى ﴿ يدخلون اصابعهم فى آذانهم ﴾ وهم إنما يدخلون فى آذانهم بعض انامل الاصابع والسيارات ليس لها كراع كوظيف الخيل حتى تسمى باسم الكراع .

١٩١ مقاومة الذباب قديما وحديثا

قيل لحصين ـ « اتغديت عند فلان ؟ قال : لا لا ، ولكنى مررت به يتغدى ، قيل : فكيف علمت انه يتغدى ؟ قال : رأيت غلمانه ببابه فى أيديهم قسى البنادق يرمون الذباب فى الهواء ! » اهـ

قلت : أورد هذا صاحب العقد الفريد ، وما أحسبه إلا من باب التفكيه والتمليح .. غير أن ثمة فائدة أخرى نستخلصها من الخبر .. وهى إمكان مطاردة الذباب بقسى البنادق ؟! ولقد والله عاث فى عباد الله ـ بشكل ممض جارح فادح ! فهو من النوع الثقيل الدم ـ ان كان فيه أوله من دم غير ما يعبه هو وابن أخيه الخبيث (البعوض أو الناموس) .

١٩٢ الشرم ـ والبرك

قال **عثمان بن مظعون** من مقطوعة يعاتب بها ابن عمه **أمية بن خلف** حين أخرج من مكة :

أتيم بن عمرو للذى جاء بغضة
ومن دونه (الشرمان) و (البرك) اكتع

قال المؤلف ـ **ابن هشام** : (الشرمان) ـ الشرم البحر ـ وقال الشرمان بالتثنية لأنه اراد البحر الملح ـ والبحر العذب ـ وذلك ربما عنى به (النيل) فى هجرتهم إلى الحبشة .. والشرم من شرمت الشىء إذا خرقته .. قال : و (البرك) ما اطمأن من الأرض أو اتسع ولم يكن منتصبا كالجبال .

قلت : وخير لنا أن نفهم هذا ونعلنه للأجيال الصاعدة .. تاكيدا بأن من الأسماء ما هو معلل ! ومن البلدان ما هو محلى أو معطل ؟ وعسى أن نظفر بمثل ذلك فى (القنفذة) .. فلعلها سميت بذلك لانطوائها فى (منطقة حول الشاطئ) ـ أو لأن أطرافها ـ مواطن للقنافذ ! أما هى فى حاضرها فبلد طيب وثغر باسم ـ وتقدم نافذ .

١٩٣ من آبار مكة المكرمة !

ذكروا أن (**قصيا**) كان يسقى الحجيج فى حياض من ادم ، وكان ينقل الماء اليها من آبار خارجة عن مكة منها « بئر ميمون الحضرمى » .. وكان ينبذ لهم الزبيب ، ثم احتفر قصى (العجول) فى دار (**أم هانئ**) **بنت أبى طالب** ، وهى أول سقاية احتفرت بمكة وكانت العرب اذا استقوا منها ارتجزوا فقالوا :

نروى على العجول ثم ننطلق
ان قصيا قد وفى وقد صدق

قالوا : فلم تزل العجول قائمة حياة قصى وبعد موته حتى كبر **عبد مناف بن قصى** فسقط فيها رجل من **بنى جعيل** فعطلوا العجول واندفنت ، واحتفرت كل قبيلة بئرا واحتفر قصى (سجلة) وقال حين حفرها :

أنا قصى وحفرت سجله
تروى الحجيج زغلة ـ فزغله

قلت : استوقفى فى هذا الخبر .. ان العجول حفرت بدار أم هانئ ! ـ وقد ادركنا (بها بئرا عظيمة .. كانت مباءة لأهل (قناديل المسجد الحرام) .. تغسل فيها وتنظف قبل الكهرباء وادخالها اليه .. وأحسب أنها هى (العجول) ..

لتحديد موقعها وتواتر الخبر عن « موقع دار أم هانئ » وهى (بما كان يطلق عليه باب الحزورة أو باب الوداع .. ولا أدرى ان كان قد أبقى عليها بعد مشروع التوسعة الجديدة أو أنها ردمت .

وأن فى بقاء الآبار الاثرية لإحياء لما كان قائما من السقايات .. وان أغنى الله عنها بفضل الله العظيم وبما هيأه ولاة الامر — أعانهم الله على كل خير — من توفر المياه فى المدن والحواضر والقرى وخاصة فى سبل الحج .. وانها لمنة كبرى أن يبلغ الحجيج المليون من الانفس .. وأن لايشعروا بأية مضايقة من قلة الماء .. مع ارتشافهم وانتهالهم وعملهم من المشارع والمسابل المنتجة .. والله لا يضيع أجر المحسنين .

١٩٤ عمامة أبي أحيحة

روى **الجاحظ عمرو بن بحر** ما قيل فى (عمامة) سعيد بن العاص الملقب بأبى (احيحة) هذه الابيات :

وكان ابو احيحة قد علمتم
(بمكة) غير مهتضم ذميم
اذا شد العصابة ذات يوم
وقام إلى المجالس والخصوم
لقد حرمت على من كان يمشى
(بمكة) غير محتقر لئيم

وفيها قال الشاعر :

ابو احيحة من يعم عمته
يضرب ! وان كان ذا مال وذا عدد

قلت : سبحان الله — ما أظن هذا التمييز قد كان كرها — وإنما هو بالطوع والاختيار لمن يستحق الكرامة والاكبار .. والا فإن مكة كانت تموج بالكبار .. وذوى المكانة والاعتبار .. وكلهم من أهل العمائم ! وهى من علامات العرب الاخيار ولعل الشباب الناهض والجيل الصاعد .. لا ينسى هذه السمات فانها سيماء الاماجد .. وكفانا الله شر التقليد و (الكابوس) !! ولا بأس بالتشمير (للفلوس) و (بالفؤوس) ولكل صنعة زى ولبوس .. ولو كان ذلك فى معاصر الزيت ! وادارة (القادوس) ! وفى معامل الحديد — أو توفير الابرة والدبوس !

١٩٥ «فج» بمكة (ودج) بالطائف

فى رواية .. ان بلالا قال وهو يتشوق إلى مكة :

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة
(بفج) — وحولى اذخر وجليل ؟!
وهل اردن يوما مياه « مجنة » ؟
وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟!

قلت : وكنا نقرؤها (بواو) .. لا « بفج » .. وظفرت بها فى « **السهيلى** » .. وعقب عليها بقوله : « ففج » خارج مكة .. به (مويه) يقول فيه الشاعر :

ماذا بفج من الاشراق والطيب ؟
ومن جوار نقيات رعابيب ؟

فأما « وج » فانه معلوم الجهة .. وهو وادى الطائف الممرع وعلى طرفيه (تقوم الحدائق والبساتين ويثمر الخوخ والعنب والتين .. والفل والورد والياسمين .. والحمد لله رب العالمين .

أما وقد رويت على هذا النص .. وبهذا التفسير الصريح .. فإننى أكاد أجزم أنه « أى فجا » .. الوادى الذى يصعد منه المتوجه من بطن جرول إلى (كداء) .. أى الحجون ويتحقق ذلك .. بأن صاحب الروض الأنف زاد على ذلك قوله : « وبفج اغتسل رسول الله ﷺ وهو « محرم » .. وما كان ذلك إلا من (بئر طوى) .. ولا تزال مكانها فى هذه المنطقة .. وهو ما عبر عنه آنفا بقوله : « به مويه » .. ولا يزال أكثر المالكية حريصين على الاغتسال فيه محرمين ! والله أعلم .

(١٩٦) حقيقة التنبـــلة

قال **معبد بن ابى معبد الخزاعى** يصف جيش رسول الله ﷺ فى غزوة أحد :

كادت تهد من الأصوات راحلتى
اذا سالت الارض بالجرد الابابيل
ترمى بأسد كرام لا (تنابلـة)
عند اللقاء ــ ولا ميل ــ معازيل

والشاهد هنا (لا تنابلة) .. قال **ابن هشام** : (التنابلة القصار) .. وأحدهم (تنبال) من النبل ــ وهى صغار الحصى .. وتطورت بها المفاهيم والمدلولات بعد ذلك حتى صار لها هذا المعنى الاصطلاحى العام .. وهو العجز والكسل والملل والاخلاد إلى الراحة وعدم الحركة .. كل ذلك مجتمعا ومتفرقا ينعت به (التنبل) .. وأشهد أن والدى رحمه الله .. قال لى مرة فى (الجعرانة) فى (بشكة) أى (جماعة) كل من فيها كان قائما بخدمة ما ولما أتجاوز الثامنة : قم شارك اترابك ــ يا تنبل » .. وأتذكر اننى قضيت ليلتى كلها أبكى أن أكون تنبلا !.. وبرهنت على الفور اننى من (العيال المفاليح) حركة ونشاطا ومرحا واغتباطا .. وقد عادت لى (الشيخوخة) إلى الركون والسكون ! ــ وكل ما قدر يكون ! ــ وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١٩٧) أوسط « المحلة » !

من شعر **زيد بن عمرو بن نفيل** ــ وكان متعبدا .. إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال :

لبيك حقا ــ حقا تعبـــدا ورقـــا

قوله ــ وقد ضيق عليه الخطاب بفتيان مكة .. وطارده من منزله إلى « حراء » وما جاورها :

لاهـــم انى محرم لا حلـــه
وان بيتـــى أوسط المحلـــه
عند (الصفا) ليس بذى مضله

قلت : وهكذا يثبت هذا النص التاريخى أن « الصفا » من مكة أوسط المحلة .. وهو بلا شك كان ولا يزال فى مكانته من حيث الشرف والتوسط .. والقرب من بيت الله الحرام .. وهو « من شعائر الله » .. فهنيئا لمن جاوره وعرف حقه .. وأداه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(١٩٨) جبل واسط في مكة

جاء فى (الروض الأنف) : قال **الحميدى** : كان **سفيان** ربما أنشد هذا الشعر . أى :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
انيس ولم يسمـر بمكـــة سامـــر
ولم يتربـــع (واسطـــا) وجنوبـــه
إلى السر من (وادى الاراكة) حاضر

وأبدلنــــى ربى بها دار غربـــة ،
بها الجوع باد ، والعدو المحاصر

قال الحميدى : (واسط الجبل الذى يجلس عنده المساكين إلى منى) .

قلت : اذن يكون (واسطا) هذا الجبل الشامخ إلى يمين الصاعد من مكة إلى (منى) أمام (الجمرة الكبرى) أو (جمرة العقبة) ويمتد إلى مسجد الخيف !! وهو الذى ينزله دائما أهل اليمن فى أغلب المواسم .. والعجيب تسميته بجبل المساكين .. وأعجب منه أن الطريق اليه من بطن مكة وأبطحها .. يسير فى حذائه الأيمن من (الروضة) و (المحصب) وما زال حتى يومنا هذا يسمى طريق (المسكين) ! هذا قبل أن تسلك السيارات السهل الممتد شمالا ، وجنوبا وشرقا وغربا إلى (عرفات) ، أما بعد ذلك .. فكل ما سلكه الناس غيرها فهو طريق المساكين .. حيثما انطلقت بهم السبل إلى (المعرف) .. ويجب أن يطلق على ذلك الجبل هذا الاسم وينعت به فى تعريفه الآن ويعلم بذلك أهل (الدبرة) .. واشهاد المواسم فما على ذلك ريبة بعد هذا التعريف وحسبك حجة على صحة ذلك قوله : وجنوبه « وادى الاراكة » .. فانه لا يزال ثمة ما يطلق عليه (وادى الاراك) إلى الجنوب الواغل فى هذه الناحية .. وفى المثل (أهل مكة أدرى بشعابها) وعنهم نأخذ وبهم نستشهد والله أعلم .

١٩٩ المولود فى بطن الكعبة

« جاء فى (الروض الأنف) أن أم حكيم ابن حزام دخلت الكعبة وهى حامل متم بحكيم بن حزام فأجاءها (المخاض) فلم تستطع الخروج من الكعبة فوضعته فيها ، فلفت فى الانطاع هى وجنينها وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها فجعلت (لقى) لا تقرب » .

قلت : ولم يرو التاريخ منذ فجره حتى الآن أن وليدا ولد بجوف الكعبة غيره .. ومن هذا يتعين أن لا يسمح لحامل ، أو مقاربة .. بالدخول إليها خصوصا وقت الموسم وازدحام الناس والتحام الاقدام والاجسام !! لئلا يتكرر الحادث مرة أخرى ولو بعد أربعمائة والف عام !

٢٠٠ أصل المكتل

« فى حديث أنس أنه حين استقبلتهم (عمال خيبر) بمساحيهم ومكاتلهم .. فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه .. فأدبروا هربا .. فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر خربت خيبر .. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) وفسر المكتل بانه القفة العظيمة سميت بذلك لتكتل الشيء فيها وهو تلاصق بعضه ببعض .. » .

قلت : وأدركنا الناس يطلقون (المكتل) على (الزنبيل) وخاصة « للمقاضى » أو استيعاب (اللحم والخضار) .. وكنت أحسب سبب التسمية أنه يكتال فيه .. من الكيل .. لا سيما اذا فرغت فيه المكيلات كالحب والارز وما إليها .. اما ان تكون التسمية ــ مشتقة من التكتل .. فلا أبعد أنه كان كذلك فى العصر الأول .. وانما ادركه المعنى الجديد .. تمشيا مع التطور المتلاحق ! ..

٢٠١ سعيد بن العاص في قومه

قال الفرزدق :

ترى الغر الجحاجح من قريش
اذا ما الامر فى الحدثان عالا
قياما ينظرون إلى سعيد
كأنهمو يرون به الهلالا

وكان مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت قد حسده ! فقال له : قل : « قعودا ينظرون إلى سعيد » ! فقال له الفرزدق : والله يا أبا عبد الملك الا قياما على الاقدام .. » اهـ

قلت : ما كان للفرزدق أن يراغم مروان ومن فى طبقته من رجالات قريش وفى عقر دراهم ومعاقد عزهم وقرارهم — لولا ما لسعيد بن العاص من مكانة لا تدانى ، ومكام لا تجحد .. وان له « شعبية » لا تنازع بما بلغ من مستوى عال بين ربعه وعشيرته !! وهكذا يكون المجد والشرف .. وسيد القوم خادمهم .. وبهذا يتميز الرجال ويحفظ لهم التاريخ محامد الخلال وصالح الأعمال .

٢٠٢ ماهي الولولة ؟

قال أبو دجانة سماك بن خرسة : فى (غزوة أحد) : رأيت انسانا يحمش الناس حمشا شديدا فعمدت له فلما حملت عليه السيف (ولول) .. فاذا امرأة فاكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .. »

قلت : والشاهد هنا قوله (ولول) .. ولا تزال الكلمة دارجة على الألسنة فى كل جيل وقبيل وحاضرة وبادية .. فاذا ما استعظم احد امرا أو أصابه شر .. أو بلاء .. أو عناء قال : (ول ول) .. وهى بمعنى الاستخذاء .. وأخيرا استعملها (الغوغاء) فى عرض الاستهزاء .. فاذا ما سمع مالا يرضاه .. قال (ول) ! وكفانا الله الولولة والمولولين واللولوة والملولوين ؟! .

٢٠٣ البغال في طريق الطائف ؟!

«عن الليث بن سعد قال: بلغنى أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف اشترط عليه (الكرى) أن ينزله حيث شاء ! قال : فمال به إلى خربة ، فقال له : انزل فنزل فاذا فى الخربة قتلى كثيرة .. قال : فلما أراد ان يقتله قال : دعنى أصلى ركعتين ؟ قال : صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا !! قال : فلما صليت أتانى ليقتلنى . قال : فقلت : (يا أرحم الراحمين) قال : فسمع صوتا : (لا تقتله) قال: فها ذلك فخرج يطلب أحداً فلم ير شيئا.. فرج إلىّ فناديت: «ياأرحم الراحمين».. ففعل ذلك ثلاثا فاذا أنا بفارس بيده حربة حديد فى رأسها شعلة من نار فطعنه بها فأنفذه من ظهره فيرقع ميتا ثم قال : لما دعوت المرة الأولى : يا أرحم الراحمين كنت فى السماء السابعة ، فلما دعوت المرة الثانية : يا أرحم الراحمين كنت فى السماء الدنيا ، فلما دعوت الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك » اهـ

وما أريد بهذا الا رواية ما أدركنا .. وما أصبح أثراً بعد عين .. فقد كانت للبغال مرابط

ومرابد .. ولأكرياتها ومميزاتها دلائل وشواهد .. وما غائب كشاهد ؟! وأين من الشواهين القنافذ ؟! وأنها لاحدى المشاهد وكم حل بها وارد وظعن بها وارد ؟!

قلت : ومع ما فى القصة من التجاء ودعاء وتضرع واجابة .. فان فيها ما يدل على أن استعمال « البغال » فى المواصلات بين مكة والطائف قد كان قديما يمتد إلى ما قبل الف عام — وقد أدركناها — وما كان أكابر القوم وأهل اليسار يركبون سواها إلى الطائف عن طريق الكر ، وكرى ، وما بعدهما من «المعسل» و«الهدى» ثم إلى « قرن المنازل » .. وقروة والعقيق ومن حولها الاعيرة الصغيرة ذوات النهيق !! وكفى الله الناس هذا الضيق بتعبيد الطريق .. وعزائم الرجال تمهد الجبال .. ولا أدرى هل كان ذلك فى صالح البغال والجمال ؟ أم أنها انقرضت ودنت منها الاجال ، وقطعت منها الأوصال ؟

٢٠٤ (التميس) أو (الطرموس) أو (السميد) ؟ !

كلنا يعرف هذا الرغيف اللطيف الذى صنعه اخواننا أهل بخارى (خاصة) .. ويطلقون عليه اسم (التميس) .. وقد عثرت فى اللغة على أن (الطرموس) — أو (الطرموسة) .. خبز الملة .. والملة الرماد على ما يخبز فى الجمر الهين .. مباشرة .. وقلت : لعل أصل كلمة (التميس) مأخوذ من هذا .. ثم تحول فى بعض حروفه .. بسبب الزمن الطويل .. خاصة وأن أهل بخارى من المغرمين بالعربية وأصولها وفروعها .

هذه مجرد أمثال .. أو تعلق بحبال العنكبوت .. لإرجاع ما يمكن إرجاعه من مصطلحاتنا إلى أصولها العربية . أما من حيث هو طعام لذيذ .. فلا يحتاج إلى شافع ولا تسمية .. إلا أن يكون (سمينا) فى الأصل أو سميدا وهما الدقيق الأبيض وما علينا من كل ذلك إنه مع الجبن الأبيض البلدى والشاى بالحليب .. و (الدقة المبذرة) على طريقة أهل أول .. غذاء خفيف لطيف لا يحتاج معه الطاعم إلى « المشهيات » ولا « المهضمات » أو المهروشات .. واغلب الظن أن الاكرية الساحقة من عباد الله قد اكتفت به فى الصباح بدلا من (المطبق) و (المعصوب) !! وذلك لطول السهر وعدم استيفاء النوم الكافى وفوات صلاة الفجر كما كان الآباء والاجداد .. وكل وما اختار .

٢٠٥ اطول الشوارع في الهند من تراث الاسلام سنة ٩٥٢ هـ

جاء فى كتاب (المسلمون فى الهند) تأليف رئيس ندوة العلماء فى الهند العلامة الكبير السيد **أبو الحسن على الحسنى الندوى** — بارك الله فى مساعيه .. وشكر له أياديه — وقد تفضل باهدائه إلى ، مع جملة من مؤلفاته الثمينة القيمة : (ان شارعا طويلا جمع بين الشرق والغرب وامتد على طول الهند وعرضها كان قد أنشأه « شيرشاه » السورى من (سناركاؤن) أقصى بلاد « بنغال » فى « باكستان الشرقية » إلى ماء « نيلاب » من أرض السند فى « باكستان الغربية — وبلغ مقدار مساحته (٤٨٣٢) كيلو مترا — بالرقم — وبالحروف (أربعة آلاف وثمانمائة واثنين وثلاثين (كيلوا) . حتى لا يشك فيه !! قال : وأسس فيه فى كل ثلاثة كيلوات « رباطا » — ورتب

هناك مائدتين — مائدة للمسلمين ومائدة للهنادك .. وأسس مسجدا على كل ثلاث كيلوات ، ووظف مؤذنا ومقرئا ، وإماما فى مسجد ، وعين فى كل رباط فرسين للبريد فكان يرفع اليه أخبار (نيلاب) إلى أقصى بلاد بنغال كل يوم ، وغرس الأشجار المثمرة بجانبى الشارع ليستظل بها المسافر ويأكل منها » اهـ

قلت : وهذا بعض ما هنالك من تراث إسلامى فى العمران .. ناهيك بما انبثق ثمة من علوم وصناعات .. ونبوغ وعبقريات .. وحركة ونشاط .. وآثار ذلك شاخصة للعيون .. وشاهدة بالتقدم والازدهار وذلك قبل ان تتطور الحضارة الراهنة .. وعندما كانت بلاد الغرب .. والدنيا الجديدة ايضا — تأخذ أمثلتها — وتحذو حذو الدول الاسلامية النامية الصاعدة .. فى أعظم وأكرم وأضخم هذا الشارع الذى جمع فأوعى .. وانه لاحدى البراهين الكبرى على أن الاسلام والمسلمين ، أسبق الامم فى الشرق وفى الغرب وفى الشمال وفى الجنوب من الدنيا قد ضربوا بسهم وافر فى تقدم البشر وصلاحهم وتوفير أسباب النعيم لهم ولمن اظلتهم راياتهم .. وشملهم برهم وإكرامهم .. وكانوا تحت حكمهم من الأمم والشعوب .. وسيعيد التاريخ نفسه إن شاء الله .. بفضل اجتماع كلمتهم ووحدة صفوفهم .

٢٠٦ (ثقبة) ايضا بمكة المكرمة

تكلمت فى شذرة من الشذرات عن « ثبير الأثبرة » — وسمعت كثيرا من متقدمى السن أن رجلا يطلقون عليه ايضا اسم (ثقبة) مع الصدر — وجبل الرخم ..

وتقريرا لذلك وإثباتا له ألحقت بها هذه الشذرة .. ولى على ذلك تعليق بسيط وهو ان تسميته (بثقبة) .. إن كان هو المعنى بذلك فعلا .. قد تنبأ به القدامى بعد أن ثقبه الفن الحديث من منى إلى مكة .. وسلكه الحجاج بالسيارات .. فى هبوطهم من منى إلى مكة المكرمة فى الأعوام الاخيرة . وقد يكون سبب التسمية قديما ان فيه طريقا مثقوبا أو (ثاقبا) ! ثم انطمر بالسيول .. وانحجز بالصخور .. إلا أن يكون صديقنا الأديب الكبير الأستاذ **حسين سرحان** قد علم — وهو أكثر صلة ومواجهة واقامة بتلك الأباطح والشماخ .. بثقبة من غيره .. فينير السبيل للقراء عنه مشكورا ..

٢٠٧ ابن قيس الرقيات فى فلسطين

من أعجب ما قرأت لشاعر عربى قديم قول ابن قيس الرقيات :

ان عهدى بهم غداة استقلوا … من (فلسطين) والدموع غزار
واستحازت على (القناطر) من حو … ران عين — نواعم ، ابكار
لم يكلمن خشية العين ذا اللب … وغطى الدموع منها الخمار
غير انى سمعت حين انصرفنا … قولهم : شط ، بالحبيب المزار !

ودمعت عينى : وخفق قلبى ، وقلت سبحان الله .. ان هذا الشاعر لكأنه نظر من وراء ثلاثة عشر قرنا إلى هذه المأساة العالمية .. فى (فلسطين) فصور فى ابياته هذه بعض ما

لاقت ؟! وما احسبه قصد إلى هذه .. فى الاصل . ولكنه كان يرمى إلى النسيب والتشبيب !! — غير انها احدى العجائب فى الاتفاق أو الموافقة .. وفرج الله قريب .. ونصره موعود .. ولله فى خلقه شؤون يرفع اقواما ويضع آخرين .. و (**عسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**) والعاقبة للمتقين .

٢٠٨ من الاجازات ايضا ..

كلنا نعرف أن نظام الموظفين وأعرافهم ومصطلحاتهم قديما وحديثا تشتمل على (اجازات لهم) مرضية وأخرى ادارية !! — وما كنت اعلم لها من ثان — الا ان تكون ابنة عمها أو ابن عمها (جواز السفر) ..

وفى مطالعة عابرة قرأت القصة التالية :

قال **الأصمعى للرشيد** : بلغنى يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق فى يوم خمس نسوة ! قال انما يجوز ملك الرجل على اربع فكيف طلق خمسا ؟ قال : كان لرجل اربع نسوة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات ، وكان « شنظيرا » .. « ولعله يريد أحمق » .. فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ ما اخال هذا الأمر الا من قبلك ؟ (يقول ذلك لامرأة منهن) اذهبى فانت طالق .. فقالت له صاحبتها : عجلت عليها بالطلاق ، ولو ادبتها بغير ذلك لكنت حقيقا .. فقال لها : وانت ايضا طالق ! فقالت الثالثة : قبحك الله — فوالله لقد كانتا اليك محسنتين ، وعليك مفضلتين ! فقال : وانت أيتها (المعددة) أياديها .. طالق ايضا .. فقالت الرابعة — وكانت هلالية وفيها اناة شديدة : ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك الا بالطلاق .. فقال لها : وانت طالق ايضا — وكان ذلك بمسمع جارة له — فاشرفت عليه وقد سمعت كلامه ، فقالت : والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم ، ابيت الا طلاق نسائك فى ساعة واحدة .. قال : وانت ايضا ايتها المؤنبة المتكلفة طالق ان اجاز زوجك ! فاجابه من داخل بيته : قد أجزت .. قد أجزت .. « وبئست الاجازة اجازته » .

قلت : ان القلوب تمل الجد — أحيانا — ولابد لها من التحميض .. وذلك ما لجأ إليه أهل الأدب القدامى .. فلم تخل مؤلفاتهم الضخمة من التفكيه والترويح .. وحتى عظماء الخلق من القادة والابطال والفاتحين ، والفقهاء والعلماء والصالحين ، لابد لهم ذلك حينا بعد حين .. وهذا الايراد من هذا القبيل !! وفى القصة قوله « ايتها المعددة — والتعديد معروف فى أوساطنا مع الموت .. وهو ذكر محاسن الميت وما كان له من خلال جميلة !!

٢٠٩ حر مكة .. وبرد الطائف

لما حج **سليمان بن عبد الملك** — الخليفة الأموى — تأذى بحر مكة .. فقال له **عمر بن عبد العزيز** : لو اتيت الطائف ؟ فأتاها فلما كان (بسحق) لقيه **ابن أبى الزهير** فقال : يا أمير المؤمنين ، اجعل منزلك على .. قال : كل منزلى فرمى بنفسه على الرمل ، فقيل له : يساق اليك الوطاء !! فقال : الرمل أحب إلى .. وأعجبه برده .. فألزق بالرمل بطنه ، قال : فأتى اليه

بخمس رمانات فأكلها ــ فقال : أعندكم غير هذه ؟ فجعلوا ياتونه بخمس بعد خمس حتى أكل سبعين رمانة .. ثم اتوه بجدى وست دجاجات ، فأكلهن وأتوه بزبيب من زبيب الطائف فنثر بين يديه فأكل عامته ! ونعس .. فلما انتبه اتوه بالغداء فأكل .. كما أكل الناس فأقام يومه ومن غد : وقال لعمر : أرانا قد اضررنا بالقوم ، وقال **لابن أبى الزهير** : أتبعنى إلى مكة .. فلم يفعل ! فقالوا له : لو اتيته ؟ قال : اقول ماذا ؟ اعطنى ثمن قراى الذى قريتكه » .

(العقد الفريد)

قلت : وبصرف النظر عما فى الرواية من تهويل فى الشراهة إلى الأكل .. وان من الممكن ان يكون ذلك حقيقة أو مبالغة .. فان ما نستخلصه منها لكثير .. وهو ان الحج يتفق كثيرا وقته مع زمن الصيف فلابد إذن من إعداد المصيف حتى للضيوف من الحجاج .. وإعداد الفنادق المريحة الواسعة .. والمواصلات الميسرة .. والطرق الممهدة .. وذلك ما أراه فى سبيل التكامل إن شاء الله ..

وثمة ايضا استراحته إلى الرمل واستطابته التقلب عليه ــ وهو ربيب الترف والنعمة فى بلهنية العيش وعظمة الخلافة والملك .. وهو ما يدل على حب الوطن .. وترابه .. وفى هذه المناسبة اتذكر قول شاعر العرب المرحوم الشيخ **فؤاد الخطيب** :

كم ضجعة بالقاع فى غلس الدجى
فوق الرمال العفر وهى وسادى ؟
ادركت اذ ادركتها معنى الكرى
وسكينـــة الارواح فى الاجساد !

(٢١٠) العلم .. والثراء

« جاء فى ترجمة **الامام الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى** عالم مصر وفقيهها ورئيسها انه كان له من دخله ثمانون ألف دينار .. وما وجبت عليه زكاة .. » ولد سنة ٩٤ هجرية ومات سنة ١٧٥ .. اهـ

قلت : وكذلك يكون الخير ــ فى الدنيا والآخرة .. وانها لقدوة صالحة واسوة حسنة .. وبها تزول الأضغان .. وتصان الصلات ، وتحفظ القربى .. ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ ..

ولو قدرت هذه المبالغ اليوم ــ لبلغت أضعافها .. ولو قومت قوتها الشرائية فى الاسواق يوم انفاقها .. لأغنت جماهير فقيرة من عباد الله ..

(**وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**) .

(٢١١) الأعشى .. و (اجياد)

هجا الأعشى عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان . وكان من هجوه له قوله :

وتشرق بالقول الذى قد (أذعته)
كما شرقت صدر القناة من الدم
فما انت من أهل الحجون ولا الصفا
ولا لك حتى الشرب من ماء زمزم
وما جعل الرحمن بيتك فى العلى
(بأجياد) غربى (الصفا) والمحرم

قلت : فبخ بخ لأجياد وأهلها .. منذ أكثر من أربعة عشر قرنا .. فقد اقترن بها اكرم وصف من

أعظم شاعر .. وفى الحق انها اكتسبت ذلك بتوسطها بين صميم المشاعر .. وجوارها لبيت الله ذى الستائر .. ومن هنا كان لها هذا الصدى المتواتر .. و « السر فى السكان لا فى المنزل » و « بأهلها تشقى البلاد وتسعد » .

٢١٢ (سيبه) - من الفصيح المتداول

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : انه كان يسير على جمل له فأعيى ، فأراد ان (يسيبه) قال فلحقنى النبى ﷺ فدعا لى وضربه ، فسار سيرا لم يسر مثله قط ، ثم قال : بعنيه بأوقية ... قلت : لا ثم قال : بعنيه ، فبعته بأوقية واستثنيت حملانه إلى أهلى ، فلما بلغت أتيته بالجمل فنقدنى ثمنه ، ثم رجعت ، فارسل فى أثرى . فقال : ما كستك لآخذ جملك ، خذ جملك ودراهمك .. فهو لك .

قلت : اذن تكون كلمة (سيبه) .. عريقة فى الاستعمال .. فصيحة فى المقال .. راسخة القدم فى الاجيال .. وهى على كل حال انما تعنى (الترك) لا الاهمال ! وصلى الله وسلم على من ارسله الله رحمة للعالمين .

٢١٣ ماهو (الليط) ؟ ومكانه بمكة المكرمة

قرأت فى تاريخ مكة شرفها الله — ان (الليط) هو هذا الطريق القديم الجديد الذى مهد وعبد وأضىء بالكهرباء الزرقاء — واصبح من أزهى شوارع البطحاء ! وسمى بشارع المنصور حتى يستقبل ثنية (كدى) .. أسفل مكة .. وان أهل مكة كانوا يخرجون اليه فى أمسياتهم للتنزه فيه فى صدر الاسلام وانه كان ممرعا ذا منظر بهيج وعبق واريج وكانوا يلبسون فى نزهتهم به أزهى ما لديهم من الالبسة والاكسية حتى ليحسبها المرء — الوان (قوس قزح) !!

وما راق لى هذا الاسم ، ولا استطعت الاهتداء إلى معناه ، وسر اطلاقه على هذه المنطقة .. ولأيا (عرفت الدار بعد توهم) !

يقول **الاعشى** :

فلا وأبيك ، لا نعطيك منها
طول حياتنا إلا سنانا
والا كلّ اسمر — وهو صدق
كأن (الليط) أنبت خيزرانا

و « الليط » شجر تصنع منه القسى والقنا ! فقلت : هذا ماكنت أتمنى العثور عليه .. قبل أعوام .. ومنه يتضح أن من الامكنة ما يسمى بنباته ، ومنها ما ينعت ببناته ، (بضم الباء) « كأم السلم » و (أم الحمض) ولا كذلك (أم الدود) .. فانها تسمية لا تليق ان تواجه القادم إلى (أم القرى) وعلى ابوابها ! وما أجدر أن يطلق عليها (الرصافة) حيث تقوم على يمينها (الرصيفة) ! فذلك خير من « المقتلة » وأم الدود .. وقد كررت رجائى هذا فى الاحاديث العابرة والمقالات السائرة .. ولم يحن لها أن تسمع .. وكل شىء رهن بوقته .. ولعله لا يبطىء يوم تشيد ابواب مكة فى هذه المنطقة التى يواجه منها القادم (ثورا) و (حراء) و (خندمة) و (ثبيرا) .. ولكل منها مكانة فى الأدب والشعر والعير والنفير .. (والرائد لا يكذب قومه ..) ولهم ما تخيروا (وما أريد الا الاصلاح ما استطعت) .

٢١٤ (الشاهي) نوعان !

لا أعنى صنفه ولا جنسه .. فهو أكثر من نوعين .. ولكل بلاد منه وفيه خيار وتمييز ... انما قصدت أن احدثهما (الشاهى) . هو هذا الذى نشربه صباح مساء .. ولا إشكال فى تسميته إلا من حيث انها لا أصل لها فى العربية لعدم زراعته فى بلاد العرب قديما . وحتى حديثا ..

ثم ان كل من كان من أهل الشاء أو الشياه .. فإذا جمع الله الشاهى بين « شاهى » نسبة لما يرعاه ، أو يملكه من الأول وما عند الشاهى الثانى حصلت البركة .. وتمت القيلة ! وخاصة اذا كان من النوع الأخضر ـــ الممزوج بالعنبر .. وكان المكان فى (المعسل) أو (الهدى) .. بعد أن يتم تعبيد (كرى) ! الذى حرم قبلنا الكثيرين من (الكرى) ؟! و (كل الصيد فى جوف الفرا) !

٢١٥ النبوت .. واليبنوت

يطلق عامة الناس ـــ وخاصة منهم أهل الحارة ـــ كلمة (النبوت) على العصا .. (المزقرة) .. التى كانت السلاح الأول فى (الهوشات) .. أيام زمان ! ولم أعثر على أصل عربى لها .. أطمئن اليه .. حتى قرأت (**للنابغة**) بيتا من معلقته الشهيرة جاء فيه قوله :

يمده كل وادى متـــــرع ، لجب
فيه ركام من (الينبوت) والخضد

قال الشارح : (الينبوت) شجر الخشخاش واسترجعت ما اصطلح عليه القدامى فوجدت ان الاحتمال يغلب بتحريف بسيط حذفت به الياء « فكان (نبوتا) غير أننى توقفت من حيث الهشاشة .. والرقة فى عود الخشخاش !! وما تعنيه الكلمة من العصا الغليظة المسقية بالشحم .. والمزقرة بالصفر أو بالحديد .. ومهما يكن الأمر فان هذا ما استطعت تأويله إلا أن يكون لها أصل أصح وأفصح .. وأظهر وأوضح .. وكفانا الله شر (النبابيت) وعوضنا عنها خيرا منها « الابانيت » !! وهى جمع « للحلاوة الابنوتة » تغشاها الله برحمته .. فقد عادت هى الأخرى إلى خبر كان ! وأقل ما يجب لها التذكر بعد النسيان !

٢١٦ (القيق) .. ونشفان الريق ؟

سبحان الله .. ما أكثر ما نجد من كلام العامة ما له اصل صحيح .. ونسب قديم فى اللغة الفصحى .. انهم على بصيرة ـــ مما ينطقون .. أو فطرة فيما يحفظون ! فكم نسمع منهم هذه (الجملة) ـــ (القيق) و (نشفان الريق) .. ويعنون بها الجهد والكلفة والمشقة والاعنات إلى آخر هذه المترادفات و (القيق) لغة هو (الأحمق الطائش) أما السجعة الأخرى فمن لوازم الحماقة أن يجف الحلق وتضطرب الأعصاب والأنفاس والهون فيه العون..والاحمق عدو نفسه..والله المستعان.

٢١٧ (الشفاء) بكسر الشين و (الشفا) بفتحها و (الشفاء) بكسرها مع همزة

فى الجهة الشامية من باب « العتيق » ـــ وباب الباسطية ـــ وباب القطبى بمكة ـــ منطقة تدعى (قاعة الشفاء) .. وكنت أعلل تسميتها بذلك بكثرة ما كان يشغل حوانيتها من ممارسى

الطب الهندى — أو اليونانى — غير ان ذلك ما كان إلا فى القرون الاخيرة .. واعيانى أن أعرف سبب التسمية .. حتى الآن .. وقرأت فى التراجم ان امرأة كانت تدعى « الشفاء » من قريش .. فقلت : لعلها كانت تسكن ثمة ولها قاعة فنسبت اليها وحرفت بمرور الايام والاعوام .

وأخيرا قرأت فى قصيدة **لعبد الله بن قيس الرقيات** وهو من شعراء القرن الأول فى عصر **ابن الزبير** (العائذ) يقول فى مطلعها :

ذهبت ولم تزر اهل (الشفاء)
ومــالك فى الزيـــارة من جداء

فقلت : اذن هو يعنى اهل هذه المنطقة .. (قاعة الشفا) ! وانها انما نطقت بالقصر لا بالمد — كما يقال (الدهنا) (والدهناء) ..

وهناك (الشفا) فى جبال (غزوان) بأعالى سراة الطائف .. بفتح الشين .. وهو معروف مكانا ولغة .. ويعنى الحرف والطرف .. فى علوه الشاهق وانحداره الساحق .. والله أعلم ..

٢١٨ (التكشير) من الأضداد

غلب مدلول الكشرة والتكشير عند العامة والخاصة على أنه الغضب أو التكره .. أو الانزعاج .. أو الإعراض والصدود .. الخ .. حقيقته لغة : (كشر عن اسنانه كشف عنها وأبداها عند الضحك وغيره !) فلماذا اختص بالسخط دون الرضاء ؟! اغلب الظن ان من الحروف والكلمات ايضا ما له من اسمه نصيب ؟ .. فان التكشير أيا كان معناه .. يجب أن يحل محله التبشير ... والطلاقة والتيسير .. وقديما قال القدماء من الحكماء : (لاقينى — ولا تغذينى) ! « وبشاشة وجه المرء خير من القرى » .. وخير ما يفعله الناس فى زماننا هذا ان يتبادلوا المرح .. دون الترح .. والتفاؤل دون التشاؤم .. « وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا قوة الا بالله » ثم لابد من انصاف الكلمة نفسها فلا توجد بأسوأ مفهوميها ، دائما وابدا .. ما دامت هى من الاضداد « والضد يظهر حسنه الضد » .

٢١٩ بيع البرم بمكة المكرمة

قال **النابغة** :

ليست من السود اعقابا، اذا انصرفت
ولا تبيع— بأعلى مكة— (البرما)!!

قلت : ومحل الاستشهاد هنا — ان تخصيصه أعلى مكة .. ببيع البرم يدعونا إلى التأمل قليلا : فهو يدلنا على أن هذه البرم كانت تعرض للبيع فى عوالى مكة .. ونفهم من ذلك طبعا انها ليست مما يستورد من خارج البلاد — وانما تصنع أيضا — بمكة — وهنا نصل إلى الهدف .. وهو هذه « المصانع » التى لا تزال هى — أو أطلالها — باقية حول الحجون .. لصنع الفخار والأزيار .. والشراب .. وهى بهذه القرينة عريقة فى القدم إلى ما قبل صدر الاسلام .. وعصر **النابغة** ..

وكل ما يفرق بين ما كان وما هو واقع ان هذه الصناعة .. أخذت فى الانقراض (كليا) بعد ان غلبت عليها كغيرها المصنوعات المستوردة والثلاجات المبردة .. والقلوع المزيرة — والأزيار المقلعة !! وسقى الله عهد « الرباعى » والغلايات و « القفل .. والمجمرات » ! وانما هى مجرد ذكريات .. والذكريات صدى السنين .

٢٢٠ (زطة) - قصته

(سقى الله أيام الطفولة والصبا) — (وقد جاء شطرا — فى الكلام منمقا) .. وتبعه الثانى دون قصد أو عمد ! ولكنها أريحية أو روحانية التذكير أو الذكرى ! كنا نحرش بين بعضنا فى أوقات الفراغ للحيوية الطاغية .. ونسلط القوى على الأقوى ! لا الضعيف على الأذوى ! وما نزال بهما حتى يتلازما ويتصارعا .. ونحمس المستضعف منهما حتى ينتصر .. فاذا طرحه أرضا صحنا به : زطه — زطه — وترامت بنا الايام والليالى والاعوام الطوال وزدنا على الأربعين . ! وما ندرى أن (زطه) .. ذات أصل مكين عند العرب فهى (صته .. صتا) أى دفعه بقهر ، وضربه بيده وبكلام أو بداهية ، رماه) أما النزط — فانه صوت الذباب .. فعلى الجيل الصاعد من الفتيان أن يبدلوا الأدنى بالذى هو خير .. ولا خير فى الزط ولا فى النط . ولا فى الصت إلا أن يكون فى الاشتقاق والنحت !! .. وحسبنا ما فات من العجن واللت .. وفى الألعاب الرياضية أخلاق مرضية .. ولا تحتاج إلى العفرتة ولا الشيطنة !! وإنما هى سلوك وتقويم .. وثقة وتصميم .. على شرط خلوها من (العفاشة) و (الدشاشة) والكراهة والوحاشة ..

٢٢١ مقينـــات الأعراس

« الماشطة » و « المقينة » و « اللعابة » من مستلزمات الزفاف فى مجتمعنا القديم والحديث .. ويرجع ذلك إلى عهود بعيدة .

وهناك « الخاضبة — بعد الخاطبة » .. وجد فى زماننا هذا ما لم نحط به علما من تطور متأثر بالتجديد .. ومنساق مع مجرد التقليد ! ووجدت أن أصل « المقينة » مأخوذ من « القينة » .. وأن هذه — إنما هى المرأة الصانعة .. أو العاملة .. والقين والقينة هما الصانع والصانعة .. ثم تميزت واختصت بالتزيين لكل عروس .. ومع أنها كانت متلازمة مع الرق .. فقد شهدنا من « المقينات » حرائر كثيرات !! وكان ذلك أيام (العقود) و « اللبب » أو اللبات .. و (قلائد التفاح) !! أما الآن فما شئت من غلائل وجدائل !! ووصائل وصلائل !! ومظاهر .. ومحافل .. وكان الله فى عون الجيل الصاعد .. والهابط معه أيضا .. حتى يتعاون الجميع على الأخذ بالأيسر والأرشد .. والأفضل والأسعد والأكرم والأقصد .. وإلا اتسع الخرق على الراقع ، ولات ساعة مندم .

٢٢٢ (البعزقة) هي (الزعبقة)

حرفت هذه الكلمة عن أصلها — فيقال بعزق الشيء أى فرقه .. وبدده .. وصحتها (زعبقة) .. وتزعبق الشيء من يده تفرق وتبذر .. فيجب أن لا ننسى أن اللم خير من التفريق وأن البعزقة هى (الزعبقة) .. وكلاهما فى عرف العقلاء (مخرقة) ..

٢٢٣ (اماء المطابخ) في الجاهلية

يقول طرفة بن العبد :

تبيت اماء الحى تطهى قدورنا
ويأوى الينا الأشعث المتجرف !!

قلت : وعجبت أن تستمر الإماء فى طهى القدور طوال هذه الآماد والعصور .. إلى أن أذن لهن القدر المقدور فأطلقت حريتهن .. وأصبحن على خيار فى الطبخ والنفخ ! أو المسح أو المسخ ..

فأما من سيمت عذابا ، وقاست بلاء ! فما لها الا الانطلاق .. وكذلك الحال فى الذكور .. كما هو فى الاناث .. وكما أن أبغض الحلال إلى الله (الطلاق) .. فان أحب ما يتقرب به المرء المؤمن إلى ربه الاعتاق .. وكل ميسر لما خلق له .. **﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾** .

٢٢٤ الزعل والزعلان

يقولون جئت فلانا فوجدته (زعلانا) .. ويعنون أنه ساخط غاضب .. والكلمة تحتمل غير ذلك ايضا — فهى (زعل زعلان نشط من المرض وغيره .. وضجر واضطرب) . فلماذا تطور بها المعنى حتى وقف بها عند الثانية دون الأول ؟! وتزعل تنشط .. فلنأخذها بهذا المعنى وكما يقول صاحب التجارة .. (السلف ممنوع ، والزعل مرفوع) — إلا أن يكون بالتقسيط أو بالأسبوع ، والنشاط خير من الكسل .. وكل من سار على الدرب وصل .

٢٢٥ من العوائد المنسوخة بمكة

كان سقاة الماء بمكة أغلبهم من العبيد السود أو الأحباش .. وقلما تجد بينهم أحدا من البوادى أو الحواضر .. وربما انضم اليهم عدد من أهل مصر القدامى .. وقد أدركناهم قبل خمسين حولا ..

وفى الأيام المقررة المعتادة لغسل (المسجد الحرام) يتجمع أهل كل (موردة) أو « بازان » فى منطقتهم ويحملون قربهم ملأى بالماء — من أعلى مكة ووسطها وأسفلها ويقبلون كل من جهته على أبواب المسجد والكناسون والفراشون ، والأغوات .. المحترمون .. يقومون بمهمة التنظيف فى العام عدة مرات .. وكانت لهم مواكب يلتف حولها الصبيان والفتيان .. ويحيطون بها من كل مكان .. والبعض من السقاة يلبسون فوق أحزمتهم أردية « افريقية » .. من الجلود — أو السعف .. أو القش يكون لحركاتهم وسكناتهم بها صدى موسيقى يتجاوب مع الدفوف والكفوف ! وبينهم تضرب الطبول .. وهم يرقصون رقصا — (بهلوانيا) — ويرفعون عقائرهم بالرجز الذى لايفهمه إلا هم وحدهم تقريبا ويكون لوقع أقدامهم ورقصهم ومرحهم يوم مشهود يستمر من مطلع الشمس إلى الظهيرة .. ! ومازالت الأيام بهم تتوارى حتى لم يعد منهم الا — بقية وشم فى ظواهر معصم ! وأغنى الله عنهم بغسل المسجد بالليات والآلات ! .

وقد تذكر أن الأحباش كانوا فى عصر (النبوة) يلعبون بالدرق والحراب وأن النبى صلوات الله وسلامه عليه شهد مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لعبهم ورقصهم فى مسجده المطهر وهو يسترها بثوبه أو بردائه ، لتنظر إلى لعبهم وأنه يقول لهم : (دونكم يا بنى أرفدة) حتى إذا كلت عائشة .. قال : حسبك فاذهبى !

قلت : ولعل ما شهدناه من ذلك أول عهدنا بالحياة .. كان امتداداً به إلى العصر الاسلامى الأول .. وربما كان فيهم من تحدرت سلالاته من السابقين والله أعلم .

٢٢٦ محمد المقنع وابن عمه (محمد باخشب)

لا أحسب مثقفا عربيا لا يترنم بتلك القصيدة الرائعة الخالدة للمقنع الكندى — وهو (**محمد بن ظفر بن عميرة بن أبى شمر بن القيس بن عبدالله الكندى** الشاعر الحضرمى الدوعنى .. الموصوف بالمروءة والكرم والشرف فى عشيرته .. وانه كان إلى ذلك جميلا فكان يستر وجهه .. ومن هنا سمى (بالمقنع) .. وكان يعيش فى حدود سنة (٧٠) هجرية .. أما القصيدة فهى التى يبدؤها بقوله :

يعاتبنى فى الدين قومى ، وانما
ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
اسد به ما قد اخلوا وضيعوا
ثغور حقوق ، ما أطاقوا لها سدا
وفى جفنة ما يغلق الباب دونها
مكللة لحما — مدفقة ثردا
وفى فرس نهد عتيق جعلته
حجابا لبيتى ثم اخدمته عبدا

إلى أن يقول :

لهم جل مالى ان تتابع لى غنى
وان قل مالى لم أكلفهم رفدا
وانى لعبد الضيف ما دام نازلا
وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا

قلت : هذا العربى الأصيل .. والعبقرى النبيل .. الخالد الذكر بأبياته .. وصفاته .. لم يعدم من أبناء جلدته .. من ورث عنه هذه الخلائق .. الكريمة .. وهذا الإيثار الفطرى .. فان البدار الذى تقدم به ابن عمه .. أو أخوه .. « الشيخ **محمد أبو بكر با خشب باشا** .. » لدعم فكرة إنشاء وتكوين وبناء الجامعة الاهلية — جامعة الملك عبد العزيز — بجدة .. والمقدار الذى جاد به .. وهو « مليون ريال » .. دفعة واحدة قد قرن اسمه بالخالدين من رجالات العرب الذين تضرب بهم الأمثال فى محامد الخلال .. وان له لاخوة .. يأنسون به .. ويشكرون الله على ما أنعم به عليهم من الخير الجامع ... والغراء الواسع .. ﴿ **وما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ وانه لمضاعف له يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .. احسن الله ثواب من دعا إلى هذه المأثرة الكبرى ومن أعان عليها — وبذل فيها .. فإنما هى سبيل الشعب إلى كل تقدم صحيح ورقى منشود . ومن أحق بتخليد ذكراه .. ممن بنى وشيد هذه الدولة العظيمة .. ومهد لها سبيل الوحدة .. والهناء والرخاء والعمران والعرفان .. تغمده الله برحمته ورضوانه .. وانه لملء الاسماع والابصار والقلوب ما لبى الملبون .. وطاف المحرمون وصلى القانتون وله بعد ذلك اجره غير ممنون .

٢٢٧ (السمسرة) جاهلية ؟ !

قال أبو بصير **الاعشى** — يصف بغيا — فى عصره الجاهلى :

فعشنا زمانا وما بيننا
رسول يحدث اخبارها
وأصبحت لا أستطيع الكلام
سوى ان اراجع سمسارها !؟

إذن تكون لفظة السمسار متداولة فى الوساطة على اختلاف أغراضها قبل الف واربعمائة عام .. ويغلب على الظن انها مولدة — فارسية — ثم استعربت !! وما اكثر ما هو عربى أصيل ثم استعجم !! .

(٢٢٨) هـول الليـل

في مقال لأستاذنا العلامة الجليل الشيخ **عبد القدوس الأنصارى** نشرته مجلة الحج الغراء فى عددها الصادر فى ١٦ ربيع الثانى ١٣٨٤ بعنوان (الجن فى الأدب العربى) .. قرأت لفضيلته ..

تعليقات عامة قيمة على الكتاب الذى صدر حديثا .. وأجيزت عليه مؤلفته — نهاد توفيق نعمة — وجاء فى هامش مقاله — شرح عن الغول والسعلاة التى توقد للمسافرين ناراً تخوفهم بها قال فيه: « ... انه فى احدى سفراته فى المدينة المنورة ليلا .. اتجهت بهم السيارة صوب البحر وبعدت الجبال ودخلوا فى خبت لا يعرفونه وسمعوا دوى البحر .. امامهم ووقفت السيارة ونزل (فضيلته) وكان معه كشاف يدوى وتوجد شجرات متباعـدة .. وشاهدوا بجانبهم نيراناً توقد .. فقالوا : بادية يدلونا على حريق .. فذهب إلى نار شجرة ومعه الكشاف فلما وصل اليها لم يجد نارا ولا ناساً .. وهناك بجانب شجرة أخرى من المنظر وبعد لأى ادركوا .. انه (هول الليل) وطلب سيادتـه تفسير هذه الظاهرة .. المشاهدة من العلماء » .

قلت : وإن تطفلت فى الدخول فى هذا الموضوع .. ولم أكن ممن يصح لهم الاجابة عليه أو عنه .. على وجه التحقيق العلمى .. إن مثل هذا الحادث شهدته ووقعت فيه عام ١٣٥٣هـ أى قبل ٣٢ حولا خلت .. وكنت فى رحلة هامة على السيارات فى طريق وعرة ما بين ينبع والحدود الشمالية فى الأردن .. على طريق الساحل .. فقد كان السير ليلا .. وافترقت السيارات وضل بعضها الطريق .. فان تقدمنا أو تأخرنا عمن غاب عنا — كنا واياهم فى خطر المتاهة والظمأ ... والمهلكة .. وكان من أمرنا أن توقفنا .. حيث نحن .. نرقب ما تقدم وما تأخر حولنا وأمامنا ووراءنا .. شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ونحن إلى البحر أقرب .. وبيننا وبين الجبال وسفوحها ما بين جدة والرغامة فى أقل تقدير من حيث المسافة .. وكانت تبدو لنا نفس الاضواء .. تضئ وتخبو .. وترتفع وتنخفض .. ونهلل ونكبر .. ونظن أنها السيارات الضالة .. واحدة أو أكثر وننتظر .. ونترقب .. ويخيب الظن !! وتنقضى ساعات على ذلك دون نتيجة .. واخيرا تأكدنا وعرفنا أن هذا الضوء إنما هو (نار الحباحب) .. هى ناشئة عن (فوسفور) فى أجنحة هذه الحشرة .. أو الدابة « الحباحب » .. التى تبعث منها نورا .. كالسراب يحسبه الناظر كذلك وماهو إلا من القوة .. والاقناع بحيث لا يشك رائيه أنه سراج قوى أو ضوء كهربى .. بما أحيط به من ظلام حالك .. واخيرا .. تقدمنا .. والتقينا بمن تاهوا .. فى غير الجهة التى كان الضوء يزاورنا منها .. وتحقق قطعا .. اننا خدعنا .. وان ما يقوله الناس — تحريفا — عن هو الليل انه هو متسبب عن جهل البعض من غير العرب ..

أما العرب .. فانهم يعرفونه .. وقد ورد فى شعر النابغة .. قوله :

تقد السلوقى المضاعف نسجه
وتوقد بالصفاح « نار الحباحب »

ونار الحباحب : شعاع يضئ بالليل من ذباب يسمى الحباحب .. وقد اوردت ذلك كتب اللغة .. ومنها احدثها (المنجد) — وزاد فى وضع صورة .. لهذا الذباب أو الحباحب ..

وبذلك لا يبقى محل للتردد .. أو الارتياب .. والله أعلم .

وما أحسب أستاذنا الأنصارى .. إلا محيطا بكل ذلك .. وما اعظم ما استوعب وما وهب ؟!!

(٢٢٩) تاريخ الحجاز في القرن التاسع عشر

قرأت فى مجلة الاذاعة الغراء ـــ الصادرة بالرقم ١٠٩ ربيع الثانى ٨٤ تحت عنوان : (أدب) ان كتابا جديدا أطلق عليه « تاريخ الحجاز فى القرن التاسع عشر » .. ألفه أستاذ الأدب العربى فى جامعة (برنستون) الأمريكية الدكتور (**بالى ويندر**) وانه يقع فى ثلاثة أجزاء » .

ووجدتنى أتساءل .. أهو باللغة العربية .. ما دام واضعه أستاذ العربية فى تلك الجامعة ؟ وأجبت نفسى بأنه لا يكون كذلك .. لأنه إنما أراد به قراءة فى الانكليزية الأمريكية ، وهنا وددت لو أن شبابنا الجامعى .. اهتموا ـــ وهم يحذقون تلك اللغة .. بترجمته .. ليقف العرب على ما يكتب عنهم وعن تاريخهم فى اللغات الأخرى .. فإن طابق الحقيقة قرظوه وإن جافاها صححوه .. وتداركوه .. وأعلنوه .. وذلك واجب عليهم وهم به جديرون وعليه حريصون .. فهل لنا أن نستبشر بذلك وان نضمه إلى المكتبة العربية ؟ نرجو أن تبذل نصحها واعانتها وزارة الاعلام على ذلك وأمثاله فى جميع اللغات وانها لفاعلة ان شاء الله .

(٢٣٠) بين الأدب العالي والمحلي والنقد الموضوعي والشخصي

قرأت فى مجلة الاذاعة الغراء ـــ (ربيع الثانى ٨٤) كلمة قيمة بعنوان : (لماذا لا يصبح الأدب العربى أدبا عالميا) ؟ وقد راق لى واستهوانى منها التوجيه السليم والإرشاد البرىء المخلص مِن كاتبها الاستاذ (**عبد الحكيم غيث**) .. ومع اختلاف وجهات النظر فى ناحية اقتصار الأدب العربى قديمه وحديثه .. على الافق الضيق المحدود فيما عالجه من شئون الحياة .. والاختصار على إيراد بعض الشواهد التى لا تقدم ولا تؤخر رغم ان ما بين مطاويه وفى مثانيه ما حلق ولم يسف .. وأن الشواهد على ذلك اكثر من ان تحصى .. فى جميع العصور .. فان من الإنصاف ان لا يتهم بالجدب المطلق .. ولو صح وصف بعض مصطنعيه بالمشادة والمصاولة والمطاولة فيما بينهم .. والحرص على الشهرة والظهور ـــ قاصم الظهور ـــ وانى اذ اقدر للكاتب الغيور نصيحته جملة .. فان حديثه عن الادب يبدو لأول وهلة .. انه عام .. فى بلاد العرب .. منذ العصر الجاهلى حتى الآن .. وأحسب أن الكاتب المحترم انما اشتدت غيرته .. وحميته فشنها غارة شعواء .. نعم ولا تحص وهو مشكور على حماسته وانما كانت ولا تزال له مندوحة .. وأى مندوحة فى ان يتريث فى حكمه .. فان فى الأدب العربى .. ما لا يزال محل الاكبار والاعجاب لا من حيث (عالميته) .. ولا احاطته بالحضارات الغابرة واللاحقة .. وبالمدنية العصرية بوجه خاص .. وانما هو مكلف ومسئول فى نطاق ما عالج وما رأى وما سمع .. وما جرب وما اختبر ، وما تحسس وما تلمس ، وما بذر وما

جنى .. وليس عدلا أن يتهم — بالجمود .. أو الركود .. فى كل عصر وحين .. فما للأدب ان يتجاوز ما هو فيه . وما يعانيه .. إلى ما ليس يهمه ولا يعنيه .. وما لا ينطقه ولا يستوحيه !! إذن — فلا عتاب ولا ملامة .. إلا فيما قصر فيه وانحسر عنه مما هو تحت سمعه وبصره .. وأرى أن ما أشار اليه من حيث التنافس والتهافت على التقدم .. والتلقيب بالكبير .. ولو كان الحريص على ذلك (أفرغ من فؤاد أم موسى) وكله خواء .. وعفاء .. حق كل الحق .. ويجب أن يقف هذا التيار الجارف .. القاذف عند حد معقول .. فهو تغرير لا ينبغى التمادى فيه .. فلا ينعت بالكبارة .. إلا من يستحقها فعلا وحقا وصدقا ، من ذوى المواهب النادرة .. والإنتاج القوى والإبداع المتفوق .. جدا .. فقد كان الترخص فى ذلك يجنى على الأكثرين .. الذين يحسبون أن بلوغه يسير .. فما ثم فرق بين « **العقاد** » مثلا .. وقد دون مائة كتاب .. وبين ما لا تجمع مقالاته .. واحدا من المائة .. وهى أشلاء ممزقة .. وربما كانت اقتباسات مفرقة ! أو مشققة ! وعدى ذلك .. فان (النقد) .. يجب أن يكون فى حدوده الموضوعية مترفعا عن الضغن الذاتى .. وانتحال العيوب الباطلة . التى لا صلة لها مطلقا المنقود .. الادبى .. بالذات .. فقد طغى ذلك على كثير من (النقد) .. حتى لكان النقد انما هو التشفى .. ولو قد نظر كل من الناقد والمنقود إلى أنه — برأى عفيف . سليم الصدر عن كل غل .. واضطغان .. اذن لآتى ثماره دانية جنية .. فهو بناء وتقويم .. لا هدم وتحطيم .. ومهما وجد الناقد سبيلا لحسن الظن .. وتمكن من كبح جماحه وعدم المساس بالمنقود كشخص ولم يتجاوز حدود ما ينقد ... فى تبصير وتنوير .. واحترام وتوقير .. فان الادب بخير وعافية ، وكل من يتحلى به ويصطنعه يسير على هدى وبينة وبرهان ، لا أمت فيه ولا عوج .. فاما ان يكون شتما وقذفا وتجريحا .. ولغواً وتأثيما .. فما فى ذلك إلا العكس .. والنحس .. والله الهادى إلى سواء السبيل .

(٢٣١) لكل امرىء من اسمه نصيب « لقمان يونس »

لست أزعم معرفة أول من أطلق هذه الحكمة .. أو القاعدة .. إلا أننى أستطيع أن أشفعها بالتساؤل عما إذا كانت كلية لا يعتريها الخلل والاضطراب وأرى أنها تتفق وتفترق .. وتختلف وتأتلف .. فمن الناس من تتفق سيرته جملة أو تفصيلا مع اسمه .. خيرا كان أو شرا ، ومن هنا كان تخير الآباء لأسماء أبنائهم واولادهم .. رجاء أن يحققوا الأمل فيهم والفأل بهم ومنهم من لا يكمل فيه النصيب كله .. ويكون فيه بعضه .. من جانب أو آخر .. والعبرة بما غلب من الصفات والأخلاق .

قلت هذا تمهيدا .. لما وجدتى محمولا عليه بدافع قوى لم استطع أن أتخلص منه — وهو الأثر القوى الذى أشعر به أو التأثر على الاصح كلما قرأت كلمة .. أو مقالة للكاتب الأستاذ (**لقمان يونس**) ... أجدنى كأنما أنا مأخوذ بسحره .. ولا أبخسه حقه من التقدير والاعجاب بأسلوبه الذى يكاد يختص به .. خفة روح .. وطلاوة حديث .. واشراق ديباجة ، فى ومضات من اللماحيةوالذكاء النادر والحكمة البالغة والأدب الخلقى الرصين .. والسبك الرائع المتين . مع احاطة وثقافة .. ورشاقة ولطافة .. وتعمق فى كل

ما يعالجه من الموضوعات العامة الخاصة ... وما أقول هذا متأثرا بأية معرفة سابقة لشخصه العزيز .. فقد يعجب القارئ ان قلت له : إننى لم أذكر أن عينى وقعت عليه حتى الآن .. أن يكون ذلك على غير علم منى به غير أن الانصاف يدعونى إلى الإشادة بأدبه وأسلوبه .. السهل الممتنع . ولقد قرأت له كثيرا مما تنشره الصحف المحلية ... فما يزيده الامعان فيما يكتب إلا مكانة وسموا فى نظرى كأنما تستسر طريقته فى (الكتابة) ما لا يملك التعبير معه صرفا ولا عدلا ... وهو فى ذلك نسيج وحده .. لا يشاركه فيه غيره !! وقد اسعفنى الحظ بنسخه من أولى مجموعة طبعت له بعنوان (من مكة .. مع التحيات) .. فاسترسلت فى تلاوتها صفحة صفحة .. حتى أكملتها .. فى لذة .. ونشوة واعتزاز .

إنه لمرهف الشعور .. قوى الاداء .. قادر على التصوير .. معبر عن كثير من مشاكل ــ المجتمع ــ واحداثه وأحاديثه .. ويكاد قارؤه يلمس بيديه كل ما يكتب ... كأنما رسمه (طبق الاصل) .. (بالفوتغراف) !! . حتى الكلمات نفسها التى تجرى بها محاوراته .. تمثل واقعها فى المجتمع والدار والشارع والديوان .. وما أردت بهذه الكلمة .. أن أتملقه أو أزيده تعريفا أو تشريفا .. فحسبه انه اصبح فى المحيط الأدبى ممن يشار اليه بالبنان .. وانما أحب أن يشعر بأن جهوده الموفقة فى المجال الذى تخيره غير ضائعة .. وإنه لعلى ابواب مستقبل باهر اذا هو تغلغل فى الاعماق .. وتجوس مختلف الآفاق .. وانه قمين بأن يحتذى به ويقتدى به وانه ممن يصدق عليه العنوان : « لكل امرئ من اسمه نصيب » !!

وما يجهل احد من هو (**لقمان الحكيم**) .. ولا وصاياه فى المثانى والقرآن العظيم .

بارك الله فيه وفى إخوانه من الكتاب العاملين ودعاة الخير المؤمنين .

(٢٣٢) لسع البعوض

قال صاحب العمدة (ابن رشيق) **القيروانى** فى القرن الخامس الهجرى ــ ٣٩٠ / ٤٥٦ :

يا رب لا أقوى على دفع الأذى
وبك استعنت على الضعيف المؤذى
ما لى بعثت الى « ألف » بعوضة
وبعثت « واحدة » الى «نمروذ»؟!!

وقلت معقبا :

قل للذى سلب (البعوض) رقاده
وأغذ فيه برمحه المشحوذ
(نمروذ) غيرك ، فهو جاحد ربه
فأراه كيف يضام دون معيوذ
وسواه ممن آمنوا .. وتضرعوا
فاضت يداه لهم بكل لذيذ
(آياته الكبرى) بذلك فصلت
وتميزت بالحق !! والتنفيذ
حتى يطأطئ فى الورى مستكبر
ويهان بالمستضعف المنبوذ
ولو ابتليت من (البعوض) بسطوه
فينا ــ لما استعظمت أى وقيذ
انا غنينا منه فى « خرطومه »
عن كل « حجاج » وجام نبيذ ؟!

(٢٣٣) القـــوة العليا الإلهية والطاقة الذرية

« إن قوة أعلى من الإنسان هى وحدها التى تستطيع ان تتحكم فى قوى الطاقة الذرية » اهـ

« ليزمتز : عالم الطبيعة الذرية »

مجلة الحج : صفر ١٣٨٣

هذا العالم الذرى الكبير وهو يشهد ويوقن ان هناك قوة أعلى تتحكم فى قوى الطاقة الذرية .. انما يعترف بانه بشر ضعيف مخلوق .. وان كل ما تتفتق به مدارك الانسان .. لا يعدو ان يكون ضمن ما يعلقه الله جل وعلا من أسباب الحياة والموت والبقاء والفناء .. وصدق الله العظيم : ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ .. عسى الله ان ينقذ العالم من المصير الذى يسلك طريقه ! اما نحن « المسلمين » الذين نؤمن بالله واليوم الآخر .. فاننا لعلى يقين « ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » ولكننا فى حاجة قصية إلى أن نتدبر آياته فى الأمم الغابرة ، ووعده ووعيده لمن أحسن أو أساء .. وإن وعده الحق .. ووعيده الصدق ، ﴿ **ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ .

فلنستغفر الله من ذنوبنا . ولنتمسك بديننا — ولننصح لأنفسنا وأهلينا ، ولنذكر ربنا وقد نسينا ، فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. والعاقبة للمتقين ..

(٢٣٤) « بعـــد الستين »

لقد ناءبالاعباء والوهن «كاهلى»[1]
وأصبحت «كهلا» فى إهاب محطم !
وما كنت إلا فى شبابى « جلذوة »
يعنوءُ بها قلبى لدى كل مظلم
ومهما أسام الناس فى اللهو وانتشوا
فإنى منه طاهر اليد ، والفـــم
فلا الكاس تسقينى زعافا من الطلى
ولا النفس تغرينى — بشىء محرم
بلى انا مغرى بالجمال — وسربه
وكل مليح ذى احورار ومبسم
وبالآس والريحان ، والورد ناضرا
وبالماء منسابا — بروض منمنــم
ويطربنى اللحن الشجى كأنــه
« مزامير داود » على غير مأثم
وتلهمنى « الأمجاد » عالية الذرى
قوافى من شعـرى كدر منظـم
وفيما عدا هذا — وذاك — فانما
أراها هى (الدنيا) — تخضب بالدم!

(*) مكة المكرمة) ١٩ صفر الخير سنة ١٣٨٤هـ)

احمد بن ابراهيم الغزاوى

---

١ — « المنهل » بمناسبة البيت الأول من مقطوعة الشيخ الغزاوى بارك الله فى حياته وامدها فى صحة وهناء نذكر شيخ الأدب أطال الله بقاءه بما قاله ذلك الشاعر العربى الذى كان فى موقف مثل موقفه ولكنه لم ير نفسه كما رآها شيخ الادب السعودى « كهلا فى اهاب محطم » فهو يقول عن نفسه فى اعتزار :

زعمتـــى شيخـــا ولست بشيـــخ
انما الشيـــخ من يدب دبيـــا

٢٣٥ الى السبعين

مشيت إلى « السبعين » قلبى أخضر
سليم ونفسي – بالمآسى تعذب
احاول جهدى ان أكف ذوى الاذى
وادفع بالحسنى !! ودمعى يسكب !
ويسطو على ، الجاهلون تطاولا
وأوسعهم « صفحا » – ولا اتعتب!
واحتمل الأقصى – ابتغاء وداده
واخفض للأدنى جناحى وأحدب
وما اكتحلت عينى سوى السهد ليلة
بكل ملم فيه يعيا « المهذب » !
وكم ضاقت الدنيا علىّ برحبها
وصابرت ، والأهوال حوالى تصخب!
صمدت لها والروح رهن قيودها
ومن دونها الجسم المحطم ينصب
تجردت من دعوى الغرور – ولم ازل
أصارع آلامى – وأطفوا ، وأرسب !
وداريت حتى قيل : انى (امع) !!
وانى – (رجعى) – وانى مذبذب !!
وما زادنى « الإيمان » – إلا (تبصرا)
ولا راضنى إلا (اليقين) المحجب
وأعلم ان الموت حق ، وانه
مصير بنى حواء .. مهما تقلبوا !!
وأن الذى لا يعلم الغيب غيره
« لطيف » ، ومهما شاء يمضى ، ونذهب
لذلك آثرت « الرضاء » لعلنى
به « أحمد » العقبى – ولا أتغضب
وقد ظن هذا الناس منى استكانة
وما هو الا (طيبة) ، وتحبب
« وكم لظلام الليل عندى من يد
تخبر أن (المانوية) تكذب
به انتحى عبر السماء ، وخالقى
وعيناى « بالزلفى » اليه تصوب
وفى الله ما ألقى ، ولله مرجعى
وفيه رجائى ما رهبت ، وأرغب !!

مكة المكرمة
احمد بن ابراهيم الغزاوى
فى ١٠ صفر الخير ١٣٨٤هـ

٢٣٦ والخل كالماء

قال **أبو العلاء** فى رائعته التى تكاد تكون من حجازيات **الشريف الرضى** : عفا الله عنهما :

والخل كالماء .. يبدى لى ضمائره
مع الصفاء ، ويخفيها مع الكدر

قلت : انه لوصف بديع رائع .. وهو يدعو إلى اتخاذ الخل – واصطفائه .. واخلاص المودة له .. وعدم الاساءة اليه حتى لا يتكدر .. فيخفى ما كان يبديه .. أو يبدى ما كان يخفيه .. طردا وعكسا ونشرا ولفا .. والمهم ان كل اناء ناضح بما فيه .. فمن أراد أن يصفو له صاحبه أو صديقه .. فانه لمطالب بذلك قبله .. وفى أمثال العامة : (زى ما يكون لك الخل كن له) – وحذار ان يتحول الخل بالكسر إلى الخل بالفتح .. !!

٢٣٧ (الشطارة) و (الشاطر)

يقول **الحسين بن الضحاك** ، قبل ألف عام أو تزيد :

وشاطرى اللسان مختلق التكريه شاب المجون بالنسك
بات (بغمى) يرتاد صالية النار ويكنى عن ابنة الملك

قالوا : والشاطرى نسبة إلى الشاطر .. وهو الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا !! وكان هذا الاسم يطلق فى الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد .

قلت : فما بال الأب والاستاذ والرئيس لمن يراه نشيطا ذكيا حاذقا من الاولاد ــ ذكر كان أو انثى .. (شاطر) وشاطرة مادحا له مثنيا عليه .. وذلك تعريفه وتوصيفه ؟ انها لاحدى المفارقات .. ولابد من الرجوع عنها إلى ما هو خير منها .. فهى إلى الذم أدنى من المدح ! والمهم ان يعلم ذلك (الشطار) .. ولهم بعد ذلك مطلق الخيار .

٢٣٨ ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة

قال معن بن أوس :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
واعلم انى لم تصبنى مصيبة من الدهر الا قد اصابت فتى مثلى
ولست بماش ما حييت بمنكر من الامر ما يمشى إلى مثله مثلى
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابتى وأوثر ضيفى ــ ما اقام ــ على أهلى

قلت : ما هو نصيب هذه الدرر الغالية وهذه الأخلاق الحسنى .. وهذا الكنز الادبى الثمين .. من الترسيخ .. والتثبيت فى اجيالنا الصاعدة ؟ وهم احوج ما يكونون اليها فى هذا العصر .. الذى اضطربت فيه الموازين .. وتشابهت القيم .. أو اشتبهت إلا أن « الأمانة » لتدعو كل مشفق وذى اشفاق على النشء العربى المبارك أن .. يلح .. بتكرار هذا التلقين .. بالإضافة إلى ما يجب ان يتمكن فى قلوبهم من آيات الله ومثانيه وأوامره ونواهيه .. فبهم وفيهم تحيا العروبة والعرب .

٢٣٩ (الجوزاء ـ والثريا)

ولو عاودتنى لرأيت قومى هم (الاشراف) ، والعدد الكثير
اذا الجوزاء اردفت الثريا وعز القطر ، وافتقد الصبير
وباتت فى مكامنها الافاعى ولم يتكلم الكلب العقور
وجدت « بقية » المعروف فينا مقيما ما ثوى « بمنى » ثبير

قال هذا **ابن الدمينة** .. والصبير هو السحاب الأبيض .. وانظر كيف يقول : (وجدت ــ بقية ــ المعروف فينا) .. نعم (البقية) .. وأما

المعروف كل المعروف فيراه سابقا على زمنه بمن هم خيار خلق الله من أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه هذا وهو منهم على مدى قرن واحد أو أزيد قليلا ! وما كان للجوزاء وسمومها ولا للجدب والقحط ان يغير من خلائق القوم وفطرهم على السخاء والكرم .. وتلك هى الشيم العربية التى تميز بها هذا الشعب الأبى الخالد .

٢٤٠ لا سرف ـ ولا حمق

قال جؤية بن النضر :

قالت (طريفة) ما تبقى دراهمنا
وما بنا سرف فيها ولا حمق

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا
ظلت إلى طرق (المعروف) تستبق

ما يألف الدرهم الصياح صرتنا
لكن يمر عليها وهو منطلق

حتى يصير إلى نذل يخلده
يكاد من صره اياه ينمزق !

قلت : لا أدرى ما قصد بقوله : الدرهم الصياح ؟ فما سمعناه قط ينطق ! وانما أراد أنه خلق أو ضرب للتعامل لا الاختزان وان لسان حاله يأبى أن يحتجز .. أو يحتجز .. والا كان سواء هو والحجر .. ! واكرم وأفضل ما ينفق فيه طرق المعروف وقديما قالوا ــ لا خير فى السرف .. ولا سرف فى الخير .. ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ..

٢٤١ ثمر الشجر الضخم والعريش القزم

سأل أحدهم صاحبه : كيف يكون مثل شجر النبق أو السدر فى هذه الجسامة والضخامة .. وهو لايحمل إلا أحجاما صغيرة من الثمر ؟! بينما نجد ما هو فى حجم كبير جدا يمتد على طول الارض وعرضها فى عريش متواضع ؟ فأجابه : بأن ذلك من حكمة الخالق جل وعلا ورحمته بعباده .. فإن ما تسقطه الرياح من عل قد يقع على الرؤوس فيصدعها أو يقطعها إذا كان من الأحجام الكبيرة الصلدة ! ولهذا كان الصغير مرتفعا والكبير واطئا ! وهو تعليل صائب حصيف .

قلت : لقد سقط فى مكة مطر مصحوب ببرد كبير كان لبعضه صدع ورجع .. وقذع وقرع .. وكان له صوت رهيب ! تحطمت له بعض (برم) الكهرباء الظاهرة فى العراء وفى الأسطحة والأحوشة ولو أن رأسا آدميا أو حيوانيا تعرض لها لأدمته و (فقشته) وصرعته وأستطيع أن أؤكد ان الظواهر الجوية فى هذا العام ــ ١٣٨٢ ــ حرا وبردا ومطرا وبردا . وريحا ورياحا وعبوسة وانشراحا غير ما تعودناه فى خمسين سنة وسنين خلت .. وعرف ذلك غيرنا من أهل الاقطار الأخرى ! فهل ذلك طبعى لا مرابة فيه .. رغم عدم العهد به ؟ أو هو من أثر التفجيرات الذرية والتحديات (الفضائية) ان لم يكن هذا أو ذاك فانه مما يدعو إلى الانابة والخشية والاستغفار .. واللهم اجمعها سقيا رحمة ولا تجعلها سقيا عذاب .. واهدنا إلى صراطك المستقيم يا حى يا قيوم ــ يا من بيده مقاليد السموات والأرض . ارحمنا برحمتك الواسعة .

٢٤٢ ماهي الخشخشة

قالوا : إن فلانا يتخشخش بين الناس .. أو فيما لا يعنيه ! وما زالوا يقولون ذلك ويتداولونه حتى يومنا هذا ..

وقديما قال **علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس** فى بائية مطولة له :

(تخشخش) أبـدان الحديـد عليهم
كما خشخشت يبس الحصا وجنوب

والخشخشة لغة .. صوت الثوب الجديد اذا لبس و « أبدان » جمع بدن وهو الدرع من الزرد .. وقد ادركنا من فرط من آبائنا وأجدادنا يلبسون ما يطلقون عليه « البدن » ولكنه « الشاية » بدون اكام .. وكأنما يتحول زمن السلم إلى ذلك .. وفى الحرب يكون من الزرد ؟! ..

إذن كيف عادت إلى مفهومها الأخير ؟ بمعنى التدخل .. أو التطفل ؟! الحق أن ما ورد فى بيت علقمة .. انما اصله « الشخشخة » لا (الخشخشة) ! وكلا استعمالهن جائز وبتداول الثانية بمعنى الدخول صحيح وفصيح .. فان من النصوص عليه ان « خش .. دخل » فلا حرج ولا افتئات .. وأما الثانية فهى التى سميت بها « الشخشيخة » .

٢٤٣ بين التفاؤل والتشاؤم والقديم والجديد !

قالوا : إن المتفائل يقول : إن كأسى مملوء نصفها .. مغتبطا بذلك .. بعكس المتشائم فإنه يقول ان كأسى ناقص نصفها مستاءا من هذا النقص .

ولكل منهما نصيب من الصحة والواقع .. قيل ان العقلاء يؤثرون الأول على الثانى ــ لأسباب شتى

كنا بلا طرق ممهدة .. ولا شوارع معبدة ولا سيارات فارهة .. ولا كهرباء ساطعة .. ولا مياه جارية .. ولا حدائق زاهية .. ولا صحف ولا مجلات .. ولا معاهد ولا مدارس ولا كليات ولا جامعات .. ولا .. مكيفات ولا مبردات .. لا صناعة ولا زراعة .. ولا تجارة ولا بضاعة . الا ما كان فى حدود ضيقة مهددة ! وكان الأمن مفقودا ، والخوف مجدودا .. والسطو معروفا ، والعدو أو العدوان مكشوفا .. والسفر شاقا .. والعلم مغلولا .. والجهل مسدولا .. كل ذلك استبدلنا به خيرا منه كثيرا .. ولله الحمد والمنة .

ولكننا نستزيد من الخير ما استطعنا .. والركب يمشى والقافلة تسير .. غير أن من الحق والانصاف ان لا نقطع صلتنا بالماضى (طفرة) .. وان نشكر الله ما أنعم به ــ وبالشكر تدوم النعم .

واذا نحن تلمسنا جوانب النقص أو الضعف فيجب أن نتوخاها ونتبينها فى النواحى الروحية والخلقية ، فنعض بالنواجد على كل ما هو من مكارم الاخلاق وتراث السلف الصالح .. ففى ذلك فليتنافس المتنافسون و (كل مطرود ملحوق) .. و (كل آت قريب) والله لا يضيع أجر المحسنين وهو ولى المصلحين .

٢٤٤ البولتيكا

كلمة كثيرا ما تتردد على أسماعنا فى محادثات القوم فى « بلادنا » منذ ميزنا الحياة وعرفناها !! يقولها المرء لأخيه أو محدثه وبالأخص إذا كانا من العامة : « يابويه .. لا تسوى لى بولتيكا » ..

فما هى ؟! أما فى مفهومنا المعتمد على القرائن .. فإنها تعنى (لاتعمل لى .. احتيالا .. أو خداعا .. أو تهريجا .. أو فلسفة) . وما كدت أعثر على أصل لها عربى أو عجمى ، واخيرا — وجدتها — مصادفة . ففى بلاد يوغسلافيا — (صربيا) قديما .. صحيفة سياسية تصدر بهذا العنوان ذاته .. اذن هى لغة الغرب ومنها .. واستنتجت أن « البولتيكا » .. هى عبارة عن « السياسة » أو « الدبلوماسية » فهي تلتقي مع المعنى المقصود في اللغة الدارجة العامية .. فى اقوى مدلولاتها ..

وبهذا — نستطيع أن نعيد كل ما هو متداول من الكلمات المجهولة إلى لغاتها الأصلية .. أما كيف دخلت فى هذه البلاد ومع من ؟ فالجواب على ذلك يسير جدا .. فقد كان ولايزال فريق من المسلمين فى بلاد العرب يقدمون إلى هنا للاقامة الدائمة أو للحج والاعتمار .. أو كموظفين فى العصر العثمانى .. الطويل .. اذ كانت العرب احدى الاقاليم التركية .. ومن ثم كان استيطانها واستعمالها .. وحبذا لو أمكن التعقيب لكل ما هو مثلها .. من الألفاظ والكلمات الدخيلة غير العربية !!

(٢٤٥) بركة (ماجل) لا (ماجد) !

يطلق الناس من قديم على البستان الواقع بالمسفلة بمكة — وبركته الكبرى المدفونة الآن (بركة ماجد) .. ولم نعثر قط على هذا (الماجد) فى التاريخ القديم والحديث .

وعلى ذلك فان صحة النسبة هى (بركة ماجل) .. لأن اللغة تنص على أن (الماجل) هو كل ماء فى أصل جبل أو واد .. وهى كذلك واقعة فى أصل جبل وفى بطن واد .. على أنها كانت فى منحدر سيل وادى ابراهيم وقد علمنا أخيرا أنها طمت ودفنت لما ينشأ من الاسن والنتن من توالد البعوض وانتشاره وحسنا كان ردمها .. وكم كان لها وبها من أيام وليالى وقيلات وسمرات ؟! ولا سيما لتقصير يوم الدجن والدجن مقبل ! ولكن بغير ما عنى (**طرفة**) .. فى داليته .. بل بما يتفق وخلائق الإسلام وآدابه الخالدة .

(٢٤٦) الهم .. والفراغ

قرأت فى مجلة (العربى) عدد ٥٦ — صفر ١٣٨٣ كلمة بعنوان : « نادى المهمومين » فى نيويورك .. وهو لايضم الا كل مهموم قلق ، كاره الحياة .. وقد همس لهم الكاتب بأن همهم الاكبر إنما هو الفراغ ! وفقدان الدافع إلى الحياة .. وإلى العمل — وانهم لو ابتلوا بشيء اسمه الفقر والتخلف كغيرهم من شعوب الأرض زالت كل همومهم ولأقفلوا ناديهم .. ورب هم منع هموما كثيرة .. » اه

قلت : حقا ، ان (الشباب والفراغ والجدة ، مفسدة للمرء أى مفسدة) ! غير ان هذا النادى الغريب لا يضم الشباب فقط .. ولعل اكثر أعضائه من الكهول والشيوخ .. وكلهم عاطل خامل هامل — قد جمع من المال والحطام ما أتاح له التفرغ للهموم ! وهنا تقوم البراهين على الحكمة الآلهية فى قوله تعالى : ﴿ **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض** ﴾ ! وان العمران كله لا ينهض ولا يتطور الا بالحركة والعمل والتفكير والتدبير .. ورب فقير عامل هو اتم

صحة وأكمل عقلا وأبسط جسما ، وأصفى نفسا ، وأكرم خلقا من (ثرى) متبرم يقلقه الثراء .. ويحزنه الترف ! ويبلسه الشيطان .. وينغص عليه عيشة الفراغ ، وقديما قالت شاعرة العرب :

وأكل كسيرة فى كسر بيتى
أحب إلى من أكل الرغيف
ولبس عباءة ، وتقر عينى
أحب إلى من لبس الشفوف

ومن تأمل فى خلق الله وأخلاقهم .. علم أنه جل وعلا — جعل الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان .. وانه لم يخل فيها إنسان من الكدح والقرح ! وكما ولد يموت .. ثم يبعث .. وهناك .. (الخلود) .. فإما الجنة ، واما النار ذات الوقود .. والله نسأل أن يلهمنا الرشد ويعيننا على الخير .. ويحسن مآبنا اليه .. (هو نعم المولى ونعم النصير) .

(٢٤٧) (الكلجة) و (الكلج)

إذا لم يستطع الأعجمى الإفصاح والإعراب .. بالعربية — قالوا : إنه (كلجة) ! وذلك مبالغة فى وصفه بالعى أو باللكنة .

ووجدت فى اللغة كلمة « الكلج » — وان (الكلج) هو (الكريم الشجاع) — فهل يتقبل ذلك الناس ؟! إذا وصف احدهم به .. أو يغضب الموصوف به على ضوء أو سواد (الكلجة) ؟

ما أبعد الفرق بين المعنيين ؟ وما أقرب الصلة بين اللفظين .. وبضدها تتميز الأشياء .

(٢٤٨) حلاوة الحجازيين

ابتدأ **أبو عبد الله الزبير بن بكار** — تصدير ديوان (**ابن الدمينة**) بقوله : « كان ابن الدمينة — وهو **عبد الله بن عبيد الله** — من أحسن الناس نمطا يجتمع له مع رقة المعانى الفصاحة . ومع العذوبة الجزالة .. وكان مقدما فى المتغزلين نقى الكلم — بعيدا من التكلف يخلط بمذهب الاعراب « حلاوة الحجازيين » وأكثر شعره نسيب » .

قلت : كان هذا القول فى القرن الثانى من الهجرة .. وسبقه قول **عطاء بن أبى رباح** فى قصة المرأة الحاجة التى كانت تتغنى بهودجها حين إقبالها على مكة فوعظها فاسفرت وقالت : أترى ان الله يعذب مثل هذا الوجه ؟! (إن صح هذا) — فقال : لا والله ، وأردف الراوى يقول : — (كما زعموا والله أعلم) — أما والله لو كان من بعض فظاظ أهل العراق لقال لها : اعزبى قبحك الله — ولكنه ظرف أهل الحجاز .. فهل لايزال هذا الظرف التقليدى — وهذه الحلاوة (المهجمية) ! كما كانا .. أم طرأ عليهما ما غيرهما ؟!

أستطيع واثقا أن أقول انهما لكذلك ! وفى الأدب الحديث وفى شعرائنا الأفذاذ من ورث هذا التراث .. طبعا — لا تطبعا .. وأضاف إليه ما نعتز به ونزهو فى حدود العفاف ومكارم الأخلاق .

٢٤٩ الصديق المداهن والعدو المشاحن

من توصيات **الإمام الغزالي** فى تهذيب الانسان نفسه : « أن يستفيد معرفة عيوبه من ألسنة اعدائه » ؟ وذلك لأن عين السخط تبدى المساويا . كما قال الشاعر ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن أكثر من انتفاعه بصديق مداهن » .

قلت : ومن هنا نستطيع ان نفهم ما عناه **الفاروق** رضى الله عنه بقوله : « رحم الله امرأ اهدى إلىّ عيوبى » وقول الشاعر العربى الحكيم :

عداتى لهم فضل علىّ ومنة
فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا
هموا بحثوا زلتى فاجتنبتها
وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

وقد يغنى عن كل ذلك ـــ التبصر والرشد وهداية الله وتوفيقه وحسن النية والاستقامة والنصيحة والصلاح و هو ولىّ المتقين .

٢٥٠ السد السملقى

قال (**القطامى**) فى العصر الأموى :

إنى حلفت برب من عملت له
خوص المطى بكل خبت (سملق)

قلت : ولا يزال أهل الحجاز عامة يطلقون على (سد ثمالة) المهجور وراء وادى (لية) بالطائف « السد السملقى » . والسملق لغة الأرض الواسعة أو القطاع الصفصف ! ومن هذا يتفق الوصف بما وراء السد من مهمه قفر . اقيم هو لإروائه واعشابه . وإنباته وإخصابه ! ولعله يرم ويعمر . وينمى ويثمر . فإنه من الآثار العظيمة . وبناؤه يدعو إلى العجب والاعجاب . فى ضخامته ومتانته .

٢٥١ توارد الخواطر

اطلعت أخيرا على قصيدة **لموفق الدين الحديدى** ـــ وهو فيما أعتقد ـــ من شعراء مكة فى حدود عام ٧٧٦هـ جاء فيها قوله :

ماذا عسى مدحى ؟ وقد نزل الثنا
فيكم من الرحمن فى « تنزيله » ؟!
فى (هل اتاك) و (هل اتى) و (حديده)
حقا ـــ و (غافره) وفى (تنزيله)

قلت : وتوقفت هنيهة وتذكرت أننى قلت هذا المعنى فى أحد أبيات قصيدة مطولة انشدتها بالمدينة المنورة عام ١٣٧٤هـ ـــ بمناسبة افتتاح مشروع عمارة المسجد النبوى الشريف .. وهو :

ما عسانى أقول ـــ و (المدح) يتلى
بك فى (نوره) وفى (فرقانه) ؟!

وعرفت أن هذا ما يطلق عليه البلاغيون أو البيانيون أو البديعيون « توارد خواطر » .. وما كنت قرأت ذلك من قبل ـــ ولكنه من البدهيات التى لا يضيق بها الخيال ـــ وهو من الحقائق الناصعة ! وصلى الله وسلم على من أرسله رحمة للعالمين .

٢٥٢ (مر) - (الظهران)

قال **ياقوت عن عرام** : ان (مر) : هى القرية .. والظهران هو الوادى ، قال : وبمر عيون كثيرة ونخل وجميز . وقال **ابن الدمينة** :

فاشهد عند الله لازلت لائما
لنفسى ما دامت (بمر) الكظائم

« والكظائم » . الآبار .. وهو يعنى أنه لا يزال لائما لنفسه أبدا لأن الآبار لا تزول من أماكنها . ! ونرجو لهذا الوادى الأفيح ـــ الخصب والهناء ـــ والنعمة والرخاء .. وأن يمن الله عليه بالسماء .. وأن لايشح به الماء .. ! وأن يحسن الله لأهله الجزاء .. وينزل عليهم من بركاته ما يعم به الرغد والرخاء وهو السميع البصير ، واللطيف الخبير .

٢٥٣ من افواه الرواة ومالم يدونه التاريخ «المقتلة» و «أم الدود»

عند أبواب مكة الجديدة ـــ وعلى مسافة ٥ كيلو مترات ثم عشرة .. تقع محطتان فى طريق جدة تسمى إحداهما « أم الدود » والأخرى « المقتلة » .. وما زلت أتعقب أسباب هذه التسمية .. غير المهضومة فعلمت من الرواة .. المسنين قصة لذلك لا أزال أشك فى صحتها حتى الآن .. إلا أنها غير مستحيلة الوقوع ! قالوا : إن مكة كانت قبل قرون عديدة .. لا تخلو من العصبية الشديدة وتنافس كبير بين ولاة الأمور وأخوتهم وبنى عمومتهم .. ولكل منهم شوكة كبيرة من القواد الذين هم من الزنوج .. المعروفين بالشجاعة والبسالة .. وهم محل اعتمادهم وثقتهم وتقديمهم وتكريمهم .. ولهم الأمر والنهى فى الشئون الحربية والدفاع .. والمخافر ، والقلاع .. وكان من أمرهم أن أحدهم وقد ارتقى عند سيده إلى درجة ما بعدها إلا هو !

وعلم أن سيده أصبح لا يستطيع أن يتصرف بدونه .. وتطلع إلى ما لايحلم به إلا العظماء .. وحدثته نفسه أن يخطب إليه « ابنته » سليلة المجد والعفاف والشرف الباذخ فتقدم إليه بذلك ـــ غير خجل ولا وجل ـــ وكان « سيدنا » من الدهاء وبعد النظر بحيث خدعه .. وقال له : هذا ما كنت أفكر فيه ولا أفاتحك به حتى حانت الساعة .. وحلت البركة .. فيا بشرى لك .. غير أنه من الضرورى أن نعد أسباب الزفاف ونحضر الرياش والفراش .. ولا يكون ذلك من بطن مكة .. أو جدة .. ولكن من مصر والشام .. وغدا إن شاء الله استعد لتتسلم كذا وكذا من «الذهب الابريز » .. وتتوجه إلى الخارج وتحضر كل ذلك ! خلال شهر أو شهرين إن شاء الله ، وحينئذ نقيم الأفراح والليالى الملاح ! وتظفر بأمنيتك دون أى تنغيص ! وصدق الوعد ولم يدر أنه « الوعيد » .. وبعد أن غادر مجلس سيده .. إلى قلعته .. أو داره .. دعا سيدنا أبناءه وأبناء عمومته وذوى الشمم والشهامة .. وأنباهم بما حدث !! فصعقوا وأقسموا أن يشربوا من دمه .. وأن يبادروه فى الحال بذلك .. فاستمهلهم .. وقال : على هونكم « الأمر مدرك » .. اذهبوا على الفور وجهزوا جيشا لا يقل عن خمسمائة مسلح .. وأكمنوا له ولمن معه من مودعيه وأتباعه .. وكلهم أهل صولة وجولة فى الطريق .. أول الطريق واصلوهم ناراً حامية ولاتبقوا منهم أحدا .. «يؤدى الخبرة ! وهكذا كان فلموا شعثهم ووحدوا صفهم .. وكمنوا فى جبال « المقتلة » ـــ وما حولها ـــ وفى الصباح الباكر أقبل القائد الكبير أو العريس الموعود .. بجمع غفير من أبناء جلدته .. وذوى سلطته .. وهناك كانت الواقعة وسقط من الفريقين عدد كبير .. وقتل صاحب الشأن .. المشين ! ولذلك سميت هذه البقعة « المقتلة » ..

أما « أم الدود » فقالوا إن جثث القتلى تركت بالعراء .. وأن الدود مشى عليها .. وبعد أن فرغ من نهشها وهضمها زحف إلى « أم الدود » وظن أن بها مثل ما التهمه فى أختها وخاب ظنه وبقى ثمة مدة طويلة ! » اه

هكذا قالوا .. ولا أصدقه ولن أصدقه بحال وأعلل التسميتين بما هو أجدربالصحة واليقين وهو أن الحجاج كانوا دائما عرضة « للعدوان » .

وفى إمكان كل مفكر أن يعيد هاتين التسميتين إلى ذلك .. فإن ما بين مكة وجدة والطائف والمدينة ــ كل الطرق منها وإليها كانت مخوفة محفوفة بالمخاطر .. فلماذا لا يكون هذا هو السبب ؟

ويأتى فى المرتبة الثانية أيضا اقتتال أمراء مكة وأتباعهم .. يوما بعد يوم وأسبوعا بعد أسبوع وشهرا بعد شهر ... على الحكم والولاية .. وطالما شهدت ذلك الصراع البطاح والشعاب حتى فى بطن سويقة والشبيكة .

والمهم من سرد هذه القصة .. ضرورة تبديل هذين الاسمين بما يليق بمداخل مكة وأول ما يقابل القادم إلى بيت الله الحرام « **الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا** » . وأن يختار لكل منهما اسم مبشر مفرح .. جميل .. وما ذلك على امانة العاصمة والمجلس البلدى الموقر بعزيز .. وقد منَّ الله على الحرمين الشريفين بمن تحسدهما عليها كل أرض وكل أمة تحت كل كوكب .. والحمد لله رب العالمين .

٢٥٤ (الصاعد ـ والهابط) ؟!

اصطلح المحدثون ، والكتاب والصحفيون على وصف الشباب المثقف والنشء المهذب ــ بالجيل الصاعد .. وتابعهم الشعراء والأدباء على ذلك .. وقرأت للخليع **الحسين بن الضحاك** وهو من شعراء الدولة العباسية « المولود » سنة ١٥٠ هـ والمتوفى سنة ٢٥٠ هـ عن عمر تجاوز القرن !! هذين البيتين :

انا فى « ثمانين » وفيتها عذير ــ وان أنا لم اعتذر ؟
فكيف وقد جزتها (صاعدا) ؟ مع الصاعدين بتسع آخر ؟

قلت : إذا كان (الصعود) يعنى فى ارتفاع السن ــ فى الزمن القديم ــ أما الآن فإنه يطلق على ذوى (الرقى العلمى) .. و « الثقافى » من الشبان والفتيان .. وفى الجملة على كل من يتمشى ويتطور مع الحياة العملية الكادحة ! ويقابله (الهبوط) ــ فى القمة ــ والكلل .. والملل .. والإخلاد إلى السكون ، من ذوى الأسنان الطويلة والأذهان الكليلة ، وفى الفريقين فضل لا يغمط ..

ولا الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

٢٥٥ الشريف سرور أمير مكة وذكاء والدته

كان هذا الأمير من أفذاذ الرجال سياسة وشجاعة وكرما .. إلا أن والدته كانت (الاماء) سوداء البشرة .. ومات أبوه « الأمير » واجتمعوا

فى « المثناة » بالطائف لانتخاب من يخلفه .. وكان المرشح الأول هو الشريف سرور .. غير أن له « أخوة » وبنى عم من البيض ذوى الخالات من « البطحاء » أو « الدهناء » .. وشعرت أمه بما يحوك بصدورهم .. (قالوا) : فاحتالت ووضعت دينارا ذهبيا جديداً لماعا فى منديل أسود وقذفت به من النافذة فى وسطهم وهم يأتمرون فتسابقوا إليه ووجدوا فى باطنه الدينار .. فعلموا انها تقول : إن أخاكم ــ جوهر خالص ــ ولكن غلافة فقط .. هو « الأسود » .. فبايعوه وهذه رواية سمعناها من افواه المتقدمين والله اعلم .

(٢٥٦) ماهو الأشكل ؟

قال الضحاك :

سر على اسم الله يا« أشكل » من غصن ويشاهد فيه ــ قوله (يا أشكل) ــ فهو يعنى يا أجمل .. أو أبهى وأزهى ــ ويستعملها الناس الآن فى غير معناها .. فيقولون (أشكل) بمعنى (أكثر) .. حتى فى تبادل المجاملات والتحيات والأشواق .. وما هى من ذلك فى قبيل أو دبير ! ومع التسامح نستطيع أن نحمل السبب على أنه المشاكلة .. والمشابهة .. فإذا قال أحدهم إننى مشتاق إليك ــ أجابه الآخر .. وأنا (أشكل) .. أى مثيل أو شبيه بك فى شوقك أما فى الغدد ــ فلا يصح البتة بمعنى الأكثر أو الأزيد !! ولفض الإشكال فلا محيص من التدقيق فى النقائض والأشكال و (لكل مقام مقال) .

(٢٥٧) مكي ـ يشكو الى الأمير

كان الشريف سرور فى الطائف ويقيم (بالمثناة) وحدث لأحد الأهالى بمكة ما اضطره إلى الشكوى إلى سيدنا ــ فتوجه إلى الطائف لذلك .. وجاء مبكرا إلى المثناة .. فوجد فى أحد بساتينها حول دار الأمير « **عبدا** » ذا (مشالى) .. محتزما « بالحمودى » فى وسطه .. ويلبس ثوبا « محرودا » وفى يده « المسحاة » ! وهو يشق للماء جدولا إلى الغروس بين الركبان .. فقال له : السلام عليكم : بالله يا (دادى) متى يجلس سيدنا ؟ .. فقال له (والله يا ولد سيدى .. ما يجلس سيدنا الا الساعة) .

فاذا رأيت الباب فتح والخيل والبغال صهلت وأقبلت .. والخدم والحشم و (القواسة) .. تجمعوا .. فأقدم واستأذن واصعد إليه فى هذا « الروشن الكبير » .. فشكره وانتظر فى أحد سفوح الجبال ثمة ــ (كطبقان العرابى) وبعد أن اكتمل الحضور .. وتكاثر الجمهور .. عمل بنصيحته ! وصعد واستأذن وأذن له .. وما أن أقبل على سيدنا ورآه ، حتى غشى عليه ؟! لأنه كان هو هو بذاته ! وكان قد تغير لباسه وظهر فى جلال الامارة والحكم والسلطان .. فاستدعاه وهمس فى أذنه أن لا لوم عليك أنت ! إنما اللوم على (أبى رحمه الله) : فلا تبتئس ولا تنزعج .. وقل ما تشكو منه وأخذ منه « عريضته » وأكرمه وبلغ فى ذلك !.. وهذه رواية استفاضت وسمعناها من كبار المعمرين .. والله أعلم .

٢٥٨ العلق هو النفيس

قال أوس بن حجر :

هو الواهب العلق عين النفـــ ـــيس والمتعلى على الــــواهب

وكذلك هو فى اللغة الفصحى ، فما الذى أحاله إلى المعنى الساقط المرذول ؟ حتى انه لا يرتضى أن يوصف به إنسان ما ؟ — سبحان الله ! حتى الألفاظ تستكره وتبتلى .. ؟ — ومع ذلك لا أنصح لأحد من الكتاب ولا من الشعراء ان يستخدم هذا اللفظ — بعد ان علقت به وشابته المدلولات الطارئة الأليمة .. وفى هذا فقط استسيغ المثل السائر : (خطأ مشهور — خير من صحيح مهجور) إلا أن يكون فى أمر الدين .. فلا خيار فيه .. وإنما هو النص والاتباع .

و « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وما مر بى قط فيما قرأت حتى الآن استعمال هذه — الكلمة — فى الأدب القديم والحديث .. إلا بمعناها الأصيل .. وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

٢٥٩ ورثة الميت وضريبة التركات

سمعنا من المسنين — رحمهم الله — هذه القصة :

قالوا : كان الشيخ العجيمى — رحمه الله — من خيرة وكبار علماء مكة المكرمة من قبل القرن الحادى عشر الهجرى .. وكانت حلقة درسه كبيرة .. ومع ذلك كان يتعهد المريض والغائب والمسافر منهم ويزورهم .. ويسأل عنهم .. وكذلك شأن بقية العلماء فى وقته مع طلابهم .. وتلاميذهم .. واتفق أن غاب أحد الطلبة عن الدرس ليلة .. فسأل عنه فقال زملاؤه لا ندرى سبب غيابه ؟ وفى اليوم التالى علم أن أباه كان مريضا جدا وتوفاه الله فحضروا جنازته وعزوه .. فغاب أيضا أياما .. فذهب الشيخ وقال له : ما خطبك ؟ قال انه لم يكفنى موت الوالد حتى جاءت المصيبة الأخرى معه .. أو بعده ! قال كيف وما هى ؟ قال : جاءنا مأمور بيت المال يقول إن عليه جرد متروكاته .. وبيعها وأخذ نصف قيمتها كما أمر سيدنا « لسيدنا » وبقينا فى حيرة من أمرنا وكل التركة لا يفى بضرورياتنا وبسداد ما علينا وعليه ! قال : أتقول جد ؟ قال نعم ! قال : مكانك ولا تبرح .. ولا تسلم شيئا حتى أعود اليك وصعد إلى داره واغتسل ! ولبس طيلسانه واصطحب معه تحت ابطه « بقشة » .. محترمة وتوجه إلى (سيدنا) وكانت البقشة تحوى على « حنوط وكفن » .. واقبل على الشريف فتلقاه بالترحيب والتكريم كعادته ..

فقال له الشيخ : جئتكم لأمر هام جدا .. وهو أن « فلانا » توفى وخلف زوجة وولدا وبنتين و « سيدنا » !

فقاطعه الشريف : وسيدنا ؟ وماله يدخل مع الورثة .. قال : هكذا قال مأمور بيت المال .. وافترض أخذ نصف التركة لسيدنا .. وأنا الآن أراجعكم فى أن هذا الأمر لا يقره الشرع الشريف ولا يرضى به الله ورسوله ﷺ .. فان سمعت النصيحة فَعُد عن هذا أو مُر بإلغائه وإلا فإنى سأصيح فى الناس بالجهاد .. ما دام حامى الشريعة — ينقضها ويخالفها وهذا كفنى

وحنوطى تحت إبطى ــ وألقى الله وقد وفيت بعهدى وقمت بما أمرنى به .

قالوا : فما كان من « سيدنا » جزاه الله خيرا إلا أن بادر فى الحال بالغاء ذلك الأمر .. وإعادة ما سبق أخذه من قبل إلى أهله .. وشكر الناصح .. وقبل النصيحة وأذعن للحق .. ودحض الباطل .. إن الباطل كان زهوقا .

٢٦٠ الحفاظ العربى

ومستعجب مما يرى من أناتيا
ولو زبنته الحرب لم يترمرم

فانا وجدنا العرض أحوج ساعة
إلى الصون من ريط يمان مسهم

أرى حرب أقوام تدق ــ وحربنا
تجل فنعروری بها کل معظم

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة
معضلة منا بجمع عرمرم

« أوس بن حجر »

قلت : وما بعد ما عبرت عنه هذه النفثة المظلومة ! مجال لمستزيد .. وكذلك هم العرب ! وما برح تراثهم محفوظا ــ وحفاظهم ــ مأثورا . وهم فى الإسلام وبالإيمان قد أغناهم الله بالقرآن .. ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ . صدق الله العظيم .

٢٦١ (سيدنا) و (جليسه) وشيخ الأغاوات

تتردد هذه الحكاية من أفواه الرواة .. وهى أنه كان منذ أكثر من قرن بمكة رجل ذو مكانة ووقار .. ومن بيت معروف بالفضل والكرم واليسار وكان شيخا من مشايخ الجاوى .. وله أدب ومشاركة فى النوادر والفكاهات .. يحضر مجلس سيدنا فى كل ليلة للمسامرة !

وفى أحد الأعوام ضاقت به الأحوال ولم يرد موسم مناسب يسدد به ديونه ويقضى حوائجه .. فانقطع عن عادته فى المجلس .. ولم يتعهده « سيدنا » بالسؤال عن انقطاعه .. شهرا .

وأقبل شهر رمضان ــ وتكاليفه عادة مضاعفة ويحتاج إلى « كساوى » لأهله وأولاده وخدمه ولا شيء لديه من الدراهم !.. و « الحاجة أم الاختراع » كما يقولون .. ففكر وقدر .. وهدته الحيلة إلى طريقة يحل بها مشكلته ويزيل بها أزمته فانطلق إلى « المنشية . أو سوق الفاكهة .. وسأل عن أحدث وافضل الفواكه الجديدة الواردة من الداخل ومن الخارج .. فوجد عمليه على قدم الاستعداد لتقديم كل ما يريد « نصبة ــ أو سلفا » .

فقال له : اسمع أحضر الآن أربعة معاشر ممتازة واملأ فيها عشرة صحون من الكبار المذهبة ، ابعث بها إليك الآن .. وضع خير ما لديك فيها .. وغطها « بالغطابوش » .. وهى من صفر مرغول بالفضة ومزركش ، وائتنى بها إلى البيت حالا .. وكان ذلك فى ليلة ٢٩ رمضان .. وتوجه إلى داره ووافته المعاشر .. فاستدعى أربعة من

رجاله وأصدقائه .. وألبسهم الصمائد والعقل المذهبة .. والمشالح الجميلة .. وكان قد استعار لهم ذلك ايضا .. من بعض معارفه .. وحملهم المعاشر الأربعة .. وقال لهم : اذهبوا بها حالا إلى دار صاحب السعادة « شيخ الاغاوات » .. فى وقار واحترام .. وقدموها اليه بأنها مرسلة إلى سعادته من « دولتلو سيادتلو سيدنا وسيد الجميع » هدية وتذكارا واكراما واختصاصا واكبارا .. وكان لشيخ الاغوات مكانة ممتازة فى ذلك العهد — « أدركنا بقاياها فى آخر عهود الأتراك بمكة » . وذلك لصلته المباشرة بأغوات القصر السلطانى فى الاستانة » .

وما أن وصلوا بالمعاشر إلى دار الشيخ حتى بادر خدمه وعبيده بإخباره « برسل سيدنا وهداياه » ! فنزل من أعلى الدار إلى ديوان الاستقبال وهو لا يكاد يصدق ذلك .. أو أنه فى حلم .. وأحسن وفادة القادمين وما شك أنهم رسل سيدنا بما كانوا يرتدونه من « الصمائد الشوربان » ! والجنابى المذهبة .. والمشالح .. المهذبة .. وأجاز كل منهم بخمسمائة ريال فرانسة مبالغة فى التقدير للمرسل المهدى وعظمته وعطفه !

وعادوا إلى عمهم وهم يحملون الصرر ذات الألفين .. من الريالات « الفرنسية » .. وكانت ذات قيمة شرائية عظيمة بحيث يمكن أن يشترى بها داران واكثر ! فأخذها منهم .. وأعطى كل واحد منهم ما تيسر .. وحاسب صاحب الفواكه ومالك المعاشر .. وخرج إلى سويقة واشترى حاجات أهله واولاده .. من الأكسية « للعيد السعيد » ثم قضى كل ما يلزم من اللحوم والخضروات والحلوى والجبن والزيتون و « الدبيازة » و « الكنافة » وماء الورد .. (لأجل المرش !) .

وبعد أن رجع وكانت الساعة الرابعة ليلا أو الخامسة .. أخذ مكانه من سرير نومه و (راحت السكرة .. وجاءت الفكرة) ؟! وقدر أن شيخ الأغاوات سيذهب فى الصباح إلى سيدنا ليقدم إليه شكره العميق ودعاءه الصالح .. فماذا يكون الموقف حينئذ ؟ ونهض على الفور من فراشه ولبس أرديته وتجمل .. وتوجه فى الحال إلى دار سيدنا .. وصعد وما كان يمنعه أحد من الحجاب لأنه معروف الشخصية وأنه من خصواص مخدومهم .. ودخل وسلم .. واستغرب (سيدنا) من انقطاعه الطويل وحضوره غير المنتظر .. وسأل منه عن سبب ذلك ؟ ..

فقال له : يا سيدنا .. كان من أمرى كيت وكيت .. وقد شغل سيدنا عن خادمه ولم يفتكره ولا تفقده أو تعهده .. وأخيرا فعلت وفعلت !؟ وكان وكذا .. ولقد خفت أن يقدم الشيخ شكره لسيدنا وأقع فى مكروه وعتاب أو عقاب شديدين !؟ فانتظر الشريف مليا .. ثم قال له : حق لك نسيناه وعلينا اللائمة فيما فرطنا فيه .. وان كل ما فعلت قد أجزناه .. واذا جاءنى شاكرا تقبلت ذلك منه وكافأتك بما يناسب مادة ومعنى .. أما أنت فلل العتبى حتى ترضى ولك ما وصلك منه ومثله معه وأمر له بألفى ريال فرانسه اخرى ! ولم يخرج وهى أمامه .. وكان عيده مباركاً سعيداً لم يسبق له مثيل من قبل .

وأقبل الشيخ .. (شيخ الأغوات) فى موكبه (يوم العيد) .. وعلى عربته ومع خدمه .. وصعد درج القصر قفزاً مبادراً إلى تقبيل يدى سيدنا الذى آثره بهديته .. ورتل آيات الشكر

والبقاء والدعاء .. وما كان من (سيد الجميع) إلا أنه قال له : هذا قليل فى حقك يا شيخ .. وأعد له كسوة ممتازة ولمن كان فى معيته من حاشيته وبذل له من بشاشته واكرامه وعطائه بما لا عهد له به ! وهكذا خرج مسرورا محبوباً .. والله أعلم .

و (الدين النصيحة) — فلا يصح أن تكرر الحادثة .. فما كل مرة تسلم الجرة !؟

٢٦٢ القض .. والقضيض ؟ !

قال أوس بن حجر :

وجاءت سليم قضها — وقضيضها
بأكثر ما كانوا عديدا — وأوكعوا

والقض — هو الحصى الكبار ، والقضيض هو الحصى الصغار — أى جاءوا بأجمعهم — و (أوكعوا) أى اشتدوا فى القتال .. ولعل أحدنا لو سئل عن مثل هذا فجأة لتوقف .. واستذكر .. فهل من حرج إذا هو يدرج مع الشذرات أو ينشر !؟

٢٦٣ شتائم المركاز

كان من عوائد كبار أهل المحلة أو الحارة .. من الفحول .. ومن يشار إليهم بالبنان .. انهم بعد أداء الصلوات — المغرب والعشاء — يعقدون جلسائهم — ويواصلون سهرامهم فى (المراكيز) ! أى على كراسى القهوة .. كل فى محلته وعلى الواجهة .. أو فى (المقاف) ! .. وأخذ أحدهم .. يشتم الشريف عبد الله بن محمد بن عون ويقذع .. ويتمادى فى ذلك .. وسمعه أحد أنصاره فرفع إلى مسامعه ما يتحدث به ذلك الرجل .. فقال الشريف (أى سيدنا) لا بأس دعه والله حسيبه ! — وفى اليوم التالى استدعاه إلى حضرته .. وجاء الرجل وهو لا يشك أنه سيعذب ويسجن ويضرب .. وكاد المريب أن يقول : خذونى — فأقبل مصفر اللون ممتقع الوجه .. مرتعش الأوصال .. وعندما قرب من الشريف .. قبل يده وخضع وخنع .. وربت سيدنا على كتفه .. وقال له : مرحبا بك .. إننى عاتب عليك .. وأنت من أهل حارتنا وتعد من جيراننا ولا نراك ولا تزورنا لا لا ! هذا منك جفاء .. لا بد من أن نراك دائما .. وعندما قال له ذلك .. اعتذر وأبدى أسفه على التقصير .. وعزاه إلى الهيبة والمقام .. وقبل أن يغادر مكانه كان الشريف قد أحضر له صرة .. مختومة .. وفيها (لكامية) قد لا تقل عن (المائة) .. من الريالات .. وكل ريال كان يومئذ .. يعادل جنيها ونصف وربع وثمن الجنيه فى قيمته الشرائية .. فقبضها وخرج بها وهو طائر من الفرح .. داعيا شاكرا حامدا !

وحان موعد السمر .. وكان (الرقيبب سميعا بصيرا) وأخذ القوم فى الحديث .. فابتدرهم المجاز .. على الحقيقة لا المجاز !؟ بقوله : يا جماعة « ايش أقل لكم ؟ البارح شفت فى النوم رؤيا عجيبة ! رأيت النبى ﷺ ينهانى عن شتم الشريف .. ويوصينى بالاخلاص له والثناء عليه .. وأنه خير الحكام وانه لا يرضى من كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتعرض له بسوء فى القول والعمل . وها أنذا أشهدكم أننى لن أتحدث عنه إلا بكل خير أطال الله عمره .. وأيده ونصره وحفظه وتولاه .. و (تعروى) له .. فى كل كبير وصغير .. وو .. ودهش السامرون من

هذا .. الذى انعكس من القدح إلى المدح .. ومن الردح إلى الموادعة .. وصدقوا (الرؤيا) .

وجاء الرقيب إلى سيدنا .. فسأله ! ألا يزال صاحبك يسب ويشتم ؟ .. فأخبره بما سمع ورأى ، فقال له .. على كل حال قد قطعنا لسانه ! وكسبنا امتنانه والانسان عبد الاحسان ، ويدرك باللطف ما لا يدرك بالعنف والله جل وعلا يقول لنبيه الكريم : ﴿ **ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك** ﴾ .. والله أعلم .

٢٦٤ ابن الوزير في (المطاف)

حكى ان ابنا لوزير كبير لأحد أمراء مكة القدامى كان فى صباه — (ناثعا مائعا .. وزير نساء ..) ولا يزال يتزين فى لباسه ويتأنق فى مظهره ، فسراويله من الشلش ! وثوبه من (الدرابزون) وصمادته من (السليمى) . والجور فى عينيه من كل كحل الحجر والأثمد .. وريح العود ينفح من اعطافه واذا مشى تأود كغصن البان .. وترنح كالسكران وإذا نطق .. كالكواعب ! وإذا نظر فكالأرانب .

وبلغ به الترف والعياقة وسوء الأدب .. و (قلة الدين) .. أن يتبختر فى (المطاف) .. ويحدق فى الطائفات من ذوات الصون والدين والعفاف وربما تكلم بلحظه .. وأومأ بكفه .. وزاحم بكتفه ورآه أهل المروءة من خدام المسجد الحرام الأمناء والأغاوات الكرام .. فنصحوه فزجرهم .. معتمدا على نفوذ أبيه ومكانته ! وضاقوا به ذرعا وأبلغوا عنه (شيخهم) الكبير وكان ذا مكانة عالية وسلطة نافذة وحينئذ قال لهم : دعوه وسأحضر مساء اليوم عصرا .. وأصلى المغرب وأتحقق بنفسى ما رميتموه به .. وحضر فعلا وثبت لديه بالمشاهدة والعيان صدق ما قالوه .. فقال لأنصاره وخدمه وعبيده ورهطه : هاتوه وطرحه أرضا .. وشواه عجنا وعضا .. وطولا وعرضا .. وترك فى بدنه آثارا لا تمحى من الضرب المبرح . وقام ينفض عنه أردان الموت .. ولا يكاد ينجو منه واشتفى بذلك غليل الصالحين من عباد الله وأحاطوا بالشيخ يشكرون له ما صنع ! ويدعون له بالجزاء الحسن .. وذهب (المضروب) إلى ابيه يشكو ما وقع فيه .. وأخذه بيده إلى (بيت سيدنا) .. وأراه ما به من آثار الجلد والرض .. ودمه لا يزال يسيل ! فاستدعى (شيخ الأغوات) فى الحال والغضب آخذ منه كل مأخذ .. ورغم كل ما كان للشيخ من اعتبار فقد عزم على الانتقام منه بكل ما يستطيع من تحقير وتوبيخ و« تصبيخ » ! وأقبل الشيخ وفاتحه الأمير — بكثير من الغضب والحنق بما حصل منه وأن هذا لايصح أن يكون ولا يرضى به ولا هو من صلاحيته .. وبعد أن أفرغ كل ما فى نفسه من هجوم واحتجاج .. والشيخ صامت لايجيب .. قال : تكلم ما هذا الذى تجرأت عليه مع وجودى !؟ (قالوا) فتحرك الشيخ من مجلسه ووقف .. وقال : يا سيدنا ان هذا الدين الذى يدين به كل مؤمن وكل مسلم إنما جاءنا وآمنا به وفديناه بأرواحنا عن طريق جدكم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. ونحن إنما أقامنا السلطان خدما لبيت الله الحرام لنحفظ حماه من كل معكر .. وفى حدود المطاف لا غير .. وقد تكرر من هذا « الوغد » .. ما لا يصبر عليه غيور ولا يغضى عنه إلا فاجر كفور .. ولم نبدأه بالشر .. ولا بالزجر .. ونصحناه مرارا .. أن يتقى الله ويخشاه فى هذا المكان المقدس التى تطأطأ فيه

جباه الملوك والعظماء .. وترقب الله وترجو رحمته وتخشى عذابه .. فلم يزدجر .. واعتدم على سلطة أبيه .. واستهتر بنا وبالدين وبالأدب والأخلاق .. ورأيت كل من فى المسجد حانقا عليه يكاد يبطش به .. ويقضى على حياته .. فأدبته وأذقته ما لو كان على يدكم وبغيرتكم على المروءة والشهامة التى هى « فضيلتكم » .. لكان فى « خبر كان » وأخواتها وان من حقنا على سيدنا أن يشجعنا على ما قمنا به لأنه من توصياتكم .. وأخص صفاتكم .. وما بعدكم من يزعم أنه أغير منكم على الحرمات ولكم أن تصنعوا بعد ذلك ما شئتم والله مع المتقين .

فما كان من سيدنا إلا أن صافحه شاكرا .. وأيده شيخا .. وأكبره مسلما .. وصرفه مكرما .. وطرد الأب وابنه .. من داره .. ومنعه من زيارته أو جواره ، وتوعده بما لايخطر بباله من التأديب إن هو عاد إلى فعلاته المنكرة .. والله أعلم ..

٢٦٥ الشريف عون الرفيق و « باجو »

كان على (باجو) ـــ وهو رجل قبورى بمكة دين لأحد الناس .. ولم يوفه به وماطله كثيرا .. فشكاه إلى أمير مكة **الشريف عون الرفيق** .. فاستدعاه وسأله لماذا لم يؤد لصاحبه حقه ؟ فقال : ياسيدى (الحال واقف) .. وربنا يفرجها .. وإن شاء الله الموسم مقبل وأملنا فى الله كبير .. ! فقال له : وما هو عملك أنت حتى ترجو الفرج فى الموسم؟ فقال : اننى « قبورى » ! فقال : أتريد أن يكون فرج الله لك (بلاء) فى خلقه .. و (شوطة فى حجاجه) .. خذوه إلى السجن : فاستدار ليؤخذ وهو يتمتم ! فقال : أعينوه بماذا أنت « تبربر » وما تقول ؟ قال : لا شيء .. إنما كنت أقول : لا رحم الله الحجاج .. قال لماذا ؟ قال : لأنه لم يستأصلكم جميعا .. فلا نقع فى هذا الظلم .. فقهقه طويلا وقال : أطلقوه أطلقوه ..

هذا ما سمعناه والعهدة على الراوى .

٢٦٦ تكذيب أو تصديق ؟

أخبرنى أحد المعمرين .. انه عندما توفى ـــ أمير مكة المكرمة ـــ المرحوم **الشريف عبد الله بن محمد بن عون** ـــ وكان محبوبا من الأهالى .. وكثير الاتصال بخاصتهم وعامتهم .. ولا يضن عليهم ببره وصلاته . وتعهده وزياراته .. حزن لذلك الجميع .. ورثاه شعراء وقته .. ومنهم شاعر قال من قصيدته : بيت شعر إن **ابن عون** هذا لم يدفن فى لحده وحده بل دفن معه الكرم والجود .. (أيضا) .. قال الراوى :

وكان فى المجلس المرحوم ـــ (**الشريف الحسين بن على**) ابن أخى المتوفى الذى كان أميراً لمكة من عام ١٣٢٦هـ إلى عام ١٣٣٤هـ ثم اعلن الثورة على الأتراك فى عام ١٣٣٤ وصار ملكا للحجاز إلى عام ١٣٤٣ .. واستمع إلى الشاعر وهو يردد بيته هذا ؟ فتبرم به ومنه وأزعجه أن يموت الكرم والجود مع عمه .. أى فلا يظن أحد بعده أن من أهله أو ذوى قرابته من يسد فراغه فزجره .. وقال : لا ـــ لا ـــ لا .. لا تقل هذا ؟ وكان الشاعر صاحب بديهة حاضرة فقال :

بشرك الله بالخير .. يا طويل العمر .. وما عليك إلا أن تكذبنى فى الحال .. وأنا أغيره ..

على الفور أيضا .. أو تصدقنى وتشاغل عنه على مضض ! وكذلك سمعناها من المتقدمين والله أعلم بالمهتدين .

٢٦٧ جبال في احياء مكة في شعابها

افضل الأستاذ الجليل صاحب المنهل الأغر .. فأحال علي ، الإجابة عن الاستفسار الذى تقدم به الأستاذ الكريم (**محمد سعيد ذو الفقار**) فى مقاله الماتع « عذراء جديس » المنشور بمنهل رجب ١٣٨٤ جزء (٧) مجلد ٢٥ .. ورغبة فى الايجاز ــ غير المغل .. أتقدم بالشكر لفضيلته على حسن ظنه وأقول وبالله الاستعانة :

أولا ــ ان تسمية (اجياد) بهذا الاسم .. و(المطابخ) بالشعب قديما ــ لا لآن ــ إنما كانت .. كى نصت تواريخ الاقدمين لنفس العلة والسبب اللذين أوردهما الأستاذ (**ذو الفقار**) كما قد عللت تسمية جبل (قعيقعان) .. بأنها .. كانت لقعقعة سيوف العرب فيه .. وما لنا من حيلة فى قبول ذلك ــ كما جاء ــ عنهم حتى يقوم دليل يدحضه .. من جيلهم وقبيلهم .. وزمانهم .. وأيامهم ! وليس لذلك من أهمية فى عصرنا هذا .. وقد غودر ما هو أكثر أهمية نهب التخرصات والظنون !

ثانيا ــ أما (شعب عامر) .. فقد عثرت فيما أتذكر على هذه التسمية من الصدر الأول أو القرن الأول والثانى فيما كتب عنه لون تعليل للتسمية .. وأغلب الظن .. انه كان منزلا لعامر والد **عبد الله بن عامر** .. صاحب الولايات فى العهد الأموي .. والذى عرف بالجود والكرم .. وبأنه ما حل مكانا أو بلدا أو قرية .. إلا تدفق فيها الماء ومشت الجداول والعيون والغدران وهو صاحب بستان **ابن عامر** .. الذى لا يزال أيضا محل خلاف فى كونه بالزيماء أو بالشرائع .. أو بالابطح .. وكل ذلك ظنون .. حتى يقطع الشك اليقين .

ثالثا ــ اما (جبل الشراشف) .. و (جبل السبع البنات) .. فما وقفت فى كل مطالعاتى على أصل لهما .. من العصر الجاهلى أو الاسلامى .. وأكاد أجزم أن جبل (الشراشف) انما سماه بذلك العامة .. لأنه .. كما هو شأن أغلب الجبال ذو (شرفات) فى قمته .. والعامة تؤاخى بين الشرفة .. والشراشف وهذا حد اجتهادى .. وأما (جبل السبع البنات) فقد تساءلت عن علة التسمية فى التعليقات الماضية ! ولم أجد من يجيب .. من المعمرين .. وخير ما تأولته فيه .. انه جبل السبع بنات .. أى أن اغصانا من البان نبتت ثمة .. فاطلق عليه ذلك .. ثم حرف ! أو هو على أحسن الاحتمالات سمى بذلك لأن أسرة مكونة من (سبع بنات) فعلا .. أقامت به زمنا ما .. (مع إحسان الظن .. أيضا .. ــ .. فان لم يقنع ذلك ولا هذا .. (فمن حفظ حجة على من لم يحفظ) .

رابعا ــ فأما (شعب على) .. فلا مشاحة أنه مقترن بأدلة .. حسية منها الأثر القائم الذى قالوا أنه (مولد أمير المؤمنين **على بن أبى طالب** رضى الله عنه (وهو هو فيما أعتقد (شعب بنى هاشم) أو شعب الهواشم .. وبهذا يتضح الجواب .. كما أن به ما اصطلح عليه الناس منذ صدر الاسلام وهو مولد سيد ولد آدم **محمد صلوات الله وسلامه عليه** .. وعلى آله وأصحابه أجمعين .

خامسا — وأما جبل (خندمة) .. فإنه (خندمة) بالميم لا بالقاف .. وأحسب ذلك تطبيعا .. وهو على يمين الصاعد إلى منى وأحد اخشبى مكة .. ويقابله الثانى (قعيقعان) .. وفى خندمة كانت قصة القرشى الذى فر يوم الفتح .. إلى امرأته .. وأخذت تلومه على شحذه شفرة سيفه .. قبل اقتحام مكة .. ثم فراره إليها .. خائفا يترقب .. وإنشاده الأبيات المعروفة فى السيرة النبوية التى منها ..

انك لو شاهدت يوم (الخندمة)
إذ فر صفوان وفر (عكرمة)
وأسلمتنا للسيوف — (المسلمة)
لم تنطقى — باللوم — أدنى كلمة

سادسا — وأما (جبل الناقة) .. فهو أيضا ما يطلق عليه الآن (جبل عمر) للمواجه للخارج من باب ابراهيم سابقا .. والمقبل من السوق الصغير .. وسمعنا المسنين من أهل مكة يقولون انه (جبل عمر) أى **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه .. وأما الناقة فيوجد فى رأسه تشكيل صخرى يمثل الجمل أو الناقة (مقاربة) .. ولعل بعض العامة .. استطاع فى الأزمنة القديمة .. ان ينحله احدى القصص أو الأساطير ليجعل من ذلك أثرا يزوره جهلة الحجاج .. وما اكثر ما اختلط الحابل بالنابل فى هذه الأغراض .. حتى جنى الفاسد على الصحيح ؟! لا فى الجماد وحده بل تعدى ذلك إلى الأحاديث الموضوعة .. وجزاء ذلك .. (النار) أعاذنا الله منها .

سابعا — فأما (جرول) .. فإن علة التسمية .. غير مجهولة .. فقد كانت آخر حدود العمران من مكة .. حماها الله .. بل أول (البر) .. أو القفر .. أو اللباب إلى ما قبل قرن من الزمان تقريبا .. وكانت آخر حدود العمران بمكة .. الشبيكة ثم محلة الباب .. وفى هذه بقايا (ورش الحجارة) .. والنوارة ما تزال آثارها قائمة حتى الآن .. وسبب التسمية .. هو وجود الجراويل بكثرة فيها حيث هى مهابط للسيول تنحدر اليها العمران وتطوره وانتشاره دون ذلك ، إلا أن يكون المطر عظيما والسيل جارفا !

ثامنا — على أننى مع أخى (**ذى الفقار**) مفتقر إلى التفاصيل الوافية ، والفوائد الشافية ، فى (تاريخ مكة .. العتيد) .. وعن هذا وعن غيره مما يزيل كل غموض وابهام .. ويضع أيدينا .. على الحقائق دون الأوهام والله ولى المحسنين .

٢٦٨ الحج السليم

أراد رجل الحج — فجاء إلى **شعبة بن الحجاج** فودعه .. فقال له شعبة : « أما أنك إن لم تر الحلم ذلا . والسفة آنفا « سلم حجك ! » اهـ

قلت : لا أدرى إن كان كل من يحج فى زماننا هذا يصادف مثل هذه النصيحة من موديعه كلما شد الرحال إلى هذه الديار المطهرة ؟! ولكننى أعلم — والمؤمنون كافة — أن فى (المثانى) والقرآن العظيم خيراً من هذا أو ذلك من أقوال الحكماء .. قال الله تعالى : ﴿ **فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾ ، وهو حق على المتخاطبين من العاكفين والبادين .. ومرد ذلك إلى « تقوى القلوب » .. ومن الله الهداية والتوفيق .

٢٦٩ الناس بالناس

لم تبرح هذه الجملة دائرة على جميع الألسن فى كافة البلاد الناطقة بالضاد .. ومنذ النشأة تتردد على أسماعنا فى مناسباتها عند كل محادثة .. ولست

أدرى السر فى تعلقى وشغفى بإعادة كل ما أسمع وأقرأ إلى أصل عريق .. أو نسب عتيق ؟! فهاهو صاحبها الاول يدونها ويخلدها فى شعره ، إنه بشار .. فى العصر العباسى الأول حيث يقول :

وكاشح معرض عنى هممت به
ثم ارعويت ، وقلت : (الناس بالناس)

فهل أجد من القراء الأعزاء من يشعر مثلى بهذه الغبطة تملأ جوانحى .. كلما ظفرت بهذه المفردات .. أو الجمل .. وقد ارتبطت بالأدب العربى فى أزهى عصوره ؟! إن لم يكن ذلك .. فمعذرتى إليهم من هذه الهواية .. (وكل يغنى على ليلاه) !

(٢٧٠) تكسير الدرج قبل ألف سنة

قال **أبو حيان التوحيدى** : فى رسالته (الصداقة والصديق) : ان **قيس بن عبادة الانصارى الخزرجى المدنى** مرض .. فأبطأ اخوانه عنه ! فسأل عنهم ؟ فقيل : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين .. فقال : أخزى الله ما يمنع الإخوان من العيادة ، ثم أمر مناديا فنادى : ألا من كان **لقيس** عليه حق فهو منه فى حل وسعة ، فكسرت درجته بالعشى لكثرة من يعوده . اهـ

قلت : كذلك كان حياء المدنيين ـــ بفتح الميم ـــ وسفاء الدائنين .. وستغنى الأذاعة عن المناداة فى الأحوال المماثلة .. (لو قدر أن عادت حليمة لعادتها القديمة) وهيهات ! وإنما سقت القصة لما فيها من أسوة بمكارم الأخلاق وبقوله فيها (فكسرت درجته) ! فما تزال مما يتداوله الناس حتى يومنا هذا وقبل ألف سنة .. وفى كل ما يشبه ذلك أو سواه من الحوائج أو المنافع .. غير أن الدرج .. قد أصبحت أقوى مادة وأصلب قواما بهذا الاسمنت المسلح فلا بأس عليها من الصعود ولا من الهبوط ! وانما هى (حجاز) عن تكرار العيادة .. أو الزيارة .. كيفما كان سببها !

(٢٧١) اهل الدثور

عن **سمى مولى أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبى صالح السمان** عن **أبى هريرة** رضى الله تعالى عنه : ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلى .. ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق . ويعتقون ولا نعتق ، فقال رسول الله ﷺ ، أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم . قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة .. قال **أبو صالح** : فرجع فقراء المهاجرين فقالوا : يارسول الله سمع إخواننا (أهل الاموال) بما فعلنا ففعلوا مثله .. فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾ . قال **سمى** : فحدثت بعض أهلى بهذا الحديث فقال : وهمت . إنما قال : تسبح الله ثلاثا وثلاثين وتحمد الله ثلاثا وثلاثين .. وتكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فرجعت إلى **أبى صالح** فذكرت له ذلك . فقال : الله اكبر وسبحان الله والحمد لله وحتى تبلغ من جميعهن ثلاثا وثلاثين .. اهـ (رواه مسلم) .

قلت : هكذا كان التنافس فى عمل الخير والتسابق إلى الباقيات الصالحات من كلا

الفريقين .. لا على المادة .. ولا الطمع .. ولا الحسد ولا الجشع . بشرط توافر هذه الصفات فى كل منهما .. وصدق من لا ينطق عن الهوى : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾ الهمنا الله الرشد والهدى .. وكفانا النفوس الأمارة بالهوى .

(٢٧٢) العراعر (بضم العين الأولى) والعراعر بفتحها

تبذر الناس أو بعضهم على الأصح على أولئك الذين كرسوا حياتهم ونشاطهم ومداركهم الواسعة لوضع المصطلحات الحديثة .. فى قوالب عربية سليمة .. مبنية على أساس عربى فصيح .. ومن ذلك .. كلمة (عُراعر) بضم العين .. بمعنى الرئيس أو المقدام أو السيد .. وارتفع الضجيج .. والعجيج .. والتبكيت والتهريج .. حول ذلك وأمثاله ! دون أن يكون له اصل واقعى .. وإنما هى (التغلـيسات) .. والغشاوات .. وعلى ذكر ذلك أقول إننى وجدت هذه الكلمة مدونة فى (المنجد) .. كما يأتى : (عرعرة الجبل أعلاه — ج عراعر) .. ثم « العرار » الشريف .. السيد .. ومن الإبل السمين .. ج عراعر . اه

وقرأت للشاعر الاحسائى الفحل على بن المقرب (٥٧٢) (٦٢٩) هـ .. من قصيدة دالية جاء فيها قوله :

ألا ليت شعرى هل أجالس فتية
نماها إلى العليـاء قيس وخالـد
(عراعر) لم تحلل ديار ابن منذر
فتلقى إلى الاعـداء منها المقالـد

قال ذلك وأعلنه فى محيطه وأهل زمانه .. فى قلب بلاد العرب .. دون أن ينكر عليه شاعر أو ناثر ! .. ومع ذلك فإنى أكاد أجزم أن من الألفاظ الأصيلة ما دخله غير المقصود به وتأثر به واختلط .. أو غلب عليه الطارئ الجديد .. فتحاماه الناس .. كلفظ (العلق) فهو (النفيس) ثم صار إلى ما يُكره.. لفظا ومعنى فتعلق .. وتعوق ونبذ ولفظ وللتطوير شأنه وأثره فى الحيوان والإنسان .. والجماد والنبات ومن ذلك اللغات .. خفضا ورفعا وحياة وموتا ..

(٢٧٣) التاجر ــ الفقيه

كان الامام **أبو حنيفة النعمان** ــ تاجر ثياب .. يكسب من عمل يده .. يذهب إلى دكانه ليزاول التجارة .. ويذهب إلى المسجد ليعلم الفقه .. فما عرف الناس تاجرا أعلم أو أدق أو أكثر تواضعا منه .. جاءته عجوز تريد شراء ثوب ورجته أن يترفق فى الثمن .. فعرض عليها .. وقال لها إنه بأربعة دراهم .. فظنت أنه يهزأ فقالت له : لا تسخر منى وأنا عجوز لا حيلة لى .. فقال لها : ان هذا هو الثمن الحق . فقد اشتريت ثوبين بعت أحدهما بالثمن كله إلا أربعة دراهم .. وهذه الدراهم الباقية هى ما أطلبه منك ثمنا للثوب الآخر .. اه

قلت : من لى بأن يتطوع أستاذنا الكبير صاحب المنهل الأغر فيوزع (مجانا) أو بنفس الطريقة بضع نسخ من هذا العدد ــ بالذات ــ على الأسواق التجارية .. للأخذ بهذه السنة الحسنة ولو لبعض حين ؟!

وبهذه المناسبة يعرف المسنون ومن تجاوز منهم الأربعين والخمسين ان كثيرا من تجارنا وأهل البيع

والشراء كان صاحب علم وفقه وتدريس .. ولا يفوته نصيبه من الخيرين .. ولا قسطه من الربحين .. وقد أمعن الزمن فى الفراغ ! وفى الذكرى لمن ينتفع بها بلاغ — وأى بلاغ !

٢٧٤ التكشير - لغة

مسكينة هذه الكلمة .. أو هى فى الألفاظ المفترى عليها .. فلا نزال نستعملها بمعنى معكوس ويكون مفهومه العبوس ! أو الكره .. أو السخط .. فيقول الرجل جئت فلانا فكشر فى وجهى .. أى قطب جبينه .. وتنمر وجهه .. واحمرت عينه .. أو ازور على .. وما هى فى ذلك كله بسبيل .. ومن العدل ان يرفع عنها هذا الظلم الفادح .. هذا ابن الحشرج يقول :

فلا وأبيك لا أعطى صديقى
(مكاشرتى) وأمنعه تلادي

وهذا المتلمس يقول :

ان شر الناس من يكشر لي
حين ألقاه ، وإن غبت شتم

والمكاشرة لغة : هى المضاحكة .. وكاشره ضاحكه وتبسم له وحرك عليه أسنانه .. فهى الابتسام أو ما ينم عليه ! ولم أدر سببا أو علة بمعناها المتداول .. إلا من قولهم (كشر عن نابه) .. أى أبرزه ومن هنا غلب أو تغلب .. ولا حيلة فى رده إلى أصله بعد الرسوخ العريض الطويل !

٢٧٥ بئر عجلان

ما من أحد أهالى (غزوان) .. أى الطائف وضواحيه حيث يطلق على كل ذلك جبل (غزوان) ! الا وهو يعلم ويسمع ويرى هذه (البئر المسماحة) المسماة (بئر عجلان) بقروة .. إلى الشمال الغربى من المدينة .. ولا يجهلها كافة المصطافين .. بها حيث يؤثرون عذوبتها وخفتها .. وما كانت تختصها به الجاليات التركية إبان الحكم العثمانى .. من جعلها للشرب دون سواها .

ولو حاولت أن تعرف من هو هذا (العجلان) الذى تنسب اليه هذه (البئر) الموردة .. لما أسعفت بجواب سديد .. يزيل الشك باليقين .. وأكاد اجزم انه (الشريف عجلان بن رميثة — وقد تولى إمارة مكة عام ٧٤٦هـ .. وتداولها وآخرون إلى سنة ٧٧٤هـ وذلك أن مثله أقدر على احتفارها .. بماله وجاهه وسلطانه ، وكان كمن قبله ومن بعده من الامراء لا يدعون الصعود إلى الطائف .. زمن الصيف فلا يشق عليه اتخاذها .. عدا أنها ربما كانت فى منطقة يمتلكها أو هى فى حماه .. كما تعود الأمراء ذلك .. فى الأزمنة السالفة .

وقد أحاط البناء والعمران بهذه البئر خلال السنوات الماضية .. وسمعت من البعض أنها .. أقل ماء .. مما كانت قبل ذلك .. وربما تأثر صفاؤها .. ونقاؤها .. بما جاورها من المجارى .. المتسربة إلى باطن الأرض من قريب أو بعيد .. وكانت تستمد العذوبة من ماء السماء .. إذا انهمرت به السفوح من جبال (برد) .. العليا .. وما حولها من الروابى والكثبان والجداول والغدران .. وسبحان من له الدوام ..

اذن — وعلى هذا الافتراض — الذى لا ينقضه نص معهود يكون عمرها .. نحو (٦٠٠) عام هجرى .. ونيف .. على أننى ارجو ممن يعرف غير هذا أو يجافيه .. أن يفضل بالإبانة إنصافا للواقع والحق والتاريخ ..

٢٧٦ التقليد قـديم

كثيـر ما ضـقت ذرعـا .. باصطنـاع بعض الأهلين تقليد الناس فى هذه الدنيا العريضة .. فى كثير مما لا يتلاءم مع تاريخنا .. وأوضاعنا الاجتماعية .. ومن ذلك التقليد فى الأسماء .. حتى ولو كانت مما لا يفهمه العامة أو الخاصة .. ولا محل لضرب الامثال .. مأخوذين فى ذلك بالرغبة فى التحضير والتنوير .. والتقدم والتطوير .. على أحسن الفروض .. وأجد فى القدامى من كبار القوم .. من لم يسلم من ذلك .. ففى أولاد شريف مكة .. **محمد بركات** المتوفى ٩١٣هـ .. من سمى (بقايتباى) .. وما أرى تسميته بذلك الا .. زلفة إلى سلطان مصر فى حينه .. ولو أنها كانت عربية صرفا .. لما كان محل للتعليق .. والله ولى التوفيق .

٢٧٧ طبع النقود بمكة

كنا نظن أن أولى مطبعة للنقود أنشئت بمكة المكرمة .. كانت تلك التى أقامها المرحوم الملك **الحسين بن علي** .. فى حدود عام الأربعين بعد الثلثمائة والألف وضرب بها مسكوكاته .. من الذهب والفضة والنيكل .

وعثرت فى كتاب (تاريخ مكة) للأستاذ **أحمد السباعي** .. على سابقة عجيبة .. فى هذا المعنى .. فقد نقل عن (شفاء الغرام) للفاسى ان **الشريف علي بن عنان** أصطحب معه بعد ولايته مكة مطبعة لضرب النقود فضربت باسمه على اثر وصوله وذلك فى حدود عامى ٨٢٧ — و ٨٢٨هـ وهى بذلك أولى مطبعة من نوعها فى هذا البلد الأمين .

٢٧٨ برحة قرارة المداحى والكبد - بمكة قبل ٦٠ سنة

أشار الأستاذ **أحمد السباعي** فى تاريخ مكة .. إلى أن محلة القرارة .. وبالاخص البرحة التى كانت خالية من العمران .. إلا من الدار الكبرى التى هدمت الآن .. واتخذ منها مخازن ومكاتب و (بنوكة) تجارية .. كانت فى عصرها القديم .. مباءة أو موضعا للعب (المداحى) .. وهى ما يطلق عليها المعاصرون (البارجوه) والذى قدرت فى احدى المطالعات السابقة أنها كلمة ممتزجة .. فهى « بره — جوه » .. أخذاً من صفة اللعبة نفسها ..

وأزيد على ذلك أننا أدركنا هذه البرحة ذاتها منذ أكثر لا خمسين حولا أو ستين على الأصح .. لا بالبرجوه فقط .. فإنما كان يمارسها الأطفال الصغار .. أما الكبار .. من الفتيان والنشامى .. وأقوياء العضلات .. فإنهم كانوا — ولا يوجد أيامهم .. ما يسمى (بالكرة) وألعابها الحديثة — يجتمعون من كل حدب وصوب من بعد صلاة العصر .. ويقيمون ما يسمى (بالشغط) بين جانبين .. منفصلين .. ويبدؤون لعبتهم الشاقة وهى ما يسمونه ، محقين ! (الكبد) .. فهو كبد شاخص .. لا يقدر عليه إلا ذو النفس الواسع .. و (الرئة) العريضة .. والزنود .. المفتولة ..

وينقسمون إلى طائفتين .. ويباشرون اللعب .. بحيث ان احدهم يدخل وراء الحاجز متحديا كل من فيه .. وهم بين عشرة وعشرين .. فى كل جانب ! ولايزال يتخطر بينهم متحرزاً أن يمسك أو يجذب .. فهو يهاجمهم من كل جانب .. مادا يديه إلى الامام .. وهو يردد كلمة (كبد .. كبد .. كبد ..) .. وهمه أن يعلق بواحد منهم .. ليكسب الجولة .. إذا سلم .. وعاد مظفرا .. ومن لمسه أو مسه (مات) وأخرج من المعركة ! وهكذا حتى اذا فرغوا من (تمويت) أكثرية ساحقة .. تبدل (الفوق تحتا) .. (والتحت فوقا) .. وكان (الدست) .. أو هو الهزيمة !

وهناك كنت أشهد أعنف صيال .. وأروع نضال .. وأشق وصال وأعق انفصال ! .. والويل كل الويل لمن يقع فى الحبائل .. وتقبض عليه الأكف والأنامل .. فما يبقى عليه قميص إلا تمزق .. ولا ظهر ولا بطن الا تفتق ! وقلما كانت تنتهى هذه المصارعة إلا (بمضاربة) .. يعجز (ابليس نفسه ان يمثلها ! وتكون النتيجة .. وراء ذلك التهديد والوعيد .. والدوشة و (الهوشة) والسجن .. ونحمد الله أنها عادة اندثرت .. وخلفها .. هذه الميادين المنظمة .. والألعاب الهادئة .. المكرمة .. لو سلمت من رواسب الماضى .. وكانت محققة للأهداف الرياضية العليا .. وهى إلى ذلك هادفة .. و ﴿ **ليس لها من دون الله كاشفة** ﴾ .

٢٧٩ أول أمير لجدة من قبل رسول الله ﷺ

عرفنا أن أول أمير لمكة المكرمة .. فى عهد رسول الله ﷺ هو (**عتاب بن أسيد**) رضى الله عنه .

وبقى أن نعرف أول أمير من قبله ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ على (جُدَّة) .. فهو كما جاء فى أسد الغابة .. « **الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب** القرشى وقد مات آخر خلافة **عمر** رضى الله عنه وقيل توفى فى خلافة **عثمان** رضى الله عنه . وهو ابن سبعين سنة ـــ ودفن بالعراق ـــ بالبصرة » .

ولم يرد غير هذا بصدد ولايته ـــ مدينة جُدَّة ـــ ولم يعلم المدى الذى قضاه فى امارته هذه .. حيث عزله **ابو بكر** رضى الله عنه ..ثم لما ولى **عثمان** ولاه . ولا ندرى ان كانت ولايته ـــ أعادته إلى إمارة جُدَّه أو هى فى جهات أخرى والله أعلم .

٢٨٠ شروط العضوية فى ندوة قريش بمكة

قال **مصعب بن عبد الله** : جاء الاسلام وفى يد **حكيم بن حزام** (الرفادة) وكان يفعل المعروف .. ويصل الرحم ، ويحض على البر وكانت عادة قريش أن لا يدخل (الندوة) أحد منهم للمشورة حتى يبلغ أربعين سنة إلا **حكيم بن حزام** فانه دخلها وهو ابن عشرين سنة » .

قلت : وهذا شرط .. لا يزال الناس يهتمون به ويقصدونه فى أنظمتهم الحديثة .. وما يستثنى منه إلا من قدمته أخلاقه وأفعاله ! وقديما قال الشاعر :

ليس الحداثة عن حلم بمانعة
قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

(٢٨١) مقبرة المهاجرين في فخ بمكة

(مقابر مكة) .. التاريخية المعروفة ذات الآثار المشهودة الباقية هى (مقبرة المعلى .. أو المعلاة بالحجون .. ومقبرة الشبيكة وهما من العصر الجاهلى .. والمقبرة المشهورة بالشيخ **محمود** .. بجرول وقد زالت كليا .. وكان آخر الدفن فيها .. فى العقد الرابع من هذا القرن الرابع عشر (وقد حضرته .. إلى عام ١٣٣٣هـ) ثم توقف ! وهناك مقبرة يطلق عليها مقبرة المهاجرين وهى التى تقع بفخ ـــ أى الزاهر ـــ وتسمى « الشهداء » .. ولا تزال آثارها باقية حتى الآن .. حيث يقال ان **عبد الله بن عمر** رضى الله عنهما دفن فيها .. وقد تأكدت من أنها هى (مقبرة المهاجرين) بالنص الذى ذكره صاحب (أسد الغابة) **ابن الاثير** ـــ حيث قال : وهو يترجم (**لأبى واقد الحارث بن عوف الليثى الكنانى**) أنه توفى بمكة ودفن فى مقبرة المهاجرين (بفخ) سنة ثمان وستين هـ .. وهذا نص صريح لا يحتاج معه إلى الحدس أو التخمين .. وهى بلا شك أحدث من مقبرتى المعلاة والشبيكة .. أما مقبرة الشيخ **محمود** .. فقد دفن فيها كثير من العلماء .. والأمراء .. وتفصيل ذلك فى تواريخ مكة .. إلا أنها حديثة العهد بالنسبة لما سبقتها آنفا ، أما لماذا سميت بالمهاجرين .. فأحسب أنها اختصت بمن هاجر من مكة وعاد إليها بعد الهجرة .. دون سواهم .. ولو على سبيل التغلب أول الأمر ثم ضمت رفات غيرهم من المقيمين .. وقد أحاط بها العمران من كثب ، فليس تصلح للأموات أجداثا » .. والله أعلم .

(٢٨٢) كـــويس

هى أروج كلمة دارجة .. عامة ، خاصة .. فى البلاد المصرية الشقيقة .. وهم يعنون بها (الموصوف) .. بأنه طيب أو جميل .. أو حسن .. وما هى فى اصلها ببعيد من كل ذلك .. فان اشتقاقها .. مع التصغير من (الكياسة) أو الكيس .. بسكون الياء .. والأولى لغة هى : « تمكين النفس من استنباط ما هو أنفع » .. والأخرى لغة هى : « العقل ، والظرف ، والفطنة .. وحسن التأنى فى الأمور » ..

وقد تطور بها التداول حتى صارت إلى صيغتها المتداولة .. وقد أخذ بها كثير من الأقطار العربية فى الوطن العربى الكبير .. فهى فصيحة صحيحة .. مقبولة رشيقة رقيقة .. وما شانها التصغير وربما زانها .. وما أكثر ما تدل عليه .. وتلك تعاريفها اللغوية .. وأحسبها تشمل مع ذلك معنى الاستهواء والإرضاء .. ويستأنس بها القائل والسامع .. وما بها من تأويل غير الاستحسان .. والتقدير .. ويقابلها فى إستعمال عرب الجزيرة .. المحافظين كلمة أخرى هى : (عدل) : أو حسن كلما أفرحهم نبأ .. أو أعجبهم خبر .. وكلهم فى ذلك على هدى من أم اللغات .. وحتى فى لغة فارس ما يقابلها .. (كزه) أو (خوش) ! وكل ما اختار ..

(٢٨٣) « القصر الابيض » عربي منذ ١٢٠٠ سنة

روى **ابن عساكر** فى تاريخه .. عن **أحمد بن سيار الجرجانى** وكان شاعراً راوية .. أنه قال : دخلت أنا **وابو محمد التيمى** واشجع على (الرشيد) — بالقصر الأبيض — بالرقة .. وانشده **التيمى** ارجوزة فنثر عليه الدر من جودة شعره ! وأنشد أشجع قصيدة جاء فيها قوله :

وعلى عدوك يا بن عم محمد (رصدان) ضوء الصبح والاظلام
فإذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الاحلام !

واستوقفنى .. قوله : (بالقصر الأبيض) .. فهذا القصر الأبيض العربى .. قبل أن تكتشف (الدنيا الجديدة) .. ولمن ؟ للخليفة الذى من مأثور قوله : « امطرى حيثما شئت .. فإن خراجك عائد لنا » .. وذلك قبل ألف ومائتى عام .. ونيف ..

وهنا نكتة أو طرفة أود أن أثبت بها أن من المصححين فى المطابع .. رجالا متفوقين فى الحذق والفطانة والزكانة ! فقد كان فى محل (رصدان) .. رضوان .. (تطبيعا) ! وأعتقد أن التطبيع نفسه قد ابتلى بداءَة !؟ فكانت (ضوان) .. وصارت إلى (رضوان) .. والأولى أنسب وأقرب .. وكلاهما .. أعجب وأغرب ! ولابد أن يكون من يتولى امر التصحيح .. فى الأدب .. وفى الفن .. وفى العلم .. وفى كل شيء .. المعيا يظن الظن كمن قد رأى وقد سمعا .. وإلا فالويل للألفاظ والمعانى والهياكل والمبانى .. وما هناك كبير حرج .. ولا ضر .. ما دام القارىء هو ذاك ان شاء الله .

(٢٨٤) الا أنها بنجد لا حوران يا ابن عساكر

ترجم **ابن عساكر** فى تاريخه .. (لامرىء القيس) **بن حجر** صاحب المعلقة .. وأورد صدرها ..

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة — لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

وعقب على ذلك بقوله : وكل هذه مواضع معروفة (بحوران) ونواحيها !

قلت غفر الله له .. وتجاوز عنه : فما أعجب وأغرب هذا التعقيب ؟! فما أحسب أحدا غيره قال ذلك .. وكل الناس مجمعون على أنها من بلاد العرب وفى قلب نجد .. وأنها لا يزال بعضها بهذه الأسماء ذاتها .. ومع أننا نتقبل (الترادف) فى الاسماء والتعدد .. فإننا لم نسمع بواحدة منها فى (حوران) ولا غيرها من المناطق والبلدان .

اللهم إلا ما جاء فى مطلع القصيدة البتارة **لحسان بن ثابت** رضى الله عنه وقد أنشدها **عمرو بن الحارث الغسانى** وهو :

اسألت رسم الدار ام لم تسأل بين (الجوابى) فالبضيع — فحومل

ولا نكابر أن تكون هناك (حومل) شامية ولا (سقط لوى) أو (دخول) .. وإنما نريد .. الواقع الصحيح .. فقط .. !

ولنا رجاء إلى العلامة الكبير الشيخ **حمد الجاسر** .. ان يمط اللثام عن مواقعها فى بلادنا فى (منهلنا الأغر) وعلى وجه الدقة والتحديد .. والتعريف الكامل .. وحصنا لهذه الدعوى .. وإنصافاً للحق والعدل والزمان والمكان كما هو شأنه فى الآثار الباقية ، والتراث الخالد حفظه الله ورعاه ولفضيلته الشكر سلفا .

٢٨٥ نيـل العـراق

قرأت فى شرح أو ترجمة لأسماء وردت فى كتاب (الصداقة والصديق) **لأبى حيان التوحيدى** .. قام به وتولاه الأستاذ (الدكتور **ابراهيم الكيلانى**) — العبارة التالية .. وهو يترجم للشاعر المجونى **أبى عبد الله حسين بن احمد البغدادى** : قال : « توفى ابن الحجاج سنة ٣٩١ (بالنيل) .. قال : وهى قرية على الفرات بين بغداد والكوفة » .

قلت : وبهذا يصح القسم لو أكد أحدنا أن النيل بالعراق ، إذا قصد به هذه القرية .. ولست أدرى إن كانت ما تزال قائمة حتى الآن أم تقوضت ؟! وتقتضى المقابلة والمجاملة .. أن تقوم إلى جانب (نيل مصر) قرية (الفرات) إن لم تكن قائمة !

٢٨٦ الجـود من الموجود

قرأت **للحسن بن عبيد الكلابى** بيتين آثرت نقلها للقراء .. فى (الشذرات) .. ولهما قصة حيث كان فى صحبة (**الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموى**) وخرج معه يوما إلى الصيد .. فانفردا عن الناس .. وانقطع الناس عنهما وتعالى النهار وجاع **الوليد** .. فمال نحو قرية فوجد رجلا فاستطعماه .. فجاء بخير شعير ، وزبيب ، وزيت ، وكراث .. فأكلا فقال **الحسن** :

إن من يطعم الزبيب مع الز يت ، بخبز الشعير ، والكراث
لحقيق بلطمة أو بثنتين لقبح الصنيع — أو بثلاث

فقال **الوليد** : اسكت قبحك الله ، فإن الجود من الموجود لو قلت :

لحقيق ببدرة .. أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

قلت : ما أحسن ما أرشد إليه من الحق والصواب .. من كان أحق بالتنمر والعتاب بما نشأ عليه من رفاهية .. وترف .. واخصاب ! ولكنه الخلق الكريم .. والأدب القويم .. وبهذه المناسبة : عرفت أن الجملة المأثورة : (الجود من الموجود) ترجع إلى نحو ألف وثلثمائة عام ..

وهنا — يجد صديقنا الحكيم .. وأديبنا الكريم .. صاحب (اللونديات) بجريدة المدينة المنورة الغراء .. واتعمد عدم ذكر اسمه المحبوب .. لأسباب غير مجهولة .. أقول انه يجد .. الحجة التى لا تقبل دفعا ولا حصنا فى أولئك الذين يضطرون مع العسرة .. والمتربة إلى استقبال الضيوف المفاجئين .. وإقامة ما هو متعارف .. من الإضافة .. أو الضيافة .. بالشمال أو باليمين .. ولو رهنوا .. (الآنية) .. واحتملوا (الدين) المهين ! وقديما قال الشاعر :

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ولا تجود يد الا بما تجد
فإلى متى الحياء .. مع البلاء ؟ ولماذا (الفنجرة) .. مع الاغضاء ؟

ورفقا بأهل الصيانة .. والاكتفاء .. وحسبهم الحرمان .. والانطواء .. ولهم البشرى بأنهم — ممن ينفقون سماحا ويخلف عليهم رباحا .. دون ابطاء!

٢٨٧ انه الاختصاص والتوفيق

وقف رجل من أهل الشام على (**اياس**) **بن يزيد الخزاعى التابعى** القاضى الشهير والمعروف بالذكاء يضرب به المثل .. وكان الشامى حسن الهيئة .. وكان **أياس** على باب **خالد** .. فسأله عن شىء ، فقال له : إن أردت (القضاء) فعليك بالحسن .. فهو معلمي ومعلم أبى . وإن أردت (الصلح) فعليك (بحميد الطويل) .. فادر ما يقال لك مما لك ومما عليك فخذ ما هو لك ودع ما ليس لك » ..

قلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، هذا ما نصح به أشهر قضاة الاسلام وأروعهم وأعلمهم وأذكاهم .. وأسيرهم ذكراً فى الآفاق ، وعجبت من التوافق الغريب بين (طويل) القرن الأول الهجرى (حميد) .. واشتهاره باقامة (الصلح) بين المتخاصمين .. وبين (طويل) القرن الرابع عشر « الشيخ **محمد — ابو يوسف** .. الطويل » وهو غنى عن التعريف فى الحجاز كله .. رحمه الله واحسن جزاءه .. فما كان أسرعه إلى كل صلح وإصلاح .. لاسيما فى السنوات العشرين الأخيرة من حياته الحافلة .. وما زال الناس يذكرون فضله ومعروفه ذلك .. واهتمامه بمشاكل الضعفاء واسعافه للفقراء .. وحرصه على قضاء حوائجهم .. وإيصال شكاواهم إلى ولاة الأمور .. وهى خصلة قل من يتصدى لها فى وقتنا هذا إلا من وفقه الله .. واعانه على ذلك ..

﴿ وانها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .. وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .. ونحمد الله تعالى أن الخير لا يزال فى أمته حتى تقوم الساعة .

٢٨٨ تجارة قريش والعطاء والاحتراف

لما أراد أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه أن يفرض العطاء .. شاور المهاجرين والأنصار .. فاشاروا عليه به .. ثم شاور مسلمة الفتح .. فأشاروا عليه بفرض العطاء إلا « **حكيم بن حزام** » فإنه قال : يا أمير المؤمنين ان قريشا أهل تجارة — ومتى فرضت لهم عطاء تركوا تجارتهم .. فيأتى بعدك من يحبس عنهم العطاء .. فتكون التجارة قد خرجت من أيديهم .. » .

قلت : وهكذا كان .. فألهي العطاء .. أهل التجارة من قريش .. وكان منهم اصحاب الثراء العريض .. ولا يزال بهم حتى تحولت التجارة إلى غيرهم ، منذ قرون طويلة .. وهم إلى ذلك كانوا أهل (صناعة) .. أيضا .. فقد مر حكيم نفسه على شباب قريش فى حياته ، وهو يتوكأ على عصاه فقال احدهم لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا الشيخ الذى قد خرف .. فقال له صاحبه : وما تريد من شيخ قريش وسيدها ؟ فلم يسمع منه .. وتقدم إلى **حكيم** فقال له « ما بقى من عقلك ؟ » فقال : (بقى انى رايت أباك « فتيا ») يضرب الحديد بمكة .. فرجع إلى صاحبه وقد تغير وجهه .. قلت : وما تغير وجهه إلا بعد أن أترف .. واختلف حاله عن حال ابيه .. العامل الصانع الكادح المحترف .. وهذا القول إنما كان من رجل مارس الحياة .. ودفع نصف مليون فى

دين أحد لذاته وأقرانه .. « **الزبير بن العوام** » أحسن الله جزاءه (**فهل من مدكر**) ؟

٢٨٩ المنن والمصائب

كان **حكيم بن حزام** — المكى — القرشى الاسلامى يقول : « ما أصبحت يوما وببالى طالب حاجة إلا علمت أنها من منن الله تعالى علىّ .. وما أصبحت وليس ببالى طالب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التى اسأل الله الأجر عليها .

وهو هو الذى جاءه أبناء **الزبير** رضى الله عنهم أجمعين .. بعد ما قتل والدهم .. وقد جعل الناس يلقونهم بمناكرة .. ويسمعون منهم الأذى .. فانطلقوا إلى (**حكيم**) ليسألوه عن معايب قريش .. ليلقوا من يشتمهم بما يعرفون ! قالوا فدخلنا عليه داره وسألناه ذلك .. فقال لغلامه : أغلق الباب .. فلما اغلقه قام إلى سوط راحلته فجعل يضربهم .. وجعلوا يلوذون به ، حتى قضى بعض ما يريد ! ثم قال : أعندى تلتمسون معايب قريش ؟! التجئوا لقومكم يكفون عنكم ما تكرهون .

قلت : ألا ما أعظمها قدوة .. وما أكرمها نخوة .. وهكذا كان السلف الصالح سخاء .. وإباء .. وعظة وذكرى .. ونصيحة .. وتأديبا وتهذيبا .. اما اليوم فما أزهد الناس .. أو اقلهم .. فى هذه (المنن) ! وما أسبقهم إلى الغمز واللمز ! ﴿ **وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

٢٩٠ القصر الأبيض

كان **لعبيد الله بن أبى بكرة** قصر يطلق عليه « القصر الأبيض » فى البصرة « وكان يقع بين الزواية والمسجد الجامع ، ويقال ان **عبيد الله** اشترى أرضه من **عبد الله بن عثمان بن ابى العاصى الثقفى** ، وأنفق فى زخرفته بأنواع النقوش والرياش مليون درهم .. وهذا مبلغ ضخم بالنسبة لانخفاض مستوى المعيشة فى هذه الفترة » .
« عيون الاخبار »

قلت : اذن تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد أخذت هذه التسمية (للقصر الأبيض) فى (واشنطن) من العرب .. على الفروق المتعددة بين العصرين ؟ وبين الشرق والغرب !. وكم للأول على الثانى من منن لا تجحد ؟ .. وأياد لا تغمط ؟ فعنه تلقى .. وبه توق .. وترق .. وسوف يتأسى به ويتنقى و ﴿ **ما عند الله خير وابقى** ﴾ !

٢٩١ البركة فى البنات

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : دخل (**اوس بن ساعدة الأنصارى**) على رسول الله ﷺ فرأى فى وجهه الكراهية .. فقال : يا ابن ساعدة ، ما هذه الكراهية التى أراها فى وجهك ؟ قال : يا رسول الله ان لى (بنات) .. وأنا أدعو الله عليهن بالموت فقال : **يا بن ساعدة** « لاتدع .. فإن البركة فى البنات ، هن المجملات عند النعمة .. والمنيعات عند المصيبة » ، وروى من وجه آخر وزاد فيه : « والممرضات عند الشدة ، تقلهن على الأرض ورزقهن على الله عز وجل .. أخرجه **ابو موسى** » اهـ

قلت : وصدق رسول الله ﷺ .. وانها لعظة وتبصرة .. ونصيحة وتذكرة .. وبارك الله فى (البنات) وحفظهن من الهنات .. وصرف قلوبهن إلى التقوى .. بالهدى .. وجعل منهن قرة أعين .. لذويهن .. وأزواجهن .. ووقاهن شر التقاليد الفاسدة الدخيلة .. وبلاء التحضر المشين .. وأرشدهن إلى كل خير .. وكفاهن كل شر .. وألهمهن الرشد والقصد .. فهن ولا شك الرياحين .. والورد والياسمين .. إلا أن يندمجن فى الأغلاط والأسخاط والأرقاط ، والاقماط .. ومتى ما صلحن .. أصلح الله بهن كل فساد .. والعكس بالعكس .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

٢٩٢ النصب يشبه الحداء

عن **الزبير بن بكار** .. قال : جاء **عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن بن عوف** رضى الله عنهما فسمعه قبل أن يدخل يتغنى (بالنصب) .. وهو ضرب من أغانى العرب يشبه (الحداء) .. وكان تغنيه بهذا البيت :

وكيف ثوانى بالمدينة بعدما
قضى وطرا منها جميل بن معمر !؟

وهو « أى **جميل قرشى جمحى** .. مسن ، وقد أسلم يوم فتح مكة » . قال : فقال له **عمر** : (ما هذا يا ابا محمد ؟! قال : إذا خلونا فى منازلنا قلنا ما يقول الناس) .. وفى رواية أخرى تعكس ذلك .. فتجعل المتغنى **عمر** ــ والداخل **عبد الرحمن والزبير** والله أعلم بهذا الشأن ! » اهـ

قلت : هذا الغناء الذى يطلق عليه فى ذلك العصر .. (النصب) بسكون الصاد .. إنما هو كما قال الشارح .. شبيه بالحداء .. وهو من أغانى العرب .. وأكاد أجزم انه من قبيل ما يسمى الآن (بالركبى) .. أو ابن عمه .. وما فيه من حرج .. إذا خلا من الفحش والخلاعة والمجون .. والصوت الحسن .. من نعم الله تعالى على عبده اذا اتخذ منه وسيلة للخير .. والطاعة . والتفريح والتفريج دون ميوعة .. أو تجاوز للحدود الشرعية .. أو الأدبية أو الخلقية .. « وانما الاعمال بالنيات » .

٢٩٣ من هو الجدع ؟

يتداول الناس فى زماننا هذا كلمة (جدع) .. يطلقونها على الفتى النشيط الكادح .. غير (العويل) أو العالة ! أو الكل .. أو الكلالة ! وينتشر هذا التداول فى عامة الأقطار العربية ــ خاصة منها (البلاد المصرية العزيزة) .

وهى فى أصلها اللغوى اما تعنى : (الشاب الحديث) .. فقط إذا قيلت بالذال لا بالدال .. أما قديما فقد روى ما تمثل به بعض القوم شعرا من الرجز :

يا ليتنى فيها جدع
اخب فيها واضع

وقد وجدت لها أصلا أعرق .. وأعمق .. فهذا (**أسد بن زنيم**) وقد أسلم يوم الفتح بمكة يقول (يوم أحد) .. محرضا **على بن ابى طالب** رضى الله عنه :

فى كل مجمع غاية أخزاكم
(جدع) ابر على المذاكى القرح

هكذا (جدع) بالدال لا بالذال .. ويجوز أن تكون (بسكون الدال) .. إذا ورد فى أمثال

العرب قولهم .. (لامر ما جدع قصير أنفه) .. لولا أن الشاعر إنما كان يعنى وصف شخص بعينه .. وكيفما كان الحال .. فان الكلمة .. قد راجت وشاعت بالدال .. لا الذال .. وهى غنية عن التعريف بما لها من الشمول .. والتوصيف ! وتكاد تجمع بين المعنيين . وأكثر الله من (الجذعان) .. من سلالات عدنان وقحطان .

٢٩٤ البدانة والنحافة

قال **ميشيل ارجيل** المحاضر فى علم النفس الاجتماعى : (ان النحاف لديهم مثل عليا خلقية اكثر من السمان ، وان الدراسات أظهرت أن هؤلاء النحاف لديهم مستويات أعلى للشكوك ، وهم أقدر على مقاومة الإغراء .. وضميرهم يعذبهم على نحو أكبر من البدنيين » . اهـ

قلت : صدق ورب الكعبة فيما استنتج .. وقد تأكدت ذلك فى محيطنا وبيئتنا .. والأمثال على صحته أكثر من أن تحصى فى كل مجال .. وما أرى (السمين) إلا مبتلى بسمنه . وخير له أن يقتصد فى طعامه وشرابه .. وشرهه ... ونهمه .. ولو اضطر إلى اتخاذ (الحمية) ! فهو بذلك يتوق كثيرا من الأعباء والبلاء .

وهنيئا للنحاف .. رشاقتهم .. وحذقهم وفطنتهم .. وخفة أرواحهم .. وسرعة خطاهم ودوام نشاطهم .. فما ملأ ابن آدم وعـاء شرا من بطنه) ... والدين النصيحة ... وكل وما اختار .

٢٩٥ الخيف والمحصب

« فى البخارى عن **أسامة بن زيد** أنه قال زمن فتح مكة : يا رسول الله أين تنزل غدا ؟ قال : النبى ﷺ : وهل ترك لنا **عقيل** من منزل ؟ وفى رواية : وهل ترك لنا **عقيل** من رباع أو دور ؟ وفى رواية أخرى : منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله (الخيف) حيث تقاسموا على الكفر ! يعنى به (المحصب) وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبى ﷺ » اهـ

قلت : والمعروف ان (الخيف) غير (المحصب) — فالاول على يمين منى حيث يضاف إليه المسجد ومكانه معروف ... والمحصب ، انحدر من بعد الجمرة الكبرى إلى الأبطح ! وجمعا للروايات .. فإن لنا أن نفهم القصد بأنه عوالى مكة .. وأباطحها العليا دون منازلها ورباعها الوسطى والسفلى .. وقديما يضرب المثل : « خير مكة عواليها » ..

٢٩٦ (وادى سرف) و (ميمونة) أم المؤمنين

من ضواحى مكة الشهيرة — ومنتزهاتها القديمة — المكان الذى يسمى (بسرف) ويقع بعد عمرة التنعيم الى (وادى مر الظهران) وبه قبر أم المؤمنين (**ميمونة**) — وكان فى الماضى مرتادا للأسمار والاستجمام من أهل مكة وما حولها .. ومع أنه لم تكن به رياض ولا خمائل ، ولا أطيار ولا جداول ! فقد رأيناه يزدحم بالمضارب والسرادقات .. ويكون فيه الناس أياما وأسابيع فى

مرح ولهو وانشراح ايام الفراغ وفى أعقاب الموسم .

والعجيب أن رسول الله ﷺ بنى (**بيمونة**) رضى الله عنها فى هذا الموقع ذاته فى عمرة القضاء ـــ وأنها توفيت فيه ودفنت .

ولا أدرى إن كان فى ذلك العهد ـــ حيا ـــ معمورا بأهله ؟ أم أنه اتفق البناء (الزواج) اثناء العبور فيه ؟ فقط .. وما لم يرد نص ثابت فى ذلك فلا سبيل للقطع فيه برأى ما .. ولعل الذخائر والكنوز العربية تميط اللثام عن ذلك وأمثاله للباحثين .. فقد تعمر البلدان وتخرب . وتقام المعالم وتهدم .. وتتبدل الأحوال .. خلال قرن واحد فى الاحياء والجمادات .. وشاهدنا فى ذلك ما يمنع تصديق اليباب فيما نراه . وقد يكون من قبلنا خيرا مما هو عليه .. وسبحان من له الدوام .

٢٩٧ وعمر - يعنى ايه

سبحان الله ـــ ما زال أجد كثيرا من الجمل والصيغ والعبارات المتداولة ذات جذور راسخة قديمة تحدرت إلينا مع الزمن منذ عهود بعيدة . ومن ذلك أن أحدنا يقول لأخيه : ان فلانا سيقدم عليك وانه لكاره لك أو معاند .. أو مخاصم .. فيقول له : وليكن كل الناس .. وحتى فلان هذا معهم ـــ يعنى ايش ؟! دليلا على عدم الاكتراث به !.

وفى حديث اسلام (**عمر الفاروق**) رضى الله عنه . إذ أقدم على طرق باب (دار الأرقم) فى (الصفا) ـــ قال : فقربت الباب فاستجمع القوم وقال لهم حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر ! قال : وعمر ؟! افتحوا له الباب فإنه إن أقبل قبلناه وإن أدبر قتلناه .. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج فتشهد **عمر** فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد ! . الخ » اهـ

قلت : وشاهد هذا قول حمزة رضى الله عنه (وعمر ..) اتكالا على الله وتصميما على الدفاع عن رسوله وإيمانا بعقيدته وعدم مبالاة بعدوه حتى ولو كان فى مثل بأس عمر وقوته وسطوته ! .

٢٩٨ ضبـــا ومعناهـــا

فى شمال الحجاز من جهة الساحل ثغر هام يسمى (ضبا) ! وقلما استطعت أن أفهم سر هذا الاسم .. وجدت تعليله مقاربة .. تقول اللغة : « ضبأ الرجل لصق بالأرض .. أو بشجرة فهو ضبئ ـــ وضبأ على القوم طرأ وأشرف عليهم » اهـ .

فلعل تسمية المرفأ (بضبا) أنه مشرف على ما حوله برا أو بحرا ؟! . أو التصاقه بالأرض .. من حيث انحدارها .. واغلب ظنى أنه الأول ـــ لأنها برزة ـــ وقد زرتها عام ١٣٥٣هـ .. فشاقنى منظرها ومخبرها .. ولها غدها الراغد .. وأمسها الماجد .. ويومها الجاهد .. وهى جديرة بكل المحامد .

٢٩٩ ومن السليق ماهو حلو

لا نعرف (السليق) إذا أطلق الا هذا (الأرز ـــ مع اللحم) إلا أننى وجدت له (صنوا) حلوا . ذلك أن صاحب المنجد يقول : « السليق وما تحات وسقط من صغار الشجر .. وما ينبيه النحل من العسل فى طول الخلية ! » .

ولهذا فان السليقين لا يتوفران معا الا فى المصيف الجميل (الطائف) أو (الهدى) أو (الشفا) .. فعليكم بهما — قبل أن يلتهب الجو بالجوزاء .. ويتغلب القيظ بأواره على الأفعال والأسماء !.

٣٠٠ الزيمــاء أو الزيمــة

فى طريق الطائف من مكة — وبالذات — فى (نخلة اليمانية) القرية المعروفة باسم (الزيمة) أو (الزيماء) — ولعل أكثرنا — لا يعرف علة هذه التسمية ! وذلك على القاعدة المعروفة « الأسماء لا تعلل » ! غير أننى وجدت أن اللغة تقول :

« تزيمت الخيل وغيرها تفرقت .. وتزيم اللحم صار زيما زيما — أى قطعا ، واشتد اكتنازه وانضم بعضه إلى بعض (كانه ضمنه) اهـ

فهل لنا أن نجعل من ذلك صلة بين التسمية للقرية المذكورة من حيث أنها (زيم — زيم) فى غياضها ورياضها — ومزارعها ومرابعها المتقاربة أو المكتنزة ؟ ولا تزال آثارها الباقية — وثمارها اليانعة .. ومياهها الجارية .. وأدواحها الباسقة .. كل ذلك يدل على أن لها ماضيا شائقا ومجدا باسقا ! وربما كان ذلك سر التسمية .. (الأول) يوم كان القدامى لا يصدرون ولا يردون الا على ضوء لسانهم العربى المبين .. فلما تطاول الزمن .. وبعد العهد ، جهل ذلك من جهله ، وعلمه من علمه .. وفوق كل ذى علم عليم .

٣٠١ « برضــه » عربيــة

تتردد كلمة (برضه) فى حديثنا العام والخاص بمعنى (أيضا) أو (مثله) ! وكنت أحسبها دخيلة — من لغة أخرى . وما زلت على هذا الظن .. رغم أننى عثرت على نص لغوى يصح أن تؤول به وأن تعطى نفس المدلول . وهو « برض — برضا » الماء من العين : خرج قليلا فالعين بروضى أى قليلة الماء » .

وتبرض — تبلغ بالقليل من العيش وتبرض الشىء أخذه قليلا قليلا ، والماء ترشفه .. والأرض خرج نبتها . اهـ

من ذلك نستطيع أن نقول أن كلمة (برضه) ذات أصل عربى محرف عن مفهومه الأول بمرور العهد .. حتى تحولت إلى مدلولها الحديث فهى تعنى الآن (ايضا) .. مقترنة فى الأذهان كلها بهذا المفهوم أما هى فى أصلها فكما ذكرت آنفا أخذ الشىء قليلا قليلا .. فكأن تطورها جاء من جهة أن المتحدث كان يقصد بها ان ما يتحدث عنه أو فيه يتلو بعضه بعضا — فى قلة — أو ندرة ؟! وكثير هى الكلمات التى اتسع بها المعنى أو ضاق مع كل جيل .. وانى لأميل إلى إحيائها باعتبارها ذات أصل عربى — ما وجدنا سبيلا إلى ذلك — دون تكلف أو تعسف ! — اللهم إلا إذا تبين أنها (دخيلة) من لغة أخرى بلفظها ومعناها[1] فلا عدول من الاعتراف بذلك وكم فى اللغات كلها من دخيل ؟ حتى اللغة العربية فانها لم تسلم منه — حتى تعرب .. والله أعلم .

---

١ — المنهل : هذه الكلمة كما أشار أستاذنا الكبير الغزاوى عربية الأصل وليست دخيلة .. ولربما — أيضا — كانت محرفة عن صيغة (بارضه). كما يقولون مثلا فى (دخل بأهله) — (دخل بهله) والله أعلم.

٣٠٢ ماهو السرسري ؟

يتداول بعضهم هذه الكلمة ـــ شاتما ـــ أو عاتبا ـــ أو معايرا أو معيرا .. وقد لا يدرى ما قصده منها إلا مجرد أنها تعنى السب والقذف ليس غير .. أما حقيقتها فلا تغضب كثيرا .. إذا أعدناها إلى أصلها .. فإن اللغة تقول : (سرسر الشفرة) حددها ، .. اذن يكون السرسرى هو الذى يحد الشفار .. فهو محترف .. وربما كان لاحترافه علاقة ماجدة بالشفار التى هى السيوف أحيانا .. وفى هذا يكون الشتم تكريما .. والقدح مدحا .. وفى حسن التأويل مخرج من المأزق .. وحال المسلم يحمل دائما على الصلاح مع حسن النية !.

٣٠٣ الشحاذة والتسول

يقولون انه (شحات) .. محرفة عن (شحاذ) ـــ ولماذا ؟ أصل الوصف يتعلق بالمتسول .. فإذا ألح فى سؤاله .. وزاد فى إلحاحه .. قيل انه (شحاذ) ! لأن شاحذ السكين أو الحديد .. لا يزال يردد شحذه .. بالمسن حتى يبلغ به الغاية من الدقة .. والقطع .. ومن هنا جاءت الشحاذة مبالغة فى الإلحاح .. وهو توجيه سليم .. واحتراف ذميم .. و « **لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه** » صدق رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

٣٠٤ الغربلة القتل

إذا غضب أخونا (النجدى) قال لمخاطبه المسخوط منه : (الله يغربلك) .. أى البعيد .. أو (بره بعيد) ! وهى صحيحة فصيحة عربية أصيلة : وقد جاء النص فيها : (غربل القوم غربلة قتلهم وطحنهم .. هذا فى مجرد الغربلة .. أما إذا بلغت المنخل والمرجف ؟! فهناك ما تصنع (الذرة والنواة) .. وأين منها القلم والدواة ؟! (ولكل داء دواء) .

٣٠٥ الندل : خادم الضيافة

لو دعا صاحب الدار خادمه وصاح به (يا ندل) .. لظن أنه يشتمه وأنه يعنى أنه (نذل) من النذالة .. والعامية تشفع فى تحويل الدال إلى الذال . وما هى كذلك .. فان (الندل) بضم الدال جمع ندل ـــ هم خدم العوة أى الضيافة .. أى هؤلاء الذين يقفون على الموائد بالاطباق ويقدمون الطعام .. واحسب ان الكلمة ـــ للمشاركة ـــ لم تزل مكانها من الاستيحاش ! فلا يطيقها البرابرة ولا الاحباش !. إلا أن يتاح لهم التعمق فى قراءة المصادر والمراجع والمعاجم .. أو يفوضوا الاختيار إلى أهل الذوق السليم ممن يراعونهم بافضل الانواع .. عند الهضم والقضم والابتلاع !. والخير بالخير والبادى أكرم ؟!

٣٠٦ النغل غير البغل

لو سمعنا من ينعت غيره بقوله : (يانغل) .. البعيد ايضا .. وأجزم أنه لا يدرى منها غير الشتم غالبا .. وقد اتضح أن النغل غير البغل .. فالأول انما يتولد من حصان وأتان .. أما الثانى فانه يتولد من حيوانين مختلفى النوع والمعروف عند الاطلاق أنه الحيوان الأهلى المتولد من الحمار والفرس .. أو بالعكس .. والفرق بين الاثنين كما يظهر ان الأب تارة يكون (حصانا ــ والأم اتانا) .. وهذا هو النغل .. وبالعكس يكون البغل .. وليس من المهم أن يكون أحدهما معما مخولا .. بل قويا أبدا .. يحمل ما حمل ولا يقول (زمامها ضعيف !) .. و (الضعيف تبكى عليه أمه) !

٣٠٧ الكوع والبوع

يضرب المثل فى الجهل بقولهم ــ انه لا يعرف كوعه من بوعه ؟! وما أحسب أحدا من الصغار أو الكبار ــ لا يدرى أو يعرف ذلك من جسمه وأعضائه ؟! ومع ذلك .. فان من المعلوم لدى القراء الاذكياء خاصة أن الكوع هو طرف الزند الذى يلى الابهام فى الكف أو اليد ، أو الراحة ، بخلاف البوع فإنه عظم يلى إبهام الرجل . و (الحاضر يعلم الغائب) ! وهذا من باب التطريف ليس غير .. وإلا فان الناس قد خرجوا من معارف الكوكب الأرضى .. كلها إلى المريخ والقمر .. والزهرة .. وما حولها وفى نطاقها ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .. وكان الله فى عون الإنسان .. وجل البارى خالق الاكوان .

٣٠٨ ثؤل أو تول

قرأت من قصيدة للشهاب **أحمد بن الحسين العليق شاعر** مكة فى القرن العاشر الهجرى هذين البيتين ــ وهما من مطولة لامية قالها سنة (٩٣١)هـ . أثناء **حكم الشريف أبى نمى ابن بركات** :

صدمتهم بخميس لو صدمت به
هضاب رضوى لعادت منه فى خلل

يكاد يسمع وقع المرهفات به
من « باالخريبة » ممتدا إلى (ثؤل) ؟!

قلت : وأحسب انه إنما يعنى (بثؤل) هذه (تولا) أو يسميه المعاصرون (ثولا) وأن تحريفا ما حذف ثاءها وأبدلها تاء[1] ولا فعلى من يعرف (الثؤل) فى موقع آخر .. أن يرشدنا إليها .. لتكون كل منها فى محلها ومكانها من الخريطة ! وهذا (العليق) فى اعتقادى من الشعراء الفحول .. بما له من قصائد ذات صبغة عربية محضة ، وهو فى بيته الثانى (اعلاه) .. يكرر معنى سابقا قاله شاعر عربى أصيل وهو :

ولولا الريح اسمع من بحجر
صليل البيض تقرع بالذكور

١ ــ (المنهل) : احسن الله وأدام التوفيق وأطال فى عمر أستاذنا البحاثة الكبير ، فطالما نقبت عن الاسم الصحيح (لتول) القرية والمحطة المعروفة فى طريق جدة رابغ ، فما وجدت لها أصلا فى كتاب أو ديوان قديم حتى جاءنا بهذا الشعر الرصين ينص على إسمها الصحيح .

٣٠٩ (اللمة)
من فصيح العامية

يقول أحدنا : « مررت بالمسعى أو بالمدعى ــ فوجدت هناك (لمة كبيرة) أى أناساً مجتمعين حول بعضهم .. وينطقها بفتح اللام ــ وهى من فصيح العامة .. فإن (اللمة) بضم اللام لا بفتحها ــ هى (الجماعة) .. ومنها (اللم) الجمع .. ولم الشعث ــ أى جمع المتفرق .. فهل لنا أن نظفر بالضم ؟! على أننى وجدت نصا آخر يجعل (اللمة) بالفتح أيضا هى الأخرى بمعنى الجمع الكثير .. فلا جرم فى نطقها بالضم أو والفتح .. وما أحب أن تكون فى (الأسرة) ــ كل أسرة والأمة بفروعها وأصولها .. والأدباء بصفة خاصة والعلماء بصورة عامة .. تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ ولا تفرقوا ﴾ ونعوذ بوجهه الكريم من لامات الشيطات بالفتح ولمات الذنوب بالضم .. ولامات العذار ! بلام ألف بعدها ميم مخففة » .

٣١٠ ماهى (بلكى)

تجرى هذه الكلمة على ألسنة عامة الناس وخاصتهم ومنهم من ينطق بها (بلكى) !. بمعنى (ممكن) أو (لعله) ! وتأملت هل لها من أصل عربى ترجع إليه ؟ أم هى من الدخيلات .. واستطعت أن أتأولها ! وأن أجعل لها أساسا سليما .. (ان صح فى نظر أهل اللغة) .. فهى فى الأصل كما أظن (بل يكون) .. أو (بل كان) وأصابها التحريف بمرور الزمان .. حتى أصبحت عوجاء عرجاء مبتورة .. كما تنطق الآن .. على أننى أشتبه ــ بغلبة الاختلاط ــ أن تكون وافدة .. مع بعض أهل اللغات الأخرى . ولعلها كذلك أو مع الجماعة (بلكى أو بلكن) .. ولكننى مشغوف بأن أرد ما ارتبك أو تحرف العربية ما اتسع صدرها لذلك دون تعسف !. فإذا أعيانى ذلك .. أذعنت للحقيقة .. وما أكثر ما جد فى العصر من كلمات لا يمكن الاستغناء عنها مطلقا .. إلا بالمعاجم الحديثة .. واستقراء الشامل .. والاختيار الموفق والسهولة البسيطة غير المحجرة ولا المستحجرة ! والله أعلم .

٣١١ مالـه « شاعة » لا « قاعة » ؟!

يقولون للرجل الآفاقى الغريب فى بلد ما : أنه لا شاعة له ولا قاعة ! وقد عرفنا (القاعة) .. وهى المنزل أو الدار أو السكن أيا كان شكله ووضعه ! وخفضه أو رفعه .. فما هى (الشاعة) .

لقد وجدتها ــ « الشاعة ــ : الزوجة » ــ والاخبار المنتشرة .. اذن يكون القصد فى (المثل) انه لا سكن له ولا زوجة .. فهو دخيل ــ وغير أصيل !.

ولو قد سألنى سائل قبل هذا عن الشاعة ؟ لتحير جوابى و (العلم نور) .. وعلى كل مواطن أن يستوفى مظاهر التوطن فيشتاع ويقتاع .. ولا يكون من سقط المتاع ؟! ولا كفقعة القاع !؟

٣١٢ « التغريز » في الكفرات ؟

إذا توسطت السيارة رملا عميقا دقيقا — وتوقفت عن الحركة .. قالوا : انها غرزت .. (بكفراتها) حتى لا تستطيع حراكا (بمحركاتها) !

وفى النص اللغوى : « غرزت الجرادة ، وزت ذنبها فى الأرض لتبيض !

فاذا غرزت الكفرات .. فربما لتحيض ! — وصيغها يتعدى إلى أولئك الذين يشقون من حولها ومن فوقها ومن تحتها .. حتى ينفذها الله من الحضيض !؟

٣١٣ « ابن دراج » شاعر الاندلس العظيم (٣٤٧ — ٤٢١) هـ

هو أحمد بن محمد بن العاصى بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج وكنيته أبو عمر .. وهو شاعر (**المنصور بن أبى عامر**) ، قالوا : وهو ينتمى إلى قبيلة (صنهاجة) البربرية ! وقد بلغ من المكانة الادبية فى محيطه العربى ما تتقطع دونه الأنفاس !. ومن شعره السائر وأثره الخالد تلك الرائية التى عارض بها رائية **أبى نواس** : ومنها وقوله :

ولما تدانت للوداع وقد هفا ... بصبرى منها أنـــــــة وزفير
تناشدنى عهد المودة والهوى ... وفى المهد مبغوم النداء صغير
عيى بمرجوع الخطاب ولفظه ... بموقع أهواء النفوس خبير
تبوا ممنوع القلوب ، ومهدت ... له أذرع محفوفــــة ونحور
فكل مفداة الترائب مرضع ... وكل محنـــــاة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيه وقادنى ... رواح لتداب السرى وبكور

قلت : ومن هذا وأمثاله الكثيرين من كبار الفحول ومن العلماء والشعراء والأفذاذ .. نستطيع أن نعلم أن اللغة العربية قد أدمجتهم فيها ونشأتهم على أساليبها .. حتى عدوا من أقطابها الذين يشار إليهم بالبنان ! وأصبحوا من أهلها وأكثر حرصا عليها وتمكنا منها وتبشيرا بها فى كل شرق وغرب وشمال وجنوب وهى ملتقى الجميع ! ولو تفرق بهم اللون والدم والعرق من غانة إلى فرغانة ! ناهيك بالجامع الاعظم — الدين الحنيف !؟.

٣١٤ عام الفيل الثاني بمكة المكرمة ٧٣٠ هـ

قال **العصامى** فى تاريخه : « وفى موسم سنة ٧٣٠ اتفق أهل العراق وجاءوا بفيل عظيم جعلوا (محملهم) عليه ! فتطير العالم منه وقالوا : هذا عام الفيل ثم دخلوا به مكة ووقفوا به بعرفة ثم توجهوا به إلى المدينة المشرفة فلما وصلوا (الفريش) وقدموا على (البيداء) ، أوقفه الله فلم يستطع المشى فضربوه ضربا مبرحا فلم يبرح فلم يزالوا يضربونه حتى مات هنالك »اهـ

قلت : عدى ما فى تسميته (بعام الفيل) وتطيرهم منه ! فان الخبر يدل على أن العراق أيضا كان يقدم حجاجه (بمحمل) منذ ذلك الوقت أو قبله طبعا .. كما صح أن أهل اليمن .. وأهل مصر .. وأهل الشام كانوا أيضا أصحاب (محامل) ! وأحسب أن الأصل فى ذلك كله .. رمز لجمع قوافل الحجاج حوله .. للاعتداد بالقوة .. فى قطع الطرق المخوفة والاستعداد للمقاومة إذا اعترضهم اللصوص .. والتزود بالطعام والماء . وما سوى ذلك — فانه فى الدرجة الثانية من الاعتبار .

٣١٥ الأعرابى وكلام الزنج والروم ؟!

يروى أن أعرابيا دخل مسجد البصرة فانتهى إلى حلقة يتذاكرون فيها الأشعار والأخبار فجلس وهو يستطيب كلامهم ، ثم أخذوا فى النحو فلما سمع الفاعل — والمفعول ! ظن أنهم يأتمرون به ، فخرج مسرعا وهو يقول :

قد كان أخذهم فى الشعر يعجبنى
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم !
لما سمعت كلاما لست أعرفه
كأنه زجل الغربان — والبوم !
وليت منفلتا ، والله يعصمنى
من التقحم — فى تلك الجراثيم !

قلت : انه لم يضق ذرعه بذلك إلا لأنهم يريدونه — (صناعة) — وهو « سليقى » لا عهد له بتلك القواعد التى اتخذت على أساس الفصيح مما تلقوه عن (البداة) فى الصحراء .. سليما من اللحن ! ولئن جهل ذلك فما أعجب أن يشبه ما خاضوا فيه بكلام الزنج والروم ! وأنه انفلت مستعصما بالله من تلك الجراثيم ! ولو أنه عاش إلى عصرنا هذا لما زاد على ما قال .. حرفا واحدا .. فكأنما هو يتحدث أو يصف بعض ما انتهى إليه حال الأدب .. من الشعوذات المحدثة .. والامتزاجات المحرجة ؟! — وما ابلغه على بداوته فى وصف ذلك « بالجراثيم » كأنما هو من رجال القرن الرابع عشر الهجرى !

٣١٦ نصيحة خالدة

قال **الحسن** رضى الله عنه — وقد أنكروا عليه الافراط فى تخويف الناس : « إن من خوفك حتى تبلغ الأمن خير ممن أمنك حتى تبلغ الخوف » اهـ

قلت : ومن هنا يصح أن نزعم أن ما يجرى مجرى المثل فى اصطلاح العامة فى زماننا هذا وهو قولهم : « رحم الله من بكانى — وبكى الناس على — ولا ضحكنى وضحك الناس على » يعود فى روحه ومغزاه إلى ذلك الأصل العربى ! وأنها النصيحة يجب أن تحفظ .. وتروى ويعمل بها وبالله التوفيق .

٣١٧ قل : ان شاء الله ؟!

سمع **عبد الله بن عمر** ، **ابن محرز** ينشد :

لو بدلت أعلى منازلها
سفلا — وأصبح سفلها يعلو
لعرفت معناها بما احتملت
منى الضلوع لأهلها قبل

فقال **عبد الله بن عمر** : قال إن شاء الله ، قال : يفسد المعنى ، قال لا خير فى كل معنى يفسدها ان شاء الله اهـ

قلت : فليراع الشعراء والكتاب ذلك ــ فيما يدبجون ويجدون .. ويظهرون ويبطنون .. فلا ينبغى للأوزان والقوافى أن تعترض ما هو منصوص عليه شرعا .. وما هو مطلوب أدبا .. وورعا .. ويرحم الله **ابن عمر** .. وطبقته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

٢١٨ رأى الشيخ خير من مشهد الغلام

من الأمثال المضروبة المشهورة فى تراثنا الأدبى الخالد قولهم : « رأى الشيخ خير من مشهد الغلام » .. وقد بدا لي فى ذلك تأويل جديد فى عصرنا هذا ؟!. فإن صدق هذا المثل لا غبار عليه فى الأزمنة الغابرة التى لا يكيف أو يثقف الشيخ أو الغلام إلا ما يمر به من التجارب ، وما يحيط به من الأحداث .. فى حدود بيئته .. الضيقة .. أما وقد تطورت الدنيا واتسعت آفاقها وفنونها فلا بد من الجمع بين الرأى المجرب والمشهد المثقف المتعب ! ذلك صحيح كل الصحة إذا جمع إلى التجربة (العلم) والمعرفة والإحاطة .. والثانى صحيح أو أصح إذا توفرت له جميع الميزات العلمية والتخصص فى فن ما .. ومهما يكن من أمر فإن هذا المثل ــ ما كان سائرا ولا مسلما به على علاته وكيفما اتفق ! فلقد روينا ما قاله الشاعر :

وما الحداثة عن حلم بمانعة
قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب !

وكم فى صحائف التاريخ من شباب قادة زادة .. وعلماء سادة .. وأفذاذ وعباقرة ، إلا أنهم مع كل ما أوتوه من فضل وحذق ومهارة وتقدم وخلق كريم .. لم يكونوا إلا البررة الكرام بالآباء والأعمام وذوى الأسنان ! وأهل السابقة ! وكان من أخلاقهم التواضع حتى مع من هم دونهم فى المنازل والفواضل ! وبذلك استطاعوا أن يحفظوا للأجيال السابقة واللاحقة .. كرامتها دون احفاظ .. أو إنكار أو جحود : وما سعد أحد من عباد الله كما يسعد الأصل بفرعه ، والأب بابنه إذا امتاز حتى عليه ! وبهذا يجب أن نتواصى .. والدين النصيحة .

٢١٩ ابن عباس والأضحية ؟ !

قال **الطرطوشى** المتوفى بمصر سنة ٥٢٥هـ .. فى كتابه (الحوادث والبدع) !! قال **طاووس** : ما رأيت بيتا أكثر لحما وخبزا وعلما من بيت **ابن عباس** يذبح وينحر كل يوم ، ثم لا يذبح يوم العيد ، وإنما يفعل ذلك لئلا يظن الناس أنها واجبة وكان إمام يقتدى به اهـ

قلت : فكأن **ابن عباس** رضى الله عنه أراد بعمله هذا رفع الحرج عن الفقراء وأن لا يعتقدوا (الأضحية) فريضة .

هذا ــ والأمر متعلق بسنة أو واجب .. وفى شأن دينى محض ؟! فكيف بالموسرين والأغنياء الذين يسرفون فى حفلات الأعراس .. ويقلدهم متوسطوا الحال ومحدودوا الدخل .. حتى اتسع الخرق على الراقع .. فالمهر مرتفع والتكاليف باهظة والزواج صعب المنال .. باحتمال لا يطاق .. مما لم ينزل الله به سلطانا وأنى لأشكر وأذكر بالتقدير والاجلال سراة القوم ورؤساء المجتمع وهم يقيمون الأسوة الحسنة فى الإيجاز والأختصار .. والقيام بما هو مسنون من الوليمة

الشرعية ودعوة الأقارب من الرجال والنساء فقط .. ولا بأس بالجيران .. ويقتصرون بذلك عن المظاهر الخلابة التى تقصم الظهور ! بداعى الظهور ! وتجر الويل والثبور على الضعفاء .. وتمعن فى الاضرار بهم إلى حدود الشجار والنقار ، ومواقف الذل والصغار ولن تزول هذه الأشباح المخيفة إلا بالقدوة الطيبة — وقد رأيت بوادر ذلك وبشائره فى أكبر بيوت مكة شرفا ومقاما . وحسبا ونسبا .. فلم يرهقوا أنفسهم ولا الناس بما لم يأذن به الله . واستحقوا بذلك الشكر والثناء .. وأحسب أن كل عاقل يتلو قوله تعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ يقف عند أحكام الشريعة المطهرة .. والتيسير خير من التعسير .. و (من يهد قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم) !

٣٢٠ « بطحاء » عمر الفاروق

روى **مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب** — رضى الله عنه — بنى رحبة فى ناحية المسجد تسمى البطحاء .. وقال : من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعرا أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة اهـ

قلت : هذا مافعله أمير المؤمنين **عمر** رضى الله عنه فى زمنه المفضل بأهله ؟! ولا أدرى إن كانت هذه الرحبة بهذا الاسم ما تزال قائمة فى جوار المسجد النبوى الشريف أم زالت معالمها .. وما عمل الفاروق على ذلك إلا حرصه أن لا يكون فى المسجد إلا الصلاة والذكر والتعبد دون اللغط والصياح .. واللجب والصخب .. فكيف بنا فى زماننا هذه — وقد غلبت الغفلة — وعمت البلوى رزقنا الله الأدب فى بيوته التى لا يعمرها إلا من آمن بالله واليوم الآخر .. ومن تبع السلف الصالح بإحسان إلى يوم الدين .

٣٢١ اللحم .. والفاكهة ؟ !

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون** ﴾ واستدل الطرطوشى بذلك على تقديم الفاكهة — على اللحم — فى الموائد .. تأدبا بأدب القرآن وتقديم ما قدم الله وتأخير ما أخر .. اهـ

قلت : وقد سمعت فى عصرنا هذا من كثير من أعلام الطب وأقطابه القدامى والمحدثين — أن الفاكهة — يجب أن تقدم على الأطعمة الأخرى ، ورأيت أهل نجد الكرام وأهل العلم منهم خاصة يسيرون على هذه الطريقة .. فهل لنا أن نقتدى بما هو الأفضل والأصح والأصلح ؟ بعد أن اتفق عليه النقل والعقل والشرع والفن .

٣٢٢ كيف يذل المرء نفسه ؟ !

روى الامام **محمد بن وضاح القرطبى الأندلسى** المتوفى سنة ٢٨٠هـ فى كتابه (البدع والنهى عنها) عن **الحسن** : أن رسول الله ﷺ قال : « **ليس بمؤمن من أذل نفسه** ، قيل يا رسول الله ، وكيف يذل نفسه ، قال : يتعرض للبلاء الذى لا طاقة له به » اهـ .

قلت : إن فى هذا لبلاغا لقوم يؤمنون . وان من البلاء ما يكاد يخفى ولا يظهر . منه ما هو ظاهر ولا يخفى .. وكلاهما انطلقا دون حاجز ولا مناجز ! وترتفع الشكوى من كل (مبتلى) ولا من سامع ولا من مجيب ؟! ولو هدانا الله إلى الحق

واتبعناه .. لاتقينا كل ما يضر وابتغينا إليه الوسيلة بما ينفع فى الدين والدنيا والآخرة .. ولكنها النفوس الأمارة بالسوء والترف والسرف .. وانتحال العيوب والفضائح .. لكل صالح وناصح .. وخير لمن أراد السلامة والنجاة أن يتقيد بالآداب الإسلامية والأخلاق الشرعية ويدعو إليها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .. فإن عجز فحسبه أن يكون على بصيرة من أمره وأن يكون قد أنذر فأعذر .. وليتحمل فى ذلك الأذى .. فهو به مأجور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(٣٢٣) الحرزقة .. لا الحزقرة ؟!

لا تزال العامة والخاصة تعبر عن الضيق والتضييق وما هو فى معناهما بكلمة (الحزقرة) ووجدتها فى شعر الأعشى (الحرزقة) .. فهو يقول :

فذاك وما أنجى من الموت ربه
(بساباط) حتى مات وهو (محزرق)

بتقديم الزاى على الراء .. والمحزرق هو المضيق عليه . فهل نملك أن نعيدها إلى أصلها دون تحريف ؟! أحسب أن ذلك متعذر إلا إذا انغمسنا فيها .. والسعة خير من الضيق .. وما دامت تجمع الحروف كلها .. فجاز لو قدم أو أخر ... وهذه أخفى وتلك أطهر !. وكان الله فى عون المحافظين .. و (عند جهينة الخبر اليقين) !

(٣٢٤) « العياط » الفصيح ؟!

تغلب فى اللهجة المصرية ـ كلمة (العياط) بمعنى البكاء .. وما كان لها أن تكون إلا الصياح ـ فقط .. وكأنما ارتبط بها كلا المعنيين لتلازمهما ـ أكثر الأحيان .. فما صاح الا وناح ـ ولا ناح الا وصاح !

قال **الأعشى** :

(صمحمح) ، مجرب (عياط) !
ووائل كأنه ـ (مخاط) ؟!

و (العياط) الكثير الصياح .. فهى إذن مما أبقى عليه الزمن ـ منذ هاجرت وغزت قبائل الجزيرة إلى مختلف الأقطار ـ وحملت معها (لغة الضاد) ـ فأنت واجد منها أصولا وفروعا فى كل قطر فتحوه .. وكل باب ولجوه .. وكل شعب ثقفوه .. و (كم فى الزوايا من خبايا) وكم لها من أخوات وعمات وبنات وخالات .. وليت مجامعنا اللغوية ، تعنى بهذه المهمة الشاقة .. فإن لها من (الاحياء) ما يحفظ لها شرف الانتساب إلى لغة القرآن .. وفصاحة نزار ومعد وعدنان !

(٣٢٥) الخــاز بـاز

قال **أبو الطيب المتنبى** :

ومن الناس من يجوز عليهم
شعراء كأنها الخاز باز !

« الخاز باز » ـ حكاية صوت الذباب وهو اسم صوت مبنى على الكسر ! وربما سمى به الذباب نفسه .

قلت : ولو أدرك (**ابن الحسين**) ــ زماننا هذا ــ لاحتقب « جهازا » فى المبيدات ؟ ــ وطاف به على (الخازبازات) !؟ وأراح الناس من كثير من الخزعبلات والترهات ! وطهر الأدب مما يزرى به من الطفيليات والمكروبات !.

وإنها لنصيحة أسديها لجيلنا الصاعد .. المجاهد .. أن يصرف جل وقته وفراغه فى الإمعان المتتابع .. بكل ما هو تراثنا الخالد فى كنوزنا العربية الثمينة فبها يتمكن من ناصية البيان .. وبها يسابق كل جواد وعنان .. ولا يمنعه الاتصال بالماضى ــ من حذف كل ما يضاعف به ثقافته واحاطته وعلمه وتطوره النامى الحثيث فى جميع مرافق الحياة .. فأما إذا جرفه الحاضر عن الماضى .. فذلك هو العقوق ! وغمط الحقوق ــ وما أعظم ما ترك لنا الأجداد من ثروات لا تقدر .. و « الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم » ... ولكنها الغيرة على فلذات الأكباد .. أن لا يحرموا حظهم من هذا التراث الخالد .. وليحلقوا معه فى السماء .. وليصعدوا قبل غيرهم إلى الفضاء .. فهو حافز إلى كل تقدم واعتلاء .. وما تميز شعب إلا بخصائصه وتقاليده والا انطوى بساطه ، وغلبت أخلاطه ! وتقطع نياطه ! وكان كالمنبت لا أرض قطع ولا ظهرا أبقى ! والرجاء عظيم فى حملة المشاعل من شبابنا الكادحين وكتابنا النابغين وشعرائنا المبشرين .. والحمد لله رب العالمين .

٣٢٦ الغناء (بالركبى) ؟ !

كان المنشدون ــ الذين أدركناهم ــ أيام الركوب التى تتجه فى (الرجبية) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ــ يتوسطون مواكب الزوار .. فى الدخول أو الخروج وينشدون أبياتا ــ أو قصائد ــ أكثر ما يطلق عليها أهل السماع أنها من نغم (الركبى) أو (السيكاه) ؟! وكان هذا حد العلم بالركبى ــ أنه أحد الأنغام المتداولة ... ويعدونه أصيلا من (حروف) الأصول السبعة (بحمردسج) وهى كما يقولون : (١ ــ البنجكة ــ ٢ ــ والحسينى ٣ ــ والماية ــ ٤ ــ والركبى ٥ ــ والدوكة ــ ٦ ــ والسيكة ــ ٧ ــ والجاركة) .

وفى احدى المطالعات ــ ظفرت بقصة فى (الكامل للمبرد) .. حيث يقول : فى الصفحة (٣٩٣) ــ من الجزء الأول : (ويروى **عبد الرحمن بن عوف** أنه قال : « أتيت باب **عمر بن الخطاب** » رحمه الله .. فسمعته ينشد (بالركبانية) .. (وقال **الشارح** : الركبانية غناء للعرب فيه مد وتمطيط) :

وكيف ثوائى بالمدينة بعدما
قضى وطرا منها جميل بن معمر ؟

فلما استأذنت عليه قال لى : أسمعت ما قلت ؟

فقلت : نعم نعم ! فقال : « إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم » .. قال ش : وهم أبو العباس رحمه الله فى هذا وإنما القصة أن **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه هو الذى سمع **ابن عوف ينشد** » . اهـ

قلت : والمهم فى سرد هذه الرواية هو أن ما يسمى بالركبى .. ليس حادثا .. بهذا النص .. وإنما هو منحدر من أصول عربية قديمة .. ولعل لكل نوع من اخوته أصولا أصيلة .. أو دخيلة .. تمازجت **وتزواجت** وما قام أحذق القدامى ..

بتخريجها .. وجمعها وتفريقها ! ولا ريب أن منها ما هو فارسى بلفظه ومعناه .

وما أجمل التحبير والترتيل — وبالصوت العف الجميل ولو كان من بنات الهديل ؟!

٣٢٧ أههنــا غرت ؟!

قال **الربيع بن زياد الحارثى** : كنت عاملا **لأبى موسى الأشعرى** على البحرين .. فكتب إليه **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه يأمره بالقدوم عليه وعماله .. وأن يستخلفوا جميعا — قال : فلما قدمنا أتيت (يرفأ) — أى مولى **عمر** — فقلت : يا يرفأ ، مسترشد وابن سبيل ، أى الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله ؟ فأوما إلى بالخشونة .. فاتخذت خفين مطارقين ولبست (جبة) صوف .. ولثت عمامتى على رأسى .. فدخلنا على عمر .. فصفنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحدا غيرى .. فدعانى فقال : من أنت ؟ قلت : **الربيع بن زياد الحارثى** ، قال : وما تتولى من أعمالنا ؟ قلت : البحرين ، قال : كم ترتزق ؟ قلت : ألفا .. قال كثير ! فما تصنع به ؟ قلت : أتقوت منه شيئا ، وأعود به على أقارب لى .. فما فضل عنهم فعلى الفقراء والمسلمين .. قال : فلا بأس . ارجع إلى موضعك .. فرجعت إلى موضعى من الصف .

فصعد فينا وصوب .. فلم تقع عينه الا على .. فدعانى .. فقال : كم سنك ؟ قلت : خمس وأربعون سنة ، قال : الآن حين استحكمت ، ثم دعا بالطعام وأصحابى حديث عهدهم بلين عيش ! وقد تجوعت له فأتى بخبز واكسار بعير .. فجعل أصحابى يعافون ذلك . وجعلت آكل فأجيد .. فجعلت أنظر إليه يلحظنى من بينهم . ثم سبقت منى كلمة تمنيت أنى سخت فى الأرض ، فقلت : يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى ألين من هذا .. فزجرنى ثم قال : كيف قلت ؟ فقلت : أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل إرادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم فتؤتى بالخبز لينا واللحم غريضا ، فسكن من غربه .. وقال : أههنا غرت ؟! قلت : نعم . قال : **يا ربيع** انا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق .. وسبائك وضباب ، ولكنى رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم .. فقال : **﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ﴾** ثم أمر أبا موسى بإقرارى وأن يستبدل بأصحابى » اهـ

قلت : فى القصة عظات وعبر وحكمة وبعد نظر . الا أن شاهدى منها قول الفاروق رضى الله عنه : (أههنا غرت ؟!) — ونسمع الناس — فى بلادنا وفى مصر خاصة يقولون لمن لا يرضون قوله أو فعله (يخى أو يا أخى غور) !.. وأصل ذلك أو المقصود منه أهبط إلى الغور — مقابل النجد .. أو استتر .. أو اختف ولعل الفاروق انما قصد .. (اهنا ذهبت أو استترت ؟) . وقد أدرك أنه استدرك ما كان يحب أن يتوسع فيه من ذكر لذيذ المطاعم والمشارب .. على كل حال .. هذا ما وقفت عليه عن أولية استعمالها .. وهو صالح لاعتباره اساسا للتداول .. وعفى الله عن **الربيع** .. و (يرفأ) .. معه ورضى عن الخليفة الراشد وأرضاه .

٣٢٨ كيف تكون بليغا ؟!

قال **خالد بن صفوان** : لا تكون بليغا حتى تكلم أمتك السوداء فى الليلة الظلماء فى الحاجة المهمة .. بما تتكلم به فى نادى قومك .. فان اللسان عضو اذا مرنته مرن وإذا أهملته خار ، كاليد التى تخشنها بالممارسة والبدن الذى تقويه برفع الحجر .. وما أشبهه .. والرجل إذا عودت المشى مشت ! » اهـ

قلت : رحم الله **أبا صفوان** .. فما عاد له من يقتفيه أو يحتذيه .. لا فى تمرين اللسان ولا تجديد البيان ولا المشى على الأقدام .. ولا حمل الأثقال فوق الهام .. فقد أخنت (السيارات) على الركب ! وجنت الأرائك على الاقدام ! واكتهل الفتيان ! وشاب الصبيان ! إلا أن يتداركوا بالسعى والحركة والرياضة .. والفتوة .. والبطولة .. ما فات فإن الترف .. سرف .. فاما النصيحة كل النصيحة فى تمرين اللسان على الفصاحة والبيان فهى فى تلاوة المثانى والقرآن .. حيث يجمع الله بذلك الهداية والايمان والطلاقة والانطلاق والإيجاز والإعجاز .. ثم الاحاديث النبوية الشريفة .. فأما أن يخاطب أمته السوداء فى الليلة الظلماء .. بما يتحدث به فى نادى قومه .. فلعله كان ممكنا ومقبولا .. ولا نكير عليه ابان عصره .. فما كاد يتجاوز القرن بعده حتى قال بشار لامته :

ربابة ربة البيت
تصب الخل فى الزيت
لها خمس دجاجات
وديك حسن الصوت

واعتذر عن هذا بانها لا تفهم غيره ! ولو أنشدها أحسن من (قفا . نبك) !! واننا لنحمد الله أن اللغة الفصحى قد أخذت تستعيد مكانتها بالاذاعة والصحافة ووسائل النشر وتطور الأحاديث .. وعسى أن يجمع الله للناس بين صدق القول وحسن العمل وإخلاص النية إنه سميع مجيب .

٣٢٩ الفسطاط الأبيض

« يقال أن **على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب** كان إلى منكب **عبد الله** .. وكان **عبد الله إلى منكب العباس** .. وكان **العباس إلى منكب عبد المطلب** .. وحدثنى **التوزى** قال : طاف **على بن عبد الله بالبيت** .. وهناك عجوز قديمة .. **وعلى** قد فرغ الناس ، فقيل **على بن عبد الله بن العباس** .. فقالت : لا إله إلا الله — ان الناس ليرذلون ! عهدى **بالعباس** يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض !! » اهـ (المبرد)

قلت : ولعل الطول فى أفذاذ الرجال .. وأعاظم الشخصيات هم سبب اقترانه بالعز .. و — المهم أن يتلاءم مع العرض .. ويتناسب مع القوام ! وما للناس فى ذلك من خيار .. وإنما هى هبة الله وفطرته وصبغته .. وقديما قال الشاعر :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفى أثوابه أسد مزير

كما قال الآخر :

ولما التقى الصفان واختلف القنا
نهالا وأسباب المنايا نهالها
تبين لى أن القماءة ذلة
وأن أعزاء الرجال طوالها

٣٣٠ جـن الإنس ؟ !

« سئل **المهلب** : من أشجع الناس ؟ فقال : **عباد بن حصين ، وعمرو بن عبيد الله بن معمر ، والمغيرة بن المهلب** .. فقيل له : فأين **ابن الزبير ؟ وابن حازم ؟ وعمير بن الحباب ؟** فقال : إنما سئلت عن الإنس .. ولم اسأل عن الجن » !! اهـ .

وناهيك بالقائل .. وهو الفارس المغوار والبطل الكرار ! ومع ذلك كله لم يتردد بالشهادة لمن هو أعلى من طبقته .. وأنفذ من جرأته وشجاعته .. والفضل يعرفه .. وقديما قال **عنترة بن شداد** : يصف قومه : (أنس إذا نزلوا ــ جن إذا ركبوا) .

وأرى (الجنية) او (الجن) في زماننا هذا وفي مجال التطور الحديث .. اكتشاف المخبأ .. وتفتيت الذرة ! واستكناه ما في هذا الوجود من حقائق العلم وعجائب الكائنات .. وأن يتنافس في ذلك كل من له عين ورأس .. وقلم وفأس ! وفيما عدى ذلك .. فما ثم إلا ناس .. أو نسناس .

٣٣١ ثـلاثة ــ وثـلاثة ؟

« قال **الأصمعي** : كان يقال : ثلاثة يحكم لهم بالنبل حتى يدرى من هم ؟ وهم رجل رأيته راكبا ، أو سمعته يعرب ، أو شممت منه طيبا . وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى من هم ؟ وهم رجل شممت منه رائحة نبيذ في محفل ، أو سمعته في مصر عربي يتكلم بالفارسية ، أو رجل رأيته على ظهر طريق ينازع في القدر » اهـ .

قلت : وقد مضى على هذا الأثر أو هذا التقسيم أو الاحصاء والتقويم أكثر من عشرة قرون متوالية ! هل تبدلت النظرة في عباد الله إلى هؤلاء ؟ حتى ولو كان منهم من اتصف بهذه الصفات أو بعضها .

٣٣٢ « السوبياء » ــ والسابياء

قال صاحب الكامل .. « وإنما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد .. وقال الفقء .. وليس يخرج فيه الولد .. وقال الكميت :

وفقأ فيها الغيث من سابيائه ... دوالح وافقن النجوم النواجيا

قلت : فهل نعيد إلى هذا الأصل .. كلمة (السوبياء) التى تتخذ من القمح .. أو الشعير .. في الصيف ؟! وانها سميت بذلك لبرودتها وعذوبتها .. ورقتها ؟ ــ أم أنها غير ذلك ؟! أغلب الظن أن هذا تأويلها والله اعلم .. « وحبذا هى ــ لولا أنها أثر » .

٣٣٣ الرطل ــ غير الرطل ذاك بالفتح والآخر بالكسر

« نظر **الحسن** إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد .. فقال : إن الله جعل الصوم مضمارا لعباده ليستبقوا إلى طاعته .. فسبق أقوام ففازوا .. وتخلف آخرون فخابوا .. ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ، ومسيء بإساءته عن تجديد ثوب .. أو ترطيل شعر » اهـ .

قالوا : وترطيل الشعر إنما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ويقال للرجل اذا كان فيه لين وتوضيع رجل رطل (بفتح الراء) .

وإذن .. فلا يغضبن أحدا إذا قالوا له : (إنك لرطل) ما دام ذلك يعنى أنه رقيق ليس متواضع .. أما الترطيل في الشعر فمعروف .. وفي غيره .. فمنكور ! وبالقرائن تزول الضغائن !

٣٣٤ « العلبة » قديما وحديثا

قالت أعرابية :

ألم تر أن الناس تحلب (علبة)
ويترك ثلب — لا ضراب ولا ظهر

والعلبة إناء كان لهم من جلود يحلبون فيه .

ومن أمثال العرب (قد تحلب الفجو والعلبة) .

هذه هى العلبة في الأدب العربى القديم .. وأطلقها المعاصرون على كل ما هو ظرف أو وعاء أيا كان نوعه من جلد أو خشب أو ورق .. أو (نيلون) ! والجامع في كل .. مفهوم وهو استيعاب ما يودع فيها ! .

بشرط أن لا يكون من نسيج .. فيكون صرة والجمع بينهما الفضل .

٣٣٥ القلب الملآن

قال المبرد وبلغه أن (ثعلبا) يهجوه :

رب من يعنيه حالى
وهو لا يجرى ببالى
قلبه ملآن منى !
وفؤادى منه خالى

قلت : هذا ما كان يقوله القوم قبل ألف سنة أو تزيد .. ولا تزال الجملة هى هى حتى يومنا هذا — يقولها العام والخاص .. وإذا أراد أن يعبر عن الضغن المكتوم والحقد المذموم .. قال : (قلبه مليان) — منى أو ملآن .. ومع أن الامتلاء قد يكون .. حبا .. كما يكون بغضا إلا أنها لم تذكر ولم تستعمل إلا فيما هو الشنآن والكره والسخط .. والاضطغان !

٣٣٦ الحنفص .. والمذرع

يطلق أهل أرتيريا على المواليد الذين .. يولدون من أب إيطالى .. أو أفرنجى .. ومن أم افريقية أو حبشية — كلمة (حنفص) ! ولعلها من لغة الأثيوبيين .

أما العرب فيطلقون على من كان أبوه عربيا .. وأمه أعجمية (هجينا) .. فإذا كانت أمه عربية وأبوه أعجميا فهو (المذرع) بتشديد الراء .. وضم الميم .

قال الفرزدق :

اذا باهلى أنجبت حنظلية
له ولد منها — فذاك المذرع

قلت : وقد ساوى الإسلام بين الجميع فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .. وإنما هى أحاديث .. الطرف .. وطرف الأحاديث ! وصدق الله العظيم : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

٢٣٧ (غلاء المهور) وتقاليد الزواج

هناك من التقاليد والتكاليف ما ينوء به كل كاهل .. دون مبرر ولقد أحدث الناس لأنفسهم عقبات كانوا ولا يزالون بخير — لو حطموها ومهدوها بأيديهم .. بعد أن لمسوا ضررها .. وأحاط بهم شرها .. ومن أهمها وأكبرها مقتا هذا الغلو في (المهر) الذي يعجز عنه الكثيرون — وترتب عليه استفحال (العزوبية) .. وهي أشد ما يمنى به الشباب من الجنسين .. بحجة أن (المتاع) أو الأثاث .. او المدنية الحديثة .. تستلزم هذا الغلو .. للغلاء !

وما أرى داعيا لذلك إلا الحرص على الظهور ! والا المباهاة .. والتكاثر .. والتفاخر .

ان علينا أن نضرب المثل الطيب في هذه المعضلة الكبرى .. ولن ينفع فيها الوعظ والارشاد النظرى والبيان السحرى .. بقدر ما تفيد (القدوة الحسنة) بدحضه ورفضه من القمة .. أو الذروة أى من كبار الأثرياء وذوى الجاه والنفوذ والمكانة الاجتماعية العليا ! فانهم محل التعليق والتقدير والاتباع ! وبوسعهم أن يتنازلوا عن الاسراف .. والتبذير .. والمبالغة في الانفاق الذى يتعدى بضرره الى (الأخلاق) في الصميم ، وتكون نتيجته العزوف عن الاقتران .. والانقياد الى وساوس الشيطان .. وماذا بعد الحق الا الضلال ؟!

وهناك التقاليد المرهقة .. في كل زفاف أو عقد .. من (غمرة) و (تصبيحة) وأفراح لا يمضى عليها اكثر من اسبوع واحد حتى تعود (اتراحا) تحيل شهر العسل الى (حنظل) او (علقم) مرير ! الأمر الذى يجب أن يصرف النظر عنه كليا .. فما اقترنت هذه السنة النبوية — بغير الاستطاعة .. التى تتحقق بها الغاية — وهى أشرف الغايات .. وبقاء النوع .. وصيانة العرض .. والمحافظة على العفاف !

ولا ريب أن هذا لا يعنى أن يكون الزفاف — خاليا من المسنون شرعا .. وما في الشرع إلا كل تيسير .. وكل ما في الموضوع من بلاء عام هو تقليد الضعيف للقوى .. والفقير للغنى .. فعلى هذين أن يرفقا بالأكثرية الساحقة من محدودى الدخل .. طواعية وطاعة .. وفي وسعهما أن يبذلا ما أرادا — للعروسين — ولمنفعتهما وذريابهما — وحسن معاشرتهما في رغد أو كفاف .. على الأقل .

وهناك المشكلة الأخرى — وهى (الرفود) .. فهى إن لزمت بالنسبة للمعرى والمحتاج — لوجه الله — فقط . وإسداء للمعروف وتشجيعا على الخير .. وادخارا للأجر والثواب دون الاقراض والسداد .. فنعما هى !

اما إذا كان الانسياق معها — والعمل بها — كما هو المشهود (خذ — وهات) فما أغناهم عنها فهى كالدين (هم بالليل وذل بالنهار) !

وكم من الضحايا المكروبين ؟ — والصبايا المحرومات .. لكل هذه العوائق والبوائق .. و « حب التناهى غلط : خير الأمور الوسط » .

على أنه لا ثمرة مطلقا لأى كلام في هذا الصدد .. وإنما الذي يفيد ويثمر — إقلاع القادرين عن هذه الظاهرة المرهقة والاقتصاد

ـ مع القدرة ـ للقدوة الصالحة .. فهل نحن فاعلون ؟ إنها لاحدى القضايا الخطيرة تتهدد مستقبل الجيل الصاعد بما يتصل بحياته .. وبؤسه أو سعادته .. وهى من الأهمية بحيث ان تركها أو الإغضاء عنها سيؤدى بالبقية الباقية من (الخيرية) .. في هذه الامة التى وصفها الله بأنها ﴿ **خير أمة أخرجت للناس** ﴾ .

وقد عرفت من العوائل الكبيرة ـ قديما وحديثا ـ من نهجوا السبيل الأقوم .. فلا يتكلفون .. ولا يكلفون ـ وما وجدتهم بغير (القوام) يحتفلون ، ولا بالتفاخر يكلفون ! وإنما همهم (الستر) وحسن الاختيار .. و « **عليك بذات الدين تربت يداك** » .. وعليها (بذى الدين) خير من الافتراك ؟

فأما إذا استمر ما هو محل النقمة من الأكثرين .. دون أى إقدام على إزالته ـ ولو تدريجيا ـ فإن النذر الأولى لا تبشر إلا بالضرر البالغ والرزء العظيم .

ومن من الناس ـ أكثر الناس ـ يتمكن من شراء الفساتين بآلاف الريالات فلا تلبس إلا مرة واحدة فقط .. ثم تهمل وتنبذ لان (المودة) لا تسمح بتكرار ارتدائها ! اللهم إن هذا لباطل ـ لا يرضى به أى عاقل .. ولا يحتمله حتى أى كاهل وما بعد ذلك من صبر ولا سكوت .. أو هو الكبت والمقت والخفوت ! والامم لا تحيا أو تموت .. إلا على قدر ما تتواصى بالحق .. وتعمل بالمعروف .. وتصغى إلى صوت العقل والشرع وكلاهما يدعو إلى التدبر والتبصر .. ومن الله نرجو الهداية والتبصير وهو على كل شيء قدير .

٣٣٨ (القطيف) و (القطيفة) !

أما (القطيف) فهو البلد المعروف في المنطقة الشرقية ـ من الاحساء .. واما (القطيفة) فهى هذا الحرير او البز الذى تجمل به الصوالين .. والاواوين .. والمجلس والدواوين .. وقد عثرت في إحدى قصائد الأعشى (ميمون بن قيس) وقد توفي في العام السابع من الهجرة .. وهو من أهل نجد ومن قرية (منفوحة) باليمامة .. على بيت ذى علاقة بهذا البحث الطريف : قال :

وحششن الجمـال يسهكن بالبا
غز والارجـوان حمـل (القطيـف)

ويسهكن ، يسمقن والباغز من ثياب الخز .. والحمل الوبر ـ والقطيف ، دثار مخمل .

وعلى هذا فإن ما نطلق عليه (القطيفة) ـ ليس جديدا بل عرفه عرب الجاهلية .. واصطنعوه واستعملوه ـ ولبسوه وافترشوه ! وكذلك لم تسم (القطيف) قطيفا .. إلا لما اشتملت عليه من النعمة والخمائل والجداول ـ والغياض والرياض .. فهى منذ ذلك العهد السحيق لا تزال سماتها وشياتها محافظة على ماضيها المجيد ـ ونطمع لها بالمزيد من الجمال والكمال .. بفضل الله تعالى ثم بما تبذله حكومة جلالة الملك المعظم من عناية بإحياء المدن وتمدين القرى .. وإعادة المجد التليد .. وبما يطمح إليه الجيل الصاعد من تقدم وتطور وازدهار .. وان غدا لناظره قريب !

٣٣٩ (الصفائح) و (الصفاح) !

داخلنى الشك أن تكون الصفاح هى الصفائح .. رغم أننى واثق أنها هى — بما اختزنته الذاكرة طوال خمسين حولا .. واستعملتها في قصائد شتى بهذا المعنى !

وأنشدت أخيرا قصيدة في أول العام الهجرى جاء فيها هذا البيت :

ولنا في الوجود خير شعار
وهو في الحق (مصحف) و (صفاح) !

واستشكل ذلك — من له بصرة بالأدب — وهو فيه طبع لا تطبع ! وأكدت أن الصفاح هى الصفائح أى السيوف ! ومع ذلك وجدتنى أنشد قول الشاعر **أبى تمام** في بائيته الشهيرة :

بيض الصفائح — لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك — والريب ..

وقوله :

حاز العلى ، فسرى بصارم وعزمه
يغنيك عن خطية — و (صفاح)

وقوله :

لو شئت ما أبقت (صفاحك) يافعا
منهم ولا تركت فتاك وليدا

ولم يطل بى الشك أو القلق .. حتى عثرت في ديوان الأعشى على هذا البيت إذ يقول :

ألسنا نحن أكرم ان نسبنا
واضرب بالمهندة (الصفاح) ؟!

وقرأت لصفى الدين الصفدى من شعراء القرن الثامن الهجرى وقوله :

(صفاح) عيون لحظها ليس مصفح
ونبل جنون للجوارح تجرح

فانست في القلب راحة كبرى وفي النفس غبطة جلى . وها أنذا اعلنها في هذه « الشذرة » وأحمد الله على حسن التوفيق .. فإنه نعم الرفيق !

٣٤٠ قيس عيلان وابن الطفيل

قال **عامر بن الطفيل** .. في أوائل القرن الهجرى الأول :

وما الأرض الا (قيس عيلان) أهلها
لهم ساحاتها سهلها وحزومها
وقد نال آفاق السماوات مجدنا
لنا الصحو من آفاقها وغيومها

قلت : وكان أهل الدنيا في هذا العصر الحديث يقولون عن الامبراطورية البريطانية الكبرى إنها تملك ما لا تغيب عنه الشمس — أى على اختلاف دورانها حول الأرض إن أمست وإن هى أصبحت ! — وهكذا سبق إلى هذا المعنى **عامر بن الطفيل** فقال (لنا الصحو من آفاقها وغيومها) .. ومن المأثور عن أمير المؤمنين (**الرشيد**) قوله « امطرى حيث شئت فإن لنا خراجك » .. وأمة هذه سابقتها وهذا مجدها — وهذا طموحها .. ولها في اخلاقها مائة مليون عربى — لا يليق بها إلا أن تكون (مصداقا) لما هى جديرة به من مكانة عالمية — وقيادة شرعية ! وما ذلك على الله بعزيز .. وما هى إلا أن يهديها الله إلى الصراط المستقيم .. والاعتصام بحبله المتين .. والله ولي الصادقين .

(٣٤١) الأعرابي ـ وجاريته !

قال **شبيب بن شبة** : لقيت أعرابيا في طريق مكة .. فقال لى : تكتب ؟ قلت : نعم ، قال : ومعك دواة ؟ قلت : نعم ، فأخرج قطعة جراب من كمه ثم قال : اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص .. « هذا كتاب كتبه **عبد الله بن عقيل لأمته (لؤلؤة)** إنى أعتقك لوجه الله ـ واقتحام العقبة ـ فلا سبيل لى ولا لأحد عليك إلا سبيل الولاء والمنة على وعليك من الله وحده . ونحن في الحق سواء » ثم قال : أكتب شهادتك . اهـ .

قلت : وهذا إملاء الامى « في الفلاة » مع هذه العقيدة البريئة الصادقة ، وكان ذلك متى ؟ قبل ألف عام أو تزيد ! **﴿ وان في ذلك لذكرى لمن القى السمع وهو شهيد ﴾** .

(٣٤٢) النابغة الذبياني والحج !

يقول في اعتذاره الى **النعمان بن المنذر** :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة
وهل يأثمن ذو (امة) وهو طائع ؟!
بمصطحبات من (لصاف) و (تبرة)
يزرن (الالا) سيرهن التدافع
عليهن شعث عامدون (لحجهم)
فهن كأطراف الحنى خواضع !

قلت : وقد سمعت البيت الاول منذ نشأت يردده الكثيرون وهكذا :

(حلفت فلم أترك لنفسك ريبة)
وليس وراء الله للمرء مذهب ![1]

ولعله تضمين لشاعر غيره .. أو هو من رواية اخرى له ؟!

والشاهد في هذا الايراد .. وصفه (الحركة) في عرفات عند النفر والتدافع الذى كنا أدركناه أيام الرواحل والزوامل .. والشقادف والشبارى ؟! ولا سيما في المضايق والمخانق ! وقد أيد لنا الله بذلك النظام والاطمئنان ، **﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾** .

ونسأله تعالى الشكر عليها .. والزيادة منها .

وقوله : وهل يأثمن ذو (امة) ـ يعنى بالامة هنا (الدين) والاستقامة ! وهو ما يتعذر فهمه في المتأخرين .. واحياؤه تيسير على الباحثين .. (والله يحب المحسنين) .

(٣٤٣) الفرزدق ـ والجبا

قال **الفرزدق** في فائيته المشهورة :

نعجل للضيفان في المحل بالقرى
قدورا (بمعبوط) تمد ـ وتغرف
تفرغ في « شيزى » كأن جفافها
حياض « جبى » منها ملآء ، ونصف

قلت : و (الجبا) ما جمع من الماء في الحوض .. ومن هنا نستطيع أن نتأكد أن (الجبا) المعهود في زماننا إنما يرجع أصله إلى هذا .. من حيث أنه مباح للصادر والوارد .. فاذا نادى أخ أخاه بقوله : (جبا) ـ فإنه يعنى الترحيب به والبذل له .. كما لو كان واردا على حياض « الجبا » أو « جبا » الحياض .. وأحسب أن هذه العادة آخذة في الانقراض .. وذلك لما ينتج عنها من الخجل احيانا وأحيانا من الاقتراض ! وقد

١ ـ « المنهل » : هذا البيت آخر .

يحسن القادرون بتركها ليشجع المقترون والمتربون :

و « **ما كلف الله نفسا فوق طاقتها**
ولا تجود يدا الا بما تجد »

٣٤٤ بيضة البلد

لما قتل على بن **ابى طالب** رضي الله عنه — يوم الخندق — (**عمرو بن ود**) وعو الفارس الصنديد ، المقنع في الحديد ، قالت أخته ترثيه :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله
بكيته ابدا ما دمت في الابد
لكن قاتله من لا نظير له
وكان يدعى (ابوه) بيضة البلد

قلت : سبحان الله ! لو أن أحدنا اليوم قال لبعض ذوى الوجاهة .. والجاه .. انك بيضة البلد .. لفقش رأسه .. بها .. أو لطخ وجهه بلعابها ! ولهذا كان من الحكمة مراعاة ما تطورت إليه بعض الكلمات والمصطلحات برغم النصوص اللغوية ! . وأذكر أن شاعرا كبيرا تقدم إلىّ ، قبل نحو من ٣٥ سنة بقصيدة عظيمة مطولة كلها ثناء وتقدير واطراء .. وهى قافية .. ولسوء الحظ استعمل فيها بيتا واحدا كانت فيه الكلمة جافية خافية .. أو راجلة حافية .. وهى « علق » ! وأخفيتها خجلا .. وسترتها وجلا ، وما في الكلمة من عيب .. فالعلق لغة هو الشيء الثمين والنفيس .. ولكن أنى لنا بمن يدعها تمر على وجهها الأمثل ؟

فقد تطور اللفظ إلى ما هو أرذل ! والوقاية خير العلاج .. ولا حاجة للازعاج — ولا الانزعاج .. فليحذر الذين يصابون بهذا الازدواج .. من كل ذلاقة — ومن كل ارتاج ! و (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) .

٣٤٥ أم واحد وعشرين

« في أمثال العرب ، قولهم : « اعطف من أم واحد وعشرين » .. وهى الدجاجة لأنها تحضن فراخها وتزفها كلها — فان ماتت إحداهن تبين الغم فيها » اهـ .

قلت : كنا نعرف (**أم صالح**) — و (أم أربعة وأربعين) .. وجهلنا لم سميت الأولى (بأم صالح) ؟! وعلمنا السبب في الأخرى .. وهى عدد ما لها من شناخيب وتلابيب ، والآن يجب أن نعرف (أم واحد وعشرين) ! ولينظر القارىء الكريم عطف (الوالدة) حتى في الحيوان — وكيف أنها تشعر بالآلام والاغمام عند فقدها فلذة سهرت عليها الليالى والأيام .. وسبحان الخلاق العظيم .. الذى أحسن كل شيء خلقه — وهو الرحيم الرحمن .

٣٤٦ الحديث المسلسل والشعراء المحدثون

« عن الحافظ الكبير ثقة الدين **أبو القاسم على بن الحسن بن عساكر الشافعي** وهو يترجم **لأبى تمام (حبيب بن اوس الطائى** الشاعر — المولود سنة ١٨٨هـ أو ١٩٠هـ ..) **وابن عساكر** من الشعراء .. قال : أخبرنا **أبو الحسين الموقدة** ، أنبأنا القاضى **ابو المظفر هناد بن ابراهيم بن نصر النسفى** ، أنبأنا **عبد الحى بن عبد الله بن موسى الجوهرى** الشاعر ببخارى ، انبأنا **أبى أبو الحسن** الشاعر ، حدثنا **أبو علي المفضل بن الفضل**

الشاعر ، أنبأنا **خالد بن يزيد** الشاعر ، حدثنى **صهيب ابن أبى الصهبان** الشاعر ، حدثنى **الفرزدق همام بن غالب** الشاعر ، حدثنى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الشاعر ، حدثنى **أبى حسان بن ثابت** الشاعر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يا حسان اهجهم وجبريل معك .. وقال : إن من الشعر حكمة » اهـ .

قلت : ولعل في حرص هؤلاء الشعراء على أن يكونوا من جملة من بارك الله جل وعلا فيهم ولهم في رواية الحديث النبوي الشريف .. علامة كافية ، ودلالة شافية على قوة يقينهم وحرصهم على هذه المنقبة العالية التى لا يتطاول إليها إلا من فتح الله عليه .. وهداه إلى الصراط المستقيم . وقد أخرجه **الخطيب البغدادى** عن **أبى تمام** بالسند السابق .. غفر الله لهم ولنا ولكافة عباده المؤمنين .

٣٤٧ ماحى المناهتة ؟!

إذا تبرم احدنا من صاحبه .. وهو يتحدث معه أو يتجادل . قال له :

كفاية يا أخى (مناهته) ! ـــ ووجدتها فى متداول أهل مكة .. من عصر الرسالة ويوم فتح مكة .. فقد وردت فى شطر من الأبيات الماثورة ، التى أولها :

انك لو شاهدت يوم الخندمة
إذ فر صفوان وفر عكرمة

وبعد بيتين :

(لهم « نهيت » خلفنا وهمهمة) .. والنهيت هو الزئير والزجير .

وجملة القول : أنها ذات أصل عربى صحيح .. والمقصود بها فى زماننا عدم المماحكة والملاغاة .. والمجادلة .. والمطاولة .. والافحام .. والاقحام .

٣٤٨ الرأس المندى وأكل المخ !

قيل لأعرابى : أتحسن أن تأكل الرأس ؟ قال : نعم (ابخص عينيه ، وأفك لحييه ، وأرمى بالدماغ إلى من هو أحق به منى ! ـــ وكانوا يكرهون أكل الدماغ ـــ وفى ذلك يقول الشاعر :

ولا أبتغى المخ الذى فى الجماجم

قلت : من هذا نعلم أن أكل الرأس (المندى) .. قديم جدا .. وأن الأعراب لم يأنفوه .. كما أنفوا أكل الدجاج والفراخ .. ونعلم أيضا أن أكل المخ .. مستكره عندهم .. لتفادى التهمة بتقوية (مخ الآكل) به ! بدليل قول الأعرابى آنفا أنه يرمى بالدماغ إلى من هو أحق به منه .. وأحسب أن الناس فى زماننا هذا لا يرون الرأس كاملا .. إلا إذا كان مخه فى وسطه مكان الناصية وهم يختصونه بالشراء فى أيام الصيام .. تزويدا للأدمغة .. أو تعويضا للأفئدة .. ولا سيما إذا غلف بصفار البيض .. المبهر !

٣٤٩ احلق لحيتى

إن صح هذا .. أو جاء فلان أو صدق أو أفلح .. (احلق لحيتى) يقولها ـــ الرجل لصاحبه .. تأكيد لحدسه وتخمينه ـــ وظنه أو يقينه مهددا ـــ أو متوعدا .. أو مكذبا أو متحديا .

وهى الأخرى .. ليست من مواليد الزمن الأخير .. فهذا العتبى يحدث عن رجل من أهل المدينة .. يقال له (**أبو الحر**) بضم الحاء .. زعم « أنه دله على امرأة لم ير مثلها قط ليتزوجها قال : فإن لم ترها كما وصفت فاحلق لحيتى .. قال العتبى : فلما زفت إلى وجدتها أكثر مما وصف .. فلما كان فى السحر إذا إنسان يدق الباب فقلت : من هذا ؟ قال : **أبو الحر** .. وهذا الحجام معى .. فقال : قد وفر الله لحيتك **أبا الحر** .. الأمر كما قلت » اهـ

ولعل بعض القراء الأعزاء .. يقولون .. وماذا يفيد العلم بهذا ؟! وأرد على هذا التساؤل : بأن له فوائد شتى .. ومنها امتنان العريس .. واقتناعه بالوصف .. دون النظر .. ومطابقة الخبر للخبر ... ومعرفة أولية حلق اللحية عند البدو أو الحضر !

٢٥٠ الركوب على الخنفس ولا المشى على الديباج

ما أحسب أحد من أهل بلادنا — لم يمر بسمعه هذا المثل الدارج .. وقد بصرت له أصلا عريقا .. فى (العقد الفريد) قال :

« ولما مشى هارون الرشيد إلى مكة ومشت معه زبيدة كانت تبسط (الدرانك) أمامهم وتطوى خلفهم .. وهو أنواع من البسط .. فلما أعيى ، أى الرشيد .. دعا بخادم له فألقى ذراعه عليه وتأوه ، وقال : والله لركوب حمار شموس خير من المشى على الدرانك ! » اهـ

قلت : وتمخضت الحضارة عن الطائرات والسيارات الفارهة وضاق ذرع الركاب أيضا بالساعة تمر عليهم فى إحدى هذه الوسائط السريعة المرفهة .. وتأفف .. منها .. وكأنه نسى أن ما أصبح يقطعه عليها فى دقائق معدودات .. يضاهى ما كان البعير يبلغه فى أيام متواليات ! ولله فى خلقه شئون .

٢٥١ الدوارة — قديمة !

إذا تفقد الوالد ولده أو المخدوم خادمه .. ولم يجده .. قال : لا بد أنه دائر فى الأزقة .. أو الشوارع .. أو فى البيوت .. وأجدها فى بيت شعرى قديم جدا **للأحوص بن محمد** الشاعر الأنصارى فى القرن الأول الهجرى حيث يقول :

أدور — ولولا أن أرى أم جعفر
بأبياتكم ما درت حيث أدور

ولعل من نتائج الدوران أو الدوارة .. (الدوار) وقد ضاق الوقت .. ولم يعد هناك فسحة لذلك مع الفلك الدوار .

٢٥٢ مصانع فى مكة المكرمة !

قال **عنترة بن شداد العبسى** من قصيدة له :

وفى يوم (المصانع) كم تركنا
لنا بفعالنا خبرا مشاعا

ولا أدرى ما هى هذه (المصانع) الآن تكون بقعة من الأرض فى قلب الجزيرة العربية دارت فيها إحدى المعارك الضارية .. بين القبائل فى العصور القديمة .. أما (مصانع مكة المكرمة) فلا يزال مكانها وأثرها باقيا حتى الآن بمحلة الباب .. فى سفح (قعيقعان) .. يسار الداخل إليها من (ربع الرسام) .. وما هى إلا الأطفاء النورة .

غير أن من الحق والانصاف أن نذكر أنها ليست الأولى بمكة .. فقد سبقها أو لحقها (مصنع كبير) للزجاج — القزاز — بمحلة القرارة .. وما زال محله وأثره وآلاته .. تشاهد فى حوش هناك .. وكان مؤسسه الأول جد « الأسرة **القزازية** » الكريمة .. وذلك لا يعدو القرن الحادى عشر أو الثانى عشر .. وكان ينتج ما تحتاجه البلد من (فناجين القناديل) ذات الفتايل والتى توقد بالزيت .. أو الشحم .. ويؤمن لزوم (الزينات والحفلات والزفافات) .. وربما أنتج الأكواب .. وغيرها .. ثم اندثر ! وانصرف أهله إلى التجارة وأدركنا أكثرهم يشتغلون بالبز فى (سويقة) .. وهنا نتساءل لماذا لا تقوم شركة مساهمة لعمل مصنع أو مصانع متعددة للزجاج فى هذه المملكة الفسيحة الأرجاء ؟! وفى عواصمها ومدنها الكبرى ؟ ان حاجة البلاد إلى الصحاف والأطباق والأكواب والأقداح أو (الفناجين) أو (الفناجيل) .. (لا أدرى ؟) عظيمة جديرة .. وما أجدرنا بتوفير الأموال والأرباح — لأهلها — بدلا من استيراد كل دقيق وجليل من الخارج .. إننى أعتقد أن فى تربة أرضنا وجبالنا ما يؤمن الموارد الأولية لهذه الصناعة .. والا فكيف قام مصنع القزازين بمكة قبل قرنين من الزمان ؟! الا أن من الخير أن نتعاون على إنشاء شركات التصنيع ما استطعنا .. وهى معضدة ومؤيدة من قبل ولاة الأمور .. و ﴿ **قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ .. فهلم إلى الاكتتاب . ولكل أجل كتاب .

٢٥٣ فى مجلس أمير المدينة سنة ٣٦٤هـ (الغنى — لا الغناء)

« قال **ابن فارس** : الغنى مقصور وهو اليسار والترفه . والغناء بالمد ما يسمع على الطريق المعروفة ، إلا أن الفراء قد حكى المد فى هذا المقصور ، وهو حجة لا سبيل إلى رد قوله ، قال **أبو الفتح** : هكذا هو ، وما أصح حكايتك ، ولكن قلبى لا يطمئن إلى مد هذا الاسم لأنه لم يأت فى كلامهم ممدودا .. فقال **ابن فارس** : قد أنشد الفراء قول الشاعر :

سيغنينى الذى أغناك عنى ... فلا فقر يدوم ولا غناء !

فقلت : عندى فى هذا شيء وما ذخرته إلا لمثل هذه الحال ، وقد حان وقته ، فقال : هات ، بارك الله عليك ، أنه لحبا بالفائدة ما عملت .. قلت الشعر على غير هذا الوجه . والبيت الذى يتلوه يشهد له وهو :

سيغنينى الذى أغناك عنى ... فلا فقرى يدوم ولا غناك
تجنبت الذنوب لتصرمينى ... دعى العلات ، واتبعى هواك

فقال لى : أحسنت وأجدت ، من أنشدك هذا ؟ قلت : **أبو الليل العلوى** بالمدينة فى مجلس أميرها **أبى أحمد العلوى العقيقى** » .اهـ

قلت : وكذلك كانت مجلس الأمراء ، لا تتزين الا بالعلماء والأدباء والشعراء .. وهو ما عهدناه فى بلاط الخلفاء .. وفى ذلك الغناء كل الغناء — وهو الغنى وكل الغنى !

٢٥٤ الخربز ـ وأبو الزهراء !

كان الصلتان بن عوسجة من بنى سعد ابن دارم يكنى بأبى الزهراء وكان أكثر كلامه شعرا .. وكان من أضجر الناس وأسوئهم خلقا ، قال سويد بن عنجوف : وكنا نجتمع معه فى مجلس أبى حماد وما منا إلا من يأتيه بما يشتهيه فلا يعجبه ذلك حتى اتيناه يوما (بخربز) ــ وكانت أمامه فلما أبصرها تأملها طويلا وجعل يقول :

بدلت والدهـــــــــر قديما بدلا
من قبض بيض القفل نقلا حنظلا
أخبث ما تنبت أرض مأكلا !

فكنا نقول له يا أبا الزهراء : أنه ليس بحنظل ولكنه طعام هنئ ونحن نبدؤك فيه إن شئت ، قال : فخذوا منه حتى أرى . فبدأنا نأكل وهو ينظر لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة فنزع أعلاها وقور أسفلها ، فقلنا : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : إن كان السم يا بنى أخى ففيما ترون ؟! فلما طعمه استخفه واستعذبه فلم يكن يؤثر عليه شيئا ، وما كنا نأتيه بعد بغيره وجعل فى خلال ذلك يقول :

هذا طعـــــــــام طيب يلين
فى الجوف والحلــق له سكـــون
الشهد والزبد به معجون

قلت : إذن يكون الخربز معروفا عند العرب ومزروعا منذ صدر الاسلام .. وربما كان يطلق عليه البطيخ الأصفر .. وأحسب أن تسميته بالخربز .. مأخوذة من الفارسية .. وصدق أبو الزهراء « الشهد والزبد به معجون » ؟!

٢٥٥ سجين البول !

روى ابن عبد ربه فى العقد الفريد ، عن الأصمعى أنه قال : عرضت السجون بعد هلاك الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابى أخذ (يبول) فى أصل مدينة واسط فكان فيمن أطلق فأنشأ يقول :

اذا ما خرجنا من مدينة واسط
(خرينا) وبلنا لا نخاف عقابا

قلت : ومن أنظمة بعض الدول فى عصرنا هذا عقوبة من يتبول فى الشوارع .. العامة بدفع مبلغ من المال .. على الفور .. أو يسجن حتى يدفعها ! وقد رأيته أثناء الهجرة إلى السودان عام ١٣٤٣هـ .. فى (بورسودان) .. فلا يكاد المرء يرى أحدا يبول فى محيط العمران .. مطلقا .. أما هنا وعلى قيد خطوة من أبواب المسجد الحرام .. وفى عرض الشوارع وطولها .. فلا حرج ولا تحريج .. ولا حياء ولا إنكار ولو قد وضعت العقوبة المالية .. لكان فيها خير رادع .. وأكبر مانع من التكرار على الأقل .. على شرط أن تهيأ (المراحيض العامة) فى كل المناطق .. ولا هوادة فى كل ما يتصل بالأدب الشرعى والمحذور الصحى .. والله ولى المتقين .

٢٥٦ كيف تقول الشعر

روى ــ أن رسول الله ﷺ سأل عبد الله بن رواحة كالمتعجب من شعره فقال : كيف تقول الشعر ؟! قال : انظر فى ذلك ثم أقول .. قال :

فعليك بالمشركين .. ولم يكن أعد شيئا فأنشد أبياتاً منها :

فخبرونى (أثمان العبـاء) متـى ؟
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر !؟

فعرف الكراهية فى وجه النبى ﷺ لما جعل قومه أثمان العباء .. فقال :

نجالد الناس عن عرض ونأسرهـم
فينا (النبى) وفينا تنزل السور

وقـد علـمتم بأنـا ليس يغلبنـا
حى من الناس إن عزوا وان كثروا

وانتهى إلى قوله :

فثبت الله ما أعطـاك من حسن
تثبيت موسى ، ونصرا كالذى نصروا

فأقبل عليه النبى ﷺ بوجهه وقال : وإياك **فثبت الله يا ابن رواحة** » اهـ (العمدة)

قلت : وعندما أنشدت المرحوم « **الملك عبد الله بن الحسين** » أثناء قدومه إلى الرياض ضيفا عام ١٣٦٨ هـ على جلالة المرحوم صقر الجزيرة — وملك العرب ، وإمام الموحدين **الملك عبد العزيز** تغمده الله برضوانه .. تحية شعرية نالت رضاءه واستحسانه : قال لى وهو شاعر عظيم : كيف تقول الشعر ؟ وقبل أن أجيب ، قال : إنك لتعلم أننى أستطيع أن أضيف إلى (المعلقات) ما يحتسب منها ولا تتميز عنه ! ولكننى إذا حاولت أن أنظم ... يتفصد جبينى عرقا وتختلج مفاصلى ... وأحسبنى فى عالم آخر حتى أفرغ فكيف أنت ؟ قلت : لا شيء من هذا أبدا .. قال : كيف ؟ قلت : لأنه إذا كان الموضوع الذى أتحدث عنه متصلا بأمجاد العربية الكبرى وبطويل العمر .. وضيفه الكبير .. فما أرانى إلا مستغرقا كمن يحاول أن يستوعب أشعة الشمس ! فهى فى سطوعها أبلغ من كل وصف وواصف ؟! وقصاراى ، أن أتصيد منها ما استطعت وما تبرح فى إشراقها ولو تلقفها الانس والجن . قال رحمه الله : « كلامك هذا شعر » . والحق أنه ممن يحذر نقده ولا يمل حديثه وكان حفيا بالأساليب الجزلة الخالصة !.

٣٥٧ أفصح الشعراء والناس

قال **أبو عمرو بن العلاء** : أفصح الشعراء لسانا ، وأعذبهم أهل (السروات) وهن ثلاث ، وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن فأولها (هذيل) وهى تلى السهل من تهامة ، ثم (بجيلة) السراة الوسطى ، وقد شركتهم (ثقيف) فى ناحية منها ثم سراة الازد (أزد شنوءة) **وهم بنو الحارث بن كعب الحارث بن نضر بن الأزد** كما قال : افصح الناس (عليا تميم) وسفلى قيس كما قال **أبو زيد** أفصح الناس سافلة (العالية) و (عالية) السافلة » اهـ

قلت : ليس هذا حتما — ولا حكما .. ولكن الشاهد فيه .. ان سرواتنا .. كانت ولا تزال ركائز ثرواتنا .. وأنها مقبلة على مستقبل باهر عظيم .. تستعيد به ماضيها المجيد وتراثها العتيد وما برحت (الفصحى) قريرة العين بتلك القمم الشامخة .. والهمم الباذخة وإن غدا لناظره قريب .. وما ذلك على الله بعزيز .

٢٥٨ ابن رشيق رومي الأصل ٣٩٠ ـ ٤٦٣ هـ

من أعيان القيروان وكبار أدبائها ومؤلفيها **الحسن بن رشيق** وهو صاحب كتاب « العمدة » فى صناعة الشعر ونقده ، وجاء فى ترجمته أن أباه مملوك (رومى) من موالى الأزد .. ومن شعره الرائع قوله :

ومن حسنات الدهر عندى ليلة
من العمر لم تترك لأيامنا ذنبا

خلونا بها ننفى الكرى عن جفوننا
بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا

وملنا لتقبيل الخدود ولثمها
كمثل جياع الطير تلتقط الحبا ؟!

قلت : فما أكثر ما نجد أقطاب البيان العربى الخالد ـ من أصول غير عربية .. وبهم يقتدى وعنهم يؤخذ !. كما هو الشأن فى العظماء من العلماء الأخيار .. وكلهم استعربوا وأعربوا ...

وشرقوا وغربوا .. وأسمعوا وأطربوا .. وربما كان ذلك سر التوسع فى الأخيلة والأمثلة .. والامتزاج بين الحضارات .. إلا أنه لم يعد أن يكون صهرا لها فى بوتقة عربية خالصة .. وأنه لكسب عظيم وربح جسيم ... هذا (التراث) المشترك ... الخالد ...

وهو ما يجب أن يوصى به أولاده كل والد .. **﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء .. وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾** .

٢٥٩ الشاعرة العربية ابنة لبيد

بعث **الوليد بن عقبة** مائة من الإبل إلى **لبيد بن ربيعة** ينحرها لعادته عند هبوب (الغيث) وقد أسن وأقل ! وكان يطعم الناس ماهبت الصبا فقال لابنته : اشكرى هذا الرجل فإنى لا أجد نفسى تجيبنى ولقد أرانى لا أعيا بجواب شاعر ! فقالت :

إذا هبت رياح أبى عقيل
دعونا عند هبتها (الوليدا)

أغر الوجه أبيض عبشميا
أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كان ركبا
عليها من بنى حسام قعودا

ابا وهب جزاك الله خيرا
نحرناها ـ وأطعمنا الثريدا

فعد ان الكريم له معاد
وظنى بابن أروى أن يعودا

وعرضتها على أبيها فقال : (لقد أجدت ، لولا أنك استزدت) كراهية فى قولها : « فعد ان الكريم له معاد » .

قلت : ولندع القصة تتحدث بما يغنى عن الإطالة وكيف كانت الفتاة العربية تنطق بالشعر الرائع .. وهى فى الصحراء .. بين الخدر .. والسجف .. والصحصح والنعف .

ومع ذلك كان ناقدها أباها .. وقد رضى عنها وما أباها .

٣٦٠ « الظلم ــ واللمى »

قال **عبد الله بن طاهر** :

وإنى للثغر المخيف لكالئ
وللثغر يجرى ظلمه ــ لرشوف

قلت : وقد قرأت فى هذا البيت وأوردته هنا ــ لأعلق عليه بأننى كنت أزور كبير السدنة الشيبيين المرحوم **عبد القادر الشيبى** فى مرضه الأخير الذى توفى به ــ وذلك عام ١٣٥٠هـ ــ بمنزله بالزاهر .. فالتفت إلى من فراشه وهو يتأوه من آلامه وقال : قل لى يا حسان ما هذا الذى يتغزل به الشعراء ويتباهون برشفه ؟! ويطلقون عليها اسماء كلها لا تعدو الحقيقة .. فما هو (اللمى) ؟ وما هو (الشهد) ؟ وما هو الظلم ؟ أليس كل ذلك هو (القرف) .. و (التفلان) ؟.

وحضرنى الجواب المناسب فقلت : يا سيدى إنما تقول ذلك الآن وأنت على أبواب الآخرة .. وبعد أن شبعت من الدنيا وترويت ! أما فى شبابك وابان نشاطك .. فما أحسبك كنت تراه غير ما يراه الهائمون به .. والظامئون إليه ! فقال : لا شك .. لا شك وإذا بعد عليك العنقود ! فقل (حامض يا عنب) .. رحمه الله رحمة واسعة .. فقد كان على علو مكانه وسنه ، وما احتمله من أحداث الزمان .. كالجبل الشامخ .. ويتشاغل عن الأحزان بالأفراح .. ويتغابى عن دواعى الكبت .. والقلق .. والاتراح . وتلك مزية لا تتوفر إلا فى القلة من ذوى القلوب الكبيرة المؤمنة .. التى تؤمن بالله وقضائه وقدره ولا تبتئس ولا تنتكس . وإنما هى أمل ممدود ، وأجل محدود ، ورب رحيم .

٣٦١ قلب العقرب

قال الشاعر :

جاذبتها والريح تجذب (عقربا)
من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها ، فتمنعت ،
وتحجبت عنى ثقلب العقرب !

قلت : وقلب العقرب فى الشطر الأخير .. هو « البرقع » وهو آلة الحجاب .. وهذا مما ورد فى شواهد ابن الأثير فى المثل السائر .. وهو المتوفى عام (٦٣٧)هـ أى قبل نحو سبعة قرون ونصف وما عدت أرى من عهد قريب .. « لا البرقع ولا الملاية » ! ولا (الغدفة ولا القفة) ! فاكتفيت بالذكريات .. الاثرية ! وعسى أن يحتفظ (المتحف) بأشكالها وأوصالها إلى حين ، لتكون فى متناول الأجيال الصاعدة .. ان اضطرتها الحاجة إليها بعد طول الاختبار ! وهيهات (قلب العقرب) .. مع الذنابى ؟ وبعد أن تكون قد شالت .. وشلت ! (وليس وراء الله للمرء مذهب) !

٣٦٢ ادب الراشدين

كان **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه يخطب يوم جمعة ــ فدخل عثمان رضى الله عنه فقال **عمر** : (اية ساعة هذه ؟) فقال عثمان ؟ يا أمير المؤمنين انقلبت من السوق فسمعت النداء ، فما زدت على أن توضأت ، فقال **عمر** : والوضوء أيضا ! وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل !!

قلت : أن قوله — أية ساعة هذه ؟ أغنت عن الأطالة بغيرها وأدت ما فى نفسه من العتب أو التذكير ؟! وهى تدلنا أيضا على أن العرب فى صدر الاسلام كانوا يوقتون بالساعة أيضا قبل أن توجد هذه الآلة المحدثة .. ولها أسماء فى اللغة تبدأ من الفجر وتنتهى بالغسق بعد الشفق ! وكذلك هو أدب الراشدين ؟ رضى الله عنهم أجمعين .

٣٦٣ بنات النقى

قال امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه
أساريع ظبى — أو مساويك اسحل

والأساريع جمع أسروعة .. وهى دودة فى الرمل وتسمى جماعة (بنات النقى) وإياها عنى ذو الرقة بقوله :

خراعيب أمثال كان بناتها
(بنات النقى) تخفى مرارا وتظهر

قلت : ولعل تسمية الجبل الواقع خلف **أبى قيس** فى أجياد الصغير .. بجبل السبع بنات .. تعود إلى هذا ، مادمنا لم نجد له تعليلا حتى الآن وآخرون قالوا أن أصل التسمية (السبع بانات) .. وكلاهما يصدق عليه .. ان كان من البان .. أو من (بنات النقى) .. وسواء أكان ذلك فى قمته أو فى سفوحه .. وذلك أحسن التأويل .. خشية من التقول والأقاويل ! والله الهادى إلى سواء السبيل.

٣٦٤ حلق - حوش

كثيرا ما سمعنا هذه الجملة .. وصفا لجماعة أو فرد — يقولون عنها أو عنه أنه — أو أنها (حلق حوش) .

وهى غالبا من مصطلحات اخواننا فى (مصر) حتى الآن .. وربما انتقلت إلى البلاد المجاورة فى احدى العصور الماضية ، ولها أسباب نجهلها أول تداولها .

وبالمصادفة كنت أقرأ بحثا عن (الكلام الوحشى المتكلف) والركيك المستضعف فوجدت فيه أن الحوشى والحوش منسوب إلى (الحوش) وهى بقايا إبل وبار — وبأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها : وعلت عنها الانس ، لا يطوها انسى إلا خبلوه ، قال **رؤبة** :

(جرت رجالا من بلاد الحوش)

قلت : فهل كان أصل الجملة (حلق حوش) مرتبطا بهذه الاسطورة من عهد قديم .. بقرينة التحليق والتحويش .. ومن معانيه الجمع والاحاطة .. أو لا صلة له بذلك مطلقا .. وإنما تعنى أن من يوصف بها إنما هو من قبيل الحيوان السائب يحاط به ويحلق عليه .. ويذاد عن الزرع والضرع ؟! لا ادرى ؟ ولعلى أظفر بمن يدرى ؟ إن شاء الله تعالى .

٣٦٥ الفكة والهاع

قال **أبو قيس بن الأسلت** :

الحزم والقوة خير من الـ
ادهان ، والفكة والهاع

قالوا : والفكة الضعف — والهاع — الجبن والخفة !

قلت : ولا يزال ينعت غير الحازم بأنه « مفكك » ! وهل الدراهم — ولو تعددت — كالدنانير ؟! — انها « الفكة » ولها أصل صحيح

من الفصيح .. أما (الهاع) .. فكأنه أثر الخوف والجبن حتى انه ليتهوع .. مما تتمغص به بطنه .. وتقرقر به .. أمعاؤه ! (وما كذلك الشجاع المقدام) .. و (واحد كالألف أن امر عنى) .. ولذلك أساس من التنزيل والذكر الحكيم .. و (ما كل بارقة تجود بمائها) :

والمرء ينشو على ما كان والده
ان الأصول عليها ينبت الشجر

٣٦٦ يا اجـرة المنـزل

من أطرف ما يروى فى هجاء الثقيل .. من الناس قول جحظة :

يا لفظة النعى يلفظها الخليل
يا وقفة التوديع بين الحمول
يا شربة (اليارج) يا (أجرة المنزل) يا وجه العذول
يا طلعة النعش ويا منزلا أقفرا من أبعد الأنيس الحلول

الخ .. اهـ

قلت : أوردت هذه الأبيات وقد قيلت قبل قرون طويلة .. تزيد عن العشر .. لشاهد واحد فيها وهو نعته الثقيل بأنه (أجرة المنزل) ! فكذلك هى أو هو .. أو هما معا .. فى مشاعر القوم .. ما تعنت مالك وماطل مستأجر .. والتعاطف خير مع التناصف .. ﴿ **ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** ﴾ .

٣٦٧ مضـغ العلك

قرأت فى (البيان والتبين) للجاحظ قولة : (دفعوا إلى أعرابية (علكا) تمضغه فلم تفعل .. فقيل لها فى ذلك ، فقالت : « ما فيه إلا تعب الاضراس وخيبة الحنجرة » . اهـ

قلت : ما أذكى هذه الأعرابية وأبلغ ما وصفت به (العلك) ؟! فهو كما قالت .. ومن العجيب أن يستمر هذا المضع حتى اليوم .. وأن يكون له أصل قبل ألف عام وزيادة .

٣٦٨ الاتوى ، والاتاويون

تجرى على ألسنة البعض — ولا سيما الكهول .. كلمة قلما يهتم بها الناطق أو السامع .. وما هى إلا مجرد شتيمة أو تعبير فقط ! وهى قولهم « ان فلانا اتوى » .. وهم يقصدون أنه ليس بذى أصل راسخ أو أنه دخيل وقد سئل الشرق **بن القطامى** عن قول الشاعر :

لا يعدلن (اتاويون) — تضربهم
نكباء صر — بأصحاب المحلات

وهو يعنى « بالاتاويين الغرباء .. » اهـ

قلت : ولو دققنا النظر قليلا فى أصل التسمية لوجدناها مأخوذة من (الاتاوة)[1] وهى (الضريبة — أو الجزية) تؤخذ من غير المواطن ، وانطلق بها المدلول .. حتى انحدر إلى الاستهزاء .. ومن هنا كانت أخت الشتيمة ! وقد كنا نسمعها تتردد كثيرا من القدامى إذا ضاقت صدورهم بأخلاق الطارئين .

١ — « المنهل » : هذا تأويل .. وتأويل آخر ان الصيغة نقل لصيغة (أتى) بمعنى جاء وحملت محمل الاسم ونسب إليها فقيل : (أتوى)

٣٦٩ قليل رز !

قال **أبو الحسن** : دخل **كروم السدوسى** على **بلال بن أبى بردة** فدعاه إلى الغداء ، فقال « قد أكلت » . قال : وما أكلت ؟ قال : « قليل رز فاكثرت منه » !

قلت : ومع أن ما يطلق عليه القليل قد يتجاوز أحيانا الكثير .. على رأى أو منطق هذا (الكروم) ! فإن الطرفة ذاتها تدلنا على (طريقة الاستنتاج) أن الرز وأكله يمتد به الزمن إلى عصر بلال .. بالنسبة للعرب خاصة .. ولو احصينا ما يستهلك منه يوميا فى الحواضر والبوادى لبلغ من الأرقام .. ما يدعو إلى ضرورة اعتباره (غذاء) مختارا ــ وطعاما ممتازا .. ولابد من الاهتمام بزراعته وتنميته والمبادرة فى انتاجه فى كل تربة صالحة فى بلادنا المخصبة رغبة فى الاكتفاء .

٣٧٠ فاياهم فارحم

« قال رجل **لعمرو بن عبيد** : إنى لأرحمك مما يقول الناس فيك ! قال : أفتسمعنى أقول فيهم شيئا ؟ ــ قال : لا . قال : فاياهم فارحم » .

قلت : متى يقتدى الناس بهذا الأسلوب الحكيم ــ وهذا الخلق الكريم ؟ ــ فان من علم أن كلامه من عمله الذى يحاسب عليه ويؤاخذ به .. استبدل الهذر بالتسبيح ، وارعوى عن كل ما هو مأثم ومغرم .. وكذلك يكون المؤمن حقا .. وصلى الله وسلم على من قال فى حجة الوداع : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

٣٧١ حبذا السهل الممتنع

مهداة إلى سيادة الكاتب العبقرى السيد حسن الكتبى

ولست أعنى به هذا الباب من فنون البيان .. والتبيين فحسب .. ولا أن أمهد له بكثير من العبارات .. المنمقة .. وإنما قصدت بذلك هذه « المقالة .. الشعرية » التى هى رغم قيود القريض وقوافيه .. أبدع رصفا ، وأجمل وصفا .. وأسمى غاية .. وأعلى هدفا من مئات من القصائد حتى المحلقة جدا وراء الفضاء ! أو فوق هامات الأحياء ! وبهذا يصح الاعتراف بشعرية النثر .. غير المفيد .. ونثرية الشعر .. المكبل المصفد !

وما هى إلا ما طالعتنا به « جريدة البلاد » الاسبوعية الغراء « بصدر الملحق » عددها (١٩٤١) صباح الجمعة الموافق (٤ ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هـ) وحق لها أن تصدر .. وأن تكون ايضا صدى معلقات الأدب فى العصر الحاضر ! وهى بعنوان « ماذا أكتب عن اليابان ؟ » بقلم الجهبذ العبقرى والأديب اللوذعى والعالم الألمعى .. فضيلة « السيد حسن الكتبى » .. أمده الله بعونه وتوفيقه .

حقا إنها رائعة .. قمينة بالدراسة والتحليل ، والحفظ والتدليل ، فهى الشهد والرحيق .. أسلوبا وديباجة .. وهى المثل المحتذى .. تفكيرا ونضجا .. وعمقا وأصالة ولقد والله قرأتها ــ ويكاد رأسى يتفجر من الصداع والألم ــ فما انتهيت منها حتى شعرت بالراحة .. والانشراح .. وتملكنى شعور بالارتياح والاعتزاز حملنى على أن أتناول القلم فأكتب هذه الكلمة الساذجة لا

مباراة .. لما انبعثت من اجله ! ولا مجاراة أو مضاهاة لهذا « الدياج الخسروانى » وهيهات ، وهيهات .. وإنما انطلاقا مع الاحساس النابع من سويداء القلب واستبشارا بهذه الروح القوية الطموح إلى معالى الأمور والاشادة بها ولأنها ذات أهداف كبيرة .. فى عوالم الأدب والسياسة والاقتصاد والاخلاق والعادات .. فهى فى كل جملة منها وفى كل سطر (متن) لا يفصله الشارحون والمهمشون إلا على أساس أن الكلمة فيها (كالدينار) .. وقيمته من الدراهم تتجاوز المئة .. أو أكثر .. وهذا التمثيل (على قدر الحال) .. يسير على غرار الاعراب فى أوصافهم المحدودة .. الموجزة ! الفطرية !.

ولئن كانت « القربى » — من جهة الصهر أو الدعوى — منى طبعا — بزمالة الأدب أو أخوية .. ذات أثر عاطفى بعض الأحايين .. على الانتاج المادى أو الأدبى بين الزملاء وذوى المصاهرات .. فإنى لأبرأ من هذه التهمة — لا أمام القارئ — وحده .. بل وأمام ضميرى وما أعتقد أنه الحق .. والواجب .. والانصاف . ان الكاتب المشار اليه .. بأكثر من بنان لغنى عن الاطراء .. بمكانته الرفيعة واثارة الحفيلة .. الجلية .. ومواقفه .. ومؤلفاته .. القيمة ، وما أحسبه فى حاجة إلى من يتملقه .. أو يجامله .. فقد أصبح — منذ نشأته — فوق هذا المستوى الذى لا ينحدر إليه .. إلا الأغبياء .. أو المغفلون .. والمتحذلقون .

وبعد : فقد وجدتنى مندفعا إلى هذا التعليق — بقوة لا ارادية — اكبارا واحتراما لهذه المنة يقلد بها جيد الأدب العربى فى بلاده .. دون ما من ولا ادعاء ولا غرور .

انه بصرف النظر عما كابد من مشاق السفر إلى أقاصى المشرق .. أو إلى (بلاد الشمس المشرقة) .. أو (أبناء السماء) .. كما يقولون عنهم أو هم يظنون ؟! وأنه أول سعودى عنى بما تعناه من درس وتحليل وتعليل — شأن أكابر الرجال وعظماء الباحثين .. من أعرق الأمم حضارة .. وأشدها تعمقا فى الدراسات العلمية والنفسية .. فإن مما يجب أن نباهى به أنه استطاع بدون أى تكليف أو تعسف أن ينتزع الاعتراف بأدبه الرفيع .. وعلمه الواسع من اقطاب القوم الذين لم يعتادوا إرسال الكلام على عواهنه .. ولا يهمهم ان يرضى عنهم أو يسخط (عابر سبيل) ! وهم ماضون فى كفاحهم الطويل محسدون بمنزلتهم من العلم والثراء والصناعة والتأثيل !

اذن — فمعذرة إلى سيادته أن أخجلت تواضعه .. بما قد ينفر منه بطبعه من الثناء .. فإنه جدير به وقد أحسن التوجيه .. وأحكم التثقيف .. وأوما إلى معالم التقدم ووسائل النجاح وأسباب التفوق فى بلاد كادحة .. وشعب متطور .. تحطمت على شطآنه العواصف العاتية .. ولما ينهض من أصار المحن ، وكوارث الزمن .. الا منذ سنوات قلائل !

فى هذه « المقالة » المشعة .. المتألقة .. المغرية المشرقة ! معان تنضح بالنور وتزرى باللؤلؤ المنثور .. ومنها الجملة التالية : « ويمتاز الرجل المثقف اليابانى باللطف إلى حدود يتعذر ادراك غاياتها .. حتى أنه يحرص على أنه لا يجابه أى انسان برأى يخالف رأيه أو يزعجه ، ولو كان ذلك الرأى فيه معالجة لخطأ واقع ! أو إنكار لشىء يستحق الانكار .. ولكنه يدور حول الموضوع بلطف بما يشعر أن رأيه ليس فى عين الاتجاه » .

هذه المزية أو السجية ــ نتيجة لمجرد التهذيب والتقويم والتعود .. وبحكم المصلحة ووحى التجربة .. وسلامة الصدر من الأضغان .. والتفانى فيما يعود بالنفع السريع على كل ما يدور فيه (الرأى) من موضوعات عامة أو خاصة .

واننا لنجد أساس ذلك صريحا واضحا .. فى كتاب الله العزيز ﴿ **وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ .. وما أكثر ما دعا سيد ولد آدم نبيا الكريم ورسولنا صلوات الله وسلامه عليه إلى هذه « المثل العليا » وسيرته القويمة .. واحاديثه الصحيحة دالة عليه وحاثة إليه قولا وعملا .. فكيف أعرض عنها إلى عكسها الذين حرموا الرفق .. وأبوا إلا الصدام والخصام واللطام ؟! مع أن ذلك تخلق دنيوى فيهم . وهذا تعبد دينى واجب علينا !

وفى هذه المقالة .. الثمينة الرضية وصف للمتاع الذى تتزين به المنازل اليابانية ، قال : « ولن تجد فى المنزل اثاثا معقدا ولا كثيرا وكل ما فيه مائدة تتوسط المكان لا ترتفع عن الأرض بأكثر من عشرين (سنتى) صففت حولها مقاعد طرية ناعمة وقد يكون أحيانا مضافة إلى كراسى ذات ظهر مريح من غير أرجل لتبقى متمكنة فى الأرض .. وبجانبها تكية .. أو « تكأة » من خشب جميل للاتكاء عليها وكل ذلك فى منتهى النظافة والبساطة والجمال » .

يا للعجب : أهؤلاء الحذاق فى الصناعات المصدرون لكل ما نافسوا به جميع المخلوقات .. يقتصرون فى رياشهم على هذه المقاعد والأبسطة الزهيدة الأثمان .. الجميلة المظهر والمخبر .. وهم يستطيعون أن يتعالوا فيها لو أرادوا فلا يجاريهم فيها إنســان ؟! لماذا فعلوا ذلك ؟ ولماذا لم يستوردوا أغلى الطنافس ؟ ويلبسوا أجمل الطيالس ؟ ــ لا أحسب ذلك يرجع إلى فقر ولا إلى بخل ولا إلى عجز ولا إلى كسر ، وانما هو الاكتفاء .. الذاتى .. والاقتصاد المعقول .. والاستغناء عن الغير فى كل ملبوس ومطعوم ومشروب .. ومفروش ــ و (منقوش) ومعلوب ! فهم يغمرون أسواق العالم بما طأطأت له الرؤوس اعجابا وضربت به الأمثال .. تنمية .. واكتسابا ، ومنافسة وغلابا .. فأين منهم الشعوب التى برحت فى مؤخرة الحضارة .. وصفرا على اليسار فى كل انتاج .. وهى لا تفتأ تطاول أعرق الأمم وأثراها فى الزخرف والتقليد ! وكان حقا عليها أن تصنع سرابيلها ، وتحصد سنابلها .. وتشيد أساطيلها ، قبل أن تزهق بها الاقدام إلى الحاجة والاضطرار .. وتتطلع إلى « الابرة » و « الكستبان » و « الخيط » و « الأزرار » .

وذلك ما دعا ويدعو إليه القائد الرائد البانى وحققه بعون الله فى بلادنا الفتية الناهضة .. وقديما قال الحكماء من العرب :

« احتج إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره .. واستغن عمن شئت تكن نظيره » .

وهى قاعدة عامة تصدق على الأمم والشعوب كما هى فى الجماعات والأفراد ، وانها لعظة بالغة لها شأنها فى تذكيرنا بما لا مجال للارتياب فيه .. والله لا يضيع أجر العاملين .

وتحدث سيادته فى هذه « الدرة الفريدة » عن طريقة شربهم (الشاى) وعن طعامهم وعن أدب الملاقاة ورقته .. وحنوه وحنانه فقال : « ثم يقدم الطعام ضمن نظام خاص قد لا يكون مألوفا لغير

اليابانيين ، ولكنه بالنسبة إليهم — حتى لمن قضى منهم كل حياته فى أوروبا وغيرها من البلاد الأخرى هو الطعام المفضل » .

وكذلك الحال بحمد الله تعالى فى بلادنا فإن (السليق) و (المبشور) و (مختوم البامية) و (هريسة الملوخيـــــة) و (السلاة) و (المجروش) وما إلى ذلك من الأطعمة الوطنية مقدمة مختارة لما ذهب ومن رجع .. ومن أقام ومن ارتحل حتى أنها لتصنع وتطهى لمن عرف ذلك ومن يحسنه أو يجيده على حدود المحيطين (الباسفيكى والأطلنطى) ! ويتشوق إليها كل مواطن أينما حل وحيثما ارتحل ! ولو ان البعض .. النادر .. يرغب عنها إلى الأساليب الحديثة .. فرار من الدسم ! واحتياطا للصحة !

ويقول سيادته عن طريقة القوم فى احتساء (الشاهى) أو الشاى : « ثم يقدم الشاهى الأخضر من غير سكر .. وكوب الشاهى يعنى الاستمتاع بالراحة والتأمل وتذوق هذا المشروب الذى تحيط به هالة من الرضى والغبطة فى أناة وترشف يخالطه استجمام عميق فى الفكر والروح والبدن .. وتجاذب الحديث اللطيف الذى تتخلله عادة ضحكات بريئة وانحناءات على المقاعد واشارة بالأكف ، متعانقة تلامس الأنوف والجباه وحركات ناعمة لطيفة تخلف جوا من الغبطة والسكون النفسى » . واكاد أجزم ان سيادته فى تعبيره هذا متأثرا جدا بما أدركه فى مجالس بيته الكريم .. وأهل بلاده .. من خواص الناس .. من حيث الكثير من هذه الأوصاف .. يوم كانوا يتخذون من هذه الجلسات مباءة للطرائف والمفاكهات .. والنوادر والمساجلات ، وما كان لهم فيها من انسجام واستجمام ، وسكينة وطمأنينة .. وانه ليتذكر كل ذلك وقد أدركه فى طفولته المبكرة . ويتذكر كيف كان الكبار منا يتذوقون الشاى ونكهته .. ويتغالون فى اختيار نوعه ولو غلا ثمنه .. ويبحثون عنه فى مظان وجوده .. وقد أخذ الاهتمام به يتضاءل كثيرا .. أو هو منعدم الا فيمن درج على طريق المرحومين !

فأما ما أشار إليه من جهة أدب الملاقاة .. والانحناء .. وما فصله فى ذلك .. فقد لا تبعد بنا المسافة الزمنية عن ذلك .. إذا قارنا هذا بما كان متعارفا عليه عندنا من جمال السمت .. وطلاقة الوجه .. ورحابة الصدر وحسن المعاشرة .. وطيب المحادثة .. وتكرار الترحيب .. بالزائر والضيف الصديق .. وان كان ذلك كله .. قد انكمش أو تقلص كثيرا عما كان عليه مما أدركناه ! إلا أنه مما فطر عليه العربى جاهلية وإسلاما .. حتى قال شاعرهم :

« بشاشة وجه المرء خير من القرى »

وقال مثلهم العامى : (لاقينى ولا تغدينى) !

وأخيرا — فإن كل من يقدر لسيادة السيد حسن الكتبى سعيه الموفق فى هذه الرحلة المباركة .. وما يرجوه وطنه المحبوب من ورائها من فوائد جمة .. ليس أقلها هذا الكتاب الموعود .. (اليابان اليوم) .. ليتطلع بشغف واشتياق إليه .. فانه لكنز ثمين .. وأثر خالد .. وأدب منخل يضيفه المؤلف الكبير إلى ما سبق أن أتحف به قراءه وملأهم به إكبارا له واحتراما .. وما ذلك بالكثير عليه .. « فما جاء على أصله لا يسأل عنه) .

ولعلى لا أبالغ ان قلت ان كثيرا من الناس من يرتحل ويغترب ويرى ويسمع ثم يشتغل بنفسه ..

أو يعوزه البيان الناصع المصقول .. أو التفكير الراجح المعقول .. أو هما معا .. الا من وهبه الله القدرة على الامتاع والاشباع .. كسعادة السيد حسن الكتبى (مده الله بالصحة والعافية والعمر الطويل) وإننا به وبمن مضى ويمضى على غراره من كتابنا الفحول لمعتزون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

٣٧٢ قاضي « عكاظ » !

جاء فى كتاب (الأزمنة والأمكنة) .. ان « عكاظا استمرت فى الإسلام وكان يعين فيها من يقضى بين الناس .. فعين **محمد بن سفيان بن مجاشع** قاضيا لعكاظ .. وكان أبوه يقضى بينهم فى الجاهلية .. وصار ذلك ميراثا لهم .. » اهـ

قلت : وهذه الرواية تدل على اكتظاظ عكاظ بالوافدين إليه والمقيمين فيه خلال إقامته من الكثرة .. والمنازعات الحقوقية .. بحيث اضطر ولاة الأمور إلى إقامة قاض شرعى يفصل بينهم بالحق .. وتدل أيضا على أن القوم كانوا حريصين على أن يحل الخلف محل السلف فى عمله إذا أجاده وكان أهلا له وليس مجرد وراثة .. عمياء .. ولا تكريم أصم !

٣٧٣ جبل (السبع البنات)

يسمى الناس الجبل الذى خلف **أبى قبيس** بمكة .. مما يلى اجياد الصغير ويشرف عليه من الشرق — (جبل السبع البنات) .. وكثيرا ما شغلنى هذا الاسم وهذه التسمية .. وعلتها وأسبابها .. ولم أعثر حتى الآن على ما يبل الغليل وتأولت ذلك (تارة .. بالبانات) .. وأخرى (بالبنات) متعللا بأوهى الوسائل لفقدان النص الصريح وقطعت جهيزة قول كل خطيب .. فقد عرفت أنه يوجد (بمصر) بالمحلة الكبرى شارع .. وفيه موقع يسمى نفس الاسم !

ولخلو تاريخ مكة .. قديما من هذه التسمية كليا .. فانى لا أستبعد أنها منقولة فى أوائل القرن الماضى .. ولا تتعداه ! وقد وفدت مع أهلها حينئذ وهذا أمثل التأويل وأصح التعليل « ما لم يقم على عكسه الدليل » !

٣٧٤ لا أنا منك ـ ولا أنت منى

كلما اشتد الخلاف بين أب وابنه .. قال له : اذهب فما أنا منك ولا أنت منى ! إعلان عن سخطه عليه وبراءته منه .. عقوبة لعقوقه ! وهى جملة عادية .. مفهومة المعنى والمبنى .. إلا أنها كادت تكون بنصها وفصها .. واردة فى شعر **النابغة** قبل أربعة عشر قرنا من الزمان قال :

إذا حاولت فى أسد فجورا
فإنى لست منك .. ولست منى !

وذلك يدلنا على أن لهجات العرب .. مهما تداخلت بها العجمة .. وتمادت بها الأجيال .. والآجال .. فانها مستمدة من أصولها الراسخة .. وآخذة عن منابعها الصافية .. وما جاء على أصله لا يسأل عنه إنما المسئول عنه والمأسوف عليه هو ما خالف ذلك فى كل وقت وحين .

٣٧٥ سقاني (الضرحرح)

اذا تعثرت العشرة قالت الزوجة : انه سقانى الضرحرح .. وهى لا تدرى معنى الكلمة .. وإنما نفهم منا أنها المر .. أو ما هو حكمه .. من الحنظل وأجد أصلها فى مطالعة عابرة . قال الشاعر :

قلت له وريا اذا تنحنح
يا ليته يسقى على الذرحرح

وراجعت هذا (الذرحرح) فإذا هو لغة .. من (الذراريح) .. وهى من السموم القاتلة ! وقلت : سبحان الله .. فقد تلقت (حواؤنا) .. هذه الكلمة من العهود الأولى .. واكتفت بما تعبر عنه .. وتمثله .. دون أن تدرى مصدرها أو سبب تداولها !

وكذلك الشأن فى قولها (يا صخامة الطين) .. فهى عربية فصيحة اصيلة .. قال صاحب المعلقة (لبيد) .

فتقصدت منها (كساب)فضرجت
بدم وغودر فى المكر (سخامها)

وقال الشراح : ان سخام هذه .. كلبة سوداء تفترش الطين .. أو الوحل .. فهى شتيمة بالغة .. ولو قد سئلت الشاتمة عنها لما عرفت أكثر من أنها انما تسبها ولكن بماذا ولاتعلم ! وهناك تحريف من السين إلى الصاد[1] .

٣٧٦ مجالس العرب القديمة

قال زهير بن أبى سلمى :

وفيهم مقامات حسان وجوههم
وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل
وأن جئتهم ألفيت حول بيوتهم
مجالس قد يشفى باحلامها الجهل

١ — « المنهل » قد لا يصل هذا إلى درجة التحريف فمن لهجات العرب قلب السين صادا والصاد سينا .. كما هو معروف فى المصادر اللغوية الموثوق بها .

قلت : وكذلك أدركنا مجالس القوم من بدو وحاضرة ومن كافة الطبقات . محافظة على هذه الفضائل .. متعاونة على البر والتقوى . داعية إلى الحق والانصاف .. مرددة قوله تعالى : ﴿ **لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس** ﴾ .. وحسبك أن هذا الشعر قد قيل فى العصر الجاهلى وقبل أن يهذب الاسلام النفوس .. وينير البصائر ولا يزال الناس بخير ما تواصوا بالحق .. وتواصو بالصبر .. فهل ينافس العرب فى ذلك غيرهم لو هم حافظوا عليه ولم يفرطوا فيه ؟! اللهم لا ! ثم لا ! مضافا اليه الايثار .. والسخاء .. وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

٣٧٧ الأيتام الكبار

وتكفل الأيتام عن آبائهم
حتى وددنا أننا أيتام

قلت : ذكرنى هذا البيت .. بعد مرور أكثر من ثلاثين حولا .. نادرة .. لطيفة .. ذلك أن مؤسس دار الأيتام بمكة (**مهدى المصلح**) غفر الله له وأحسن جزاءه ، أقام حفلا عظيما شرفه **جلالة الملك عبد العزيز** رضوان الله عليه .. وذلك فى دار الأيتام التى بنيت باجياد .. وكان قد هيأ فيها ما لا عهد للناس به من تنظيم وتعليم .. وعناية فائقة .. بالملبس والمطعم والمسكن .. وعند انتهاء الحفل .. قلت له مداعبا : اننى أود البقاء هنا معهم .. قال : « انها للأيتام فقط » قلت : أجل .. وأنا منهم فقد والله مات أبى وماتت أمى .. واننى يتيم ! وما يستطيع أحد رأى هذا الاستعداد .. وهذه الترفيهات .. إلا أن يزعم أنه منهم ليندمج فيهم ويحظى بما يسره الله لهم بفضله

ورعايته .. ثم بعناية وعطف وبذل مؤسس هذا الكيان العظيم . وهاهم اليوم رجال أفذاذ .. يملؤون أكبر فراغ كان ملموسا قبلهم .. فهم عنصر ممتاز باليم .. ومتقدم بالعصامية .. ومهيأ للكفاح .. وبهم تعتز الأخلاق .. وتشرق البطاح .

أقول : ووجدت أبا تمام .. فى بيته هذا .. قد سبقنى إلى نفس المعنى فى إيجاز وإعجاز . وجزى الله المحسنين بما قدموه من الباقيات الصالحات ..

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

٣٧٨ « وادى وج » !

جاء فى الجلالين ــ عن **عطاء ومجاهد** .. قالا : لما سأل أهل الطائف (الوادى) يحمى لهم وفيه عسل .. ففعل ، وهو واد معجب فسمعوا الناس يقولون : إن فى الجنة كذا ــ وكذا .. قالوا : يا ليت لنا فى الجنة مثل هذا (الوادى) فأنزل الله تعالى ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود** ﴾ الآيات .. وأخرج البيهقى فى وجه آخر عن **مجاهد** قال : كانوا يعجبون (بوج) وظلاله وطلحه وسدره .. فأنزل الله .. ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود ، وطلح منضود وظل ممدود** ﴾ اهـ

قلت : هكذا كانت خصوبة (وادى وج) إبان نزول الوحى .. ولقد أدركنا فيه من الثمر والزهر .. والخمائل والجداول ما عفى عليه الزمن .. ولا علاج لهذا .. ولا استعادة لما كان عليه وأفضل منه .. إلا بما أمرنا به الخالق الرحمن الرحيم . ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا .. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهارا** ﴾ صدق الله العظيم .

٣٧٩ « الحجاز والعشاق »

فى هذا الجو الجاحم من السموم . وقد كشرت به الجوزاء عن أنيابها .. يتعين الترفيه .. والتفكيه .. بما يخفف من آثر الحرور ولابد من الاطراف .. اجماما للنفوس وتفريجا عن القلوب !

فما كنت أحسب تقسيم الفنانين للأنغام بالغا من القدم هذا المدى ! فهم يجعلون أصول الأنغام سبعة .. ويجمعونها فى جملة واحدة هى : (بحمر دسج) وقالوا ان الباء هى (البنجكة) .. والحاء (الحسينى) والميم (الماية) والراء (الرصد) والدال (الدوكة) .. والسين (السيكة) والجيم (الجاركة) ولكننى سمعت من أهل الاختصاص أسماء أنغام أخرى منها (المامور) و (العشاق) و (الحجاز) و (الركبى) وغير ذلك من التفريعات الكثيرة .

وقد قرأت بيتين **للبدر بن لؤلؤ الذهبى** وهما ، (كما فى معاهد التنصيص) :

وبمهجتى المتحملون عشية والركب بين تلازم ، وعناق
وحداتهم أخذت (حجازا) بعدما غنت وراء الركب فى (العشاق)

ومنهما يظهر أن نغم الحجاز ــ ونغم العشاق ، من الأصول لا من الفروع .. فإن جعلنا الحاء للحجاز . خرج (الحسينى) وهو ما هو ..

شجوا .. وتأثيرا ! إلا أن تكون للاثنين معا .. فى درجتين متساويتين ، هذا — فى الحاء .. فما بال (العشاق) لا عين له .. ولا أثر ؟! الحق ان هذا محل تساؤل ولن يجيب عليه إلا أهله المبرزون .. وحذاقه المقدمون .. وبهذه المناسبة أذكر بيتين **لأبى الطيب المتنى** حيث يقول :

طربت مراكبنـــا فخلنـــا انها
لولا (حياء) عاقهـا رقصت بنـا
اقبــلت تبسم والجيـــاد عوابس
يخببــن بالحق المضاعــف والقنــا

وأقول : ومن العجيب أن يعوق الحياء الخيل أن ترقص ! ولا يعوق (حواء) أن تنكص ؟! .. وحتى الخيل أصبحت تروض عليه فى خلاعة وميوعة لم تخلق لهما ومن يعش ير (ولا حول ولا قوة الا بالله) .

٤٨٠ (الفرجة) من (التفريج)

لو اقتصرت هذه الكلمة على معناها اللغوي لما عدت أن تكون .. (الفجوة) أو زوال الهم والغم من (تفريج الكرب) .. وقد ورد في الدعاء .. قال الشاعر :

(ربما تجزع النفوس من الأمــر
لــه فرجــة كحــل العقــال)

بفتح الفاء .. غير أن لها (معنى .. متداولاً) كنت أحسبه محدثاً .. وهو الخروج إلى ما تسر مشاهدته من محافل ومواكب .. أو بساتين ورياحين .. وهي هنا تجتمع وتلتقي مع أصلها في أنها داعية للفرج .. أو التفريج .. أو الترفيه .. أو التنفيس ! وقد كانت مواسم الفرج ، كثيرة في عهد طفولتنا .. طوال العام ! وتضاءلت .. حتى لتكاد تضمحل معها الكلمة ..

وقد عثرت على استعمالها قديماً منذ نحو تسعة قرون بنفس اللفظ ، قال في بدائع البدائة : « **قال ابن خفاجة** : وخرجت يوماً بشاطبة إلى باب الشمارين ابتغاء (الفرجة) على خرير الماء بتلك الساقية وذلك سنة (٤٨٠) هـ وإذا بالفقيه أبي عمران بن أبي تبد رحمه الله قد سبقني إلى ذلك فألفيته جالساً على (دكان) كانت هنالك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه وجلست إليه مستأنساً به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر **قول ابن رشيق** :

يـــا من يمـــر ولا تمـــر
بـــه القلـــوب من الفـــرق
بعمامـــة من خـــده
أو خـــده منهـــا استـــرق
فـكأنـــه — وكأنهـــا
قمـــر تعمـــم بالشفـــق
فـإذا بـــدا — وإذا أنثـــى
وإذا رنـــا — وإذا انطلـــق
شغـــل الخــواطـــر ، والجـــو ا
رح والمســامـــع ، والحـــدق

قلت : والشاهد هنا من سياق القصة تداول كلمة (الفرجة) منذ ذلك العصر . ثم — قوله على (دكان) .. فهو (الدكة) .. البارزة المشرفة .. وفي ذلك أيضاً دليل على أن القوم كانوا حريصين .. قبل الغرب المحدث .. على تهيئة وسائل الترفيه لعامة الناس وخاصتهم .. بالحدائـــق .. والجداول .. والـــدكاك .. أو المصاطب .. وإنما تمثل بهم من بعدهم في كل ما يسر ولا يضر .

٢٨١ ماهي (القرطسة)

تستعمل (القرطسة) عادة في وضع الشيء باطن لفافة من الورق .. وهي أيضاً متداولة بمعنى آخر في بعض الأوساط والطبقات .. فإذا تنازع إثنان .. وانتصر أحدهما على الآخر .. بقول أو عمل .. وفي القول والمجادلة أكثر .. قالوا أو قال .. (قرطسه ، أو قرطسته) ، وأصل ذلك صحيح لغة فإن قرطسة الرجل هلاكه .. فهي مبالغة الإفحام .. والإلجام ! وقد استعملها الأدباء في تعابيرهم بهذا المدلول . والله أعلم .

٢٨٢ وما الاستجرار ؟

يستعمل الناس حتى زماننا هذا كلمة (الاستجرار) بمعنى الأخذ قرضاً أو ديناً من صاحب حانوت كل أو بعض ما يلزم من مطالب داره اليومية . وظفرت له بأصل قديم في شعر مدون قبل عدة قرون قال **السراج الوراق** :

كم يريد الخباز (يرفع) رطلي
وأرجى (بالنصب) — مشي أموري
وإلى كم شراي (بالجر) منه
وانصرافي (بخاطر) — (مكسور)

فهذا الاستجرار .. هو الجر .. أي بالدين .. وما أظرف الوراق في جمعه بين الرفع والنصب .. والجر والكسر .. مما يعد في عصرنا هذا عبثاً : ولا قيمة له .. رغم رقته .. ودقته !

وبالمناسبة : أقول أننا كنا نسمع أن للطواف من يدعون — بالجرارين ! — أي غير المعلمين .. من محترفي التطويف أيام الموسم فقط ! وما أبشعها من صفة تشترك مع معنى .. دنيء .. لا يتفق مع شرف هذا المسلك بحال ! وأظنه انقرض شكلاً وموضوعاً .. وانحصر في ذوي السمت والوقار .. وهو ما يجب أن يكون إن شاء الله .

٢٨٣ (النيم)

قال الراجز الشهير **العجاج** في وصف النساء :

يلبسن من لين الثياب (النيما)

والنيم .. كما قال **ابن عبد ربه** : (اللين المغشي) .. قلت : وهنا نتساءل عن (الشعر المعهود في زماننا هذا والذي يطلق عليه « النيم » ؟ هل له صلة — من بعيد أو من قريب بنيم العجاج ؟ وهل كان يقصد تشبيهاً — أو أن ثمة نسيجاً في زمانه كان يعرف بهذا الاسم ؟ لا أدري عن ذلك[1] ولكنني (وجدته) .. وأحسب أنه إن لم يكن أصلاً له فإنه ينطبق عليه ما دام الجامع بينهما (النبات) ! وما تحاك الثياب غالباً إلا منه ولعل اسم الشجر المذكور إنما هو دخيل ومعروف في لغة أخرى .

---

١ — المنهل : اتفق لي ان كنت أطالع كتاب « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » لأبي أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد العسكري (٢٩٣—٣٨٣هـ) رحمه الله ، فعثرت فيه على أن (النيم) شجر ورد في شعر ساعدة بن جؤية ، قال ما نصه : (قال الشيخ ويعني بالشيخ هنا نفسه — : والنيم في غير هذا شجر .. قال ساعدة بن جؤية :

ثم تنوش إذا العشي أد . لــه
بعد الترقب من نيم ومن كتم

قال أبو حنيفة الدينوري : النيم والكتم شجرتان ، وتنوش : تتاول . وأد : مال .. ص ١٠٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٣٨٤ ـ والشعراء يتبعهم الغاوون

في تفسير الجلالين : أنه لما نزلت الآية : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾ جاء **عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت** إلى رسول الله ، ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء ، هلكنا ... فأنزل الله تعالى : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ .

أقول : وإن من مقتضى الإيمان عفاف الألسنة وصفاء السرائر ونقاء الضمائر .. وعدم الاعتداء .. والإشادة بالأمجاد الإسلامية والدفاع عن الحوزة .. والتحضيض على الخير والتقدم ومكارم الأخلاق ... ولا بأس بالغزل العفيف البريء .. غير المسمى بذات معروفة .. وفي حدود ما أباحه الشارع .. ورضي عنه الأتقياء والحنفاء .. وما سوى ذلك فإثمه أكبر من نفعه .. والله الهادي إلى سواء السبيل .

٣٨٥ أهذا هو أول القيلات ؟

... إنما هي مجرد ذكريات ... طواها الزمن وعفى عليها النسيان ! فقلما أسمع في وقتنا هذا ... من يقول لصاحبه : هيا بنا نقيل ... ولو قالها لما وجد لدعوته مجيباً ... ولو كان الإنفاق من حر ماله .. فقط !

وأكاد أجزم أن اصطلاح (القيلة) .. إنما استفاض وانطلق من أهل الحجاز قديماً وحديثاً .. وربما كان له مرادف في البلاد الأخرى . أما الدليل على ذلك فنجده في قول **عمر بن أبي ربيعة** عفا الله عنه :

تشكي الكميت الجري لما جهدته
وبين لو يستطيع أن يتكلما !
فقلت له : أن ألق للعين قرة
فهان علي أن تكل وتسأما
لذلك أدنى دون خيلي رباطه
وأوصى به أن لا يهان ويكرما

وهذا بيت الشاهد :

عدمت إذا وفري وفارقت مهجتي
لئن لم (أقل) (قرناً) إن الله سلما

فهذا مما (قيل) في (قرن) .. أو وادي المحرم بنص مدون موزون ... متداول .. وقبله وبعده الكثير من أمثاله .. فهل لنا من عودة إلى (القيل) .. بفتح الياء ؟ « أم (طويت الخسفة .. وكسر الإبريق » ؟! ويرحم الله من غادرونا إلى الرفيق الأعلى من كل حميم وعزيز وصديق .

٣٨٦ (الباي) هو المناهدة ؟ !

يستعمل الناس كلمة (الباي) بمعنى المشاركة في دفع نفقات الخروج إلى « القيلات » أو لليلات . للاستجمام .. ولا أدري من أين جاءت ؟ وربما كانت من الدخيل المتداول بهذا المفهوم في لغة أُخرى .

ووجدت في لغة العرب ما يقابل ذلك .. فهم يقولون : تناهد القوم ، أخرج كل منهم نفقة بقدر

نفقة صاحبه ليشتروا طعاماً يشتركون في أكله ، واسم ما يخرجونه « النهد » .. بكسر النون وتشديدها ..

أليس ذلك هو « الباي » ؟ أو ما يطلق عليه بعضهم « الشرك » أعاذنا الله منه ! هذا إذا كان المقابل نقداً متساوياً .. أو مختلفاً بنسبة المشتركين فيه .. أما ما كان مقابلة طعام بمثله .. فقد تواضع الناس على تسميته (بالصحنية) .. أي أخذ وعطاء .. ولكنه بالجفان والقصاع لا بالدرهم ... والاقتراع .. ويرحم الله كلا منهما مع من أتاحت لهم ظروفهم فراغاً وجدة ! وحماهم من كل ما هو حرام أو مفسدة !

وقديماً قال الأضبط :

« أقبل من الدهر ما أتاك به
من قر عيناً بعيشه نفعه »

٣٨٧ ماهي الورطة ؟

لو سئلت .. بغتة : ما هي الورطة ؟. لأتيت بما يشبه لفظها ومعناها .. من الحوادث .. أما هي بالذات .. فما كنت لأجد جواباً عنها ..

أما هي حقيقة ولغة .. فإنها الهوة والبئر من الأرض يجعل صاحب المال ماله فيها ليعمى على المصدق موضعه .. بخساً لحقه .

وهم يقولون : وقع القوم في ورطة إذا وقعوا في بلاء وشر ، قال الشاعر :

إن تأت يوماً مثل هذه الخطه
تلاق من ضرب (نمير) ورطه

وإن من الكلمات ما يكاد يمثل معناه .. لطول ما أنطلقت به الألسنة ... وتعودته الشفاه .. ومن الحروف .. ما يغلب اختصاصه .. في ناحية من الخير أو الشر .. كما هو ابن آدم وحواء !

٣٨٨ مازلت أكاليه ؟ !

كثيراً ما تتردد هذه الجملة على الألسنة .. كلما أراد أحدهم أن يعبر عن احتماله وصبره .. وضجره .. وتعنيه .. وأعنانه .. أو منه .. أحيانا .. فما أصلها ومصدرها ؟

وكدت أجزم أنها من المكالأة .. والكلاءة .. وهما .. المحافظة .. والحفظ وتطورت إلى الرعاية والعناية والاهتمام .. ومن ذلك قولهم : انني في مكالاة .. بحذف الهمزة .. تخفيفاً ... هذا ما تراءى لي ! وأرجو من أبي نبيه تصويبه إن كان مصادفاً للحقيقة .. أو إن كان له أصل أسد وأمد وأعمق وأعرق .

والله يكلؤنا بعينه التي لا تنام .

٣٨٩ (السربوت) هو (السبروت)

كنت أحسبها دخيلة من لغة أُخرى .. فإذا هي ذات أصل لغوي عريق .. فإن (السبروت) هو المسكين المحتاج .. وهو الشيء القليل .. وهو الغلام الأمرد وهو الأرض القفر التي لا نبات فيها ..

إذن هناك تحريف في الاستعمال أو تصحيف .. والتداول ليس إلا .. وما أجدرنا بتركها حتى لا يتألم المنعوت بها على أية حال !

٣٩٠ (اليمامة) و (ثبير) و (كراء)

قال **عمر بن كلثوم** في معلقته :

وأعرضت (اليمامة) واشمخرت
كأسياف بأيدي مصلتينا

وقال امرىء القيس في معلقته أيضاً :

كأن (ثبيراً) في عرانين وبله
كبير اناس في بجاد مزمل !!

وقرأت في مقصورة **ابن دريد** الصغرى الشهيرة قوله :

باعوا التيقظ بالكرى
فعقوهم بذرى (كراء) !

بالمد — لا بالقصر .. كما هو الشائع والمتداول !

ومع أن امرىء القيس قد أشاد (بكبكب) وهو دون (كراء) .. شموخاً ورسوخاً ... فقال :

فريقان منهم هابط (بطن نخلة)
وآخر منهم جازع رأس (كبكب) !

فإنه لا يعني — يقيناً إلا (كرى) أو كراء .. بقرينة المقارنة والمقابلة بين الطريقتين ! ولأن (كبكبا) ربما كان مسلوكاً في عصره لدنوه وسهولة عبوره ثم تطور إلى (عقبة كرى) .. ومهما يكن من أمر فإن كراء أو كرى .. حرى بأن يقلد جيده ببيت يصف سموقه وشروقه .. ولا يكون أقل من سواه في الأدب العربي القديم والحديث معاً .. فهل يصلح أن يقال عنه :

كأن (كراء) ... في عتو... (سنامه)
على (هامه) الأفلاك تجري .. وتلهث
كأن رواسي الأرض نيطت جميعها
إلى سفحه ! وهو « الإباء » المؤرث

ذلك ما أكله — إلى رأي صديقي صاحب المنهل الأغر .. وقرائه الأجلاء .. والحديث ذو شجون .. والشيء بالشيء يذكر .

وللشعراء الأفذاذ .. أن يجعلوا القافية الثانية (المورث) من ارثه للأباء وتوريثه له .. أو (المؤرث) بهمز الواو ... وهو من التأريث .. أي الحافز المؤجج ... أو أن يقولوا عنه وفيه ما هو حقيق به ... بين أولاده .. وأحفاده .. من جبال الجزيرة ... التي تغنى بها فحول الشعراء .

٣٩١ البراشوت ، أو المظلة من اختراع العرب

في زيارة عابرة خلال هذا الأسبوع إلى مكتبة الحرم القيمة بمكة المكرمة .. أكرمني فضيلة العلامة الجليل بقية السلف الصالح العالم التقي الورع أمين المكتبة **الشيخ عبد الرحمن المعلمي** بإهدائي كتاباً من قبله يسمى « كتاب المحبر » بتشديد الباء لمؤلفه **أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي** المتوفي سنة ٢٤٥ هجرية .. وقد طبع في (حيدر آباد) بالهند سنة ١٣٦١هـ ..

ولقد لفت نظري إلى قصة قصيرة في الكتاب المشار إليه سردها المؤلف بالصفحات : ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ ، تبتدىء بقوله :

« وأما **مرة بن خليف الفهمي** فكان من شياطين العرب .. وكان يكثر الغزو والقتل ، وأنه غزا (الأزد) فأسند في جبل لهم منكر .. ليجد فرصة فيغير .. وأقبلت أمة لهم حتى أتت ماء في أصل الجبل تستسقي منه في قربة لها ، ولم يفطن لها مرة ، وكان جالساً على صخرة يأكل تمراً ، فألقى نواة فسقطت على الأمة فأخذتها ، فلما رأتها (رطبة) ارتابت ، فنظرت في السماء أن يكون طائر ألقاها ؟ فلم تر طائراً ، وأطلع (مرة) رأسه فإذا هي به ، ولم يرها فملأت قربتها ومضت ، فلما برزت رآها ، فأوجس أن تكون رأته ، فرمقها وقال في نفسه .. « إن مضت ولم تلتفت فإنها لم ترنى » فلما مضت غير بعيد التفتت ، فعلم أنها قد رأته ، وأنها ستنذر الحي به ، فانحدر وخرج متوجهاً سريعاً ، وجاءت الأمة إلى الحي فأخبرتهم الخبر ، فأخذوا سلاحهم واتبعوا حيث قالت لهم ، حتى وجدوا أثره ، وأظلموا وأظلم ، فأخطأوا الطريق ، فلما أصبحوا وجدوا أثره ، وإذا هو قد عدل عن الطريق ، فاتبعوه ، ومضى حتى انتهى إلى (السك) وإذا لا منفذ له ولا طريق ، فصعد حتى انتهى إلى الهواء ، فوقف وعلم أن القوم في أثره حتى انتهوا إليه ، فلما رأوه وأثبوه ، فقال : « لا عليكم أن تمكثوا قليلاً فإني إن قاتلتكم كنت خليقاً أن أقتل منكم رجلاً ، وأنا مستقسم بقداح معي ، فأما أحدها فإن فيه أن أستأسر لكم ، فإن خرج ذلك القدح أستأسرت وفي الآخر أن أقتحم ، فإن خرج ذلك القدح اقتحمت ، وكفيتكم نفسي ، وفي الآخر أن أقاتلكم وهي التي تستعجلون إليها ، فلا عليكم أن تؤخروها قليلاً ، قالوا : فأنت وذاك فافعل ما تريد ، فوقف وتوقفوا عنه ، وأخرج قداحه فاستقسم ، فخرج قدح الاقتحام ، فقالوا : « مالك ؟ » قال « هيهات : هيهات هواء بعيد ، ولست بفاعل حتى أعذر » ثم استقسم ثانية فخرج قدح الاقتحام .. فقالوا .. « مالك ؟ » قال خرج قدح الاقتحام ، وأنا فاعل ذلك ، قالوا فافعل ، فوثب (أي وقف) .. وأقبل يتعصب بثيابه ، فلما فرغ أخذ ترسه ووضع جبهته على (مملك الترس) .. ثم انصب على رأسه ، وأقبلوا حتى وقفوا على مقامه .. فنظروا إليه يهوي حتى تغيب في الظلمة .. ثم لم يشعروا به رجع إليهم ! فلما وازن بهم أوكاد خفض ! ثم رجع دون ذاك ، فما برح كذلك حتى وقع بالأرض رويداً .. وذلك مما تردده الريح ، وانطلق إلى أهله ، فقال « **كعب حذر** » أخو **تأبط** :

لله يومي ، ويوم (مرة) إذ
عصبت أثوابه على الهلكه
تنزو به الريح الجن كما
تنزو قطاة الحساء في الشبكة
تخفضه الريح ثم ترفعه
حتى أتى الأرض وقعة الحمكة
ويومي الصدق في محيلة إذ
أغضب وجه الطريق في سلكه
كأنني رألة أصاب بها
قناص عمرو كأنها (فلكه)
إن ألقكم أشف منكم قرحا
في الحلق بين اللهاة والحنكه
أو مت ، والموت سائق تعب
فإن في الصدر منكم حسكه

قلت : وبادرت فنقلت ذلك إلى قراء المنهل الأغر .. وملء نفسي غبطة واعتزاز .. ان كانت ــ على الأقل ــ فكرة ــ هذا البرشوت أو المظلة .. المعروفة في عصرنا هذا .. خالجت

« مرة » الأعرابي .. « الشيطان » كما وصفه المؤلف .. وباشر فعلاً تطبيقها .. وأفلح .. لا في الهبوط فقط .. كما هو الشأن في المظلات الحديثة بل وفي الصعود أيضاً .. وبماذا .. بأرديته وثيابه .. وترسه .. وأشهد أنه لو كان من أحياء عصرنا هذا .. لأتى بالخوارق .. في باب الاختراع .. كابن عمه أو أخيه (**عباس بن فرناس**) الذي حاول الطيران وذهب ضحيته قبل أن يخطر ببال أمم وشعوب عريقة في الحضارات القديمة .

وما نريد بذلك أن نزعم الأولية الساذجة .. وإنما نشير إلى أن الذكاء العربي .. لا يعوزه غير الصقل والتوجيه .. فإذا هو السابق غير الملحوق .. وان غداً لناظره قريب .. وأبواب العلم والفن والانتاج مفتحة أمام أجيالنا الصاعدة .. ومتى جمعوا إلى الإيمان واليقين ما يحذقونه من الثقافات والمعلومات .. فإنهم قمينون بكل تقدم وفي كل مضمار .

وفي الواقع أن كل ما بهر الأبصار من المخترعات الحديثة .. إنما بني في أساسه على نظريات دقيقة سابقة .. ومشى خطوات شتى قبل أن يصل إلى مستواه الراهن .. وكم من أعاجيب كهذه احتوتها ذخائر العرب الأولين .. تلك التي اسودت منها مياه دجلة .. وسد بها بحر الزقاق .. أو (جبل طارق) .. بعد إغراق الكتب العربية التي لا تعد ولا تحصى .. ولا تزال المكاتب العامة والخاصة في أوروبا وأميركا .. زاخرة بهذا التراث العربي العظيم .. مما لم تصل إليه الأيدي أو لم تتداوله حتى الآن .

وهذه القصة على بساطتها .. لم تنتحل .. أو تصور في القرون المتأخرة .. فهي معروفة في مخطوطات قبل ألف ومائة عام . فلا مجال للإرتياب في صحة ما ورد فيها !

وإني لأهدي ما أوردته آنفاً إلى الهداة المهتدين من أبنائنا واخواننا الطامحين .. وفقهم الله إلى كل ما يحب ويرضى وشكر الله لفضيلته المهدي **الشيخ عبد الرحمن المعلمي** ، ما أسداه وأهداه .. وأجزل ثوابه فيما يحبه ويرضاه .

٣٩٢ الهجير أو السعير

عارض **أحمد بن دارج القسطلي أبا نواس** في قصيدته الرائية المشهورة والتي مطلعها :

(أجــارة بيتنــا أبوك غيــور)

بقصيدة من نفس الروى والقافية .. وقد جاء فيها قوله :

لئن ودعت مني غيوراً فإنــني
على عزمتي من شجوهــا لغيــور
ولو شاهدتني والهواجــر تلتظــي
علي ــ ورقراق السراب يمــور
أسلط حر الهاجرات إذا سطــا
على حر وجهي والأصيل هجير
واستنشــق النكباء وهي لوافــح
واستوطىء الرمضــاء وهي تفــور
وللموت في عين الجبــان تلــون
وللذعــر في سمــع الجريء صفير
لبان لهــا إني من الضيم جــازع
وإني على مضــنى الخطوب صبــور

قلت : وإنما استوقفني منها ــ وكلها يستوقف ــ وصفه للحرور .. واقتحامه واحتماله والصبر عليه لأنه من أباة الضيم ، وهكذا كان العربي ولا يزال ربيب الصحراء .. يعاني الشظف ويهزأ

بالأعاصير والعواصف والحر والقر .. وينشىء أولاده على الجلد والصبر والاحتمال .. والرجولة والبطولة .. وقد أخذ ترف الحياة .. يحطم الأعصاب .. ويعبث بالألباب .. وأصبح المتحضرون يتألمون من هبات النسيم إذا امتزج بالحميم ! ويتوارون من السموم .. وما اقتحموا حصونا .. ولا أستقبلوا منونا ، وزادتهم الرفاهية .. استكانة .. وركونا إلى الراحة .. وما بذلك فاز السابقون الأولون وإنما هو الكفاح .. والالتياح .. ومن هنا وجب أن ترتب رحلات الصيف والشتاء للأجيال الصاعدة .. لمواجهة الأجواء القاسية .. والتدرب على الاحتمال .. والنضال .. ورحم الله الشاعر حيث يقول :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

٢٩٣ موجدة الشاعر

كان **لأبي الشيص** الشاعر المعروف المتوفي سنة ١٩٦هـ صديق يسمى **اسحق بن سليمان الهاشمي** .. ونال صديقه هذا منزلة رفيعة عند سلطانه وجفا رفيق املاقه .. يوم كان كل منهما مملقاً : فأرسل إليه **أبو الشيص** بهذه الأبيات :

الحمد لله رب العالمين على
قربي – وبعدك مني يا ابن اسحق
يا ليت شعري متى تجدي على وقد
أصبحت رب دنانير – وأوراق ؟!
تجدى على وإذا ما قيل (من راق)
والتقت الساق عند الموت بالساق ؟!
يوم لعمري تهم الناس أنفسهم
وليس ينفع فيه رقية الراقي

قلت : ما أرق وأعمق هذا العتب المرير ، وإن فيه لذكرى لكل من ألقى السمع وهو شهيد ! فقد تشاغل الأكثرون بدنياهم عن تفقد وتعهد من كانوا وإياهم كأسنان المشط ... متربة أو خصاصة .. ولا يزال المرء منهم يرتفع .. ويرغد .. وصاحبه ينخفض ويجهد .. وهو بترفه عنه مشغول وتلك (صفة) لا تليق بالمؤمن ولا بأصحاب المروءات .. وذوي الأخلاق الكريمة . فهل من مدكر ؟ اللهم هيىء لنا من أمرنا رشدا .. وأعنا على ما تحب وترضى . إنك على كل شيء قدير .

٢٩٤ « العرجي »
الشاعر الجواد الفارس

« (**العرجي**) **هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس** .. وإنما لقب بالعرجي لأنه كان يسكن (عرج الطائف) .. وقيل بل سمي بذلك لماء كان له ومال كان عليه بالعرج . وكان من شعراء قريش .. وممن شهر بالغزل منهم ، ونحا نحو **عمر بن أبي ربيعة** في ذلك وتشبه به وأجاد وكان مشغوفاً باللهو والصيد حريصاً عليهما قليل المبالاة بأحد فيهما ولم تكن له نباهة في أهله . وكان أشقر أزرق جميل الوجه وكان من الفرسان المعدودين من مسلمة بن عبد الملك بن مروان بأرض الروم ، وكان له نباهة في أهله . وكان أشقر أزرق جميل الوجه وكان من الفرسان المعدودين مع **مسلمة بن عبد الملك بن مروان** بأرض الروم ، وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة .. وباع أموالاً عظيمة وأطعم منها في سبيل الله تعالى حتى نفد كل ذلك .. وكان قد اتخذ غلامين .. فإذا جاء الليل

نصب قدوره وقام الغلامان يوقدان .. فإذا نام أحدهما قام الآخر .. فلا يزالان كذلك حتى يصبحا .. يقول : لعل طارقاً يطرق » اهـ .

قلت : هذا هو العرجي الطائفي .. وأكاد أجزم أن ما احتوته قدوره في عصره لا يتجاوز (اللحم السليق) الذي كان منشؤه .. (الطائف) و (وادي وج) و (لية) ، و (المثناة) و (شهار) .. غير أن الحلقة المفقودة فيه هي .. (الأرز) !

فماذا كان يضاف إلى المرق .. أهو الخبز .. أم (السخينة) ؟ وكيف ما كان الأمر فإنها من مآثر الكرم .. ولا تزال معالمه قائمة بحمد الله في طول بلاد العرب وعرضها إبان حلت الأضياف وأخصبت الأرياف ! (وما رأى كمن سمع) .

٣٩٥ الشنفري ــ والقيظ ؟!

من (أبيات لامية العرب) **للشنفري** قوله :

ويوم من الشعري يذوب لؤابه
أفاعيه في رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولا كن دونه
ولا ستر ، إلا الأتحمي المرعبل

قلت : وهذا ما يدل على قوة الصبر والجلد .. والاحتمال .. لما لا يطاق .. من حرارة القيظ ... قبل أن تبتكر الحضارة هذه (المكيفات) .. بل ومع وجود (الأكنان) .. فإنه ينصب له وجهه .. والأتحمي المرعبل .. هو برده الممزق .. الرقيق ..

وهؤلاء هم الذين استطاعوا أن يجتازوا القفار .. وأن يخوضوا البحار .. وأن يرغموا أنوف الجبابرة ! من قياصرة .. ومن أكاسرة ! وما كان الشرف إلا تلفاً ولا الكسل إلا تلفاً .. والله المستعان .

٣٩٦ (البشت) قديم قبل ستمائة عام

تعاقبت الأزياء وتطورت في مختلف العصور .. ولا تبرح تتطور .. وقد كان لباس العرب (العباءة) والعمامة والرداء والأزرار ... والجبة .. والطيلسان الخ ! حتى انتهى إلى ما هو عليه اليوم في حواضرنا وبوادينا بشكل يكاد يكون عاماً .. وهو الغترة والبشت (المشلح) و (الشطافة) أو العقال !

واتفق أنني كنت أقرأ في كتاب (درر الفرائد المنظمة ــ في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة) لمؤلفه العلامة (**عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري**) الذي ألفه سنة ٩٦٠ هجرية ، وقد أكرمني بإهدائي نسخة منه فضيلة العالم السلفي الجليل **الشيخ محمد حسين نصيف** جزاه الله خيراً عن كل ما قدمه بين يديه من أعمال البر ونشر العلم ومناصرة السنن وإحيائها .. فوقفت عند جملة قال فيها (المؤلف) . وهو يروي أسماء العظماء الذين حجوا .. خلال القرون الخالية حتى تاريخه : « **السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفي الصالحي** ، حج سنة ٧١٣هـ من الشام ، وعاد وهو راكب ناقة لطيفة القد ، بعمامة مدورة ، ولثام ، وعليه (بشت من أبشات العرب وفي يده جرته ، وتلقاه شيخ الإسلام **تقي الدين ابن تيمية** وسائر الفقهاء إلى آخره) » اهـ .

قلت : فكان هذا السلطان « الأعجمي » قد راقه اللباس العربي في وقته فتزيا به ، فرحاً مرحاً مغتبطاً .. حتى أنه عرض نفسه به في موكبه السلطاني في العواصم والحواضر .

وهل يختلف هذا الوصف اليوم عنه في ذلك العصر مما يقارب سبعة قرون مضت ؟! انه هو هو الذي لا يتخير عليه العرب أو حتى الأعراب غيره في ديارهم وحتى لو كانوا في لندن وروما وباريس وواشنطن وطوكيو !

والذي لفت نظري خاصة من الرواية كلمة (البشت) بكسر الباء ! أما إذا ضمت فإنها في الفارسية — شتيمة — كما علمت .. وهي مستعملة عند العوام بهذا المفهوم فحذار من الضم !

وقديماً قرأنا في الشواهد :

من يـك ذا (بت) فهـذا بتي
مصيــف ، مربــع ، مشتــى

وكنت أحسب أن (البت) هو (البشت) .. وحاق به التحريف .. فزاد فيه الشين .. والظاهر أن لكل لفظه ومعناه ، وان اتحد مدلولهما ، فيما لبسناه !

٢٩٧ الجراردن في العصر الجاهلي

جاء في « المحبر » **لابن حبيب** المتوفي سنة ٢٤٥هـ .. تحت عنوان : « الجرارون من مضر » قوله : « ولم يكن الرجل يسمى جـرارا حتى يرأس ألفاً » ! ثم ذكر الجرارين من مضر ثم من ربيعة .. ثم من اليمن .. بأسمائهم وقبائلهم وختم كلامه بقوله : فأما حمير فكان فيها التبابعة والملك ، وكان أمرهم أجل من أن يكونوا (جرارين) ، ولا يعد الرجل جراراً حتى يقود ألفاً » .

قلت : هذا ما كان من شأن الجرارة .. والجرار في العهود القديمة .. وتبدلت طبائع الناس وامتزجت وازدوجت ! وتداخلت وتبدلت .. حتى أصبح من يدعى بهذا الاسم أو اللقب .. محل احتقار واستصغار وبلغ الاستنكاف منه أقصى الدرجات لربطه بما لم يكن يخطر ببال الأولين ! ولو كان معناه قاصراً على مفهومه اللغوي فحسب لما شانه شائن ! فقديماً جاء في الأمثال « الحبل على يد الجرار » .. وله مدلوله الواضح .. الصريح .. وكان هناك فريق من القوم يتعلقون بالتطويف عبر المعلمين والصبيان .. ويطلق عليهم الجرارون .. لأنهم ممن يتعرضون للمهنة دون ترخيص !

وأحسب أنهم قد أُبدلوا بخير منهم أو أُزيل عنهم هذا الاسم تكريماً لهم منه .. بعد أن أُحيط بما يذم ولا يحمد .. وهكذا نجد الألفاظ والكلمات تمر بأدوار من الرفعة والسقوط كما هو شأن الإنسان وكل كائن في الأرض ..

٢٩٨ المعمول .. هو « كل واشكر »

عندما حج السلطان قايتباي سنة ٨٨٤هـ — أي قبل خمسمائة عام وعام ... قدم له أمير مكة (سماطاً) ممتازاً .. قالوا : وكان فيه نوع من الحلوى سأل عنه وعن اسمه فقيل له اسمه « كل واشكر » فقال أبلغوا صاحبكم أنني أكلت

وشكرت .. هذه الرواية قرأتها مراراً غير أني اكتشفت الآن فقط ما هي تلك الحلوى ؟! انها « المعمول » المعروف والذي يصنعه أهالي مكة في حج كل عام .. ويحشى تارة بالتمر والسمسم .. وأخرى باللوز المدقوق .. وقد تبينت هذا في كتاب (درر الفوائد) .. للأنصاري .. غفر الله له ولنا ولجميع المسلمين .. إذن يكون المعمول عريقاً في استعماله .. وأحسب أنه يسمى بمصر « كعك العيد » ..

٣٩٩ المثناة .. أو المسناة

كلنا نعرف هذه الخمائل النضرة .. والحدائق والبساتين الخضرة .. بهذا الوادى الخصب المعطاء بالطائف .. وهو ما يطلق عليه الناس «(المثناة » .. وقد تكلم عنها فى كتابه (الارتسامات اللطاف) المرحوم **امير البيان** .. وعلل وحلل ! بين أن يكون هذا اسمها أصلا .. أو هى (المسناة ؟! وطالما أن (المسناة) — بضم الميم ، وتشديد النون وفتحها — ذات معنى عربى أصيل وهو (ما يبنى فى وجه السيل أو تحبس به المياه) .. فلماذا لا ترجع إلى أصلها ؟. بنفس العزم والروح اللذين يجاهد بهما صاحب المنهل الاغر فى إعادة الضم إلى (جدة) — بدل الكسر ! أو النصب .

ان (المثناة) ... أبلغ أن تكون فى معناها أنها (تتثنى) فى الشعب .. أو فى التعرج ! أو الدلال .. أو الخفر ! وهى لا تبعد عن ذلك فى جمالها وحسن منظرها ولكن ما هو أصح فيها وأجدر بها — لفظا ومعنى — هو (المسناة) وما أحسبها الا كانت كذلك وتحرفت بمرور الزمان وعدم التحرى كما هو الحال تماما فى (جدة) وفى بركة (ماجد) أو (ماجن) وهى (الماجل) أصلا وفضلا .

ومع ذلك — فان (المثناة) لن يتحول اسمها الشائع المتداول .. بعد أن اقترن بذكرياته ونفحاته .. ولو غضب أصحاب القواميس .. وحملة الكراريس ! وإذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون — ولا حرج !..

٤٠٠ الجمل العائذ

لقد سمى **عبد الله بن الزبير** رضى الله عنهما — بالعائذ .. أى بالبيت الحرام يوم اشتد عليه حرب خصومه بمكة .. ولكنا وجدنا عائذا آخر من غير بنى آدم ! فقد روى التاريخ أنه فى جمادى الآخرة سنة ٨١٥هـ .. (كان جمل الفاروقى — أحد الجمالة بمكة يحمله فوق طاقته .. فهرب منه إلى المسجد الحرام . ولم يزل يطوف بالبيت إلى أن أكمل ثلاث أسابيع .. والناس يريدون امساكه وإخراجه فلم يقدروا عليه . وكلما قرب منه أحد دقة (بفيه) فتركوه .. فجاء إلى الحجر الأسود فقبله ساعة ثم ذهب إلى مقام الحنفية فبرك تجاه الميزاب ثم بكى ساعة .. وألقى نفسه على الأرض فمات وحمل إلى ما بين الصفا والمروة ودفن هناك) .

« درر الفوائد المنظمة »

قلت .. ومع أننا لا ندرى ولا نتصور كيف عرف الناس بكاءه وهل هو نشيج مسموع أو مجرد الدموع ؟ فاننا نجد لذلك مغزى طيبا .. وهى أن يتعظ أصحاب الحيوان فلا يحملونه ما لا يطيق .. اتقاء الشكوى والبلوى !

٤٠١ قبر أبي لهب

يتحدث الرحالون والمؤرخون فى القرون المتأخرة — عن قبر أبى لهب .. باعتباره ذلك الرضم أو الردم أو الرجم .. والحصى المتجمع بعد المدرج القديم المؤدى إلى الشهداء (الزاهر) وإلى ما بعده التنعيم) .. كما لو كانوا متحققين مما يروون ؟! أو مما يوردون ! ودليلهم على ذلك التواتر المتعاقب على ألسنة الناس .. بينما الثابت نصا فى كتب السيرة أن أبا لهب أصيب بقرحة تسمى (العدسة) تهيب منها ومن فر به بسببها كل من حوله من أهله ومات بها — وما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوا (بأعلى مكة) على جدار وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه .

فأين أعلى مكة .. من مكان أبى لهب فى أول الزاهر ؟ والواقع أن هذا الرجم لم يكن إلا على قبر رجل كان يسمى (ابن عتيق) وكان من أعوان أحد الأمراء فى القرن التاسع او العاشر .. وأنه بعد أن أعدم قبر بهذا الموضع .. ورجمه الناس اعلانا لسخطهم عليه .. وحنقهم منه ومن تصرفاته إبان تسلطه وبغيه . وهو الذى كان له قصر منيف فى (باب العتيق) وإليه تنسب هذه التسمية .. بجوار باب الباسطية القديم .. من أبواب المسجد الحرام .. وقد زال كثير من الرجم والرضم .. وبقيت التسمية (بأبى لهب) حتى الآن ! وقد لا تفارق حقبة من الزمن حتى تنقرض أجيال عدة .. فهو علم على المنطقة .. منذ عصور طويلة .. و (الزرنيخ أخو النورة) .. وكلاهما سيرته منبوذة مكروهة .. مطمورة !

٤٠٢ مقلاع الخطيب

قال **الأنصارى** فى تاريخه : « ومن عجائب مكة أنهم يمشون بين يدى الخطيب يوم الجمعة .. (بمقلاع) يضرب (على غفلة) يزعج المكان والناس .. فأنكرت هذا فقالوا : هذا شعار لهم ، فقلت : بئس الشعار ، هذا مكان يجب احترامه عن رفع الأصوات ، والأذان يكفى » .

قلت : كان هذا فى القرن العاشر .. ثم اختفى ! ولا أدرى لماذا كان هذا الشعار الغريب .. (المقلاع) .. بين يدى خطيب الجمعة ؟ حقيقة أنه كان من العجائب ! وغالب الظن أنه من مستحدثات الأعاجم .. وتفخيما لموكب الخطيب .. وايذانا بقدومه .. وقد أدركنا هذا الموكب فى الأعياد والجمع — دون مقاليع .. ثم لا هذا ولا ذاك والعود أحمد إلى السنن المشروعة وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين .

٤٠٣ مع الشيخ عبدالقادر الشيبي — السادن الكبير

المولود عام ١٢٧٠ والمتوفى عام ١٣٥٠هـ بمكة المكرمة

لقد كان هذا العلم الشامخ .. والطود الباذخ .. من أكابر الرجال ذوى العقول الراجحة .. والأحلام الواسعة .. والتجارب الطويلة .. والأخلاق الكريمة .. والسماحة .. والسجاحة واللباقة واللماحية والذكاء والدهاء .. وهو آخر من أدركنا من طبقته من بيوتات مكة .. الأولين

فى سمته وسماته .. ومجلسه وسمره وأخباره وأشعاره وطرفه وفكاهاته ! وكان مع كل ما له من منزلة عليا بالفضل والسن والمنصب والسدانة .. التى هى أكبر مآثر الشرف .. جاهلية وإسلاما .. صاحب ذوق رفيع .. وأدب ممتاز .. عدى أنه كان رئيسا لمجلس الشيوخ فى العهد الهاشمى .

ومما أذكر أنه اتفق لى مع سماحته .. هذه الحادثة الطريفة : فقد جئت اليه مرة مسلما عليه وزائرا .. فقال : اسمع يا أبو شيخة .. قلت : نعم .. قال : لا تظنن أنك وحدك الشاعر .. فانى والله قد نظمت قبلك الشعر ! قلت : لا غرو .. (أهلا ومحلا) .. وعنكم يجب أن يؤخذ كل ادب وكل شعر وكل نثر .. قال : (طول بالك .. شوية) ! قلت : طولت .. قال : نظمت فى احدى الأمسيات .. بيتين راق لى كل واحد منها وشاق .. حتى كلفت بهما !

ومازلت مفتونا بهما يوما وليلة .. وفى اليوم الثانى زارنى فضيلة العلامة الشيخ (**جعفر لبنى**) وهو من العلماء المكيين الافذاذ المشار اليهم بالبنان فى (البيان والبديع ، والعروض ، والنحو والبلاغة) .. فعرضت عليه مانظمت .. وكنت أرجو أن يستحسنهما ويقرظهما لى .. وربما حفظهماحفظا لشدة شغفى وغرورى بهما ! وقال : وما أن قرأهما الشيخ **جعفر** .. حتى بسمل .. (ولم يحوقل) !! وقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله .. هذا شيء عجاب ! لا ابدع ولا أجمع لمحاسن الشعر منهما .. وأخذ يطنب فيهما بما لم يخالجنى معه شك أنه انما يقول ذلك عن قناعة وتأثر واندهاش ! واهتز عطفاى .. تيها واعتزازا .. وقلت : إنهما بنت ساعة .. فقط ! قال : وهذا مدهش أيضا .. ثم ماذا ؟ لم تمض دقائق .. وكانت كؤوس الشاهى تدوربينى وبينه (وما فش أحد غيرنا .. والحمد لله قال : يا مولانا .. إذا سمحتم .. بأن أشارك معكم فى هذا الشعر فاننى أرى أن تستبدل بهذه الكلمة .. كلمة أخرى هى (...) ليكون ذلك أجمل وأفضل .. قلت : لا بأس .. وبعد برهة أخرى .. قال مثل ذلك فى غيرها .. وهكذا طول الساعة التى زارنى فيها .. يستبدل بكلمة أخرى .. حتى (حان وقت الانصراف) .. وهو لا يزال يثنى على عبقريتى وشعرى .. والهامى ! ويقرأ المعوذات تحصينا وتأمينا .. وخرج صاحب الفضيلة .. وخلوت إلى نفسى .. وأخذت الورقة أتبين ما حل (ببيتى الرقمتين) ؟! .. فاذا بهما قد أخليا من كل كلمة كنت وضعتها .. وحل بدلا عنها كلمة من سيدى الشيخ ! وإذا بالكلام كله له .. ولا شيء لى مما ترك .. أو أبقى !

ومنها ! وبطلت الشعر ونظمه ! وفهمت أن للعلماء فى التثقيف وسائل دقيقة .. وأساليب لطيفة .. يستعملونها كل بحسب سنه ومقامه .. (وبهذا يتميز ورثة الأنبياء) .. ولو كان الذى اطلع على البيتين غير هذا العلامة .. لما وسعه الا أن يجهر بالانكار .. ويقضى على شعورى وشعرى قضاء مبرما ! قال الشيخ **الشيبى** رحمه الله : فماذا تقول يا أبو شيخة ؟ قلت أنه لتوضيح كبير منكم .. وعلى طريقة الشيخ **اللبنى** فان لى مندوحة عن المآزق ؟! ولو قد اتجهم إلى هذا الفن اتجاها قويا .. (لما نازعكم فيه الأظالم) ! كالمفتاح .. ولكن كفاكم فخرا وعلوا ما آتاكم الله من فضل كبير .. ومنزله عليا .. وهكذا كان المرح .. والطلاقة يتدفقان من قلبه ولسانه .. رغم الشيخوخة والمرض تغمده الله برحمته ورضوانه . وعوض الله علينا فى خلفه الطيب بمن تحيا بهم (مكارم الأخلاق) .

٤٠٤ لحية السلطان

لما حج السلطان **محمد بن قلاوون** سنة ٧١٩ هـ اجتمع عنده من العربان ما لم يجتمع لملك قبله بمكة .. وصاروا يدلون عليه إدلالا زائدا .. بحيث قام فى بعض الأيام **ابن لموسى بن مهنا** وقال للسلطان : يا أبا على بحياة هذه .. ومد يده إلى لحية السلطان ومسكها .. الا اعطيتنى الضيعة الفلانية ! فصرخ فيه (الفخر) ناظر الجيش وقال : ارفع يدك قطع الله يدك .. تمد يدك إلى لحية السلطان .. فتبسم السلطان وقال : يا قاضى : هذه عادة العرب إذا قصدوا كبيرا فى شيء تكون عظمته عندهم مسك ذقنه .. يعنى أنه قد استجار به .. فهو عندهم سنة .. فقام الفخر مغضبا وهو يقول : والله ان هؤلاء مناحيس وسنتهم أنحس منهم لا بارك الله فيهم .

قلت : وقد أدركنا هذه الحالة متحكمة إلى عهد قريب .. وقد أخذت الأخلاق تتهذب ! ولم يبق لها من آثر إلا أن يكون فى البادية والله أعلم .

الا أن مسك اللحية ما يزال معروفا من قبل صاحبها إذا أراد أن يتوعد أو يجزم فى أمر .. فانه يخول من يخلفه وعده حلقها .. وعليه الموسى واجرة المزين ! وفى المثل (ربنا ريح القرعة من كد الأمشاط) !

٤٠٥ الحدائق ــ السيارة

ذكر المؤرخون أن **السلطان قلاوون** عندما حج عام ٧١٠هـ اصطحب معه مباقل وخضروات ورياحين ومشمومات فى أحواض تحمل على الجمال وتسقى طول الطريق ــ ويؤخذ منها كل يوم ما يحتاج اليه .

قلت : إنها لإحدى الأدلة الساطعة على ما بلغه المسلمون من رفاهية وترف .. حتى فى الصحراء القاحلة .. وناهيك بالماء الذى لابد أن يكون محمولا على الاظعان .. وضامنا للسقيا والارواء للنبات والحيوان والانسان ! وذلك قبل حضارة القرن العشرين ..

وقبله كان هرون الرشيد لا يغب عن ركابه الثلج من العراق إلى العراق كلما حج فهو يتوارد عليه بالبريد .. فلا يفتقده حتى يعود !

٤٠٦ قربة الماء بدينار ذهب سنة ٩٣٠ هـ

قال القطبى فى تاريخه : وانى أذكر سنة تسعمائة وثلاثين ، وأنا يومئذ مراهق فى خدمة والدى اننى اشتريت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان باصبعيه بدينار ذهب .. والفقراء يصيحون من العطش يطلبون ما يبل حلوقهم فى ذلك اليوم الشديد (أى يوم عرفات) .. فلما كان وقت الوقوف والناس عطاش يلهثون أمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله والناس واقفون فصاروا يشربون من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم .. وذلك من رحمة الله ولطفه بعباده .. اهـ

قلت : كذلك كان حال الماء وغلاء ثمنه .. وعدم وجوده .. ثم ماذا ؟ يجد الحاج عن أيمانه وشمائله .. الموارد العذبة .. والمياه المثلجة .. من ميناء نزوله إلى أن يعود إلى بلاده .. وهو ريان

شبعان جذلان ، آمن من كل حيفة .. فما علينا إلا أن نشكر لله نعمه التى لا تحصى .. وهو القائل فى محكم كتابه ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ .. وما الشكر بالاقوال المرددة .. ولكن بالأعمال الراشدة المسددة .. ومن الله نستمد العون والهداية والتوفيق وندعو لكل من يسر على المسلمين ظعنهم واقامتهم .. وحلهم وترحالهم .. والله لا يضيع أجر المحسنين .

٤٠٧ « دهناء الحجاز »

جاء فى وصف منازل الحاج فى تاريخ (**الأنصارى الجزيرى**) : « درر الفوائد المنظمة » قوله : « فيرحل إلى ينبع فيأخذ اليها خمس مراحل ويرد ماءه .. ويقيم عليه ثلاثة أيام ويصادف بها أجلاب البر والبحر ويودع فيه .. ثم يرحل إلى (الدهناء) مرحلة واحدة ويرد ماءها وهو ماء جار عذب وبها نخل وزرع ثم يرحل إلى (بدر) .. الخ اهـ

قلت : اذن هى (دهناء) أخرى غير دهناء نجد وقد جعلها بين ينبع وبدر ، ونوه بأنها كانت قرية عامرة .. آهلة .. مخصبة مخضوضلة .. ثم بغى أهلها وسطوا وعقوا وآذوا الحجاج .. فعاقبهم الله بالسلطان عقابا اليما ثم أجدبت أرضها وغاض ماؤها وأصبحت محطبة فى عهده(٩٧٦)هـ .

٤٠٨ « وادي الزاهر » بمكة المكرمة

وصف الأنصارى فى كتابه « درر الفوائد المنظمة » رحلة أمير الحاج سنة ٩٣٨هـ .. وقال : « وكان نزول أمير الحاج إلى (وادى مر الظهران ليلا واستمر سائرا إلى وادى الزاهر) عند سبيل **عبد الباسط** المعروف بسبيل **الجوخى** .. (شيلة وحدة) فكان سيلة مائة وخمسين درجة . ودخوله بعد الشمس بخمس درج والمسير اليه من بطن مر الظهران ويسمى الوادى (الزاهر) لأنهم يسيرون فى محاطب .. وفضاء .. ومضيق .. ويمر بين جبلين .. وهو آخر درك ذوى (رومى) .. ثم القرية بعده فى حدائق وعيون وبنيان ومسجد وعين كبيرة . » اهـ

قلت : هكذا كانت (الشهداء) .. التى هى القرية المشار إليها منذ عدة قرون .. وكم شهدت من مهرجانات ؟ وقيلات ، وسمرات ؟ وقد اندمجت اليوم فى عمران مكة .. واتصلت مباشرة بكل ما بين أيديها وما خلفها وقد تعوضت من خرائبها الدامرة .. بالقصور الشاهقة العامرة .. والخمائل العابقة الناضرة .. وأحسب أن التسمية بالزاهر تعود إلى اسم أحد أبناء الأمراء بمكة فيما قبل هذا التاريخ .

٤٠٩ « التكتيك » و« التكنيك » بالتاء وبالنون

جاءنى أحد المتأدبين — بالعافية — وعلى حكم المودة والتغالى .. و « اللى زينا تعالوا عندنا » ! وهو أشد ما يكون انفعالا .. وانزعاجا .. وتبينت ذلك فى سحنته وملامحه .. وقلت له : عسى خير ؟ ما بك يا خى ؟ قال : (لا اله الا الله .. محمد رسول الله) .. ماذا أقول ؟ ألا تسمع أنت وتقرأ ؟ قلت : ماذا ؟ قال : فى (الراديو) وفى (الصحف) وفى (المجلات) كلام كثير ليس بعربى ولا نفهمه ..

وما أدرى ما هو ؟! وما كنا نسمعه قط قبل ثلاثين أو أربعين عاما خلت ؟ قلت : كيف ؟ قال : انهم يقولون أو يكتبون كلمات غريبة ..لا نستطيع فهمها ولا ادراك مدلولها ولا بالقرائن و (بالقرينة) !

قلت : مثال ذلك هات ؟! قال : كنا نسمع من زمن مضى قريب .. (الكلاسيكية) .. ثم (الرومانسية) ثم (الدبلوماسية) .. ثم (الاستراتيجية) .. وبعد شدة ولأى كبير .. فهمنا أن الدبلوماسية هى الشئون ذات العلاقة بالسياسة .. أو الاشتغال بها .. وقلنا : ما لنا بها من علاقة ! وفهمنا الأخرى فإذا هى .. المواقع الحصينة الحربية أو الحاكمة على ما حولها .. وقلنا : ما لنا ولها فهى من شئون الدفاع والحرب .. ووقف الذهن كُلِّيًا .. الآن فى هذه (الكلاسيكية) و (الرومانسية) ! فهم يقولون انها من مذاهب الغرب الحديثة فى الأدب .. وأنهم يعنون بالأولى .. ما كان عتيقا أو عريقا .. أو مقيدا غير متحرر .. وبالثانية .. عكس الأولى !. وقلنا : ما لنا ولقديم الغرب وحديثه .. واصطلاحاته .. التى اتخذها لنفسه دوننا ؟!

وفى أمثالنا الدارجة قولهم : « من جهل شيئا عاداه » .. قلت : أنصفت نفسك والناس . قال : لكن يا سيدى ألا ترى أن من حقنا كقراء للصحف .. أو سماع للاذاعة .. أن نسأل عما نجهل حتى نعلم ؟ قلت : هذا حق .. ولا غبار عليه .. قال : اذن أرجوك أن تتوسل لنا بطريقتك الخاصة : أن يضعوا لنا ترجمات ملخصة مركزة .. لكل (كلمة طارئة جديدة) لا ندرك معناها .. مع بيان مصدرها وما ترمى اليه .. حتى نحذقها فيما نقرأ ونسمع ! وأعاد الكرة يقول : وأنت قل لى .. ان كنت تعرف ما هو (التاكتيك) ؟ وما هو (التاكنيك) ؟! .. وهنا شعرت بالحرج ، وقلت له : أظن أن (التاكتيك) — الترتيب أو التخطيط للحرب .. أو السلم أو المعركة ! والثانى ... ووجمت .. فانى لم أستحضر له أى مفهوم عندى .. لعدم دراسته أو معرفته كليا ! — وما كان جوابى الأول الا رجما بالغيب .. وهنا ازداد حماسه وانتصاره .. وقال يا أخى .. ارحمنا لوجه الله .. قل لهم يفسروا لنا هذا الكلام الجديد .. بما يقابله بالعربى .. الفصيح الصريح .. وماذا تعنى كل كلمة قبل ايرادها فهم لا يخاطبون فى الصحف ولا فى الاذاعة (طبقة المثقفين) فقط .. وانما كل من له أذنان تسمعان .. أو عينان تبصران .. وما نرضى لأنفسنا الجهل بما (يهرج) به الواعون .. من دوننا .. والعلم نور .. ولا عيب فى السؤال .. قلت : هون عليك ، فالخطب يسير وسأكتب لعلامتنا الكبير صاحب مجلة المنهل الاغر .. ليهتم بهذه الناحية اهتماما خاصا .. ويخصص صفحة واحدة من مجلته الفياضة .. لتقديم التعريفات المناسبة .. لهذه الكلمات الطارئة .. فى كل عدد يصدر منها .. بحيث يستوعب كل ما لا عهد للغة العربية به قديما .. مما امتزجت به الثقافات الحديثة .. تسديدا وتقريبا .. لا احاطة .. وتعريبا .. فاننا لا نريد منه ولا نتمنى عليه أن يُعَرِب لنا كل ما أضيف إلى اللغة العربية من فنون العلم وعلوم الفن فى عصرنا هذا .. ولكن ما لا بد من معرفته وادراكه .. وعسى ان يجد هذا الرجاء قبولا لدى فضيلته فانه غيور شديد الغيرة على العربية أن يدخل اليها ما ليس منها .. الا اذا كان مفهوما .. لفظا ومعنى

ومبنى ! وأقرب دليل على محافظته وغيرته .. موقفه من (جيم جُدَّة) .. لا (فاف زوبة) ! وانها بالضم لا بالكسر ولا بالفتح .. وهنا أبشر (أبا نبيه) بأننى ظفرت له ببرهان يثلج له صدره .. وتقر عينه .. فى كتاب (ما رأيت وما سمعت) .. للخير **الزركلى** وقد أصدره قبل نيف وأربعين سنة .. وهو معروف لدى سيادته .. (مؤلفا وتأليفا) .. وقد وجدته .. قد وضع الضمة على جيم جدة .. وهو من هو مكانه فى الأدب .. بل إنه حجة فى لغة العرب .. فما عليه بعد ذلك إذا تسامح مع الجمهور فى ذلك .. فانهم يقولون منذ ألف عام (مصر) ! بفتح الميم حتى أهلها وما هي إلا بالكسر (مصر) وبذلك نزل الوحى فى كتاب المبين .. ﴿ **اهبطوا مِصراً فان لكم ما سألتم** ﴾ .. وما أحسبه وهذا مبلغ اهتمامه باختلاف اللفظ فى كلمة أو حرف واحد من لغتنا الخالدة .. الا مهتما كل الاهتمام بايراد التعريفات الانصارية .. للكلمات الفنية العصرية ، ولو فى بضع أسطر من كل عدد من المنهل الأغر .. أحسن الله اليه .. وأعانه على ما يحبه ويرضاه .[1] .

(٤١٠) رقم (١٣) فى القدامى

كثيرا ما نسمع أن الأوربيين يتشاءمون من الرقم (١٣) .. دون أن نعلم سبب ذلك أو سره حقيقة .. إلا أن يكون مجرد تقليد أو تجربة أو وهم !

وفى مطالعة عابرة قرأت ثلاثة أبيات أوردها **الامام الجلال السيوطى** المتوفى سنة ٩١١ هجرية وذلك فى كتابه (الكنز المدفون) قال : (شعر)

توق سبعة أيام قد اطردت
فى كل شهر هلالى مناحسها
فثالث الشهر مذموم ، وخامسه
و « وثالث العشرة الوسطى » وسادسها
ثم اخش حادى عشريه فخشيته
حزم ، ورابعها يخشى وخامسها

قلت : فهذا نص عربى قديم على اعتبار الأولين الثالث عشر من الشهر غير محمود الطالع .. وإنى لأستغرب أن يرد هذا فى كتاب هذا العلم الفرد .. والامام المشار اليه بالبنان فى علوم الشريعة المطهرة .. إلا أن يكون مجرد حكاية كغيره عما كان سائدا فى عصره من أوهام وخرافات لا أساس لها من الشرع الحنيف ! وبهذه المناسبة أذكر أن هناك من الناس من يتشاءم من زيارة المريض (يوم الأربعاء) .. وان والدى رحمه الله وكان شديدا حديدا بكامل صحته ، زار فى حياته جارا كان مريضا منذ ٣ سنوات متواليات وملازما لفراشه .. واتفق ان كانت الزيارة يوم الاربعاء .. فاذا بأهل المريض يتصلون بالعائلة ويعاتبونها بالم على هذه الزيارة . ومر يوم الخميس والجمعة فقط .. وفى يوم السبت توفى الوالد الزائر ودفناه ، وعاش المزور الجار الكريم بعده عامين كاملين ! ورد الأهل العتاب بمرارة متسائلة : أيهما أشأم على أخيه .. ﴿ **ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها** ﴾ .. وكلها أيام الله .. ولا عدوى ولا طيرة .. والحمد لله رب العالمين .

---

١ ـ شكرا وحبا وكرامة واستجابة فورية سامية .. أنلك تامر فتطاع يا شيخنا التحرير . وادينا العلامة الكبير .. ونبدأ بذلك العدد القادم إن شاء الله . ونسأل الله التوفيق والمدد ..

٤١١ الخسا والزكا

إذا استهزأ **الأعرابى أو البدوى** بآخر قال له (تخسأ البعيد) أو اكتفى بقوله (خسا) يشتمه أو يكافئه على مثلها .. أو يدفع عن نفسه وصمة .. أو يهون من شأنه .. ويغض من كرامته ! وهى فى متداول عصرنا هذا فى العامة والخاصة .

وقرأت فى مقصورة **ابن دريد** بيتا جاء فيه :

اذا هوى فى جثة غادرها
من بعدما كانت (خسا) وهى (زكا)

وهو بذلك يصف السيف القاطع .

وفسره الشارح بأن (خسا) هى الفرد وزكا هى الزوج .. ويعنى أن السيف إذا هوى على جسد فصله إلى قسمين .. فهل إذا نعت أحدهم بـ « خسا » .. يرضى بها ولا يثور حيث لا تعنى لغة الا (الفرد) ؟! أما (زكا) .. فانها على العكس مقبولة من كل الوجوه .. ولا غضاضة فيها ولا تأويل إلا بالخير والنماء .

٤١٢ الخلاق .. غير الأخلاق

كثيرا ما يغلط الكتاب أو بعضهم على الأصح .. فى استعمال كلمة الخلاق .. بمعنى الأخلاق .. فلان ما له من خلاق .. أى خلق أو أخلاق ؟ والحقيقة أن هذه غير تلك .. فالخلاق النصيب قال تعالى : **﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾** اهـ

قلت : وشرح المفسرون (الخلاق) بالنصيب من الآخرة فى الدنيا — ومن الحق أن نتفطن لهذا فيما نكتب . فما أشد البون وأبعده بين المعنيين . وإنما جاء الوهم من اللفظ .. المتقارب .. فأما الأخلاق .. فانها الصفات التى يتحلى بها الإنسان .. ولإتمام المكارم منها بعث سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه .

٤١٣ « عفرية » لا عفريت

جاء فى اللغة أن (العفرية) هو الداهية الشديد الدهاء ! إذن فإن قول أكثر الناس أن (فلانا عفريت) .. يرجع فى أصله إلى هذا .. وهكذا نجد التداول للألفاظ .. الدارجة قد تجاوز بعض الحروف .. وتجوز فى سردها كيفما اتفق اما لجهل الناطق .. أو تسامحه .. أو عجمه السامع .. وما فى ذلك قصد شيء .. ولا (عفرتة) ! وإنما هى الحوشية والسوقية .. والعامية ، والازدواجية ! وعدم المسئولية !

٤١٤ جبال المحيط الأطلسى

قرأت مقالا قيما بعنوان (عالم المحيطات الغريب) فى مجلة (هنا الكويت) شهر ذى الحجة سنة ١٣٨٢هـ جاء فيه :

« ان فى المحيط الأطلسى — وخاصة المنطقة الشمالية منه جبالا ضخمة تعرف باسم سلسلة أواسط الأطلسى وتعتبر أضخم من أية سلسلة نعرفها على ظهر اليابسة ! » .

قال : « وتمتد هذه السلسلة من أعالى شمالى الأطلسى إلى أقصى جنوبه ويبلغ طولها حوالى (٢٠) الف ميل .. يبلغ عرضها فى أواسط المحيط لا تقل ارتفاعا عن جبال (الهملايا) فى أواسط آسيا » اهـ

إنها معلومات تقوم على أساس من العلم والاختبار .. وقد جاء فى المقال نفسه أن شقوقا هائلة تهدد بانقسام الكرة الأرضية وهى تحت سطح هذا المحيط — وفى أعماقه السحيقة .. وكل ما فوق الأرض .. وما بين الفضاء .. والمحاولات الحديثة لاستعمار الكواكب ! لا يكفى لاشغال الأذهان .. وترسب المخاوف فى هذا الانسان ! فعليه أن يتوقع أيضا ما اختصت به البحار والحيتان ! وما نقول إلا أن الله ﴿ **الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه** ﴾ وهو الرحيم الرحمن .. ولن يؤتى الناس الا من قبل كفرانهم بنعمه السابغة ، ولو هم آمنوا بحكمته البالغة وآياته الباهرة .. لأعاذهم من الشرور والغرور

وفى كل شىء له آيـــة
تدل على أنـــه الواحـــد

﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾

(٤١٥) خطــأ وصــواب

١ — نحن أشكل .. بمعنى أكثر
٢ — وكنا « نهرج » بمعنى نتحدث

(الأشكل) لغة .. هو ما فيه حمرة وبياض مختلطان ، وقيل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .. وتوصف بذلك الابل — وربما سواها من أصناف الحيوان والانسان !

ونسمع أهل زماننا نساء ورجالا إذا تحدثوا قالوا أو قلن : أوحشتمونا ! فيجابون (نحن أشكل) ! أى أكثر .. فمن أين جاء هذا (الأشكل) ؟

وقد تكون (أشكل) من (المشكلة) بضم الميم — إذا استعاصت وتعقدت أما (المشكلة) بفتح الميم فهى فى عرف أهل الحارات الشجاعة والفتوة .. ولها مبرر من أحداث المشاغبة والمشاكل ! حتى يقع القفز والرفز ! والضرب والنقز ! « والضعيف تبكى عليه أمه » وأحسب أن (أشكل) تجرى مجرى قولهم — كنا البارحة — فى دار فلانه أو فلان ! وماذا تصنعون ؟ قالوا : كنا نهرج ! والهرج — أخو المرح .. هو القتل .. لغة .. ولكنه تطور بالتداول حتى انتهى إلى أنه الحديث .. فكيف نعيده إلى أصله ونستعيض عنه بما هو أدل على المعنى المقصود ؟! ومن يضمن نسيانه واستبدال ما هو خير به ؟ انه لأمر عسير .. الا على من يهمه كل يسير .. وهو به عليم وفيه بصير .. وكلنا يجب أن يكون بذلك خبيرا وعليه حريصا وفى طريقه يسير .

(٤١٦) حــداء الابــل

« فى البخارى من حديث **مسلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع النبى ﷺ إلى (خيبر) فسرنا ليلا ، فقال رجل من القوم لعامر : ألا تسمعنا من « هنياتك » ؟ وكان عامر رجلا شاعرا ، فنزل يحدو بالقوم ويقول :**

لاهــم لولا أنت ما اهتدينــا
ولا تصدقنـــا ولا صلينـــا
فاغفــر فداء لك ما أبقينـــا

وثبت الاقدام إن لاقينا
والقين سكينة علينا
انا إذا صيح بنا أبينا
وبالصباح عولوا علينا

وفى رواية **أحمد** زيادة :

ان الذين قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا

فقال رسول الله ﷺ : من هذا السائق ؟ قالوا : **عامر بن الاكوع** ، قال : يرحمه الله ، قال رجل من القوم : وجبت يا رسول الله لولا أن متعتنا به ؟! وفى رواية **أحمد** : فجعل **عامر** يرتجز ويسوق الركاب ـــ وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الابل فى السير .. ينزل فيسوقها ويحدو فى تلك الحال وكان معلوما عندهم أنه ما استغفر رسول الله ﷺ لانسان يخصه إلا استشهد .

قلت : ولا أدرى ما ذا بقى من هذا الحداء بعد انقراض قوافل الابل ؟! لقد كان آخر عهدنا بها وبه أيام « الشقادف » وهى على متون (سفن الصحراء) مصعدة (بالبوباة) .. أو نخلة اليمانية ولا سيما عند صعودها إلى « البهيتاه » .. فكنا نسمع تغريد البلابل وترنيم الحناجر .. وكانت « الابل » تطرب بالصوت الجميل .. وتصغى إلى الهديل والترتيل .. وتأخذ فى الاعتزاز والذميل ! وتتحمل من المشقة ما لا تشعر به من استغراقها فى الارتياح . ثم ماذا ؟! تلاشى الحداء .. حتى لم نعد نسمعه .. وهو أحد الفنون العربية العريقة .. فهل يتيح لنا الأخ الأديب العربى العريق (مطلق مخلد الزيابى) أ نستمع إليه من رجال البادية القدامى أو المحدثين .. فى صورة تمثيلية فى برنامج (البادية) ؟! احتفاظا به وتدوينا له فى طوره الأصيل ولا سيما من أهل (القديرة) ! ووادى الحمض وما إليهما ، ممن تلقوه من أسلافهم الطيبين .

إنا لنرجو أن يضيف ذلك إلى أياديه الجمة فى إذاعتنا التى هى مرآة المآثر والمفاخر العربية الأصيلة . خصوصا وأنه مما يباح شرعا ووضعا ، ولفظا وسمعا وصدعا ورجعا .

٤١٧ انما الطاعة فى المعروف

« فى الصحيحين عن **علي** قال : بعث رسول الله ﷺ رجلا من الأنصار على سرية ، بعثهم وامرهم أن يسمعوا له ويطيعوا . قال : فأغضبوه فى شيء فقال : اجمعوا لى حطبا ، فجمعوا ! فقال : أوقدوا لى نارا فأوقدوا ، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟! قالوا : بلى ، قال : فادخلوها ، فنظر بعضهم إلى بعض ـــ وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله من النار .

قال : فسكن غضبه ، وطفئت النار ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له ، قال : « لو دخلوها ما خرجوا منها ـــ (انما الطاعة فى المعروف) ـــ قال فى الهدى : وهذا هو **عبد الله بن حذافة السهمى** » .

قلت : وهذا هو الأصل فى قول العامة : « لو قال لك ارم نفسك فى النار ترميها » .

وبهذه المناسبة أروى قصة طريفة سمعتها من بعض المسنين القدامى : قالوا : ان سلطان تركيا زار بلاد روسيا فى عصر أحد القياصرة الجبابرة .. وكان من أهداف القيصر أن يرى ضيفه وعدوه التقليدى ـــ مبلغ الطاعة لأوامره من قادة جيشه

وفى الحال استدعى فى إحدى حفلات تكريمية ضابطا كبيرا وامره أن يمضى أمام الضيف فى اتجاهه إلى الامام حيثما انتهى به المسير .. فانطلق حتى إذا حاذى النهاية التى تليها (هوة سحيقة) رمى بنفسه من شاهق إليها وقضى نحبة فى الحال ! وكان ذلك بمثابة دليل للمضيف على الاقدام وعدم المبالاة بالموت .. إذا هو أمر جنده بالتقدم أو الهجوم ! وبعد تلك دعا السلطان القيصر إلى بلاده وأقام له حفلة تكريم كبرى .. وأحضر (حمارا) .. دعابة .. وعرضه أمام القيصر .. وأمر أن يوجه إلى الامام .. تماما كما فعل الضابط المنتحر ! فلما اقبل الحمار على الهوة تردد وأحجم .. وتراجع .. وتوقف .. وامتنع ورجع ! قالوا : أنه أثبت لضيفه أن الحمار ـــ كان أعقل من صاحبهم ـــ حيث لم يلق بنفسه إلى التهلكة .. فى غير مبرر ولا موجب ولا هجوم ولا دفاع .. أما إذا كان ذلك للذود فى الحياض والدفاع عن الحرمات .. فما أهون الموت على من يرجو الشهادة به فى سبيل الله .. (وانما الطاعة فى المعروف) !

١١٨ بقرة مغامس ؟ !

لا يزال أهل مكة ـــ يقولون ـــ فى وصف من يكون شرها أكولا ـــ ونهما عجولا .. أنه (كبقرة مغامس) .. وتعذر على الوقوف على نص مكتوب فى تاريخ مكة .. عن هذه البقرة وعن سر ضرب هذا المثل المتداول منذ قرون ! غير أننى عرفت من تاريخ مكة أن (**الشريف مغامس**) **هو « ابن رميثة بن أبى نمى »** ـــ ولم أجده ممن تولى الإمارة بها .. إلا أن أباه وابنه وأعمامه كلهم من أمرائها .. وكان ذلك فى ختام القرن الثامن الهجرى .. وقد سمعت من المعمرين حكاية هذه البقرة .. قالوا : إنها كانت تخرج إلى سوق الحبابة[1] .

وتلتهم كل ما صادفت من أخضر ويابس وتعبث بكل ما تراه .. حتى ضاق ذرع القوم بها ـــ وهم لا يجسرون على ضربها أو حتى زجرها ! خشية أن ينالهم بذلك سوء من صاحبها .. (وقد يكون غير عالم بما تفعل) ! فاجتمعوا إلى عين من العلماء فى زمانهم ومن جيرتهم وذوى المكانة فيهم فشكوا إليه أمرهم .. فقال : تهيأوا غدا صباحا وأذهب بكم جميعا إلى الشريف .. وتشكون عليه وأساعدكم على رفع الحيف عنكم .. قالوا : نعم ـــ وأصبحوا واجتمعوا وذهبوا إليه وخرج يقدمهم إلى (بيت سيدنا) أو أبيه أو ابنه أو أخيه .. وتلفت وراءه وهو يمشى فوجد الشاكين قد تفرق نصفهم وما أن وصل إلى الدار المقصودة حتى وجد أن الباق معه أقل من ربعهم وصعد الدرج .. واشرف على باب الديوان .. والتفت فلم يجد معه أحدا ما ؟! فعجب وأضمر فى نفسه حديثا .. نسقه ونمقه .. وسلم على **الشريف** واحتفى به كعادته وأكرمه لمنزلته وقال له : هل من حاجة أقضيها لك ؟ قال : نعم أن أهل السوق الصغير ، (الحبابة) . قد اكثر الله لهم من بركاته .. وعمهم بفضله وذلك بسبب ارتياد وازديار (بقرة سيدنا) فهى لا تتناول قضمة من « زنبيل » ولا حزمة من برسيم .. حتى يضاعف الربح لصاحب السلعة والبضاعة .. وقد حمدوا الله وشكروه كثيرا على ذلك . وقد سمع أهل (المدعى) من ذوى حرفتهم بهذه المنة الكبرى فوسطونى أن أرجو منكم إرسال بقرة أخرى أو (ثور) إلى سوقهم ، ليشملهم هذا الفضل وتعمهم هذه البركات !

١ ـــ « المنهل » أي بائعي الحب وهو القمح .

فاستغرب الشريف منه هذا المطلب ؟ وقال : هذا (كلام له خبيئ !) ما معنى ما تقول ؟! ان وراءه لمغزى — فافصح وبن ! قال : ماذا أقول ؟ وقص عليه ما كان .. من التضرر والتشكي والتجمع .. ثم الانصراف ! مخافة ان يصابوا بسوء ! فما رأيت مكافأة لهم أو مجازاة لمن هذا شأنهم إلا أن يزدادوا (حرقة وألما) ! بالمضاعفات فضحك (المغامس) وأمر فى الحال بمنع خروج البقرة مطلقا إلى الأسواق فى أي وقت كان .. وكفاهم شر شرهها وضررها !

هذا ما سمعته من أسباب ضرب هذا المثل . ولئلا يندثر خبره آثرت نشره ... والعهدة على الراوى ! و (الحديث شجون) .. وهو لا يخلو من التقويم والاتعاظ ! وفيه عبرة وتبصرة ، والطاف وتفكهة .. وإنصاف وتذكرة .. والله خير الحاكمين .

٤١٩ نثر الدراهم فوق (العروس)

قال المتنبى :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفى أذن الجوزاء منه زمازم
إذا زلقت مشيتها ببطونها
كما تتمشى فى الصعيد الأراقم
نثرتهم فوق (الاحيدب) نثرة
كما نثرت فوق العروس الدراهم

قلت : إذن يكون نثر الدراهم فوق العروس من العوائد القديمة جدا .. وقد أدركنا اصطناعها حتى يومنا هذا .. ويكون هذا النثر — أو النثار .. من الذهب الابريز أو انصاف الدنانير .. أو الريالات .. أو انصافها أو ارباعها على حسب الطاقة والاستطاعة .. وثمة تدور المعركة بين (الحاضرات) أو (المتحضرات) رغم أنهن من الغنى واليسار بالدرجة التى لا تحملهن على المزاحمة .. لولا المداعبة .. والمفاكهة والمجاملة .. والمشاكلة ! وكان الله فى عون الفقير ، فما أشد ما يحمل من أعباء وانه لمن العدل والانصاف أن لا يحرج الشباب فى ظروفنا الراهنة — بما لا يستطيعون من التكاليف .. غير المشروعة مما قصرت به أيديهم وجيوبهم عن التزوج خضوعا لما لم يأذن به الله ولم يشرعه من إرهاق وإشراف .. وقهر واعتساف .. و (خير الأمور أوساطها) .. و (لا تجود يد الا بما تجد) .. ولا حاجة للتغالى بالمهور .. ولا إلى كل ما تضيق به الصدور .. مما هو فى ظاهره حبور ! وفى باطنه دحور ، ولتكن الأسوة الحسنة ممن يقدرون ولا يبذرون .. فهم أقرب السبل إلى الاصلاح فى هذه الأمور .. و ﴿ **ما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ .. فكيف بالحرج الذى هو فى الدنيا ولها انطلق وبها ازدوج ؟! ولا حول ولا قوة الا بالله .

٤٢٠ الكندر — والكنادر

قال العجاج الراجز :

كان تحتى (كندرا) كنادرا
ترى بليتى عنقه مزاررا

وقال الشارح : « والكندر والكنادر — يوصف بها الغليظ من حمر الوحش » .

قلت : وهنا ظننت أن ما يطلق عليه « الكندرة » أعز الله أقدر القراء .. وهو (ايضا — الجزمة والصرمة —) وكلها دلالة على

« نعل » مصنوع بشكل خاص .. إنما له أصل عربي قديم من حيث أنه وصف بالغليظ من حمر الوحش .. فلعل الجامع بينها هذا الغلظ — ولو فى الجلد .. فقط ! ولا تشبث بذلك . وانما هى مجرد فكرة واكاد أعتقد أن التسمية (دخيلة) من لغة أخرى .. فما كان هذا النوع من (الكنادر) معهودا عند العرب وانما هو محدث جديد ! والله أعلم .

٤٢١ بين سنة — وثلاثة أيام

(حدث **علي بن مجاهد** قال :)

قال الأخطل **لعبد الملك بن مروان** : يا أمير المؤمنين ، يزعم **ابن المراغة** (يعنى **جريرا**) أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام ، وقد اقمت فى مدحتك : (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) سنة فما بلغت كما أردت فقال **عبد الملك** .. ما سمعناها يا **أخطل** ، فانشده اياها .. فجعلت أرى **عبد الملك** يتطاول لها .. ثم قال : ويحك يا **أخطل** ! أتريد أن اكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : اكتفى بقول أمير المؤمنين .

قلت : إذن لا يكون **زهير بن ابى سلمى** وحده صاحب الحوليات .. إلا ان تحفظ له الأولوية فى التهذيب .. وطول التأمل وحسن التخير .. وفى الرواية ما يدل على أن شهادة الممدوح من الخلفاء مما يجب أن يؤمن بها الظاعن والمقيم .. والبعيد والقريب .. كيفما اتفق .. وحيثما نفق وليس من العدل ان يحكم بالأفضلية المطلقة بمثل هذه المعايير العابرة ! وانما هى هزات عاطفية .. لا تلبث أن تهدأ بعد أن تجيش .. وبالمقارنات يموت الشاعر أو يعيش !

٤٢٢ اصل القلة

قال الشاعر :

طرحوا اصحابهم فى ورطة
قذفك « القلة » شطر المعترك

وقال أهل اللغة : (القلة) — حصاة أو نواة من نوى القل — « وهى (النواة) التى تنبت منفردة » يحملها القوم معهم إذا سافروا وتوضع فى الاناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء » .

قلت : ما أعجب أن تقترن (القلة) هنا بشطر المعترك ؟! فهى اذن غير (قلة الماء) .. بل هى (قلة المدفع) القاذفة أو المقذوفة بهذه القرينة .. وفى الأخرى يصدق مدلولها بما اصطلح عليه إخواننا المصريون فى تسمية « الشربة » بالقلة !

وأشد من ذلك عجبا أن سبق الناس قبلنا إلى تعريفها (بالنواة) !

فقد طالعتنا حضارة القرن العشرين .. بتشطيرها .. وتفجيرها وقذفها وتسخيرها .. وما هى من الأولى فى قبيل ولا دبير .. وانما هى الهول المبيد ، والبلاء المستطير ، واداة الفناء والتدمير ! ﴿ **والله على كل شىء قدير** ﴾ .. وبه من كل سوء نستجير .

٤٢٣ ثلاثة ارغفة بدرهم

« دخل **النوشجانى** على **المأمون** فقال : يا أمير المؤمنين ما فى بيت مال الصدقات درهم ، وقد كثر الغارمون ، فقال المأمون : وكيف لا يكثرون

وثلاثة أرغفة بدرهم ، وها هنا أناس لا حرفة لهم ، ولا افضال من موسريهم على معسريهم ، أما والله لقد شهدت أيام الرشيد ، والخراج أقل وأرذل وان فيها لاكثر من مائة يد بالخير طائلة .. وبالعطايا سائلة ، وللمعروف باذلة ، وللأرحام واصلة » .

قلت : اذن يكون افتقاد المحسنين ... (مزمنا) .. مع فارق الزمن ! وصدق الله العظيم ــ ﴿ **وأحضرت الأنفس الشح ــ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** ﴾ .

وثلاثة أرغفة بدرهم لا تكاد تعد فى باب الرخاء .. فقد أدركنا ما يشبه ذلك فى العصر التركى ــ أى قبل أكثر من نصف قرن .. وكان هناك خبز يسمى (الصامولى) ويزن القرص منه نحو أكثر من نصف أقة وهو ناضج لذيذ ممتاز وقيمته (هللة واحدة) ويشبع المرء ويغنيه عما سواه ! وهو خاص بالجنود وهم يبيعون منه ما يزيد عن حاجتهم وهو كثير جدا .. وكأنما باطنه الاسفنج من حسن ملكته فى العجن ووجهه منضر بالورد تمام استوائه .. وأفضل ما يؤكل الآن من أنواع العيش نموذج له فى الكيف لا فى الكم !!!

(٤٢٤) بين المنحنى ــ والمحصب ضحايا السرعة

نصف ساعة فقط .. ولأول مرة .. نظرت بشوق وما يروع معا ! وذلك مع غروب الشمس بين (المحصب) و (المنحنى) والناس ينحدرون من نزهاتهم وأمسياتهم . من كل فج وجانب .. ومنهم القادم من الطائف .. على الطريق الجديد .. وبينهم الاسر والنساء والاطفال .. وقد بلغت سرعة سياراتهم حدا .. لا يعنى إلا أن وراءهم ما يهربون منه طلبا للنجاة ! فهم فى سباق لا يهدأ .. واندفاع .. لا يصد ولا يرد : وبشكل يبعث الرهبة والجزع والاشفاق ! دون أن يحجزهم من ضمائرهم ما يردعهم عن هذا التهور الصاعق .. وأحسب أن مدى هذه السرعة لا يقل فى أضعف احتمالاته عن الثمانين كيلوا ــ إلى المائة .. فما فوق ؟! وما حسب احد منهم أن الحديد لا يعقل ؟! وأن كل إحصاء جرى فى أرق بلدان العالم المتحضر لحوادث السيارات وضحاياها دل على أن مصدره وسببه الوحيد : « السرعة » ! وما ادرى لماذا كل هذا التحدى للمنطق والعقل والشرع والنظام ؟!

وأية (نزهة) هذه التى لا بد لها يوميا .. من ضحية أو أكثر .. كما تكرر حدوث ذلك فى هذه الأسابيع الأخيرة ! وما كدت أرى هذا المنظر حتى قلت أنه لشائق .. لأنه يدل على الغبطة والنعمة والرفاهية والسعادة والأمن والطمأنينة .. والفرح والمرح .. وهو إلى ذلك رائع .. أو مروع .. لانه .. ما خلا من الخرق والنزق والرعونة والطيش والاستهانة بالأرواح .. وعدم المبالاة بالنتائج مهما كانت بالغة الإيلام . وتساءلت : ألا يكون هناك .. حد لهذا التهور المذموم ؟! وكان من تأثرى بهذا المشهد هذه الأبيات :

لو قيل لى ــ ما قد رأيت ــ (بمكة)
أنكرت أن يغلو ، بهذا (الأبطح)
سيل به تجرى « المواتر » جازف
كالبرق .. بين مكور ومسطح
فى سرعة كاللمح .. لم أر مثلها
الا (انقضاض الموت) ، غير مزحزح

وبكـل يوم للضحايا ـ « مأتم »
حتم .. يمثل فوق هذا المسرح !
حتى خشيت .. (عبوره) وكأنه
(متن الصراط) .. مرنحا ـ برنح !

وإنى لأرجو أن تتضافر جهود المسئولين على المرور والنجدة لدفع هذا البلاء .. قبل ان يستفحل .. بوضع الأسباب الكفيلة .. بمنعه وزجره وردعه ردعا حازما ، كافيا شافيا وافيا على أن يكون فى القوة والاندفاع فى مستوى (الخطورة) وأعلى منه .. وليس يخلو الركاب أنفسهم من المسئولية ! إن لم يكن منهم من يحث على هذه السرعة .. ولو أودت به وبمن معه وبمن يصادم ! ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم .

(٤٢٥) البحـــر الأخضر

كلنا نعرف ما يطلق عليه فى عهود قديمة « البحر الأبيض » وايضا « البحر الأحمر » و « البحر الأسود » .. وقل منا من يعلم أن هناك بحرا رابعا يطلق عليه « البحر الأخضر » .. وفى مطالعة عابرة لكتاب المعجم تأليف الاستاذ (محمد أمين وصف) عام (١٩١٦)م رأيته .. يتحدث عن مدينة (أغادير) المغربية ويقول : (انها تكتب (أكادير) .. وهى أقصى فرضة بالمغرب الاقصى على (البحر الأخضر) .. الأطلنطى ، ببلاد السوس ، ومرفؤها من أحسن المرافئ وتعرف عند البرتغال باسم (سانتاكروس) اهـ

قلت : فهذه البحار الأربعة المتميزة بالألوان .. الرئيسية .. ولعل هناك تسميات أخرى لما دونها أو أعظم منها (كالهادئ) .. بأبرز ما يظهر فيه للمشاهدين من علامات غالبة عليه .. وما أدرى مدى صدق وصف هذا (الهادئ) .. بالهدوء.. وهو فى ثورانه (جمع الجموع) ! وملتقى الشمال والجنوب ، والشرق والغرب .. الا أن يكون فى باب التفاؤل وهو الأغلب !!

(٤٢٦) فصيحة (أنت ابخص)

يتداول اخواننا أهل نجد ومن حولهم هذه الكلمة بمعنى : أنت أخبر ، أو أعلم أو ادرى أو أبصر ! ويتناولها أكثر الناس بهذا المفهوم والمدلول ، فهل هى فصيحة أم دخيلة ؟ أغلب الظن أن لها أصلا عريقا ، وان ندر أو عدم تداوله كتابه فيما عرفنا قديما .

أما اللغة فإنها تنص على : « بخص بخصا عينه قلعها » ! وبخص الرجل إذا كان فوق عينيه أو تحتهما لحم ناتئ ، فهو (أبخص) وبهذا المعنى لا يحسن تداولها مطلقا ، لولا أن اللغة تنص ايضا على أن « تبخص » بتشديد الخاء .. حدق بنظره .. ومن هنا يتلاق النص مع التداول .. فهو لا يعدوه فى مفاهيمه كلها .. فما يحدق النظر ولا يشخص البصر الا للتدبر والتأمل .. ومتى تبخص .. تبصر .. فهى بهذا عربية النجاد .. مرضية الاختيار .. وما وسعنا الامكان وأحسن التأويل أعدنا ما نتداول إلى أصله (ما كان له أصل يمت اليه من لغة الضاد) و (أبو نبيه ابخص) بالصاد ! فان السين منها ليست الا من تحريف من لا يحسن النطق بها وهى تجافيها روحا ومعنى .. وتركيبا ومبنى ! ولا يجوز أدبا أن يقال فلان ابخس . كما يلفظها البعض خطأ ! فانه من البخس قال تعالى : ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** ﴾ .. كفانا الله البأس والبخس كيلا ووزنا ـ و « كيلوا .. وأقة » .. ايضا !

٤٢٧ الكذب الأبيض !

حكى **الخطيب الاسكافى** صاحب كتاب « لطف التدبير » فى (أوائل القرن الخامس الهجرى) قصة قصيرة لطيفة .. ما كدت أتم قراءتها حتى أطلقت عليها انها « الكذب الأبيض » .. وهو ما يصلح به بين متخاصمين ! أو يوصل بين متهاجرين ! قال : « قال **ابن عياش** : كانت **عاتكة بنت يزيد بن معاوية** ــ وامها **أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر** ــ تحت عبد الملك ابن مروان . فغضبت عليه ، فطلب رضاءها بكل شيء فأبت ، وكانت من أحب الناس إليه ، فشكا ذلك إلى خاصته ، فقال **عمر بن بلال** : ــ رجل من بنى أسد ــ : مالى ان رضيت ؟! قال : (حكمك) ! قال : فخرج فجلس فى بابها يبكى ! فقالت له حاضنتها : مالك **أبا حفص** ؟ قال : العجب ! فزعت إلى ابنة عمى .. فاستأذنى لى عليها . فأذنت له وبينها وبينه ستر ، فقال : قد عرفت حالى عند أمير المؤمنين **معاوية** وأمير المؤمنين **يزيد** وأمير المؤمنين مروان ، وعند أمير المؤمنين **عبد الملك** ولم يكن لى غير ابنين فعدا أحدهما فقتله ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتل الآخر ! قلت : أنا (ولى الدم) .. وقد عفوت .. فقال : ما أحب أن أعود رعيتى هذا ؟!! وهو قاتله بالغداة .. فأنشدك لله (أن تشفعى لى) .. قالت ما أكلمه ، قال : ما اظنك تكسبين شيئا افضل من إحياء نفس . فلم يزل بها خدمها وحواضنها وحاشيتها حتى قالت : على بثيابى ، فلبست . وكان بينها وبين عبد الملك باب ، وكانت قد ردمته .. فأمرت بفتحه ، ثم اقبلت فدخلت ، فأقبل **خديج الخصبى** **يشتد** فقال : يا أمير المؤمنين . هذه عاتكة ؟! قال : ويلك أرأيتها ؟ قال : نعم . قال : فبينما هما فى حديثهما إذ طلعت ، **وعبد الملك** على سريره فسلمت ، فسكت . فقالت : أما والله لولا مكان **عمر بن بلال** ما فعلت ولا أتيتك ! الله ! لئن عدا احد ابنيه على الآخر فقتله ــ وهو الولى وقد عفا لتقتلنه ؟ قال : أى والله وهو راغم .. قالت : أنشدك الله أن لا تفعل .. فسكت .. فدنت منه فأخذت بيده فأعرض . فأخذت برجله فقبلتها ، فقال : هولك .. فتراضيا ، قال : فراح **عبد الملك** فجلس مجلسه للخاصة .. فدخل عمر بن بلال فقال : أبا حفص « الحكم » ؟ قال : يا أمير المؤمنين ألف دينار ، ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة .. قال : هى لك . قال : وفرائضى لولدى وأهل بيتى ، قال : هى لك ، فانفذ ذلك كله .

قلت : ألا ما أعظم الحيلة .. وما أكرم الوسيلة وما أرق الحليلة ، وانها للاخلاق النبيلة . وان فى كنوزنا وآثارنا الادبية الأولى للأدلة التى لا تدحض والبراهين التى لا ترفض على الذكاء والدهاء .. والدلال والجمال .. والكرم والسخاء .. والشجاعة والإباء .

وإن كان لى ما أعقب به على هذه الطرفة .. فإنما هو هذا التمنع المصطنع .. من جانب أبى الأملاك (**عبد الملك**) .. وانه ليذوب شوقا ويتهافت حنينا إلى عاتكة ! ولكنها الحبكة فى الرواية .. والسبب أو الطريق إلى بلوغ الغاية .. وما كان **ابن بلال** إلا من الزهاد فى تمنياته ! فلو هو ضاعفها لفاز بما أراد ، ولكنه لم يمعن فى ذلك طلبا للكفاف .. ولله دره فيما فكر وقدر . وكم فى خزائن العرب من مأثرات .

٤٢٨ (الرغامة) .. وجدّة

هناك ما بين الكيلو (العاشر) و (الثالث عشر) .. من شرقى جدة تقع منطقة رملية واسعة النطاق .. يطلق عليها الناس « الرغامة » !! وهى إذا أعيدت إلى أصلها اللغوى والطبيعى فانها لا تعنى إلا أنها (رملية — ترابية) .. تكثر فيها الدعوص .. من جنوبها وشمالها .. وذلك يكفى لتعليل التسمية دون أن يضاف إليه ما يؤكده ويؤيده !

إلا أننى ظفرت بنص لغوى آخر .. يقول « الرغامة » ما يطلب ، يقال : لى عند فلان رغامة .

قلت : فلعل المتعاملين من التجار قديما .. كانوا يتخذون من هذا المكان بالذات محلا (للمطالبات) بهذه الرغامات (أو الغرامات) ! فيما بينهم من وكلاء وجلابة وجمالة وكل ذلك مجرد احتمال . ولو قد عثرت على ذلك فى الشعر الجاهلى لما كان له من سبب صحيح إلا اختلاط الرمل بالتراب فيه .. كما هو مشاهد ملموس ، وقديما قال المتنبى :

وما أنا منهم بالعيش فيهم
ولكن معدن الذهب الرغام !

٤٢٩ هس - من فصيح العامة

كثيرا ما ظفرت بكلمات عربية فصيحة .. فى المتداول بين العامة من كبار وصغار .. وأخذنى العجب من سلامتها حتى من التحريف ! قرونا متطاولة ..

ومن ذلك قولهم : هس .. بمعنى اسكت .. أو لا يسمعك أحد ؟! وتنص اللغة على : « هس هسا صوت نفسه .. وهس الكلام اخفاه » وما برحت بمدلولها هذا رائجة فى أدق معانيها .. وليت من تعقبوا (لحن العوام) .. لم يهضموا لهم حقا فى تمسكهم بما تلقوه وتلقنوه .. جيلا بعد جيل ! إلا أن يكونوا يهدفون إلى أن الأصل هو الفصيح الصحيح .. وما عداه .. فواجب الازاحة .. والتنقيح ! وذلك أمثل وأجمل .. و « ما جاء على أصله لا يسأل عنه » ؟!

٤٣٠ (الصرمة) امس واليوم

فى لغة العرب : « الصرمة »[1] القطعة من الأبل والشاه .. وقد اختلف فى تقديرها وهى لا تقل عن العشر ولا تتجاوز الخمسين » .

قلت : وما أعرف كيف .. تحول أو تطور أو تدهور معناها إلى ما يتداوله الناس فى زماننا هذا .. فهى فى عرفهم (الجزمة) ؟! أو (الكندرة) ؟! .. وحتى هذه الجزمة وأختها لا أحسب أنهما تمتان إلى العربية إلا إذا كان ما يسمى بـ « اللابشين » عربى الأصل ؟! فكم

---

١ — « المنهل » : بعد أن أورد القاموس المحيط قوله : والصرمة بالكسرالقطعة من الأبل .. قال : « والصرم — أي بفتح الصاد — الجلد معرب وبالكسر الضرب والجماعة جمعه اصرام واصارم واصاريم ، وصرمان بالضم .. والخف المنعل » .

ومعنى هذا أن (الصرم) مفتوح الصاد هو الخف المنعل .. ولغة من هذا جاءت الكلمة العامية الحجازية : (الصرمة) بمعنى الحذاء المنعل بالذات .

وهكذا تسوقنا ابحاث أستاذنا الجليل أو أستاذ الجيل الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى في روائعة وشذراته كل يوم إلى أفنان شيقة من البحوث الممتعة .. وكم لهذه الشذرات الروائع من عشاق وقراء ومستفيدين .

سمعنا من يقول لصاحبه (ما أعطيك ولا صرمة) ؟! (البعيد) ! فمن أين هى احتلت مكانها هذا بعد أن كانت مما يشر به الآخذ .. ويفخر به المعطى ؟! لا ريب أنها دخيلة من احدى اللغات الأجنبية .. وعظم الله أجرنا فيها بالمدلول القديم .

أما أنها بفتح الصاد أو بضمهاأو بكسرها فهذا ما لم أتحققه من مصادره الأولى ، وعسى أن يكون لها مندوحة بالضم أو بالكسر !

٤٣١ (جيم جدة) و (قاف رؤبة)

كلمة واحدة .. وعلى الأصح .. ضمة ثابتة ! أثارت من البحوث الجادة .. المفيدة ما يملأ صحائف كتاب يصح أن يرجع إليه بما يحتويه من أسانيد كانت وراء السطور ، وفيها فصل الخطاب .. وإزالة كل إشكال ، وهى (جيم جدة .. وأنها بالضم حقا وصدقا) .. وما أرى حرصا فى تداولها على الألسن بعد أن قامت البينات .. وزالت الشبهات .. وأحسن الله إلى « أبى نبيه » بما نبه .. وأرشد .. كما فعل من قبل فى (ياء جيزان) وانها بالالف (جازان) لا بالياء ! ولا محل للجدال فيما نص عليه فحول الرجال .. وحملة العلم فى مختلف الأزمة والأمكنة والأجيال !

وبقى أن أرجو من فضيلة العلامة الجليل صاحب المنهل الأغر أن يحدثنا بإسهاب عن « قاف رؤبة » .. الراجز .. والنكتة الأدبية فى تميزها — ونسبتها إليه .. رغم أن القاف كسائر الحروف مشاعة حتى فى اللغات الأخرى ! التى قد تكون محرومة من الضاد ! فهل لنا أن نظفر بذلك ؟ مع أرجوزته المشهوررة (وقاتم الأعماق) ! انه للجدير بالإجابة إن شاء الله .. لتستبين سبيل المتعقبين ! وشكرا .

٤٣٢ من هو « الباقعـــة »

عن ابن عباس رضى الله عنه : « قال : حدثنى **على بن أبى طالب** قال : لما مر رسول الله ﷺ على قبائل العرب خرج هو **وأبو بكر الصديق** رضى الله عنه وأنا معه فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر إليهم — وكان رجلا نسابة ، فسلم عليهم فردوا عليه ، فقال من القوم ؟ قالوا : من ربيعة ، فقال : من هامتها أم لهازمها ؟ قالوا : من هامتها العظمى ، قال : وأى هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : ذهل الأكبر قال : فمنكم **عوف** الذى يقال فيه (لا حر بوادى **عوف**) ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم **بسطام بن قيس** أبو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم **جساس بن مرة** حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم **الحوفزان** قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم **المزدلف** (صاحب العمامة) ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : فانتم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال : فلستم ذهل الأكبر .. أنتم ذهل الأصغر ، فقام إليه غلام من بنى شيبان قد بقل وجهه يقال له (دغفل) فقال له : ما هذا أنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكذبك شيئا ، فممن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش . فقال : بخ بخ ، أهل الشرف والرئاسة . فمن أى القرشيين أنت ؟ قال : من ولد **تيم بن مرة** . فقال الفتى : امكنت والله الرامى من سواء الثغرة ؟! أمنكم

قصي الذين جمع القبائل من **فهر** ؟ وكان يدعى فى قريش (مجمعا) ؟ قال : لا ، قال : فمنكم **هاشم** الذى هشم الثريد لقومه (ورجال مكة مسنتون عجاف) ؟ قال : لا ، قال : فمنكم **شيبة الحمد عبد المطلب** مطعم طير السماء الذى كان كالقمر يضئ فى الليلة الداجنة الظلماء ؟ قال : لا .. قال : فمن أهل الافاضة بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الحجابة ؟ قال : لا ، قال فمن أهل السقاية أنت ؟ قال لا ، قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال لا قال : فمن أهل الردافة أنت ؟ قال : لا — فاجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعا إلى رسول الله ﷺ فقال الغلام :

صادف در السيل درا يدفعه
يهيضه حينا — وحينا يصدعه

والله لو شئت أخبرتك من أى قريش أنت ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال **علي** : **يا أبا بكر** : (وقعت من الأعرابى على باقعة) .. فقال : أجل **يا أبا حسن** ، ما من طامة الا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالمنطق .

قلت : وكذلك هى النجابة والحذق والذكاء فى أبناء البادية .. وهل فتح الفتوح ومصر الأمصار وجيش الجيوش وساس الممالك إلا هؤلاء من ابناء ربيعة وعدنان وقحطان ؟!

(٤٣٣) عمر — وابن عباس — وأشياخ بدر رضى الله عنهم

« عن **ابن عباس** رضى الله عنه قال : كان **عمر** يدخلنى مع أشياخ بدر فقال بعضهم : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال أنه ممن قد علمتم ! قال : فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم ما رأيته دعانى يومئذ الا ليريهم منى : فقال : ما تقـولون فى ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ حتى ختم السورة ؟ فقال بعضهم : (أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا) .. وقال بعضهم : لا ندرى . ولم يقل شيئا بعضهم .. فقال لى : **يا بن عباس أكذلك تقول** ؟ قلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ ، أعلمه الله له إذا جاء نصر الله والفتح ، فتح مكة فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا : قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تعلم » .

قلت : وكذلك العلم وفضله وتمييزه — لا فرق فى ذلك بين شيخ وفتى .. وإنما هى الحجة الناصعة .. والأفق الواسع والتضلع فى المعرفة .. والاحاطة بأسرار وأسباب النزول وما للسن فى ذلك من أثر ولا تأثير ..

(٤٣٤) آفـاق السـماء

قال **الفرزدق** : فى القرن الهجرى الأول :

أخذنا بافاق السماء عليكم
لنا (قمراها) — والنجوم الطوالع !

قلت : لله دره — وهو يرنم بهذا البيت الخالد — وكأنما هو ينظر إلى عصرنا هذا عصر الفضاء ورواده . ويتنبأ — قبل ألف ومائتى عام — بما لم تصدقه الظنون والمدارك والعقول ، منذ هبط آدم وحواء إلى الأرض !

هذا — وهو لم يتجاوز محيطه العربى — فماذا كان يقول لو أنه عاش فى زماننا هذا ؟! وقد احتكر آفاق السماء وشمسها وقمرها ونجومها ..

ببصره المحيط وشعره البسيط ! إلا أن للعرب لطموحا .. إلى كل ما يعتزون به ويفتخرون .. وانه لبالغ بهم بعون الله ثم بجهادهم وتداركهم ما فات وانطلاقهم إلى الاماد القصوى ـــ أقصى الغايات ـــ ما داموا قد اهتدوا بشريعتهم المطهرة المبشرة . وحافظوا على أخلاقهم المتخيرة وما ذلك على الله بعزيز .

وبهذه المناسبة نضيف إلى **الفرزدق** ، **عمرو بن كلثوم** .. وبيته المعلوم :

ملانا البر حتى ضاق عنا
ونحن البحر نملؤه سفينا

ان علينا أن نصدق الشاعرين ـــ ونحقق ما ادعياه ـــ بما أتانا الله من أسباب النعمة والمعرفة والعراء ! و (إنما العزة للكاثر) !

٤٣٥ (الشوف) هو الاستجلاء

شفتك ـــ وشفته ـــ بمعنى رأيتك ورأيته .. كلمة دارجة متداولة بين جميع الطبقات .. وهي على ما أذكر لم ترد في الأدب القديم (شعرا) و (نثرا) .. غير أنها صحيحة لفظا ومعنى : فهي « شافه ـــ يشوفه ـــ شوفا » أي صقله وجلاه !

وعلى هذا ـــ فاني أرى أن الشوف أبلغ من النظر المجرد ما دام مقترنا بالصقل والاستجلاء ... ونسأله تعالى أن يكون ذلك فيما تقر به العيون ولا تقذى وترتاح إليه القلوب وتتغذى !

٤٣٦ (حاتم طيء) وجاراته

من قصيدة **لحاتم طيء** ـــ وهو جاهلي ـــ قوله :

وما ضر (جارا) يا ابنة القوم فاعلمي
يجاورني ؟ الا يكون له ستر !
بعيني عن جارات قومي غفلة
وفي السمع مني عن حديثهم وقر !

قلت : تلك هي شيمة العربي ـــ ومروءته .. وعفافه .. وذلك قبل أن ينزل الوحي الإلهي .. ويتمم الله برسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه مكارم الأخلاق ! فهل من مدكر ؟ اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .. واغننا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا .

٤٣٧ التراث العربي

نشرت مجلة « هنا الكويت » الاذاعية مقالا بقلم الاستاذ عبد الهادي جرار تحت عنوانه « مراجعة ودراسة كتاب أي غد » وهو الذي أصدره حديثا أحد أعلام الفكر العربي المعاصرين الدكتور « قسطنطين زريق » وقد جاء فيه ما نصه :

« ويحبذ المؤلف أن يستعين العرب وهم يبنون مجتمعهم الجديد بالثقافة الغربية فيأخذون منها بقدر ما يتناسب وحاجاتهم ! وهو ينادي بوجوب الحفاظ على « التراث العربي » الخير الكريم (الهادي) فهو مصدر (وحيهم) وباعث مجدهم فيصلون بهذا ماضيهم المشرق بحاضرهم الناهض وبمستقبلهم المنير » .

قلت : وهذه (وصية) عالم خبير عاش حياته كلها فى محض التجارب واستخلاص (الزبد) واستقراء كل ما هو غث أو سمين ، ورخيص أو ثمين .. وكانت نتيجة ثقافاته الطويلة العريضة . هذه الكلمة الجامعة .. وهى على إيجازها تنير السبيل أمام الجيل الصاعد .. فما ثم اعراض إلا عن السوء ولا اقبال الا على كل ما هو نافع ومفيد من قديم أو جديد ! وحسبنا قوله تعالى : ﴿ **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ .

٤٣٨ التفاضل بين المتقدم والمتأخر

قال **أبو على الحسن بن رشيق القيروانى** المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ـــ فى كتابه (العمدة) وهو من أمهات كتب الأدب العربى :

« والمتأخر من الشعراء من الزمان لا يضره تأخره إذا أجاد ، كما لا ينفع المتقدم تقدمه إذا قصر ، وان كان له فضل السبق فعليه درك التقصير ، كما أن للمتأخر فضل الاجادة أو الزيادة » .

قلت : كذلك هو الانصاف من أهله .. وما أكثر ما تجنى المحدثون على القدامى ، وكالوا لهم النقد جزافا ـــ ولما يتبطنوا ما درنوا ، ويستظهروا ما فتنوا ! وهذا هو الميزان العدل ، والحكم الفصل فى التفاضل بين القديم والحديث .. والسابق واللاحق مع اعتبارات شتى لها قيمتها وأثرها العظيمان فى عصرين متفاوتين ـــ وبيئتين متباعدتين ﴿ **وما يستوى الأعمى والبصير .. ولا الظلمات ولا النور .. ولا الظل ولا الحرور** ﴾ و « **الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها** » وكذلك الشعر الرصين والنسج المتين .. وكم ترك الأول للآخر وإنما هى المواهب والمنح ، و ﴿ **أن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ !

٤٣٩ رب الجن والعفاريت

قص **أبو الفرج ابن الجوزى** فى كتابه (الحمقى والمغفلين) .. قصة عن **ابن عمر** رضى الله عنه أنه كان يمازح جارة له ـــ واظن انها (جارية) فيقول لها : خلقنى رب الكرام ، وخلقك رب اللئام .. فتغضب وتصيح وتبكى ويضحك **ابن عمر** .

قلت : وقد أدركت جدتى أم أبى .. قبل نحو من ٦٠ سنة وأنا طفل صغير .. وهى فى دور الهرم .. إذا عطست بادرها والدى رحمه الله بالتشميت .. فيقول : يرحمك رب الجن والعفاريت ! فتقف قافزة .. ساخطة .. وكأنما لحقها من قوله ما يمسها وتجأر بالتعوذ .. والتحصين .. وكأنما صوتها الآن فى أذنى : ليش يا ابراهيم .. أنا عدوتك ليش .. الله يصلحك ويهديك) .. وهو بدوره يقهقه .. ويأخذ فى اقناعها بصحة ما قال ، وأنه للمزاح البرىء .. وله أصل فى السنة الشريفة .. بالمرأة التى قال لها صلوات الله وسلامه عليه : « أحملك على ولد الناقة » ! وليس هذا الا من السذاجة والبساطة وسلامة القلب .. أما اليوم فأظنه قد انعدم .. أو تقلص !

٤٤٠ السادس الشقى ؟ !

فى (اخبار الظراف) ، قال **المدائنى** : كان **المطلب بن محمد** ولى قضاء مكة وقد كان عند امرأة قد مات عنها أربعة أزواج ! فمرض مرض

الموت فجلست عند رأسه تبكى وقالت ، إلى من توصى بى ؟ قال : وإلى السادس الشقى !

قلت : ومهما علمنا وتيقنا أن الموت والعبادة والحياة بيد الله .. ولا دخل لمخلوق فى محتوم من الرزق والأجل ، فإن الطبائع البشرية لا تخلو من الضعف .. ويداخلها الاهتزاز والانكماش فى حالة كهذه ! رغم أنه لا تملك المرأة .. فى تلك صرفا ولا عدلا .. وإنما هى المصادفات والأقدار **وما يوقاها إلا الذين صبروا .. وعلى ربهم يتوكلون** .

٤٤١ أولية تغرية الظروف

ذكر **الخطيب البغدادى** المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه « التطفيل » : أن طفيليا جاء إلى عريس فمنع من الدخول ، وكان يعرف أن أخا للعروس غائب ، فذهب فأخذ ورقة كاغد وطواها و « سحاها » وختمها .. وليس فى بطنها شىء ... وجعل العنوان : (من الأخ إلى العروس) ! وجاء .. فقال : معى كتاب من أخى العروس إليها فأذن له فدخل .. ودفع اليها الكتاب .. فقالوا : ما رأينا مثل هذا العنوان ! ليس عليه اسم أحد ، فقال : وأعجب من هذا أنه ليس فى بطن الكتاب ولا حرف واحد لأنه كان مستعجلا ! فضحكوا منه وعرفوا أنه احتال لدخوله فقبلوه » ، وعقب الشارح على كلمة « وسحاه » فهى : أى لف عليها بعد طيها قصاصه من الورق كالسير فى عرض رأس الخنصر ثم لصق رأسها وهى السحاءة) .

قلت : ومع ما فى الحكاية من الفكاهة اللطيفة فقد دلتنا على أن هذا هو بداية اتخاذ الظروف (المغراة) .. وربما كان قبله بأمد بعيد .. والحاجة أم الاختراع وأحسب أنها تطورت مع الزمن والحضارة حتى أصبحت فى شكلها الراهن .. وهى مع ذلك عرضة للتطوير .. بحسب الامزجة .. والأذواق .. ومقتضيات الزمان والمكان .

٤٤٢ خطورة سائغة

من الكلمات المتصلة ، ما إذا أمعنت فى ألفاظها .. وفصلتها إلى كلمتين وجدتها قابلة — دون زيادة أو نقص فى التركيب أو الترتيب — لأن تؤدى (عفوا) ما تدل عليه — روحا ومعنى — وإذا شئت أيها القارىء الكريم مثلا على فاليكه فى بيتين قصيرين قلت : اعترافا وتقديرا ، وأطرافا وتفكيها :

انه « المنهل » يروى من ظمأ ولمن يطعمه : « المن » هل ؟!
هو لفظ واحد .. متصل فإذا ثنيته .. اشترت العسل[1]

ولست أعدم من يمط شفته .. استسخافا لهذه المحاولات العتيقة ! ولكنها « الفطرة » أو (الأمية) ! و « كل إناء بالذى فيه ينضح » !

٤٤٣ استنى — أو — استنى

يقول هذه الكلمة لصاحبه أو محدثه أو خادمه .. من يريد أن يطلب منه الانتظار .. وهى صحيحة فصيحة . إلا أنها تحولت مع الزمن أو دخلها التحريف ... فهى فى أصلها (استان) من

١ — المن مصدر ، كل ما ينعم به ، وهو (مائية) تنعقد على بعض الاشجار عسلاًوتجف جفاف الصمغ !

الاناة .. وكان ينبغى أن تكون (تان) .. ولها أخوات كثيرات أصبن بداء التحريف .. ولا يخفين على ما يتبصر ! ولا يصح أن تستعمل كما هى الآن كقولهم .. (استناك) بمعنى .. انتظرك .. فهى فى الأولى سليمة وفى الأخرى سقيمة .. ولا حيلة فى التداول والاستمرار وإنما هو تثبت واستبصار !

٤٤٤ الله يخليك

وهذه الجملة تتردد على الأفواه والشفاه آلاف المرات يوميا .. وهى محرفة أيضا فهى بدون تشديد اللام صحيحة .. بمعنى الدعاء للمخاطب بأن يخليه الله جل وعلا من كل ما يكره وما لا يحب .. ومن المؤاخذات والذنوب والاقترافات .. أما إذا مضت على التشديد .. فهى على ما يظهر دعا عليه لا له .. لأنها تكون من الترك والاهمال والتخلية .. والبراءة ! ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

٤٤٥ احرام الكعبة

كنا — فى عهد الطفولة — نسمع الناس يقولون يوم التروية : (احرمت الكعبة) .. وهم يعنون أنها عريت من الكسوة .. القديمة وعلق فى حائطها الأعلى ثوبها الجديد .. ووضع فى محيطها الأدنى ستار من (البفتة) الناصعة البياض .. وكان ذلك لحكمة يجهلها الصغار .. وأكثر الكبار ! وهى أن لا يمزق الثوب الجديد بأيدى المتمسكين والمتبركين ! وفى تاريخ **الطبرى** المكى : « عن ابن خديج قال : كانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر الحاج .. حتى كانت (بنو هاشم) فكانوا يعلقون عليها (القميص) يوم التروية من الديباج .. لأن يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا .. فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها (الازار) ، وعن الأزرق قال : حدثنا جدى قال : كانت الكعبة تكسى فى كل سنة كسوتين — كسوة ديباج ، وكسوة قباطى ، فأما الديباج فتكساه يوم التروية فيعلق القميص .. ويدلى — ولا يخاط فإذا صدر الناس من (منى) خيط (القميص) .. وترك الازار حتى يذهب الحاج لئلا يخرقوه .. فإذا كان يوم عاشوراء علق عليها الازار فوصل بالقميص فلا تزال هذه الكسوة (بضم الكاف « كضم جيم جدة » ويصح فى الكسوة الكسر !) الديباج حتى يوم سبع وعشرين من رمضان تكسى (القباطى) للفطر » اهـ

قلت : والذى عليه العمل الآن هو الكسوة بأكملها قميصا وازارا مرة واحدة .. مع التعليق لها يوم التروية .. واسدالها يوم الافاضة .. مع التحفظ بمقدار ذراعين أو ثلاثة من أسفلها اتقاء التخريق والتمزيق من الايدى ، فذلك هو ما كان يسمى (باحرام الكعبة) .. فى أذهان العامة أو الصغار .

٤٤٦ لا آجرك الله

« عن **عائشة** رضى الله عنهاوقد دخلت عليها مولاة لها فقالت : يا أم المؤمنين بالبيت طفت سبعا واستلمت الركن مرتين أو ثلاثا .. فقالت **عائشة** : لا آجرك الله ! تدافعين الرجال ! الا كبرت ومررت ، اخرجه الشافعى » اهـ

قلت : ليت النساء يقرأن هذا ويعرفن سره ! وانها لمولاة وأنكرت عليها أم المؤمنين ؟! وكانت

فى حجابها لا تبين ، وليس لها من دواعى الاغراء ما يشين أو يزين ، ومع ذلك قرعتها وفجأتها بالدعاء بأن لا يؤجرها الله . وهى ما هى سذاجة وطهارة .. ونية صالحة .. وكيف بهن يحاذرن ما ينكر ويأتمرن بما يعرف .. ما لم يحطن به علما .. فى الدراسات .. والاذاعات ؟! وهو مانطمع أن يتوفر لهن صباح مساء فإنهن حريصات على الاتباع .. وحريات أن لا يقترفن الابتداع .. ما تلقن الخير من مصادره الأولى !

٤٤٧ فرق مابين المشي والسعي

« عن **عائشة** رضى الله عنها — وقد رأت نساء يسعين — أى بين الصفا والمروة — قالت : أما لكن فينا أسوة ؟ ليس عليكن سعى والمراد أنهن يمشين ولا يسعين .. إذ لا خلاف فى وجوب السعى عليهن » اهـ

قلت : وهنا يتبين الفرق بالقرينة ما بين المشى والسعى .. خصوصا وأن السعى يشتمل على أشواط يستحب فيها الرمل والاصطباع .. والاسراع ! وما ذلك من شأن بنات حواء ! واللائق بهن .. الريث والستر .. والهدوء .. وما هن ممن يعنيهن هذا الرمز من إظهار القوة .. والفتوة ! فذلك من شأن الرجال دون النساء !

٤٤٨ « الصرورة » لا « الصرارة »

أدركنا الناس — أيام كانت « الركوب »[1] تتوجه إلى الزيارة فى الرجبيات بأعداد ضخمة تجمع بين الخواص والعوام .. وهم يمتطون الخيل والبغال والحمير .. والنوق .. والجمال .. يقدمون بين أيديهم وأمامهم عددا من الأطفال أو الفتيان .. فى ثياب فاخرة .. (مفضخة) .. ومزركشة وهم يعتلون صهوات الجياد المطهمة وأمامها (الطاسة . والزير) .. وهى طبل أجوف كبير . ونقرزان .. لهما إيقاع قوى يهز المشاعر .. ولا ينال هذه المنزلة .. وهذا التقديم والايثار والاكبار .. الا من كانت زيارته الأولى .. ويطلقون عليه أنه (الصرارة) ! وقد ظهر بالتعقيب أنه « الصرورة[2] » لا الصرارة ، فقد روى عن **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه أنه قال .. « حجة أحجها وأنا صرورة أحب من ست غزوات أو سبع غزوات .. (أخرجه **أبو ذر**) و « الصرورة الذى لم يحج » .. وهى لغة ماتزال تصدق على من زار أو حج للمرة الأولى كبيرا كان أو صغيرا ذكر أو أنثى .. من غير زفة ولا لفة ! ولا طاسة ولا زير !

---

١ — « المنهل » : الركوب هنا جمع ركب .. وهو عبارة عن طائفة من المواطنين يتفقون فيما بينهم سنويا فى وقت مخصوص . لان يزوروا السجد النبوى من مكة مجتمين ، منهم الراكبون على أبل أو خيل أو حمير أو بغال كما وصفه أستاذنا الجليل هنا .. وكانت لهم تقاليدهم وترتيباتهم المنظمة التى تبرز فيها القوة الجماعية والتماسك الوطنى ولا تزال بقيـة من هذه التقاليد على انها سائرة إلى الزوال كما يبدو .

٢ — وفى هذا يقول نابغة بنى ذبيان :

لو انها عرضت لاشمط راهب
عبـــد الآله صرورة متعبـــد

٤٤٩ زقاق «الطبرى» بمكة المكرمة

ما يزال هذا الزقاق بمكة مشهورا حتى يومنا هذا بهذه الاضافة .. وهو على يسار الصاعد من «المدعى» إلى مقراة «الفاتحة» .. قبل ملتقى زقاق (الراقوبة — زقاق (المجزرة) سابقا وهو الذى تحول إلى عمارة جديدة .. وقامت فيها المعارض الحديثة وسمى بشارع (سمو الأمير عبد الله الفيصل) .

ولقد سمعت من كبار المسنين ومن علماء المسجد الحرام منذ خمسين سنة وأثناء الطلب أن (آل الطبرى) .. كانوا أئمة وخطباء وقضاة وعلماء .. وأنه فى يوم عيد الفطر .. يخرج منهم من الزقاق المعروف بسكناهم (آنفا) أربعون طيلسانا و «مدرجا» .. أما الطيلسان فانه (الفرجية) .. ذات الأكمام الواسعة .. ولا يرتديها إلا رجال العلم إلى عهدنا الأخير .. حتى أنها لتكاد يدخل فيها ، ويتوارى بها بين الكف والساعد — طفل كبير ! وأما (المدرج) فهو عبارة عن (عمامة) ذات (عذبة) طويلة تنسدل على الظهر ما بين الأكتاف .. بما يقارب الذراع أو أزيد .. وهو ما لا يجوز لبسه لغير الخطباء والائمة !

وهم بقولهم هذا يعنون أن هذه الاسرة (التى انفرضت كليا فى زماننا هذا والبقاء السرمدى للواحد الأحد) .. تكاثر عددها ومددها .. حتى بلغ من النمو والبركة هذا المقدار .. كلهم أهل علم ومعرفة وأدب وتقوى وقد شغلوا مناصب القضاء والإمامة والخطابة أكثر من أربعة قرون متوالية

ومنهم صاحب التاريخ المعروف : (القرى — لقاصد أم القرى) .. **الحافظ أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر محب الدين الطبرى** ثم المكى المولود سنة ٦١٦ — والمتوفى سنة ٦٧٤هـ .

ولئن كان زقاقهم هذا ما يزال معروفا بهم بعد انقراضهم فما لأخلافهم من بقية ، — إلا أن يكونوا أصهارا أو من أبناء البطون .

ولم تكن أسرة **الطبريين** مشهورة بالفضل والعلم والورع والتقوى فى رجالها فحسب ! و «كان من نسائها من سمعن الحديث وأسمعنه .. ومن تسابق كبار الحفاظ إلى الأخذ عنهن ، منهن الأختان الأصيلتان : (**أم الحسن**) **فاطمة** ، و (**أم محمد علماء**) ابنتا الامام أبى اليمن **محمد بن أحمد ابن ابراهيم الطبرى** . قرأ عليهما الحديث بمنزلهما (بالسويقة) بمكة الامام الحافظ **محمد بن محمد بن فهد الهاشمى المكى** ! والاختان **الفاطمتان أم الحسن ، وأم الحسين ابنتا الامام أحمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الطبرى** » اهـ .

وبهذه المناسبة — اتذكر اننى يوم وقفت على دفن والدى رحمه الله «بشعبة النور» بمقبرة (المعلاة) بمكة المكرمة .. فى يوم ٦ صفر سنة ١٣٤٦ أى قبل نحو من أربعين سنة خلت .. لحظت .. (شاهدا) مطمورا حول القبر .. فبحثت التراب العالق به فإذا به مكتوب بخط جميل ممتاز ، أن (هذا قبر فلانة ...) وقد نسيت اسمها ، بنت فلان الطبرى قاضى مكة المكرمة وقد توفيت مأسوفا على شبابها فى مقتبل العمر .. وفى آخر ذلك التاريخ الذى دفنت فيه وهو أواخر القرن السادس الهجرى ! باليوم والشهر والعام .

وما أزال أرى أنه يوجد كثير من هذه الشواهد المدفونة أو البارزة وهو ما يعتبر ذخيرة كبرى للاستعانة بها على الاستفادة (الاثرية) و (الخطية) .. على الأقل .. وأن المحافظة عليها لازمة .. وهى مما يعد ولا يحصى .. فى محيط المدافن العامة والخاصة بالمعلاة .. وبها تتميز الخطوط وتختلف أشكالها وأوضاعها وعصورها .. ومنها ما هو بالكوفى .. وما هو بالثلث .. وما هو بالديوانى .. وما خلا كل شاهد من تاريخه .. بالاضافة إلى ما يستنتج من ذلك من معرفة (المدى الفنى) الذى بلغه النقاشون والخطاطون والرسامون فى تلك القرون الطويلة الفارطة .

وانه لمن الضياع .. أن يهمل جمعها وحفظها . ما دامت عرضة .. للتكسير . أو الانطمار .. إلا النادر القليل الباق فى مواضعه من المقابر .

وما قصدت بهذا الحديث .. مجرد الرواية .. وإنما أردت التذكير بمن كان دأبهم (العلم والتعليم) فى هذا البلد الأمين وكثير ما هم ! وبهذه الفواطم والعوائق .. والعواتك .. من ربات الحجال .. اللواتى .. أخذ عنهن علماء الآفاق بالاجازة فى علوم الدين .. واليقين !

وبودى لو استطاع المشتغلون منا بالتاريخ والتراجم أن يحيطوا بهن .. منذ صدر الاسلام .. حتى الآن .. ممن أظلتهن سماء مكة وأقلتهن بطاحها .. فهن أكثر من أن يحصين الابالاستقراء ففى ذلك نفع كبير ووصل لما انقطع ، وبر بمن سبق ، وحفز لمن التحق ، وعون على التخصص من فريق من المثقفات المعاصرات فى العلوم الدينية .. لينفرن إلى تبصير أخواتهن ، فى الحواضر والبوادى .. بأمور دينهن وما يأخذ بأيديهن إلى سبيل الفوز والنجاة .. فإن الحاجة إلى هذا أصبحت ملحة جدا بعد أن ضعف الوازع الدينى وأطبقت المغريات والريب من كل صوب وحدب .. وما تزال الاذاعات الدينية والفقهية والخلقية .. وكل ما يتصل بالمرأة ، أُماً وزوجة وطلبة — رائجة مستحبة فى جميع المنازل والمناهل .. وهن إلى هذه (الدروس) أشد حاجة منهن إلى الغذاء والكساء .. والهواء والماء .. لأنها تذكير بالله .. وآياته .. وهدى نبوى لابد منه .. رجعا وصدعا ! وزجرا وردعا ! وتدبير وتخطيط . لقمع كل تهور وكل تخطيط ! وهنا لا بد من التنويه بأن (تعليم البنات) .. كان موجودا .. وفى نطاق محدود ، وهو فى شموله وعموميته الآن .. بشير خير وتقويم وتهذيب ما اقترن بالعقائد الصحيحة الإسلامية والأخلاق القومية العربية قبل كل شيء ! والله يتولى الصالحين .

٤٥٠ فى عيد الفطر

فى يوم مطير على مكة المكرمة كان فى أخريات شهر رمضان المبارك ١٣٨٥هـ لاحظ الشاعر المرهف الاحساس الرائع العبارات الجزل التراكيب فى شعره ونثره .. الأستاذ الكبير الشيخ **أحمد بن ابراهيم الغزاوى** أمتعه الله بطول حياته فى صحة موفورة وهناء مديد — لاحظ ظاهرة اجتماعية نشأت عن ظاهرة المطر السحاح فى أيام متواليات عاقت الباعة فى أخريات الشهر المبارك عن بيع سلعهم المكدسة حتى تنفد قبل العيد حسب ما كانوا يأملون ويألفون .

وبهذة المناسبة فاضت قريحة شاعرنا الكبير فى يوم عيد الفطر بهذه الأبيات المشرقة البيان الممتلئة بروح الايمان .

ما كان يأمرنا النبى « محمد »
إلا بسنتـه ــ وبالتنزيـل
(صوموا) لرؤيته ــ جميعا ــ وافطروا
واستبرءوا ان (غم) بالتكميل
واليوم (عيد الفطر) يعلو رجعه
بالحمد ــ والتكبير ــ والتهليل
وبه قلوب المؤمنين استبشرت
وتصافحت بالحب والتقبيل

٤٥١ ريطة بن أبي ربيعة في المطر

قال عمر بن أبى ربيعة فى ليلة غمره فيها المطر :

صرمت حبلك (البغوم) ، وصدت
عنك فى غير ريبة اسماء
والغوانى إذا رأينك (كهلا)
كان فيهن عن هواك التواء
ولقد قلت (ليلة الجزل) لما
اخضلت ريطتى على السماء
ليت شعرى ! وهل يردن ليت
هل لهذا عند الرباب جزاء ؟!

قال الشارح : الجزل موضع قرب مكة .. ولعله ما يزال بهذا الاسم يعرفه به أهله ؟! وليتنا نعرفه ؟! والريطة ملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة . قلت : ولعلها هى هذه التى يستعملها أهل عصرنا لاتقاء المطر عند نزوله .. أثناء تجولهم أو اضطرارهم إلى الخروج .. أو ترقبهم لنزول الغيث ! بدليل أنها قطعة واحدة ولعلها من قماش (سميك) يدرأ عنه البلل أن يصيبه ! .. وأتذكر أن من أسماء النساء فيما مر بى (ريطة) .. بفتح الراء وسكون الياء وهو فى موقفه هذا وان لبس (الريطة) .. فقد توحل فى « الريطة » ! دون ثواب !

٤٥٢ بين الأصيل والدخيل في الألحان

تدعو المناسبة الظرفية .. مع التطرف أيضا ! إلى إيراد هذه القصة وقد حدثت بمكة المكرمة قبل أكثر من ٤٠ عاما .. وكنت أحد شهودها .. إبان الصابا وعنفوان الشباب :

فقد دعا المرحوم الشيخ **حسين باسلامة** ــ صاحب كتاب (سيد العرب) بعض اعلام المغنين الوافدين أيام الموسم من القطر المصرى الشقيق إلى داره بحارة الباب إلى العشاء .. ودعا معهم أشهر وأكبر الفنانين فى حينه ــ صاحب الصوت الحنون ، واللحن الفتون ! المرحوم الشيخ **صالح الحلوانى** وكان بين معاصريه لا يشق له غبار فى (المجسات) ! تنطلق من حنجرته .. كأنما هى ترجيع الأوتار .. ويسمع ذلك منه فى هدوء وسكون وأدب ووقار من المصغين إليه .. ولا يملك أحد منهم مهما علا شأنه .. أن يشوش عليه المجلس .. بكلمة معترضة أو نأمة من حديث ولو بين اثنين ما دام يغنى .. احتشاما له ولفنه الأخاذ .. وقدرته الفنية الحجازية .. المحضة ذات الأصول الثابتة ، والفروع السامقة !

وبعد أن تناولوا القهوة .. والعشاء .. وأخذوا فى السمر والمفاكهات .. طلب المضيف من ضيوفه أن يرفهوا الحضور بمقطوعات أو أصوات .. من مواهبهم التى عرفوا بتفردهم بها فى بلادهم وغيرها ايضا .. فقال المصريون منهم :

نريد أن نستمتع أولا ببعض ما يحسنه الشيخ الحلوانى (المكى) وكان من تفوقه وتقدمه فى فن السماع يظن أن يبهرهم بما يحكى أو يقلد من انغامهم — ولهجاتهم .. وصبواتهم .. وصهباتهم .. وبدأ يتدرج فى ذلك كما لو كان فنانا مصريا بحتا .. فما زاد سامعوه من الفنانين على كلمات المجاملة .. الباردة .. مع كثير من الضجر .. والاستغراب حتى إذا أعياهم الصبر ونفد منهم الاحتمال قالوا : يا أيها الرجل الكريم اننا لا نجادلك فى صوتك الجميل .. ولكننا ننصحك أن لا تتجاوز حدود ما تحسن من ألحان بلادك التى نتمنى أن نحظى بها الآن ! وأن نجد بها النشوة الغامرة كفن ذى كيان مستقل .. يختص به هذا (الوادى) وأهله .. دون سواهم .. فأما أن تحاول تقليدنا .. فما لذلك رجونا .. ولا إليه صبونا .. ولك علينا أن نسمعك من فننا الخاص ببلادنا ما لا تطيق الاحسان فيه مهما قمت أو قعدت ! ولم يجد مناصا من الرضوخ والانقياد .. فأخذ يسمعهم من (حجازياته) .. واغاريده .. ومحاديره .. وداناته .. ولياليه .. وطرائفه ما استهواهم به واستزادوه منه .. أكثر من ساعتين .. وهو به حفيون .. واليه شاخصون .. وقد غمرهم الاعجاب به والتقدير .. فى حدود ماهو من ألحان مكة .. أو الحجاز .. وما أخذه عن أسلافه من أهل الغناء .. معنعنا إلى (طويس) و (معبد) .. و (الغريض) و (ابن محرز) و (ابن مسجح) .. ومن اليهم من الأفذاذ .. العباقرة ومن حمل عنهم أو أدى رسالتهم !

ولقد مزجوا بين ما تلقوه صناعة فى رحلاتهم إلى العراق والشام وغيرهما من الامصار وبين ما حذقوه فطرة .. وحافظوا على ما هو الأصل الراسخ فى دمهم وأعصابهم وما توحى به حياتهم وبيئاتهم قبل كل شيء .. ولم يأخذوا إلا الأحسن وصدفوا عن كل ما يتحول به فنهم إلى التنكير ! ولحنهم إلى التنفير !

ثم سكت (الحلوانى) .. وقال : أكرمونا أكرمكم الله بما لديكم .. فبدأ أولهم ، وثنى الثانى كل بشدوه وشجوه وأسلوبه وسببه الموصول .. فأطربوا .. وأحسنوا ما شاء لهم الإحسان والاتقان .. دون أن يشرقوا أو يغربوا ! وإنما هم مصريون .. « أقحاح » ! وكأن على رؤوسهم الطير .. فلا ضجة ولا لجة ! الا ما يتردد من كلمات التطييب .. والاستعادة .. حتى انتصف الليل .. واذن الانصراف فكانت ليلة ما يزال صداها عالقا بقلوب من حضرها .. واشترك فيها من ذوى الاحساسيس المرهفة .. والأذواق السليمة .. وكم لها من أمثله يعبق بها الاريج وتكاد تنطق بها الجنبات .. والمتنزهات .. ما بين (الزاهر) وحدائق الحريق .. وما بين (مرج) و (شبرى) والعقيق !

ولقد حملنى على ذكر هذه الحكاية .. ما غلب فى عصرنا هذا من التقليد الذى يضطرب به المجال الفنى .. وتقلق به مضاجع المهتمين به .. من المخضرمين الذين يلذ لهم أن يستمعوا إلى ما يصدر من صميم أفئدتهم وقرارات نفوسهم دون تكليف .. ويتجاوب مع مشاعرهم ولو كان (حداءا) بدويا ابليا ! أو (مجرورا .. طائفيا) ويؤثرون ذلك على كل ما عداه من هذه (المحدثات) ! التى لا يجدون لها من صدى غير الاكتئاب والانكبات والامتعاض ويحوقلون ويسترجعون على ما مضى مما أدركوه من سجع البلابل .. وشدو العنادل .. فى كثير من الأسف

والافتقاد والالم ! لما ضاع جله .. من التراث المتوارث .. مما هو آثر وأجمل وأشجى من كل مستورد .. ومستثقل وممجوج ، ومن كل ما هو ملائم لامزجة يأجوج ومأجوج .. ناهيك بالرعيل الأول من الطبقة الممتازة .. وتأثيرها القاهر الباهر إذا انطلق أحدهم بالترجيع المؤثر .. بما يسمى « المجس » ! وكأنما كان صاحب التسمية .. من كبار نطس الأطباء .. فاعتبره كمجس النبض .. يلمس به أثر الصوت فى الغضب والنفس والروح والبدن ، لا سيما إذا تردد بالمعنى .. السرى العفيف .. والشعر السوى اللطيف .. وإذا اعاد وأبدى فى ترجيعه بمثل هذين البيتين :

وانى لأرضى من (بثينة) بالدنى
لو أبصره الواشى لقرت بلابله
وبالنظرة العجلى ! وبالحول تنقضى
أواخره — لا نلتقى — وأوائله

أو بقول الشاعر :

بنفسى من لو مر برد بنانه
على كبدى .. كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل شىء وهبته
فلا هو يعطينى — ولا أنا سائله

أو بقول مهيار الديلمى :

سل طريق العيش من وادى الغضا
كيف اغسقت لنا راد الضحى ؟!
الشىء غير ما جيراننـــــا
نفضوا (نجدا ، وحلوا الا بطحا)
يا نسيم الصبح من كاظمـــة
شد ما هجت الجوى والبرحا
الصبا — إن كان لابد الصبا
انها كانت لقلبى .. أروحـــا !!
يا نداماى (بسلع) ، هل أرى ؟
ذلك المغبـــق والمصطبحـــا
اذكرونـــا ذكرنـــا عهـــدكم
رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبا اذا غنى بكم
شرب الدمع ، وعاف القدحا !

أو بقول الآخر :

رأت قمر السمـــاء فذكرتنـــى
ليـــالى وصلهـــا — بالرقمـــتين —
كلانـــا ناظر قمـــرا — ولكـــن
رأيت بعـــينها — ورأت بعينـــى

إلى غير ذلك من الشعر الرقيق الوصفى الرائع .. للمشاهد الكونية .. والمناجاة الغزلية .. والابتهالات التعبدية .. فى روح عربية خالصة !

وانه لمن الانصاف أن لا نبخس البعض حقه من الثناء والتقدير فهنالك منهم (المحافظون) الذين لم يصرفهم عن الاصول .. المعهودة هذا الوباء .. الذى أخذ يعصف بكل ما هو مألوف . ومعروف . ويقذف بما لم تسايره غير التصدية الكفوف ، ولو أن جيلنا الصاعد أدرك أكثرهم ما كان — للفن — الغنائى عندنا .. فى أدواره الذهبية .. خاصة منها ما كان شعبيا محضا (كالدانات اليمانية) ذات الوقع المطرب المعجب .. المناسق .. والتأثير العميق المتوافق ! اذن لما اتخذوا لها بديلا .. بكل ما دندن به الصادح والباغم . والخشن والناعم . ولنا أمل وطيد أن لا يجرفنا التيار . مع تعاقب الليل والنهار . فنصبح كالمنبت الذى لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى ، ورعى الله ما أفاء إلى ما هو خير من كل ما يسر ويبهج . وييسر ولا يحرج . وما استطاعت (أم كلثوم) وهى كوكب الشرق

اللامع ــ ولا **محمد عبد الوهاب** .. وهو من هو فى ماضيه اللامع أن يرق كل منهما إلى الذروة لولا ركائزهما ورصائدهما من التراث القويم . وان هما تأبطا التطوير الحديث ولم يتذكرا للالهام القديم .

(٤٥٣) وأنت مثل ابن عوف

دخل **خالد بن الوليد على عمر بن الخطاب** ، وعلى **خالد قميص حرير** .. فقال له **عمر** : « ما هذا يا خالد ؟ » . قال : وما بأسه يا أمير المؤمنين ؟ أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف ؟ قال عمر : « وأنت مثل ابن عوف ؟ ولك من المال ما لابن عوف ؟ ثم التفت إلى جماعته وقال : « عزمت على من فى البيت الا أخذ كل واحد منهم طائفة منه مما يليه ! » فمزقوه حتى لم يبق على خالد منه شيء . اهـ (نزهة الالباء) .

قلت : ما أجدر هذه الطريقة بالاتباع .. فى زماننا هذا .. فقد تناسى الناس ما للفوارق بينهم من أثر عظيم .. فى الاقتناء والمعاش والأثاث والرياش .. واللباس والطعام .. وأخذ محدودو الدخل يحاكون من فوقهم .. حتى أرهقهم الكدح .. والشطح ... وتحملوا ما لا يطيقون .. تقليدا .. دون استبصار ! ومجاوزة للمدى الذى لا يشتط بهم الغلو فيه حتى فى المواسم والأعياد .. والولائم والأفراح .. والمآتم والاتراح ! وقديما قال الاخيار من سلفنا الصالح .. ما معناه : أن الانسان ينافس غيره ويكاثره فى الطاعات والقربات ، وأما فيما عدى ذلك من الزخرف والآنية والمتاع .. فعلى قدر ما تسمح به موارده .. ولا تضيق به مصادره .. دون اسراف أو تقتير ! أو تعرض لما نال قميص (سيف الله) **خالد بن الوليد** ومن أمثال العامة (على قد لحافك مد رجلك)

(٤٥٤) الاحتفاظ بالآثار قديم

قال **الأصمعي** : « تحدث **الرشيد** يوما فى أخبار (بنى أمية) فذكرت له أن **سليمان ابن عبد الملك** كان شرها أكولا نهما .. يجلس ويحضر بين يديه الخراف المشوية .. وهى كما أخرجت من تنانيرها .. فيريد أخذ (كلاها) ... فتمنعه الحرارة ... فيجعل يديه على طرف حلته .. ويدخلها فى جوف الخروف فيأخذ ما يريد : فقال الرشيد : قاتلك الله ، ما أعلمك بأخبارهم ؟ أذكر أنه عرضت على ، ذخائر بنى أمية فنظرت إلى ثياب (يمنية) مذهبة وأكمامها ودكة بالدهن ، فلم أدرك ذلك حتى حدثتنى بالحديث !

ثم قال : على بثياب **سليمان** .. فأتى بها فنظرنا إلى تلك الآثار ظاهرة .. فكسانى منها حلة مذهبة » اهـ . (ابن خلكان) .

قلت : فدار الآثار .. كانت موجودة منذ أول العصر العباسى .. حيث احتفظ فيها بذخائر بنى أمية .. وان كانت محمية بدار الخلافة .. وقد تطورت حتى استقلت فى متاحف خاصة فى العصور التالية إلى العهد العثمانى وحتى الآن . وان لها لعدة فوائد .. لا تخفى على أهل البصر والبصيرة ! وانها لإحدى شواهد التاريخ الناطقة ! ولا بد لنا من إقامتها والمحافظة على كل أثر قديم خال من المآخذ الشرعية . وهو بلا شك من مقومات الأمم المعاصرة .. ذات العراقة فى الحضارات القديمة والحديثة .. وفى الخبر أن هذه الثياب كانت (يمنية) .. أيضا وليست اليمن إلا

من صميم العرب وأثبتهم قدما فى التقدم الحضارى ![1] .

٤٥٥ لا اكراه في الرزق

(شهد رجل عند « سوار » القاضي فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدب ، قال : فانا لا تجيز شهادتك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا .. قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين اجرا .. قال : أنا أكرهت على القضاء ، قال : يا هذا .. القضاء أكرهت عليه .. فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك .. فأجازها) (عيون الاخبار) .

قلت : إذن ليطمئن المؤدبون والمعلمون .. ما داموا لا يتقاضون إلا ما هم بحاجة اليه وبنية سليمة .. حيث لا عمل لهم غير هذا .. ومن استغنى منهم عن الأجر .. وتطوع .. فله ما قدم من خير يجده عند الله .. و (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى) .

٤٥٦ الأستاذ والتلميذ ومن هما

(درس **الأصمعي** .. المولود عام ١٢٣ هـ والمتوفى عام ١٧٣ هـ .. ديوان (الشنفرى) الشاعر الجاهلي .. وشعر بنى هذيل فى (مكة) على الامام **محمد بن ادريس الشافعي** .. والظاهر أنه درس ذلك فى أواخر أيامه وهو مسن ، فى حين

١ — « المنهل » : ما فى ذلك شك ، فقد روى ابن النديم فى موسوعته (الفهرست) . أشياء كثيرة من هذا القبيل كخزانة المأمون الحافلة التى فيها خط . عبد المطلب . جد النبى ﷺ ، وكخزانة ابن العميد وشيخ ابن النديم : أبى سليمان الخ .

كان أستاذه الشافعى شابا أصغر منه حسب تاريخ المولد . فقد كان مولده سنة ١٥٠ هـ) . (المزهر)

قلت : وهكذا يجمع الإمام الشافعى بين العلم الدينى ويبلغ فيه المنازل الرفيعة .. وبين الأدب .. ومأثوراته .. ومتونه وشروحه .. ثم يكون أستاذا لمثل **الأصمعي** .. على ارتفاع السن به .. وهو أحدث منه .. بما لا يقل عن ٢٧ عاما ! .. وبذلك استطاع السابقون الأولون أن يملأوا أسماع الدنيا .. بما لا يزال يدوى بها من تراثنا العربى الصميم .. وأدبنا الخالد الذى لم تعبث به ولن تصل إليه أيدى الشعوبية .. والتطرف .. والانحلال ، والانسلال .. والرقاعة .. والابتذال !

٤٥٧ السائل وأبو الأسود الدؤلي

مر رجل بأبى الأسود الدؤلى — وكان بخيلا معروفا — وهو يقول : من يعشى الجائع ؟ فقال أبو الأسود : على به ! فأتاه بعشاء كثير ، وقال : كل حتى تشبع ، فلما أكل ذهب ليخرج ، قال : اين تريد ؟ قال : أريد أهلى ، قال أبو الأسود : لا ادعك تؤذى المسلمين الليلة بسؤالك ، اطرحوه فى الادهم ، فبات عنده مكبولا حتى أصبح . (العقد الفريد)

قلت : ما أحوج أمثال هذا السائل إلى هذا العلاج .. بعد الاشباع ! دون أدهم أو أشقر ؟! فإن منهم عافاهم الله من لا يرضى بالشبع .. ولا بالتخمة .. وإنما هو مغرى بالسؤال ، حرم أم نال ! ولو قد استعمل معهم هذا الأسلوب ..

لضاق بهم المجال .. اللهم إلا أن يكون ذا عيال .. فلا بد له من إعانة وبذل واحتمال !.. « **ولأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو حرموه** » .. حاش المرضى والمقعدين وذوى العاهات فإن الضمان الاجتماعى قد ضمن الله به سدادهم ، وحفظ كرامتهم .. فأما القادرون .. فإلى العمل .. صغارا كانوا أم كبارا .. إناثا أم رجالا .. وأما الغرباء .. فإلى حيث قدموا .. وانها لتهمة .. يجب أن تبرأمنها هذه البلاد العزيزة الكريمة المضيافة .. فأغلب من يمتهن هذه المهنة من الأغراب وقد حذقوا التزيى بالألبسة الوطنية المحلية ليوهموا أنهم من أهلها ، وما هم منها من قبيل أو دبير .

٤٥٨ العسل الطائفي

حكى البيهقى فى كتابه (المحاسن والمساوىء) — وهو المولود سنة ٢٩٥هـ والمتوفى سنة ٣٢٠هـ (أنه لما كان **على** رضى الله عنه فى حرب صفين والناس فى أشد ما يكون من الحرب قال **على** : ألا ماء فأشتريه ؟! فأتاه شاب من بنى هاشم بشربة من عسل ، فتناوله وقال : يا فتى عسلك هذا طائفى .. قال : سبحان الله ! فى هذا الوقت تعرف الطائفى من غيره ! فقال : إنه لم يملأ صدر ابن عمك شىء قط) !

قلت : كان جواب أمير المؤمنين رضى الله عنه كناية عن رباطة الجأش والثبات فاما أنه عرف العسل الطائفى .. وفى موقفه هذا .. فإن فى ذلك أقوى دليل على أنه أجود الأنواع وألذها وأفضلها ... وما يزال كذلك .. بين جميع ما هو من رحيق النحل ! وكما يمتاز بنكهته وشدة شفافيته .. وبياضه الناصع .. فكذلك كان (رمان لية) و (عنب القيم) ! وكانت الرمانة الواحدة كالبطيخة حجما .. وحبة العنب الشفافة .. تغطى فم الدورق الواسع ! (رأى العين) .. ورب الكعبة .. حتى لقد كان يهدى منهما من الحجاز إلى سلاطين **آل عثمان** .. وبوسائط النقل البطيئة .. القديمة ! وسقى الله (مرجا) وما حوله من المغانى والأدواح .. والأيكات ذوات الثمر .. واليانع .. والطير الصادح .. والطل الرقراق .. وأعاد لها ما كانت تجود به من نعم الله التى لا تحصى !

٤٥٩ بين الشروق والغروب

سأل **الأصمعى** مرة جلاسه عن معنى قول الخنساء فى رثاء أخيها (صخر) :

يذكرنى طلوع الشمس صخرا
وأذكره لكل غروب شمس ؟

فقالوا : معنى ذلك انها تذكره صباح مساء ، قال : لا ، ولكنها أرادت بقولها هذا انها كانت تذكر أخاها (صخرا) عند طلوع الشمس وقت الغادة والغزو ، لأنه كان من الفرسان ، وتذكره عند غروبها وقت (القرى) وإطعام الضيف لأنه كان من الأجواد ، فقاموا وقبلوا يده .. اهـ

قلت : وهذا مقام لا يبلغه إلا القليل ممن أوتى الموهبة .. وحذق المعانى حتى يستطيع أن يفهم ما عبر عنه الآخرون بقولهم « المعنى فى قلب الشاعر » .. ولكنه على لسان الذاكر ! أو الحازر ! أو الفاكر ! ولينظر القارىء العزيز كيف قام جلساؤه يقبلون يده ؟! اعترافا بذكائه وفطنته وسعة إدراكه ، وما هى ببعيد هذه الطرفة عن موقف حبر الأمة **عبد الله بن عباس** رضى الله

عنهما .. حينما أحضره الفاروق مجلس الصحابة الكبار .. وهو بعد ، فتى ... وكانوا يتضجرون من مشاركته لهم فى ناديهم ! فسألهم **عمر** رضى الله عنه عن تأويل قوله تعالى « إذا جاء نصر الله والفتح .. إلخ .. » فقالوا كلهم : ان الله جل شأنه يأمر بالتسبيح والاستغفار عباده أثر ذلك .. فقال **عمر لابن عباس** : وما عندك أنت فى هذا ؟ قال : ليس الأمر كذلك وإنما هو انباء بانتهاء أجل رسول الله ﷺ .. فقال عمر : وذلك هو عندى ! أو كما قال .

٤٦٠ الشـــاعر المطبوع

قال ابن (**جنى**) : كان الأصمعى يعيب الحطيئة .. ويقول : وجدت شعره كله (جيدا) ــ فدل على أنه كان يصنعه ، وليس هكذا (الشاعر المطبوع) يرمى الكلام على عواهنه .. جيده على رديئه .. اهـ (المزهر)

قلت : ما أفطن النقاد .. وما أبصرهم .. وأحذقهم .. فان هذا الشاعر الذى وصف شعره (**ابن جنى**) .. بأنه جيد كله . لم يحز رضاءه .. لماذا ؟ لأنه جيد كله .. واستنبط من هذا أنه كان يصنعه ... فلا يكون نتيجة لذلك شاعرا مطبوعا ... حتى يجد فى شعره الضعيف والركيك .. والغث . والمستكره والمرذول .. مخلوطا ممتزجا ... وكأنما هو ينسى لماذا سمى (**المنخل**) ؟ وهو الشاعر الفحل العظيم .. ولماذا أطلق على شعر **زهير بن أبى سلمى** (الحوليات) ؟! .. ومهما يكن من أمر فان حكمه بالجودة المطلقة .. قابل للمناقشة ... وقديما قال الشاعر :

من ذا الــذى ما ساء قط
ومــن له الحســنى فقــط ؟!

إلا أنه مع ذلك بعيد المرمى .. وقد رمى فأحمى ! وعندى أنه يصنع ويجيد خير من أن يطبع .. ويحيد .. والفرق (نقطة واحدة) تضاف أو تحذف ! وسبحان من تفرد بالكمال والجلال .

٤٦١ الجمع والقصر

حدث فى احدى المرات .. أن تواعدنا على الحضور (جماعة) للسلام على جلالة الملك بقصره العالى بجدة فقال لى .. المرحوم الأديب الكبير الأستاذ الجليل الشيخ (الطيب الساسى) : أين يكون (الجمع) ؟ فبادرته بالجواب : (فى القصر) ! فكانت محل عجبه ورضائه واستطرافه ! ــ رحمه الله وبارك فى أخويه وأنجاله البررة الكرام .

٤٦٢ ترقيص الأطفال

حكى عن بعض الأعراب أنه كان يرقص ولده ويقول :

كأنما ريح الولـــــــــــد
ريح الخزامـــى فى البلـــد
أهكـــذا كل ولـــــد ؟
أم لم يلـــد قبل أحـــد ؟

قلت : وفى المثل المضروب : (كل فتاة بأبيها معجبة) .. ومن أمثال العوام قولهم : (كل يرى قرده غزال) ! إلا أن أعرابيا يرقص طفله بهذا النشيد .. المختار اللطيف .. بين أحضان البادية ..

ثم لا يملك أهل الحضارة أن ينافسوه بما يتفق ورفاهيتهم ، ورقتهم ... وبيئتهم — لهو محل للتقدير .. وأهل للقدوة الحسنة ... فإنما ينشأ المولود على ما عوده أبوه .. وما نريد أن يتعود الطفل فى مهده إلا كل ما يشد عضده ويقوى ساعده ويثير طموحه .. ويذكى حماسه للعلم والأدب والشجاعة والكرم . ولبعض الأمهات فى ذلك خرائد وفرائد مكنونة فى تراثنا العربى العظيم .

٤٦٣ (التفطين) صحيح .. و (التزكين) خطأ

إذا أراد أحدنا أن يؤكد فى شيء على زميل له قال — زكن عليه — ويقصد بذلك « أكد — وشدد » ! وما هى من هذا المعنى فى قبيل ولا دبير .

فان النص اللغوى عن كلمة « زكن » بتشديد الكاف .. هو : « زكن — ظن — عليه .. شبه ولبس ! فمن أين دخلها هذا التحريف حتى استغنى بها على ألسنة العامة والخاصة .. عن التأكيد .. أو التشديد ؟! أننى لا أحسبها استعملت عبثا .. فهى على ذلك تعنى — التفطن والتيقظ مأخوذة من « الزكن » وهو التفطن والتفرس والفهم ! وما نزال نسمع ما يقابلها وهو الأصح حقا ما يستعمله إخواننا أهل نجد .. وهو قولهم فى معناها (أفطن لكذا) .. فهل نملك أن نستبدل بالأدنى الذى هو خير .. أو بالملتبس ، الواضح ؟!

٤٦٤ مع الرفاعي والأصمعي

نشرت فى عدد ذى الحجة سنة ١٣٨٥ الممتاز .. فى الشذره (٤٢٥) بعنوان — « بين الشروق والغروب » ما عزى إلى (**الأصمعى**) **رحمه الله من تأويله المعنى الذى أرادته (الخنساء) فى رثاء أخيها (صخر) .. وذلك فى قولها :**

يذكرنى طلوع الشمس صخرا
واذكره لكل غروب شمس !

وأنه قال : « انها أرادت بقولها هذا أنها كانت تذكره عند طلوع الشمس وقت الغارة والغزو .. لأنه كان من الفرسان ، وتذكره عند غروبها — أى — وقت القرى واطعام الضيف لأنه كان من الأجواد حتى قام جلساؤه وقبلوا يده .. » اهـ

« وعلقت على ذلك بأن (هذا مقام لا يبلغه إلا القليل ممن أوتى الموهبة وحذق المعانى حتى يستطيع أن يفهم ما عبر عنه الآخرون بقولهم : « المعنى فى قلب الشاعر » . ولكنه على لسان الذاكر أو الحازر أو الفاكر) اهـ

ويسعدنى الحظ فى بريد يومنا هذا (٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٨٥) بكتاب كريم من صديق حميم وأديب عظيم هو سعادة الأستاذ الكبير عبد العزيز الرفاعى : وقد جاء فيه تعقيبا على هذه الشذرة قوله ، لا فض فوه : انه تبادر إلى ذهنه معنى ثالث .. أوحت إليه به « المقابلة » بين (يذكرنى — وأذكره) .. وهو أن « الصباح » يذكرها بصخر بإطلالته الحلوة المشرقة الباسمة العذبة . فإذا جاء الغروب الشاحب الحزين فإنها

تذكره حينئذ وتذكر لوعتها فيه وغيابه ، أو غروبه من حياتها .. وتساءل عما إذا كنت أرى ذلك معه ؟

ولقد بادرت فكتبت إلى سعادته شاكرا ومقدرا ومؤثرا تأويله وأنه أقرب إلى ما قصدته الشاعرة .. ولو لم تعبر عنه القافية ! وأن تفسير **الأصمعى** إنما كان فى بيئته وعصره ولا ينكر فضله فيه لأنه كان أعلق بنفوسهم آنذاك .. وهم عليه أحرص وبه ألهج ! ذلك أنهم لما ترق بهم الأحاسيس الحضارية .. إلى هذا المستوى الذى عبر عنه بأسلوبه المتطور الحديث وتخيله الرقيق المؤثر المتأثر ! وإننى أميل إليه كل الميل وأراه أحق بالتقديم والإيثار ما دام (**الأصمعى**) لم يحرج واسعا ! ولم يزعم فيما قدره أو استنبطه الاحتكار ! خاصة وأن كل ما تفسح له المجال من المعانى المباحة والتخيلات المستدركة لا يمكن أن تقام له حواجز أو حدود .. إلا فيما يتصل بأمور الدين والعبادات والنصوص الشرعية التى لا تحل للزيادة أو النقص فيها ! أما ما هو من هذا القبيل .. ولم تنحصر فيه المدلولات .. ولم تحظر فيه التأولات فإنه لمن الإثراء الفكرى أن تتسع له آفاق التصور .. بقدر ما فيه من شجو وشجن ! وقابلية لمختلف الأحاسيس .. مهما تتابعت العصور .. وانطلقت المدارك .. وتطور الشعور !وليس معنى ذلك غمط حق القدامى فيما ذهبوا إليه فلهم بذلك كل تقدير .. دون أى تحكير أو تحجير منهم على كل ما تلاهم من ذوى المواهب وأعلام التفكير ! وقديما يقول المثل السائر « **كم ترك الأول للآخر** » اهـ

وشكرا للأستاذ الرفاعى وتقديرا على ما أبداه من تعقيب طريف عميق . وأسلوب لطيف رقيق ، وبهذا تتفاعل الشاعرية الحقة أو (اللماحية) الزاكنة .. وفوق كل ذى علم عليم .

٤٦٥ العلـــة المزمنـــة !

التصحيف ـــ ثم ـــ التطبيع !

قرأت من شعر محدث الشام صاحب التاريخ الكبير **أبى القاسم على بن عساكر** رحمه الله المتوفى سنة ٥٧١ هـ قوله :

وانك لن ترى للعلم شيئا
يحققه كأفواه الرجال

فكن يا صاح ذا حرص عليه
وخذه عن الرجال بلا ملال

ولا تأخذه من صحف فترمى
من التصحيف بالداء العضال !

قلت : هذا ما اعتبره أحد الأئمة الاعلام داء عضالا ـــ وهو فى حدود المخطوطات القلمية .. لا التحريفات المطبعية .. التى قلما يخلو منها مقال ينشر ، فى زماننا هذا إلا ما ندر ! وإنصافاً للمصححين .. أرى من الضرورى أن توجه اللائمة أيضا على (الكُتَّاب) وعدم تأنقهم فى الخط .. وسرعتهم فى الكتابة .. وقد رأيت أكثر أصحاب اليراع انثيالا .. وأوسعهم مجالا وهو أمير البيان رحمه الله **الأمير شكيب أرسلان** عظيم العناية بخط النسخ حتى فى توقيعه .. فلا يعلق ولا يعجل .. وكأنما هو يكتب (مشقا) .. دون أى (مشقة) .. فهل يتعاون الجميع على استئصال الداء العياء أو العضال من جذوره ؟!

٤٦٦ من أخلاق العرب الأولين

وروى **الزبير بن بكار** : أنه جيء **لعبد الله بن الزبير بن سليمان بن عبد الملك** من الطائف .. **وسليمان** يومئذ غلام فكساه .. وجهزه إلى أبيه فى الشام وأحسن إليه وإلى من معه . هذا وعبد الملك (أبوه) يحاربه .

كما روى أيضا ــ « أنه لما عزل **عبد الله بن الزبير** ابنه **حمزة بن عبد الله** عن البصرة قال له : أين المال ؟ قال : وفد على ، قومى فوصلتهم به .. قال : « مال ــ هو لك أو لأبيك ؟ » وسجنه بسجن (عارم) بمكة ــ فقال بعض الشعراء :

يا أيها السائل من مالك ؟
ومجدها هل لك فى العالم ؟
ان الندى والمجد أن جئته
والحامل الثقل عن الغارم
والفاعل المعروف فى قومه
مكبل فى السجن فى (عارم)

هذا ــ وقد شهد له القوم بأنه إنما أنفق ذلك فى صلات قومه .. ولكنه (**ابن الزبير**) رضى الله عنه .. وهو الملقب (بالعائذ) .. وقد ضحى بنفسه فى سبيل الله .. رغم ما يرمى به من البخل ! وقد أرشدنى إلى هاتين القصتين فضيلة الشيخ **محمد نصيف** حفظه الله ، وكم أتمنى لو تدون هذه « السوالف » و « المناقب » و « المآثر » عن أهلها فى العصور الأخيرة .. قبل أن ينقرض الملمون بها أو الراوون لها .. فانها لا تحصى فى (جزيرة العرب) .. وأقطابها وحكامها وقرومها وناهيك بما (**لآل سعود**) عامة وللملك العظيم « **عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل** » رحمه الله وأسلافه الأئمة العظام **وجلالة الملك فيصل** المعظم وسمو ولى عهده المفدى من مكارم ومراحم .. وفضل وإحسان .. فإنها تملأ مجلدات ومجلدات .. و ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ أحسن الله مثوبتهم فى الدين والدنيا والآخرة .. وأعانهم على كل خير وأدام عليهم وبهم نعمه ظاهرة وباطنة .. وهو ولى الصالحين .

٤٦٧ عبد الله بن مصعب وشاتمه

نبهنى إلى هذه القصة (فضيلة العالم السلفى الكبير) موسوعة الأدب والتاريخ والطرف والكرم الشيخ **محمد حسين نصيف** وهى مما أورده (**الزبير ابن بكار**) فى كتابه الثمين : (جمهرة نسب قريش وأخبارها) وهو المولود سنة ١٧٢ هـ والمتوفى سنة ٢٥٦ هـ

قال : قال **عبد الله بن نافع** : كان فى **آل الزبير** رجل يشتم **عبد الله بن مصعب** لا يضعه من فيه ، فكان **عبد الله بن مصعب** يدفع إلى ، كل شهر دينارين . ويأمرنى أن أعطيه إياهما ، ويقول : لا أحب أن يعلم أنى وصلته !

قال : فلما مات **عبد الله بن مصعب** انقطع ذلك عنه منى ، فاستبطأنى ، فأخبرته الخبر ، فعاد يدعو له .. ويقرضنى أنا ! فقلت :

شتمت امرءا لم يطبع الذم عرضه
زمانا ، ولا تدرى بما كان يفعل
فلما تيقنت الذى كان صانعا
عدوت على اليوم بالجهل تخطل

فما كان لى ذنب ، ولا لابن مصعب
سوى أننا جئنا التى هى أجمل

وهكذا كانت أخلاق التقاة الهداة .. والكمأة الأساة .. وما أعظم أن يصل المرء من قطعه .. ويحرص على أن لا يعلم بمنته عليه .. ويدخر ذلك عند الله ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا** ﴾ .. والله ولى التوفيق .

٤٦٨ الهوى .. والرأى

قال **عامر بن الظرب العدوانى** وهو أحد المعمرين فى الجاهلية وكان يقال له ذو الحلم :

الرأى نائم ـــ والهوى يقظان ، فأرقدوا الهوى بفظاظة ... وأيقظوا الرأى بلطافة .

وقال أعرابى : « لم أر كالعقل صديقا معفوفا ! ولا كالهوى عدوا معشوقا ! ومن وفقه الله للخير جعل هواه مقموعا ـــ ورأيه مرفوعا » اهـ

قلت : هكذا هى وصايا الأولين من المجربين .. وفيها ما يؤيده الشرع الحنيف والقلب الطاهر النظيف ! و (السعيد من اتعظ بغيره) ـــ والله ولى التوفيق .

٤٦٩ أما (قـــدارة)

نسمع من بعضهم رجالا ونساء هذه الكلمة (أما قدارة) إذا استكبروا شيئا فعله غيرهم .. وبالمصادفة قرأت **لأعشى قيس** المتوفى (٧هـ) قوله من قصيدة طويلة :

فاقـــــــدر بذرعك أن تحين
وكيـــف بوات (القـــــدارة)

والقدارة هى (القدرة) .. إذن يكون استعمالها حديثا متفقا مع مدلولها قديما مع اشتمالها على معنى الجرأة .. والتحدى .. وربما التعدى فى مفهومها الحديث .

٤٧٠ أبو النجم الراجز و (لام ألف)

قال **الصولى** : قد عيب **أبو النجم العجلى** الراجز بمعرفة الكتابة .. وذلك بقوله :

« اقبلت من عند زياد كالخرف
تخط رجـــلاى بخط مختلـــف »
« كأنما قد كتبا لام ألف »

قلت : وعلى ما فى هذا من دليل قوى على أن البداة كانوا يعرفون الخط والكتابة .. وان لم يكونوا ـــ الكثرة الغالبة .. فإنه يدل أيضا على حسن التمثيل .. فى تصوير فرقه وذعره .. و (انحلال أعصابه) و (جر أقدامه) ! بعد أن عاد من **زياد** (طبعا ابن أبيه) ! فى أوجز وأبلغ ما وصف فى (كلمتين .. هما : الغاية فى أن تراه رأى العين .. وهو (فى بحران من الخوف والهلع) !

٤٧١ اعـــز النـــاس

كان **الفراء** العالم اللغوى المشهور يقوم بتأديب ولدى (**المأمون**) الخليفة العباسى فنهض ذات مرة إلى حوائجه .. فابتدر حذاءه كل منهما يحرص على أن يقدمه له ، فتنازعا أيهما يقدمه ؟ ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منها واحدة ! وبلغ ذلك المأمون ، فاستدعاه وقال له : يا فراء ! من أعز

الناس ؟ قال : « لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين » فقال : بل أعز الناس من إذا نهض (تقاتل) على تقديم نعله وليا عهد المسلمين حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فردا » .

وكذلك كان شأن العلم والعلماء .. واحترامهم وإجلالهم .. وفى هذه القصة كلمة (تقاتل) ، بمعنى تنازع أو تخاصم .. وحتى (تضارب) .. وهى بهذا المعنى إلى يومنا هذا .. فهى لا تعنى القتل على إطلاقها .. وإنما على حسب ما تدل عليه قرائنها .. وكفانا الله شر (المقاتلات) وقديما قال الشاعر :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

وأحسب أن الغانيات قد دخلن فى هذا الكتب والكتاب .. و ﴿ **لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ .

٤٧٢ ماهى (الكنتية) ؟

قال الأعشى :

فأصبحت (كنتيا) وأصبحت عاجنا
وشر خصال المرء ـ (كنت) وعاجن

والكنتى .. هو الرجل المسن يقول : كنت كذا ـ وكنت كذا .

أما (الكونتية) ! فى عصرنا هذا .. فإنها مرتبة رسمية فى بعض البلاد الغربية ، وأحسبها إذا أمعن النظر فيها تلتقى أو تتفق مع (الكنتية) العربية ! ولو من بعض الوجوه ! وما أدرى ماذا يقول الرجل المسن ـ إلا ـ كنت وكنت ؟! فما أراه يملك أن ينفسح به الأجل ليقول : سأفعل أو سأكون وإنما يستطيع أن يقول :

وكنت إذا أصابتنى سهام
تكسرت النصال على النصال !

ورحم الله الشاعر إذ يقول :

ما مضى فات ، والمؤمل غيب
ولك الساعة التى أنت فيها !

٤٧٣ الصيرفة والصرافون

قال أبو بصير **الأعشى** فى العصر الجاهلى :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة
نفى الدراهم تنقاد (الصياريف) !

قلت : وهكذا نجد أن هذه الحرفة عريقة جدا .. وهى معروفة لدى الشعراء العرب فى قلب البادية .. أو على أطرافها المتاخمة من شروق وغروب وشمال وجنوب وأتذكر أننى قرأت فى تاريخ مكة المكرمة .. أن (الصيارفة) كانوا قبل ألف سنة أو تزيد .. يقومون بمهمتهم فى أسواق مكة .. وبالقرب من المسعى ! والله أعلم .

٤٧٤ (التوحيدى) و (مسكويه)

« قال أبو على (**مسكويه**) وهو المتوفى سنة ٤٢١ هـ .. أما ترى خطأ صاحبنا يعنى ابن العميد فى اعطائه فلانا ألف دينار (ضربة واحدة) لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق : قال (**التوحيدى**) **أبو حيان** وهو المولود سنة ٣١٠هـ والمتوفى سنة ٤١٤هـ : فقلت له بعد أن أطال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ أسألك عن شىء واحد وأصدق فانه لا مدب للكذب بينى وبينك ، ولا هبوب لريح

التمويه علينا ، لو غلط صاحبك (فيك) بهذا العطاء ــ وأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تتخيله فى نفسك (مخطئا) ؟ ومبذرا ؟ ومفسدا ؟ وجاهلا بحق المال ؟ أو كنت تقول : ما أحسن ما فعل وليته أربى عليه ! فإن كان ما تسمع على حقيقته فاعلم أن الذى بدد مالك ، وتردد مقالك إنما هو الحسد وشيء آخر من جنسه فأنت تدعى الحكمة ، وتتكلم فى الأخلاق ، وتزيف منها الزائف وتختار منها المختار ، فافطن لأمرك ــ واطلع على سرك وشرك » .

قلت : إنها لإحدى العبر يدونها الأدب العربى القديم لشداته وعفاته .. منذ نحو ألف سنة وفى القصة كلمة : « ما تزال » دارجة حتى اليوم ــ وهى ــ (ضربة واحدة) ! وكأنما هى ملازمة للحقد والشنآن .. والحسد والأكلان ! و « القناعة كنز لا يفنى » .. ﴿ **وقد خاب من حمل ظلما** ﴾ .

٤٧٥ (القافية) وضروراتها

قال **حسان بن ثابت** رضى الله عنه :

وما زال فى الإسلام من آل هاشم
دعـائم عز لا ترام ومفخـر
بهاليل منهم (جعفر) وابن أمه
(على) ، ومنهم (أحمد المتخير)

وكذلك اضطرته القافية لتقديم المفضول وذكره قبل من هو أفضل منه تدرجا مع الارتفاع وهى طريقة معهودة .. فى الأدب القديم والحديث .. ولا غبار عليها .. وقديما قال العرب : (صدور المحافل أين حلت صدورها) .

٤٧٦ « التعاطف » و « التجاوب العربى » !

من شعر الشاعر العربى الفحل (**على الجارم**) ــ أسكنه الله فسيح جناته قوله :

تذوب حشاشات العواصم حسرة
إذا رميت من كف (بغداد) اصبع
ولو صدعت فى سفح (لبنان) صخرة
لدك ذرا (الأهرام) هذا التصدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهه
لسالت (بوادى النيل) للنيل أدمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح مرة
لبـاتت له أكبادنـا ــ تتصدع

قلت : ما أعظم هذه الأحاسيس .. وما أرقها وأعمقها ؟! وقد ترددت بها المعانى والمبانى بين شعراء جميع الأقطار العربية ! ينافس اللاحق فيها السابق .. وهى كالبحر المائج .. والريح العاصف .. ﴿ **ولكل أجل كتاب** ﴾ ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب** ﴾ .

ويرحم الله **أبا الحسن الجارم** » فقد قرت عينه بما رأى وترقب قبل وفاته ! ولو هو عاش .. بعدها .. لبكى واستبكى ! وأنسى ببكائه صاحب « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ! » والرجاء عظيم فى كرم الله ورحمته بعباده (والعاقبة للتقوى !) .

٤٧٧ حسان وبنو عبد المدان

قال حسان بن ثابت ـــ يصف بنى عبد المدان الحارثيين :

لا بأس بالقول من طول ـــ ومن غلظ
جسم البغال ـــ وأحلام العصافير

فقالوا له : والله **يا أبا الوليد** ، لقد تركتنا ونحن نستحى ذكر أجسامنا بعد أن كنا نفخر بها :

فقال لهم : سأصلح منكم ما أفسدت : فقال فيهم :

وقد كنا نقول إذا رأينا
لذى جسم يعد ـــ وذى بيان
كأنك أيها المعطى لسانا
وجسما من بنى عبد المدان

قلت : وهكذا صح ما قاله الشاعر الآخر :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وان تذم تقل قئ الزنانير !

وما أحسن ما أصلح **ابن ثابت** .. وما أشد ما عانى العرب من الكلمة أو البيت يرسله الشاعر الفحل فتردد اصداءه القبائل .. وتدوى برجعه المحافل .. ومن ذلك :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهمو
ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا

وما كان ذلك إلا يوم كان للشعر الجيد أثر فى النفوس الكريمة ! والافئدة الكليمة ! ولم يعد له من الأثر والتأثير .. إلا ما طوته القرون ! و (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

٤٧٨ دوارق زمـزم

يطلق المكيون عامة ـــ والزمازمة منهم خاصة على الآنية التى تحمل ماء زمزم : (الدورق) وجمعها (دوارق) .. وهى كلمة أعجمية معربة .. ولا أدرى لماذا أتشبث بمعرفة أولية استعمالها فى هذا المعنى بالذات ؟ ومنذ كم كان ذلك ؟ وأحمد الله أن أراحنى فظفرت بنص يرجع إلى ما قبل ثلثمائة سنة خلت .. علمت به ومنه أن الدورق كان فى ذلك الحين يتخذ لاستيعاب وحفظ الماء .. عامة ! (وزمزم منه) ! فقد أورد (**شهاب الخفاجى المصرى**) (٩٧٧ ـــ ١٠٦٩ هـ) فى كتابه شفاء الغليل (أن أهل مكة يطلقون الدورق على جرة الماء) إذن يكون استعماله بهذا اللفظ والمعنى قديما يسبق هذا التاريخ بأزمان ! وتسوق المناسبة إلى ذكر أوان أخرى كانت تستعمل بمكة ولها (مصانع) فى عواليها .. منها « الربعى .. والغلابة .. والبرادية » .. وكلها كانت بمثابة (الثلاجات) الطبيعية .. ويعتنى بها الجميع .. فى زمن الصيف والحرور .. ويتأنقون فى زخرفتها وتلوينها .. ومنها الصغير ومنها الكبير .. وما زال بها التلاشى .. حتى انقرضت أو كادت وما زلت أستشعر ما كان لها من مظهر جميل على أطناف الأسطحة ورفارف الدور .. والمناور .. وكيف أنها كانت تطيب بالتبخير أو التجمير أما بالمصطكى ! وأما بالقفل ! وتزين بالغطيان المزركشة المخروطة وتستخرج الكأس منها الحمد بجهد من أعماق الفؤاد .. وقد الهاجرة ! وعند الافطار فى رمضان .. وتوارت بعد ما أروت ! وكانت احدى الصناعات المحلية الرائجة ! وحى الله « شراب المدينة المنورة » « بكسر الشين » .

٤٧٩ المعنى الوجيه في اللفظ الكريه

فى شفاء الغليل ، أن (الرفيس) طعام نفيس ، وعمله (رفسة) وهو من لباب البر والزبد الطرى والعسل والسكر والفستق والزعفران وماء الورد المسك ! وقال الشاعر :

علق الفؤاد (برفسة) شبهتها
بجزيرة ما بين بحر يزخر
الزبد بحر — والفطير حيالها
والشهد موج ، والجبال السكر

قلت : ولو ذهب أحدهم اليوم يتمنى لصديقه فى مداعبة أن يحظى (برفسة) ؟! لبادره بها .. ركلة .. تضم « أضلاعه » ! وما يدرى — لو أحسن الظن .. أنها خير من (المعصوب) فما فيه من فستق ولا بندق ! ولا ورد ولا زعفران !

ولهذا محيت من التداول .. وبقيت للتطريف !

٤٨٠ فالوذج السوق

يتفادى أهل البيوتات قديما تناول الطعام فى السوق .. أو جلبه منه .. إلا فيما يتعذر إتقانه أو طبخه .. فى دورهم .. حتى الخبز .. ورحم الله اللت والعجن ! والقرص والجعلة ! ورأى بعض الفقهاء أن تناول الأكل فى الأسواق مما يسقط الشهادة وينفى العدالة !

ونجد القدامى يطلقون على من لا يحمدون مخبره قولهم فيه أو وصفهم له أو نداءه .. بما يكره طبعا .. يا فالوذج السوق ! حتى قال ابن حجاج قبل عشرة قرون ونيف :

اعزز على باخلاق وسمت بها
عند البرية — يا فالوذج السوق !

وأحسب أن التأفف من أطعمة السوق إنما كان بسبب تعرضها للقذارة والذباب .. وعدم التحفظ فى إنضاجها أو موادها المغشوشة ! أما الآن فان ما يعرض منها .. خاضع للرقابة الدقيقة .. ولا يروج بيعه إلا إذا كان نقيا .. صافيا من الغش .. ولا يصنعه إلا من يملك شهادة صحية .. بسلامته من كل ما يحذر !

والحمد لله رب العالمين .

٤٨١ « الدهاليز » عند الأقدمين

عجب أن تصعد الأسماء وتهبط .. وتطفو وترسب .. وتعلو وتسقط .. تماما كما يعترى الأحياء .. من ناطق وصامت !

ان الدهليز فى العصر القديم .. وقبل قرون طويلة مضت .. وهو بالكسر ما بين الدار والباب .. أو الممر الذى بين الدار ووسطها .. كان ذا قيمة .. لا تزاحم .. حتى قال فيه **يحى بن خالد — (البرمكى)** : ينبغى للإنسان أن يتأنق فى دهليزه لأنه وجه الدار ، ومنزل الضيف وموقف الصديق .. حتى يؤذن له .. وموضع المعلم ، ومقيل الخدم ومنتهى حد المستأذن » .

وروى لابن سكرة الشاعر قوله :

(نزلتى) بالله زولى
وانـزلى غير لهاقى
واتركى حلقى — لحقى
فهو دهليز حياتى !

وقد انحط قدره حتى ليعير من يقطنه فى العهود المتأخرة .. غير أنه أخذ حظه الآن حتى أصبح كما كان فى عصور الازدهار .. وربما فيما كان عليه بما أضفى عليه من جمال ، وما نصب فيه من أرائك .. وان سماه المعاصرون « بالصالة » ! وأمسى وله صول وطول ! والحق أن المكان بالمكين ! وقد أدركنا كبار القوم وعظماءهم فى مكة وجُدَّة لا يستطيعون الجلوس طرفى النهار إلا فى « الدهليز » وخاصة منهم التجار وأصحاب العلاقة بالجمهور .. وكان من أعظم مظاهره أن كان محلا لفصل الخصومات وجلوس من يتولى ذلك فيه مع قاض شرعى .. تسهيلا للمراجعين .. من بدو وحاضرة !

٤٨٢ (سرموزة) لا (صرموجة)

يطلق الناس على الحذاء .. المسمى (بالجزمة) أو (الكندرة) .. صرموجة ، وقد ضبطها **الخفاجى** بقوله : انها لعل معروفة فارسية ! معناها رأس الخف .. قال الأزهرى :

مماطل رجلى شكت تردى اليه !
وكان لى سرموزة قطعتها عليه !

ومن أسمائها (الصرمة) بفتح الصاد .. وهى متداولة عند الأكثرين .. ومعروفة .. أما بكسرها .. فهى مائة من الابل كانت تعطى كجوائز وهبات فى العصر الجاهلى .. على ما أذكر . وشتان بين الكسر والفتح ! وبين الزجر والصفح .. والمدح والقدح ! ولا محل للحن .. بعد هذا النص !

٤٨٣ زنبيل المقاضى

حكى **الراغب الأصفهانى** فى محاضراته قول **أبى طالب المأمونى** فى الزنبيل :

وذى أذنين لا تعيان قولا وجوف للحوائج ذى احتمال
يكلف شغل (أهل البيت) طرا ويحمل فيه من قوت العيال
مطيع فى الحوائج غير عاص ولا شاك إليك من الكلال
تسر عليه فى الأسواق سرا فلا يبديه إلا فى الرحال !

قلت : كان هذا الوصف الشعرى .. (للزنبيل) .. قبل ألف سنة مضت ! ولا يزال ملازما له حتى اليوم .. والعجب أن كلمة (أهل البيت) .. قد جاءت فيه كما تقال فى عصرنا هذا .. وأحسبهم كانوا يعتقونه من الاستعمال إذا رث سعفه .. وقطعت إحدى أذنيه .. ولعل قطعها ناشئ من غيظ عليه ؟! وضجر منه ! وقد زاحمه فى زماننا أوعية (النيلون) .. وهى أصبر منه وأجلد .. لولا أنها تفشى أسرار ما احتوت عليه بالشفافية ! وخير منها ما كان من الجلود المدبوغة .. (والملمعة) .. المنمقة المصبوغة !

٤٨٤ « المتر » بفتح الميم غير « المتر » بكسرها

(المتر) — بكسر الميم — من المعربات الحديثة .. وهو المقياس المعروف .. ولا شبهة فيه .. ولا التباس .. ووجدت له أخا قديما .. ففى شفاء الغليل أن « المتر » كما روى عن

ثعلب .. هو أن العرب كانت تذكر لأولادها ما عرف من الشعر مثل (قفا نبك) .. وتطلب أن تحذوا حذوه يسمون ذلك (مترا) من متره بمعنى قطعه أو لم يذكره غيره كذا فى كتاب الاعجاز للباقلانى » .

قلت : وما أقرب ما بينهما لو اعتبرنا الجامع فيهما « التمتير » .. أى القياس ومع أن (المتر) بفتح الميم ــ لا بكسرها .. هو التقطيع ... فانه لا ينصرف إلا إلى ما لم تعرفه العرب القدامى من علم العروض الذى أحدثه **الخليل بن أحمد** وهو بآلة الزرع أشبه ــ ومنه يستعرب (المتر) مكسور الميم .. وكلما وجدنا ما يحتمل الانتساب إلى الصحيح الفصيح .. دون تعسف كان ذلك أولى بالتأويل الحسن .. والله أعلم .

(٤٨٥) ثلاثة ــ ام اربعة

مما حفظناه فى الصغر .. قول بعضهم ثلاثة تجلو عن القلب الحزن : (الخضرة) و (الماء) و (الوجه الحسن) .

وقرأت أخيرا بيتا قديما جاء فيه :

أربعة تحيا بها ، الروح ــ والنفس ، والبدن
الماء ، والخضرة والندمان ، والوجه الحسن !

ولست أدرى إذا كان لا بد من غياب واحد منها .. فأيها المفضل غيره .. والأرغب فيه ــ والمرغوب عنه ؟.. وسقى الله عهود الصبا والشباب !

والذكريات صدى السنين الحاكى

ويرحم الله **محمود الوراق** حيث يقول :

شيئان لو بكت الدماء عليهما
عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب ، وفرقة الأحباب

(٤٨٦) اصل الشقدف

« روى صاحب محاضرات الأدباء (**الراغب الاصبهانى**) .. أن **عروة بن الزبير** عادل إلى الشام **إسماعيل بن بشار** فقال **عروة** لغلامه : انظر كيف ترى المحمل ؟ قال : معتدلا ! فقال إسماعيل : الله أكبر ما أعدل الحق والباطل قبل الليلة ! فضحك عروة » .

قلت : وأعتقد أن هذا (المحمل) هو أصل الشقدف .. الذى ما يزال بعضه فى المخازن أو سقوف الدور ! بعد أن أبدله الله .. بالأرائك الفارهة فان التعادل لا يكون إلا فى (مثله) سعة ونفسا .. وقد أدركنا الناس يزيدون الحمل على الجمل أو البعير ــ فيضعون فى (الوسك) أى (الوسق) .. ثالثا سواء كان صغيرا أو كبيرا .. ذكر أو أنثى .. ولا يكون إلا أدنى الثلاثة منزلة ولقد كانوا يعادلون بوضع السلم فى قوائم الشقدف من حيث يخف ! أو بعلاقة من الأمتعة أو الآنية ! وكم قد رأينا مواقف التدهور والانقلاب والضجيج والعجيج أيام الحجيج ؟ لعدم التعادل ، مضافا إليه أن يكون الجمل **ابن لبون** ولما يبلغ قوة البزل القناعيس ! وأن يكون جلفا جافيا لم يروض بعد . أما كلمة الشقدف فقد كان استعمالها قديما يرجع إلى أكثر من خمسة قرون وأظنها (دخيلة) من إحدى اللغات الأعجمية !

٤٨٧ طنز (بضم الطاء وسكون النون) لا طز (بضم الطاء بعدها زاي)

فى الأعوام الأخيرة من هذا القرن أو نصفه الأول .. أخذنا نسمع بعضهم يقول إذا لم يرق له شيء أو يرضى به : (طز) ! وما ندرى لها أصلا ولا فصلا .. وإنما هى دلالة على الاستنكار .. والتأفف .. والاحتقار ! وقرأت فى الدخيل قولهم : (طنز) وفسرها **الشهاب الخفاجى** فقال : هى السخرية .. قال الجوهرى : أظنه مولدا أو معربا .

قلت : وما استملح الاثنين .. فهما مستكرهان لفظا ومعنى .. وما فى أدب الإسلام ما يبيح تداولهما .. ولعل الثانية محرفة عن الأولى .. وخير منهما تجاوزهما إلى ما عرفته العرب فى لغتها الفصحى (كاف) .. مثلا .. ولا حاجة لهذه الطزطزة .. أو العنطزة !

٤٨٨ (جبل الحديد) في (بجيلة)

عثرت فى قراءة عابرة لكتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) للقزوينى (١٢٠٣ — ١٢٨٣م) على هذا النص عند كلامه عن الحجاز . قال :

(وبها جبل الحديد — وهو فى ديار بجيلة .. ويسمى جبل الحديد . اما لصلابة حجره أو لأنه معدن الحديد) .

ورأيت أن أقص ذلك فى جملة قصيرة .. لفتا لنظر المختصين بالبحث عن المعادن .. وما أراهم إلا قد علموا به واكتشفوه فعلا بإذن الله ولكنه الحرص على أداء الأمانة بقدر المستطاع .. وكم له من أمثال فى مختلف الأرجاء ! وسيخرج الله كنوزها فى هذا العهد الفيصلى الميمون إن شاء الله . وتحية وإكبارا لمعالى وزير البترول والثروة المعدنية . فإنه ولله الحمد والمنة .. عنوان الفضل والنبل والنماء والثراء (مبارك الروحات والغدوات) وفقه الله وأعانه على كل خير .

٤٨٩ من اسرار الصنعة

قال القزوينى : « قيل لبعض المدنيين : ما بالكم أنتم أطيب الناس صوتا ؟ .. فقال مثلنا كالعيدان .. خلت أجوافنا فطاب صوتنا » !

قلت : وبهذا يكون السر فى الصوت الحسن خلو الجوف من الامتلاء .. فمن أراد أن يكون له فى الألحان .. مقام كريم .. فهذا السبيل إليه .. وهو ما يؤيده الواقع وتدعو إليه الصحة .. ويقوم عليه الدليل ! وقديما قال الحكماء (البطنة تذهب الفطنة) فهل من معتبر ؟

٤٩٠ من (الاتيكيت)

قبل أن أفاجأ من القارئ الكريم بالاحتجاج على استعمال كلمة دخيلة .. وهى (الاتيكيت) .. أعتذر إليه بأننى اضطررت إلى ذلك .. واعتقد أن ما يقابلها فى العربية هو .. القواعد .. أو التقاليد .. أو الأعراف .. جمع عرف .. بضم العين .

وقد وجدت قصة قصيرة .. ذات صلة مباشرة بذلك .. فآثرت اطراف القراء بها قال **زياد** لحاجبه عجلان : « كيف تأذن للناس ؟ .. قال :

على البيوتات .. ثم على الأسنان .. ثم على الآداب .. قال : فمن تؤخر ؟ قال : من لا يعبأ الله بهم .. قال ومن هم ؟ قال : الذين يلبسون كسوة الشتاء فى الصيف ! وكسوة الصيف فى الشتاء .. » .

قلت : ما أعدل ما فصل وقسم .. وأخر وقدم .. لولا قوله : من لا يعبأ الله بهم .. « فرب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » .. غير أن الحزم كل الحزم .. تحاشى ما وصف فهو محل الانكار ! وإذا أقبل الشتاء ! فلا محل (للدرابزون) ؟! وأحسب أن ذلك .. ربما كان مشروطا فى الاستقبالات الرسمية فى كثير من البلدان المتحضرة إلا أنه من حيث (وصف اللباس) أى البدلة ، لونا أو نوعا .

لا على حسب الفصول شتاء أو صيفا !

٤٩١ خلاخيل الرجال رقاق النعال

قال **الأحنف بن قيس** : (استجيدوا النعال .. فإنها خلاخيل الرجال) .

قلت : وما أصدق ما نصح به وما قال ! فان النعل الرقيق .. إذا كان من صنع بلادنا .. ومحلى .. بما بلغه من التزيين وجلده ومونته من إنتاجنا فكم هى (الوفورات) التى يعود بها على صناعنا وعلى اقتصادنا ! هذا من جهة ومن الأخرى .. كم هى الفوائد الصحية .. التى تتفق مع تشكيله وتفصيله ! .. ولا أدل على ذلك من استعمال المتحضرين .. فى خطوتهم .. ونزهاتهم .. هذه (المداعس) الخفيفة التى لا تختلف عن النعال فى كثير أو قليل .. إلا أنها أقل تكليفا .. وأكثر تصريفا وما أجدرنا باحياء كل الصناعات لدينا .. والاكتفاء بها أو تطويرها بما يضمن المنافع كلها .. إن شاء الله وكما أن النعال خلاخيل الرجال .. فان (التواسيم) حلية ربات الحجال ! وكما قال المثل العامى : (جحا أولى بجلد ثوره) ! على أن لا تستعمل إلا فى حجر البيوت فقط !

٤٩٢ الاملاك ــ هو العقد

ظفرت مصادفة بهذه الكلمة .. فى هذه الأبيات الثلاثة **لأبى مسمار العكلى** حيث يقول :

لله در عامــــر إذا نطـــق
فى حفل (املاك) وفى تلك الحلق
ليس كقــوم يعرفــون بالشدق
من خطب الناس ، ومما فى الورق
يلفقون القول تلفيــق الخلــق
من كل نضاح الذفارى بالعرق
إذا رمته الخطباء بالحدق

ولقد كنت أظن أن استعمال كلمة (الاملاك) إنما كان محدثا .. فإذا به يرجع إلى ما قبل مائة وألف سنة هـ .. وهو بنفس المعنى المتداول فى زماننا هذا أى (عقد الزفاف) .. إنما الذى أحاول أن أحيط به (عبثا) .. هو أن العقد كان يتم مع الزفاف فى ليلة واحدة .. جمعا للفرحة .. وصرفا للكلفة .. وما فى ذلك من بأس .. بل هو عين المسرة .. مع دفع المضرة .. بالمصروفات الباهظة .. والتقاليد البالية ! ولابد من الشجاعة التامة من (آدم وحواء) معا .. فى التيسير .. والتأثير .. والتبكير !

٤٩٣ شبابيك الذهب

يقول ابن الرومى فى القرن الثالث الهجرى .. أى قبل الف سنة ونيف – هذه الابيات :

ومستقر على كرسيه تعب
روحى الفداء له من منصب نصب
رأيته سحرا يقلى (زلابية)
فى رقة القشر والتجديف كالقصب
كأنما زيته المقلى حين بدا
كالكيمياء التى قالوا ، ولم تصب
يلقى العجين لجينا من أنامله
فيستحيل شبابيكا من الذهب

قلت : ما أبدع ما وصف وكأنما هو رأى العين لكل متأمل . والعجب أن هذه (الزلابية) ما تزال قبل ألف عام ، الطعام المفضل فى (صبحات) الأعراس ! ولا بد منها لتكمل أسباب الفرح .. مع الجبن و (الشيرة) .. وأظن هذه الأخيرة مع كلمة (الزلابية) قد وفدتا معا من فارس ومن عهد بعيد ! وعلى كل من يحذقها الحق فى التغنى بهذه الطرفة الخالدة !

٤٩٤ التبر واللجين

وصف ابن الرومى (الدجاجة) المشوية (وذلك قبل أن تخترع الكهرباء .. وتنصب أجهزة الشواء .. فقال :

وسميطة صفراء ديناريـة
(ثمنا) ولونا زفها لك حزور[1]
عظمت فكادت أن تكون (أوزة)
ونوت فكاد أهابها يتفطر
ظلنا نقشر لحمها عن صدرها
وكأن تبرا عن لجين يقشر

قلت : وفى هذا النص نعلم أن ثمن الدجاجة كان فى عصره باهظا فهى بالدينار لا بالدرهم ! ونتمثل بوصفه ما يعرض فى زماننا هذا من الدجاج المحمر .. بالكهرباء .. ولا فرق إلا أن ذلك كان بالتوالد الطبيعى .. الألذ طعما والأطيب نكهة والأدسم مرقا ! وهذا صناعى .. كالأوز ضخامة وهو فى (مشواته) تبر على لجين .. وسيلحق به صيد البحر من السمك .. فيشوى .. بعد أن طال به (القلى) كما أسمع إلا فى العراق فهو هناك (المسقوف) كما أسمع لا ما رأيت !

٤٩٥ مذنب « هالى »

قبل نحو من نصف قرن مضى .. ظهر فى السماء (مذنب) .. أطلق عليه المعاصرون (مذنب هالى) ! وعلق عليه أصحاب (علم الفلك) .. حوادث كبرى .. وجعلوا منها كل ما وقع ويقع على وجه الأرض من خطوب وأرزاء .. لا يدرى منها (المذنب) شيئا ، وليس له فيها صرف ولا عدل .. وإنما هى دلائل قدرة الخالق القهار .. وأذكر أننى شهدته إبان الطفولة والناس يستعيذون بالله منه ! وهذا حق فهو المعاذ واللياذ وحده لا شريك له من كل ما يحذره العباد .. وقد قرأت أبياتا **لأبى تمام الشاعر الطائى** المشهور فى القرن الثالث يقول فيها :

وخوفوا الناس من دهياء داهية
إذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب !

١ – الحزور – الغلام الذى بلغ القوة .

وصيروا الأبرج العليا مرتبة
ما كان منقلبا أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها وهى غافلة
ما دار فى فلك منها وفى قطب !

وهكذا تداول الخلف عن السلف هذه الأسطورة ! حتى فى القرن العشرين .. وما هذه الظواهر الجوية إلا من السوابح الكثيرة فى ملكوت الله جل وعلا وهو العليم بأسرارها لا سواه ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .

٤٩٦ ماهى « الغربلة »

كنا نفهم أن (الغربلة) تكون للحب ونحوه من المنتجات الزراعية ثم وجدناها تستعار للنقد ! وآونة للشتم ! أو للدعاء ! وأخيرا أدركنا أن لها معنى عريقا استعمله **ابن الرومى** فى قوله :

ان لى مشية (أغربــل) فيها
آمنا ، أن أساقــط الأسقاطــا

قال العقاد رحمه الله :

« وهذه المشية معروفة تدل عليها حركة الغربلة .. وتكثر فيمن بهم خلل فى العصب أو العضل » .

قلت : وما أحسبه بلغ من الشيخوخة هذا المدى الذى (يتغربل) بها سيرة ! إلا أن يكون مرضا ، لا تعميرا ولقد عقب **العقاد** بجملة تدل على أن من معانى الغربلة فى المشى التأنث ..و .. الخلاعة .. والتميع .

٤٩٧ ماعليه ! كمعليش وما يخالف

لكل بلد مصطلحاته التى درج عليها منذ القدم . ومن ذلك قولهم فى الحجاز : (ما عليه) لما أرادوا أن لا يوافقوا عليه أو يغضوا الطرف عنه — ويزيد معناها عن ذلك ويتميز بقرينته — فتكون كالوعيد .. فيما لا يرضونه من الأمور والأقوال والأفعال ويقابلها فى مصر قولهم (معلهش) ولها نفس المدلولات الأولى . وفى قلب الجزيرة العربية وأطرافها الشرقية يقولون : ما (يخالف) .. بنفس المفهوم الأول . وفى بعض المدن عندنا ما يزال بعضهم يستعمل كلمة دخيلة أخرى هى (نيسه) ! ولا أدرى من أى لغة أخذت ؟! إلا أنها تعنى (لا بأس) أو هى (ما عليه) .. و (ما يخالف) مع التبرم والكراهية .. وأكاد أحسبها (تركية) ولها أخت أخرى هى (زى بعضه) ! أى مثل بعضه .. وكلاهما لا يخلو من الضيق فى بعض الأحيان ! والله أعلم .

٤٩٨ افعلوا حتى أقول !

كلمات معدودات .. ولكنها من الحكم البالغات قالها عربى .. من الصحراء فى قلب هذه الجزيرة .. قالت بنو تميم **لسلامة بن جندل** : (مجدنا بشعرك !)

قال : افعلوا حتى أقول !
ومن هذا القبيل قال الآخر :

ولو أن قومى انطقتنى رماحهم
نطقت ، ولكن الرماح أجرت

ولقد اتسع مجال القول بكل ناظم وكل ناثر فى عهدنا المتوثب الزاهر .. ونهوضنا المتحفز الحاضر .. فلا عذر معهما لكاتب أو شاعر .. ومن أمثالهم : « كم ترك الأول للآخر » !

٤٩٩ هذه والله البسالة

« قال **هشام بن عبد الملك لأخيه مسلمة** : **يا أبا سعيد** ، هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ قال : ما سلمت فى ذلك من ذعر ينبه على ، حيلى ، ولم يغشنى ذعر (قط) سلبنى رأيى ، قال هشام : صدقت ، هذه والله البسالة . »

قلت : ما أكبر **مسلمة** .. وأكرمه وأصدقه ، إذ لم يكابر .. ولم يزعم أنه غير بشر .. فلا يهم بما يزعج .. ولا ما يثير ! فقال ما يعظم به ويفخر ويقدم به ويقدر .. وهنا أتساءل عن الكلمة نفسها يتداولها الناس فى زماننا بمعنى (البرودة) ! فيقولون : (هيا بلا بسالة !) وأظنها محورة مطورة من (الكراهة) التى هى من معانيها الأصيلة !

٥٠٠ الشعر الجيد

« ذكر الشعراء عند **عبد الملك بن مروان** فقال : إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من **بني قيس بن ثعلبة** . وهم **أعشى بكر** ، وبأصحاب النخل من يثرب يريد **الأوس والخزرج** ، وأصحاب الشعف من هذيل .. والشعف رؤوس الجبال »

قلت : ومن **كعبد الملك** ـــ يستطيع أن يميز الغث من السمين ؟ ولا يزال كل فريق من هؤلاء الذين أشاد بهم ـــ أحياء يرزقون وفى موطنهم ومرابعهم يتنافسون ، ... وسيعيد التاريخ بهم وفيهم نفسه بأضوأ مما كانوا يصنعون .. وقد أخذت طلائعهم .. تتقدم .. ولسان حالهم ينشد ويتكلم :

ورثناهـــن عن آبـــاء صدق
ونورثهـــا إذا متـــا بنينـــا

٥٠١ ريط الشام وعصب اليمن

« عن **رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل** قال : انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم .. وانى أخاف عليكم فتنة السراء ـــ وهى النساء إذا تحلين الذهب .. ولبسن ريط الشام وعصب اليمن .. فأتعبن الغنى .. وكلفن الفقير ما لا يطاق »

قلت : رضى الله عن **معاذ ورجاء** .. فكيف بهما لو ابتليا (بموضات باريس) ؟. وأزياء الأباليس ؟. أو شهدا ما جره السرف والشرف على المياسير والمفاليس .. ولن تزول هذه البلوى إلا إذا رجع الناس إلى القصد .. والبر والتقوى .. وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ..

٥٠٢ أحمر العين

يوصى الأب ابنه فيقول : كن أحمر العين : فماذا يعنى ؟ انه يريد أن يكون فطنا ذكيا ذا جد ، وكياسة ، وفتوة .. ورجولة .. كل ذلك ينطوى تحت ذلك .. أما أصله من كلام العرب

وعراقته وأقدمية اسمه . فمن ذلك قول **خداش بن زهير** :

انى من النفر المحمر أعـــينهم
أهل السوام وأهل الصخر واللوب
الطاعـــنين نحور الخيـــل مقبلـــة
بكـل سمراء لم تعلب بمعلوب

وما أكثر غبطتى كلما ظفرت بأساس صحيح لكلمة ما تزال متداولة عبر القرون حتى الآن .

٥٠٣ ما تستحى

نعم ــ يتكرر هذا السؤال مئات المرات يوميا .. فى الدور والمطرق وبين أكثر الطبقات المتصلة العلاقة ببعضها أغلب الأحيان .. وبالطبع فانها لا تقال إلا عند الانكار على ما لا يجوز تعاطيه أو لا يليق .. من قول أو عمل .

ونجد فى الأدب العربى القديم أصلا عريقا لها .. بنفس النص : فهذا **عمر بن أبى ربيعة** .. عفا الله عنه .. يقول فى رائيته الشهيرة التى كان ينشدها حبر هذه الأمة **عبدالله بن عباس** رضى الله عنه :

وقلن أهذا دابك الدهر سادرا
أما « تستحى » أن ترعوى ، أم تفكر ؟

وفى الأثر : إذا لم تستح فاصنع ما شئت ! ومما فسر به أنه إذا لم تصنع ما يستحى منه فلا تبل .. والوجه الآخر .. أنه إذا كان غير ذى حياء .. فما يهمه أن يعاب بذلك .. و (الحياء من الإيمان) .

٥٠٤ فلان ليس له ظهر

قال **سحيم بن وثيل الرياحى** ــ وعاش فى الجاهلية أربعين عاما وفى الإسلام ستين عاما :

سأحيى ما حييت ، وان ظهرى
لمستـــــــند إلى نضد أمين
كريم الخال من سلفى رياح
كنصل السيـــف وضاح الجبين
فان قناتـــا مشظ شظاهـــا
شديد مدهـــا عنـــق القريـــن

والشاهد فى الأبيات .. قوله : « وان ظهرى لمستند إلى نضد أمين » .. وما يقصد بذلك طبعا إلا رهطه وعشيرته ومن يذود عنه وينفر من أجله ! وما زلنا نسمع الناس يقولون .. فلان ليس له ظهر .. ولا يعنون إلا هذا .. وفى اللغة .. (الظهير) هو ــ العين ــ القوى الظهر ! وفى القرآن الكريم ما يؤيد هذا المعنى فى آيات شتى .. وما أعجب أن بقى بعض الكلمات تساير مختلف الأزمنة والعصور !.. كأنما هى من طبائع النفوس .. فلا تكاد تفترق عنها .. حتى فى العصر الصاروخى .. أو الفضائى .

وقديما قال الشاعر « وإنما العزة للكاثر » جعل الله ظهيرنا من قوته وتوفيقه ومرضاته .

٥٠٥ النظام العسكرى من العصر الجاهلى

عجبت لبعض المصادفات .. كيف يجد المرء فيها ما لم يخطر بباله من الطرائف .. اتفاقا .. فقد كنت أقرأ فى « الأصمعيات » التى أكمل بها

أبو سعيد عبد الملك بن قريب ابن عبد الملك الأصمعى (١٢٢ ـ ٢١٦هـ) المفضليات .. فعثرت على قصيدة **لأوس بن وطفاء الهجيمى** يهجو بها **يزيد بن الصعق الكلابى** يقول فيها :

جلبنا الخيل من جنبى أريك
إلى أجا ـ إلى ضلع الرجام
بكـــل منفـــق الجرذان ـ مجر
شديد الأسر ـ للأعداء ـ حام
أصبنـــا من أصبنـــا ثم فئنـــا
على أهل الشريف ، إلى شمام
وجدنا من يقود (يزيد منهم)
ضعاف الأمر ـ (غير ذوى نظام)

وعند هذا البيت الأخير منها .. وقفت طويلا أتساءل متعجبا .. أيكون استعمال كلمة (النظام) فى الجند أو العسكر مأخوذا من العصر الجاهلى ؟ وحتى القرن الرابع عشر الهجرى .. وفى الشرق والغرب معا ؟ هذا من وجهة الاعتبار العسكرى ! وثمة وجهة أخرى وهى أن الشاعر كان يقول ما يفهم سامعوه .. فى عهده .. فكيف بعد هذا .. ننعت القدامى بالبداوة المجردة من كل ما اصطلحت عليه (الحضارة) ؟! الحق أن هذا يدل على أن العرب ولو كانوا بجماهيرهم الغالبة .. لم يمتزجوا بغيرهم ولم يخرجوا من جزيرتهم وصحاراهم إلا فى نطاق ضيق فان منهم من يعتبر برحلاته .. « كشافا » وصافا .. متأثرا بما رأى أو سمع وراء الحدود .. من مصطلحات الشعوب والأمم .. ونجد على ذلك أدلة شتى يتحدث بها شعرهم المحفوظ .. وذكاؤهم الملحوظ .. وبقدر ما أتيح لهم من حظوظ .

٥٠٦ البصـــاصـــون

كنا فى أول العهد بالحياة نسمع فى مكة أن بها رجالا يقال لهم (البصاصون) وعلمنا بعدئد ـ وفى العصر العثمانى ـ أنهم أولئك الذين يعهد إليهم بالحراسة ليلا أو نهارا .. أى ما يسمى فى أيامنا هذه بالعسس مع زيادة فى المسئولية والمرتبة .. والهيبة والزى والمظهر !

وما أكثر ما نسمع القائل يقول : بص فلان إلى كذا ، بمعنى نظر إليه .. وأحسب أن أول من استعملها كان يضيف إلى الرؤية والنظر شتيمة لا يفطن إليها إلا المتعقب ! فإنه لم ترد كلمة بص .. مرادفة لـ (نظر) .. وإنما جاءت « بصبص .. (الجرو) .. فتح عينيه » و « بصبص (الكلب) حرك ذنبه » ! ثم تداولها بعضهم فيما يتصل « بخائنة الأعين » ! وفى مواقف الريبة والاتهام !.. وبذلك نرى أن استعمالها غلب خيره على شرها .. وهى إلى ذلك لا تزال بمفاهيمها اللغوية غير مجهولة من الراسخين .. فهى مرة : نظر محض .. وهى أخرى نظر مختلط !.. وهى أيضا قذف مستور ، فى أغلب الأحيان !.

٥٠٧ الخبيصـــة

لبعض الكلمات مدلول قديم وحديث : ولا تزال تتطور بها الأيام حتى تكون من الأضداد ؟!

فهذه « الخبيصة » كانت من الأمنيات النادرة قال **عبد السلام بن الحسين** يصفها :

خبـــيصة فى الجام قد قدمت
مدفونـة فى اللوز ـ والسكـــر

يأكل من يأكلها خمسه
بكفه فيها – ولم يشعر

وقوله : يأكل خمسة .. يعنى به ما لا يزال يقال حتى اليوم « تأكل يدك معاها » ! ثم ماذا ؟ توارت الخبيصة ولم يعد لها هذا الامتياز .. وأصبحت نعتا لكل فوضى أو اضطراب واختلاط فيقولون (خبصها خبصة) ... إذا الشتبك فى جدال أو خصام أو أفسد طعاما .. أو أفحش كلاما !.. وهكذا يتناول التطور حتى الألفاظ .. كفانا الله شر الخبصات والخبائص !..

٥٠٨ لعبة « الحنكر »

أدركنا زمن الطفولة .. ألعابا شتى .. رائجة بين الصغار .. وبعض « الشحوط » .. أى الكبار .. ومنها لعبة تسمى « الحنكر » وهى عبارة عن حجارة (مدورة) تطرح على الأرض .. وعلى اللاعب أن يتعقبها باحدى رجليه رافعا الأخرى .. عند الركبة !.. ولا يزال يقفذ وراءها وأمامها وحولها حتى يصل بها إلى الهدف .. وأذكر أن الأمهات كن يتشاءمن منها وينهين أولادهن عنها لأنها تجعل من الطفل (أعرج) .. بالرغبة بينما يكون فى قفز ونط وكأنما هو « **محمد على كلاى** » فى مباراته مع منافسيه ! ولا أدرى سر التسميه ؟ وما أظنها إلا ذات تاريخ عريق فى ألعاب البدو أو الحضر وقد انقرضت كليا .. ولم يبق من (الحنكر) و (البارجوه) و (اليرسى) و (تنه يقت) و (الكبت) أو (الكبد) وكل ما يحذقه ـــ أبونا الأستاذ الكبير **الشيخ أحمد السباعى الا ذكرياتها وقد ورثتها كرة القدم ولعلها هى الأصلح !.**

٥٠٩ « دحين »
أصلها ذا الحين

فيما عدا رجال البادية .. يتداول الحضر كلمة (دحين) بمعنى (ذا الحين) أى (الآن) .. أما البدو فانهم بها أطلق وأنطق وأحذق ! ويستعملها فى نفس المدلول أهل (مصر) بقولهم (دا الوقت) ! وعوض الذال على الله فيما انتهبته منها الدال ! وكم لها من مثيلات .. (أخنى عليها الذى أخنى على لبد) !

٥١٠ « سوى زى ماتبغى »
أو مابدا لك

يردد العامة والخاصة أيضا هذه الكلمة كلما ضاقوا بشخص يتصرف تصرفا غير معقول أو لا يحسن وقوعه منه ! تاركين له أن يتحمل تبعات عمله ونتائجه .. أيا كانت ! وقرأت لهذا المعنى بالذات أصلا كريما فى (الوحى المنزل) وهو قوله تعالى : ﴿ **اعملوا ما شئتم** ﴾ .. أى فانكم ستجزون عليه بما تستحقون من سخط أو رضاء .. وثواب أو عقاب !

هدانا الله إلى سواء السبيل .

٥١١ يالله زينا.. تعالوا عندنا

من الأمثال العامة الدارجة هذا المثل الذى يتكرر على الألسنة كل يوم وعند كل مناسبة وهو صحيح فى معناه وله أصل عربى قديم منظوم ومنشور .

قال الشاعر :

ان الطيور على أشكالها تقع

وقال الناثر : فى مثل عربى عريق : (وافق شن طبقة) .. وأيضا له ابن عم متداول وهو : « صفق صفق .. ما جمع حتى وفق » .. وأخ ثالث .. وهو : « البيض الفاسد يتدحرج على بعضه » .. الا ان هناك قرائن وظروفا تجعل الاستعمال منصرفا إلى الخير أو إلى الشر .. وإلى التقدير أو التحقير !.

٦١٢ اكل بلا طعـــام

إذا احتمل الإنسان ما يزعجه وكظم غيظه ، وإذا أصابه مكروه .. أو أعنات أو كاده أحد .. أو سبقت منه زلة إلى غيرة وكافأه عليها بأحسن منها أو أقبح على الأصح قال : (أكلتها) !. أو (أكلته مثلها) !. فهذا هو الأكل بلا طعام .. وهى كلمة مفهومة المدلول عند العامة والخاصة . وقد جاء فى الكلمة قولهم قديما : « من أيقظ فتنة فهو آكلها » .. ولها تعبير آخر .. كقولهم : « أكلت أو كل هواء ! » وأكل الهواء .. كناية عن الغش وعدم الاستطاعة والخيبة ، وربما زاد بعضهم فجعل الأكل حسيا .. مثل قولهم (سف تراب) البعيد ! وندون ذلك باعتباره مما تواضع عليه الناس فى زماننا هذا وما قبله ، وله أصل صحيح من الفصحى .. كأكل أموال اليتامى .. فهو أكل غير مباشر .. وليس مما تهديه الموائد .. ولا تصفف الأطباق .. وقد يزيد بعضهم فيقول مبالغة فى السخرية : بالملاعق !... ويلوح لى أن هذا النوع من الأكل .. قد أصبح ضرورة ملحة أو لازمة أكثر مما يتناوله المرء من أنواع الأطعمة .. المهضومة .منذ يفتح عينيه صباحا إلى أن يغمضها فوق مضجعه وهو ما يعبر عنه الاجتماعيون بالقلق .. أو الحساسية المرهفة ! وقلما يخلو أحد من هذا الأكل — وما أشد أثره وتأثيره فى صحة الإنسان .. فانه بمعنى طبى .. هو (الكبت) .. وهو مرض عضال .. وداء عياء .

ولهذا قال عز وجل فى سورة العصر : **﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾** اهـ

٦١٣ فذلكة الحســاب

يستعمل أهل المتاجر — والمحاسبون كلمة (الفذلكة) .. ويقصدون بها الخلاصات والنتائج الكلية .. لعملياتهم التجارية والحسابية .. وربما استخدمها آخرون بمعنى التعليل .. بقولهم : فذلك .. فذلك !.. فى مجال الكتابة والبيان .

وهى كلمة قديمة التداول أوردها **الراغب الاصبهانى** فى كتابه محاضرات الأدباء .. وذلك قبل نحو ألف سنة خلت !

فقد روى بيتين عزاهما **لمنصور** (ولعله معروف باسمه) فى زمنه ، قال :

من شاب قد مات وهو حى ... يمشى على الأرض وهو هالك
لو كان عمر الفتى حسابا ... لكان فى شيبه (فذلك)[1]

وهو يقصد أنه فى أخرياته وختامه .. ونهايته !.. وخيركم من طال عمره وحسن عمله . فهنالك تكون أحسن الفذالك (والعاقبة للمتقين).

١ — المنهل : وللمتنبى عبارة مثل هذه فى ديوانه (واتى فذلك اذ اتيت اخ)

٦١٤ مــالك ومالـه ؟

كثير من التعابير أو التعبيرات الدارجة يرجع إلى أصول صحيحة عريقة يفطن لها من تقرى ذلك وتتبعه فى كلام العرب ، ولا سيما العوام منهم . ومن ذلك جملة لا تزال متداولة على ألسنة الجميع وهى : (مالك ؟ وماله) !

وقد وجدت نفس العبارة ــ لفظا ومعنى ــ فى شعر قيل فى القرن الهجرى الأول . وذلك فى قصة فحواها : أنه لما سجن **الحجاج بن يوسف** (**مالك بن أسماء**) كتب هذا إلى أبيه وهو سيد بنى فزارة يومئذ يطلب إليه الدخول إلى **الحجاج** مستشفعا له ، فأبى أن يلقاه وسوغ امتناعه من ذلك بقوله :

ابنى (فزارة) لا تعنوا شيخكم
مالى ؟ ــ وما لزيارة الحجاج !
شبهته شبلا غداة لقيته
يلقى الرؤوس شواخب الأوداج

فهى بهذا غير عامية .. ولها نسب وسبب موصول إلى الفصحى فى أصح أصولها .. وهى على إيجازها ذات معان واسعة .. تسبق الألفاظ إلى المدارك والرؤوس ... وأحسب أنها تجرى على نسق من الحديث المأثور : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

٦١٥ « المناقي » و « الملاقي »

أدركنا أهل الحاضرة .. (أى فتوات الحوائر) . والبادية ... يتحدثون بعد وقوع العراك و (الهوشات) بينهم ... وإصابه بعضهم خلالها .. عما يسمونه (المنقاة) و (الملفاة) .. بالهاء أحيانا وبدونها أخرى ! وهم يعنون بذلك أن يمشى المعتدون إلى المعتدى عليهم فى دارتهم أو حارتهم .. ينقون لهم .. أو يقدمون (الملقا) ؟!.. أى « الملاقاة » وكان ذلك فى عرفهم المتوارث .. تناول المعتدى نفسه أو ربعه وجماعته .. (السلاح الأبيض) .. ليضرب به رأسه ... اعترافا منه بالذنب ! ويتلافاه المعتدى عليهم .. فيمنعونه من اصابة يافوخه .. بيده ! ويسمحون عنه .. ثم يكون هذا هو « النقا » .. ومنعه هو « الملفا » ولعل لهذه معنى الصق بها غير ذلك .. وهو أنهم يقصدونهم بالذبائح مرضاة لهم ليلفوهم .. أى يجدوهم .. وقد أزال الحكم الشرعى كل هذه التقاليد فى بادية وحاضرة فلا منقاة ولا ملفاة .. والحمد لله .. وإنما هى (حدود الله) تقام على كل من يتعداها .

وقد وجدت نصا فى الشعر العربى القديم فيما قاله **أعشى تغلب** :

يزداد لحم « المناق » فى منازلنا
طيبا إذا عز فى أعدائنا (المرق)

وان كنت أرجح أنه لا يقصد بالمناق ــ « ومن جمع منقية .. الناقة ذات الشحم » ما تواضع عليه المتأخرون كما أسلفنا .. وإنما أراد اليسار والنعمة فيهم والمجاعة والمترتبة فى أعدائهم والله أعلم .

٦١٦ الأرق والقلق

تحدث أحد المذيعين فى الاذاعة السعودية عصر يوم الأحد فى ١٢ ــ ٦ ــ ١٣٨٤ هـ عن توافر علماء الدنيا فى الوقت الراهن على اختراع علاج

مناسب للأرق بعد أن تبين لهم أنه الداء الأول أو العام الذى يشكو منه أولاد آدم وحواء .. وأخذ يصف ما يحاولون من إيجاد العلاجات المفيدة .. وأبدى بعض النصائح للمصابين بالأرق .

وتناولت القلم لأكتب هذه الكلمة .. معقبا على ما قاله وبسطه من علاج مادى أو أدبى ! وذلك بأن أتلو أولا قوله تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ ثم ان خير علاج جذرى للأرق .. هو عدم القلق ولا يتأتى ذلك إلا بالتسليم بقضاء الله وقدره . أولا وقبل كل شىء .. وانه « **لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** » .. وثانيا .. عمل الخير بقدر الاستطاعة .. ولو بكف الأذى ثالثا .. البعد عن الشرور ودواعيها كلها .. ومن ذلك تحمل ما لا يطاق من التكاليف التى ما أنزل الله بها من سلطان وعدم التقليد لكل ما هو ضار غير نافع أيا كان مصدره وسببه والقناعة بالرزق المقسوم ، والاستغفار .. وأداء الفروض والنوافل ، وعدم الانحراف مع التيارات الجديدة التى تثقل كواهل متوسطى الحال فضلا عن محدودى الدخل ! وعدم المبالاة بمن يخالف القصد والرشد والاعتدال .

وما لم يتبصر المرء رشده خلال هذه العوامل .. جالبة وسالبة .. فإن كل ما يخترعه العلماء ذاهب سدى .. ولا ريب ! ولا هناء ولا رغد ولا اطمئنان إلا فى ظل ما أمر به الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ، ونهى عنه .. والحرص على تطبيق ذلك بإيمان ويقين واعتقاد . ﴿ **والله خير الرازقين** ﴾ ﴿ **والله أحكم الحاكمين** ﴾ .. ﴿ **والله أرحم الراحمين** ﴾ وأكاد أجزم أن لو عالج صاحب الأرق أرقه بالقيام ليلا للصلاة .. والذكر الحكيم لرأى العجب العجاب قبل مرور وقت طويل أكثره ثلاثة أيام والتجربة خير برهان) .

٥١٧ من اجهزة المطافىء

قال **الجماز** يهجو (**مروان أبا السمط**) الشاعر معاصره فى العصر العباسى :

اجتمع الناس وقالوا : الحريق
بباب عثمان ، وسوق الرقيق
فجاء مروان على بغلة
فأنشد الشعر ــ فأطفأ الحريق

قلت : ولعله كان إلى ذلك بمثابة (الثلاجة) .. لو أضيف إليها (الماء) فى الزجاج لجمد !.. ألا ما أشد الخصومة بين المتضاغنين ! وما أغناهم عنها ائتمارا بقوله تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ !

٥١٨ من صناع مكة

قال **أبو بكر محمد بن مذحج الزبيدى** (٣١٦ ــ ٣٧٩)هـ فى كتابه (لحن العوام) :

« وحدثت أن بعض الصناع بمكة وعد رجلا من أهل العلم بصناعة شىء من عمله .. وحدد له وقتا .. فأتاه للوقت ، فلم يلق ذلك الشىء كاملا .. فقال له : أعجزت عن عمل كذا ؟ قال : لم أعجز ولكنى كسلت ! قال : فتصاغرت إلى نفسى أن يكون الصانع أعلم بمواقع الكلام منى » اهـ

قلت : وكذلك كان حتى أهل الحرفة .. يحسنون التعبير بما يستوجب من العالم النحرير كل تقدير .. وما كان أكثرهم الا من أهل اللغة سليقة .. وحقيقة وفطرة وخليقة ... ثم خالطهم كل من دب ودحرج وأغرب ولجلج !.. وأين البنفسج من العوسج ؟!

٥١٩ الموسم والبصارة

يطلق أهل الحجاز على أشهر الحج .. (الموسم) وعلى ما عداها « البصارة » بكسر الباء : وصحتها الفتح .. لأنها من التبصر .. فكأنهم بذلك يجعلون انطلاقهم زمن استقبال الحجاج وخدمتهم لهم .. انصرافا إلى العمل وحده فإذا ما فرغوا من ذلك وخلوا إلى أنفسهم تبصروا ما لهم وما عليهم ووضعوا خططهم للأشهر القادمة .. سواء فيما يدخل وما يخرج من الدراهم أو ما يتصل بالحقوق أو السفر أو الإقامة أو العبادة .. أو الاستجمام فى القيلات والسمرات !. وما لذلك من تأويل غير هذا ، و (البصارة) بالشيء حذقه وإحسانه .. وانها لكلمة جامعة صحيحة المبنى والمعنى .. فما أحسب أنها أطلقت اتفاقا .. أو مصادفة .. بل هى نتيجة اختيار وتفكر وحسن تقدير والله أعلم .

٥٢٠ الجلد على السماجة

روى ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦هـ فى كتابه (المعارف) : أن **سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف** ــ وكان قاضيا بالمدينة المنورة زمن **هشام بن عبد الملك** ــ جلد رجلا دخل عليه ، فقال له : فى أى شيء جلدتنى ؟ قال : فى السماجة ، فقال قائل بالمدينة :

جلد الحاكم سعد بن سليم ــ فى السماجة
فقضى الله لسعد من أمير كل حاجة

قلت : كان هذا الجلد على السماجة فى القرون الخيرة ... فلو أن سعدا طال به العمر فشهد زماننا أكان بوسعه أن يجلد على السماجة ؟! وهى ما هى .. اندفاعا ولا مبالاة فى كثير من الأوساط ، ومختلف الأشكال والأنماط ؟! أظنه لو عاش لآثر أن يموت حتى لا يفقد اشتفاءه بالزجر والردع فيمن يتندرون بالشتم والقذع من فاقدى الحياء وأشباه الغوغاء .. والحياء خير كله .. و « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » !

٥٢١ سك له ولا تلعطه

يقول هذه الجملة المكارون ــ أيام صعود جبل كرى على الأعيرة .. الصغيرة ، أو فى أيام المناسك بين مكة وعرفات !. ويقصدون بها نهى الراكب من ضرب الدابة .. والاكتفاء بأن يحفزه بالسكسكة ... وهى محض الصوت دون اللعط ... وهو فى عرف البدو الضرب !.

وقد وجدت الجاحظ يقول فى كتابه « القول فى البغال » .. « عدس » للبغلة .. مثل قولهم « سأسأ » للحمار و « حا » للجمل .. و « حل » للناقة ! إذن دخل التحريف حتى على هذا النداء .. للحيوان .. فإن الناس أصبحوا يزجرون الغنم الماعز ــ بقولهم ــ (سك) .. والحمير بـ (حد) أو (حر) .. أما (حا) .. فما زالت كما هى للجمال .. ولم أسمع (حل) الناقة قط !.

فكيف كان هذا التحوير . لولا أن يكون مرده الأغراب .. من الحجاج .. أو الزوار من غير الأعراب ؟!

٦٢٢ ملك العجين

من الكلمات الفصحى أو الفصيحة التى حافظ على استعمالها العامة .. منذ عصور طويلة قول السيدة للخادمة : (املكى العجين) .. يوم كانت الحنطة أو البر .. أو الحب .. ينقى .. ويغسل ويطحن ويعجن ثم يخبز أقراصا ! ويكاد لا يبقى له أثر فى عصرنا هذا بعد أن استغنى أرباب الأسر بخبز الأسواق أو الأفران — بما فيها — الكهربائى ! وأجد كلمة « ملك العجين » يملكه ملكا وأملكه : عجنه فأنعم عجنه وأجاده . أن ذلك لدليل على أن الأوائل كانوا يتخيرون كلامهم حتى فى بيوتهم ومرافقهم وأطعمتهم من منابع اللغة الصافية .. وذلك هو الأصل وكل ما عداه فهو الدخيل القليل .. وسقى الله عهد (الحنانة) — بكسر الحاء بعدها نون مشددة .

٦٢٣ نانا ، لاننه

هناك ألفاظ وكلمات دخيلة فى مصطلحاتنا العامة المتداولة ، قلما يظفر الباحث على أصلها .. ومن ذلك أن الأمهات إذا سألن الطفل عن جوعه .. قلن له : تعال كل (النته) ! فما هى هذه (النته) ومن أين جاءت ؟. لقد وجدتها !. ولا أزعم أننى المكتشف الأول ولا الأخير .. وإنما هى (دعابة بريئة) !

قال **الخطيب البغدادى** فى كتابه (البخلاء) وهو حجازى المولد (٣٩٢ — ٤٦٣)هـ : (وأنشدنا المنيرى لجحظة) :

وصاحب ان جئتـــــه قاصدا
أفـدت منـه العلـم والظرفـا
حتـى إذا ما جئتـه زائـرا
لم ألق .. لا (نانا) ولا (أنا)

و (النانا) بالفارسية الخبز .. والآن الطعام بلغة أطفال بغداد كما ذكره الشارح .. فهل نستطيع تصحيحها ؟! لا أظن ذلك ممكنا .. بعد الذيوع المتبوع .

٦٢٤ الصاقعة .. والصاعقة سواء

سمعت احداهن تقول : الصاقعة .. وأنكرت عليها وصححت لها ما تقول فهى الصاعقة .. كما ورد ذلك حتى فى الكتاب المبين ! واقرأ مصادفة فى كتاب (شجر الدر) **للواحدى** (٣٥١)هـ قوله : **قال الراجز** :

يحكين بالمصقولـــة اللوامـــع ،
تكشف البرق عن الصواقـــع

يريد الصواعق .. وهذا من المقلوب »

قلت : فعلمت أن ما جرى على لسان من (خطاتها) .. كان صحيحا .. ومضى به النطق قبل ألف عام !!

وأغلب الظن أن (الصقعة .. والمصقوع) من هذا الأصل ؟! حاشا الخطباء المصاقع !. فهم مؤثرون .. لا متأثرون .. وصاقعون — لا مصقوعون !..

٦٢٥ المبلط كالمترب

نسمع الناس يقولون عمن افتقر و أدقع أنه (مترب) وهو فصيح صحيح حتى فى الكتاب المبين .. ويردفون ذلك بقولهم : هو (مبلط) —

ويشددون اللام .. ويشترك فى هذا المعنى عندهم من أكل حق غيره أو ماطل فى أدائه .. فى الاصطلاح الحديث ! غير أن المنصوص عليه هو أن (المبلط) الذى لا شيء له كأنه لزق بالبلاط .. وعن خلف الأحمر لبعض الرجاز قوله :

(قالت أراه (مبلطا) لا شيء له)

وقال **الكسائى** : المبلط . أبلط الرجل فهو مبلط إذا افتقر .. ولا يحتمل ذلك المدلول الجديد .. فى التبليط .. بمعنى .. المماطلة أو التفليس . أو نية الاهتضام وأكل مال الغير ظلما .

٥٢٦ أيش : هي أي شيء ؟

إنها لعريقة عتيقة ! ورشيقة .. رقيقة .. كلمة (ايش) وهى ـــ بغدادية الأصل ـــ مخففة من أى شيء ؟. وأتذكر أن أحد السلاطين قدمت إليه (جارية) حسناء .. فسألها : (أنت بكر أم أيش ؟) فقالت : أنا أيش ! .. وما تزال محل التداول بلا انقطاع منذ القرن الثالث الهجرى حتى الآن . وتختلف به اللهجات .. ففى نجد تتحول إلى (وشو) ! أى .. (أى شيء هو ؟) .. ولها أخوات .. مقتضبات .. أو مختزلات ولكنها تمتاز عنهن بالتواتر .. المستملح !.

وقد خوطب بها فى عصره القاضى « **يحيى بن أكثم** » فما أنكرها . وقد يقال : (فلان) لا شي ، أى لا شيء !. استهانة به وهو مما اصطلح عليه الظرفاء الأقدمون ، عفا الله عنا وعنهم .

٥٢٧ لامية العرب وقراءها

« تحدث شارح « لامية العرب » ومحققها الدكتور **محمد بديع شريف** الذي عنون لها بـ (نشيد الصحراء) .. عما حمله على إفرادها بالشرح وعرضها في حلتها القشيبة وأنها لا تزيد على تكرار التلاوة إلا طلاوة وحلاوة ! ومما قاله اني أرى أبناء (الغرب) بالغين ! كيف كانوا يقبلون على تفهم معانيها حين أنابه عنه أستاذ الاستشراق (رودولف جودى) في جامعة (بازل) في تدريسها لزملائه من طلاب عام ١٩٤١ » .

وتمهلت قليلاً .. لأتذكر ما إذا كان في مدارسنا عامة عناية ما بهذا الأثر التاريخي التالد .. وهذا التراث الأدبي الخالد ؟ وكم من الطلاب يحفظونها ؟ أو حتى قرأوها .. وفهموا معانيها ؟ وإذا لم يكن ذلك من قبل فهل نطمع أن يكون ذلك مما يعني به المدرسون والتلاميذ في عهدنا الحاضر . فإننا أجدر بذلك من طلاب جامعات أوربا ... وأميركا ؟! وأرجو أن أكون لا أدري ان هذا متحقق فعلا .. فإن إهماله لا يتفق مع (النهضة العلمية) العتيدة ! وإنها لحرية بالتدريس قبل كل شيء سواها مع أمثالها من مصادر الأدب الأولى .. والله الموفق .

٥٢٨ نهار الصيف

قال **عبدالله المفجع** فيما حكاه عنه صاحب (الجذوة) في أدب الأندلس قبل ألف سنة :

لنا صديق مليح الوجه مقتبل
وليس في وده نفع ولا بركة

شبهته بنهار الصيف يوسعنا
طولاً ، ويمنع عنا النوم والحركة

قلت : سبحان الله هذا وصاحبه يعيش في (الفردوس المفقود) .. الذي قال فيه أحد شعرائه :

ما جنة الخلد إلا في دياركمو
ولو تخيرت هذا كنت أختار

فكيف به لو كان في هذه الأجواء المتوقدة ؟!

على أنه ـ غاب عنه ـ إن المطر كما لها محب فلها كاره .. والصيف لا يعدم المنافع في الأبدان وإنضاجها والأمراض وعلاجها .. وفيه تتبرج البلاجات !.. وتتارج الأمسيات . وهو إلى ذلك ، أجود للعمارة من حيث طول الزمن . وزيادة العمل !. وإن تلظى به العمال .. وسال به العرق .. وتمادى الأرق .. وما من شيء إلا وقد جعل الله بحكمته فيه ما يحب وما يكره ! حاشا ما يرضى به ولا يسخط .. ونستقيم به ولا نحبط .

٥٢٩ الشيخ أم الحدث ؟

من ألطف ما عثرت عليه في مشكلة تزويج الفتاة بمن ترغب ومن تؤثر من الأزواج أبيات رواها صاحب كتاب (جذوة المقتبس) **الحميدي** المتوفي سنة ٤٨٨ هـ وعزاها إلى (**يحيى بن حكم الغزال**) المولود سنة ١٥٦ ـــ والمتوفي سنة ٢٥٠ هـ قال ، قبل ألف ومائتين من السنين :

وخيرها (أبوها) بين شيخ
كثير المال ، أو حدث صغير

فقالت خطتا خسف ، وما إن
أرى من خطوة للمستجير
ولكن إن عزمت ـ فكل شيء
أحب إلي من وجه الكبير
لأن المرء بعد الفقر يثري
وهـذا لا يعـود إلى صغير

قلت : وقديماً قال الشاعر :

أحلى الرجال من النساء مواقعاً
من كان أشبههم بهن خدودا

وما أشد الظلم إذا أُكرهت العروس على معاشرة من لا يشاكلها !.. فذلك مدعاة إلى النكد والمرارة .. وإلى ما لا يعد ولا يحصى من المفاسد التي يجب أن تدرأ .. بحسن الاختيار .. ومجانبة الإكراه والإعسار !

وبيت تخفق الأرياح فيه
أحب إلي من قصر منيف !

٥٣٠ يا « بارد » لم تردها

« قال **أبو الفرج الأصبهاني** : أخبرني **الجوهري** . حدثني **النوفلي** سمعت أبي يقول : رأيت **أشعب** وقد أرسل إليه (**المهدي**) فقدم به عليه .. وكان أدرك **عثمان** .. فرأيته دخل بعضه في بعض .. حتى كأنه فرخ !. وعليه جبة من وشي .. فقال له رجل : هبها لي ! فقال : يا بارد لم تردها .. وإنما أردت أن يقال : (أطمع من أشعب) .. » اهـ .

قلت : وحق له أن يحافظ على هذا اللقب الذي لم يرثه عن خلف من صلبه مع الأسف ! وما أردت بذكر هذه الطرفة إلا الإشارة إلى قوله : يا بارد .. فهي ما زالت مستعملة في بلادنا

ــ وربما في كثير من البلدان العربية .. ولكم ضاق بها ذرع الحجاج أيام المواسم حيث ترتفع أصوات باعة (الشربيت) أو (الشراب) أو الماء المثلوج بقولهم : (يا حاجي بارد مكررة) !.. وهم يستشعرون بهذا النداء الغضاضة .. ويحسبونه شتماً .. ومن حمق منهم كافح ونافح .. ودخل في معارك حامية مع المنادين .. ومهما يكن من أمر فإن البارد خير من الحار !. وكل وما اختار !..

٥٣١ السخاوي ومعاهد العلم

جاء في ترجمته أنه توجه من مصر إلى الحج فسمع بالطور وينبع وجدة ، ووصل إلى مكة في أوائل شعبان فأقام بها إلى أن حج .. وقرأ بها من الكتب والأجزاء ما لم يتهيأ لغيره من الغرباء حتى قرأ داخل البيت المعظم و (بالحجر) ـــ وفي (غار ثور) و (جبل حراء) ، وبكثير من الأماكن المشهورة بمكة وظاهرها .. (كالجعرانة) ، و (منى) ، و (مسجد الخيف) على شيوخ يزيد عددهم على ثلاثين ، منهم **ابن ظهيرة** ، **وابن فهد** ، **والتقي الفاسي** . اهـ .

قلت : وهكذا كان العلم والعلماء .. ومواطن التعليم .. وأدركنا منهم بقية صالحة .. كانت تملأ الرحاب .. وتجمع الأحباب .. وتثقف الطلاب ، وتفتح الأبواب .. وتضيء المصابيح .. ولو شئت لعددت منهم ضعفي الثلاثين .. وقد لحقوا بالرفيق الأعلى .. ولم يخلفهم لسوء الحظ من يملأ فراغهم ، ويؤدي بلاغهم .. من ذرياتهم الطيبين .. وأعني بذلك في (حلقات التدريس) الجامعة .. وإلا من اختصه الله بفضله ومنحه القدرة على متابعة الجهاد في سبيله ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

٥٣٢ أولية « الشقادف »

أدركنا أيام الشقادف والشباري .. والهوادج .. والنخوت .. وكلها مما يحمل على متون الإبل وقليل منها ـــ أي النخوت ـــ ما كان يحمل على الخيل أو البغل ، وأعياني أن أقف على أولية استعمال ما يسمى (بالشقدف) !

وفي قراءة عابرة لكتاب « التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة » **لشمس الدين السخاوي** (٨٣١ـــ٩٠٢) هـ . ظفرت بهذه الجملة في ترجمة (٢١٩٣) **عبدالله بن محمد الجمال الظاهري** قال عنه : وقرأ في المنهاج ولازم **الزيني زكريا والطفتدائي** الضرير وزاحم الطلبة وتوصل لبيت **البرقي** بتعليم ولدي ولده وصار كبيرهم يصرفه في التوجه مع (شقادف) المنقطعين بدرب الحجاز التي من جهة ناظر الخاص للعقبة فما دونها ، قطن مكة سنة ٨٨٨هـ وتحول إلى المدينة المنورة .اهـ .

قلت : إذن تكون الشقادف مستعملة من هذا التاريخ أي منذ أكثر من خمسمائة عام ـــ وربما أقدم من ذلك . وبقرينة أنها كانت تقدم مع حج مصر .. فلعلها من مصنوعاتها في ذلك العصر .. إستنتاجاً .. وعسى أن يحافظ أهل مكة على نماذج متحفية منها بجميع أشكالها .. للذكرى والتاريخ !

٥٣٣ طواف النساء

تولى امارة الحرمين الشريفين من قبل الخليفة (**المأمون**) **عبيدالله بن الحسني بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب** سنة ٢٠٤ هـ . وقال السخاوي : انه أول من فرغ الطواف للنساء بعد العصر ليطفن وحدهن ولا يخالطهن الرجال فيه ، قال : ثم عمل ذلك إبراهيم بن محمد في امارته . اهـ .

قلت : وقد سبقهما إلى هذا الحجز **خالد بن عبدالله القسري** ، حيث وضع فاصلاً في (المطاف) بين الرجال والنساء .. ذلك والعهد بالأخيار والطيبين غير بعيد !.. وما أشد الحاجة إلى التدبير في هذا الموضوع .. في عصرنا هذا .. بما تتنزه به القلوب والأبصار .. وتطمئن نفوس الأبرار والأطهار .. وما لا يتنافى مع الشريعة السمحة البيضاء .. ويدرأ خائنة الأعين .. ويدفع غوائل الاختلاط والازدحام في مكان لا مجال فيه لغير الخشوع والخضوع والابتهال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٥٣٤ مشي حالك

من منا من لم يسمع هاتين الكلمتين تقال له أو لأخيه أو صاحبه .. إذا تيسر أمره وارتفع ذكره .. وزاد خيره .. أو بشر بما يسره .. أو تحققت له أمنية زفاف أو منصب أو رزق واسع ؟

إنها جملة متواترة متداولة حتى يومنا هذا .. وقرأتها في كتاب السخاوي (تاريخ المدينة المنورة) .. وهو يترجم ابن قاضي الحرمين **عبدالقادربن عبدالمطلب المحيوي الحسيني** الفاسي الأصل المكي الحنبلي المولود بمكة سنة ٨٤٢ وقد تولى قضاء الحنابلة بمكة سنة ٨٦٣ هـ .

قال : ثم أضيف إليه في سنة ٨٥٥ قضاء المدينة النبوية — و (مشى حاله) ... وأخيراً كانت وفاته بالمدينة سنة ٨٩٥ هـ . اهـ .

قلت : فتمشية الحال إذن تعود إلى هذا القرن التاسع أو ما قبله أيضاً وإن كان مدلولها .. قد اشترك بشبهة .. لا يرضى بها الفضلاء .. في الزمن الأخير !.

٥٣٥ نباتي من الصحابة

« **آبي اللحم** .. **الغفاري عبدالله بن عبدالملك بن عبدالله بن غفار** صحابي شهير حديثه عند الترمذي والنسائي والحاكم وروى بسنده عن أبي **عبيدة** .. وكان شاعراً شريفاً وشهد (حنيناً) ومولاه **عمير** .. وإنما قيل له (**آبي اللحم**) لأنه كان يأبى أن يأكل اللحم »اهـ

قلت : إذن يكون هذا أول من عرفنا أو سمعنا عنه من العرب الأولين والمسلمين المؤمنين — بأنه يكره أن يأكل اللحم .. إلا أن ذلك لا يبعد أن يكون لعلة في مزاجه .. أو قابليته ! .. ولا ينبغي حمله على غير ذلك .. فالحلال ما أحل الله والحرام ما حرم . ولكنه إذا لم يكن متقللا منه — كما هو الأرجح .. فإنه متزهد بطبعه .. نباتي .. بهضمه .. وقضمه .. وليس عليه أن يأكل ما لا يستسيغ وما في ذلك عليه من حرج إلا أن يعترض على غيره فهنالك المؤاخذة ولم يعرف ذلك عنه ، رضي الله عنه .

٦٣٦ و « الرواشين » قديمة

في ترجمة (١٥٠) **لإبراهيم الرومي العريان** قال **ابن فرحون** : أصله من الروم وقدم المدينة . فأقام بها أزيد من خمسين سنة بالمدرسة الشيرازية (في تزهد وتصوف) .. ثم قال : وله في المدينة آثار حسنة أكثرها في مدرسة سكنه ، ولولاه لسقطت طباقها فإنه أقام أساطينها حتى حملت السقف و « الرواشين » ! الخ ..

قلت : وهذا العريان مات بالمدينة سنة ٧٣٠هـ والرواشين في عهده قائمة ! وإنها لجديرة بالترحم عليها بعد أن طوح بها فن المعمار الحديث .. في مكة — وفي جُدَّه .. وفي المدينة المنورة فإنها إلى انقراض !.. وأذكر أن سعادة أديب الأطباء .. وطبيب الأدباء (الدكتور **حسني الطاهر** أمد الله في حياته) قد نعاها قبل عشرين عاماً تقريباً في جريدة (البلاد السعودية) .. فإنها ولا ريب أكثر ملائمة .. وأوفر راحة .. وأجمل منظراً .. وأروح مجلساً من هذه (النوافذ) .. التي لا يملك المرء أن يجلس إليها أو فيها .. عدا دخول (الدرف) إلى جوفها .. وتعرضها لتقلبات الرياح .. وما أحرى أن تبقى منها نماذج للمستقبل ! فهي منتهى ما تمخضت عنه الحضارة الإسلامية في أزهى العصور .. ولقد تفكه بها (**الدون جوان**) المغرور .. فقال : (كدن يتساقطن علي من الروشن) !

٦٣٧ الواد ـ بتشديد الدال والرائد

قال **محمد بن حرب الهلالي** : قلت لأعرابي « إني لك لواد » .. قال : « وإن لك من قلبي لرائدا » .. اهـ .

قلت : كثيراً ما يتردد على ألسنة الناس كلمة (الواد) هذه .. دون مراعاة للتشديد في الدال .. وإنما ينطقونها ساكنة .. ودون قصد لهذا المعنى .. المشتق من (الوداد) أو (الود) .. وإنما يغلب على فهمهم أنها تعني (الولد) .. ويتذمر ويتبرم المنادي بها .. ويشعر أنه مستصغر .. لدى المخاطب على الأقل .. وأحب أن نصطلح على أنها من (الود) لا (الولد) .. ولا اختلاف في النطق بها في الحالين .. وبذلك تتفادى الازعاج ، وتأخذ سبيلها إلى الخير .. والحب .. والابتهاج ، إن شاء الله .

أما (الرائد) .. فإنه لا يكذب أهله .. وكلنا بها كلف .. وإليها مستشرف .. ولكن ، بشرطها !..

٦٣٨ أصبحنا وأصبح الملك لله

أجل : « أصبحنا وأصبح الملك لله » .. كلمة كانت الألسنة لاهجة بها كل صباح وفي كل قلب خاشع .. يرددها الكبار والصغار والرجال والنساء والأطفال . وفي الدور وفي الشوارع وفي الحوانيت ! .. وأضحت في خبر كان .. منذ حين ! قال في (سفر السعادة) لصاحبه **مجد الدين الفيروزآبادي** المتوفي سنة ٨١٦ هـ :

« **وفي معجم الطبراني** » من حديث **جابر** رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء : من عفا عن قاتله ، وأدى ديناً خفياً ، وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات : قل هو الله أحد . فقال **أبو بكر** رضي الله عنه ، أو إحداهن يا رسول الله ؟ قال : أو إحداهن . وكان يقول بعد صلاة الصبح : اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهناً بعملي فلا فقير أفقر مني ، اللهم لا تشمت في عدوي ، ولا تسيء في صديقي ، اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني ، اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا ، وبك نحيا وبك نموت ، اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين . اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده ، اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا الله ، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عن سواك يا حي يا قيوم » . اهـ .

قلت : هذا هو المنهاج القويم والطريق المستقيم وهو ما كان يحرص عليه آباؤنا وأمهاتنا وكل من لا يغفل قلبه عن هدى النبي ﷺ . وهو ما يجب أن يبقى وأن يكون سبيلنا إلى الله ووسيلتنا إليه بالدعاء والتضرع والتسليم والتجربة وهو غاية الغايات في الإيحاء لكل نفس مطمئنة بما يدفع عنها الأرق والقلق ، والملق ويزيل عنها هموم الدنيا والآخرة .. مع العمل الصالح والكلم الطيب .. وأن نأسف فعلى الغفلة عنه وعن كثير من كنوز السنة المطهرة .. التي كان القوم قبلنا لاهجين بها صباح مساء .. وهي بلا شك مجمع الخير كله .. ونسأله تعالت أسماؤه أن يلهمنا الرشد وأن يهبنا الهداية والتوفيق . « والذكرى تنفع المؤمنين » .

٥٣٩ ايهما حمام النبي بمكة ؟!

قال في « سفر السعادة » وذلك في القرن التاسع الهجري : أنه يوجد بمكة حمام يطلقون عليه حمام النبي ﷺ .. وقال أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يدخل الحمام أبداً .. وأن هذه الشهرة لعلها جاءت من جهة أن هذا الحمام بني في موضع اغتسل فيه مرة والله أعلم . اهـ .

قلت : وبمكة حمامان أحدهما كان (بباب العمرة) ، وقد أزيل في مشروعات التوسعة للمسجد الحرام وهو أضخمهما وأفخمهما .. وأما الثاني فهو الذي في محله (القشاشية) وما يزال باقياً بها حتى الآن سنة ١٣٨٦هـ ، ودون أي استعمال منذ عهد بعيد . ولعل هذا هو الذي أطلق عليه القدامى أنه « حمام النبى » لقربه من منازله الشريفة فى « **وادي إبراهيم** » ، وأكبر الاحتمال أنه مجرد ترغيب للحاج للتبرك بالمكان الذي ينتسب إلى صفوة الخلق ونبي الرحمة كغيره

من «الآثار» التي لم يصح فيها دليل قاطع .. ومن هنا تلاشت التسمية والنسبة منذ قرون طويلة فلم نسمع بها إلا من هذه الرواية حيث قال الفيروزآبادي ــ وقد جاور بمكة في حياته ــ : « والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله المشهورة بحمام النبي الخ » .

ويغلب الظن أنه استغلال تجاري لأهل الآفاق من ذوي الحيل في الارتزاق ...

٥٤٠ التعريض اللطيف

كان **الشعبي** إذا جاء إليه من لا يحب مقابلته ــ خط دائرة في الأرض ووضع أصبع الجارية في وسطها .. وقال : ردي عليه بأنه : « ليس هو هنا » ! تحاشيا من الكذب ! فتفعل .. والحاجة داعية إلى التوقي أحياناً ، وهذه إحدى طرائفه المباحة .. لمن يحاول عدم الإجابة أو الملاقاة أو الملاحاة !. وبهذه المناسبة أذكر طرفة حكاها لي عمي الشيخ **سليمان الغزاوي** (الخطاط الشهير) رحمه الله .. قال : جاء أحدهم (يزهم) أي يناديني من داخل الدهليز .. فقلت : **لبشير** « غلام كان عنده » : قل له : سيدي ما هو فيه ! فنزل إليه فوجده خرج إلى الشارع أمام الباب فقال له : يقول لك (سيدي) هو ما هو فيه ! وكان إذا رواها يغرب في الضحك .. ويقول : والعجب أن يصدق بما قال دون قصد سيء منه أو حتى ورع متعمد ! وإنما هي إحدى المفارقات الواعظة !

٥٤١ النسخ ـ والسلخ ـ والمسخ

قال **ابن الأثير** المتوفي سنة ٦٣٧ هـ .. وهو يتحدث عن السرقات الشعرية : « وهي أقسام ثلاثة ، (نسخ) ــ وهو أخذ اللفظ والمعنى برمته ! و (سلخ) وهو أخذ بعض المعنى ، و (مسخ) وهو إحالة المعنى إلى ما دونه .. وفصل بعد ذلك في أنواعها وأشكالها » اهـ .

قلت : ما أعظم ما خدم الأدب وهذبه وبوبه ورتبه أولئك الأئمة الأعلام أصحاب الموسوعات والتخصص .. حتى لم يدعوا فيه شاردة ولا واردة إلا أحصوها بقدر ما اتسعت له ظروفهم ومداركهم .. وما أقل التدبر والدرس لما دونوا .. وتركوا من تراث تتقاصر عن تحصيله الآجال والأجيال ، فهل هناك من يعني بما خلفوا ؟ وما ألفوا ؟.. وما هو في الحقيقة إلا كنز لا يفنى ! وإن قدم به العهد وكرت القرون اللهم لا ؟ إلا من أشرب قلبه حب هذا الأدب العربي الواسع الآفاق .. وما أجدرنا بالتأمل فيه والأخذ عنه والتشبه به إذا شئنا أن نصل بين الماضي والحاضر والمستقبل !.. وما أحسب ذلك مغموراً ولا مطموراً .. في الدراسات العليا التي تتوفر لها بعض الأفهام والأقلام .. وحتى الجامعات ذوات التخصص !.

٥٤٢ من هو السيد ؟ !

« حكى العلامة (**النووي**) في كتاب الاذكار .. فصلاً في (لفظ السيد) قال : اعلم أن السيد يطلق على الذي يفوق قومه ويرتفع قدره

عليهم . ويطلق على الحليم لا يستفزه غضبه ، ويطلق على الكريم ، وعلى المالك .. وعلى (الزوج) .. وقد جاءت أحاديث كثيرة بإطلاق سيد على أهل الفضل » الخ .. اهـ .

قلت : وقد أدركنا السلف الطيب المتأثر بهذه الآداب الشرعية أكثر حرصاً على التمسك بها .. وكانت الزوجة ـــ مهما علا قدرها ـــ لا تدعو زوجها إلا بياسيدي .. والأخوة الصغار لا يدعون من هو منهم أكبر سناً إلا « بيا سيدي » .. ولو ارتفعت بهم الأقدار والأسنان والمناصب والرتب !. والصغرى من الإناث لا تدعو أخواتها الأكبر سناً منها إلا (بيا استيتي) .. أي (سيدتي) .. وأخذ كل ذلك يتلاشى حتى لم نعد نسمعه إلا نادراً جداً .. وربما انعكس الوضع .. وتجاوز الصغير على الكبير .. لا بلسانه فقط بل وبيده أحياناً .. فهل لذلك من علاج إلا بالتذكير والتأثير والقدوة الصالحة ؟.. فما كنا نستطيع أن نرفع صوتاً أمام الكبار .. ولا نستقبلهم إلا بالإجلال والإكبار .. و «الحياء من الإيمان » وهو خير كله .

٥٤٣ « تعريف » و « تعارف »

أكرمني سيادة الأخ الكريم والأديب الأريب السيد **هاشم علي نحاس** فأهداني مؤلفه الجديد « تعريف وتعارف » ـــ وأمتعني كل محتواه .. وما انضمت عليه دفتاه .. فهو رياض مونقة .. وأزاهير عابقة .. وفوائد وفرائد .. ولم أكتب هذا إعلاناً عنه ولا مجرد شكر أمحضه إياه على جهوده المتوالية في التنوير والتثقيف ... فهو في غنى عن ذلك كله بما فطر عليه من حرص على الخير وتعميمه وبما له من آثار متتابعة تنطق بما يستحقه من الثناء والتقدير ، غير أنني أهدف بهذا إلى ما أشعر به من اغتباط عظيم بأن هذه الأمة الخيرة .. لا تزال تنجب من أبنائها البررة من يحافظ على تراثها القديم وأدبها الصميم .. ويضيف إليه باقات جميلة في إطارات حديثة .. لا يفيها البيان ما تستحق من الإعجاب .. بهذه الروح الطيبة الصادقة المخلصة .. وإلى أن من الخير لنا أن نجمع بين الحسنيين .. ونوافق أو نمازج بين العصرين .. ونأخذ منهما كل ما هو زين .. ونرفض كل ما هو شين ، وبارك الله في (**أبي علي**) .. ولداته وأقرانه من بقية الناس الذين تفتخر بهم مهابط الوحي عملاً وقولاً .. وإنتاجاً .. وأخلاقاً .. وإلى الأمام دائماً وأبداً إن شاء الله في ظل الحق والرحمة والوفاء والإخلاص .. أكثر الله من أمثاله وبارك فيه ووفقه إلى ما يحبه ويرضاه .

٥٤٤ كانت « الخلع » تكترى

« مما يرويه صاحب الأغاني أن **أشجع السلمي** جاءت به أمه إلى البصرة لتطالب بميراث أبيه فيها .. وكان لحبه للترف يكترى الخلعة كل يوم بدرهمين » .. فيلبسها أياماً ثم يكترى غيرها » . اهـ .

والطريف في الخبر قيام حوانيت في ذلك العصر الذي تجاوز إنقضاؤه (ألف سنة) .. لتكرى أو لكراء الخلع والملابس .. بالأيام .. ويستعيدها صاحبها ويبدلها بغيرها لابسها .. فما أدركنا في زماننا هذا شيئاً من هذا القبيل للرجال أو الغلمان .. وإنما كانت هناك ألبسة للزفاف تستأجر بمبالغ زهيدة لليلة (الدخلة) .. وهي ما كانوا يطلقون عليها « الثياب المصككة » !

ومعها الحلي والعقود و (اللبات) والخواتم والمجوهرات .. أما للرجال فلا يجدون ما يستأجرون لهم .. وحتى في عنفوان حضارة القرن العشرين لا أحسب أن هناك في أرقى بلدان العالم ما يؤجر من الملابس .. وذلك دليل على بلوغ الترف أقصى حدوده في الحضارة الإسلامية .. وقد أرهق الناس زهد النساء في تكرير ارتداء الفستان أكثر من مرة واحدة ولو تجاوز ثمنه آلاف الريالات ! وكان لذلك أثره السيء في جميع الأوساط المحدودة الدخول .. وكانت (الكرتة) أو « البدلة » لا تترك حتى تبلى ! وهو ما ترتفع به الشكوى من كل ذي بيان .. والله لا يحب المسرفين .

٥٤٥ الصدق القبيح

(الصدق) سجية أو خصلة محمودة على الإطلاق .. إلا أن من العلماء الصالحين من قال : أن هناك صدقاً قبيحاً .. وهو ثناء المرء على نفسه وأنه من علامات أنه محجوب عن الله تعالى ودلل على ذلك بأن ثناءه على نفسه ينقص قدره عند الناس ويوجب مقته عند الله ويعرف ذلك وأنه لا يزيد به قدره عند غيره بأن ينظر إلى أقرانه إذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والحياة والمال !. كيف يستنكره قلبه عليهم ويستقله طبعه ؟ وكيف يذمهم عليه إذا فارقهم ؟ . فهو بذلك يتيقن أنهم يذمونه على تزكيته نفسه . اهـ .

قلت : ما أشد الحاجة إلى تدبر هذه الحكم البالغة وتفهمها وتدبرها فقد ملئت بها كنوز الأدب الإسلامي .. وانصرفت عن الاستفادة منها همم الناس إلا من رحمه الله .. فما أرانا في حاجة ما إلى كل ما ينفعنا في ديننا ودنيانا نتلمسها فيما يقوله المحدثون .. اللهم إلا فيما هو من قبيل العلوم والفنون الحديثة التي لا غنى عنها لمسايرة ركب الحضارة والتقدم .. أما العقائد الصحيحة ، والأخلاق الكريمة .. وكل ما يتصل بالتهذيب الروحي والتثقيف الخلقي وإصلاح الفرد والمجتمع .. فإننا لعلى بحور لا منتهى لآفاقها من تراثنا الإسلامي والعربي تموج بها ما يسميه (المتجددون) بالكتب الصفراء !

واستطرد بذلك الى أن الكذب بدوره ممقوت إطلاقاً .. وقد يكتسب أحياناً صفة القبول أو الإباحية في سبيل الخير والإصلاح ودفع الأذى في أضيق الحدود .. حتى ليكون جميلاً في بعض الظروف بدواعيه المشروعة والتي لا يحظرها الدين الحنيف .. وهكذا ينزل كل منهما منزلته في الحسن والقبح والرفض والقبول (وإنما الأعمال بالنيات) هدانا الله سواء السبيل .

٥٤٦ الخليل بن احمد الفراهيدي حجازي زهراني

قال **ابن قتيبة** في كتابه (المعارف) وهو يتحدث عن الأنساب العربية : « ان من (زهران) فخذاً يقال لهم « الفراهيد » .. وان **الخليل بن أحمد الفراهيدي** صاحب « العروض » منهم .. ومنهم الغطاريف بنو يشكر ، والجدرة .. كما أن منهم « **جذيمة الأبرش** » صاحب الزباء .. ومنهم **أبو هريرة** رضي الله عنه .. الخ » . اهـ .

قلت : ولئن كان هذا الحي من عرب السراة عريقاً في أمجاده التليدة .. فإن له من حاضره المشهود .. ومستقبله المأمول .. هو وابن عمه .. « **غامد** » .. وكل من صاقبهما من العشائر

العربية الصميمة .. ما تقر به العيون في كل ما يتصل بالأدب والعلوم والتجارة والزراعة والصناعة .. وسيعيد التاريخ نفسه في هذه الجزيرة العربية في أروع صوره وأوضاعه في ظل « أبي الشعب » وقائده الرائد » الفيصل العظيم » .. ما استمسك الأخلاف بعقائد الأسلاف .. ومشوا على سنن الهداة المتقين من أئمة اللغة والبيان والفقه والدين ، والله مع المحسنين .

٥٤٧ هل « دبا » هي « دبي » ؟!

« قال **ابن قتيبة** المتوفي ٢٧٦ هـ في كتابه « المعارف » وهو يترجم (**المهلب بن أبي صفرة**) أنه من أزد العتيك (أزد دبا) .. قال : و (دبا) فيما بين عمان والبحرين .. ويروى عن **الأصمعي** أنه قال : ان (دبا) كانت إحدى أسواق العرب » . اهـ .

قلت : والذي نعرفه في زماننا هذا هو بلدة « دبي » بالتصغير .. في نفس المنطقة فهل هذه هي تلك ؟! أم غيرها ؟ لعلنا نجد ما يزيل الشك باليقين عند (أبي نبيه) بارك الله فيه ..

٥٤٨ « كرى » الجبل و « كرى » الوادي

كلنا نعرف (طبعاً) هذا الطود الشامخ الذي طأطأ هامته وقامته للعزم الفيصلي بإذن الله فاخترقته السيارات إلى (قمته) ... خلال دقائق معدودات وتيسر بذلك الوصول إلى « المصيف » الأنيس (الطائف) وما حوله .. دون مشقة أو عنت .. وهو جبل (كرى) .. الذي لا ينازع في شهرته وسموقه .. وبره بعد عقوقه !

إلا أن كثيراً منا لا يعلم في الغالب أن له سمياً من ورائه .. ويختلف عنه من حيث أنه سهل فسيح . وواد مريع .. وهو ما ذكره في (الرحلة اليمانية) سيادة المرحوم الشريف **شرف بن عبدالمحسن البركاتي** عام ١٣٢٩هـ .. قال : « وفي يوم الخميس الخامس عشر من شعبان سنة ١٣٢٩ هـ ، سرنا ونزلنا في أعلى وادي (رنية) وهو المرحلة العاشرة من (أبها) وهذه الديار لقبائل **غامد** أهل الشرق .. وقبيلة **غامد** متفرقة بعضهم قاطن بهذه الديار ، والقسم الأعظم منهم قاطن بجبل الحجاز .. وبعضهم قاطن « بتهامة » في الجهة الغربية من جبل الحجاز أما وادي رنية المذكور فإن الجهة التي هي **لغامد** فيه خالية من النخيل .. وفي أسفل الوادي قرى لقبائل سبيع المشهورة بقرى (رنية) .. وبهذا الوادي ما ينوف عن مائة ألف نخلة ، وقراه مبنية باللبن من طبقة إلى طبقتين فيها أسواق دائماً ..

وفي الساعة الثامنة مساء يوم الخميس سرنا ونزلنا الساعة الثالثة بعد المغرب .. وبعد صلاة صبح يوم الجمعة قمنا وسرنا في حرة سوداء .. ويالها من حرة .. والحرة عبارة عن جبل سطحه معتدل .. وحجارة الحرة متساوية الحجم ولونها أسود ، وفي الساعة الخامسة نزلنا على (غدير) ماء في واد يقال له (لرمة) .. وهذه الغدران متطاولة في الوادي كثيرة الماء .. وهذا الوادي واقع في منتصف الحرة .. وقلنا يومنا وبتنا على هذه الغدران واستقينا بأجمعنا من مياهها العذبة ، وبعد صلاة صبح يوم السبت السابع عشر منه أمر دولة الأمير بالرحيل فرحلنا من (لرمه) .. ولم نزل سائرين في الحرة السوداء حتى دخلنا وادياً يقال له « كرى » .. وهو وسط الحرة .. وهذا الوادي كثير المياه وعيونه تجري على وجه الأرض وغدرانه

مملوءة بالماء وأشجار الأثل والسمر .. (وفيه قصب الحلفاء بكثرة) .. فقلنا تحت شجرة الأثل بين المياه .. وتركنا دوابنا ترعى أمامنا في الحلفاء إلى الساعة الثامنة آخر النهار وتركنا وادي كرى يميناً .. واستلمنا ظهر الحرة ووجهتنا وادي (تربة) ووادي كرى يصب ماؤه في أسفل (تربة) وما زلنا سائرين في الحرة حتى دخلنا أعلى وادي تربة الساعة الثانية ليلة الأحد » اهـ .

قلت : وقد أحببت أن أُنبه إلى هذا « الكرى » الوادي الخصيب .. ليحيط به علماً من لم يعلم عنه من قبل .. وأضيف إلى ذلك ان الطريق الجديد الذي يشق جبال الحجاز وعسير .. لا بد أنه سينظم في العقد (كرى) الجبل .. وكرى السهل فيكون كل منهما درة متألقة في القلادة .. التي ترصعها (يد الله) تعالى بإبداعه .. ثم يمين « الفيصل العظيم » بعزمه وحزمه وطول باعه .. والله ولي المصلحين .

٥٤٩ وادي « الهدى » ايضا اثنان

هدى الشام ـــ وهدى الجنوب

وقال صاحب الرحلة نفسه وهو يتحدث عن (وادي **فاطمة**) أو «مر الظهران » .. « ويوجد خلاف هذا الوادي (وادي الهدى) وهو شمال وادي **فاطمة** وبه أربعة عيون وآبار كثير ماؤها قريب من سطح الأرض ، بحيث لا يتجاوز بعده ثلاثة أمتار ، وبعضها أقل وماؤها غزير لا ينقطع .. وأراضيها زراعية . وبهذا الوادي النخيل بكثرة والموز والليمون والخضروات ترد منه إلى مكة وجُدّة وبالأخص جُدَّة » ..

قلت : وهذا (الهدى) يطلق عليه الناس « هدى الشام » وفي ظني أن وزارة الاعلام تحسن صنعاً لو وجهت إلى أخذ ونشر مناظر هذه المواضع الخصبة وأشجارها وأنهارها وأطيارها وأزهارها .. ليصحح الأجانب مفهومهم عن جدب هذه الديار أو قحولها .. خصوصاً بعد أن حظيت من وزارة الزراعة .. بأسباب النماء والتنمية والاستثمار والإصلاح .. كما أن وزارة المعارف تسدي إلى تاريخ هذه البلاد أكبر فضل بإحياء هذه الخمائل والجداول في الكتب الدراسية المقررة .. لينشأ الطالب وهو محيط بما في أديم بلاده من خير موفور . ومن الحق أن تقرر إليها رحلات عامة وخاصة .. إبان العطلات الأسبوعية أو السنوية .. فهي أحق بلا شك بالمعرفة من سواها .. ويتحقق ذلك تدريجياً في كل منطقة بما يتصل بها (مباشرة) .. وإنها لفاعلة إن شاء الله ، ولها الشكر سلفاً وخلفاً . وهو ولي التوفيق .

٥٥٠ و « خيبر » الشمال و « خيبر » الجنوب

و « تربة » الشمال و « تربة » الجنوب

وهاتان البلدتان وكلاهما يدعى بهذا الإسم .. إحداهما في الشمال ، والأخرى في الجنوب .. وقد حفل تاريخ العرب والإسلام بذكرها في مواقف ذات شأن .. وما أجد مندوحة بعد إنتشار الوعي في كل مناطق المملكة .. وشمول التثقيف والتنوير في الحواضر والبوادي من تصدي ذوي الجهود المشكورة من رواده الأكرمين لهذا ولكل ما هو من هذا القبيل .. كطائف الحجاز وطائف غرب اليمن وظهران (الاحساء) شرقاً وظهران

(عسير) جنوباً .. وسرد كل ما مر بذلك من أحداث جاهلية وإسلامية .. وسابقة ولاحقة .. مع كل ما تكررت التسمية فيه .. فقد سبق إلى ذلك القدامى في « المتفق إسماً ــ والمختلف صقعاً » .. وفي ذلك إضاءة وتبصير للنشء الحديث بل والقديم وقلما اهتم بهذا إلا القليل جداً .. وأجدر بمن أخذوا على عواتقهم مهمة النهوض العلمي والأدبي والتاريخي أن يوصلوا ما انقطع من البحوث المجدية النافعة .. حتى لا نجهل ما هو حي بحاضره ، أو ماضيه من ربوعنا العزيزة ذات المجد الأثيل .. وذلك ما نرجو أن تظفر به المكاتب والمكتبات في العاجل القريب إن شاء الله .

٥٥١ المفقع ــ والتفقيع

قال **أبو يعقوب الخزيمي** : « ما رأيت كثلاثة رجال يأكلون الناس أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح في الماء ! أو الرصاص عند النار ... كان **هشام بن الكلبي** علامة نسابة ، وراوية للمثالب عيابة .. فإذا رأى **الهيثم بن عدي** ذاب كما يذوب الرصاص عند النار ، وكان **الهيثم بن عدي** (مفقعاً) .. نياً .. صاحب تفقيع وتقعير ويستولي على كلام أهل المجلس لا يحفل بشاعر ، ولا بخطيب .. فإذا رأى **موسى الضبي** ذاب كما يذوب الرصاص عند النار .. وكان **حلوية المغنى** أحد الناس في الرواية وفي الحكاية وفي صنعة الغناء وفي الأطراب وحسن الخلق فإذا رأى **مخارقاً** ذاب كما يذوب الرصاص .. اهـ .

قلت : تلك هي حكمة الله .. وقدرته .. حتى لا يستعلي مغتر ولا يستكبر متفوق والشاهد من رواية القصة كلمة (مفقع) .. فما تزال دارجة على ألسن الناس إلى يومنا هذا .. يطلقونها على من يتشدق في كلامه .. ويتكلف .. وكذلك كلمة (نبي) .. فإنها لم تبرح حية ويقصد بها .. التكلة .. العاجز .. الكسول .. فهما مما انحدر إلينا من الأوائل قبل ألف عام ونيف . إلا أنهما فقدتا معناهما في عصرنا هذا .. ولله الحمد والمنة !

٥٥٢ غناء ــ وجلد

قال **أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه** في العقد الفريد ــ وهو المولود بقرطبة سنة ٢٤٦ والمتوفي ــ سنة ٣٢٧ هـ تحت عنوان (من سوء الاختيار) : ما تخيره أهل الحذق بالغناء والصانعون للألحان من الشعر القديم والحديث .. فإنهم تركوا منه الذي هو أرق من الماء ، وأصفى من رقة الهواء .. وكل (مدني) رقيق . قد غذى بماء العقيق .. وغنوا بقول الشاعر :

(وأورد أبياتاً ثلاثة) استفحشها في عصره .

ثم أردف يقول : رحمه الله : وأقل ما كان يجب في هذا الشعر أن يضرب (قائله) خمسمائة سوط ، و (وصانعه) أربعمائة ، و (المغني) به ثلثمائة .. و (المصغى) إليه مائتين ...

قلت : لقد أنصف **أبو عمر** .. في أن أدرج السامعين في جدول العقوبات ! إذ لم ينكروا ما لا يليق قوله ولا غناؤه ! ومتى كان ذلك ؟ قبل ألف ومائة سنة تقريباً ؟! ومن ذلك نستطيع أن نترقب من الأدب الغنائي كل (مدني رقيق) قد غذى بماء العقيق ، كما قال .. وأظنه تحت التلحين .. ومقبلاً في الطريق ..

٥٥٣ كذلك كان القوم

عن **عبدالله بن المبارك** قال : قال **النعمان لحاتم الطائي** : من سيدكم ؟... قال : (**أوس بن حارثة**) .. فقال له : فأين أنت منه ؟ فقال : ما أصلح أن أكون مملوكاً له ! وسأل **أوس بن حارثة** فقال : من سيدكم ؟ فقال له : **حاتم الطائي** ، قال فأين أنت منه ؟ قال ما أصلح ان أكون مملوكاً له ! فقال **النعمان** : هذا السؤدد ، قال **ابن المبارك** بعد ذكر هذه القصة : فأين قراؤنا وعلماؤنا عن هذا .. اهـ .

التاريخ الكبير لابن عساكر) .

قلت : وبما تبادله هذان السيدان .. من التكريم .. استحق كل واحد منهما من صاحبه هذا التقديم .. ولو تناكرا .. لتنافرا .. وبذلك تتميز مكارم الأخلاق وما يزال في القوامين عليها والمعتزين بها الخير الكثير .. وما أجمل التواضع في ذوي الأقدار (وكل إناء بالذي فيه ينضح) .

٥٥٤ أبلعني ريقي

قال **حماد بن زيد** : كنا في مكان **أيوب** نحن **وإياس والصلت بن دينار فجعل إياس يتحدث** وجعل **الصلت** يتحين ــ حتى إذا فرغ يحدث ــ فضرب **إياس** فخذه بيده وقال : أسكت ! فقال له**الصلت** : (أبلعني ريقي) .. دعني أتنفس ! فقال **إياس** : أترون هذا فإن امرأته سيئة الخلق ؟! .. فقال **الصلت** : صدقت : إنها لسيئة الخلق .. من أين علمت ؟ فقال : من كلمتك هذه فإنك تعودتها من كثرة ما ساء خلقها عليك .. فهذا من ذلك ..

قلت : عجيب والله ما يؤثر من ذكاء **إياس** .. ولماحيته .. وأعجب منه أن هذه الكلمة .. ذاتها ما تزال تحتل مكانها .. في مداولات الناس .. من الجنسين فطالما استعملت إليها .. بتحريف بسيط .. فهم يقولونها « .. يا أخي خليني أبلع ريقي » .. وقد تطورت مع الزمن فصارت تصدق على المتكلم الذي لا يسكت .. وعلى الساكت الذي لا تترك له فرصة الحديث ! وكلاهما منكر مستكره .. وقد عرفت معلماًبناء توفى منذ ثلاثين عاماً رحمه الله .. وكان يقول لي أثناء الكلام .. (اصبر كلمة لك .. وكلمة عليك ..) أما الاستحواذ الكلى فإنه مذموم حتى مع الصغار ومن حق التعاشر الأخذ والعطاء (والصمت حكم وقليل فاعله) .

٥٥٥ وبقي احد يأخذ ماليس له ؟ كلا !

أتى **عامر بن عبدالله بن الزبير** بعطائه وهو في المسجد ، فقام ونسيه في موضعه ، فلما صار إلى بيته ذكره .. فقال : يا غلام أئتني بعطائي الذي نسيت في المسجد ، قال وأين يوجد ؟ وقد دخل المسجد بعدك جماعة ؟ قال : وبقى أحد يأخذ ما ليس له ؟

قلت : إن تساؤل **عامر** عما إذا بقى أحد يأخذ ما ليس له في زمانه قبل ألف وثلثمائة عام تقريباً ، كان إعتقاداً منه بأن الدين الإسلامي الذي غمر قلوب الناس في عهده كفيل بمنع ذلك .. ولو هو قد عاش إلى عصرنا هذا لأعجبه ما هو مشهور في بلادنا المطهرة .. وسائر المملكة المحروسة من الأمن والاطمئنان وعدم تجاوز الأيدي إلى ما ليس لأصحابها في المدن والقرى ..

والبادية والحاضرة .. نتيجة إقامة الحدود وقد شهد بذلك حجاج بيت الله الحرام منذ أربعين حولاً .. ولله الحمد والمنة وهو خير الحافظين .

٥٥٦ « مرحب »

استعدى يهود خيبر ، غطفان — وهم حلفاء لهم — على الرسول ﷺ عند غزوه لهم .. وأراد أن يحول بينهم فلا يصلوا إليهم واستدعى دليله — وكان اسم أحدهما (**حسيلاً**) ليدلاه على الطريق الأحسن .. فقال أحدهما : أنا أدلك يا رسول الله ، فأقبل حتى انتهى إلى مفرق الطرق المتعددة وقال : يا رسول الله هذه طرق يمكن الوصول منها إلى المقصد .. فأمر أن يسميها له واحداًواحداً .. قال : إسم واحد منها (**حزن**) .. فأبى النبي ﷺ من سلوكه وقال : إسم الآخر شاش : فامتنع منه أيضاً ، وقال : إسم الآخر (**حاطب**) .. فامتنع منه أيضاً .. قال **حسيل** : فما بقى إلا واحد قال عمر : ما اسمه ؟ قال : « **مرحب** » فاختار النبى ﷺ سلوكه » اهـ .

قلت : وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه (يكره الطيرة ويحب الفأل الحسن) .. ومن هنا وجب أن يتخير الآباء أحب الأسماء لأولادهم من ذكور وإناث ! وقد أخذ بعضهم يقلد في التسمية غير العرب والمسلمين .. دون أي هدف ! إلا مجرد الانطلاق من إطارنا الحصين .. وسياجنا المتين .. والله يحب المحسنين(١) .

(١) (المنهل) : يحسن بالقارىء الكريم أن يراجع ويطالع البحث القيم الذي كتبه الشيخ إسماعيل الأنصاري بعدد رمضان ١٣٨٦هـ عن هذا الموضوع . في مقاله : (من توجيهات ديننا إلى التضامن فيه) ص ١٠٨٦ .

٥٥٧ « يوم التروية »

قرأت في مقال نشرته مجلة الحج الغراء في عددها الصادر في ١٦ صفر ١٣٨٣هـ للأستاذ الجليل (صاحب البحوث الإسلامية القيمة والرحلات العربية المفيدة) السيد **أحمد علي** .. وهو يتحدث عن **عبدالله بن عباس** رضي الله عنه تحت عنوان (يوم التروية) .. « إن الخازن ذكر عن **عبدالله بن عباس** أن **إبراهيم** ﷺ رأى ليلة التروية في منامه أن يؤمر بذبح ولده فلما أصبح (تروى) يومه أجمع أي (تفكر) هل هذه الرؤيا من الله أو من الشيطان فسمى يوم التروية ، ثم رأى ذلك في ليلة (عرفة) ثانياً — فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمى اليوم (عرفة) .. »

قلت : وكنا نحسب أن إطلاق التروية على اليوم السابع على الصعود إلى منى وعرفات .. إنما كان لتملية الحجاج « رواياهم » و « قربهم » يوم كان الماء شحيحاً .. والحصول عليه عزيزاً ، وكذلك أظن التعليل في بعض كتب المناسك .. وفي نفس الرواية السابقة ، ما يدل على سابقتها بدليل قوله : « ليلة التروية » .. أما أن عرفة سميت باليوم أو العكس .. فذلك ما لا مشاحة فيه .. فسواء هو للزمان أو للمكان .. فأمره مفروغ منه .. وإنما هي معرفة « التروية » وما تعنيه ؟ وقد يكون الصحيح أحدهما .. فهل لنا أن نتنور في ذلك بشيء من التفصيل من فضيلة أستاذنا الجليل ؟! وله الشكر الجزيل .

٥٥٨ مسجد أبي بكر الصديق (بمكة)

في كتب السيرة النبوية .. قصة الصديق **أبي بكر** رضي الله عنه وخروجه من مكة ــ إلى برك الغماد ــ هارباً بدينه .. وما كان من لقاء (**ابن الدغنة**) له وهو سيد القارة .. وعودته به إلى مكة في جواره وإذعان قريش لذلك .. وإن أبا بكر قبل أن لا يعالن بالإسلام وأن يلبث بداره يعبد ربه .. قالوا : فابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلي ويقرأ القرآن فتتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه .. » اهـ.

قلت : إذن تكون دار الصديق وهي بجوار مسجده الذي ابتناه ــ (بمحلة المسفلة) ــ .. وذلك مسجده المنسوب إليه يقع ثمة ومكانه وشهرته معروفان عند العامة والخاصة بالتواتر حتى اليوم .. وما دعاني لايراد ذلك إلا عدم الظفر حتى الآن بنص صحيح عن مسجد (**خالد بن الوليد**) الذي ينسب إليه في (محلة الباب) .. حتى في تواريخ مكة المتأخرة .. ومآثرها المدونة .. ومن الحق أن نلاحق ما هو ثابت .. بالتدوين ! قبل أن يتعلق الشك باليقين فما بعد (عكاظ) .. وهو أعظم الآثار العربية .. والاختلاف على موضعه عظة لمن يهمه أن تبقى المعالم الأولى .. بميزاتها التاريخية أو الأدبية .. أو الدينية وما لا يدرك كله ــ لا يترك جله ــ وليت لنا من يتصدى لتدوين أيام العرب اللاحقة .. وربطها بأيامهم السابقة في القرون الأخيرة فكم لهم من معارك فاصلة ، ومواقف باسلة ، لا تقل أهمية عن غيرها فيما مضى من الصور وقد يكون منها ما هو أهم وأعظم نتائج ومقدمات .

٥٥٩ الشيخ ركن الدين

كان من سعادة الوزير الصاحب **بهاء الدين بن محمد** (سنة ٦٠٣ ــ ٦٧٧) هـ أنه عندما نزل إلى دار الوزير الفائزي .. ليتبع ودائعه وذخائره .. وذلك في القرن السابع الهجري .. وجد ورقة فيها أسماء من أودع أمواله عنده .. فعرفهم وأخذ منهم ما كان له عندهم . وكان من جملة الأسماء « **الشيخ ركن الدين** » .. أربعون ألف دينار .. فلم يعرف الحاضرون من هو الشيخ ركن الدين .. ففكر الصاحب زماناً .. ثم قال : احفروا هذا الركن .. وأشار إلى ركن في الدار فحفروه فوجدوا الذهب » اهـ

« فوات الوفيات » .

قلت : إنه لذكاء خارق .. وحقيق بهذا الركن أن يسمى (ركن الدين .. والدنيا) معاً .. وهكذا كان الحال في تلك العهود المضطربة .. وكما تدين تدان .. والله يتولى الصالحين .

٥٦٠ تشريط الخدود

لكل قوم ما استحسنوه من الأزياء والأشكال . وما اختاروه وميزوه من مظاهر الحسن والجمال .. وفي ذلك كان هذا (التمثيل) أو « التشريط » في الخدود والتمطيط في الشفاه .. (وكل يغني على ليلاه) ..

غير أنني لم أجد في الشعر العربي الجاهلي أو الإسلامي ما يدل على وجود هذه

(المشالي) .. إلى أن قرأت هذين البيتين لبهاء الدين محمد بن إبراهيم (ابن النحاس) النحوي (٦١٧ — ٦٩٨) هـ .. وهو يعني بهما (مليحاً) شرطوه .

وما في هذا من تشبيه يستدعي الإعجاب ، وإنما الشاهد من ذكره الاستدلال أن التشريط سابق على القرن السادس والسابع .. وأنه عام في البيض والسود على السواء ، وما هو إلا دخيل غير أصيل .

قلت : لما شرطوه ، وجرى
دمه القاني على الخد النقي
ليس بدعاً ما أتوا في فعلهم
هو بدر مشرق بالشفـــــق

وكريه غير جميل .. وما تشبب فيه إلا (كل من ينعت هواه بالكوانيني) .

٥٦١ وصية سعيد بن العاص

دعا **معاوية** رضي الله عنه (**عمرو بن سعيد ابن العاص**) الملقب **بالأشدق** .. في غلمة من قريش فقال له : « إلى من أوصى بك أبوك ؟ » قال : « إن أبي أوصى إلي .. ولم يوص بي » . قال : وبأي شيء أوصاك ؟ قال : بأن لا يفقد اخوانه منه إلا شخصه » . فقال **معاوية** : إن ابن **سعيد** هذا لأشدق .

قلت : وكذلك كان الفتيان من قريش وسائر القبائل العربية أصحاب فطنة وحذق وذكاء .. ولقد جاء في الأثر الشريف قوله ﷺ : « إن من أبر البر ، صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى » ولعلنا نفهم من هذا ، الحرص على تقوية أواصر المودة والحب والتعاطف بين الأسر والجماعات والأفراد يرثها الآخر عن الأول وقديماً قال الشاعر :

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه
واضطرب الحبل إضطراب الأروية
هنـاك أوصـني .. ولا توص بيـه

٥٦٢ المروءة والمروة

احفظ بيتين قديمين لشاعر ظريف يقول فيهما :

مررت على (المروءة) وهي تبكي
فقلت : لماذا تنتحب (الفتاة) ؟
فقالت : كيف لا أبكي — وأهلي
جميعاً — دون خلق الله — ماتوا

قلت : وقد أُغتيل فقيد الوطن العربي وصاحب جريدة (الحياة) البيروتية : الأستاذ (**كامل مروة**) ، رحمه الله :

مررت على (المروة) وهو ميت
فقال : الآن حق لي الحيـاة
ومـا حتفـي لهم — إلا نذير
بزلــزال تميــد به الطغـــاة

وإن الله لقوي ذو انتقام وإليه المرجع والمآل .

٥٦٣ نعل الزبيري وسارقه

« دخل **عامر بن عبدالله الزبيري** أحد المساجد فخلع نعله .. ووضعه في مكان ، ولما فرغ من صلاته بحث عنه فلم يجده ، فقال : غفر الله لمن سرق ، وقضى حياته لا ينتعل ، ولما سئل عن ذلك قال : أكره أن أتخذ نعلاً فلعل رجلاً يسرقها فيأثم » اهـ .

قلت : فكم من الناس يتقي إتقاءه فلا ينتعل حتى لا يتوقع سرقة نعله وإثم سارقه ، لو أخذ زهاد الناس فقط بهذه الفلسفة .. لبارت تجارة وعطلت مصانع : وبهذه المناسبة نذكر أن أبواب المسجد الحرام .. كانت تقوم على جوانبها أقفاص تودع بها « المداعس والجزم والنعال » وتحفظ لدى محترفين مقابل قرش أو قرشين .. وكانت هللة أو هللتين .. فهلا روعي تطويرها .. في الوضع الجديد بعد التوسعة ! وتحفظ لدى محترفين مقابل قرش أو قرشين .. حفظاً على الأقدام من الحفاء ! والأخلاق من الابتلاء ! وقديماً كنا نسمع كلمة تلاشت في الزمن الأخير وهي « حرامي المداس » .. والغالب أن الغلو وحده .. هو السبب ، فما أحد يدخل المسجد ليصلي ويستغفر ، وهو ينوي السرقة إلا النادر الشاذ من الذين هانت عليهم نفوسهم ! و (اعقلها وتوكل) افضل من (أحفها ، ولا تنتعل ؟) .

٥٦٤ السهل الذي صار جبلا

عنون الكاتب الكبير والشاعر العظيم الأخ أو العم « **الشيخ أحمد قنديل** » مقالاته المتسلسلة بجريدة « عكاظ » الغراء بهذه الجملة : « الجبل الذي صار سهلاً » ! ولأول وهلة لا يجد القارىء الممعن أو المتأمل إلا مطابقة بين العنوان والمعنون له .. ومع كل ما يسهل إدراكه بداهة مما أبدع فيه الكاتب الفنان ، في مقابلاته ومقارناته ومفارقاته ، فإن « ألف ليلة وليلة » قد أخذت طريقها إلى هذه الباقات العابقة فأضفت عليها جواً رائعاً شائقاً ، تتمثل فيه بداوة الحضارة ، وحضارة البداوة في أسلوب مشرق أخاذ . ولست أزعم أن هذه أُولى حسنات هذا الموهوب فيما يعرضه من حياة كادت تنمحي (حتى من الذاكرة) ، وأقسم غير حانث أنني ــ كلما قرأت هذه السلسلة الذهبية ، أجدني أمام أحداثها وجهاً لوجه كأنما ألابسها وأتغشاها ، وأستقرؤها أو أتقرأها ، في كثير من الإعجاب والتقدير والإغتباط . و « الذكريات صدى السنين الحاكي » ، ومن الحق أن أقرر أن كل كاتب يملك أن يكتب ما شاء له البيان وسحره ونظمه ونثره ، ويتدفق بذلك كالموج الهادر أو البحر الهائج أو الهادىء ، غير أن ذلك لا يتيح له دائماً أن يمتلك قلوب القراء وأسماعهم وأفئدتهم ويستدر شؤونهم ، ويثير شجونهم ، ويأخذ بأيديهم مباشرة إلى حيث يقفون معه حيث وقف ، ويسيرون حيث سار ، ويحلقون حيث حلق .. حقاً أنه لذو تأثير عميق ، على بساطة مستحبة ، وانطلاق يصدق عليه قول الأولين : أنه « السهل الممتنع » .. وإذا شاء القارىء أن أقيم له الدليل على هذه الدعوى ذات البراهين المسلم بها « طبعاً » ، وذوقاً و (ظرفاً) ، فإنه لواجد ذلك في عجزي هذا عن تصويره في كلمات قصيرة أو طويلة ، مهما وهمت وظننت بقلمي السبق في الميادين !.. فقد تلقاها « القنديل باليمين » ، وإنها لراية لمجده لا يكاثره فيها إلا كل مغبون أو غبين ! ومع يقيني بتضجره من قراءة هذه الجمل التي قد يتظنن بها من لا يعلمون زهده في الثناء وغناءه عن الرياء ، فإنني لأشد وثوقاً بسلامة نيتي وأنني بمقالي هذا إنما أعبر عما أتحسس به من غبطة وافرة بأمثال هذه الطرف ، والتحف .. وللناس فيما يعشقون مذاهب !.. ولعلي بهذا أُؤدي له ولو نزراً من الشكر والاعتراف بالفضل فقد أحاط بموضوعه المغري وكأنه يعرض « شاشة تليفزيونية » أو « سينمائية » تستمتع بها جميع

الحواس من سمع وبصر ، وقلب وعقل .. وهي حنين وعاطفة ، وحب وغزل ، واجتماع وتاريخ .. حتى ليخيل إلي ، أنه لو تصدى لذلك شعراء الوصف بكل ما أوتوا من قوة ، لنكصت بهم القوافي ونكست رؤوسها دون ما استرسل فيه .. وجمع به كل ما وعى ، وأوعى !.. متعه الله بالعفو والعافية .

وإن كثيراً من ذوي الأقلام ممن عاصروه ، لم يؤتوا من الحظ وطول النفس ، وجميل التذكر لأدق الحوادث ، وأشردها عن الأذهان ، ما أتيح له من هذه السوانح والبوارح ، وقد عفى عليها الزمن ، منذ أربعين حولاً أو تنوف .. وما منهم إلا من مرت به أو مر بها دون أن تهيب به إلى عرضها جملة أو تفصيلاً ، على ما فيها من تمثيل للحياة التي كانت رائجة (بين الثلاثنيات والخمسينيات) وحتى يومنا هذا ، في صميم بلادنا وباديتنا عادة وخلق ، وزينة ، وزخرفاً ، ورضاء وقناعة ، ونغماً ولحناً ، ومعنى ومبنى .

ولقد كانت طريقة الأستاذ **القنديل** في عرض رحلته الشائقة .. فذا لذيذاً ، وعذباً سائغاً ، إلا أنني أستأذنه في أن أقول أنه ثاني اثنين كان أولهما صاحب الكتاب النفيس : « نزهة الجليس » ــ (**العباس بن علي بن نور الدين المكي**) وذلك قبل نيف ومائتين وخمسين سنة . فقد تضمن كتابه من الاستطرادات ما لم يسبق إليه ، في طريقته وأسلوبه تشويقاً للقارىء وترويحاً وتجديداً لنشاطه وإقباله على الاستمرار في القراءة . وقد كان له في زمنه نصيب وافر في وصف متنزهات الطائف وضواحيه وبساتينه وجباله ووهاده وأثماره وأزهاره بما أرجو أن يعاد طبعه بعد تهذيبه ويسهل تناوله بعد ترتيبه وتبويبه .

وأعود إلى ما بدأت به وهو ما أثار شجوني وطربي في آن واحد من « الجبل الذي صار سهلاً » وعن صاحبه المفضال فأقول :

ــ قد لا يستهوي ذلك الكثرة الكاثرة من أهل هذا الجيل الصاعد ، المتجه ببصره إلى ما هو أمس وأعلق وأهم وألصق بالكون الهائج المائج ، فيما وراء الكواكب ، أو أجواز الفضاء !. إلا أننا نحن الذين (تبرزخنا) بين العصرين ، أو (تخضرمنا) بين القرنين أو الجيلين .. لا نهتم بما لم نطمع أن ندركه ، بسبق القطار لنا وإن كنا نتمنى أن يدركه أبناؤنا من الشباب الطامحين ، والفتيان الصاعدين .. لا نهتم بذلك إلا من قبيل التمني والتفاؤل ، وما زلنا عالقين ، بتراثنا الأدبي والنفسي والعقلي في محيطنا وواقعنا وما نشأنا عليه ، واستبطنا أخيلته وأطيافه ، واستبد بنا فيه حب (الوطن) .. و « حب الوطن من الإيمان » ..

ولقد حاولت مراراً أن أتصدى لمثل هذه الأبحاث التي تكاد تتوارى أشباحها في غيابات النسيان ، وتطورات الإنسان . وبالرغم مما أختزنه من هذه المشاهد ، وما حفلت به من بواعث السرور والحبور ، وما فيها من سذاجة ، وبدائية .. قد لا تروق لفريق كبير ممن لم يعاصروها ، ومع ما لا أزال أترنم به وأتمثله تلقاء عيني من مناظر « الهدا » و « الشفا » و « لية » و « الىم » و « المليساء » و « شبرا والعقيق » و « شهار والمثناة » و « الوهط والوهيط » الخ .. فلن أجد ملكة تضارع عندي هذا الفتح الجديد من أسلوب **القنديل** البارع ، وأنى لي أن أحيط بها في مثل هذا (السرد) الآخذ بعضه برقاب بعض ؟ إنها ذات أسرار عميقة

ضاربة بجذورها في طوايا القلوب وحنايا الضلوع ، وأنني لن أوفي الأمانة (كما يجب) لو حاولت أن أزعم تمثيلها .. كما لم أجز لنفسي أن أشوه صورها (بالرتوش) المستحدثة ! أو أبخسها حقها من الإسهاب والإطناب .. فما هي من السهولة بالمكان الذي لا يتعثر فيه المدلجون إليه ، أو المفتونون به .. ولكن أستاذنا « **القنديل** » (أمد الله في حياته) قد سد هذا الفراغ الكبير ، وهو بهذا قد بر وطنه العزيز ، وأنصف تاريخه العريق ، وصح لكل من يقرأ ما كتب ويكتب عنه أن يرد العجز على الصدر ، فيقول : و « السهل الذي صار جبلاً » !. فإن يكن ذلك العنوان دالاً على « كرى » في شماريخه وفي ماضيه ، فإن هذا يدل على بيانه أيضاً ، فقد بلغ الذروة في سحره ورواقيه .. ومزيداً من هذه الطرائف التي تمتزج بالدماء والأعصاب . وتتألق بها الأنجم الزهر في سماء الأدب على مر الدهور والأحقاب .

وبالطبع فإن ثنائي هذا يعم ويشمل كل من ساهم وأحيا مواتاً من آثارنا ومآثرنا في قلب جزيرة العرب علماً وأدباً وخلقاً وعادات وتقاليد ، شعراً ونثراً ، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، بل ومن المحيط إلى الخليج . فإن ذلك كله حاصل الحضارة العربية والإسلامية عبر التاريخ ، بل هو أدلتنا الساطعة على تراثنا الخالد ما دق منه وما جل ! .

وما من شك في أن ما كنا نراه ونمارسه ونلابسه قبل خمسين سنة مضت ، قد انطوى بخيره وشره ، وجده وهزله ، وطوله وعرضه ، ووصله وهجره ، ومظهره ومخبره ، إنطلاقاً مع الأيام ، ودؤوباً مع الليل والنهار والشمس والقمر .. وقد استبدلناه بغيره ، في كل مجالات الحياة ، وصورها وأشكالها .

ولئن فاتنا الركب نحن الذين تقدمت بنا السن ولما نقتحم العقبة !. وأعيانا أن نتقدم مع العاملين المجدين ، فيمن يبني للمستقبل ، على قواعد العلم والعمران الحديث .. وعز علينا أن نلحق بهم .. بوهن العظم ، واشتعال الشيب ! فلا أقل من أن يساهم القادر منا في تدوين هذه الصحائف البيضاء .. في « بلادنا » التي لم تعدم « مكارم الأخلاق » ومعالم المجد في جميع العصور وأن يصل بذلك حلقات الماضي بالحاضر .. ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، غير أن ذلك لا يملكه غير الموهوب . وكم هو نادر جداً من يعنيه هذا الاتجاه ويتصدى له طائعاً غير مكره ؟! ومن يجد في ذلك لذته الكبرى ومتعته الفضلى .. وهي ميول ذات دلالة بالغة على « الأصالة » والنبالة .. خاصة إذا استحوذ على إعجاب قرائه .. وقديماً قال الشاعر العربي « **أحمد شوقي** » رحمه الله :

وإذا فاتك التفـات إلى المـ
ـاضي .. فقد غاب عنك وجه التأسي

كما صورها بقوله :

اختلاف النهـار والليـل ينسى
ذكرا لي الصبا وأيام أنسي

والذكرى تنفع المؤمنين .. ولله درك أبا (**القناديل**) .. وإنك لذخيرة حرية بكل إعزاز وتقدير وتبجيل .

وحدثتني يا سعـد عنهم فزدتني
هياماً .. فزدني من حديثك يا سعد

٦٦٥ « فلق » عبدالمطلب بمكة

أما (الفلق) بأعلى محلة الشامية .. فليس من يجهله من سكان أم القرى قديماً وحديثاً .. وقد علمنا أن فالقه كان **عبدالله بن الزبير** رضي الله عنهما .. وما يزال يتسع ويمهد ويتطور حتى انتهى إلى ما هو عليه اليوم .

غير أن هناك « فلقاً » آخر يقابله من جهة الشعب « **شعب بنى عامر** » ، في منطقة « **شعبة العفاريت** » هو (**فلق عبد المطلب**) بمكة بأعلى الشارع الخلفي يمين الصاعد إلى المعابدة . ولم يشتهر بذلك .. على أفواه الناس ، لأنه مسلك محدود المارة في حينه .. وجانبه لا يئسى .. ولا يطرقه إلا القلة العابرة ، أو الساكنة حوله . خلافاً لفلق الحجون ، فإنه أكثر عبوراً ومروراً .. كما هو مشاهد ومحسوس ــ وفلق **عبد المطلب** هذا ــ كان معروفاً بذلك منذ أكثر من مائتي عام خلت ..

٦٦٦ « وي » !

لا يكاد يمر يوم في منازل الحواضر عندنا ــ لا تتردد فيه هذه الكلمة الخفيفة اللطيفة ــ وهي « وي » وقد احتجزها ربات الحجال ، دون الرجال ، ويقُلنها كلما بدا لهن ما يستغربن حدوثه .. وما يلام عليه وينكر ! وقال (**سيبويه**) : « وي » كلمة تنبيه على الخطأ وتندم يستعملها النادم لإظهار ندامته . اهـ .

قلت : وقد اختصت بها (حواء) ، ولا يجرؤ الرجال على التلفظ بها ، حياء ، أن يوصموا بتقليد النساء ، وهن بها أفصح ! وقد وردت في آيات الله وكتابه المبين .. ﴿ **ويكأنه لا يفلح الكافرون** ﴾ .. فهل إلى مرد من سبيل في استعمالها في مواضعها في الوسطين الرجالي والنسائي معاً ؟ وعند الندم لا ندم إن شاء الله « إلا على ما فرطنا في جنب الله » .

٦٦٧ من أنواع الضرب ؟ !

(اللقز) الضرب بالجمع على الصدر ، أو في جميع الجسد ، و « اللكز » بجمع الكف في العنق والصدر .. و (الوهز) بالرجلين ، و (البهز) بالمرفق ، و «اللهز » في العنق ، و (اللمز) العيب والإشارة بالعين .. ولا بد للمتأدب إذا عبر عن شيء من ذلك أن يفرق بين كل منهما ، ويستعمله في موضعه إذا رأى ما يريد التحدث عنه ، شاهداً أو واصفاً . أما إذا اضطر إلى مباشرته فعلاً .. فلا يليق به أن يلحن ، وأن يجعل اللقز ، محل اللكز . ففرق بين القاف والكاف .. وأعان الله كل عريض الأكتاف !

٦٦٨ « الدغري » !

ما نزال نسمع الناس يقولون : أن فلاناً رجل « دغري » ، يعنون أنه مستقيم .. وآخرين يقولون : « امش دغري » ! توصية لمن مال أو تجنف .. وكنت أحسبها لا أصل لها ولا فصل في العربية وغلب على ظني أنها « تركية » .. وفي القاموس وجدتها : « الدغر » الدفع .. ودغر في البيت دخل وعليهم اقتحم .. في جملة ما تعنيه ! إذن من هنا جاء استعمالها .. فلا حاجة إلى تهجينها ما وجدنا لها مندوحة .. أو أدنى صلة باللغة من قريب أو بعيد ..

٥٦٩ « وي » و « أدقدق » و « وه » و « أعاعه »

بمناسبة ما ورد في الشذرة رقم (٥٦٦) المنشورة بالمنهل الأغر بشهر شوال سنة ١٣٨٦ هـ عن كلمة (وي) واختصاص النساء بالتلفظ بها دون الرجال ، رغم أنها فصيحة صحيحة ! تفضل أو (أفضل) حضرة العالم السلفي الكبير (والد الجميع) الشيخ **محمد حسين نصيف** ــ أطال الله بقاءه وأمتعه بالصحة والعافية . فكتب إلي بهذه الأفكوهة ! وهي على طريقة (صاحب الأغاني) ذات سند متصل ، قال حفظه الله : « أخبرني الشيخ **أحمد طه رضوان** ــ من أعيان جُدَّة ــ رحمه الله أن « الشيخ **إبراهيم الأسكوبي** » رحمه الله وهو شاعر وأديب المدينة المنورة ــ في أوائل هذا القرن الهجري ــ قد نظم هذين البيتين :

خطرت فمالت ، ثم قالت : يا فتى
أتريد وصلي ؟ قلت : (أي) يا منيتي
ضحكت ودقت رجلها من بعد أن
قالت : (أدقدق)، «وه» (أعاعه) و(صابتي)!

ثم قال : إن فضيلته كان قد سمع بهما إبان الصبا وشرخ الشباب .. ونسيهما بمرور الزمن الطويل ، وحينما قرأ في (المنهل) كلمتي بعنوان (وي) تذكرهما .. بمعناهما ولم يستحضر ألفاظهما .. فاستفسر عنهما من (الشيخ **سالم ، باعكظة**) وكان كاتباً لديه فكتبهما وزاد عليهما تشطيراً لا يدري لمن هو ، وكان الأصل في رواية الشيخ **سالم** كما يلي مع تشطيره :

«خطرت، فمالت، ثم قالت: يافتى»
أنظر إلى خدي ، وحمرة وجنتي
يا من غدا من فرط حبي هائماً ..
«أتريد وصلي؟ قلت (أي) يامنيتي»
«ضحكت، ودقت رجلها، من بعد أن»
غنجت ! وعضت فوق تلك الشفة !
وبكفها ضربت على (النهد)! ولي،
قالت (أدقدق)، (وه) (أعاعه) و(صابتي)

قلت : وما ترك الأول للآخر شيئاً ، فقد نظمت قبل شهر قصيدة بعنوان (مع الطارق) وكنت أتوخى في قافيتها أسلوباً فكهاً .. مرحاً ! وجاء فيها الأبيات :

أقول لها : ونفسي في امتعاض
ومني الثوب من ضجر تشقق
أهذا (بابنا) والليل داج
قبيل الفجر دون الناس يطرق ؟!
فقالت : دعه ، قلت : وكيف هذا ؟
فقالت : وهي تسخر بي (أدقدق) ؟!
فقلت : (أدقدق) ؟! ما أنت تعني ؟
فقالت ! سل أخاك (أبا شمقمق) الخ ..

وهي على هذه القافية وتبلغ (٢١) بيتاً ، ولعلها تنشر إذا كتب لها ذلك في أول فرصة مواتية إن شاء الله .

وإني لأعجب كيف تتفق الخواطر حتى بعد مرور نصف قرن من الزمان . وأحسب أن استعمال هذه الكلمات بالذات من قبل ربات الحجال ، لا يخلو من أصول قديمة . فاتنا إدراكها أو أسبابها ، وملابساتها وكلها تدل على السخرية والاستهزاء والتعجب والتفجع .. وما يبعد أن تكون (وه) .. من التأوه .. و(صابتي) من

(١) المنهل : نشرناها في هذا العدد في (ديوان المنهل) .

الإصابة .. أو المصيبة .. كفانا الله والقراء كل سوء .. فأما (أدقدق) ! و (أعاعة) ! فندعهما لمن يعلم سرهما اللغوي أو الاصطلاحي وأكاد أجزم أن من لم يدر عنهما أصلاً أو فرعاً حتى الآن سيظفر بذلك في قواميس اللغة ، الكبرى ، وربما كانت (أعاعه) حكاية .. للتهوع ! لما تفاجأ به (المتأوعة) .

وأحب أن لا أضم هذه الشذرة قبل أن أشير بكثير من الإغتباط إلى أن فضيلة الشيخ **محمد نصيف** قد أعلن عن ملكته الشعرية — دون قصد منه — فقد ختم خطابه بقوله :

« وعليكم التنظيم .. والتلطيف .. »

وهو شطر ظريف لطيف .. موزون .. لا يحتاج إلا إلى صدر يتممه وعسى أن يكون :

(تلك الرواية .. مثلما هي أمليت)

« وعليكم التنظيم — والتلطيف » ..

وليبارك الله في حياة شيخنا الوقور .. وعلمه الواسع وفضله الموفور .

٥٧٠ ماهي الحجون ؟

بأعلى مكة .. عقبة كانت كأداء .. ويطلق عليها القدامى « كداء » ! وهي التي تمر بين « المعلاتين » .. وتسمى بالحجون .. ولو سئل الكثير منا عما يقصد بهذه التسمية لكان جوابه : كما هو المعهود .. عند كل غامض : « الأسماء لا تعلل » .. وفي الواقع أن « الحجون » لغة .. هي بفتح الحاء : العقبة البعيدة الطويلة .. وقديماً قال في كداء **حسان بن ثابت** رضي الله عنه :

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها (كداء) ..

و (كدى) — بفتح الكاف — هي الريع المسمى بريع الرسام في أول محلة الباب .. و (كدي) — بالتصغير — بأسفل مكة .. وقد ذللت مثل أمها .. وسفلتت وأصبحت طريقاً ممهداً للسيارات إلى عرفات ومزدلفة ومنى . وأذكر أن شاعراً قام يرثي الموتى .. بمقبرة المعلى .. أو الحجون ومن قوله :

كم بذاك الحجون من حي صدق
وكهول أعفة وشباب ؟

الخ .. وقد كان الطريق منها وإليها شاقاً على الدواب فصارت الآن من أهم مداخل مكة ومخارجها بعد التمهيد والتمسيد !

٥٧١ ريع الكحل بمكة !

في طريق السائر من شارع العتيبية في جرول بمكة المكرمة المؤدي شمالاً إلى « الزاهر » تقوم « عقبة » .. أو ريع يطلق عليه من القديم (ريع الكحل) وما أحسب ذلك كان عبثاً .. فلا بد أن يكون فيه .. أو حوله أو فوقه أو تحته منجم (للأثمد) الذي يستورده البلد من الخارج .. فهلا انبرى الباحثون عن المعادن ، فاكتشفوا سر هذه التسمية ؟! أولاً يكون في هذا ما يعتبر مورداً هاماً وصناعة محلية ؟ .. وإن كان هناك من مندوحة عن هذا كله .. فهو انصراف المحدثين عن الاكتحال ! من نساء ورجال .. ولا أدري إذا كان فيه فائدة صحية ، أو جلائية للأبصار ؟! غير أن كثيراً من حجاج البلد الحرام ما يزالون يصطحبون معهم من جملة هداياهم الكحل ..

المستورد .. معبأ في أوعية جميلة أو جلود .. مزخرفة !. وذلك ما يحدونا إلى استئناف الإنتاج .. من هذه الفجاج .. وما نسيت أن النظر إلى المروج الخضر .. والعيون الدعج .. والمباسم الفلج .. والحواجب الزج .. أكثر جلاء .. لمن تصدى لها .. أو ظفر بها .. من هذا السواد المصطنع !.

٦٧٢ من مصطلحات البنائين

ما أشد شغفي .. وأعظم كلفي .. بتعقب الكلمات العامية تخرج من أفواه العوام .. وهي سليمة قويمة .. ذات جذور راسخة ونسب عريق إلى الفصحى . وما أمض أسفي .. على انقراضها مع كل حرفة كانت رائجة .. وباتت بائرة !

لقد كنت أسمع المعلم البناء .. وهو يتغنى على (سقّالته) في حمارة القيظ .. أو صبارة الشتاء بألحان جماعية تارة .. وفردية أخرى .. ذات شجو وشجن !.. وبأبيات أو مقطعات تداولها الخلف عن السلف .. مطربة .. معجبة .. مسلية .. فما يكاد يسكت أحدهم حتى يجأر رفيقه بسواها مثلها أو خير منها بأصوات رخيمة ، وإيقاعات أو نبرات تنتزع الآهات .. والتأوهات يستوحونها من مشاعرهم التي تأخذ بألبابهم لا في مجال الغزل والتشبيب فحسب ، وإنما في الحماسة .. والبطولة .. والفتوة .. والمروءة .. والشهامة .. وقد يكون عددهم أكثر من عشرة إلى عشرين .. وكلهم مشتركون في رد ما يحدو به الحادي الأول .. بأسلوب لا يخلو من الذوق الرقيق ! وأتذكر أن مما استوقفني منهم بعض ما يتداولونه من تعريفات اتفقوا عليها من القديم كقول كبيرهم لمن يلاحظ عليه : طمنه ، أو وسده ، أو كحله .. يعني بذلك الحجر الذي يضعه في محله ، فالتطمين : هو إحكام وضعه . والتوسيد : هو وضع (المفاريش) تحته أو حوله . والتكحيل : هو تملية ما حوله من فراغ . وهكذا .. وقد كنت أحفظ منها أكثر من مائة إصطلاح كلها أصيل فصيح صحيح .. رحمهم الله .

٦٧٣ شجر النيم

خلال نصف قرن خلا حتى الآن ، انتشرت في طول البلاد وعرضها أشجار يطلق عليها « النيم » .. وهو ذو جذوع قوية سميكة .. وفروع سامقة طويلة .. وله موسم تتعطر برائحته الحدائق ، والخمائل ، حتى لكأنه عبير الورود .. وأظنه مجلوباً من بلاد الهند .. وباكستان .. وله من الفوائد الطبية ما يعرفه المختصون من الأطباء .. ولا سيما (الأقرباذيون) .

وإلى هذا الحد كان نفعه محدوداً .. بالإضافة إلى ظلاله الوارفة .. وأنه مما تعشق السماء .. وتعلق الأنواء ! غير أنني قرأت ما يضاف إلى ذلك عنه : (قال في المنجد) :... وهو شجر له شوك لين وورق صغار وله حب كثير ، متفرقاً أمثال الحمص .. حامض .. فإذا أينع اسود .. وحلا .. وهو يؤكل » ا.هـ .

وفي النيم الذي عرفناه بعض هذه الأوصاف إلا اثنتين .. فهو خال من الشوك .. فيما أظن .. وحبه الحامض الحلو .. عرف فيه كبذر فقط .. أما أن تبلغ به الحلاوة أن يؤكل .. فهذا ما لم نجرب إلا أن يكون غيره بنفس الاسم وهو بالغرس أجدر .

٥٧٤ القال ـ والقيل والقاق ـ والقيق

نصت اللغة على أن القال : هو السؤال .. والقيل : هو الجواب .. أو أن هذا ما اصطلح عليه القوم .. كما أن (القاق) هو : الأحمق الطائش .. و (القيق) هو : الفاحش الطول .. وقد سمعنا المتأخرين إذا رددوا ذلك يضيفون إليه قولهم : « ونشفان الريق » ! فتكون الجملة : (جبت ـ أي جئت ـ لي بالقاق والقيق .. ونشفان الريق) ! فكأنما هو يقول : جمعت ـ بفتح التاء للمخاطب ـ إلى الحمق والطيش ، الطول الفاحش .. ونشفت أيضاً ريقي .. وأغويت طريقي ! إذا أتم التسجيع ! وكلها في المتداول المبتذل لا تخلو من أصول عربية .. ألهمت بها العامة .. أو تناولتها قديماً من أذكياء الخاصة ! وكفانا الله هذه القافات المقفاة ... وأبدلنا بها (مسرات الحياة) !

٥٧٥ السواك ـ والمسواك

من السنن النبوية التي نشأ عليها الصغير وهرم عليها الكبير : (السواك) .. وما تزال (باديتنا) المفطورة على كل ما هو خير بإذن الله .. حريصة على هذه العادة وكان أغلب أهل الحواضر .. متمسكين بها صباح مساء .. وعند كل وضوء ..

وتقلصت مع الزمن في أكثر المدن .. واستعيض عنها بالفرشاة .. والمساحيق أو المعاجين المستحضرة مما أحدثته المدنية .. العصرية .. ومع ما تستنفد من أثمان .. فإنها لم تبلغ من الفائدة .. والتنظيف ما بلغه السواك .. بعيدان الأراك !

وقد قرأت في كتاب طبي حديث لصاحبه الدكتور **صبري القباني** يسمى « طبيبك معك » ـ هذه العبارة : « وحبذا لو أفسح الناس في جيوبهم أو محافظهم المجال لمسواك .. أو لفرشاة .. صغيرة للأسنان لاستخدامها كلما سنحت الفرصة ، فتلك عادة صحية لا تخلو من فائدة .. فإذا واظب الإنسان على هذه العادة وتقيد بالتعليمات الآنفة الذكر حمى أسنانه من الأمراض والآفات » . اهـ .

قلت : وقد ورد في الأثر الشريف : « لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة » أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه : وما أكثر قضبان الأراك في بلادنا .. ولا سيما في ضاحية (نعمان) الأراك حتى عرف به من قديم الزمان : قال الشاعر :

يا صاحبي بنعمان الأراك خذا
عن يمنة الحي أو كونا على حذر

وقال الآخر :

يا أعذب الناس ريقاً غير مختبر
إلا شهادة أطـراف المساويك

فهل تنفع الذكرى ؟!

٥٧٦ العيش ـ والملح !

ما أعجب ما نتحدث به .. أحياناً .. دون إحاطة بأصله أو فصله .. كما كان فعلاً ! فهذه الجملة : « بيننا عيش وملح » .. لا يحسبها قائلها ولا سامعها إلا رمزاً مجرداً .. للمؤاكلة .. أو المطاعمة في نوبة واحدة أو نوبات .. ومرة أو مرات ! وقرأت أن لها أساساً عربياً (بدوياً)

قديماً .. وهو أنهم في الصحراء ـــ كانوا وحتى يومنا هذا إذا ما تعاهدوا على شيء دعموا عهدهم بأن يضع كل من الفريقين كمية من الملح في فم الفريق الآخر أو قطعة من الخبز المزدوجة بالملح ... » اهـ .

قلت : وقالوا أيضاً : في بلاد اليونان تقضي الضيافة أن يقدم المضيف لضيوفه على عتبة بيته خبزاً وملحاً .. كرمز للضيافة والإكرام الأكيدين .. وقد علمنا أن بلاد المغرب العزيزة العربية المسلمة .. تقدم للضيوف القادمين أول ما يطأون ترابها « التمر واللبن » .. مبالغة في التكريم .

وللملح .. فوائده الصحية التي لا تحصى ! وقد أدركنا القدامى من كبار القوم المعمرين .. لا يبدأون طعامهم إلا بلحسة من الملح المبزر .. ويعتبرون ذلك واجباً لا مفر منه لمن يحرص على صحته وأمعائه .. وما ذلك إلا نتيجة التجارب عبر القرون والعصور الطويلة !

٥٧٧ تعايش الناس !

قال الشعبي : « تعايش الناس بالدين زماناً حتى ذهب الدين ، ثم تعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة ! ثم تعايشوا بالحياء .. حتى ذهب الحياء .. ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة .. وسيتعايشون بالجهالة زماناً طويلاً » . اهـ . (**أبو حيان التوحيدي**) .

قلت : لقد أفرط **الشعبي** في تشاؤمه كثيراً .. فما يزال الخير في أمة **محمد** صلوات الله وسلامه عليه .. حتى تقوم الساعة .. وكل ما افتقده في عصره إنما كان تجربة خاصة .. ربما عاناها .. أو لابسها أو أنه أطلق كلمته هذه في فورة من الغضب ! وما برحت العوارف والصنائع ولله الحمد والمنة .. محل الرعاية والعناية والاختيار من كل من يؤمن بالله واليوم الآخر .. وكل من يتلو قوله تعالى : ﴿ **ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره** ﴾ ... ولعله إنما أراد بمن وصف .. جيلاً تفسخ .. أو عنصراً تمسخ .. أو امتد بصره إلى ما وراء أفقه وزمنه .. ممن آمنوا بالمادة .. وجحدوا الروح .. وتجردوا من الأديان في كل زمان ومكان .. وقد صح فيهم قوله : إنهم يتعايشون بالجهالة زماناً طويلاً !

٥٧٨ من حقوق الصداقة

قال **أبو حيان** في كتابه (الصداقة والصديق) :

قال **محمد بن علي بن الحسين الباقر** رضي الله عنهم لأصحابه : « أيدخل أحدكم يده في (كم) صاحبه فيأخذ حاجته من الدراهم والدنانير ؟ قالوا : لا . قال : فلسم إذن باخوان » . اهـ .

قلت : كان هذا مما يعتبر حقاً للصديق على صديقه ، قبل ألف عام ونيف ، ولكن التجارب .. المريرة .. ربما كانت السبب الأول في احتشامهم .. وعدم إقدامهم طوال القرون الخالية !.. وقد كانت لهم بقية نادرة فيمن عايشناهم أوائل هذا القرن .. ثم انقرضوا .. وذلك حينما كان من السهل جداً تناول (الكيس) .. من الكم .. أو الجيب .. وهو مزدحم بالمسكوكات المعدنية المتنوعة ! فأما بعد أن تحولت إلى « ورق » فقد تعذر كثيراً مد الأيدي إليها (إلا من يرحمه الله) .. وإلا فإن

الأصل في ذلك كله المعاملة بالمثل مع التكافؤ .. والوفاء .. والإيثار .. فأما هات .. بلا خذ ، فإنها أنانية وأثره .. وفي أمثال الناس « زي ما يكيل لك الخل كل له » ! و « إذا كان حبيبك عسل لا تلحسه كله » .. وإنما هي دعوة إلى التسامح والسخاء .. وتوشيج أواصر المودة والإخاء .. وفي الشعر الجاهلي ما يجب أن يحفظ ولا ينسى :

إني لأبذل للخليل إذا دنا
مالي ، وأترك ماله موفورا
وإذا أردت ثواب ما أعطيته
فكفى بذلك نائلاً تكديرا ..

فهل من مدكر ؟!

٥٧٩ حيا - بلا « مرعة »

ما من أحد منا — في طفولته — إلا وسمع هذه الجملة من جدته وأمه أو حتى « إستيته » .. أي أخته الكبرى .. عندما يبدو منه كثير من الدلع [1] ! زجراً له عنه .. وهي صحيحة فصيحة ذات أصل عربي عريق .. (فالمرعة) : من الامراع .. وهو الخصب والتنعم ... فهي تنهي الطفل أن يبالغ في دلعه وتدلله وإخلاده إلى الملذات ! خاصة إذا كان ذا أثرة على لداته وأقرانه وأخواته وأخوانه .

ولقد كنا نعرف ما ننكر اليوم في البيوت من تربية النشء كله من صغار الفتيان والفتيات .. فالصغير ملزم أن يخاطب من هو أكبر منه بـ « سيدي » .. والصغيرة ، لا يصح بحال أن تنادي من هي أكبر منها إلا (ياستيتي) ! أي يا سيدتي الصغيرة وتلاشت هذه القاعدة .. فلا نكاد نسمع بها .. وقد أدركنا رجالاً مسنين .. ونساء من العجائز .. يتقيدون بهذا الخلق الكريم .. حتى الموت .. ومن آخرهم — وما أكثرهم — المرحوم الشيخ **أسعد شلهوب** والشيخ **محمود شلهوب** رحمهما الله .. وكلاهما تجاوز الثمانين .. ولا يدعوان بعضهما إلا بذلك ؟ فهل هو من تأثير الحضارة أيضاً ؟! وهل يأخذ بذلك الغرب .. عنا .. ونراه غضاضة منا ؟!

٥٨٠ قضاء حوائج الناس

قال **إبراهيم بن المهدي** : قلت لرجل من أهل الكوفة .. من وجوه أهلها كان لا يجف لبده ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال ، وإدخال المرافق على الضعفاء (وكان رجلاً مفوهاً) .. فقلت له : أخبرني عن الحالة التي خففت عنك النصب .. وهونت عليك التعب .. في القيام بحوائج الناس .. ما هي ؟ قال : قد والله سمعت تغريد الطير بالأسحار ، في فروع الأشجار .. وسمعت خفق أوتار العيدان .. وترجيع أصوات القيان .. فما طربت من صوت قط .. طربي من ثناء حَسن على رجل قد أحسن .. ومن شكر حر لمنعم حر .. ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر .. قال **إبراهيم** : فقلت له : لله أبوك ! لقد حُشيت كرماً ..

قلت : فهل لنا أن نستعيد هذه الذكريات ؟ وأن نظفر بهذه اللذة الكبرى .. وأن ندخر ما وراءها من حسن المثوبة .. يوم العرض .. والتغابن ؟.. وأن لا يترك الفراغ شاغراً فيمن كان

(١) المنهل : الدلع في عامية الحجاز هو الدلال .

همه وهجيراه وليله ونهاره منقطعاً للقيام بهذه المكرمات .. وهل لم ير الجيل ــ السابق واللاحق ــ أمثلة حية في كل مدينة وقرية من هذا القبيل ؟ ويرحم الله الفقيد الغالي الشيخ **محمد الطويل** ، وبارك في كل من دأبه إصطناع المعروف واكتساب الجميل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٦٨١ ذنب الوزغة !

خطب **ابن الأشعث** في « المربد » فقال : أيها الناس أنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة .. تضرب به يميناً وشمالاً .. فما تلبث إلا أن تموت . فمر به رجل من بني قشير .. فقال : قبح الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس ويعدهم الأضاليل ، ويمنيهم الباطل ..

قلت : وهكذا أدرك (**القشيري**) الأعرابي .. أو الحضري .. بفطرته .. إن التهوين من أمر العدو .. تغرير .. وتضليل .. وإن خيراً من ذلك (الإحتراس) والإعداد .. وفي كل ما نقرأ من تراثنا القديم .. كلمة رائعة ، وعظة بالغة .. ومثل سائر .. وخبرة طويلة .. وذخيرة عظيمة .. فإلى كنوزه الثمينة أيها الشباب الطموح .. فلن تجد دونها عوضاً .. في الدين والدنيا .. والأولى والآخرة .

٦٨٢ ملص وملس !

ما أكثر ما نحسبه من الكلام عامياً .. ونعثر على أنه من الفصيح الصحيح إتفاقاً ومصادفة .. ومن ذلك أن أحدهم إذا نصح لأخ له .. أو إذا نعته قال له : أملص .. أو أنه (ملاص) ــ ويعني الأول : أخرج أو اذهب أو توار .. والثاني ــ أنه يهرب وقت الضرورة ! ولا يتردد في ذلك كبير ولا صغير .. حتى أن فلاناً (خرج من زقاق الملص) ..

وأجد صواب ذلك في الكامل **للمبرد** حيث روى رجزاً لرجل من **قضاعة** قاله بعد أن ضجر أهل الشام من المقام على **ابن الزبير** يقاتلونه في (مكة) .. هذا نصه :

يا صاحبي ارتحلا ثم (أملسا)
لا تحبسا لدى الحضين محبسا
إن لدى الأركان بأساً أبؤسا

والشاهد هو قوله : (أملسا) إذ أمرهما بأن يرتحلا ويملسا ــ خفية أو (خيفة) .. وأن يتخلصا تخلصاً سهلاً .. فهذا أصل الكلمة عربي صميم .. والصاد أُخت السين ، والتصحيف بهما قمين ! ولعل النسيج الذي يطلق عليه (الملس) إنما استحقه بالنعومة في اللمس ؟! وهو أيضاً (ملاس) إذا مسته الأكف أو الأصابع .. فهل لها من تصحيح .. بعد تحريف ؟!

٦٨٣ لِمَ سُمي عمر بالفاروق ؟

رُوى عن **ابن عباس** رضي الله عنه : أنه قال **لعمر بن الخطاب** : لم سميت **بالفاروق** ؟ فقال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للاسلام وأول شيء سمعته من القرآن ووقر في صدري (٢٠ : ٨) (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله ﷺ ، فسألت عنه فقيل لي هو في (دار الأرقم) فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوساً في الدار ، ورسول الله ﷺ في

البيت ــ فضربت الباب فاستجمع القوم ، فقال لهم **حمزة** : ما لكم ؟ فقالوا **عمر** ، فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابي ثم نترني نتراً .. لم أتمالك أن وقعت على ركبتي ! فقال : ما أنت بمنته يا **عمر** ؟.. فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد ، فقلت : يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا ؟ قال : بلى ، فقلت : ففيم الإختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن ــ فخرجنا في صفين ، حمزة في صف ، وأنا في صف .. له كديد ككديد الطحن .. حتى دخلنا المسجد فلما نظرت إلينا قريش أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قط ، فسماني رسول ﷺ « **الفاروق** » .

قلت : تلك هي أسباب تسمية أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب بالفاروق** ــ وهنا فائدة لغوية وهي قوله : (ثم نترني نتراً) .. فما تزال حتى يومنا هذا تستعمل بهذا اللفظ ولنفس المعنى وهي بالتاء لا بالثاء .

٥٨٤ جيرة حاتم الطائي

قال حاتم طي في رائعته المشهورة :

وما ضر جاراً يا ابنة القوم فاعلمي
يجاورني ، ألا يكون له ستر
بعيني عن جارات قومي غفلة
وفي السمع مني عن حديثهم وقر

قلت : هذا في الزمن الجاهلي .. وجاء رسول الله ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق فهل درج أهل الحضارات من بعدهم على هذه الشمائل والشيم ؟.. وقد أنزل الله عليهم من الفرقان والذكر الحكيم ما يهدي إلى الرشد .. وينقذ من الضلال ؟.. أم هي العوائق والبوائق .. والرواعد والصواعق .. والمزاهق والمزالق ؟.. وقانا الله شر الهوى .. وكل من ضل وغوى !

٥٨٥ « الكنتى » و « العاجن »

قرأت في كتاب « أسرار العربية » **للأنباري** (٥١٣ ــ ٥٧٧ هـ) قوله في شواهده : « وقد أنشد في عدم جواز تقديم الفاعل على الفعل في هذا الباب العاشر قول الشاعر :

فأصبحت (كنتيا) ــ وأصبحت عاجنا
وشر خصال المرء كنت ، وعاجن !

وعلقنا عليه بأن « الكنتى » و « الكنتنى » و (الكوني) الكبير العمر .. كأنه نسب إلى قوله : (كنت في شبابي كذا ــ وكذا .. وعجن الرجل : نهض معتمداً بيديه على الأرض .. كبراً ، أو بدناً .. فهو عاجن ، يقال : فلان عجن وخبز .. أي شاخ وكبر ..) اهـ .

قلت : كان ذلك اصطلاح القوم منذ ثمانمائة عام ، ولم نعد نسمع الآن مثله .. وتحول إلى شيء آخر .. فإن المعاصرين يقولون : فلان ما يزال (يلت ويعجن) أي يردد الكلام نفسه .. كما يفعل العجان للدقيق .. واللتات فيه ! بطريقة واحدة ! أما كَنت وكَتت .. فإنها إلى زوال مع من أخذوا ثقافاتهم الجديدة .. في علوم وفنون شتى .. وصُهروا في بوتقة العمل الدائب .. فلم يدع ذلك لهم من الوقت ما يتحدثون به عما كانوا ! بما هم به يهتمون من الحاضر ــ المتطور .. وإن لم نفقد هذا « الكنت » فيمن تجاوز الخمسين إلى الثمانين والمائة ، ممن يسعفهم الفراغ ــ

وتسليهم الذكريات ! وفي اعتقادي انهم (حلقة) تصل الماضي بالحاضر .. وإنهم ضرورة لا بد منها في حياة الأفراد والجماعات ، والأمم والشعوب .. وكم ردد الشعراء فيما خلدوا من قوافيهم ، « كنتياتهم » في مختلف الموضوعات الحماسية والغزلية والحكمية ، ومنها :

وكنا إذا الجبار صغر خده
ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقول الآخر :

وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي
وبدل سوء بالذي كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن .. فلم أدم
على ذاك إلا ريثما أتحول

وقول الآخر :

وكنت إذا قوم هجوني هجوتهم
فهل أنا في ذا يا لهذان ظالم ؟!

٦٨٦ الفِراسة .. بكسر الفاء
الفَراسة .. بفتح الفاء

كثير منا يجعل الكلمتين بمعنى واحد كسرت الفاء ، أم فتحت .. وهما مختلفتان بذلك معنى .. فبكسرها هي إدراك الأشياء بقوة الذكاء ووفرة الفطنة ! وبفتحها هي الحذق بركوب الخيل وأمرها ..

وما أجمل أن يجمع المرء بين الفضيلتين ، فيكون فارساً ، ومتفرساً ، في آن واحد .. وهما الصفتان الغالبتان على شبابنا الناهض الطموح فضلاً عن أشياخنا .. الكماة المغاوير .. وتسوقني المناسبة إلى أن من أهم الألعاب الرياضية .. المأثورة قديماً : (اللزاز) أو (اللزز) وسباق الخيل .. مما كانت تشهده رحاب الطائف ومكة .. وما تزال تنعم به .. ساحات الرياض .. وفي أمثال العامة قولهم : « صنعة أبوك ــ لا يغلبوك » !.. وهي (الفروسية) مجمع الأخلاق الرضيـة .. والشهامة والفتوة والأصالة العربية .. بل هي السمة الأولى لأبطال العرب .. منذ عصرهم القديم .. وحبذا لو استؤنفت في كل مدينة .. وكل بادية وحاضرة فإنما هي عنوان المجد .. وصهواتها أرائك الصيد الصناديد .. و « لا يفل الحديد إلا الحديد » !

٦٨٧ لكل قادم دهشة

أول من قالها كما رواه الجاحظ : **عبدالله بن عباس** رضي الله عنه ــ ولفظه : « إن لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية » .. وهي متداولة حتى اليوم ــ كما هي في العنوان .. وإنه لمما يبهج النفس ويطربها أن يتمثل الناس بما تناقلوه .. خلفاً عن سلف من مأثور الحكم وغرر النصائح .. وما أصدق اندهاش القادم .. وما أكثر ما يسهو عما يلام على تركه .. لولا أعذاره بهذا الأثر الطيب .. والتوصية به بأن لا يؤاخذ .. حتى يؤانس ! ولعلنا نقتدي بالخبر .. فلا نضيق بالقادم .. إن فاته ما استدرك .. أو استدرك ما فاته .. فهو في حل من ذلك لأول وهلة .. وذلك شُعبة من (مكارم الأخلاق) صلوات الله وسلامه على من بعث بها رحمة للعالمين .

٦٨٨ تخريج غنائي

كنت أسمع أيام الفتوة وفي شرخ الصبا ، بعض الألحان من أقطاب طواهم الثرى .. عليهم رحمة الله ، وكانوا بقية أهل الفن القدامى ، ممن فقدت أو تكاد تفقد مواهبهم الفطرية .. من حيث السمت والقيافة والأدب والذوق وحسن المداخل والمخارج .. و « المشق .. والمحط » ! وتمكنهم من صناعتهم — تمكناً يتيح لهم أن يبدأوا (بالركبى) .. ويخرجوه بغيره من شتى الأنغام « بحمر دسج » ثم يعودون إليه عند ختام « المحبس » .. ومما علق بالذهن من ذلك حتى الآن أنهم كانوا يطلقون على أحد الألحان أنه « مشاورك » أو « مشاورق » واستحسنت في ذلك تخريجاً غنائياً أوحاه إليَّ أن هذا اللحن إنما أطلقوا عليه هذا العنوان لأنه « مشترك » أي يضم لونين أو لحنين فأكثر !.. واسترحت إلى تسميته بما يؤدي أفضل من ذلك الوصف القديم فقلت : إنه « مشى ورق » إنصافاً له بتأثيره ، وأثره في السامعين .. ولعله كان من توارد الخواطر .. وأنه ليس مما خرجته وحدي . ولعل أصحاب الفن وأهله من قبلى كانوا يسمونه كذلك .. وحرفه المتأخرون .. فأعدته إلى أصله .. فهل أظفر بمن يكشف القناع عن حقيقته من ذوي الأصالة في « الموسيقى العربية القديمة » ؟!

وبالرغم من اعترافي بأن أولادنا إنما خلقوا لزمان غير زماننا ، فإني واثق أنهم بدمائهم وذمائهم ، وقلوبهم وأفئدتهم لا يحنون ولا يثنون إلا بترجيع ألحاننا التقليدية .. المعبرة عن الخوالج النفسية العميقة .. في غير تكلف أو تصنع .. وفي تلهف وتأوه .. وهذا ما لا ننكره على كل بلد عربياً كان أم أعجمياً .. « وكل فتاة بأبيها معجبة » .. ﴿ وما ينبئك مثل خبير ﴾ ! وسقى الله أجداث السابقين الأولين ، ممن أدركناهم وسمعناهم .. وكان من سوء الحظ إن لم تكن قد برزت إلى الوجود هذه المسجلات والمخترعات لتدوين طرائقهم المشجعة المعجبة وأصواتهم العذبة المطربة ، أمثال الأساتذة المشائخ المرحومين : « **إبراهيم بندقجي** » و « **خطاب** » و « **السيد محمد الدحلان** » و « **كردوس** » و « **صالح حلواني** » و « **الشريف هاشم بن هاشم** » و « **حسن جاوي** » و « **أبو عمر سراج عبد الغني** » و « **عبدالهادى البندارى** » و « **عبد الله الركن** » .. ومن سار على نهجهم .. من ذوي المواهب الموروثة العريقة .. تغمدهم الله برحمته وغفرانه ، وما يزال لهم بقية صالحة محافظة على التراث الأصيل كالأخ « **الشريف محمد بن شاهين** » **والأخ** « **عبد الله المحمد** » والشيخ « **محمد علي سندي** » **والفنان الكبير** « **طارق** » و « **محمود مؤمنة** » و « **حسن لبني** » و « **السيد عبد الرحمن المؤذن** » و « **الشاولي** » .. و « **الدكتور** » والشاب النابغ الوقور « **سميح لطفي** » .. في « اليتيمة » .. وأمثالهم في جميع مناطق المملكة المحروسة[١] ومن تبعهم بإحسان من الفتيان والشبان .. رعاهم الله وأحيا بهم ما اندثر من بدائع الألحان !.

---

(١) المنهل : من هؤلاء الأحياء أيضاً ، الشيخ حسين بخاري ، الشيخ عبد الستار بخاري بالمدينة المنورة وغيرهما .

٦٨٩ طعــام الاعراس

قرأت في (الأغاني) من أخبار **إسماعيل بن يس النسائي** ونسبه **مولى بني تيم بن مرة** ــ تيم قريش ، انه إنما سمي **بالنسائي** لأن أباه كان يصنع (طعام العرس) ويبيعه فيشتريه منه من أراد (التعريس) من المتجملينَ .. وممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك ... وأنه كان يعد ذلك مصلحاً أبداً فمن طرقه وجده حاضراً . اهـ .

قلت : متى كان هذا ؟ في عصر **عبد الملك ابن مروان** .. أي في القرن الأول الهجري ، وقبل مائتي وألف عام تقريباً .. ثم ما هو هذا الطعام الذي يكون للأعراس آنئذ .. ثم يكون معداً حاضراً .. حين الطلب ؟ لا بد أنه من « البوارد » أو « الحلوى » .. فإن « المعلبات » لم تكن قد حدثت وما يطبخ في يومه ويفسد إذا بات لا يصح فيه الإعداد قبل وقته !.. وكيفما كان هو .. فإنه نبأ يدل على التعاون الاجتماعي بين الناس ، وتيسير الحصول على حاجاتهم .. بأقرب الوسائل .. وقد أدركنا ذلك في أوائل هذا القرن بمكة .. حيث يعد للزفاف .. ولوازمه كل ما يحتاجه من الزينة والمصوغات والحلي ، والثياب ، والأرائك ، و (قلائد التفاح) ! أما الآن فإن تكاليف الزواج قد أبهظت الكواهل .. وقصمت الظهور !. بحب الظهور !.. وما أجدرنا بالاعتدال .. و ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ !

٦٩٠ ايام الغيــم !

مما قاله الأمير **إسحق بن مصعب** :

يرتاح للدجن قلبي وهو مقتسم
بين الهموم إرتياح الأرض للمطر
إني جعلت لهذا الدجن نحلته
أن لا يزول ولي في اللهو من وطر

وقد سبقه (**طرفة بن العبد الجاهلي** في معلقته) بقوله :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب .. الخ

وعجبت كيف أن للغيم .. الذي هو الدجن .. هذا التأثير البالغ في نفوس سكان جزيرة العرب .. وفي كل بلد نزحوا إليه .. وأشبه جوهم الحار .. وحاكى طقسهم الفوار .. حتى في الأندلس النوار (الفردوس المفقود) .

وكيف أنه كان يبعثنا على الاستخفاف بالأنواء المثقلة بالكهرباء .. وأننا كنا لا نعبأ بالصواعق والرعود والبروق .. والسيول الجارفة .. إغتناماً (للقيلة) في أعالي الجبال ومنحدراتها .. بين « ثبير » وما وراء « الخندمة » .. وفي « المصافي » .. وعلى جبل « السكارى » وفي « السداد » .. و « غدير البنات » وفي « الهدى » .. و « الشفا » .. وحيثما تساقط الطل .. وتدفقت الشلالات .. ونزل الماء ! ميراثاً من الأوائل ، واغتباطاً برحمة الله الواسعة . وعلى العكس من ذلك .. أولئك الذين إذا أشرقت الشمس عليهم في الغرب .. اتخذوا منها وسيلتهم إلى الابتهاج والنزهة والاستجمام ! وإنها لحكمة ..

تتميز بها الأضداد .. وكل امرىء وما اعتاد .. ونسأل الله جل وعلا بالدعاء المأثور : « اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين » .

٦٩١ اما هذا فدعه

روى صاحب الأغاني عن **سفيان بن عيينة** أنه مر به (**ابن جامع المغني**) .. يسحب الخز فقال لبعض أصحابه : بلغني أن هذا القرشي أصاب مالاً من بعض الخلفاء ، فبأي شيء أصابه ؟ قالوا ؟ بالغناء ، قال : فمن منكم يذكر بعض ذلك ؟ فأنشد بعض أصحابه ما يغني فيه :

وأصحب بالليل أهل الطواف
وأرفع من مئزري المسبل

قال : أحسن ، هيه :

وأسجد بالليل حتى الصباح
وأتلو من المحكم المنزل

قال : أحسن ، هيه :

عسى فارجُ الهم عن يوسف
يسخر لي ربة المحمل !؟

قال : أما هذا فدعه ! اهـ .

قلت : ألا ما ألطف **ابن عيينة** .. وما أنصفه وأظرفه ! فقد رضي بما لا يذم .. وسخط أو تبرم .. أو أنكر ما لا يحمد .. ولعله ظن أن **ابن جامع** إنما يقصد (بربة المحمل) زوجته أو خطيبته .! فاكتفى .. بدعه ... ولم يغضب .. وتلك هي أخلاق العلماء ... أحسن الله جزاءهم فإنهم ورثة الأنبياء .

٦٩٢ لسان زي المبرد !

كلما كان لسان أحدهم أو إحداهن .. سليطاً ذلقاً .. وصفوه بقولهم : عليه « أو عليها » لسان « زي المبرد » ! وكنا نحسب ذلك من توليد المتأخرين .. ومصطلحاتهم .. وقد وجدت نفس التعبير منصوصاً عليه في أبيات قرأتها ، قيلت أو غنى بها في عصر « **المأمون** » العباسي ، وهي :

أعاذل لا آلوك إلا خليقتي
فلا تجعلي فوقي « لسانك مبردا » !
ذريني أكن للمال رباً — ولا يكن
لي المال رباً تحمدي غبه غداً
الخ .. اهـ .

قلت : وبهذا يكون استعمال هذا التشبيه قديماً .. ومعه « المبرد » أيضاً .. فكلاهما ، مما عرفه الناس قبل ألف سنة أو تزيد .. وما أحوج الألسنة إلى أن تكون أحياناً أنفذ وأشحذ من المبارد .. لتنحت كل وقاح .. بارد . وكل جعجاع ملحد صائد ! وخير من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾.. ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ .. وما احتقر السفيه بمثل الأعراض .. وقديماً قال الشاعر العربي :

فإن لم أكن فيكم خطيباً فإنني
بسيفي .. إذا جد الوغى لخطيب

٦٩٣ لا تكون جزوعي

وصحة الجملة : لا تكن جزوعاً . يرددها الغلمان أثناء ألعابهم .. ويقولونها لمن يخالف نظامها وما تواضعوا عليه فيها ! وكنت أحسبها من الكلمات التي ابتذلت .. ولا تستعمل في القوافي السائرة وأنها لا تصل إلى المستوى العالي ثم قرأتها في شعر عربي فصيح أُنشد قبل ألف عام :

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري إني خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الأحباب ؟

فاصبر النفس .. لا تكون جزوعاً
إنما الحب حسرة وعذاب

اهـ .

قلت : وبهذا نتأكد أن لهجاتنا المحلية إنما كانت سالمة من الشوائب بعيدة عن التحريف ثم تأثرت بالاختلاط مع الزمن .. فتحولت إلى مزيج من كل اللغات إلا أنها في جوهرها وأُصولها ما زالت متمكنة من الخاصة والعامة .. وما أكثر ما يرجع منها إلى أُصول عريقة ، كهذا المتداول حتى بين أوساط العوام والأطفال .. وما أجدره بالتنقية من الشوائب والاخلال . ومرجع ذلك إلى أقطاب « المجتمع اللغوي السعودي » ترهص به « الثقافة » المتطورة الصاعدة مع الأجيال .. وإن له في بيداتنا لرجالاً أكفاء .. تُضرب بهم الأمثال .. وإلى الله المبدأ والمآل .

٦٩٤ أمراء الكلام !

« قال **الحسين بن عبد الله** : قال سمعت **إبراهيم بن العباس** يقول **لأبي تمام الطائي** وقد أنشده شعرا له في **المعتصم** : « **يا أبا تمام** ، أُمراء الكلام رعية لإحسانك، فقال له **أبو تمام** : « ذلك لأني أستضيء بك وأرد شريعتك » . اهـ .

« الأغاني ــ التاسع »

قلت : لعل الآخذين بفكرة امارة الشعراء إنما كانوا متأثرين بهذا النص القديم ! وما هي إلا من قبيل التكريم .. والاعتراف بالتفوق .. والتقدير للإنتاج الجيد المتدفق ، المترقرق ، أو المترفق ، المتألق !.. وأسبق من ذلك المأثور في امرئ القيس أنه قائد الشعراء .. وحامل اللواء .. وإن اختلف الاتجاه .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .. « اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك » .

٦٩٥ الفتوت .. والمشلتت

« قال **الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي** **للفرزدق** : أما وجدت أمك اسماً لك إلا **الفرزدق** ؟! الذي تكسره النساء في سويقها ؟ قال : والعرب تسمى (خبز الفتوت) **الفرزدق** ، فأقبل **الفرزدق** على قوم معه في المجلس فقال : ما اسمه ؟ فلم يخبروه باسمه .. فقال : والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم ، قال : **الجهم بن المنذر بن سويد** ، قال **الفرزدق** : أحق الناس أن لا يتكلم في هذا أنت ، لأن اسمك متاع المرأة وإسم أبيك إسم الحمار .. وإسم جدك إسم الكلب .. » اهـ .

قلت : وليحتمل القارىء القصة على طولها .. إستخلاصاً للشاهد منها .. وهو « خبز الفتوت » فقد طال والله بنا افتقاده مع المشلتت ! وعهدنا بهما كل يوم أو على الأقل كل أسبوع في بيوتنا عامة .. فلا نرى اليوم من يفكر في صنعهما ، إلا يوم تقوم حفلات (الختان) .. فيعني (بالفتوت) ليخلط به اللوز والسكر والسمن .. ويقدم كعلامة خاصة ، للطهار .. لضيوف الدار .. ويسمى « العريكة » . والعجيب أنه كان بنفس الإسم من قبل عصر **الفرزدق** !

٥٩٦ انه لمنطق !

يؤثر عن **رؤبة بن العجاج** الراجز المشهور أنه كان يأكل الفأر ويشمئز من الدجاج ! فقيل له : ما بالك تختار الفأر على الدجاج ؟ وعوتب في ذلك ، فقال : هو والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتي يأكلن القذر ! وهل يأكل الفأر إلا نقي البر .. ولباب الطعام ؟!

قلت : إنه لمنطق أخاذ .. والحمد لله الذي لم يستهو غيره حتى ولا الأفذاذ !.. ولو أتبعه سواه ، لسلمت (الفراخ) .. والبطون .. والصدور .. والأفخاذ .. وأكاد أعتقد أنه مجرد « أحماض » ! ولا أساس له إلا « التفكهة » .. وهناك ظاهرة ، لا بد من الوقوف عندها ، في زعمه أن الفأر لا يأكل إلا اللباب .. فقد يكون ذلك صحيحاً قبل أن تنشأ في الدور المراحيض ! فإنه لا يشبع غالباً إلا من ذلك المخيض !.. ولا يقبع ويخرج إلا من ذلك الحضيض .. وفيه يفقص ويبيض .. وهو مجاله الحيوي الطويل العريض !.. ونعوذ بالله من رثاعة النفوس » .

٥٩٧ من مناقب هذيل

عن **الأصمعي** ، قال : دخل **أبو خراش الهذلي** (مكة) **وللوليد بن المغيرة المخزومي** فرسان يريد أن يرسلهما في الحلبة .. فقال **للوليد** .. ما تجعل لي أن سبقتهما ؟! قال : إن فعلت فهما لك . فأرسلا .. وعدا بينهما فسبقهما .. فأخذهما .. قال **الأصمعي** : « إذا فاتك الهذلي أن يكون شاعراً ، أو ساعياً ، أو رامياً .. فلا خير فيه » اهـ .

قلت : لقد فات **الأصمعي** أن من هذيل اليوم من هو أكثر جدوى ، وأعظم ثقافة ومناقب من الأولين ، وأنه زاد على الثلاثة التي اشترطها أو توقعها فيه ، أضعافها في العلوم والفنون والآداب .. وما هي إلا برهة من الزمن ، فيطاول كل عربي بإدراكه وذكائه ونشاطه وطموحه ، كل من يباريه من مختلف شعوب الأمم إن شاء الله تعالى .

٥٩٨ كلام ـ قديم !

قال **أبو الجوائز .. الحسن بن علي الواسطي** المتوفي سنة ٤٦٠هـ :

يا خجلتي من قولها
خان عهودي ولها

وحق من صيرني
(وقفاً) عليها ولها

ما خطرت بخاطري
إلا كستني ـ ولها !

قلت : فهل يرضى القراء عن مثل هذه (المحدقات) أو المشهيات ؟ أم غلب الجد .. فلا محل لمثل هذه الخزعبلات ؟ ثم ما بال صاحبنا يعترف ــ بوقفتيه كالعقار ... وإنه لخير .. من التمليك ! والدرهم .. والمتليك ؟! ولله في خلقه شئون .

٥٩٩ شجر « النيم » في سروات الحجاز

تلقيت اليوم ٢ محرم الحرام سنة ١٣٨٧هـ خطاباً موقعاً باسم « القارئ **محمد بن سعد** » .. وهو غير مؤرخ .. ولا تظهر فيه ولا في ظرفه أو غلافه ــ جهة صدوره ــ وأغلب الظن أنه من الطائف .. أو من مكة المكرمة .. وقد جاء فيه .. بعد ثنائه على « الشذرات » وسروره بها .. (جزاه الله خيراً) .. أنه قرأ في عدد (ذي القعدة ١٣٨٦) الشذرة التي تحدثت فيها عن « النيم » .. وأنه غير معروف في بلادنا إلا في العهد المتأخر .. وأنه مستورد غالباً من الخارج .. أو من بلاد الهند .. ثم قال بارك الله فيه : « وقد اطلعت على ما كتبتم في عدد ذى القعدة ١٣٨٦هـ حول شجرة (النيم) التي وصفتموها بأوصاف ذكرتم أن صاحب المنجد وصفها بأوصاف أُخرى اتضح لكم أنها لا تنطبق على الشجرة التي تعرف بمكة المكرمة بهذا الاسم ، وقد لفت نظري ما كتبتموه في هذا الصدد إلى شجرة بسروات الحجاز (بهذا الاسم) ينطبق عليها ما ذكرتم من أن صاحب المنجد وصفها به تماماً .. فهي شجرة يتراوح طولها بين متر وثلاثة أمتار ، ويستعمل بعض صبيان هذه المنطقة من أعوادها (سقاعات) ــ بتشديد القاف ــ للفخاخ التي ينصبونها لصيد الطير لقوة عودها ومطاوعته (للتقويس) من دون أن ينكسر ! أما ثمرها فهو أصغر من النبق ــ وفي طعمه الحموضة .. قبل النضج .. ويكون لونه أخضر .. ثم يحمر .. ثم يسود .. ويكون حلو المذاق . ويخبرني بعض الاخوان الذين يسكنون (تربة) و (رنية) منحدر جبال السروات من الناحية الشرقية الشمالية أن هذه الشجرة لا تعرف بتلك الناحية .. وكذلك الذين يسكنون (تهامة) فلعلها من أشجار الجبال خاصة ولعلها الشجرة التي وصفها صاحب المنجد لانطباق أوصاف المنجد عليها ، وتسمى عند أهل هذا (الطود) بشجرة « النيم » .. طولها كما وصفت سابقاً وبها شوك ، وورقها صغير الحجم أصغر من ورق السدر » اهـ .

قلت : ومع أسفي على عدم معرفتي بمصدر الرسالة لأكتب لأخي المشار إليه ما يستحقه من الشكر .. فإني أنشر ذلك ليطلع عليه القراء و (هو منهم) وأوفي إليه » بعض ما يجب من التقدير .. وفي نفسي حاجة .. أو تردد في أن يكون هذا الشجر .. هو « المخيط » بضم الميم وتشديد الخاء وفتحها ــ وقد انقطع وروده وعرضه بالأسواق .. وكان عهدنا به يثمر بمكة .. ونتزاحم عليه في الطفولة .. فإن لم يكن هو .. فإنه (نيم السرات) .

٦٠٠ بمناسبة الهجرة النبوية ــ رقم (١٣)

من المعروف لدى كل مسلم أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .. لبث بعد بعثته (بمكة

المكرمة) ثلاثة عشر حولاً كاملاً .. يعاني من الشرك والمشركين والطواغيت .. ما تضيق به الجبال وتميد .. من عنت .. وتحد ... وإزعاج !

حتى أذن الله تعالى بهجرته إلى (المدينة المنورة) من مكة المكرمة .. وسار إليها من (غار ثور) .. وهناك ابتدأت المعارك الفاصلة .. وأظهر الله دينه .. ونصر حزبه .. وخذل عدوه ..

وهنا ، أجد في هذه المناسبة الكريمة ـــ الهجرة النبوية ـــ ولبثه (١٣) عاماً بمكة في جهاد واحتمال وصبر وثبات ... وعن طريق المصادفة والإتفاق فقط .. علاقة تجمع بين الشرق والغرب رغم كثرة ما بينهما من مفارقات شتى .. وذلك في تشاؤم الثاني .. دون الأول .. بالرقم (١٣) .. وتطيرهم منه .. حاشا المسلمين .. الذين نهاهم المصطفى ﷺ عن التطير .. وما أورد هذا .. إلا من باب التفكيه .. والترفيه !.. ولست أدري حقيقة التشاؤم الغربي من هذا الرقم بالذات .. ولعله لسبب تافه .. قام في أنفسهم .. عسى أن يبينه أو يستبينه « **أبو نبيه** » في منهله الأغر ..

وكما أن الشمس والقمر لا يكسفان ولا يخسفان لموت أحد أو حياته ، فكذلك الأرقام كلها .. لا أثر لها ولا تأثير لا إسماً ولا رقماً في أحداث العالم .. جلت أو دقت .. وإنما هي أوهام الموسوسين .. وشعوذات المتشائمين .. وقديماً قال الشاعر : (ولولا الليل ما عرف النهار) .. و ﴿ **فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا** ﴾ .. والله ولي المتقين .

٦٠١ أقول لك : « لا تجنني »

روى المرحوم الشيخ **عبدالرحمن المعلمي** صاحب كتاب « التنكيل » ، الذي طبعه على نفقته فضيلة العالم السلفي الجليل الشيخ **محمد نصيف** لنشر العلم ، قصة قصيرة في سياق كلامه عن الفلاسفة ، قال : « وأخبرت أنه كان لرجل من كبار الوزراء إبن وابن أخ أو قريب آخر .. وكان القريب عاملاً ذكياً فطناً مهذباً نبيل الأخلاق ، وكان الإبن دون ذلك . فخاف الوزير أن يموت فيتولى الوزارة قريبه دون ابنه ، فأعد جماعة لمجالسة قريبه ، وأمرهم بمخالفته ، وتشكيكه .. ففعلوا ذلك حتى (جُن) المسكين » اهـ .

قلت : وقد استفدنا من ذلك صحة ما لا يزال يردده كل الناس أو بعضهم .. فإذا ناقش أحدهم رفيقه .. وضاق ذرعه به .. فهماً وإدراكاً .. أو دهاءاً وإرباكاً .. قال له : أقول لك : (لا تجنني) .. غير أن من يتصف بالعلم .. والحذق .. والفطنة والذكاء .. لا ينبغي له أن يُستخف به وأن يُستفز .. إلى درجة الجنون أو « التجنين » .. وأقل ما بإمكانه .. عدم الاختلاط .. بالمشككين .. والمخادعين .. إن لم يملك ببيانه .. وبنياته أن يعيد المجانين عقلاء ! فما يليق أن يستسلم لمن هو دونه .. إلا إذا كان مدخولاً .. أو غير واثق من حجته . ونسأل الله التثبيت .. والتوفيق و « يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك » .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٦٠٢ الشيخ عبد الملك الفتني المكي من أوائل الصحفيين

كان مما أصدره الأستاذ السيد **حسن السندوبي** المصري المؤلف الشهير فيما أصدره محققاً بعلمه وقلمه من ذخائر التراث العربي كتاب (أعيان البيان) و (الشعراء الثلاثة) وشرح (البيان والتبين) و (المفضليات) .. وفي سنة ١٣٢٧ هجرية كتاب (المقابسات) **لأبي حيان التوحيدي** نديم «**الصاحب بن عباد**» في القرن الرابع . وما أريد بهذه الشذرة أن أشيد بما له من آثار باقية ، أحسن الله مثوبته وإنما أهدف إلى بيان ما أورده في صدر هذا الكتاب عن الشيخ **عبدالملك الفتني المكي** ، وكيف تعرف به ، فقال بالحرف ما نصه : « عرفت فيمن عرفت من الناس في ماضي الأيام رجلاً كان يبيع الكتب في خان الخليلي يسمى (**الشيخ عبد الملك الفتني**) وكان على علم ومعرفة وسعة اطلاع قلما عثرت عليها في تاجر كتب آخر ، وكان عالي السن ، متقادم الميلاد ، فكان يدلني بصدق وإخلاص على ما يلزمني من الكتب القيمة والأسفار النافعة . فلما أحكمت عرى الصداقة بيننا سألته يوماً عن شأنه وعن حقيقة أمره ؟! قال .. فعرفت أنه هندي الأصل ، وأنه بعد أن تلقى علومه ومعارفه أقام في (الأستانة) زمناً (كان فيه ضمن محرري جريدة الجوائب لصاحبها **أحمد فارس الشدياق**)، ثم عين قاضياً في (مكة) فلما ضعفت قواه عن تحمل حرارة الحجاز وسمومه وفد على مصر ، واتخذ الإتجار بالكتب صناعة له ، ومن الحق أنه كان رضي الطريقة ، عارفاً بشئون الحياة .. قد بلا حلوها ومرها ، وتردد بين صفوها وكدرها ، هذا الرجل له علي فضل كبير ، فقد كان يذاكرني في كثير من المسائل العلمية والأدبية ، وينبه ذهني إلى حقائق الأشياء ودقائق الأمور ، ويشير علي بما يجب أن أقرأه من الكتب . ويقفني على الكيفية التي توصلني إلى الإنتفاع بها إنتفاعاً ناجحاً مثمراً » اهـ .

ثم استطرد فقال : « لقيني هذا الشيخ في عصر يوم من أيام سنة ١٩١٣ أي منذ (٥٤) عاماً تقريباً » وقال لي : « قد جئتك بكتاب لا غنى لمثلك عن مثله ، فقلت : وما هو ؟ قال : هو كتاب « المقابسات » **لأبي حيان التوحيدي** .. » الخ .. اهـ .

قلت : فهذا **عبدالملك الفتني المكي** .. يعتبر من أوائل من اشتغلوا بالصحافة قبل ستين سنة .. إبان نشأتها .. وفي الأستانة . وفي (الجوائب) ذات الصيت الذائع ، وقد كنت أسمع بهذا الاسم بمكة .. دون أن أتعقبه وأحيط بما كان له من عمل أو حرفة ، حتى اطلعت على هذا التفصيل ، وأعتقد أن خير من عنده (الخبر اليقين) عنه وعن حقيقة شخصيته ومنصبه وشكله وصفته هو حضرة صاحب الفضيلة العالم السلفي الجليل (والد الجميع) الشيخ **محمد حسين نصيف** حفظه الله ، فلعله أن ينذر القراء الكرام بما يعرفه عنه إن كان واجهه والتقى به أو سمع عنه إن لم يكن قد اجتمع إليه ، إنصافاً للتاريخ !..

٦٠٣ ماهي « ضبا » لغة ؟ !

هناك في شمال ساحلنا على البحر الأحمر « ميناء بحري » جميل .. زرته قبل نحو ٣٤ سنة .. وسرني فيه ما شاهدته من نظافة .. وشوارع ..

على بساطتها .. ذات مسحة فنية ، ومرد ذلك إلى أكثر من قطن بها .. وعاش فيها كمدينة ، رجال من الحامية العسكرية في العهود السابقة . ويسمى هذا (المرفأ) « ضبأ » — وهو بعد (الوجه) إلى الشمال .. وقد حرصت أن أقف على سر تسميته فلم أظفر بذلك من أهلها ولا فيما كتب الرحالون والمسافرون ، وأخيراً ظفرت مصادفة بما كنت شديد الحرص على العثور عليه .. فقد نص « المنجد » على « ضبأ » : ضبأ وضبوءاً .. الرجل لصق بالأرض أو بشجرة فهو (ضبيء) و (ضبأ) الصائد اختبأ واستتر ليختل .. و (ضبأ) إليه التجأ .. وبهذا تصدق التسمية مع تحريف بسيط في النطق بين الفتح والكسر . فهي مخبأ للصيادين .. إن براً وإن بحراً .. وهي ملجأ للبحارة وأهل السنابيك والسواعي والهواري ! فمن وجد تعليلاً خيراً من هذا فليتفضل بتنوير القراء به وفوق كل ذي علم عليم .

٦٠٤ و « أملج » ايضا او « ام لج » !

وإلى جوار « ضبأ » وقبلها جنوباً .. وشمال « ينبع » مرفأ آخر هو « أملج » .. مندمجة في كلمة واحدة كما يكتبها المعاصرون ! وأعتقد أنها منفصلة فهي « أم لج » أي أنها ذات شاطىء عميق ، يقذف به الموج أو البحر (لجة — بعد لجة) ويقال : « فلان لجة واسعة » أي شبيه بالبحر فى سعته وبحر لجى أى واسع اللج .

إذن تكون التسمية أيضاً صحيحة من حيث اللغة .. ومن ذلك نفهم أن القدامى قد تحروا في كثير من المسميات صدق التسمية وانطباقها على المسمى بما يغلب عليه من سمات وصفات .

٦٠٥ تعال ياواد

إذا استدعى الرجل منا أحد خدمه أو أولاده .. قال له : تعال يا واد .. روح يا واد .. إسمع يا واد .. ويظن المخاطب بذلك أنه من باب التصغير له أو التحقير وأنه مقتضب أو مختصر من كلمة يا ولد .. وأغلب من يستعمل ذلك العوام ..

وإن لها لمندوحة تعيدها إلى أصل صحيح .. فقد ورد في قص الرؤيا أن رسول الله ﷺ يقول : « **لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح** » .

وعن أبي رزيء مرفوعاً : « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر .. فإذا عبرت وقعت » وقال : وأحسبه قال : لا تقصها إلا على (واد) .. أو ذي رأي » اهـ .

قلت : فإذن يمكن أن يكون النداء (يا واد) بتشديد الدال ألطف وأظرف .. ولا محل لإنكارها .. وإخضاعها للولدنة .. و (البزرنة) . على أن تكون اللهجة متفقة معها في التودد صوتاً ودماثة !..

٦٠٦ كيف كان الصناع بمكة قبل الف سنة

« قرأت في كتاب (لحن العوام) **للزبيدي** المتوفي سنة (٣٧٩ هـ) أي قبل ألف سنة — قوله : « وحدثت أن بعض الصناع (بمكة) وعد رجلاً من أهل العلم بصناعة شيء من عمله .. وحدد له وقتاً .. فأتاه للوقت ، فلم يلق ذلك

الشيء كاملاً .. فقال له : أعجزت عن عمل كذا ؟ قال : لم أعجز ولكني كسلت .. قال : فتصاغرت إلي نفسي أن يكون الصانع أعلم بمواقع الكلام مني .. » اهـ .

قلت : ونحمد الله تعالى أنه ما يزال بين أهل حرفنا وصناعاتنا .. من يحذق الكلام ويفطن بذكائه الفطري إلى مدلولاته المختلفة .. ولا نطمع إلا في أن لا يصحب ذلك إخلاف لوعد .. ولا إخلاد لكسل .

٦٠٧ تعقيب عن الصحفي المكي الأول

الشيخ عبد الملك الفتني

في إحدى الشذرات السابقة تحدثت عن **الصحفي المكي الأول** .. « **الشيخ عبد الملك الفتني** » إستناداً إلى ما ذكره الأستاذ **حسن السندوبي** في مقدمة له على كتاب « المقابسات » للتوحيدي ورجوت في ختامها أن يتكرم حضرة صاحب الفضيلة العالم السلفي الجليل الشيخ **محمد بن حسين نصيف** بإنارة القراء الكرام عما يعلمه عن الشيخ المشار إليه .. إعتقاداً مني بأنه ربما التقى به أو تعرف إليه ؟ وقد بادر فضيلته — جزاه الله خيراً — فكتب إلي مشكوراً بما ألخصه فيما يلي ، قال أطال الله بقاءه :

.. « وبعد فقد اطلعت على « المنهل » وبه تسألون عن الشيخ **عبدالملك الفتني المكي** هل أعرفه بالذات أو أن عندي خبراً عنه ، فأقول : بمطالعتي كتاب « **نشر النور والزهر** » تأليف العلامة الشيخ **عبدالله بن أحمد أبو الخير ميرداد** (اختصار الشيخ **عبدالله غازي الهندي المكي**) رحمهما الله وجدته يقول في حرف العين بعلماء القرن الرابع عشر الهجري ، أنه **عبدالملك الفتني الحنفي المكي بن عبدالوهاب بن صالح بن عيد بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد** كان أحد أفاضل الشيوخ الخ .. وقال عنه الشيخ الحضرواي: أنه ولد سنة ١٢٥٥ هـ ، وعدد شيوخه ومؤلفاته المطبوع منها والمخطوط وأنه مات بمصر ، وكان يتاجر في بيع الكتب وكانت وفاته بها عام ١٣٣٢هـ وكانت له بنت متزوجة بمكة .

وله أخ يسمى « **عمر** » وهو ذو نكات ولطائف .. وأقول أنا **محمد نصيف** : أني حضرت مضحكاته . من النوادر والحكايات أما الشيخ **عبدالملك** فلا أعرفه — رحمهما الله — واستطرد بعد ذلك إلى ذكر من كان على شاكلة أخيه **عمر** .. من أصحاب الفكاهة والنوادر بمكة ونوه بالشيخ « **عثمان باناعمة** » .. الذي كان من رجال « المبشور » في « القيلات » وكان يأتي له بمساعد ليعمله معه ، وأنه كان يمازح (**السيد شيخ بن أحمد بافقيه**) ويقول له : في كل يوم تزيد سمنا ! وكان السيد شيخ يحلق ذقنه لأنها شعيرات قليلة .. وكان شعر رأسه إلى شحمة أُذنيه ، وكان حلق اللحية في ذلك الوقت غير مأنوس ولا مستحب وأن أحد خدام جده المرحوم الشيخ **عمر نصيف** (أفندي) .. وكان من (الأغاوات) ومن أصل حبشي أمره جده بأن يذهب إلى منزل « الشريفة **فطومة بافقيه** » في (العلوي) بجُدَّة وكان نازلاً بها عندها ويدعوه إلى العشاء بدار (الأفندي) .. فلم يعرف الرسول السيد شيخ ، فقالوا له : انه ذلك الأبيض الذي يتعشى معنا كل يوم ، أو بعض الأيام ، فقال الأغا الحبشي : ذاك السيد « هرماً » !! وذلك لأنه

لا لحية له .. ولا عذار بعارضيه ! ولأنه يرسل شعر رأسه ويجمله فيتدلى إلى ما وراء رأسه ! ثم قال : وقد باع الجد هذا الأغا للشريف عون الرفيق .. فأهداه إلى **السلطان عبدالحميد** .. وأنه زار الأستانة أو استنبول في عام ١٣٢٥هـ في معية جده المرحوم .. فرأيا في (سراي السلطان) الأغا المذكور .. فأقبل عليهما بشغف واحترام عظيم ولم ينسه ما كان يتقلب فيه من نعيم ومن جاه وسلطان وترف ، ماضيه عندهم وفرح بهم وقبل أيديهم ، ورؤوسهم .. وأقدامهم ، إعترافاً بالفضل وتذكراً للمعروف .. قال الأفندي **محمد نصيف** : وما أن رأيته حتى بادرته بقولي « سيد هرمه » .. فأغرق في الضحك .. وقال : ما شاء الله ، ما نسيت الحكاية القديمة !.. وسأل **عمر أفندي** حفيده ما هذا ؟ أتضحكون في « قصر السلطان » ؟ قال : فقلت له ذكرت (**أمين أغا**) بما قاله عندنا عن السيد الشيخ **بافقيه** .. فقال : ما شاء الله ما نسيت الحكاية ولها عشرون عاماً ! فقلت له : حالماً رأيت أمين تذكرتها .

وقد شفع الشيخ **محمد نصيف** رسالته هذه بترجمة الشيخ **عبدالملك الفتني** كالآتي :

عبـد الملك الفتني « ترجمة »

١٢٥٥ ـ ١٣٣٢هـ

« **عبدالملك الفتني الحنفي المكي بن عبدالوهاب بن صالح بن عيد بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد** أحد أفاضل مكة الأعيان الأماثل المشار إليهم بالبنان ، العالم الحبر المتفنن ، الفرضي ، الأديب ، المحقق ، العلامة ، العمدة ، النحرير النجيب ، وجده **عبدالرحمن** المذكور أحد الشيوخ الأجلاء بالحجاز الذي عم نفعه ، وتلقى عنه الكثير من العلماء الأعلام كالعلامة **الشيخ طاهر سنبل** ، ومفتي مكة الشيخ **عبدالملك القلعي والشيخ محمد بن صالح ميرداد ، وغيرهم** .

وقال الشيخ **الحضراوي** : ولد المترجم بمكة المشرفة في اليوم السادس من شوال سنة ١٢٥٥هـ ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن العظيم وجوده .. وصلى به التراويح بالمسجد الحرام وسنه إذ ذاك إثنتا عشرة سنة ! ثم اشتغل بطلب العلم فقرأ على جملة من مشايخ (مكة والمدينة) من أجلهم الشيخ **جمال** مفتي مكة المكرمة وشيخ علمائها ، والشيخ **محمد العزب الدمياطي المدني** والعلامة **السيد أحمد دحلان** حضر عليه في (البخاري) ، والشيخ **يوسف الغزي المدني** قرأ عليه « مختصر السعد » والشيخ **علي الرهبيني المصري** ثم **المكي** حضر عليه في مختصر السعد أيضاً . والشيخ **ملا نواب** قرأ عليه « المنار » بشرح نور الأنوار في أُصول الفقه .. وحفظ نظم المنار .. ونظم الشمسية .. ونظم عقود الجمان . **وألفية بن مالك** وغير ذلك فبرع وتخرج وصار ينظم الشعر حتى فاق أقرانه .. وكان ينظم كل سنة قصيدة في مدح (أمير مكة) **الشريف عبدالله** ، ويقرأ ليلة عيد الفطر بين يديه بحضرة أعيان مكة وأفاضلها .. فكان **الشريف** يخلع عليه في كل مرة (خلعة) .. وقد شرح نظم الشمسية للشيخ **عمر الفارسكوري** في المنطق ، ورأى نظم المنار مختصراً عن النغر وهو نحو ثمانمائة بيت فحاذى فيه النغر .. وكمل جميع ما تركه الناظم .. فكانت زيادته نحو أربعمائة بيت ، انتهى ! أخبرني سيدي الوالد « أي الشيخ **أحمد أبو الخير** » المتوفي سنة ١٣٣٥هـ بأنه كان تفقه على شيخه العلامة الشيخ **جمال** . وكان شريكاً له .. في القراءة عليه .. قرأ عليه عدة كتب في الفقه ..

وحضر أيضاً دروسه في التفسير والحديث والنحو .. وغير ذلك ، وأنه كان بزازاً انتهى .. ثم أنه سافر إلى مصر وأقام بها وأفادني بعض الأفاضل بأنه قد رآه هناك (باسطاً) . وكان كتبياً .. وأخبرني زوج إبنته بأنه توفي بمصر في سنة ١٣٣٢هـ ولم يعقب بمكة إلا بنتاً واحدة .. وله أخ موجود بمكة وهو الشيخ **عمر** ذو نكات ولطائف ، وموظف من طرف الدولة في الجمرك .. وللمترجم من التآليف : نظم متن السراجية وهو نظم جيد ، وشرح حسن مفيد ، وكتاب لطيف في التوحيد ، كلاهما قد طبعا ونشرا .. » اهـ .

وقد أردف فضيلة الشيخ **محمد نصيف** هذه الترجمة بتعليق منه قال فيه : لم يذكر أن الشيخ **عبدالملك** كان محرراً في جريدة « الجوائب » .. ولعل له فيها مقالات أرسلها من مصر .. أو من الحجاز .. ولم يذكر أنه كان في استنابول . وكانوا يعدون في العصر الماضي أصحاب الجرائد مثل الشعراء الهجائين الكذابين ! ولا يفتخرون بالنسبة إليها لأن الجرائد مشغلة تلهي الناس عن العلوم النافعة وكان علماء الدين يمنعون من الإشتعال بها .. « أي في زمنهم وتقديرهم ونظرهم » قال : ولم يذكر أنه كان قاضياً (بمكة) ولعلها كانت أياماً معدودات ريثما حضر القاضي التركي واستلم الأمر ! اهـ .

قلت : هذا ما جاءني بنصه وفصه من فضيلة العلامة الشيخ **محمد نصيف** حفظه الله وشكر له ما يضفي به من المعرفة والعرفان .. أوردته بلفظه أو معناه ، لمجرد الإحاطة بالحقيقة .. وإذا صح لي التعقيب واتسع له صدر « المنهل الأغر » .. فإني أزيد عليه أن « الشيخ **عمر الفتني** » أخا المترجم له . كان ممن أدركناه واجتمعنا إليه .. مراراً وتكراراً فيما بين الثلاثين والأربعين من هذا القرن أي قبل نحو من خمسين عاماً . وبالفعل كان صاحب تمثيل باهر .. وكأني به وهو يقلد « مهراجات الهند » منظراً ومخبراً وأمراً ونهياً .. ونفخاً وطبخاً ! والبدو ، وهم يؤدون الصلاة ، أو يطوفون ويسعون أيام الحج .. وعيال الحارة ، وتصيعهم .. والزنوج والتكارنة .. وأهل الحجاز من « السراة » ولو عاش لكان مدرسة للتمثيل المحلي ، رحمه الله ، وكان من جيله الشيخ « **محمد علي بعلوله** » رحمه الله . ويأخذ منه بعض الشبه لا كله في ذلك ، ويلحق بهما المرحوم الشيخ « **محمود الجنقلي** » شيخ الجاوة وعمدة محلة القرارة .. ثم أخيراً الشيخ (**طاهر المغربي**) وهم من أولادهم سناً .. تغمدهم الله برحمته ورضوانه .

٦٠٨ من الألعاب المنقرضة في مكة المكرمة

كانت (المداحـــي) .. أو ما يسمـــى بالبارجوه .. وحسبته (بره جوه) .. تطبيقاً لحقيقته وواقعه لا تخلو منها سرحة ولا برحة .. ولا زقاق بمكة المكرمة .. وكان لها أبطال (حراريف) .. إذا سددوها وقذفوها ، على ظاهر الراحة اليمنى من يد اللاعب المغلوب أفقدته أعصابه ، وربما رشده من الألم ! وقد توارث مع الزمن في الأربعين سنة الماضية .

وكانت هناك لعبة أُخرى تكاد تكون منقرضة في عهدنا هذا .. وقد أدركناها أيام الطفولة .. مع ما كانوا يطلقون عليه (اليرسي) — بفتح الياء

والراء وكسر السين بعدها ياء ـــ وأظنه من الإرساء ! وهي رياضة محببة إلى الذين يحجلون بأرجلهم .. فيرفعون اليمنى .. ويمشون على اليسرى فقط إن لم تخني الذاكرة[1] ! فأما التي درست كلياً ولا أثر لها ولا (ذكرى) .. فهي لعبة (الكورة) تقام عصر كل يوم .. وفي عصر يوم الجمعة ـــ بصورة أعم ـــ .. كما تقام الآن الملاعب الجامعة (لكرة القدم) . وصفتها كما شهدناها ومارسناها قبل اليفوعة .. أو اليفاعة .. أن ينصب حجر أو نصف طوبة من الآجر القوي المتماسك في أحد الجانبين على مسافة لا تقل عن ١٠ أو ١٥ إلى ٢٠ إلى ٢١ متراً .. ويتقابل فريقان متكافئان عداً .. وفتوة ونشاطاً .. (ويشارك في ذلك أحياناً أو ينفرد بعض من هم غير أطفال بل من الرجال الأشداء أو الشباب الأقوياء .. ثم يبتدئون فيها بقذف الكرة من جانب ما يسمونه بالسور الذي هو الحجر المنصوب (هدفاً) للكورة .. ويصيح اللاعب الأول : (تيس) .. ويضرب الكرة من كفه اليسرى ، بكفه اليمنى .. إلى الجانب المقابل أو الجبهة الأخرى ، ويكرر ذلك ثلاث مرات متواليات .. فإن استطاع أحد مقابليه أن يتلقاها بيديه ، قبل أن تسقط إلى الأرض .. انتهت مهمة اللاعب .. وأخذها غيره ولو كان ذلك من أول مرة يبدأ بها .. ثم يصيح مرة أخرى كالأولى : (يقت) ـــ بفتح التاء وبالجيم المصرية المفتوحة بعدها تاء ساكنة ـــ ثم (شربة) ـــ بضم الشين وسكون الراء ـــ ثم (نحا) ـــ بفتح النون بعدها حاء ـــ ثم (قلي) ـــ بكسر الجيم المصرية بعدها لام مكسورة فياء ـــ وكل الأشواط الأربعة الأولى .. تتكرر مرات باليد فقط .. أما (القلي) فإنها لا تقذف (نظاماً) أو تعارفاً إلا بالقدم اليمنى ولها وعليها مثل أخواتها .. من الحقوق ، والآثار .. وتقتصر مهمة الجبهة المقابلة على (تمويت) اللاعبين واحداً بعد الآخر .. بتلقف الكرة باليدين .. وهي طائرة وصاعدة وهابطة على أى مدى بلغت إليه .. أو بإسقاط « السور » وطرحه أرضاً بالكرة .. ولست أدري ولا المنجم يدري ما تعني هذه الأسماء ؟ وأغلب الظن أنها أعجمية .. دخيلة .. ولا حيلة في تعريبها ولا تأويلها .. و « أي كذا خلقت » !

ولقد كان منهم الأذكياء ، الذين يعتبرون في الدرجة الأولى .. ولذلك يقتسمونهم في الجانبين .. كسباً للتفوق .. وهي رياضة بدائية .. تطوع بها الأعصاب الراكدة أو الهامدة من الأكتاف إلى الأقدام ! وما حملني على هذا الإيضاح إلا مجرد التنويه بما كان ثم اختفى كلياً .. خلال العقود الأربعة الماضية كما باد معها ما هو جدير بالاهمال والترك والزوال ! لما فيه من غلظة وبشاعة وتنابذ وتشاحن وتمزيق للثياب وما تحتها .. وما فوقها ! وهو « الكبد » ـــ بفتح الكاف والباء ـــ لا رده الله ، وما هو إلا تمثيل عملي « للكبد » حقاً وصدقاً !! وكم من أثواب مزقت ؟! وسروايل (هربدت) ؟! ومشاحنات أوقدت ؟! وهوشات نشبت ، وعصي رفعت . ثم خفضت ! وأول الغيث قطر ثم ينهمر ، وما كانت إلا إرهاصات لهذه المصارعات التي يشهدها الناس على شاشة التلفزيون بين « الأسبان » و « الثيران » !! أو بين البطل المسلم العظيم « **محمد علي كلاي** » ومنازليه ، وإنتصاره على جميع الأقران ! وربما تجندل في « الكبد » من

(١) (المنهل) هذه اللعبة كانت في المدينة المنورة أيضاً وتسمى عندهم (بربر) بكسر الباء والراء الموحدتين . وقد انقرضت هناك أيضاً وكان لها كما لسواها موسم خاص في السنة ..

أحاط به مفتولو السواعد ، وألقوه صريعاً .. على الأرض .. فلا ينهض إلا مهيضاً ! ولا يقف إلا مريضاً ! وكأنما تدور عيناه .. في رأسه في التدويخ والتبليخ ! ناهيك إذا كان كل من الفريقين من طبقة ذات خنزوانة ! ولا يهمها (الفقش) ولا (الكفش) ولا الخيزرانة ! أما صفة (الكبد) .. فإنها كالكرة .. مقابلة بين فريقين .. ويبدأون بالزمجرة أو الهيمنة .. أو الدمدمة « كبت .. كبت » وإن كان أصلها بالدال إلا أنهما في معناهما « البلاء المبين » يرددها أحدهم حتى يكبت ــ بفتح الياء ــ أو يكبت ــ بضم الياء ــ وهي فصيحة صحيحة لفظاً ومعنى وتطبيقاً وتطويقاً ! ويتحدى بذلك خصومه أو المتربصين به حتى إذا مسهم أسقط المسوس منهم واحداً أو أكثر .. فإن (طبقوه) أو أطبقوا عليه ووسدوه التراب فإنه (ميت) لا يبعث إلا بعد إنتهاء المعركة الأولى كسباً أو خسارة ! وعلى أُستاذنا صاحب المنهل أن يطلب أو يرجو .. من (أبينا وشيخنا) الأستاذ (**الشيخ أحمد السباعي**) مد الله في حياته وبارك الله في ذرياته وهو صاحب (**أبي زامل**) أن يفضل .. بالإسهاب في هذا المجال لأنني كنت أشهده في (برحة القرارة) يوم كانت (خلاء) ! وهو يجاورها سكناً ويلازمها زمناً من نوابغ (العيال) .. المطاليق ! إذا ما تقدم بين الصفين .. ولعب في السماطين .. وكنت أعجب جداً .. برشاقته وفتوته وحذقه وفطنته .. وما عهدد بها ببعيد ! فما يتجاوز وايم الله ستين حولاً .. أو أقل ! أما أنا فكنت ولم أزل دونه سناً ! وخبرة ، وعلماً ، وتجربة .. لا في اللعب فقط .. بل وفي (الجد) أيضاً « بكسر الجيم لابضمها » ! وإنه لحق على (**أبي أسامة**) مؤرخ مكة في القرن الرابع عشر أن لا يغفل ذلك ولو في بعض الصفحات ! لتعلم الأجيال الصاعدة ما كانت تلهو به الأجيال الهابطة ! فإن فعل فإنه لمشكور ! وإن لم ير ذلك متفقاً مع وقار العلم أو الهرم أو الشيخوخة .. فإنه لمعذور !! « وما ينبئك مثل خبير » وسقى الله الطفولة .. وأيامها .. و « المشكلة » ــ بفتح الميم واللام ــ وعرامها .. وما اختصصته بهذا الرجاء .. إلا لأنه أقدر من غيره على تصويره وتمثيله كما كان .. وحسبك ما كتبه أخيراً في قصته القصيرة عن (صبي السلطاني) ــ أو (أبي طافش) الأبله .. أو المبلوه .. أو البهلوان ! فقد أغرب وأعجب شأنه في كل ما أنتجه من يراعه الزاخر .. وبيانه الساحر ، بارك الله فيه ، وفي العباقرة من تلامذته وبنيه ..

وأخشى ما أخشاه أن يسبقه إلى ذلك (أبو نبيه) على حفاظه ومحافظته ! ولا بد أنه رأى أو سمع على الأقل مثل هذه الألعاب في « المناخة » أو (وادي العقيق) بدار الهجرة المحمدية على ساكنها أفضل السلام وأعطر التحية .. كما اشترك فيها الكثيرون ممن إذا تذكروها حنوا إليها .. وودوا لو يعودون إلى « الكتاتيب » .. ولو تناولتهم (درة) .. التهذيب أو التأديب ! فما شيء ألذ للنفس إذا ولت من هذه الذكريات .. وما هي إلا صدى السنين الحاكي .. وكم هنالك من مشاهد .. حرمت من التصوير الفني ، لتبرز للعيان في المرناء فلا ينبغي أن تحجب عن الإيضاح وصفا باسلات الأقلام .. ولا سيما من القادرين على التمام .

وبهذه المناسبة أُكرر ما سبق لي نشره وهو إقامة حفلات (فلكلورية) ! مرنائية .. تجمع من

بقي من حملة « الدانات اليمانية » .. والردود الحارية فإني لم أتأثر من الألحان كلها ، ولم أجد ما يطرب « ويعرب مثلها عن الفتوة .. والرجولة .. والشهامة .. والإباء .. والشمم .. والطموح .. إلا « العرضة النجدية » ..

(وحيثما أمطرت عاد الخراج لنا
وكان ذلك للأخلاق ميراثا)

٦٠٩ بين الضم والكسر !

إذا غضب أحد الناس على شخص ما قال عنه : « ما أحب أن أراه .. أو أن أرى جرته » — بضم الجيم دون كسرها — وكنت أحسبها مواقع خطاه أو آثار أقدامه في الأرض .. مبالغة في الكراهية .. كما هو معروف في قصاصي الأثر .. إذ يسمونهم قصاصي (الجرة) .. وقرأت الكلمة نفسها (بكسر الجيم) دون ضمها مفسرة بأنها (الرعية) ومنه الحديث : « لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يحنق على جرته » بالكسر ، أي رعيته .. وبذلك أيقنت أن فهمي للأولى كان صحيحاً .. وأن الأخرى ذات معنى مستقل ، وهكذا وبضمة وكسرة .. ننتقل من مدلول إلى آخر .. وكم لها من أمثلة .. وأخوات ، وبنات عم وعمات !

٦١٠ ست الكل المكية

جاء في شذرات **ابن العماد الحنبلي** المتوفي سنة ١٠٨٩هـ . في حوادث سنة ٨٠٣ وفاة (**ست الكل بنت أحمد بن محمد الزين القسطلانية** ثم (**المكية**) : حدثت بالإجازة عن **يحيى بن فضل الله ويحيى بن البصري** . **وابن الرضي** ، وغيرهم من الشاميين والمصريين .. وسمع منها (**ابن حجر**) بمكة . » اهـ .

قلت : ليست الأولى في بنات جنسها اللواتي كن عالمات وفقيهات ، ومدرسات ومجيزات . في هذه البقاع المطهرة .. فهن أكثر من أن يحصين ! وسبب ذلك فيما أعتقد إنصرافهن إلى ما انصرف إليه أهلهن .. من آباء واخوان وأزواج وأصهار .. فقد كانت النزعة الغالبة عليهم جميعاً ، التلقي للعلوم الدينية واللغوية وكان لهم شغف باتصال سلسلة الإجازة في الحديث خاصة . فاقتفين آثار ذويهن .. وما كان لهن من شغل — بعد تدبير المنازل — غير التعلم .. والتفقه في الدين .. وإقامة فرائض الله . وسنن رسوله صلوات الله وسلامه عليه . وقد كن يسعدن بهذا كل السعادة .. ويقمن بدورهن بتثقيف أخواتهن ومن حولهن من (بنات الجيران) .. فهن لا يجهلن ما يجب أن يعلم بالضرورة من أمور الدين والتدين .. ثم توارى هذا الإتجاه .. حتى أدركناهن حريصات على الفرائض والنوافل لا يصرفهن عنها أي شاغل . ولا تزال لهن بقية من ذوات الحجى والتقى جيلاً بعد جيل .. وقد كان منهن أو كلهن قبل ثلاثين أو أربعين سنة لا يقتلن الوقت إلا (بالمناسج) و (التطريز) و (شغل الإبرة) و (الأويات) والغسل والكي .. والطهي .. ومعاناة تربية الأولاد .. واستقبال الزائرات .. وتنسيق « المحارم والمدورات » ، (المغازل) والبراقع والملايات !. والاخفاف والبوابيج ، وتطريز القرعات وعقد الضفائر . وترديد (الفرعي) ! وتبادل الفكاهات ! ورنين الحجل والخلخال والأمسيات ! مع احتشام وعفاف بالغين . كما كانت لداتهن من بنات البادية ..

وعجائزها .. لا يدعن من أيديهن (المغازل) .. ولو كن في الصحراء .. وراء الأحمال — أو الجمال ! وما زلت أطمع في أن نرى من اخلافهن ، المتفقهات .. والأمهات المصونات .. والأخوات المثقفات .. والبنات المهذبات وأن لا يدعن — ولو بعضهن — أحياء هذا الموات أو التراث ! وإعادة مجد الجدات ، والعمات ، فهن بذلك يفزن بالباقيات الصالحات .. وينشئن أولادهن وبناتهن على المحجة البيضاء ! ليلها كنهارها ويزددن بها شرفا وتكريما ولهن في أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها . القدوة الحسنة .. والأسوة الطيبة .. فما صلحهن .. أصلحن .. وإلا فعلى هذه السلسلة الذهبية العفاء .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

٦١١ معادن بني سليم وأين هي ؟!

عن **ابن شهاب** قال : كان **الحجاج بن علاط السلمي البهزي** أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ (خيبر) وكان مكثراً من المال : كانت له (معادن بني سليم) وابنه ، **نصر بن الحجاج** وهو الفتى الجميل الذي نفاه **عمر بن الخطاب** من المدينة حين سمع المرأة تنشد :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

قلت : إن هذه المعادن المنسوبة لبني سليم .. لا بد أن تكون في محيط المدينة المنورة .. فما هي ؟.. وأين هي ؟.. أذهب أم فضة .. أم نحاس ؟.. ولا أشك أن الجهات المختصة قد تعقبت ذلك فظفرت به ، وبمكانه .. فإن لم تكن فعلت فهذا أثر لا يقبل النقض .. والمعدن .. لا ينفد .. فعسى أن يكون مذخوراً للإستثمار .. و « الخبير به صادفت » إن شاء الله .

٦١٢ « وادي ضجنان » أين هو من مكة ؟

روى عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه قال في انصرافه من حجته التي لم يحج بعدها : « الحمد لله ولا إله إلا الله ، يعطي من يشاء ، لقد كنت بهذا الوادي يعني (ضجنان) وهو : — « جبل بينه وبين مكة خمسة وعشرون ميلاً وهو محرك وابن دريد يسكن جيمه — » أرعى إبلاً للخطاب ، وكان فظاً غليظاً يتعبني إذا عملت ، ويضربني إذا قصرت ، وقد أصبحت وأمسيت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه ثم تمثل :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن (هرمز) يوماً خزائنه
والخلد قد حاولت (عاد) فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له
والجن والإنس فيما بينها (برد) !
أين الملوك التي كانت لعزتها
من كل أوب إليها وافد يفد ؟!
حوض هنالك مورود بلا كذب
لا بد من ورده يوماً كما وردوا

قلت : رضي الله عن **الفاروق** .. فقد كان الأسوة الحسنة بعد رسول الله ﷺ والمنار الساطع لهديه وسيرته وسلوكه المستقيم ، وبقي أن نتساءل عن (وادي ضجنان) سكنت (الجيم) أم

فتحت ، أين هو الآن من مكة .. في شمالها أو جنوبها وشرقها أو غربها ؟ .. وهل لايزال معروفاً بهذا الاسم نفسه ؟ وحتى عصرنا هذا ؟ أم تحول اسمه وتبدل ؟ ذلك ما يستطيع الإجابة عليه سيادة قائمقام مكة المكرمة .. الأخ **الشريف شاكر بن (هزاع)** رحمه الله .. فهو بذلك أخبر ، وببادية مكة أعلم وبما حولها أبصر ، فعسى أن يميط اللثام عنه مشكوراً .

٦١٣ أول من خطط بالمدينة المنورة

ترجم صاحب الإستيعاب « **لعمرو بن حريث القرشي المخزومي** » **ويكنى أبا سعيد** وقال : رأى النبي ﷺ وسمع منه ، مسح برأسه ، ودعا له بالبركة ، و « خط له بالمدينة داراً بقوس » .

قلت : فلا يمنن أهل الحضارة في (القرن العشرين) !! بإختصاصهم بالتخطيط .. أو التنظيم . فقد سبقهم إلى ذلك خاتم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليه .. وكان (القوس) ، وسيلته إلى ذلك قبل أن تتوفر الأجهزة الهندسية الحديثة .. والغاية واحدة ، على كل حال في الاستقامة والاتساق والمحافظة على الطريق والاستطراق .. وعدم الفوضى في العمران .. وما من خير إلا دلنا عليه ولا شر إلا صرفنا عنه ــ من أرسله الله رحمة للعالمين .. وإنما هي المتابعة ذوقاً .. والتطبيق حقاً وصدقاً ، وقد سبق أن أشرت في إحدى الشذرات المنشورة سابقاً في الصحف قبل أعوام إلى أن (**الفاروق**) رضي الله عنه كان على اصطلاح زماننا هذا ــ « أول رئيس للبلدية » في مكة المكرمة عندما كلف **أبا سفيان** رضي الله عنه بهدم « دكته » التي نصبها للاستظلال صباحاً والجلوس عليها مع رفاقه في (المدعى) .. أو على الأصح تجاه باب « القبان » الذي هدم للتوسعة أخيراً باعتبار أنها تأخذ حيزاً من الطريق العام للحجيج ! وذلك قبل أن تزدحم أُم القرى بهذه المنازل المتداخلة المتعارضة !! والتي تكلف خزينة الدولة ما لا يحصى من الأموال للإزالة والتعديل والتعويض !! و « الوقاية خير من العلاج » ..وذلك ما أعتقد أن سعادة أمين العاصمة .. مهتم به في برامجه الاصلاحية وفي الرخص الإنشائية ! ودائب فيه على أن يتعاون معه الجمهور لتصبح العاصمة المقدسة ــ في المقام الأول ــ تنسيقاً وتنظيماً .. واستقامة وتقويماً ..

وليس ذلك بعزيز على « **أبي عدنان** » .. وقد وفقه الله للكثير الكثير من الأعمال الباقية .. أعانه الله على (الإصلاح) والله ولي المصلحين .

٦١٤ أقدم سوق بمكة المكرمة « السوق الصغير »

أما الدليل على أن (السوق الصغير) بمكة ــ هي أقدم أسواقها ــ فهذا الذي ورد عن **أبي سلمة عن عبدالله بن عدي بن الحمراء** قال :

« رأيت رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته (بالحزورة (في سوق مكة .. وهو يقول لمكة : والله إنك خير أرض الله ؟ وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنني أُخرجت منك ما خرجت) اهـ .

و (الحزورة) بالفتح ثم السكون وفتح الواو فراء وهاء تأنيث .. كانت سوق مكة .. وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه) .

قلت : وقد عين بعض أصحاب السير ومتأخروا المؤرخين موقع (الحزورة) بأنه كان عند باب الوداع .. أو بينه وبين باب **إبراهيم** .. وما ثمة إلا مبدأ (السوق الصغير) .. المسمى بذلك حتى اليوم .. وإن دخل بعضه في المسجد قديماً .. فقد دخل أيضاً أكثره .. في توسعة المسجد الجديدة حديثاً ولكنه لم يفقد اسمه .. وإن انتصف طوله واكتمل عرضه . ولعله لم يطلق عليه الصغير إلا لأن (المدعى) وما حولها من قبل ومن بعد كانت هي السوق الكبير لاكتظاظ ما حولها بالسكان وربما كان كل من هذين الاسمين — أو التسميتين (حادثاً) .. بعد الصدر الأول فما أذكر أن أحداً نعتهما بذلك فيما دونه الأوائل .. اللهم إلا (سوق الليل) .. فإنه معروف بهذا الإسم من القديم كما عثرت عليه في بعض المراجعات ، والله أعلم .

٦١٥ أولية «التأمير» في الشعراء

مع كل ما أسبغ الناس على « **امرئ القيس** » من صفات التمييز والتقديم فإنه لم يرد عنه ما يجعله « أميراً للشعراء » إلا ما ورد في الأثر من أنه « قائدهم وحامل لوائهم » ... في المعاد ! وذلك بالطبع — لمن يلحق به من عصر الجاهلية .

أما ما عثرت عليه في أولية التأمير في الشعراء بصراحة ووضوح فهو قول **إبراهيم بن العباس لأبي تمام الطائي** — وقد أنشده شعراً له في المعتصم : « **يا أبا تمام** أمراء الكلام رعية لإحسانك » . فقال **أبو تمام** : ذلك لأنني أستضيء بك ، وأرد شريعتك . ا.هـ .

قلت : وأحسب هذه الرواية — وأمثالها — مما يعهد في العصر العباسي وما بعده .. وهي التي أوحت للمتأخرين فكرة « امارة الشعراء » .. وما هي إلا من باب المجاملة والتكريم لأحسنهم إنتاجاً وأعجبهم ديباجاً ، وأقلهم إحراجاً ، وأكثرهم فجاجاً ... وأعذبهم مجاجاً ، وما خلا شاعر من إسفاف وتحليق ... ولا تصح المقارنة إلا بين بيت وبين ، وقصيدة وقصيدة ... مع مراعاة الظروف والبواعث ... وكما قال المثل العربي المعروف :

إن يبغ عليك قومك ... لا يبغ عليك القمر
من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط ؟

٦١٦ أبو عطاء السندي ولكنته

كان **أبو عطاء** هذا من شعراء **بني أمية** .. وكان شعره محل الإعجاب والإكبار لولا « لكنة » في لسانه تعود به إلى عجمته الأصيلة .. إذا نطق . قال « **النوفلي** » :

— كنت جالساً مع **سليمان بن مجالد** وعنده **أبو عطاء السندي** إذ قام راوية **أبي عطاء** ينشد **سليمان** مديحاً **لأبي عطاء** .. **وأبو عطاء** جالس لا يتكلم .. إذ قال الراوية في إنشاده :

فما فضلت يمينك من يميني ... ولا فضلت شمالك من شمالي

هكذا بالرفع .. في اليمين والشمال .. فغضب **أبو عطاء** وقال : ويلك فما « مدهته » إذن .. إنما « هزوته » .. يريد ما مدحته إذن .. إنما هجوته .. ثم أنشده **أبو عطاء** :

فما « فدلت » يمينك من يميني
ولا فدلت شمالك من شمالي

يريد فما فضلت ــ ولا فضلت . اهـ .

قلت : (شنشنة أعرفها من أخزم) ــ ولا لوم عليه ــ رغم فحولته إذا كتب وما زال كثير من عظماء أهل الفضل والعلم والذكاء والنبوغ والتقدم ، يقعون في هذه (اللكنة) على مضض منهم .. وإنما يكفرها ... ما لهم من آثار خالدة .. ومدونات باهرة .. والكمال لله وحده جل وعلا .

٦١٧ « الذيخ » و « الخنز »

لفت نظري ــ ما قرأته في كتب اللغة ــ وهو أن (الذيخ) هو الذئب الجريئي .. وذكر الضباع الكثير الشعر .. وإن كلمة (خنز) خنزاً وخنوزا ، اللحم : النتن .. فهو خنز وخنز بالكسر والفتح .

وهنا عرفت أن (البادية) ما زالت بخير ، في أخلاقها الكريمة .. وعفافها المحصن فإن أحدهم إذا بلغ به الغضب منتهاه قال للساخط عليه : (يا الذيخ) .. وما تجاوز بذلك وصفه بالذئب الجريئي أو الضبع ، حالما أن « الحاضرة » تتجاوز ذلك إلى (الكلب والحمار والخنزير) .. ولو كانت من التحضر والمدنية والتهذيب في أعلى المستويات .. بصورة عامة إلا من رحمه الله وهداه وتمسك بالحديث الشريف :

« امسك عليك هذا » و « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

ويقول (البدوي) أيضاً لمن أنكر عليه شيئاً أو ضايقه : « يا المخنز » .. وما زاد بذلك أن وصفه بأنه (منتن) . ويقابل ذلك في « الحاضرة » ما هو أشد وأنكى .. من فوق إلى تحت .. ومن تحت إلى فوق .. وما برحت (الصحراء) تستمد شمائلها خلفاً عن سلف من « آداب الشريعة الإسلامية » ، والأخلاق العربية الصافية ، فإذا أحرجت لم تلجأ إلى الشتائم ، والسخائم ، والنمائم ، وإنما هي كما قال شاعرها الاعرابي :

تلق ذباب السيف مني فأنني
غلام إذا هوجيت لست بشاعر

٦١٨ « هاه » .. « هاه » للوعيد والتهديد

في اللغة : هاه ، هاه ، تكون حكاية لضحك الضاحك ، و « الوعيد » وتكون أيضاً في موضع « أه » التي للتوجع ، وقد استعملها في الوعيد **هارون الرشيد** مهدداً أخاه **إبراهيم بن المهدي** في شتمه **لإسحق الموصلي** ، كما روى ذلك صاحب الأغاني في قصة طويلة .

وما تزال حتى يومنا هذا ــ مستعملة ــ بمعنى التهديد والوعيد .. إلا أنها بدون هائها الأخيرة .. فهي عند المعاصرين (ها ..ها ..) فقط .. وأكثر ما تنفق بلا حساب بين الأمهات وأولادهن .. عند كل مخالفة .. وأحياناً تكون للتحذير والتنبيه .. وأيضاً للإجابة بمعنى

(نعم) ... وهو خطأ ... وقلة أدب في عاميتنا المعاصرة يزجر عنها الناشئة والصغار ، ويقال لهم أنها كنهيق الحمير ..

وتستعمل أيضاً للاستزادة من الحديث بين المتحدثين .. يقولها السامع للمتكلم .. وإنما أصلها وفصلها ومدلولها الصحيح هو مجرد الوعيد والتهديد .. بإضافة الهاء الساكنة ، وما أحسب زماننا هذا محتاجاً إليها كاحتياجه « العصا .. لمن عصى » والله المستعان .

٦١٩ « هيء .. هيء » صوت الراعي للإبل

عجيبة هذه التطورات التي تتقلب فيها حتى الحروف والكلمات .. فقد كان الأعرابي — من الرعاة — إذا أراد أن يدعو الإبل إلى العلف صاح بها : (هيء .. هيء) كما نص على ذلك أهل اللغة .

وما أظن أن ذلك مما تعرفه الإبل في زماننا هذا .. ولا رعاتها أيضاً .. ولا أدري بماذا هي تدعى إلى العلف الآن ؟ أما الذي أدريه فهو أنني طوال حياتي لم أسمع هذا النداء لها لتأكل ، وإنما عرفت هذه الـ « هيء ، هيء » ترددها الطفلة أو الطفل إذا استفتح البكاء وحاوله في دلال : « دلع » واستعطاف .. كلما منع عنه ما يرغب فيه من حلوى .. أو ألاعيب ، فكيف تحولت من الإنسان إلى الحيوان .. أو العكس ؟ تلك إحدى المفارقات الطارئة ، ولها مثيلات أخرى .. و « عش تر » ..

٦٢٠ « الحزر » هو التقدير

ما زلنا منذ الطفولة .. نقول لبعضنا : — إذا أغلقنا الكف بالأصابع — وفيه ما يخبي — أو يستر « حزره إيش فيها » . وأكثر ما يكون ذلك عند الصغار ولا نفقده حتى في الكبار .. نساء ورجالاً وفتياناً وفتيات ..

وقد سرني أن وجدتها صحيحة .. من حيث أصلها العربي .. فقد بعث « كفار قريش يوم بدر » **عمير بن وهب الجمحي** إلى معسكر النبي ﷺ وقالوا له : « احزر لنا أصحاب **محمد** » ، ومضى فحزرهم .. ثم عاد فحذرهم في قصة طويلة اقتصرت على محل الاستشهاد منها ..

وهي من الكلمات الفصحى التي حفظت مدلولها بين العامة والخاصة .. وكثير أمثالها ..

٦٢١ ماهو الحيص بيص ؟

قال **عقيل بن علفة** :

ألم تقل يا صاحب القلوص
داود ذا الساج ، وذا القميص
كانت عليه الأرض حيص بيص
حتى يكف عيصه بعيصي
ولست بالسنان ذا نغيص

قلت : يستخدم كثير من الناس كلمة أو جملة « حيص بيص » مرات ، في أحاديثهم كلما دخلوا في مأزق ضنك ..

ولو سئل أحدهم : ما هي « الحيص بيص » هذه ؟ .. لتردد في الإجابة ..

أما هي ، فيما نص عليه الشراح : (حجر الفأر) ولا شك أنه ضيق بحيث يستطيع الفأر أن يلج فيه بقبض أو ضغط جسمه المرن .. أما غيره فلا يملك دخوله عليه ، إلا أن يكون دونه بسطة في عظمه ولحمه .. ورحم الله الشاعر إذ يقول :

رحب الفضاء مع الأعداء ضيقه
(سم الخياط) مع الأحباب ميدان

وسم الخياط هو ما يسمى الآن « خرم الإبرة » الذي يناط به الخيط (والعلم بالشيء ولا الجهل به) .

٦٢٢ « قمطر » الكتب

كان القدامى يطلقون على الوعاء الذي توضع فيه الكتب لحفظها (القمطر) وأحسب أنها تعني في عصرنا هذا ما يسمونه (المحفظة) أو (الدوسيه) .. أما ما هو خاص بالمكتبة الخاصة أو العامة .. فما يصدق على الرفوف فيها هذا الوصف بحال ، وإنما هي (الدواليب) في التداول ، وإن كان لها مشارك في معناها ، في عجلات العربات والسيارات ، ونحوها في ذوات المحركات .. وحتى جهاز (الفرانة) فإنهم يطلقون عليه الدولاب [1] .

وما ثمة من حيلة مع طول الاستعمال ورسوخه في الأذهان في تبديلها بغيرها .. فقد أصبحت ممثلة للمقصود منها على اختلاف الصور والمعاني ، وذلك على قاعدة (خطأ مشهور خير من فصيح مهجور) ، إلا أن عثر (أبو نبيه) على ما هو أوضح وأفصح وأسمح ، فإن القمطر ، بحروفه ولفظه ، يعتبر (حوشياً) مع تهذيب غيره من الكلمات ، ولمن وضع كتبه فيه أن يطلقه عليه .. إذا حملها في حله وترحاله .. وقل هذا الفريق من حملة الأقلام ، وإن كانوا هم الذين تركوا لنا من التراث العلمي والأدبي ما عجزت عنه القرون المتأخرة ، على ما لها من وسائل الإنتاج الوافرة . أحسن الله مثوباتهم في الدنيا والآخرة .

٦٢٣ « للمتر » أصل عربي

في اللغة (متر الحبل ، مده ..) ، وفي الاصطلاح المتداول : (متر الشيء قاسه أو ذرعه) وهو استعمال متداول في فرنسا وغيرها من الأمم في مساحة الطول وقدره ذراع ونصف ذراع تقريباً ، وأظنه ذراعاً وثلث ذراع ، في الحقيقة .

وبوسعنا أن نعيده إلى العربية الأولى ما دام له من ألفاظه وحروفه ما يجعله عربياً بالتوافق أو التعريب ، وذلك ما أرى الحرص عليه ضرورياً في أمثاله ما استطعنا إليه سبيلا .

٦٢٤ قلائد البلح والتفاح

أدركنا العرائس في مكة ــ في ليلة زفافهن ــ يحلين بما تيسر من الجواهر الكريمة ، من (كبات) ــ بفتح الكاف وتشديد الباء الموحدة التحتية بعدها ألف فتاء ــ وعقود من اللؤلؤ المنضود .

وأهم ما في الزينة ، كواجب لا مندوحة عنه :

---

(١) (المنهل) : الدولاب كما قال أستاذنا الكبير يعنى به في العرف خزانة الكتب .. وأما الاسم الفصيح لها كما يعرفه أستاذنا فهو الخزانة . والقمطر كما تفضل صاحب الشذرات الذهبية هو ما يعرف بالدوسيه وأرى أن كثرة تداوله يجعله خفيفاً مألوفاً على الألسنة وليس بأثقل من كلمة (تلفزيون) ولا أغرب .

(القلادة) . تصف وتذهب وتناط بجيدها ، مكللة مطرزة بالفل والتفاح .

وكان بمكة أصحاب اختصاص بذلك — في المسعى — بزقاق كان يطلق عليه (سرحة الفل) ، وتقوم أسرة (المارنقة) — بفتح الميم بعدها ألف فراء مكسورة فنون ساكنة فجيم مصرية معقودة مفتوحة فتاء مربوطة — وأسرة (صبيح) في (قاعة الشفا) بنظم هذه القلائد ، وأتذكر أن مما يسلك معها حبوباً من (الهيل الحبشي) المغلف بالأكاليل الذهبية أو الفضية أو هما معاً .

وكان ثمن هذه القلائد « خيالياً » فقد يبلغ الجنيه إلى الخمسة ، في ذلك الوقت — أي قبل خمسين عاماً . وكأنما لا يصح الزفاف ولا يتم الفرح إلا بها ، وصانعوها لا يخلون بالشموخ ، والتعالي ، أمام أرباب العرس .

ومصادفة قرأت طرفة قديمة ، تدل على أولية هذه القلائد بمكة على الأقل . فقد طلب **مصعب بن الزبير** أن تحمل إليه **(أم منظور)** المغنية ، بعد أن سمع قول **جميل بثينة** :

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت
(بالحجر) يوم جلتها أم منظور

فسألها : كيف هذه الجلوة ؟ قالت : ألبستها قلادة بلح ، ومخنقة بلح واسطتها (تفاحة) وضفرت شعرها ، وجعلت في فرقها شيئاً من الخلوق .. الخ ..

قلت : وقد ذالت دولة هذه القلائد ، على سذاجتها ، بعد أن حافظ عليها القوم أكثر من ألف عام ، واستبدل بها ما خف وزنه وغلا ثمنه ..

وحتى (سرحة الفل) و (قاعة الشفا) أصبحتا أشرف وأكرم مما كانتا عليه بدخولهما في رحاب المسجد الحرام بعد التوسعة بمكة المكرمة .

وبهذه المناسبة أنصح لأولياء أمور العرائس والعرسان أن يتجاوزوا التكاليف ، وأن لا يثبطوا عن التأليف ، وأن يقبلوا كل ذي دين قويم وخلق كريم ، فذلك أحرى أن تزول به أزمة الزواج أو تخف على الأقل والله الموفق .

٦٢٥ « الالف » بين الحذف والاضافة

قال **الوليد بن عبدالملك** — وعنده **عمر بن عبدالعزيز** — : **يا غلام** : **(ادع لي صالح)** . فقال الغلام : **(يا صالحا)** . فقال **الوليد** : أنقص ألفاً . فقال له **عمر بن عبدالعزيز** : وأنت يا أمير المؤمنين : فزد ألفاً . اهـ .

قلت : وكذلك كان اهتمام السلف بالإعراب ، وتصويب الخطأ ، حتى على أمير المؤمنين ..

وأين منا الآن ذلك بعد أن تفشى اللحن لا فى الحواضر فقط ، بل وبين مصادر اللغة الفصحى وفي قلب البادية ؟ ..

وأعتقد أن العناية بذلك متوفرة في المدارس والمعاهد والجامعات ، وما أجمل أن يكون الأساتذة قدوة للتلاميذ ، والكبار للصغار ، والعلماء للجهال ، ومع كل ذلك ، فلا بد من مرور زمن طويل حتى تتخلص (الضاد) من الشوائب ؟ وسينهض (المجمع اللغوي) المنتظر بكل ما يعيد إليها إزدهارها وأنوارها قريباً إن شاء الله .

وهل بنى الاعراب إلا على ما أستنه (العرب) و (الأعراب) مِن أُصول ودعائم ؟ وحسبك أن يقول الحدث منهم لأبيه ، وقد خاف أن تغلبه القربة ، فصاح : (يا أبت أمسك فاها ، قد غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها) ..

٦٢٦ ماهي « أزال » و « أوال » و « ألال »

بالفتح والضم والكسر ؟ في الهمزات الثلاث المتعاقبة

أما (أزال) فهي إسم لمدينة (صنعاء) قديماً . وأما (أوال) فجزيرة البحرين أو قاعدتها الأولى ، وأما (ألال) فجبل (عرفات) ولذلك شواهد من الشعر العربي الأصيل .

ولعل لهاته الأسماء اللامعة أخوات أُخرى لما نقف عليها ، وما أكثر ما يجهل الإنسان ، وأقل ما علم ، وكل مطرود ملحوق ، وبارك الله في العرب أنسالاً وأبطالاً في بلادهم أمصاراً ، وأودية وجبالاً ، وفي أوقاتهم بكوراً وآصالاً ، وفي مرابعهم آساداً وأشبالاً .

٦٢٧ دواء المجانين

كان في بغداد رجل إسمه **محمد بن سعيد** حسن الصوت ، ولكنه كان يمتنع عن الغناء ، تهيبه **إبراهيم الموصلي** حتى قال فيه : (وقد أفلتنا منه فلو كان يغني لتقدمنا جميعاً بصوته ..)

وقد كان مرة في بيت مخارق ، وإذا **بأبي العتاهية** يطرق ويستفتح ، فيخرج إليه مخارق ، فيقول له **أبو العتاهية** : **يا حسان** هذا الإقليم .. يا حكيم أرض بابل ، أُصبب في أُذني شيئاً يفرح به قلبي ، وتنعم به نفسي . قال : أنزلوا . فلما غنى قال **محمد بن سعيد** : فكدت أن أسعى على وجهي طرباً ، وجعل **أبو العتاهية** يبكي . ثم قال له : (يا دواء المجانين) لقد رققت بفتح التاء — حتى كدت — بضم التاء — أن أحسوك ، فلو كان الغناء طعاماً لكان غناؤك أدماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة . اهـ . مجلة (العربي)

قلت : لا أدري إن كان من الترجيع والشدو والتغني ما يداوي به الجنون ، كما لا أظنني قرأت ما يؤيد ذلك في العصور الخالية والراهنة ، وإن كان البعض يؤكد أن ذلك كان ولا يزال من أهم أسباب العلاج في البيمارستانات والمستشفيات الخاصة على أن يكون مهدئاً للأعصاب ، لا ضوضاء فيه ولا إزعاج ، وما أعجب أن **يطرب بن سعيد** ، ويبكي **أبو العتاهية** من صوت واحد ، ولا غرابة فيما ذكر بعد أن أخذ الناس يؤكدون الإحساس (للنبات) بعد الحيوان .. بالأصوات الحسنة ، والتأثر بها في الحركة والسكون .

٦٢٨ سف التراب قديماً وحديثاً

قال **ثور بن مالك الكندي** الشاعر :

وقلت : تحلوا بدين الرسول
فقالوا : التراب سفاهاً بفيكا

فأصبحت أبكي على هلكهم
ولم أك فيما أتوه شريكا

قلت : والشاهد فيه : (فقالوا التراب سفاهاً بفيكا) ..

فهذا التعبير كان في صدر الإسلام ، وطبعاً وما سبقه من آماد طويلة ، وما برح حتى اليوم على ألسنة الناس إذا أرادوا إلجام ناطق ، وتأنيبه ومقته وزجره ، حتى الأطفال إذا اختلفوا يقولونها .. وربما جرى منهم مجرى المثل قول القوي منهم للضعيف : من يكش التراب على الآخر[1] ؟ استفزازاً واستهانة وتعالياً واستكباراً. وما أجمل السكينة والهدوء والأخذ بالحسنى في كل الأمور .

٦٢٩ القطعة والقطع

مما أدركناه من العملة المسكوكة في العصر العثماني ، نوع يطلق عليه « القطع » ومفرده : « قطعة » بكسر القاف وسكون الطاء .. وهي لا تكون من الفضة . وقيمتها إذ ذاك أربع هللات .. ومنها ما يكون مضاعفا بثمانية هللات .. وقد انقرضت بانتهاء ذلك العهد . وكنا نتعامل بها بهذا الاسم .

وفي مطالعة عابرة في كتاب (الصبح المنبي ، عن حثيثية المتنبي) وجدت القدامى منذ ذلك الحين ، أي في القرن الهجري الرابع ، يسمون بهذا الإسم نوعاً من المسكوكات . واستدللت على ذلك بما رواه صاحبه . قال : كنت عند المتنبي فجاء هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات :

فـؤادي قـد انصـدع ... وضرسـي قـد انقلـع
وعقـلـي بليلتـي ... قـد انهـوى ومـا رجـع
يـا حـب ظـبـي غنـج ... كالظـبـي لمـا أن طلـع
رأيتـه فـي بيتـه ... مـن كـوة قـد اطلـع
فقلت : تـه .. تـه .. تـه .. تـه ... فقـال لـي : مـر يـا لكـع
هـات قطـع ثـم قطـع ... ثـم (قطـع) ثـم قطـع
وضـع بكفـي وفـي ... جيـبـي أدعلـك فضـع

وقد نسي الناس القطع .. واندثر التعامل بها .

٦٣٠ المهندس المساح لأرض العراق

استشار **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه الصحابة في رجل يوجه إلى العراق ، فأجمعوا على **عثمان بن حنيف** (**الأنصارى**) وقالوا : أن تبعثه على أهم من ذلك فإن له بصراً ، وعقلاً ، ومعرفة ، وتجربة ، فأسرع **عمر** إليه فولاه (مساحة أرض العراق) فضرب **عثمان** على كل جريب من الأرض يناله الماء غامراً وعامراً درهماً وقفيزاً .. فبلغت جباية (سواد الكوفة) قبل أن يموت بعام مائة ألف ألف (ونيفاً) . ا.هـ

قلت : فهذا فيما يظهر أول عربي أو حجازي يقوم بمهمة (مصلحة المساحة) على دقتها وعمقها

---

(١) (المنهل) : كان أطفال المدينة المنورة إذا أراد أحدهم أن يتحدى الآخر قال له تهديداً : (أسففك التراب) ..

وعقدها ! في عصر الراشدين دون أن يدرس قواعدها وأصولها في الكليات أو الجامعات .. ودليل نجاحه ... وفرة هذه الجباية حتى وصلت في بعض بلاد العراق آنذاك مائة ألف ألف .. وزيادة !.. ومن ذلك نستدل على أن أصول هذه (الحضارة) المتطورة ، إنما كانت راسخة في هذه الديار المقدسة ، وإنها إنما أخذت عنها .. وأثمرت منها .. وليس ذلك في مجال المسح فقط ولا الحرب ولا السلم ولا الاقتصاد فحسب .. بل وحتى في (تدبير المنزل) فقد عثرت قبل سنين على مخطوط يتناول صاحبه فيه هذا التدبير قبل عدة قرون !

(٦٣١) هدية أهل مكة ؟!

أهدى **الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الشافعي** المكي المولود بمكة سنة ٧٤٦هـ المأذون له بالإفتاء والتدريس من أئمة العلم والفقه والحديث في زمانه . أهدى إلى الشيخ **شمس الدين بن الجزري** من (ماء زمزم) ، وأرسل إليه معه هذه الأبيات :

ولقد نظرت فلم أجد يهدي لكم
غير الدعاء المستجاب الصالح ؟

أو جرعة من ماء (زمزم) قد سمت
فضلاً على مد الفرات السائح

هذا الذي وصلت له يد قدرتي
والحق قلت : ولست فيه بمازح

فأجابه الشيخ **ابن الجزري** بهذه الأبيات :

وصل « المشرف » من إمام مرتضى
نور الشريعة ذي الكمال الواضح

وذكرت أنك قد نظرت فلم تجد
غير الدعاء المستجاب الصالح !

أو جرعة من « ماء زمزم » حبذا
ما قد وجدت ولست فيه بمازح

أما (الدعاء) فلست أبغي غيره
ما كنت قط إلى سواه بطامح

وقد توفى **ابن سلامة** بمكة سنة ٨٣٨هـ .

قلت : فهذه هي الهدية المأثورة المشكورة من قديم من علماء أهل مكة ... بل ومنهم جميعاً إلى من أرادوا تكريمه : « دعاء وماء زمزم » ،يبعثون به إلى أقصى الآفاق . وقد لفت نظري في الإجابة قوله (وصل المشرف) ... فقد كنت أكتبها أول عهدي بالحياة بنفس العبارة .. أي وصل خطابكم أو كتابكم ... فإذا بها متداولة قبل عدة قرون .

أما هدية المكيين في زماننا هذا فإنها مع الدعاء وزمزم قد ازدادت بالمسابح أو (السبح) و (تمر المدينة) ! و (المساويك) .. الأراكية وذلك في نطاق محدود ! فإن مكة هي التي (تجبى إليها ثمرات كل شيء) بفضل الله ونعمته ... وإن أعظم هدية عالمية إنسانية هي ما أصدرته (أم القرى) إلى العالم كله من (هداية) ربانية .. ورسالة محمدية وانها للمجد التالد والفخر الخالد ، وهي على ذلك تدأب وفيه تمتاز .. وبه تتقرب ، وحسب أهلها عزة وكرامة أنهم (أهل الله) وجيران بيته المحرم .

١٣٢ « كـــراع الغميم » و « ضجنان » !

تساءلت في شذرة سابقة عن موقع (ضجنان) الوادي الذي كان **الفاروق** رضي الله عنه يرعى فيه إبل أبيه الخطاب ؟ ... وقرأت بعد ذلك ترجمة (**بشر بن سحيم الخزاعي**) ، قال **الواقدي**: « كان ينزل (كراع الغميم) و (ضجنان) فكدت أجزم أنهما متقاربان أو متجاوران ... فإذن يكون (ضجنان) مما يفضي إلى الكراع أو هذا إليه .. وكلاهما غير بعيد عن « جُدَّة » إلى طريق المدينة المنورة .. و (**ما راء كمن سمعا**) ... وما زلت في حاجة إلى الإبانة من أهل الأمانة .. « وعند جهينة الخبر اليقين » !

١٣٣ التجاوب المشدد والهدف المـوحد

قرأت في المنهل الأغر الصادر عن شهر صفر سنة ١٣٨٧ هـ .. (كلمة) .. أقل ما أراها أهلاً له من التقدير .. إنها كالنمير في اليوم المطير .. والصفاء الرقراق على وجه الغدير ! أفضل بها الأستاذ الكبير وأخي الكريم الشيخ « **عثمان الصالح** » .. فكان سروري بها عظيماً .. وزادني بها غبطة واعتزاز أنه أثنى على ما في الشذرات من تعليقات ، على **ما** فيها من سذاجة وهنات ، وما كان نظره إليها إلا بعين الرضا ! وذلك شأن العالم الأديب وذي الباع الرحيب ، و (هيهات أن يدرك الطالع شأو الضليع) . فشكراً لفضيلته على ما حباني به من لطف وتشجيع !

وقد أشار سيادته إلى ما تقوله العامة في نجد : (ابعد عن فلان لا تحطه في (ضبنك) .. وإن « الضبنة » لغة .. هي ما بين الكشح والإبط : ويعني هذا المثل أن لا يتخذ من نهي عن مصاحبته صديقاً لعدم الوثوق به .. وأورد على ذلك شاهداً من شعر **المعري** وتواضع فسألني عن رأيي في ذلك ، وما أجد ما أقوله بعد الذي فصله إلا أن أعيده وأبديه كما بينه وفصله .. فهو صريح واضح لا لبس فيه ولا غموض : وفي الوسع أن نتأول ذلك لا مجازاً .. بل حقيقة فما بين الكشح والإبط . إلا « القلب » .. ومعاشرة الناس ليست سواء فمنهم من تقتصر العلاقة معه على ما لا غني عنه .. من المخالطة العابرة .. ومنهم من يعبرون عنه بأنه من « عظام الرقبة » .. فافتقاده إنما هو .. إنقحاف لها ! وتعطيل لجهازها ، وما أظن .. اخي العزيز وهو النبراس الذي استضاء بنوره الشباب الطموح المؤمن المدرع بالقعائد الصحيحة والأخلاق الكريمة والآداب الرفيعة إلا متفقاً معي في أن (ما جاء على أصله لا يسأل عنه) . فبلاد العرب .. ولا سيما الحجاز ونجد .. هما المصادر الأولى والينابيع الصافية لهذه اللغة التي تنزل بها الوحي الإلهي ، ويتهافت على تلاوته وتدبره ودراسته في عصرنا هذا ما فوق الستمائة من الملايين . وليس العجيب أو المستغرب فيهما المحافظة على هذا التراث العظيم .. وهو ما لا إنكار **فيه** ولا مكابرة .. وإنما الاشفاق كله ، والأسف كله ، أن تستعجم فيها الكلمات ! أو يقتحمها الدخيل ويستفحل **فيهما** البديل ! في غفلة من الحراس الأمناء .. فلا يتصدى له من (ينخله) ويميز الطيب من الخبيث .. والسمين من الغيث ! وينبه فيه إلى ما يصون لغة القرآن المجيد .. من كل خطأ أو عمد .. يلصقهما بها

ذوو الأهواء .. الفاسدة ! والأغراض الكائدة ! ممن راغوا وزاغوا .. وأكل الحقد قلوبهم وأكبادهم عليها !

أما (التعريب) . لكل جديد .. وبذل الجهد في الاشتقاق والاعتراف بأن المجال واسع أمام « المجامع اللغوية العربية » القائمة لاختيار الأسماء والأعلام لكل ما استحدثته « الحضارة » .. من علوم وفنون .. فلا محيص منه .. إلا أنه من الكثرة والأهمية بحيث لا يلحق غباره بين عشية وضحاها .. إلا لمن أغذ السير في الأرض وحلق في الفضاء .. وغاص في الأعماق .. وتابع كل اختراع واكتشاف ! ولئن لم يتسن ذلك للأفراد كما كان ذلك شأنهم فيمن عمروا خزائن الكتب بمؤلفاتهم من السلف الصالح .. فما الذي يمنع من تكتيل الجهود .. واضطلاع الجماعات .. وذوي الكفاءات .. بهذا السعي المحمود ؟ .. لا أرى يا سيدي أي مانع من ذلك ! .. إلا اللامبالاة ! أو بعض الاناة .. انتظاراً لمن يتفوجون أو يتخرجون ! ثم يعملون أو ينتجون ! وهم على بينة من الأمر .. وجادة من الصواب ، وإحاطة بالمهمة .. وأمامهم المثل التي أخذت بها الأمم المتطورة الراقية ، وذلك في الطرق والمناهج .. التي تواكب نهضتنا الحثيثة .. ويقظتنا الحديثة ! مع الإيثار .. والتضحية .. وابتغاء ما عند الله من المثوبة و « **إنما الأعمال بالنيات** » .. ومع وجاهة هذا الانتظار ، وما وراءه من الانتصار ، فلا بد من السير في الطريق .. على حسب الطاقة والإمكان .

وما أشد فرحي يا أخي (**عثمان**) .. كلما عثرت على أصل صحيح واساس قديم .. لما تستعمله العامة من الكلمات . والألفاظ والأمثال ، ومن الأطفال والنساء والرجال ، وكلما اطمأن قلبي إلى تصويب لمحرف .. أو تصعيد بمصحف وإنما حسبنا أن نتمثل بما قيل :

(ما لا يدرك كله ، لا يترك جله)

وبما قاله الشاعر :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

وان المستقبل بحول الله وقوته وعونه وتوفيقه .. ووعده الصادق ، لمضمون .. ومأمون .. وقد قال تعالى :

﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر ــ وإنا له لحافظون** ﴾

وسلام الله عليكم من جوار بيت الله العتيق .. مقترناً بالشكر العاطر والحب الوثيق أيها الصديق .

٦٣٤ نعم .. الغزو .. ولا الهجو

قرأت في منهلنا الأغر ــ عن شهر صفر سنة ١٣٨٧ : الملاحظة (المعتبرة) لا العابرة : لأخي الأديب الأريب الأستاذ « **عطاف السالمي** » ــ الرياض ــ وهي أنه لفت نظره في الشذرة (٥٨٥) البيت التالي :

وكنت إذا قوم هجوني هجوتهم
فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم ؟!

وأن الرواية التي يعرفها هي :

وكنت إذا قوم غزوني ــ غزوتهم
فهل أنا في ذا يال همدان ظالم ؟

وأن البيت للشاعر « **عمرو بن براق** »

قلت : وإني لأكبر في أخي (**عطاف**) .. تصويبه هذا وإني لمعه فيه !.. وأقرر أن الحق هو ما قاله : وما كانت إلا (سهواً) ولا أزعم أنها رواية أُخرى لأنني بعيد العهد بها .. وأين الهجو .. من الغزو ؟ وقديماً قال الشاعر .

فإن لم أكن فيكم خطيباً فانني
بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

وقال الآخر :

تلق ذباب السيف مني فانني
غلام — إذا هوجيت — لست بشاعر

وأحسن الله جزاءك يا (**عطاف**) ، فقد أقمت إعوجاجاً ما كان ينبغي أن يهمل ! فإنه لا فخر في هجو من يهجو فذلك دأب السفهاء ولا يروج إلا عند من لا يبالي بالسخائم والشتائم ! وله « جنوب من درق » ! فأما — الذين يردون العدوان .. ويشمرون الأردان .. ويتوسطون الميدان .. ويتنادون إلى الجنان .. وشعارهم : « يا مالك يوم الدين : إياك نعبد وإياك نستعين » فما من دأبهم إلا الأعنة والأسنة .. ومن أمثالنا العربية السائرة : « أشبعتهم شتماً ، وفازوا بالإبل » .

فشكراً لك معطراً .. وعفى الله عن **الشنفري** إذ يقول :

وإني كفاني فقد من ليس جازيا
بحسني ! ولا في قربه متعلل !

ثلاثة أصحاب ، فؤاد مشيع
وأبيض أصليت ، وصفراء عيطل

إذا زل عنها السهم حنت كأنها
مرزأة ثكلى ترن — وتعول

وأكثر الله من أمثالك أيها **السالمي** الأبي الكريم .

وكذلك هم العرب الذين قال فيهم شاعرهم القديم :

هنالك لو دعوت أتاك منهم
(رجال) مثل أرمية الحميم

٦٣٥ أجل ، هي « البربر »

تحدثت في الشذرة (٦٠٨) عن الألعاب المنقرضة .. وقلت : إن منها « اليرسي » وعلق على ذلك فضيلة صاحب المنهل — بارك الله فيه — فقال : إن هذه اللعبة بأوصافها التي ذكرتها ، تلعب بالمدينة المنورة .. (طبعاً — بعد اختبار في حينه) وأنها إنما تسمى عندهم « بربر » بكسر البائين وسكون الرائين ..

وكم أزعجني .. أنني كنت — مخطئاً — في نسيان اسمها .. بعد مرور عهد طويل على ممارستها .. وهنا أُقرر طائعاً مختاراً .. شاكراً .. مقدراً لأستاذنا الأنصاري .. قوة ذاكرته وحافظته .. وتصحيحه هذا .. انصافاً لهذه « البربر » .. حتى لا تبربر ! أما ما كنت ذكرته بديلاً عنها خطأً فهو إنما يعني لعبة « بالكبوش » ..التي اندثرت كلياً .. فلا إسم لها ولا فعل بل لا أدري اليوم أي عظام الكبش يحتويها ؟! وكانت ذات أهمية .. وإيثار .. حتى يرصص منها بعضها ليكون في انطلاقه واختراقه للصفوف .. كالصاروخ ... بقوة ما عليه من دوافع أو مدافع ثقيلة !! وعفواً أيها الأشياخ .. فإن أكثر الأخطاء من النساخ ؟.. وأظنها ههنا من الالتخاخ وسقى الله « العقيق » و « قباء » و « روضة خاخ » !

٦٣٦ (جدة) ـ بضم الجيم
سنة ١١٤٠ هـ

وصف السيد « **العباسي** » بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي في كتابه « نزهة الجليس » ــ « مدينة جُدَّة » حين نزوله بها قادماً من اليمن سنة ١١٤٠ هـ أي قبل ٢٤٧ عاماً فقال : « جدة على ساحل بندر « مكة » وبها تقبض « المكوس » من التجار الواردين من الهند ــ واليمن ، والبصرة ، وعمان ، والصين ، وغير ذلك ، وبها الأسواق الواسعة ، والدور العامرة ، والحوانيت المملوءة و « الخانات العظيمة » وعليها سور محكم ، وبها قلعة محكمة على البحر .. وبها (البرج اليماني) على البحر .. وبها (مدفع عظيم جداً) ! وبها ضريح الولي الشهير الشيخ « **المظلوم** » .. وبها ضريح السيد **أبي بكر** « **العلوى** » وخارجها قبر **حواء عليها السلام** .. إلا أن ماءها قليل ، وخارجها « صهاريج تملأ من المطر ، وإذا قل المطر يأتون إليها بالماء من جبل (غليل) اهـ . (وفي النص المنقول عنه خطأ مطبعي وهو خليل بالخاء لا بالغين) مع أن طبعه كان عام ١٢٩٢ أي قبل ٩٤ عاماً ..) .

قلت : وهكذا كانت عروس البحر الأحمر في أمسها القريب .. وقد أدركت فيها جميع هذه الأوصاف .. قبل خمسين سنة ، أو أقل ! إلا «المدفع العظيم » ! فإنه جدير بأن يحفظ في (المتحف) .. إن كان ما يزال باقياً حتى الآن .. وأحسن الله ثواب من أحياها بالماء ، وأضاءها بالكهرباء .. وأبدل (خاناتها) بالفنادق .. وقفرها بالحدائق ، وضيقها بالاتساع ، وهمسها بالمذياع !؟

٦٣٧ من هو الشيخ « محمود » اذن ؟ !

إلى يسار الداخل إلى أُم القرى شرفها الله وكرمها ــ (مقبرة) قديمة في محلة جرول كان الناس يدفنون فيها موتاهم إلى نهاية العصر العثماني .. وهي مقابلة للبازان الذي يسمى « أُم قبة » باعتبار العين .. ولم يدفن فيها بعد عام ١٢٣٤هـ وقد دفن فيها عدد كبير من المشاهير من أُمراء مكة ويطلق أهل مكة على « المقبرة » وما حولها فيما أدركناه « **الشيخ محمود** » حتى يومنا هذا .. بالتداول والتداون ! وكنت أحسبه « ظناً » لا يقيناً ــ « **الشيخ محمود** » (**جار الله**) الزمخشري المولود سنة ٤٦٧هـ والمتوفي سنة ٣٨٥هـ . وذلك لمجاورته بمكة المكرمة زمناً طويلاً . غير أنني عرفت أخيراً أن « **جار الله** » هذا إنما توفي بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة ورثاه بعضهم بأبيات منها :

وأرض مكة تذري الدمع مقلتها
حزناً لفرقة جار الله محمود

وهنا ــ تراجعت عن ظني الأول ... وتساءلت : إذن من يكون هذا **الشيخ محمود** ؟ ــ ولم أظفر به حتى الآن ... اللهم إلا أن يكون **الزمخشري** كان يسكن في هذا الحي .. مدة جواره بمكة ! وهذا هو الراجح . إلا أن يظهر ما هو أصح .. فهل من حافظ نجد لديه الحجة .. ويزول الشك باليقين .

(٦٣٨) ربما كان « جبل الفنا » بفتح الفاء

لا « الفنة » بتشديد النون

إلى يمين المنحدر إلى « المسفلة » من جهة « الهجلة » وإلى جانب ما يسمى بجبل عمر ومن فوقه (جبل عال) يطلق عليه أهل مكة (جبل الفنة) .. وهي بأعلى (مقبرة الشبيكة) غرباً وإلى سفوحه تقوم منازل « الطندباوي » والحفائر ! وكنت أبحث عن سبب تسميته (بالفنة) — بفتح الفاء وتشديد النون — فعلمت من المسنين أن ناراً كانت تشب بأعلاه .. قبل اختراع المدافع .. واستعمالها بمكة وأنها كانت توقد لدخول شهر رمضان أو رؤية هلال شوال .. ليراها جميع أهل مكة من البواطن والظواهر ! وهذه النار تسمى « الفنة » .. أما أصلها لغة أو اصطلاحاً .. فلم أعثر عليه .. إلا بما رواه القدامى كما أسلفت .

وبدا لي الآن (رأي جديد) ربما كان أقرب إلى الصواب .. فهذا **أبو الطيب المتنبي** قد صحب سيف الدولة في إحدى معاركه مع الروم في غزوة (الفنا) بفتح الفاء والنون .. وانهزم فيها جيشه ولم يبق معه إلا سبعة من رجاله كان فيهم **أبو الطيب المتنبي** .. وقيل أنها سميت (الفنا) — بمقحور الفناء — لفناء جنده فيها ، قلت : سبحان الله : وما دمنا لا نجد نصاً غير الرواية عن المتأخرين .. فهل ثمة ما يمنع من اعتبار التسمية أصلاً لهذا الجبل الشامخ — (الفنا) .. لقيام معارك حامية فيه ، عبر القرون الطويلة التي انقضت وكانت لا تخلو أعوامها ولا شهورها بل ولا أيامها ولياليها من الحرب والضرب بين الأمراء والقواد في بطن مكة وما حولها من الجبال فقد يكون من المحتمل وقوع يوم على قمته أو سفوحه ، فني فيه من الفريقين أو أحدهما الأكثرون فكانت له هذه التسمية وما كان بأمثالهم وأكابرهم المتأدبين من جهل بالأدب العربي القديم ولا بما حكاه التاريخ عن غزوة (الفنا) .. إذن يجوز ذلك إلا أن نظفر بما يعارضه أو ينفيه(١).

(٦٣٩) ما هو « الدردي » ؟!

تتردد هذه الكلمة في حالات الغضب فتنطلق بها الألسنة .. في معرض الدعاء على المخاطب .. فيقولون له : — عساك بالدردي — ؟ — (البعيد) ! وأكثر ما يستعملها ربات البيوت .. ولو سئلن عن هذا « الدردي » ما هو ؟ لما عرفنه إلا لفظاً لا معنى !

وحقيقته .. تتفق مع التسخط . « فهو عكر الزيت الذي يرسب في أسفل الوعاء .. وفي المثل « أول الدن دردي » .

قلت : ولكي يكون الساخط أو الشاتم على بينة مما يقول ، أو ما يدعو به .. وجدت من الإنصاف إيضاحه .. حتى إذا أراده للمشتوم فعلا .. نطق به وهو يدري ما هو ؟! ولا تعفف عنه .. واكتفى (بزيت الخروع) ! أو « زيت الحوت » أو « زيت السمسم » أو « الزيت

---

(١)(المنهل) : ومما يؤيد ما ذهب إليه علامتنا الضليع ما روي عن المكان المعروف لليوم بالمقتلة قرب مكة إلى غربها من أنه سمي بذلك لمقتلة عظيمة وقعت به .. وربما كانت صيغة (الفنة) بفتح الفاء وتشديد النون بعدها هاء تأنيث .. — من « الفن » أي أن إيقاد النار على قمة هذا الجبل هو أمر أفتنه الناس ، للإعلام بشهر الصيام ..فسمي الجبل « جبل الفنة » .. بسبب ذلك .

الطيب » ... بدون دردي ! ولكل هذه الزيوت منافعه الخاصة للعلاج تارة .. والترطيب أُخرى ! وفيها ما يغني عن « الدردوة » .. في الأول وفي الآخر .

٦٤٠ سلط الله عليك !

جملة رائجة التداول بين أهل البادية .. وطالما كنا نسمعها منهم في الأسواق .. يقولونها لمن يتخالفون معه .. لا سيما أيام الجمال والشقادف وأثناء الامتياز ، وقضاء الحاجات من الباعة ! « سلط الله عليك » — هي دعوة أو دعاء كان له أصل نبوي ورد في الأحاديث الشريفة ، « روى أنه لما تلا رسول الله ﷺ : سورة النجم ، قال **عتبة بن ابي لهب** : كفرت برب النجم يعنى نفسه ، فقال ﷺ « **سلط الله عليك كلباً من كلابه** » فخرج **عتبة** مع اصحابه إلى الشام حتى إذا كان بمكان يقال له : « الزرقاء » فرأى الأسد فارتعدت فرائص عتبة فقال له أصحابه : من أي شيء ترتعد فرائصك ؟ فوالله ما نحن وأنت إلا سواء فقال : إن **محمداً** دعا علي ولا والله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من **محمد** ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده في فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وناموا ، فجاء الأسد يهمس ، وشمهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فضغمه ضغمة .. فكانت إياها فسمع بآخر رمق وهو يقول : ألم أقل لكم أن **محمداً** أصدق الناس ؟

قلت : فهذا أصل استعمال البدو لهذه الجملة والدعاء .. تسلسل إليهم منذ عصر الرسالة بلفظه .. ولعل أكثرهم لا يعلمون هذه القصة ! وصلى الله وسلم على من لا ينطق عن الهوى وعلى آله وأصحابه أجمعين .

٦٤١ « غليــل »
(عينان — نضاختان)

على أثر ما جاء فى الشذرة رقم (٦٣٦) منقولاً من كتاب « نزهة الجليس » عن مدينة جُدَّة .. وماء (غليل) كتب إلَيَّ ، حضرة صاحب الفضيلة العلامة الوالد الجليل **الشيخ محمد نصيف** كلمة فى ١٢—٤—١٣٧٨هـ جاء فيها ما ملخصه :

وقد عزاه إلى ما تلقاه من الشيوخ .. عن « غليل » بالغين ..

قال أمد الله في حياته :

« وادي غليل » .. يقع شرقي جدة (قبلة) جنوب طريق الإسفلت في الكيلو العاشر .. ويصل سيله إلى جنوب جدة .. وكما كان في الشرق آبار كان فى الجنوب مثلها . وكلها تسمى (آبار غليل) .. شرقاً وجنوباً . وفي أوائل ١٣٠٠ هـ قال أهل الخبرة : إن في غليل الشرقي مياهاً جوفيه غزيرة .. عذبة .. وبعمل دبول لها تمتد من الشرق إلى جدة .. وكان الوالي في الحجاز آنئذ .. يطلق عليه (الوزير) ! وكان ذلك قبل ولاية « **عثمان نوري باشا** » (ولعل سبب تسميته أو تلقيبه بالوزير . أنه كان قبل ولايته في الحجاز وزيراً في الأستانة) ، — ولم يتذكر إسمه — **فقام** هذا الوالي الوزير بجر الماء إلى جدة بمال من الدولة وإعانات من تجار جدة ثم عزل من الولاية وخلفه (**عثمان نوري باشا**) واستمر الماء جارياً إلى جدة مدة إثني عشر عاماً — وأطلق الناس على ذلك « عين الوزيرية » نسبة إلى من قام بمدها سابقاً ! ممالأة له .. أو تقديراً .. وترك الناس التسمية

القديمة وهي (غليل الشرقية) ! فأما (غليل الجنوبية) فبقى اسمها ، ثم قال : هذا ما سمعته من الشيوخ الذين كان لهم « حصة » في (الغليليين) : الشرقي والجنوبي .. واستطرد فقال : ويوجد شرقي جدة عين أُخرى كانت تسمى « عين قوس » وهي بطريق السيارات طريق الأسفلت الحالي من الشمال في الكيلو العاشر أو أكثر . وقد أصلحها وزير المالية السابق **الشيخ عبد الله السليمان** وجرها إلى الأرض التي أحياها بالزراعة شرق المطار والتي منحها مؤخراً لجامعة **الملك عبد العزيز** الأهلية بجدة .. كما تسمى هذه العين أيضاً باسم : « عين الحاج فرج يسر » ، وكان من تجار جدة . وقد جمع من التجار إعانة لها وكان ما بذله من ماله أكثر مما جمعه من التجار من الإعانات . وكان ماؤها فيه قليل ملوحة .. إلا في مواسم الأمطار .. فإنها تحلو كثيراً ..

واستأنف فضيلته تحت عنوان : « إشاعات » قوله :

« عندما نضب ماء عين الوزير .. زعم الناس أن أمير مكة **الشريف عون الرفيق** كان على خصومة مع الوالي « **عثمان نوري** » .. وقد أراد أن يطمس اسمه .. فلا ينسب إليه هذا « العمل الطيب » .. فأهملها أو لم يعن بها — أي حتى طمرت ! قال : ولو كانت منسوبة إلى **عثمان باشا** لكان لهذه الإشاعة نصيب من الصحة أو القبول ولكنها كانت تضاف إلى من قبله .. وتسمى بالوزيرية .. (وهو منطق صحيح) وقيل : إن من كانوا ينتفعون من بيع ماء الصهاريج والحفر من أهالي جدة هم الذين تسببوا في خراب العين .. أو تخريبها وقال أهل الخبرة : إنه لا ذاك .. ولا هذا . وإنما هو انقطاع الأمطار وعدم نزولها .. وأن الجفاف كان بعلة الجدب وتوقف جريان السيول فيما حولها من المناطق التي كانت تمونها وتمدها بالرشح .. أو ما يسمى بمكة « الشحاحيت » لعين زبيدة .. كل ذلك بالنسبة للوادي الشرقي في (غليل) !

وقال : إن حول عين غليل (الوزيرية) .. جبالاً صغاراً ترابية تسمى « عتوما » .. وليس فيها حجر صلد .. رغم أنها تسمى (جبل غليل) كما زعم صاحب أنيس الجليس ، أو لم يسمها جبل غليل غير صاحب « نزهة الجليس » .

وقد أضاف فضيلته إلى ما ذكر عن تاريخ غليل قوله : (ولما هرب **الشريف غالب** أمير مكة من مكة إلى جدة ، وبدأ جيش نجد للزحف إليه بجدة منعتهم أسوار جدة من دخول البلدة فأقاموا أياماً في غليل) .

قلت : ولأهمية هذه التفاصيل وإنها من مصدر موثوق به وله علاقة مباشرة به .. وإحاطة تامة بظروفه وملابساته .. رأيت من الواجب إشراك القراء في هذه المعلومات القيمة .. شاكراً لفضيلته ما أفاد به للحقيقة والتاريخ .. وأنها لفرصة سانحة لكل قلب ولسان أن يترحم على من وفقه الله .. فجعل في ميزان حسناته هذا الرواء والإحياء .. في هذا الميناء الذي كان لا يخلو كل بيت به من ماء البحر .. وماء المطر .. وماء الحفر .. وكان من الضيق في مثل مساحة الواحدة ! فاتسع حتى تجاوز به العمران .. من جميع جهاته .. عشرات الكيلو مترات .. وتمايست به الغصون .. وتفتقت الأكمام .. وأينعت الثمار .. وترقرقت (البرك) والنافورات .

رحم الله (الملك الصالح والمؤسس العظيم) .. « **عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل** » وأسكنه فسيح جناته .. وأيد بنصره وتوفيقه شبله الباني جلالة الملك (فيصل) .. وأطال عمره في كل ما يحب ويرضى وأعز به الإسلام والمسلمين . وبارك في حفيده الأمير المحبوب «**محمد الفيصل**» الذي يكرس كل مجهوداته « لتحلية مياه البحر » ويواصل مساعيه ليل نهار في تحقيق هذا الهدف الذي تحيا به الأرض والنبات والحيوان والإنسان .. « **وكل ميسر لما خلق له** » .

٦٤٢ فلان سوى «البطيط»

وقبل أن أكتب هذه الشذرة .. لو سألني سائل ، ما هو « البطيط » هذا الذي يتحدثون به ولا يدرون ما هو ؟ لقلت : لا أدري ! ولكنني دريت به وأنا أقرأ في أمالي (الزجاجي) قال :

(والبطيط : العجب) ، ومنه قول الشاعر :

ألما تعجبي ، وترى بطيطاً
من اللائين في الحقب الخوالي !

وبهذا تكون الكلمة مستعملة بمدلولها العربي الأصيل حتى اليوم ففلان (سوى أو عمل البطيط) .. أي ما هو محل العجب والاستنكار !!

٦٤٣ جواز السفر القديم

قال **الثعالبي** في كتابه « ثمار المقلوب في المضاف والمنسوب » ــ وهو المولود سنة ٣٥٠هـ ــ والمتوفي سنة ٤٢٩هـ : « وحكى **أبو منصور العبدوني** الكاتب قال : تنجزت (جوازاً) لرجل قبيح الخلقة ، وخشن الصورة ، غاية في الدمامة والسماجة ، فلم يقدر الكاتب على (تمليته) فكتب : يأتيك بهذا الجواز آية من آيات الله ونذره ، فدعه يذهب إلى نار الله وسقره » اهـ .

قلت : ومنه نستطيع أن نعلم أن اتخاذ (الجوازات) السفرية .. يرجع إلى ما قبل ألف سنة في الدولة العربية .. ونعلم أيضاً أنه لا بد من أن تذكر فيه أوصاف المسافر .. وما يتميز به شكلاً وصورة !

وليسمح لي القارىء بضياع وقته في قراءة هذا إذا كان ممن يدريه .. قبل أن أرويه .

٦٤٤ السرقات الأدبية قديما

وما شعراؤكم إلا ذئاب
تلصص في المدائح والشباب

أضر لمن تود ــ من الأعادي
وأسرق للمقال من الزباب

بفتح الزين وتشديدها .. والزباب هو الفأر العظيم !

قلت : فهذا حكم شاعر كبير .. على أهل حرفته بالجملة .. عفا الله عنه .. ومنذ أكثر من ألف عام .. فأي غرابة .. بعد ذلك .. إذا عثر على سرقة مقال أو قصيدة .. كلاً أو بعضاً ؟ وما خلا من هذه التهمة شاعر أو أديب منذ العصر الجاهلي .. حتى أن **أبا الطيب المتنبي** الذي « شغل الدنيا » بروائعه وبدائعه لم يبرئه خصومه ومنافسوه من هذه التهمة .. وما أراها إلا ملازمة مع الشطط لهذا الفن ..

أما بالوهم أو الظن .. واما بالواقع أو اليقين .. إلا من عصمه الله وكفاه .. ووقته كرامته وتقواه .

٦٤٥ امش ياسيساي

تروج هذ الكلمة ــ في أوساطنا منذ عهد بعيد ــ فما هو أصلها ؟! إنها محرفة .. وهي (ساساني) .. ويقصدون بها في زماننا أن المنعوت بها كذاب .. ونمام وينقل الكلام .. ويفسد ما بين الناس !. والحقيقة أنها ــ لا تعني ذلك في أساسها . فإن الساسانية .. في الأصل ــ هي اتخاذ « الكدية » أي الاحتيال في السؤال و « الشحاذة » هي حرفة غالبة .. وقد فصل أمرها في كتابه (ظهر الإسلام) المرحوم الأستاذ **أحمد أمين** .. **وللحريري** في مقاماته مقامة تسمى « الساسانية » ومن أهم شعاراتها « **من طلب . جلب** ، **ومن جال نال** » وكانوا يعصبون على رؤوسهم ــ أول أمرهم ــ أي في القرن الرابع والخامس ــ « ما يسمى بالكذابات » أي « العصابات » يشدونها على جباههم يوهمون بها أنهم مرضى » !

قلت : ومن هنا كان مدلولها في عصرنا مقتصراً على الكذب والبهتان دون الخصائص الأخرى ... ومنها الظرف والأدب أو التأدب .. والاحتيال فهي خلابة .. ودعابة .. واسترزاق . ومجون وجنون .. واختلاق ، وأغلب ما يستعملها النساء مع بعضهن .. لكثرة اللغو بينهن .. وما يخلو منها بعض الرجال .

٦٤٦ « بريه » منك

تقول الأم لولدها أو خادمها (بريه ــ منك) ــ بضم الراء المهملة وبالراء المشددة الممالة بعدها ياء تحتية مثناة ، فهاء ساكنة ــ وهي تعني « أبرأ منك » .. وذلك عندما يقع منه ما تكره .. أو تسمع ما لا ترضى ولا يحصل ذلك إلا في حالة من الغضب والإنكار ! والغالب أن كل ما يطرأ على كثير من الكلمات والجمل إنما نشأ من الاختلاط بغير السكان الأصليين .. من المجاورين ولعل لها أُصولاً لم نقف عليها بنفس التعبير .. ولها أُخت أو بنت عم أُخرى : وهي (بره بعيد) ــ بفتح الباء وتشديد الراء ــ وهي تؤدي معنى التعوذ .. من الشر .. ومرادفاته .. ومضاعفاته وقريبة ثالثة أيضاً ــ وهي : « يد العدو » .. وأحسبها تعني أن ما تطلبه من آلة .. أو مقص .. أو سكين .. ذات حد .. يكون منصرفاً إلى (العدو) .. دون الصديق ! وكل هذا أو أمثاله مما لا تخلو منه المنازل والبيوت .. وكل ما نسج عليه العنكبوت وهي إلى اضمحلال .. وزوال .. على مر الأيام والسنين والأجيال .

٦٤٧ « الغواصة » و « الردادتان »

ربما يتبادر إلى ذهن القارىء بادىء الأمر أنني أُحدثه بهذا العنوان عن هذه (الغواصة) البحرية الحربية ! وما إليها قصدت .. ولا بها افتتحت ! ولكنها (فكاهة) لطيفة ظفرت بها فيما قرأت : « قال **أبو حيان** في إمتاعه ومؤانسته » ، قال ابن الجصاص الصوفي : « دخلت على **أحمد بن روح**

الأهوازي فقال : ما تقول : في صحفة (أرز) مطبوخ ، فيها نهر من سمن .. على حافاتها كثبان من السكر المنخول ؟ فدمعت عيني ! فقال : مالك ؟ قلت : أبكي شوقاً إليه ، جعلنا الله وإياك من الواردين عليه « بالغواصة .. والردادتين » ! قال لي : ما الغواصة .. والردادتان ؟ قلت : الغواصة : الإبهام .. والردادتان : السبابة والوسطى .. فقال : أحسنت بارك الله عليك » اهـ .

قلت : ومن هذا نستفيد أن من « الغواصات » ما يكون للحرب والخصام ومنها ما يكون للطعام والسلام .. ومعها أيضاً (طرادتان) وهما الردادتان ، وإن الأرز ، كان من طعام القوم قبل ألف عام ، وأنه كان مما يمزج بالسكر .. ويغرق بالسمن ، وتطور إلى مزجه بالحليب . بعد ذلك حتى ضرب به المثل فقالوا .. كلما برد يطيب ! ولو سئل جميع البشر أي الغواصات هم أضحك ، وأيها أبكى ؟!.. لأجابوا عن بكرة أبيهم وأمهم أيضاً باختيار ما بكى لفقده ابن الجصاص .. ولو وجده لسمع ضحكه ، من يغبطه عليه ، من وراء القطبين . وكم في العالم من صراخ يصم الآذان عن المجاعات ! وأسلحة الفتك والدمار تزلزل الجبال الراسيات ! وما شاء الله كان .. وما لم يشأ لم يكن .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٦٤٨ مـاء طريق الحج كيف كان ؟

قبل ألف سنة .. كان الناس يتجرعون في طريق الحج الملح والأجاج .. والكدر والطين ! حتى قال في ذلك ابن المعتز :

وصاحب سوء وجهه لي أوجه
وفي فمه طبل ، بسري يضرب
ولا بد لي منه ، فحيناً يغصني
وينساغ لي طوراً ووجهي مقطب
فماء طريق الحج .. في كل منهل
يذم ، على ما كان منه ويشرب

قلت : كذلك كان الماء في طريق الحج .. من حيث أقبل الحجاج .. أو أدبروا .. ثم أصبح بحمد الله .. عذباً فراتاً .. ومتوفراً في بطون الصحارى .. وفي القرى والمدن .. وفي المشاعر المقدسة ويقدمه ولاة الأمور « مبرداً ومثلجاً » .. ويجده الظامىء .. حيث حل وارتحل .. مصفى وممزوجاً ! وما هو ببعيد ذلك اليوم الذي تتحول به الكثبان العفر ، إلى خمائل خضر ، فما كان يحلم أصحاب الخيال بما ترتع فيه المدن كلها والقرى و «عروس البحر الأحمر » .. من حدائق .. وشقائق .. وجداول ومناهل .. أوزعنا الله الشكر على نعمه التي لا تحصى .

٦٤٩ « عرعر - هذيل » غير « عرعر » الشهير

قال (**حذيفة بن أنس**) الهذلي في قصيدة رائية :

فلو أسمع القوم الصراخ لقوربت
مصارعهم بين (الدخول و عرعرا)
لأدركهم شعث النواصي ــ كأنهم
سوابق حجاج توافي « المحجرا »

وقال الشارح : أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري المولود سنة ٢١٢هـ والمتوفي سنة ٢٧٥هـ . « عرعر ــ واد بأرض هذيل » .

قلت : فهذه (عرعر) الجنوبية ، غير أختها الشمالية .. ويصدق التسمية ، أن مناطق هذيل في السراة .. وسفوحها معروفة (بالعرعر) ..

أما أين هو هذا الوادي ومكانته بأرض هذيل ، وهل لا يزال معروفاً بهذا الاسم .. فذلك ما يدري به أهل (الديرة) ولعل أحدهم يكشف عنه القناع ، وأكاد أجزم أنه إلى يمين نعمان الأراك « **وليس سواء عالم وجهول** » .!

٦٥٠ تأليف وتطويف

ألف **أبو القاسم بن إسحاق الزجاجي** المولود سنة ٢٤١هـ والمتوفي سنة ٣١١ هـ ـــ كتابه المشهور « الجمل في النحو » .. وقد شرحه عشرون عالماً نحوياً ، (بمكة المكرمة) . قالوا :

وكان إذا فرغ من باب منه طاف حول البيت أسبوعاً ـــ أي سبع مرات ـــ ودعا الله أن يغفر له وأن ينفع به قارئه .. فكان هذا الكتاب كتاب المصريين وأهل المغرب والحجاز واليمن والشام إلى أن أشتغل الناس باللمع **لابن جني** والإيضاح **لأبي علي الفارسي** . اهـ .

قلت : ومن النية الصالحة .. والحرص على نشر العلم والإخلاص والتطوع لله . والتوجه إلى طاعته .. بوركت جهود العلماء العاملين .. وكان لهم ما خلفوه من هذا التراث القيم الثمين .. والله لا يضيع أجر المحسنين .

٦٥١ «الصرمة» بين الفتحة والكسرة

قال **أبو ذؤيب الهزلي** من قصيدة طويلة :

لنا « صرم » ينحرن في كل شتوة
إذا ما سماء الناس قل قطارها

و « الصرمة » (بكسر الصاد وتشديدها) من الإبل القطعة ليست بعظيمة ما بين العشرة إلى العشرين ، ويقال للرجل إذا كانت له قطعة من الإبل « فلان مصرم » و «صرام واصرام » جماعات من الناس .

قلت : والفرق بسيط جداً بين هذه الكسرة في الصاد .. فتكون ابلا والفتحة كما يستعملها المعاصرون .. فتكون نعلا ! فأما الأولى فهي عربية .. لا جدال فيها ! وأما الأُخرى فهي دخيلة .. ولا أدري من أي لغة جاءت ؟! ولا بأس من الجمع بينهما .. لولا أن صرم الإبل تكاد تنصرم ! أو تنعدم .. ولا بد لها من الإبقاء والإحياء قبل أن تمحوها شفار الجزارين ؟! فلا يجد الناس (صرمة واحدة) !

٦٥٢ « الفرجية » قبل تسعمائة عام

قال **أبو الحسن علي بن الحسين العقيلي** في المائة الخامسة .. وكان من الأشراف وكان له متنزهات بجزيرة (الفسطاط) :

الروض في ديباجة خضراء
والجو ، في (فرجية) دكناء

والأرض قد نظم الربيع لجيدها
عقداً من الصفراء ، والحمراء

قلت : وهذا نص لا يجحد ، باستعمال « الفرجية » منذ أكثر من تسعمائة سنة .. وقد أدركنا العلماء بالحرمين الشريفين . يلبسونها .. بهذا الاسم .. ولها أكام عراض طوال ! ولا بد معها من « المدرج » وهو العمامة المكورة .. ذات العذبة الطويلة المدلاة على أحد المنكبين .. وكان أخص القوم بها المدرسون والخطباء والأئمة .. ولا يصح لهم أن يرتقوا المنبر أو يتقدموا للإمامة بدونها .. وهي أعلى منزلة .. إلى ما قبل ٤٥ سنة .. وكانت « القرجيات » علامة مميزة لهم وهى أعلى منزلة من الجبة ، التي يرتديها الوجهاء .. والكبراء من غير أهل العلم ..

وكان منها « الأنقوري » و « القرامسود » و « الصوف » و « القطن » وعسى أن يعني أهل الآثار بحفظ نماذج من هذه الأزياء التي أصبحت مجرد ذكريات ، كتلك الجبب والعمائم ذات القصب المذهب والأقراص التي تتوسطها بالفصوص ! نرتديها في أيام الأعياد والاحتفالات وهي تكاد تزيد في ثقلها عن الطن !! وفي أمثال العامة قولهم (خف أو تعوم) ! وما كان ذلك إلا غاية في السرف والترف .. وعائقاً عن الحركة ، والنشاط في جميع الأسنان والأوساط ...

⑮٦ الشاشة الفضية غير الناطقة بمكة

سنة ١٣٣١هـ

تسجيلاً لحادث تاريخي شهدته قبل نحو ٥٧ عاماً بمكة المكرمة أورد هذه الشذرة ، لاعتقادي أن الكثير من الأحياء اليوم قد لا يعلمون بما تتضمنه من نبأ غريب !!

ففي عام ١٣٣١هـ ، وعلى أثر الانقلاب العثماني أو الاتحادي أو الطوراني وخلع السلطان « **عبدالحميد** » عام ١٣٢٦هـ .. حاول أرباب السلطة أن يمدوا نفوذهم ويعلنوا عن بطولاتهم في البلاد العربية ولا سيما في الحجاز .. فأرسلوا إليها وإليه بطرقهم الخاصة « أفلاماً » سينمائية غير ناطقة تمثل حركات الهجوم على (اليلدز) أو (البلاط) حيث أبلغوا السلطان بالخلع ، وكيفية الهجوم على مناطقه المحصنة ، وكان ذلك علناً في الأقطار التي لا تهتم بالمحافظة أو مقاومة كل جديد ! .. وسرا إلى مثل (مكة المكرمة) ! وأتذكر أنه في ذلك العام ١٣٣١هـ شهدت مع والدي وأصدقائه في دار تقع على يمين طريق السيارات الخلفي مما يلي قبور الشبيكة .. وفي محيط (محلة الباب .. عرضاً سينمائياً « سرياً » .. عرضت به مشاهد ذلك الانقلاب (ولأول مرة في حياتي أرى ذلك) ، وقد كان صامتاً لا كلام فيه ولا حديث يفهم أو يسمع اللهم إلا الإشارات .. ومنظر الخيل والجنود .. وإطلاق الرصاص أو المدافع في بعض الجهات .. ورأيت الاشتعالات والإيماضات خلال تلك المعارك التي لم تطل أكثر من ساعات زهيدة ! واستسلم

صاحب الشوكة والمهابة .. وانتهى أمره كأن لم يكن ! وعلمت من الوالد — رحمه الله — أن « الأجرة » أو « قيمة التذكرة » كانت ريالاً « سينكو » جاوياً أو مجيدياً عثمانياً .. للفرد سواء أكان كبيراً أم صغيراً .. كما علمت بعدها بشهرين أو ثلاثة أن السرية أصبحت معلنة .. ونمى خبرها إلى أمير مكة آنئذ وهو في عنفوان خصومته للاتحاديين .. وبلغه أن بعض النساء قد تدرجن للفرجة عليه أيضاً .. وأن ثمة ما يحذر وقوعه من الاختلاط والاظلام ، وأنه أمر بالهجوم على الدار وأخذ الجهاز والأفلام ، وأمر باحراقهما ، وذلك من قبل النهضة ، رغم العنجهية الطورانية يومئذ .. ولا أدري إن كان ذلك قد حدث في (جدة) أو في (المدينة المنورة) في نفس الوقت أو بعده أو قبله ؟! وما دونت إلا ما رأيت وسمعت .

٦٥٤ الموائد العربية أسبق إلى الأناقة

كان **أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات** وهو من الوزراء العباسيين في أوائل القرن الرابع الهجري — يدعو في كل يوم إلى طعامه فريقاً ممن يحب أو يصطفى .. فكانوا يحضرون مجلسه في وقته ، ويقعدون من جانبيه وبين يديه ، ويقدم إلى كل واحد منهم « طبق » فيه أصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء ! ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الأصناف ، وكل طبق فيه سكين يقطع بها صاحبه ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل وخوخ وكمثرى ومعه طست زجاج يرمي فيه التفل ! فإذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم (شيلت) الأطباق ، وقدمت الطسوت والأباريق فغسلوا أيديهم ، وأحضرت المائدة مغشاة بديبقي فوق « مكبة خيازر » أي (خيزران) ومن تحتها سفرة ادم — (أي جلد) — فاضلة عليها .. وحواليها مناديل الغمر — بالفتح — .. (أي الدهن) وهي من الثياب المعصورة (أي المكوية) وهي الفوط فإذا وضعت رفعت (المكبة) والأغشية .. وأخذ القوم في الأكل .. **وأبو الحسن بن الفرات** يحدثهم ويباسطهم ويؤانسهم ، فلا يزال على ذلك .. والألوان توضع وترفع أكثر من ساعتين ! ثم ينهضون إلى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه .. ويغسلون أيديهم ، والفراشون قيام يصبون الماء عليهم ، والخدم وقوف ، على أيديهم المناديل (الديبقة) وركيات (ماء الورد) لمسح أيديهم وصبه على وجوههم .. الخ .. اهـ . ملخصاً من « كتاب الوزراء للصابىء » .

قلت : كان هذا شأن المائدة العربية — فيما قبل ألف عام خلت .. وفي الحواضر والبلدان طبعاً .. فما الذي تزيد به الموائد المتحضرة اليوم على ذلك ؟ وما أحسب التمدن الغربي وتطوره إلا مقتبساً من كل ما عرفه الشرق العربي قبله ... وعنه أخذ ومنه اقتبس ! وكذلك هي الحال في علومه وفنونه وكل ما اختلسه أو اصطنعه من وسائل الأناقة والنظافة والرفاهية والنعيم . ومن أمثال العامة قولهم : « **أهلها سلبوها .. والجن اتلقوها** » فهل لنا أن نستعيد ما سلبوه ؟ ونتخير كل ما هو حسن وصالح وجميل ! ونذر كل ما هو قبيح ، وفاسد ، ورذيل .

٦٥٥ من يصدق ؟ !
(مكة) تشرب من (جدة)

قرأت في كتاب الوزراء **لأبي الحسن الهلال بن الحسن الصابئ** (٣٥٩ـ٤٤٨)هـ : أن الوزير : « **علي بن عيسى بن داود بن الجراح** ، في عصر **المقتدر بالله العباسي** في القرن الرابع الهجري .. » لما كان بمكة وجد الماء ضيقاً على أهلها .. وأصحاب السلطان يسخرون جمال الناس وحميرهم لنقله ، من جُدَّة ، إليها . فابتاع عدداً من الجمال والحمير ووقفها على حمل الماء .. وأقام لها العلوفة الراتبة ! ومنع من السخرة وحظرها .. وحفر بئراً عظيمة في (الحناطين) فخرجت عذبة شروباً وسماها « الجراحية » وابتاع عيناً غزيرة بألف دينار ، وفتحها ووسعها حتى كثر ماؤها ، واتسع الماء بمكة ، ووصل الرفق به إلى أهل الضعف والمسكنة » .

قلت : ولقد استوقف نظري قوله : إن الماء كان يجلب من جُدَّة إلى مكة .. وما أراه إلا وهماً ! فالعكس يجب أن يكون هو الصحيح .. وربما كان جلبه من طريق جدة .. ومن جدة .. أو من الآبار التي يمتد بها الدرب عن اليمين وعن الشمال . اللهم إلا أن يكون من ضواحي جدة .. حيث يحتمل توافر المياه في بعض الأودية المحيطة بها أحياناً . ولعله إنما دون الخبر كما سمعه ممن لا يدري الخطأ فيه من الصواب . والحمد لله على نعمه التي لا تحصى ، وأعظمها هذه العيون الفياضة بالحياة إلى جدة ، وإلى أُم القرى .. وسكانها يزيدون عما كانوا عليه في ذلك العصر مئات الأضعاف ونسأله إلهام الشكر والمزيد ولمن يسر ذلك على أيديهم الجزاء والحسن والتمكين والتأييد .

٦٥٦ حر تهامة والثلج

هذه طرفة استرعت نظري .. واستدعت العجب .. بما تضمنته من مصادفة قلما تتفق .. وهي : ما رواه الوزير **أبو الحسن علي بن عيسى ــ وقد تولى الوزارة في عهد القاهر بالله العباسي ، والمقتدر** أول القرن الرابع الهجري ــ قال : « كنت بمكة فاتفق يوم شديد الحر .. وحر تهامة إذا اشتد ضرب به المثل .. قال : فصليت الظهر جماعة في المسجد الحرام ، وطفت وسعيت وركعت عند المقام . ثم انصرفت ، وقد مسني من الحر ما زاد على ، الأمر فيه ! فتمنيت في الوقت شربة (سويق) بثلج . وأولعت نفسي بالفكر فيها .. فزجرتها وقلت : ثلج في تهامة ! وحمدت الله تعالى على نعمة العافية .. فما لبثت ، والله ، أن ظهر في السماء (قزع) ــ أي قطع من السحاب رقاق ــ من غيم .. ثم اجتمع وانتظم وجاء ببرق ورعد متصل .. ثم بمطر وبل ، ثم ببرد في غاية الكبر . فجمع الغلمان منه ما ملأوا به (حباً) ــ أي جرة ضخمة من حباب الماء . وكان هذا بعد صلاة العصر ، فما كان فطوري إلا على سويق وسكر وثلج وماء مائع ، وبقينا على ذلك ثلاثة أيام والحمد لله .. »

قلت : فهذا ما سجله تاريخ الأقدمين . كما روى الثقاب ، ان **هارون الرشيد** كان يحمل معه الثلج من بغداد إلى مكة ، على بغال البريد ، كلما حج .

أما أولية استعمال الثلج بكميات تجارية وبأثمان رخيصة بمكة المكرمة . فإنها بدأت في حدود عام ١٣٣٠هـ على ما أتذكر .. وكان ذلك من إنتاج مصنع له أُقيم في جرول بالقرب من « ذي طوى » أسسه « التاجر الناولو » وكنت ممن اشترى الأُقة منه يومئذ بأربع هللات ثم حطمه البدو يوم الثورة بعام ١٣٣٤هـ باعتباره أنه عائد للأتراك خطأ .

وكان الثلج متوافراً للخاصة قبل ذلك بمكة عن طريق باعة « الدندرمه » (الاسكريم) من اخواننا أهل الهند المجاورين طويلاً بمكة إلا أن ثمنه كان مرتفعاً جداً .

٦٥٧ هكذا كان الناس

جاء في حلية **أبي نعيم** — (٤٣٠) هـ — في ترجمة (زبيد بن الحارث اليامي) : أنه كان يقول للصبيان : يا صبيان تعالوا ، فصلوا أهب لكم الجوز ! قال : فكانوا يجيئون ويصلون ثم يحوطون حوله ، فقلنا له : ما تصنع بهذا ؟ قال : وما علي ؟ أشترى لهم جوزاً بخمسة دراهم .. ويتعودون الصلاة .

قلت : ما أجملها حيلة .. وأقربها وسيلة لتعويد الأطفال على الطاعة .. وأنها لأنجح من غيرها في الإغراء ، لو توافر عليها الأعمام والآباء ، والأغنياء والأثرياء .. ومما يؤثر عن زبيد هذا أيضاً .. أنه إذا كانت ليلة مطيرة أضاء بشعلة من نار فطاف على عجائز الحي ، يقول : أوكف عليكم البيت ؟ أتريدون ناراً ؟.. ألكم في السوق حاجة ؟ أتريدون شيئاً ؟ .

وقد أدركنا بعض من هم على شاكلته وعلى نهجه من أهل الشهامة والمروءة والإيثار .. والاحتساب .. ولا يزال الخير في أُمة **محمد** صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

٦٥٨ كل يوم « عدس »

قال **أبو أُمية الخصي** ، غلام **عمر بن عبدالعزيز** : بعثني **عمر بن عبدالعزيز** بدينارين إلى أهل الدير ، فقال : إن بعتموني موضع قبري وإلا تحولت عنكم ! قال : فأتيتهم فقالوا : لولا إنا نكره أن يتحول عنا ما قبلناه ؟ قال : ودخلت مع **عمر** الحمام فأطلى فولي مغابنه بيده ! ودخلت يوماً إلى مولاتي فغدتني (عدسا) .. فقلت : كل يوم عدس ! فقالت : يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين **عمر** .

قلت : ولو علم الغلام ما في العدس صرفاً ، أو الرز والعدس ممزوجاً ، من « فيتامينات » وحديد ما تضجر من أكله ، فإن فوائده أكثر من أن تحصى أو يرحم الله **عمر بن عبدالعزيز** . وكل من هو على شاكلته ، وفي ورعه وتقواه ، ممن آثروا الأُخرى الباقية على الدنيا الفانية .. وما أعزهم قدراً وأرفعهم منزلة ، عند من صاروا إليه جل وعلا .

٦٥٩ القفة ، والجنونية !

كل من تجاوز الأربعين أو الخمسين من أهل مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجُدَّة المجدودة أو المجددة ! والطائف المأنوس .. يتذكر أن الفتيات الصغيرات كن يذهبن إلى (الكتاتيب) لحفظ أو تعلم القرآن (وفك الحرف) ولهن (فقيهات) متخصصات للتربية والتهذيب .

وكانت كل واحدة منهن ـــ أو أجلهن ـــ تحمل معها (**قفة**) تضع فيها ما يلزمها من مكسرات أو (**سندويتشات**) .. أو كعك أو جبن أو حلواء .. لأجل الاستعمال وقت الضرورة قبل الانصراف إلى المنازل . وكان شريكهن في محتوياتها (**ستنا الفقيهة**) و (**استيتتنا**) العريفة .. وهناك ما يسمى تبادل منافع أو المعاملة بالمثل في : « خذ وهات » مع الزميلات على اختلاف في السعة والضيق . فقد يكون عند إحداهن ما هو مجرد (فكوك للريق) . وعند الأخرى قطع من « الحلاوة الديبا » أو « دجـاج البر » أو « طبطاب الجنة » ! أو بعض أنواع الفاكهة الغالية الثمن .. أما « القفة » فهي من صنع محلي أو صناعة وطنية . وتتكون من سعف النخل الملون المصبوغ .. والمحلى بالشراريف .. ولها حمالة ، منها . وقد حل محلها الآن شنطة الجلد بفارق واحد هو أن تلك ، للخزين .. الغث منه والسمين .

والأخرى إنما تكون ـــ لحمل أو حفظ مقررات الدراسة والكراريس . وقد افتقد وجود الأولى في سوق التنافس .. وبارت فلم يعد لها من زبون أو زبونة .. وحق لها أن تبقى كنموذج في المتاحف ! مع أمثالها .

فأما (**الجونية**) فإنها خاصة بربات البيوت ولا سيما الجدات اللواتي أرتفعت بهن الأسنان ، وطاحت الأضراس .. ففيها كل ما تحتاجه (العجوز) .. من الإبرة والخيط ، إلى (الصبر والحليت) و « الأدويـة » والمشقـرة ، والمصقلة .. وربما المرآة .. وهي بدورها صناعة محلية . وقد اختفت بالكلية . وأعتقد أنها في أصلها كانت تسمى « الجوانية » لأنها تخفى « جوه » كلما لا يصح أن يعثر (بره) ! ثم أكل الدهر منها الألف . وأخيراً أودي بها كلها مع من كن المدبرات ، والحريصات على كل ما ينفع . مهما دق أو جل .. فلا تسأل عن شيء إلا وتجده في داخل هذه (الجوانيات) وانطوت بها الأيام والليالي ، كما ذهبت بالغلايات والرباعي ! والسنابك والسواعي وصلى الله على **سيدنا محمد** وعلى آله وصحبه وسلم ما دعا الله الداعي ، ورحم الله كل واعية وواعي .

(٦٠) دهنـاء الحجاز !

ما علمت من قبل ما يطلق عليه « الدهناء » إلا هذه المنطقة المعروفة في قلب نجد ... والتي قال فيها الشاعر :

يمرون (بالدهنا) خفافاً عيابهم
ويرجعن من « دارين » بجر الحقائب

وظفرت مصادفة أو اتفاقاً في إحدى المطالعات بأن في وادي ينبع ـــ ربما ينبع النخل ـــ (دهناء) أخرى حجازية .. إلا أنها ربما كانت علماً على موقع أو موضع محدود .. غير شاسع ولا ممدود .. وانى لها ما لدهناء نجد من أحاديث مسلسلة ومن ميزات مسجلة ؟ وما أحسبها إلا من « بنياتها » ولعل (أديباً) كريماً من إخواننا أهل ينبع يشفي ظمأ المعرفة .. أو التعرف إلى دهنائها .. وهل لم تزل تنعت بهذا الوصف حتى اليوم ؟ أم على عليها الزمان ؟ وله الشكر سلفاً .

٦٦١ « شــرح القصيــدة الدريدية » الطبري

وأين هو ؟

جاء في تاريخ مكة : « ان الشريف **حسن بن أبي نمي** (٩٩٢هـ) — وكان أميراً على مكة نحواً من خمسين سنة مشاركاً لأبيه ومستقلاً بها — وكان صاحب فراسة عظيمة وفضل باهر وأدب غض ومحاضرة فائقة واستحضار غريب .. وقد توفي سنة ١٠١٠هـ .. وان الشيخ **عبدالقادر الطبري** تقرب إلى خدمته بشرح القصيدة (الدريدية) — لعلها المقصورة المشهورة — وقدمها إليه وعليها هذان البيتان : مؤرخاً لها أو لانتهائه من تأليفها :

أرخـــنـــي مؤلـــفـــي بيـت شعـر مـا ذهـب
أحمـد جـود ماجـد أجـازنـي ألـف ذهـب

قال الرواي : فلما سمع الأمير البيتين قال : والله إن هذا لغزر جداً بالنسبة إلى هذا التأليف .. ولكن حيث وقع الاختصار عليه فعلى الرأس والعين وأعطاه ألف دينار وذهباً » .

قلت : فهل لهذا الشرح من وجود في المكتبات المحلية أو الخارجية أم خالف الشيخ فذهب مع الذهب ؟! فإن كان موجوداً فلماذا لا يطبع وينشر ؟

سؤال نطمع أن يجيب عليه من عنده علم به في الداخل أو الخارج ، فإنه من التراث الواجب الإحياء .

٦٦٢ العدل (ثلاثة)

فأما الأول فهو ما كان ضد الظلم .. ولا مشاحة فيه ، وأما الثاني فإنه (بأعلى مكة) ويطلق عليه (السد) . وهو مما يلي سفوح (حراء) إلى وادي الزاهر .. وسمي بذلك لأن القدامى أقاموا عليه سداً عظيماً .. يتحول به السيل العرم عن وادي **الخليل إبراهيم** — أي بطن مكة — إلى جهة وادى فخ بالخاء . ومن ثم يتحول إلى طريق جُدَّة . وقد تداعت أركانه .. وسقط بنيانه بمرور العصور .. وجدده المغفور له الملك **عبدالعزيز** تغمده الله برضوانه . وأنشأه إنشاءة أُخرى بالاسمنت المسلح وبدأ به من سفوح « ثبير » إلى أن ينتهي إلى مجراه الطبعي الأول .

فأما الثالث : وهو ما دعاني إلى الكلام عنه في هذه « الشذرة » فهو ما رواه صاحب « تاريخ الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » — العلامة القطبي — وهذا نصه حرفياً : « .. قال **الأزرقي** أيضاً : حدثني **سعيد بن سالم** عن **ابن جريج** عن **ابن ملكية** قال : كان يهدي الكعبة (أي تبع الحميري) .. هدايا شتى فإذا بلى منها شيء جعل فوقه ثوب آخر .. ولا ينزع مما عليها شيء ، وكانت قريش في الجاهلية تترافد في كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد (**قصي بن كلاب**) حتى نشأ **أبو ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم** ، وكان مثرياً يتجر في المال ، فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة وحدي سنة ، وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك إلى أن مات ، فسمته قريش « **العدل** » لأنه عدل قريشا وحده في كسوة البيت الشريف .. ويقال لبنيه : « **بنو العدل** » .

قلت : وإذا جاز القول بأن هذه الكلمة لها رابع في الاصطلاح أو التداول .. فانني لشديد الاغتباط والارتياح معاً .. لاستعمال اخواننا أهل نجد خاصة .. لكلمة «**عدل**» إذا استحسنوا شيئاً .. ووافقوا عليه ولم ينكروه .. وهي من التراث الفصيح الصحيح الخفيف الظريف ..

فهل أجد بعد هذا البحث .. من يقول : (عدل) . ولو بدون إعراب أم أنها في نظر البعض .. (فضاوة) ؟

٦٦٣ « الرد » و « الدول »

قبل أن تتخذ السيارات وسائل للنقل فيما بين مكة وجُدَّة .. أي من نحو ٤٥ سنة .. فما سبقها من القرون الطويلة . كان التجار يطلقون على الجمال المحملة بالأرزاق أو الأمتعة أو الأكسية أو الأدوية .. من جدة إلى مكة — (الرد) .. باعتبار أنه ذاهب آيب متردد بين البلدين بكل ما يستجلبه أو يبعثه تجارهما .. وسمعتهم يطلقون على ذلك أيضاً كلمة « الدول » بضم وتشديد الدال .. وهم — بلا ريب — إنما يقصدون نفس المعنى الأول في « الرد » .. فهو من التداول .. نزولاً وطلوعاً .. كما كانوا يطلقون على الجمال والجمالة أي أهلها .. (الزمل) ! وهي من المزاملة .. والمرافقة .. فأما القوافل فإنها لغة (الرواجع) ! ورغم أنها صوادر ثم رواجع .. وكما كان التجار يسمون محالهم التجارية « المغالق » أي : التي تغلق بعد الانتهاء من البيع والشراء ! وكل ذلك لم يعد مذكوراً الآن . وإنما ندونه باعتبار ما كان وأدركناه من العرف والعادة والاصطلاح ..

وقد كان للحمام — غدو ورواح — و« ترجح » فوق أكياس الحب والشعير والدخن .. فهن يغادرن الوكور والوكون ، قبل الأسفار .. إلى طريق جدة مسافات طويلة .. وينلن من أرزاقهن بمناقيرهن .. ما يشبعهن مع الاهتزاز والابتزاز !؟ فإذا ما دخلت الحمول (البلد الأمين) . رأيت على متن كل بعير محمل بالحبوب أسراباً من الحمام والطيور والعصافير .. يتراقصن فوق الأكياس وفي نشوة واستئناس ودون منفر .. أو مكدر .. ولا يفارقن الأحمال إلا بعد أن (تخرط) في محطاتها أو (مغالقها) فإن لم يكن بعضهن قد أبطن خماصه .. عاد ادراجه إلى نفس الطريق يملأ حوصلته وينصرف بعد ذلك إلى مناهل الماء .. ليكترع منها ما يرويه ! ولا أدري بعد أن تعذر ذلك على ذوات الجناح فوق الإبل هل استعضن عنه ؟ وهل يجدن من السيارات ما يسد ريقهن ؟! أم أبدلهن الله شيئا آخر ؟ ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** ﴾

٦٦٤ الباشا شيخ الحرم المكي والإمام والمفتي

سنة ١٠٩٧ هـ

قرأت حادثة — مضحكة مبكية ، حدثت بمكة في يوم الأحد خامس عشر ربيع الثاني سنة سبع وتسعين وألف ، تلخص في أن مباشرة صلاة الصبح في المقام الحنفي كانت عند الشيخ **تاج الدين بن الشيخ عبدالمحسن القلعي** فتأخر قليلاً فصلى بالناس بعض المجاورين فلما أتم الصلاة سأل **أحمد** باشا شيخ الحرم عن صاحب النوبة الذي

تأخر عن الحضور ، فأخبر به فدعاه إلى (المدرسة الداودية) ثم أمر بضربه على رجليه ! فلما سمع بذلك بعض الأئمة .. أنفوا من ذلك واجتمعوا مع بعض أئمة الشافعية وتوجهوا لأمير مكة .. وعرضوا عليه ما وقع وقدموا استقالاتهم ، لأن هذا الحادث لا يستحق فاعله الضرب على الأرجل .. (أي في الفلقة) — كما يتبادر إلى الأذهان — وأنكر الأمير ذلك على الباشا وطلب فتوى من المفتي بما يجب .. فأفتى بتعزير من فعل ذلك بالإمام .. وقدم الباشا للمحاكمة مع الإمام بين يدي القاضي وبعد ذلك اصطلحوا .. وأرضى الباشا الإمام ، وتجاوز عما ناله من « العلقة الساخنة » بعد أن طابت نفسه ، وبالطبع لم يتخلف بعده أحد من الأئمة عن أداء نوبته في وقتها .. وقديماً جاء في الأمثال : « **السعيد من اتعظ بغيره ! وكله إلا علقة الكبار .. في « الفلقات »** ..

٦٦٥ « لله » و « بالله » بنتا أبي العتاهية

قال **أبو الفرج** في أغانيه : « أخبرني **حبيب بن نصر** قال : حدثنا **عمر بن شبة** قال : كانت **لأبي العتاهية** بنتان إسم إحداهن (لله) .. والأخرى : (بالله) .. فخطب **منصور بن المهدي البنت** (لله) فلم يزوجه ، وقال : إنما طلبها لأنها بنت **أبي العتاهية** ! وكأني به وقد ملها فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأزوجها إلا بائع خزف وجرار ! ولكني أختاره لها (موسراً) اهـ .

قلت : (ما أشبه الليلة بالبارحة) .. فصاحبنا الزاهد .. لم يشترط علماً ولا فقهاً ولا ورعاً ولا تديناً .. ولكنما يختار زوج ابنته (لله) موسراً ! وقد سماها بما يجعلها من القانتات الصالحات وإن كان من واجبه أن يختار لها من يستطيع الانفاق عليها كمثيلاتها .. من بنات عصرها وجيلها .. إلا أن تكون العلة مزمنة منذ أكثر من ألف عام ؟! كما أن عليه أن يعلم جيداً ما قاله الشاعر القديم :

أحلى الرجال من النساء مواقعاً
من كان أشبههم بهن خدودا

وقول الآخر :

وإذا دعونك عمهن فإنه
لقب يزيدك عندهن خبالا

وقد ذكرتني هذه التسمية بما قرأته في (بومباي) الهند عام ١٣٤٣هـ أي قبل نحو (٤٥) عاماً في اللافتات التي ترفع على بعض الفنادق مثل « هوتيل سبحان الله » أو «إن شاء الله » وما هو من هذا القبيل . ولذلك دلالته رغم غرابته في بلادنا من حيث التأثر الديني في إخواننا المسلمين هنالك بكل ما يجعلونه نبراساً لهم ومناراً لسلوكهم العام أو الخاص .. (**وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى**) .

٦٦٦ قل : « غاق » تطر !

مما يروى عن **نصيب** الشاعر الأموي : أنه أنشد يوماً قوله :

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا
لها بارق نحو الحجاز أطير

فسمعه ابن أبي عتيق فقال : **يابن أم** ، قل « غاق » فإنك تطير .. يعني أنه غراب أسود .

قلت : وكثيراً ما تمنى الشعراء القدامى أن يطيروا إلى حيث يلاقون من يحبون ! أو يقيم من به يتغزلون ! ولو هم عاشوا إلى زماننا هذا .. لوجدوا خيالهم « حقيقة » ماثلة .. فلا يعوزهم إلا دفع بدل التذاكر ! سواء أكانوا سوداً أم بيضاً وغرباناً أم عصافير ! ودون ماء « غاق » .. ولا « باق » ولو إلى جزر (واق الواق) ! . وأعتقد أنهم رغم هذه الوسيلة الحضارية الحديثة .. لا يقنعون بها إلا أن تكون لهم أجنحة تسبق الصوت في التحليق .. وقد أُنيطت بمناكبهم لينطلقوا بها كلما عن لهم ذلك ويهبطون بها حيث ما تتفتح الشقائق .. ويحظى بهم الصديق الوامق ! والحمد له الذي « كسر الشوكة وسود رأسها » أو العكس !! وإلا لكان بطن الأرض خيراً من ظهرها .

٦٦٧ الحج كله ططر

من أمثال أهل مكة المكرمة القديمة المتداولة حتى الآن قولهم : « الحج كله ططر »[1] وهم لا يضربونه إلا عندما يضيقون ذرعاً بكل من حولهم .. في الدور أو الأسواق ويعنون بذلك إن الجميع سواء فيما ينكرون وما لا يرتضون !

وقد أمعنت كثيراً في سر هذا المثل .. واستطعت أن أفهم ذلك في حدود مداركي وهو أن موسماً من مواسم الحج في القرون الخالية ــ بعد الإسلام ــ وقدوم حجاج (التتار) أو (التتر) ــ كان جله منهم .. وأنهم كانوا أهل غلظة وفظاظة ، واعوجـاج ولجاج ، وعناد وازعاج ، فضرب الناس بهم هذا المثل ..

(١) (المنهل) : ويضرب هذا المثل أيضاً في المدينة المنورة .

واستعملوه كلما صادفوا من كان على شاكلتهم .. أو قريباً منهم . وتداولوه في هذا المعنى إلى يومنا هذا . وقد أبدلت التاء طاء ، تحريفاً . وكلتاهما قريبة من بعضهما نطقاً .. وأتذكر قصيدة قديمة ، كنت قرأتها في عهد الصبا في كتاب (تزيين الأسواق) ومطلعها : « **عذبت قلبي يا تتـر** » فمن وجد فراغاً في وقته وميلاً إلى قتله ، فعليه باستقرائها ثمة ، إذا شاء .

٦٦٨ خريق العشر (بمكة)

يقع ما بين (السد) قديماً أو العدل حديثاً بأعلى مكة ، وبين وادي فخ بالخاء . أو الزاهر .. واد متعج يطلق عليه (خريق العشر) .. وكنا في عنفوان الصبا وإبان الحرب العظمى الأولى ما بين عامي ١٣٣٥ و ١٣٣٦هـ .. نرتاده في الأمسيات مشياً على الأقدام .. إبتداء من (أجياد) فالصفا ، فالقشاشية ، فالغزة ، فشعب عامر ، فالمعابدة ، فالأبطح ، ثم إلى العدل ومنه نعدل من بعد السد إلى (خريق العشر) .. ثم إلى الزاهر ، أو الشهداء ، وتبدأ هذه الرحلة من الساعة التاسعة أو العاشرة ــ أصيلاً ــ وتنتهي قبل المغرب ، ومنا أو أكثرنا من هو بلباسه الرسمي : (الجبة والشاية ، والعمامة) و « بالشمسية » أحياناً ..

فإذا ما خرجنا عن محيط العمران .. تبادلنا القفز ، والنقز ، والجري ، والعدو ، ــ بسكون الدال ــ وتسابقنا بمقدار ما يحمل الشباب من حيوية دافقة . وهناك نقيم العشاء ، ونسمر إلى أن يطيب السمر ، ونعود إلى منازلنا عن طريق (أبي لهب) بين دعابات ومفاكهات ، ومجارير ومجسات وما كان ذلك عجزاً عن الركوب ولكنه الحرص على الوثوب ، والسعي والركض والدؤوب ، وقد

قرأت **لعمر بن أبي ربيعة** ــ عفا الله عنه ــ قوله :

يا ليتني قد أجزت (الحبل) نحوكم
حبل المعرف أو جاوزت ذا عشر

فأيقنت أنه إنما أراد (بذي عشر) هذا الذي نسميه الآن خريق العشر ، فهو به كثير النبت ، وقد سفلت الطريق في وسطه واخترقته السيارات ، وسيمتد خلاله البناء ، ويتوافر فيه الماء ، وتتلألأ الكهرباء ، وما هي إلا الذكريات والتأوهات ، على ما فات ، ورحم الله **أبا العتاهية** إذ يقول :

« روائح الجنة في الشباب » (ومن ترك المشي تركه المشي) .

فاحرصوا عليه أيها الصاعدون تنجوا من داء الركب !

٦٦٩ « السنبوسك » قديم

كان ــ في الصدر الأول ــ من الإسلام يسمى : « السنبوسج » وأبدلت الجيم كافاً .. وأكثر ما يستعمله الناس في (فكوك الريق) في شهر رمضان ، غالباً ، وما هو في أصله إلا دخيل (معرب) وهو نوعان (حلو) و (مالح) وذاك يحشى باللوز والجوز والفستق والبندق ، والآخر باللحم المفروم والبصل والبقدونس ، قال **محمد بن مالك الخزاعي** : سمع أبو الحرث (جمين) مغنية تغني قول **عمر بن أبي ربيعة** من قصيدته الرائية المشهورة ، التي كان يرددها الحبر **ابن عباس** رضي الله عنهما :

أشارت بمدراها ، وقالت لاختها
أهذا المغيري الذي كان يذكر ؟

فقال جمين : امرأته طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلا لتفقأ عينه ، هلا أشارت إليه (بنقانق) مطرف بالخردل ؟ أو (سمبوسجة) مغموسة في الخل ؟ أو لوزنجية شرقة بالدهن ؟ فإن ذلك أنفع له ، وأطيب لنفسه وأدل على مودة صاحبته . اهـ .

قلت : وبهذا يكون السمبوسك . بالكاف وبالجيم معروفاً ومأكولاً من ذلك العصر السحيق ، مع التطور في أشكالها وأنواعها أما (النقانق) فقد نستفيد منها قولنا إلا (فلان إنما ينقنق) أي يأكل قليلاً قليلاً ، وهي من الأطعمة الحاذقة ، أو الحامضة ، أو المشهية ، ولعلها ما نسميه (الزلطة) وهي بالزاي أصح من السين .. لأنها مما يزلط بها ما بعدها أو معها ! فاما إستنتاج (جمين) فلا أكاد أراه صواباً إلا أن يكون حاقداً أو عزولاً أو ملتزماً بالوقوف عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا هو الأصح ، وإلا حق بالاعتبار والاكبار !

٦٧٠ « البسط » بين الحجاز والعراق

أما في الحجاز ، فإن البسط إنما يعني عند أهله قديماً وحديثاً انشراح الصدر ، والسرور والحبور ، والاغتباط .. فإذا ما قضوا يومهم في قيلة .. أو ليلهم في سمرة .. وتلاقوا بمن لم يحضرهم .. آسفوه على ما فاته .. وقالوا له : تذكرناك أو تمنيناك معنا فكم كنا في غاية الانبساط . وأرى ذلك صحيحاً من الوجهة اللغوية البحتة ، فإن ضده (القبض) .. وهو لا يصلح حتى في (الأحقاد) . إلا أن يكون تسلماً للدراهم .

وسمعت من بعض القوم من يقول لصاحبه متهكماً : « بسطك الله بسط أهل بغداد » وفهمت أن البسط هناك إنما يعني الطرح أرضاً ، والضرب رضاً ، وطولاً وعرضاً ، والعياذ بالله . وشتان ما بين المدلولين ، والاصلاحيين ، ولا أستطيع الجزم بصحة ذلك .. إلا أنني أرجو من الله « الباسط ، القابض » أن يوفقنا جميعاً لما تقر به العيون .. وتثلج الصدور .. وإلى الله تعود الأمور .

٦٧١ حديقة « هايدبارك » و « مربد البصرة »

يتحدث كل زائر لـ « **لندن** » أو قادم منها عن (**حديقة هايدبارك**) .. وما تضمه من أشتات الناس وطبقاتهم وجنسياتهم ، وثقافتهم . وإن لكل واحد منهم ملء الحرية في أن ينتبذ إلى مكان منها أو يعلو منبراً أو نشزاً أو شجرة ، وينطلق لسانه بما وراءه من آراء ونظريات صحيحة أو سقيمة ، ولا يجد من يعترض على موقفه إلا أن يتجاوز حدود النظام ، ويلتف حوله الناس كما يشاؤون .. على قدر تأثيره فيهم وينصرفون عنه إذا لم يرق أنظارهم إلى حيث يستهويهم الخطيب أو الأديب الآخر .

ونقرأ في « الأغاني » وغيره عن « **مربد البصرة** » في عصر **جرير والفرزدق والراعي والعجاج** وطبقتهم من فحولة الشعراء والرجاز « إنه كان لهم بمثابة هايدبارك عربية ، وان الناس كانوا يخرجون إليه كل يوم ، ويعرف كل فريق مكانه فيه ، فيجلس فيه ينتظر شاعره » اهـ . وقد غلبت على المربد سمات البداوة دون الحضارة .

قلت : غير أنني ألاحظ مع ذلك فرقاً واحداً بين (المربد) القديم و (هايدبارك) الحديثة وهو : أن الأول لا يؤمه غير العرب الأقحاح والمستعربين ممن يفهمون لغة العرب وكانت ميزته الغالبة الأدب والشعر واللغة اللهم إلا أيام (وقعة الجمل) فقد ازدحمت به الجيوش وأُلقيت فيه الخطب وتصايحت به الخصومات وعولجت فيه موضوعات السياسة والحرب ! فأما الأخرى فأحسب أنها تجمع كل أبناء آدم وبنات حواء ، على السواء ، ومن كل حدب وصوب .. ومن كل ملة ونحلة ، وأن وراء شجيراتها ، أو غاباتها ، أو زواياها تعقد صفقات الهوى الجامح ، أو الطامح ، أو القارح ، أو الكادح ! وإن ما عادت به أيام المربد على الأدب العربي لأبقى وأكرم وأغلى وأثمن من كل ما تتجاوب به الأصوات عبر (التايمس) .. أو (السين) « وواق الواق » مع الصين ، والله يحب المحسنين .

٦٧٢ بالله عليك (انكتم) !

مهما يتضايق سامع من متحدث فيما يتوسع فيه أو يدعيه ، أو يتزيد به كاذباً ، يبادره بهذه الجملة : (أسكت وانكتم) ، فإذا استرسل ، أقسم عليه ، وقرأت لذلك أصلاً شعرياً قديماً ، قال **خداش بن زهير** :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة
على « سخينة » لولا الليل والحرم
إذ يتقينا هشام بالوليد ولو
أنا ثقفنا هشاماً شالت الخدم
بين الأراك وبين المرج نبطحهم
زرق الأسنة في أطرافها السمم

فإن سمعتم بجيش سالك (شرفاً)
و (بطن مر) فأخفوا الجرس واكتتموا

وعجبت كيف أن كثيراً من المصطلحات الموغلة في القدم تنحدر مع الأيام إلى أكثر من ألف عام ، تارة بالنص وأُخرى بالمعنى ، ويراد منها في مدلولها عند البعض (**نقطنا بسكوتك**) ! وهي تعني أن سكوت من كان يتكلم يعتبر (كالنقط) الذي ينثر على (العرائس) فهو كمن يهب ذلك منه ويشكر عليه ! وقد يتأوله « الذكي » فيجعله كتنقيط (الماء) قطرات في (حلقوم المحتضر) .. وقلما يتعرض لهذا الازدراء ، إلا من غلب عليه الافتراء ، أما من أكثر من الهذيان ، والغثيان ، فهو خليق بالتجاوز والتسامح ، والغفران .. وأحسبه الاعراض دون الاعتراض .. فما يعاني بذلك إلا أعضل الأدواء وأعيا الأمراض ، ونسأل الله العفو والعافية .

(٦٧٣) بين «السلامة» و«المثناة» و«طبقان العرابي» ؟!

كنت خلال إصطيافي السنوي المتوالي بمدينة (الطائف) نحواً من ثلاثين عاماً أتخير في العشيات (مكاناً) عالياً يتوسط محلتي السلامة ، والمثناة . وهو (ربوة) أو جبيل يقع على يمين السائر إلى المثناة ، من بطن قروة ويشرف على كل ما حوله من الحدائق والبساتين ، ويفصل بينه وبين جبل (**السكارى**) واد يبدأ من (**بئر عجلان**) . وتتأود أمامه مباشرة غروس ميادة مياسة من شجر « الخوخ » وغيره ، وتنبسط ركبان « البرسيم الأخضر .. الهفهاف » من كل الجوانب ، وكنت قد حاولت أن أحتازه بالتملك أو التحكير .. ولم يأذن الله بذلك ! وكان في ذروته .. مقعد صخري طبعي ، منحوت في أصل الصخر ، أتمكن فيه من الاتكاء والاستناد ، من جوانبه الثلاث غير واجهته وكأنما هو (كرسي) ممهد للجلوس وأحسبه ما يزال باقياً كما هو حتى الآن . وهنالك قضيت أُمسيات ذات ذكريات ، وقيلات وسمرات ، بين الطرف والتحف . وكل ما حوله ، ينضج بالبشر والحبور ، أو كما قال شاعر العرب في «رائيته» الخالدة :

والصبا تخفق في أطرافها
مثلما يخفق في القلب السرور
وبطون القاع حامت فوقها
قمم الهضب كأسراب النسور
كم خلونا بين أحشاء الربى
خلوة الورق جثوماً في الوكور
وتشاكينا تباريح الجوى
بيننا السوسن مستحي غيور

إلى أن يقول :

ويد تمسك منا بيد
تقصد الرعشة فيها وتجور
سبحي أيتها الطير له
وأملئي الجو غناء وحبور
قل لمن ألهمها تسبيحها
هكذا الجنة والعبد الشكور

وكان كثر ما استمتعنا بذلك .. بين عامي ١٣٤٩ ــ ١٣٧٢هـ . ثم طوى البساط ولم يقدر لي بعد ذلك الاصطياف الطويل ، مع الحسرة والندم ، وافتقدت جل من كان معي من الرفاق والأصدقاء وسبحان من له الدوام جل وعلا .

وقد دعاني إلى هذه الديباجة أو المقدمة ما قرأته في « كتاب الجليس » للموسوى المكي وقد فرغ منه في عام ١١٤٨هـ أي قبل نحو من ٢٤٠ سنة . وهو مجلدان طبعا في مصر عام ١٢٩٣هـ أي قبل ٩٣ سنة .. وأصبح الورق فيها « شبه المومياء » لا يكاد يستطيع احتمال اللمس ، وهما حريان بإعادة طبعهما طبعاً مهذباً[1] مرتباً ، مفهرساً ، وبأن يلحق بهما تعليق ممن يهمه بقاء هذا التراث الأدبي التاريخي ، وقد تضمن رحلات « المؤلف » في داخل الحجاز ، والجزيرة وبلاد الهند وغيرها ، كما احتوى على استطرادات ومفاكهات واجتماعيات ، وأخبار وأحداث ، تمثل الحياة كما هي في عصره . رحمه الله ، بل وفي عصور سابقة .

وكان مما قرأته له فيه .. وحملني على كتابة هذه الشذرة .. قوله في كتابه هذا في (المجلد الثاني) في سنة ١١٤٠هـ ، وهو بالطائف — : « وصمت هناك شهر رمضان . وفي سادس عيد الفطر (قيلنا) في « الواسطة » صحبة عين الأعيان الحلبي **زين العابدين بن المرحوم مصطفى حميدان** ، وبعض الاخوان ، أهل الفضل والإحسان ، و(الواسطة) بستان للجناب العزيز الركن الحريز ، رئيس الزمان ، ووحيد الأقران ، بحر الكرم الرابي .. « مولانا الشيخ **سليمان بن أحمد العرابي** » وسمي هذا البستان (بالواسطة) لأنه بين أرضي المثناة والسلامة . وأرخته بقولي :

صاح شاهد (مقعد) العز الذي
قد حوى الأفراح حقاً ، والتصابي
وسط بستان أنيس ، زاهر
كامل الأوصاف من غير تغابي
وبه الأشجار ، قد شبهتها
غادة ماست ، بألوان الثياب
وطيور السعد تشدو فوقها
(بالرهاوي) أو(الحسيني)و(الحراب)
وعيون الخير تجري تحتها
والهنا حف بها من كل باب
كيف لا ؟ وهي لمن حاز العلى
وتردى بالتقى ، عالي الجناب
ولسان الحال ، قد أرخه
بيت شعر ، فاق لطفاً يا صحابي
« مجلس الأنس ، وقد أسسه
(كيمياء) الجود سليمان العرابي »!

ملاحظـــة :

كدت أتصرف وأسقط همزة الكيمياء ليستقيم الوزن لولا أنني خشيت أن يضطرب حساب التاريخ . فتركته .. على مسئولية الشاعر .

قلت : وهنا استطعت أن أعرف سر تسمية هذا الجبل أو الأكمة .. الشامخة . (**بطبقان العرابي**) وما يزال هذا الاسم عالقاً بها حتى يومنا هذا ومعروفة به عند « أهل الديرة » كلهم . ومما أذكر في سفحها إحدى الليالي أن سائق سيارتي كان شاباً قوياً ذا لحية ، وهو نهم أكول .. ويرجع أصله إلى بلاد الهند المسلمة أو (باكستان) .. ولم أجد له قريناً في مهنته على الإطلاق حتى الآن . ويسمى «غوثاً» وانحدر قبلنا ليدير محرك السيارة بعد صلاة المغرب وهو محافظ على فروضه ونوافله ، وأداء واجبه في أدب

---

(١) (المنهل) : نتقدم برجاء تحقيق هذه الفكرة إلى دور النشر : دار النشر السعودية بجدة ، ودار الفكر بجدة ، والمكتبة العلمية بالمدينة المنورة .. ونعتقد أنها بإحياء التراث العلمي الأدبي لهذه البلاد ، ستجني ربحاً مادياً ومعنوياً .

وحشمة ووقار ، فما كاد يتوسط طريقه حتى أقعى صائحاً يتلوى ! وبهتنا لما أصابه ، وظهر أنه (ملسوع) وقد ضربت أسفل قدمه اليمنى « عقرب » جبلية .. ولا سائق لنا سواه يعيدنا إلى دورنا .. ومع ما كان يعانيه من آلام مبرحة . أخذ « الدركسون » وانطلق كالمارد .. أو كالطائر وكانت لحظات رهيبة وهي الظلام الدامس . وحلماً بلغنا الدار .. أخذ أحدنا وهو (**الأخ جميل محمد عرب**) بالموسى وشرطه عدة شرطات في موقع الألم وكبسه ، « بالثوم كبساً » ! وبعد نصف ساعة ــ سكن وجعه ، واستفحل جوعه ، وتناول السليق ، وكل لقمة منه تعادل (رطلاً) .. وكان المعالج يداعبه .. بقوله : لو علمت أنك (غول) تحرمنا من عشائنا لتركت السم يجتاح دماغك وأرساغك ، ولم يعد إلى (الطبقان) إلا بعد أن أفرغ كل (الأطباق) .. وسقى الله (وجاً) وما فيه ، ومن حل في مغانيه .

٦٧٤ « العرار » بالفتح غيره « بالكسر » !

ما من اديب أو شاعر الا وهو حافظ او واع لأقوال الشعراء في (عرار نجد) .. بفتح العين ، **ومن ذلك البيت الذي لا يجهله متأدب :**

تمتــــع من شميم عرار نجد
فمـا بعـد العشيـــة من عرار

غير ان هناك اسماء يطلق علي لعمر بن شاس الأسدي وهو «عرار» بكسر العين وقد شرح معنى العرار بالكسر (ابن عبد البر) **فقال :**

«العرار بالفتح شجر» ، والعرار بالكسر «صياح الظليم» .

وقد وفد عرار هذا على **عبد الملك بن مروان** من قبل **الحجاج بن يوسف** برأس **عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث** ، فكلما شك في شيء من كتاب **الحجاج** سال عنه (عراراً) فأخبره ، فعجب من بينه وفصاحته مع سواده **فتمثل :**

وان عراراً ان يكن غير واضح
فاني احب الجون ، ذا المنكب العمم

قلت : وبين الفتحة والكسرة ، يتحول المدلول ، من النبات إلى الحيوان .. وما اوسع لغة الضاد ، لمن خاض فيها أو سبح ، واغتبق منها أو اصطبح ، هيهات !! الا على من يسره الله لإحيائها وانمائها .

٦٧٥ الحقيقة بنت البحث

هذا مثل يعرفه ويكرره جميع المثقفين . واني لعظيم الاغتباط بما وضحه فضيلة الأخ الأستاذ الجليل الشيخ (عثمان الصالح) في (منهلنا الأغر) عدد جمادي الثانية ٨٧ بعنوان (هيء ــ هيء) . تعقيباً على ما سبق ان تساءلت عنه بشأنها في احدى الشذرات ، وهو بذلك لا ريب اعلم وادري ، فما كتب لي ان استمع إلى هذه الكلمة .. في موارد الإبل لأنني وان كنت قد مررت «بالمويه» و «مرات» ، عدة مرات الا انني كنت ــ على ما يظهر ــ بعيداً عن « القليب » ، والرعيان وما كان لي من اهتمام بذلك آنئذ ! وقد استفدت من كلمته المشار اليها انها لا تقال الا حين ما (تورد الإبل) .. لا حين تطعم أو تعلف

ولا شك أن صاحب المنجد كان واهماً .. أو ناقلاً عمن لا يفهم انها تقال للإبل عند ما تدعى بها للعلف !! ومن هنا كان تعليقي عليها . (خطأ) واستغفر الله .. هذا واعتقد ان الحيوان اذا تعود على ما يدعى به أو يزجر ، وما ينهي عنه أو يؤمر ، فانه لا يشق عليه ادراك ذلك .. بل ان له من الذكاء .. ما يجعله قوي الحساسية .. إلى درجة لا تكاد تصدق ! فهو يتأثر بالحداء .. ويغضب من التحدي ! ويستحي من التكشف !! ومعذرة إلى أخي العزيز .. وشكراً لأفضاله وارشاده ، وما لهذا لفهم الخاطىء من سبب الا الانقباض أو الاكتفاء .. بالغرفات ! وعدم ارتياد الفلوات ! « وما راء كمن سمعا » !!

٦٧٦ تقديم الفاكهة في الموائد

يختص أو يمتاز اخواننا اهل نجد بعادات حميدة توارثوها ، مأثورة عن نصوص شرعية حكيمة . فهم يقدمون إلى الضيوف (الفاكهة) أولاً .. فيما يسمونه «الميوة» ولعلها كلمة فارسية او أوردية .. واول ما شهدت ذلك ولفت نظري في مائدة العلامة الجليل رئيس القضاة سابقاً في الحجاز سنة ١٣٤٤هـ و ١٣٤٥هـ واوائل عام ١٣٤٦هـ سماحة المرحوم الشيخ **عبد الله بن سليمان ابن بليهد** تغشاه الله برحمته ، انكرت ذلك في نفسي لما اعتدناه من تأخيرها بعد الطعام ، وتبين لي ان اتباع هذه الطريقة كان مبنياً على قوله تعالى : ﴿ **وفاكهة مما يتخيرون** ﴾ .. ثم ﴿ **ولحم طير مما يشتهون** ﴾ .. فدل التقديم هنا على صلاحيته ! فما لهؤلاء الذين يحرصون على التأخير لا يأخذون بهذه العادة الصحيحة ، واحسب ان الطب القديم والحديث مجمعان على ذلك ايضاً ، قال **جمال الدين القاسمي** في كتابه « موعظة المؤمنين » : (وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل)اهـ .

قلت : فأين نحن من المسنون ؟! وهل لنا ان نبدأ بالتين والزيتون ؟ أم لا بد من الاستمرار على الخطأ مع وضوح الصواب ؟!

٦٧٧ مائة خطوة ، بس : أي فقط !

وأقول : « بس » — بفتح الباء — وينطق بها صاحب اللثغة الحلوة « بث » .. وما أدري من أين هي جاءت ؟[1] .. ومعها اختها « بس » بكسر الباء — وقديماً قال الشاعر :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

فأما مائة الخطوة .. فهي موضوع هذه الشذرة ، قال أحد الاطباء القدامى طبعاً : (لا تنكح من النساء الا فتاة ، ولا تأكل من اللحم الا فتياً ، ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ، ولا تشربن دواء الا من علة ، ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ، ولا تأكلن طعاماً الا اجدت مضغه ، ولا تشربن فوق الطعام ، ولا تحبس البول والغائط ، واذا اكلت بالنهار فنم ، واذا اكلت بالليل فأمش قبل ان تنام ولو مائة خطوة)اهـ .

(١) المنهل : في بعض قراءات رئيس التحرير اطلع على انها فارسية الأصل . ولفضيلة صاحب الشذرات عود إلى هذه الصيغة في الشذرة الآتية ٧٠٢ .

قلت : كل هذه الشرائط مجمع عليها بين العصور السابقة واللاحقة . الا ان جماعها كلها ما هو وارد في القول المأثور : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع . واذا اكلنا لا نشبع » فلو قد اخذ الناس انفسهم بذلك .. لأراحوا « الاطباء » والعيادات ! والادوية والصيدليات . ولكن هل يستقيم لمن تعشى ان يتمشى ، ولمن تغدى ان يتمدى ؟ كقاعدة عامة دائمة .

اغلب الظن : ان ذلك يخضع للسن .. والعمل .. والقلق .. والطمأنينة ! فأما شرب الماء والامتناع منه مع الطعام فانه يختلف بالتعود .

وفي الصيف لا محيص من الماء البارد لا سيما مع الرطب الحار وهما فيما يروي النعيم المسؤول عنه يوم الدين .

١٧٨ الدكتورة «بنت منلا أمان»

قبل ستين عاماً بمكة !

قليل من الاحياء بمكة المكرمة من أدرك هذه الظاهرة العجيبة ! والتي كانت فيما اعتقد هي الأولى والأخيرة من نوعها .. فقد شاهدت بأم عيني « امرأة » ذات وقار وسمت ، وكانت تسمى « الدكتورة بنت منلا أمان » .. رأيتها عدة مرات تخترق شوارع مكة وازقتها .. راكبة على (حمار) ضخم ممتاز .. تعلوه (بردعة) يطلق عليها (الفولاني) وهي من الحرير الغالي ولها اهداب ، تتدلى على جوانبها !! ولها (مركب) من الحديد .. أو المعدن الأبيض .. ويمشي من تحت قدمها اليمنى — سايس — أو خادم .. يحمل حقيبتها الطبية .. ويستدعيها الاثرياء والوجهاء والاعيان .. لمعالجة اسرهم .. أو حتى مرضاهم من الرجال .. وكانت محجبة حجاباً لا يكاد يظهر به منها حتى كفها . وبماذا ؟ بالبرقع والملاءة .. أو (الملاية) كما ينطقها اهل مكة[1] .. (عدى الخف والبابوج) .. فاحسبها كانت تتخذ الجزمة .. أو الكندرة غير ذات الكعب العالي وكان لمرورها .. اذا مرت .. ضجة ولجة .. وربما متابعة إلى الدار التي تقصدها .. وكان ذلك ما بين عام ١٣٢٧هـ ... و ١٣٣٠هـ... فما بعدهما حتى غاب شبحها .. وواراها الثرى . وكانت ذات سمعة عالية ومكانة محترمة . ولا ادري من أين كان اكتسابها لعلم الطب ؟. وهل هو وارثة عن أبيها .. أو هو مجرد الهواية والاجتهاد ؟ وقد مكن لها فيه طول التجربة .. ونجاح ما تولته من المعالجة .. كما لا ادري ان كانت تصطنع العقاقير اليونانية و (الاقرباذينات) الهندية ... كما هو العلاج الشائع الدارج في ذلك العهد غالباً ؟ أم تصرف ايضاً وصفات (روشتات) صيدلية على الطريقة الطبية الحديثة ؟! مع السماح لها من ادارة الصحة التركية .. يومئذ ، وقد كان عدد الاطباء بمكة محدوداً جداً . وساعدها الحظ من حيث ان الناس كانوا لا يسمحون للذكور من الاطباء ، بأن يتولوا معالجة النساء ... فكانت ذات سوق رائجة ، وما في البلد الأمين سواها لهذه المهمة .

من حق التاريخ ان لا تنسى هذه الدكتورة الأولى في (وادي ابراهيم) . وقد مضى على العهد بها ستون حولاً . اما اسمها ... فما عدت اتذكره الآن .. رحمها الله .. واحسن مثوبتها ، فانها تعتبر (نادرة) فذة في شكلها وموضوعها وعبقريتها ومحافظتها ووقارها . ونرجو ان يخلفها من فتياتنا

---

(١) (المنهل) : وكذلك اهل المدينة ينطقونها وهي بكسر الميم .

المصونات من يسد الفراغ .. في نطاقها المشروع ! .

٦٧٩ من العوائد الطيبة القديمة

... ورغم انني حتى الساعة لم أقف على أصل تسمية « **الأخوة المتحابين** » أو الاصدقاء المتلائمين أو الرفاق المنسجمين باسم « **البشكة** » ولم استطع أن اعيدها إلى إحدى اللغات الأخرى .. الا ما الهمه قديماً ... وهو قول اخواننا الأتراك : (**بوبشكة .. بو بشكة**) .. أي هذا شيء .. وذاك شيءآخر .. أقول : انني رغم ذلك فانني ان جهلت مصدرها اللغوي .. لأميل إلى أنها لم يكن لها أساس عربي ولا تركي .. ولا نهرواني !! فقد تكون محرفة بطول الزمن ، فإن مما اصطلح عليه الناس ، واستعملوه ، إلى عهد قريب : كلمة تكاد تقرب منها وهي : « **الوجاق** » . وجمعه « وجاقات » . فلعل (البشكة) في نطقها حرفت من (**الوجكة**)[1] على ما في ذلك من بعد وتكلف .. ذلك ان (الوجاق) فيما علمت ، هو مجتمع من يتلاقون لتناول القهوة أو الشاي .. وحتى الآن نجد استعماله رائجاً .. في (المقاهي) العامة .. وحتى في الدور الخاصة ! وبعد فما علينا من كل هذا فانها « البشكه » وكفى ! .. وهي الجماعة من القوم تجمع بينهم المودة ، ويقترن بها المفهوم الخاص بهو وهو « **السمر والقيلات** » والاستجمام والنزهات . وقد تضاءل تداولها .. بانعدام أهلها ... أو الذين تتوافر لهم أوقات الفراغ .. إلّا فيما ندر ، وهي ان وجدت احياناً فانها على نسبة سنة أو اكثر .

فقد ادركنا القوم في جميع المحلات أو الحارات ، ومن كافة الطبقات .. لا يكاد شخص واحد منهم يخلو من « **بشكة** » أو (**شلة**) يمتزج بها أو معها .. ويصعد أو يصوب أينما هي اتجهت أو صعدت أو هبطت ! ويغلب ذلك في زمن « **البصارة** » أي الاشهر التي قبل حلول موسم الحج .. والتي تعقبه لتفريغ الجيوب ، وتفريج الكروب ، وسماع الالحان .. وكانت ركائبها إلى خارج العمران ، كالزاهر أو « **الجعرانة** » أو « **منى** » أكثر ما تكون على « **الاعيرة** » و « **البغال** » ! أما ما كان داخل المدينة فعلى الأقدام وتتفاوت أهدافها بين بعضها ، على مقتضى التجانس والتفاهم ، والغايات والاتجاهات .. ثم شغل الناس بما هو أهم من مشاكل الحياة .. وصرفهم ، أو صرف أكثرهم ، ما هم يعانونه من مشاغلها ، وملابساتها المتجددة ، المتعقدة ... ناهيك بما استجد من هذا (**الراد**) كما يقول الأستاذ **الطنطاوى** بارك الله فيه .. أو « **المرناء** » كما اقر تعريبه أستاذنا اللغوي (**أبو نبيه الأنصارى**) .

وما اردت من هذه الشذرة الا حكاية صورة ما تزال ماثلة في ذهني حتى الآن ، عن هذه « **البشكات** » أو « **البشاك** » — بكسر الباء — .. وقد كنت مقدماً في احداها ، وقائماً بها كأحد الاشياخ ، مسئولية ، لا سنا .. وهو « الذي يتولى كل ما يتعلق بحركاتها وسكناتها ، وطعامها وشرابها ، ويتحمل الضنا والعناء في سبيلها ، ويصرف كل النفقات ، ثم يجعلها بالقسط أو بالميزان من (**الطاقم**) المتألف منها » .

---

(١) « المنهل » لعل ما ذكره أستاذنا البحاثة عن تحريف صفة (الوجكة) إلى (البشكة) بكثرة التداول هو من نوع تحريف كلمة « ثلة » بالثاء المثلثة إلى صيغة : « شلة » بالشين المعجمة . وللعامية ضروب ومفارقات في فن تحريف الكلم عن صيغها الأصيلة .

فكان مما يحمد من العوائد آئنذ ، أن يكون المقدم محل ثقة اخوانه ، واعتبارهم وائتمانهم ، وانه إذا بلغ ما صرف على بشكته خلال أسبوع أو أقل أو أكثر مثلاً ، مبلغاً معلوماً من المال ، كمائة ريال مثلاً ، فإنه إذا أراد الحصول عليه منهم ، لم يجعلهم في الدفع كأسنان المشط ! ولكن كأصابع اليدين ، بين قوي وضعيف ، وثخين ونحيف ، وغني وفقير ، ومثر ومترب ، وقادر وعاجز ، ويدخل في حسابه مع هذا ما قام به كل واحد منهم « لتوفير الانبساط لهم جميعاً من خدمات بدنية ، أو ألحان شجية ، أو طرف أو نكات أو فكاهات . وربما زاد على ذلك ما لا يحصى من الاعتبارات . و (كل لبيب بالاشارة يفهم) فهو يأخذ من زيد ، عشرين ريالاً .. ومن عمرو ، عشرة .. ومن خالد خمسة .. ومن بكر ثلاثة .. وهكذا .. بحيث لا يشق عليهم ما يدفعون .. ولا هم بذلك يعلمون ويعمد مع هذا إلى شيء أدق منه وأحكم .. وهو ان يفرض في نصاب المصروفات ، ما يجب ان يكافأ به البعض ممن ساواهم في كل شيء ، واستمتع بكل ما استمتعوا به ، مادة ومعنى ، إلا أنه أدق خدمة وأكثر .. وحرمه هذا العمل من مصرف كان يحصل عليه لأهله أو ولده من عمله ، أو سعيه فانه لا يبوء إليهم الا ومعه ما يعوضهم عما افتقدوه بغيابه ، أو استدانوه حتى ايابه . واهم من ذلك كله ــ وهو موضع التقدير ، ورمز المروءة ، وموطن الاقتداء ــ أن الجميع لا يعلمون بما تم وما قسم ، أو وزع ، أو تسلم ، حرصاً على عدم « كسر الخاطر » . ولئلا يستنكف أحد عن الأخذ أو العطاء ، مهماً زاد أو نقص . وكل ذلك انما يكون سراً لا يحيط به (غير المأمون أو المقدم فقط) . فلا يملك انسان ان يعير الآخر بانه في اخوانه من سقط المتاع ، أو انه ليس من اهل « الصفايا أو المرباع » . وهذه فيما اعتقد احدى مكارم الأخلاق ، وتدخل في أبواب الحسنات المستورة . وما كان ذلك جارياً في وسط بداته أو بلد دون آخر ، بل انه عام تقريباً في جميع «الشلل» أو البشاك . هذا اذا لم تكن « الخرجة » أو « القيلة » أو « السمرة » ـــ تبرعاً خاصاً ينهض به واحد منهم ، لمناسبة تدعو إلى ذلك ، اما ما يسمى « « الباى » . وهو ايضاً مجهول الهوية عندي فلا سبيل فيه إلى التجاوز ، الا على الطريقة السالفة ، والتصرفات الآنفة .

وكم كان للبعض من خفيفى الارواح .. لا العقول .. أو هما معاً ، من (مقاطب) مقصودة ، ومفاجآت يعدونها (بريئة) .. وهي اكثر من مهمة مع المقدمين أو المشايخ خاصة ، وقد اكلت منها ما (اضطرني إلى الاستقالة !! ومن ذلك اغراؤهم « الحمال » من قساة الرؤوس أو القلوب .. على الاشتباك مع المقدم في تقدير اجورهم ... وحملهم على الخصام معه والمعاركة ، والمشاكاة .. حتى لتبلغ في بعض الظروف درجة (الملاكمة) وهم يتفرجون ، أو يستهزئون . أو « الشرطة » .. والجر والعر ... وهم يتفاخرون ويتضاحكون !. وكل ذلك كان عندهم من أسباب المسرة .. ومباحات المجون !.. وهو على ما فيه من الازعاج كان مقبولاً ومحمولاً ، ولا يحصيه العد ولا التعديد !.. واني له ان يعود بعد أن ضاقت الصدور .. (ولله عاقبة الأمور) .

٦٨٠ «اخ» - «اخ» بكسر الالف وسكون الخاء

تكرم أخي الكريم الأستاذ **حمد محمد العبيدي** ــ بارك الله فيه ــ فكتب لي في ١٤ــ٥ــ١٣٨٧ رسالة كريمة تتضمن ايضاحاً فياضاً واجابة عما كنت أوردته في الشذرة رقم ٦١٩ ــ في المنهل الأغر بعدد شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ . (وقد اعتذرت إليه بعدم وصول رسالته الأولى في حينها مع الشكر) .

قال رعاه الله : « .. يقول رعاة الإبل في بلادنا (أوهى) .. لا (هىء) ترديداً مرتين ، أو ثلاثاً ، لإيقاف الإبل عن السير . ومثال ذلك يقول احدهم : (اقهر .. اقهر) .. اي قف . فيردد الآخر تلك الكلمة (أوهىء) (أوهىء) مرتين أو ثلاثاً .. فتتوقف الإبل عن السير .. وما يشذ منها يرد بالعصا .. بعد ترديد كلمة تشبه الكلمة الآتية سمعاً : (قررر) ! ويجري استعمال تلك الكلمات لإيقاف الإبل بالمناخ ، أو للشرب ، أو للمرعى ، فإذا اريد تنويخها يقول الراعي : « اخ » « اخ » ــ بكسر الهمزتين ــ يرددها مرتين أو ثلاثاً مع الضرب الخفيف على قوائمها (بالعصا) أما إذا أراد استنفارها فإنه يردد كلمة : (قق) (قق) مرتين أو ثلاثا . فاذا أراد حثها على السير ردد كلمة (رحى) مرتين أو ثلاثاً مع ترديد كلمة (قق) السابقة ، ومع لكزها بالعصا .»اهـ .

قلت : ورغم أن بعض الألسنة قد تخرج من وراء الشفاه ، استنكاراً للاهتمام بمثل هذه التوافه ، إلا أن هذا كان من المستعمل المتداول ، طوال القرون السالفة .. وهو لا يمنع الانصراف إلى ما هو أهم وبحسبه أنه لمجرد الاحاطة به ، أو تسجيله على الأقل ، ورعى الله الجمال والزمل : ــ الجمال ــ بضم الجيم ــ والزمل ــ بسكون الميم ــ وشكراً جزيلاً لصاحب التعقيب والايضاح .

٦٨١ كراع الغميم ، وضجنان

... وجاء في رسالة الأستاذ **العبيدي** إلى كاتب هذه الشذرات ، تفصيل مفيد عما تساءلت عنه في الشذرة (٦٣٢) من المنهل الصادر في شهر ربيع الأول ١٣٨٧هـ فيما يتعلق (**بكراع الغميم وضجنان**) .. قال أثابه الله : « أما عن ضجنان فالمعروف أنه من الأودية التي تقع قرب «مدينة جُدَّة» ــبضم الجيمــ شمالاً وجنوباً ، فبعد (**كراع الغميم**) يقع (**وادي عويمر**) وتتدفق سيوله من ضفة الحرة ، جنوباً . ومن الجبال التي تقع عنها شرقاً ، ثم تتجه نحو الغرب ، وتنصب في خليج (**أبحر**) ، ويصب في وادي عويمر ، وادي (**أم حبلين**) وهو اسم للوادي ، ولبئر تقع فيه ، وتتدفق سيوله من تلاع وسفوح الجبال التي تقع شمال (وادي بريمان) . وتجري نحو الشمال ثم تنصب في وادي عويمر . ويكونان مجرى واحداً يصب في خليج (ابحر) ويلي ذلك وادي بريمان وهو اسم للوادي المذكور ولجبل أحمر يطل على الوادي ، ويحمل نفس الاسم ، كما توجد آبار في نفس الوادي تحمل ذلك الاسم وبريمان أكبر من الواديين السابقين .. وتتدفق سيوله من شعاب وسفوح الجبال التي تقع عنه شرقاً وشمالاً ، وتجري سيوله نحو الجنوب ثم تتجه نحو الغرب في السهل الواقع شرق مصنع «الاسمنت» .. وتنصب

في روضة تقع شماليه . وعندما يكون السيل غزيراً يخرج من الروضة ويتجه نحو البحر ويوجد في الوادي المذكور عدد من الآبار والمزارع يملكها « **الشيخ هلال العمري** » . ويرجع الكاتب المجيب ان وادي بريمان قد يكون هو « **وادي ضجنان** » وان اسمه انما حرف مع طول الزمان .

قال : « ويلي بريمان ــ (**شعيب الحفنة**) ويبدأ من سفوح الجبال الواقعة جنوب (مصنع الاسمنت) وتنصب في فسيح من الأرض يقع شمال شرق (**غبة عشرة**) .

ويلي شعيب الحفنة ، شعيب (**تنيضب**) ويبدأ من الجبال الواقعة شمال شرق (نزلة بني مالك) وتجري سيوله نحو الجنوب الغربي ، وتنصب في السهل الواقع شرق (**نسيان**) .. ويوجد في الشعيب المذكور عدد من المزارع والآبار والعقوم قام بتعميرها « **الشيخ سليمان الحمد السلمان** » قبل أمد يزيد عن عشر سنوات .

واستطرد يقول : ويلي شعيب « **تنيضب** » ــ شعيب (**قوس**) .

وتجري سيوله من جبل (**قوس**) الواقع شرق مطار جُدَّة . وتجري نحو الغرب ، وتنصب في مزرعة المرحوم (**الشيخ عبد الله السليمان**) . وتوجد في ذلك الوادي عين تسمى (عين قوس) قام بتعميرها المرحوم الشيخ **عبد الله السليمان** ، واجراها نحو مزرعته . ويلي شعيب قوس ، شعيب (**الرغامة**) وتتدفق سيوله من الجبال الواقعة شرق الرغامة ، وتنصب ، في الزمن السابق شرق وشمال (القصر الملكي) . ويوجد في ذلك الشعيب (**عين الوزيرية**) التي كانت تسقى مدينة (جُدَّة) وهي تجري الآن إلى القصور الملكية .. ويلي شعيب الرغامة للجنوب (**وادي غليل**) ..

وتجري سيوله من التلاع وسفوح الجبال الواقعة جنوب (الرغامة) ، وتتجه نحو الغرب ، وتنصب في شمال السبخة الواقعة في طريق (**الخمرة**) . ويلي (غليل) جنوباً ــ شعيب (**أبو سباع**) وتتدفق سيوله من جبال (أبو سباع) شرقاً وتجري نحو الشمال ثم إلى الغرب ، وتنصب في السبخة الواقعة قبل (الخمرة) .

اما « الخمرة » **فهي** ملتقى السيول القادمة من « **وادي فاطمة** » **و** « **بحرة** » وقد كانت تجري في السابق ، وتسقى عدداً من المزارع التي يملكها المرحوم « الشيخ **سليمان النانيه** »[1] و « الشيخ **صادق دخيل** » .. ولانقطاعها عن الجريان تأثرت الآبار ، وأصبحت المزارع لا تروى الا عند ما تمطر « السماء » في نفس المنطقة .. »اهـ .

قلت : هذا ما تلقيته من الأخ الأستاذ **حمد العبيدي** أحسن الله إليه ، واداءاً للامانة ارجو ان يشفى العليل ، ويطفى الغليل ، ويضع النقط على الحروف ويغمرنا الله بفيوض فضله ورحمته ، ويحسن ثواب العاملين . ولحضرته أجزل الشكر وأضفاه . وأصدقه وأصفاه .

٦٨٢ عصر القمريات

من حق الجيل الصاعد أن يحيط علماً بما أدركناه قبله من عوائد ومصطلحات ، ولم يكتب له أن يشاهدها ، أو حتى يسمع بها ... ولذلك فانني أتوخى ببعض ما اسرده من الشذرات أن أسجل فيها بعض الذكريات .

---

(١) « المنهل » (النانيه) تنطق بنونين أولاهما مفتوحة بعدها ألف . أما الثانية فهي ممالة بعدها ياء ساكنة فهاء ساكنة . وللتاريخ سجلنا التلفظ المستعمل لهذا اللقب .

ففي عام ١٣٢٥ و ١٣٢٦هـ (**فنت**)[1] أو عرضت في (**مكة المكرمة**) ما لم نعهده من المخترعات . وأول ذلك (**الكهرباء**)[2] التي كان اول من استوردها واضاءها ، أمير مكة آنئذ (**الشريف علي باشا ابن عبد الله بن محمد بن عون**) . وعندما امتدت بها الاسلاك من وعاء غازي مستطيل كالاسطوانات التي تستعمل الآن ، في تعبئة المادة المعروفة (البوتوجاز) وارتفعت بقصر الحكم في الغزة إلى بهو الاستقبال ، واشرق بها الديوان — كان لونها غريباً تغلب عليه الزرقة السماوية . وأشهد اني رأيت الناس زرافات ووحدانا يتجمعون حول القصر ، في الامسيات ليشهدوا هذا (النور الأزرق) الباهر . وكيف تيسر ابتكاره وشعت أنواره . وفي نفس الوقت جاءت « القمريات » بعد القناديل و (اللالات) والفوانيس ذات الفتايل الذابلات ، وكان ثمن الواحدة في ذلك الوقت لا يقل عن ثلاثة جنيهات ، ولا يستطيع أن يقتنيها إلاّ أهل الثراء والوجاهة . وأتذكر أن أحد أعمامي أصيب بما يستدعى إجراء عملية جراحية في بطنه وعند ما استدعى إليه الطبيب النطاسي الجراح « **خيرى بك** » التركي — ولم تكن في البلد أجهزة ولا مستشفيات ، وكان أغلب العلاج يؤخذ من أهل العطارات في « **المدعى** » و « **قاعة الشفاء** » من أنواع العقاقير والوصفات والحلتيت والمغات — قال الدكتور : يجب أن أشق بطنه الآن . فأدركوني بالأضواء الكافية .. وامرني والدي بعد المغرب أن أذهب مع خادم كبير — وكنت في الثامنة أو التاسعة — إلى « **البوقرية** » في « **سويقة** » ، لأحضر اليه (**قمريتين**) تعبان بالقاز .. وكان لهما ضوء باهر يساوي مائة من الشموع .. وكأنما هو من شعاع الشمس يسطع ... واستغفر الله ، فإن في اسمها القمري ما يغني عن التشابيه والمجازات .. فامتزج الالم بالعملية — بالفرحة ، باقتناء (القمرية) وبقيت إلى عهد قريب ، ثم اختص بها بعض الاخوات لمجرد الاحتفاظ بالعاديات. وربك يخلق ما يشاء ويختار.

٦٨٣ ابن المقفع والصديق

قال **الامام الشافعي** رحمه الله : « **إذا اطاع صديقك عدوك ، فقد اشتركا في عداوتك** » .

ويقول الشاعر القديم :

اذا صافى صديقك من تعادي
فقد عاداك وانقطع الكلام

إلا أن ابن المقفع يقول في « **الدرة اليتيمة** » في باب الصديق ، ما هو حقيق ، بالتبصر والتأمل والتدبر : « **ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك ، فإنما هو أحد رجلين ، إن كان رجلاً من أخوان الثقة فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك ، لشر يكفه عنك ، وعورة يسترها منك ، وغائبة يطلع عليها لك ، فأما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك ، وان كان رجلاً من غير خاصة اخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس ، وتكلفه أن لا يصاحب ولا يجالس إلا من تهواه** »اهـ .

---

(١) (المنهل) : يحرص الأستاذ البحاثة على استعمال الصيغ العامية التي هي اقرب إلى الفصحي كا هي ، وصيغة : (فنت) هذه هي بفتح الفاء ، بعدها نون مشددة مفتوحة فتاء ثأنيت .. ومعناها الحرفي: حدثت أو استحدثت .. مندمجاً في هذا الحدوث أو الاستحداث معنى (الطرافة) ..

(٢) (المنهل) : وقريباً من ذلك جداً كان عهد « فن » الكهرباء بالمدينة المنورة وفي المسجد النبوي بالذات وقد استوردت مكائنها ونصبتها في دار الضيافة لاضاءة المسجد النبوي — الدولة العثمانية — .

قلت : ولا حاجة إلى التعليق على هذه المرويات . وقول **الامام الشافعي** : « اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك » فانه حق واضح بالاطاعة والمالأة فاما اذا كان على الوجه الذي فصله **ابن المقفع** ، فلا مشاحة في انه اجدر بالاعتبار ، وابعد عن الاثرة ، واقرب إلى الايثار ، وحتى الشاعر فانه يقول : (اذا صافى) وما نحن بصدد من اطاع ولا من صافي ، ولكن من اخلص النصح ، وسعي بالخير ، وحافظ على المودة . (**والصديق من صدقك لا من صدقك**) .

٦٨٤ الأدب والأدباء قديما بمكة المكرمة

قال **أبو محمد التوجي** : اجتمعنا بمكة (أدباء كل افق) فتذاكرنا امر العلماء حتى جرى ذكر الخليل — أي **ابن أحمد الفرهودي** — فلم يبق أحد إلاّ قال : الخليل اذكى العرب ، وهو مفتاح العلوم .اهـ .

قلت : في هذا الخبر ما يدل دلالة صريحة على أن مكة المكرمة كانت تجمع (ادباء كل افق) وبها كانوا يجتمعون وينتدون ويتذاكرون ، ويتسامرون ، وذلك في القرون الأولى من صدر الإسلام .. وأحسبها محافظة على مكانتها العليا في (الأدب) . كما هي (مثابة) للناس في مناسكهم وآداء فرائضهم وطاعة ربهم ، ونشر العلم ، وكل ما هو من مكارم الأخلاق .. وما ينبغي أن تكون غير ذلك بين (بلاد الله) الواسعة ، فانها (**أم القرى**) واختها (**طيبة**) التي منها اضاءت المصابيح ، واشرقت الأنوار ، واقتبست الامصار واليها يأرز الدين ، ويناط اليقين ، والله مع المتقين .

٦٨٥ من هم النوابغ ؟

قال **ابن دريد** في الجمهرة : « نبغ الرجل اذا قال الشعر بعد ما يسن ، أو يكون مفحماً ، ثم ينطق به . وبه سميت النوابغ : **الذبياني والجعدي** ، **والشيباني** » .

قلت : وبهذا الوصف .. لا يصح أن يقال : فلان نابغة .. إلا إذا كان قد تجاوز سن الشباب . وما اكاد اقتنع بذلك الا من حيث انطباقه على من ذكر من نوابغ العرب القدامى . أما الآن .. فان من الفتيان من قال الشعر ، وهو يعد في عهد المراهقة أو الدراسة ، ولم يتقدم به العمر . وكثير منهم النابغون أو النوابغ . وقديماً قال **زياد** (**النابغة**) : « وقد نبغت لهم منا شؤون » !!

اي ظهرت أو برزت .. وبهذا المعنى لا مشاحة في اقتران النبوغ بالأحداث . ولا حرج عليهم في ذلك ما كان انتاجهم عظيماً ، يرتفع بهم إلى مستواه . وبراهين ذلك كالشمس في رائعة النهار .

٦٨٦ حوائج العيد هكذا كانوا !

« روي **المسعودي** ان **الواقدي** قال : كان صديقان إحدهما هاشمي . وكنا كنفس واحدة ، فنالتني ضائقة شديدة وحضر « **العيد** » ! فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، واما صبياننا هؤلاء فقد (قطعوا قلبي) ! رحمة لهم .. لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم .. وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب فلو احتلت في شيء فصرفته

في كسوتهم !! قال : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي بما حضر .. فوجه إلي كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم .. فما استقر قراري حتى كتب إلي الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي !! فوجهت إليه الكيس بختمه وخرجت إلى المسجد . فأقمت فيه ليلتي مستحياً من امرأتي ! فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه .. فبينما انا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي : اصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك .. فعرفته الخبر على وجهه ، فقال لي : إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا اسأله المواساة فوجه الكيس بخاتمي !! قال **الواقدي** : فتقاسمنا الألف درهم فيما بيننا ، ثم انا اخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ، ونمى الخبر إلى (المأمون) فدعاني وسألني فشرحت له الخبر .. فأمر لنا بسبعة الألف دينار ، لكل واحد منا ألفا دينار ، وللمرأة ألف دينار » .

قلت : ولا تحتاج القصة بعد هذا التفصيل .. إلى أي تعليق !! غير الدعاء الخالص بأن يلهم الله المسلمين الرشد والتوفيق والايثار .. فإنها على ايجازها ذات عظات بالغات ، وأهداف بينات .. **﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾** .

٦٨٧ جليس سيدنا

مما سمعته من أحد متقدمي السن الذين طواهم الثرى .. في « **أم القرى** » رحمهم الله — قصة طريفة أهملها التاريخ .. وفيها ترويح وتفكيه واعتبار ، قال : « قبل قرن أو أكثر .. ضعف أو تضاءل عدد الواردين من حجاج بلاد « **جاوى** » أي أندونيسيا حديثاً .. وكانوا يفدون بمقدار محدود لبعد المسافة بحراً .. وكان أحد المشايخ الكبار المشار إليهم بالبنان .. ممن يمتازون بالقسط الأوفر من هؤلاء الحجاج أشدهم تأثراً بذلك !! وأضر به كثيراً ان مصلحته منهم انخفضت إلى النصف أو الربع .. وترتب على ذلك .. اضطراب (ميزانيته) .. ومضاعفة ديونه .. وشجونه ، وكان لوجاهته ومكانته من جلساء أمير مكة آنئذ فلا يكاد يخلو من وجوده في كل سمر ليليا .. فاضطره « ضعف الحال » و « قلة ذات اليد » إلى الانطواء والانزواء .. أكثر من شهرين متتابعين دون أن يسأل عنه أو يتعهده « سيدنا » .. وأقبل شهر رمضان بتكاليفه وكنائفه وكساويه .. وتصبر وتدبر حتى إذا اشرقت بشائر ليالي العيد ... وامتدت في الشوارع (بسطات) الحلوى ، وبكل ما اعتاد أهل مكة استبضاعه لبيوتهم وأولادهم وأزواجهم من مطاعم — وملابس وأوان أو آنية !! وتألقت الأضواء — طبعاً بالفناجين ذات الفتائل والزيت — وتسمى بالقناديل .. وارتفعت أصوات (الباعة) بمعروضاتهم .. و « **حلاوة العيد .. يا مساعيد** » ! — عندئذ استعبر الرجل .. وكاد يجهش من الألم .. لما يشعر به من الضيق والكدر ! وفكر وقدر ! و (انفتقت) له الحيلة التي استوحاها من أزمته المضنكة ، فأخذ (**جبته وعمامته**) .. بعد أن لازم داره أكثر من شهرين .. ونزل إلى (المسعى) .. وهي أروج الأسواق .. وأجملها وأحفلها بكل ما يتصل بالفرح والمرح .. وهناك قصد إلى دكان فكهاني (عميل) قديم له يجله ويعرف منزلته .. فبادره بقوله : يا « فلان » .. فركض البائع إليه

وهرول .. وقبل يده .. وانفه .. وجبهته .. وطفر الدمع من عينيه فرحاً برؤيته .. وقال : أين أنت يا عمي ؟ لم أرك منذ مدة طويلة لعلك بخير .. الحمد لله إنك طيب وبعافية . فقال الشيخ : اسمع **يا محمد** ، إن الذي حجبني من قبل هو ما أشعر به من الضنا وقد :ال ، والآن أريد منك أن تخبرني : هل لديك ثملو جديدة ممتازة .. من أنواع الفاكهة ؟! قال : كيف ؟ كل ما تريد وتأمر ، قال : فاذهب إلى « **المدعى** » وهات أربعاً من « المعاشر » النظيفة الجديدة .. مع غطيانها المرغولة ذات القطيفة المجدولة !! وسأبعث إليك بالأطباق المناسبة فضع في كل طبق ما يملؤه من « التفاح .. والبرتقال .. والخوخ .. والرمان » بحيث يكون رصه جميلاً .. لأنني أريد أن اقدمه هدية لمن تعلم !! على أن يكون في تقديرك أن الثمن مؤجل الدفع إلى ما بعد العيد إن شاء الله .. فقال « **محمد** » : سبحان الله ، إن فضلك علينا لسابغ وعظيم وكل ما عندنا ما هو الا بعض خيرك ! — وأسرع إلى إحضار المعاشر والأغطية .. وجاءته الأطباق .. وأحسن فيها الرصف .. والرص .. ، وذهب بها محمولة إلى دار الشيخ .. الذي أتم حيلته فأحضر أربعة من الشبان سمر الوجوه .. وألبسهم « **بالعارية** » أردية لا يلبسها الا « بواردية سيدنا » .. مع « **الصمائد الشوربان** » .. والجنابي المذهبة أو المفضضة !! والثياب المحرودة .. و (**الدبسات**) المخروطة .. ودفع إليهم المعاشر .. وقال : اسمعوا .. اذهبوا حالاً بها إلى دار « **شيخ الاغاوات** » في الهجلة .. وقدموها إليه باعتبار أنها هدية مرسلة إليه من « دولة سيدنا وسيد الجميع » .. ومثلوا دوركم في ذلك أحسن تمثيل . وكان شيخ الأغاوات في ذلك العصر صاحب صول وطول .. وثراء ونماء .. وجاه عريض .. فامتثلوا أمره .. وحدد الوقت الذي يحملون فيه الهدية — بما بعد اطلاق مدافع ليلة العيد .. أي بعد آذان المغرب و « **فكوك الريق** » مباشرة .. وأقبلوا بما حملوا إلى « المهدي اليه » في سمت وقور ! وما أن وصلوا إلى بهو الدار .. حتى استقبلهم خدامه وعبيده .. بما يليق بهم من تجلة وتكريم وصعد أحدهم إلى سيده أو عمه يعلنه بحضور (هدية من سيدنا إليه) .. فبادر بالهبوط .. وهو مغبوط ، وتلقاهم .. بالمجاري !! اي (**ضرب المجرى**) وهو رفع اليد اليمنى وخفضها عدة مرات .. مبالغة في الاحتفال بهم وتقديراً لمن ينتمون اليه .. وأمر بالقهوة والشاي .. وأغدق عليهم من الثناء لصاحبهم .. والشكر والحمد والدعاء .. لهذا العطف الكبير .. ما كلفهم بتقديمه إليه ووضع في يد كل واحد منهم « **حلوانا** » .. اى « **بخشيشاً** » لا يقل عن ٥٠٠ ريال .. الريال يومئذ .. يكفي رب العائلة اسبوعاً ! كل ذلك اعراباً عن فرحه وسروره وافتكار سيدنا له في هذه المناسبة السعيدة .

وعاد الرسل إلى « الشيخ .. المرسل » فى الشامية .. أو سوق الليل وهم يرقصون من شدة ما غمرهم من البهجة والحبور .. قدموا له ما معهم من الدراهم .. ونفحهم من موصول به .. واستأنف اتمام الفصول فذهبوا بعد صلاة العشاء إلى المجلس الأميري الذى يعقد فيه احتفال سلطاني كلما « دخل عليه رمضان » ويجتمع فيه الائمة والخطباء والأعيان .. وتنشد فيه القصائد الحسان ، وحينما أقبل للسلام على سيدنا .. أمسك بيديه طويلاً وعاتبه على انقطاعه عنه وسأله عن أسباب هذا الهجران ؟! مع كل ما يعرفه من حبه له وايثاره إياه !! فقال : أرجو من سيدنا أن يتسع صدره .. ويسعني حلمه وفضله .. فقد

اضطررت إلى أن أفعل ما هو كيت .. وكيت .. وكيت .. وعندما راحت السكرة وجاءت الفكرة ! قدرت ان اخاناً شيخ الاغوات سيحضر للمعايدة والتبريك غداة غد .. ويشكر لسيدنا فضله وهديته واكرامه .. وربما قدم إليه شيئاً من المجوهرات ، أو الأحجار الكريمة !! فماذا يكون موقفي إذا حدث هذا وهو حادث لا محالة !! فعجلت إليك لاخبرك بكل ما حصل وقبل أن اتصرف في المال .. بالرغم من حاجتي القصوى منه إلى الريال ! قال : فأطرق سيدنا مليا .. وغشيه بعض التأثر وقال له : إن لك علينا كل الحق في عدم زيارتك .. والتعهد لأحوالك .. وكل ما عملته .. أقررناه .. وسنقر به — ونتم الفصل الأخير منه ! وكما جاءك منه فإن لك ضعفه منا .. ولا تخرج إلا به .. مع طلب الصفح عما اقترفناه معك حتى اضطررناك إلى هذا الصنيع ، وفي الحال تسلم عطاء الأمير .. وعاد به فضمه إلى (هبة الشيخ) .. وانطلق يذرع جميع الأسواق .. ويشتري كل ما شاق له وراق وحمله إلى أهله في دفعات متواليات .. وعجبوا أن جاءهم كل هذا .. وهم في بأس من « الدبيازة » .. بل ومن (تراليك العيد) !! وناول منهم الصغير والكبير .. من هذه الدراهم تارة — ومن تلك الدنانير وأصبح مبكراً إلى الصف الأول .. شاكراً لنعم الله التي مَنَّ بها عليه ..

٦٨٨ « البك » لغة ولقبا

قال **ابن دريد في الجمهرة** : « **البك — التفريق والبك — الازدحام — كأنه من الاضداد** » .

قلت : وفي اللغة التركية لقب قديم متوارث لا اعلم إن كان هو من أصولها أو دخيلاً عليها . وهو : « فلان بك » . ويعني رتبة ورفعة وامتيازاً أدنى من رتبة (الباشوية) . وقد استعمله العرب في اقطارهم كلها ابان الحكم العثماني .. ثم هو الآن في حشرجة الابادة ، ولفظ الانفاس الأخيرة .. وأغلب الظن أن ما أورده **ابن دريد** يصح بمعنييه في تسمية أم القرى — (ببكة) — ففيها يزدحم الحجيج ، ومنها يفترق بعد الافاضة إلى شتى الأمصار والآفاق ، ولها بعد ذلك أو قبله معنى أدق .. في كتب التفسير . والله على كل شيءٍ قدير .

٦٨٩ قطب الدين القسطلاني « المكي » ٦١٤ - ٦٨٦ هـ

جاء في تذكرة الحفاظ للحافظ **تقي الدين أبي الفضل** (**محمد بن فهد المكي**) .. ترجمة للمحدث الحافظ (**قطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني**) قال فيها : انه « ولد بمكة المشرفة سنة ٦١٤هـ .. وسمع بها من والده **وعلي بن البناء** .. **والشهاب السهروردي** وغيرهم من شيوخها والقادمين اليها ورحل في سنة ٦٤٩هـ .. فسمع ببغداد ، ومصر والشام ، والجزيرة جمعاً جماً من أصحاب **ابن عساكر والسلفي** وغيرهم ، ثم قال : تفقه وافتى وطلب إلى القاهرة من مكة وتولى بها « مشيخة دار الحديث » الكاملية . مقصديا لابلاغ السنن ، واسباغ المنن حتى توفي بها ليلة ٢٨ من المحرم سنة (٦٨٦) ودفن بسفح المقطم »اهـ .

قلت : ومن مأثره وآثاره الباقية كتابه : « **مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة** » وقد طبع بمصر سنة ١٣٤٩ في نحو مائتي صفحة وقد جمع فيه واوعى كل ما يتصل بهذه الفريضة التي هي

قرة عين لمن أرسله الله رحمة للعالمين ﷺ .. وانه لمن الخير كل الخير .. تعميم تدريسها في الجوامع والمجامع والمساجد والمعاهد .. لكل صادر ووارد ، ومقيم ووافد .. وباد وعاكف .. وساع وطائف .. وهي بذلك أجدر من كثير من سواها من هذه المطبوعات الحديثة !! وهي تذكرة وتبصرة .. وصدق الله العظيم : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ ﴿ **وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً .. نحن نرزقك** ﴾ أنار الله بصائرنا وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ووفقنا إلى ما يحب ويرضى ، ويرحم الله (ورثة الأنبياء) .

٦٩٠ « طنز » لا « طز »

كثيراً ما نسمع في زماننا هذا ممن يفدون من الأقطار العربية المجاورة قولهم : (طز) إذا أرادوا السخرية أو الانكار على ما يسمعون .. أو بمن يتحدث إليهم بما لا يرتضون !!

وما كنت أعرف لها أصلاً لغوياً ، حتى قرأت اخيراً ما قاله **الجوهري** في الصحاح : « الطنز .. السخرية ، طنز يطنز فهو طناز قال : وأظنه مولداً أو معرباً »اهـ .

قلت : فلعل الطنز هو أصل هذه الكلمة . لاشتراكها في اللفظ والمعنى . ثم حرفت ، وحذفت منها النون (ظلما) .. والخيار للقائل وما أظنه إلا قائلاً بالتخفيف . وربما جنح إلى « المطازيز » . واكتفي بها عن الطز ـــ والتطنيز . واني له بها وقد سئم الفول . والتميز ؟

٦٩١ في سوق « عكاظ » !

قال **ابن عبد البر** ـــ عن **قتادة** ، قال : خرج **عمر** (**اي ابن الخطاب**) من المسجد ومعه (**الجارود**) العبدي فاذا بامرأة برزت على ظهر الطريق ، فسلم عليها **عمر** ، فردت السلام ، وقالت : هيهات يا عمر ، عهدتك وأنت تسمى (عميراً) في سوق عكاظ ترعى الضان بعصاك .. فلم تذهب الأيام حتى سميت (**عمر**) ثم لم تذهب الأيام حتى سميت (امير المؤمنين) فإني والله في الرعية وأعلم انه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي عليه الفوت فقال **الجارود** : قد اكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين فقال **عمر** : دعها ، أما تعرفها ؟ فهذه « **خولة ، بنت حكيم** امرأة **عبادة بن الصامت** التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات فعمر « والله أحق أن يسمع لها » .

قلت : حتى النساء المؤمنات لم يدعن التذكير بالله !! وللفاروق رضي الله عنه وأنه للمثل الصالح للعدل والتقوى .. واستماع النصيحة والعمل بها ، وفي القصة دليل على امتداد مواطن الرعي في عصره إلى (عكاظ) .. سواء كان بين السيلين الصغير والكبير .. كما ظن الأقدمون .. أو شرقي (الحوية) كما جزم بذلك المحققون ولعل ما سبق التنويه عنه وهو (**ضجنان**) .. واد يتصل بهذه المواقع من إحدى الجوانب الأربعة .. فقد ذكر **عمر** رضي الله عنه أنه كان يرعى الإبل فيه لأبيه ، والله اعلم .

٦٩٢ من أين تؤكل الكتف ؟

إنه في الواقع مثل مضروب قديم .. إلا أن إيراده قد ينتفع بتفهمه من لم يكن قد عرفه من قبل .. قال **المطرزي** في شرح المقامات : « **يضرب للداهية الذي يأتي الأمور من مأتاها** . لأن اكل الكتف أعسر من غيرها ، وقيل : أكلها من أسفلها لأنه يسهل انحدار لحمها . ومن أعلاها يكون متعقداً ملتويا لأنه غضروف مشتبك باللحم . وبعضهم يقول : (المرقة تجري بين لحم الكتف والعظم . فإذا أخذتها من أعلى خرت عليك المرقة وانصبت . وإذا أخذتها من أسفلها انقشر من عظمها خاصة والمرقة مكانها ثابتة »اهـ .

قلت : وهذا ما لا ينبغي أن يجهله الذين يتمتعون بالمصيف ، بين الهدا والشفا ، وهضاب الزور ، و (**الردف**) و (**غدير البنات**) . ولا تخلوا موائدهم من « **السليق** » وخاصة إذا كان (أقساماً) اقول هذا ناصحاً ومستعبراً على الصبا والصبا . وداعياً للشباب بالصحة والعافية ، والمرح والفرح ، ودوام الحمد والشكر والنعمة .

٦٩٣ صورة من الماضي « الطاسة » و « الزير »

كان لا بد من الاحتفال بـ« **الاصرافة** » إذا أتم الغلام جزءاً من القرآن تجويداً .. على الأقل .. أو حفظاً .. أو بـ« **الاقلابة** » إذا ختم القرآن كله .. وكذلك الفتاة الصغيرة التي كان لها حظ في هذا المجال .. عند من يسمونهن « الفقيهة » .. (وقد أدركنا عدداً منهن) قبل الثلاثين من هذا القرن !! وقرآناً عندهن ، أطفالاً .. وهن ملء الصون وقاراً وحشمة وعفة وهيبة .. وقد يجمع (كُتّاب) الفقيهات الجنسين فيما دون البلوغ معاً ، وأكثرهم من ذوي الأسنان التي لا تتجاوز العشرة أو الأثني عشر عاماً .. كما أن من كتاتيب « الأولاد » من يشتمل على « فتيات » لمجرد الحفظ والقراءة .. والكتابة ... أيضاً على ألواح من الخشب .. يكتب فيها « بالحبر الأسود وحمزية » !! وبالأقلام المبرية .. وتمحى الألواح .. في مركن من الماء باليد غسلاً .. ثم تبيض بما يسمى « المضر » من الوضر .. أو السواد .. وتعرض في الشمس حتى تجف !

قلت : وكانت « **الطاسة والزير** » تتقدم المواكب والاحتفالات بقدوم (**الصرارات**) في ركوب الزوار وأيضاً في الزفافات والختانات ولا سيما في هذا الاحتفال الذي يتصدره « الفقيه أو الفقي » أو « سيدنا » المفضال ، وإلى يمينه « العريف » المختال ، ومن حولهما المتميزون من الطلبة .. أو التلامذة .. « صفوفاً » .. وهم يرددن الأناشيد المناسبة فرحاً بنبوغ المحتفل به .. أويها .. ويختارون الشوارع الغاصة .. والعامة والخاصة .. في عرض مهرجاني رائع .. وصدى الطبلين : « الطاسة والزير » يدوي بين « الاخشبين » وهما بمكة غير المازمين — فإذا كانت المحتفي بها « بنتا » كانت (الفقيهة .. والعريفة) . في المقدمة مع بقية اللدات والأتراب !! فمن تقدمت بها السن إلى الثامنة أو التاسعة .. وحقت عليها « **الغدفة** » .. أو الحجاب تزينت بها .. وسترت كل ما تقع عليه العيون منها .. وتمايست بهن النشوة بالنجاح .. وهناك تطلق مجامر الند والعود ، وتعرض « معاشر الحلوى » ثم توزع من (البتاسة) أو « اللوزية »

أو « السمسمية » أو « الأنبوتة » أو « النبات » المموه .. بأكاليل الورق المذهب المفضض .. وتتجاوب التهاني والتبريكات ، والتهاليل والحمدلات ، حتى إذا كلت الاقدام من الدورات !! تفرق الجمع .. واجتمع الجيران .. وقدمت الموائد و « الكوازي » و « الكيزان » .. وتبارك الرحمن الذي علم الإنسان ، ﴿ **علمه البيان** ﴾ . وفي ذلك اليوم تقام في دار المحتفل به أو بها السماطات !! .. وتتعالى الغطرفة .. أو الزغردات .. وتبذل « القطع » و « الربابي » و « الريالات » مكافأة وصدقة .. ويعظم الرفد فيه من الآباء والأمهات . والخالات .. والعمات .. والجدات .. إلى الشيخ والشيخة والعريف .. والعريفة .. ويكون يوماً مشهوداً تتحدث به جميع الأوساط .. حفزاً للطفل أو الطفلة على الاجتهاد ... ومكافأة له أو لها على « الفتوح » .. وتنطلق الألسنة والقلوب بالدعوات الصالحات .. وكما طوى بساط هذه المواكب والاحتفالات توارى شبح الطاسة والزير !! وما بقي لهما عين ولا أثر !! وما أعجب أن يتفق هذان الاسمان — على اختلاف المسمى — مع ما هو (**زير للماء**) ، و (**طاسة للاحتساء**) وما عنيت بهذا السرد .. إلا لتصوير لمحة من الماضي القريب لمن لم يدركه من الجيل الجديد .. وقد عوضهم الله عن ذلك كله بما هو خير وأجدى ، وأقوم وأهدى ، فما كان ذلك ليكون .. عفواً صفواً !! فقد يسبقه الترقيب .. و « الفلكة .. والخيزران » .. لكل من تبلد .. أو تكاسل .. أو لعب (بالمدوان) !! والناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم .. والله المستعان .

٦٩٤ من هو « الزبون » ؟

اصطلح المحدثون على تسمية كل من يشتري من حانوت ، حاجة أو متاعاً ويداوم على ذلك (زبوناً) . فما هو أصلها ؟

قال **السيوطي** في (**المزهر**) : « وفي شرح المقامات **للمطرزي** : الزبون : الغبي الذي يزبن ويغبن . وفي أمثال المولدين : الزبون يفرح بلا شيء »اهـ .

قلت : فما أدري بعد هذا النص هل يرضي الزبون بهذا المدلول ؟

وقد سميت « الشايات » أزبنة وواحدها (الزبون) ولعلها فارسية دخيلة . وأحسبها لحقت أو هي لاحقه بأهلها الذين هم في الغالب من أهل الوبر ! أما أهل المدر فإن مما كانوا يلبسونه تحت (**الجبة**) (**البدن**) بلا اكام ثم الشاية ويرحم الله عهودها .

٦٩٥ اذا « خلونا ـ صبونا »

كثيراً ما سمعنا هذا ممن تقدمنا من ذوي الأسنان .. ولم أجده مدوناً كمثل من الأمثال !

وقد ظفرت له على أصل أصيل في رواية عن **الزبير بن بكار** قال : جاء **عمر بن الخطاب** إلى **عبد الرحمن بن عوف** فسمعه قبل أن يدخل عليه يتغنى بالنصب :

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما
قضى وطراً منها جميل بن معمر !

فلما دخل عليه قال : ما هذا **أبا محمد** ؟ قال : إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس .اهـ .

قلت : وهذا يصلح أن يقاس عليه ما عنونا به في حدود المعقول طبعاً أو المقبول شرعاً .. وهو إلى ذلك دليل على أن من أنغام القدامى أو ألحانهم ما يسمى (**بالنصب**) ولعله ابن عم « **الرجز** » .. وكلاهما « الحداء » ..

٦٩٦ امشى نتفرج !

منذ عرفنا النطق وفهمناه .. نقول هذا كلما كانت هناك مشاهد تدعو للفرجة كأيام المحامل والركوب والعرضات ، وحتى اليوم يقولها **كل طفل وناشىء بل وكل كبير وصغير . قال النووي في تحرير التنبيه : « التفرج لفظة مولدة** لعلها من انفراج الغم وهو انكشافه » اهـ .

قلت : وهي « الفرجة » بضم الفاء . أما بفتحها فتعود إلى أصلها اللغوي الصحيح وهو السعة . قال الشاعر :

ربما تجزع النفوس من الأمـ
ـر ، له فرجة كحل العقال

وما **بقيت** من (**الفرج**) أو الفرجات إلاّ ما تراه العيون في هذا (**التلفاز**) .. أو (**المرناء**) . دون ركض أو جرى أو مشاكسة أو مزاحمة .. ونعما هو تثقيفا .. وتفريجا .. وترويحا ، وتفريحا .

٦٩٧ النمل والذباب والبعوض !

بقليل من التأمل نجد ما يلفت النظر في أغذية هذه الأصناف الثلاثة من الحشرات فالنمل لا يعمد ولا يقصد إلا ما هو (نظيف وحلو) .. وغير قذر البتة .. والثاني لا يستهونه إلا ما هو صديد .. ومرذول ! والثالث يغلب عليه مص الدماء ! **فإذا ما أكتظ** به انفجر .. وكأنما هو بذلك يبحث عن حتفه بظلفه .. أو بأنفه .. أو بكفه ! وهكذا تستخرج العبرة البالغة في اختلاف الأمزجة والفطرات .. وما يخلو من ذلك بعض أنواع الحيوان والإنسان .. كالجعلان وأهل البغى والدناءة .. والنفوس الدنيئة الساقطة .. وسبحان من له الخلق والأمر و « في كل شيء له آية ، تدل على أنه واحد » !.

٦٩٨ « التنزه » خطأ !

قال **ابن السكيت** : « ومما تضعه العامة في غير موضعه قولهم : خرجنا (**نتنزه**) **إذا** خرجوا **إلى البساتين** ، **وإنما** التنزه التباعد عن المياه والارياف ، ومنه قيل : فلان يتنزه عن **الأقذار** » اهـ .

قلت : فماذا بعد هذا النص على خطأ هذا الاستعمال المتداول ؟ إلا أن يستبدل بما هو أدل على الغرض ، وأبعد عن الشبهة . وما تزال الأمم كلها تطلق على ضواحيها ، وحدائقها ، وبحيراتها وشواطئها اسم : « المتنزهات » أو « المنازه » فلماذا لا يكون التأويل (تنزيها) الروح والنفس من الشوائب ومن كل ما لا يتفق مع (النزهة) والنظافة والطهارة ؟ إلا أن تكون هي « ضغثا على ابالة » كما هو الحال في بعض الأزمنة والأمكنة .

٦٩٩ على قول داك !

أعرفه رجلا عاميا معمما .. ذا مظهر يقر ولا يسحر وقد توفي رحمه الله ! كان من لازمته في **كل جملة ينطق بها قوله : (على قول داك) ! وهو** يعنى (ذاك) ، **أما** من هو ذاك أو داك **فإنه** لا يعلمه حتى هو فكيف بالمخاطب ؟!

ورأيت آخر وسمعته (وتوفي ايضا) يلتزم **أيضا** كلمة (ايظا) .. وهو من العامة .. ويكررها حتى أني لأ تميز به وبها غيظا .. وهو **إنما** يعنى (**أيضا**) .. **وما أكثر** اخواتها في الآخرين . وقد **أخذت** هذه الكلمات أو الالتزامات .. تتضاءل .. فلم **أعد أرى أو أسمع** لها صدى أو **رجعاً** منذ حين .

٧٠٠ الفشر والفشار !

إذا بالغ أحدهم في كلامه ، أو قال ما يكذبه الحال ، قال له سامعه : هيا بلا فشر ! والفشر من الفشار ، **قال** في القاموس : الفشار الذى تستعمله العامة بمعنى الهذيان ليس من كلام العرب .

قلت : لعله مأخوذ من هذا الفشار الذي يأكله الصغار مع الحمص . وعلاقته بالهذيان أو التزيد ، انما ترد من حيث **أنه** في أصله ضئيل الحب . **فإذا** حمص على النار انتفش وتضاعف حجمه وطقطق .. وبقبق .. ولعله ابن عم الخنفشار ، ذلك الذي شبه الشاعر به انعقاد المحبة في قلبه :

لقد عقدت محبتكم بقلبي
كما عقد الحليب الخنفشار

وما أظن أحدا ممن يحذق العربية يجد له أصلا **إلا** هذا البيت المأثور « المفشور » ! .

٧٠١ « الرجلة » و « بديع الزمان » الهمذاني !

جاء في إحدى مقامات **بديع الزمان الهمذانى** (وهو المتوفي سنة ٣٩٨هـ اي منذ ٩٩٠ عاما) . **وهى** المقامة « القردية » قوله :

حدثنا عيسى بن هشام ، قال :

بينما أنا بمدينة السلام ، قافلا من البلد الحرام ، أميس ميس (الرجلة) على شاطئ الدجلة ... الخ » .

و **«الرجلة»** معروفة عندنا ولا تخلو منها المنازل دائما .. أو في كل أسبوع أو أسبوعين مرة ! وهي نوع من البقل — وتنبت في مجرى السيل ، وتسارع في الكبر فيأتيها الماء فيقتلعها — وبها يضرب المثل في الحمق وتسمى **«البقلة الحمقاء»**. وتكاد تكون الوحيدة بعد **« القرع »** أو الزبانخ **التى ذكرت في كتب** الاقدمين .. فما عثرت على **«البامية»** ! وحتى **«الملوخية»** .. فإنها لم تعرف إلا في العصر الفاطمى بمصر وما بعده .. وأتذكر ان **« الباذنجان » وخاصة الأسود منه .. قد حظي** بالتندر في آثار الأدباء والشعراء القدامى !

وكذلك **« السلق »** .. دون **(اللفت)** .. فأما بقية الخضروات .. كالزيت والبطاطس والكوسة والزبانخ .. والفاصوليا ، **فإنها** وفدت في الزمن **الأخير** ! **ولا أدري** كيف تنعت (البقلة الحمقاء) بهذا النعت ثم تؤكل ؟!

الا يخاف آكلها منها « العذوى » وهي تمتزج باللحم والدم والعصب ؟

ألا ما أقسى **الإنسان** وأظلمه حتى فيما يزدرده ويلتقمه ، وما بالرجلة من حماقة .. بل هو التسخير والتيسير للاشباع .. والارتاع ، **والالتهام ، وحسبها تكريما وتشبيبا ! ان يتشبه بها في** « الميس » **عيسى بن هشام** ، قبل نحو من **ألف** عام .

٧٠٢ « بس » بفتح الباء و « بس » .. بكسرها

قال **محمد بن المعلي الأزدى** في كتاب **« المشاكهة في اللغة العامية »** : تقول لحديث **يستطال** : بس ، والبس الخلط ، وعن **أبي مالك** : البس — بفتح الباء — القطع . وأنشد :

يحدثنا عبيد ما لقينا
فبسك يا عبيد من الكلام

قلت : فهذا ما ورد في كلمة بس ، والألثغ يقولها بالثاء (بث) أما بكسر الباء — فانها الهر وتؤنث .. فيقال : ألبسة . وأغلب الظن أنها أعجمية مولدة . وعربيتها الهر والهرة . وفي اللغة الجرمانية **«الهر»** نعت للرجال المشار **إليهم** بالبنان ولا تعدم اتفاقا وجها للشبه من حيث النفج والنفخ . أما إذا قالها الطفل : « بسي : بسي » — بكسر الباء وبالسين المكسورة المشددة بعدها باء ساكنة — **فهي إعلان** بالمقاطعة والغضب وقد تلاشت من الاستعمال .. والحمد لله رب العالمين .

٧٠٣ الأديب الراوية المكي الشيخ طاهر الصباغ

ما أكثر من درجوا على هذه **الأرض ،** وانطووا تحت أطباقها .. وكانوا على وجهها ملء السمع والبصر .. ولم يعدلهم من ذاكر أو شاكر ، رغم ما كانوا يتحلون به من جميل الصفات **ومكارم الأخلاق ، وما امتازوا به بين أترابهم** وبني جلدتهم من آداب رفيعة . وما أحب أن أطيل في هذا وإنما حملني على هذا التمهيد ما شهدته وسمعته عن أديب مكي ولم أجد من يتذكره أو يدرى عنه شيئا ، اللهم **إلا** نفرا عز وجوده .

هذا الأديب المكي الراوية .. هو « **الشيخ طاهر الصباغ** » ، وأقدر أنه من مولودي هذا القرن الهجري ، لأنني رأيته وسمعته .. وكان لابي رحمه الله علاقة صداقة متينة به فكان يحضر عنده مرارا — بمحله التجاري — بمكة في قاعة الشفا فيما بين عام ١٣٢٨ وعام ١٣٣٠هـ وكنت أسمع منه ما استغربه وأعجب وأطرب منه . كان يحفظ كثيرا من الأدب القديم ويرويه عن ظهر قلب .. ومن ذلك **«مقامات الحريرى»** التى استوعبها كلها بحروفها وكلماتها .. وكأنما يحمل لسانه بها نسخة مطوية بين لهاته .. وكان ذلك في عصره ذا قيمة عالية بين جميع الأوساط .. يستحق بها التكريم والتقديم وكأنما انظر إليه الآن وقد تحلى خده بـ « المشالي » وهو مربوع القامة ، خفيف الروح جميل السمت ، مليح الصورة .. ولا أدرى بعد ذلك **الأسباب** التى حملته على الاغتراب **إلى** بلاد المغرب وشمال افريقية .. ثم انتقل بعدها **إلى** اوروبا واستقرت به النوى وألقى العصا على ضفاف « **السين**» فأقام في باريس سنين طويلة .

وأنشأ بها « مطعما حجازيا » مغربيا .. **وإلى** جواره « مقصفا » عربيا ، يجتمع فيه سراة الزوار ، وكبار القوم من الناطقين بالضاد . ومنهم – **أمير البيان الأمير شكيب أرسلان – وأعتقد** أنه ذكر ما يتحلى به من كريم الخصال والخلال في أحد مؤلفاته أو رحلاته . وطوى الموت صحيفته في بلاد الغربة . ولعل لديه ، أو عند أهله ما يمكن **أن نعرف به تراثه الأدبي ، أو إنتاجه المحفوظ أو** المروي . وقد وجدتنى أكتب عنه هذه الكلمة العابرة في هذه الشذرة العاطرة ، إحياء لذكراه ، وإنصافا لجدواه وما أقارن به أو أكاد ، إلا فقيد الأدب العربي القديم الأستاذ **حسين** « **ميمش** » رحمهما الله .. فقد كانا من عشاق الشعر والنثر ، والرواية والترنم ، والمسامرة بهما في كل مجلس يظفر بهما .

وإنما المــرء حـــديث بعـــده
فكن حديثـــا حسنا لمن وعى

ولعل فضيلة العلامة الجليل الشيخ **محمد حسين نصيف** أمد الله في عمره ، يتحف قراء المنهل بما قد يكون بالطبع يدريه عنهما .. من الترجمة والطرائف .. فهو بذلك أخبر وأبصر ، وأخلق وأجدر ، حفظه الله .

٧٠٤ مكتبة أمير بخارى في القرن الرابع الهجري

قال **أبو علي الرئيس الحسين بن عبد الله بن سينا** المتوفي سنة ٤٢٨ هـ عن ٥٨ عاما : **أن أباه كان من أهل** بلخ .. وانتقل إلى **«بخارى»** في أيام أميرها (**نوح بن منصور السامانى**) سلطان بخارى .. وفي ذلك الوقت مرض هذا **الأمير** واستدعى **ابن سينا** لمعالجته بالاشتراك مع **الأطباء** .. وانه توسم بخدمته .. قال : فسألته يوما الإذن لي في دخول (دار كتبهم) ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب .. فأذن لي ، فدخلت (دارا) ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب ، منضدة بعضها على بعض ، في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر « الفقه » وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد ، **فطالعت** فهرست كتب **الأوائل** ، وطلبت ما احتجت **إليه** منها .. ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه **إلى** كثير من الناس قط ؟ وما كنت رأيته من قبل ، ولا رأيته أيضا من بعد ، **فقرأت** تلك الكتب فظفرت بفوائدها .. وعرفت مرتبة كل رجل في علمه » اهـ .

قلت : وهذا النص كما أورده صاحب طبقات الأطباء يدلنا على اعتناء الأوائل بالتراث العلمي وبالمكتبات الكبرى .. وبالفهارس .. وما أظن كلمة الصناديق هنا تعني **إلآ** ما نسميه في **عهدنا هذا** بـ « **الرفوف** » **وكم ضاع أو غرق أو** حرق كثير من كتب العلم والأدب .. ومختلف الفنون عبر القرون .. وآخر ما شهدناه في زماننا مكتبة المرحوم **الملك الحسين بن علي** في الطائف إذ أحرق « الأتراك » قصره فيها .. وكانت به مكتبة حافلة بالمخطوطات النادرة الثمينة وكان ذلك إبان ثورته عليهم عام ١٣٣٤هـ وما كان لها من ذنب إلا أنها ملك له فقط . ولها **أمثال** كثيرة في التاريخ !

٧٠٥ فلان ملء ثيابه

إذا أراد الناس اليوم وصف رجل بالكفاءة والكفاية .. والمروءة والفتوة .. وكل سمات الرجولة والفحولة .. والكرم والسخاء .. والفطنة

والذكاء ــ قالوا عنه : إنه (ملو ثيابه) ! وأصلها الصحيح : « ملء ثيابه » .. وقرأت للثعالبى (**صاحب اليهمة**) قوله : « **وقد رأيت المأمونى** ــ يعنى (**عبدالسلام بن الحسين المأمونى**) ــ ببخارى سنة ٣٨٢هـ وعاشرت منه فاضلا ــ ملء ثيابه .. وذاكرت **أديبا** شاعرا بحقه وصدقه ، وسمعت منه قطعة من شعره ، ونقلت أكثره من خطه ، وكان يسمو بهمته إلى الخلافة ، ويمني نفسه قصد بغداد في جيوش تنضم إليه من خراسان لفتحها فاختطفته المنية دون **الأمنية** . ولم يكن بلغ **الأربعين** وذلك سنة ٣٨٣هـ » .

قلت : وما تزال هذه الكلمة أو الجملة .. متداولة إلى يومنا هذا في جميع الأوساط من عامة وخاصة ، وهي في الغالب إنما تعني الصفات **الحميدة اما أن يكون (سمينا) يملأ ثيابه .. من** حيث بسطة الجسم .. ولو خلا من مزايا الإدراك أو مكارم الأخلاق فلا .. فان جمعهما الله لعبده .. فهما نعمة لا تقدر .. على شرط أن لا يكون (فرثه) .. أو « كرشه » عائقا له عن الحركة .. أو المباراة الرياضية في كرة القدم أو السباحة أو الركض .. وفي المثل المأثور : « **خف تعوم** » بكسر الخاء .. لا بفتحها !

٧٠٦ «الروج والمكياج» قديماً

يقول أبو الطيب المتنبي في بائيته المشهورة التى مطلعها :

من الجاذر في زي الأعاريب
حمر الحلى ــ والمطايا ــ والجلابيب
ما أوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي الحضارة حسن غير مجلوب

إلى أن يقول :

افدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ــ ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة
اوراكهن ! صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست مموهة
تركت لون مشيبي .. غير مخضوب

قلت : وأنا أوردتها لاستخراج الشاهد منها على أنه ما يسمى اليوم (بالروج) .. من هذه الألوان التى تصبغ بها الشفاه أو « الشفايف » ! وما تزجج به الحواجب بل وما تكحل به الأجفان ! قد كان معروفا في الحضارة التى راجت في عصر (**المتنبي**) وما قبله طبعا .. وإنما زاد التفنن فيه حتى بلغ هو ما عليه اليوم ، ولكن الحقيقة الخالدة في الأذواق السليمة هي ما حرص عليه أبو الطيب وفداه ! من اللواتي ما عرفن مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب .. وكان الكحل بفتح الكاف والحاء يغنيهن أيضا عن الكحل (بضم الكاف وسكون الحاء) ولهذا قال غيره : « **ليس التكحل في العينين كالكحل** » ، وأين هذه الخماخم والكماكم من الشعر المضفر المجدول ، وقد كان الشعراء يتغنون به حتى قال أحدهم :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
في ليلة فارت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتنى القمرين في وقت معا

وأخشى أن يحسب هذا وأمثاله من الأدب الميت ! **أيضا** .. فقد غلبت « الموضات ! وطغى

الموج فما ترى إلا « الغرق » .. وقليل منهم **الناجون . ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾** .

٧٠٧ « زقاق الكراث » بمكة

كان بمكة ــ وبالمسعى ــ بالذات وإلى يمين الصاعد إلى « المروة » وقبل أن يصعد السائر الى « المدعى » أو **(دار أبي سفيان)** زقاق ضيق جدا يزخر بالباعة والدكاكين ، ما كان داخلا منها أو خارجا عنها .. ويموج بالحركة .. ليل نهار ، وتتزاحم فيه المناكب والأقدام . ويطلق عليه **« زقاق الكراث » ويعرفه أكثر الأحياء في عهدنا** هذا .. ثم زال .. ومعه كراثه .. بل وكل ما كان معه من بيض وفراخ وسمن وعسل ! وكأنه لم يكن من قبل !

وقرأت في **(ظهر الإسلام)** للمرحوم **الدكتور أحمد أمين** : أن إحدى المغنيات وتسمى **« علوة » كانت تغني في « درب السلق »** .. ببغداد ، وكان هذا في عهد زهوها وازدهارها وحضارتها .. أي في العصر العباسي أو القرن الرابع .. على التحديد ! ــ والسلق أخو الكراث .. بل هما يخرطان ويطهيان معا حتى الآن .. وانطوى الدرب كما امحى الزقاق ! وعوض الله عنهما بما هو خير منهما فأصبحا سوقا للأثاث ! والتراث ! .. ولهما علينا حق التذكر والتصور **(كزقاق القبو)** و **(زقاق الدعوجي)** و (زقاق أبو زيد) و (زقاق القطبي) في **سويقة القديمة** و **(زقاق البخارية)** و **(زقاق الجنائز)** و **(زقاق الحفرة)** و **(زقاق البرسيم)** و **(زقاق المجزرة)** **وغيرها ، وتلك الأخرى التي لم يتناولها التهذيب بمناسبة التوسعة الجديدة في الشوارع أو في** مساحات المسجد الحرام .

وأغلب الظن أن زمن الأزقة قد مضى وانقضى ، وما بعد الآن إلا الشوارع الواسعة !

٧٠٨ الطبع البطال !

نقول لمن يحدث منه ما لا نرضى من قول **أو عمل : (يا أخي إنت طبعك بطال) ! وقرأت** مصادفة ما رواه **ابن النديم** في فهرسته من : أن الخالديان ــ (وكانا في زمن **سيف الدولة بن حمدان** في حلب) في القرن الرابع الهجري .. كانا **إذا** استحسنا شيئا غصبا صاحبه حيا أو ميتا .. (اي من الشعر) وذلك لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كانت طباعهما .

قلت : لعل الذي طوع لهما هذا **الاغتصاب أنهما صاحبا دالة على الشعراء .. أو لهما** عليهم أياد بيضاء ، فيضطرون إلى الاستسلام .. استبقاء لودهما ورضائهما ، هذا إذا كانوا من الأحياء .. فأما **(الأموات)** فان يوم العرض كفيل بالانتصاف لهم من كل سطو وعدو .. **﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ إلا أن هذا : « طبع بطال » يوصم به المغتصب** .. رغم مرور كل هذه الحقب .. وعسى أن لا يأتي زمان يضطر فيه المحسن من الشعراء إلى أن يسجل شعره .. في سجلات القضاة .. ويأخذ به حجة استحكام يستند إليها عند الخصام .

٧٠٩ حرائر الدهناء !

جاء في عيون الأخبار : أن أعرابيا ذهب إلى سوار القاضي فقال : إن أبي مات وتركني وأخا لي ــ وخط خطين ناحيته . ثم قال : وهجينا لنا .. ــ ثم خط خطا آخر ناحية ــ ! ثم

قال : كيف ينقسم المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثا .. إن لم يكن وارث غيركم ، فقال له : لا أحسبك فهمت ؟! **إنه** تركني .. وأخي ، وهجينا لنا ، فقال سوار ، المال بينكم سواء ، فقال الأعرابي : أيأخذ الهجين كما أخذ ويأخذ أخي ؟ قال : أجل ، فغضب الأعرابي وقال : تعلم والله أنك لقليل الخالات بالدهناء .

قلت : وإنما قال الأعرابي ذلك لأنه ليس بالدهناء أمة .. وانما كان فيها الحرائر .. وما كان هذا الغضب من الأعرابي أمام القاضي الا اشمئزازاً من أن يتساوى مع أخيه من أبيه وهو هجين أو مهجن في التركة .. جهلا منه بما أنزل الله . وتأثرا بما غلب على أمثاله من العصبية الجاهلية . وكما جاء **في رواية أخرى ان أباه ، عير ابنه فقال له يا ابن** الأمة .. فقال وما ذنبي ؟ فقد احسنت اختيارك ، وأسأت اختيارها !

٧١٠ ميمات الدواة

قال الشيخ العالم المحدث المعمر (المكي) المتوفي سنة ٩٨٨هـ .

وميمات الدواة تعد سبعا
وسبعا عدهن بلا خفاء

(مداد) ثم (محبرة) (مقص
و (مرملة) و (مصمغة) الواء

و (مكشطة) و (مقلمة) « مقط »
و (مصقلة) و (مموهة) لماء

و (محراك) و (مسطرة) (مسن)
و (ممسحة) لختم وانتهاء

قلت : يكاد القارىء يظن أنها سبعة فقط وان ما جاء في الشطر الثانى من باب رد العجز على **الصدر .. تكريرا . أو تمهيدا ! وإنما أراد انها** سبعة ، وسبعة أي أربع عشرة .. وقد لا تحتاج إلى ايضاح فيما زاولناه أيام التعلم .. عند (الخطاط) .. بل وحتى في (المتاجر) ذات المكاتب المتكاملة **إلا (المرحلة)** فانها تسمى اول عهدنا بالكتابة **(المتربة) .. و (المقلمة)** هي ما كنا نقول له : (المقلمية) .. وباقي (العدة) واضح لا غبار عليه .. وقد عفى التطور الحضاري على كل ذلك **بعد هذه** (الأقلام الجيبية الخازنة للحبر .. أو **(المداد)** ! واستغنى الكتاب عن هذه الأدوات كلها إلا عن ورق **(النشاف)** بدلا عن المرملة أو (المتربة) .. وكانت تملأ في الأوساط العليا والمكاتب الممتازة .. بالتبر اللماع .. وكثير وجوده في بعض جبال مكة .. وفي سفوح (خندمة) وما حوله .. وأيضا بالرمل الملون بالأخضر أو الأحمر أو الأزرق .. وبالطبع **فإن** هذه المعدودات . لا يدخل فيها ما أعدت له أو من **أجله** وهو القلم .. وكان من القصب الذي يقلم ويقط ! ولولاه لما كان لها من وجود قط ! وما أردت بهذا الايراد **إلاالتذكر .. فقط** ! وكم اتفق لنا يومئذ .. الوقوع في الغلط .. **فنمحوه** باللمس والمسح ! وتعذر ذلك الآن .. (على الكاتب) .. ولو ألح .. وألح .. وتلك نعمة من الله علينا .. إبان التعليم .. **وإلا** كان سببا للشطح والنطح .. ويرحم الله أساتذتنا الذين كانوا يكتفون بالنظرة .. **فإن** لم تزجر .. فالعصا لمن أساء **(المشق)** .. ولوث الطرس .. واستحق القرمعة و **(الطرس)** ـــ بكسر الطاء الأولى وفتح الثانية .

٧١١ ماهي الربلات ؟

قال الشاعر **المستوغر بن ربيعة** — وقد عاش كما زعموا ثلاثمائة سنة وعشرين سنة ، وهو يصف فرسه :

ينش الماء في « الربـلات » منها
نشيش الرضف في اللبن الوغير !

قلت : أثرت عرضه للقراء الكرام .. لأستخلص منه شاهدا على أن ما يطلق عليه المحدثون **«الربل»** مما هو « منفوخ » داخل العجل .. أي اطارات السيارات لا يعدو أن يكون كما قال **المستوغر** شكلا وموضوعا .. فهو إنما عني بالربلات — بفتح الباء — جمع ربلة .. بفتحها أو اسكانها .. وهي باطن الفخذ ؟! وهي هي في هذه البطائن التى تنفخ داخل الاطار الخارجى .. مسا ولمسا ؟ ولينا .. وبسا ، فهل سميت بذلك استنباطا .. من العربية ؟ .. **أم** أنها جاءت اتفاقا ؟ **أم** لها ما تنسب **إليه** من اللغات **الأخرى ؟! والمهم أنني** وجدتها لم تخرج عن اختها الجاهلية .. من جميع الوجوه ! إلا في جهة الاستعمال .. فتلك في بواطن الافخاذ .. وهذه في مداخل الكفرات .. وحتى الكفرات فإنها سهلة التخريج والتأويل حتى تكون عربية أصيلة .. بأقل تدبر أو تأمل !

٧١٢ مشبك الأعياد

كانوا **يحتفلون في ذكرى « المولد النبوى » و (الاسراء) أو (المعراج) كل عام في شهري** ربيع الأول ، ورجب ، ويتهادون فيهما ، بما **يسمى « المشبك » وهو (حلوى) أعتقد أنها** هندية الأصل قديما ، وباكستانية حديثا ، وما تزال لها بقية تعرض في بعض حوانيت باعة الحلويات الطازجة ، المعمولة محليا .

والذى دعانى **إلى** الكتابة عن ذلك هو أن جميع ذوى القربى والأرحام والأصدقاء كانوا يبادرون في يوم الذكرى إلى الأسواق .. ويملؤون عدة (قراطيس) حارة من نفس (الطواجن) التى تلقى فيها .. وتغمس في قدور (الشيرة) ! ويتعهدون من يتصل بهم من ذوى الصلات العائلية ، أو الأخوية ، بهذه القراطيس مع عوائلهم الخاصة ، ويشفعون ذلك أيضا ببعض الهدايا المستظرفة .. أو الفاكهة الناضجة ، ويتبادلون ذلك كل على حسب طاقته ومستواه .. ويعم ذلك الغني والفقير .. والبعيد والقريب .. وربما اتبعوا ذلك بالتزاور أيضا .. وإشاعة الفرح والمرح بين الجميع .

ومع أنه تبين أن هاتين المناسبتين وتخصيصهما بالتكريم ، واعتبارهما من الأعياد .. ليستا في الحقيقة من أعياد الإسلام المقتصرة على عيدى الفطر والأضحى فقط ، وما عداهما **فإنما** حدث في القرون المتأخرة ، **فإن** الأسف انما هو على انقطاع هذه الصلة والمزاورة والمهاداة .. فما حل محلهما ما يعوض عنهما في هذه المبرات والايثارات ! .. وانصرف الناس لا عنهما فقط ، بل حتى عن عوائدهم الطيبة في العيدين الشرعيين .. ولاسيما في عيد الفطر .. فقد اكتفوا بالبطاقات أو البرقيات .. وحجبتهم بعد المسافات .. وكثرة (المشاوير) !.. وكنا نزاور فيه أهل السهول والجبال ولا يقل ما نصعده ونهبطه من السلالم في اليوم الواحد عن خمسين دارا .. **إلا** أن ذلك كان مع الشباب

والاستطاعة ! **فأما الأطفال فإنهم** يهتمون بأمرين : الأول ــ عرض أزيائهم الجديدة . والثانى ــ أخذ عيدياتهم العديدة طردا وعكسا ! ولو كانت قرشا أو فلسا .

٧١٣ الصلوات قديماً

أدركت ما كان يسمى « بالركوب » في زيارة المدينة المنورة بشهر رجب من كل عام وكان **أفقر العمال ، وأقلهم دخلا (بحوش) أو يجمع أو يقترض ما يستأجر به « ذلولا » أو (حمارا)** .. ليؤدى هذه الزيارة .. وقبل أن يقوموا بها من كل محلة .. وتحت علمها المتميز .. وحاديها المختار .. كانوا يقيمون لها دعاية تستمر شهرا كاملا .. فيخرجون طيلة شهر جمادى الآخرة إلى المسجد الحرام ويؤدون صلاتى المغرب والعشاء ، ثم يتحلقون عند أبواب المسجد ، كل من جهته .. وناحية (حارته) ويتوسطهم الحادى ، وينشدهم **أبياتا** مشوقة .. وابتهالات مذكرة .. ثم يرددون نشيده .. ويصعدون أو ينحدرون إلى مناطقهم في جماعات كثيفة .. **فإذا** ما انتهوا إلى حدودهم المعروفة ، انصرفوا إلى دورهم ، أو منازلهم ، ويطلقون على هذه العادة « **الصلوات** » .. لأنهم يرتلون فيها ويكررون الصلاة على سيد البشر .. صلوات الله وسلامه عليه .. وهي في اعتقادى من الزيارة كتلك المحافل التى تضم حولها الحجاج من بلادهم للتشويق ، عندما كان السفر إلى **أداء** الفريضة **براً لا بحراً** .. وقد زالت هذه العوائد كلها لمنافاتها لما هو مسنون ومشروع ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه .. وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ، وانما أوردها من الناحية التاريخية فقط ، **وأينما** كان **المسلم مصليا** ومسلما على رسول الله ﷺ بلغه ذلك ولو كان في أقصى الأرض كما ورد في الحديث الشريف .. ولا بأس بالزيارة السنوية .. دون هذه المظاهر .. ذات التكاليف الباهظة .. والله الهادى إلى سواء السبيل .

٧١٤ التماس ـ واستفهام ؟

١ ــ الديمقرطية .
٢ ــ الارستقراطية .
٣ ــ الامبريالية .
٤ ــ الديماجوجية .
٥ ــ الكلاسيكية .
٦ ــ الرومانسية .
٧ ــ التكنيكية .
٨ ــ الاستراتيجية .
٩ ــ البورجوازية .
١٠ ــ الايدولوجية .

تتردد هذه الكلمات الفنية في الصحف والمجلات في الداخل والخارج ودائماً وأبداً . دون أن يعرف الكثير من القراء ما تعنيه .. على وجه الدقة .. ومن عرف من القرائن .. بعض ما ترمز إليه حدساً خفي عليه مدلولها الواسع ! فهل لمجلتنا الغراء أن تسدي إلينا معروفاً بتبيان ذلك ؟! فإنه لا يدركها على وجوهها الصحيحة إلا الدارسون المختصون من أفذاذ الجيل الصاعد ، وهل نطمع أن تزودنا بالتعريب أو التعريف الموجز لكل ما هو على شاكلتها من الكلمات التي لا تخلو منها المقالات في شتى المواضع حتى لا تضطرب بجهلها المفاهيم المحدودة ؟ نرجو ذلك مع التقدير فإنه من أهم ما يهدف إليه التثقيف الحديث .

٧١٥ لعله هو « التميز »

جاء في كتاب **« اقتضاء الصراط المستقيم»** للإمام **ابن تيمية** رحمه الله ، وقال « **منذر الثوري** » : « سأل رجل **محمد بن الحنيفة** عن الخبز ؟ فقال : يا جارية اذهبي بهذا الدرهم فاشتري به « تنبيزاً » .. فاشترت تنبيزاً ، ثم جاءت به ، يعني الخبز » اهـ .

قلت : وتوقفت أتأمل في هذه الكلمة الأعجمية .. وارتبط التفكر فيها بهذا الذي نطلق عليه « تميزاً » .. فقلت : سبحان الله لعله هو — أي في أصله كان « تنبيزاً » ، ومع مرور الأعصار حرف فصار (**تميزاً**) ، خصوصاً وأنه إنما جاء إلينا وما يزال الذين يصنعونه بيننا من **(وراء النهر)** وبخاري ، وبلاد فارس .. وعربه الأسلاف بما يخف على اللسان نطقه ، وهنا يحق لي أن أزعم هذا الاكتشاف ، دون هز الأكتاف !

و (**بلاش دق الزيد ف المغراف**) .

٧١٦ الفصول الاربعة

ما زلنا نحفظ ونردد قول الشاعر القديم : « **عن عائشة بنت طلحة** » وقوله أنها :

تشتـــو « بمكـــة » نعمـــة
ومصيفهـــا « بالطائـــف »

ونذكر كلمة تروى لأمير المؤمنين **معاوية ابن أبي سفيان** قالها وهو خليفة في دمشق الشام ، وبين حدائقها النضر .. وأشجارها الخضر .. وأنهارها الجارية .. وربوعها الزاهية ، وهي : « أسعد الناس بالحياة مولاي **سعد** ، يشتو بمكة ، ويصيف بالطائف ، ويربع بجدة .

وما برح الناس من ذوي الثراء ، والمتربة على السواء .. **يتعلجون إلى « الطائف المأنوس »** في فصل الصيف .. هرباً من سموم الجوزاء .. ووقد الأسد والسنبلة .. وركود الهواء بمكة ، أو بجدة ، وذلك منذ صدر الإسلام وقبله وحتى الآن ! إلا أن تساؤلاً يتردد في النفس ولا يملك الجواب عليه إلا نطس الأطباء .. وهو أن لكل « بيئة » حياتها الخاصة وطقسها الذي لا يشاركها فيه إلا من كان على شاكلتها أو في متاخمتها ! وما خلق الله جل وعلا شيئاً دون فائدة أو حكمة أو مصلحة ، عرفها من عرفها .. وجهلها من جهلها فهل من مصلحة الأجسام والأبدان حتماً أن تمر بها الفصول الأربعة كل منها في حينه — شتاء وصيفاً — وربيعاً وخريفاً ولا يضر بها أن تفر من جو حار إلى بارد أو العكس ، ما دامت هي بتكوينها الأزلي ، وطبيعة وجودها خاضعة لهذه العوامل كلها ، فمن المسلم به أن النبات يتأثر بهذه الفصول نمواً وثمراً .. وتعرياً ، وإخصاباً وإجداباً .

ولقد بدا لي أن أتوجه بهذا الاستيضاح إلى حضرات الأطباء الأجلاء فهم بذلك أعمق إدراكاً .. وأصح تعليلاً .. وأحوط إجمالاً وتفصيلاً .. وما أهدف في ذلك إلا إلى الاطمئنان إلى أن الانتقال من جو إلى آخر هرباً من حر إلى قر .. أو من قر إلى حر .. أو من صرد وبرد إلى دفء واكتنان .. كل ذلك طال زمنه أو قصر لا تأثير له على الصحة البدنية .. ولا يحجز ما يجب أن يفرج عنه من عرق أو أخلاط مع **تقديري لحكم (الاعتياد) .. ولا يستوى ﴿ الظلمات ولا النور .. ولا الظل ولا الحرور ﴾ !.. إلا أن التسليم بأن الله تعالى لم** يخلق شيئاً عبثاً يحمل الإدراك على ضرورة التفهم

لهذه (الظاهرة) أو العادة التي لا مراء في أنها متداولة منذ عهود بعيدة ، وإني لأعود فأُقرر طائعاً مختاراً ما كنا نسمعه من أوائلنا و «ذوي الأسنان» منا : من أن من يستطيع الاصطياف في « **الطائف** » ولا يحظى به فإنه لمحروم .. وإنما هي مجرد « فكرة » ، تدعو إلى الاطمئنان من الناحية الطبية ، المبنية على أُسس صحيحة ، خاصة وأن الطب القديم .. يقرر أن في كل منطقة من الأعشاب ما هو علاج لأدوائها . ولا يمنع ذلك أن يكون في سورها ما هو مثلها أو خير منها . فهل من يبسط لنا هذا الاستشكال ويجيب على هذا السؤال ، وله الشكر المعطر ، والشكر المكرر ؟

٧١٧ « وادي نخلة » الثالث في « تعز اليمن » أيضا !

لو سألني عابر سبيل ، عربياً كان أو أجنبياً عن (وادي نخلة) وأين تقع ؟ لقلت له حالاً : في طريق مكة إلى الطائف مما يلي « الشرائع » و « الزيماء » و « السيل الكبير » و « البوباة » و « البهيتاة » !.. وهو وادى ينقسم إلى قسمين : « وادي نخلة اليمانية » ؟ و « وادى نخلة الشامية » .. وما كان يخطر ببالي قط أن لهما ثالثاً وبنفس الاسم في « تعز اليمن » .. فقد ذكر ذلك صاحب كتاب « اليمن الكبرى » .. « المؤلف حسين بن علي الويسي » . ولا عجب في ذلك فإن في أقصى بلاد المغرب ، المدينة الكبرى المسماة « بالدار البيضاء » وفي « وادي قرن المنازل » أو « المحرم » قرية بنفس الاسم .. ولها أخوات وبنات ، وعمات وخالات وجدات .. و ــ بالأسلوب الإداري .. وللإحاطة جرى تحريره .

٧١٨ و « الطائف » الثاني في قضاء بيت الفقيه باليمن

وهذا (الطائف) الثاني الجنوبي يقع في قضاء « بيت الفقيه » بالغرب الشمالي على ساحل البحر الأحمر وعلى بعد ٢٠ كيلو متراً من بيت الفقيه ، وهو ميناء يصدر منه الملح وأنواع الحبوب والصيد . اهـ . « الويسي »

قلت : والفرق ظاهر بين الأول الذي هو جبلي في السراة .. والآخر السهلي الذي يطل على البحر الأحمر .. ولا أدري أيهما كان قبل أخيه وجوداً أو تسمية .

وبهذه المناسبة أتذكر أن بعض القدامى كانوا يحلفون لنا أنهم إذا صعدوا إلى رأس جبل « **أبي قبيس** » يرون «**الطائف**» فكنا نتعجب من ذلك .. وربما احتملنا المشقة للتأكد من ذلك .. وبعد أن يتصبب عرقنا .. نجد من يقول لنا : أنظر إلى المسجد الحرام وإلى الكعبة المشرفة ، ألا ترى (الطائف) حولها ؟! ونعود وقد آمنا بأننا من جماعة السذج .. بعد أن نتدحرج صعوداً وهبوطاً إلى الجبل وما عليه من درج .. وما فيه من حرج .. وهي (مزحة) إلا أنها جد .. وظرف .. واختبار للذكاء .

٧١٩ ألفاظ وكلمات متآخية

« وتلازما عند الفراق عشية
أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر »

يقول الشاعر قديماً :

وكل أخ مفارقه أخوه
لعمر أبيك الا الفرقدان

ومعناه أو صحته : حتى (**الفرقدان**) .

إلا أن هذا خاص بالإنسان ، وربما الحيوان فهل ينطبق ذلك على ما تلازم لفظاً واتفق لمظاً من هذه الأسماء المتآلفة .. المتآخية ؟ ومن ذلك **« ميمونة وجعرانة »** .. و **« شبري والعقيق »** .. و **« والرز والعدس »** .. و **« الثوم والبصل »** .. و **« والقطر والطحينة »** .. و **« الفلفل والكمون »** .. و **« السكر والشاهي »** .. و **« المطبق واللقيمات »** .. و **« العيش واللحم »** .. و **« الفول والبيض »** و **« العيش والملح »** و **« البامية والملوخية »** و **« القثاء والخيار »** و**« السمن والعسل »** و **« الزيت والحلبة »** و **« الفول والترمس »** و**« الهريسة والمهجمية »** و **« الصحن والزبدية »** و **« الشقدف والشبرية »** **« والمصطكاة والهيل »** و **« الفل والياسمين »** **وكلها مما تلازم وتصاحب .. وتصادق ولم يتشاغب ! ولم يدخل بينها قط شقاق ولا افتراق .** **وأقول : (ما شاء الله تبارك الله) ! و (عين الحسود فيها عود !) وقديماً جرى المثل وانطبق :** **« من فاته فليشرب من المرق » !!**

٧٢٠ هيا بلا تفقيع !

قال **الجاحظ** : (**قال يعقوب الخزيمي**) :

ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار ! كان **هشام الكلبي** علامة نسابة ، وراوية للمثالب عيابة ، فإذا رأى **الهيثم بن عدي** ذاب كما يذوب الرصاص وكان **علي بن الهيثم** (حريفاً) ، (مفقعاً) ، (نياً) صاحب تقعر ، يستولي على كل كلام لا يحفل بخطيب ولا شاعر ، فإذا رأى **موسى الضبي** ذاب كما يذوب الرصاص . **وكان علوية وأحد الناس في** الغناء رواية ، وصنعة ، وجودة ضرب وأضراب **وحسن خلق فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب** الرصاص .

قلت : وكذلك هي حكمة الله البالغة .. وشواهدها ما تزال قائمة في عامة الناس وخاصتهم .. وقديماً قال الشاعر :

« إن كنت ريحاً
فقد لاقيت إعصارا »

ونستفيد من هذه الرواية دليلاً على صحة الاستعمال الشائع حتى الآن ، وخاصة عند ربات الحجى .. فإذا استمعن إلى متزيدة في القول منهن ، أو مبالغة قلن لها على التو : **« هيا بلا تفقيع »** .. تماماً بمعناه العربي الصحيح الفصيح .. وقد مر عليها ألف عام وأكثر .. وأيضاً كلمة (**نيا**) فما برحت مستعملة .. بمعنى الميوعة .. والتخاذل .. والتكاسل ! وقد أخذت تختفي ولله الحمد من أوساطنا الكادحة .

٧٢١ ٨٠ ألف ورقة بخط أبي محمد علي بن حزم

٣٨٤ ــ ٤٥٦ هـ

قال **أبو رافع الفضل بن علي بن حزم الأندلسي** : « اجتمع عندي بخط أبي ــ من تواليفه ــ نحو أربعمائة مجلد ، تشمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة » اهـ .

قلت : هذا ما كان بخط يده .. عدى ما جمعه في مكتبته من مؤلفات وأسفار العلماء الذين سبقوه أو عاصروه .. وهو في عيشه الرغيد وعصره المجيد .. ومجده الطريف والتليد . ومنه نفهم كيف كان العلماء منكبين على الدرس **والتأليف ، والتصنيف .. وأنهم لو أتيح لهم من** أسباب الترف العصري ووسائل الرحلات والراحة والاطلاع .. والمطابع — ما تيسر للآخرين ، لفاضت بهم البحار وتدفقت الأنهار . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وكم له من أمثال تضرب بهم **الأمثال و « خير الناس أنفعهم للناس » .**

٧٢٢ المدرجات الحجرية « بمكة »

كانت بمكة مدرجات حجرية منحوتة مستوية ، مربعة الأشكال ، ترصف بها بعض المناطق التي يرتادها الحجاج قديماً .. وأهمها **« مدرج منى » . وهو يمتد طولاً نحو عشرين** وثلاثين متراً .. وعرضاً أكثر من ١٥ متراً ، **ويتلوه مدرج « أبي لهب » في طريق « التنعيم للمعتمرين » .. ومن بعده بين « الشهداء » و « التنعيم » مدرج آخر وقد أزيلت كلها ...** وأبدلت بالتوسعة والتمهيد والتعبيد والسفلتة .. وكان هناك رصيف عام في المسعى أُقيم في أول العصر السعودي وأنفق عليه مال كثير بين الصفا والمروة ، قبل أن تجري فيهما مخططات التوسعة الجديدة — وكانت قبل العهد السعودي — (مجرد تراب) تتعفر به وجوه الساعين .. فإذا رشت **الأرض بالماء .. وكان « بالقرب » .. وقعت** حوادث الزحلقة والزفلطة وتلوث إحرام الناسك ، واضطر إلى تبديل إحرامه خشية النجاسة لأن « كلاب المسعى » كانت تربض حيث تجد الرطوبة هناك وكان لها جراية سلطانية قديمة ، وشيخ يرعاها ولا يأنف بهذا اللقب أو منه ، ويتعهدها أيضاً بمراكن الماء لتروى ظمأها ، كلما عطشت أو لهثت .. ولها معارك حامية مع الدخلاء من كلاب المناطق المجاورة ، ومن سلطة الشيخ أن يحميها من كل معتد أو عاد أثيم .

٧٢٣ أصل اللهجة ـ اللهوجة

قال الشماخ بن ضرار التغلبي :

يقر بعيني ان أنبأ ، أنها
وإن لم أنلها أيم لم تزوج
وكنت إذا لاقيتها كان سرنا
وما بيننا ، مثل الشواء الملهوج

قلت : من هنا استطعت أن أدرك أن ما يقوله الضائق بحديث صاحبه ، أو المنكر عليه شيئاً مما يقول : يا أخينا بلا لهجة .. أو لا تأخذنا **باللهجة .. إنما هو « اللهوجة » ، لأن اللهجة ،** مجرد الكلام ، أما اللهوجة فإنها السرعة والعجلة وهما فطنة التوقف ، والتأفف . إلا أن تكون في **« الشوا » . فقد قال القدامى : « كل من** اللحم ما عرق .. » وهو هو « السلاة » ، ورعى الله أيامه ، فقد تطور إلى أوضاع جديدة ، وأسماء غريبة ، لا تخلو هي الأُخرى من اللهوجة .

٧٢٤ مجنون بني أسد !

« روى أنه كان في بني أسد مجنون .. فمر به قوم من بني « **تيم الله** » فعبثوا به ، وعذبوه ، فقال : ما أعلم في الدنيا خيراً من بني « تيم الله »

قالوا : وكيف ؟ قال : **بنو أسد** ليس فيهم مجنون غيري ، وقد قيدوني وسلسلوني ، وكلكم مجانين وليس فيكم مقيد » اهـ .

قلت : مسكين هذا الذي يشهد كلامه بعقله .. حين أصابه من يحسبون أنهم عقلاء بما لا يتفق والإنسانية من الأذى والتعذيب وهو أحق بالرحمة ، والتحبب والتقريب .. وكذلك هي الدنيا أغلب أحيانها وأوضاعها : « المفارقات » وأهون أرزائها المضاعفات .

ويرحمك الله أيهذا المجنون .. وإن لك لأجراً غير ممنون إن شاء الله رب العالمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

٧٢٥ تفاريق العصا !

« كان لأعرابية ، ابن شديد العرام كثير القتال للناس ، مع ضعف أسر ورقة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه .. فأخذت أمه دية أنفه ، فحسن حالها بعد فقر مدقع ، ثم واثب **آخر فقطع أذنه ، ثم أخذت دية أذنه فزادت في** المال وحسن الحال .. ثم واثب آخر فقطع شفته ، ثم أخذت دية شفته .. فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم والمتاع بجوارح إبنها ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

أحلف «بالمروة» حلفاً و «الصفا»
إنك خير من « تفاريق العصا »

وسئل اعرابي : ما تفاريق العصا ؟ فقال : العصا تقطع ساجوراً ثم يقطع الساجور أوتاداً ثم **تقطع الأوتاد شظايا .**

قلت : **ونستطيع أن نعيد إصطلاح المتأخرين** ممن أدركناهم بتسمية المسكوكات البسيطة **« بالتفاريق » إلى هذا الأصل ، وهو ما يطلق عليه أهل مصر « الفكة » وما كان لأم أن ترغد** بتقطيع أوصال وليدها .. لولا أنه كان عادياً معتدياً .. فسخره الله لما خلق له . وأسعد بشقائه أمه ، البائسة .

٧٢٦ الضيف ، والضيفن !

قال **أبو الطيب** :

ومكايد السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقارنة اللئيم فإنها
«ضيف» يجر من الندامة «ضيفنا»

قال شارحه :

والضيفن(١): الطفيلي الذي يجيء مع الضيف بلا دعوة ، وقد أخنى على هذه الكلمة هجرها حتى لم تكد تظهر على لسان منذ عهود بعيدة ، وقلما تفطن إليها أو وقف عليها إلا من ينقب عن أثر ، وأراها ظريفة لطيفة ، حتى لا تفريق بينها وبين الضيف .. إلا هذه النون الحاجبة بالإضافة إليها ولكل شيء من جنسه آفة .

---

(١) (المنهل) : لعل زيادة النون ونقص معنى الكلمة بهذه الزيادة يمثل قاعدة « مركب النقص » في الكلمات . ومركب النقص في الإنسان أن يتزيد ويظهر بالمظهر الذي ليس فيه حتى يسد ثغرة نقصه في نفسه أو فكره أو أدبه أو علمه أو عقله أمام الناس .

٧٢٧ حسن المطلع !

قرأت أن **الصاحب بن عباد** قال : أنشدني ابن **أبي الثياب** وهو من شعرائه في يوم نيروز قصيدة كان ابتداؤها :

« أقفر ، وما طلت ثراك يد الطل »

قال : فتطيرت من افتتاحه بالقفر .. وتنغصت باليوم وبالشعر .. فقلت له : كذلك كانت حال أبي مقاتل الضرير لما أنشد مخدومه الداعي إلى الحق الثائر بطبرستان ، إذ قال : « **موعد أحبابك بالفرقة غد** » قال : وقد أغضبه ما سمع بهذا الافتتاح : « **بل موعد أحبابك يا أعمى ولك المثل السوء** » .

قلت : وقد روى لي من شهد مثل ذلك يوم انتهى أمير مكة **الشريف عون الرفيق** من بناء بركته الكبرى وبستانه الذي استنبت فيه كل أنواع الزهور والرياحين والفواكه بمكة بجرول في أوائل هذا القرن حيث أقام مهرجاناً عظيماً يوم افتتاحه ودعا إليه علية القوم وكبار الناس .. وكان فيمن أحضر فيه « **سراج عبد الغني** » المطرب المشهور والذي كان يضرب به المثل في إتقانه وإحسانه لصنعته .. فافتتح طربه بقوله : « **يا زماني أتيت شيئا فريا** » ولا أدري لمن هي ؟ .

فبادر الأمير إلى زجره وإسكاته وإخراجه تطيراً بذلك .. وفي أمثال العامة « **المنطوق سعادة** »(١)

(١) (المنهل) وفي المثل العربي : « البلاء موكل بالمنطق »

٧٢٨ رجز ، ام طويل ؟

قال **الثعالبي** في « **خاص الخاص** » : أن **مروان بن أبي حفصة** الشاعر الشهير نظر إلى ابنه (**أبي الجندب**) وهو يصلي صلاة خفيفة فقال له : يا بني — صلاتك رجز » (بفتح الراء والزاى) ! اهـ .

قلت : لقد خاطبه بلغة الشعر وبحوره . وما أكثر الراجزين في زماننا هذا فما قرأ أكثرهم من علم العروض (غيره) ، رغم أن من بحوره (الطويل) .. و (الوافر) :

وإذا حلت الهداية قلباً
نشطت للعبادة الأعضاء

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت .

٧٢٩ من توارد الخواطر

إذا أحسنا النية ، ولم نتهم كلما وجدنا لفظاً أو معنى يتفق مع مثله من شعر لاحق أو سابق فإننا نستطيع أن نقول : **أنه (توارد خواطر)** .. كوقع الحافر على الحافر . ومن ذلك أنني كنت أحفظ بيتين قديمتين لا أدري من قائلهما ، وهما :

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد
« لما أحس لها من وطئها ألما »
خفيفة الروح ، لو رامت لخفتها
رقصاً على الماء ما بلت لها قدما

وكان قد شطرهما شاعر العرب الشيخ **فؤاد باشا الخطيب** رحمه الله قبل نحو من خمسين سنة ،

أثناء إقامته بمكة المكرمة ، وسمعناهما منه ودوناهما عنه : وهذا تشطيره :

هيفاء لو خطرت في جسم ذي رمد
« نال الشفاء ولم يستشعر السقما »
ولو مشت فوق ساري الذر خاطرة
« لما أحس لها من وطئها ألما »
خفيفة الروح — لو رامت لخفتها
« مثل الهواء دخول الجسم ما علما »
ولو أرادت دلالاً من رشاقتها
« رقصاً على الماء ما بلت لها قدما »

٧٣٠ شويتي !

تقول المرأة للرجل أو الخادم أو لابنها — إذا تحمل قلبها من أحدهم ما لا تطيق : (**شويتي**) ويقولها لنفس السبب الرجل للرجل أو الغلام ، وهي عربية فصيحة مستعملة منذ صدر الإسلام .

قال الشاعر الأعرابي **لمعاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنه يشكو إليه **مروان بن الحكم** عندما اضطره إلى تطليق زوجته « **سعدى** » كرهاً ، وتزوجها ، في قصة مطولة أوردها صاحب (**أخبار النساء**) وكانت شكواه في قصيدة شعرية جاء فيها :

أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي
فيا غيث لا تقطع رجائي من العدل
وجد لي بأنصاف من الجائر الذي
(شواني) شياً .. كان أيسره قتلي !

قلت : فهذا هو الشي — لفظاً — أما من أراد أن يراه معنى ، فلينظر إلى « **أكواز الذرة** » الحبشية ! وهي تحمر وتقمر ، فوق الجمر ، فهو من ذلك القبيل وقد يكون أشد في النفس وأنكى كما قال الشاعر ، وما أكثر ما تستعمله ربات البيوت مع الصبيان .. وبه يتوجه الخطاب في أكثر الأحيان من المرأة إلى مثلها ، إذا سامتها الضيم ، أو « **شوتها الغيرة** » .

٧٣١ خداع البراقع

للبراقع حسنات ، ما في ذلك شك ! من حيث الستر والحجاب والحياء ، وقد وجدت من جعل لها سيئة من ناحية أخرى ، فقد قال شاعر قديم :

إذا بارك الله في ملبس
فلا بارك الله في البرقع
تريك عيون المها غرة
وتكشف عن منظر أشنع

قلت : فهذه الغرة أو الخدعة التي يؤاخذ بها البرقع .. عفا الله عنه كما عفى عليه (بتشديد الفاء) لا تكون إلا فيمن لا يترك ما لا يعنيه .. فأما إن عناه فإن له وسائل تقيه الانخداع شرعاً وعرفاً . وقد اتفق لي مع أصدقاء عديدين إن رأيت سرباً من النساء ، سائرات على الأقدام بين (**الطائف والمثناة**) في إحدى (**الأصائل**) وكلهن مبرقعات !. وكن أكثر من عشرين .. فأمرت السائق بأن لا يزعجهن ، ويترفق بهن وأن يتوقف ويمشي الهوينى ، حتى يتجاوزهن ، وذلك قبل نحو خمس وثلاثين سنة ، فما راعنا إلا وهن **يرفعن** البراقع ، أو « **البيجامات** » **فإذا بهن جميعاً** من بنات (**حام**) ويفزع منهن حتى الجن والظلام ، وأخذن يتراكضن وراء السيارة ، ويسخرن من توصياتي بهن الرفاق .. وهن على

ذلك يتوهمن أنهن لدات للبنى وسعدى وعزة ، وعفراء . وأمرته بأن (يهرب) ويسرع .. ويبتعد عنهن .. فما كن بنا إلا ساخرات ، وقد فطن إلى **أننا حسبانهن « صواحب التميري » بن نعمان وعرفات** ومن أتراب **زينب الخفرات** .

وقد أوحى ذلك لي بقصيدة فكهة .. طويلة .. لا أدري أين هي الآن ؟ لطول المدة ؟ وما يزال كثير من الوافدات اللواتي يتزين بالبراقع أو الملايات ، ليوهمن الناس أنهن من المواطنات وهن يسرحن ويمرحن بها متسولات استدراراً بها لعطف المحسنين .

وبعد مرور عشرات السنين قرأت لشاعر **عربي قديم عاش قبل ألف سنة ، هو إسحاق بن خلف البصري قوله :**

لو ان رقيتها فى صخرة نطقت
أو اذن خرساء ، اضحت غير خرساء
اخفى من الروح اذ دبت لحاجتها
ولو تشاء ، مشت رفقا على الماء

قلت : والشاهد في التوارد إنما جاء في الشطر الأخير .. إلا أن الأول كان رقصاً ... والثاني ... رفقاً ... ولا غرابة في ذلك : فإن العقل الباطن يختزن .. ما يواتيه به الدرس والإحاطة والمطالعة .. ثم يطوره أو يصهره في بوتقة الشاعر .. الحادث .. بعد القديم .. وربما كان ذلك تحسيناً وتزييناً ... وتكميلاً ... وأحياناً تقبيحاً .. وتشويهاً .. وتهويلاً ! وما أكثر ما وقع ذلك في الأدب العربي المدون ! في السابقين واللاحقين وحال الشاعر المسلم يجب أن يحمل على الصلاح !.. و (ربنا يستر) !..

٧٣٢ الهمشري ـ وصديق معوض

كان هذان الرجلان متشابهين في القامة والهامة والطول والعرض ، والضخامة الجسمية بحيث لو أنهما وزنا أو تعادلا لما رجح أحدهما على رفيقه رطلاً واحداً ! وهما إلى القصر أقرب منهما إلى الطول .. وفي السن هما متقاربان . وقد كانا محل تندر أهل مكة .. فهما على تجاوز ثقلهما الحدود المألوفة ، يستوقفان أنظار المارة ، من الكبار والصغار على حد سواء . وإذا التقيا في ساحة ما فلا تسل عما يتبادلانه من النكات والفكاهات والدعابات . ورغم أن البعير لا يكاد ينهض بأحدهما ، فقد كانا من الرشاقة وخفة الحركة وقوة الركض في درجة مدهشة حقاً . وقد منحهما الله كثيراً من الميزات الخلقية ــ بضم الخاء واللام ــ عفة وكرماً ، ونجدة ومروءة ، وبشاشة ومرحاً حتى ليظن المرء أنهما لا يعرفان الكدر لفظاً أو معنى . وقد عاشا إلى ما بعد الأربعين بعد الألف والثلاثمائة .. ا هـ ..

وما تخرج (**بشكة**) أو (**جماعة**) من الخاصة أو العامة إلى القيلات أو السمرات في منتزهات مكة إلا وتحرص على اصطحابهما كليهما أو أحدهما .. لأنهما لا يبخلان بكل ما يملكان من حذق وذكاء بإضفاء روح البهجة والسرور على كل من يظفر بهما وقد يستثيرها (الأبالسة) على بعضهما ، فيتعاركان ويتصارعان ، ولكن في حدود الاحتمال ، وعدم الإزعاج ..

وأتذكر أن المرحوم (**صديق معوض**) **قد** مر يوماً بعد العصر في قاعة الشفاء بالشامية **قبل**

عام الثلاثين بعد الألف والثلاثمائة من الهجرة ، وثوبه ووجهه وصدره حتى قدميه ، كل ذلك ملطخ بالدم الأحمر القاني ، وحوله الناس أفواجاً ... وإلى يمينه وشماله جنود (البوليس) من الأتراك .. وقد ظهر أنه شعر بحاجته إلى الفصد فذهب إلى (المروة) ورغب إلى المزين **الكبير العم (حمزة عيسوي) أن يتولى فصده ...** وفعلاً باشر ذلك وما كاد يبدأ حتى فاض الدم كالنافورة من الرجل السمين ... وأغرقه مع كل ما في الحانوت .. بالدم !! وأخذ ينزف بشكل رهيب ! وذعر الفاصد .. وهربوه كما سمعت وحضر رجال البوليس .. واصطحبوه وهو ما يزال ينزف إلى المستشفى العسكري .. وهو يمشي على رجليه (دون نقالة أو إسعاف) أو حمل وربما كان عدم حمله ناشئاً من تعذره على الكثيرين . وبعد مدة طويلة شفاه الله وعاد إلى عمله ..

وكان يخدم هو و (المشمري) أيضاً ، في المواسم لدى مشايخ الحجاج الجاوى وسواهم .. ويصطحبان القوافل إلى المدينة المنورة . ثم طوى الموت سجلهما وسبحان من له الدوام .. وما كان **بعيداً عنهما العم (محجوب) وهو من أهل أجياد** إلا أنه دونهما سناً وحجماً ، وكان من أهل اليسار ويتخذ الصرافة مهنة له . وهو كلف بالألحان والأنغام والموشحات .. وغاية في الأدب والمجاملة والاحتشام ، وكلهم حضرت مجلسه ومؤانسته وأدركته في عنفوان قوته ونشاطه ... وكأنما كان هذا الفريق مسك الختام لطبقته من السابقين الذين يعتبرون من ذوي الفتوة والمروءة والبذل ، والإيثار مع الطلاقة والبشر والاستقامة والأدب والاعتبار . تغمدهم الله برحمته ورضوانه .

وإني لأرى من الحق علينا أن لا ننساهم . وقد كان لهم في (المجتمع) صدى تتجاوب به الشعاب ويستعاد به الشباب . وهيهات .

٧٣٣ أغزوان هو أم عروان؟

كما نكب الكلام أو البيان آخر الزمان بالتطبيع ! فقد ابتلي في أوله بالنساخ الذين يعجمون ولا يعربون .. ويهملون ولا ينقطون !.

فهذا الجبل الشامخ المشرف على رأس السراة وعلى سفوحها الزمردية ، وقممها السندسية .. والذي تقع في منطقته (مدينة الطائف) ومروجها **وبساتينها إنما يطلق عليه القدامى (غزوان) .. بما فوقه من قمم (الهدى) و (الشفا) كما أعتقد .. واقرأ في كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة.** أي قبل ألف ومائة وعشر سنوات أيضاً .. وهو يقدم كتابه هذا ــ قوله : « ولا تثق بمعرفتك في **(حزم نابع) و (عروان الكراث)** الخ » اهـ. **ويفسر الشراح (عروان) بضم العين بأنه من أمتع جبال الحجاز وأكثره صيداً وعسلاً ، وهو** من منازل **(هذيل) ونقل عن ابن دريد فتح العين** » اهـ .

قلت : وما أحسب هذا إلا من تحريف النساخين .. كما يقع اليوم أضعافه بل هو أشد منه وأنكى من تجديف « الصفافين » وسوء خطوط بعض الكاتبين .. فإنما هو جبل (غزوان) بالغين لا بالعين . وعلى ذلك أدلة كثيرة من كتب الأدب والسير والتراجم ! فهل للمنهل الأغر أن يضيء سبيل الصواب بعد الارتياب ؟! فما يحسن أن يحقق في مثل هذا إلا ذوو الألباب . حتى يصح الاعتماد على ما هو الأرجح .. أرجو ذلك فقد

يكون فيه فصل الخطاب ! بعد كشف النقاب[1] !.

٧٣٤ أولية كلمة « الضمير » استعمالا

انتشرت في الأجيال الأخيرة كلمة « الضمير » .. وعمت الأوساط الأدبية والصحفية .. بل والغنائية أيضاً ..

وقلما ظفرت بها فيما سلف من ذخائر العرب .. أو السير والتراجم .. بل والقصائد الجاهلية .. وفي صدر الإسلام إلا (بيتاً) أحفظه قيل قبل ستمائة عام وهو :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني و (الضمير) المحبا

وأخيراً قرأت **لعروة بن الورد** من أبيات له في (الأغاني) قوله :

وقالوا : لست بعد فداء سلمى
بمغن ما لديك ، ولا فقير

فيا للناس كيف غلبت نفسي ؟
على شيء ــ ويكرهه (ضميري) !

وبهذا يكون استعمالها قديماً ، ومعروفاً منذ العصر الجاهلي ، وقد زاد استعمالها واطرد تداولها في زماننا هذا .. وهي تعني « السريرة » .. وما احتجب في القلب وأخفته الصدور . ولعلها كانت تؤدي هذا المدلول فيما لم أعثر عليه قبل ذلك ! بل أكاد أتيقن أنها ذات أُصول ثابتة ، فيما لم أتذكره في هذه اللحظة ، وهو أحق بالاستشهاد من أقوال الشعراء .. و « من حفظ حجة على من لم يحفظ » .

٧٣٥ شرعة « دندن » !

هذه « الشرعة » مضافة إلى « دندن » هي إحدى الألعاب التي يزاولها الأطفال قديماً .. وقد كانت رائجة حتى عهدنا في الصغر ، ثم اختفت ! ولقد أُنسيت كيفيتها لطول المدة ، إلا أنها لا تعدو محاولة الإختفاء والظهور .. وإنما أعادها إلى ذهني أنني قرأت (بيتاً) ينسب إلى الشاعر الجاهلي (**القتال الكلابي**) وهو يفخر بأُمه (**عمرة بنت حرقة من ربيعة**) يقول فيه :

لقد ولدتني حرة ربعية
من اللاء لم يحضرن في القيظ «دندنا»

(بكسر الدال) ..

ويقصد أن أُمه حرة .. من صميم العرب .. لا من الإماء اللواتي يكلفن في القيظ بإحضار الحطب ، لأن (الدندن) هو ما أسود من نبات أو شجر ! .

وهناك ما يعبر عنه أيضاً « بالدندنة » وهو ترجيع الغناء .. فيما اصطلح عليه أهله ! والأثر المعروف أيضاً عن « حولها ندندن » !

ولعل هذه من تلك بجامع الكدح والتجشم أو التطرب والترنم ..

ومن أمثال العوام : « قصدت دندن .. يا معدن » ــ بفتح الدال ــ فلعله يعني (إنما كان سعيك إلى الحطب ، لا إلى الفضة والذهب) ! والله أعلم .

---

[1] (المنهل) : مع الشكر والتقدير لعاطفة الأستاذ البحاثة الذي إليه يركن في مثل هذه التنقيات التاريخية واللغوية الدسمة سنمتثل لإشارته ونضع النقط على الحروف في العدد القادم إن شاء الله .

٧٣٦ من هو « الخلبوص » ؟!

يتردد في سمعي قول بعضهم أحياناً إذا أراد أن يشتم أحداً أو يطعن عليه أو يداعبه أيضاً : « امش يا خلبوص » ! .. وما أدري ما هي هذه (الخلبصة) ؟ واهتديت إلى أصل لها لعله يكون صوابا .. قال **حسان بن ثابت** رضي الله عنه :

أمس «الخلابيس» قد عزوا وقد كثرو
و «إبن الفريعة» أضحى بيضة البلد

قلت : والخلابيس اللئام الأنذال (لغة) وكل ما جد في ذلك هو إبدال السين بالصاد ، عند المتأخرين .

ويغلب استعمالها من الكبار للصغار ، كالتدليل ، أو التدليع ، وهي بالغة الاقذاع لو عرفوها لأنفوها ؟!

٧٣٧ اللحم والخبز بمكة

ذكر **ابن سلام** أن الناس اجتمعوا يوماً بمكة — وعلى باب (دار الندوة) مكتوب :

إلهي (قُصياً) عن المجد الأساطير
و (رشوة) مثل ماترشي «السفاسير»
و (أكلها اللحم) بحتاً .. لا خليط له
وقولها رحلت (عير) أتت عير !

فأنكروا ذلك وقالوا : ما قالها إلا **ابن الزبعري** . و(الأساطير) الخرافات . و (السفاسير) جمع (سفير) وهو السمسار ، وأكلها اللحم (بحتاً) كناية عن الفقر .. لأنهم يأكلون اللحم بغير خبز . اهـ .

قلت : ما أعجب هذه الدنيا وتطوراتها المتقلبة ، فقد كثر السكان واستورد اللحم من كل مكان ، وارتفع ثمنه على كثير من الإمكان !. ويُعيِّر الشاعر قصياً بأنها إنما تأكل اللحم دون خبز ! لأنها فقيرة ! وقد أصبح اللحم الآن عزيزاً إلى درجة أن كل خمسين رغيف « خبز » لا تساوي ثمن (أُقة) منه أو (كيلو) واحداً . **وقد اشتريت إبان (النهضة العربية) سنة ١٣٣٤هـ** الكبش الجذع أو حتى (الطلي المتوسط) بريال واحد ! والأُقة منه بقرش وربع أو بست هللات .. وعز القمح أو الحنطة يومئذ واستوردت الذرة من بلاد السودان بدلاً عنه .. والحمد لله على هذا الرغد المتوافر ، والنعم السابغة ، ونسأله المزيد منها والشكر عليها .. وصدق الله العظيم :**﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾** .

٧٣٨ أن الطيور على أشكالها تقع !

جاء في سنن **أبي داود** أن امرأة (مكية) — بطالة — أي (فارغة) ! تضحك النساء .. وكانت بالمدينة امرأة مثلها ، فقدمت المكية المدينة فتعارفتا فدخلتا على (عائشة) رضي الله عنها .. فتعجبت من اتفاقهما .. وقالت للمكية : عرفت هذه ؟ قالت : لا ، ولكنا التقينا فتعارفنا .. فضحكت ، وقالت : **قال رسول الله ﷺ** : « **الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** » . اهـ .

قلت : استعملت كلمة (بطالة) هنا بمعنى أنها فارغة لا عمل لها إلا هذه المهنة ، وهي الترفيه عن أترابها أو من تزاورهن ..

وما أضحاكها لهن ، إلا من قبيل التفكيه ، دون التجاوز إلى ما يكره شرعاً .. وإلا لما حظيتا بزيارة أم المؤمنين .

وقد كان في مكة المكرمة ، فيما عرفت منهن ، أكثر من واحدة ، طبعن على الفرح والمرح ، ثم طوتهن المنايا ، ولم يبق منهن عين ولا أثر ! وأظهر الأسباب لذلك تطور الحياة وأساليبها المتجددة ، ومشاكلها المتعددة ! ومن أمثال الحضارة الحديثة ووصاياها « إضحك يضحك لك العالم » .. ولكن كيف بنا إلى الضحك ، إلا أن يكون تكلفاً وتظرفاً ! وقد طبع الإنسان على التماس التفريج والترويح .. بشتى الوسائل ، على أن يكون بريئاً من كل الشوائب .. وما أشد الضيق بمن لا يفتأ يبث شكاته ، قائماً أو قاعداً ! وما نقول إلا ما جاء في الدعاء المأثور والكتاب المسطور : **﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني ﴾** .

٧٣٩ الدهناء « الحجازية » و « حنين » الأخرى !

جاء في كتاب « درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المكرمة » للمؤرخ **الأنصاري الجزيري** وقد انتهى من تأليفه سنة ٩٦١هـ ما نصه : « وأما الدرك فمن ينبع إلى « **الدهناء** » **لمحمد بن دواس ورفقته عربان** العيايشة ، ومن الدهناء إلى المحل المعروف « بالغربية » إلى الحدرة الرمل التي ينحدر منها الركب إلى (بدر) و (حنين) المسماة بالأبرقين .. درك عربان زبيد الشام . » اهـ .

قلت : ومن هذا النص نجد أن في الشمال « حنينا » أخرى غير تلك التي تقع بين الشرائع والزيمة .. والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، والتي كانت فيها الموقعة الفاصلة الكبرى بين رسول الله ﷺ و (ثقيف) !

وبهذا يكون لدينا (تربة) الشامية و (تربة) **الجنوبية** ، و (ظهران) الشرق ، و (ظهران) الجنوب ، و(هدى الشام) ، و (هدى كرى) و (كرى الطائف) الجبل ، و (كرى بيشة) أو الجنوب (الوادي) ، و (خيبر) الشام ، و (خيبر) الجنوب ، و (حسا الخليج) ، و (حسا المدينة) ، و (عنيزة القصيم) و (عنيزة) الشام ، و (حنين) **مكة** ، و (حنين) **المدينة** ، **وأيضاً** (عشيرة ينبع) ، و (عشيرة الطائف) و (دهناء نجد) ، و (دهناء الحجاز) ، و (طائف) ساحل اليمن ، و (طائف السراة) أو « غزوان » بالحجاز ، ولذلك أمثال شتى ، في مختلف أنحاء المملكة المحروسة بعناية الله .

وهكذا تتكرر الأسماء في كثير من المواقع والمناطق ، ولا بد لها من تبيين وتفصيل مميز يعهد به إلى لجنة مختصة تنتدب لهذه المهنة من قبل وزارة المعارف الجليلة ، إن شاء الله ، وتضاف إلى حسناتها المشكورة .

ولا أدري إن كانت حنين الشام ما تزال في عهدنا هذا تسمى بذلك ؟ أم أنها اندثرت فلا تعرف لها معالم ، وكذلك (الدهناء) فهي (غير الدهناء النجدية) المشهورة ..

وفي نفس الكتاب حديث عن منازل ومناهل حجاج الشمال .. كان منها أيضاً « الحسا

وعنيزة » ! وهذه « الحسا » غير تلك التي عرفناها في « آبار علي » قرب المدينة المنورة .. وعسى أن يزيدنا بذلك إيضاحاً أستاذنا الجليل صاحب (المنهل) الأغر بارك الله فيه .

٧٤٠ « لعلع » و « النقا » و « ربع اطلع » !

بمكة — سلام الله عليها — مواضع شتى ذات أسماء ، ونعوت ، قلما نتفطن إلى أصولها .. وهي ذات صلة قوية بأحداث هامة فارطة ، ومنها ما يمت إلى اللغة بأسباب ، ومن ذلك جبل (لعلع) ، وأحسبه الجبل الذي يشرف مقابل (قعيقعان) على محلة « اليمانية » و « النقا » ، وقد يسمى أيضاً — بما بني فيه (قلعة فلفل) .. ولعل هذا الفلفل كان قائداً لها ، أو معلماً بانياً ، والأول أنسب أو أصح .

ومحلة « النقا » أيضاً ، فهي و (لعلع) متلازمان في ذكريات الشعراء القدامى ، وغزلهم الرقيق ، بل هما متجاوران ، سهلاً وجبلاً !.

وقد قرأت في (شذرات الذهب) **لابن العماد الحنبلي** وهو يترجم **لابن الشواء شهاب الدين الكوفي** المتوفي سنة ٦٣٥هـ أبياتها نسبها إليه جاء فيها قوله :

هاتيك يا صاح ربا (لعلع)
ناشدتك الله فعرج معي
وانزل بنا بين بيوت (النقا)
فقد غدت أهلة المربع
حتى نطيل اليوم وقفاً على السـ
ـاكن أو عطفاً على الموضع

قلت : ومن هذا نعلم أن تسمية (النقا) تسبق عدة قرون خلت باعتبارها اللغوي ، فأما لعلع ، فلعله كان يرتفع على رأسه مدفع .. يطلق في الأعياد والأفراح ، فيلعلع ، من قمته ؟!

وهناك في الجهة الشرقية المقابلة منه في أول (**شعب عامر**) أو (**عبد الله بن عامر**) « ربع اطلع » .. وما يزال يطلق عليه ذلك حتى الآن .. وما أظنه سمي بذلك إلا لأنه واقع في علو القلاع الممتدة من « خندقه » ! والله أعلم .

٧٤١ « الطراز » او « الافريز » !

أدركنا قصور الوجهاء والكبراء والأمراء بمكة وفي أبهائها المعدة للاستقبال بل وفي دهاليزها ، ودواوينها ، ومجالسها ، ما تقر به العيون ، ويستبشر به القادم والزائر .. فعلى مسافة نصف متر من سقوفها تجد الحائط كله ، مزيناً بالخط الثلث الكبير ، مذهباً أو مفضضاً ، أو منضداً ، أو مزخرفاً ، متضمناً بعض آيات (الذكر الحكيم) ، أو (الحديث الشريف) أو الشعر الجميل ، بأشكال تدل على مدى ما بلغه الذوق السليم في مجال التأنق والتنظيم .. وقد بقي من ذلك نماذج في واجهات المسجد الحرام ، **وبعض المنازل القديمة ، وأحسب أنها في طريقها إلى** العفاء ؟! وما بها من مآخذ ولا بواعث تدعو إلى محوها وتجاهلها ، بل هي — على العكس من ذلك — انها من الجمال والحسن والفن بحيث تتعذر محاكاتها .

وكان ذلك عاماً في كل من مكة وجُدَّة والطائف والمدينة المنورة ، وأتذكر أنني قرأت

بعض ما كتب على هذه الطرازات في القرن التاسع والعاشر الهجريين بمحلة السلامة (بالطائف) . **كما رأيت وقرأت كثيراً منها فى دور (أم القرى)** ، التي أُزيلت ، أو أُضنى عليها الخراب واندثرت ، وكانت هناك ـــ بالإضافة إلى ذلك ـــ مناظر شائقة ومشاهد رائعة من الحدائق والبحيرات والبلدان ، نقشها ونسقها ونمقها فنانون ممتازون استقدمهم القوم من مختلف الأمصار والأقطار منذ قرون ! وكنت أظن ذلك مستحدثاً غير معروف عند العرب إبان حضارتهم الكبرى ! فإذا بي اقرأ وأرى (صوراً) فوتوغرافية لآثار العرب في الأندلس ومنها (قاعة) ما تزال ماثلة للعيان حتى **الآن من بقايا قصر السلطان محمد الثاني من بني** الأحمر (١٢٧٣ـــ١٣٠٢) م . أي منذ أكثر من ستمائة عام ، وقد توجت بالآيات الكريمة المحيطة بجدارها وبعلوها ، في نظام بديع ، وفن رفيع ! وما خلت من ذلك مصر والشام والعراق وشمال أفريقية وكل الأمصار العربية والإسلامية !

فهل هناك ما يمنع من إحياء هذه الطريقة في كل ما يشاد من العمران الحديث ؟ أم هو مجرد الأخذ بما ارتضاه الغرب لنفسه ، من أساليب العمارة ، دون مراعاة لأي اعتبار طقسي أو ذوقي ؟! أو تاريخي ! أو أدبي ؟!

ألا يكن بد من ذلك فليترك نموذج مما كان ، لمجرد حفظ الآثار ، ولو بالاحتفاظ بأخشابه المكتوبة ، المنقوشة ، المدشوشة !

(٧٤٢) ذكاء النملة والبعوضة

ما أعظم الشواهد وأصدق الآيات على جلال الله وعظمته وقدرته في كل ما خلق ومن خلق .. فقد علم بالمحسوس والملموس كيف أن النملة تدخر في الصيف من « الحب » ما تستهلكه في الشتاء ؟ وكيف أنها تدرك بالفطرة أن « الندى » يفسد ما تدخر ، فتفلقه انصافا حتى لا « يزرع » وتخسره عند الحاجة اليه .

وهذه « البعوضة » انها مع **خوائها** وجوعها .. لذات حيوية قوية .. وانطلاق ، وتحليق ، فاذا أوغلت في الاجسام وشبعت وتضلعت بما تمتص من الدماء .. « انفلقت » أو « انفقعت » وفنيت ، فكأنما هي بذلك تبحث عن حتفها بخرطومها لا بظلفها .. وأعجب ما ابتليت به من هذه الدويبة أو الحشرة الضئيلة التى تقض مضجعى .. وتضاعف حساسيتى « بالارتكاريا » وتقلق راحتى فلا أستطيع أن أقرأ ، ولا أن أكتب ، بل ولا أن أجلس إلا إذا أسدلت « الناموسية » أو « الكلة » . إنها ، وقد أعددت لها الصواريخ ، والكشافات داخل اطار الناموسية ، تخاتلنى وتندس بين الثنايا والطوايا والحوايا والزوايا ويسكن طنينها أو أزيزها ، وتستميت وتستتر . فاذا أطفأت الضوء ، وظننت أنى آمن من وجودها انطلقت في تحد ونهم وعدم مبالاة ، فأنهض لها محتدما غيظا ، وأصارعها من كل الجهات ، فاذا بها كأنما لبست « طاقية الاختفاء ، مرة اخرى ، وعندها أصر على مخادعتها ومطاولتها ، وملاحقتها وأبحث في كل مظنة ، فلا ألقاها ، وأنا موقن بأنها ما زالت حية ترزق وتتحرى أن أنام فترتع تحت جنح الظلام .

وما خطر ببالى قط أنها من حسن التصرف ، والتوقي انما تلجأ الى رأسي .. « وتلبد » فيه دون أية حركة منها حالما تدور عيناى يمينا وشمالا ، وفوقا وتحتا . وهكذا « دواليك » حتى أمسح عليها بيدى فتفر أمامي

وينالها « المضرب » فاذا بها تكشح أو ترشح بالدم الذى اختلسته من جسمى كالقربة المبعوجة وتصبغ الابيض ، حتى يحمر ، وان عندى لنافذة بيضاء .. أصبحت مزركشة كالفسيفساء ولكن بماذا ؟ بدمى الذى أهرقته هذه « اللصة » مصا وغصا وطحنها بعد خبطها وظخها . وهيهات يغنى فيها أو يزجرها ، أو يمحوها هذا المسمى « بالفليت » أو الـ « د.د.ت. » ما دامت الدور كلها تتكور مجاريها ولا تصرف الى مجرى عام .. وكيف لنا بالمقاومة في دار والى جوارها دور ترتع فيها وتنتشر منها « المليارات » وما فوقها أو تحتها من البعوض وصدق الله العظيم : ﴿ **وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره** ﴾ .

٧٤٣ تفقـــه ـ تعـــل
بين الشافعي والشيبي !

جاء في حلية أبي نعيم ، وهو يترجم **للامام الشافعي محمد بن ادريس** رحمه الله ــ المولود بغزة سنة ١٥٠هـ والمتوفى بمصر سنة ٢٠٤هـ ــ أن **الشافعي** قال : كنت امرأ أكتب الشعر فآتى البوادى فأسمع منهم ، قال : فقدمت مكة فخرجت منها وأنا أتمثل بشعر **للبيد** ، وأضرب وحشي قدمي بالسوط ، فضربني رجل من ورائى من « الحجبة » ــ اي آل **الشيبي** ــ **فقال : رجل من قريش ثم ابن المطلب** رضى من دينه ودنياه أن يكون معلما ، ما الشعر ؟ هل الشعر اذا استحكمت فيه ، الا قصدت معلما ؟ تفقه يعلمك الله ، قال : فنفعنى الله بكلام ذلك « الحجبى » قال : ورجعت الى مكة وكتبت من **ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب ، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي** ، ثم قرأت على **مالك بن أنس** ، فكتبت موطأه ، فقلت له : **يا أبا عبدالله** اقرأ **عليك** قال : يا ابن أخي تأتي برجل **يقرأه** علي فتسمع إلى كلامي ، فقلت : اقرأ عليك فتسمع كلامي ، **فقال لي : اقرأ . فلما سمع قراءتي أذن فقرأت عليه حتى** بلغت كتاب السير ، **فقال :** أطوه يا ابن أخي « تفقه تعل » .

قلت : وفي ذلك كله لفظا ومعنى .. ما لا يخفى من الحكمة والادب والنصيحة ، والاجتهاد . وكان سن **الشافعي** آنئذ لا يعدو الثانية عشرة ، فهل من متعظ ، وما اكرم **الشافعي** وهو يعترف بالفضل « **للحجبى الشيبى** » ودله على ما هو خير وابقى ، واجدر به ، وأتقى .

٧٤٤ بين الشمال واليمين !

قال **ياقوت** : كان « **المتنبى** » يوما جالسا بواسط ، فدخل عليه بعض الناس ، فقال : أريد أن تجيز لنا هذا البيت :

زارنا في الظلام يطلب سترا
فأفضحنا بنوره في الظلام

فرفع رأسه ، وكان ابنه « **المحسد** » واقفا **بين يديه ، فقال له : يا محسد . قد جاءك بالشمال** فأته باليمين ، فقال ارتجالا :

فالتجانا الى حنادس شعر
سترتنا عن أعين اللوام

وقول **المتنبى** لولده : جاءك بالشمال فأته باليمين ، أى أن اليسرى لا يتم بها عمل وباليمين تتم الاعمال ، ومراده أن المعنى يحتمل الزيادة **فأوردها** وقد لطف في الاشارة اهـ . « البـديعى »

قلت : وهذا « المحسد » لم يكن له من الانتاج بعض ما كان لأبيه . ولا يؤثر عنه حتى القليل منه ، ولو كان البحث يتصل بالنقد .. لما كان في إمكان الحنادس الشعرية ــ بفتح الشين ــ أن تستر الاثنين معا ، بأية صورة من الصور .

وأذكر بالمناسبة انني طولبت إبان الصبا باجازة نفس البيت في الطائف من صديق كريم وذلك في بستان « حوايا » قبل نحو من اربعين سنة خلت ، فقلت :

وغدا الليل من ضحاه « نهارا »
عشيت منــه أعين النمــام

و « كل فتاة بأبيها معجبة » .. وأين هذا مما رضى عنه أبو المحسد ، وهو الذى شغل الدنيا بأدبه الخالد .

٧٤٥ نوابغ الشعراء القدامى ثمانية !

ذكر **الآمدى** في « المؤتلف والمختلف » أن من يقال له « **النابغة** » ثمانية : أولهم « **أبو امامة النابغة الذبيانى** » وثانيهم « **النابغة الجعدى الصحابى** » وثالثهم « **نابغة بن الديان** الحارثى » ورابعهم « **النابغة الشيبانى** » وخامسهم « **النابغة الغنوى** » وسادسهم « **النابغة العدوانى** » وسابعهم « **النابغة الذبيانى** أيضا وهو **نابغة بنى قنان بن يربوع** » وثامنهم « **النابغة الشغلبى واسمه الحارث** » اهـ .

قلت : هؤلاء النوابغ المعدودون قديما وكم نبغ بعد هؤلاء الثمانية من عشرات ومئات لم يشملهم هذا الاحصاء العتيق ، وفي بلاد العرب خاصة منذ أكثر من الف عام ؟ بل وفيما سواها من الامصار التى فتحوها ، واستوطنوها ، ومن امتلأت بهم خزائن الكتب ترجمة وانتاجا ، ودمقسا وديباجا ، وفي سائر العلوم والفنون في مختلف العصور والقرون .. وكم بيننا اليوم وفي عصرنا هذا ، وفي بلادنا هذه من علماء وفقهاء وأدباء وخطباء وشعراء ذوى مواهب لا تكابر ولا تكاثر .

ورحم الله **المتنبى** حيث يقول :

ولم تزل قلة الانصاف قاطعــة
بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم

غير أن من أمثال العرب السائرة قولهم :

« **أن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر** » .

وما أردت بهذا التعليق الا التقدير والاعجاب لأولئك النوابغ الذين برزوا ونبغوا وبلغوا الذروة العليا ، دون تطبيل أو تزمير ، ومنهم من لا يشق له غبار ، ومن نعتز به في كل مغار ، ومن تكلل جبينه بالغار ، وما برح متدثرا بالوقار ، وخائضا كل غمار ، وله الدر المنضد والمنثور ، والأدب الرفيع والأثر الخالد المأثور ، سواء منهم من شاخ واكتهل ومن انطلق به الشباب .. وسار على الدرب ووصل ، وبهم يزهو كل من ارتقى المنابر أو ارتجل . بارك الله فيهم .

٧٤٦ المكافأة على النوم

مما قرأته ــ قديما ــ ولا أتذكر في أي كتاب ــ قصة طريفة ذات هدف خلقى بعيد ، قالوا : ان أميرا دعا بعض اصدقائه الى مائدة كان

قد أعدها من أفضل أنواع التمر الممتاز أول باكورتها .. وكان من بينهم صاحب شره وجشع ، فأخذ يجمع في اللقمة ، أو القضمة بين التمرتين والثلاث . فاذا لاكها وأخرج النوى ألقاه في خفة أمام جاره البرىء حتى بدا لكل من لم يكن باله معه أن هذا الجار أكول نهم .. حيث كان ما تكدس بين يديه من النوى أضعاف ما بين أيديهم جميعا ولاحظ الامير الداعي ذلك ، وتغابى .. الا أن الرجل كان يستمر في أكله وغشه وغدره ، ويلقي بالنوى تلقاء جاره ، فما كان من الامير الا ان دعا خازنه وهم بعد على المائدة وقال له : احضر لى « صرة » فيها الف دينار ذهبا ، والتفت الى ضيوفه وقال : **هلم** ! فاحصوا ما أكلتم .. بعد النوى ليكون لكل نواة دينار ، فما كاد النهم الأكول يسمع ذلك حتى مد يده خفية ليسحب الى جهته كل النوى الذى كان قد رضمه رضما ، فأمسك بيده الامير . وقال : ما هذا ؟ .. انني معك اراقب ما فعلت ، ان هذا الذى القيته أمام جارك انما يحصى له ، وان لم يأكله ، مكافأة له على صبره **عليه** وسكوته عنك ، وحرمه من الهبة ، وأعطاها للمتهم البرىء ، ولقن صاحبه درسا قاسيا لا ينساه .

وبهذه المناسبة أحدث القراء الكرام بقصة مشابهة الا انه لا دنانير فيها ، وانما هو تشهير وتعزير ، فقد كنا قبل نحو من أربعين سنة على مائدة كريم من وجهاء أهل الطائف ـــ رحمه الله ـــ وكان من بين أطباق المائدة السخية الشهية لون ممتاز جدا ، كان يزين جوانب المائدة ويسيل له اللعاب ، ولا يحسنه الا أهل بيته خاصة ويسمى « السوبريك » وهو نوع من حلو ومالح .. فكان من جملة الضيوف ابن عم لصاحب النوى ، فبينما كان القوم **يبتدئون** كالعادة بما هو الخبز والادم و « الكوزى » وما يتصل بذلك ، استحسن ذلك المسكين ـــ عفا الله عنه ـــ أن لا يملأ فراغ معدته ، بما دون ذلك اللون الممتاز ، فبدأ به ، حتى أتى على ثلثى الطبق الكبير ، وكان النظر اليه شزرا من كل المدعوين ، والى يمينه كان أحدهم ، يتميز غيظا من تصرفه المشين الممقوت . فلما بلغ به الضيق حد الانفجار صاح به : يا أخى ما هذا ؟ هون على نفسك وارحمها من العين ! (وتناول في حرد عظيم الطبق ونحاه جانبا) وكانت لطمة اليمة ، ولا أدرى ان كان الرجل تألم منها أم تجلد أم تبلد ، ولكننى رثيت لحاله ، مع كل من حضر ، ولذلك كانت الحكمة البالغة في الوصايا القديمة الرائعة ، قد وفاها العلماء حقها من النبيين وكان منها ما فصله الامام الغزالى رحمه **الله في كتابه « احياء علوم الدين » وغيره من الناصحين ، وما أروع ما يقوله الشنفرى في** « لاميته » وهو الاعرابى غير المتحضر :

وان مدت الايدى الى الزاد لم اكن
باعجلهم إذا أشجع القوم اعجل

ومما جربته في عهد الشباب .. واذ يقسم السليق اقساما ، انه مهما يكن سهم الانسان خيرا من غيره فانه لا يهنأ به دائما ولو كان التقسيم محررا جدا ، فقد يزاد ويسوء كما .. الا انه ينقص ويحسن كيفا ، فتارة يكون فخذا واخرى كتفا .. وهكذا .

ورغم ذلك فانه لا يخلو من الاستكثار ، أو تهمة الاثرة او الايثار . وبعد عدة سنوات أو شهور ، آثرت ان لا اتناول القسم الا بعد ان يفرغ الجميع من تناول اقسامهم اولا ، ليكون بعيدا عن الظنة ، أو التعقيب ، وهو بذلك أهنا وامرأ . والسعيد من اتعظ بغيره .

وكل وما اختار ، والبطنة تذهب الفطنة ، ولله في خلقه شئون .

٧٤٧ الاحتسابة .. والمحتسب

ما أعظم حضارة الاسلام ، وما أعرقها واشملها لكل دقيق وجليل ، فهذه المؤسسات التى أطلق عليها الناس في زماننا هذا اسم « البلديات » ما هى الا نماذج مقطورة لما كانت الاحتسابة مضطلعة به من المهام في أزهى عصور الاسلام ، وقد ألف الفقهاء فيها ولها الاصول المستقاة من روح الدين القويم ، ومقتضيات الحضارة السليمة ومن أولهم « **محمد بن محمد بن أحمد** المعروف **بابن الاخوة القرشى ، والامام ابن تيمية** رحمهما **الله ، وعنوان الكتاب الذى الفه القرشى في ذلك هو « معالم القربة في أحكام الحسبة » قالوا** : انه نقل الى الانكليزية وطبع مع أصله العربى في لندن .

وانى لأهيب « **بأبي نبيه** » أن يتوسل بطرقه الخاصة الى أخذ صورة فوتغرافية ، أو خطية له وييسر لنا طبعه ، ونشره لما ورد فيه من تفاصيل المسؤوليات المختلفة ، في سياسة الاسواق والباعة وأهل الحرف ، وكل من له صلة بالبيع والشراء والاخذ والعطاء ، وأهل الصناعات والخدمات العامة كالفرانين والخبازين والجزارين ، والطباخين ، والبزازين والصباغين ، والاساكفة والبياطرة والحمامات والحلاقين والاطباء ، والمنجمين ، وأصحاب السفن ، والمراكب ومعاصر الزيت ، والدباغين ، والنجارين والدهانين وغيرهم ، وغيرهم .

ولقد قرأت بعض فقرات منه أوردها صاحب الموسوعة التاريخية « الأستاذ **عمر نصر** » في كتابه « **الدولة الاسلامية** » **تكلم فيها المؤلف** عن « منكرات الاسواق » فقال : « أما الطرقات الضيقة فلا يجوز لأحد من السوقة الجلوس فيها ، ولا اخراج مصطبة دكان عن سمت أركان السقائف الى الممر الاصلى ، لانه عدوان ، ويضيق على المارة ، فيجب على المحتسب ازالته ومنعه لما في ذلك من إلحاق الضرر بالناس . ولا يجوز إخراج الفواصل والاجنحة وغرس الاشجار ونصب الدكك في الطرق الضيقة ويمنع ربط الدواب على الطرق ، ويمنع طرح الكناسة على جوار الطرق وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء ، بحيث يخشى من التزحلق والسقوط ــ وهذا يدل على أن بعض الشوارع كانت مبلطة بالحجر ــ ويمنع ارسال الماء من الميازيب الخارجة من الحائط الى الطرقات الضيقة .. الى أن قال : ويفرض سلطته على من شاء لمنع كل ما يضر المارة . ويطلب حتى من محلى الحطب والشوك ــ مثلا ــ ان يشدوا هذه الاحمال ، ويضموها الى بعضها .. بحيث لا تمس أحد المارة ولا تمزق ثوبه .. ويمنع أصحاب الاحمال الثقيلة وغير الثقيلة أن يتركوا هذه الاحمال على ظهور الدواب حين تقف في التراص لانها اذا وقفت والاحمال عليها اضرتها وكان ذلك تعذيبا لها .. وأمر الباعة بالتحرى والدقة في الموازين والمكاييل . وبمسحها وتنظيفها من الادهان والاوساخ في كل ساعة فربما تحمل شيئا في « خرجها » فيضر .. وينبغى اذا شرع في الوزن أن « يسكن الميزان » ويضع فيه البضاعة من كفه قليلا ، ولا يهمز بابهامه فان ذلك كله بخس ، وينتهى الى أوامر ونواه في غاية الدقة لمنع الغش سواء في الموازين ، أو في المقاييس ، أو في المكاييل .

ويستطرد فيقول : « ويحذر الطحانين من خلط ردىء الحنطة بجيدها وعتيقها بجديدها ، وضرورة غربلة الغلة من التراب وتنقيتها من الطين ، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها ، ويأمر الخبازين والفرانين بما يجب عليهم عمله من رفع سقائف افرانهم ، وعمل منافس واسعة للدخان ، مع كنس بيت النار في كل « تعميرة » .. وغسل المعاجن وتنظيفها .. ويمنع المحتسب العجان أن يعجن بركبته أو بمرفقيه ، لان ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر في العجين شيء من عرق أبطه أو بدنه ولا يبيح له أن يعجن الا وعليه « ملحفة » ضيقة الكمين ، وأن يكون ملثما لانه ربما عطس أو تكلم فقطر شيء من فمه أو أنفه .. ويمنع الجزارين من الذبح على أبواب دكاكينهم للاضرار التى تنشأ من تلويث الطرق بالروث والدم ، بل يكلفهم أن يذبحوا مواشيهم في المذبح .. ويحتم عليهم أن يتحاشوا الغش وأن يفردوا لحوم المعز عن لحوم الضان وان لا يخلطوا بعضها ببعض ، وأن ينقطوا لحوم المعز بالزعفران ليتميز عن غيره .. وأن تكون أذنابها معلقة على لحومها الى آخر البيع .. وخوله من الصلاحيات وتطبيق العقوبات ما يزدجر به كل متهاون أو متلاعب أو غشاش الخ .. اهـ .

قلت : وما جشمت نفسى الكتابة بهذا التفصيل والاسهاب عبثا .. وانما حملنى عليها ما كنت أدركته « بمكة المكرمة » قبل ستين سنة ، اي عام ١٣٢٥هـ وعام ١٣٢٦ وما بعدهما الى الثلاثين وما عددت العاشرة أو ما حولها آنئذ ، فقد كانت الاحتسابة قائمة اثرا بعد عين ، إلا أنها ذات هيبة وسلطة .. ويرهبها كل من له علاقة بها أو لها صلة به .. من أهل الاسواق والحرف .. والحوانيت ، وأعرف ممن تولاها وأدركته رجلا كنت اسمع ان لقبه « القيصرلى » وأحسبه تركى الجنسية إلا أنه مكى السمت واللغة واللهجة ، فكان اذا أقبل على بغلته وحوله « جلاوزته » الاربعة ، ليس غير .. تراكض أهل المنطقة التى يحلها .. يزيلون كل ما قد ينكره من خروج أو شذوذ أو مخالفة فكان رجلا قويا وقورا متقدما في السن وربما بلغ الثمانين ولكن له عينا الصقر .. ونظرة الفهد .. وبطشة الاسد . ذلك انه يتمتع بشخصية مؤثرة .. وبصلاحية واسعة حتى الجلد .. والتوقيف والسجن ، والتعنيف ، وآخرهم ممن ادركت عصره وجالسته : المرحوم الشيخ **داود أبو الفرج** ، فقد كان واسع الجاه والصولة ، والنفوذ .. وكم من مرة رأيته في « المسعى » والارض « **نرذعة** » موحلة بالماء والطين .. وذلك قبل أن ترصف بالحجارة .. وقد أمر بانزال صاحب المخالفة من دكانه وطرحه ارضا .. بثوبه الابيض المنشى « الدرابزون » وكحلته الفاتنة وسرواله « الشلش » وعمامته « المطرطرة » .. وجلده عشرا أو عشرين ، وذلك على مرأى ومسمع من جيرانه **المستعيذين** بالله من الشيطان الرجيم .. فما يتكرر بعدها الغش ولا العقاب الا نادرا .

وكم استوقفنى قول هذا المؤلف « القرشى » فيما سلف بيانه في حالة ضبط الميزان .. بأنه لا بد من أن « يسكن الميزان » .. ولا يهمزه بابهامه .. فقد والله شهدت هذا التسكين فعلا لا بفعل المحتسب ولا المشترى .. بل بتقوى البائع .. فهو ينفض الكفة ويمسحها وينفخها وينفضها ، ويكافىء بين الكفتين ويضع « الصنجة » بعد التيقن من سلامة الميزان .. واذا وضع ما يوزن .. لم يضعه دفعا ولا مرة واحدة .. بل قليلا قليلا .. حتى لا يرجح الموزون بتأثير

الهمز واللمز .. وقد بارك الله لهم في الاعمار والأرزاق والأولاد والأموال .. بالتماسهم البركة وتمسكهم بما وصى به الله جل جلاله وبما وصى به رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وكلهم أو جلهم طالب فقط ولا تفوته الصلوات مع الجماعة في المسجد الحرام ، ولا التلاوة في حانوته مع الأشراف .

وبعد : فهل لنا — مع القراء الأعزاء — أن نتقدم بالرجاء الى أستاذنا البحاثة الشيخ **عبد القدوس الانصارى .. في الحصول على هذا** الكتاب الذى تنشره لندن — وتظفر به اللغة الانكليزية .. ولا تعرف عنه مواطنه الاولى إلا ما يحكى عنه أو يعزى اليه ؟

إن يفعل ذلك فهو له أهل وبه جدير وما هو بعزيز عليه إن شاء الله[1] .

وكم وددت أن لو ظفرت بتاريخ تأليفه وترجمة صاحبه .. مع عنوانه ، وأيا ما كان شأنه وعصره .. فهو ثمرة اطلاع واسع .. وإحاطة تامة بشئون البلديات ، ولا بد من الحصول عليه وطبعه وتعميمه الى كل بلدية .. ليكون لها منه ذكرى تنفع المؤمنين .. وبالله الاستعانة وعليه الاتكال في كل حال .

٧٤٨ ممن ادركنا من اهل الفن بمكة والطائف !

مع مراعاة التفاوت في درجات الفنانين القدامى والمحدثين .. من حيث الاجادة والاتقان والتأثير .. وما لكل واحد منهم من ميزات تستحق الاشادة والتقدير . فانني لا أعنى بهذا الاحصاء الاحاطة بهم — اللهم إلا من أدركته أو سمعته أو تذكرته . وفي منطقة (مكة المكرمة) و (الطائف) فقط . مع الاعتذار عما سهوت عنه لطول المدة ! أما فيما عداهما في المدن والقرى .. وكلها عامرة بأهلها .. ولها فنانوها المبرزون ، فلم يتح لى أن ادرج اسماءهم في هذا البيان الذى حرصت على تقديمه للقراء .. لمجرد الذكرى بمن طوته الارض منهم والترحم عليهم ، واستحثاث من هم ورثة لهم فيما حرصوا عليه من ألحانهم الشجية وأغاريدهم الوطنية .. مع تمنى التوفيق لهم .. وأن لا يفرطوا في هذا التراث الفنى .. باصوله وفروعه دون أن يشاب بغيره من كل دخيل !

القدامى من أهل الفن

من عشرينيات هذا القرن الرابع عشر

سراج عبدالغنى : مطرب ، مكة ، توفى
كردوس : مطرب ، مكة ، توفى
الشريف هاشم بن هاشم : مطرب ، مكة ، توفى
سعيد شبانه : مطرب ، مكة ، توفى
ابراهيم شوشو : مطرب ، مكة ، توفى
السيد هاشم ولم أدركه ولم اشهده : مطرب ، مكة ، توفى
ناجى البصير : مطرب ، مكة ، توفى
سالم البوحى : (مجارير) مكة والطائف توفى
محمود سعد : مطرب ، مكة ، توفى
أمين بكره : مطرب ، الطائف ، توفى
صالح حلوانى : (مجسات) . (مدهش جدا) مكة ، توفى

(١) (المنهل) : بالفعل قد طلبنا الحصول على هذا الكتاب من لندن انفاذا لاشارة استاذنا الجليل ولا يزال الطلب متواصلا .. وكما قال الشاعر إن شاء الله :

أخلق بذى الصبران يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب ان يلجا

ابراهيم بندقجي : (مجسات) . (مدهش جدا) مكة ، توفى

عبدالهادى البندارى : (مجسات) مكة ، توفى

الجنى — بفتح الجيم وتخفيف النون المكسورة بعدها ياء ساكنة — توفى

حسن جاوى : — بفتح الواو بعدها الف مقصورة — (مدهش جدا) مكة ، توفى

عبدالله ركن : (مدهش جدا) مكة ، توفى

السيد محمد دحلان : مكة ، توفى

حسين شكورى : مكة ، توفى

خطاب شاكر : مكة ، توفى

عمر أربعين : مكة ، توفى

حسن الحظ : مكة ، توفى

خليل رمل : مكة ، موجود

على ابو زيد : مكة ، موجود

محمد الاجبع : مكة ، توفى

محمد على سندى : مطرب ، مكة ، موجود

محمد دغستانى — موشحات — مكة ، توفى

ومن الطبقة التى تلت الاولى :

سعيد شاولى : مطرب ، مكة ، موجود

السيد سعيد ابو خشبة : مكة ، توفى

محمود مؤمنة : مطرب ، مكة ، موجود

الشريف محمد بن شاهين : مطرب ، مكة ، موجود

الدكتور ... (.) مطرب ، مكة ، موجود

محمد ريس : مطرب ، مكة ، موجود

حسن لبنى : مكة ، موجود

ابو حميدى : مكة ، موجود

حمزة قزاز : مكة ، موجود

عباس عشى : مكة ، موجود

طلال مداح : مكة ، موجود

هذا : وقد رأيت أن أسجل هذه الأسماء اللامعة ، وأدونها للتاريخ .. ولم أراع في ذكرها الترتيب بالسن ولا بالتميز .. أو التقديم . (فكم ترك الأول للآخر) . وما أزال أرى من الحق الواجب على الفنانين المبرزين الذين يغارون على خصائص فنهم أن يحتفظوا بكل ما هو عميق الجذور في قسماته ونبراته وتأثيراته المنسجمة مع خوالج النفوس وأعماق القلوب . وأن يجافوا كل تقليد ، لا يتفق مع الأذواق العربية ، وأن يحيوا ما اندثر من « الدانات اليمانية » ! و « الموشحات الأندلسية » ! و « المجسات الأصيلة الحجازية » ! وأن يتخيروا ما ينشدونه من الأدب العربى العريق . غزلا كان أو حماسة ! وتضرعا أو ابتهالا .

٧٤٩ « جفلس فـ جملس » !

من فصيح العامة قولهم لمن يجدون في أخلاقه بعض الخشونة أنه (جفص) أو (جفس) بكسر الجيم وإبدال الصاد سينا والسين صادا أحيانا .. ورجعت إلى أصلها فإذا بها تكاد تؤدى نفس المعنى المتداول مع تطور فيه ! فان (الجفس) هو الضعيف ، وهو اللئيم ! أما (جمس) — فانهم يطلقونه على من كان (جامدا) في أساريره وحركاته وفيه بعض الاستيحاش أو كله .. وهو عين المعنى لغة .. من حيث أنه الجمود .. وأصله في السمن اذا جد .

(١) (المنهل) : ولعل الجاسوس ماخوذ من هذا المعنى .

٧٥٠ (بدي) أطلع أو أنزل

وهذه (البدية) .. ما هى ؟ انها كما يتراءى لي والله أعلم مختزلة من كلمة (لابد) .. فهما يعنيان الاصرار .. والعزم .. وهي في استعمال العامة دون — لام — انما تعنى غالبا — كلمة قصدى ! ولكن هذا القصد مقترن بالعزيمة التى سلف ذكرها .. وفي اللغة : (البدة) الطاقة والحاجة .. فهى بذلك تجعل الاستعمال صحيحا .. فصيحا مع التسامح .. وكم لها من مثيلات ، أما (البد) بالرفع فانه (المناص) .. وهو الملجأ والمفر ! .

٧٥١ انت ابخص !

كثيرا ما تستعمل هذه الكلمة ولا سيما في بلاد نجد وما حولها . وهى صحيحة فصيحة فانها تعنى أنت أبصر .. فان اللغة تنص على أن « تبخص .. حدق بنظره مبالغة فى الاستبانة » لكل عامى متداول أصلا من الفصيح .. وأكاد أجزم أنه ما من كلمة عامية تجردت من عذق أو عرق لغوى أصيل . اللهم إلا ما كان دخيلا من الأساس .. فلا حيلة في التمحل لتعريبه ! إلا بالتداول على عرف المطوفين وقوانينهم القديمة ! ولا مناص في تعريب المفردات المحدثة .. في الفنون والعلوم .. العصرية .. باعتبار أنها لم تكن من قبل ! ولا بأس بأن تعاد إلى أصل عربى ما وسعنا ذلك دون تعسف ولا تكلف ! على أن لا يكون اشتقاق .. فقد قال **أبوبكر بن السرى** في رسالته الاشتقاق : « ومن اشتق الاعجمى المعرب عن العربى كان كمن ادعى ان الطير من الحوت » !

٧٥٢ يادوب يكفي !

والدوب هنا — لا يعدو إذا أحسنا الظن به وأنه عربى أصيل أن يكون من (الداب) .. وهو الاستمرار على العمل والجد والتعب فيه ! .

فهى — بهذا — محرفة — ومعناها في الاستعمال عند العامة والخاصة مفهوم واضح .. وتعنى أن الشيء لا يكاد يكفى إلا بالمضايقة والتقتير والاقتصاد والتقريط ! .

٧٥٣ على مهلك !

يقولها الناصح للمستعجل إذا رأى منه تهورا أو اندفاعا .. ويسكن الهاء .. ويفتح اللام ! وهي في الواقع بهذا النطق .. إنما تعنى الهلاك ! ولن يتيسر تصحيحها وردها إلى أصلها إلا بفتح الهاء وكسر اللام ! فتكون من الامهال وقد كان شيخ مشايخ الخطاطين في عصره الشيخ (**محمد فرج الغزاوى**) ينهى أولاده وخدمة عن ترديدها ويقول لهم : قولوا بدلا عنها : رويدك .. رويدك .. وقد توفى رحمه الله عام ١٣٢٧هـ وكان من العلماء وأدباء (المقامات) على الطريقة السجعية السائدة آنئذ ! .

٧٥٤ ابن الهرمة !

كنا نسمعها من كرام الناس وأفاضلهم ينعتون بها من لا يرتضون تصرفاته .. أو ينكرونها — وهى على ظاهرها من قبيل الشتم أو التعيير ! وما أصلها في الحقيقة إلا بريئى من هذه التهمة .. فهى إنما تعنى أن ابن الهرمة .. هو آخر أولاد

الشيخ والشيخة فقط ، ولعل ما علق بها من تهمة القدح أو النبذ إنما جاءها من ناحية أن هذا « الوليد » الأخير إنما يكون عكس أولهم (البكر) ضعيف العقل والجسم ! ضئيل المنظر والمخبر !

وهي في العربية السليمة بفتح الهاء وكسر الراء .. خلافا لما يتلفظ به الناس من كسر الهاء وفتح الراء .. ولم أعد أسمعها في أيامنا هذه — ربما لأنه لا يوجد إلا أهل النشاط والحركة والسعي والعمل . وما أظرف وألطف القدامى إذا كان منتهى ذمهم مثل هذه الكلمات العفيفة غير الجارحة .

٧٥٥ بنت الأرض قديما وحديثا !

جاء في « المزهر » **للسيوطى** أن العرب كانوا يطلقون (بنت الأرض) على الحصاة وأدركنا الناس لا ينطقونها بآخرة إلا على ما هو ملقى في عرض الطريق من السلح والبراز ! وكانوا يداعبون بها بعضهم .. عندما يمزحون مع من يجهل مرادهم .. حتى ليتمناها ! وكانت متوفرة .. جدا .. قبل إنشاء المطاهر والميضئات الحديثة .. ولاسيما قبيل الفجر .

٧٥٦ لا تنفخ علي !

ما تزال هذه الجملة متداولة بين المجتمع .. وهى على عموم استعمالها وابتذاله صحيحة فصيحة .. فان المنصوص عليه فيها قولهم : رجل ذو نفخ وذو نفج بالجيم أى صاحب فخر وكبر ! — وآخرون يتبعونها (فلان ينفخ ويطبخ) وتذكر وتؤنث — وهما بمعنى واحد لا يخرج عن الغضب والسخط والتعالى . وما أجدر العاقل بالكظم والحلم ما وسعه ذلك فإن اضطر إلى ما يثيره وأعيته الحيلة فيمن لا يصد ولا يرد إلا بهذا .. فهو في حل منه وآخر العلاج الكى .

٧٥٧ الصرنقع !

من متداول العامة قولهم — فلان — صرنقع أو صرنقعوه ! ويقصدون به الرجل الخفيف الذى ينفعل لأتفه الأشياء ويبدو منه ما لا يتفق مع الرزانة والوقار .. ووجدتها محرفة .. حيث كانت بالحاء .. (صرنقحا) وهو الرجل صلب الصوت .. وكانا علقت بها « التهزئة » .. من جهة أنها الصفة الغالبة على الأحمق .. والطائش .. و (المهف) !

٧٥٨ لا تتبغدد علينا !

ما أكثر ما يتعاقب بها أو يتعابث الأصدقاء والاخوان اذا وجدوا من احدهم تزيدا أو تدللا .. أو ترفعا .. وأحسبها قديمة الاستعمال .. منذ كانت بغداد عاصمة الرشيد في الذروة من التمدن والحضارة والسلطان . فغلب على أهلها حينئذ الشعور بالتفوق . فضرب بهم المثل في ذلك .. وكان منتهى ما ينعت به المستكبر من الناس أن يقال عنه انه (متبغدد) وما زالت متداولة حتى بين ذوات الحجال . وأستغفر الله . فما بقي زماننا حجل ولا خلخال !

٧٥٩ دوك ! دوك !

نسمع هذه الكلمة كثيرا من إخواننا أهل نجد .. وهم فيما أظن انما يريدون بها (دونك) .. أي انظر .. أو خذ . وما اليها .. وغلب ذلك عندي بما نص عليه أهل اللغة من أن دونك ، تؤدى هذا المعنى . قال الشاعر :

يا ايها الماتح دلـوي دونكا
اني رأيت النـاس يحمـدونكا
يثنـون خيـرا ــ ويمجـدونكا

قالوا : والتقدير (دونك دلوي) ولعل فضيلة **العلامة الاستاذ الجليل الشيخ عثمان الصالح حفظه** الله يرشدنا في ذلك إلى أصله وفصله ، فما ــ سواه أبصر ــ بالتعريف بهذا المتداول بصورة عامة وربما حذفت النون ، ادغاما .. أو ايجازا .. وما ينبئك مثل خبير .

٧٦٠ انا اشــكل !

تقول الجارة ، لزائرتها .. اذا تقابلنا : أوحشتيني ، فترد عليها : أنا أشكل ! وتقصد أنها أكثر منها وحشة .. وما أرى لها من أصل إلا إذا رددناها الى المشكلة أي المماثلة ــ فاما الاشكل لغة فانه ما فيه بياض وحمرة مختلطان ، قال الشاعر :

فما زالت القتلى تمج دماءهـا
بدجلة ، حتى ماء دجلة أشكل

أما الاستيحاش من حيث هو فانه فرط الشعور بالحاجة إلى اللقاء وتبادل الشوق .. حتى ليحس الواحش أو الموحش ــ بفتح الحاء ــ انه في فراغ من حياته .. لا يسده أو يملؤه إلا التزاور والتلاقي ! ويستعمل الناس (اشكل) هذه حتى في المبالغة والمساومة والمفاخرة والمتاجرة .. ولن تتحول عن مدلولها في الاذهان إلا إذا أب القارظان!

٧٦١ لا تسوي « دوكة » !

يختلف الاثنان ويختصم كل منهما مع الآخر .. ويتفاقم الخلاف بينهما فيصيح أحدهما في وجه الآخر ــ روح عني لا تسوي لي (دوكة) ! وكنت أحسبها من الغناء .. فهي من جملة أصوله السبعة (الدوكاه) وظهر أنها الخصومة والشر . فما أعظم تراث العامة من الفصيح ولو عقل الآخر وكظم لقابل دوكته بالدوكاه ورفع له عقيرته (بمجس) حنون يمزجه بالحسيني .. فتنطفىء النار .. وتسكن الجوارح . ويتبدل « الموقف » الى التصافي بعد التجافي .. وهيهات !

٧٦٢ هو « المرعز » !

يطلق المعاصرون على نوع من (المشالح) .. البشوت .. اسم المرعز .. بتخفيف الزاي .. وهي في الواقع مشددة .. و (المرعز) هو الزغب الذي تحت شعر العنز ، وهو اللين من الصوف ، وربما ظنها الكثير نسبة الى بلد تصنيعها .. وبهذا تكون أرقى وأرق أنواع الكساء ، وليس سواء ناعم ، وخشن !

٧٦٣ من هو « البقـم » ؟

يقول الكبير للصغير ــ يا بقم ــ البعيد ــ هازئا به مستجهلا له ساخطا عليه ! فمن هو البقم ؟! انه في الاصل من (البقامة) . بضم الباء

وهي من الصوف ما سقط من النادف مما لا يقدر لى غزله ، ويطعن على الرجل الضعيف القليل العقل .. كما يتبعها بعضهم — بالقدم — وهو العيي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم — وهو الاحمق ايضا .. وكل ذلك يدلنا على أن للعامة مصادر وموارد في المتداول بينهم من الاحاديث ، وكثيرا منها يرجع الى الفصحى ، وكلما ارتفع مستوى (الثقافة) استقام التركيب ، وتضاءل الغريب .

٧٦٤ اللعط — والعدد !

مما رواه المسنون وأدركوه .. وسمعناه منهم .. أن بدوياً هذلياً ، أقترف ذنباً يوجب المؤاخذة فاستدعاه أمير الطائف — في حينه — الشريف **زيد بن فواز** .. وكان من الرجال المهيبين والدهاة المعدودين وبعد أن استمع إلى الخصومة .. أمر **الخدم بطرح الهذلي أرضاً وجلده (مائة) ! وكان المجلس غاصاً بالراجعين والزائرين ، فما كاد الهذلي** يسمع « المائة » .. حتى وقف صارخاً وصاح : ما هذا ؟ وإيش تقول **يا شريف** ؟ (مائة) ! والله أما إنك ما ذقت (اللعط) أي الضرب .. أو أنك ما تلهم العدد : أي تعرف ، (مائة) ! لا حول ولا قوة إلا بالله ! وأخذ يكرر ذلك والأمير يكتم ضحكه حتى قهقه به .. علناً .. وأمر بالكف عنه وزجره عن مثلها .. ثم صرفه .. ومن أمثال العامة عندنا قولهم : « مده .. قال : اللي يأكل الضرب ما هو مثل اللي يعده) ! كفانا الله اللعط . والشحط ، وألهمنا الرشد .. وحمانا الهوى .. و (الأوى) ! وما أدري ما هو هذا (الأوى) ؟ رغم تداوله كشتيمة أو دعوة بالسوء ولن يعدم الباحث أصلاً له في الفصحى !

٧٦٥ الكلأ — والرصيفة !

قرأت في كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (٤٥٣) هـ ما نصه : « وقال آخر : رأيت ببطن فلج منظراً من الكلأ لا أنساه ، وجدت الصفراء والخزامي يضربان نحر الإبل وتحتها فقعاء وحريث قد أطاع وأمسك بأفواه الإبل أغناها عن كل شيء .. » اهـ .

قلت : وذكرني قوله هذا بما أدركته في سنة ١٣٤٠ هـ . ورأيته رأي العين في (مكة المكرمة) .. وذلك في القسم الجنوبي منها وهو « الرصيفة » و « العكيشية » و « الشوقية » وما بينها .. وأني (وقد مضى على ذلك نحو من ٤٨ سنة) ما أزال أتمثل ذلك المنظر البهيج .. فالجبال تكاد تمور موراً بالأعشاب وكنت أمتطي ظهر بغلة عالية جداً فما يكاد يبين منها إلا سرجها .. من الكلأ المنبث في الأرض .. والغدران تصفق بالماء .. وأصوات الحشائش .. تملأ الآذان بحفيفها .. والسماء تهمي بالرذاذ المتواصل وأجزم أنني لم يتكرر على بصري مثل هذا المشهد الرائع بعدها حتى اليوم ! هذا فيما هو من ضواحي (أم القرى) عليها سلام الله ! فأما روضات نجد .. وربيعها وأزهارها المتفتقة .. وورودها المتفتحة وفيها قال الأعشي :

ما روضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل خضل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم الغيث مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

فحدث عن البحر ولا حرج ! وصدق الله العظيم : ﴿ **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقا** ﴾ ونسأله جل وعلا إلهام الشكر .

٧٦٦ ماهي الجماسة ؟

تقول العرب : « جمس الماء وجهر — والجموس أكثر على ألسنة العرب من الجمود ! » اهـ .

قلت : ويقول الناس في زماننا — فلان جمس .. ويعنون بذلك نفس ما يعتري الماء من « الجمود » أو التجمد .. فهو عدى كونه بارداً ! .. فانه جامد ! وهو إذا كان موصوفاً بالثراء والقوة أيضاً فإنه في نظرهم (جامد) .. بمعنى أنه مليء .. أما الجمس فهو الذي لا تستخفه أو تستحيله أو تهضمه الأرواح .. ولا تميل إليه النفوس ! ولهذا كان « المليح » أكثر قبولاً من الجميل لأن ملوحته — أو ملاحته — مستعذبة وإن كان غير جميل ! ومن أمثال العامة قولهم « حجر ولا جليس » !

٧٦٧ ما أنت الا « محسن »

فجعت بوفاة الصديق الكريم .. **الشريف محسن بن الحسين الحارثي** وقد كان عضواً في مجلس الشورى وتقاعد أخيراً منذ عام واحد بما يعانيه من مرض باطني ، ثم وافته منيته وهو يحاول **العلاج في لندن يوم الأحد ١٣٨٧/١١/٢٠هـ** وأحضر جثمانه إلى **جُدَّة** بالطائرة في ٢٢ منه وجرى دفنه بعد صلاة الفجر بمكة المكرمة بالعدل — يوم الأربعاء ٢٣ منه .. واشتركت مع المشيعين وفي القلب حزن بالغ بما كان للفقيد من أخلاق كريمة وخصال حميدة . ورأيتني أتمتم وهو يدفن بهذه الأبيات :

يا من نعته « لندن »
« أم القرى » لك مدفن
وعليك من أعماقنا
نبكي الوفاء .. ونحزن !
عش في خلودك راضياً
ما أنت إلا « محسن »

ولا نقول إلا ما قاله الصابرون ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ .

وتغمد الله الفقيد برحمته ورضوانه .. وألهم أبناءه وذويه وأصدقاءه الصبر والسلوان و ﴿ **كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ .

٧٦٨ الأمت — لا الأمط

تقوم في وسط جبال « الشفا » قرية عامرة ذات بساتين وآبار ودور عامرة .. وقد انحدرت إليها من (الفرع) في أعاليه . في طريقي إلى الطائف المأنوس في صيف عام ١٣٤٩ ويطلق عليها أهلها اسم « الأمط » .. وفي الحقيقة أنها « الأمت » لغة ، لا الأمط .. فذلك مجرد تحريف لفظي .. فإن الأمت هو المكان المرتفع ..

وبهذه المناسبة تذكرت حادثاً طريفاً وقع لنا — ونحن جماعة — في جولتنا تلك وهي .. أنني ورفاقي وصلنا إلى تلك القرية .. فاستقبلنا غلام يفع لما يبلغ الحلم .. فرحب بكل جهده ودعانا إلى منزلهم وأكرم مثوانا وكان أبوه غائباً

بالطائف ، وبعد ساعة ، وابنه يقدم لنا القهوة والشاي ـــ قدم والده .. وبدأه باللوم والعتاب .. وخشي أن يكون قد قصر في واجب الضيافة والإكرام . فقال له : على قدر الإمكان أديت الواجب يا أبي وها أن الغنم تذبح .. وعليك الباقي ! وكان يوماً جميلاً في تلك الربوع المخضلة الخضراء .. وحتى اليوم ما أزال أتحدث بما صادفناه من مبادرة الغلام ولوم والده له على التقصير في ذلك رغم قيامه بكل ما يبيض الوجه .. وأحسب أنهم (آل عمار) إن لم تخني الذاكرة .. سقى الله ديارهم ، وأفاض عليهم من الخير والبركات وكذلك هم العرب الخلص الأقحاح .. أهل الوفاء والسخاء والسماح ..

٧٦٩ يلحنون ! ويربحون

ذكر **ابن قتيبة** : أن أعرابياً دخل السوق . فسمعهم يلحنون . فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون !! ونحن لا نلحن ولا نربح اهـ .

قلت : ولو قد عاش صاحبنا ـــ الأعرابي ـــ فحضر أسواق اليوم .. لسبح الله كثيراً ولفر بلغته الفصحى ـــ إلى شعاف الجبال ، وذلك إن لم يكن قد شرب من مائهم وأندمج فيهم .. وضيع ما حفظ .. والطريف في الخبر تعجبه من أن يجتمع اللحن والربح ! وهما في اعتقاده نقيضان لا يتفقان !

٧٧٠ ما هو « اللاوي » ؟

هذه الكلمة دارجة يستعملها سائر الناس في معرض الشتم .. فيقولون لمن يمتعضون منه « عساك ـــ البعيد ـــ باللاوي » .. ولو سألت القائل ماذا تعني ؟ لم يجب أو لم يعرف أكثر من أنه طعن وقذف ، وشتم .. « كسخامة الطين » ! وقد سبق بيانها في إحدى الشذرات .. وربما عني باللاوي المغص المعوي أو المعدي .

أما اللاوي لغة فإنه في الأصل من استلوى بهم الدهر .. أبادهم .. (والإلتواء) أيضاً ـــ الاعوجاج .. والتوى عليه الأمر اعتاص .. ومن هنا يكون المتداول ذا أصل فصيح وكفانا الله شر اللاوي والبلاوي !.

٧٧١ كسر العين

قال **الجهشاوى** في كتابه : (الوزراء والكتاب) : ومما استحسنه في شدة التحرز ما حكي في كتاب من كتب الهند أنه أهدى إلى بعض ملوكهم حلي وكسوة ، وبحضرته امرأتان من نسائه ووزير من وزرائه فخير إحدى امرأتيه بين اللباس والحلي ، فنظرت المرأة الى الوزير كالمستشيرة له فغمزها بإحدى عينيه لتأخذ الكسوة ، ولحظ الملك ، فعدلت عما أشار به من الكسوة واختارت الحلي لئلا يفطن الملك للغمزة ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه ليظن الملك أنها عادة ، وخلقة . اهـ .

قلت : فهذا أصل الاستعمال في كسر العين ! وتطور معناه إلى ما هو متداول منه العامة .. والخاصة .. وهو لا يعدو ما كان قديماً .. على اختلاف الأسباب ، واتفاق النتائج !

٧٧٢ زكن عليه

إذا أراد أحدنا التأكيد في قضاء أمر ما ـــ وبعث فيه رسولاً ـــ إلى صاحبه قال : زكن عليه ! فما هو هذا التزكين ؟

في **اللغة** : زكن زكنا الأمر بفتح الكاف : فطن .. وأزكنه الأمر أعلمه وأفهمه إياه .. ومن هنا كان التداول للكلمة بمعنى — (فطنه) بتشديد الطاء .. وجلب إهتمامه فيما هو موضوع الرسالة .. وبذلك يكون فصيحاً صحيحاً .. على رغم عاميته .. وأجد مثلها في لهجة إخواننا **أهل نجد** فهم يقولون (أفطن) و (احرص) .. وهما أوضح وأسمح .. والعبرة بما أصطلح عليه الناس وتميز بالقرينة .. وبمدى الزكانة والفطانة في المخاطب !

٧٧٣ دعابة .. مرتجلة

كان الباعث على هذه الدعابة الانتظار .. بعض الوقت لمقابلة أحد المسؤولين الكبار — وكان بدوره مشتغلاً مع آخرين .. فبعث إليه بهذين البيتين .. وما أن قرأهما حتى وافاه بالذات معتذراً وأكرم وفادته :

بين الترقب — والأشواق — (منزلة)
لا الجسم يحملها — ثقلاً — ولا الروح
فإن أذنتم ظفرنا أن نواجهكم
أولا ؟ ! فقولوا لنا من فضلكم روحوا[1]

٧٧٤ « الدوار » ليس هو بالدوجة ـ ولا بالدوخة

غلب استعمال الناس كلمة « الدوخة — والدوجة » .. كلما أصيب أحدهم — بالدوار .. بتشديد الدال وضمها .. والواو .. وما هما منه من قبيل أو دبير ! فإن (داج) لغة .. خدم .. و (داخ) ذل وخضع .. وفيها أو منها — دوخ الوجع رأسه إذا أداره . فهذه أقرب للصواب من الأولى .. وهذا الذي يطلق عليه (الدوار) يشاركه في لفظه فقط .. (دوار) الباعة المتجولين .. لاستدارته .. وكانت له قاعدة تسمى (البنيكة) بفتح الباء وفتح النون وتشديدها بعدها ياء ساكنة فكاف فتاء مربوطة — تصنع من أعواد النخل — كالقفصان .. ويحملها البائع الجوال .. خلف ظهره بيسراه .. كما يمسك الدوار على رأسه بيمناه .. وقد أدركنا أكثر المتسببين في المدن لا يتخذون الحوانيت والدكاكين .. وخاصة منهم باعة الفواكه .. فهم يدورون في كل محلة ومنطقة .. فإن لم يفرغوا أو .. يجبروا .. بمعنى الإنتهاء من تصريف البضاعة .. أوقدوا فوق الدوار ما كان يسمى بالمشعل ذي اللسان الملتهب للإضاءة .. ويكتظ بهم وبباعة « الشريك والخبز » كل من شارع المسعى قديماً .. والسوق الصغير .. وسوق المعلاة .. وكأنما الدخان من مشاعلهم .. (ندخ البواخر) .. أو مداخن المصانع !

٧٧٥ جبر الخاطر

ورد ذكر الأنعام — والخيل — في « الكتاب العزيز » . وكان من جملة — الدواب — البغال والحمير .. ﴿ **لتركبوها وزينة** ﴾ .. وأفاض الشعراء من جاهليين وإسلاميين في أوصاف الخيل .. وشياتها وغررها وحجولها .. وأرقالها .. وخببها واغارتها .. بما لا مزيد عليه ! إلا « الأعيار » .. فإنما تقترن مع الأعنات — بالصغار ، وما يزيد الراضي عن الحمر ولا الساخط عليه .. في تسميته وتكرمته على

(١) وإنما جاءت الطرافة أو الملحة في استعمال كلمة (روحوا) بمعنى اذهبوا ، وهي عامية لا تخضع لسيبويه «ولا الأجرومية» !

(أنه الحمار) ! والحق أن لها ماضياً وحاضراً ، في المشاق والأسفار .. وطالما قضيت بها شتى الأوطار ! و(دفن الأعياد) بها اليفعة والصغار وبعض الكبار ! وقد قرأت بيتين **لعدي بن الرقاع** .. وكان شاعراً أموياً .. ومبرزاً .. يصف بهما فعل سنابك (الحمارين) إذا عدوا ..

يتعاوران من الغبار ملاءة غبراء — محكمة هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكاناً ناشزاً ، وإذا السنابك أسهلت نشراها

قلت : إنه جبر بذلك خاطر هذا الحيوان المظلوم ! ووصفه بما تحسده عليه الصواهل وهو مكضوم ! وأحسب عدياً .. كان به باراً وعليه يغدو ويروح !

٧٧٦ شوف « الدحة » وشوف الطير !

ما رسخ في أذهاننا منذ نشأنا ونطقنا وسمعنا ووعينا مثل هذه الكلمة .. يخادع بها الطفل .. وهو بين الثانية والرابعة .. (الدحة) بتشديد الحاء .. فما هي لغة ؟ — إنها في الأصل « الداح » .. وهو « نقش يلوح به للصبيان .. يعللون به ! »

قلت : ويضم إليها كلمة أخرى .. ما قرأتها في كتاب قط ، ولكنها كانت وما تزال دارجة .. وللأطفال أيضاً .. وهي أنه إذا شرب الماء .. وشرق به .. تفاجؤه أُمه بقولها — وهي ترفع يدها إلى السقف : (شوف الطير .. شوف الطير) وتشغله عن (شرقته) بذلك فتزول بإذن الله .. وهي إنما توجه ذهنه إليه .. ليتحرك حلقومه إلى فوق .. ولهذه الكلمة أو الجملة مزية ثالثة .. يستعملها (المزين) أو (الحلاق) إذا تولى ختان الصغير .. ليصرفه عن النظر إلى ما هو بسببه ! وما من أحد من المواطنين الكرام في المدن .. أو القرى .. إلا مرت به هذه التجربة ، أما البوادي فلا أدري ما اصطلحوا عليه في ذلك كله ..

و « الشوف » بمعنى النظر .. فقد جاء عنه : « شافه شوفاً : صقله وجلاه » .. فهو أبلغ من مجرد الرؤية .. وأمكن منها وأمعن !

٧٧٧ حرم الكلام

تقول أُم العيال أو « ست البيت » .. إذا تجادلت مع القرين وقاطعها .. ومانعها .. أو لم يصغ إليها .. أو أنكر عليها ما قالت : وأسخطها فاجأته بقولها في انزعاج (حرم الكلام) معاك .. وتنطقها — وهي ومن على شاكلتها .. من الإناث والرجال .

وهي بكسر الحاء والراء .. وصحتها فتح الحاء وكسر الراء .. وهذا « التحريم » عرفاً لا شرعاً ! ولذلك أصل قديم ، قال **المعذل بن غيلان** في العصر العباسي الأول يخاطب **عيسى بن جعفر بن المنصور** :

قد قلت إذ هتف الأمير يا أيها القمر المنير
« حرم الكلام » فلم أجب وأجاب دعوتك الضمير

قلت : أرأيتم كيف ألقى بها الفلك الدوار .. منذ أكثر منْ ألف ومائتين من السنين .. إلى أن استعملها في عصرنا عشرات الملايين ؟! وقد

تكون سابقة في التداول لعصر هذا الشاعر ، ولولا ذلك ما تسنى له أن يدرجها فيما يجب أن لا يجهله السامع أو القارىء إذا وقف على أبياته .

٧٧٨ الدكاترة زكي مبارك والخليلان

أطلق الأدباء .. على الدكتور ـــ زكي مبارك ـــ عفا الله عنه ـــ أو هو أطلق على نفسه لقب (الدكاترة) .. لتعدد ما ناله من جوائز « الدكتورية » من عدة مجامع أو جامعات شرقية أو غربية . وكان معاصروه يتندرون بذلك عليه .. أو يتندر هو عليهم !

وقرأت في الأغاني ما يشبه ذلك تقريباً .. ولو من بعض الوجوه .. فهذا (**خليل**) **بن عمرو المكي مولى بني عامر بن لؤي** ، كان معلماً ويطلق عليه (الخليلان) وذلك أنه كان يؤدب الصبيان .. ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد ! قال الراوي (**محمد بن حسن**) فحدثني من حضره قال : كنت يوماً عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم** ﴾ .. ثم يلتفت إلى صبية يردد عليها :

اعتـــاد هذا القـلب بلبالـــــه
إن قربت للبـــين أجمالـــه !

فضحكت ضحكاً مفرطاً .. لما فعله ، فالتفت إلي ، فقال : ويلك ما لك ؟ فقلت : ضحكي مما تفعل ، والله ما سبقك إلى هذا أحد ، ثم قلت : انظر أي شيء أخذت على الصبي من القرآن ؟ وأي شيء تلقى على الصبية ؟ والله إني لا أظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ! فقال : أرجو أن لا أكون كذلك إن شاء الله .

قلت : فلو جمع (الخليلان) حرفة أو صنعة ثالثة لنعتوه .. (بالإخلاء) .. تماماً كما نعت (الدكاترة) ! و « كم في الزوايا من خبايا » .

٧٧٩ انت ا بخص

يتداول هذه الكلمة : (ابخص) عرب الجزيرة في نجد .. وانتشر استعمالها في الحواضر والبوادي كلها مع الامتزاج .. والازدواج .. فهل هي عربية فصيحة ؟

وأقول : نعم ـــ إنها لصحيحة ـــ وهي تعني لغة ، التحديق بالنظر .. لقد وجدت أن « تبخص .. بتشديد الخاء تؤدي هذا المدلول . أما في الاصطلاح .. فهي تعني : أبصر .. وأفطن .. وأرشد .. وأهدى إلى التوفيق .. فيما دق وجل .. وأعتقد أن طول الاستعمال أحلها منزلة أعلى تتجاوز البصر إلى البصيرة .. وقد تمكنت جذورها في الأعماق ، ولا سبيل إلى إبدالها أو تبديلها إلا بما ترضى به الأجيال الصاعدة وتستظرفه الأذواق ! وهيهات هيهات التقيد بعد الانطلاق !

٧٨٠ « البشكة » لغة

منذ عقلنا في الحياة واشتركنا فيها .. نسمع « بالبشكة » .. ونفهم أنها عملياً إنما تعني (الجماعة) المؤتلفة .. يلمها السمر .. وتضمها القيلات والليلات .. والأصائل والأمسيات !.. وما كان لنا اهتمام بالوقوف على أصلها وفرعها .. وقرأت في اللغة هذا النص : « بشك بشكاً » : أسرع . الخبر اختلقه ، الثوب خاطه خياطة

متباعدة ، في عمله : ساء ، (وبشك) كذب الكلام : ارتجله واختلقه و (البشاك) الكذاب .

قلت : وحاولت التوفيق بين كل هذه المعاني .. وبين البشكة أو البشاك .. في اصطلاحنا .. فما وجدت لواحدة منها صلة بها إلا أن يكون في الإسراع إلى الإجتماع ! أو في جمعها من لم يكن منها أحياناً أو في ما هو من لوازمها تنادراً وتفكهاً .. ولهواً .. ولغواً .. وتوقفت .. لأنني أتذكر أن في اللغة التركية كلمة كنت أسمعها في الصغر وهي تقول (بوبشكة — بوبشكة) أي هذا شيء وذاك شيء آخر ، فعلى من عرف أو علم أن يريحنا من هذا الإشكال ، صيانة وأمانة للتاريخ المدال ورحم الله البشاك .. والشياكة والمشبك والشباك .

٧٨١ ما هي « بدنق » ولكنها « دنخ » !

« قال **أبو عمرو** .. وغزا **أبو خراش** (فهماً) فأصاب منهم عجوزاً .. وأتى بها منزل قومه — فدفعها إلى شيخ منهم ، وقال : احتفظ بها حتى آتيك ، وانطلق لحاجته .. فأدخلها (بيتاً) وأغلق عليها ، وانطلق ! فجاء **أبو خراش** وقد ذهبت فقال :

سدت عليه — (دولجاً) ثم يممت
(وأحسب صحته : وتيممت) ..
بني فالج (بالليث) أهل الخزائم
وقالت له : (دنخ) مكانك إنني
سألقاك — إن وافيت أهل المواسم

والدولج .. هو بيت صغير يكون للبهم !

قلت : ودنخ : الرجل .. ودنخ إذا أكب على وجهه ويديه كما فسره في الأغاني . وأغلب الظن أنها هي التي يعبر عنها أهل زماننا بقولهم (دنق) .. فلعلها إنما تحولت .. وحرفت .. مع الأيام ، ومع الاعجام . وهناك أحد ألعاب الصبيان يطلق عليه : (دن أو دن وأركب !) وما هي إلا دنخ .. ما دام تفسيرها هذا الذي رويناه من مصادره الموثوقة !

٧٨٢ الكلمات المظلومة والألفاظ المكلومة

نعم — إنها لجديرة بالإنصاف فقد حملت في الزمن الأخير ما لايدلها فيه من المعاني .. فهذه الكلمة التي كانت في الذروة من اللغة .. وهي (العلق) .. فإنها ما أن ينعت بها أحد الآن حتى يلجأ إلى أقذع الشتائم يرد بها على من جعله (علقاً) ! وما كانت إلا الشيء النفيس ! ثم طرأ عليها التلبيس والتدنيس ، والأخرى وهي (العرص) فما كانت في اللغة إلا وصفاً للرجل (الفرح ، المرح الطروب) ! فآل بها التطور إلى الحضيض الذليل .. وتفاداها كل ذي حياء ! لمدلولها الدخيل ! وأخيراً اقترنت (البجاحة) (بالقباحة) ! أو (الوقاحة) ! وما كانت تعني في اللغة إلا الفرح .. فإن تجاوزته فإلى الافتخار والتعاظم والتباهي .. وما يستطيع المرء أن يجابه بها أحداً الآن حتى يكيل له الصاع صاعين ! لمجرد مفهومها الطارىء ، المقترن بالمساوىء ، ولعل لذلك أمثالاً شتى . وما أحاول إلا الإشارة إلى ماضيها وحاضرها فما لعثرتها من مقيل ! وقديماً قال الشاعر :

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذبا
فما اعتذارك من قول إذا قيلا ؟

٧٨٣ فتى الكهول

كان **عمر بن الخطاب** يحب **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهم ، ويدنيه ويشاوره مع أجلة الصحابة ، وكان **عمر** يقول : **ابن عباس** فتى الكهول له لسان قؤول وقلب عقول ، وروى عن **ابن مسعود** أنه قال : نعم ترجمان القرآن — لو أدرك أسناننا ما عاشره منا رجل .. اهـ .

قلت : وهكذا يحمل الحق والتقدير **ابن مسعود** أن يقول كلمة الحق في شاب ، يعتبر من أبنائه ، بحيث قدر أنه لو أدرك أسنانهم (ما عاشره منهم رجل) ، لا بظاهر معنى اللفظ وإنما بباطنه .. أي ما استطاع أحد أن يباريه في ذكائه وعلمه وحفظه وسعة مداركه وهو من قال عنه (**عطاء**) : « كان ناس **يأتون ابن عباس** في الشعر والأنساب ، وناس يأتون لأيام الحرب **ووقائعها** وناس يأتون للعلم والفقه ، ما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما شاءوا » ! فطوبى للشباب المهتدين الهادين الذين أنار الله بصائرهم ، وإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، وفي الإسلام والمسلمين خاصة وفي عصرنا هذا يضاف إلى ذلك : (وبعقيدته وإيمانه) .. ﴿ **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ .

٧٨٤ ثالثة الأثافي النشا والنيل

وما أقصد بهما إلا ما تبيض به الثياب بعد الغسيل .. سواء أكان ذلك صرفاً — أم ممزوجاً — وتذكرتهما عندما قرأت بيتين لأبي **نصر القشيري** المتوفى سنة ٥١٤ هـ حيث قال في ولده (**فضل الله**) :

كم حرة لي في الحشا ... من ولدي حين نشا ؟
كنا نشا — فلاحه ... فما نشا — كما نشا !

قلت : ولو أن هذا النشا المستعمل في عصرنا هذا كان معروفاً في عهد **أبي الفضل أو أبي نصر** .. لأضافه إلى شعره ! ولزاد عليه (النيل) **أيضاً** ، ولعزز « **بيتيه بثالث** » وأظنه ينسجم معهما ، وفي معناهما : وهو :

ما كان إلا « نيلة »(١) **... يا ليته كان « نشا »**

وأثابه الله على ما ابتلى به من نقص في ولده الفضل ! وإنك « لا تهدي من أحببت » .

٧٨٥ ابن مكنسة

كان شاعراً فكهاً — وعاش في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس وقد كبر سنه فقال :

عشت خمسين — بل تزيد — رقيعاً كما ترى !
أحب المقل — بندقاً — وكذا الملح سكرا
قد كبر ، بر بر برت وعقلي إلى ورا !
عجباً ! كيف كل شيء أراه — تغيرا
لا أرى البيض صار يؤكل إلا مقشرا !
وإذا دق بالحجار (زجاج) .. تكسرا !

---

(١) (المنهل) : في أدب أستاذنا الجليل خاصة في شذراته الطلية هذه روح فكاهة خفيفة الظل ، عبقة مبهجة مثل هذا البيت الخفيف الظريف الذي أنشاه وألحقه ببيتي القشيري بعد ٨٥٣ عاماً . فإن المرح والترح مجتمعة روحهما في نظامه المنسجم البديع .

قلت : والإبداع هنا هو في تمثيله للرعشة ولشخصيته « للشيخوخة » حين يخرج الكلام .. مقطعاً .. مقتراً .. في قوله (قد كبر ببر الخ) ولم نعدم بحمد الله في زماننا هكذا من ملك ناصية البيان (في بلادنا) فيسخر به إذا سلك سبيل الجد ، ويعجز به إذا سابق في ميادين الهزل والجد ! وما أوردت هذه الأبيات إلا ترفيهاً عن القراء وإجماماً وإلتماساً للتفريج .. ولو لماما ! (هذا وهو في الخمسين ، ولما يبلغ الثمانين) !

٧٨٦ حتى يجيء أبوكم

قال **عبد الملك بن سلع** : « **قلت لعبد خير بن يزيد الهمداني** : **يا أبا عمار** ، لقد كبرت ، فكم أتى عليك ؟ قال : عشرون ومائة سنة ! قلت : فهل تذكر من أمر الجاهلية شيئاً ؟ قال : نعم ، أذكر أن أمي طبخت قدراً لها ، فقلت : أطعمينا .. فقالت : حتى يجيء أبوكم ! فجاء أبي ، فقال : أتانا كتاب رسول الله ﷺ ينهانا عن لحوم الميتة .. فذكر له أنها كانت لحم ميتة .. فأكفأناها » اهـ .

قلت : فلينظر أخي القارىء الكريم — كيف أن نفس الجملة .. (ما عدا الهمزة) ! تقولها الأم لأولادها بعد الظهر أو المغرب : حتى يجيء أبوكم .. تصبرهم عن الطعام إلى أن يحضر .. وقد يطول غيابه .. ويشق ذلك على الصغار .. خصوصاً إذا كانت أوقات الدوام .. محدودة بما يزيد على دواعي الطعام ، ولا بد من التجاوز عن ذلك في بعض الأيام ، وإلا وقع ما لا يحتسب من الاختلاس أو الالتهام ، تماماً كما يحدث في أُصول الصيام ، ولا سيما بعد أن ألزمت المدارس الأطفال والتلاميذ بالبكور والفطور مع انتفاضة الطيور.

٧٨٧ علة المجتمع الأولى

عن **عون بن عبد الله بن عقبة** قال : « كنت أُجالس الأغنياء ، فكنت من أكثر الناس هماً — وأكثرهم غماً أرى مركباً خيراً من مركبي وثوباً خيراً من ثوبي فأهتم ، فجالست الفقراء فاسترحت » اهـ .

قلت : إنها لحكمة بالغة .. وعظة نافعة وهي في الواقع سبب جميع المشاكل التي تنشب أو تتعقد بين المرء ونفسه ! وبينه وبين أهله وأولاده وبناته !.. فمن أراد أن يستريح كهذا (العون) فعليه بما أراحه .. إن استطاع .. ولن يستطيع ذلك إلا من هيأ نفسه للسفر إلى دار المقامة ، وثبت الله قلبه على ما يطمئن إليه من فضله وعفوه وكرمه وإحسانه ..

وأقول : كان هذا قبل أن تتضاعف المغريات « وتخدع المظاهر ، وتفتن المحدثات .. فكيف والدنيا تبهر وتقهر ؟ وتهزأ وتسخر ؟ ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ .

٧٨٨ أصل « الغربلة » !

كثيراً ما نسمع من اخواننا أهل نجد — بارك الله فيهم — بعض الكلمات التي لم نتداولها — وقد نجهل مدلولها أو أُصولها ، وهي في الواقع ذات جذور عربية ومن ذلك قولهم لمن فعل ما يغضب : « الله يغربلك » ومع أنها واضحة من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي أيضاً .. إلا أنني ظفرت بهذا النص الذي يثبت قدم

استعمالها : فقد ورد في الحديث الشريف عن شريح قال : قال **عمر بن الخطاب** : قال ﷺ : **« ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخرجت أماناتهم » فقال قائل : فكيف بنا يا رسول الله ؟ قال : تعملون بما** تعرفون ، وتتركون ما تنكرون ، وتقولون (أحد — أحد) أنصرنا على من ظلمنا : واكفنا من بغانا » . اهـ .

قلت : فهذا .. ما لا جدال فيه من الدليل على صحة الاستعمال .. وكفانا الله الغربلة .. وما وراءها عند أهل الحرفة من المنخل والمرجف ، وما قبلهما الهروال ! وإلى الله المرجع والمآل .

٧٨٩ « الشهداء » و « مقبرة المهاجرين » بمكة

لا أدري على وجه الدقة وبالنص لماذا سميت هذه المنطقة في وادي الزاهر بمكة بالشهداء .. إلا تقديراً أو تخميناً ان ذلك إنما كان في السنة التي نشبت فيها المعركة بين **الهادي العباسي — والحسين بن علي** — في القرن الثاني الهجري ، وقتل فيها عدد كبير من أهل البيت وأنصارهم .. يومئذ .. فدفنوا ثمة .. وما تزال المقابر قائمة بها حتى اليوم .

واهتديت أخيراً إلى خبر أورده **ابن عبد البر** ، في الاستيعاب عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما .. قال : قال **أبو عمر** : **مات عبد الله بن عمر** بمكة سنة ثلاث وسبعين لا يختلفون في ذلك بعد قتل **ابن الزبير** بثلاثة أشهر أو نحوها .. وقيل لستة أشهر ، وكان أوصى أن يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج ! ودفن « بذي طوى » في « مقبرة المهاجرين » . اهـ .

قلت : وكنت أحسب مقبرة المهاجرين التي كانت إلى ما قبل خمسين عاماً بجرول في الموقع المسمى **بالشيخ محمود** ! وذلك لأنها أقرب إلى ذي طوى من الزاهر والشهداء .. وبهذا النص . أميل إلى أن مقابر الشهداء هي مقبرة المهاجرين .. بسبب واضح وهي أن التواتر عبر القرون الطويلة مجمع على أن **ابن عمرو** مدفون بها . والله أعلم .

٧٩٠ يا واد انت ما تسمع الكلام

كلما رأى الوالد في ولده « الصغير — طبعاً » .. إعراضاً عن نصحه أو إهمالاً لأمره قال له : يا واد أنت ما تسمع الكلام ؟ ووجدت **الغزالي — اهتم بذلك وقدمه في وصيته للولد** وآدابه مع الوالدين : قال : « آداب الولد مع والديه ، يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما — ويمتثل لأمرهما ، ويلبي دعوتها ، ويخفض لها جناح الذل من الرحمة ، ولا يبرمهما بالإلحاح ، ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ، ولا ينظر إليهما شذراً — ولا يعصي لهما أمراً » .

قلت : وأحسبه أوجز في ذلك لأنه لم يذكر ما وصى به غيره بأن يمشي الولد وراء أبيه نهارا .. أما في الليل .. فمن الأدب أن يكون سيره متقدماً أمامه .. وذلك لكي يكون سابراً للدرب وقاية له أن يقع في حفرة .. أو يصاب بعثرة ! — إلا أن تكون الشوارع والأزقة .. ذات أضواء كهربية .. لا يخشى معها التدهور .. أو السقوط .. ونحمد الله تعالى أن هذه الوصايا كلها ومعها أمثالها مرعية كل الرعاية من كثير من البنين ! وفي هذه السنين ! خاصة فقد زاد التهذيب .. وانعدم التثريب ، وما أسعد البادين .. وأتعس العاقين ، وكل امرىء بما اكتسب رهين .

٧٩١ لا تلبلب !

يعني القوم « باللبلبة » كثرة الكلام والإلحاح في موضوع واحد ، وأكثر ما يستعمله قائله يكون على سبيل الانكار ! فما أصل هذه الكلمة .. عند الأقدمين ؟

قرأت في كلام **الإمام الغزالي** رحمه الله في عرضه لأهل زمانه قوله : فلما رأيت من أصناف الخلق من ضعف إيمانهم إلى هذا الحد بهذه الأسباب .. ورأيت نفسي (ملبة) بكشف هذه الشبهة .. الخ .. قال الشارح : « ملبة ، متجهة » .

وبذلك يختلف معناها المتداول حديثاً .. عما كان في استعمال الأولين وفي اللغة : « لبلبت المرأة بولدها ــ دقت له وحنت عليه ، والشاه بولدها بعد الوضع لحسته بشفتيها وتعطفت عليه .. و (لبلب) القوم تفرقوا .. وكل ذلك لا يعني المفهوم الجديد أو المحدث لهذه « اللبلبة » ! فهي إنما تمثل مداومة الكلام وترديده في عصرنا هذا وأنى لها أن تعود إلى ماضيها المنسلخ : ولو لبلب به (الملبلبون) وصاح به (الملبون) ؟

٧٩٢ ولا قلتم .. ولا قلنا

قال **البهاء زهير** ــ وكان قد ولد بمكة المكرمة ــ ونشأ بمصر ــ :

من اليوم تعارفنا ... ونطوي ما جرى منا
ولا كان ولا صار ... ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولا بد ... من العتب فبالحسنى !

قلت : وما تزال نفس الكلمات تتردد في أوساطنا حتى اليوم .. وإن كان لي من تعليق عليها .. فهو : لماذا القال والقيل .. و (طولة اللسان) وسوء التأويل ، ما دمنا نؤمن بأن كلام المرء من عمله .. وأن ﴿ **من يعمل مثقال ذرة خيراً يره .. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ ؟ ..

وقديماً قال الشاعر :

جراحات السنان لها إلتئام ... ولا يلتأم ما جرح اللسان

٧٩٣ وادي « الأراك »

قال **البحتري** :

ذاك (وادي الأراك) فاحبس قليلا ... مقصرا من صبابة ــ أو مطيلا
قف، مشوقا، أومسعدا، أوحزينا ... أو معينا ، أو عاذلا ــ أو عذولا

قلت : أما وادي الأراك فهو بنعمان .. وما حوله من الفجاج .. وأما التمييز بين المواقف الستة .. فخير منها جميعا و «الموقف» قريب منه في (عرفات) الاستغفار .. والحمد والتسبيح .. إذا اكتظ بالحجاج ! و «التلبية والتكبير» .. دون أي جدال أو فسوق أو لجاج ! ونسأله جل وعلا الهداية والوقاية والتبصير إلى ما فيه النجاة من الغرق بين شتى الأمواج ! إنه نعم المولى ونعم النصير .

٧٩٤ هيا بلا تهاويل !

تتردد هذه الجملة .. بين الناس رجالاً ونساء في عهدنا هذا .. كلما سمعوا متحدثاً بما يزعجهم .. قالوا له : هيا .. أي أقصر .. بلا تهاويل .. أى لا حاجة لنا إلى حديثك هذا المفزع المروع !

وما كانت (التهاويل) ــ لغة ــ إلا الألوان المختلفة من الأحمر والأصفر والأخضر .. وهي زينة التصاوير والنقوش والحلي ، وأين هذا من ذاك ؟..

والحق أن القصد .. هو الهول ــ والتهويل .. أي التكبير للهول ويعني المخيف .. وفي الاستطاعة احتمال المعنى المتداول تجاوزاً أو تجوزاً .. لتشابه الألفاظ .. ويتميز كل معنى بقرينته ! ومن أمثال العامة .. « ولا تكبر الصغيرة » !

٧٩٥ البلسن ـ و البلس هما : التين و العدس

قال أبو العلاء المعري :

يقنعني بلسن يمارس لي
فإن أتتني حلاوة فبلس

فليس ما اخترت أن أروح من
يسار قارون (عفة) و (فلس) ؟

قلت : فكم من مائة مليون عربي يستطيع أن يفهم أن البلسن هو العدس ، وأن البلس هو التين ؟[1] إلا من رحمه الله ، فرجع إليهما في مهجور القواميس ! وبعد ذلك ــ هل كان القائل الفيلسوف القانع أو الزاهد .. يصر على رأيه هذا لولا ضغط ظروفه الخاصة ، وعجزه عن معاناة التكسب ، وما فطر عليه من تشاؤم ، ومضض ومض . فما خلق الله الإنسان إلا ليكدح ، ولا يبقى إلا الأصلح .

٧٩٦ حالات الزمان

كنت قبل أعوام في زيارة لكبير رواد الأدب الوزير النبيل **الشيخ محمد سرور الصبان** بداره العامرة بجدة .. فنظرت إلى لوح مكتوب بخط جميل .. مرفوع على جدار الحائط فإذا فيه بيت من شعر أبي الطيب المتنبي :

وحالات الزمان عليك شتى
وحالك واحد في كل حال

فقلت : سبحان الله . لا بد لهذا البيت من تقديم .. أو مقدمة ، وقلت فوراً :

أرى الدنيا تقلب في أناس
وتغنيهم بجاه ، أو بمال
(وحالات الزمان عليك شتى
وحالك واحد في كل حال)

وغلب على ظني أن الهدف المقصود يتحقق بهذه الإضافة ، ولعل له في قافيته أو قصيدته ..

---

(١) (المنهل) : تأكيداً لما أفادنا به الأستاذ البحاثة الجليل نذكر أن أبا حيان التوحيدي روى في كتابه (الامتاع والمؤانسة) ج ٢ ص ٧٩ طبع دار الحياة ببيروت ــ أن النبي ﷺ قال : (من أحب أن يرق قلبه فليكثر أكل البلس) وفسره أبو حيان بقوله : (قيل : هو التين) .

غير هذا المدلول ! إلا أنني لم أرجع إليها في ديوانه حتى الساعة ! و (الفضل للمتقدم) ..

٧٩٧ المنهل العذب

لشهاب بن أبي حجلة قوله :

لزمزم بئر غدا ماؤها
ببرده يطفيء حر الادام
تزدحم الناس على شربه
والمنهل العذب كثير الزحام

قلت : وقد تصرفت في المعنى فجعلته كما يلي :

(مجلة المنهل) — في هديها
كالشمس تجلو من دياجي الظلام
تروى بها الآفاق .. رقراقة
(والمنهل) العذب كثير الزحام

وهنيئاً لصاحبها ومؤسسها العبقري الذي لم يزل يصعد بها ويطورها ويختار لها ما تؤدي به رسالتها وتحقق أهدافها السامية منذ أكثر من ثلث قرن مضى ، بالإضافة إلى مؤلفاته الثمينة وأثاره الخالدة ، أمد الله في حياته .. وبارك في أخلافه .. وأحسن مثوبته على جهاده المتواصل .. ووفقه لما يحبه ويرضاه ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

٧٩٨ قلت : لا ! ولكن

قال الشاعر المتسائل قديماً متفكهاً :

أقول لفاتني لما رماني
بسهم من لواحظه الفواتن
أتحيي من تميت ؟ فقال فيها
ألم تؤمن ؟ فقلت : بلى ولكن ؟!

في مساء يوم الخميس الماضي الموافق ١٣ محرم عام ١٣٨٨ كانت حوادث السيل وعواقبه الأليمة في « **وادي ابراهيم** » .. وما حوله في الشعاب ، وكانت هناك ظاهرة غير معهودة وهي .. انطلاق الرعود والصواعق والبروق بشكل مرعب تخفق معه الأفئدة ! وترتعد الفرائص لما لها من خطف وقصف شديدين .. ومع العلم بأن مكة حماها الله معروفة بأنها لا تخلو من العواصف الرعدية في عصورها الماضية إلا أنني سمعت في ذلك تساؤلات شتى .. وقال بعضهم : إن هذا في الغالب إنما كان بهذه الشدة لانتشار ما لا عهد لنا به من قبل وهو « الانتنات » فوق أكثر المنازل في السهول والجبال سواء ما كان منها « للراد » أو « المرناء » . وان الكهرباء .. تعشق الحديد وبنات عمه من المعادن وننجذب إليه ... وزادوا بأنه على مدى الأيام وتضاعف عددها فربما ازداد معه الإرعاد والإرباد ! **وقلت : لا تطميناً** لهم واعتقاداً بأنه لو كان ثمة من خطر تحقق لأتخذت ضده أسباب منعه .. (فنياً) وعلمياً من جهاته المختصة : فما خلت بلدان العالم الحديثة من هذه الأجهزة وأضعافها .

ولكنني وجدت من الحق أن يستبين الجمهور وجه الحق والصدق في ذلك من مصادره العلمية ! فإن هي اطمأنت إلى عدم الضرر فالحمد لله وعليها إعلان ذلك .. في الصحف والإذاعة والتلفزيون .. أما إذا كان هذا التوجس لا يخلوا من صحة فما من بد من وصف العلاج مع بيان ما تجب مراعاته أثناء البحث إذا كان الجو مربداً .. والله ولي التوفيق .

٧٩٩ معلهش ! و مافيش !

كلمتان يتداولهما اخواننا أهل مصر آلاف المرات في محادثاتهم يومياً ولهما مدلولهما الواضح لديهم ... فهل لهما من أصل عربي ؟ نعم : أما الأولى فهي : « ما عليك شيء في هذا الأمر » ... وانما اضطربت بها اللهجة فقط ! وأما الأخرى فهي : ما ثمة شيء ! وما دامتا قد رسخت بهما العادة وتمكن الإصطلاح .. فما من وسيلة لتصحيحهما وردهما إلى الفصحى .. إلا إذا محيت الأمية محواً ... وتحرجت الألسنة أن تنطق إلا صرفاً ونحواً ، وهيهات !

٨٠٠ من هو « الخلبوص » ؟

ينطقها الناس بالصاد .. وصحتها بالسين .. قال أهل اللغة : (الخلابس) الحديث الرقيق : والخلابس .. والخلابيس .. أيضاً ، اللئام والأنذال ..

قلت : وما هي كذلك في التداول .. فقد أخذت مفهوم التدليل والتدليع من الكبير .. للصغير .. وما بوهمه ولا ظنه أنها تعني اللؤم أو النذالة .. وما دامت كذلك في أصلها فأولى بها أن لا تحيى .. إلا أن يراد بها ما هو مدلوها الحقيقي : وإن كان التطور الاصطلاحي قد أعطاها منزلة (الشاطر) .. فهو في قديمه : قاطع طريق وشرير . وفي حديثه : الذكي الفطن . (وإنما لكل امرئ ما نوى) !

٨٠١ « شكر » و تعقيب و تصحيح

قرأت في كلمة قيمة نشرها أخي الأديب الأستاذ **محمد أمين يحيى** في جريدة البلاد الغراء عدد ٢٧٨٦ في ١٣٨٨/١/١٧هـ بعنوان (أيام زمان) .. ان **أبا عمر** المطرب **وسراج عبد الغني** ، قيل أو يقال أنه من أصل يمني هاجر إلى مكة في زمن الحج وبقي بها .. الخ ..

وإني مع شكر الأخ **محمد أمين** على ما يتحف به القراء من أحاديثه الشيقة الطريفة .. وإحيائه للذكريات الحلوة اللذيذة .. فإنه من الإنصاف للحقيقة أن أُبادر إلى تقريرها .. فإن **أبا عمر** هذا — إنما هو (**سراج عبد الغني**) من أُسرة مكية طائفية عريقة .. ذات ثراء وتجارة ووجاهة وعلم وفضل ، وكان ابن عمه **الشيخ عبد القادر عبد الغني** قاضياً لمدينة (جُدَّة) حيناً من الزمن ، كما شغل منصب أمانة الفتوى مع مفتي الأحناف بمكة المكرمة الشيخ **عبد الرحمن سراج** .. **فهو** إذن مكي — وليس بيمان .. وهم من أصل (فتني) ولهم عقار في مكة والطائف وجُدَّة وما يزال أبناء عمومته يحتلون مركزاً اجتماعياً وتجارياً مرموقاً .

وإني لأستزيد الأخ **محمد أمين** في هذه الطرف والتحف . وأرجو له دوام الصحة والنشاط والتوفيق .

٨٠٢ الأصمعي قاعد في الشمس يكذب على الأعراب

« قال **أبو الطيب** : ولم ير الناس أحضر جواباً وأتقن لما يحفظ من الأصمعي . ولا أصدق لهجة .. وكان شديد التأله .. فكان لا يفسر شيئاً من القرآن ولا شيئاً من اللغة له نظير واشتقاق في القرآن ، وكذلك الحديث تحرجاً ، وكان لا يفسر شعراً فيه هجاء ، ولم يرفع من الأحاديث إلا الأحاديث اليسيرة وكان صدوقاً في كل شيء ، من أهل السنة ، فأما ما يحكي العوام وسقاط الناس من نوادر الأعراب ويقولون : هذا ما اختلقه **الأصمعي** . ويحكون أن رجلاً رأى **عبد الرحمن** بن أخيه فقال : ما فعل عمك ؟ قاعد في الشمس يكذب على الأعراب ! — فهذا باطل ، وكيف يقول **عبد الرحمن** ولولا عمه لم يكن شيئاً مذكوراً ؟! وكيف يكذب عمه وهو لا يروي إلا عنه وأنى يكون **الأصمعي** كذلك وهو لا يفتي إلا فيما أجمع عليه العلماء . ويقف عما ينفردون عنه ولا يجيز إلا أفصح اللغات . ويلح في دفع سواه » .

قلت : أوردت هذه الشذرة للعظة والذكرى، وإن كل ذي نعمة محسود .. وكما قال ابن الوردي :

ليس يخلو المرء من ضد ولو
حاول العزلة في رأس جبل

وقاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ...

٨٠٣ هكذا كانوا

روى عن **الشعبي** أنه سئل عن مسألة ، فقال : لا أدري ، فقيل له : فبأي شيء تأخذون رزق السلطان ؟ فقال : لأقول فيما لا أدري : لا أدري !.. وقال له بعض تلاميذه : إنا لنستحي من كثرة ما تسأل فتقول : لا أدري ! فقال : لكن ملائكة الله المقربون لم يستحيوا حين سئلوا عما لا يعلمون إن قالوا : ﴿ **لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ .

قلت : ما أجمل أن يقول مثل الشعبي هذا وهو من هو علماً وتبحراً .. وتجربة وشهرة .. فذلك هو النضج العقلي .. والأدب الحقيقي .. وكم من مرة **سمعت فضيلة الشيخ علي الطنطاوي** على سعة باعه .. وأُفقه .. وعلمه .. وفضله ... يقولها في برنامجه التلفزيوني دون أي تحرج ! فهي أمانة يؤديها وهي كلمة يحتذيها .. وهي سلامة يرتجيها .. ووقاية يرتضيها ، ومضائق يتقيها .. وعكس ذلك ، الدعوى والاغترار ، وقانا الله كل من يهرف بما لا يعرف !..

٨٠٤ « الميناء » عربية أصلية

قال نصيب **الشاعر** في العصر الأموي :

تيممن منها ذاهبات كأنهم
بدجلة في (الميناء) فلك مقير

وقال **كثير بن عبد الرحمن** :

تأطرن في (الميناء) ثم تركنه
وقد لج من أثقالهن شجون

ويصح أن تكون بالقصر (مينا) وهو مشتق من الونى وهو الفنور والسكون كأنه السفن جرت حتى قرت وسكنت هنالك فسمي مكان سكونها (ميناء) .

قلت : وأحسب اطلاق (الفرضة) على الميناء كان محدثاً .. بسبب أن الرسوم المفروضة نظاماً إنما تؤدى فيها قبل إخراج السلع والبضائع منها والله أعلم .

٨٠٥ قلب العقــرب

قرأت هذين البيتين ... وراقني ما فيهما من إبداع لا يتخيله أو يلتذ به إلا من فنن بالأدب الموشى ... القديم وهما :

جاذبتها والريح تجذب عقربا
من فوق خد مثل قلب العقرب

وطفقت ألثم ثغرها .. فتمنعت
وتحجبت عني ــ بقلب العقرب !

وقلب العقرب الأول هو عبارة عن الكوكب الأحمر ... وقلب العقرب الثاني هو عبارة عن (البرقع) لأنه قلبه إذا قلبته إليه ..

وفي ذمة الله البراقع والملاءات ! والأخفاف والبوابيج والأوويات والقرعات .. ومعهما القهوة (ذات الفلة) ... وما يصاحبها من الطيب كأنه الظلة ! وفي حديث شهي يطفىء الغلة ! وفي كل يوم يزداد الطين بلة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٨٠٦ لا تعنفص !

« قيل **لابنة الخس** : أي النساء أحب إليك ؟ قالت : البيضاء العطرة ــ كأنها ليلة قمرة .. قيل فأي النساء أبغض إليك ؟ قالت : العنفص القصيرة .. التي إن استنطقتها سكتت ، وإن أسكتها نطقت » .

قلت : والعنفص بكسر العين هي المرأة البذية القليلة الحياء ! وذكرني هذا بما لا يزال متداولاً حتى اليوم .. فيقول أحدهم لمن يخاطبه : لا تعنفص .. وكأنما رسخ المعنى في افهام الناس .. دون حاجة إلى شرح أو بيان .. وهذا مصدره الأول ! وما كان له من مدلول في مدارك المتأخرين إلا أنه من قبيل ما يقال عن الدابة إذا ركضت وقفزت وتعاصت .. ورمزت وكلاهما وارد ــ ولا يتناقض !

٨٠٧ الفنانون ايضا !

على أثر ما نشرته في الشذرة رقم (٧٤٨) عن الفنانين بمكة والطائف تلقيت تذكيرا بمن لم أدرج أسماءهم من هذا الفريق الذكي النابه النشيط الفنان فاذا بي أشعر بكثير من الأسف أولا لأننى مع اعتذارى عن عدم الاحاطة بهم جميعا لم أنظمهم في هذا السلك الذهبى ، اللامع ، وثانيا لأنه فاتني حتى الآن الاستماع إلى روائعهم وبدائعهم ورناتهم وشناتهم وما منهم الا علم خفاق ، والمجلى في حومات السباق ولهذا حرصت على أن أتدارك ما خفي عليَّ في هذا البيان إنصافا للحقيقة واعترافا بالفضل لأهله .. وتقديرا للأحياء منهم ، بارك الله فيهم ، وأخذ بيدهم إلى

كل ما يرتقى به هذا الفن الجميل . راجيا أن لا ينسوا قبل كل شيء أنهم من بيئة مقدسة عربية لا تشوبها شوائب التقليد . ولا يتقحم عليها قديم أو جديد ! إلا في نطاق ميزاتها المحلية ، وخواصها النفسية ، وتأثيراتها الحجازية ، وألحانها الشجية . وهؤلاء هم :

(الموجـــودون)

١ ـ **عبدالله بن عباس** (مطرب) مكي شهير مؤثر (موجود) .

٢ ـ عرفة (مطرب) جدي (موجود) .

٣ ـ **عمر باعشن** (مطرب) جدي (موجود) .

٤ ـ **حسن عبدالرحيم** (مطرب) جدي (موجود) .

٥ ـ **علي عريض** مطرب مدينى (موجود) .

٦ ـ **السيد حسين هاشم** مطرب مديني (موجود) .

٧ ـ **السيد عبدالرحمن دحلان** (مطرب) مكي (موجود) .

٨ ـ **محسن شلبى** (مطرب) مكي (موجود) .

٩ ـ **محمد باجودة** (مطرب) مكي (موجود) .

١٠ ـ **حمزة مغربي** (مطرب) مكي (موجود) .

١١ ـ **حسين دغستاني** (مطرب) مكي (موجود) .

١٢ ـ طارق عبدالحكيم « الاستاذ الكبير ، طائفي عظيم ممتاز متطور في القديم والحديث (موجود) .

١٣ ـ **احمد مختار** (مطرب) مكي (موجود) .

١٤ ـ **حسن بخش** (مطرب) مكي (موجود) .

١٥ ـ **محمد طيب الجاوي** (مطرب) مكي (موجود) .

(المتوفـــون)

١ ـ **محمد علي أخضر** (مطرب) مكي (متوفى) .

٢ ـ **عطية الدفيني** (مطرب) مكي (متوفى) .

٣ ـ **هنيدي العتيبي** (مطرب) مكي (متوفى) كان ذا صوت رائع أخاذ .

٤ ـ **عبدالله باعشن** (مطرب) جدي (متوفى) .

٥ ـ **عبدالله مكى** (مطرب) مكي (متوفى) .

٦ ـ **عبدالله توا** (مطرب) مكي (متوفي) .

نسأل الله الرحمة والغفران لمن طوتهم الأرض منهم . والبركة والعمر الطويل والاجادة والاحسان وحفظ التراث للأحياء الذين تقع على عواتقهم تبعات الابقاء عليه في ترانيمه الأخاذة .. ومميزاته التى لا تشارك ولا تحاكى ، فهي غنية بأعمق المشاعر الوطنية .. وكما أن الشعر ليس بأوزانه ولا قوافيه ولا الطول أو القصر فيه .. وانما هو ما اهتزت له وبه الاعطاف .. وتغلغل في القلب والشغاف .. فكذلك هو الغناء فانه لا يؤدى مهمته ولا ينهض بالغاية منه ما لم يكن نابعا من صميم البيئة وخلجاتها وآلامها وآمالها الخاصة والعامة .. وبالله التوفيق .

٨٠٨ تعقيب وتهذيب

على أثر صدور عدد شهر ذي الحجة سنة ١٣٨٧هـ من المنهل الأغر .. وافاني خطاب كريم من الأخ الأديب الأستاذ (**حسن قاسم بخاري**) في ١٧ — ١٢ — ١٣٨٧هـ بأنه اطلع على الشذرات في ذلك العدد .. واستوقف نظرة كلمة (**بدي**) **وأرشدني إلى أن صحة التأويل فيها إنما** هي (بودي) وأكاد اقتنع بما جنح إليه فهو أقرب إلى الصواب .

ثم قال : « وقد شغل بالي عدة كلمات دخيلة على اللغة العربية » وقد تكرم بشرحها كما يلي :

١ — بلكين : يرى أنها في الأصل : « بلى — ولكن » .

٢ — لم يعرف لها اشتقاق .. وقد سبق الكلام عنها في الشذرات والمطالعات وهي ليست عربية مطلقا .

٣ — دحين : قال : أنها : (ذا الحين ، وما في ذلك شك) .

٤ — ذلوان : قال : ان معناها عند اهل ينبع الآن : « الآن » ، هي محرفة من : (ذا الآن) .

٥ — داك : أنها : « ذاك » حتما .

٦ — ايش معنى : هي : اي شيء معناه ؟

٧ — ايش بك : هي أي شيء بك ؟!

٨ — براوه عليك : قال : هى تركية وأصلها برافو .

٩ — اللي : هى التى .. أو الذى .. معا في العامية .

١٠ — بس : هي بمعنى يكفى : ولا بد أنها على قدمها دخيلة .

١١ — امش دغري : قال : لعلها تركية .

وقد علق على كلمة (بس) بأنه حضر مجلس المرحوم الشيخ **عبدالوهاب الدهلوي** بمكة ودارت كؤوس الشاي أو الشاهي . وبعد ثلاث قال احدهم (بس) فقال الشيخ **عبدالوهاب** رحمه الله : « الذي يسبس لا يعطى شاهى » .. وكانت فكاهة ومداعبة في وقت واحد اهـ .

ونشرا لهذه الفوائد .. وشكرا للكاتب الأديب بادرت بهذه الكلمة مقدرا له اهتمامه بهذه الألفاظ الدارجة في أوساطنا المحلية ليل نهار .. وهي أكثر من أن تحصى .. وما لا يدرك كله لا يترك جله .

٨٠٩ ماهي « الباكورة » قديما وحديثا ؟

قال **أبوبكر محمد بن حسن الزبيدى ٣١٦ — ٣٧٩هـ قبيل نيف وألف سنة** في كتابه : (لحن العوام) بسند متصل الى ابن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا اوتى بالباكورة دفعها إلى أصغر من حضر من الولدان .. وهو وارد في جامع الترمذى .

قلت : وقد تطور معنى الباكورة .. حتى اشترك فيه هذا الخيزران الذى كان مما يضرب به الصبيان .. وشتان بين الأولى وهى من كل فاكهة زوجان ! وبين الأخرى وهى مما تترنح به الأبدان .. وهنيئا لناشئة اليوم حصانتها من (القرمعات) و (الفلكات) ! فما كانت تقتصر على البواكير .. وانما عرفناها وهى من الشوحط

والعرعر كالسواطير .. وقد اصبحت من جملة الحكايات والأساطير ، ولا ينبئك مثل خبير .

٨١٠ ماهي السكاكة ؟ (بضم السين)

« ومما أورده **الزبيدى** في لحن العوام قوله : ويقولون : بلغ فلان (السكيكا) — والصواب السكاكة .. وقال **الكسائى** : السكاك والسكاكة الهواء بين السماء والأرض ! يقال ، لا أفعل ذلك ولو نزوت في السكاكة » .

قلت : وهنا يتوارد مع هذا المعنى قول المعاصرين : لا أفعل كذا ولو طلعت السماء ونزلت الأرض .. فذلك عين ما يدل عليه مصطلح الأقدمين . قبل ألف عام .. وأحسب أن المنطقة التى يطلق عليها في شمال بلادنا (سكاكة) إنما سميت بذلك لاصطفاق الرياح بها .. والله أعلم .

٨١١ ماهي « الشعراء » ؟

«قال **الزبيدى** أيضا .. ويقولون للأرض الموات التى تنبت ضربا من العيدان «شعراء» بفتح الشين .. والصواب أن الشعراء الشجر الكبير عن الأصمعى وقال **يعقوب** : أرض كثيرة الشعارى أى كثيرة الشجر ، قال **أبو عمرو** : بالموصل جبل يقال له (شعران) لكثرة شجره» .

قلت : وبهذا استعدنا أيضا علة التسمية فيما يطلق عليه اسم (الشعراء) .. بقلب ديار نجد ، فهذا سرها ! وقلما نفهم ذلك من قبل ، وفوق كل ذى علم عليم .

٨١٢ ماهي « القرطسة » ؟

« وقال : ويقولون هو (يقرطس) في كذا أى يفكر فيه ويحاول علمه .. و (القرطسة) إنما هى الإصابة ، وأصله من القرطاس الذى يجعل غرضا للرماة » .

قلت : ومن هذا نشأ قول بعضهم في زماننا .. جادلت فلانا أو خاصمته فقرطسته في مكانه .. فكأنما هو يزعم أنه أصابه في محزه أو مفصله ! وبذلك نجد المتداول بين الناس في كلامهم لا يعدم صلة بالعصور الطويلة الغابرة .. والحقيقة بنت البحث !

٨١٣ ماهي « القرفة » ؟

وقال : ويقولون — أى العوام — لبعض قشور الشجر (قرفا) بكسر القاف وصوابها (قرفة) وجمعها قرف والقرف القشر .

قلت : فهذه البهارة التى يتبل بها الطعام في المطابخ يوميا .. ما هى إلا من لحاء شجر ذى خواص هاضمة .. وكان من يقول لصاحبه : « كرهت قرفتك » انما يعنى ظاهره .. لا باطنه فهى من أروع المقادح كابن الهرمة .

٨١٤ المحارة

كانت وسائل المواصلات قديما : المحمل والهودج والمحنة ، والتخت والشقدف والشبرية .. والمحارة وهى ما يصلح لركوب النساء خاصة .. وقد ادركناها قبل خمسين سنة في مواسم الحج القادمة براً .

وقد قرأت **للصلاح الصفدى** في (المحارة) هذين البيتين اللطيفين ، قال :

رأيت في الركب وجه خود جوهـرة رائـق النضـارة
من أجل ذا محمـل المطايا تعرفـه النـاس (بالمحـارة)

وذلك أن الدرة الثمينة .. انما تستخرج مما يسمى بالمحارة .. أى الصدفة .. وهكذا كان الشعراء القدامى لا يدعون معنى طريفا .. الا اقتنصوه .. عفا الله عنا وعنهم !

٨١٥ هل العثمانيون حجازيون ؟

جاء في كتاب « درر الفوائد المنظمة في اخبار الحج وطريق مكة المكرمة » تأليف **عبدالقادر بن محمد الانصارى الجزيرى** الذى ألفه سنة ٩٦٠هـ وهو المولود عام ٨٨٠هـ وقد احتوى كتابه الاحداث التاريخية الى سنة ٩٧٦هـ ما نصه في صفحة (٣٦٢) قال : « نقل **المقريزى** في تاريخه (جواهر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) فقال : يقال : ان أصل **بنى عثمان** من الحجاز . وان **عثمان** الأول قدم من المدينة النبوية الى بلاد قرمان ونزل قونية فارا من غلاء كان بالحجاز والشام . واتصل **ببنى قرمان** وبأتباع السلطان **علاء الدين كيقبادين ليخيرو** في أعوام بضع وخمسين وستمائة ، وتزيى بزى أهل قونية ، وصار يخرج مع السرايا الى بلاد الروم ويغزوهم **ويغنم منهم فولد له بقونية سليمان بن عثمان فسلك** طريق أبيه الغزو مع السلجوفيلا والقرمانية وعرف بينهم وظهرت له فروسيته ففتح عدة حصون وولد **له عثمان بن سليمان فعظم شأنه وصارت له أتباع** كثيرة . فخرج عن طاعة السلجوقية والقرمانية . وافتتح مدينة « بورصة » في حدود الثلاثين والسبعمائة ، واستوطنها وافتتح ما يليها من الحصون والبلاد واتسعت أحواله وكثرت أمواله ومات عن ابنه « **اودن على بن عثمان** » فأربى على أبيه وفتح الله على يديه عامة الحصون والبلاد التى تلى خليج « قسطنطينية » الخ .. اهـ .

قلت : وقد علق على ذلك شارحه بقوله : « هذا السرد التاريخى مخالف للمعروف في تاريخ تأسيس دولة آل عثمان » اهـ .

ولغرابة هذا النبأ .. أوردته .. معزوا الى « **القزوينى** » .. **ولعل ذلك كان وسيلة للعراقة** والاصالة والانتساب الى أشرف البقاع كما هو الشأن حتى في عصرنا الحديث .. عندما ألحق نسب أحد الملوك الى البيت النبوى الشريف .. ومهما يكن فان الطرافة في غرابته وحكايته لمجرد العلم به فيما اختبأ بين أحشاء التاريخ ، والله أعلم .

٨١٦ (حنين) الأخرى !

ظفرت أثناء قراءتى في كتاب (درر الفوائد المنظمة) بهذه الفائدة قال : « وبدر من المناهل الحجازية ، وحنين امامها ، وليست المرادة في الآية » اهـ .

قلت : ولم أستبعد أن يسمى . موضع آخر غير (حنين) المعروفة بنفس الاسم فقد تكرر ذلك — حتى ألف فيه القدامى — (ما اتفق اسما .. واختلف صقعا) وانما الذى يهم أهل جيلنا اليوم إنما هو التعرف على ذلك ، وعسى أن يسعفنا

العلامة صاحب المنهل .. والحريص على تدوين الآثار .. بايضاح ما اذا كانت (حنين) هذه الاخرى ، ما تزال تدعى بهذا الاسم حتى الآن ؟![1] وانها أمام (بدر) فعلا ؟! وإذا صح ذلك .. فانه لذو مغزى كبير .. فهو من باب التذكير بالموقعتين معا إذا تقابلا مكانا .. وتلاقيا جهادا في سبيل الله .. وان أهل بدر المعاصرين لا بد أنهم بذلك عارفون .. وبه خبيرون .. والعلم بالشيء خير من الجهل به .. والله ولي التوفيق .

٨١٧ المنحنى وجبل العميان

قال **الجزيرى الأنصارى** في درره ، وكان يتكلم عن حجه في سنة ٩٣٨هـ : « وكانت الاقامة في تلك السنة بجبل (المنحنى) بالقرب منه عشرين درجة وصار فقطع (جبل العميان) سمي بذلك لكثرة من يحضر اليه من فقراء مكة وبدوانها — وغالبهم من العميان للسؤال من الحاج وطلب الصدقة . وجرت عادتهم أن كل فرقة تشعل عندها نارا ويجلسون جماعة صغارا وكبارا . ولكل حلقة شخص يترجم بكلام معناه الحث على الصدقة والاحسان الى العميان ، والباقون يصيحون بلسان واحد بعد كلامه : (يا الله) هذا دأبهم في كل سنة » اهـ .

قلت : وهذه سالفة عجيبة .. وما كنا نعرف خلف المنحنى — وحتى اليوم الا (درب المسكين) .. فلعله هو .. بعد أن أبصروا وكانوا عميانا وأغلب الظن أنهم إنما اختاروا هذا الطريق منفردا لئلا يزحمهم أهل الركائب .. فانه يمر على عقاب وهضاب لا يستطيع سلوكها الا المشاة .. وينتهى بهم إلى الجبل الأيمن المقابل لجمرة العقبة الكبرى ويمتد الى ما وراء مسجد الخيف .. وقد عمرت سفوحه بالدور والاحواش والعمارات الحديثة .. وربما اعتلته الى قمته تدريجيا !

٨١٨ المرقق والصناب

اشترى **جرير** جارية من رجل من أهل اليمامة يقال له **زيد** يعرف **بابن النجار** ففركته وكرهت خشونة عيشه ! فقال :

تكلفني معيشة آل زيد
ومن لى (بالمرقق) والصناب
وقالت : لا تضم كضم زيد !
وما ضمى ؟ وليس معى شبابى ؟!

قلت : والشاهد من البيتين — قوله (المرقق) .. فأكاد أحسبه طعاما تقليديا تحور أو تحول اسمه الى ما يطلق عليه في زماننا هذا (المرقوق) .. أما الصناب فقال الشراح انه صبغ يتخذ من الخردل يضرب بالزبيب يؤتدم به فيلون الخبز ويصبغه فيشهى به الطعام .

وفي هذا الشعر موعظة وتوجيه بأن يختار المرء قرينته من سنه وبيئته وطبقته حتى لا تنكر عليه طعامه ومعيشته .. وضعفه وهزاله وتفركه فركا !

٨١٩ كلمة انصاف

قال **ابن سلام** في كتابه : (طبقات فحول الشعراء) : وشهدت خلفا ، فقيل له : من أشعر الناس ؟ **فقال** : ما ينتهى هذا إلى واحد يجتمع عليه

(١) « المنهل » تحيل هذا السؤال من استاذنا البحاثة صاحب الشذرات الذهبية الماتعة إلى الاستاذ الشاعر مفرج السيد لانه من أهل بدر ، وأهل بدر ادرى بأماكنها .

كما لا يجتمع على أشجع الناس ، وأخطب الناس ، وأجمل الناس ، قلت : فأيهم أعجب اليك **يا أبا محرز** ؟ قال : **الأعشى** . قال : أظنه . قال : كان أجمعهم . اهـ

قلت : إنها لكلمة انصاف صادرة من ناقد خبير ! فقد يكون أحدهم أجود وأبلغ في بيت — وأسبق إلى معنى لم يطرق قبله سواه ! أو في قصيدة كاملة ، أما أن يكون على الاطلاق وحيد دهره فيما أثر عنه أو أتيح له من المعانى النادرة فان الحكم له أو عليه .. انما يكون بالمقارنة بين ما أبدع فيه وما هو في مستواه ولفظه ومعناه ! بل وفي زمنه الذى عاش فيه ومع لداته واقرانه من معاصريه وكل ما قيل عن الأفضل انما هو من قبيل الاستحسان والتغليب بالجملة .. وكم ترك الأول للآخر .

٨٢٠ ارث زهير من بشامة

« كان **بشامة بن العذير** كثير المال ، وكان ممن فقا عين بعير في الجاهلية ! وكان الرجل اذا ملك الف بعير فقا عين فحلها .

وكان قد أقعد ! فلما حضرته الوفاة لم يكن له ولد فقسم ماله بين اخوته ، وأخيه وأقاربه ، فقال **زهير بن ابى سلمي** — وهو ابن اخته : ماذا قسمت لي يا خالاه ؟ فقال : **أفضل** ذلك كله ! قال : ما هو ؟ قال : شعرى ، فيزعم من زعم أن زهيرا جاءه الشعر من قبل **بشامة !** » اهـ .

قلت : وهكذا فضل **بشامة** ما ترك لابن اخته **زهير** من الشعر على كل ما ورثه اقاربه وابناء عمومته من الأموال .. والضياع والأنعام .. والأغنام .. إلا أن في النفس حاجة من هذا التوريث فهل هو ممكن ؟! ما أراه إن صح إلا أنه من جهة الخؤولة والدم .. ولا دخل للارادة فيه ولا للهبة ! وما أحسب غير **زهير** بقانع بمثل هذه القسمة بعده البتة ! ويغلب على الظن **أنه أخذ** بهذا الدفع من حيث لا يسعه أن يشارك الورثة في الذهب والفضة !

٨٢١ الصاقعة هى الصاعقة

كثيرا ما تردد فتيات البيوت وعجائزها كلمة (صاقعة) ويعنين بها الصاعقة .. وكنت أنكر عليهن ذلك وأصححه .. فينفرن من هذه العجرفة .. **اللغوية !**

ومصادفة وجدتهن على حق فيما درجت عليه ألسنتهن خلفا عن سلف . **فهذا الصلتان العبدى** يقول من عينية خالدة :

يناشدنى النصر الفرزدق بعدما
الحت عليه من جرير صواقع

قال الشارح : الصواقع جمع صاقعة .. وهى الصاعقة ، وهذه لغة تميم ، ويتبع هذا البيت آخر وهو :

جرير أشد الشاعرين شكيمة
ولكن علته الباذخات الفوارع

وعلى ذلك .. فلا ينبغى التعجل في النقد حتى يتثبت الناقد ! فما تلقى الناس مصطلحاتهم إلا عن أصول عريقة .. وعصور سحيقة ، وإذا توافرت المنادح .. فلا سبيل إلى المقادح !

٨٢٢ « بقى » أعمل لك ايه

تتردد كلمة (بقى) بفتح القاف — بمعنى بقى بكسرها في اللهجة المصرية .. ووجدتها في الشعر الجاهلى : قال **المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد زيد مناة بن تميم** وبقى بقاء طويلا :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وازددت من عدد السنين مئيتا
مئة اتت من بعدها مئتان لى
وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما (بقى) الا كما قد فاتنا
يوم يكر ، وليلة تحدونا[1]

قال **ابن سلام الجمحى** : (بقا) : يريد بقى — وفنا : يريد فنى وهما لغتان لطىء .

إذن هى فصيحة صحيحة لا غبار عليها وليست محرفة .. ومن توارد الخواطر قول **لبيد** :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هذا الناس كيف لبيد

والشطر الاول كله **للمتوغر** نصا **وفصا** !

٨٢٣ الصباح والمساء لغة وشعرا

عن **ابن عمر** رضي الله عنهما : **إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح — واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك** .. رواه البخارى .

وفسر الصباح والمساء العلامة **ابن علان المكى** المتوفى سنة ١٠٥٧هـ في « دليل الفالحين » (الصباح) لغة : من نصف الليل إلى الزوال ، ومنه إلى نصف الليل (المساء) كما نقله **السيوطى** عن الجمهرة **لابن دريد** وقال انها فائدة عزيزة النقل ، اما شرعا فان الصباح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس .

قلت : حملنى على إيراد ذلك استعمال الاذاعة للتوقيت الزوالى ولها بهذ النص سند قوى في اللغة إلا انه لكى يرسخ في الأذهان لا بد من اقترانه — بما هو قديم الاستعمال — (الغروبى) — وهو ما تفعله الاذاعة مشكورة ، وكذلك الحال في جميع تقاويم السنة فلا بد من بيان التوقيتين معا لازالة كل استشكال .. وعلى الله الاتكال .

٨٢٤ ماهما « الأخشبان » واين يقعان ؟

جاء في الحديث الشريف عن **جبريل** وما قاله للنبى ﷺ بعد أن لقى من قومه ما أمضه وأرمضه (**يوم العقبة**) ! وهو (**بقرن الثعالب**) — أي قرن المنازل — المعروف بين الطائف ومكة .

قال ﷺ : « **فرفعت رأسى واذا آثار سحابة قد أظلتني فاذا فيها جبريل ﷺ فنادانى فقال : قد سمع الله قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربى اليك ليأمرنى بأمرك فيم شئت إن شئت أطبقت عليهم (الأخشبين)** .. **فقال النبي** ﷺ : **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا** .

(١) « المنهل » : وقال شاعر اخاله زيد الخير : ولولا زهير ان اكدر نعمة لقاذعت كعبا ما بقيت وما بقى بفتح قاف (بقى)

قال **النووي** : الاخشبان الجبلان المحيطان بمكة والأخشب هو الجبل الغليظ ، وفي النهاية : « الاخشبان هما الجبلان المطبقان بمكة » (أبو قبيس) والأحمر .. وهو جبل مشرف وجهه على (قعيقعان) .

ويخلط كثير من المتأخرين فيظنون ان (الأخشبين) هما « المازمان » ما بين عرفة والمزدلفة .. وشتان ما بينهما !

٨٢٥ كل مما يليك !

ورد في الحديث النبوي الشريف عن **عمرو بن ابي سلمة** رضى الله عنهما قال : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ : (**يا غلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك**) .. **متفق عليه** .

قلت : سبحان الله ، لقد نشأنا وهذه هي وصاية الأمهات والجدات والعمات والخالات للأطفال .. كلما طاشت أيديهم في الصحاف أو الصحون . أو القصاع .. وربما شددن في ذلك .. تهذيبا وتأديبا للأطفال .. وما أحسبهن تمسكن بذلك إلا اتباعا لأدب السنة وتلقيا من أهل العلم وقد كان منهم فضليات النساء ومن تجيز علماء الآفاق في رواية الحديث .. وهن أكثر من أن يحصرن ! فهذا بعض ما أخذته عنهن ربات البيوت ! وعلى أن يجعل الله من خلفهن من يقفو أثرهن .. **فما من خير إلا وصى به من أرسله الله** رحمة للعالمين .. وقد انكرنا كثيرا مما كان معروفا وليس أقله .

ان الغلام الصغير لا يدعو أخاه الأكبر منه الا بياسيدي .. ولا الأخت الصغرى أختها الكبرى الا « بيا **استيتى** » ولم يبق من ذلك عين ولا أثر إلا فيمن تجاوز الخمسين من أبناء آدم وحواء .. فهل إلى مرد من سبيل ؟!

وإني لعظيم الغبطة ببرامج التليفزيون (نور وهداية) وما يبينه العلامة الجليل **الشيخ على الطنطاوى** من التبصر بأمور الدين وآداب الشريعة وأحكامها بما تتنور به جميع الأوساط في المجامع والدور وربات الحجال والخدور ، أحسن الله مثوبته وأمده بروح من عنده وهو فراغ عظيم ملأه فضيلته بما أوتى من قوة بيانية وعلم واسع وأسلوب أخاذ وحكمة وبصيرة وحسن تأثير .

٨٢٦ عشر وعشرون وثلاثون

عن **عمران بن الحصين** رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس ، فقال النبي ﷺ : « عشر » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه وجلس فقال : « عشرون » ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فجلس ، فقال : ثلاثون .. والمقصود بذلك عشر حسنات كتبت للأول وعشرون للثاني وثلاثون للثالث .. **لأن** الحسنة يجزى صاحبها بعشر أمثالها .

فقلت : ألا ليتنا نتوخى ذلك في التسليم على من نسلم عليهم جماعة أو أفرادا ، فما أيسره على من تحراه ، وما فيه من تكليف يمنع منه .. **إلا** الحرمان من ثوابه ، وقد وجدنا بعضهم في عصرنا هذا ربما اكتفى بالاشارة بيده .. أو قال : صباح الخير .. أو مساء الخير .. أو حتى (سعيدة)

و (بخيتة) اختصارا ، وعدم اكتراث بما هو الأفضل والأكمل ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

٨٢٧ أنا ... أنا

عن جابر رضي الله عنه قال : **أتيت النبي ﷺ** فدفعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت : أنا ، فقال : (أنا ... أنا) كأنه كرهها .. متفق عليه .

قلت : وكثيرا ما يصعد **إليك** خادمك فيقول ان عمر — أو **عبد الله — أو زيدا** أو **خالدا** ، يريد أن يواجهك — فلا تدري من هو لاشتراك الاسماء فيصر على أن لا يفصح عن كنيته أو لقبه الذي يعرف به .. إما اعناتا ، **وإما** قصدا لأنك لو عرفته — كما يقدر هو — فربما انتحلت له عذرا من عدم مقابلته .. فهو يحاول أن يتصل بك ولو كان ممن لا ترضاه وهذه خصلة ذميمة .. ولا يصطنعها إلا محتال أو ماكر !

وبهذه المناسبة أتذكر بيتا أنشدته على باب دار استأجرها منى بالطائف في إحدى السنوات السالفة أخى الأستاذ الشاعر الكبير **فؤاد شاكر** فقلت اسمعه :

أبا عزة انى على الباب واقف
فهل أنا مأذون وهل أنت آذن ؟

فأجابنى في الحال :

بلى ، إنها الدار التى أنت ربها
وما أنا إلا دونها لك سادن

وأردفه ببيت آخر لا أذكره الآن .

وقرأت في إحدى الفكاهات القديمة أن سائلا طلب من صاحب المنزل أن يهبط السلم إليه ليكلمه فنزل فقال له : (يارب يا كريم) .. وذلك بعد أن جسمه مشقة النزول .. فأخذ بيده وصعد به إلى أعلى سطح الدار .. وقال له : الله كريم .. وحرمه من أمله جزاء سوء تصرفه ! وما من أمر دعانا **إليه** رسول الرحمة ﷺ الا وهو الخير كله لو اتبعناه ولا حول ولا قوة الا بالله .

٨٢٨ كتب قيمة

ما أعظم اليد البيضاء تسدي إلى الأجيال الصاعدة .. بتقديم صحف العلم والأدب والتاريخ **مضمخة** بالطيب والتهذيب . وتربط بين الماضي والحاضر والمستقبل في نسق جميل وعناية تامة .

وقد أسعدني الحظ خلال الأسابيع القليلة الماضية بطائفة من هذه المطبوعات الثمينة التي تميط اللثام عن اللآلىء الدرية ، والمعرفة الصحيحة والأحداث المتسلسلة عبر العصور وكان من أبرزها وأجملها عرضاً وتعليقاً :

١ — « عنوان المجد في تاريخ نجد » للمؤرخ ابن بشر ، وقد تطرز بحواش وتعليقات ذات أهمية كبرى وكان ذلك من بعض ما يتعهده ويحرص عليه ويهتم به معالي وزير المعارف الشيخ **حسن بن عبد الله آل الشيخ** حفظه الله ومن أجدر بهذا منه وهو سليل بيت العلم والفضل والخلق والدين ؟ جزاه الله خير الجزاء .

٢ — « تاريخ حضرموت » للمرحوم الأستاذ **السيد صالح الحامد** وقد نشره الأخ الأديب الشيخ **سالم عبد الله بالعمش** ، وهو قمين بالإطلاع وثروة تضاف إلى المكتبة العربية وفيه ما لا غنى عنه من معرفة الحقائق الماضية عن هذا القطر العربي الشقيق ، أحسن الله مثوبته .

٣ ــ « كنز الأنساب : ومجمع الآداب » للعلامة الجليل رئيس محكمة الخرج الشرعية فضيلة الشيخ « **أبي عبد الكريم حمد بن إبراهيم الحقيل** » .. أمده الله بعونه وتوفيقه ، وقد عشت معه ردحاً من الزمن أقتطف من ثماره اليانعة وأزاهيره العابقة ما أطلق لساني بالحمد والتقدير لمؤلفه الذي ما برح يزود المكتبة العربية بأثاره الخالدة وقد اشتمل على ما لا بد من الإحاطة به من الأنساب قديمها وحديثها في قلب جزيرة العرب وكان الأول من نوعه في سرد الأصول والفروع للحمولات (الأسر) الكبيرة ذات الشهرة والأثر المباشر في الأحداث المعاصرة عدى القبائل والعشائر .. مما لا يستطيع الكثيرون الإحاطة به إلا عن طريق هذا المؤلف الثمين ..

وعدى ذلك فقد احتوى القسم الثاني منه على الأدب العالي الرفيع مما يتزين به كل متأدب ولا يستغني عنه كاتب أو شاعر أو خطيب . وعلى قصائد ومفاكهات وقصص فلا يكاد المرء يبتدىء فيه حتى يستقصيه إلى منتهاه بما فيه من ظرف وحكمة وحذق وفطنة .. وما هي بأولى الحسنات من شيخنا الجليل فإنه على رغم ما يتحمله من أعباء منصبه العالي قد وهبه الله ملكة البيان وأتاح له ما بلغه من مكانة علمية وأدبية وتاريخية .. فحمداً لله وشكراً على أن قلب الجزيرة ما زال عامراً بالرجال الأفذاذ من فطاحل العلماء ، أحسن الله مثوبتهم وأمدهم بروح من عنده ، وشكر لهم ما يتجشمون في سبيل إحياء التراث العربي والإسلامي الرائع .

٤ ــ « علاقات المواطن بالدوائر الشرعية» لمؤلفه الأستاذ **عبد الكريم بن حمد بن إبراهيم الحقيل** مدير إدارة ورئيس ضبط محكمة الخرج الشرعية بارك الله فيه وفي أبيه .. وهو نجل العلامة صاحب كنز الأنساب السالف الذكر .

« والمرء ينشأ على ما كان والده
إن الأصول عليها ينبت الشجر »

وفي المثل : **(ما جاء على أصله لا يسأل عنه)** .. **ولا شك في أن أثره هذا بالغ الأهمية من** حيث تنوير كل مواطن بما يجب أن يرعاه ولا يتخطاه موظفاً كان أو مراجعاً في الحقل الخاص الذي توافر عليه وأحاط به وأرشد إليه .. وهو أقصر طريق إلى وصول أصحاب الحقوق إلى غاياتهم دون عنت أو مشقة أو التواء .

وقد كتبت إليه مقرظاً بهذه الأبيات :

بمثل هذه تهنى لا بما أنطلقت
بـه الخيالات والأوهام تضطرب
هذا السبيل إلى الرضوان يسلكه
من شفه المجد والإسلام ، والعرب
وفي غد سوف نتلوها معوذة
صحائفاً لك منها الدر والذهب

وهكذا تتزود ربوعنا بكنوز من العلم والمعرفة متمشية مع التطور العلمي والحضاري الآخذ بعضه برقاب بعض .. وما لكل هؤلاء العاملين المخلصين ما يكافىء جهودهم المتواصلة في (التأليف) والتصنيف إلا الدعاء لهم بدوام الصحة والنشاط والتوفيق .

٥ ــ « حياة سيد العرب » لمؤلفه المرحوم الشيخ **حسين باسلامه** أحسن الله جزاءه ، ــ وقد نشره تباعاً في طبعة فاخرة ــ فضيلة الشيخ **عمر عبد الجبار** وقد صدر الجزء الثالث منه في حلة قشيبة وتحقيق دقيق ، تولاه عضو مجلس إدارة الحرم المكي الشيخ (**زكريا بن عبد الله بيلا**) ..

وهو غاية في الإجادة والإفادة .. وما أستطع أن أقوم بتقديم ذلك إلا أن أحث كل قارىء إلى اقتنائه ليرى بأم عينه ما بذل فيه من جهد كبير .. وذلك شأن الناشر الكريم دائماً وأبداً بما قدمه من مؤلفات ثمينة قيمة .. تولاه الله بمعونته وإحسانه جزاء ما يعنى به من هذه الكنوز الغالية . وتيسير الحصول عليها للعامة والخاصة .

٦ ــ « **الفوائد** » **للإمام شمس الدين بن قيم الجوزية** .. المتوفي سنة (٧٥١) والمؤلف واسع الشهرة عظيم الانتاج وقد نشره على نفقته ، فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ **عمر عبد الجبار** كدأبه في ابتغاء مرضاة الله وتعميم الثقافة الدينية وقد ضم بين دفتيه من الحكم والمواعظ والمعارف ما تطمئن به القلوب .. وتنشرح الصدور .. وتتأدب النفوس .. وتتهذب الطباع .. وهو من أغلى ما تتزين به المكاتب وتنشده مكارم الأخلاق .. فأهلاً بالانتاج المثمر المفيد . وإلى الأمام أيها العاملون المجدون والله معكم .

وإني لأعتقد جازماً أن هؤلاء جميعاً سواء أكانوا مؤلفين أم ناشرين إنما يرمون عن قوس واحدة إلى هدف واحد وهو مسايرة النهضة العلمية الرائعة في عصر « الفيصل العظيم » الذي لم يأل جهداً في إقامة صروح هذه المملكة الفتية على أساس سليم من العلم الصحيح ، والأدب الرفيع ، والخلق الكريم . وإن الركب ، لمغذ في سيره إلى أن يعيد التاريخ نفسه وتجتمع مقومات الحضارة الإسلامية العربية بكل مميزاتها وخصائصها في بلادنا المقدسة .. بريئة من الشوائب داعية إلى الخير .. واقفة بالمرصاد لكل من يجحدها أو يتنكر لها ! أو يحاول تعكير صفوها .. بالخزعبلات والسفسطات .. وإنها لأمنع من العقاب .. والله يحب المحسنين .

(٨٢٩) القصور حول المسجد الحرام قبل ألف عام

جاء في حيلة أبي نعيم المتوفي سنة ٤٣٠ هـ في ترجمة « **عبد الله بن عبد العزيز العمري** » قوله بالسند المتصل إلى **محمد بن حرب المكي** قال : « قدم علينا **أبو عبد الرحمن العمري** الزاهد فاجتمعنا عليه وأتاه « وجوه أهل مكة » فرفع رأسه فلما نظر إلى القصور المحدقة بالكعبة نادى بأعلى صوته : يا أصحاب القصور المشيدة ، أذكروا ظلمة القبور الموحشة ، يا أهل التنعم والتلذذ ، أذكروا الدود والصديد وبلى الأجسام في التراب ، قال : فغلبته عيناه فنام ! » . اهـ .

قلت : ومن هذا نستدل على أن ما كان حول المسجد الحرام من الدور العالية والقصور الشاهقة لم يكن حادثاً في القرون المتأخرة . بل كان قائماً في القرن الثاني والثالث والرابع وما بعدهما .

وفي القرن الأول أزال **الفاروق وعثمان** رضي الله عنهما ما أدخلاه إلى المسجد من الدور التي كانت محيطة به .

وبهذه المناسبة أتذكر حادثاً كان محل عجب الناس واستغرابهم في حينه ... فانه لما جاء المجاهد السوداني الشهير « **عثمان دقنة** » حاجاً بعد أن أطلق سراحه من اعتقاله ، وكان قد بلغ المائة ونيف عليها حتى أن رموش عينيه لا تكاد ترتفع إلا بصعوبة وقد أكرمه المرحوم الملك « **الحسين بن علي** » حوالي عام الأربعين بعد الثلاثمائة والألف ــ تقريباً ــ وأحله في المدرسة « الداودية » وبعث إليه وفداً من قبله لتحيته وتكريمه باسمه . فما كان منه إلا أن قال لهم ــ

وكان على رأسهم وكيل الخارجية آنذاك ــ شاعر العرب الكبير الشيخ **فؤاد الخطيب** رحمه الله : « **اسمع قل لسيدك أنه لا يصح أن تبقى هذه الدور المطلة على « الكعبة » في جوانبها ولا يجوز أن تحيط بها « مراحيضها » !! وهذه هي تحيتي إذا أراد تكريمي ، والدين النصيحة** » وقد أبلغوا ذلك إلى جلالته .. وسمعت أنه قال يومئذ ــ غفر الله له ــ : « إنه رجل قد خرف » .. ونحمد الله تعالى أن تهيأت الأسباب وتحققت الأمنيات .. وأزيلت المحاذير .. بمشروع التوسعة السعودية التي أنجزها **الله بفضله ثم بعزيمة الملك « عبد العزيز » تغمده** الله برضوانه وبما بذل في تحقيقه من الغالي والنفيس سواء في المسجد الحرام أم المسجد النبوي الشريف وبإتمام ذلك وإكماله في ظل شبله العظيم « **فيصل العرب** » وحامي حمى البيت الأمين أدام الله عزه وتأييده .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٨٣٠ السيول العرمة الثلاثة بمكة

بين عامي ١٢٨٧ و ١٣٨٧هـ

أما أحدها وأولها خلال قرن من الزمن . فقد شهده من أدركته من الأحياء .. وكتبت عن املائه ما فيه الكفاية في جريدة « صوت الحجاز » إبان صدورها في مقالات افتتاحية متعددة .. وهو المعمر « **العم زهران** » وكان قد عاصر أحداث القرن الثالث عشر من عام ١٢٤٠ إلى توفاه الله بعد عام ١٣٥٥هـ فيما أتذكر . وقد حدثني عن « السيل » الذي أطلق عليه أهل مكة إذ ذاك اسم « **أبو قرنين** » .. ولا أدرى للسيل من قرون إلا اتجاهاته من ناحيتين ، أو أكثر ، أو تهويلاً به .. وتمثيلاً[١] وقد أسهب في وصفه حتى قال : أنه احتبس في مقام الشافعية فوق بئر زمزم ، الرئيس الذي يعلن الأذان والإقامة مدة طويلة كراكب فيسفين وأحسب أنه حدد زمنه في عام ١٢٨٧ إن لم تخني الذاكرة ــ أي منذ مائة عام ــ وأنشدني من روايته أبياتاً شعرية نشرتها مع حديث قيلت بسببه .

وأما ثانيهما فقد أدركته غلاماً عام ١٣٣٧هـ وكان سني لا يتجاوز يومئذ التاسعة .. إن لم تكن الثامنة .. ــ وعلى كل حال فإنه كان بينهما بكل تأكيد ــ وقد وقفت أنظر إليه وهو يتلاطم بأمواجه من القشاشية إلى السوق الصغير والهجلة .. ويتدفق من أعالي الدرج في باب الزيادة .. وباب القطبي وباب الباسطية وباب الدريبة .. ويعتلي فوق أعلى درجات باب السلام من جهة المسعى ، وكان والدي آخذاً بيدي لكيلا أنزلق إليه ..

(١) « المنهل » : كان رئيس التحرير قد شاهد من كثب سيل مكة عام ١٣٦٠هـ ، ووقف ملياً أمامه وجهاً لوجه فوق السوق الصغير وسيل المسفلة ورأى أصابعه القوية تمتد إلى الدكاكين على جانبي الشارع وسرعان ما تنزل ما في رفوفها وتستولي عليها وتضمها إلى غنائمها الباردة ولقد رأى في ذلك السيل في ثوانيه الخاطف المرتفع إلى كل مكان ما يشبه القرون و « الأصابع ».. وكلتاهما مزعج وطويل ومروع .. فلا غرابة إذا سمى أهل مكة سيلها العظيم الذي يشير إليه الأستاذ البحاثة ، باسم « سيل أبو قرنين » .. فمن عادة العرب تسمية الأشياء بما يشاكلها كتسميتهم للجبال الثلاثة المتلاصقة المطلة على العقيق بالمدينة باسم « الجماوات » تشبيهاً لها بالشياه التي لا قرون لها .. وكتسميتهم لجبل « عير » جنوب المدينة باسم « عير » لأنه في وضعه ومنظره العام يشبه منظر « العير » وهكذا دواليك . هذا وقد كان منظر هذا السيل الهدار الجارف قد راعني فوصفته وصفاً دقيقاً في مقال خاص بهذه المجلة حينئذ .. عقب إندفاقه .

وكان مما شهدته فيه أنه احتمل معه أو اجترف كل ما صادفه في طريقه من « **الأبطح** » و « **المحصب** » و « **الحجون** » و « **سوق المعلاة** » و « **الغزة** » **بعد فجر اليوم الذي باغت** فيه الناس هداراً موراً ، كما يصطخب موج « المحيط » ومما أضحك وأبكى أن جمالاً تحمل الفاكهة والخضروات كانت في « الحلقة » بسوق المعلى .. أو المعلاة .. وعلى ظهورها بعض الجمالة ، وبسطات بعض السمانة بجرار الفول والسمن .. كان يطويهم وينشرهم ، عبر « وادي إبراهيم » بشكل مرعب رهيب .. مما حمل أهل المروءات والشهامة على نصب الحبال بين ضفتي الهجلة وباب إبراهيم ، ليتمسك بها « الغرقى » .. وكانت الضحايا فيه كثيرة جداً .. وما كان له من نذير بالمطر الغزير .. أو بالعواصف أو الرعود .. وإنما كان أعمى داهماً .. غير متوقع .. لأن المطر على مكة كان عادياً .. ولا يكاد يزيد عن الرذاذ أو الهتان أو ما يسميه البدو « الرون » ولكنه كان خادعاً باطشاً مفاجئاً تتجاوب به الفجاج ، **وتتدفق الأمواج** .. وقد رد « **عين زبيدة** » وقنواتها وشراينها ، وخرزاتها ، من نعمان إلى آخر خرزة في بطن مكة .. وترتب على ذلك حرمان أهلها من الماء .. وعز وجوده أكثر من شهر . واستورده الناس من الآبار المالحة والضواحي البعيدة . ونال السكان من ذلك أكبر المشقات ، **وإنما سمي بسيل الخديوي لأن** جنابه أيضاً — وهو **عباس باشا حلمي** — كان قد حج في ذلك العام .. فأطلق عليه كما هي عادة العرب في الأحداث الكبرى كسيل « **أم نهشل** » في صدر الإسلام ..

وكنت أبصر بعض الحجاج ولا سيما اخواننا الجاويين الأندونيسيين ، الذين لهم خبرة تامة بالسباحة يطوفون فوق (مراكن) زمزم .. كما لو كانوا يستقلون القوارب .. وبلغ ارتفاعه داخل المسجد الحرام أنه غمر قناديل الأروقة كلها وامتنع أداء الصلاة فيه .. أياماً .. بما تراكم من الأتربة والأحجار .. في صحن المسجد كله .. وكأني أنظر إليه الآن وهو يتلاطم تلاطماً بأمواجه وأثباجه ! وما يزال بعض لداتي ممن شهدوه أحياء .. ولكنهم — لأمر ما — لا يشاركونني القصص عنه حذراً من الاعتراف بارتفاع السن ! إلا القليل النادر ، الذين يعلمون ان **خيركم من طال عمره وحسن عمله** .. **أحسن الله** خواتيمنا .. جميعاً .. وأحيانا ما كانت الحياة خيراً لنا .

وخلال **الأسبوع التالي لهذا السيل العظيم** .. برز (أمير مكة) على رغم ارتفاع سنه وكل من يشار إليه بالبنان من ذويه وحاشيته والعلماء والكبراء ، والجنود ، وأهل البلد خاصتهم وعامتهم يحملون بأيديهم المكاتل والزنابيل والمعاول والمساحي ويقومون بالتطهير والتغسيل والتنظيف ! ويتنافسون في ذلك ليل نهار ، حتى أُقيمت فيه الصلوات وعاد سيرته الأولى .. وكان ارتفاعه فوق (باب الكعبة) بما يتجاوزه إلى نصف متر أو أكثر !

وعلى أثر ذلك وبضغط الحاجة الشديدة إلى الماء .. ورغم انعدام الموارد المجدية لإصلاح عين زبيدة من المنبع إلى المصب .. نتيجة هطول الأمطار وزمجرة السيول التي انحدرت من رؤوس الجبال وبطون الأودية .. اتجه الأمير آنئذ — وهو المرحوم **الشريف الحسين بن علي** — وكل من استنفره — إلى وادي نعمان ونصب هنالك الخيام .. واستعان بكل قادر على العمل من شباب

مكة وأهالي البلد الحرام .. والمجاورين .. لفتح ما أغلق .. ونزح ما ارتدم ! وإجراء ما توقف ..

واستمر على ذلك .. نحو شهر كامل .. حتى انطلق الماء إلى مجاريه .. بعد إجهاد وجهاد طويلين .. وقد فصل ذلك في رسالة خاصة فضيلة (**السيد عبد الله الزواوي**) مفتي الشافعية يومئذ .. وكان يرأس إدارة العين من قبل الأمير ..

ومعه هيئة من كبار أهل مكة ونبلائها .. ومن أعلام المجاورين بها .. وكانوا كلهم يعملون بلا أجر ولا راتب ابتغاء مرضاة الله ومثوبته ..

وما كان له من مغريات للعمل والعمال إلا مجرد النخوة .. وإشعال نيران (السليق) ليلاً ودارات (المزمار) .. لمن يطربون له وينشطون به من العيال المطاليق !. وقد استصرخ فيما أذكر « الأستانة » وجاءه بعض العون من الدولة لذلك ، كما أنه حصل على بعض الإعانات من الهند الإسلامية .. وبعض ذوي اليسار في الداخل والخارج .. وتنفس سكان مكة الصعداء ، وأقاموا الأفراح — والليالي الملاح — بعد أن أزال الله الكربة .. وملأ (القربة) .. وحقق (القربة) .. والحمد لله .

ثم أدركت — بعد ذلك السيل الثالث — المسمى **بسيل عام الستين** أي بعد **الألف** والثلثمائة .. وكنت صباح يومه أزور معالي **الشيخ محمد سرور الصبان** بداره العامرة في جرول .. وقال : هيا نزور معالي **الشيخ حمد السليمان** بداره في « ذي طوى » ... وقام وقمت وركبت معه في سيارته وزرناه .. وقبل أن نركب .. ما كان في السماء إلا قزعة « كالترس » ! دون ودق ، ولا رعد ولا برق .. وكانت الشمس مشرقة .. والوقت في نحو الثانية صباحاً ..[1] .. فما أن وصلنا إلى دار **الشيخ حمد** .. حتى أخذت السماء تهمي .. ولكن بالوبل المدرار .. وثمة **انحدر السيل من رأس الجبل .. واقتحم الدار من داخلها وعلوها .. ومع طول اصطبارنا ، أكثر من** ساعة فان المطر كان من الشدة والانهمار ، بحيث رأينا السيارات تعوم في الماء !.. وتؤذن بالانسياب من قوة الانصباب .. فما وجدنا محيصاً من الخروج .. ولكن من أين ؟ من خلف الدار إلى قمة الجبل .. سيراً على الأقدام .. وتحت الوابل المدرار .. حتى حاذينا (جبل الكعبة) .. فأخذ معالي **الشيخ محمد سرور** سبيله إلى داره واتجهت إلى حارة الباب .. وكان ذلك نحو الساعة الثالثة صباحاً واستمر المطر منهمراً إلى المغرب بين كر وفر .. أو نهل وعل .. ولا تسل عن الفزع الذي أطبق على الناس مما سقط من دور ومنازل وما ارتفع من أصوات الاستنجاد من الصغار والضعاف والأرامل .. حتى أن سبعة من الأعيرة .. أو الحمير تحطم فوقها سقف المبني الذي كن تحته فتناهقن .. وما كان لنا من بد من نجدتها وإنقاذها وكان الباب مغلقاً عليها وأخرجناها وهي تنفض غبار المنون ، وترفع عقائرها ، بلغتها ولهجتها وتشكر الله على ما أتاح لها من أسباب النجاة .

وقد اقتحم هذا السيل الثالث المسجد الحرام ولكنه رغم كل ما سقط من المطر .. لم يبلغ خطره وضرره ما كان **معروفاً ومخوفاً من سيل الخديوي السالف الذكر** . ومن **ذكرياتي فيه أنه** بعد مشاهدته .. صعدت مع والدي رحمه الله إلى منزل أحد أصدقائه وتغديت معهم « مبشوراً »

(١) « المنهل » : بالتوقيت العربي الغروبي لمكة المشرفة .

وما يزال المقعد الذي اجتمعنا به قائماً في قاعة الشفا حتى الآن رغم كل ما أزالته مشروعات التوسعة .. والتهمته الحرائق المذهلة بتلك المنطقة !

وفيما بين هذه السيول الثلاثة تتابعت سيول شتى .. لا أتذكر أنها أكثر كماً .. وإن لم تكن أقل هماً وغماً . ولكنها لولا فداحة الأضرار الكبرى منها لكانت هي بدورها ذات شأن .. وخطر .. وقد حداني إلى هذا الاستطراد (**سيل الحمل**) وما حمل ؟! **وهو في منتصف شهر محرم** الحرام ١٣٨٨هـ فإن له نفس المفاجأة وفي ساعتين أو أقل .. وقد فعل الأفاعيل وسحب السيارات .. وكان له من الضحايا والبلايا ما يثير الشجون .. ويسفح الدمع الهتون .. وكان مصحوباً بالبرد الكبير الحجم والصواعق المفجعة .. والرعود المصعقة وما تزال عواقبه .. محل التعقب والاستصلاح .. وكما يقول المثل العامي القديم « **كل دقة بتعليمة** » و « **ما ذهب من مالك ما وعظك** » و « **الوقاية خير من العلاج** » ! وما تشاؤون إلا أن يشاء الله . وهو أرحم الراحمين .

٨٣١ المليونير المكي الأموي المتوفي سنة ٧٨٣ هـ

هو (**محمد بن حسب الله** ، القرشي الأموي المكي . قال **التقي الفاسي** : « **كان وافر الملاءة يقال إن تركته بلغت الثلثمائة ألف ألف** .. أي ثلاثة ملايين .. وقيل ثمانمائة ألف ألف ومائتي ألف درهم — أي ثمانية ملايين — وهو الذي اكتسب ذلك ، وكان لا يبالي في إعطاء المال على وجه السلف — بضم السين — بالفائدة ! ويعيب على من يطلب منه القليل ! وكان ينال من غرمائه كثيراً بالقول والفعل . وربما حبس بعضهم بغير مؤامرة الحكام بسبب إدلاله عليهم ، بإحسانه إليهم ! والله يغفر له .. توفي في يوم الجمعة الثالث من جمادي الآخرة سنة ٧٨٣هـ بمكة ، ودفن بالمعلاة » .

قلت : وهذا أول مليونير .. في بطن مكة بعد الذين سبقوه من رجال المال في العصور الأولى من عهد **طلحة والزبير وابن عوف** رضي الله عنهم أجمعين .. وهو يدل على رخاء اقتصادي كبير في ذلك الحين .. ولو في طبقة التجار وأصحاب رؤوس الأموال على الأقل .. الا إن في الخبر ما يشير إلى مصادر هذه الثروة الطائلة في مثل تلك الظروف القاسية .. ﴿ **وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ !

٨٣٢ رواتب التقاعد قديم

جاء في شذرات الذهب **لابن العماد** قوله : في سنة ٩٥٢ توفي فيها المولى **بير أحمد بن حمزة الحنفي** ، أشتغل بالعلم وحصل ودرس — بتشديد الراء — ببعض المدارس ثم بمدرسة (السكوب) ثم وصل إلى إحدى الثمان .. ثم صاد قاضياً بمصر .. ثم أُعطي (تقاعد) عنها بمائة عثماني .. ومات على ذلك وخلف دنيا طائلة وكتباً نفيسة .

قلت : وبهذا نجد رواتب التقاعد .. مقررة قبل عدة قرون بنفس اللفظ والمعنى .. وإن تطورت بالأنظمة الحديثة التي تجعلها أكثر انطباقاً على المصلحة من وجوهها المختلفة .

٨٣٣ الدور والتسلسل

قال صاحب الأغاني : « حدثنا **محمد بن جرير الطبري** قال : حدثنا **أبو السائب سالم بن جنادة** ، **قال : حدثنا وكيع عن هشام بن عروة** عن أبيه عن عائشة (رضي الله عنها) أنها كانت تنشد بيت **لبيد** :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الاجرب

ثم تقول : رحم الله لبيداً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟

قال **عروة** : رحم الله عائشة ! فكيف بها لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم ؟

قال **هشام** : رحم الله أبي ! فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟

قال **وكيع** : رحم الله هشاماً ! فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟

قال **أبو السائب** : رحم الله وكيعاً ! فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟

قال **أبو جعفر** : رحم الله أبا السائب ! فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟

قال **أبو الفرج الأصبهاني** : ونحن نقول الله المستعان فالقصة أعظم من أن توصف .

قلت : وما كان ترحمهم جميعاً إلا على نسبة محدودة ممن فقدوا أو افتقدوا في عصورهم من أهل السماحة والإيثار .. والذين يعاش في أكنافهم .. فإن الخير ما يزال في أمة **محمد** صلوات الله وسلامه عليه وإنما العبرة بالكثرة الغالبة .. لا بالقلة الذاهبة ! وما للقصة من هدف إلا التذكير والتبصير .. والتحضيض على اصطناع المعروف .. وادخاره في الصغير والكبير ، ومع ترحمنا على السابقين الأولين .. فإن اطمئناننا مكين باللاحقين الطيبين . وقديماً قال الشاعر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

بشرط الستر والابتداء وعدم الرياء والله يحب المحسنين .

٨٣٤ الوشم في المعاصم !

ما تزال عادة (الوشم) في بعض البلاد العربية شائعة .. ذائعة .. وكنت أحسبها مما لم يعرفه العرب القدامى ، وإنها من قواعد (مصر) خاصة .. لكثرة ما يرى حتى اليوم من (الوشم) في الأعضاء .. والمعاصم .. وحتى الصدر أحياناً ! ولا يختص به الرجال دون النساء فهم جميعاً سواء .. إلا أنه يغلب في الأرياف .. ولا يكاد يصطنع في الحواضر والمدن .

وقرأت لشاعر مزينة : (**معن بن أوس**) المتوفي سنة ٦٤هـ قوله :

عفا وخلا ممن عهدت به (خم)
وشاقك بالمسحاء من (سرف) رسم

عفا حقباً ، من بعد ما خف أهله
وحنت به الأرواح والهطل السحم

يلوح وقد عفى منازله البلى
كما لاح فوق المعصم الحسن (الوشم)

والمعصم هو موضع السوار في اليد .

وبهذا النص القديم عرفت أن الوشم قديم حتى في بلاد العرب .. ولعل تسمية المنطقة المعروفة في نجد بهذا الاسم إنما كان إطلاقها عليه تحلية لها .. بـه .. أو أنها كانت من النضرة والخضرة .. والاخضلال ذات أسورة تحاكي الوشم ، وحتى ما كان إلى عهد قريب في مكة حماها الله من عادة « المشالي » ! أو (التمشيل) في الخدود .. وكان مما يعتبر زينة وجمالاً .. قد أصبح أثراً بعد عين . وكم لشعراء القرون المتأخرة من غزل فيه ونسيب ! وكان مما يتخذه **آدم وحواء** .. وأغلب الظن أنه دخيل غير أصيل فما عثرت على ذكر له فيما قرأت من شعر ولا منثور كما هو الحال في شاهد الوشم . والله أعلم .

٨٣٥ من (مكة) ومن (طخفة) !

استهل **لبيد بن ربيعة بن مالك** (**أبو عقيل**) معلقته بقوله :

عفت الديار محلها فمقامها
(بمنى) ، تأبد غولها فرجامها

وقال الشارح أبو زكريا الخطيب التبريزي ٤٢١ ــ ٥٠٢ هـ : « ومنى موضع قريب من طخفة بالحمى .. (حمى ضربة) وقال : المراد منى مكة ــ وهي تؤنث وتذكر فمتى أنث لم يصرفها . ومتى ذكر صرفها .. وسميت (منى) لأن آدم لما انتهى قيل له (تمن) . قال : (تمنى الجنة) وقيل : سميت (منى) لما يمنى فيها من الدم ! وقيل : لما يمنى فيها من ثواب الله . والغول والرجام بنفس الحمى ، وقال بعض الرواة : الغول والرجام جبلان ، الخ .

قلت : فإن تكن الأخرى وهي (منى حمى ضرية) فإني لأتساءل وأرجو من لديه من أهلها علم أن يفيدنا على صفحات المنهل الغراء .. ما إذا كانت لا تزال باقية وتدعى بهذا الاسم مع الغول والرجام ؟ أم عفت عليها الرياح والأيام ؟!

٨٣٦ من الشعر المكي قبل ٨٠ سنة

عندما أنشأ وأسس المرحوم العلامة الشيخ **رحمة الله بن خليل العثماني** المولود سنة ١٢٢٦هـ والمتوفي بمكة سنة ١٣٠٨هـ .. أول مدرسة **منظمة بمكة المكرمة عام ١٢٩٢ هـ وهي المدرسة الصولتية** بحارة الباب بالخندريسة بمكة المكرمة .. وأقام إلى جانبها المسجد الذي بجوارها تقدم إليه الشيخ **أحمد نظيف** (المحامي) ــ أو الدعوجي كما كانوا يطلقون ذلك على كل مترافع في المحاكم عن موكله في الخصومات (وهو والد المرحوم الأديب **الشيخ حسين نظيف**) .. وطلب منه أن يسمح له بكتابة أبيات نظمها لتخليد ذكراه على باب المسجد المشار إليه فأذن له بذلك ونقرت على حجر كبير نصب على الباب وما يزال على حاله في محله ، قال :

على أيمن الدانين بالسفح من (كدا)
مقام كريم للمصلي تجددا
دعائمه شيدت على البر والتقى
وأرجاؤه للدين والعلم والهدى
أحاطت به الأنوار من كل جانب
وطاب لأهل العلم والرشد موردا
بناه الهمام البحر ذو الفضل والندى
ولا غرو قد أضحى اماماً مجددا

فلله ما أبدى من الخير في الورى
من النفع في نشر العلوم وشيدا
له الفوز ما قال (النظيف) مؤرخاً
بما فاء أنشأ (رحمة الله) مسجدا

قلت : وكانت هذه العادة مستمرة خلال القرون الطويلة .. في الشعر التاريخي أو التاريخ الشعري لا تتجاوز إلى ما قبل الرابع أو الخامس كما لم أظفر على شيء من أثارها في العصور السالفة ! وهي لا تخلو من التكلف أحياناً إلا فيما ندر ! وقد اضمحلت في عصرنا هذا في كثير من أقطار العالم العربي والإسلامي . غير أن الروح الشعرية في هذه الأبيات تدل على قدم راسخ وأدب رفيع ، وما أحسب هذا الشاعر إلا أدركه ما أدرك كثيراً غيره ممن سبقه أو عاصره من الأدباء المكيين .. فضاع تراثه ! أو فرط فيه ورائه ! وبالمناسبة فإني كنت ممن تشرف بالطلب في هذه المدرسة الكبرى بعض حين فيما بين عام ١٣٢٨ وعام ١٣٣٠هـ وكنت ممن يصلي في هذا المسجد في أيام رمضان ، ويهيأ فيه التلاميذ (من الحفاظ) لأداء صلاة التراويح بعد العشاء في المسجد الحرام بعد أن يكونوا قد قاموا بذلك بدقة في هذا المسجد بالنهار وكنت منهم آنئذ !

٨٣٧ اين هما « الرقمتان » ؟

قال زهير في معلقته المشهورة :

ديــار لها بالرقمــتين كأنها
مراجع وشم فى نواشير معصم

وقال **الأصمعي** : **الرقمتان إحداهما قرب المدينة . والأخرى قرب البصرة** . ومعناه بينهما ، وقال الكلابي : الرقمتان بين جرثم — وبين مطلع الشمس بأرض بني أسد **وهما ابرقان مختلطان بالحجارة والرمل** . والرقمتان **أيضاً حذاء ساق الغرو** .. وساق الغرو جبل في أرض بنى أسد ، والرقمتان **أيضاً بشط فلج أرض بنى حنظلة** .

قلت : وتساءلت وأين هم من (رقمتي مكة) ؟.. ومنذ نشأنا نعرفهما (بمنحدر جبل الفلق) إلى محلة السليمانية .. وحتى يومنا هذا لا يجهلهما سكان تلك المنطقة وطالما رددنا بيتي الرقمتين المشهورين كلما مررنا بهما :

رأت قمـر السماء فذكرتني
ليـالي وصلهــا بالرقمتــين
كلانـا ناظـر قمـراً ولكــن
رأيت بعينهـا ورأت بعينــي

ومن التعسف إنكار ذلك — مع تواتره — المقترن بالقرون الطويلة . ولا بأس أن يكون هذا الشعر قد قيل — بإحدى هذه المواضع الذي وصف **الأصمعى** أو **الكلابي** : ولكن ذلك لا يستدعي تجاهل ما هو معروف في « **أم القرى** » ! في إحاطة الرواة — بكل ما على وجه جزيرة العرب .. إحاطة تامة ! ولتكن هنالك اخوات لها .. وجدات وعمات .. غير أن وجودهن لا يقتضي عدمها وإن انعدم اتفاق الرؤيتين .. المشار إليه في هذين البيتين !

٨٣٨ الغبيط - هو الشقدف

كل ما للشقدف من صفات وميزات .. تجتمع في أنه يحمل اثنين ، كل منهما في جانب أو شقة وزدنا عليه في زماننا وما سبقه منذ اصطناعه — (الوسك) وهو (الوسق) أي ظهر البعير بين الراكبين .. فكان طوراً يشغل براكب ولو صغيراً .. أو يكون خالياً .

فأما في العصر الجاهلي .. فإنه « الغبيط » .. وإن لم يكن في سعته وشكله وصناعته وطرازه المحدث بعد أن تطور .. خلال القرون الطويلة .

قال **امرؤ القيس** في معلقته :

تقول وقد مال (الغبيط) بنا معا
عقرت بعيرى يأ امرا القيس فانزل

وليس البعير هو الجمل فقط فقد كانوا لا يركبون النساء إلا على الذكور لأنها أقوى وأضبط .. أما الناقة فإنها بعير أيضاً فيما عرف عنهم .. ومحل الاستدلال هنا هو أن هذا الغبيط .. وقد تعادل فيه اثنان .. فإنه بعينه وسنه هو الشقدف (بلا مقدف) ! وهو يختلف عن (الهودج) بأن هذا محتجز عن معادله كما شهدناه في أيام الحج والقوافل قبل السيارات ! ولعل كلمة (شقدف) جاءت دخيلة وتعبيراً عنه بلغة أعجمية . والله أعلم .

٨٣٩ كير الحداد والسوق

عن **عمر بن شبة** في أخبار المدينة . أن **عمر** رضي الله عنه رأى (كير حداد) في السوق فضربه برجله حتى هدمه ..اهـ .

قلت : فهذا الأصل في عدم السماح ــ بمشاركة أهل المهن ذات الخطر أو الأذى .. لغيرهم ممن يبيعون الخز والديباج .. أو الطعام والشراب في الأسواق العامة .. وهو ما يدعو إلى حجزهم في منطقة خاصة .. لا يتعدى بها الضرر إلى غيرهم منها .. فإنما لهم كسبهم وحدهم ! ولقد كان **الفاروق** رضي الله عنه ، **أول قائم بما نسميه** اليوم (أمانة العاصمة) أو البلدية .. ومن قبلها « الاحتسابة والمحتسب » وحديثه مع **أبي سفيان** في المدعى ، وهدم دكته على باب داره معروف ! والقاعدة في ذلك عامة ! (**لا ضرر ولا ضرار**) .. و (**يخلق الله ما يشاء ويختار**) .

٨٤٠ « الهوشة » قديمة !

« عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليلني منكم أولو الأحلام والنهى .. ثم الذين يلونهم ــ ثلاثاً ــ وإياكم وهيشات الأسواق** » .

قال **القطبي** : « هيشات الأسواق . قال **أبو عبيدة** : **والهوشة الفتنة والهيج والاختلاف يقال هوش القوم إذا اختلفوا** » اهـ .
« رياض الصالحين »

قلت : وهذا هدى نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .. وأن لا يليه إلا ذوو الأحلام والنهى .. وتحذيره من هوشات الأسواق ! وقد أدركناها .. قبل خمسين سنة في شدتها وعنفوانها حتى ليشارك العامة فيها بعض الخاصة ! مغالاة في العصبية .. ولأسباب تافهة .. وحماقات طائشة !.. فما ترى غير ملطوش ومفقوش ومصروع ومفجوع .. ثم السجون والأغلال والبلاء والنكال .. وكفانا الله شرها بإقامة الحدود وهيبة السلطان . والحكم بالعدل والقسطاس المبين .. حتى لا تحدث أحداً نفسه بالتجاوز أو التطاول ! وإلا كان عبرة لغيره .. والحمد لله رب العالمين .

(٨٤١) ما أشبه الليلة بالبارحة

روى لي فضيلة السادن الأول فاتح بيت الله الحرام الشيخ **أمين عبد الله الشيبي** قصة عجيبة يوم ١١ ـــ ٢ ـــ ١٣٨٨ هـ .. وهي أنه : « كان في باريس صاحب محل لبيع اللبن الحليب ... وكان متسامحاً في سعره بحيث لا يبلغ نصف ما يباع به عند غيره .. وأقبل المستهلكون والشارون عليه .. فتضاعفت أرباحه جداً .. وضاق به منافسوه ذرعاً .. وكلما أسقط من السعر شيئاً اضطرهم لمثله حتى أعياهم الكسب .. وسقطوا في هوات مرعبة من الخسائر الفادحة ! وأجمعوا أمرهم أن يكتشفوا سره ! وما كان في (حليبه) من عيب ولا غش ولا مزج ولا اختلاط ! وما زالوا يبحثون ويتعقبون حتى عرفوا السبب بوسائلهم الخاصة ..

فقد كانت إحدى الممثلات الشهيرات العريات لا تغتسل إلا بالحليب ! في أحواض الحمام ترفهاً وترطيباً وتطييباً !.. وكان صاحبنا هو المتعهد لها بذلك .. على شرط أنها بعد أن تفرغ من استحمامها يستعيد بضاعته مرة أُخرى ! مقابل تخفيض في الثمن لها .. وهكذا كان يعرضه للبيع مرة أُخرى .. وقد اغتسلت به ذات الشرف والدلال ! ولم يشب بغير ذلك من استعمال ! وافتضح أمره وسيق إلى المحاكمة بعد الإمهال .. وهنا : حوقلت وحسبلت على من لا دين له ولا ضمير ، ولا وازع ولا رادع من الكسب الحقير !

وفي اليوم الثاني مباشرة ١٢ ـــ ٢ ـــ ١٣٨٨ هـ أتفق أنني أقلب في (بخلاء **الجاحظ**) فإذا به يروي هذه القصة : قال : (قالوا : كان **بلال بن أبي بردة** قد خاف الجذام ـــ وهو والي البصرة فوصفوا له الاستنقاع في السمن .. فكان إذا فرغ من الجلوس فيه أمر ببيعه !.. فاجتنب الناس تلك السنة أكل السمن ..) اهـ .

قلت : فما راق لي أن أختص بمعرفة ذلك ـــ وحدي ـــ وآثرت أن أطرف قراء (المنهل) بهذه الحكاية وسابقتها قبل ألف ومائتين من السنين ، وصلى الله وسلم على من يقول : (**من غشنا ليس منا**) .. وأكاد لا أصدق أن مثل (بلال) في مكانته وعلمه ومنصبه يتدنى إلى هذا الحضيض ، فقد يكون ضحية الايذاء والتنديد والتحريض !.. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٨٤٢) مكة ـــ والطب في القرن السابع والثامن

جاء في كتاب (**الداء والدواء**) للإمام **ابن قيم الجوزية** ٦٩١ ـــ ٧٥١ هـ قوله : « ولو أحسن العبد التداوي (بالفاتحة) لرأى لها تأثيراً عجيباً في الشفاء . قال : ومكثت (بمكة) مدة يعتريني أدواء ، ولا أجد طبيباً ـــ ولا دواء ! فكنت أعالج نفسي بالفاتحة . فأرى لها تأثيراً عجيباً .. فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً .. فكان كثير منهم يبرأ سريعاً » اهـ .

وأردف ذلك بقوله : ولكن هنا أمر ينبغي التفطن له وهو أن الاذكار والآيات أو الأدعية التي يستشفي بها ويرقى بها هي نفسها نافعة شافية . ولكن تستدعي قبول المحل ، وقوة همة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل . أو لعدم قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه

يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية الخ .. »

قلت : ومع الفائدة المكتسبة من الناحية الروحية في العلاج .. فقد عرفنا بهذه الرواية خلو (مكة) من الدواء والأطباء في ذلك الزمن .. خلواً إن لم يكن عاماً .. فإنه الغالب إلا لذوي السلطان والثراء .. وما أحسبها على كل حال .. إلا ذات (بيمارستانات) تقام ولو خلال موسم الحج وربما استصحبها معهم أمراء الحجيج فقط كبعثات الحكومات على عهدنا هذا ونحمد الله تعالى أن أنعم علينا في الحواضر والبوادي بالدواء والأطباء يتعهدون المرضى في بطون الصحراء ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ ..

(٨٤٣) مكتبة الإمام الشافعي « بخيف منى »

هذا الإمام العظيم .. الذي مشى في ركابه أحبار الأمة وعلماؤها وأخيارها وصلحاؤها يقول : كما هو في الحلية **لأبي نعيم** : « كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطي المعلم ، وكان المعلم قد رضي مني أخلفه إذا قام ! فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة .. وكان منزلنا بمكة في (شعب الخيف) فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة ! وكانت لنا جرة قديمة فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة ، وفي رواية أخرى ، فكنت أجمع العظام والأكتاف فأكتب فيها حتى امتلأ من دارنا من ذلك (جباب) اهـ .

قلت : فهذه كانت (مكتبة) من قال عنه الإمام **أحمد بن حنبل** رضي الله عنه ما رواه **ابن راهويه** قال : كنت مع **أحمد** بمكة فقال : تعال حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله ، فكيف هو على بصره وبصيرته وورعه وتقواه وعلمه وفضله وحجاه .. لو تيسرت له أسباب الحياة .. وأمدته المطابع .. بما يحبه الله ويرضاه ؟ غير أن الأساس في ذلك كله (الإخلاص) أولاً وإنما الأعمال بالنيات ، أحسن الله مثوبته على ما قدم بين يديه في سبيل الله .

(٨٤٤) الأديبان الراويتان المكيتان !

ان من الانصاف .. أن يتدارك أهل الأدب المخضرمون في هذا العصر — من الذين أدركوا الفترة ما بين عام الثلاثين — إلى الثمانين — وما بعدهما .. حتى الآن ، الاشادة بمن طوتهم الأرض .. واخترمتهم المنون من الرواد الأوائل الذين استهواهم (الأدب) العربى القديم والحديث والجاهلى والاسلامى والأموي والعباسي .. وما إلى ذلك من طرائفه وروائعه ، وان يتولى ذلك أهل كل مدينة وبلد في طول المملكة وعرضها .. إحياء لذكراهم وترحما عليهم .. وأداء لأمانة التاريخ .. وان يكن من المتعذر الحصر والاحصاء فلا أقل من ذكر من يعرف ولا يجهل منهم والتنقيب عما ترك من تراث (مخطوط) لدى اهله أو ورثته ونشره والاستفادة منه ان وجد !

وإني — في حدود ذاكرتي — لأقدم هنا أديبين كبيرين لا أعرف لهما شعرا يجعل منهما شاعرين ! وإنما كان كل واحد منهما (علما) في الرواية فما يضمه مجلس أو ناد إلا أوسعه ترنما وأشجاه بما يحفظه ويرويه من الدرر والغرر وكأنما هو في نشوة من طربه واطرابه .. ولا يكتفى بالانشاد

فحسب ! بل يمزجه بالألحان العذبة المثيرة المرقصة .. وفي نغم أخاذ ، وترديد مستعذب ! وأولهما وأشهرهما وأذيعهما صيتا .. الشيخ **طاهر الصباغ** ــ وقد اجتمعت **إليه** في متجر والدي (بقاعة الشفا) بمكة المكرمة في عام ١٣٣٠ أو ١٣٣١ هـ ــ واستمعت **إليه** أحيانا وهو يروى من مقامات الحريرى مقطوعات لطيفة ! ومن **الشعر الأندلسى والمعزو ، لابن هانىء أو ابن دراج أو ابن زيدون .. ما جعلنى رغم (طفولتى) ، أو** (يفاعتى) يومئذ .. انظر **إليه** باكبار واغتباط ! وأتمنى أن تتكرر زياراته لنا بما بينه وبين الوالد من علاقة متينة وصداقة وطيدة : ثم انقطع خبره منذ نشبت الحرب العالمية الكبرى ــ الأولى ــ وتبين أنه سافر في الخارج وأقام في (فرنسا) وأنشأ في (باريس) (مقهى) ومطعما فاخرا .. كان المختلفون اليهما كبار الزائرين لها من البلدان العربية ولاسيما مصر والشام ولبنان والعراق والمغرب وتونس وشمال افريقية كلها .. ويجتمع فيه ويتلاقى الاخوة المتحابون والشعراء النابغون وأصحاب الشخصية البارزون ! ويؤيد ذلك ما أشار إليه **عطوفة** أمير البيان (**الأمير شكيب أرسلان**) **في كتابة** الموسوم بـ « **شوق .. أو صداقة أربعين سنة** » **وهو السفر الذى احتوى** على الكثير من آثار شوقي وأخباره ، فقد تحدث فيه عن الشيخ **طاهر الصباغ** في الصفحة ٤٩ منه فقال وهو يتحدث عن تلاقيه بشوقى في باريس عام ١٩٣٦م : « ... وأخذنا مذ ذاك ويعنى نفسه وأمير الشعراء رحمهما الله نجتمع في مقهى الجامع حيث كان يوجد رجل أديب ماهر الذكاء . واسع الرواية ، **فصيح اللهجة اسمه** « السيد **طاهر الصباغ** » مكي الاصل ، تونسي الدار ، كان وجوده في ذلك المقهى باعث نشوة ، وسبب سلوة لكل من ينتاب المحل ، وكان يروى كثيرا من **شعر شوق وغيره من الشعراء المغلقين ، كما أنه** كان يقرأ أكثر مقالاتى ويتتبعها ، فكان إذا جئت **أنا وشوق ومحمد عبد الوهاب** ومن معنا من الأصحاب ، وجلسنا للمنادمة وسماع الألحان الشجية على نقرات (العود) يأخذ السيد **طاهر الصباغ** الطرب ولا يسعه المكان من الفرح .. وكان يتحير كيف يصنع ؟ ليوفر أسباب راحتنا وسرورنا ، ولكنه في آخر الأمر عتب على أخي **شوقي لكونه وعده بنسخة من ديوانه ، وذهب** من باريس ولم ينجز وعده هذا .. فلما كاشفنى بهذه الموجدة ، **أخبرته عن غرائب (شوقي) في** الذهول ! وقلت له : لو عرفت أمره في هذا الشأن لعذرته ! .. ثم قال : وقد توفي **الصباغ** إلى رحمة ربه قبل وفاة **شوقي** بقليل رحمهما الله تعالى .

قلت : وهذا يعنى انه توفي في حدود سنة ١٣٥٠هـ لأن **شوقي** توفي في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١هـ ــ ١٤اكتوبر سنة ١٩٣٢م بمصر .

وهكذا طويت صفحة هذا (الطاهر) دون أن نجد من آثاره المروية .. ونوادره الأدبية مايبل الغلة .. أو يطفى الاوام .. وعسى الايام تتيح لمن يرتاد (باريس) ان يعثر على ذلك أو بعضه من أصدقائه هنالك أو ذوى مودته .. فيقدمه للنشر والطبع ! وما أحسب العلامة الجليل الشيخ **محمد نصيف** الا محيطا بكثير من أخباره وأتمنى أن تتاح له فرصة ليكشف عنها الحجاب .. أمده الله بالصحة والعافية .

أما الثانى .. وهو قريب العهد بمفارقة الدنيا وكثير من أدبائنا الكبار يعرفونه شخصيا .. **فهو** المرحوم الشيخ (**حسين ميمش**) .. **فإنه كان** شديد الولع بالأدب وروايته وحسن اختياره لما يحفظه منه ويرويه .. وله طريقة خاصة به في

إنشاده وتكاد قسمات وجهه ، تعبر عن كل معنى في كل بيت ينشده .. وكثيرا ما قضينا معه السمر الطويل .. في بشر وسرور ونعمة وغبطة .. بما له من ذهن وقاد ، وحفظ واستعداد .. وغرام وهيام بالشعر العربي القح .. وكان له تعلق باللغة ومفرداتها فلا يكاد يغرب عنه تفسير لأية لفظة غامضة أو مجهولة عند المتأخرين فإنه على الفور يعيدها إلى أصولها .. ويشرح معناها .. عن علم وبصيرة وتحقيق . وكان له اختصاص قديم بصحبة المرحوم **الشيخ عباس قطان** .. ثم بمعالي الوزير **الجليل كبير رواد الأدب في الحجاز الشيخ (محمد سرور الصبان)** وغيرهما من رجالات البلاد وأدبائها ورؤسائها وعلمائها وما يخلق من أثر مدون[1] خلفه في ورثته ويجب أن يبعث ويطبع وينشر . لاسيما بعد أن تيسرت دور النشر وشجعت عليه تطورات (الطباعة الحديثة) ! والأريحيات الكريمة ! وما العهد به ببعيد فإنه لا يتجاوز منذ وفاته بضع سنوات ، وما أحق أمثالهما بالالتفات والعناية .. والتقدير رحمهما الله وأحسن جزاءهما على ما بذلا من جهود تقادم عليها الزمن ، وضمهما الكفن !

« فان الله لا يضيع اجر المحسنين » .

---

(١) « المنهل » كان الشيخ حسين ميمش صديقا لطيفا ، واديبا ظريفا ، ومحدثا لبقا ، وراوية بارعا ، ولغويا ضليعاً ، ورحالة مشهور ، أذكر انه كان يردد احاديث وطرائف عن رحلاته إلى أوربا عامة وإلى باريس خاصة . وله قصائد أو مقطوعات غزلية تميل إلى الناحية اللغوية كلماتها . ولكنها ف عذوبتها أو عذوبة انشاده لها كانت حسنة البناء والتنسيق . ولله در استاذنا البحاثة الطلعة الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى باثارته هذا الموضوع الذى يدل على اخلاص عميق لتاريخ البلاد وسير رجاله واشباله وعلمائه ونبلائه . ولا غرو فالشذارات الذهبية الماتعة موسوعة جذابة تحوى كل هذا . وتحوى من كل شيء اطرفه . ومن كل بحث اروعه . اطال الله فى الصحة والهناء عمره وأمده بتسديده ومعونته .

٨٤٥ الأدب المكشوف أو العادي !

قرأت لسيادة الأديب الكبير والصديق العزيز السيد **عبيد مدني** حفظه الله ما كتبه في « المنهل » الأغر .. تحت عنوان : « اللغة العربية بين الماضي والحاضر » .. وقد اغتبطت كثيرا بما أفاض فيه يراعه السلس ، بالعدد الأخير الممتاز من مقارنات وآراء سديدة ، في هذا المجال الذي لا بد للباحث فيه من تمكن وتضلع في اللغة وآدابها وتطوراتها .. وشفى نفسي وأبرأ سقمها ما أورده من الكلمات المحدثة .. ذات المدلولات الجديدة ، وكان مما تحدث عنه سيادته (كلمة الأدب) وسرد ما تدل عليه قديما وحديثا — وكأني به — وهو **القدوة الحسنة** — في الادب الرفيع ، قد تحرج أن يدرج في حديثه هذا — ما اصطلح عليه المتأخرون من اطلاق كلمة الادب حتى على ما هو في حقيقته .. خلاعة وتبذل ، وتحلل وانطلاق ! فيقولون في **« الأدب المكشوف »** ! وأراه **على حق في اهماله** — كليا — لأنه لا ينبغى أن يضاف في الأدب ما ليس منه ، وما أرى من حجة لهؤلاء إلا أنه إنما يعالجه أصحابه بحروف وألفاظ وكلمات عربية .. ليس غير ! ولا أنكر أن في أسفارنا القديمة أشكالا منه شتى ! قد تبلغ حد الانكار حتى على الذين كونوها .. إلا أنهم قد خرجوا من اللائمة — بعضا أو كلا — بعدم ادعائهم أنها من الأدب .. وإنما هى (المجون) والدعابات والنكات .. والتفريج .. أحيانا .. وانى لأقدر لسيادته الغاءه هذا الضرب من باب (الأدب) .. فما ينبغى أن يضاف إليه إلا ما يدل عليه .. شرعا وأخلاقا .. وأستزيده من هذه الفرائد ، وكم له من

مسميات أبكار ، ومحبرات وآثار ؟ ونطمع أن يمنحه الله العمر الطويل والصحة والعافية ليبرز هذه المخدرات .. مع (تاريخ المدينة المنورة) فانه بما درس ولابس من احداث هذا القرن الرابع عشر الهجرى خير من ييسر بهذا العبء الكبير ، وهو بذلك أثير وبه جدير .

٨٤٦ رباط الرقبة والدكتور طه حسين

هذا الدكتور أشهر أن يعرف .. وقد درس في (الأزهر) ونشأ فيه ثم في جامعة (السوربون) بباريس .. وقد اتسعت آفاق معرفته وأصبح عالميا .. ونال جوائز كبرى وشهادات عليا .. وطبق صيته المحافل والأوساط العلمية والأدبية وتخصص في الآداب اللاتينية .. وشغل منصب العمادة في الجامعة المصرية ووزارة المعارف بمصر ، وله معارك فاصلة في المجلات الأدبية والتاريخية .. واشتبك مع رجال أفذاذ من نوابغ بلده (مصر) .. ولسنا بصدد ذلك الآن ، وإنما الذي أحب أن أشير اليه من (مذكراته) انه نعى على الغربيين بعض ما اصطنعوه من عوائد أو تقاليد أو أزياء فقد قال في بعض صحائف مذكراته وهو يقص المشاق التى كابدها وعاناها — في دور الطلب — في فرنسا : « **واتخذ الفتى أي هو زي** الأوروبيين ، وما أسرع ما تعلم الدخول فيه والخروج منه ! إلا شيئا واحدا لم يحسنه أعواما طوالا وهو هذا الرباط السخيف الذي يديره الناس حول أعناقهم ثم يعقدونه بعد ذلك من أمام ، عقدة يتأنقون فيها قليلا أو كثيرا » .

قلت : وهذا مثل نسوقه على أن ما يصلح ويروج في بلد ما قد لا يستذوقه أو يرتاح إليه بلد آخر .. لا في الأزياء فقط . بل وفي الأطعمة .. والأغانى ! والعادات والتقاليد وليس حتما على الناس أن يتخذوا ما لا يرضونه من غيرهم .. وما لا مبرر له عندهم .. ولا تعودوه ! ولا استحسنوه ، وإن طلب العلم والمعرفة لا يستتبع الانصهار فيما عداهما .. من أسباب المظاهر (السخيفة) كما قال ، ولفت نظري من كتابه هذا انه رغم (آفته) التى كثيرا ما أرمضته وآلمته .. كان مستقل التفكير — بعيد النور حريصا على أن لا ينكر ما لهذا الشرق من خصائص يتميز بها في حضارته وأخلاقه وأزيائه وكل ما لا يتنافى مع العلم والأدب الصحيحين ، فإن العبرة بما يمخض ويستخلص منه (الزبد) لا أن يتحول المرء إلى جرم غريب ! لا يتفق مع جو بلاده — ولا أمزجتها .. أو أذواقها ولا ريب انه (مثل رائع) في احتمال أعظم المشقات وأفدح الآلام إبان تلقيه للعلم .. وفيما عدا ذلك فانه كبشر ! (فهل من مذكر) ؟

٨٤٧ البعبعة

أصلها لغة : كما هي اصطلاحا .. رغد العيش وخياره .. وبحبوحة الدار وسطها ويستعملها البعض بمعنى الافضاء بالسر إلى الصديق .. أو الأصدقاء ! والتبسط في الحديث دون تحرج .. وما في ذلك من بأس ما لم يتحول إلى تصحيفها .. بالنون (من فوقها) ! مكان الباء ! أو أن تبدل الجيم بالخاء ! وما أيسر ذلك على ذوى الألمعية والذكاء .. وكفانا الله شر الغباء !

٨٤٨ مضغ العلك !

من أخبار **أشعب** أنه سئل مرة : هل رأيت أحد قط أطمع منك ؟ قال : نعم ، كلبا يتبعنى أربعة أميال على (مضغ العلك) !

قلت : وعجبت أن العلك الذي كان يمضغه أشعب ـــ قبل ألف وثلثمائة سنة .. بقي عادة في مدن الحجاز .. حتى الآن وإن قل مضغه في الأكثرين من رجال ونساء وولدان ! وأبدل بخير منه .. من ألبان واللبان والحلوى ذات الطعوم والألوان ! .. وما برح يستورد حتى الآن ، ويعرض في واجهات كل دكان ! .. وهو على كل حال خير من مضغ الماء !!

وأفضل منهما : التسبيح والاستغفار .. و « **كلمتان خفيفتان على اللسان . ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** » .

٨٤٩ (بدنة) المدينة المنورة و (بدنة) الجوف الشمالي

قال التقى الفاسى في العقد الثمين : سرية بدنة ، وارسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى (بدنة) على أربعة أميال من المدينة في شعبان أي سنة سبع من الهجرة في ثلاثين راجلا .. فلم يلق بها احدا .

قلت : إن (بدنة) هذه .. وبهذا التحديد ليست (بدنة) الجوف الشمالى القائمة على طريق (التابلاين) ـــ خط الأنابيب ـــ وهي في عصرنا هذا محطة هامة جدا .. ومركز حكومي كبير ..

ولعل الأستاذ الكبير صاحب (المنهل) الأغر ـــ وهو صاحب القدم الراسخة والباع الطويل في الآثار عامة وآثار المدينة المنورة خاصة يدلنا على (بدنتها) هذه .. وهل لا تزال بهذا الاسم ؟ وعادة أم غامرة ، وله الشكر سلفا .

٨٥٠ أم المؤمنين « عائشة » وأم القرى « مكة »

أتى في كتاب **الأزرق** « أخبار مكة » (المتوفى سنة ٢٢٣هـ) : « حدثنا **أبو الوليد** ، قال : **حدثنى جدى** ، حدثنا **مسلم بن خالد عن ابن ابى نجيح قال : قالت عائشة : لولا الهجرة لسكنت** مكة ، إنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض **منها بمكة ! ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن** بمكة ! ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة » اهـ .

قلت : ورضى الله عن أم المؤمنين **عائشة** بنت **أبي بكر الصديق** رضي الله عنهما .. **فما وصفت** إلا ما لا تزال الشواهد عليه قائمة .. والأنوار المشرقة به دائمة .. وحسب مكة أنها أحب بلاد الله إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

ولولا أنه أخرج منها لم يخرج كما ورد في الآثار الصحيحة . وأسأل الله تعالى أن يرزقنا الأدب بها .. وأن يختم بالصالحات أعمالنا .. وأن يهبنى فيها حسن الختام .. بفضله وإحسانه وكرمه . إنه أكرم مسؤول ، وهو يتولى الصالحين .

٨٥١ « الراحــة » بدل « أم الدود »

ما زلت ألهج بضرورة إبدال بعض أسماء المواقع المحدثة — مثل (**ربع اللصوص**) و (**أم الدود**) .. و (**المقتلة**) .. وما إلى ذلك بما هو خير منها — فما سميت بذلك إلا بسبب أحداث .. حدثت .. ثم أبعدها الله عنها في زماننا هذا المتميز بالعدل والأنس والاطمئنان .

وكثيرا ما تحدثت بذلك إلى ذوى الاختصاص — مشافهة — وكتابة .. دون جدوى ! وقد قرأت في (**أخبار مكة**) للأزرق في أوائل القرن الثالث ، قوله : « **الراحة** » دون الحديبية على يسار الذاهب إلى جُدَّة .. أى من مكة ! ثم قال قبلها : « رحا » في الحرم وهو ما بين القباب المصانيع إلى ذات الجيش ، ورحا ردهة (الراحة) .

إذن فما لنا لا نطلق على كل ما تجاوز باب مكة .. من بطنها إلى (الحديبية) .. هذا الاسم المريح .. الواضح الصريح .. وهو (الراحة) .. ما دام هو الاسم الأصلى القديم لها قبل أن نعلق بها أو تلابسها المنفرات ؟! ولتكن (المقتلة) هى (رحا) أو ما وراءها إلى دعوص أعلام (الحديبية) !

ويستطيع المعنيون بالبحث عن قديمنا .. الطيب .. أن يعيدوا التاريخ فيه كما كان على الأقل ! إن لم يحدثوا ما هو أحسن وأجل ، وأعتقد أنه صحيح إطلاق هذا الاسم على هذه المنطقة .. فإن القلوب قبل الأجسام ترتاح كل الارتياح متى حلت بها — حتى أيام الشقادف — والدواب ! لاستقبال بيت الله الحرام .. وقرب الوصول اليه من (**باب السلام**) ! وأحسب أن له صنوا في مشارف المدينة المنورة وهو (**بئر الراحة**)[1] **فهل** نطمع بعد ذلك كله في أن تعلن جهات الاختصاص هذا الابدال !؟ وأن يعلن عنه في الصحف المحلية .. وأن لا يدعى الا بهذا العنوان .. وتنصب به الألواح المنقوشة ؟ أم لا مناص من السكوت على ما نجد كل المنادح متوافرة ومتضافرة إلى إبداله بما هو خير منه وأليق وأصلح ؟!

وهل من كلمة مؤيدة من حملة الأقلام وأرباب البيان ، ومن فضيلة صاحب المنهل الاغر بالذات ؟![2] .

---

(١) (المنهل) : لعل (بئر الراحة) التى تقع بعد المسيجد للذاهب إلى المدينة المنورة هى (بئر الروحاء) ، وحرفتها هكذا اللهجة العامية أسوة بغيرها من الكلمات المحرفة ومادة (الروحاء) تمت بأوثق الصلاب إلى مادة (الراحة) .

(٢) (المنهل) : إن ما اقترحه الأستاذ البحاثة من إبدال الأسماء بأحسن منها ، وذلك بثبت مراجع التاريخ والحديث النبوى الشريف والجغرافية واللغة ، عن صحة هذه الأسماء ووضعها لأماكنها هو اقتراح قيم وله أصل أصيل فى الاسلام ، فطالما قرأنا فى كتب الحديث النبوى الشريف إبدال أسماء الناس مثل هذه الأسماء التى يحدثنا أستاذنا العلامة أحمد ابراهيم الغزاوى بضرورة ابدالها وأماكن غير مناسبة بأسماء مناسبة ولطيفة ومقبولة ، خير من الأسماء المستهجنة الأولى ومفيد جداً . وتطور حميد بلغتنا ونهضة بها ، وأعتقد أنه لو ألف (المجمع اللغوى) لا ضطلع بهذه المهمة وسهل عندئذ وضع الاقتراح موضع التنفيذ .

٨٥٢ ابقوا على « سويقة » اسماً ومسمى

ما قرأته .. في تواريخ مكة القديمة .. والمؤلفة حتى قبل ألف سنة مضت ! حملني على أن أكتب **هذه الشذرة ، عن (سويقة) التي هي أعمر** وأكبر سوق عرفتها مكة .. في تاريخها الماضي والحاضر .. فقد ورد ذكرها في أوائل ما دونه مؤلفو (أم القرى) من عهد **الأزرق** .

ولهذا فإن من البر بها .. أن لا تمحى من الخارطة .. وفي الوسع أن يطلق نفس الاسم على كل ما حل محلها بعد الاصلاحات الجديدة والعمران الحديث .. إبقاء على الطلل الدارس والذكريات التي تتصل بها .. وهي عزيزة .. وعريقة ! وما في ذلك من بأس ولا يتعذر بحال ! ومن أمثال العامة : « ما قارب الشيء يعطى حكمه » ولئن تبدل الخرب بالعامر .. والقديم بالجديد .. فما هناك مانع من بقاء اسم المكان .. منذ كان .. كما كان .. وأحسب أن ذلك مما يحرص عليه ذوو الشأن .. وتوصل به الرحم في البنيان ! و « **الذكريات صدى السنين الحاكي** » !

٨٥٣ شتم الخادم من الالحاد بمكة

عن **الأزرق** قال : حدثني جدي حدثنا **ابراهيم بن محمد** قال : حدثني **صفوان بن سليم** عن **فاطمة السهمية** عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** قال : « الالحاد في الحرم شتم الخادم فما فوق ذلك ظلما » .. اهـ .

قلت : ليس هذا هو الالحاد على الجملة .. أو كله .. ولكنه أحد أجزائه أو أسبابه أو أقلها ! ولولا **أنه** قيد الشتم بشرط الظلم .. لكان الحرج عظيما في زماننا هذا ! بالنسبة لكثير من الخلطاء ! فضلا عن الخدم ! .. ونسأله تعالى حسن الأدب ومراعاة التورع قدر الاستطاعة في رحاب هذا الحرم .. فقد احتاط لنفسه ، واختار السلامة — كثير ممن عرفوا بالزهد والتقوى .. كابن **عباس وعمر بن عبدالعزيز** رضي الله عنهما حينما آثروا الزيارة له دون الاقامة فيه .. تفاديا من كل ما تتغافل عنه أو تجهله أشتات الخلق من مختلف الأمم ! ﴿ **وربك الغفور ذو الرحمة** ﴾ ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

٨٥٤ في ذمة التاريخ

قرأت باغتباط وتقدير بالغين ما نشرته « المنهل » الغراء في عددها الأخير الصادر بشهر ربيع الثاني سنة ١٣٨٨ بعنوان : « مداعبة أدبية » .. بتوقيع أخي العزيز الأديب المهذب ، والغذيق المرجب ! الأستاذ الشاعر والصديق الناثر « **مقبل العيسى » وقد بعث بها من (الكويت** الشقيق) .. وذلك في باب (رسائل القراء) .. وسرني كثيراً ما أضفاه على الشذرات من ثناء مشوب باقتراحات قيمة ، جعلتها نصب عيني ، وكل اهتمامي ، مع كل ارتياح وقبول لكل ما جاء به أخي « المقبل » .. وما كدت أصل إلى منتصف رسالته أو دعابته الظريفة .. حتى وجدتني .. على غير توقع ... أقع فريسة بين يدي لماحيته وألمعيته .. إذ عقب على الشذرة ٨٠٥ على قولي فيها : « وفي ذمة التاريخ .. البراقع والملاءات ، والأخفاف والبوابيج ! فقال رعاه

الله . فضحكت وتملكتني النكتة وتساءلت : كيف تتسع ذمة التاريخ لبعض ما ذكره » ؟

ومن الحق أن أُقرر هنا أن ملاحظته لا غبار عليها فما يليق بالتاريخ أن يأخذ في ذمته البريئة النقية الطاهرة ! ــ افتراضاً ــ أمثال هذه التوافه .. المنقرضة ! أو الأردية المبتذلة ، لولا أنني وجدت كل ما كان من عهد التدوين .. ووصل إلى أيدينا من آثار الأقدمين سواء أكان غثاً أم سميناً ؟! دقيقاً أم جليلاً ؟! حتى « النعال السبتية ! قد اتسعت لها تلك الذمة .. واحتوتها الصحائف المعتبرة .. مما يتجاوز كرامة التاريخ إلى ما هو أجدر منه بالتقدير ! وما كان في ذلك من حرج ما دام هو يمثل واقعاً .. تداوله الناس حيناً من الزمن ثم تطور .. أو اندثر !.. وما أحسب أخي (مقبلاً) إلا محيطاً بما تضمنته حتى موسوعات الأدب الكبرى قبل ألف سنة خلت ..

مما جاء كتفكيه .. أو تفكيهاً وترويحاً على الأصح ! فإن رأيي أن لا يتزمت في إدخال البراقع والملاءات . وما تبعها من الأخفاف .. والبوابيج من ذلك إلى رحاب التاريخ .. الواسعة .. كعهدي به في التسامح .. فذلك ما لا أرتاب فيه .. وإن أصر على احترام التاريخ من أن يدخل فيه ما لا يتفق ومكانته ! فإني لأقدر ، له ، غيرته عليه وسأراعي ذلك إن شاء الله .. وإن استطاع أن يجرده من أمثالها .. فقد اتسعت ما هو دجل وتزوير ، وإفك وتغرير .. وقذف وتغرير ! ــ وشكراً لأخي (مقبل) لا يقل عن شوقي إليه ــ وإعجابي بأدبه وخلقه الكريم أمتعه الله بصحته وشبابه وأدام عليه وعلينا نعمة الإيمان وله مني ما يحب ويرضى من مودة خالصة وإخاء صادق تتجاوب به نسمات الصبا .. من بطن مكة وبطاحها إلى عروس الخليج العربي « الكويت » العزيز .. وشكراً مكرراً لسيادته على إتاحة هذه الفرصة السعيدة من محادثته الترفيهية الشائقة .

٨٥٥ شاعر مكة « ابن العليف »

سنة ٨٥١ ــ ٩٩٦ هـ

قال ابن العماد : « **شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم الشهاب ابن البدر المكي** ويعرف كابنه **بابن العليف** .. **الشافعي** ، قال في النور السافر : ولد بمكة سنة ٨٥١هـ ونشأ بها وحفظ القرآن والألفية النحوية والأربعين النووية والكثير من المنهاج ..

وسمع بمكة على **التقى بن فهد** وولده **النجم والزين عبد الرحمن الأسيوطي وابن الفضل المرجاني** ولازم **النور الفاكهي** في دروسه الفقهية والنحوية وبالقاهرة من **الجوهري** وغيره ، ودخل القاهرة مراراً .. قال **السخاوي** : وكنت ممن أخذ عنه بها وبالحرمين وتكسب بالنساخة .. مع عقل وتودد وحسن عشرة وتميز .. ومع ذلك فلم يسلم ممن يعاديه ! قال : وأغلب إقامته الآن (بطيبة) على خير وإنجاع وتعقل ، ونعم الرجل . وألف لسلطان الروم (**با يزيد بن عثمان**) الدر المنظوم في مناقب سلطان الروم .. ومدحه وغيره من أمرائه فرتب له خمسين ديناراً في كل سنة ، ومدح السيد بركات الحسني صاحب مكة .. واقتصر على مدحه وحظي عنده لبلاغته حتى صار (**متنبي زمانه**) ثم أُصيب بكثرة الأمراض في آخره ، ومن نظمه الفائق القصيدة العجيبة التي منها :

خذ جانب العليا ودع ما يترك
فرضا البرية غاية لا تدرك
واجعل سبيل الذل عنك بمعزل
فالعز أحسن ما به تتمسك
وامنح مودتك الكرام فربما
عز الكريم ، وفات ما يستدرك
وإذا بدت لك في عدو فرصة
فافتك فإن أخا العلا من يفتك
ودع الأماني للغبي فإنما
عقبى المنى للحر ، داء مهلك
من يبتغي سببا بدون عزيمة
ضلت مذاهبه وعز المدرك
تصت مداراة العدو فإنها
داء تحول به الجسوم وتوعك

وهي طويلة .. وتوفي بمكة المشرفة يوم الثلاثاء من ذي الحجة سنة ٩٢٦ هـ ودفن بالمعلاة ، اهـ .

قلت : ومن ذلك يتبين أن هذا الشاعر المغمور في زماننا كان ذا شهرة ومكانة وصيت ذائع في عصره حتى أطلقوا عليه (متنبىء عصره) ! ونفهم من ترجمته أنه كان من طلبة العلم وأنه ضرب فيه بسهم وافر .. ولولا ما نجده مدوناً في بعض كتب التراجم والتاريخ من شعره لانطوى معه لعدم وجود ديوان مستقل يجمع ما له من انتاج وفير . أما تحامله وتحفزه واستشاطته على خصومه فما أحسبه إلا بسبب ما كان يلقى من أذاهم و ﴿ **إن تعفو أقرب للتقوى** ﴾ عفى الله عنه وتغمده برحمته .

٨٥٦ شاعر الامارة بمكة
الشيخ عثمان بن محمد الراضي

١٢٦٠ ــ ١٣٣١هـ

كان هذا الرجل العلامة الجليل من أهل العلم والأدب الممتاز ــ بهي المنظر .. وسيم المظهر والمخبر .. أدركته أول عهدي بالطفولة ــ وهو جار لنا بدار يسكنها ــ « **بسويقة** » ــ وكان له وقار وسمت حسن .. ولم تسمح لي سني بالتحادث معه إلا بما يتهيأ للأطفال .. وفي نطاق إدراكهم المحدود ، وطالما شافهني وداعبني ودللني بين عامي ١٣٢٥ ــ و ١٣٢٩ هـ وقد سمعت بعد ذلك أنه كان شاعراً لامارة مكة أي في عهد أميرها الشريف **علي بن عبد الله ابن محمد بن عون** رحمه الله . وعلمت أن له ديواناً .. يشتمل على شعره وأدبه .. وكانت ولادته عام ١٢٦٠هـ وتوفي عام ١٣٣١هـ وإني لأتمثله أمامي .. بقوامه المتوسط .. وبسماته اللؤلؤية .. وسماحة وجهه وطلاقة بيانه .. وقد أنجب ولدين أعرفهما أحدهما يسمى (**أحمد**) والآخر (**محمد**) وله منهما أحفاد ما يزالون يعيشون في كنف الله وجواره بمكة المكرمة . وكثيراً ما رجوت من كبيرهم الأستاذ **عبد الحميد** الحرص على تراث جدهم ونشره ولعلهم يفعلون ، وقد ترجم له (**الخير الزركلي**) في كتابه (**ما رأيت وما سمعت**) واطلع على كتاب ألفه في نقد الرحلة الحجازية **لمحمد لبيب البتنوني** .. ولخص منه بعض ما أصابه منه حرصاً على مادته من الضياع والانتشار كما قال :

كما أنه وصفه بأنه « من كبار علماء الأدب في الديار الحجازية ومن شعراء طبقتها الأولى في

عصره ، وأن له ديوان شعر يقع في مجلدين ، وكتاباً في البديع سماه « **الأنوار المحمدية** » شرح **فيه بديعته لعبد الله فريج** فجاء من أكمل شروح البديعيات وأغزرها مادة وأكثرها أخباراً عن الأدباء والأدب في مجلد ضخم صفحاته تقارب ستمائة ، خطه جميل .. لا عيب فيه إلا ركة البديعية المشروحة .

وأورد قطعة جميلة في شعره المطرب .. قال :

لله معهـــــد أنسنـــــا
مـا بين (وج ، والغـدير)
مغنـــى تخـــال قبابـــه
فـي البهـو هـالات البـدور
يسمـــو برونقـــه عـــلى
حسـن الخورنـــق والديـــر
كم فيـه مـن بـدر تكحــ
ــل بالـدلال على الفتـــور
أو شمس حسن بالجمـــا
ل تقنـــعت لا بالحريـــر

قلت : وما أردت بهذه الشذرة مجرد الترجمة .. دون هدف منشود ! فإن بعض من تعلقوا بالأدب في بلادنا .. يحسبون أنهم ، إنما ولدوا في أرض قاحلة مجدبة .. لا أثر فيها إلا للأدب الكسيح ! أو المتهافت ! أو الممسوخ إلى آخر النعوت !.. ولو هم تعقبوا من قبلهم لوجدوا الكثير مما يستحسنه ويشيد به الأفذاذ من شعراء وأدباء البلاد العربية .. وما كان لنا أن نسبق الزمن بهم .. فنفترض وجودهم بعد فقدهم .. ليشعروا بما أحدثته الحضارة الجديدة ولا أن يطفروا إلى غير ما هم يمارسونه من حياة قلما يتسع بها الأفق إلى أكثر من بيئتهم المختنقة ... ومؤهلاتهم المفترقة ... وان الانصاف ليحملنا على أن نحيي فيهم ومنهم ما استطاعوا أن يحسنوا فيه ، ولا ننسى لهم فضل السبق .. والتقدم على ما تكبدوه من تكاليف العيش .. ومكدرات الأحداث !

وأخيراً .. فإني لأتساءل عن الديوان[1]؟.. وعن شرح هذه البديعة ؟.. وعن نقده لرحلة **البتوني ؟ فهل إليها من سبيل ؟**.. أرجو أن يهتم بذلك المتصدون لإحياء التراث الثقافي ، قبل أن تطويه عوامل النسيان وطوارق الحدثان !

٨٥٧ عرعر الجنوب

تحدثت في الشذرة رقم (٦٤٩) الصادرة في الجزء الخامس (جمادي الأولى سنة ١٣٨٧هـ) من المنهل الأغر — عن « عرعر هذيل » ! وتساءلت عن مكانه ؟ بعد أن عرفت (عرعر الشمال) .. وقلت : فذلك ما يدري به (أهل الديرة) . ولعل أحدهم يكشف عنه القناع ، وأكاد أجزم أنه إلى يمين نعمان الأراك .. وليس سواء عالم وجهول اهـ .

وقد جاءني بالبريد خطاب كريم من أخ عزيز هو (الشيـــخ **عطـــاف السالمي**) بتاريخ ٧—٧—١٣٨٧ **قال فيه** : « **عرعر واد يصب في** (**وادي نعمان**) يمين الصاعد إلى (**شداد**) **أي** في الجهة الجنوبية .. من وادي نعمان . ويبعد حوالي خمسة كيلو مترات من شداد ، وحوالي عشرة كيلو مترات عن (**أمية عين زبيدة**) . ويقع بالوادي (**بئر**) شبه

(١) (المنهل) : بعض ديوانه المخطوط أو بعض مجموعة شعره هو لدى رئيس التحرير الآن في ورقات معدودات مع ترجمته وقد أهداني إياه المرحوم محمد الراضي ، بمكة . أما نقده لرحلة البتوني فما رأيته .

مهجورة ، وفيه بعض المزارع التي تروى من مياه السيول ، في موسم الأمطار ، كبقية مزارع المنطقة ، **قال** : والوادي في (**ملكية الجوابرة**) **إحدى أفخاذ قبيلة** (**هذيل**) .

وفي الحال غمرتني الفرحة بما كنت قد جزمت به جزماً ... في الشذرة .. من أن عرعراً الجنوبية يقع إلى يمين نعمان الأراك .. مجرد حدس وتخمين .. فصادف ذلك عين الحقيقة .. وشكراً جزيلاً لأخي الأديب (**عطاف**) وجزاه الله خيراً بما أفاد وأجاد .

٨٥٨ « ربوة دمشق » ومنظر « المثناة »

قال الأستاذ الكبير شاعر الشام **الخير الزركلي في كتابه** (**ما رأيت وما سمعت**) عام ١٣٤٢هـ **المثناة ، موضع في** « **وج** » **على غرب الطائف** ، فيه قرى وبساتين ومزارع خرجنا يوم ١٤ صفر سنة ١٣٣٩هـ فكنا بينما نحن نسلك سفح جبل عن يميننا نلقي النظرات على ما في اليسار .. **فيتمثل لنا منظر** (**الربوة**) **الغناء في دمشق أمام السالك على سفح** (**قاسيون**) ! اهـ

قلت : يقول هذا شاعر كبير مرهف الإحساس ... ويشهد به ، ومتى ؟! حينما كانت ظروف البلاد ... غير مواتية للتنمية .. ولا للإنتاج .. وهي الآن في سبيل التطور والإصلاح .. وقد انتشر فيها وحولها العمران الحديث .. وجلبت إليها (المياه) ، وأُقيمت السدود .. وتيسرت المواصلات .. فأين عن الاصطياف بها ، والتمتع بمناظرها ــ أهلها الذين يستهويهم .. ما وراء البحر .. أو ما في البلاد الأخرى .. ولو أنفقوا بها بعض ما يبذلونه ثمة من الأموال الطائلة لكانت من الجمال وروافده بحيث **تمثل** (**شعب بوان**) **الذي يقول فيه أبو الطيب المتنبي** :

إذا أشرف المحزون من رأس تلعة
على شعب بوان استراح من الكرب

وكم في بلادنا الجميلة من مشاهد ومنازه أو منتزهات لا يكاد يحصيها العد ناهيك بما فوق (**السراة**) وما حولها من جنات وعيون والحمد لله رب العالمين .

٨٥٩ جبل الخندمة بمكة

قال **الأصفهاني في** كتابه (**بلاد العرب**) .. « جبل يقال له الخندمة وفيه بنيان (مكة) منها **شعب ابن عامر** . ومنها (أجيادان) الصغير والكبير .. ومنها أبو قبيس » اهـ .

قلت : **هذا ما كان معروفاً لأهل مكة في القرن** الثالث الهجري . أما الآن فقد أقتصر اطلاق (**الخندمة**) على الجبل العالي المواجه (**لثبير**) في (**الأبطح**) على يمين الصاعد إلى (**منى**) فقط .. وسمي ما وراءه إلى (**وادي إبراهيم**) بأسماء محدثة جديدة .. منها (**سويدان**) ! مما يلي محلة **شعب ابن عامر** .. وسفوحه إلى (**الغزة**) و (**سوق الليل**) .. وما هو وغيره حتى **أبو قبيس وأجياد** : الكبير والصغير إلا من فروع (الخندمة) .. **مما يقرب إلى الأذهان أن معركة** (**يوم الفتح**) لم تبعد إلى ما يحاذي المحصب ! ويكفي قوله أن فيه كان (بنيان مكة) فما تجاوز بنيانها حتى القرن التاسع **الهجري** ــ (**مسجد الجن**) ــ في المعلاة ! إذ أُقيم به أو حوله سورها القديم !

٨٦٠ ظهران الشمال

عرفنا (**ظهران الشرق**) .. في منطقة الخليج العربي .. وهي أشهر من أن تعرف ! كما عرفنا (**ظهران الجنوب**) .. **في منطقة** عسير .. ونجران .

وفي قراءة عابرة .. لكتاب (بلاد العرب) تأليف (**الحسن بن عبد الله الأصفهاني**) المطبوع في عام ١٣٨٨هـ .. وجدته وهو من أجلة علماء اللغة والأدب في القرن الثالث الهجري يقول :

« وبين أكمة الخيمة وبين الشمال جبلٌ يقال له (الظهران) . وقرية يقال لها (الفوارة) بجنب الظهران بها نخيل كثيرة .. وعيون للسلطان » اهـ .

قلت : فهذا (الظهران الثالث .) وعسى أن **نظفر بالرابع يوماً ما في المنطقة الغربية**[1] .. وأرانا في حاجة إلى أن نتلقى من اخواننا أهل القصيم ما يؤكد بقاء هذا الاسم على جبل معروف بعينه حتى اليوم « بجانب الفوارة » . وكنت أسمع بها منذ أكثر من ٤٤ سنة من سماحة الشيخ **عبد الله بن بلهيد** رحمه الله ، وكان معنياً بها كثيراً .. في حياته ويدعوني إلى زيارتها لما فيها من ماء نمير ! ونبع غزير ! وغرس نضير !

---

(١) (المنهل) : أظن أن الأستاذ البحاثة لم يذهب عن فكره (مر الظهران) بوادي فاطمة .. فهو من مكة قريب ..

٨٦١ محمد بن ادريس الشيبي شيخ الحجبة وفاتح الكعبة

في سنة ٧٠٠ و ٧٤٠هـ

سأل **التقي الفاسي في** (**العقد الثمين**) : « **محمد بن إدريس بن غانم بن مفرج العبدري الشيبي المكي** ، المعروف بأبي راجح شيخ الحجبة وفاتح الكعبة . ذكر لي غير واحد من أهله وغيرهم أنه ولي مشيخة الحجبة يعني فتح الكعبة أربعين سنة . قال : وعندي في ذلك نظر فإنه كان في أوائل القرن الماضي .. وكان **أحمد بن ديلم** في أوائل القرن شيخاً .. بل كان شيخاً في القرن الذي قبله .. وولى بعده (**علي بن بجير**) ومن **المستبعد أن يكون (أبو راجح**) ولي قبلهما أو في حياتهما — وأما بعدهما فلا يمكن أن يكون ولى هذه المدة ، لأنه يلزم من ذلك أن يكون عاش إلى أواخر عشر الستين وسبعمائة .. وكان الشيخ في هذا التاريخ : (**محمد بن أبي بكر الشيبي**) .. ثم قال : ولعل المذكور باشر حجابة الكعبة أربعين سنة بعضها شيخاً . وبعضها من جملة الحجبة . ولم أدر متى مات إلا أن بعض أقاربه ذكر لي ما يدل على أنه كان في عشر الأربعين وسبعمائة والله أعلم . اهـ .

قلت : وما زلت أُكرر أنه لا بد من جمع تراجم وسيرة السدنة الكرام منذ سلمت إليهم الأمانة ، وأُنيط بهم هذا الشرف العظيم في سلسلة متتابعة ، أخذت بعضها برقاب بعض فلا يقع بينها فراغ ، ولا حلقة مفقودة وذلك غير متعذر على من جعله نصب عينيه وحرص على تحقيقه من أخلافهم الطيبين إن شاء الله .

٨٦٢ الشيخ عبد القادر الشيبي
١٢٧٠ — ١٣٥٠ هـ أمير البيان

قرأت في (**الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**) **تتألف عطوفة** أمير البيان كاتب الشرق الأكبر الأمير **شكيب أرسلان** .. وهي رحلة إلى الحجاز في عام ١٣٤٨هـ ما نصه :—

« وقد كان لنا هناك (قيلات) — أي في الطائف وضواحيه ومنتزهاته — لم نزل نتذكر **لطفها بدعوة الشيخ عبد القادر الشيبي** — كبير سدنة البيت الحرام الذي هو المثل البعيد في الكرم وحسن الوفادة ، والذي ذكرته مراراً في هذه الرحلة .. إلى أن قال لي الكثيرون : تالله تفتأ تذكر الشيبي ! فقلت ارتجالاً :

يقولون لي : نبغى جواب سؤالنا
ويسألني عن ذاك صحبي، وجلاسي ؟
لماذا نرى (الشيبي) عندك أولاً
وتؤثره في كل شيء على الناس ؟
فقلت : أرى الشيبي يندر مثله
ببر ، وإكرام ، ولطف وإيناس
وفي خدمة الإسلام قد شاب مفرقي
لذاك أرى الشيبي تاجاً على رأسي !

ثم استطرد فقال : وبعد أن برحت الحجاز بقيت المكاتبة بيني وبين الشيخ المشار إليه متصلة **يتخللها النظم والنثر .. ومقابلة الشيء بمثله في** القافية والبحر .. ولا عجب في فصاحة (بني شيبة) وهم لباب قريش ، وخلاصة العرب ، والمقصر فيهم سابق ، ولقد قرأت في « **بغية الملتمس ، في تاريخ رجال الأندلس** » **لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي** أن أبا العباس **أحمد بن رشيق** الكاتب ، لما كان في سن المراهقة يطلب علم النحو (بتدمير) في بلاد الأندلس دخل عليهم في طريق البحر رجل أسمر .. ذكر أنه من (بني شيبة) : « حجبة البيت » وأنه يقول الشعر على طبعه ولا يقرأ ولا يكتب ! وكان يقول **أنه دخل عليه اللحن بدخول الحضر** ، وروى **ابن رشيق من شعره قوله** :

يا خليلي من دون كل خليل
لا تلمني على البكا والعويل
إن لي مهجة تكنفها الشو
ق ، وعيناً قد وكلت بالهمول
كلما غردت هتوف العشايا
والضحى ، هيجت كمين غليلي
ذات فرخين في ذرى اثلات
هدلات غضف الذوائب ميل
لم يغيبا عن عينها وهي تبكي
حذر البين والفراق المديل
أنا أولى بغربتي ، وانتزاحي
واشتياقي منها بطول العويل
حل أهلي بالأبطحين وأصبحت
مع الشمس عند وقت الأفول

اهـ .

ثم قال **الأمير شكيب** :

فأنت ترى فصاحة الأُمي منهم ، فما ظنك بالمتأدب الذي قرأ العلم ونافس العلماء ، ورأى في رجال الإسلام قصاد بيت الله الحرام ما لم يتيسر لأحد أن يراه ، اهـ .

قلت : والحق إن ما أطنب فيه أمير البيان .. إنما كان نتيجة اتصاله المباشر بالشيخ **الشيبي** خلال أيام معدودات وليال قصيرات .. ولو قد طال

إقامته لاستشف في أخلاقه الكريمة وشيمه العظيمة ما يزداد به تعلقه وثناؤه .

وقد كانت ولادة الشيخ **عبد القادر بن علي الشيبي** عام ١٢٧٠ هـ — ووفاته في عام ١٣٥٠ هـ . بمكة المكرمة ودفن بالمعلاة .. ورثيته يوم وفاته بقصيدة نشرتها جريدة (أم القرى) ..

تولى منصب رئيس مجلس الشيوخ في العهد الهاشمي والمجلس الأهلي في العصر السعودي تغمده الله برحمته .. ثم خلفه في السدانة المرحوم **الشيخ محمد بن محمد صالح الشيبي** .. وقام معه بها المرحوم الشيخ **عبد الله بن الشيخ عبد القادر الشيبي** .. وتوفاه الله تعالى بالطائف عام ١٢٧١هـ . ودفن بها . وتلاه الشيخ **محمد بن الشيخ محمد صالح** فتوفي أيضاً بالطائف ودفن بها سنة ١٣٨١ . رحمهما الله . وقد تولى الشيخ **عبد الله منصب** (نائب رئيس الشورى) الثاني والأول . اهـ .

ويقوم الآن بالسدانة الأولى فضيلة الشيخ **أمين الشيبي ابن الشيخ عبد الله ابن** الشيخ **عبد القادر ابن** الشيخ **علي الشيبي** ويعاونه في ذلك الشيخ **عمر بن الشيخ جعفر الشيبي** — وأخوه الشيخ **أمين** — وهم المشايخ : **طه** .. **وعاصم** .. **وسراج** .. **وعبد العزيز** وابن عمهم الشيخ **طه** ابن الشيخ **حسن ابن الشيخ عبد القادر الشيبي** بارك الله فيهم وجعلهم خير خلف لخير سلف .

وتدعوني المناسبة إلى ذكر علم من آل **الشيبي** الكرام هو المرحوم الشيخ **حسن ابن الشيخ عبد القادر** المشار إليه .. وقد كان عضواً في « مجلس المبعوثان » العثماني زميلاً للمرحوم (جلالة الملك **عبد الله بن الحسين**) رحمه الله .. عن مكة المكرمة والحجاز .. وكان ذا أخلاق رضية وأدب رفيع . وشاعراً سمعت له بعض المقطوعات اللطيفة .. وأحسبه كتب عن (أُسرته الكريمة) ملخصاً تاريخياً ما تزال نسخة منه (بمكتبة الحرم) وقد انتقل إلى رحمة الله في صفر سنة ١٣٤٣هـ بالطائف . وخلف ابنه الشيخ (**طلحة**) وهو أحد كبار مستشاري التعليم بمدارس الدولة وما يزال يؤدي واجبه في ذلك حتى الآن .

كما أن فضيلة الشيخ **عاصم ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد القادر — قد تخرج من** مدرسة القضاء الشرعي بمصر .. وحاز شهادته العليا منها . وجميعهم أهل فضل وعلم وإيثار وسخاء .. بارك الله فيهم وفي **عترتهم** الطيبة [1] .

٨٦٣ تأديب الأطفال في المسجد الحرام

٧٩٠هـ

قرأت في العقد الثمين — للتقي الفاسي : « أن **محمد بن إسماعيل الشيرازي** الأصل المكي المولد والدار المؤدب بالحرم الشريف .. كان خيراً ، أدب الأطفال مدة في الحرم الشريف تحت (مأذنة باب العمرة — وتوفي بعد التسعين وسبعمائة هـ ودفن بالمعلاة » اهـ .

---

(١) هاتان الشذرتان ٨٦١ و ٨٦٢ هما في الحقيقة تمهيد وارهاص لبحث قيم جامع لصاحب الشذرات ستقرؤه إن شاء الله عن تاريخ هذه الأسرة العريقة بمكة المشرفة .

قلت : ولعل هذا التأديب كان مقتصراً على تهجية الحروف أو تعليم القرآن وسوره القصار .. لا يتجاوز ذلك إلى سواه . وإن آخر ما أدركناه وشاهدناه وانتظمنا في سلكه في حلقات التأديب إبان النشأة الأولى في المسجد الحرام ــ عدى حلقات التدريس العامة للكبار في مختلف العلوم ــ وما أكثرها وأحفلها بالطلبة ــ تلك الصفوف المنظمة في باب السلام ، وفي باب الزيادة .. حيث كان يتولى تأديب وتهذيب النشىء فيها وتعليمهم الخط الجميل بأنواعه من « الرقعة والنسخ والثلث .. والديواني » خطاطون ممتازون مبرزون .. أولهم كان في باب السلام ويدعى (الشيخ **الفارسي**) ولم أكتب عنده !.. ثم فضيلة المرحوم **السيد علي بن السيد حسن الكتبي** في باب الزيارة .. ثم المرحوم الشيخ **تاج الدين ابن الشيخ محمد فرج الغزاوي** وذلك فيما بين عامي ١٣٢٥ و (١٣٣٥) هـ .. وكان الخطاط لا يقتصر على تعليم الخط وحده .. بل الإملاء والحساب ، والإنشاء والسيرة النبوية ، وعلم الفرائض .. لمن تقدم به سنه وذكاؤه واستعداده وقابليته وكان من أنقهم وأجملهم مظهراً ومخبراً ووقاراً .. وزياً وسبقاً **السيد علي الكتبي** .. مع هيبة شديدة له ومنه .. وتأس به .. وقد حضرت **عليهم وأخذت عنهم بين عامي ١٣٢٧ ــ ١٣٣٠هـ وفي عامي ٣٣ و ٣٤ أيضا** .. وكان **العريف** المتاز **الذي تناط به مهمة** التعليم ويتقدم الجميع بجمال خطه وأناقته .. وتقدمه وتبريزه صاحب المعالي وزير الدولة سيادة **الشريف محمد شرف رضا** أطال الله بقاءه وينوب عن المعلم الأول إذا غاب وكان أسن منا ومحل التوقير والاحتشام .. فأما إذا ما دعا الحال إلى « قرمعة الأصابع فإنها في حدود الطاقة والاحتمال المرن ، وبالخيزران اللدن اللذيذ بحيث لا يؤلم ولا يكسر ! وكان العامل الأول والأخير في التأديب مجرد النظرة المركزة الزارية . أو الساخرة . أو الساخطة ! فإنها كانت أشد من وقع النبل رحمهم الله جميعاً .. وقد استغني عن **ذلك بعد انتشار المدارس وتوفر جميع وسائل التعليم فيها** .

٨٦٤ « حـدة اليمن »
فـوق عيني

جاء في كتاب (نزهة الجليس) : « وبخارج صنعاء أيضاً أرض يقال لها « حدة » .. وصفها يجل عن الحد ، وبها عين عظيمة تسمى (عين خميس) وقال عنها السيد **عبده الوزير** :

ولما جئت (حدة) أكرمتني
وأدنت بين من أهوى وبيني

فقلت لها : أتيتك من ازال
فأين اقيم ؟ قالت : فوق عيني

قلت : راوي هذا الخبر **السيد العباس بن نور الدين الحسيني في كتابه المشار إليه وقد فرغ منه** سنة ١١٤٨هـ . أي قبل أربعين ومائتي سنة .

ومنه نعلم أن حول صنعاء اليمن قرية يانعة خضراء تسمى (حدة) غير (حدة) مكة .. المعروفة هي أيضاً بمياهها الجارية .. وخضرتها ونضرتها وهي أيضاً ذات (عين) أو عيون .. وبها أنواع البقول والأشجار والغصون .. وكثيراً ما تتعدد الأسماء وتتفق .. رغم أنها تختلف صقعاً وتفترق .

٨٦٥ « الشقادف » قبل القرن الثامن

لبثت حيناً أتعقب أولية استخدام ما يسمى (بالشقادف) بهذا اللفظ .. في وسائط النقل بالحجاز .. فظفرت أخيراً على نص صريح في ذلك ، فقد ذكر (**السخاوي**) في كتابه (**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**) .. وهو يترجم (**عبد الله بن محمد الجمال الظاهري**) رقم ٢١٩٢. (أنه زاحم الطلبة .. **وصار كبيرهم يصرفه (ابن الرقيبي) في التوجه** مع شقادف المنقطعين بدرب الحجاز ! التي في جهة (ناظر الخاص) للعقبة فما دونها) اهـ .

قال ذلك .. وكان مترجمه قد ولد تقريباً سنة سبع وثلاثين وثمانمائة هـ . وبذلك فإن استعمال (الشقادف) كان من قبله .. وهي في عهده حتى الآن قد تجاوز عمرها خمسمائة عام .. وأغلب الظن أن اسم (الشقادف) دخيل من أحد أقطار المسلمين .. فما في اللغة أصل له ، أما ما هو من قبيلها وكان قبلها .. بأسماء أُخرى فذلك متحقق بدليل أن من خلفاء بني أُمية من حج وكان له عديل في مركبه .. يبادله الحديث ويستأنس به ! ــ إلا أنه لم يطلق عليه (الشقدف) إلا في الزمن المشار إليه أو قبله قليلاً .. وبهذه المناسبة أرى أن من المصلحة أن تقيم (وزارة المواصلات) متحفاً .. تجمع به وسائط النقل .. القديمة .. بأنواعها من شقادف وشباري وهوادج .. وتخوت . ورخوت .. ومحامل .. وما إلى ذلك .. للذكرى والتاريخ .

٨٦٦ أسماء الأزقة والشوارع والمواقع القديمة

توجد في مكة المكرمة وجُدَّة ، والمدينة المنورة والطائف والرياض ، وكافة المدن في بلادنا العزيزة .. بل وفي كل بلاد الشرق العربي والإسلامي أسماء قديمة أطلقت على بعض الشوارع أو الأزقة بمناسبات اقتضت ذلك قبل عشرات السنين . وربما القرون ..

وقد تحولت وتطورت المناطق وتجددت وزالت أسباب التسمية القديمة .. حاشا ما يتصل بحادث تاريخي يجب أن يحافظ على بقائه .. فلماذا يبقى ما كان يسمى (بزقاق الجنائز) و (زقاق المجزرة) و (زقاق الكراث) مثلاً وقد أصبح غير ما كان ــ شكلاً وموضوعاً ؟ ومنها ما كان يسمى لضيقه (زقاق عانقيني) كما سمعته . إني أرى أن من حق المعاصرين ، إبدال تلك الأسماء بما ينطبق مع المسميات في **وضعها** الراهن الجديد .. وأن يختار لها أسماء شيقة ذات معان بهيجة ، وذكريات مجيدة ، مع استثناء كل ما هو (أثري) وتاريخي ، ولا بد من الحفاظ عليه ولو تغير شكله فذلك حق ولا غبار عليه .. وما عداه فأولى أن يصطبغ بما يناسبه على أساس من صفاته الراهنة وأرجو أن يهتم بذلك أهل الاختصاص وأنهم لفاعلون إن شاء الله .

٨٦٧ قديمك ــ نديمك

هذا مثل عامي سائر ! ويظهر أنه لا يتمسك به إلا المحافظون جداً .. والذين يستهويهم قول **أبي الطيب المتنبي** :

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا
لراجعت شيبي موجع القلب باكيا

ولا أحسبه صالحاً على الاطلاق وفي كل الأحوال ، فمن القديم ما يجب هجره وتركه .. بعد أن ظهر فساده وضرره .. كولائم الزفاف .. ومآتم الموت .. التي ما أنزل الله بها من سلطان .. وتعدى ضرورها إلى الأكثرية المتندرة من السكان ! بما فيها من التبذير والاسراف .. وحب الظهور الذي يقصم الظهور ! .

أما إذا كان القصد منه ــ المحافظة ــ على الصديق القديم المستقيم .. وعلى العوائد السليمة الطيبة .. وعلى كل ما لا مأخذ فيه ولا ضرر منه ، وفي تركه جحد للأخلاق وافتئات على الأدب ، وتجاوز عن الطيب إلى الخبيث (لا سمح الله) فإنه جدير بالتداول ــ بهذا الشرط ــ وإلا فإن من الجديد ما هو خير وصلاح .. كما أن **من القديم ما تضيق به الصدور وتزهق الأرواح !!**

٨٦٨ الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود

« مليك العرب » ١٣٦٩

تحدثت في العدد الماضي « ربيع الأول ١٣٨٨هـ » في الشذرة رقم (٨٣٦) عن الشعر التاريخي أو التاريخ الشعري ، أي مطابقة حروف الجملة الشعرية للسنة الهجرية التي يسجل بها الحادث المراد إتيانه وقد ظفرت بتحفة من هذا القبيل ، وهي أن الحاج « **عبد الله فلبي** » غفر الله له .. قد دون في كتابه الذي عنونه بـ « **الذكرى العربية الذهبية** » ــ بمناسبة « اليوبيل الذهبي » لحكم المغفور له مؤسس الدولة السعودية في هذا القرن الهجري **جلالة الملك عبد العزيز** تغمده الله برضوانه .. وكان موفقاً في ذلك كل التوفيق رغم أنه رجل أوروبي .. لا يعني بذلك .. إلا أنه استحسن هذا التدوين وأقره واعترف بصلاحه وفائدته ، فأنشأ جملة أثبتها في كتابه المشار إليه الصادر في ذي الحجة سنة ١٣٨٢هـ وهي : « الإمام **عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود** : ملك العرب » .. وكانت نتيجة جمع أرقامها بالحروف الأبجدية هي ١٣٦٩هـ كما قال .. أي السنة التي توافق انقضاء خمسين سنة على حكمه الرشيد ، وتفصيل ذلك كالتالي :

(وقد ــ وجدت الأرقام بعد التدقيق والتطبيق ــ متفقة مع عام ١٣٦٩هـ . فإن مجموعها (١٣٦٩) ولكن هذا إنما يصح إذا كانت صحة كلمة (ملك) هي (مليك) بزيادة الياء التي هي عشرة وباحتساب ألفي (ابن) و (ابن) وبذلك يظهر أن ما نشر منها في الكتاب أما أن يكون فيه خطأ مطبعي أو سهو من المؤلف . وإني لأرجو من أستاذنا صاحب المنهل الأغر أن يعيد النظر في هذا الجدول فإذا وجده سليماً من الخطأ .. نشر هذه الشذرة .. مشكوراً .

وبهذا يكون اصطناع الشرقيين لحساب الجمل والحروف .. محل استحسان الغربيين أيضاً ــ ولا أدري إن كانوا هم قد أخذوه بدورهم عن العرب كما اقتبسوا منهم كل مظاهر (الحضارة) في إبان عنفوانها) .

عـدد				
١١٣	(الإمام)	=	ا ل ا م ا م	١ ٣٠ ١ ٤٠ ١ ٤٠
٢٠١	(عبد العزيز)	=	ع ب د ا ل ع ز ي ز	٧٠ ٢ ٤ ١ ٣٠ ٧٠ ٧ ١٠ ٧
٠٥٣	(ابن)	=	ا ب ن	١ ٢ ٥٠
٤٠٦	(عبد الرحمن)	=	ع ب د ا ل ر ح م ا ن	٧٠ ٢ ٤ ١ ٣٠ ٢٠٠ ٨ ٤٠ ١ ٥٠
٠٥٣	(ابن)	=	ا ب ن	١ ٢ ٥٠
١٤٠	(سعود)	=	س ع و د	٦٠ ٧٠ ٦ ٤
١٠٠	(مليك)	=	م ل ي ك	٤٠ ٣٠ ١٠ ٢٠
٣٠٣	(العرب)	=	ا ل ع ر ب	١ ٣٠ ٧٠ ٢٠٠ ٢
١٣٦٩				

جدول الجمل بالأبجدية :

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع
٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠
ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ
٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠
		ذ	ض	ظ	غ		
		٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠		

٨٦٩ (الشقدف) غير (الغبيط)

تلقيت بكل تقدير في البريد رسالة من سيادة الأخ البحاثة الأديب الشيخ **حمد محمد العبيدي** ــ **بجُدَّة** ــ في ٢٧ /٤ /١٣٨٨هـ تحدث فيها عما يعلمه عن « الغبيط » ، وأنه غير الشقدف ، وهو ما كنت نشرته تحت الرقم (٨٣٨) بعدد المنهل الأغر في الجزء الرابع بشهر ربيع الثاني ١٣٨٨ . ومما جاء في رسالته أحسن الله إليه قوله : « الغبيط ليس هو بالشقدف . بل انه مركوب معروف حتى الآن في البادية . وهو من مراكب النساء فقط يركبنه عند الرحيل أو الظعن من جهة إلى أُخرى .. وهو معمول من أقواس خشبية . مشدودة بسيور من الجلد ضمن (السامة) التي توضع على ظهر المطية . ولا يختلف الغبيط عن الهودج الذي يشبهه كل الشبه ، إلا بأنه لا يزين ويكتفي بوضع شق ــ قطعة ــ من الصوف أو القماش كمظلة من أعلى الغبيط فقط . أما الهودج فهو عادة يزين ويغطى من جميع الجهات بقطع قماش الجوخ الأحمر أو القطع الصغيرة من السجاد . وتركب فيه (عروس البادية) مع إحدى قريباتها .. أو صديقاتها عند رحيلها من أهلها إلى زوجها . كذلك كانت تركبه (الظعائن) وهي الفتيات اللاتي كن يرافقن الغزاة والمحاربين لتنفيرهم وحضهم على القتال .. بترديد الأشعار الحماسية ، وقد بطلت هذه العادة الأخيرة بفضل (بن الجزيرة البار) المرحوم (جلالة الملك **عبد العزيز** الأول) الذي وحد شمل الجزيرة وجمع كلمة أبنائها فأصبحوا أُسرة واحدة ، لا غزو ، ولا نهب فلله جل وعلا الحمد والشكر » اهـ .

قلت : وقد شكرت لسيادته هذا الإيضاح الذي تبين فيه أن (الغبيط) ليس هو (الشقدف) ، وقد كان اعتباري له كالشقدف حرصاً على الاستغناء بالفصيح الصحيح عن الدخيل المجهول ، أما وهناك فوارق في الشكل والتكوين .. فقد أنبأنا به الخبير الثقة العارف كما هو مفصل آنفاً . وعنه نأخذ .. وعليه نعتمد فيما هو به أدرى ، ونمحضه على ذلك ثناء وشكرا .

٨٧٠ سدنة الكعبة المشرفة « آل الشيبي »

مقدمة مزدوجة

١ ــ « أهدي ــ هذا الكتاب ــ إلى فضيلة كبير سدنة بيت الله الحرام ، وفاتح الكعبة المشرفة (الشيخ **محمد الأمين الشيبي** » وإلى جميع آل الشيبي الطيبين ، رمز مودة وصداقة ، وعربون تقدير واكبار ، لهذا البيت العريق ، وذكرى عاطرة لأولئك الأماجد الأبرار .

(مكة المكرمة) **أحمد بن إبراهيم الغزاوي**

٢ ــ « إن هذه الشذرة الكبيرة ، التي ننشرها هنا ، هي وما سبقها دعامة لكتاب جامع لتاريخ « البيت الشيبي » منذ صدر الإسلام ، حتى الآن ، عني بتأليفه ونشره سعادة الأستاذ البحاثة الجليل ، والمؤرخ الكبير ، والشاعر المجيد ، واللغوي الضليع الشيخ **أحمد بن إبراهيم الغزاوي** ، أمد الله في حياته ، وكم هو مشكور ومقدر إزاء عنايته المبرورة بتأليف هذا الكتاب

النفيس الذي يعتبر فيما نعلم أول كتاب يصدر في هذا الموضوع الشيق الذي هو في صميم تاريخ هذه البلاد وأبنائها .. « المنهل »

« نقلاً عن « العقد الثمين » في تاريخ البلد الأمين للإمام أبي الطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسني المكي ــ ٧٧٥هـ ــ ٨٣٢هـ » .

« **عن الجزء الاول** »

(تراجم أعلام سدنة الكعبة المشرفة)

رقم الترجمة (٩٦)

الشيخ **محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن الشيبي**

زعيم الشيبيين . وصاحب حجابة الكعبة .

هكذا ذكره ابن جبير في رحلته . وكتب عنه شيئاً في طول الكعبة ذكرناه في محله من تأليفنا **« شفاء الغرام »** ومختصراته وهو الأصح . والله أعلم .

وذكر ابن جبير أنه عزل عن الحجابة لهنات نسبت إليه ثم أُعيد سريعاً لأنه صودر عنها بخمسمائة دينار مكية . وذلك في ذي القعدة سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، فاستفدنا من هذا حياته في هذا التاريخ . وجده **عبد الرحمن** هو ابن **ديلم** .

رقم الترجمة (١٠٢)

الشيخ **محمد بن إدريس بن غانم بن مفرح العبدري الشيبي** المكي المعروف **بأبي راجح** .
ذكر لي غير واحد من أهله وغيرهم أنه ولي مشيخة الحجبة أربعين سنة ، يعني فتح الكعبة ، وعندي في ذلك نظر فإنه كان في أوائل القرن الماضي وكان **أحمد بن ديلم** في أوائل القرن شيخاً بل كان شيخاً في آخر القرن الذي قبله . وولي بعده **علي بن بجير** ومن المستبعد أن يكون **أبو راجح** ولي قبلهما ، أو في حياتهما .

« **عن الجزء الثاني** »

وأما بعدها فلا يمكن أن يكون ولي هذه المدة لأنه يلزم في ذلك أنه عاش إلى أواخر عشر الستين وسبعمائة .

وكان الشيخ في هذا التاريخ : **محمد بن أبي بكر الشيبي** الآتي ذكره . ولعل المذكور باشر حجابة الكعبة أربعين سنة بعضها شيخاً ، وبعضها من جملة الحجبة ، ولم أدر متى مات إلا أن بعض أقاربه ذكر لي ما يدل على أنه كان في عشر الأربعين وسبعمائة والله أعلم .

رقم الترجمة (٢٥٣)

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن طلحة بن الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدرى الحجبي (أبو عبد الله) وقيل : **أبو القاسم المكي** ، **أخو منصور بن عبد الرحمن الحجبي** .

روى عن أخيه **منصور** ، **وصفية بنت شيبة** . وهي أمه ، وقيل جدته ، روى عنه **شعبة بن الحجاج** ، **وأبو عاصم** ، **وأبو جعفر النفيعي وإبن المبارك** ، **ووكيع بن الجراح** .

وروى له **أبو داود** ــ وذكره **ابن حبان** في الثقات .

وذكره صاحب الكمال وتهذيبه ، وصرح بأنه مكي ، ولم يصرح بذلك صاحب الكمال .

(ملاحظة) ــ خلت الترجمة من تاريخ ولادته ووفاته .

رقم الترجمة (٣٢٣)

الشيخ **محمد بن علي بن أبي راجح بن محمد بن إدريس العبدري الشيبي الحجبي المكي ، جمال الدين بن نور الدين** ، شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة المعظمة .

ولي فتح الكعبة المعظمة ـــ بعد موت قريبه **فخر الدين أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الشيبي** في صفر أو ربيع الأول سنة سبع عشرة وثمانمائة ، ولم يزل متولياً لذلك حتى مات ، وكان فيه خير وسكون ، وجود الكتابة ، وسكن زبيد مدة سنين ، وصار يتردد منها إلى مكة ، ثم استقر بها في حين ولي فتح الكعبة إلى حين وفاته .

وكانت وفاته قبيل الظهر يوم الخميس ثالث عشر جمادي الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة بمكة ، وصلى عليه في « الساباط » الذي خلف (**مقام إبراهيم**) الخليل عليه السلام ، ونادى المؤذن للصلاة عليه فوق زمزم بعد صلاة العصر ودفن بالمعلاة ، وقد بلغ الستين ظناً غالباً .

وأخبرني بعض أصحابنا : أنه اجتمع معه ، وقد انصرفوا من دفن ميت بالمعلاة .. فقال لصاحبنا : في وجهك الموت لمرض قبل ذلك ، فقدر أن المذكور مات . وعاش صاحبنا المخبر لي بهذه المقالة ! وصار مفتاح الكعبة المعظمة بعده لقريبه **نور الدين علي ابن أحمد الشيبي** المعروف **بالعراقي** .

رقم الترجمـــة (٤٩٠)

الشيخ **محمد بن يوسف بن ادريس بن مفرج بن غانم الشيبي** المكي .

شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة ، ولي ذلك كما ذكر لي غير واحد بعد **يحيى بن علي بن بحير الشيبي** . وتوفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، انتهى .

ووجدت بخط شيخنا ابن سكر ، أنه توفي في جمادي الأولى من السنة ، وقد أجاز له في سنة ثلاث عشرة ، **الدشتي** ، والقاضي **سليمان بن حمزة** ، **وابن مكتوم** ، **وابن عبدالدائم** ، **والمطعم** وجماعة ، باستدعاء **البرزالي** وغيره ، وما علمت له سماعا .

« **عن الجزء الثالث** »

رقم الترجمـــة (٥٢٥)

الشيخ **أحمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الشيبي الحجبي المكي** :

سمع من **الكمال ابن حبيب** بمكة ، وباشر فتح الكعبة نيابة عن ابيه ، لما وصل الخبر بولايته لذلك في العشر الاخير من رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة إلى حين وفاته في شوال أو في ذي القعدة من هذه السنة .

رقم الترجمـــة (٥٤٥)

الشيخ **أحمد بن ديلم بن محمد بن اسماعيل بن عبدالرحمن بن ديلم بن محمد الشيبي الحجبي ، مجدالدين أبو العباس المكي** :

شيخ الحجبة وفاتح الكعبة .

هكذا نسبه **أبو حيان** فيما وجدت بخطه ، ووجدت بخطه : أن مولده في سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

سمع من **ابن أبي الفضل المرسي** ، الاربعين **للغزاوى** ، **وعلي بن مسدي** ، السيرة **لابن**

اسحاق ، والزهد والرقائق **لابن المبارك** ، والملخص **للقابسي** والتقصي **لابن عبد البر** ، والنجم والكوكب **للاقليشي** ، عن **محمد بن عبدالحق بن سليمان الدلاصي** اجازه ان لم يكن سماعا عنه ، والاربعين المختارة من تأليفه ، وشيئا في فضائل رمضان ، وما يترجى لصائمه من رحمة الرحمن ، كلاهما من تأليفه وغير ذلك . **وعلى يعقوب بن أبى بكر الطبري** ، الجزء الثانى من جامع **الترمذي** من تجزئة ثلاثة وحدث .

سمع منه **ابن قطرال** بقراءته ، وترجمه في بعض الطباق : بالشيخ الجليل الفقيه شيخ الحرم .

سمع منه جماعة آخرهم وفاة الزاهد **بهاء الدين عبدالله بن الرضي بن خليل المكي** .

وتوفي **ابن ديلم** في غرة شهر ذي القعدة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة بمكة ، نقلت وفاته من خط جدي الشريف **علي الفاسي** . وذكر انه كان ناظر الحرم الشريف ، وهو معنى قول ابن قطرال (شيخ الحرم) .. وأظنه ولي فتح الكعبة نحو أربعين سنة ، لاني وجدت بخط **البرزالي فيما انتقاه** من ذيل **الظهير** الكازروني **نسخة** كتاب كتبه (**أبو نمي**) صاحب مكة . في سنة سبع وسبعين وستمائة إلى **علاء الدين** صاحب الديوان ببغداد يتضمن الدعاء له ولاخيه ، وفيها شهادة قاضي مكة (**الجمال بن المحب الطبري**) **وابن منعة** ــ **وابن ديلم** ــ وامام الشافعية والحنفية والحنابلة . ووجه الدلالة من هذا على ما ذكرناه شهادة المذكورين في الكتاب دون غيرهم من أهل العلم **كالمحب الطبري** وشبهه ، إنما هو لكونهم أصحاب وظائف مشهورة بالحرم والله أعلم .

رقم الترجمة (٦٠١)

الشيخ **أحمد بن علي بن أبي راجح محمد بن أدريس العبدرى الشيبي الحجبي المكي** ، يكنى : **ابا المكارم** :

كان من أعيان الحجبة ، توفي في اوائل سنة ثمان وثمانمائة غريقا بالبحر المالح .. وهو متوجه إلى بلاد اليمن .

رقم الترجمة (٦٠٦)

الشيخ **أحمد بن علي بن محمد الشيبي الحجبي المكي** ، المعروف **بالعراقي** :

سمع من الشيخ **فخر الدين التوزري** ، والقاضي **عزالدين بن جماعة** ، بعض السنن **للنسائى** ، في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة . وذكر لي شيخنا القاضى **جمال الدين بن ظهيرة أنه** سمع من الشيخ **خليل المالكي** ، ومات بعد الشيخ **علي بن راجح الشيبي** قبل التسعين بيسير .

ووجدت بخط شيخنا **ابن سكر** ، انه توفي في أحد شهور سنة تسع وثمانين بمكة .. وانه رام المشيخة بعد **علي بن أبي راجح** فلم تتهيأ له مع صلاح لذلك . وله الآن ولدان ذكران وهما : **علي** ، **ويحيى** ، وهما من جملة الحجبة .

وسبب شهرته **بالعراق** أنه وأباه سافرا إلى العراق مع **أحمد بن رميثة بن أبى نمي** ــ وأقاما معه مدة .

رقم الترجمة (٦٧٥)

الشيخ **أحمد بن يوسف بن أحمد بن صالح بن عبدالرحمن الحجبي أبو الفضل الشيبي المكي** :

أجاز له في سنة سبع عشرة وسبعمائة **العفيف الدلاصي** ، **وأبو عبدالله بن حريث العبدري السبتي** ، **وفاطمة القطب القسطلاني** ، **والرضى الطبري** ، وذكر أنه سمع عليه صحيح البخارى وسمع من **الزين الطبري** ، سنن **النسائى** ، **وعلى القاضى شهاب الدين الطبري** ، وما علمته حدث .

وقد أجاز لخالي ووالدتي ، وغيرهما من أقاربي ، كان ولي فتح الكعبة أشهرا من جهة الشريف « عجلان » أمير مكة ، لما غاب عنها الشيخ **محمد بن أبي بكر الشيبي** ، وذلك في أوائل سنة سبع وخمسين ، إلى استقبال رمضان منها ، على ما وجدت بخط شيخنا **ابن سكر** .

وتوفي سنة تسع وسبعين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة ــ على ما وجدت تاريخ وفاته ، بخط شيخنا القاضى **جمال الدين بن ظهيرة** ، وهو المخبر لي بدعواه سماع صحيح البخاري من **الرضي الطبرى** ، قال : ولم أقف له على أصل انتهى .

وأم ابي الفضل الشيبي (ام الهدى) بنت الخطيب تقي الدين عبد الله بن الشيخ محيي الدين الطبري . وسيأتى ذكرها .

وأما أبوه ، فسمع من **الفخر التوزري** مشيخة ابن **عبد الدائم** في سنة ثمان وسبعمائة بمكة على ما وجدت بخط جد **ابي الشريف ابي عبد الله الفاسي** وما علمت من حاله سوى هذا .

رقم الترجمــــة (٧٠٣)

الشيخ **إبراهيم بن عبيد الله بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن عثمان بن طلحة ابن ابي طلحة العبدرى المعروف بالحجبي** :

هكذا نسبه الزبير بن بكار .. وذكر أن **الرشيد** ولاه اليمن . وأنه قتل بمكة في فتنة هناك أيام المأمون .

وذكر صاحب الجمهرة ــ أي **ابن حزم** ــ « أن **الرشيد** ولاه اليمن وانه قتل بمكة في فتنة العلوية أيام المأمون . قال : وكان متكلما يصحب **النظام وهشام بن الحكم وغيرهما** . انتهى .

وكانت فتنة العلويين في سنة مائتين .

رقم الترجمــــة (٧٤٢)

الشيخ **ادريس بن غانم بن مفرج العبدرى الشيبى أبو غانم المكي** :

شيخ الحجبة فاتح الكعبة .. كان واليا لذلك في سنة سبع وخمسين وستمائة . كما ذكر **سنجر الدواداري** في طبقة سماعه على **العفيف منصور بن منعة** لأربعينه التي خرجها له **ابن مسدي** .

رقم الترجمــة (٧٧٦)

الشيخ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ديلم بن محمد بن شيوخ الشيبي الحجبي ، فاتح بيت الله الحرام ، توفي في رجب سنة تسع وستين وخمسمائة .

لخصت هذه الترجمة من حجر قبره بالمعلاة ، وترجم فيه بالشاب .

رقم الترجمــة (٨٨٨)

الشيخ **جعفر بن الحسين الشيبي** ،**أبو الفضل المكي** :

ذكره **أبو القاسم علي بن الحسن الباخرزي** في كتابه : « **دمية القصر وعصرة أهل العصر** » في

القسم الأول منه ، وهو من شعراء البدو — والحجاز ، وقال : شاب حسن الرواء والرواية ، رأيته بين يدي الشيخ عميد الحضرة مدليا إليه بحرمة العربية مدلا عليه بهذه الدالية ، وأنشدني لنفسه من قصيدة :

تولى الصبر تتبعه الدموع
لتراجعه ، وقد عز الرجوع
وطار بمهجتي للبين حاد
يقصر دونه الوهم السريع
وأوحشني الخيال وكان أنسي
لو أن العين كان لها هجوع
أرى أدم الظباء لها امتناع
وأطيب ما يقاربه المنوع
وفي العشاق مفتون بمعنى
وموضع فتنتي منك الجميع
ومنهم من يشير ولا يسمى
ومنهم في المحبة من يذيع
بنفسي من يخون الصبر فيه
ولا تغني المذلة — والخضوع
حبيب لا أراه ، وبي نزاع
إليه ، وليس لي عنه نزوع
يطير القلب من شوق إليه
فتمسكه لشقوتي الخلوع

اهـ .

« عن الجزء الرابع »

رقم الترجمة (١٠١٢)

الشيخ **حسن بن محمد بن أبي بكر الشيبي الحجبي المكي :**

يلقب **بالبدر بن الجمال** . سمع بمكة من ابن حبيب وغيره . ربما توفي في جمادي الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، ودفن بالمعلاة .

رقم الترجمة (١٠٢٧)

الشيخ **حسين بن أبي المكارم أحمد بن علي بن أبي راجح محمد بن ادريس العبدري الشيبي الحجبي المكي :**

يلقب (**بدر الدين**) . عانى الاشتغال في العربية . والشعر ، وله نظم وذكاء ، وحفظ غالب (البهجة) في الفقه — وهى بهجة الحاوي في فقه الشافعية — « خمسة آلاف بيت » — وله كتابة جيدة ، ودخل إلى اليمن ومصر طلبا للرزق ، وأدركه الأجل بالقاهرة في المحرم في هذه السنة مع الحجاج المصريين ، وله إحدى وعشرون سنة فيما بلغنى .

رقم الترجمة (١٣٤٠)

الشيخ **سليمان بن محمد بن يحيى بن محمد بن عبيد بن حمزة بن بركات الشيبي الحجبي :**

توفي يوم الأحد رابع ربيع الأول ، سنة خمس وثمانين وخمسمائة ودفن بالمعلاة ، لخصت هذه الترجمة من حجر قبره .

« عن الجزء السادس »

رقم الترجمة (١٩٤٩)

عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبى طلحة — عبد الله — بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدرى :

هكذا نسبه **الزبير بن بكار** وقال : هاجر في الهدنة **إلى النبي** ﷺ ، هو **وخالد بن الو ليد بن**

المغيرة . لقوا **عمرو بن العاص** مقبلا من عند **النجاشي** يريد الهجرة إلى النبي ﷺ ، لقوه (بالهدة) — موضع بين عسفان ومكة — فاصطلحوا جميعا .. حتى قدموا على النبي ﷺ .. فقال رسول الله ﷺ حين رأهم : « **رمتكم مكة بأفلاذ كبدها** » يقول : انهم وجوه أهل مكة .. **ولعثمان وخالد** يقول **ابن الزبعرى** حين هاجرا :

أينشد عثمان بن طلحة خلفنا
وملقى النعال ، عن يمين المقبل ؟
وما عقد الآباء من كل حلفة
وما خالد من مثلها — بمحلل !
امفتاح بيت غير بيتك تبتغى ؟
وما تبتغي عن مجد بيت مؤثل ؟
فلا تأمنن خالدا — بعد هذه
وعثمان جاء بالدهيم المعضل

ودفع رسول الله ﷺ (مفتاح الكعبة) **إليه** .. وإلى **شيبة بن عثمان بن طلحة** .. وقال : « خذوها **يا بنى أبي طلحة** ، خالدة تالدة لا يأخذها منكم إلّا ظالم » .. فبنوا **أبى طلحة** هم الذين يلون سدانة الكعبة دون **بني عبد الدار** . انتهى .

ثم نزل **عثمان** المدينة ، وتحول منها بعد موت النبي ﷺ إلى مكة وسكنها حتى مات سنة اثنتين وأربعين ، وقيل سنة إحدى وأربعين ، وقيل : أنه قتل يوم (اجنادين) بفتح الدال وكسرها .. وله حديثان .

روى عنه : **ابن عمه شيبة** ، **وعبد الله بن عمر** ، وغيرهما .

وكان ذا مروءة ، وله خبر عجيب في ذلك ذكره **الزبير** عن أم **سلمة** أنها لما خرجت مهاجرة إلى المدينة خرج معها وكان ينزل بناحية منها **إذا** نزلت ، ويسير معها **إذا** سارت ، ويرحل بعيرها . ويتنحى **إذا** ركبت فلما رأى نخل المدينة قال لها : النخل الذي تريدين ثم سلم عليها وانصرف .

قال **الزبير** : وأخبرني **محمد بن الضحاك** عن أبيه قال : الرجل الذى خرج مع **أم سلمة** : **عثمان بن طلحة** . انتهى .

قال **المحب الطبري** في « القرى » الحجابة منصب **بني شيبة** ، ولاهم رسول الله ﷺ **إياها** : كما ولى السقاية **العباس** رضي الله عنه ، ثم قال : « وسدانة البيت خدمته وتولى **أمره** ، وفتح بابه ، واغلاقه ، ثم قال : قال العلماء : لا يجوز لاحد أن ينزعها منهم » .

رقم الترجمة (١٩٩٧)

عطاء الشيبي القرشي العبدري : من بنى **شيبة** ، ذكره **ابن عبد البر** في الاستيعاب : وقال : روى عنه (فطر) **ابن خليفة** : في صحبته نظر قال **عطاء** : سمعت رسول الله ﷺ في (النعال) وحديثه عن **أبي عاصم النبيل** ، عن **عبدالله بن مسلم بن هرمز** . عن **يحيى بن إبراهيم بن عطاء** عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قابلوا النعال** » . قال **ابن عبد البر** .. يقال في تفسيره : اجعلوا للنعل قبالتين ، ولا أدرى **أهو** الذى قباله أم لا ؟ .

رقم الترجمة (٢٠١٩)

عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدرى :

هكذا ذكره **ابن عبد البر** في (الاستيعاب) وقال : هو الذى باع (دار الندوة) من معاوية بمائة **ألف** درهم . وهو معدود في المؤلفة قلوبهم . والله أعلم .

رقم الترجمة (٢٠٤٤)

الشيخ **علي بن بحير بن علي بن ديلم العبدرى الشيبي** :

شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة ـــ يلقب بالرضى . روى عن **أبى اليمن بن عساكر** ، **الأول** والثانى في حديث **أبى اليمان الحكم بن نافع** .. وجزءا من تأليفه في فضل رمضان .

سمع منه **ابن قطرال والغرناطى** ، وجماعة آخرهم الشيخ **عبدالله بن خليل المكي** .

توفي يوم الخميس ثامن صفر سنة سبع عشرة وسبعمائة .. ودفن من يومه بالمعلاة .

نقلت وفاته من تاريخ (**البرزالى**) .. **وذكر أنه** من **أقران** القاضى (**نجم الدين الطبري**) ـــ وقال : كان فاتح الكعبة وشيخ الحرم ، انتهى .. وبحير ـــ بباء موحدة مضمومة ، وحاء مهملة مفتوحة ، وياء مثناة من تحت ، وراء مهملة ، يشبه **بحير** بباء موحدة مفتوحة وحاء مهملة مكسورة .. وهو **بحير بن سعد الحصى** الراوى عن **خالد بن معدان** .

رقم الترجمة (٢٠٩٩)

الشيخ **علي بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن ناصر العبدرى الشيبي ، الحجبي المكي الشافعى الشيخ** (**نور الدين**) :

شيخ الحجبة ـــ وفاتح الكعبة .

ولد في ثالث عشر ربيع **الأول** سنة خمس وخمسين وسبعمائة .. على ما وجدت بخطة سمع من **الجمال محمد بن أحمد بن عبد المعطى** ، **والكمال محمد بن عمر بن حبيب الحلبى** ، وغيرهما من شيوخ مكة والقادمين **إليها** . واشتغل بالعلم في فنون ، وكتب بخطه كتبا كثيرة في الفقه والأدب وغير ذلك . وكان يذاكر باشياء حسنة في **الأدب** وغيره .

وله نظم وهمة ومروءة واحسان **إلى** أقاربه . وولي مشيخة الكعبة . بعد **أبى بن أبى راجح** من جهة **أمير** مكة نحو ثلاث سنين في نوبتين .. **لأنه** ولى ذلك في صفر سنة سبع وثمانين إلى العشر **الأخير** من رمضان سنة ثمان وثمانين . لعزله حينئذ عن ذلك باخيه **أبى بكر بن محمد** ، **إلّا** انه لم يباشر ذلك لغيبته ، وباشر عنه ابنه **أحمد بن أبى بكر** حتى مات **أحمد** في ذى القعدة من السنة المذكورة . وعاد حينئذ عمه **نور الدين** إلى ولاية ذلك . واستمر حتى عزل ثانيا بأخيه **أبى بكر بن محمد** في أوائل سنة تسعين وسبعمائة واستمر معزولا حتى مات . غير **أنه** ولى ذلك نيابة عن أخيه أشهرا ، في أوائل السنة التى مات فيها . وكانت وفاته بعد علة طويلة ، في يوم **الأحد** ثالث ذي القعدة الحرام سنة خمس عشرة وثمانمائة .. ضحى ، ودفن في عصر يومه بالمعلاة .

رقم الترجمة (٣٠٠٠)

الشيخ **علي بن أبى راجح محمد بن يوسف بن ادريس بن غانم بن مفرج العبدرى الشيبي** :

شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة .

سمع من **الزين الطبرى** سنن النسائى في مجالس آخرها في سنة **إحدى** وأربعين وسبعمائة ، وما

علمته حدث ، ولي فتح الكعبة بعد أخيه **يوسف بن أبي راجح** الآتي ذكره . وكان هو **الأكبر** حتى مات في صفر سنة سبع وثمانين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة عن سبعين سنة فيما بلغني وكان رجلا جيد الحفظ للقرآن ويتلوه .

رقم الترجمة (٣٠٣٦)

الشيخ **علي بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عبيد بن حمزة بن بركات الشيبي** .

أحد حجبة البيت الحرام .

توفي يوم الجمعة سادس شهر رمضان سنة تسع وسبعين وخمسمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .. ومن حجر قبره لخصت هذا وترجم فيه بالشاب !

رقم الترجمة (٣٠٨٩)

الشيخ **عمر بن محمد بن أبي بكر بن ناصر بن أحمد العبدرى الشيبي الحجبى** . المكى . يلقب بالسراج .

إمام الحنفية بمكة ، ولي ذلك بعد **أبي الفتح** الحنفى حتى مات في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة حتى مات في آخر ذى القعدة سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، (بخليص) وهو قادم إلى مكة ، فحمل إلى مكة صحبة الركب ، ودفن بالمعلاة عند والده في العشر **الأول** من ذى الحجة ، وولى **الإمامة** بعده الشيخ **شمس الدين محمد الخوارزمى المعروف (بالمعيد)** السابق ذكره وكان قرأ على (**المعيد**) في العربية ، وعلى الشيخ **ضياء الدين الهندى** في الفقه ، وسمع من **الشيخ خليل** ، ومولده في أوائل جمادى **الأولى** سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، وصاهر القاضى **شهاب الدين بن ظهيرة** على ابنته (**أم الحسين**) .

(انتهى المنقول من تاريخ **التقى الفاسى**) عدى ما هو بالجزء الخامس **فإنه** لم يصل بعد إلى يدى ومتى وصل نلحق ما فيه إلى ما سبق نقله عنه ان شاء الله .

« عن الجزء السابع »

رقم الترجمة (٣٢٩٩)

الشيخ **غانم بن يوسف بن ادريس بن غانم بن مفرج بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبيد بن حمزة بن بركات بن عبدالله بن شيبة بن شيبة بن شيبة** — وليست مكررة بل هي في سلسلة النسب — **ابن شعيب بن وهب بن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبيدالله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي بن كلاب بن مرة العبدري الشيبي** :

شيخ الحجبة وفاته الكعبة .

هكذا وجدت هذا النسب بخط الاقشهرى ، وقال : هكذا نبه صاحبنا صاحب مفتاح الكعبة المعظمة المشرفة . ورئيس السدنة الشيبيين ، وقال : هذه النسبة نقلتها من نصبة القبر — فيها نظر — وذكر مع ذلك ابياتا وجدها على قبر الشيبيين ، ثم قال : وكان ذلك في العشر **الأول** من شهر جمادى **الأولى** في عام ثلاثين وسبعمائة .

« انتهى »

وأجاز له في سنة ثلاث عشرة من دمشق (الدشتى) ، والقاضى **سليمان بن حمزة — والمطعم ، وابن مكتوم ، وابن عبدالدائم ، وابن سعيد ووزبره — والحجاج** ، وجماعة من شيوخ ابن خليل ، باستدعائه واستدعاء **البرزالي** ، وما عرفت له سماعا .

وتوفي في رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة .

رقم الترجمة (٣٣٤٥)

الشيخ **قريش بن حسن بن علي بن ديلم بن محمد بن إبراهيم بن شيبة بن إبراهيم القرشي العبدري الشيبي :**

توفي يوم الاربعاء النصف من ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، ودفن بالمعلاة ومن حجر قبره كتبت هذه الترجمة .

رقم الترجمة (٣٤٢٥)

الشيخ **مسافع بن عبدالله الأكبر بن شيبة بن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي الحجبي المكي :**

روى عن عمته **صفية بنت شيبة** ، **ومعاوية** ، **والحسن** ، **عبدالله بن عمرو** ، وغيرهم .

روى عنه ابن عمته **منصور بن صفية** ، **وابن ابن عمه مصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان** ، **وأبو يحيى رجاء** ، **والزهري** ، **والمثنى بن الصباح ـــ وجويرية بن أسماء** وغيرهم .

روى له (**مسلم**) ، **والترمذى** ، **وأبو داود** ثلاثة أحاديث ، قال **عبدالله العجلي** (مكي) تابعي ، **فقه**، ووثقه غيره .

رقم الترجمة (٣٤٢٦)

الشيـــخ **مسافـــع بن عبدالـــرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالله بن مسافع بن عبدالله بن شيبة بن عثمان بن طلحة بن** (**أيبك**) الحجبي المكي ، روى عن **بشير بن السري** .

وروى عنه (**الأزرقي**) في كتابه (أخبار مكة) خبراً ... ونصه : « حدثني **مسافع بن عبدالرحمن الحجبي** قال : لما بويع بمكة **لمحمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه ، في الفتنة في سنة مئتين حين ظهرت (المبيضة) بمكة ، أرسل إلى الحجبة (يتسلف) منهم من مال الكعبة خمسة آلاف دينار ، وقال : نستعين بها على أمرنا ، فإذا أفاء الله علينا رددناه في مال الكعبة ، فدفعوا إليه وكتبوا عليه بذلك كتاباً ... وأشهدوا (فيه شهوداً ، فلما خلع نفسه ، ورفع إلى أمير المؤمنين تقدم الحجبة واستعدوا) عليه (**المأمون**) ، فقضاهم أمير المؤمنين عن **محمد بن جعفر** خمسة آلاف دينار ، وكتب لهم بها إلى إسحاق بن العباس بن محمد وهو وال على اليمن ،**فقبضها الحجبة وردوها** في خزانة الكعبة » .

وقال **الأزرقي** : « حدثني **مسافع بن عبدالرحمن الحجبي** .. حدثنا **بشر بن السري** عن **أيمن بن نابل** قال : رقدت في الحجر .. فركضني **سعيد بن جبير** ، وقال : **مثلك يرقد في هذا** المكان ؟ » . أنتهى .

رقم الترجمة (٣٤٦٣)

الشيخ **مصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي الحجبي المكي :**

روى عن عمته **صفية بنت شيبة** ، وابن أخيها **مسافع بن عبدالله الأكبر بن شيبة** ، **وطلق بن حبيب** .

روى عنه **عبد الملك بن عمير** ، **وزكريا بن أبي زائدة** ، **وابن جريج** ، **ومسعر** ، وآخرون .

روى له أصحاب السنن ، وقال **أحمد** : روى **مناكير** ، وقال **ابن معين** : ثقة ، وقال **أبو حاتم** : ليس بالقوي ، وقال **النسائي** : منكر الحديث .

رقم الترجمة (٣٥٢٣)

الشيخ **منصور بن عبدالرحمن بن طلحة بن الحارث بن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري الحجبي ـــ المكي :**

روى عن أمه صفية بنت شيبة ، وخاله **مسافع بن شيبة** ، **وسعيد بن جبير** ، **وأبي معبة** ـــ بفتح الميم وسكون العين المهملة بعدها هاء ساكنة ـــ **مولى ابن عباس** ، وغيرهم .

روى عنه : **ابن جريج** ، **والسفيانان** ، **ووهيب بن خالد** ، **وزهير بن معاوية** ، **وزهير بن محمد التيمي** ، **وداود بن عبدالرحمن العطار** ، وغيرهم .

روى له الجماعة **إلاّ الترمذي** ، قال **الأشرم** : سئل عنه **أحمد بن حنبل** فأحسن الثناء عليه ، وقال : كان **ابن عيينة** يثني عليه ، وقال **ابن عيينة** : كان يبكر وقت كل صلاة ، فكانوا يرون أنه يذكر الموت والقيامة عند كل صلاة ، وقال **أبو حاتم** : صالح الحديث ، وقال **ابن سعد** ، **والنسائي** وغيرهما : ثقة ، وقال **محمد بن سعد** ، عن **هشام بن محمد بن السائب الكلبي** : رأيت **منصور بن عبدالرحمن** في زمن **خالد بن عبدالله** يحجب البيت وهو شيخ كبير ، وقال **الذهبي** : قيل مات سنة سبع أو سنة ثمان وثلاثين ومائة .

رقم الترجمة (٣٦٩٩)

الشيخ **يحيى بن عبدالرحمن بن بركات الشيبي العبدري .**

أحد حجبة الكعبة ـــ ما عرفت من حاله سوى أنه توفي يوم السبت النصف من رمضان سنة سبعين وأربعمائة بمكة ـــ ودفن بالمعلاة ، ومن حجر قبره نقلت وفاته ونسبه .

رقم الترجمة (٣٧٠٤)

الشيخ **يحيى بن علي بن بحير بن محمد بن أحمد القرشي العبدري** الحجبي ، شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة .

أجاز له في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة من دمشق ، القاضي **سليمان بن حمزة وجماعة** من شيوخ **ابن خليل** ، **باستدعائه** ، وسمع بمكة علي **أبي مجد عبدالله بن موسى الزواوي** : « الأحاديث والآثار السباعية والثمانية ـــ بضم الثاء المثلثة وتشديد الياء ـــ تخريج **ابن الظاهري** ، **لمؤنسة خاتون بنت العادل** » عنها .

ووجدت بخط الفقيه **جمال الدين محمد بن علي بن محمد بن أبي بكر الشيبي المكي** وهو ابن **ابنة يحيى** هذا ، ولي السدانة ـــ يعني فتح الكعبة ـــ بعد **غانم بن يوسف الشيبي** المتقدم ذكره .

وتوفي سنة إحدى وأربعين ، أو إثنين وأربعين وسبعمائة ، وذكر لي غير واحد نحو ما وجدت بخطه ، ومن خطه نقلت : **محمد بن أحمد في نسبه** (**بحير**) ولم أر ذلك بخط غيره . وقد تقدم ضبط « **بحير** » في ترجمة أبيه **علي** .. (أي بفتح الباء ـــ لا بضمها) .

رقم الترجمة (٣٧١٤)

الشيخ **يحيى بن موسى بن محمد الحجبي** يكنى : **أبا الحسن .**

هكذا وجدته في حجر قبره بالمعلاة ، وترجم **فيه « بالشيخ الصالح » وفيه أنه توفي ثاني عشر** جمادي الأولى سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

رقم الترجمة (٣٧٧١)

الشيخ **يوسف بن أبي راجح محمد بن إدريس بن غانم بن مفرج العبدري الشيبي المكي** .

شيخ الحجبة — وفاتح الكعبة — ولي ذلك بعد **محمد بن أبي بكر الشيبي** حتى مات في سادس عشر رمضان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة .. وكانت مدة مباشرته ستة أعوام إلا يسيرا .

أحمد بن إبراهيم الغزاوي

(٨٧١) ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى

أهدى **إليّ** ، حضرة صاحب الفضيلة العلامة الجليل السلفي النبيل الشيخ **محمد حسين نصيف** أمد الله في حياته الكريمة — وذلك بعد عودته المباركة من رحلته الميمونة إلى **(تركيا)** و **(لبنان) في هذا الصيف ١٣٨٨ مجلداً** متوسط الحجم — مطبوعاً بمطبعة (الجمعية التاريخية التركية بأنقرة ١٩٦٧م) هو ديوان **(قيس بن الملوح مجنون ليلى)** . وهو أنيق الطبع جميل الترتيب والتبويب . وقد حققته وقدمت له بدراسة نقدية في حياة الشاعر وديوانه الدكتورة **(شوقية أنالجق)** أُستاذة اللغة العربية بجامعة أنقرة .. ويقع الديوان في ١١٠ صفحة بالعربية ، وهو مفهرس وفي حلة قشيبة .. وملحق به كلمة الدكتورة باللغة التركية المكتوبة بالحروف اللاتينية .

ومما قرأته في أوله قول قيس .. عفى الله عنه :

ذكرتك — والحجيج لهم ضجيج (بمكة) والقلوب لها وجيب

فقلت — ونحن في بلد حرام به لله أخلصت القلوب

أتوب إليك يا رحمن مما عملت ، فقد تظاهرت الذنوب

فأما من هوى ليلى .. وتركي زيارتها ! فإني — لا أتوب !

فكيف وعندها قلبي رهين أتوب إليك منها أو أنيب ؟!

قلت : ومع أن كل ما في الديوان شائق فائق .. ومتخير ، ورائق .. إلا أن أهم ما يلفت النظر ويوجب الإكبار والتقدير والإعجاب ، هو اهتمام الدكتورة المشار إليها بهذا الديوان العربي .. ودراسته ونقده .. وما ذلك بالغريب على بلاد إسلامية طالما برز منها العلماء الفطاحل خلال قرون عديدة . وكانت من أعظم مصادر الحضارة الإسلامية ، وما تزال مكتباتها زاخرة بالتراث العربي والإسلامي الذي تشد إليه الرحال .. وتحلق الطائرات .. وكم لها من مآثر ومفاخر خالدات في مجالات الحرب والسياسة ، والعلم والأدب .. وشواهدها ما برحت ماثلة .. في حواضرها الكبرى ومدنها الجميلة .. وإنها لبشرى أزفها لرواد الأدب العربي وشداته في جميع الأقطار العربية من المحيط إلى الخليج أن تعني جامعة (أنقرة) بتراثنا الأدبي الرائع .. ويتصدى لدرسه وتحقيقه وطبعه ونشره .. ذوات الفضل والتخصص من عقيلاتها والمصونات ، وأن تدرسه فيها الطالبات الناشئات ، منقحاً مصححاً سليماً من الشوائب والتطبيعات ، فإن ذلك — وفي زماننا هذا — دليل على خلود الصلات الوثيقة بين

الأمة العربية وجميع من آمنوا بالله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه في مختلف بقاع الأرض .

وعسى أن تتاح الفرصة قريباً لطالباتنا المتخصصات لرد الجميل وشكران الصنيع بترجمة وتعريب ما كتب باللغة التركية المهذبة في مختلف العلوم والفنون إن شاء الله فإن وشائج الصلات لأقوى من أن يعتريها الوهن على مر الحقب والعصور بين من حملوا لواء الإسلام خفاقاً إلى قلب أوروبا .. منذ قرون طويلة ! فحيا الله الدكتورة (**شوقية**) وأترابها واخوتنا في التوحيد والإيمان من الشعب التركي المكافح المحافظ على دينه القويم وسبيله المستقيم .

وأختم هذه الشذرة بقول قيس بن الملوح :

راوحوا يصيدون الظباء ، وانني
لأرى تصيدها علي حراما
أشبهن منك سوالفاً ومدامعا
فأرى علي لها بذاك ذماما
أعزز علي بأن أروع شبيهها
أو أن يذقن على يدي حماما !

وأزجي الشكر مضاعفاً لفضيلة الشيخ **محمد نصيف** الذي لم يأل جهداً في نشر العلم والأدب .. وتوثيق العلاقات الروحية والأدبية والعلمية مع كل بلد إسلامي عريق ، أطال الله عمره ، وأحسن جزاءه على ما يبذل في سبيله من جهاد متواصل منذ نشأته المباركة .. والله لا يضيع أجر المحسنين .

٨٧٢ الخليفة (المهدي) العباسي وسادن الكعبة الشيبي

روى التاريخ قصة ذات مغزى رائع عظيم . وهي أن **الخليفة المهدي العباسي** دخل الكعبة مع **الشيبي** في عهده وبعد أن أدى الصلاة المسنونة فيها : توجه إلى السادن الكبير وقال له : سل مني ما تشاء ! فقال : اعفني من هذا فإننا في (بيت الله) — ولا يسأل فيه سواه ، وإذا طلبت فإنما أطلب من أنت تطلب منه جل وعلا أو بما هذا معناه . وقد حدثني فضيلة الشيخ **أمين الشيبي** سادن الكعبة الأول في عهدنا هذا أن خديوي مصر « سعيد باشا » كان قد جاء إلى الحجاز بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري .. وأقام فيه مدة .. تنقل فيها بين مكة والطائف والمدينة المنورة . وذلك قبل أن يتولى منصب الخديوية ... وكان صديقاً حميماً للشيخ — **الشيبي** — ووثيق الصلة به ، وقد تم الاجتماع والزيارة له . قال : فلما جاءه نبأ اعتلائه أريكة الخديوية .. دخل إلى الكعبة شاكراً لله ومعه صديقه (**الشيخ الشيبي**) فألتفت إليه وقال له كما قال المهدي: تمن ما شئت ! لأحققه لك حالاً ، فأجابه بأنك لو قلت هذا خارج (الكعبة) المشرفة فعسى أن أطلب منك ما أريد ! أما ونحن هنا جميعاً نطلب من الله العلي الأعلى فلا يمكن أن أجعل غير الله .. في هذا المكان .. محل رجاء أو أمل أو طلب ! فأعجب به وأكبره وقدره ... وزاد في إجلاله له وإكباره .

٨٧٣ (الشيبي) في الأندلس

قال **الحميدي** سنة ٤٨٨هـ .. في كتابه (جذوة المقتبس) .. « حدثنا الرئيس **أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب** قال : كنت في سن المراهقة (بتدمير) .. أول طلبي للنحو ، إذ دخل علينا ـــ على البحر ـــ رجل أسمر ، ذكر أنه من (**بني شيبة**) حجبة البيت ، وأنه يقول الشعر على طبعه ، ولا يقرأ ولا يكتب ... وكان يقول ، انه دخل عليه اللحن بدخول الحضر . وكان يسأل أديبنا ـــ أن يصلح له اللحن .. ويسألني كثيراً أن أكتب أشعاره بمدائح القائد ووجوه البلد ، فما بقي في حفظي من شعره :

يا خليلي من دون كل خليل
لا تلمني على البكاء ، والعويل

إن لي مهجة تكنفها الشوق
وعيناً قد وكلت بالهمول

كلما غردت هتوف العشايا
والضحى ، هيجت كمين غليل

ذات فرخين في ذرى أثلاث
هدلات غضف الذوائب ميل

لم يغيبا عن عينها ، وهي تبكي
حذر البين ـــ والفراق المديل

أنا أولى ، لغربتي ، وانتزاحي
واشتياقي منها بطول العويل

حل أهلي بالأبطحين وأصبحـ
ـــت مع الشمس عند وقت الأفول

قلت : فهذا شاعر من **بني شيبة** .. قبل ألف سنة خلت تقريباً ينعي اللحن على الحواضر ! ويقول الشعر بالفطرة .. ويتشوق إلى أهله بالأبطحين .. ويحسن ما شاء له الحس المرهف والبيان الموجز .. والوصف المطرب في الأبيات التي دونت له عبر التواريخ .. وكأني ـــ به وقد جمع شعره في ديوان ـــ ثم عصف به الزمان .. كأمثاله .. من ذوي المواهب .. وأن له لأتراباً أو اخواناً أو أبناء عمومة نزحوا إلى الأندلس وإلى المغرب وإلى غيرهما من الآفاق .. وكلهم .. أو جلهم يتمتع بميزات علمية أو أدبية .. وددت لو جمعت في كتاب وهي أمنية .. أرجو أن تتحقق بإذن الله .. فإن (بيت السدانة) أو « سدنة البيت » جدير بهم أن يتصل حاضرهم بماضيهم في كل ما دق وجل ، من المآثر والمكارم فهم (عنوان أهل مكة) وفي الصميم من أماجدها وأجوادها .

٨٧٤ الشيخ أبو السعود الشيبي ٩٣١ هـ

روى صاحب الدرر المنظمة ـــ المولود سنة ٨٨٠هـ ـــ والذي أورد أخبار مكة المكرمة فيه إلى سنة ٩٧٦هـ ..أن فاتح بيت الله الحرام في سنة ٩٣١هـ هو **الشيخ أبو السعود الشيبي** ، وذكر خلافه مع من أرادوا ترميم سقف الكعبة المشرفة ومنهم (**قطب الدين النهروالى**) الذي كان آنئذ (مفتي الحجيج) كما سماه ووصفه .. وهو صاحب تاريخ مكة المعروف .

٨٧٥ أمير مكة - الشريف حسن ابن أبي نمي ٩٩٦ هـ

والسادن الأول الشيخ عبد الرزاق الشيبي

« ذكر السيد **محمد مدني المعروف** بكبريت : أنه دخل الشيخ **عبدالرزاق الشيبي** على الشريف **حسن بن أبي نمي** أمير مكة عام ٩٩٦هـ يستأذنه في السفر إلى الهند ، فأنشده الشريف بيت الطغرائي :

فيم إقتحامك لج البحر تركبه
وأنت تكفيك منه مصة الوشل ؟!

فأجابه الشيخ **الشيبي** من نفس أبيات **لامية الطغرائي** ، بقوله :

أريد بسطة كف أستعين بها
على قضاء حقوق للعلى قبلي !

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة نفسها حيث لم يكن مذكوراً عقب البيت الذي ذكره الشريف قال : فأمر له بألف دينار .

قلت : وهذا ما يدل على أن الأوائل ــ رحمهم الله ــ كانوا على درجة كبيرة من الإحاطة بالأدب العربي .. والاستدلال به عند اللزوم .. وليس كما يتصور البعض من المتأخرين ، بل ومنهم من كان صاحب شعر رائع ، وإنتاج كبير .. وطويت صفحاته مع وفاته ... و (**رب ملوم لا ذنب له**) !

٨٧٦ سرقة مفتاح الكعبة

٩٩٦هـ

« .. وفي أيام أمارة الشريف **حسن بن أبي نمي فقد مفتاح الكعبة ، وذلك أن الشيخ عبدالواحد الشيبي** فتح الكعبة في رمضان على جاري العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة وهو مصفح بالذهب ــ فوقعت الضجة وأُغلقت أبواب الحرم وفتشت الناس فلم يظفروا به ــ ثم وجده (**سنان باشا**) باليمن مع رجل أعجمي فأخذه وقرره وكبس داره .. فوجد عنده غير المفتاح كثيراً من السرقات أقر بها فقطع رأسه وأرسل المفتاح إلى الشيخ **عبدالواحد الشيبي** . »

قلت : ومن القصة نعلم أن الناس منذ ذلك الحين وقبله يطلقون على المسجد : (الحرم) . وعلى المباغتة في التفتيش (الكبسة) ! وشتان بين كبسة التهمة .. (وكبسة الرز والتخمة) ثم غلق أبواب الحرم .. للبحث عن السارق وتفتيش من في داخل المسجد ، ثم التعقيب في الأمصار والأقطار ... قبل أن تيسر وسائل المواصلات والبرق والهاتف ! والسهر على البحث والعثور على المسروقات .. وإعادتها .. بعد انقطاع الأمل من الحصول عليها ، ونحمد الله تعالى أنه ما من حاج يفقد ــ تمره أو كيسه ــ أو أي شي من متاعه .. في هذا العصر السعودي الزاهر .. إلا ويجده حاضراً عند المسؤولين عن الأمن .. قبل أن يعود إلى منزله ، وهي نعمة كبرى نسأله تعالى دوامها .

٨٧٧ الشيخ عبدالله بن محمد زين العابدين الشيبي

١٢٧٠هـ

جاء في كتاب « سير وتراجم ــ بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة » لمؤلفه الشيخ **عمر عبدالجبار** : ترجمة للشيخ **عبدالله بن محمد زين العابدين** قال فيها : « يتصل نسبه بعثمان بن طلحة الذي سلمه النبي ﷺ (مفتاح الكعبة) وقال له : خذوها **يا بني شيبة** خالدة تالدة ، فبقيت السدانة في ذريتهم إلى هذا العهد ، ولد رحمه الله بمكة المكرمة وأخذ العلم عن علماء المسجد الحرام . وتولى حجابة البيت عام ١٢٧٠هـ بعد وفاة أخيه الشيخ **أحمد الشيبي** . وكان رحمه الله يحب العلماء والفقهاء وأهل الورع والصلاح ويتقرب منهم . وكان كثير الذكر وتلاوة القرآن والمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة بالمسجد الحرام . وكان ملجأ الضعيف ونصير المظلوم حتى أحبه الجميع توفى عام ١٢٩٦هـ رحمه الله » .

قلت : فهذا الشيخ **عبدالله بن** الشيخ **محمد زين العابدين** ، لم ندركه ، وإنما أدركنا سميه الشيخ **عبدالله ابن الشيخ عبدالقادر الشيبي** الذي تولى السدانة بعد وفاة والده المشار إليه عام ١٣٥٠ مشاركة مع ابن عمه الشيخ **محمد صالح الشيبي** رحمه الله . وكان صاحب أخلاق كريمة وحلم وتواضع وتعبد وتهجد ووفاء وسخاء ، وملازماً للطواف وصلاة الجماعة في جميع الأوقات وقد تولى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة ، ورئاسة هيئة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين ونيابة رئاسة مجلس الشورى ، وتوفاه الله بمدينة الطائف عام ١٣٧١هـ .. ودفن بها وله من الأولاد النجباء ستة هم : « السادن الأول : فضيلة الشيخ **أمين الشيبي** ، **والشيخ طلحة** ، **والشيخ عاصم** ، **والشيخ زيني** ، **والشيخ سراج** ، **والشيخ عبدالعزيز** ، بارك الله فيهم وفي ذراريهم وجعلهم خير خلف لخير سلف .

وقد توفى منهم الشيخ **زيني** في طريق المدينة المنورة قبل أعوام قريبة .. في حادث صدام سيارته رحمه الله وله خلف مبارك .

٨٧٨ نسب بني شيبة المعاصرين

الشيخ محمد الأمين ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ زين العابدين ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالمعطي (تولى السدانة عام ١١٠٤هـ) **ابن الشيخ عبدالواحد** (تولى السدانة عام ١١٨٠هـ) **ابن الشيخ محمد جمال الدين ابن الشيخ القاسم ابن الشيخ أبي السعود ابن الشيخ بكر فخر الدين ابن الشيخ محمد جمال الدين** (تولى السدانة عام ٧٤٩هـ) **ابن الشيخ عمر ابن الشيخ سراج الدين ابن الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ غانم ابن الشيخ محمد ابن الشيخ مفرج ابن الشيخ محمد ابن الشيخ يحيى ابن الشيخ عبيدة ابن الشيخ حمزة ابن الشيخ بركات ابن الشيخ شيبة ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ شعيب ابن الشيخ جبير ابن الشيخ شيبة ابن الشيخ عثمان . ابن الشيخ أبي طلحة عبدالله بن عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالقادر ، قصي القرشي .**

ويجب أن لا يؤخذ من تسلسل هذا النسب إلى قصي أن كل من ذكر فيه من الآباء والأجداد الوارد ذكرهم فيه ، أنه تولى السدانة . بل أن هذا البيان إنما يعني مسلسلة نسب « الفاتح الحالي » سواء منهم من تولى السدانة أم لم يتولها مطلقاً فإن هذا شيء والمتولون للسدانة في عصور مختلفة شيء آخر .

فمثلًا هذا السادن الأول الشيخ محمد بن محمد صالح الشيبي قد تولى السدانة فعلاً ولكنه غير مذكور في جدول نسب السادن الحالي . لأنه من بني عمومة أبيه وليس من أُصوله وهكذا .. فلا يفهم من هذا التسلسل إن كل من مر ذكره كان سادناً ، على أن منهم من تولى السدانة فعلاً ، ولذلك حديث وبيان آخر ، نرجو أن يوفقنا الله إليه مستقبلاً .

٨٧٩ سدنة الكعبة المشرفة الشيبيون

في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري

(الطبقة الأولى) :

١ ــ **الشيخ زين العابدين بن محمد بن محمد بن عبدالمعطي الشيبي** ، توفي في أواخر القرن الثاني عشر هـ .

٢ ــ **الشيخ عبدالقادر الأول إبن زين العابدين ، وقد ولي السدانة بعد والده وتوفي عام ١٢١٠هـ عقيماً .**

٣ ــ **الشيخ محمد زين العابدين بن محمد بن عبدالمعطي الشيبي** ، **جد آل شيبة** المهاجرين ــ من ١٢١٠هـ ــ إلى ١٢٥٣هـ ، آلت إليه السدانة بعد وفاة **عبدالقادر الأول ابن عمه ، وتولاها ٤٣ سنة وكان عالماً فاضلاً وله رسالة في « مناسك الحج » على مذهب الإمام الشافعي** ، وتوفي سنة ١٢٥٣هـ ، وخلف من الذكور ستة أولاد هم : **عبدالقادر ، وسليمان وجعفر وأحمد وعبدالله وعلي** .

٤ ــ **الشيخ عبدالقادر الثاني بن محمد** ــ من عام ١٢٥٣ ــ إلى ١٢٦٠هـ .

٥ ــ **الشيخ سليمان بن محمد** ــ من عام ١٢٦٠هـ ــ إلى ١٢٦١هـ وتوفي ولم يمكث في الرئاسة إلا سنة واحدة .

٦ ــ **الشيخ جعفر بن محمد** ــ من عام ١٢٦١هـ ــ إلى ١٢٦٢هـ وتوفي في هذه السنة وبقى في السدانة عامين .

٧ ــ **الشيخ أحمد بن محمد** ــ من عام ١٢٦٢هـ ــ إلى ١٢٧٤هـ ، في مدة امارة **الشريف محمد بن عون** ، وبقي في السدانة ١٢ سنة ، وفي عهده بنيت « دار المفتاح » بالصفا بسعي الشيخ على أخيه ، وكانت خاصة بسكنى « رئيس السدنة » وقد غسل فيها بعد وفاته .

٨ ــ **الشيخ عبدالله بن محمد** ــ من عام ١٢٧٤ هـ ــ إلى ١٢٩٦ هـ ، وتوفي فيها ، وبقي في السدانة ٢٢ سنة ، وهو أول من سكن دار المفتاح بعد عمارتها . كما أنه آخر من تولى السدانة من أولاد الشيخ « **محمد بن زين العابدين الشيبي** » .

٩ ــ **الشيخ علي بن محمد زين العابدين** توفى في حياة أخيه الشيخ « عبد الله » ولم يتول رئاسة السدنة .

(**الطبقة الثانية**) :

أحفاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبي

١٠ ــ **الشيخ عمر بن جعفر بن محمد الشيبي** ــ من عام ١٢٩٦هـ إلى عام ١٣٠٤هـ وكان أكبر **آل الشيبي** سناً وله منصب السدانة بحكم الأكبرية . وكان غائباً في بلاد جاوا ، عند وفاة سلفه **الشيخ عبدالله** ، فأرسل إليه ابن عمه **الشيخ عبدالقادر** (الثالث) **ابن علي الشيبي** رسولاً خاصة يخبره الخبر ، فحضر وتولى أمر السدانة ثماني سنوات ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ وبقي في السدانة ثماني سنوات .

١١ ــ **الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الشيبي بن محمد زين العابدين** . وقد أخذ منه المفتاح أمير مكة « **الشريف عون الرفيق** » وعزل من السدانة الأولى بسبب خصومات سياسية **قامت** بين الوالي **عثمان نوري باشا والشريف عون** . وكان **الشيخ عبدالرحمن** ممن اشترك مع الوالي **ضد الشريف** ، وظفر عليهم من قبل السلطان **عبدالحميد العثماني** بعزل الوالي نفسه ونفى أخصامه وكل من اشترك في ذلك من المفاتي والأعيان ما عدا **الشيخ عبدالرحمن** ، فانه أكرمه بإقامته في « الهدة » بمزرعته ثمة إلى أن توفاه الله بها سنة ١٣٢٠هـ (ومدة رئاسته للسدانة ٨ سنوات) .

١٢ ــ **الشيخ محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبي** ــ من سنة ١٣١١هـ إلى ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ ، تولاها بعد عزل ابن عمه **الشيخ عبدالرحمن ــ وقد تولى رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الملك الحسين بن علي** سنة ١٣٣٥هـ وكانت ولادته عام ١٢٧١هـ ، وقدبلغ من العمر ٦٤ عاماً ، وبقى في السدانة ٢٤ عاماً .

١٣ ــ **الشيخ عبدالقادر** الثالث **ابن علي بن محمد الشيبي** ، من سنة ١٣٣٥هـ إلى عام ١٣٥١هـ ، وقد كان رئيساً لمجلس الشيوخ بعد وفاة ابن عمه **الشيخ محمد صالح** وبقي في السدانة ١٦ عاماً ، وكانت ولادته في منتصف عام ١٢٧١هـ وقد بلغ من العمر ثمانين عاماً ، وقد توفي بمكة المكرمة عام ١٣٥١هـ وقد تولى رئاسة مجلس الشيوخ في عصر الملك **حسين** أيضاً وبوفاته انتهت الطبقة الثانية من أحفاد **الشيخ محمد زين العابدين الشيبي** .

(**الطبقة الثالثة**) :

١٤ ــ **الشيخ محمد بن محمد صالح الشيبي بن أحمد بن محمد زين العابدين** ، من سنة ١٣٥١هـ إلى سنة ١٣٨٢هـ ــ وقد كان الرئيس الثاني للسدنة ــ ومدة رئاسته للسدنة ٣٣ سنة ، وقد توفي بالطائف بالسلامة في سنة ١٣٨٤هـ ودفن بها . وكان السادن الثاني معه **الشيخ عبدالله بن عبدالقادر** (الثالث) إلى أن توفاه الله بالطائف سنة ١٣٧١هـ وقد تولى كثيراً من مناصب الدولة ومنها منصب النائب الثاني لرئاسة مجلس الشورى الأول ، وكان رئيساً لهيئة المطالبة بأوقاف الحرمين ، ورئيس هيئة الإسعاف الوطني ، وقد منحه جلالة المغفور له الملك **عبدالعزيز** تغمده الله برضوانه مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى .

وهناك أشخاص من **آل الشيبي** لم يتولوا رئاسة السدنة وهم :

١ ــ **الشيخ زين العابدين بن عبدالله بن محمد الشيبي** ، توفي في بلاد المغرب سنة ١٣١٤هـ .

٢ ــ **الشيخ محمد سعيد بن عبدالله بن محمد الشيبي** ، توفي سنة ١٣٤٠هـ .

٣ ــ **الشيخ عبدالغني بن عبدالله بن محمد الشيبي** ، توفي سنة ١٣٤٢هـ .

٤ ــ **الشيخ جعفر بن عبد الرحمن بن عبدالله بن محمد الشيبي** ، توفي بالطائف سنة ١٣٤٧هـ .

٥ ــ **الشيخ حسن بن عبد القادر** (الثالث) **ابن علي الشيبي** ، توفي بالطائف سنة ١٣٤٣هـ .

(الطبقة الرابعة) :

١٥ ــ **الشيخ محمد أمين ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبدالقادر** (الثالث) **ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد زين العابدين الشيبي** ، المولود سنة ١٣٢٥ . وهو رئيس السدنة الآن في ربيع الثاني عام ١٣٨٨هـ . ويشغل منصب الرئاسة الثانية من سنة ١٣٨٤هـ معه في السدانة **الشيخ عمر ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ عبد الرحمن الشيبي** المولود عام ١٣٣١هـ . كما أن **الشيخ أمين** عضو بمجلس الشورى منذ وفاة والده المرحوم سنة ١٣٧١هـ حتى الآن عام ١٣٨٨هـ .

ومن الطبقة الرابعة أشقاء **الشيخ محمد أمين الشيبي** وهم :

١ ــ **الشيخ طه بن عبدالله الشيبي** المولود **سنة ١٣٣٣هـ .**

٢ ــ **الشيخ عاصم بن عبدالله الشيبي** المولود سنة ١٣٣٧هـ .

٣ ــ **الشيخ زين العابدين بن عبدالله** المولود سنة ١٣٣٩هـ

٤ ــ **الشيخ** سراج الدين **بن عبدالله** المولود سنة ١٣٤٤هـ .

٥ ــ **الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله** المولود سنة ١٣٤٨هـ .

والشيخ طلحة ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عبدالقادر الشيبي المولود سنة ١٣٤٠

وقد كان مستشاراً في التعليم وسبق له أن قام بمهمة التعليم عدة سنين حتى رقي إلى وظيفة المستشار .

والآن بأمر عال انتقل إلى رابطة العالم الإسلامي مستشاراً فيها .

الطبقة الخامسة :

١ ــ **الشيخ فيصل بن الشيخ أمين الشيبي** ، المولود في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٣هـ

٢ ــ **الشيخ عدنان ابن الشيخ أمين الشيبي** .

ــ أولاد **الشيخ عمر بن جعفر بن عبدالرحمن** ، **ومحمد سعيد ومحسن وخالد** .

ــ أولاد **الشيخ طلحة بن حسن بن عبدالقادر** .

ــ **عثمان وعبدالرحمن وسليمان وعبدالله وإبراهيم وزهير وناصر** .

ــ أولاد **الشيخ طه بن عبدالله بن عبدالقادر الشيبي** :

ــ **عبدالقادر وحسن وحسين وعبدالملك وعادل وممدوح وشرف** .

أولاد الشيخ **عاصم بن عبدالله** :

ــ **سعود ومحمد** .

ــ أولاد **الشيخ زيني بن عبدالله** المتوفي عام ١٣٨٣هـ :

ــ **صالح وعبدالوهاب وعبداللطيف وعبدالله ومصطفى وزيني** .

— أولاد الشيخ سراج بن عبدالله :
— عمر وفهد .
— أولاد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله :
— طلال وهشام ومروان وأحمد ونزار .

بارك الله فيهم أجمعين .

٨٨٠ اقتراح عسى أن يتحقق

.. أما بعد أن عمت المدارس والمعاهد والجامعات والبعثات .. وتوفر في كل بلد وقرية في أرجاء المملكة العربية السعودية المحروسة ، عدد ليس بالقليل من حملة الأقلام وأرباب البيان فإن من الخير أن يتدارك هؤلاء ما تطاول الزمن عليه بسبب الجهالة من قبل ، وأن يعني أهل كل إقليم وكل بلد — بل وكل قرية — في البادية والحاضرة ، بإصدار مؤلفات تجمع ما تفرق من تاريخها وعوائدها وتقاليدها ، وخرائطها وسكانها ، وتراجم رجالاتها البارزين من علماء وشعراء وأُدباء وذي مواهب ممتازة ، وقد بدأ بعضهم بذلك مشكورين .. إلا أن السير في هذا السبيل بطيء جداً .. والمنتظر أن يكون أكثر احتفالاً بذلك ، فما فيه من حرج ، ولا أراه إلا يسيراً على من يملكون سد هذا الفراغ ، وهم واجدون من إعانة الدولة ممثلة في (وزارة المعارف) و (وزارة الإعلام) كعهد الشعب كله بهما ، ما يأخذ بأيديهم إلى أداء هذا الواجب ، وانها لجديرة بالدعوة إليه والحض عليه ، ومكافأة المتصدين له ، بما يبعثهم على القيام به بصورة عامة شاملة لا تدع فراغاً في أي جانب من أنحاء المملكة الواسعة الأطراف .

ولعل أُستاذنا الكبير صاحب « المنهل » الأغر يحبذ هذا الإقتراح .

وقديماً قال الشاعر :

ولم أر في عيوب الناس نقصاً
كنقص القادرين على التمام (١)

والله ولي التوفيق .

٨٨١ الدعوة الى التشجير

ما زالت الأنباء تتوارد من جميع أقطار العالم بأن هناك (يوماً مشهوداً) تغرس فيه الأشجار — سواء أكانت للثمر أم الظل — أم الزينة .. يقوم الشباب والطلاب فيه بالحفر والبذر ، في شوارع المدن والقرى ، وسفوح الجبال وقممها .. وليس عسيراً على كل صاحب دار أو حتى كوخ ، أن يغرس بين يدي بابه شجرتين من (النيم) أو (البنسيان) ولا أقول « الكريز » ولا (شقائق النعمان) ، وأن يتولاهما بالسقيا والعناية والرعاية .. وما أرى ذلك إلا ضرورة في بلادنا ، التي تغلب فيها الحرارة ولا سيما في فصول الصيف ، أى نعم فصول ، لا فصل واحد ، فإن القيظ عندنا يستوعب أكثر أيام العام ، ولهذا يتضاعف الاهتمام بهذا الواجب ولا يضن بالمشاركة فيه الشيوخ .. والكهول .. وسأكون أول من يساهم في ذلك في حدود الطاقة والإمكان أما السقيا والتعهد فهما من واجبات الدوائر المسؤولة .. فإن زاد ذلك بأن شمل الورود والزهور .. فإن الجمهور — كله — يتسابق إليه ،

---

(١) (المنهل) : لا مراء ولا شبهة في أن هذا اقتراح يحمل كل معاني الوجاهة .. ففيه تسجيل وإحياء لما سيندثر ومعرفة لما سينسى ، وتوضيح لما سيخفى على الأجيال القادمة إن لم يتدارك الأمر ذووه ، على أنهم بحاجة ماسة إلى مزيد من التقدير والتشجيع المادي الذي يحفز الهمم وينشط الأفكار من عقلها (بضم العين والقاف) .

ويحرص عليه ، ولا عبرة بالشواذ ممن لا هم لهم إلا (إلقاء القاذروات) أو تشويه الحدائق ، فما هم إلا قلة يردعها الذوق العام ولو بعد أعوام .. وعلى ذوي الشأن أن يحددوا من كل عام يوماً أو يومين للغرس والبذر حتى في السهول والجبال .

فما لم يروه الماء الأرضي فإن السماء تسقيه برحمة الله ورضوانه وإحسانه .

قال تعالى : ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ .

٨٨٢ نبوغ لا مكابرة فيه في تطور العمران

أدركنا البناء في بلادنا يتكون من الحجر والنورة والطبقان والقندل والدوم والعرعر والخشب الجادي ، ثم تطور إلى « المسلح والإسمنت » فإذا بالطوائف التي كانت تحترف هذه المهنة خلال قرون عديدة تتحول كلها كباراً وصغاراً إلى الطراز الجديد في سنوات قليلة .. وليس ذلك فقط .. بل برع فيه عدد عظيم من أهل الوبر .. وصميم البادية ، فأنشئت عمارات كبيرة وكثيرة من عملهم وهندستهم .. ولا شك أنهم اقتبسوا الأصول والفروع من أهلها الغرباء الذين يبزونهم حذقاً وفطنة وتجويداً ، أو إجادة وتجديداً .. فما تكاد تجد اليوم من يرضى بأن يكون من الطاقم القديم فقط ، بل ربما جمع إليه الجديد ، وأحسن فيهما معاً ..

إلا أن الملحوظ عدم وجود « **معهد فني** » يتدرب فيه أهل هذه الحرفة وما يلحق بها من (**بياض**) وزخرف .. وما يسبقها من خرائط فنية هندسية .

أفلا يستحسن أن ينشأ هذا المعهد في كل مدينة كبرى على الأقل ، يدرس فيه أهل هذه الحرفة أصولها درساً كاملاً يهذب ويسدد نبوغهم وذكاءهم وفطرتهم حتى لا يؤخذ عليهم أي نقص أو ارتجال أو إخلال ؟

الحق أن ذلك من مقتضيات النهضة العمرانية الحديثة المتطورة .

ولا بأس من انقضاء بعض الوقت إلى أن يتمكنوا من القيام بذلك منفردين وبإرشاد وتوجيه مهندسينا المتخرجين :

والبيت لا يبتني إلا له عمد
ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

٨٨٣ اكتشاف أدبي جديد « اللاذ » هو « اللاس »

تسلمت صباح يوم الأربعاء ١٧ رجب ١٣٨٧هـ رسالة رقيقة من سعادة الأديب الكبير أخي الكريم الأستاذ **عبد العزيز الرفاعي** ، في (**الطائف**) **مؤرخة في ١٦ منه** ، وقد اغتبطت بها كثيراً ، وزادني نشوة بها ما تضمنته من اكتشاف أدبي جديد .. قد لا يهتم به الكثيرون ، ما عدانا نحن الذين أغرموا بأمثال هذه (الكلمات) نعيد بها ما اصطلح عليه أهل زماننا إلى أصول صحيحة طرأ عليها بعض التطوير أو التحوير .

قال سيادته : « أنه بينما كان يطالع في الجزء السادس من (وفيات الأعيان) طبعة دار المأمون في ترجمة « **ظافر الحداد الأسكندري** » ص ٣٥٤ — وقف في قصيدة ذالية جميلة مطلعها :

لو كان بالصبر الجميل ملاذه
ماسح وابل دمعه ، ورذاذه
رفقاً بجسمك لا يذوب فإنني
أخشى بأن يحنو عليه « لاذه »

وقال الشارح في الهامش : « إن اللاذ ثوب حرير أحمر » .

واستطرد سعادة الأستاذ **عبد العزيز يقول** : « **فخطر لي أن اللاذ هنا هو « اللاس » فهو عندنا حرير .. أو يدخله الحرير الصناعي .. وهو إن لم يكن أحمر فهو أبيض يضرب إلى الحمرة شيئاً ما .. فهل هذا ذاك ؟.. » اهـ** .

قلت : ووقفت من هذه الرسالة ومحتواها موقف التقدير والاحترام لاكتشاف الأستاذ هذا الأصل الذي لا ريب في أنه أصل لكلمة « اللاس » فما تبدل منه إلا الذال بالسين ، وأحسب أن الاهتمام بأمثال هذه الأصول .. وتصحيح ما طرأ عليها من تحريف لا يدخل في باب الترفيه والتفكيه فقط بل يعيد الأمور إلى نصابها .. ولو ذهبنا نتعمق في كثير من الكلمات المتداولة لوجدنا لها جذوراً راسخة لا يتبينها إلا الألمعي الذكي .

فشكراً للأستاذ **الرفاعي** على هديته الثمينة وقد تمادى بي ، العهد منذ أيام الصبا حتى الآن على استعمال أو ارتداء هذا « اللاذ » أو « اللاس » .

وقد ختم الأستاذ رسالته بما اعتاد القراء من ظرفه ولطفه فقال : « .. ومن العجب أن هذا الشاعر الحداد لم يكتف بتطويع الحديد .. فعمد إلى القوافي الصعبة .. وهي أصلب من الحديد ، فمضى يطوعها في سلاسة ويسر .. وكأنما هو « داود » عليه السلام .

ومرة ثانية .. شكراً لسعادته واستزادة من اكتشافاته المخبوءة وثمراته الشهية .. وليحذر الذين يعوزهم الصبر الجميل ، أن يحنو عليهم « اللاذ » الصقيل .

٨٨٤ ماهو البازان ؟

تعارف الناس في مدن الحجاز عامة .. وفي **مكة خاصة على تسمية (موارد المياه)** بالبازانات : جمع بازان أي مورد ماء !.. وإلى عهد استعمال القرب على الظهور .. كان هذا متداولاً ولم أعرف لذلك سبب لغوي .. فهو (مورد) أو (منهل) .. أما (البازان) .. فلا ريب أن لها سراً ..

ووجدته ! **فقد جاء في كتاب « بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين السيدة زبيدة أم الأمين » تأليف العلامة مفتي الشافعية** بمكة المكرمة المرحوم السيد **عبدالله الزواوي** ـ وقد ألفه عام ١٣٣٠هـ .. قوله وهو يتحدث عمن عمر هذه العين منذ أنشئت إلى عصره :

« ومنهم **مظفر الدين** صاحب (اربل) عمرها سنة ٥٩٤هـ ثم المستنصر العباسي سنة ٦٠٥هـ ثم الأمير **جوبان** نائب السلطنة بالعراقين ، أرسل الأمير (بازان) بخمسين ألف دينار فعمرها سنة ٧٢٦هـ » اهـ .

قلت : فمن هنا أطلقت كلمة (بازان) على موارد عين **زبيدة** : وكشف الله الحجاب عن أصل استعماله فما سواه فيما أعلم الآن من سبب والله أعلم .

وقد اندرست مع مسماها بعد أن أنعم الله بالماء الوفير . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

٨٨٥ ضحايا البوتاجاز

تكررت أحداث الاحتراق في الدور والمنازل « بجهاز البوتاجاز » .. صغيراً كان أو كبيراً .. نتيجة الجهل باستعماله . والتهاون بخطره وتعددت ضحاياه .. ولا بد لايقافها من بذل النصيحة وإعلان طرق الاستعمال والوقاية .. والتحذير .. مدونة في رسالة مبسطة تباع في كل جهاز وذلك سهل . وممكن وضروري « **والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين** » .

تعالى الله ، رب الناس ، ماذا ؟
لقينا .. من بلايا « البوتاجاز »
لنا في كل يوم منه .. بأس
وبؤس ! لا يغب من (الجهاز)
فكم من (غادة) رود ، وطفل
غرير ، منه قد أصلى بغاز
(ثوان) لا تعد ! وللمنايا
ضحاياه تتابع في لزاز

تجارب كلها (عون) تحذى
وابكار .. برغم الاحتراز
ليطهي فوق جذوته (طعام)
ويقلوه التهيؤ « للتعازي »
كذلك أصبحت ، ناراً ونوراً
(حضارتنا) وكم منها (روازي)
وكان لنا غناء .. قبل حين
بأضغاث (الغضا) و(الخازباز) (١)
ولكن لا سبيل إليه .. إلا
إذا اسطاع (القطا) صيد البوازي

(١) أي بما هو من قبيل : (سكسك له ولا تلعطه) .

٨٨٦ هال وهب

قال **مسكين الدرامي** ــ وكان من شعراء الأمويين في القرن الأول :

لا تلمها انها من نسوة
صخبات ملحها فوق الركب
كشموس الخيل يبدو شغبها
كلما قيل لها (هال) و(هب) !

قلت : ومحل الشاهد هو هذا الذي يزيد من شغب الشموس من الخيل وهو ما يقال لها : (هال ، وهب) .. فهلا يزال هذا الزجر أو النداء متداولاً حتى اليوم لدى الفرسان ؟! أم تطور ، بمرور الزمان ؟ ولا يملك الجواب على ذلك أو عنه إلا المصلون في هذا الميدان ، ولعل القراء يستفيدون إذا هم أفضلوا بالبيان !(١) أما كلمة (هب) إذا استنكروا شيئاً ؟! أو ضاقوا به وهي بدورها أخذت في الاختفاء فما كان أكثر سماعها إلا من الجمالة ، وعند شد الأحمال وزمن القوافل ؟!

٨٨٧ من أدب مكة القديم في القرن الثامن الهجري

قال التقي الفاسي في (عقده) : « أنشدني **الإمام أبو اليمن محمد بن أحمد بن إبراهيم الطبري** بقراءتي عليه بالحرم الشريف .

(١) (المنهل) : عبارة (هيل هيب) بفتح الهاء الأولى بإمالة وسكون الياء بعدها لام مكسورة بخفة فهاء مضمومة فباء مشدودة ساكنة ــ هذه العبارة لا يزال البحريون بمصر والحجاز يستعملونها عند إرادتهم مزيداً من السرعة والاهتمام فيما ينقلون أو يرفعون أو يخفضون .

قلت : له أنشدك الحافظ **علم الدين القاسم بن محمد البرزالي** إجازة أن خطيب مكة **بهاء الدين محمد بن عبدالله بن المحب الطبري** أنشده لنفسه بمنزله بمكة في يوم الجمعة السادس عشر من الحجة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هـ ، فقال :

أراني اليوم للأحباب شاك
وقدماً كنت للأحباب شاكر
ومالي منهمو أصبحت باك
أباكر بالمدامع كل باكر
نهاري لا يزال القلب ساه
وليلي لا يزال الطرف ساهر
أذاقوني عناداً طعم صاب
وقالوا : كن على الهجران صابر
وها قلبي إلى الأحباب صاغ
يميل إلى رضاهم وهو صاغر
أحن إلى لقاهم كل عام
وأرجو وصلهم في (شعب عامر)
أُهيل الجود مقصد كل حاج
وليس لهم عن الأحباب حاجر
سقى ربعاً حواهم كل غاد
وصين جماهم من كل غادر

قلت : وما أردت بإيراده إلا عرض نموذج من أدب مكة في القرن الثامن الهجري .. فهذا التأنق في القافية ، وما يقابله في آخر الشطر الأول يدلنا على مبلغ تأثر أهل الأدب آنئذ بهذه المحسنات اللفظية .. ورواجها في بيئتهم ولولا قبولها والرضا عنها والإعجاب بها والإكبار لها ، لانصرفوا عنها إلى ما هو أجمل وأكمل ، وما ينبغي أن يعودوا إلى العصر الجاهلي ، ولا الأندلسي ، ولا ما قبلهما أو بعدهما ، أو بينهما ، فإن كل إناء بالذي فيه ينضح .. ولا لوم ولا تثريب ! رحمهم الله .

٨٨٨ ذكريات واقعة عمن كانوا فبانوا

أدركت أول نشأتي (بأم القرى) حماها الله ، رجالا من أصناف شتى من العلماء والصلحاء والادباء وغيرهم ، وكان منهم طائفة ــ خفاف الروح والظل ــ أذكر منهم هؤلاء :

الشيخ عمر فتنى : وكان لا يعجزه التمثيل ــ بشكل رائع مدهش .. **فإن** شئته بدويا ، أو حضريا ، أو هنديا ، أو تركيا .. **فإنه** يتقمص شخصية من يمثله بصورة لا تفترق عن **الأصل** بحال .

والشيخ صديق معوض ــ والهمشرى : وكلاهما كان من الوزن الثقيل واذا ما رآهما الناظر جزم بأنه لا يستطيع الحركة من ضخامة جسمه ! ولكنهما يتسابقان كما تنفر الظباء .. وقد زودتهما المقادير بطاقة عظيمة من الفكاهة والتأثير .. وما انقطعا لذلك اتكالا أو تواكلا .. بل كان كل منهما كادحا لا يقبل الدنية في معيشته ! ويعمل في خدمة الحجاج أيام المواسم .. ويشاركان (البشاك)[1] في خرجاتها إلى المنتزهات أيام البصارة .

والشيخ محجوب الصراف : وهو من أهل **محلة (أجياد) .. ويكاد المجلس الذى يجتمع به** يرقص طربا من رواياته وحكاياته . وكان موسرا **ويتخذ الصرافة مهنة له في (باب الوداع)** بمكة .. (رحمهم الله جميعا) .

(١) (المنهل) : البشاك بكسر الباء : عامية معناها الجماعات ومفردها : بشكة ، بفتح الباء .

والشيخ محمد علي بعلوله : ويلحق بهم في خفة الظل والنوادر والمفاكهات مع ميزة التمثيل أيضا .. وكان (طاهيا) ممتازا .. ولا يضمه مجلس إلاّ تعلق به .. واستأنس بوجوده . ويعد من نوادر الرجال في مسلكه ومروءته ، وهو من (أهل القرارة) رحمه الله .

والشيخ محمود الجنقى : وكان ، على فتوته و (**بشكلته**)[1] ! من فحول الرجال ، رزينا عاقلا . وقد منحه الله كثيرا من المزايا التى تحببه إلى الناس مع بشاشة وطلاقة وكرم ومروءة نادرة .. وله نفس الخصائص مع القبول والاستحسان .. وقد توفى هو يشغل مركز عمدة (**محلة القرارة**) **وكثيرا ما كان يتزعم** (**البشاك**) ويحوز على رضاء وامتنان معاشريه ومرافقيه .

والشيخ طاهر المغربى : وكان على نفس المغزى والاتجاه . وان صغرت سنه عن السابقين .. الا أنه بقيتهم — وهو من أهل (**محلة الشبيكة**) وكان تقليده لاخواننا الأفارقة وخاصة منهم أهل غرب افريقية : « التكارنة » أو التكروريين ، باعثا على الاستغراب والدهشة ! رحمه الله .

والشيخ أحمد دردوم : وهو من مشائخ الجاوى — **الأندونيسيين** ، ولكنه .. وقد شرب من زمزم .. كان تحفة في حركاته وسكناته وفكاهاته ومقالبه ومداعباته خاصة مع من يألفهم **من أهل وده ومحلته .. وكان يسكن في** (**محلة الشامية**) **رحمه الله** .

(١) (المنهل) : **البشكلة** : بفتح الباء وسكون الشين بعدها كاف مفتوحة كلمة عامية حجازية تؤدى معنى النشوة .

والشيخ عمر سمارن : ويكاد يكون تواما لأخيه الدردوم — ولا يتم سرور أهل القيلة[2] والسمرة **إلاّ** بهما ، ولا يحلان بجماعة **إلاّ** تجاوب الضحك من كل جانب بما لهما من بواعث السرور والانبساط والانشراح .. وهو من أهالى « **القشاشية** » **رحمه الله** .

وما أريد بهذا حصر الذين أوتوا الذكاء والفطنة والتأثير العظيم بهؤلاء فقط . وانما كانوا — بمثابة القدوة .. أو المتقدمين .. على سواهم في هذه المسالك — وان لم يسد فراغهم بعدهم أحد حتى الآن .. وانصرف النشء والشباب إلى ما هو خير وأجدى من العلوم والفنون الجادة النافعة .

وهناك رجال من أهل الفن والفكاهة .. اجتمعت بهم كثيرا .. وكانت لهم مواهب عجيبة .. وهم من سكان المصيف الجميل : (**الطائف**) . **وما سمعت منهم قط كلمة متفحشة** ولا نابية ولا ممن سلف ذكرهم قبلا فكلهم مهذب مؤدب ، ومنهم :

الشيخ سالم البوحى : وهو صاحب صوت حنون .. **لا أبالغ إن قلت أنه من الرقة والحنان** وبعد المدى يحقق ما يروى عن « **مسجح** » و « **ابن سريج** » و « **الفريض** » وكان **اختصاصه ما يسميه أهل بلادنا بـ** (**الفرعي**) ، و (**المجرور**) ! **على طريقة اخواننا بالوهط** والوهيط .. وما إليهما .. وكان أسود البشرة .. قوي البنية .. بسام الثغر .. لؤلؤى الثنايا ، متقدما في السن ! .. رحمه الله .

والشيخ عبد الرحمن الزامكة : وحدث عن البحر ولا حرج عن هذا الرجل الغريب

(٢) (المنهل) : القيلة بمعنى النزهة فى خارج البلد نهارا .

الاطوار .. فهو ما شئت رواية وحكاية ، ونادرة وبادرة ، وحركة وسكونا ، وتمثيلا .. حتى للحيوانات وأصواتها بما يكاد يكون خيالا ، قد أعاضنا الله عنه بالممثل العظيم الاستاذ البارع « **عبدالعزيز الهزاع** » بارك الله فيه وبلغه أمانيه .. وكان رياضيا بحيث يستطيع أن يطوى بدنه في أوضاع يعسر جدا تقليدها .. على غيره حتى من أعواد الخيزران !

وكان والده من علماء الطائف **الأفذاذ** ورآه مرة يشعل (سيجارة) في فمه بيده اليمنى .. ولكن من خلف رقبته حتى يصل بيده إلى موضع السيجارة من الفم ! فقال له أبوه : وايش يعنى ؟ هات أنا أسوى (زيك) وأحسن منك ! فناوله السيجارة والكبريت ، وباشر الاشعال كطريقة ولده .. وكان كث اللحية .. وافرها .. فما نشب الثقاب أن أشغل لحيته وكان موقف استدعى أهل النخوة إلى سرعة الاطفاء .. وفر **عبد الرحمن** من أبيه الذى كان يعدو وراءه بالعصا ! .. رحمهما الله .

والشيخ عبد الرحمن حلوانى : وكان من المطربين الممتازين .. وصاحب سجاحة وسماحة .. وخلق كريم .. رحمه الله .

والشيخ أمين بكر : ثم ابن اخيه أو عمه ، لا أدرى ــ **الشيخ حسن بكر** .. وكلاهما صاحب ولع بالطرب والغناء والمجرور . وكان أولهما .. من حداة (**الركوب**) أيام الزيارة بتقاليدها القديمة .. ويختص به أهل الطائف .. رحمهما الله .

والشيخ حسن بن صادق : وهو من الرجال **الأولين** .. صدقا ومودة ومروءة وتهذيبا .. ويشارك في الغناء والحداء .. على الطريقة اليمانية والحجازية القديمة .. رحمه الله .

والشيخ سليمان كشميرى : وهذا بدوره كان صورة حية للفتوة والانس والحبور .. ولا يكاد يرى عابسا .. وناهيك به مروءة ، وشهامة ، ولا يسمع بمحفل انس أو طرب إلاّ كان في صدره أو مقدمته .. مع حلاوة وطلاوة ! و (فراخة .. وشيطنة) ربما خفيت على كبار الأبالسة .. مع نية سليمة ومرح جبل عليه دون اصطناع ولا تكلف رحمه الله .

وقد عوض الله « **وجا** » أحسن العوض بمن جاء بعدهم من ذوى المواهب والملكات الفنية ، وكلهم بارع باتع رائع ، وحسبنا منهم ــ حبيب الفن والفنانين ــ الاستاذ **طارق عبدالحكيم** .

ومعذرة عزيزى القارىء الكريم ، إذا استطال حديثى عن هؤلاء الذين افتقدهم المجتمع الحديث .. فاننى أروى بذلك لهم حق التاريخ المغبون من جهة .. وأستذكر به (طاقات كبيرة .. كانت مقيدة محدودة وفي نطاق ضيق) ولو أنها بقيت .. إلى عصرنا هذا لرأى فيها جهاز « التلفزيون » غنية عن الكثير !

وكان الاقبال على مشاهدته مضاعفا ، ولا أغمط بهذا الافذاذ الموهوبين ممن تعرضهم « الشاشة » في مناظر ومشاهد جديرة بالتقدير .. وكلما زيدت تكريما وتقديرا وتشجيعا اتسع خطوهم .. ولمع انتاجهم .. وتمكن أثرهم وتأثيرهم في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها ، وفي كل مجال تربوى هادف !

وليصدقنى القارىء العزيز أننى اكتب هذه الشذرة وعينى تذرف مع كل حرف منها واختصرها وأوجزها ، وأرمز بها ، إلى « شخصيات » كانت فبانت ! خلال خمسين سنة خلت ! ومن حقها على من عاصرها

وعاشرها أن يذرف عليها دمعة حارة ! وأن يرفع يديه إلى السماء .. ويدعو الله تعالى أن يتغمدهم جميعا برحمته ومغفرته ورضوانه ، وان يستنهض الجيل الصاعد للاقتداء بالسلف الصالح في كل ما يحبه الله ويرضاه وفي أن يتفسحوا ولكن في حدود **ما كان يصنع « نعيمان »** رضى الله عنه ، ودون تجاوز أو اجحاف .. أو اسفاف ، فما في الاستجمام من بأس إذا لم يؤد إلى محظور ، وما دام معينا على الطاعة ، والطموح ، والكدح ، وبه الترويح والتفريح .. والله من وراء القصد ، وهو أرحم الراحمين .

٨٨٩ الابتيار والابتهار

قال **أبو الفرج** في الاغانى : « اخبرنى **الحرمى بن أبي العلاء** ، قال : حدثنا **الزبير بن بكار** ، قال : أدركت مشيخة من قريش لا يزنون **بعمر بن أبي ربيعة** شاعرا من أهل دهره في النسيب ، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه ، والتحلى بمودته ، والابتيار في شعره » .

والابتيار : **أن يفعل الانسان الشيء فيذكره ويفخر به .**

والابتهار : أن يقول ما لم يفعل . اهـ .

قلت : وحرصت على أن يتذكر أهل أدبنا الحديث .. ما كان معروفا عند (مشيخة قريش) ! ثم تناساه من بعدهم .. إحياء لما هو أنصح في التعبير ، وأحق بالتداول والتقدير ، وان لم أكن في العير .. ولا في النفير !

٨٩٠ بين الروحاء والعرج

قرأت في الأغانى ، قال : حدثنى **مكين العذرى** قال : سمعت **عمر السوادى** يقول : بينما انا أسير بين الروحاء والعرج إذ سمعت إنساناً يغنى غناء لم أسمع قط مثله في بيتى كثير :

وكنت اذا ما جئت سعدى بارضها
أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

« **قلت** : وفي رواية — (وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها) .. »

قال **عمر** : فكدت أسقط من راحلتى طربا ، وقلت والله لألتمسن الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائى ! فتيممت سمته فاذا راع فسألته اعادته علي ؟ قال : نعم ، ولو حضرنى قدى أقريكه ما أعدته ، ولكنى **أجعله** قراك فربما ترنمت به وأنا غرثان ، فأشبع ، وعطشان فأروى ، ومستوحش فآنس ، وكسلان فأنشط ، رادى حتى ولجت المدينة غيرهما » اهـ .

قلت : وإلى هذا القدر من التأثير يبلغ الصوت الحسن من القلب والنفس والروح والبدن ! مضافا إلى ما في الشعر نفسه من بالغ التأثير .

وهنا أتساءل : هل اقتران العرج بالروحاء يعنى الا انهما من نواحى أو ضواحى المدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ؟

إذن يكون هذا العرج — غير (**واد العرج**) المعروف (**بالطائف**) والذى ينتسب إليه (العرجى) الشاعر الحجازى المعروف . او هما (عرج واحد) متصل ؟

فهل يتفضل شيخنا (**أبو نبيه**) .. صاحب العلم الواسع أطال الله بقاءه وهناءه بتنوير قراء المنهل الاغر في هذا التساؤل قال : فأعادهما علي حتى أخذتهما فما كان تعليقا ؟ فلديه بلا شك الخبر اليقين .

٨٩١ ياحدة جاكي الحجام من وراء والأقدام

هذا مثل سائر في بلادنا من عهود قديمة ! ولا أدرى ماذا يصنع الحجام بالحداوى أو الحداوات ؟ وأى مصلحة له في أن يتعقبها أو يهم بها .. لولا أن لاطلاقه علة غير معلومة ، أو أنه رمز لحادث لم يعرفه المتأخرون . وأخذت أفكر في ذلك لحظة فأومضت بذهنى (فكرة) يمكن أن ينطبق عليها .. فقد كنت أثناء الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ وما تلاها من سنوات ، اشترى اقة اللحم الضانى الممتاز بست هللات .. والخيال ــ أى الكبش .. أو الطلي ــ بريال واحد .. وهو لا يقل عن عشر اقات .. وأكمل مقاضى البيت كلها ، مع اللحم ــ عدى السمن ــ بربع ريال مجيدى ! واليوم ثمن الاقة ــ وبدلا عنها الكيلو .. وهو أقل منها وزنا بنحو الثلث ــ بسبع ريالات ، والخيال نفسه أو دونه نوعا وكما ووزنا ــ بمائة ريال وأربعين وعشرين ، أو ما هو حول ذلك .. فهذا ــ ما هو من وراء ــ أما ما هو من (قدام) .. فلعله تصاعد هذه القمة إلى أكثر وأكثر .. وهو دليل مزدوج على الغلاء من جهة وعلى الرخاء أيضا .. فقد كان الدرهم والدينار عزيزين جدا .. ويندر وجودهما في التداول .. ثم أخذت « الفلوس » أو « البقش » تتوافر في الأيدى ، حتى تناسب التقايض أخذا وعطاء .. وما توفرت **إلّا** بأسباب بارزة واضحة .. **أهمها** ازدياد حركة العمران ، وتضاعف السكان .. وانتشار التعليم .. واستثمار رؤوس **الأموال** .. واتساع آفاق الكسب الحلال ، ومع ذلك **فإن** من أدرك الرخاء الماضى يتحسر عليه .. لأنه كان في نظره .. غلاء فاحشا ! وكذلك الذين يعاصرون هذا الجيل يجدون أنفسهم في عنت عظيم من هذه القيم الخيالية ! وقديما قال الشاعر :

يتمنى المرء في الصيف الشتا ... فإذا جاء الشتا أنكره
لا بذا يرضى ! ولا يرضى بذا ... قتل الإنسان ما أكفره

ونحمد الله جل وعلا على نعمه السابغة فما تضاعف **إلاّ** بالشكر وهو الرزاق ذو القوة المتين .

٨٩٢ الذكاء المفرط

مما ينسب للشاعر « **ابن دانيال** » المولود سنة ٦٤٦ هـ والمتوفي سنة ٧١٠ هـ .. من قصيدة عابثة قوله :

أنا لو رمت للصلاح طبيبا ... ما تعديت (دكة) البيطار
بعدما كنت من ذكائى أدرى ... أن بابى من صنعة النجار
احرز البيض قبل ان يكسروه ... ان فيه البياض فوق الصفار
وبعينى نظرت كوز نحاس ... كان عندى أقوى من الفخار
وكثير منى على شيب رأسى ... حفظ هذى الأشياء مثل الكبار !

قلت : ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله .. ومن فرط هذا الذكاء تعجله الموت .. فلم يعمر أكثر من ٦٤ سنة ! ــ وما أراه إلاّ ساخرا يلقى مشاكله بهذه الدعابات ! ويغالط نفسه بما يفرج به من غوائل الكربات ! وهكذا استكثر رغم شبيه حفظه لهذه البدهيات ! وكم طوى العرى من مثل كان بطبعه مفطورا على الجد أو الهزل ﴿ **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات** ﴾ .

٨٩٣ شعر ابن « أبي ربيعة » وغناء ابن « سريج »

روى ان مما كان ذائعا في العصر الأول بمكة قولهم : « إذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنه غناء **ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك ترقصه** » . **وابن سريج** هذا من مواليد مكة المكرمة في عصر **عمر بن الخطاب** واسمه **أبو يحيى عبيد** وكان يساسر **ابن أبي ربيعة** وكثيرا من رافقه إلى مجلس الأنس واللهو .. ولم يعط من جمال الشكل كما أعطى جمال الصوت وحسن الغناء وروعة الفن . فكان آدم احمر ظاهر الدم سناطا ــ بكسر السين وتخفيف النون ــ أى لا لحية له ــ أو خفيفها ، وكان أعمش وفي عينيه (قبل) ــ بفتح القاف والباء ــ يكاد يبلغ الحول ! وأصيب بالصلع باكرا فكان يلبس جمة **مركبة أى شعرا مصطنعا .. وكان يلقب (وجه الباب) ولا يغضب من ذلك ، وكان يعرف هذا** القبح في وجهه ! فكان اكثر ما يرى .. مقنعا ولاسيما اذا غنى ! فكان يسبل القناع على وجهه كى لا يصدم السامعين بالوجه الدميم على الغناء الجميل .

قلت : ولا حاجة بى إلى التعليق المسهب في هذا المعنى إلا أننى أورد مثلا مرسلا سمعناه من المسنين والمجربين وهو قولهم : « **لا سماع إلا من وراء قناع** » .. **ولعلهم اعتمدوا ذلك على قناع ابن سريج هذا** .

٨٩٤ ابن الرومي والمغني

قرأت في دائرة معارف **البستاني** .. انه كان **أبو سليمان** .. يعلم الصبيان ، ويصر على تشنيف آذان الناس بغنائه فقال فيه **ابن الرومى** المولود سنة ٢٢١هـ والمتوفى سنة ٢٨٣هـ :

أبو سليمان ، لا ترضى طريقته
لا في غناء ، ولا تعليم صبيان !
له إذا جاوب الطنبور محتفلا
ضرب بمصر ، وصوت في خراسان
عواء كلب ! على اوتار مندفة
في قبح قرد وفي استكبار هامان
وتحسب العين فكيه اذا اختلفا
عند التنغم فكى بغل طحان ..

قلت : ما أعجب ما أوتى هذا الشاعر الهجاء .. في ملكة الوصف .. الدقيق .. المصور لمهجوه تصويرا يكاد يراه به الغائب كالشاهد وحمدا لله وشكرا ان لم يبتل زماننا : بالوصف والموصوف معا .. الا الشاذ والنادر القليل ! وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهى ظاهرة تغلب فيمن يوتى حظا موفورا من فن ما .. فلا بد ان يعانى آفة الدمامة .. حتى لا يطغى .

٨٩٥ « كريم » حيا وميتا

أرشدني فضيلة العالم السلفى الجليل **الشيخ محمد حسين نصيف** حفظه الله ، إلى ما جاء في كتاب « **درر الفوائد المنظمة** » **للانصارى** الجزرى حيث قال : « وحج سنة ست وخمسين وستمائة الملك المعظم شمس الدولة » (**توران شاه**) ابن (والد الملوك) **نجم الدين ايوب** ..

قدم مكة معتمرا وتوجه إلى **زبيد** واستولى على ممالك اليمن — ومات بالاسكندرية سنة ست وسبعين وخمسمائة هـ .. ووجد عليه مائتا الف دينار دينا ، قضاها عنه السلطان **صلاح الدين بن ايوب** ، وسبب هذا الدين كثرة جوده وسعة عطائه ، ومن غريب ما يحكى عنه ان الاديب الفاضل **مهذب الدين ابا طالب محمد بن علي بن الحنفى** قال : رأيت في النوم شمس الدين توران وقد مدحته — وهو في القبر ميت — فلف كفنه ورماه إلى وأنشدنى :

لا تستقلن معروفا سمحت بـه
ميتا وامسيت فيه عاريا بـدنى
ولا نظنن جـودى شأنه بخـل
من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى
من كل ما ملكت كفى سوى كفنى !

قلت : وحتى لو كانت الحكاية مصطنعة .. تقديرا .. وإذا صحت فإنها في نطاق مجرد (الرؤيا) .. فإن ما عرف به الميت من كرمه وجوده اثناء حياته قد أطلق الألسنة بالثناء عليه بعد مماته .. وسبحان من له البقاء والثناء الدائم .

٨٩٦ نانا وماسا

قال **ابن بطوطة** في رحلته — وهو المولود سنة ٧٠٣هـ .. وقد فرغ منها في شهر صفر سنة ٧٥٧هـ — « وأهل أصفهان حسان الصور ، وألوانهم بيض مشوبة بالحمرة ، والغالب عليهم الشجاعة والنجدة ، وفيهم كرم وتنافس عظيم فيما بينهم من الأطعمة ، تؤثر عنهم فيه أخبار غريبة ! وربما دعا أحدهم صاحبه فيقول له : اذهب معي لنأكل (نانا — وماسا) .. والنانا بلسانهم الخبز ، والماسا : اللبن — فإذا ذهب معه أطعمة أنواع الطعام العجيب مباهياً له بذلك » .

قلت : وهدفي من ذكر هذه القصة : أنني بها ظفرت بأكثر من جديد .. فإن الأمهات عندنا ما زلن يقلن للطفل : تعال : « كل ننا أو ننة » بتشديد النون ، فهذا أصلها — دون ريب ! وقولهم : تعال نأكل نانا وماسا ، إنما هو كاصطلاحنا واصطلاح من قبلنا من العرب : تعال نأكل عيشاً وملحاً ! ولو كان الطعام « فالوذجا) ! أو (هريسة ملوخية .. أو مختوم بامية) أو (مبشورا) وكان الله في عون القراء على تتبع أمثال هذه المقارنات والمقابلات التافهة فما تخرج عن كونها تسلية وتفكهة .. وترويحاً ..!

٨٩٧ الكنائف والقطائف

أشرق علينا وعلى العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها أنوار ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ .

وتعرض في الأسواق وتعد في الدور والقصور والأكواخ أنواع من الكنائف والقطائف يختص بها هذا الشهر المبارك دون سواه ، ويختم — بها — مع « الست الدبيازه » .

وما أن يطلق مدفع الإفطار حتى تكون « دواوير الفول والترمس » و « طواجن المقلية » و « دوائر المنفوش » قد ملأت ما بين « المنحنى — وكدا وكداء وكدى » .

وبقليل من التأمل يجد الباحث أن هذه الأغذية ولا سيما « الفول والترمس والحلبة المزرعة » لم يخترعها ويجمعها « القدامى » دون تبصر وتدبر ، وأنها مع كونها تعتبر مشهية .. إلا أنها ذات قيمة « غذائية » كبرى .. وقد روعي فيها امتزاج الحار بالبارد .. وأن لا يتجاوز التناول منها كمية قليلة حسب القابلية ، فإنها قد تسمح بالتهام عشرة أقداح من « المنفوش » أو أكثر أو أقل ، وبقدرها وزناً من الطعمية أو المقلية في حدود القدرة الهاضمة ، أما الكنائف والقطائف فما لها جو أهضم من (الهدة أو **الطائف**) فهي مدد عظيم للتدفئة في المشاتي والمصايف ، ولا يملها البادي ولا العاكف ، وبها يستغني عن المعاطف ، والمصانف ، على أن لا يكون بجواره محروم ولا آسف .

٨٩٨ « البوس » قديم قبل ألف سنة

من شعراء القرن الرابع الهجري وكتابه وأدبائه « **أبو الفتح البستي** » .. من بلدة « بست » من سجبستان في بلاد فارس . وكان في خدمة السلطان **محمود بن سبكتكين** — يمين الدولة — سنة ٣٨٩ هـ وكان قمة من شواهق الإنشاء الأدبي الرفيع وقد قال فيه **عمران بن موسى الطولقي** :

إذا قيل أي الأرض في الناس زينة
أجبنا وقلنا : أبهج الأرض «بستها»
فلو أنني أدركت يوماً عميدها
لزمت يد « السبتي » دهراً — و « بستها »

قلت : فالبوس .. معروف ومتداول قولاً وفعلاً قبل ألف عام خلت ، وما أتذكر أن شاعراً جاهلياً استعمله في قوافيه .. وكأنه دخيل من فارس أو غيرها واستعرب ! وهو في العربية « القبلة » بضم القاف .. وأغلب المعاصرين يتداولونه في كلامهم .. ومنهم من يطلق عليه « السلمة » — بضم السين وسكون اللام — وهي تعبير عن السلام .. والمودة .. والحنان !. وتعدد الأسماء من شرف المسمى ، لا سيما إذا كان في حدود الحلال ! وقد اقترن السلام والتسليم عند المقابلة .. بتبادل هذه البوسات ، أو القبلات ، أو السلمات ، وكان الله في عون من يتأذى بمن لا يرضى !

٨٩٩ عقبة بن نافع الفهري والمحيط الأطلسي

« روى التاريخ أن فاتح المغرب **عقبة بن نافع الفهري** تقدم عند غزوه شمال أفريقية سنة ٦٢هـ من القيروان .. ففتح بلاد المغرب الأوسط .. وبلاد المغرب الأقصى ، ثم إلى جبال الأطلسي ثم إلى بلاد السوس ، ثم إلى الصحراء ! ووصل إلى (آسفي) على ساحل المحيط الأطلسي .. (الأطلانطيقي) وأنه اقتحم بفرسه البحر ثمة .. وأدخل قوائم فرسه فيه .. ثم دعا من وراءه من

آلاف الصحابة والتابعين وقال : ارفعوا أيديكم ، ففعلوا فقال : « اللهم إني لم أخرج بطراً ولا أشراً .. وأنك تعلم أننا نطلب السبب الذي طلبه عبدك (ذو القرنين) وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء ، اللهم إننا مدافعون عن دين الإسلام فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام » ..

قلت : وشكراً لله تعالى أن خيل المسلمين لم تزل بفضل النية الخالصة ما برحت قوائمها تستحم على أسياف المحيط وشواطئه الواسعة تحت راية الإسلام .. وما يزال أهل المغرب من إخواننا الأبطال المغاوير خير خلف لخير سلف ، زادهم الله نعمة وشكراً ونماء وهناء .

(٦٠٠) الرياضة بين العرب والروم

أراد ملك الروم أن يباهي أهل الإسلام فبعث إلى معاوية رضي الله عنه برجلين ، أحدهما طويل والثاني **قصير شديد القوة ، فدعا الطويل بقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فنزع قيس** سراويله ورمى بها إليه فلبسها فبلغت ثدييه .. فلاموا قيساً على نزع السراويل فقال :

أردت لكيماً يعلم الناس أنها سراويل قيس ، والوفود شهود
وكيلا يقولوا خان قيس وهذه سراويل عادي نمته ثمود
وإني من القوم اليمانين ، سيد وما الناس إلا سيد ومسود

ثم دعا **معاوية** للرجل الشديد القوة . **بمحمد بن الحنفية** فخيره بين أن يقعد فيقيمه ، أو يقوم فيقعده ! فغلبه في الحالتين ، وانصرفا مغلوبين » .

عن (كنز الأنساب للحقيل)

قلت : وهذه المنازلة .. من الجانب العربي إنما هي فطرته ودون تمرينات سابقة ، وأتوقع لشبابنا الطموح أن يحتل المكانة الأولى في المباريات العالمية .. لا بقوته الجسمية والعضلية بل والروحية .. أيضاً — وهي أساس التقدم والتبريز وما ذلك على الله ثم على ذكائهم بعزيز .

(٦٠١) المحامل من « العاج »

قرأت في كتاب « الذخائر والتحف » لمؤلفه **القاضي الرشيد بن الزبير** في القرن الخامس ، ما لا يكاد يصدقه إنسان اليوم من هدايا الملوك المتبادلة بينهم في القرن الثالث والرابع الهجريين .. **واستوقفني من ذلك هدية بعث** بها إلى العز بن باديس صاحب المغرب الظاهر لإعزاز دين الله سنة ٤٢٠هـ وكان ومن جملتها .. « عدة من البخت الخراسانية تحمل سائر أنواع العماريات والقباب والمحامل المعمولة من (العاج) والأبنوس والصندل المضببة بالذهب والفضة وعليها أهلة الذهب والديبقي المذهب وغيره من سائر أنواعه وألوانه » .

قلت : سبحان الله ، إلى هذا الحد بلغ تزيين « شقادفهم » أو قبابهم أو محاملهم .. وما كانت شقادفنا تزين إلا بالحنابل (الوجاه) — أو الهندية .. وكنا نستكثر ونكبر (التختروان) ! المصنوع من (الخيزران) ! والمغشى بالديباج والمكتل بـ (الترتر) أو (شراشف) الحرير .. ويجره أو يسير به بغلان أو جملان من خلف ومن

أمام ! وما يملك ذلك إلا أرباب الجاه والسلطان والغنى والثراء !. فما أعظم ترفهم وحضارتهم ؟! وولعهم بالمظاهر التي تفقع مرائر الأعداء والحساد !

فأما ما عدا ذلك من بقية الهدايا فحدث عن البحر ولا حرج .

٩٠٢ من اللغة المشتركة

إذا أراد أحد منا أن يطرد أو يزجر ــ الغنم ــ أو ما هو في الحقيقة أي نوع من الطليان أو الكباش أو الجفار أو الرخال ــ صاح بها (سك : سك) فيزعجها الصوت وما تعنيه هذه الكلمة من الزجر والطرد ! يستوي في ذلك صغارها وكبارها .. إلا أن أصحاب الأعيرة ــ جمع عير ــ أي الحمير التي كانت تعرض بالأُجرة والإركاب في مواسم الحج ــ بأُجور زهيدة ، وهي صغيرة الأحجام ، ضئيلة الأحجام لا تتجاوز المنافح الصغيرة .. يوصون الراكب إذا استوى عليها .. أن لا يلعطها أي يضربها ويدعها على هونها ومهلها ومستطاعها من الحركة البطيئة .. فيقولون : « سكسك له ــ ولا تلعطه » ــ وهنا نجد اللغة المشتركة المفهومة عند الأغنام والبهائم أي الحمير .. السوداء اللون .. مع ما في الأول من معنى الطرد والزجر .. والأُخرى من معنى السوق .. والحث على السرعة ! وما أحسب ذلك إلا قديم الاستعمال وقد تعودت عليه آذان هذا الحيوان المغبون .. ولعله الآن قد استراح مما كان يتكبده من مشاق مرهقة في صعود جبل كرى وهبوطه منه يومياً ــ محملاً ومركوباً ! بعد أن تمهد للسيارات ، وتجرد حتى من القرود والآفات اللهم إلا ما يملكه الزراع منها لحمل الفواكه من جبال السراة إلى تهامة ! ويشاركه في ذلك بعض الجمال التي ترجح أن تكد وتتعب على أن يضحي بها وتؤكل .

٩٠٣ المساكين والولائم

« إن من أدب الوليمة أن يدعى لها المساكين .. لما ورد في (**الموطأ**) و (**الصحيحين**) و (**أبي داود**) أن أبا هريرة كان يقول : **شر الطعام طعام الوليمة .. يدعى له الأغنياء ويترك المساكين** » .

قلت : ولقد أدركنا الناس في بلادنا ، ومن جميع الفئات والطبقات إذا صنعوا وليمة ما .. اختصوا الفقراء والمساكين فيها بطعام يهيأ لهم ويوزع عليهم ، أو يشاركونهم فيما يطعمون وهم بذلك يبتغون الأجر والثواب واكتفاء الشر الذي أشار إليه **أبو هريرة** رضي الله عنه .. وكانوا ــ أي المساكين ــ كثيرين جداً ! أما اليوم فإن هذه الظاهرة .. قد اختفت كلياً ! وأعتقد أن السبب في ذلك عدم وفرة المساكين والفقراء .. فإنهم قد وجدوا وجوه الكسب الحلال متعددة وأبوابها مفتحة .. فلا يكاد المرء يصادف أمامه .. سائلاً .. أو مسكيناً إلا في الندرة النادرة ! ويأتي بعد ذلك ، ولعله من أجله انصرف أهل الولائم عن هذه الوصية الكريمة .. ولأنها غير ما عهدناه قديماً إذ تحولت إلى دعوات خاصة .. ليست هي (الجفلى) ! والتوفيق عزيز .

٩٠٤ احرام الكعبة

كنا ــ ونحن أطفال صغار ــ نعتبر أبرز علامات دخول أيام الحج عملياً ــ متى رأينا الكعبة المشرفة ــ قد شمرت أستارها ، وأُحيطت

بالبياض .. وتأزرت به من أدناها ! وذلك في يوم ٢٧ ذي القعدة من كل عام ، وكان لذلك رنة فرح ونشوة بالغة ! ويطلق الناس على ذلك « إحرام الكعبة » ! وما الإحرام إلا للناسكين والملبين والوافدين بقصد الاعتمار أو أداء الفريضة .. وإنما كانت ترفع الكسوة عنها إلى الأعلى .. إتقاء تمزيقها من أيدي الطائفين ، واحتفاظاً بالثوب وسلامته .. ثم تكسى يوم العاشر من ذي الحجة ــ يوم عيد الأضحى ــ ولا يسدل كله بل يبقى أياماً معلقاً بالحبال لنفس الغاية ، وصوناً له من الأيدي التي كانت تحرص على تلمسه ، وانتزاع بعض الأوصال منه تبركاً وإهداءه ، وقرأت في رحلة « **ابن بطوطة** » **أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي** المولود سنة ٧٠٣هـ .. وقد حج عام ٧٢٨ هـ أول حجة له ثم عام ٧٣٢هـ في وصفه لما شاهده بمكة المكرمة قوله : وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تشمر أستار الكعبة الشريفة (زادها الله تعظيماً) إلى نحو ارتفاع قامة ونصف من جهاتها الأربع ، صوناً لها من الأيدي أن تنتهبها ، قال : ويسمون ذلك « إحرام الكعبة » وهو يوم مشهود بالحرم الشريف ــ ولا تفتح الكعبة المقدسة في ذلك اليوم حتى تنقضي الوقفة بعرفة .

قلت : ومن ذلك يعلم أن (التعبير بإحرام الكعبة) إنما كان قديماً وقبل عدة قرون . وهو لا يعدو أن يكون تشبيهاً لها بالحجاج المحرمين بمناسبة مناسك الحج ! أما أنها « لا تفتح بعد ٢٧ القعدة حتى تنقضي الوقفة » ، فقد يكون ذلك مما كان في عصره قبل ستمائة سنة ونيف ! أما في زماننا هذا فإنها تفتح لغسلها يوم ٦ ذي الحجة ــ من كل عام ــ ويحضر ذلك الحكام السابقون وجلالة الملك حالياً وعظماء الوفود الإسلامية مما هو مشاهد منذ عرفنا الحياة حتى الآن .

١٠٥ ذو المجلتين والميزتين

لقب ــ وجدتني ــ أطلقه أول ما تناولت القلم لأكتب هذه الشذرة عن الأديب الكبير والصديق الكريم والزميل الجديد القديم ، ولئن خفت منه أن ينعي علي ، السجع ، ولو في جملتين قصيرتين ، ذلك هو (**أبو عمر الشيخ محمد سعيد العامودي**) .

أما أنه (ذو المجلتين) فهما (مجلة الحج) و (**مجلة الرابطة الإسلامية**) **وهما معاً** تمثلان العبء الثقيل الذي ينهض به رئيس تحريرهما الذي آتاه الله من مكارم الأخلاق وقوة البيان وجمال الديباجة وبعد النظر ، ما لا يجحده إلا جاهل أو مفتون .

وأما « الميزتان » فإحداهما الأدب الناضج ، والأخرى الإنتاج المهذب ، أو إذا شئت فقل إن الأولى شعره المنخل ، والثانية نثره المسلسل .

وليصدقني القارىء الحصيف ، إني كلما سجعت ، ولو قليلاً أتصوره أمامي حانقاً على هذا الأسلوب العتيق ، غير أنني واثق من أنه لن يستطيع أن يجد من تخلص من هذه (الحريرية) إلا من لم يكن قد خاض غمارها ، أو استحسن أوارها ، من قريب أو بعيد ..

وهو يعلم أنني من المخضرمين ــ إن صح أن أسلك مع المتأدبين ــ وما أسوأ هذا الزعم على المتأخرين . فقد قضيت ردحاً من الزمن أول النشأة متأثراً بالبيئة التي لا يروق لها أو يشوق ، إلا أسلوب (المقامات) ومعها غريب

(المعلقات) وبينها قصص (سيف بن ذي يزن) و (عنترة بن شداد) إذ يكون الناشىء بذلك أديباً من أقطاب الأدب وشداته ، وقادته وحماته ، ولا يلقى بذلك إلا التكريم والتقويم ، ولأيا ، ما تزحزحت قليلاً ، وتطورت طويلاً وكتبت وخطبت ونظمت ونثرت وحسبت أنني خلوت فنقرت وصفرت ، في اغضاء من المعقبين وتغاض من الناقدين حتى تبين الصبح لذي عينين ، وصدحت البلابل فوق الرقمتين وجرت السوابق بين المكتين ، وتتابعت مواكب الكاتبين والشاعرين والعباقرة والنابغين والمصنفين والمؤلفين ، أولئك الذين أنعم الله عليهم فوهبهم ملكات البيان ، وصفاء الأذهان وبقية السلف الصالح من عدنان وقحطان ، وهم أكثر من أن يحصوا ولله الحمد والمنة . فعدت أدراجي إلى عشي وأيقنت أن لا سلامة إلا بالانزواء والانطواء وأن أُريح الأسماع من الهزء والغثاء وأن أُقيد لساني وأفتح أُذني وعيني لأسمع ما ألتذ به وأطرب ، وأرى كل من أعتز به وأعجب ، وأن ميادين الأدب قد انفسح مجالها ، وتبارى بها كتابها وأبطالها بعد أن كانت مكة المكرمة تعد (**عبد الواحد الأشرم الجوهري**) متنبي زمانه ، والمدينة المنورة ترى « **إبراهيم الأسكوبي** » وحيد أقرانه ، رحمهما الله تعالى .

وخلال نصف قرن من الزمان ، أنجبت « طيبة » و « أُم القرى » أفواجاً من الشباب الطامحين ، والنشء الموهوبين ، وزاد معهم — اخوتهم وبنو عمومتهم — من جميع أرجاء المملكة العربية السعودية الذين اتسعت أمامهم آفاق العلم والمعرفة والتثقيف وأخذوا سبيلهم إلى إحياء كل ما اندرس من مفاخر الآباء والأجداد وإضافة كل ما وصلوا إليه من محصولهم الوافر من كل جديد لا عهد للقدامى به من مستحدثات الحضارة في القرن العشرين .

وهنا أحب أن أقول إن هذا التعبير — أي القرن العشرين — إنما اقتحم علينا من « الأدب الغربي » .. فنحن أجدر بأن لا نصطنعه وأن نبدله بالقرن « الرابع عشر الهجري » كما أُلاحظ أن بعض الصحف العربية ما زالت تجعل تاريخ صدورها تموز ، ونيسان ، وآذار ، وحزيران .

والآن وقد فرغت من هذه المقدمة ، يطيب لي أن أدخل إلى صميم الموضوع الذي أعالجه متأثراً بموحياته وبواعثه .

فقد علمت أن أُستاذنا العامودي — ولا يعني هذا طبعاً أنه أسن مني كثيراً — فما بيننا أكثر من رمية حجر الاعرابي في المسافة — بين العمرين — ولقد كنت أزامله منذ إثنين وأربعين عاماً في مديرية الطبع والنشر وفي إصدار مجلة « **الإصلاح** » وفي « **مجلس الشورى** » وأتخذ منه مثالاً يقتدى للأناة والتأمل .. وما أكثر الشباب والطلبة من ذوي الأسنان عبر الأزمنة الطويلة الفارطة . **ثم علمت أنه أصدر كتابه السمين « من تاريخنا » في طبعة حديثة ثانية ولشغفي بما يكتب** وما يتخير ، لم أجد بداً من الالحاح عليه لإتحافي بنسخة منه لأدخره مع اخوته وأشقائه من الآثار التي تحتويها « لغة الضاد » من شعر ونثر وأدب وتاريخ وتراجم ، ازدحمت بها المكاتب في إنتاج كتابنا الأماثل ، وعلمائنا الفطاحل ، وأُدبائنا الفحول ، وتهادت بها مجلاتنا وصحفنا أو أن يدلني على المكتبة التي تتولى بيعه ، فما كان من كرمه إلا أن بعث بها إلى ، اليوم (٢ رجب سنة ١٣٨٨ هـ) وكان الجو « ومداً » لا يحتمل للانصراف إلى المطالعة إلا لماماً ، دون استغراق ولا ارهاق ، فماذا كان ؟ .

كان أنني منذ تناولته لم أدعه من ألفه إلى يائه استقراءاً وتأملاً طيلة نهاري كله .

حاشا بعض الصحائف التي تجاوزتها إلى التفرغ لها مرة أُخرى . أما أكثر ما تضمنه من البحوث الشيقة ، فقد استوعبته ، ووعيته بحيث اكتشفت فيه أسراراً كادت تكون خافية علي .

ومن هذه الأسرار تعمقه في الدرس ، وانصافه في النقد ، وحرصه على أن يكون مثلاً عالياً لمن يتصدى لمثل ما هو بصدده من الترجمة ، لبعض المتقدمين من رجال الأدب في أوائل هذا القرن . وأكبرت فيه هذا الورع عن التسخط والتثريب على من لم يعدم لهم المنادح والمعاذير في إنتاجهم المهموز ، أو الملموز ، وأعاد كل هناة لهم ، في نظر المعاصرين إلى أنهم كانوا محكومين أو متأثرين بما يحوطهم من بيئة خاملة راكدة أو جامدة ، كشأنه في دراسة « **الأشرم** » خاصة فقد أنصفه وقدره وأكبره ، حتى لقد كان يقرنه بمعاصره « **محمود سامي باشا البارودي** » ، لو عاش هو في مثل ظروفه ومحيطه ، وتوافرت له دراسته وأسبابه إلى المجد الأدبي العالي ، وذلك منه أعلى منازل التكريم والتقويم .

وهنا أحب أن أفكه القراء بحادثة ذات صلة بالموضوع ، وذلك أنني عندما دعيت إلى مصر من قبل **الملك عبدالعزيز** تغمده الله برحمته ورضوانه — في عام ١٣٦٥هـ وتشرفت بالانضمام إلى حاشيته ، وألقى ما يناسب المقام ، وكان الوقت ضيقاً جداً ، واستعنت بالله جل وعلا ، وألهمني ما استطعت أن أنشده في ذلك الحفل العظيم وبين أساطين الأدب ورواده وأعلامه الكبار — فوجئت بزيارة كريمة في فندق « الكونتنتال » عقب الإنشاد مباشرة من قبل رئيس مجلس الشيوخ ، وصاحب مجلة السياسة الأسبوعية ومؤلف كتاب « **في منزل الوحي** » الدكتور **محمد حسين هيكل باشا** — رحمه الله — ومعه الوزير الشهير « **مكرم عبيد باشا** » ووزير آخر لا أتذكره الآن ، وكانت بيني وبين الأول علاقة وصداقة قوية يوم زار مكة المكرمة قبل ذلك بسنوات ، فبدأ حديثه الطلي الجلي ، مجاملة وتكريماً للضيف العظيم — طبعاً — ، وأخذ يثني على تحيتي لمصر ، وقصيدتي التي أنشدتها ثناءاً يغتر به من لا ينظر إلى أبعد من أنفه ، وأعاد وثنى « **المكرم** » **الخطيب المصقع وبعد أن فرغا من ذلك قلت له** : أرجوك يا باشا أن لا تؤاخذني إن قلت : إن كل من تظله السماء وتقله الغبراء من أقطاب العلم والبيان يدينون لبلاد العرب والحجاز ، بما اتصفوا به من تفوق وامتياز ، وإن لنا عليكم لديوناً يجب أن توفى منكم في هذا المجال مهما تمادى الزمان واسمح لي دون غرور ولا اغترار أن أزعم أنه لو أُتيح لنا في القرون الخالية إلى عهدنا هذا ، من الدرس والتحصيل والتثقيف والابتعاث والانبعاث ما أتاحه الله لكم في بلادكم خلال أكثر من ١٥٠ سنة على الأقل ، لما تركناكم تسبقوننا وربما زدنا فكنا في المقدمة ، إلا أننا عانينا العزلة ، والخشية والرهبة ، والانطواء قروناً طويلة . وإن شبابنا المتحفز وعصرنا هذا ليختلف عما مضى ، ولن تمر سنوات قلائل حتى تكون لنا بإذن الله مساهمة في كل ما تعتز به الأمم والشعوب من علم وأدب وصناعة وتجارة ، وعمل دؤوب بما يسره الله لنا من أسباب الحياة في عهد جلالة الملك **عبدالعزيز** ، غير أن أساس ذلك كله إنما هو التمسك بالدين الخالص ، والعقيدة الصحيحة والمحافظة على الأخلاق الكريمة من شمم وكرم وإباء وأنفة وعزة وكرامة .

وحينئذ قال سعادته ــ رحمه الله ــ مداعباً : **« إذن ، الحمد لله .. ربنا عرف الشوكة وسود رأسها » ؟**

فقلت : وسعادتك بهذا صادق .. لقد سودها عندما كانت شوكة ، أما وهي تدأب وتسعى فستكون باقة فواحة عطرة نضرة فإنه تعالى سوف يضاعف نماءها ويبارك سناءها ، ويلحق بآبائها أبناءها ..

وما استطردت بذلك إلا لهدف مقصود ، وهو أن الذكاء العربي الفطري في بلادنا ، حقيق بأن يؤتي أكله ضعفين بإذن الله ، وبمجرد أن يرشد ويوجه ويسلك طريقه إلى استعادة مجده التليد تحت قيادة أخلصت لله ولرسوله صلوات الله وسلامه عليه ، واتبعت رضوان الله ، وتعاقدت وصممت على حمايته من كل خوان أثيم .

وهكذا كان ، فإن عقدين ــ فقط ــ من السنين ، قد أظهرت قلب جزيرة العرب ، بما هي به أحق وأولى ، من الحياة الكريمة الراضية والتسابق في ميادين العلم والأدب والفنون المشروعة غير المحظورة ولا الممنوعة .

وها هي ذي بواكير الثمار تقف على قدم المساواة مع مثيلاتها في البلاد العربية المتقدمة ، رغم الفوارق العديدة والسبق لمن تهيأت له أسبابه قبلنا ومعنا وبعدنا .

ومن ذلك هذه المؤلفات المتسمة بالنضج والمستحقة لكل إشادة واطراء ، وهذه المواكب الحاشدة من خريجي جامعات الغرب ، والتي برهنت على الاستعداد الكامل والعمل الصالح والإخلاص العميق ومنهم الأدباء والأطباء والمهندسون والفنيون ، ومنهم الرؤساء والوزراء والمديرون وكلهم محوطون برعاية الله ثم بعناية وتكريم صاحب الجلالة حبيب الشعب وقائده ومليكه العظيم **فيصل بن عبدالعزيز** حفظه الله .

وبهذه المناسبة أتذكر أنني أنشدت بين يدي جلالته المفدى بالطائف قصيدة طويلة يوم قدوم أول طائرة سعودية إلى الطائف ، يقودها منفرداً طيار سعودي وذلك منذ نحو ثلاثين سنة :

سلوا هذه الصحراء كم هي أنجبت ؟
وكم بطل منها تهادت جنائبه ؟
سلوها لماذا استبدلت ، وتبدلت ؟
تجبكم : بأن الجهل هذي عواقبه

وبعد فقد شعرت بملل القارىء ، وأحب أن أوجز بعد أن أطلت فأقول : أن الأستاذ **العامودي** وهو يتولى رئاسة تحرير مجلتين إسلاميتين في آن واحد ، ويتحلى بما فطر عليه من أخلاق طيبة وبيان ساحر . واتزان . ثم هو يصدر للناس بعض ما تيسر له جمعه وتدوينه وطبعه ونشره في كتابه **هذا « من تاريخنا » ، لهو قدوة صالحة لمن أراد أن** يرقى السلالم من أول درجاتها حتى يبلغ إلى القمة وأن مؤلفه هذا لفي مستوى أحدث المؤلفات العلمية والأدبية الممتازة .

ولقد كان بودي أن أناقش بعض ما في كتابه القمين بالاقتناء تأييداً لا تفنيداً إلا أن الشذرة قد امتد بها الانطلاق ، والسياق .. حتى لأخشى أن يضيق بها ذرع القارىء الكريم .

وأخيراً .. أرجو أن يسمح لي بأن أقول : ان الجريدة التي كانت تصدر بالمدينة المنورة في آخر **أيام العهد العثماني تسمى « الحجاز »** وكان مديرها ورئيس تحريرها في عام ١٣٣٤هـ وبعض

عام ١٣٣٥ هو صاحب المعالي (والد الجميع **السيد حمزة غوث**) أطال الله بقاءه في صحة وعافية ، وكان لها عندي نموذج أحتفظت به زمناً ثم آثرت به الأستاذ الأخ السيد **عثمان حافظ** رئيس **تحرير جريدة « المدينة المنورة » بطلب منه** لاعتزامه إصدار كتاب مستقل عن الصحافة في بلادنا العزيزة وكانت جريدة الحجاز تصدر باللغة العربية آنئذ ، فقط ، لا بالتركية ولا معها ، وهي في أربع صفحات ، وكانت تعني بأنباء الحرب العالمية الأولى ومقاومة « الثورة » في ذلك الحين .

وأختتم كلمتي هذه بطرفة مجهولة عن « متنبىء زمانه » **عبدالواحد الأشرم** ، فقد كان صديقاً حميماً لوالدي رحمهما الله وهما في عنفوان الصبا ، في أوائل هذا القرن .. وأخبرني الوالد بأنه كان صاحب قريحة وقادة وأنه عندما علم أن عمه المرحوم **الشيخ محمد فرج الغزاوي** وهو من علماء المسجد الحرام ، وشيخ الخطاطين في زمانه وتلامذته جميع أبناء الأمراء في عهده من **ذوى عون وذوي زيد والطبقة العليا من الأهالي ، وكلهم يتعلمون الخط الجميل لديه** . وكان من خاصته وجلسائه أمراء مكة : (**عبد الله بن محمد بن عون**) ، و (**الشريف عون الرفيق أخوهما**) .. وكانت له عندهم مكانة ممتازة ، ويتمتع باحترامهم وإكرامهم .

قال الوالد : وكان عمي قد وعدني بأنني إذا زوجت فلانة شقيقتي من أكبر أبنائه (**عبد الله**) .. فإنه سيزوجني ابنته الوحيدة (فلانة) . وسمعت وأطعت ، وزوجت ابنه شقيقتي ، ثم طلبته الوفاء بالوعد ، فماطلني فيه .. ثم زوجها سراً من المرحوم (**السيد حسن الكتبي** ــ والد المرحوم **السيد علي الكتبي**) .. وكان جاراً متاخماً وذا هيئة .. وسمت علمي وقور .. ويمتاز بأنه (**ابن مفتي مكة**) آنئذ ، وجرى العقد وتمت الدخلة (خفية) .. حتى لا أعلم بذلك ، فلما أسفر الصباح ، وتبين أن لا حيلة فيما دبر بليل أزمعت أن أقاومه ، وأخاصمه ، وأفعل .. وأفعل .. وكانت كل هذه التصورات مجرد أوهام ، أملاها نزق الشباب وطيشه ، وإيثار عمي له علي ، بدون مبرر ، إلا أنني كنت أشتغل بالتجارة وأختلط بأهل الحارة وهو من طلبة العلم **وابن المفتي** ، فلجأت إلى الله تعالى ولازمت المسجد الحرام ، والملتزم .. وفي تلك الفترة **أو الغمرة الرهيبة قال لي صديقي (عبد الواحد الأشرم) : إنني سأهجو عمك هجواً أليماً** ، وأنصرك عليه نصراً عظيما .. ولا أخاف من نقمته رغم وجاهته ومكانته ، فقد ظلمك وحرمك ، وضاعف بتصرفه (ألمك) !.. وفعلاً نظم قصيدة في ذلك حفظت منها حتى الآن مطلعها وبيتاً واحداً معه ، ونسيت الباقي لأنه كان من حفظ الوالد فقط .

قال **الأشرم** :

نقضت العهد يا ابن أبي أبينا(أي يا عمنا)
وبعت بمشترى دنيـاك دينـا !
وأبدلت الأجانب بابـن صنـو
ولم تحفـظ حقـوق الأقربينـا

وانطلق فيها بما هو ذم وهدم ، وحق وباطل .

قال الوالد : وكنت أجل عمي وأحترمه ، ورغم كل ما داهمني من البلاء والإعياء آثرت الصبر والرضاء بالقضاء .

ولكن **الأشرم** ، كتبها في (مناشير) وقد زادت على الأربعين بيتاً .. وأعتزم أن يوزع

بعضها على الأهلين ، ووقعت نسخة منها بيد (**الشيخ محمد فرج الغزاوي**) .. فصعد بها إلى **الشريف عون الرفيق (أمير مكة)** ، وذلك طبعاً قبل أن يموت **الأشرم** بعدة سنوات « وأقدر أنه كان في عام ١٣٠٥هـ » وقد توفي عام ١٣١١ واستنجده عليه . فأمر **الشريف عون** مفتي الشافعية بمكة **السيد محمد صالح الزواوي** والد المرحوم **السيد عبدالله الزواوي** أن يحضره لديه ويتهدده ويجمع منه بقية النسخ ، ويتوعده بالحبس والتأديب ، وبالتسفير من البلاد أيضاً ، وأن يجمع بين الوالد وعمه ويزيل ما بينهما من الجفوة والموجدة . وفعلاً قدمها إليه تفادياً من غضب وانتقام الشريف ، وأخذت منه ، ومحيت ، أو مزقت ، وتمكن من إصلاح ذات البين ، وعادت العلاقة إلى مجاريها الصافية .

وبعد ، فإليك **يا أبا عمر** أصدق التهنئة بما وفقت إليه ، ودللت عليه من تراثنا العظيم ، وماضينا الكريم ، وشكراً وتقديراً لك ولمن سار قبلك ومعك ويسير بعدك على هذا النهج القويم .. وإني لأستزيدك من هذه الغرر والدرر .

وكم هو سروري وافتخاري بما أنتجه علماؤنا ، وكتابنا ، وأدباؤنا ، وشعراؤنا ، خلال حقبة قصيرة .. وجدوا فيها مكان القول والعمل ذا سعة ، وإن مكتباتنا لتستقبل ذلك مزهوة بما احتوى عليه كل مؤلف حديث .. من مجد باذخ .. وعز شامخ .. يصل الماضي بالحاضر ، وكلاهما تتجاوب بهما المفاخر والمآثر ، والمجامع والمنابر .. والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

٦٠٦ حجبة الكعبة في عصر الرشيد

جاء في المنهل الأغر (جمادي الأولى سنة ١٣٨٨) في باب « طرائف عربية » أن **المهدي الخليفة العباسي** دخل الكعبة ومعه (**منصور الحجبي الشيبي** من حجبة البيت العتيق ، فقال له **المهدي** : ما حاجتك ؟ فقال له **منصور** : إنني أستحي أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج **المهدي** وخرج معه **منصور** أمر له بعشرة آلاف دينار) .

قلت : ومما يؤيد قيام الشيخ **منصور** المشار إليه بالحجابة في عهد **المهدي** ما أورده **الأزرقي** في كتابه (أخبار مكة) قال : حدثني **محمد بن يحيى** عن **الواقدي** عن **ابن جريج** ، **وعبدالله بن عمر بن حفص** عن (**منصور بن عبدالرحمن الحجبي** عن أُمه قالت : كان الحجر الأسود قبل الحريق مثل لون المقام فلما احترق أسود ، قال : فلما احترقت الكعبة تصدع بثلاث فرق ، فشده **ابن الزبير** بالفضة) ..

وجاء في ذيل وثيقة ولاة العهد التي أودعها الرشيد في باطن الكعبة المشرفة أسماء الشهود فيها سنة ١٨٦هـ .. وكان من بينهم مع أبنائه ووزرائه وقضاته ورؤساء دولته ، الحجبة في عهده وهم (**الشيخ عبدالكريم بن شعيب الحجبي والشيخ إبراهيم بن عبدالله الحجبي ، والشيخ عبدالله بن شعيب الحجبي والشيخ محمد عبدالله بن عثمان الحجبي ، والشيخ عبدالواحد بن عبدالله الحجبي ، والشيخ إسماعيل بن عبدالرحمن بن نبيه الحجبي**) .

هذا ومن المعروف أنه ليس كل من كان من بني شيبة قد تولى الحجابة ـــ كمقدم أو رئيس ـــ وإنما يتولاها على قاعدتهم ، الأكبر فالأكبر سناً ، ويتلوه من هو بعده بالسن أيضاً . أما الباقون منهم ، فإنهم يقومون معه بالحجابة ـــ كمعاونين ـــ حتى يصل إليهم التسلسل بالسن أيضاً ليحلوا مكان السدانة الأولى .

ومن هنا استشكل أُستاذنا العلامة صاحب المنهل : كيف أن **منصوراً** هذا .. لم يكن في سلسلة آباء فضيلة **الشيخ أمين الشيبي** السادن الأول في عصرنا هذا ؟ ـــ فقد عرفنا أنه ليس كل **شيبي** ـــ من آبائه آلت إليه الحجابة بسبب تقدم غيرهم بالسن عليهم .. وإن كان منهم من تولاها رئاسة ، أما الآخرون فإنهم من الحجبة ما انتموا إلى الجد الأعلى (**شيبة بن عثمان**) رضي الله عنه .. والله أعلم .

٦٠٧ منصور الحجبي وابن أبي الكنات

قال **الأصبهاني** في الأغاني : « قال **هرون** وأخبرني **محمد بن عبدالله المخزومي** عن **عثمان بن موسى** (**مولانا**) قال : كنا يوما (باللاحجة) ومعنا **عمرو بن أبي الكنات** ـــ ونحن على شرابنا ـــ إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : من تحبون أن يجيئكم ؟ قلنا : **منصور الحجبي** . فقال : امهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى (سوق البقر) فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني :

أحسن الناس فاعلموه غناء
رجل من بني أبي الكنات
عفت الدار بالهضاب اللواتي
بسوار ـــ فملتقى (عرفات)

قال : فلم نلبث أن رأينا **منصوراً** من بعد قد أقبل يركض دابته نحونا ، فلما جلس إلينا قلنا له : من أين علمت بنا ؟ قال : سمعت صوت **عمرو** يغني كذا وكذا ، وأنا في سوق البقر ، **فخرجت** أركض دابتي حتى صرت إليكم ، وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال » . اهـ .

قلت : ولعل سوق البقر الذي أشار إليه الراوي كان في (حوض البقر) ! ـــ **والشيخ منصور** بادر إليهم منه وهم (باللاحجة) .. ولعلها في أطراف عِرفات ! أو أن يكون سوق البقر .. هو الذي أدركناه بأعلى مكة .. وكان الجماعة أو « الشبكة » .. بإحدى منازل (منى) القصوى . ولا أنكر انطلاق الرياح بالصوت إلى هذه المسافة البعيدة ، فقد كنت فيما بين عامي ١٣٣٠ ، و ١٣٣٧هـ أسمع المرحوم **الشيخ صالح حلواني ـــ والشيخ محمود سعد ـــ** من مفترق (**أبي لهب**) ـــ و (ثكنة جرول) وهما يشدوان في الزاهر (الشهداء) .. بعد العشاء .. وأستطيع أن أُميز بعض ما ينشدان ! على أن يؤخذ بعين الاعتبار إتجاه الريح وسكون الليل .. وعدم الضجيج ! وحسن الإصغاء ! .

٦٠٨ صورة من أدب مكة قبل ٤٠٠ سنة

قال صاحب (خلاصة الكلام) في تاريخه : (وذكر **السيد محمد مدني** المعروف **بكبريت** أنه دخل **الشيخ عبدالرزاق الشيبي** فاتح بيت الله الحرام على **الشريف حسن بن أبي نمي** ـــ (أمير مكة ـــ ٩٩٢ هـ) .. يستأذنه في السفر إلى الهند فأنشده الشريف الطبرائي :

فيم إقتحامك لج البحر تركبه
وأنت تكفيك منه مصة الوشل

فأجابه الشيخ الشيبي يقول الطغرائي نفسه في قصيدته :

أريد بسطة كف أستعين بها
على قضاء حقوق للعلى قبلي !

فاستحسن إستحضاره الجواب من القصيدة حيث لم يكن مذكوراً عقب البيت الذي ذكره **الشريف** ، فأمر له بألف دينار . اهـ .

قلت : وهذا يدلنا على المدى الذي بلغه كل منهما في مجال الأدب الرفيع والتمكن منه بما يدفع التهمة العالقة بالأذهان والتي أغرت قليلو الإنصاف عن انصراف القوم عن هذا الاتجاه ، وكم لها من أمثال وأمثال .

٦٠٩ بلشويش - بلشويش !

هذه كلمة يغلب استعمالها ، ويتكرر في « الرفق » فيما هو يزاول من عمل ، وتطلق كل دار وشارع وزقاق في جميع الأوساط لدينا ، يقولها الأول للأخير ، ويقصد بها على ما معناه الأمر ، بأن يكون تصرفه « رويداً رويدا » وأكاد أجزم بأنها ذات أصل صحيح ولها مصدر عربي أصيل وهو : تصغير الشيء فهو يقول : لا تعنف وخذ في عملك أو مشيك ، أو جدالك ، شيئاً ، شيئاً ، وهي في تطورها صارت « شوي » تصغير « شيء » وجاءتها الشين (كواو **عمرو**) أو هي مقتضبة من اتباعها بمثلها ، مع الاكتفاء بأول حرف منها في التكرار .

ولعل **أبا نبيه** يبصرنا بما في عمله الواسع من لغة ونحو .. بما يشفي الغليل ..

٦١٠ القراقيش .. بمرقة الهـوا !

لا يخلو منزل ما من بقايا الخبز .. دائماً وأبداً .. وكانت جداتنا رحمهن الله يحتفظن بكل ما يتخلف من « العيش » في أوعية مخصوصة .. ويتخذن منه تارة « الثريد » وأخرى « السوبياء » في فصل الصيف بعد أن يحرصن على سلامته من أذى الحشرات ، وفي أوعية محكمة ، يودع فيها بعد تجفيفه ، وكأن مما يقوم به الحجاج من مصر خاصة ما يطلق عليه « القراقيش » .. وهو خبز مجفف من الحب الفاخر الممتاز يصحبونه معهم أيام كان السفر براً ، وحتى بحراً ، ويكتفون به عن مشتري غيره من الخبز الطازج الجديد ، وهو ذو نكهة وطعم لذيذ .

إلا أنه بمرور الزمن أهمل أو ترك الاعتناء بذلك رغم وفرته وكثرته وغنائه وقت الحاجة .

وبالمناسبة أذكر أن عجائزنا القدامى كن إذا حان يوم غسل الملابس ، واشتغلن عن تهيئة الطعام المتخذ من اللحم والخضروات أكتفين بما يسمى « بمرقة الهوا » أي أنها لا تستدعي أكثر من الماء ، و « الكشنة » وبعض الأبازير ، أو الأباهير ، ثم يغمرن بها — المدخر — من الخبز الناشف المجزأ ويجتمعن على خوانها أو قصعتها من الثريد مع حبات المخلل ، ويملأن بطونهن مع كافة أفراد الأسرة دون أي عناء ويرين في ذلك تطبيقاً لما هو مأثور : « اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم » ، وما أدون ذلك الآن إلا تسجيلاً لبعض ما علمنا وأدركنا عليه الأوائل .. وليس

ذلك من حرص ولا بخل بقدر ما هو قناعة ومناعة ، وشكر لأنعم الله ، فأما إذا ما ذكر الكرم والسخاء فحدث عن البحر ولا حرج .

⑥١١ الحليب والخنفشار !

يتداول الأُدباء والشعراء منذ عصور طويلة بيتاً قاله الشاعر في زمنه هو :

لقد عقدت محبتهم بقلبي
كما عقد الحليب الخنفشار

وما أذكر أو أتذكر أحداً من الشراح استطاع أن يدل على هذه المادة الخنفشارية منذ أجيال طوال .. ولم أظفر بمن تحدث عنها في معاجم الحيوان أو النبات .. ولعل « القافية » وحدها هي التي أملت على الشاعر هذه الكلمة .. وقد أطلقها المتأخرون على المزور أو المشاب بالسفسطة ..

فأما انعقاد الحليب في عصرنا هذا فوسائله كثيرة ، بما يمزج به من « النشا » و « دقيق الرز » وغير ذلك ، فإذا أُريد أن يكون « لبناً » أي « الزبادي » فإنه يخلط بخميرة سابقة منه وفيه ، فأما الجبن والتجبين فبإضافة ما يسمى بـ « المنفحة » إلى الحليب ، ولعل لهذا الخنفشار أصلاً لغوياً ، لم يتيسر لنا العلم به وعسى أن يسعفنا به من لديه خبر عنه أو خبرة فيه ، على أن لا يكون « خنفشارياً » ..

⑥١٢ اللقيمات ، والمشبك والزلابية ، وكل واشكر

اعتاد الناس في « أُم القرى » عليها سلام الله ، وشتى مدن الحجاز ، منذ عصور وأجيال على بعض الأطعمة التي لا بد منها في الصباح للإفطار ، ومنها « اللقيمات والهريسة والعصيدة والمطبق والفول المدمس » .. وأُلاحظ أن الثلاثة الأولى أخذت في الإنكماش أو الإضمحلال ، ولم يبق إلا « المطبق » مع ضآلة في محترفيه ، وقلة في راغبيه ، وكذلك المعصوب ، وما هو إلا ما قاله الشاعر في « **ابن جدعان** » يوم نصب موائده من الأبطح إلى المسجد الحرام « لباب البريلبك بالشهاد » وتطور فزاد عليه المحدثون « الموز مرة والقشطة مرة أُخرى » ، وأصبح المعول لعامة الناس وذوي الأعمال والعمال .. والكادحين على هذا الفول المدمس فإنه الطعام الأساسي للطبقات العاملة غالباً ، ولا غنى عنه لهم جميعاً وإن خلا من « السمن البقري » و « الخبز البيتي المقمر » والزلطات « المزلطات » ذات الخواص المشهية . وكنا نزدرده بالزيت « زيت الزيتون » بعد أن يحمر ويبزر ، وأغلب الظن أن الجيل الجديد قد انصرف عن ذلك كله بكسل معداته وغلبة مشكلاته ، وبطء يقظاته ، وطول سهراته ، وضعف حركاته ، وعدم قابليته ، وقلة رياضياته .

وانعدمت مباسط « المشبك » وكان مما يتهادى به ذوو الأسر والقرابة والأرحام في مناسبات تتكرر خلال العام الواحد .. وقد اكتفى الكثيرون بالافطار البسيط — من شريك — وتميس وقطعة من الجبن وفنجال أو فنجان من الشاي ، أخذاً بقواعد الصحة ، وعدم

الإكتظاظ ، وعدم استطاعتهم هضم « المغلطات » التي كان آباؤهم وأجدادهم شديدي الحرص على تناولها ، الأمر الذي لا شك يحرمهم من كثير من مقومات الحياة سلباً وإيجاباً ..

وما أصدق الحكمة التي تقول :

« نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » و « البطنة تذهب الفطنة » ولا يصح ذلك في التوسط وعدم التورط .

وأذكر بهذه المناسبة أن السلطان « قايتباي » بسط له أمير مكة « بالعقبة » سماطاً عظيماً ، كان من جملة ما مدفيه « حلوى » ممتازة تسمى « كل واشكر » .

قال المؤرخون : انه عندما تناول منها وعرف إسمها التفت إلى ابن الأمير الذي كان ينوب عن أبيه في هذه الضيافة وقال له : « قل لأبيك أننا أكلنا وشكرنا » .

وهناك « الزلابية » تلك التي أنشد فيها الشاعر القديم « **ابن الرومي** » قوله في مليح زلباني :

نفسي الفداء لخبار مررت به
يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

فهي بدورها كانت من ضروريات ولائم الزفاف .. وما تزال تصطنع فيها غالباً ويوزع منها في « المعاشر » أي الأطباق المزخرفة على ذوي الرفود .. وقد أخذت في الانكماش ، أيضاً ، وأحسب أنه لا تمر أعوام قليلة حتى تنزوي مع سواها مما ذكره ، إكتفاءاً بما لا كظة فيه ولا تكلف ، وبما « يلزم الروح لا تروح » .

وربما شهد أهل هذا القرن من تطور مع الماء القراح المقفل ، أو المبخر « بالمصطكاء » .

ثم امتدت المسافات .. واتسع البلد ، وأصبح أكثر الناس في ضواحيها البعيدة ، فاضطرب التزاور فإن ذهب إليها كلها أو بعضها .. كل ومل .. وأضمحل وإن لم يفعل فما أقل وفاءه ، وأضعف إخاءه .. ورب ملوم لا ذنب له .

وهناك فريق يسكن الجبال ولا سبيل إليها أو إليه فيها إلا على الاقدام ، وهي مشقة حتى على الأقوياء الذين تعودوا على الرفاهية وامتطاء متون السيارات فقط .

وكم هو جميل وحسن جلوس البعض في الدور الأول من دورهم ومنازلهم للاستقبال ، فهو أسهل للزائرين وأيسر للمعايدين وإن لم يكن ذلك ممكناً إلا للموسرين من أصحاب الدارات الجديدة .

وبعد هذه « الدردشة » أحب أن ألفت الأنظار إلى ضرورة اتخاذ نظام اجتماعي عام ــ لهذه المعايدات ــ يقترحه المجلس البلدي الموقر ويجعل فيه التقليد القديم أساساً لها ، ففي اليوم الأول : السلام على أمير البلاد ، وكبار المشايخ والعلماء ، وذلك بعد أداء صلاة العيد مباشرة واستقبال لخواص الأهل والأقارب في المنزل ، ثم استراحة وهدوء ، ونوم . وفي اليوم الثاني منطقة متقاربة ، متجاورة ، تضم ستة أو سبعة من الأحياء أو المحلات ، ومثل ذلك التجاور والتقارب (طبعاً) ..

وبهذا تزول الفوضى المستحكمة .. هذا من جهة ومن جهة أُخرى يجب أن تكون الزيارة فضلاً وكرماً من القائمين بها فلا يزعجهم عدم ردها من البعض الذي قد يطرأ عليه ما يمنعه من ردها .. بأية صورة كانت كالشيخوخة أو المرض ، أو تعذر الحصول على وسيلة نقل صالحة أو العجز عن السير الطويل ، أو الأُجرة الباهظة ..

فإن العيد تسامح وتصافح ، وتصالح ، وتناصح ، فأما الحساب الدقيق فإنه سبب لما لا يحصى من المشاكل التي يجب أن يحلها العيد بجملته وتفصيله .. وذلك على قاعدة : « ما لا يدرك كله .. لا يترك جله » وأن لا يتكلف المرء ما لا يطيق .. والله ولي الإعانة والتوفيق .

٩١٣ عليهم يابرد والبحتري والمبرد

ما زلت أتذكر ــ عهد الطفولة ــ عندما كان جو مكة المكرمة إبان الأمطار الغزيرة ــ وفي فصل الشتاء ــ تدوم فيه « صبارته » حتى ليتجارى الصبيان والغلمان وراء « العراة » الحفاة من فقراء الحمال والعمال وضعفاء الحال ، ويصيحون بهم ومن خلفهم ومن حولهم خبثاً وشيطنة : « عليهم يا برد » ..

وتقوم معارك بينهم وبين بعضهم من أهل البادية المتحفزين ، وأهل التكرور المجاورين . معارك بالحصى ، وتارة بالعصا ..

وكان من الضروري أو الطباق ، أو الموافقة ، أن يكون مثل ذلك في « عروس البحر الأحمر » جدة المحروسة ، ولكنه في فصل الأسد والسنبلة .. فيكون العكس .. أي « عليهم يا ومد » ..

ولكنني لم أسمع ذلك قط ، خاصة بعد تعميم المكيفات ، وتعمير الضاحيات ..

وقرأت طرفة قديمة أرجو أن يتفكه بها القارىء الكريم :

قال **أبو عبادة البحتري** محدثاً عن نفسه :

« خرجت من منزل **أبي الصقر** (أحد وزراء **المعتمد**) نصف النهار في تموز ، فقلت : ليس بقربي منزل أقرب من منزل « **المبرد** » .. وكان منزلي بعيداً بباب الشام فجئته فأدخلني إلى حويشة له، وجاء بمائدة فأكلت منه لونين طيبين، وسقاني ماءاً بارداً وقال لي : أحدثك إلى أن تنام . فجعل يحدثني أحسن حديث ، فحضرني لشؤمي ، وقلة شكري بيتان ، فسألته أن أنشدهما ؟ فقال : ذلك إليك ، وهو يظن أني مدحته بهما . فقلت :

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق
على أنه منه أحر ، و « أمد »
ظللت به عند « المبرد » قائلاً
فما زلت في ألفاظه ــ أتبرد ــ

فقال لي : قد كان يسعك إذ لم تحمد ألا تذم ، وما لك عندي جزاء إلا أن أُخرجك .

والنكتة التي اصطادها من الحر ومن معنى **المبرد** هي التي ورطته هذه الورطة » اهـ .

وقد لي مع شاعر العرب الأكبر **فؤاد باشا الخطيب** ــ رحمه الله ــ ما يقرب من ذلك في زيارة حظيت بها منه في داري بمكة فقال من أبيات بخط يده :

ابصرت فيك « البحترى » ممثلا
وسمعت ما همس الزمان جهارا

فتصنعت الإنزعاج والإحتجاج وقلت له : كيف هذا يا باشا ؟ هل تراني مثله تشويهاً في المنظر .. أو ما وصف به من القذارة والرثاثة أو التشادق ؟ فقال : حاشا لم أعن بذلك إلا خير ما تميز به البيان .. وأين هو منك يا غصن البان ؟

قلت : وقد أوردتها بنية النصيحة للاتعاظ والاعتبار ، فماكل بارد محمود ، ولا كل حار مذموم .

٩١٤ اين هي جـزائر (واق الواق) ؟

ما أكثر ما نقولها .. ولو سئل أكثرنا أين هي واقعة أو كائنة .. لترددنا في الإجابة .. إلا من حفظ !

ومصادفة قرأت في مجلة الأزهر الصادرة في جمادي الأولى ١٣٨١ مقالاً مطولاً للأستاذ السيد **عبدالقادر عبدالله الجفري** بعنوان (العرب في أندونسيا) جاء فيه قوله نصاً : « .. بفضل أولئك الدعاة الأولين وأبنائهم دخل الإسلام كل جزائر أندونيسيا .. والفلبين .وبالاسلام لمع اسم أندونيسيا وكانت تعرف في ذلك الزمان بـ « واق الواق » (الخ) اهـ .

قلت : وأغلب الظن أنه يقصد بـ (ذلك الزمان) ـــ القرون : السادس والسابع والثامن الهجرية . فأما علة التسمية : فما أحسبها إلا من قبيل المحاكاة لأصوات الطير التي تحلق فوق البحار والجزر ... فكما يقول الغراب : (غاق .. غاق) تكون لهجة أبناء عمومته من ذوات الجناح في تلك الآفاق : « واق ، واق » بإبدال الغين بالواو ، بحكم الطقس والإنطلاق ، أو بمفهوم التلاقي والفراق . فإن لم يقنع بذلك القارىء الكريم وأنكر ، فما عليه إلا أن يغير : (والحقيقة بنت البحث) .

٩١٥ الأوادم !

إذا استحسن أحدنا من شخص ما عملاً أو فعلاً أو قولاً .. قال عنه : أنه (آدمي) أو إنسان ! ـــ وكأن الآدمي والإنسان ـــ قمين بأن لا يصدر منه أو عنه إلا ما لا يتنافى مع الأدب أو الذوق ! نقلاً وعقلاً !

ويجمع الآدمي على (أوادم) .. ونقول : لا يسمعك الأوادم ! إذا نطق بالنابي من الكلام أو تخشى به الفضيحة ويقترن به المقت . وقرأت لأبي العلاء المعري بيتاً قال فيه :

وما آدم في مذهب العقل واحداً
ولكنه عند القياس (أوادم) !

وما أريد من إيراده إلا الاستشهاد باستعماله هذا الجمع فقط ، واستمرار التداول به حتى اليوم ، وأن الغالب على مفرده وجمعه ، الأخلاق الكريمة ، والأذواق السليمة !. والواقع أن الآدمي كبشر لا يخلو من النقص أو التقصير . وقديماً قال الشاعر :

من ذا الذي ما ساء قط ؟
ومن له الحسنى فقط ؟

والكمال لله وحده جل وعلا .

٦١٦ خوش أي حسن

يستعمل أهل العراق والخليج العربي .. وبعض اخواننا أهل نجد ، كلمة : (خوش) بمعنى : حسن ، أو جيد .. وأكاد أجزم بأنها (فارسية الأصل) ، وربما استطاعت الإستقرار بالجوار قديماً .. وقد أخذت تتوارى أو تحتجب في السنين الأخيرة ! وأكثر ما سمعت من العلماء وكبار القوم وأماثلهم كلمة (حسن) .. ويقابلها عندنا كلمة (عال) ، أو (طيب) .. و (حسن) خير منهما ... والله يحب المحسنين ..

٦١٧ روح سوي زي ماتبغى

لا يخلو يوم ولا لسان من ترديد هذه الكلمة .. كلما ضاق ذرع القائل بمن يخاطبه ! وهي على عاميتها ذات أصل مكين . وأساس ركين من الكتاب الكريم والسنة النبوية .

قال تعالى : ﴿ **اعملوا ما شئتم إني بما تعملون بصير** ﴾ .

وقال ﷺ : « **إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » !

قلت : وصيغة : (زى) ــ هنا ــ هي بمعنى (مثل) .. وتغلب في لهجة أهل الحجاز ! وما لها من بديل أو تبديل ! رغم أنها لا ترادف المثل في دبير أو قبيل .

٦١٨ (الاسكندرية) بين مكة والمدينة

جاء في القاموس المحيط أن « الاسكندرية » اسم لستة عشر موضعاً منسوبة إلى الاسكندر الملك .. وذكر موقعها في البلاد الشرقية ، وذكر منها « بين مكة والمدينة » .

قلت : وقد ذيل كلامه عن ذلك بقوله : « **وخمس** مدن أُخرى » مما يدل على ما كان بين (مكة ــ والمدينة) إنما هو (قرية) .

وهنا نتساءل عن هذه (القرية) .. بين الحرمين الشريفين .. وهل لم تزل يطلق عليها الإسم حتى الآن ؟ أم أنها درست ولا وجود لها إلا فيما سلف .. فهل نجد الإجابة على ذلك ممن هو على علم بحقيقته ، وبمكانه وسكانه ؟!.. وما علمنا أن الاسكندر قام حول هذا الحمى في فتوحاته ! على أنها إن وجدت فلا تعليل لذلك ــ في الغالب ــ إلا مجرد الإسم أطلقه عابر بالطريق لسبب ما ، وفي سعة من العلم .. نتوخى البيان الشافي من سيادة العالم الأثري الكبير ــ صاحب المنهل الأغر[1] ــ في حياته . وزاد من حسناته .

---

(١) (المنهل) : راجعنا ما ورد في القاموس المحيط عن الاسكندرية التي قال وأيده شارحه الزبيدي : أنها بلدة بين مكة والمدينة ، وقد تذكرت بالمناسبة ما ورد في كتاب (تاريخ مدينة جُدّة) تأليف رئيس تحرير هذه المجلة ، بالصفحة ٥٧ نقلاً عن كتاب « الأخبار الطوال » للدينوري ، من أن الاسكندر المقدوني جاء مكة في حياة النضر بن كنانة ــ جد النبي ــ ﷺ ثم قطع البحر من جدة يؤم بلاد المغرب . فلربما يكون المقصود بالبلدة في قول صاحب القاموس ــ جدة ــ ، كما أنه من المحتمل أن تكون كما أشار إليه صاحب هذه الشذرات (مجرد إسم أطلقه عابر لمناسبة ما) والحقيقة بنت البحث .

٩١٩ الفشر والفشار

من المعروف في بيئتنا .. والمتداول كلمة « فشر » يقولها أحدنا يصف الآخر بأنه قد كذب .. أو بالغ .. أو لا يستطيع أن يفعل ما يقول ! و (الفشر) عبارة عن كل هذه المدلولات مجتمعة أو مفترقة .. ولا أصل له في اللغة .

أما الفشار : فمع أنه أخو الخنفشار .. ويطلق على ما يقترن بالحمص .. ويؤكل معه غالباً .. وأحسبه مشتقاً من انتفاشه !

ويقول صاحب القاموس : « .. الفاشري دواء ينفع لنهش الأفعى والهوام ! والفشار الذي تستعمله العامة بمعنى الهذيان .. ليس من كلام العرب .

قلت : وبالتداول والاستمرار في استعمال العرب لهذه الكلمة .. ألا يحق لها أن تأخذ مكانها في المعاجم المحدثة ، ما دامت متمكنة ولها هذا الإنتشار الواسع في جميع الأوساط ، خاصة مع كثرة « الفشارين » ؟!

٩٢٠ « بس : عربية »

هذه الكلمة .. أكثر من غيرها تداولاً في جميع الأوساط .. وتعني : (كفى) . وقد أوردها بعض الظرفاء القدامى من الشعراء — على لسان الألثغ — إذ يقول : بث ، بالثاء بدل السين .. ودونوا ذلك في طرائفهم .

وكنت أظنها فارسية .. دخيلة .. فوجدتها مما نص عليه **الفيروزابادي** فقال : « ... وبس بمعنى حسب .. » اهـ وهي نفسها « كفى » ! بينما هي ذات مدلول مناقض أو مختلف عندما تخاطب بها (الناقة) حين احتلابها والتلطف بها بأن يقال لها « بس : بس » تسكيناً لها .

ولست أدري إن كانت ما تزال حتى الآن .. تؤدي نفس الغرض في زماننا هذا ؟ فإن من المحتمل أن تكون قد تبدلت أو تطورت .. إلا أن يكون الحيوان محافظاً وحريصاً على ما اعتاده من الأصوات ؟ وهنا يحضرني تساؤل آخر .. وهو « لماذا يطلق على الهر والهرة : البس والبسة بكسر الباء ؟ وبنفس الكلمة يدعيان .. ويطردان وكأنما هي من الأضداد ؟! وفي اللغة نص على أن (بس ، بس) دعاء للغنم ... لا للقطط !

٩٢١ والله لا نسأل

« عن **جابر** : قال دخل **أبو بكر** يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه . ولم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن **لأبي بكر** فدخل ، ثم أقبل **عمر** فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه — واجماً ساكتاً — ! قال : فقلت لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ فقال : يا رسول الله لو رأيت **بنت خارجة** سألتني النفقة ، فقمت إليها فوجأت عنقها ! فضحك رسول الله ﷺ وقال : « هن كما ترى يسألنني النفقة » . **فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها** » وقام **عمر إلى حفصة يجأ عنقها** ! كلاهما يقول : تسألين رسول الله ﷺ ما ليس عنده ؟! فقلن : « والله لا نسأل » . رواه البخاري . « عن مشكاة المصابيح » .

قلت : كم تمنيت أن تتكرر إذاعة هذا الحديث الشريف صباح مساء في (الراد) أو (الراديو)

أو (المذياع) أو في (المرناء) .. فلعله يخفف من غلواء النفقات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، مما أحدثته حضارة هذا الزمان .. وضيقت به على متوسطي الدخل ومحدودي الكسب ، الذين يتكلفون بما لا يطيقونه من المحدثات و « الفساتين » التي لا تلبس إلا مرة ثم تلقى ! وثمن الواحد منها لا يكاد الرجل منهم يجمعه ويدفعه إلا (بعرق القربة) ! أو بالذين ، وما وراء ذلك من مشاكل لا تعد ولا تعد ! والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٦٢٢) سيدي وجدي وستي وجدتي !

يطلق أهل مكة — وربما أهل الحجاز قاطبة كلمة (سيدي) .. على الجد .. وكلمة (ستي) على الجدة ! وما كان ذلك كما نصت عليه اللغة الفصحى .. وإنما هو مجرد إصطلاع — درجوا عليه من قرون طويلة . لا نعرف لها أولية . وما أحسب غيرهم من أهل الأقطار العربية الأخرى تستعمل ذلك .. إلا أن يكون أحدها سبق إليه .. وتابعه عليه أهل الحجاز .

كما أن أهل بلادنا قاطبة يسمون الأخت (كريمة) حالما نجد أنها بالبلاد العربية الأخرى تطلق الكريمة على (البنت) فقط ! ومن هنا يقع الإلتباس ، عند بعض الناس في التعرف إلى (الكريمة) .. أهي الأخت ؟ أم البنت . أما في الحجاز .. فإنه متى أطلق فلا يعنى غير الأخت ف كل المناطق بادية وحاضرة ولا مشاحة في ذلك .. فلكل بلد مصطلحاته وعاداته وتقاليده وما ظفرت بنص قديم في أمثال هذه الكلمات ، ومتى بدأ استعمالها ؟

ولعل أستاذنا الكبير صاحب المنهل الأغر يرشدنا إلى ما لم نقف عليه من معلوماته الواسعة .

(٦٢٣) مصارعة الثيران والحيوان !

لشد ما يشمئز الناظر إلى مصارعة الثيران في (أسبانيا) من المشاهد القاسية لمصارعة الإنسان مع أخيه الإنسان .. فإن كلا منهما متوتر للأعصاب .. مثير للرحمة والشفقة وينكره كل ذي قلب سليم ووجدان حي ، فما نفهم المصارعة إلا ما يطلق عليه الأطفال — (المعاتلة) — لا المقاتلة — وهي تعني في الحقيقة (الموازنة) .. وتحكمها قوانين الرياضة التي لا اعتداء فيها ولا انتقام ، ولا تشويه ولا إيلام ، وكنت قد حجبت نظري عن مشاهدة هذا النوع من الأفلام (المرنائية) لا لأنها مزعجة ومكربة ، ومحزنة فحسب .. بل لأن الصبيان والغلمان وربما الفتيان يحاولون تمثيلها في أصائل فسحاتهم وملاعبهم .. وما « أحد أحسن من أحد » .. كما يقولون . ويرون أنهم أكفاء لهذه اللكمات واللطمات في الوجوه والأقفية ، ويجدون أصحاب العقول يصفقون لمن يكون أفتل عضلاً ، وأقوى ضرباً وتقدم إليه الجوائز الكبرى وأين ؟ في الشعوب المتقدمة ذات الحضارة العريقة ! وفاتهم أن هؤلاء يتفانون في الحروب ويدمرون الأخضر واليابس ، ويهدمون ما بنوه بأيديهم ! وقد قرأت كلمة طيبة في هذا المعنى نشرها الأخ الأستاذ (**علي أبو العلا**) في إحدى الصحف اليومية المحلية منبهاً إلى الأخطار التي تنجم عنها في محيط النشء الساذج فشكرته وأكبرته ، وإني لمؤيد له وأرجو أن تكون البرامج التلفازية سخية بما يسر ولا يضر

وما يهذب ويثقف ، فإن ذلك خير من الإغراء والمزعجات .. فما في الإسلام إلا الخير والرحمة والرأفة والحب والإحسان . فأما الإعداد والتمرين ففي معاهد الدراسة وكتائب الجيش والسباحة والفروسية . ومناكب الفضاء وكواكب السماوات وبهذا يحفظ التراث وتدفع الأحداث .

٩٢٤ باجوه القبوري والشريف عون الرفيق

إنها حكاية تجمع بين الفكاهة ، والنكتة ، والاعتبار ، وقد سمعتها من مصادر شتى ممن طواهم الثرى . رحمهم الله ، قالوا : أن (**باجوه**) وهو شخصية مشهورة ممتازة في الشكل والمظهر .. والخبر والمخبر ، وله مكانة محترمة .. بين (أهل الحارة) و (المشاكله)[1] ! أيضاً .. وقد أدركته وعرفته وحادثته في شيخوخته الشابة الفتية النشطة ولا تفارق يمناه (العصا المزقرة !) في حدود عام ١٣٣٠ و ١٣٣٣هـ ، قالوا انه إستدان مبلغاً كبيراً مقسطاً ولم يتمكن من السداد في حينه .. وذلك في أواخر عصر إمارة **الشريف عون الرفيق** (رحمه الله) .. ولم يجد مدينة حيلة إلا الشكوى إلى **الشريف** بعريضة كانت عباراتها مؤثرة جداً ، فأرسل الأمير المشار إليه (البواردية) إلى الشيخ (**باجو**) فاحضروه ... في زفة عرف أهل الشارع ما وراءها وهو الجلد .. وأحاط به الغلمان .. وهو في شبه ذهول من الفاجعة ! فلما أدخل على (**الشريف**) في مجلسه ، حملق فيه وردد البصر في وجهه كرتين !

(١) (المنهل) : المشاكلة ـ بفتح الميم ـ جمع مشكل ـ بكسر الميم .. ويعني بهذه الصيغة في الحجاز أهل الفتوة .

ثم قال له : يا ولد لماذا لا تسدد دينك وتماطل في أدائه ؟ فقال (**باجو**) : يا سيدنا أطال الله عمرك ، فرج الله قريب ، وأرجو أن يمن علينا بموسم طيب ونسدد إن شاء الله . قال سيدنا : ايش تقول ؟. وما هي علاقتك بالموسم والحجاج ؟ وكان الشهر (شوالا) .. قال يا سيدنا : لا بد ان الله يرحمنا ويرزقنا ويكون عملنا فيه ناجحاً .. وربحاً كبيراً ! قال : ايش حرفتك انت ؟ قال : قبورى ! فصاح سيدنا : « أما عجيب ؟ أتتمنى للناس والحجاج الموت » وتحب تقع (شوطة) في البلد .. أي (كوليرا) والا ايش ؟.. أعوذ بالله منك ومن جماعتك ! وصاح سيدنا بالخزناوية والزبانية ، أن يأخذوا به إلى السجن ولا يطلق حتى يدفع ما عليه للدائن ! وانتقل (**الباجو**) مستدبراً إلى الباب وحوله من يدعه .. ويغله .. ويدفع به إلى السجن المظلم .. وكان في استدباره يدمدم بكلمات لا تكاد تفهم ! وهي بين السر والعلانية ! فصاح بهم سيدنا : أعيدوه ! وسأله ماذا أنت تقول الآن ؟ لأنه فهم أنه يشتمه . فقال : عفوك سيدنا : أنا ما قلت شيئاً ! أنا بس عمال ألعن الحجاج . فقال سيدنا لماذا تلعنه ؟ فقال : أقول الحق وألا أنافق ؟ قال : لا ! قل الحق .. قال : والله ان الناس يلعنونه لأنه أفحش فيكم التعذيب والقتل .. ولكنني أنا ألعنه لأنه لا رحمه الله ما استأصلكم مرة واحدة بل ترك لكم بقية تفعل فينا ما تشاء وتظلم عباد الله الضعفاء أمثالي ؟! وهنا تحبك النكتة .. (فيسطح سيدنا بملء شدقيه : أي يضحك ضحكاً عالياً ويقربه منه ويقول : « اننا مكافأة لك على صراحتك وتفريجاً لكربتك نطلقك ولا نشق عليك ! على أن تسدد دينك حين الميسرة ، ولكن بدون انتظار

« الشوطة » .. واخذ يداعبه معجباً بما أعلنه من ذات نفسه ومقدراً انه ما قال ذلك إلا من ضنك وعسر ، وضيق شرير ! وخرج ناجياً بنفسه من البلاد ، وأخذت الحكاية مجالها في كافة الأوساط والمجالس والمقاهي والحارات .. والله أعلم « والعهدة على الرواة » !!

٦٢٥ العيد والمعايدات

نلاحظ في أيام (عيد الفطر) السعيد .. جدباً بعد إخصاب .. وإيجازاً بعد إسهاب وإطناب ! ومبالغة في الاقتضاب ! هذا إذا جازت الإستعارات في هذا الباب .

فزيد يستقبل العديد من زواره ومعايديه ، ولزام عليه أن يرد لهم الزيارة إما في الحال أو في اليوم الثاني أو الثالث أو حتى الرابع . فما أن يخرج ، ولا سيما إن كان وحيد .. أو كبير السن .. أو يتكلف الحركة بمرض يشكو منه .. حتى يوافي منزله آخرون .. فلا يكاد يعود وهو متعب مكدود حتى يجد الأسماء أمامه في قوائم أُخرى ، أو بطاقات كثيرة ممن زاره ولم يجده .. فهو بهذا بين أمرين أن يبادر مرة أُخرى فيخرج لرد الزيارة إلى أهلها أو يجد نفسه عاجزاً عن ذلك إضطراراً .. وهو بدوره إذا لف ودار .. يلقى أصحابه فيما يشبه وضعه .. قد خرجوا لنفس الغاية .. وقلما يظفر بمَن قصد .. فإما هو يتنزه في الضواحي ! وبابه مغلق .. أو يقابله خادم على الباب بأنه قد خرج لرد الزيارات ..

ويعود أدراجه .. دون أن تتحقق الغاية الأولى من هذه المعايدات التي أخذت في التضاؤل والاضمحلال .. نتيجة لاتساع المسافات وبعدها .. فما أكثر الناس بأصحاب سيارات أو حتى دراجات !

وقد كان العيد ــ قبل أربعين أو خمسين سنة ــ محافظاً على تقاليده الطيبة .. ويتلاق فيه الأحباب والأصحاب والأقارب والأصهار ويتبادلون عبارات المودة والصداقة ويتصافى فيه الإخوان والخلان .. وتزول بواعث الخصام والأضغان .

وكما عرفه الأحياء من ذوي الأسنان .. كان لكل يوم عدة محلات متقاربة لهذه المزاورات والمعايدات .. فمكة مثلاً كانت ١٢ محلة ، تقسم إلى ثلاثة أيام .. من اليوم الثاني .. أما الأول ، فإنما هو للأسر الكبيرة ، يتقدمهم كبيرهم أو عميدهم بدعوتهم للفطر عنده أو الغداء مع العشاء .. وكان السير على الأقدام .. والصعود إلى الدور مع سلالمها العالية .. ولا يمنع ذلك الشيخ الهرم والشاب الجذع من أن يبدأ أو يعيد الزيارة لكل من عرف ومن لم يعرف ولا يفوته جار ولا صديق ولا قريب .. وكان الجو حاراً ، ولا توجد « ثلاجات » ولا « فريزرات » وإنما هي أكواب القهوة أو الشاي ، ومعها كؤوس الشراب المبرد في « الغلايات » أو « السوبيا » و « بزر الريحان » وما إليها من عوائد القرون الطويلة المتسلسلة .

٦٢٦ ابن زهر ــ وابن عبدون

قرأت هذه القصة الطريفة فى « المعجب » **للمراكشى** قال : « ان **الوزير الأجل أبو بكر محمد بن الوزير أبى مروان عبدالملك بن أبى العلاء زهر بن عبدالملك بن زهر**

(٥٠٧ — ٥٩٥ هـ) حدثه فقال : « بينا أنا قاعد فى دهليز دارنا — وعندى رجل ناسخ أمرته أن يكتب لى — « كتاب الاغانى » .. فجاء الناسخ بالكراريس التي كتبها . فقلت له : أين الاصل الذى كتبت منه لأقابل معك به ؟ قال : ما أتيت به معى .

فبينا أنا معه فى ذلك اذ دخل الدهليز علينا رجل بذ الهيئة عليه ثياب غليظة أكثرها صوف وعلى رأسه عمامة قد لاثها من غير اتقان لها .. فحسبته لما رأيته من بعض أهل البادية فسلم وقعد وقال لى : يا بنى استأذن لى على الوزير **أبى مروان** . فقلت له : هو نائم ..

هذا بعد أن تكلفت جوابه غاية التكلف ، حملنى على ذلك نزوة الصبا ، وما رأيت من خشونة هيئة الرجل . ثم سكت عنى ساعة وقال : ما هذا الكتاب الذى بأيديكما ؟ .. فقلت له : ما سؤالك عنه ؟ فقال : أحب أن أعرف اسمه ، فانى كنت أعرف أسماء الكتب فقلت له : هو كتاب الاغانى . فقال : إلى أين بلغ الكاتب منه ؟ قلت : بلغ موضع كذا .. وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قالبه . فقال : وما لكاتبك لا يكتب ؟ قلت : طلبت منه الاصل الذى يكتب منه لأعارض به هذه الاوراق ، فقال : لم أجىء به معى .. فقال : يا بنى خذ كراريسك وعارض ، قلت : بماذا ؟ وأين الاصل ؟ قال : كنت أحفظ هذا الكتاب فى مدة صباى ، قال : فتبسمت من قوله ، فلما رأى تبسمى قال : يا بنى امسك علي ، قال : فأمسكت عليه وجعل يقرأ ، فوالله ان أخطا واوا ولا خاء ، قرأ هكذا نحوا من كراستين ، ثم أخذت له وسط السفر وآخره فرأيت حفظه فى ذلك كله سواء ، فاشتد عجبى ، وقمت مسرعا حتى دخلت على أبى فأخبرته بالخبر ووصفت له الرجل ، فقام كما هو من فوره — وكان ملتفا برداء ليس عليه قميص — وخرج حاسر الرأس حافى القدمين لا يرفق على نفسه ، وأنا بين يديه ، وهو يوسعنى لوما حتى ترامى على الرجل وعانقه ، وجعل يقبل رأسه ويديه ، ويقول : يا مولاى اعذرنى ، فوالله ما أعلمنى هذا الجلف الا الساعة ، وجعل يسبنى ، والرجل يخفض عليه ويقول : ما عرفنى ، وأبى يقول : هبه ما عرفك فما عذره فى حسن الادب ؟

ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلا ، ثم خرج الرجل وأبى بين يديه حافيا ، حتى بلغ الباب ، وأمر بدابته التى يركبها فأسرجت وحلف عليه ليركبها ثم لا ترجع اليه أبدا .

قال : فلما انفصل ، قلت لأبى : من هذا الرجل الذى عظمته هذا التعظيم ، قال لى : أسكت ويحك ، هذا أديب الاندلس وامامها وسيدها وعلم الآداب ، هذا **أبو محمد عبدالمجيد بن عبدون** ، أيسر محفوظاته كتاب الاغانى ، وما حفظه فى ذكاء خاطره وجودة قريحته .

قلت : وابن **عبدون** هذا صاحب القصيدة الرائية المشهورة فى رثاء الدول الإسلامية والاندلس ومطلعها :

الدهر يفجر بعد العين بالاثر
فما البكاء على الاشباح والصور

وقد آثرت اتحاف القراء بهذه الطرفة لما فيها من فوائد جمة ، ومنها أن عظماء القوم فى القرن

السادس كانوا يجعلون من « الدهاليز » صالونات استقبال وجلوس ، كما هو الحال فى عصرنا هذا[1] أما ما قبله فما كانت الا ممرا للصاعد أو الهابط إلى علو المنزل أو الدار أو القصر ، ومأوى للخدم والبوابين ، ومما أحفظه من الحكم الخالدة « المرء مخبوء تحت طى لسانه ، لا تحت طيلسانه » .

٩٢٧ (هوبي) - (هوبي)

ورد في كتاب الجمان قوله : « وحدثنى » **العشاوى** باسناده عن **أبى هريرة** رضي الله عنه أن رجلا جاء رسول الله ﷺ يستعينه في دم فأعطاء شيئا ، وقال : هل أحسنت اليك ، فقال الاعرابى : لا — ولا أجملت : فغضب بعض المسلمين وهموا به ، فأشار اليهم النبى ﷺ أن كفوا عنه ، وقام إلى منزله ودعا الاعرابى فزاده شيئا ، ثم قال : هل أحسنت اليك ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبى ﷺ : انك جئتنا فأعطيناك وقلت ، وفى أنفس أصحابى عنيك من ذاك شيء ! فقل بين أيديهم مثل ما قلت بين يدى ليذهب من صدورهم ما فيها عليك . فلما جاء الاعرابى ، قال رسول الله ﷺ : ان صاحبكم سأل فأعطيناه وقال ما قال ، وقد دعوناه فأعطيناه ورضي ، اكذاك ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبى ﷺ : « ان مثلى ومثل هذا الاعرابى مثل رجل شردت ناقته فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا ، فقال صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى فأنا أرفق بها . ثم أخذ من ثمم ثمام الارض : (هوبى — هوبى) حتى جاءت فاستجابت وشد رحلها واستوى عليها . وانى لو اطعتكم حيث قال ما قال فقتلته . دخل النار » .

قلت : وفي ذلك من الحض على المداراة ، والدفع بالحسنى ، ومكارم الاخلاق ما يجب ان يقتفيه كل من يؤمن بالله واليوم الآخر . وصدق الله العظيم : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ .

وفى الحديث الشريف كلمة : « **هوبى ، هوبى** » في استدعاء الناقة واخلادها إلى السكون والاطمئنان ، ولا أدرى ان كانت ما تزال مستعملة حتى الآن في هذا المعنى ام لا ؟ ولعل اصحاب العلم والخبرة بذلك يدلوننا على ما نجهل من هذه الكلمات المأثورة مشكورين .

٩٢٨ الفرزدق والكميت

قرأت أن **الكميت الأسدى** وقف وهو صبى على **الفرزدق** وهو ينشد أشعاره ، فأعجب **الفرزدق** حسن استماع **الكميت** ، وأخذه الزهو والخيلاء .. فلما فرغ من انشاده أقبل على الصبى وقال له : هل أعجبك شعرى يا بنى ؟ فأجابه الكميت : لقد طربت لشعرك طربا لم أشعر بمثله قط ! فانتشى **الفرزدق** ، وأخذ العجب منه كل مأخذ ، وقال للصبى — في نشوة المفتون : أيسرك أنى أبوك ؟ فقال **الكميت** : أما أبى فلا أريد به بدلا ، ولكن يسرنى أن تكون أمى ! فحصر الفرزدق ، وقال : ما مر بى مثلها ؟! » .

قلت : وقديما ضرب المثل : نعم الناصر ، الجواب الحاضر .. ولا عجب في بديهة **الكميت** وهو بعد (صبى) فان الدليل على ذكاء لداته

(١) « المنهل » فى العرف الحديث اصبح اسم الدهليز : « صالة » وهجرت كلمة الدهليز .

وأقرانه تتقدم به أوليات شتى ومنها موقف **عبدالله بن الزبير** رضى الله عنهما من أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه عندما مر بصبيان في زقاق ضيق .. ففر كلهم الا ابن الزبير وهو طفل صغير .. فانه لزم مكانه دون خوف أو وجل فقال عمر : لماذا لم تفر كما فر رفاقك ؟ فقال : افر لماذا ، فان الزقاق واسع ولك فيه ممر ؟ ولم أكن جانيا ولا مقترفا ذنبا فأهرب منه ! فعجب من رباطة جأشه ، وقال : ان له لشأن يوما ما .. وما تزال البادية خاصة والحاضرة ايضا تتوارث هذا النبوغ المبكر . ويرحم الله الشاعر اذ يقول :

ورثناهـــن عن آبـــاء صدق
ونورثهـــا اذا متنـــا بنينـــا

٩٢٩ وسائل الظرف عند الأولين

ولا أعنى ، ظرف الزمان أو المكان .. ولا ظرف الخطابات ، يودع فيه الكتاب ، وانما (ظرف الاخلاق) وهو ما عناه **عطاء بن أبى رباح** عندما استقبل بين مر الظهران والتنعيم .. هوادج أهل العراق ، في أحد المواسم .. وسمع احدى العقائل تتغنى سافرة خلال هودجها .. فقال : يا أمة الله اتقى الله واذكريه ودعى الغناء ، فأنك ناسكة ، ولا يتفق هذا مع النسك . قال : أو قالوا : والجمال والحسن ، فقالت : أترى أن الله جل وعلا سيدخل مثل هذا الوجه النار ؟ فزعموا أنه قال : على ورعه وفضله وزهده وتقواه : أرجو أن يدخله الله الجنة .

قال راوى الخبر : أما والله ، لو كان من فقهاء أهل (الآفاق) لقال لها : « اغربى قبحك الله . ولكنه ظرف أهل الحجاز ! » . هذا الظرف الذى أعنيه قال فيه أو عنه بعض الادباء ، **قبل عدة** قرون : « من لبس البياض ، وتختم بالعقيق ، وقرا لأبى عمرو ، وتفقه للشافعى ، وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف كله ! » .

قلت : فهل يطمح اليوم جيلنا الصاعد إلى الأخذ بهذه الوسائل ؟ أم حالت بينه وبينها المشاغل والمشاكل ؟ ولئن افتقدنا الظرف والتظرف فقد عوضنا عنها ــ ولله الحمد ــ الثقافة والمعارف .. والناس بأزمانهم اشبه منهم بآبائهم .

٩٣٠ فلان (لكي)

(بضم اللام وكسر الكاف مع شدها) (وبعدها يـــاء)

قال الأعلم الهذلى الجاهلى ــ وهو **حبيب بن عبدالله** ــ وهو أخو **صخر الغي الهذلى** ، من بائية له مشهورة :

عنت له سفعاء (لكت) بالبضيع لها الخبائب .

قال الشاعر : « لكت » و « لكت » أى حمل اللحم قذفت باللحم .
على مواضع العصب ! وناقة لكية : كثيرة اللحم » .

قلت : فهل ثمة علاقة بين هذا المعنى في (اللكك) قديما ، وبين اللكية المستعملة حدثيا بمدلولها الجديد ؟ إن القوم يكلفونها اليوم على (البليد) .. وعلى الـ (البكيء) .. وعلى

(العيي) .. وعلى (الأبله) غير الفطن .. ومن لا يحسن ان يفهم أو يعي ! . أو من ينطق بما لا يتبين به ما يريد ! وأحب أنه لا صلة بين الاولى والثانية بحال ! ولعل المحدث منها ماخود من (اللك) — بضم اللام — وهو المادة المعروفة التى تختم بها الظروف ، واحيانا الابواب فهى جامدة .. والنسبة اليها (لكي) وبينهما شبه قريب . الا ان نجد نصا لغويا صريحا في ذلك .

٩٣١ نصيحة أبوية خاصة

من حق أولادنا واحفادنا وهم افلاذ الأكباد ، وذخر الأمة والبلاد ، — ان نمحضهم النصح ولا نألو في بذله لهم — بكل وسائل الاقناع ، وأسباب الترغيب ولا سيما فى زماننا هذا — وقد غمرته (المادية) وبهرته الأضواء الحضارية .

وألوت ببعضهم عن الاهتمام بالجوانب الروحية من حياتهم العاجلة والآجلة ، مع الأخذ بكل ما فيه عزة المؤمنين ونصرة رب العالمين .

وما اريد ان اطيل .. فيكفى ان اوجه الانظار إلى ضرورة اقتناء كل من بلغ الحلم منهم بعض الكتب المفيدة ومنها « رياض الصالحين » و « عظة المؤمنين » و « الكلم الطيب » ، و « مختصر شعب الايمان » ، و « عمل اليوم والليلة » . وكلها من الايجاز والاختصار بحيث يمكن حفظها ، وهى قوة روحية عظيمة ، تبعث في نفوسهم الطمأنينة ، وتحفزهم على مكارم الاخلاق ، ويثبت الله بها قلوبهم على الدين الحق والعمل الصالح . ولقد أدركنا المشايخ والآباء لا ينون عن مطالعة « احياء علوم الدين » على امتداد صفحاته وتعدد مجلداته ، فكان لهم بذلك — بعد القرآن الكريم — والحديث الشريف — اقوى سند وأكبر مدد في الحفاظ على كل ما يحبه الله ويرضاه ، وان على اوليائهم وأساتذتهم أن يلفتوا أنظارهم إلى ذلك وان يوفروا بعض اوقات فراغهم لدراسته والانتفاع منه ذكرا وتذكيرا ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

٩٣٢ «كما» البدوية الحضرية

التزم بعض كتابنا المبرزين ، استعمال هذه الكلمة فيما يكتبون ، وهى (كما) .. مستذوقين لفظها ومعناها ، متمثلين نطقها وفحواها .. مأخوذين فى ذلك برونقها .. وعذوبتها .. وقد ضاف بها البعض واعترض دون حجة أو برهان !

أما هى — فما أصحها وأنصحها . ولعلها من خير ما احتفظ أو حافظ عليها (بدونا) في مخاطباتهم . وفي التنزيل الحكيم ، فيها شواهد شتى ! ومنها : **﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ﴾ ﴿ وكما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾** .

وهذا أبو الطيب المتنبي ، يقول :

نثرتهمو فوق الأحيدب نثرة
(كما) نثرت فوق العروس الدراهم

ولا أدرى في إحيائها الا اقتفاء للأجزل والأفضل والأجمل و « كما بدأتم تعودون » ، وان كانت أرشق واذوق فى التداول من أهل الوبر ، وهم لها وارثون ، وعليها حريصون و (كما تدين تدان) وربنا المستعان .

٩٣٣ بلشويش !

(بكسر الباء وسكون الشين بعدها واو ممالة مكسورة فياء ساكنة سكونا ميتا فشين ساكنة)

كلمة تتردد كل يوم آلاف المرات على ألسن العامة والخاصة ! وهى تعنى : اعمل ما بيدك — أو سر في طريقك — شويا — شويا — وهى تصغير للشيء ، أى شيئا فشيئا ، ولا تعتسف أو تقتحم ! أى من غير (عفاشة) ، و (العفاشة) بدورها عامية دخيلة .. الا أنها اقترنت بمعنى (العفت) ! وهو أخوها ، في الاستعمال والعامية ! وكلاهما — التعسف ، وعدم المبالاة وعدم الرفق فيما يتناوله الانسان من قول أو عمل ! وفي الامثال الدارجة : « ما دخل الرفق في شيء الا زانه ، ولا دخل العنف في شيء الا شانه » .

٩٣٤ منين جيت !

(بكسر الميم بعدها نون مكسورة باسالة فياء فنون ساكنة)

وهذه — من العامية المتداولة — وهى تعنى بالفصيح : « من أين جئت » وما أحسبها اقتصبت أو حرفت الا من اللهجة الاعجمية فقط ! — وكم لها من أمثال ؟ وفي الوسع أن تعمم بالاستعمال ، حتى لا يكون فيها أى اختلاف ، أو اختلال . وفى الشواهد — قول الشاعر :

اتوا نارى ، فقلت : (منون انتم) ؟
فقالوا : **الجن** . **قلت** : **عموا صباحا**

أى : من أنتم ؟ فهى بذلك ذات أصل صحيح فصيح .. ولئن جاز للشاعر أن يستعملها .. ضرورة أو مراعاة للوزن ، فما ثمة مندوحة للناثرين .. والرجوع بها إلى لفظها العربى السليم ، خير من تنقيصها بالعامى السقيم !

٩٣٥ ماهي «الترهات» ؟

كلنا نقولها ، اذا ضقنا ذرعا بحديث مصطنع ، أو مزور ، أو ملفق ، أو مشعوذ : انه الترهات : ! وما أكاد أنازع نفسى بأن أغلبنا ، لم يحط علما بماهية (الترهات) في أصلها ، وان علم انها تعنى (الكلام الفارغ) أو الخزعبلات أو السفسطات ! أما هى فان أصلها في اللغة — كما ورد به النص في المثل المضروب : « أهلك من ترهات السباسب » أن الترهات ، هى الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الاعظم .

قلت : ولعلها تعنى أيضا « بنيات الطريق » ، أو انها ادق منها واخص .. و « العلم بالشيء خير من الجهل به » .

٩٣٦ سوى «البطيط» وصحته «الرطيط»

يقول صاحبك : (ذهبت إلى فلان أراجعه في كذا .. فسوى لى البطيط) . أى تزيد في كلامه وضج وصاح .. ولج وأشاح ! وما وجدت لهذا (البطيط) أصلا .. وظفرت بما هو أصح منه بالنص .. وهو (الرطيط) فانه الجلبة والصياح ! والحمق — والاحمق ، وجمعه رطاط .ا.هـ

والمشكلة كلها تنحصر الآن في امكان ابدال البطيط بالرطيط ، دون تشنيع وتثبيط وتوريط ، وخير منها السكينة والوقار ، وان يربأ العاقل بنفسه عن التهاتر والاهتار ، وكل وما اختار .

٩٣٧ الغدفة والقفة

كانت الفتاة الصغيرة – منذ عرفنا الحياة – تأخذ بنصيبها من التعليم الأولي في (الكُتّاب) بضم الكاف وتشديد التاء وتقوم بالتدريس فيه امرأة حازمة مهيبة ، ذات سمعة حسنة وفتوح وتوفيق ، ويطلق عليها (الفقيهة) وكان من حق الطفل الصغير ان يشارك البنات مع أخته في التلقى اذا كان فيما دون العاشرة من عمره ، وكانت الكتاتيب من هذا القبيل لا تكاد تخلو منها محلة في مكة أو جُدَّة أو المدينة أو الطائف ، وكل ما يدرس بها ينحصر أولا وقبل كل شيء فى (فك الحرف) ويبدأ بالتهجى .. ويتطور إلى القراءة والحفظ ومعرفة ما لا غنى عنه من أمور الدين والعبادات مع الخط والاملاء ومبادىء الحساب .. وكنا نرى أسرابهن مغدفات بما يسمى (**الغدفة**) التى تحجب الوجه كله ولا يبدو من الصبية أو الفتاة حتى أطراف يدها فانها تستره بالملاءة أو الملاية .. وتحمل في يدها صباح كل يوم « القفة » المزركشة التى تصنع محليا وتحلى بالوان من الاخضر والاصفر والاحمر ولها (دنادش) وشرافات ، وتحتوى على ما تزود الأم ابنتها به من غذاء أو (تصبيرة) أو حلوى أو فاكهة .. وبشيء من (دقة الملح المبزر) وكسرة من الخبز أو (**الشريك**) – بضم الشين – وهي بدورها لا تبخل على لداتها بما توفر لها وتعذر عليهن من نعمة الرغد أو الكفاف ! وربما آثرت بشيء من ذلك أو بأغلاه « الفقيهة ، والعريفة » جلبا لرضائها واستزادة من عنايتها ورعايتها مع الاغداق عليها بالاسبوعية التى تسمى (الخميس) وهو ما يدفع مقابل ما تبذل من جهد ومال لاستئجار المنزل وتحضير الماء ، واحتمال أعباء التربية ، والتفرغ لها ، حتى اذا بلغت التلميذة الحد الذى تتمكن معه من اداء فروضها أو استطاعت أن تختم سورا من القرآن .. غيبا أو نظرا وفاقت قريناتها .. منحت من أهلها (**الاصرافة**) أو (**الاقلابة**) وأقيمت لها حفلة كبرى .. وطافت بها (مغدفة) – ومقنعة صاحبة الشأن الاولى والعريفات ، والطالبات ، في مظاهرة أو مسيرة عامة ، يرددن فيها أناشيد الفرحة والغبطة بتخرجها ونجاحها .. وتوزع فيها (**الحلاوة النبات**) ذات الاكاليل الفضية أو الذهبية ، أو السمسمية ، أو (**الانبوتة**) واللوزية ، كل في نطاق مقدرته واستطاعته ، ويتقدم هذا الموكب بزميرة من جملة المعاشر والمباخر والند والعود مع احاطته بالحراسة التامة ، فاذا انتهى الحفل .. رجعت إلى أهلها لتجد أمامها « **المنسج** » وقد شدت أواخيه ، وتولى تعليمها التطريز فيه كبيرات السن من ذويها اللواتى يجدن الحياكة والحبك والتفصيل والخياطة ، مع مباشرة الاعمال المنزلية من كنس ومسح ونظافة وطهى ، واستقبلت عهدا جديدا يؤهلها لتكون ربة دار تستقل بها فلا تجهل شيئا مما عرفته قبلها الام والعمة والخالة والجدة لتنهض بهذه الاعباء حال تزف إلى عريسها المقبل .. بالاضافة إلى الآداب العالية والاخلاق الفاضلة والصفات الجميلة التى تجعلها محل التمنى لكل خاطبة تود لابنها الحياة الهنيئة الراضية .

ولقد افتقدنا منذ حين هذه الغدفات والقفات ، وأغنى عنها ما عمت به الغوارف ،

وفاضت به المعارف . وما نحب أن نبخسها حقها من التقدير والتشجيع وقد برهن على مواهبهن وشغفهن بالعلم والثقافة فى أرقى المستويات ، وانما هى مجرد ذكريات ... تدون فى سجلهن المضىء ، وما أعظم الغبطة بهن فى نبوغهن **وعفافهن** وطهرهن وحيائهن وتهذيبهن ، فلهن فى أم المؤمنين **عائشة بنت أبى بكر وأسماء** . والشهيرات من بنات حواء ، .. والشهيرات الفضليات من النساء ـــ القدوة الصالحة والأسوة الحسنة .

الأم مدرسة اذا اعـــــددتها
اعـددت شعبا طيب الاعراق

وقبل ان أختم هذه الكلمة أؤكد معها أن من جيلنا من شارك فى كتاب الفقيهات مع البنات .. ولكن فيما دون السابعة والثامنة ، وأحسب ان من جملتنا استاذنا الكبير الشيخ **عبد الوهاب الآشى** ومؤرخنا الشهير عمنا الشيخ **أحمد السباعى** وغيرهما من رجال الفكر وحملة الاقلام الذين يشار اليهم بالبنان ، وانى لأعرف منهن من كانت تحفظ القرآن عن ظهر غيب مع التجويد وما ذلك بغريب على من أسعده الله بهذا الجوار المقدس ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ وأحسن الله ثواب الدعاة إلى الخير والعاملين لإنمائه ، ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ .

٦٣٨ العمران وابن « مقرب »

حظيت بكتاب كريم من تأليف الاديب البحاثة الاستاذ « **عمران محمد العمران** » جعل عنوانه « **ابن مقرب** » حياته وشعره ، واستغرقت طويلا فى تأمل ما احتوى عليه من غرر ودرر لهذا الشاعر العبقرى الخالد ـــ وهو **جمال الدين أبو عبد الله على بن مقرب العيونى الاحسائى** ـــ المولود سنة ٥٧٢ هـ والمتوفى سنة ٦٢٩ هـ عن ٥٧ سنة .

وقد سرنى كثيرا وأعجبت بما انتهجه المؤلف من أسلوب فنى رائع فى ترجمته وتقديمه لابناء هذا الجيل الصاعد . وهو الشاعر العربى العريق نسبا وحسبا والذى يتميز شعره فى عصره بالاصالة والجزالة والإباء ولا تستغنى عنه المكتبة العربية فى شتى الاقطار الناطقة بالضاد .

وفى الواقع أن مثل هذه الدراسة المحيطة الشاملة الدقيقة وتتبع المصادر الوثيقة لاثباتها والاشادة بما لهذا الامير الشاعر من آثار باقية بعد أن مر عليه أكثر من سبعمائة عام ـــ حرية بالاعجاب والتقدير ، فما يستطيع العكوف عليها ، والتفرغ لها الا من اشرب قلبه بحث بلاده ومجدها وتراثها الخالد .. ورغم كل ما أورده المؤلف من عبارات التواضع الذى يدل على مكارم الأخلاق وطيب الاعراق فان كتابه فيما أعتقد هو الاول من نوعه انصافا لهذا الاديب فاحياءاً لما يكاد يندثر من الآثار التى يحق لنا أن نعتز بها ونوليها أكبر جهد ممكن لابرازها فى الاطارات اللامعة المشرقة وكذلك هى الثمرات المرجوة من كل مثقف ومفكر وكاتب وشاعر وصاحب بيان .

وما (**ابن مقرب**) هذا الا فلتة عصره ، فى ديباجته وطموحه وعزة نفسه وإبائه ، بعد أن تعاقبت القرون على شبه الجزيرة ، وهى فى فجوة عن ماضيها الحافل بالشعر والشعراء من الفحول الذين استمد منهم كل من تأسى بهم من مختلف الاجيال فى كل زمان ومكان .

والخلاصة أن هذه الدراسة تطمعنى فى أن ينسج على منوالها حملة الاقلام ، فى كل بلد وناحية

من بلادنا الواسعة ذات المجد الاثيل ، **فهي** ــ ولا شك ــ نموذج حي ، ناطق بما تتوالى به البشائر عن المستقبل الزاهر للادب فى قلب الجزيرة .. ومن احق بذلك من أبنائها البررة بآبائهم .. كما أنها لا تقل مكانة ولا مستوى عن مثيلاتها فى البلاد العربية رغم الفوارق الزمنية والثقافية والمناخية والاجتماعية .

وأول الغيث قطرة ثم ينهمر .. وبارك الله فى العمران وفى كل من جعل هجيراه المناقشة فى التوجيه والتثقيف والتأليف والتعريف .. فذلك ما نباهى به ونفاخر ونجاهر ونكاثر . وحيى الله الشباب وما وعى ﴿ **وأن ليس للانسان الا ما سعى** ﴾ ومرحى لهم ما أتاحه الله من فرص واسباب للانتاج الصحيح .. وقد أخذت بوادره وبواكيره تطالعنا من كل ارجاء المملكة الفتية الناهضة بكل ما يشكر ولا يكفر ، ويشهد ولا يجحد ولذلك فليعمل العاملون .

٩٣٩ بدر الشمالية وبدر الجنوبية

سبق ان تحدثت فى الشذرات عن تعدد أسماء بعض المواقع والمدن والقرى فى جزيرة العرب . ومن ذلك (**تربة**) و (**حنين**) و (**الطائف**) و (**الظهران**) و (**خيبر**) وغيرها مما اختلف صقعا ــ واتفق اسما .. والحق ذلك الآن « **ببدر الجنوبية** » التى هى من بلدان المنطقة الجنوبية فى (**نجران**) وهى ذات قرى عديدة ترتبط بامارة نجران ، وقد قرأت ماكتبه الاستاذ الاخ (**يحي الألمعي**) ، وذلك فى العدد (٣٧) من مجلة (اليمامة) الغراء الصادرة فى ١٦ رمضان ١٣٨٨ هـ .

وبهذا تكون الثانية بعد (**بدر**) **الشمالية** ذات الشهرة المدوية فى التاريخ الاسلامى بمعركتها الفاصلة .. وعبرها وعظاتها الخالدة .

وبهذه المناسبة فانى لشديد الاغتباط والاعتزاز بما يكتبه الاستاذ المشار اليه عن منطقة نجران .. وارجو ان يجمع ذلك فى كتاب ينتفع به المواطنون ، ويضم إلى المكتبة العربية . وانه لموفق لذلك ان شاء الله . وحبذا لو تصدى اصحاب البيان لمثل هذه الابحاث المفيدة التى تصل الحاضر بالماضى ، وتحفظ تراثنا الأثرى الشاخص في مختلف الارجاء والانحاء بهذه « المملكة المتميزة » بكل ما حفلت به آثارها ومآثرها الباقية .. فذلك أعظم جدوى من كل ما عداه و (كل ميسر لما خلق له) .

٩٤٠ « الرين العربي »

يعلم القراء الكرام انه يوجد في « **أوروبا** » وفي الحدود ما بين **المانيا وفرنسا** ما يسمى بنهر « الرين » ، وقد اشتهر بين الناس خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ودارت حوله وفيه معارك فاصلة ، هائلة !

وقليل منا من يعلم أن من جملة (**الهجر**) التى أسسها المغفور له الملك **عبد العزيز** مؤسس هذه الدولة الكبرى ــ حرسها الله ، وتغمده برضوانه ــ هجرة (**الرين الاعلى**) ... و (**الرين الاسفل**) في بلاد **نجد** العزيزة كما أورده العلامة الشيخ **حمد الحقيل** فى كتابه الحافل بالمعلومات ذات القيمة التى لا تقدر بثمن والذى أصدره حديثا بعنوان : « **عبد العزيز في التاريخ** » .. أحسن الله مثوبته ، وأمده بعونه وتوفيقه .

٩٤١ حاج أو داج ؟

قال **الأزرق** فى تاريخه « اخبار مكة » سنة ٢٨٤/٢٣١ هـ .. « عن **عمر** عن **طلق** قال : سأل **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه **زيد بن صوحان** : أين منزلك **بمنى** ، قال فى الشق الايسر ، قال **عمر** : ذلك « **منزل الداج** » **فلا** تنزله ! قال **سفيان** ثم يقول **عمر** : ومنزلى منزل الداج ، « والداج هم التجار . » . ا.هـ

قلت : ومن هذا يتبين ان الداج ــ لا يعنى .. المخلف أو المتخلف .. فى الحج فى ذلك العصر .. وانما هو يعنى من يحترف التجارة من الحجاج .. بدليل ان **عمر** رضى الله عنه يقول : ومنزلى منزل الداج .. وفسره **الأزرق** أو **سفيان** بأنهم التجار .. وذلك خلاف ما يظن غالب الناس .. عندما يتساءلون : حاج أم داج ؟! الا ان يكون مفهومها تحول وتطور إلى المعنى الآخر وهو « المخلف » الذى لا يحج وانما يدج ، والله اعلم .

٩٤٢ رفوف الصينى بمكة

قال **الأزرق** فى (اخبار مكة) : « ان أهل مكة كانوا يتخذون فى بيوتهم (صفائح) من حجارة تكون شبه (الرفاف) يوضع عليها المتاع والشيء من « الصينى » والداجن يكون فى البيت ، فقل بيت يخلو من تلك الرفاف .. قال جدى : وانا ادركت بعض بيوت المكيين القديمة فيها رفاف من حجارة يكون عليها بعض متاع البيت .. ا.هـ

قلت : وقد أدركنا كل بيت فى مكة لا يخلو من هذه الرفوف .. يوضع عليها ــ كالاولين ــ ما يزين به المجلس ــ أو قاعة الاستقبال ــ من متاع جميل أو (الصينى) .. أى الصحون والتحف والكؤوس والسماورات والبراريد ونحوها .. هذا عدى ما يعد منها فى غرف الاقامة والأسرة ، وفى المطابخ والخزائن ، لوضع الآنية .. ولوازم الاسرة المختلفة . وما تزال بعض الدور القديمة مزينة بهذه الرفوف وتطور بها الشكل حتى انتهى إلى الزخرفة .. والتلوين .. وكانت من أجود أنواع الخشب المخرم .. عدى ما يعلوها من (الطراز) المكتوب بالشعر المأثور أو الحكمة الرائعة .. أو الآيات الكريمة .. **وذلك** مختص بدور سادة القوم ورؤسائهم وأثريائهم .. ثم انقرض **ذلك** بالعمران الحديث .. فلا يوجد به شيء من ذلك البتة ، وأبدل ــ الخزائن ــ المنقولة ! سواء منها ما كان للمطابخ .. أو الألبسة .. أو الزينة .. وذهبت الرفوف مع الرواشين ! وانصرفت الرغبة عن ذلك إلى التخفف ! والاكتفاء بما يعنى وليس فيه تكلف ! وخلال عشرين سنة ، كان هذا التطور السريع .. ومن هذه القصة **نستدل على أن** آنية (الصينى) **كانت معروفة ومستعملة** ومستوردة فى بلاد العرب قبل أكثر من ألف سنة .

٩٤٣ كان صديقاً لعمر

عن **ابن دينار** عن **ابن عمر** رضى الله عنهم انه ــ **ابن عمر** ــ اذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه اذا مل ركوب الراحلة ، وعمامة يشد بها رأسه .. فبينما هو يوما على ذلك الحمار اذ مر به اعرابى ، فقال : ألست فلان بن فلان ؟ قال : بلى ، فاعطاه الحمار ، فقال : اركب هذا .

والعمامة قال : اشدد بها رأسك ، فقال بعض اصحابه : غفر الله لك ! اعطيت هذا الاعرابى حمارا كنت تروح عليه ، وعمامة كنت تشد بها رأسك ! فقال : انى سمعت رسول الله ﷺ يقول « **ان من ابر البر صلة الرجل أهل ود ابيه بعد ان يولى ، وان اباه كان صديقا لعمر** رضى الله عنه » « صحيح مسلم » .

قلت : الا فلنحفظ هذا ونتعهده فيمن يستحقه من أهل الود القديم .. فهو من أبر البر .. بالآباء ، ومن أولى بالاقتداء من **ابن عمر** رضى الله عنهما ؟ وبالاهتداء به ممن أرسله الله رحمة للعالمين ؟ فما أجمل ذلك من خلق كريم .. وما أجدرنا بالاتصاف به تقربا إلى الله العلى العظيم .

٩٤٤ الداغستاني المدني

شكرا للاستاذ الكبير الشيخ **محمد سعيد الدفتردار** ما ينشره من تراجم « اعلام المدينة المنورة » .. فانها من الكنوز الثمينة .. وانها لأمانة يؤديها للاجيال الصاعدة .. كما سبق إلى ذلك ابن مكة المكرمة .. ومؤرخها الموفق الاستاذ الجليل الشيخ **عمر عبد الجبار** ــ أحسن الله مثوبتهما فى الدارين .

وفى قراءة عابرة لمقدمة العلامة الاستاذ الشيخ **أحمد محمد شاكر** وزميله الأستاذ **عبدالسلام هارون** على كتاب « المفضليات » ١٣٦١ هـ قرأت ما ياتى :

« ثم طبعت كاملة فى مصر فى جزءين وصححها وعلق عليها تعليقا بسيطا « **أبو بكر بن عمر داغستانى** » المدنى سنة ١٣٢٤ هـ » .

قلت : فهل نطمع ان يترجم لنا ولقراء المنهل الاغر ــ فضيلة الشيخ **محمد سعيد الدفتردار** .. هذا العلم ــ بفتح العين واللام ــ فان تصديه للتعليق على « المفضليات » يدل على تمكنه من علم الادب واللغة .. وكان بودى لو ظفرت بنسخة من هذه الطبعة التى اشير اليها لولا انها غير متوفرة بالمكتبات بعد مرور نحو من (٦٣) عاما عليها ! وليس بكثير على علماء دار الهجرة على ساكنها افضل التحية والسلام ان يسهموا فى النهضة الادبية .. منذ اوائل هذا القرن وما قبله .. فاليهم كانت تشد الرحال .. فيما هو أصول الدين واليقين .

ولعلى بذلك انما استعجل ما هو آت ان شاء الله مما تجشم به فضيلته فى هذا المجال اطال الله بقاءه ــ وسيره لما يحبه ويرضاه .

٩٤٥ الدانق والفلوس والخماسى والفراديين

قرأت فى حلية **أبى نعيم** المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ــ اى قبل ٦٥٧ سنة ــ فى ترجمة (عتبة الغلام) :

عن **أبى عمر البصرى** قال : « كان راس مال عتبة (فلسا) فيشترى بالفلس الخوص فاذا عمله باعه بثلاثة فلوس ! ففلس يتصدق به ، وفلس يتخذه رأس ماله ، وفلس يشترى به شيئا يفطر عليه ، قال **أبو يوسف** . أظن أن الدانق يومئذ بثلاث فلوس كبار ! . ا.هـ

قلت : وأذكرنى ذلك بما ادركناه فى عهد الطفولة .. وأوائل الشباب فى العصر العثمانى حيث كان القرش باربع هللات .. والهللة بست

خمسات والخمسة بفردانيتين أى ان القرش يتفرق ويجتمع على (٤٨) قطعة أو مسكوكة من النقود ! وتملك ان تشترى بكل قطعة منها حاجة ! ولو كانت (حزمة ـــ من الكراث) أو (كوما) من النبق أو المخيط أو لوز النبى ، وما كان الاطفال يعرفون فى يومياتهم غير الهلل والخماسى والفرادين .. وأصبحـوا لا ترضيهم حتى الريالات .. وبنفس النسبة ارتفعت الاثمان إلى مائة فى الواحد ! وأكثر ..

وقد اشتريت اقة اللحم .. الضانى الحرى الجذع أو الهيع بقرش وربع أى بخمس من الهلل الاسود الخفيف ومدافع قلعة اجياد تصلى بوابل نيرانها قصر الحكم بالغزة وغيره فى شتى الجهات ! وذلك فى شعبان عام ١٣٣٤ هـ ، وما تجاوزت قيمة « الخيال » أو الطلى ريالا واحداً .. الا ان الريال كان فى فم الاسد كما يقولون ، غير أن ثمة ظاهرة لابد من أخذها بعين الاعتبار وهى صلاح الناس وتعبدهم ونياتهم الحسنة وصلاتهم وايثارهم وتراحمهم وقبل ذلك وبعده بركات الله تعالى عليهم ورضاؤه مع البر والتقوى !

٩٤٦ من هو « سداد البطحاء » ؟

كان **صفوان بن أمية** رضى الله عنه من الكرماء ذوى اليسار بمكة وكان الناس يسمونه « سداد البطحاء » ! ـــ بكسر السين المهملة بعدها دال مهملة مخففة ـــ واتفق أن كان فى بيته من المطمعين فى قريش خمسة على نسق وهم (**عمرو بن عبدالله بن صفوان بن أميه بن خلف**) .. حتى ان **معاوية** رضى الله عنه قال يوما : من يطعم بمكة من قريش ؟ فقالوا **عمرو بن عبدالله بن صفوان** فقال : بخ .. تلك نار لا تطفأ . ا.هـ

قلت : والحمد لله رب العالمين .. فان الخير ما يزال فى السلالات الطيبة .. وان لم يمنحوا الالقاب ؟ .. وما يزال المسلمون بخير ما تراحموا وتعاطفوا وآثروا .. وتعاونوا على البر والتقوى .. ﴿ **ما عندكم ينفد ـــ وما عند الله باق** ﴾ وصلى الله وسلم على من بعثه ليتمم مكارم الاخلاق .

٩٤٧ « الحاجة » أو « الداجة »

ـــ بتشديد الجيمين ـــ

قال **أبو المغيرة** : سمعت **مبشر بن عبيد** يقول : (**الحاجة**) هو الذي يقطع الطريق على الحاج اذا توجهوا .. و (الداجة) الذى يقطع الطريق عليهم اذا رجعوا .. ا.هـ

قلت : وما زال الزمان بهما حتى اختلف معناهما عما كان ! فان من تأخر عن الحج بمكة .. أو غيرها ـــ قال عنه الناس انه (داج) أى مخلف ! و (الحاج) هو من كتب له اداء الفريضة .. والخبر يدل على غير **ذلك** فما كان الا قطعا للطريق فى الحالتين ! والحمد لله الذى قطع الطريق على قطاعه ! وجعل « الفدفد » أمنا على اتساعه بامتناعه ! وانها لنعمة نسأل الله تعالى دوامها بالشكر .

٩٤٨ كسر العين

كان يقال عن **زياد بن أبى سفيان** .. انه لصغار الامور وكبارها وكان طويلا جميلا ـــ يكسر احدى عينيه ـــ وفى **ذلك** يقول **الفرزدق للحجاج** :

وقبلك — ما اعييت كاسر عينه

زيادا — فلم تعلق على حبائله

قلت : وكسر احدى العينين انما يكون غالبا من علامات الكبر والكبرياء والأنفة والإباء .. وقد لاحظت ذلك فى بعض من رأيت ممن خطفهم الموت وكانوا من الاحياء ! وهى صفة لا يتميز بها الا أهل الخيلاء ! أما كسر العين .. فى مفهوم العامة .. فهو فى محيط الترغيم .. والتذليل .. والتمثيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٩٤٩ «حدارجة» ـ «مدارجة» و «دوحا» يا «دوحا»

انها كلمات أو جمل مرصوفة .. كانت الأمهات يلقن بها الاطفال الصغار من ذكور واناث .. فيما دون الثالثة والرابعة .. وتبدأ بـ « **حدارجة ، مدارجة ، من كل عين سارجة ، يافاطمة يابنت النبى ، خذى كتابك وانزلى ، على سدرة النبى ، فيها شطب فيها رطب ، يارايحين الحاضرة ، خذوا معاكم باقرة ، تحلب وتسقينى صينى على صينى ، والرب يعطينى ، دخلت بيت الله ، لقيت حبيب الله ، يلقمه السكر ، يلقمه العنبر ، ياليتنى ذقته ، حتى النبى زرته ، ياعلى يامغربى ، شوف بناتك الملاح .. يلعبوا فى القلائد والتفاح** » اهـ وهى على غرار : « **دوهة — يادوهة والكعبة بنوها ، وسيدى سافر مكة ، وجاب لى زنبيل كعكة ، والكعكة جوه المخزن ، والمخزن ما له مفتاح ، والمفتاح عند النجار ، والنجار يبغى الفلوس ، والفلوس عند السلطان ، والسلطان يبغى الصغار ، والصغار يبغوا الحليب ، والحليب عند البقر ، والبقر يبغى الحشيش ، والحشيش فوق الجبل ، والجبل يبغى المطر ، والمطر عند ربى . يا مطره حطى حطى .. على قراعة بنت اختى ، بنت اختى جابت ولد ، سمته عبد الصمد ، قطع الله عصعصه بالسكاكين الفضة والسكاكين الذهب » اهـ** . وقد كان علامة مكة فى زمنه : الشيخ **محمد حسين الخياط** يدرس بها فى حصوة المسجد الحرام ايضاحا لمعانيها ومراميها(١) .

وما كان هذا التلقين سدى ! وانما هو ترسيخ للعقائد ، وتوحيد لله تعالى .. وتثبيت للايمان فى قلوب الناشئية أول ما تتفتح أذهانهم .. ويتفهمون الالفاظ وينطقون بها وقد راعى واضعوها مستوى عقليات الطفولة .. وجعلوها مقطوعات سهلة وذات معان خيرة وفى اسلوب غنائى أخاذ ! وكان هذا عاما شاملا .. تتردد به جوانب البيوت أكثر الاحايين .. كما هى أنشودة (**يارب يارحمن .. بارك لنا الغلام**) عند تسمية المولود .. والاحتفال بسابعه ! كما يسبقها جميعا عند الولادة الاذان فى اسماع المواليد .. كل ذلك لا نكاد نسمعه فى زماننا هذا .. اللهم الا ما هو فى السابع اما الانشودتان السابقتان .. فلا يذكرهما أحد . وحفظا على تدوين ما كان ، مما أدركناه ، ثم افتقدناه — وجدت من الخير ادراجهما فى احدى الشذرات ! وحتى فى قديم الزمان كان للامهات توجيه رشيد للطفل اذا هن اردن تنويمه .. أنشدنه رجزا حماسيا لطيفا .. كما كانت أم « **البنين العشرة** » .. ومن على غرارها من العواتك والعواتق .. الطاهرات .. فهل حدث ما هو خير منه ام هو الاغفال والاهمال واللامبالاة ..

(١) « المنهل » : هاتان الانشودتان معروفتان ايضا جدا لدى اوساط المدينة المنورة وعند الصغار خاصة .. ولبث الاستاذ الجليل البحاثة افضل بشرخ واف لمراميهما ومعانيهما ..

ومشاغل الدنيا .. ومشاكل الحياة ؟! اللهم اهدنا لما فيه رضاك .

٩٥٠ في شق الطواف

« عن **حذيفة المرعشي** قال : دخلنا مكة مع **إبراهيم بن أدهم** .. فاذا **شقيق البلخي** قد حج فى تلك السنة ، فاجتمعنا فى شق الطواف ، فقال **إبراهيم لشقيق** ، على أى شيء اصلتم اصلكم ؟ قال : اصلنا ـــ بتشديد الصاد ـــ اصلنا على انا اذا رزقنا اكلنا . واذا منعنا صبرنا ، فقال **إبراهيم** : هكذا تفعل كلاب بلخ ! فقال له **شقيق** : فعلى ماذا اصلتم ؟ قال : اصلنا على انا اذا رزقنا (أثرنا) واذا منعنا شكرنا وحمدنا .. **فقام شقيق** فجلس بين يدى **إبراهيم** .. فقال : يا استاذ .. أنت استاذنا » . (من الحلية) .

قلت : والهدف من سرد القصة .. هذا (الايثار) الذى وصف الله به عباده الطيبين .. ولن يملكه ـــ المتحدثون به .. تمجداً أو تعززا ـــ وانما هو « الايثار » الذى يخفيه صاحبه ـــ فلا يعلم به الا من يجزيه عليه ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا** ﴾ .. والتوفيق من عند الله ـــ **والآخرة خير لك من الأولى** .

٩٥١ التعريف بين المجتمعين

ما أكثر ما تجمع الحفلات ، والمجالس بين عدد من الناس .. ضيوفا كانوا أو مواطنين .. فلا يتطوع الداعى .. أو الحاضرون بتعريف بعضهم لبعض ، فيزداد بينهم التحشم أو « التحشد » ! وقلما تبادلوا الحديث .. خلال الاجتماع .. خاصا كان أو عاما وهذا ما ينبغى أن يهتم به (المجتمع) دائما لتزوى الوحشة .. وتتمكن الالفة ، وقد ورد فى الحديث الشريف ان رسول الله ﷺ قال : « **اذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه** » .. ومنه تستمد اسباب التعارف والتآلف .. خاصة وان الجهل بذلك قد يورط أحدا بأن يقع فيما يتحفظ منه لو عرف محادثه أو محاوره . واذن فلابد من « التقديم » لمن لم يكن .. « مقدما » من قبل ، وهذا يصدق على ابناء آدم وبنات حواء على السواء .

٩٥٢ باين في وجهك !

روى عن سفيان الثورى قوله : « انى أظن لو ان رجلا هم بالكذب عرف ذلك فى وجهه » .

قلت : فهذا أصل منصوص عليه فى تداول الصبية والصغار عندنا حتى اليوم فان أحدهم اذا قال لاخيه أو زميله حدثنا .. ارتاب فيه .. قال له : كذاب (البعيد) .. ويردفها بجملة (باين فى وجهك) وربما تجاوز ذلك إلى الرجال والنساء من الكبار ، وقد وقعت لنا أيام الشباب طرفة .. أسوقها بالمناسبة ، فقد كنا أربعة فى مجلس واحد وروى احدنا قصة .. فكذبناه فيها فحمل علينا بشدة وزعم أنه صادق ونحن الكذابون أو الكاذبون ! فقلنا : مهلا ، فلنقرع بيننا ! ورضى مختارا .. وعملنا أوراقا مكتوبة (ثلاثة منها صادق ، والرابعة كاذب) وتركناها له .. يلفها كما يريد ويرميها على الأرض ويأخذ كل واحد منا ما قسم له . وما كان نصيبه فى مرات ثلاث متواليات إلا ان يأخذ ورقة (الكاذب) ! فاتهمنا مع كل ما خولناه من حرية التصرف فى الاخذ أولا .. أو آخرا .. باننا غششناه وفارق مجلسنا

منزعجا ساخطا فاتبعناه .. — فى أسواق الطائف — والوقت ليل .. فما بدأ يأخذ طريقه ونحن وراءه حتى انطلقت الاسطوانة المشهورة التى تقول : (كذاب ، والله العظيم كذاب) فزمجر .. وهرول وتوارى ! وكأنما كان صاحبها يتحرى مروره فى تلك اللحظة . وهى من المصادفات الغريبة !

٩٥٣ قالت : وحدة ونص

تقال هذه الجملة — غالبا — عندما تقع آنية من فخار أو زجاج فتكسر .. فيعبر عن ذلك بها — أى قالت : وحدة ونص — وهى فى أصلها .. ونصف .. وانما هو اختزال أو اقتضاب مع لحن فى النون .. فهى مكسورة .. وليست مضمونة .. حسا ومعنى !!

وقد وجدت لـ « قالت » هذه أصلا عريقا ورد فى حديث عن **ابن عباس** رضى الله عنهما قال : قيل **لعمر بن الخطاب** رضى الله عنه : حدثنا عن « ساعة العسرة » فقال **عمر** خرجنا إلى (تبوك) فى قيظ شديد ، فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع ! حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه .. فيشربه ثم يجعل ما بقى على كبده فقال **أبو بكر الصديق** (رضى الله عنه) : يارسول الله إن الله وعدك فى الدعاء خيراً فادع الله لنا ، فقال : أو تحب ذلك ؟ قال : نعم . فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء فلم يرجعها حتى « قالت السماء .. أى آذنت بمطر ، فأطلت ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت المعسكر » . ا.هـ

قلت : ومن ذلك نعلم ان كلمة — قالت — تأتى بمعنى « فعلت » فما تقول السماء ولا الآنية شيئا .. وهى اذا رويت أو قيلت ، اشتركت اليدان فى تمثيلها رفعا ونصبا .. وشتان بين القالتين . يسر الله لنا أسلمهما وأكرمهما .

٩٥٤ « عصابة الرأس »

شهدنا جداتنا .. ومن هى من جيلهن .. أو لحقن به .. حتى اليوم — محافظات على عصابة الرأس .. كلما شعرت واحدة منهن بالصداع أو الالم فى رأسها .. بحيث لا تدعها حتى يفارقها ما أصابها ! وكأنما هى (علامة) أو انذار بعدم تكليفها بأى عمل بيتى ما دامت تشدها على (صوابرها) .. أو جبينها ! وكنت أحسبها محدثة .. لا أصل لها فى العصور الأولى .

وقرأت أخيرا فى (فقه السيرة) للعلامة الاستاذ **محمد الغزالى** عند خروج النبى ﷺ من بيت **ميمونة** إلى بيت زوجه **عائشة** رضى الله عنهما — بعد ان أذن له ازواجه أن يمرض فى (بيت **عائشة**) قال بالسند الصحيح : فانتقل بين **الفضل بن العباس وعلى بن أبى طالب** وكان (معصوب الرأس تخط قدماه على الارض حتى انتهى إلى بيتها) . ا.هـ

فوجدت (العصابة) مأثورة .. من ذلك العهد .. ولهذا اتخذها القوم من باب الاقتداء .. والتأسى .. وانما يكون ذلك فى الرجال عند الشدة . أما عند (حواء) فانها بين بين . وأكثر ما تشد ، اعلاناً بعدم الاستعداد للنزاع أو المجادلة ! أو حتى واجب الاسرة .. فما كانت عصابته ﷺ الا فى مرضه الذى قبض فيه فلا تؤخذ كعادة .. فى كل وقت وحين .. وخير منها « **القرعة** » — بضم القاف — .. ويرحم الله أيامها .. مع « القرعى » .

١٥٥ « حداة الابل »

قال صاحب **الأغاني** : فى حديث له ، عن المغنية (**بصبص**) : وان **أبا جعفر المنصور العباسي** قيل له وهو عائد من الحج :

ارحـــل انــت أبــا جعفـــر
من قبل ان تسمع من (بصبصا)

فقال **أبو جعفر** : لكن الذين يعجبنى ان يحدوا بى **الحادى** الليلة بشعر (**ظريف العنبرى**) فهو آلف فى سمعى ، من غناء **بصبص** ، وأحرى أن يختاره أهل العقل ، قال : فدعا فلانا **الحادى** ، وسقط اسمه ، وكان اذا حدا وضعت الابل رؤوسها لصوته .. وانقادت انقيادا .. فسأله المنصور : ما بلغ من حسن حداته ، قال :تعطش الابل ثلاثا أو قال خمسا وتدنى من الماء ، ثم أحدو فتتبع كلها صوتى ولا تقرب الماء : فحفظه هذا الشعر :

انى وان كان ابن عمى كاشحا
لمزاحـم من دونــه وورائــه
وممده بصرى وان كان امرءا
متزحزحـا فى ارضه وسمائـــه
واكون مأوى سره ، وأصوانه
حتـى يحق على يوم ادائــه
واذا اتى من غيبـة بطريفـة
لم اطلـع ماذا وراء خبائـــه
واذا تحيفت الحوادث ساعـة
فرنت صحيحينـا إلى جربائـه
واذا تريش فى غناء وفرتـه
واذا تصطك كنت من قرنائه
واذا غدا يوما ليركب مركبا
صعبا ــ قعدت له على سيسائه

واتم حديثه عنه .. في الحادى بما أجازه به وكان درهما ! وما أرى ذلك معقولا .. لولا الهوس ! واحتج **الحادى** بانه حدا **بهشام بن عبدالملك** فوهبه عشرين الف درهم .. فأمر **المنصور** باستعادتها إلى بيت المال .. ولم يعفه حتى بكى .. وتشفع له اهله وخاصته .. وشرط عليه أن يحدو به ذاهبا وآيبا .. ولا يأخذ منه شيئا » .

اهـ .

قلت : والذى يعنينا من هذه القصة .. حداة الابل وقد ادركنا آخرهم ــ يصحبون قوافل الناس إلى المدينة المنورة والطائف .. ويسيرون **تحت « الشقادف » أو « التخوت » فاذا** ما آنسوا كلالا من الابل .. حدوها .. فانطلقت من عقالها .. واحتملت كل مشقة .. فى مرح .. **وفرح .. ولا سيما في نخلة اليمانية .. وعندما تأخذ في الصعود بين رمال البيتاه ــ أو (البوباة) ..**

وكانت أصواتهم شجية مؤثرة فى الركبان .. والانسان .. والحيوان ! مما يخفف وعثاء السفر .. ويطرد سوام السهر ! فأين هو اليوم ؟ بعد أن درجت ذوات العجلات والربلات ؟.. وطوت المسافات .. وقربت الأبعاد ، واقتحمت فى كل فج وماء ؟.

وفى القصة ــ كلمة ــ ما تزال متداولة حتى الآن وهى فى أحد ابيات القصيدة المروية **لظريف العنبرى** قبل الف وثلاثمائة سنة حيث يقول :

واذا تريش فى غناء وفرته

فـ (تريش) بمعنى اثرى .. واستغنى .. ليست حديثة التداول .. ما دامت قد استعملت فى شعر القرن الأول ! وما برحت تؤدى نفس المعنى إلى يومنا هذا .

٦٥٦ دواعي الشيب !

كثيرا ما نسمع ان الطب الحديث .. قد اسفرت بحوثه الدقيقة .. ودراساته العميقة عن ان الشيب — لا يكون لعلو السن فقط .. ولا بسبب ما يلاقيه صاحبه — من مصاعب الحياة ومشقاتها والامها .. ومزعجاتها .

ولكننا نجد فى الحديث الشريف : « **شيبتنى هود واخواتها** » وفى قول عبد الملك بن مروان : (شيبتنى المنابر) .. وفى اقوال الجم الغفير من الشعراء كقول **ابن الطفيل** صاحب رسول الله ﷺ :

ايدعوننى (شيخا) وقد عشت حقبة
وهن من الازواج نحوى نوازع
وما شاب رأسى من سنين تتابعت
على ولكن شيبته الوقائع

قلت : فهذا وامثاله — مما لا يكاد يحصر ولا يحصى .. يدل على ان الشيب — وان كان له علل صحية أو غدد منشورة أو مطوية .. وبصيلات دموية .. وما لا اعرف من أسباب طبية — فانه — ليفاجىء حتى الغلمان .. بما يعانون من مضض التفكير .. والاحزان ! ولا ارى ما يمنع التوافق بين الاولى والثانية .. فقد ثبت ان الحزن والالم والكبت ايضا .. كل ذلك مما يؤثر تأثيرا مباشرا فى جسم الانسان ونشاطه وفرحه ، وكسله وترحه . ولقد رأيت من لم يتجاوز العشرين من عمره .. وقد وخطه الشيب .. وجلل رأسه .. أو أشعله اشعالا أو اشتعالا ! ومن ذلك ما يعانيه أترابنا من تهمة (الشيخوخة) (كعمنا) الاستاذ الكبير الشيخ **فؤاد شاكر** الذى أخفى سنه باغفاله عام ولادته .. وجعله (اصفارا) .. فى تقديم نفسه إلى قراء ديوانه قبل عام ١٣٤٨ هـ فى سن لم تتجاوز به آنئذ الاربعين وفى فتوته وحيويته (ما شاء الله تبارك الله) ما نكش به الملح فى العيون الحاسدين ؟! وكم له من قرناء ويكفى ان تدل عليهم الكروش والرموش ، والجفون و (الرتوش) وغضون الجباه ! (**وخيركم من طال عمره وصلح عمله**) .. وحسب الشيب ميزة وروعة وقاره .. والشباب تكريما حفاظه وبداره ..

٦٥٧ حواديث العجائز !

هكذا ينطقها الناس .. وما هى لا الأحاديث لا الحوادث .. ولكنها حرفت مع الزمن .. وأصبحت علما على ما يقصه الراوى — من (سوالف) قديمة أى حكايات وروايات .. وأوابد ! .. وان ننسى لا ننسى ابدا — تلك الامسيات اللطيفة التى كنا نتحلق خلالها حلقات — حلقات حول الخالات والعمات والجدات .. اذا ما ساقهن الحظ الينا للبيات .. فانهن كن لا يبخلن بتقديم ما لديهم من (حكايات) ! و (احدوثات) ! منها ما هو صحيح ومنها ما هو مختلق .. ولكنه لذيذ فى اسماع الاطفال .. وما كان يخلو من فوائد وعقائد .. وترهيب وترغيب ! وجن وانس وملائكة .. و (عيرود — وعاقصة) .. وكان ذلك قاعدة لا يشذ عنها بيت ولا كوخ . فهى ضريبة تؤدى للصغار من الكبار — ذكورا كانوا أو اناثا — وقد تلاشت وتوارت بالحجاب ! وخلفهن (التلفاز) ! وكم هو جميل ان تجد بين

مشاهديه اطفالا يشاركون فى المشاهدة والتصفيق .. مع كل مشهد جليل أو دقيق .. فهو وسيلة قريبة للتهذيب والتأديب ، ولقد كان من لازمات الجدات عندما يقصصن الحكاية الابتداء بقولهن : (وحدوا الله) فيرد عليهن أهل الاستماع من الصغار (لا اله الا الله محمد رسول الله) وبذلك نفهم ان الاوائل كانوا حريصين على تنشئة اولادهم تنشئة دينية حتى وهم بعد فى (الكوفلة) .

١٥٨ « رمية الحجر » !

يقول السائل للبدوى : اين نحن من (**عقنقل**) .. أو (**الروحاء**) أو (**اللوى**) .. أو (**العقيق**) .. فيقول مجيبا له : **انك منه على رمية حجر** ! ويحسب السائل انه قد دنا من غرضه .. ويدأب نهاره أو ليله فلا يصل الا بعد ان تحفى قدماه .. ولا سيما ان كان من أهل المدر !..

وقرأت من ابيات **لعمر بن أبى ربيعة** :

أأترك ليلى — ليس بينى وبينها
سوى ليلة ، انى اذا لصبور ؟!

وقد قال له **عبد الملك بن مروان** : انت القائل (البيت) ؟ قال : نعم ! قال : فبئس المحب ان تركتها وبينك وبينها (غدوة) ! قال : يا أمير المؤمنين انها من غدوات سليمان : « غدرها شهر ورواحها شهر » .

قلت : فهذا من ذاك .. الا أن الأول (رمية الحجر) .. جلد وصبر واحتمال .. والأخرى .. تقريب وتشوق وخيال ، وسقى الله عهد الحمول والجمال . وعوضنا عن الخمول النشاط بعد الكلال ! فما فى ركوب السيارات دائما الا وهن الاعصاب ، وتعقد الركب ، وتهافت الارجل و (**الحركة بركة**) ! وكان القدامى يقولون : « **ركوب على الخنفس ، ولا مشى على الديباج** » ؟!

١٥٩ الأمن والماء في الحج قبل ألف سنة

حمدا لله تعالى وشكرا يقابلان نعمه ويكافئان مزيدها ، وهيهات ، إلا بماء شاء .. فقد روى المؤرخون القدامى ان قطاع الطريق إلى الاماكن المقدسة من الاعراب كانوا يسبقون الحجاج إلى مواضع الماء فينزحونها ويغورونها ويطرحون الحنظل فى الآبار ، ويترصدون الحجاج ويمنعونهم من الاجتياز ، ويطالبونهم بمال كثير ..

وكان الماء شحيحا أو مفقودا لدرجة ان أحد الحجاج بال فى كفه وشرب بوله .

وبلغ ثمن القربة من الماء مائة درهم وربما تجاوز إلى الدنانير .

واليوم ، يظل الأمن الوارف هذه المساحات الشاسعة من مناطق المملكة الفسيحة المترامية الاطراف ، فى جميع الجهات ، بفضل الله ورحمته ، ثم بعناية امام المسلمين **جلالة الملك فيصل** المفدى حفظه الله واقامته حدود الله .

ويتوفر الماء فى كل الحواضر والبوادى والمدن والقرى ، ويشربه الحجاج صافيا مثلجا .. فى مشاعر الحج ، ويجدون من الوفادة والرعاية والتكريم ما لم يحلم به أجدادهم ولا من سبقهم من الاجيال منذ ألف عام وأكثر .

انها لنعم كبرى نساله تعالى أن يوزعنا الشكر عليها وان يديمها لعباده المؤمنين ، وسكان حرمه الامين ، والله لا يضيع اجر المحسنين .

٩٦٠ مفهوم «الرباط» قديما وحديثا

قرأت فى كتاب « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » النبأ التالى : وقد عزاه المؤلف إلى « **الاصطخرى** » ونصه : « .. وكان فى مدينة « **بيكند** » بين بخارى ونهر جيجون ما يقرب من ألف رباط للغزاة والمجاهدين . »

وأتبع ذلك بجملة أخرى عزاها إلى « **المقدسى** » وهى : « .. ويقال انه كان بمدينة **اسبيجاب** وهى ثغر جميل ودار جهاد ، الف وسبعمائة رباط يجد فيها اصحاب الحاجة طعاما لهم وعلفا لدوابهم .. » .

قلت : كان هذا مفهوم « الرباط » فى القرن الرابع الهجرى ــ قبل ألف سنة خلت ــ ولها من لفظها ومعناها ما يؤدى مفهوم « المرابطة » مأخوذا من النص القرآنى : ﴿ **ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾

أما فيما أدركناه من ذلك ــ بعد عشرة قرون ، فانما « الرباط » للفقراء والمساكين وأحيانا لطلبة العلم والدارسين ، والارامل والأيتام وما إلى ذلك من وجوه البر والاحسان وقد يعلل هذا التطور فى معنى « **الرباط** » قديما وحديثا بأنه بعد أن بلغ الاسلام والمسلمون الغاية فى المجد والعزة والانتصار والغلبة ، تحولت تلك الاربطة التى كانت « **ثكنات جنود** » و « **محطات غزور واعداد** .. » إلى استبقائها لمجرد البر والخير والرغبة فى الثواب يوم الجزاء ﴿ **وانما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى** ﴾

وأعتقد أن عاصمة بلاد المغرب الكبرى « **الرباط** » لم يطلق عليها هذا الاسم الكريم إلا للمفهوم الأول .. وما كانت الا معسكرا عظيما للاسلام على شواطىء البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسى .

زادها الله قوة ومنعة وظهورا وحبورا .

٩٦١ أول مصارعة في الاسلام

قرأت في كتاب (**انساب الأشراف**) **لأحمد بن يحيى المعروف بالبلادى** المتوفي ٢٧٧ هـ ببغداد ــ وكان من معاصرى الامامين (البخارى ــ ومسلم) ، قوله :

« لقى رسول الله ﷺ (**ركانة بن عبديزيد بن هاشم بن عبد المطلب**) ، وكان أشد العرب ، ولم يصرعه أحد قط ! فدعاه إلى الإسلام ، فقال : والله لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة ! وكانت سمرة أو طلحة .. فقال رسول الله ﷺ : اقبلى باذن الله ، فأقبلت تخد الارض خدا .. فقال **ركانة** : ما رايت كاليوم سحرا أعظم ! فمرها فلترجع ، فقال : ارجعى باذن الله ، فرجعت ! فقال له : ويحك أسلم ، فقال : ان صرعتنى اسلمت .. والا فغنمى لك .. وان صرعتك كففت عنى هذا الامر ! وكان **ركانة** أشد الناس ما صرعه احد قط ، فاخذه النبى ﷺ فصرعه ثلاثا .. فقال : يا ابن العم ، العود ! فصرعه ايضا (ثلاثا) . فقال : اسلم . فقال : لا . قال : فانى آخذ غنمك . قال : فما تقول لقريش ؟ قال : اقول صارعته ، فصرعته ، فأخذت غنمه . قال :

فضحتني واخزيتني ! قال : فما اقول لهم ؟ قال : قل لهم (قمرته) .. قال : اذن أكذب ؟! قال : أو لست في كذب من حين تصبح إلى حين تمسي ؟ قال : خذ غنمك . قال : « فانت والله خير مني واكرم .. قال النبي ﷺ : **وأحق بذلك منك** » . ا.هـ

قلت : وبهذا نجد أن (المصارعة) كانت معروفة منذ صدر الاسلام — وما قبله — في بلاد العرب .. وان من شبابها من كانوا معروفين بها ولا ينازعون في التفوق بها في زمانهم .. أو على الأقل بين أقرانهم ، من أهل وطنهم وجيرانهم . ويدعونى الاستطراد هنا إلى ما يعرض على الشاشة البيضاء في (المرناء) من هذه المصارعات العنيفة التى تدير الرؤوس .. واللكمات والضربات المتلاحقات حتى فى الخدود والوجوه والجنوب ، والدعس والفطس ، مما يثير ذوى الاعصاب المرهفة .. والمرهقة .. ويتنافى مع ما تدعو اليه الايمان من الحب والتآخي .. ودفع الأذى .. لا الحاقه بكائن من المخلوقات .. ما قل منه أو كثر .. ودق أو جل .. الا أن يكون في ساحات الوغى وحومات القتال . فما بال هذه الحضارة .. المفتونة الفاتنة تبيح أمثال هذه (المناطحات) الفظيعة ؟. وتصفق لها ؟. وتجيز عليها ؟. فان في الالعاب الرياضية الاخرى كالسباحة والرمى والركض وركوب الخيل .. ما يغنى عنها تمرين العضلات .. وتهيئة الشباب للكفاح فى حوماته .. فأما اللكز والوكز .. والادماء والتدويخ .. فانه ورب الكعبة لمزعج ومؤلم في كل ذى نفس ونفس .. حتى ولو كان فى تهاوش الكلاب ! وتناوش السباع ، وتعارك الحيوان ! وكثيرا ما رأينا لذلك صداه فى الاطفال .. والغلمان .. الذين يحاولون التقليد .. ولا يتورعون عن تطبيق ما يرونه .. أثناء فراغهم .. وفيما بينهم وبين ذوى قرباهم من الاخوة .. أو الجيرة .. أو اثبات البطولة الخارقة .. عن طريق التحرش .. واللطم .. والحطم .. ويعقب ذلك ما لا تحمد عقابه !

وما أحسب المصارعة العربية إبان نشوئها الا أخذا باليد .. وتصعيدا وتصويبا .. وطرحا .. وجمعا ! — وقد انحدرت الينا بها القرون الطوال .. وعالجناها .. وشاهدناها .. فى الامسيات بكل برحة أو قرارة .. وكان اسمها المشهور .. هو (**المعاتلة**) ! وهى تعنى (**المعادلة**) في القوة البدنية .. ولكنها خالية من البطش واللطش ، كما أن لها أختا — أو بنت عم — وهى (**المقاشعة**) ! والتمرن على الاشتباك — فى معارك صورية — بالعصى المزقرة — أى ذات الزقر — و (**المحناة**) .. والمشبعة بالدسم .. والمعدة ليوم (**الهوشة**) ! قبل ان تقيم حدود الله ما كان معوجا من محاولات التعدى .. أو التصدى بالأذى والقذى ! وكانت لا تخلو منها مدينة أو قرية (تماما) كالتمرينات العسكرية .. فى حدود بدائية ضيقة .. توارت بها الليالى والايام !.

ولا أجهل أن من أهداف هذه المشاهد العصرية ، محاربة الخمول والكسل ، واعداد الجيل الصاعد ، للحركة والدأب والكدح والعمل .. واحتمال المشاق .. والاقدام على المكاره .. والتغلب على الصعاب .. كل ذلك طيب وجميل ، وهو تهذيب وتثقيب وتوجيه نبيل ، لو عقله محدودو الادراك .. من الأطفال أو اليفعة أو الصبيان ، ومن هو فى حكمهم من (**الملس المتون**) ! وقلما سلم هذا السن من آثار « **شعبة الجنون** » ! ومن السهل تدريبهم على الجلد

والمصابرة .. وبدون مضاربة .. فى فترات الفراغ من الدراسة .. كل وما يؤهله اليه سنه واستعداده .. ولياقته .. على أن يعد قوته ، لتكون مدخرة ، عند الدفاع أو الهجوم .. وبطرق فنية سليمة بارعة !

وما اريد أن يفهم القارىء من حديثى هذا ، الازراء بالتنمية البدنية .. فما من وقت نحن احوج فيه الى (القوة) تدافع عن الحق ، مثل عصرنا هذا ــ الذى غلبت عليه (المادة) .. فلا يعترف بالأخلاق ! الا بقدر ما يحوطها من البيض الرقاق ؟! أو الجرد العتاق ، أو الذرة والهيدروجين .

و « من أطاق التماس شىء غلابا
واغتصابا لم يلتمسه سؤالا »

وما نيل المطالب ــ بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وأكاد أجزم بان لهذه المشاهد رد فعل عكسى .. بتأثيرها العميق .. بشدة انكارها على مصطنعيها .. وفي بيئاتهم العامة والخاصة .. ولو كانت انما تقام باسم الترفيه .. والتكسب .. والشهرة .. مع دفع الثمن غاليا .. والويل لأم المغلوب ! ومع ذلك .. فقد لا أخلو من النقد المرير .. اذا صرف النظر عن المحاذير .. وأرانى اردد قول الشاعر من اعماق القلب والضمير :

ياليتنى فيها جذع
أخب فيها وأضع

وحسبى ان اتلو قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ــ وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .
والله ولى التوفيق .

٦٦٢ الناموس غير البعوض

جميعنا نقول (الناموس) عن هذا (البعوض) المؤذى ، المحتال ، (ابن الحرام) الذى لا يدعنى أقرأ ، ولا أكتب ، ولا أفكر ، الا صرفنى قهرا ، عما أنا فيه .. والح فى القرص والمص ، حتى أفر منه إلى ما يسمى (خطأ) نسبة اليه (بالناموسية) .. وما الناموس بالبعوض ــ ولا هو من سلالته ولا أصوله .. ولا فروعه .. فانما هو لغة « **صاحب السر ، المطلع على باطن أمرك ، والحاذق ، والكذاب ، والنمام ، والصائد والشرك ، والمكر ، والخداع** ، و « دويبة غبراء كهيئة الذرة » أى النملة ومن معانية أنه « **عرين الأسد** » .. **فكيف يكون اسما** لهذا الطنان الرنان ؟! وان لى معه فى داخل « **الكلة** » لمعارك ، جوية وأرضية .. وآمنت أنه أوتى من الفطنة والحذر .. ووسائل الدفاع والكر والفر والاختباء ، والاعتداء ، والانقضاض والارفضاض ، ما يعجز عنه « ابن آدم » !

وليعذرنى القارىء الكريم اذا شفيت غيظى منه بهذه النفثة .. فانه .. يرتع ويمرح .. ويعوم ويسبح .. ما دامت المجارى مختنقة ؟! والدبول معتنقة ! وقد تمرن على كل أسباب المقاومة .. وأصبحت له (مناعة) منها فلا تقضى عليه .. وان أدارت رأسه بعض حين ! ثم ينتفض ليثأر .. ويتوق ويحذر .. وانه لاحدى آيات الله جل وعلا على ضعف الانسان حتى مع هذه الحشرة الضئيلة .. الرذيلة !

وأخيرا ، فانه ليس بالناموس .. ولا يقبل أمناء السر أن يشتركوا معه فى هذه التسمية .. وهو

(**عرين الاسد**) .. ولا ترضى الاسود بأن تقرن إلى هذا الحقير .. الحقود ! (ولو طار) !

فهل نستطيع ان نغير « الناموس » بالبعوض ؟ وان نسمى الناموسية « البعوضية » ؟!

والجواب : الاستحالة .. الا اذا سميت « الدبيازة » بالمهلبية ! .

٩٦٣ خمسون لحافا ودواجا

كان **أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني** المولود سنة ٢٧٦ هـ والمتوفي سنة ٣٨٤ هـ وقد عمر أكثر من ثمانين عاما .. وهو صاحب كتاب « **معجم الشعراء** » قالوا : « انه كان فى داره خمسون لحافا — ودواجا معدة لأهل العلم الذين يبيتون عنده ، وان أكثر أهل الادب الذين روى عنهم سمع منهم في داره » . اهـ

قلت : أما **اللحاف** فانه معروف لدينا .. ولكن ما هو « **الدواج** » ؟ لم اجد له تفسيرا ، وباقترانه باللحاف .. فانه لا يعدو أن يكون إما (**المخدة**) .. واما (**الطراحة**) .. واما (**البطانية**) للغطاء .

ثم أن تهيئته فى داره هذا — لابد ان يصحبه الطعام ولو فى بعض (الوجبات) .. وهكذا كانت داره « **ناديا** » يقصده الغرباء — طبعا — من غير أهل بلده ! فليس من المعقول أن يدع أهله وزوجه مواطنوه فى نفس البلد .. الا ان يكونوا أهل أدب لحقتهم حرفته ! كما يقولون — قديما — وإذن فمن الخير أن يؤخذ هذا فى حساب الذين يوفقون لنشر الأدب ، وبعثه ! وتطويره مع إضافاته الجديدةالتى تغرى بالمدارسة .

٩٦٤ « البزورة يربدوا » في الدرج أو في السطوح

العبارة من اقوال الآباء والامهات .. اذا اقلقهم الضجيج والركض والمعارك بين الأطفال فى الدار .. أما البزورة .. فاصلها كما اظن « **البذور** » قبل أن تتفتح بها الأكام أو تنضج الثمار .. وتحولت الذال إلى الزاى .. استعجاما !

وأماأنهم يربدون فهى بمعنى يركضون ، ويزعجون ، ويدبدبون ، وبعبثون .. لما لها من اصل ولا تنتمى إلى اللغة حيث ان (ربد ربودا بالمكان أقام) .. وما هذا هو القصد من هذه الكلمة فى عرف أيامنا هذه ! و (**ربد الابل ربطها فى المربد**) والربدة — « **الغبرة** » .. والمتربد « **الأسد** » . ا.هـ

قلت : ولا تكون ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بهذه المعانى كلها الا من ناحية واحدة .. وهى ان الدور قديما .. كانت غير مبلطة .. ومماشيها ، واسطحتها من التراب .. بل وكل الدرجان أو الدرج المؤدى اليها .. فهناك اذا ركض الغلمان فيما بينها أو فوقها .. ثار الغبار منها على « العقلاء » .. أو « العاجزين عن الركض » فصاحوا وأنكروا ! وبودهم لو كانوا هم الصغار .. مرحا .. وجريا ورمحا ! ولكنهم انما يمنعهم الضعف وتخلخل الركب ؟! « وكل شيء فى وقته مليح » .

٩٦٥ اما سمج !

تعتبر هذه الكلمة الرائجة من فصيح العامة .. رغم استعمالها مرارا وتكرارا بين اليوم والليلة .. وفى أوساط أهل الألعاب خاصة ! واقصد بها « **البلـــوت** » أو « **الاسكمبيـــــل** » ! أو « **الباصرة** » أو ما لا أعرفه ـــ من جنسهما .. اذا حاول أحدهم أن يدس أو يختلس ، أو يجزع ، أو يتهاون ، أو يتبالد ، أو يطلع جاره على ما فى يديه !.. الخ .. فان السماجة .. فى اللغة هى : « **سمج سماجة .. قبح .. وهى اذا وصف بها اللبن كان دسما خبيثا** » ! فاستعمـــالها ـــ كما هي .. لا غبار عليه .. وتركها خير من الاسترسال فيها .. وقديما قال الشاعر الطريف **الفتح بن خاقان** :

بني الحب على الجور فلو
انصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستملح فى وصف الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج !

والخيار للقارىء ، على كل حال ، فى قبول ما وصى به وارتاح اليه « **الفتح** » وحده أو مجابهة كل من يتسمج .. ولا يتحرج !

٩٦٦ القرطسة !

لا نعرف هذه الكلمة ـــ فى مجتمعنا ـــ الا أن يضع البائع حاجة المشترى فى « **الورق الجنوى** » القديم .. واللوح منه يسمى « بالفرخ » ! ثم يغلقه بطى حروفه عليه .. ثم سمعناها فى معنى آخر .. وهى فى حالة ما اذا وقع جدال بين زيد وعمرو .. فيقولـون : **قرطسه فى محلـــه** ! أى : أسكته أو أخرسه أو أخزاه أو أعجزه .. ورجعت إلى المدون فى هذا لغـة .. فاذا به : « **القرطـاس ــ الغرض .. وقرطس ــ أصاب القرطـاس أى الغرض وهو ايضا الصحيفة التى يكتب فيها** .. » .

قلت : اما القرطسة فى الورق .. فقد فقدت كلية .. بعد أكياس النيلون ، والورق المهيأ للتعبئة فيه .. كبيرا كان أو صغيرا .. وبقيت القرطسة الكلامية أو الجدلية ! فانها اذا اقتصرت على المعنى اللغوى فقط .. أى اصابة الغرض .. فلا بأس .. اما اذا تجاوزت إلى التحدى .. والاحراج .. فانها من نزعات الشياطين .. ولا يصطنعها الا كل معتد اثيم .

٩٦٧ لك « انة » فى هذا ؟

يقولها أحدهم لمحدثه اذا غمض عليه شيء من كلامه ! أو هدفه أو عمله ، فما هى هذه (**الانـة**) ؟! ـــ و (الإنـة) هنـا بكسر الهمـزة وتشديد النون بعدها تاء مربوطة .

فكرت فى هذا (برهة) .. فاذا بى أنشد البيت المشهور :

ويقلـــــن شيب قد علاك
وقد كبرت فقلت : (انه) !

وتهللت فرحا .. اذن هذه هى تلك ! مع اختلاف ما بين (الانتين) ، فى المعنى .. الا أنها تدل فى الجملة على أصل لها .. لعله لا يخرج عن التحسر والتأسف على ما افتقده صاحب الشيب من نشاط وانبساط ! كذلك هى الاخرى ، فانها ، كما هو المتداول لدى العامة ، انما يراد بها ، ان لك فى هذا الامر غرضا خفيا ! تحجبه عن الناس وتحرص على أن لا يظهر ! فمن كان له بها

علم أصح .. أو برهان أوضح .. فاني له لمن الشاكرين ان هو ازال به الالتباس[1] .. و (الناس بالناس ـــ والكل بالله) .

٩٦٨ ماهي « البلتيكا » ؟

هى جملة عامية ـــ كثيرا ما يقولها أحدهم للآخر .. وتعنى فى مصطلحاتنا : « **الضجة ، والصجة** » ! والتخلص من مأزق ما بأسلوب مقترن بالزيف والتضليل ، دون البرهان والدليل !

وما كنت أعلم أصلها ولا فصلها .. حتى عرفت أن فى بلاد « يوغسلافيا » صحيفة يومية تصدر بعنوان « **بولتيكا** » فأدركت انها دخيلة فى بلادنا من الوافدين القدامى اليها من حجاج تلك المناطق ! وانها فى حقيقة الامر ، كلمة تعنى « **السياسة .. أو الدبلوماسية** » .. وكلاهما يشبه فى نعومته ، المهلبية والالماسية ! وان هى لم تخل من الألم والأسية !

٩٦٩ الهون فيه العون

من الامثال العامة الدارجة : « **الهون فيه العون** » .. وهو يعنى التريث فى الامور ، وعدم التعجل .. والهون فصيح صحيح ، قال تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض (هونا) واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ .. ويقابل ذلك أو يطابقه (**الأناة**) .. وهي من الخصال المستحبة .. فى المواقف الحرجة ! ويلحق بها مثل آخر ، هو « **رب عجلة تهب ريثا** » ! وقال الشاعر :

كأن مشيتها فى بيت جارتها
مشى الحمامة لا ريث ولا عجل !

ويلحق بها أيضا مثل آخر ، هو :

« **في التأنى السلامة ، وفي العجلة الندامة** » ..

غير ان بعض الشعراء عارض ذلك بقوله :

وربما فات قوما جل أمرهم
من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

فان من الظروف والملابسات ما تكون فيه العجلة أصوب من التأنى ! ولكل مقام مقال ، و « كل شيء يعطى حكمه » .

٩٧٠ ماهو اصل السوطرة ؟

ان كلمة « **السوطرة** » شائعة التداول فى جميع الأوساط المحلية .. ويقصد بها .. **الهزء والسخرية** ! تارة .. وأخرى ، **الهزل أو المضاحكة** !.. ولها مرادف عامى آخر هو (**التريقة**) ولعلها من (**الترويق**) !.. أو (**فكوك الريق**) !

وتفكرت مليا في أصلها .. وقدرت انها وافدة دخيلة .. من لغة أخرى ! ثم بدا لى أنها ذات جذر عربى عريق .. وانها قد مسها التحريف .. فى تركيبها والنطق بها ليس غير !

فهى كما أرى ـــ والله أعلم ـــ مشتقة من (الأسطورة) .. والأساطير .. بما غلب عليها من حكايات مختلفة .. أو فكاهات مصطنعة .. أو معابثات أو أضاحيك تندرج تحت (الالهيات)

(١) (المنهل) : يقول النحاة : ان (انه) هذه هى حرف تنصب الاسم وترفع الخبر والهاء اسمها وخبرها محذوف للعلم به من السياق أى (أنه شيب علاني كما يقلن) .

المزورة .. وكل ذلك يعتبر من باب الأساطير وإلى هنا أرجو أن يتناول فضيلة الاستاذ الجليل ــ صاحب المنهل الأغر ــ تحبيذ أو تفنيد ما جنحت اليه ببيانه الشافى ان شاء الله[1] .

٩٧١ فـ . . « الشولشة » ؟

نطلق « **الشولشة** » فى عامية أهل بلادنا على **الأصوات الجماعية** التى تعقب فراغ « المطرب » أو « المغنى » من (**دانته**) أو .. (**دندنته**) .. أو (**مجسه**) ! اعرابا عن الاستحسان وتشجيعا على الاستمرار فى طربه أو غنائه .

واستغرقت طويلا فى فهم أصلها .. فترجح عندى أنها مكونة من « الشيء » مندغما فى بعضه مرتين ! وأنها تعنى أن ما سمعناه « شيء ، شيء » .. أى ممتاز مؤثر جميل ! وما تزال مستعملة .. فى ذلك المعنى .. مفردة ومثناة ، أما ــ ومن أين دخلتها اللام ؟ فأقول : من شدة الانسجام ؟! وفرط التأثر وسلطان الانغام .. ومن أنكر فليغير ! ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .. ولعل لها أصلا عربيا غريبا .. يستكن فى بطون المعاجم[2] .

(١) (المنهل) : لله در استاذنا البحاثة الطلعة .. فى تخريجاته وعنايته بمعانى اللغة ، واعادة المادة العلمية التائهة إلى أصلها الراشد وتأييدا لفكرته فى هذه المسالة . نقول : أنه ورد فى مراجع اللغة نصا : (وسطر فلان على فلان : جاءه باحاديث تشبه الأباطل وزخرفها له ومن جاء بأحاديث باطلة وزخرفها للسامع فهو ساخر به فى ذلك لا محالة . ومنه صيغة الأسطورة بالذات فقد ورد فى نفس المراجع اللغوية أن الأسطورة : هو الحديث الذى لا أصل له وقالوا أن أصل صيغة (سيطر) من (السطر) ايضا فالياء مزيدة .

(٢) (المنهل) : وخطر فى البال أنها أيضا ربما يكون أصلها (شوء لا شيء مثله) يقولها بعض المستحسنين لذلك فعبروا عنه بالشولشة مثل (حوقلة) من لا حول ولا قوة إلا بالله .

٩٧٢ السرسري والسرسور

ما أكثر ما نسمع هذه الكلمة ينبز بها أحدهم من يكره .. فيقول : انما هو (**سرسرى**) ! ولا يدرى ما يعنى .. ولا ما هو أصلها ؟ وانما يرمى بذلك إلى قذفه بأنه لا أصل له أو شاعة أو قاعة كما يقولون !

وفى اللغة : **السرسور ــ الفطن ، الحبيب** . الخاصة من الصحاب . ويقال : هو سرسور قال ــ بالضم ــ أى حسن القيام عليه عالم بمصلحته . ا.هـ

قلت : اذن تكون مدحا لا قدحا[3] .. لو هم أعادوها إلى هذا الاصل الصحيح الفصيح .. ولو انها تجيء على وزن (عرعور) .. وهو ذروة الجبل ! فذلك خير من الاساءة والاستياء .

٩٧٣ الفصيح المغمور !

حتى الاطفال .. يستعملون فى محاوراتهم ومفاكهاتهم كلمة (**حزر**) ما هو ؟! بمعنى قدر أو خمن يقولونها اذا اخفى أحدهم شيئا بيده أو خلف ظهره أو واراه ؟! وقلما تداولها الكبار .. الا نادرا ..

قلت : وهى فى الفصيح المتداول الموروث من الأصول العربية العريقة .. فان الحزر هو التقدير

(٣) (المنهل) : العامية تغير على الألفاظ الفصيحة بدون إدراك تام لمعانيها .. ومن ثم تقلبها فى إحدى خبطاتها العشواء من حسن إلى قبيح وبالعكس وقد تغير على هيكلها فتفسده .. ومن تغييرها للمعنى من حسن إلى قبيح صيغة (العلق) فهى لغة بمعنى النفيس وفى العامية لها معنى غير حسن .

والحرص ، وما أشد اغتباطى كلما ظفرت بكلمة عربية أصيلة لم تتغلب عليها العجمة .. ولا سطا عليها التحريف عبر القرون التى راج فيها الدارج من العامية (الأخطبوطية) المتغلبة ، وما زالت تدور على الألسنة .. بمدلولها الفصيح الأول .

٩٧٤ الحزورة !

جاء فى الأثر الشريف ما معناه : ان رسول الله ﷺ وقف قبيل هجرته إلى المدينة المنورة على (**الحزورة**) — بفتح الواو تارة وتشديدها تارة أخرى وقال : وهو يعنى مكة المكرمة : (**والله انك لأحب بلاد الله إلى — ولولا أننى اخرجت منك ما خرجت**) .. أو كما قال .

قلت : وعرفنا من كتب السيرة الشريفة ، وتواريخ أم القرى أن موضع هذه **الحزورة** هو ما كان يسمى « **بباب الوداع** » مما يلى « السوق الصغير » من المسجد الحرام .

ولكن ، ما هى هذه (الحزورة) بالذات ؟ وقد جاء تفسيرها فى اللغة بأنها « **الربوة الصغيرة** » .. ولعلها كانت كذلك قبل أن تبنى أبواب المسجد الحرام فى القرون التالية لصدر الاسلام .. ثم ازاحتها السيول ، أو تناولتها المعاول .. ودحتها لتستوى مع سطح الارض السهلة .. خلال التوسعات المتكررة آنئذ .. والله أعلم .

٩٧٥ أصناف الأدب

قال **الوزير الحسن بن سهل** المتوفى عام ٢٧٦هـ : « **الآداب عشرة — ثلاثة (شهرجانية) .. وثلاثة (انوشروانية) .. وثلاثة (عربية) .. وواحدة أربت عليهن .. فأما** الشهرجانية فضرب العود ، ولعب الشطرنج ، ولعب الصوالج .. وأما الأنوشروانية واما العربية فالشعر والنسب ، وأيام الناس .. واما الواحدة التى أربت عليهن : فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم فى المجالس » . اهـ

قلت : ما أعجب أن يتعصب هذا الوزير الفارسى إلى درجة أن يجعل (الفروسية) — (أنوشروانية) .. وهى أبرز صفات العرب جاهلية واسلاما وحتى يومنا هذا . وما أحسن ما قال فى الواحدة التى أربت على التسعة الأولى .. « لو ان هناك بقية لمقطعات الحديث . والمسامرات أو السمر وما يتلقاه الناس بينهم فى المجالس » .. فقد تلاشى ذلك أو كاد ! وعهدنا بها مدارس حافلة بكل ما ينفع ولا يضر .. ويصلح ولا يفسد ، وكلها أو جلها علم وأدب وتهذيب وتثقيف ، ومؤانسة ومفاكهة ، وصلوات اذكار ومواصلة وايثار . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

٩٧٦ الى أين يا أبا ليلى ؟

قال (**النابغة الجعدى**) — كما هو فى الاستيعاب — : —« اتيت رسول الله ﷺ فانشدته قولى :

وانا لقوم ما نعود خيلنا
اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع الوان خيلنا
من الطعن حتى نحسب الجون اشقرا
وليس بمعروف لنا ان نردها
صحاحا — ولا مستنكرا ان تعقرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبى ﷺ : (إلى اين يا ابا ليلى) ؟ : قال فقلت : إلى الجنة . قال : نعم ان شاء الله تعالى . فلما انشدته :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له
بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

قال رسول الله ﷺ : « **لا يفضض الله فاك** » قال **الحسن بن عبيد الله** : وكان من احسن الناس ثغرا .. » اهـ

قلت : وكم هو باعث على الغبطة والفخر والاعتزار ، اقامة (**نادى الفروسية**) فى الرياض .. والعناية بالخيل والفرسان .. فان ذلك مما حض عليه الفرقان : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ .. وانها للكنوز التى لا تقدر بثمن .. وهى احدى خصائص هذه الامة الكريمة منذ الأبد .

٩٧٧ « ثبير » فـ « الحجون »

قرأت فى الآونة الاخيرة بحثا ضافيا شافيا عن موضع « **الحجون** » بمكة المكرمة . وتصحيحا لما هو مدفوع ، وممنوع ، من اقاويل تنافى الحقيقة صدرت عمن قد يكون من غير أهل (**مكة**) .. والتى تجعل الحجون .. يمين الصاعد إلى (**المحصب**) أو (**الأبطح**) .. وما هو الا ما تواتر به الاجماع حتى اليوم فى الجانب الأيسر .. وهو هو المشرف على مقبرة (**المعلى**) .. وهو هو الذى تقع فيه (**ثنية كداء**) بفتح الكاف .. والتى قال عنها **حسان بن ثابت** رضى الله عنه :

عندما خيلنا ان لم تروها
تثير النقــع موعدهـــا كداء

ولا محل للتخريج فيه أو التأويل ، وأكاد أجزم بأنه هو المقصود أيضا « **بثنية المدنيين** » فما يسلك القادم من المدينة إلى مكة .. وعند دخولها .. الا هذا الطريق . ولسنا مضطرين إلى مسايرة من تحدث عنه بما يخالف واقعه أو ما اتفق عليه جمهور الناس منذ صدر الاسلام وقبله !

وكذلك الحال فى (**ثبير**) .. فأنه في يسار الصاعد إلى **منى** .. وأول ما تشرق الشمس عليه .. ومن ذلك أو بسببه كانت قريش والقبائل التى تحج قبل الاسلام تقول من **المزدلفة** : (**اشرق ثبير كيما نغير**) .. أى عند فجر يوم النحر الأول . فقد رأينا أو سمعنا من يجعله يمين الصاعد إلى (منى) ! لان بعضهم كتب ذلك ، وكان من أهل الآفاق ! وحسبك ان (**عراما**) وهو عربى من أهل الجزيرة .. قد جعل (قعيقعان) على مسافة أميال من مكة وهو أحد أخشبيها وفى قلبها ! ألا وإننا نستطيع أن نهضم التطور فى كل شيء إلا فيما هو من الرواسى والجبال فما يتحول حتى تبدل الارض غير الارض والسموات ولا محل فيه للارتياب أو الاشتباه !

٤٧٨ « الولس » أذن هو « الولث »

استفدت هذه الشذرة من (بحث طريف) عن نسب (يام) القحطانية ، نشرته مجلة (**العربى**) الغراء فى عددها الصادر فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٨٨ هـ ، وجاء فيه انه .. « كان بين يام وجلف (ولث) .. وصلة .. » اهـ وفسر الشارح : (الولث) بانه العهد بين القوم يقع من غير قصد ــ ويكون غير مؤكد .) اهـ

قلت : وبدا لى ان ما يطلق عليه الناس إلى يومنا هذا فى قولهم : « بين فلان وفلان ولس » ــ بكسر الواو .. وهم يعنون بذلك التفاهم والاتفاق ، على ما هما بصدده سواء أكانوا جماعة أم أفرادا .. انما يرجع فى اصله إلى هذا المعنى .. وهو العهد من غير قصد .. ودون تأكيد .. فما برح التدول حتى الآن يجعل (التوالس) .. ف معنى غير كريم ! وهو إلى الكيد أو الخيانة .. أقرب ، وبهما أعلق ! الا أن يكون لمادة (ولس) من (الموالسة) . أساس مستقل فى اللغة لم اقف عليه . ولعل فضيلة صاحب المنهل يرشدنا فيه إلى الحقيقة .. وهى بنت البحث كما يقولون وهو (أبوه) .. لا فض فوه[1] !!

(١) (المنهل) : شكرا وتقديرا لأستاذنا المبجل .. ونعرض جوابا عما أفضل به فنقول : أنه ورد فى معاجم اللغة ما نصه : (ولس فلان الرجل يلس ولسا : خدعه وخانه . ووالسه موالسة : خادعة وداهنة . وتوالس القوم عليه : تناصروا عليه فى خديعة وخيانة و (الولاس) بفتح الواو وتشديد اللام هو الذئب .. وهو أيضا مأخوذ من الولس بمعنى الخديعة لأن الذئب خداع .

٤٧٩ اصل كلمة « الزل »

يطلق أهل نجد والحجاز ــ وخاصة منهم أهل الوبر على « المفارش » أو « الجلايل » أو « السجاجيد » المحاكة من الصوف كلمة (الزل) .. وكنت أظنهم يصدرون فى ذلك عن تعارف جهلت تعليله ، واتفق ان وجدت أصلها (عربيا) .. فى (المزهر) **للسيوطى** حيث قال : « وقد حدثنى **أبو الحسن القطان** عن **على بن عبدالعزيز** عن **أبى عبيد** عن اصحابه قال : « الزلزل» .. (بشديد الزاى الاولى .. وفتح اللام وكسر الزاى الثانية) .. الاثاث والمتاع .. وذلك على ــ(فعلل) ..» ا.هـ

قلت : ولو تعقبنا أكثر المتداول عندنا لوجدنا له أصولا وجذوراً عميقة .. فى العربية .. وإنما تخللها التحريف والتصحيف .. ولم تجد لها من يعنى بها فى المتأخرين .. ليعيد لها ــ عروبتها ــ فما كنت أحسبها الا أعجمية .. لبعدها عن التأويل .. ولو كان هو (الزلل) فما عهدنا الصوف (يزحلق .. السائر عليه .. أو يزل به أو يتزلزل) ولعلها دخيلة فعربت .. والله أعلم .

٤٨٠ (الفدائيون) فى صدر الإسلام

جاء فى كتاب « المنازل والديار » تأليف الأمير **أسامة بن منقذ الكنانى** (٤٤٨ ــ ٥٨٤) هـ .. فى قصة مقتل **كعب بن الاشرف** اليهودى فى المدينة المنورة وكان رئيسا لبنى النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ

إلى اذرعات الشام ما نصه : « كان قتل **كعب بن الاشرف** فى ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة . قال **ابن اسحاق** رحمه الله : كان من حديث **كعب بن الاشرف** انه لما اصيب اصحاب (بدر) قدم **زيد بن حارثة** رحمه الله إلى أهل السافلة ، **وعبدالله بن رواحة** إلى أهل العالية ، بعثهما رسول الله ﷺ إلى من بالمدينة من يفتح الله عليه ، وقتل من المشركين .

قال **كعب بن الاشرف** : — وكان رجلا من (طى) ثم احد بنى نبهان — وكانت أمه من بنى النضير — حين بلغه الخبر ، احق هذا ؟ اترون **محمداً** قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ — يعنى **زيد بن حارثة** ، **وعبد الله بن رواحة** ، رضى الله عنهما — فهؤلاء اشراف العرب ، وملوك الناس ، والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها ! فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج حتى اتى (مكة) فنزل على **المطلب بن أبى وداعة بن ضبيرة السهمى** ، وعنده (**عاتكة**) ابنة **أبى العيص بن امية بن عبد شمس بن مناف** ، فانزله واكرمه ، فجعل يحرض على رسول الله ﷺ ، وينشد الأشعار ويبكى اصحاب (القليب) من قريش الذين اصيبوا (ببدر) فمن ذلك قوله :

طحنت رحى بدر لمهلك اهلها
ولمثل بدر تستهل الأدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم
لا تبعدوا ، ان الملوك تصرع
كم قد أصيب به من ابيض ماجد
ذى بهجة يأوى اليه الضيع ؟
طلق اليدين اذا الكواكب اختلفت
حمال اثقال يسود ويرفع

ويقول اقوام اسر بسخطهم
ان ابن الاشرف ظل كعب يجزع
صدقوا فليت الارض ساعة قتلوا
ظلت تسوخ باهلها وتصدع
صار الذى اثر الحديث بطعنة
أو عاش اعمى ، مرعشا لا يسمع
نبئت ان بنى المغيرة كلهم
خشعوا لقتل أبى الحكيم[1] وجدعوا
نبئت ان الحارث بن هشامهم
فى الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع ، وانما
يحمى عن الحسب الكريم ، الاروع

ثم رجع **كعب بن الاشرف** إلى المدينة — فشبب **بأم الفضل بنت الحارث** « وهى لبابة **بنت الحارث الهلالية** اخت **ميمونة** زوجة النبى ﷺ ، وزوجة **العباس بن عبدالمطلب** وام اكثر بنيه » .. فقال :

اراحل انت لم تلمم بمنتبه
وتارك انت ام الفضل فى الحرم ؟!
ترتج ما بين كعبيها ، ومرفقها
اذا تأتت قياما ثم لم تقم !
اشباه ام حكيم اذ تواصلنا
والحبل منها متين غير منجذم
احدى بنى عامر هام الفؤاد بها
ولو تشاء شفت كعبا من السقم
فرع النساء ، وفرع القوم والدها
اهل المحلة والايفاء بالذمم
لم ار شمسا بليل قبلها طلعت
حتى تجلت لنا فى ظلمة الظلم !

(١) يعنى أبا جهل .

ثم شبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال رسول الله ﷺ : (من لى بابن **الاشرف** ؟) .. فقال **محمد بن مسلمة** رحمه الله : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : فافعل ان قدرت على ذلك .

فرجع **محمد** فمكث (ثلاثا) لا يأكل ولا يشرب .. الا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه . فقال له : « لم تركت الطعام والشراب ؟ » .. قال : يارسول الله ، قلت لك قولا لا أدرى أوفى لك به ام لا ؟ قال : « انما عليك الجهد ، قال : يارسول انه لابد ان نقول .. قال : « قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك » .. فاجتمع فى قتله (**محمد بن مسلمة**) و (**أبو نائلة**) **سلكان بن سلامة بن وقش** .. وكان اخا **كعب بن الاشرف** من الرضاعة ! و (**عباد بن بشر بن أوس بن معاذ**) ، و (**أبو عبس بن جبر**) ، رضى الله عنهم ، ثم قدموا إلى عدو الله **كعب بن الاشرف** قبل ان ياتوه .. فجاءه **أبو نائلة** فتحدث معه ساعة ، وتناشدا الاشعار .. وكان **أبو نائلة** يقول الشعر ، ثم قال : « **ويحك ياابن الاشرف** ، انى قد جئتك بحاجة اريد ذكرها لك فاكتم عنى » ، قال : افعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءاً من البلاء .. عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ! وجهدت الانفس واصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا ! فقال **كعب** : « **انا ابن الاشرف** ، أما والله لقد كنت اخبرك **ياابن سلامة** ان الامر سيصير إلى ما اقول ، فقال **أبو نائلة** : ومعى رجال من اصحابى على مثل رأيى ! وقد اردت أن آتيك بهم .. فنبتاع منك طعاما فتحسن من ذلك إلينا . ونرهنك ما يكون لك فيه وفاء ، فقال **كعب** : ماكنت احب **ياابا نائلة** ان ارى هذه الخصاصة بك ، وان كنت لمن اكرم الناس على ، انت اخى نازعتنى (الثدى) فاصدقنى ذات نفسك ، ما الذى تريدون فى امره ؟ قال : خذلانه والتنحى عنه ! قال : سررتنى **يا أبا نائلة** فما ترهنونى اترهنون ابناءكم ؟ قال : لقد اردت أن تفضحنا .. قال : أترهنونى نساءكم ؟ كيف نرهنك نساءنا وانت أشب أهل يثرب واعطرهم؟! ولكنا نرهنك من (الحلقة) « اى السلاح كله » ما فيه وفاء .. واراد **أبو نائلة** ان لا ينكر السلاح اذا جاؤا به .. قال : ان فى (الحلقة) لوفاء ، فخرج **أبو نائلة** من عنده على ميعاد ، **فاجمعوا** امرهم على ان ياتوه اذا امسى لميعاده ، ثم اتوا النبى ﷺ عشاء فاخبروه ، قال **ابن اسحاق** : فمشى معهم رسول الله ﷺ إلى (البقيع) ، ثم وجههم فقال : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم اعنهم » ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته (وهو فى ليلة مقمرة) .. فاقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه[1] ، **فهتف** به **أبو نائلة** ، وكان **كعب** حديث عهد بعرس .. فوثب فى ملحفته ، فاخذت امراته بناحيتها . وقالت : انك امرؤ محارب ، وان اصحاب الحرب لا ينزلون هذه الساعة ! فقال : انه **أبو نائلة** .. لو وجدنى نائما ما ايقظنى ! قالت : والله انى لأعرف فى صوته الشر ، فقال : لو يدعى الفتى لطعنة أجابا » ، فنزل فتحدث معهم ساعة .. وتحدثوا معه ثم قالوا له : هل لك **يا ابن الاشرف** ان نتماشى إلى (شعب العجوز) ــ وهو موضع بظاهر المدينة ــ فنتحدث به بقية

---

(١) (المنهل) : حصن كعب بن الأشرف فى عالية المدينة المنورة على شفا حرة وأقم يهبط منه إلى حدائق العالية ، وقد استكشف أطلاله رئيس التحرير ورسمه وكتب عنه فى كتابه : « آثار المدينة المنورة » .

ليلتنا هذه ؟ قال : ان شئتم .. فخرجوا يتماشون .. فمشوا ساعة ، ثم ان **ابا نائلة** ادخل يده فى فودى راس كعب ثم شم يده فقال : ما رايت كالليلة (طيبا) اعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفوده ساعة ، ثم قال : اضربوا عدو الله فضربوه .. فاختلفت عليه اسيافهم ! فلم تغن شيئا . قال **محمد بن مسلمة** : تذكرت (مغولا) .. « وهو السكين التى تكون فى السوط » فى سيفى حين رايت اسيافنا لا تغنى شيئا .. فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا وقد أوقدت عليه نار ! فوضعته فى (ثنته) .. وتحاملت عليه حتى بلغت (عانته) .. فوقع عدو الله ، فاحن راسه .

وقد أصيب **الحارث بن اوس بن معاذ** فجرح فى رجله ، اصابه بعض اسيافنا .. قال : فخرجنا حتى سلكنا على **بنى امية بن زيد** ، ثم على **بنى قريظة** ، ثم على **بعاث** . حتى اسندنا فى حرة (العريض) .. وقد ابطا علينا صاحبنا **الحارث بن اوس** ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع آثارنا . فحملناه فجئنا به رسول الله ﷺ ، قال **الواقدى** : فلما بلغوا (بقيع الغرقد) . وقد قام رسول الله ﷺ ، تلك الليلة يصلى ، فلما سمع تكبيرهم بالبقيع ، كبر وعرف ان قد قتلوه . ثم اتوا النبى ﷺ وهو واقف على باب المسجد فقال : « افلحت الوجوه » قالوا :

ووجهك يا رسول الله ، ورموا براس **كعب** بين يديه ، فحمد الله على قتله ، ثم اتوا بصاحبهم الحارث فتفل على جرحه ، فلم يؤذه ، قال **محمد بن مسلمة** : فاصبحنا ، وقد خافت (يهود) لوقعتنا بعدو الله . فليس فيها يهودى الا وهو يخاف على نفسه ، قال الواقدى : ففزعت يهود ومن معها من المشركين .. فجاوا إلى النبى ﷺ حين اصبحوا .. فقالوا : لقد طرق صاحبنا الليلة .. وهو سيد من ساداتنا فقتل غيلة . بلا جرم ولا حدث علمناه .. فقال النبى ﷺ :

« انه لوقر كما قر غيره ممن هو على مثل رايه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الاذى وهجانا .. ولن يفعل احد منكم مثل فعله الا كان له السيف » !

ودعاهم رسول الله ﷺ إلى ان يكتبوا بينهم كتابا ينتهون إلى ما فيه .. فكتبوا بينهم وبينه ﷺ كتابا فى دار (**رملة**) **بنت الحارث** .. وخافت يهود من يوم قتل كعب بن الاشرف » .

قلت : ولا حاجة مع هذه القصة التى اوردها الثقاة من مؤلفى السيرة النبوية ، إلى اضافة فهى واضحة الاهداف .. بعيدة المرامى .. فان كعبا هذا هو خال **محمد بن مسلمة** .. واخو (**ابى نائلة**) فى الرضاعة ! ولم يحملهما ذلك على أن تأخذهما فى قتله لومة لائم ! وما يزال المسلمون بخير ما ساروا على سنن خير المرسلين وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه .

وهنا فائدة ــ لا باس من الاشارة اليها وهى كلمة « انه لو قر كما قر غيره » .. فانها ما تزال متداولة بنفس اللفظ .. حتى اليوم .. وتقول الام لولدها .. (قر) .. وتعنى اسكن .. باذن الله اذا بدا منه ما تنكر ..

ونسال الله رب العالمين ان ينصر دينه ويعلى كلمته ويشفى صدور قوم مؤمنين .

٩٨١ «الهدوم» عربية فصيحة

يطلق اخواننا اهل نجد ومن حولهم من العرب كلمة الهدوم على الامتعة والثياب خاصة !

وكنا نحسبها من الدخيل .. ووجدتها فى اللغة الفصحى فهى — الثياب الخلقة .. أى القديمة ..

وهى بذلك صحيحة متداولة من عصور طويلة وفي قلب جزيرة العرب .. وتدل على التواضع .. وعدم التنفج .. بما يقتنى الانسان .. فهم يطلقونها على كل ما هو فى حوزتهم من جديد وعتيق على السواء .. دون تكاثر أو تفاخر .. ولا أرى لها مقابلا فى اصطلاح الحجاز وما حوله .. من البقاع .. الا كلمة (العفش) وهى شاملة لغير الثياب .. لانها انما تعنى (الجمع) — مطلقا ويرد نصها من اصطلاحات أهل نجد (القش) — وهى بدورها الجمع أيضا .

٩٨٢ نمنمة النيـــم !

كنت فى حفلة رسمية بجُدَّة — وفرغت منها فى نحو الساعة الرابعة ليلا فى أواخر شهر محرم سنة ١٣٨٨ — وعدت إلى مكة .. فلما استقبلت مشارفها فى (**أم الدود**) التى يجب ان يبدل اسمها بما هو اجمل وافضل فتكون كما اقترح أهل الرأى والفضل : (**أم الجود**) .. أو ما هو فى هذا المعنى المحمود ! تروحت الشذى العابق .. يترقرق به النسيم العليل .. وينتشر فى الافق البعيد والقريب .. بحيث ترتاح اليه النفوس وتنشرح الصدور ! وأدركت على الفور سر ذلك ، انه (**النيم**) المغروس على جانبى الطريق .. وقد أزهر وتصوع . وكانت له نشوة بما ينفحه عطره المتأرج .. وقلت : فألاً ما أجدرنا جميعا نحن سكان هذه البلدة المطهرة .. وكل مدينة أو قرية أو ضاحية بالاستكثار من غرس هذه الأشجار الفواحة .. فلا يخلو منها بيت ولا قصر ولا كوخ .. ولا سهل ولا جبل .. فهى تمد الظل الظليل وتوفر المنظر الجميل .. وتمثل مسك (**نعمان**) .. و (**وادى الخليل**) . فليكن ذلك دأبنا فى البكور والاصيل .

(وعلى الله قصد السبيل) !!

٩٨٣ ماهى الحميرة ؟

يزجر الأب ولده أو العم خادمه ، ويشتمه اذا وجد منه عنادا أو بلادة فى الفهم .. فيقول له : (بلاش حميرة) ! وكنا نحسبها نسبة إلى (الحمير) ! وما هى كذلك فى اصلها .

قال **الفيروزابادى** فى (القاموس المحيط) « .. وتحمير ساء خلقه . » ! وأورد ذلك فى كلامه عن (حمير) اليمنية .. وقال : « ... وتكلم بالحميرية كتحمير .. » .

قلت : وهنا التبست (الحميرة) واشترك فيها معنيان ! ومن التسامح ان يكون التأويل منصرفا إلى النسبة إلى القبيلة .. لا إلى الحيوان .. حتى لا يتشابك الانسان مع اخيه الانسان ! وبهذا تكون (الحميرة) .. هى الاغراب فى الحديث .. وبلهجة غير مألوفة لا أقل ولا أكثر .

٩٨٤ « التواليت » في رأي المتنبي

يقول **أبو الطيب** عفا الله عنه :

لا تحسن (الوفرة) حتى ترى
منسدل الضفرين — يوم القتال
على فتى معتقل (صعدة)
يعلها من كل وافي السبال !!

قلت : هذا هو التواليت العربى قبل ألف سنة .. فى نظر **المتنبى** . وقد شهدناه فى فتيان البادية وفرسانها إلى يومنا هذا ولئن كان من لوازمه ومظاهره الوفرة والضفرة ! فانه قرن ذلك بالصعدة والشفرة .. وما احسبه يعنى بذلك ان يتطاول العربى على أخيه العربى بذلك .. بل ان يهاب ويرهب من قبل عدوه الغريب ! فان اصحاب السبال غالبا ما كانوا من الاعاجم من الفرس والروم . وحتى الآن ، أما العربى فانه مأمور بقص الشارب واعفاء اللحية !

٩٨٥ اللماضة هي « اللماظة »

يزجر الكبير الصغير اذا تزيد فى كلامه معه أو قل أدبه أمامه فيقول : اخرس ، (بلا لماضة !) اى لا تقل شيئا .. وفى الواقع انها بالظاء لا بالضاد .. وهى فى أصلها اللغوى .. (الفصاحة وطلاقة اللسان) .. ثم دخلها المفهوم السيء من حيث ان صاحبها يتلمظ بلسانه .. ويخرجه .. ويعيده .. غير مكترث بمن يخاطب ! ومن هنا كرهت ! ولو أنها اقتصرت على الفصاحة والطلاقة مع الادب والتزامه لكانت ميزة ومكرمة .. خاصة من الطفل الناشىء الذكى . وما أجمل ان يكون صاحب بيان .. اذا خلا من النزق والطيش .. والتطاول .. ومثل ذلك (**البجاحة**) ، فانها فى الاصل : الفرح التفاخر ! فانتهت إلى أنها أخت للوقاحة والقباحة !

٩٨٦ ادفع بالتي هي احسن

روى لى شيخ طاعن فى السن منذ أربعين سنة .. هذه القصة . قال : كان فى عهد امارة **الشريف عبدالله بن عون** .. رحمه الله احد كبار أهل الحارة .. فى سوق الليل أو الشعب .. لا يكاد لسانه يفتر عن ذم الأمير والتشنيع عليه كلما ضمه (**المركاز**) وكانت المراكيز فى ذلك الزمن هى « **الأندية العامة** » التى تجمع أهل كل محلة وحتى من يفدون اليهم عصرا أو مساء .. وكلما نعم رفقاؤه بالصمت علا صوته وغلا تهجمه على سيدنا .. وكان كل ما ينطق به ينقل اليه .. حرفيا .. مع التحريض على الانتقام منه وتأديبه وسجنه .. وتعذيبه ! فكان سيدنا يقول لهم « دعوه وادعوا له بالهداية والصلاح » .. وخلال ذلك بعث اليه ذات يوم خلسة .. وقال له : يا فلان : ما الذى جاءك منا حتى لا توفر عرضنا .. وتتناولنا بالاذى دون ان تخشى الله أو تخاف الحساب اتق الله ودع عنك ما يريبك إلى ما لا يريبك وعسى أن لا اسمع عنك الا ما أسر به .. وأرضى بعد اليوم .. » ثم دعا بصرة من الذهب .. ونفحه بها .. وكان صاحبنا كما يقولون « يعطس تقول له الكوفية : أنشاك الله » .. كناية عن المتربة والفقر والعوز .. فما كاد يتناولها ويشعر انها من التبر المسبوك .. حتى تحول ذمه حمدا .. وانطلق إلى المركاز .. وحوله الرقيب ..

فما كان اعظم دهشة الرفاق .. بما يرتله من آيات الحمد والثناء على سيدنا وقال : انه يدخل حماره ببردعته ، فى حـ .. ام من يمسه بكلمة واحدة ..

فما مثله فى الناس الا مملكا
أبو أمه . حي أبوه يقاربه »

ونقل ذلك الرقيب .. إلى مرجعه فقال له الامير : بهذا تتألف قلوب الناس ويرضون عنا ويدعون لنا ويحبوننا ، ونتأسى فى ذلك بسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وبأمر الله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ والانسان عبد الاحسان ، ومن أمثال العامة : « **اللى تقتله بالسم اقتله بالسكر** » والعهدة على الراوى . تغمدهم الله جميعا برحمته ورضوانه .

٩٨٧ أمارة الشعر كانت من عهد أبي تمام والبحتري

حكى ان **البحترى** دخل على بعض الولاة ، ومدحه بقصيدة قرأها عليه ، قال : فلما أتممتها ، قال رجل من الحاضرين : يا هذا أما تستحى تأتى بشعرى وتنشده بحضورى ؟ قلت : تعنى أن هذه القصيدة لك ؟ قال : خذها ، وجعل يعيدها إلى آخرها . قال : فبقيت لأرى بعينى شيئا واسود وجهى فقمت حتى أخرج ، فلما شاهد منى تلك الحالة ، قام وعانقنى ، وقال : الشعر لك وأنت « **أمير الشعراء** » بعدى ، فسألت عنه ؟ قالوا : هو « **أبو تمام الطائى** » . اهـ (القزوينى) .

قلت : وبهذا تكون أولية النعت بأمير الشعراء فى عصر **أبى تمام** ، ولا أريد بذلك تأييدا ولا تفنيدا . بل اطرافا واتحاقا فقط ، أما الامارة فى الشعر أو فى النثر فانها محض تكريم يتواضع عليه المعاصرون بالاكثرية ، وما يعطى ذلك الحق لذى دعوى فيه .

٩٨٨ الشيبيون سنة ١٠٩٨ هـ

فى تاريخ **العصامى** ، فى آخر صفحة فى مجلده الرابع ، قال : انه فى يوم السبت الثانى من ذى القعدة سنة ١٠٩٨ وصل « القفطان » والمراسيم السلطانية صحبة **سليمان آغا سلخور** فدخل بالألاى العظيم الخ ثم انه البس مولانا **الشيخ عبد الواحد الشيبى** وابنه **الشيخ الأجل عبدالمعطى** ، القفاطين ، على القانون والعادة . اهـ

قلت : أوردت هذا النص ليضم إلى ما سبق نشره عن سدنة بيت الله الحرام حتى اذا تمت حلقاته واتصل اللاحق بالسابق فى مظانه الصحيحة ومراجعه الوثيقة . أمكن جمعه فى كتاب خاص بهم يجب ان يكون ان شاء الله .

٩٨٩ تطور الخط العربي كان من الحجاز

قرأت للدكتور **شوقى ضيف** فى كتابه : « تاريخ الادب العربى : العصر الجاهلى » طبعة دار المعارف ١٩٦٠ م قوله : « والحق ان الخط العربى انما حدث له هذا النمو والتطور فى الحجاز نفسها ، فقد كانت بها حياة تجارية مزدهرة .. جعلتهم ياخذون الخط المعينى اولا ، ويتطورون به إلى خطوطهم اللحيانية ، والثمودية ، والصفوية ، ثم لما ظهرت مملكة النبط واستخدمت الخط الآرامى وتطورت به وتفرق أهلها بعد سقوطها فى

داخل الجزيرة وعلى طول طريق القوافل التجارية نشروا قلمهم النبطى ، فهجر عرب الحجاز القلم المعينى ، واخذوا يحاولون النفوذ من الخط النبطى إلى خطهم العربى الجديد متطورين به ضروبا من التطور حتى أخذ شكله النهائى » . اهـ

قلت : ولا يقول الدكتور **شوقى** هذا .. وهو من عرف بالدقة والاحاطة والاتزان دون ان يرجع فيه الى المصادر الموثوق بها والبراهين الصحيحة .. وبهذه المناسبة اتذكر اننى كنت ازور « مكتبة الحرم » بمكة المكرمة عام ١٣٤٥ هـ اى قبل ٤٤ سنة ، بمكانها « بباب الدريبة » آنذاك واطلعت على مخطوط مهدى اليها من امير مكة الشريف « **عبدالمطلب بن غالب** » وكان عتيقا وعريقا ، واحسبه فى التفسير أو الحديث ، ولا اتذكر الآن مؤلفه وقد تجاوز عمره الألف سنة تقريبا — ولعله لا يزال موجودا بها — وكنت أقرأ فيه فى صفحته الأولى اهداءه إلى أحد وزراء الدولة العباسية « **ابن هبيرة** » ، وداخلنى الريب فى صحة نسبته إلى القرن الثالث أو أوائل الرابع ، من حيث اننى كنت اجزم بان الخط الذى اراه فيه — واقرؤه بسهولة ويسر ، لا بد ان يكون فى اواخر القرن الرابع أو ما بعده بسبب ان المعروف المستفيض .. هو ان الوزير « **ابن مقلة** » الخطاط الذى يضرب بحسن خطه المثل ، كان اول من وضع اساس هذا الخط العربى الذى نتداوله ونقرأه فكيف تيسر لى قراءة خط هذا الكتاب وهو مخطوط قبل زمن ابن مقلة .

وفى الحال استخرجت تاريخ « **ابن خلكان** » لأتثبت ، فاذا به ينص على ان « ابن مقلة » لم يكن مخترعا للخط العربى ، وانما ادخل عليه بعض التحسين والتنميق والتنسيق ، فكان دكان فى حلته القشيبة المعهودة الآن ، وازددت تعمقا فى معرفة « المهدى لهذا المخطوط » وهو الوزير **ابن هبيرة** ، فاذا به كان من الاحياء فى التاريخ الذى تلا كتابته ومعاصرا فاتضح لى ما اطمأن به الخاطر وزال الشك ويؤسفنى اننى مررت بذلك دون أن احتفظ باسم الكتاب أو بالتواريخ .

وانما ذكرت ذلك عرضا أو استطرادا ، بمناسبة الحديث عن تطور الخط العربى ، وثبوت انه كان فى الحجاز ، وأعتقد أن « **أبا نبيه** » قد ظفر فى تعقيباته الاثرية بما هو معهود فيه من اهتمام وحدب على ذلك فلعله يفضل على قراء « المنهل » بما لديه فى هذا الموضوع لتعم به الفائدة والعائدة فانه لصاحب الايادى البيضاء والمآثر الخالدة فى مجالات العلم والادب والتاريخ والصحافة الهادفة .

(٩٠) نقطنا بسكاتك

قال يزيد بن ابان — وهو أحد الزهاد الخطباء من أهل البصرة :

شهدت « الرقاشى » فى مجلس
وكان إلى بغيضا — مقيتا
فقال : اقترح كل ما تشتهى
فقلت : اقترحت عليك السكوتا !

قلت : والشاهد فى البيتين قوله : (اقترحت عليك السكوتا) فما تزال جماهيرنا ومجتمعاتنا ، وبيوتنا وعجائزنا — تردد جملة : (بالله نقطنا بسكوتك) .. ويوجه ذلك إلى المرأة وإلى الرجل وإلى الصغير وإلى الكبير اذا استثقل السامع حديثه ، أو انكر فيه (فرية) أو تزيدا .. اما كلمة (نقطنا) فانها لبدرجة من البلاغة .. لا تجحد ! فالنقط .. فى الاصل هو ما يوضع أو

ينثر بين يدى العروس ، للتهنئة والغبطة والفرحة .. فكأنما سكوت من يهذى أو يلغو بمثابة (الهدية) أو « الحذية » .. أو الرفد ! وما بعد ذلك من غاية فى الردع والزجر .

٦٩١ المكيف القديم

قال احد الشعراء فى القرن الرابع الهجرى :

دارى بلا خيش ، ولكننى
عقدت من خيشى طاقين
دار متى ما اشتد بى حرها
انشدت (للصولى) بيتين

وقال ابن سكرة **محمد بن عبد الله الهاشمى** :

يا سائلى عن ليلة لى مضت
وطيبها عند أبى الجيش
وكيف غنت (خمرة) ؟ لا تسل !
غنت فاغنتنا عن الخيش ؟

اى غناء ثقيلا باردا !

قلت : قول الأول : بلا خيش .. يعنى بذلك ما كان القدامى يتخذونه من المراوح السقفية التى ترش بالماء .. فى حمارة القيظ .. ولا سيما فى العراق ! وقد ادركناها بمكة وجدة من القماش . وأكثر من كان يستعملها تجار أهل الهند قبل التقسيم ، وتحرك بالايدى .. وقد توضع على النوافذ من غير الخيش أو القماش .. بل من اعواد تسمى (الخص) .. ويسكب عليها الماء !. فينفذ منها الهواء باردا . وكان هذا قبل التطور الحديث .. فى وسائل التبريد والتكييف !

والغرض من ايراد البيتين انما هو هذه المبالغة فى برود شعر **الصولى** .. بحيث انها تغنى عن الخيش وما قام مقامه .. وهذا غاية فى الأزراء به .. ولكنه .. اذا أدى سواء فى الشعر أم الغناء هذه المهمة فقد يكون كل منهما نافعا فى الصيف فى كل حال . وما أظرف الادباء ! ولو تحاملوا بمثل هذا التبكيت الذى حفلت به آثارهم .. ما لم يجوروا .. أو يحوروا فانهم للمومون .. وبما اكتسبوا مجزيون .

٦٩٢ طعام الوكيرة

قال **الجاحظ** فى « البخلاء » : ومن طعامهم (الوكيرة) وهو طعام البناء . كان الرجل يطعم من (يبنى له) ! واذا فرغ من بنائه تبرك باطعام اصحابه ودعائهم ، قال قائلهم :

خير طعام العشيرة
العرس ، والاعذار ، والوكيره

(الاعذار) هو طعام الختان ..

ا.هـ

قلت : وأشهد أن أهل بلادنا كانوا يحرصون على هذه (الوكيرة) .. أولا لمن بنى لهم من المعلمين .. والنجارين .. والحدادين .. وكل من اشترك معهم فى اقامة البناء . ثم لمن هم من أصحابهم وأصدقائهم .. أيضا .. إذا سكنوا .. أو أتموا عمارتهم . وانكر فى هذه الايام قطع هذه العادة . وذلك رغم انتشار العمران وتبحره ، واتساعه ! فلماذا انصرف الناس عنها ؟ وأحسب ان الجواب باختصار هو أن تكاليف الوليمة التى كان يكفى فيها خمسة من الريالات .. أو عشرة .. أصبحت تتجاوز المئات إلى الالف ! فقد بلغ ثمن الخروف الواحد ١٥٠ ريالا .. وما اشد اندهاشى عندما أقابل ذلك بما كان قبل ٥٥ سنة ، إذ كان ثمن الخروف بين الريال والريال والنصف فقط فقد

اشتريت الأقة من اللحم (الضانى) الهبر أو الجذع .. بقرش وربع أى خمس هللات ، وما تزال مدافع قلعة (أجياد) تقذف بحممها ، بين الغزة ، والسوق الصغير .

٦٩٣ الملح المبزر

قال **أبو بحر** : وهو يحكى عمن يجب التحرز منهم من اصناف الآكلين : (والمغربل .. الذى يأخذ (وعاء الملح) فيديره ادارة الغربال ليجمع أبازيره ! يستأثر به دون اصحابه ، لا يبالى أن يدع ملحهم بلا ابزار) . اهـ

قلت : ما أعجب أن يستمر هذا التبزير للملح .. من عهد **الجاحظ** ، وما قبله حتى يومنا هذا .. — وان ندر — فقد ادركنا ربات البيوت يتخذنه فى أوعيته خاصة .. يسمين أحدها « حق الدقة » ! ويكتفين به مع الخبز فى اكثر الوجبات ويتكون الابزار هذا من انواع شتى فتارة (بالزعتر) .. واخرى (بالحبق) .. أو بالسمسم والملح الاسود .. والكزبرة الناشفة .. ولا يصح ان تخلو الدار منه بحال ..

أما اليوم .. فقد ابدل بالملح .. المعبأ فى اكياس « النايلون » .. خاويا خاليا من كل ما عداه .. اللهم الا بعض بقايا من اكل الدهر عليهم وشرب من اهل اوائل هذا القرن .. ولم يخل بعضهم من (الغربلة) التى نهى عنها (**الجاحظ**) قبل ١٢٠٠ سنة تقريبا ..

٦٩٤ مروان بن ابي حفصة وشعره

قال صاحب الاغانى : عن **حماد الأرقط** : حكى **مروان بن أبى حفصة** عن نفسه وكان على عهد **الامين بن الرشيد العباسى** ، قال : « انى اذا أردت أن أقول القصيدة رفعتها فى حول اقولها فى أربعة أشهر ، وانتخلها فى أربعة أشهر ، وأعرضها فى أربعة أشهر » . اهـ

قلت : فهذا ثانى اثنين أولهما **زهير بن أبى سلمى** ، كما هو معروف عنه حتى قيل انه صاحب الحوليات .. لأناته فيها وتدقيقه ، وتحقيقه لكل كلمة وشطر وبيت فيها .

وأرى أن المواهب اليوم قد أسعفت كثيرا من الشعراء ، بالانتاج ، ولو قبل الانضاج . مع ذلك ما خلا بعضه من الديباج أو الفستق المقشر ، ويرحم الله القائل :

لا تعرضن على الرواة قصيدة
ما لم تكن بالغت فى تهذيبها
وإذا عرضت الشعر غير مهذب
عدوه منك وساوسا تهذي بها

وهناك عوامل كثيرة تدفع إلى التعجل فى هذا ... بتأثير الاحداث التى تجرى بها الأوداج .. ولا يعترى الشاعر فيها الارتاج .. وشتان بين القيء .. والمحاح .

٩٩٥ لا تطمعوا

قرأت هذه الابيات فى كتاب « معجم الشعراء » للمرزبانى (٢٩٧ — ٣٧٨ هـ) وهى للفضل بن العباس وهى :

مهلا بنى عمنا — مهلا موالينا
لا تنبشوا — بيننا — ماكان مدفونا

لا تطمعوا ان تهينونا — ونكرمكم
وأن نكف الأذى عنكم — وتؤذونا

الله يعلم انا — لا نحبكم
ولا نلومكم — أن لا تحبونا !

قلت : واستوقفنى ما فيها من حكمة بالغة .. ولا محل للمكابرة فيها .. فهى من (الجبلة) التى فطرت عليها النفوس .. وهى حب من أحسن اليها .. وبغض من أساء اليها .

وبهذه المناسبة أقرر ما استخلصته من تجاربى الطويلة فى هذه الحياة .. وهو أن الحب لا ينال كرها ، وإنما ينال بأسبابه الظاهرة والباطنة طوعا ، بمراعاة أدق البواعث الحافزة اليه .. دون تكوير أو تخثير ! وهو من خواص القلوب وملهماتها التى لا تقبل المداهنة أو المخادعة ! وهى به أبصر ، وعليه أحرص .. ولن تجد من تحبه صادقا الا شاعرا فى أعماقه بهذا الحب .. خاليا من المغريات المادية كلها . اذ تحاشى الاحسان فانه ينميه ويقويه !.

٩٩٦ برنامج على الحلوة والمرة و« كلنا فيها سوا »

لقد وجدتنى — خلال أكثر من اسبوعين — مشدودا إلى جهاز (الراد) ان عرف بهذا الاسم — أو (الراديو) .. كما يسميه المتسامحون !. وذلك اننى — استمعت إلى برنامج الاستاذ الكبير (**أحمد قنديل**) — بعنوان « المرة — والحلوة » فاذا به يتناول ادق ما يدور خلف جدران البيوت .. من محاورات يومية .. تكاد تكون غالبة .. أو سائدة .. فى أكثرها .. ويأخذ فى حل المشاكل وضرب الامثال .. ودفع الاضرار بما ينم عن معطيات ضخمة فى الادب والحكمة والتجرد .. وفى اسلوب فكاهى .. لا اسفاف فيه ولا ترتيب .. وانما هو ذو هدف بعيد يتوخى فيه تقويم المعوج . واصلاح الفاسد .. ومعالجة الامراض الاجتماعية .. المترسبة .. أو الدخيلة !

بحيث يستفيد منه يصغى اليه بارتياح وانشراح الرجال والنساء على السواء .. ويعود بالفائدة على كل مستمع .. فأكبرت ذلك الرجل المحنك المتمكن من (البيان » منظومه ومنثوره وجده وهزله .. وانى لاكبر فيه هذه الموهبة النادرة .. وأسأل الله تعالى ان يبارك فى عمره .. ويزيد من فضله .. فانه ولا شك (ثروة) عظيمة لا يملكها سواه .. ومن امثالنا الخالدة (**خاطب الناس على قدر عقولهم**) .. وما مثله من عرف « من اين تؤكل الكتف » ؟!

ولا يسعنى أن أختم هذه الشذرة فى هذا العدد .. قبل أن أزجى الاعجاب والتقدير لأولئك الذين يقومون — بعرض هذا البرنامج المرنائى المؤثر

والممتزج بالعسل ــ والرحيق ، كأنما عنى الشاعر صاحبه بقوله :

(حلو الفكاهة) مراجد قد مزجت
بشدة البأس فيه رقة الغزل

وأعتقد أن أكثر السامعين له .. والمعجبين به يشاركونني هذا الشعور والاحساس بالنسبة لتأثير هذا البرنامج الشعبى الطريف المستمد من صميم البيئة . والمشحون بالشواهد الشعرية .. والأمثال العربية .. والموسيقى الشجية والنص يستقطب جميع التصرفات المنزلية والاهلية والعوائد والتقاليد .. المشحوطة أو المرضية ! والمحمودة أو المنقودة ومن الحق أن نشيد ونشكر المشاركين فيه المخرج الاستاذ **صالح جلال** : والأم الرؤوم « ظريفه » .. والولدين النجيبين « **حسان ــ واسامة** » وكذلك « **الوليد سالم بن سليم ــ ويحيى** » .. فكلهم مجيد فى اداء دوره فيه ، وان العجب ليأخذنى من هذا النبوغ الموروث .. فانه ان يكن ما يمثلونه محفوظا ــ دون لعثمة .. ولا تمتمة ! فانه لموهبة خارقة .. وان يكن ارتجالا .. فإن الآية بينة على أن هناك مواهب نادرة . لا تلكؤ فيها ولا تكأكؤ ! واخشى ما أخشاه أن يجعل أستاذنا **القنديل** فى هذه الندوه ــ محل تندر فى برنامجه فيتولى على الأقل بحث ما تعنيه هاتان الكلمتان . وهما التلكؤ .. والتكأكؤ » .. قياسا على ما اذاعه يوم السبت ١٣٨٩/٢/١٠ هـ عن المستشرق الذى علل تسمية مرض « الانفلونزا » ــ بانه رأى فى بلاد العرب (عنزة ــ مزكومة) فقيل له هذا أنف العنزة وبلكنته دونها فى مذكرته (انفلونزا) . تماما كما حرف كثير من الاسماء العربية فى الفردوس المفقود وفى (الطرف الاغر) !

(٦٩٧) سباق الخيل

قال **لبيد** :

معاقلنا التى تأوى اليها
بنات الاعوجية ، والسيوف !

جاء فى الصحيح من حديث **ابن عمر** قال : « سابق رسول الله ﷺ بين الخيل فارسلت التى ضمرت منها ، وامدها (**الحفياء**) إلى (**ثنية الوداع**) والتى لن تضمر امدها (**ثنية الوداع**) إلى (**مسجد بنى زريق**) » .

وقال الامام **ابن القيم** فى كتابه (**الفروسية**): فى الصحيحين عن **موسى بن عقبة** ان بين (الحفياء) إلى (ثنية الوداع) ستة أميال أو سبعة ومن (ثنية الوداع إلى مسجد بنى **زريق** ميل) .

قلت : أوردت ذلك بمناسبة ما نشرته الصحف من تعميم أندية الفروسية فى كل من المنطقة الغربية والوسطى والشرقية ، وأعتقد ان ذلك سيكون خطوة أولى لتعميمها فى سائر أنحاء المملكة ومدنها الكبرى والصغرى . فان الخيل معقود بنواصيها الخير .. وهى مما خصه الله بالذكر من الاعداد فى الاسلام .

والأمل وطيد فى حضرة صاحب السمو الملكى الأمير **عبدالله بن عبدالعزيز** رئيس الحرس الوطنى فى ان يبذل جهوده الموفقة فى هذا السبيل بالتعاون مع المسؤولين فى كافة المناطق ان شاء الله فى ظل جلالة طويل العمر المفدى **فيصل** العرب والاسلام . حفظه الله .

وهنا استفسار من فضيلة العلامة البحاثة الاستاذ عبد القدوس الانصارى عما اذا كانت

(الحفياء) المذكورة آنفا ما تزال معروفة بهذا الاسم حتى اليوم كما هو الحال بالنسبة (لثنية الوداع) أم انها اندرست ؟ وهل ما يزال ما بينها خلاء يصلح كميدان للسباق ام غلب عليه وفيه العمران ؟! فان كانت الاولى فما اجمل ان تعود كما كانت بحول الله تعالى[1] .

٦٩٨ المثنى بن حارثة ومعركة (البويب)

(البويب) نهر بالعراق يأخذ من الفرات ! وفيه وقعت معركة كبرى بين المسلمين والفرس بقيادته ابان الفتوح الاسلامية .. قالوا : « ولما حمى وطيس القتال حمل (**المثنى**) على (**مهران**) قائد الفرس فأزاله حتى دخل ميمنته ، واختلط الجيشان وارجع قلب المسلمين فى قلب المشركين .. فقتل غلام نصرانى من تغلب — (**مهران**) واستولى على فرسه ، وما زالوا يكيلون للفرس الضربات حتى فروا من امامهم ، وقد راع المثنى هذا النصر الذى احرزته (فئة قليلة) فقيرة على جيش قوى معد أتم عدة فقال :

« قد قاتلت العرب والعجم فى الجاهلية والاسلام . ووالله لمائة من العجم فى الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العرب ! ولمائة اليوم من العرب أشد على من ألف من العجم ، ان الله اذهب قوتهم واوهن كيدهم . فلا يروعنكم زهاء ترونه ! ولا سواد ، ولا قسى فج ، ولا نبال طوال — فانهم اذا اعجلوا عنها وفقدوها كانوا كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت » .

قلت : وفى ذلك ذكرى وتذكير .. و ﴿ **ما ينبؤك مثل خبير** ﴾ .

٦٩٩ كيف كانوا يقاتلون

خطب (**عبد الله بن رواحة**) الجند يوم (مؤتة) بقوله : « يا قوم ، ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون من الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم الا بهذا الدين .. الذى اكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ، اما ظهور واما شهادة » . اهـ

قلت : بذلك استطاعوا بحول الله وقوته ورسوخ ايمانهم وشدة بأسهم وسلامة عقيدتهم ان يسودوا أهل الارض من مشرقها إلى مغربها .. وليس قوله (اننا لا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة) .. تجردا من الاعداد والاستعداد — وفقا لما أمر الله تعالى فى كتابه العزيز .. ولكنه أراد بذلك أن السلاح وحده لا يغنى فتيلا اذا خلا القلب من اليقين .. فاذا اجتمع **ذلك** مع هذا فإنه النصر المبين .. قال تعالى : ﴿ **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

---

(١) (المنهل) : الحفياء بتقديم الفاء على الياء : موضع قرب المدينة ، منه أجريت الخيل المضمرة إلى ثنية الوداع ، وهى على بعد خمسة أميال أو ستة إلى الشمال من ثنية الوداع ، وهى على مقربة من البركة مغيض العين الزرقاء ، وهى بسافلة المدينة بأدنى الغابة . وهى صدقة الحسن بن يزيد بن على . راجع وفاء الوفاء ص١١٩ ج ٤ طبعة الثمكانى .

(١٠٠٠) أوردها سعد وسعد مشتمل

هذا شطر بيت قديم — وشطره الثانى . (ما هكذا يا **سعد** تورد الابل) وهو غير **سعد** الصنم الآتى ذكره :

فان **سعدا** هذا صنم[١] كان يبتغى للبركة فى العصر الجاهلى فيما يزعمون ، وقد أقبل اليه رجل من بنى ملكان بابل له مؤبتة .. فلما ادناها منه ورأته .. وكان يهراق عليه الدماء . نفرت منه ، فذهبت فى كل وجه فغضب الرجل وتناول حجرا رمى به الصنم ، وقال : « لا بارك الله فيك الها نفرت ابلى » .. ثم خرج فى طلبها حتى جمعها وانصرف وقال :

اتينا إلى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد !
وهل سعد الا صخرة بتوفة
من الارض لايدعو لغى ولارشد ؟!

قلت : أما انه لا يدعو لرشد .. فلاريب فى ذلك اطلاقا .. فأما إلى الغى ، فانه هو الغى بذاته .. وان لم يدع — نطقا — فقد دعا وتداعى اليه الحمقى جهلا وخرقا . والحمد لله الذى هدانا بالاسلام وأعزنا بالطاعة وأذل الشرك والمشركين .. وهو حسبنا نعم الوكيل .

(١) المنهل : كان سعد الصنم هو الذى يبدو أن جزيرة سعد بجدة تنسب إليه بحكم المجاورة . يراجع فى هذا الموضوع ، كتاب « تاريخ مدينة جُدّة » لرئيس التحرير .

(١٠٠١) قبل اكثر من خمسين سنة الرئيس والمرفوسون

كان من جملة جهاز الدولة في العهد الهاشمي بمكة ، محكمة يطلق عليها (محكمة شيخ السادة) وهو الذي يتولى فض الخصومات بينهم وسماع المرفعات البسيطة واثبات الوراثة والاقرارات وما الى ذلك في حدود معينة .. ويلحق بهم ايضا اخواننا من الجالية الحضرمية الكريمة .. واعتقد أن لها مثيلا — كان — بالمدينة المنورة — ثم ادمجت في القضاء الشرعي العام في العصر السعودي .

وكان شيخ السادة نفسه هو رئيس المحكمة .. وقد عينت له الحكومة أو (سيدنا) رحمه الله « احدى الغرف الصغرى » بدار الحكومة (بالحميدية) .. التى اصبحت أثرا بعد تنفيذ التوسعة للمسجد الحرام .. فكان يتصدرها ويستقبل فيها أرباب الخصومات والمرافعات والشهود والمركين .. ويقوم معه كاتب واحد بكل اعمالها وتسجلاتها وصكوكها .. وليس لها (متفرقة ولا قرطاسية) ! وانما تسير بالبركة كما يقولون .

والطرفة التى حرصت على ايرادها هنا هي ان الكاتب المشار اليه وهو الشيخ **سعيد** (**باكلكا**) كان من طلبة العلم وصاحب ديانة وامانة واستقامة .. ودؤوبا على العمل ليل نهار .. وبراتب زهيد جدا .. وكان يوقع على الشروح والهوامش هكذا : « رئيس كتاب محكمة شيخ السادة » ! وكنت اذ ذاك رئيسا لديوان قاضي

القضاة .. فانكرت توقيعه بهذه الصورة . واستدعيته ورجوته أن يبين لى اسماء الكتاب الذين هم تحت رئاسته .. فما أعرف أن لهم قيدا او حتى وجودا لديه .. فهز رأسه قليلا .. وكان ذا لحية كثة .. من تحت (العنفقة) .. فقبضها بيده اليمنى وقال : يا اخي . مهلا ان عليكم ان تمنحوني جائزة مقابل تصرفي هذا .. ان العالم كله لا يمكن ان يصدق ان محكمة يترافع فيها الناس ولها ضبط وسجل وقيود وتصدر صكوكها .. لا يقوم بكل ذلك فيها الا كاتب واحد (اما كفى ان رئيسها وكاتبها ومراجعيها كلهم ينضمون الى بعضهم في مثل سم الخياط .. وانى اقوم بعمل محرر ومبيض ومصدر ومورد وكاتب ضبط — وكاتب سجل — وكاتب صك .. كل هذا وغيره مع المخابرة اتولاه .. بحيث لا يشغله على الاقل الا اربعة من الكتاب .. واتحمل المشاق في ذلك .. فاذا وقعت : (رئيس الكتاب) انكرتم ذلك على .. أو نفستموه واستكثرتموه .

قلت : معك حق هي هذا كله .. لولا انك توقع (رئيس الكتاب) ولا كتاب ! قال : وهنا وجبت المكافأة .. فانني رئيس لمرؤوسين يجتمعون كلهم في شخصى فأي ضرر على أحد من ذلك ثم لا يذهبن عنكم اننى بذلك اوهم من لا يعرفنا اننا أكثر من قليل ! قلت : توكل على الله .. ولك ان توقع كما تشاء وحسبنا الله ونعم الوكيل . رحمهم الله أجمعين .

(١٨٠٢) التزهيد والتسحير

هاتان الحرفتان كان لهما الى ما قبل أربعين سنة أو أكثر قليلا أهمية بالغة في حواضرنا وقد ادركت اهلمهما بمكة المكرمة .. فأما «التزهيد» فيقوم بها من يطلق عليه «المزهد» وهو من يستحضره قاصدوا زيارة المسجد النبوي الشريف .. في الرجبية مع «الركوب» أو مع القوافل في الشقادف .. ليقيم عند أو أمام دارهم ليعلن — بصوته الرخيم عزمهم على الزيارة عدة ايام متواليات ولا سيما يوم السفر .. فانه ليترنم طوال النهار بابيات شعرية وصلوات نبوية ، وتشويق الى الزيارة . بحيث يحمل غيرهم على العزيمة اليها والقيام بها ولو باعوا مما يملكون .. ولقد شهدت مراراً دموع الحاضرين والسامعين تسيل مدرارا على وجناتهم من تزهيده وما هو الا ذكر الله وتسليم على رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، فى شجن ودنف وشوق وشغف وتنتهى مهمته بتوجه الزائرين .. والحمد لله رب العالمين ..

اما « التسحير » .. فأحسب ان الاجيال الجديدة الصاعدة لم تره ولم تسمعه .. **فان القائم به يسمى** « المسحر » **ولكل مسحر منطقته المحدودة فلا يتخطاها** إلى سواها .. بطبلته وفانوسه ومقرعته .. بين الحارات والازقة فى طول مكة وعرضها فى ليالى شهر رمضان المبارك وقبيل المدفع الاول سائرا على قدميه قارعا بطبلته — تحت كل منزل ودار .. ويسمى كل من فيه من الذكور من كبار وصغار .. وكأنما هو (مصلحة احصاء) عامة متجولة . فلا يفوته ذكر أحد

منهم .. ولو كان مولوداً لليلته .. ومحل العجب هو كيفية حصوله على هذه المعلومات الفورية ! واعجب من ذلك انه لا يحمل معه دفترا ولا سجلا ولا ورقة .. بل يستذكره من ذهنه المختزن ، لأكثر من الف اسم أو خمسمائة على الاقل ، فى حدود منطقة صلاحيته .. وهو بشدوه وترنيمه بالاسماء ، انما يردد جملا تقليدية فى ليالى شهر رمضان فقط .. دون سواها .. ومنها ..

(ياصائم عبيء سحورك ياصائم ، وربك الدائم ، أبرك الليالى والايام على سيدى الشيخ .. فلان بن فلان) ..

والمشيخة تتصل حتى بالصبى والغلام .. ولو كان لا يزال فى المهد و(الكوفلة) وغارقا فى المنام .. وبذلك يدخل المسرة على أهله .. وترى الصغار يسهرون حتى يسمعوه يردد اسماهم فوق طبلته .. وربما حملهم ذلك على الصيام ولو من (وراء الزير) اى مع الشرب خلسة فى الهجير ! وخير لياليه العشر الأواخر . حيث يتلقى المكافأة من كل بيت . إما كسوة أو نقدا أو حنطة .. أو كلها معا ..

وقد روى لى أحد المسنين ــ والعهدة عليه ــ ان مسحرا طائفيا زار الاستانة فى عصر **السلطان عبدالحميد الثانى** ، وكان من أهل الطائف وله صلة بشخصية كبيرة هناك استطاع بها ان يصل إلى السلطان فقال له : « تمن » فقال : أرجو من افندينا ، أن يقررنى فى تسحيرة أهل الطائف كلهم بلا استثناء فأمر له بذلك .. واستمتع بها وحده دون سواه حتى لحق بمولاه ، رحمه الله .

(١٠٠٣) انسان يعض كلبا

سمعت أو قرأت ان الصحافة المتطورة ، هى التى تعنى بكل شيء ومن ذلك أنها تلفت انظار القراء إلى الأحداث المفاجئة والغريبة ، والتى لا يتوقعها الناس .. كأن تروى خبرا عن انسان عض كلبا ! اما أن يعض كلب انسانا فذلك حديث مكرور .. ولا يجلب الاهتمام .

ووقفت فى (معاهد التنصيص) على هذه الطرفة .. قال : وهو يترجم (**للصمة القشيرى**) قائل الابيات الرقيقة التى منها :

تمتــــع من شميم عرار نجد
فما بعـد العشيـة من عرار

انه ــ اى (**الصمة**) وكان مبتلى بالكلاب ــ بضم الكاف ــ سأل يوما أولاد الاكابر الذين كانوا يحضرون عنده أن يمضوا معه إلى (كلودا) .. فظنوا ذلك لحاجة عرضت له ، فركبوا خيولا وخرجوا ، وجعل يمشى بين ايديهم ، فسألوه الركوب ، فأبى عليهم ، فلما صار بخرابها أوقفهم على (ثلم) .. واخذ كساء وعصا ، وما زال يعدو إلى كلب هناك ، والكلب يثب عليه تارة ، ويهرب منه أخرى حتى أعياه ! فعاونوه عليه حتى أمسكوه له ، فأخذ يعض الكلب باسنانه عضا شديدا ، والكلب يستغيث ! ويزعق ! فما تركه حتى استشفى ــ اى (شفى غيظه منه) .. وقال : هذا عضنى منذ أيام وأردت أن اخالف قول الأول :

شاتمنى كلب بنــى مسمــع
فصنت عنه النفس والعرضا

ولم أجبه لاحتقاري له

ومن يعض الكلب ان عضا؟!

قلت : وتمشيا مع القاعدة التى يراها أو رآها أرباب الاختصاص فى ان تورد الصحيفة نبأ كهذا .. فيسمع لها .. وتروج .. بادرت بعرضه فى هذه الشذرة .. على رغم آناف يأجوج — ومأجوج !

(١٠٠٤) ذهب الناس

أبو حية النميرى شخصية فكاهية ظريفة .. رويت عنه قصص طريفة .. ومنها أن **مسلمة بن عياش** قال له يوما : اتدرى ما يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون انى اشعر منك ! قال : انا لله — ذهب والله الناس . اهـ

قلت : ما أنصفه وأظرفه ! فما شتم ولا قذف .. ولا رمى احدا بالحصى .. ولا اقترف .. وانما قال كلمة صدق وحق .. فقد ذهب الناس — وجاء الناس ! ونعوذ بالله من الرجيم الوسواس الخناس ! فلو قيلت لغيره من ذوى النعرات والخنزوانات ، لهفت القائل العصى والخيزرانات . وهكذا تكون عفة اللسان ، وطمأنينة النفس ومكارم الاخلاق وظرف الادب !

(١٠٠٥) (وراك)

تتردد هذه الكلمة آلاف المرات فى الحديث يوميا .. وفى اكثر المحادثات الدارجة وهى تعنى — الاستفهام تارة وأخرى التعجب ... وثالثة ورابعة .. على حسب ما تواضع عليه اهل الوبر .. أما فى الحاضرة فانها لا تعنى الا مقابل امامك! ولها اصل عريق فى الادب العربى : إذ قال الشاعر الجاهلى :

(ولكن ما وراءك يا عصام) ؟

فهى هنا استفهامية ايضا .. وقد حذفت الهمز منها فى عصرنا هذا من باب التخفيف .. وهى فى الفصيح من الاضداد اذ تعنى وراءك — أى خلفك — كما تعنى أمامك .. ولذلك أدلته للباحثين .

(١٠٠٦) ايام (القرص) و (الحنانة)

نشأنا وما من بيت فى مكة أو جُدَّة أو الطائف أو المدينة المنورة أو كل المدن والحواضر ، الا ويستحضر صاحبه الحب أو البر أو الحنطة ويختزنها لسنة أو أقل .. وتكون من صنف (النقرة) الطائفية أو الحب المصرى .. أو السندى .. وهلم جرا وهناك تقوم (الأسرة) بعد أن تغربل من المحترفين (بالتنقية .. ثم النشر .. ثم ارساله إلى الطاحون .. ثم تلقيه .. ووقايته وحفظه ثم عجنه وكته وتبذيره بالحبة السوداء والشمر والمحلب .. بما يسمونه (إبذار العيش) .. ثم تقريصه .. على الالواح الخشبية .. ثم تركه بعض الوقت ليحمر وينضج .. ثم ارساله إلى الفرن . وعلى كل لوح الحنائن .. أو الحنانات .. للأطفال .. ومن هذا الدقيق أو الطحين تتخذ الفطائر والعرانك .. و (الفتوت) و (المشلتت) والويل لمن تقول لربة البيت : « بلاشى اليوم دوشة خمير .. نشترى العيش من السوق .. لان عندكم غسيل ! » فانها تنتفض فى وجهه كالمحموم .. محتجة على قوله ! وتقول :

ما شاء الله ! ليه احنا ايادينا مكسرة .. والا اتجننا حتى ناكل من عيش السوق ؟! دا كله (لغوصة) و (بعبلة) !) (والله هو اللى بقى) ! ومنهن من تقوم بعمل كل شيء بيدها فى الدار حتى المطبق والمعصوب ! وكل ما تسمح لها ولذويها بازدراده !

ومن المفارقات الصارخة ، أننا أصبحنا — بحكم التطور الحضارى الجارف اذا عكسنا الآية .. وقلنا : « يا جماعة ! والله نفسنا فى العيش البيتى المبزر — فان الحمى تزداد حرارتها إلى درجة الخطر : (ما شاء الله هوه احنا فاضين للكلام الفارغ ، هذا هو السوق مليان عيش بلا غلب) ..

وافلس صاحب (نخال : نخال) .. وصح قول الشاعر فى ذوات الجمال ، ان منهن أو كلهن المكسال والمعطار ! و (الدرب ماشى) و (الحبل على يد الجرار) ويفعل الله ما يشاء ويختار .

(١٠٠٧) التوى والأوى

أما (التوى) — فإنه قد ورد ذكره فى مقصورة ابن دريد المشهورة قبل ثمانية قرون . قال :

اذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن
ان قصاراه نفاد ، وتوى !

وهو فى اللغة ، الخسارة والضياع والهلاك . وقلما يستعملها الناس فى بلادنا ... الا المتأدبين .

وأما (الأوى) فقد أعيانى الوقوف على أصل له بالمعنى المتداول — رغم أنه لا تكاد تمر ساعة إلا وتنطلق به قذائف الافواه .. فى البيت والشارع والحانوت ! فما هو ؟ ان المقذوف به يدعى عليه بان يصاب (بالأوى) .. ولا يدرى القاذف والمقذوف معا حقيقته إلاّ أنه مجرد شتيمة ليس غير ! إلاّ اننى أطمن من يقال له ذلك ويرمى به أنه فى اللغة (الايواء إلى البيت) .. وأيضا (أوى) أوية ، واية ، ومأوية ومأواة له : رق له ورحمه[1] . اذن تصبح دعوى له لا عليه .. وبهذا المعنى والمدلول .. لا ينزعج منها الا من يكره الرقة والرحمة .. وكلنا نتمناها ..

(١٠٠٨) لا تسوى لنا « دوكة »

يصيح بصاحبه إذا ارتفع صوته .. تدريجيا فى نزاع عارض أو مفاهمة صاخبة : يا اخى بس ! لا تسوى لنا دوكه .. فما تعنى هذه الكلمة فى الاصطلاح العامى ؟ انها ذات مدلول هام جدا .. **فـان (الدوكـة) احـدى الانغـام السبـعة** الأصول .. وهى تبدأ .. بنبرات خفيفة ثم تتدرج فى الصعود ، بشكل رائق شائق ، مطرب معجب . حتى لتكاد تمثل ارتقاء الصاعد من « الكر » إلى « قمة كرى » .. على مراحل ومناهل . ومن هنا فان المنزعج إنما يعنى بذلك ان صاحبه لا يزال يرتفع صوته .. ويعلو .. حتى استمع لكلامه البعيد والقريب فهو ينهاه عن ذلك .. ولن يستطيع اسكاته . فى هذه المرحلة

(١) (المنهل) : فتح لنا أستاذنا البحاثة مغلق هذه الكلمة : الأوى .. وعلى ضوء هذا الفتح نقول : لعل موضوع القذف بها يعود إلى أن الشخص المقول له ذلك يدعى عليه بالمقام فى البيت دائما وبالاقعاد وعدم استطاعته الحركة خارجه حتى يكون موضع رحمة أعدائه فهى اذن دعا عليه لا له . أو لعلها من الكلمات التى يراد بها الدعاء للشخص بطيب الحياة المقيمة الهادئة كما قال أستاذنا فى مظهر الدعاء عليه .. وللبلاغة العربية فنون والوان .

فان (الدوكة) لا تستحق هذا النعت أو الاسم الا اذا استقرت بمكانها فى « القمة » .. وما احلاها وأعذبها وأطربها وأعجبها ! الا أن تكون فى (المنازعات) .. فانها تكون من (النازعات) .

(١٠٠٩) البنجخة

هى فى الواقع والمدلول — أخت للفخفخه .. وانما يحيك فى النفس منها انها مجهولة المورد أو المصدر — اللهم الا أن تكون من الغريب فى اللغة .. ولها أصل فى المعاجم الكبيرة .. نجد أنها اصبحت دارجة على الألسن كلها .. وهى فى الجملة .. إنما تعنى المبالغة فى الظهور والترف ، والتبذير والاسراف .. ومن حقها أن تدون بعد أن احتلت مكانها فى اللهجة المتداولة .

(١٠١٠) الفرق بين المروءة والفتوة

قال أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ فى كتابه (الجماهر فى معرفة الجواهر) : « المروءة تقتصر على الرجل نفسه وذويه وحاله ، والفتوة تتعداه واياها إلى غيره ، والمرء لا يملك الا نفسه وقنيته التى لا ينازع فيها أنها له ، فاذا احتمل مغارم الناس وتحمل المشاق فى اراحتهم ، ولم يضن بما أحل الله له وحرمه على سواه ، فهو الفتى الذى اشتهر بالقدرة عليها ، وعرف بالحلم ، والعفو والرزانة والاحتمال ، والتعظم بالتواضع ، ترقى إلى العلياء وان لم يكن من أهلها وسوه باستحقاق لا عن خلود دار » اهـ

وقال الجرجانى فى التعريفات : « المروءة » هى قوة النفس مبدأ صدور الافعال الجميلة عنها المستتبعة للمدح شرعا وعقلا وعرفا ، . وقال عن الفتوة : « الفتوة فى اللغة الكرم والسخاء وفى اصطلاح أهل الحقيقة هى ان تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة . اهـ

قلت : ونسأل الله تعالى أن يجمع لنا ولاجيالنا الصاعدة بين المروءة والفتوة . ويزيدنا بطاعته واتباع هديه منعة وقوة إنه على ذلك قدير — وبالاجابة جدير .

(١٠١١) أبو حية النميري ولعاب المنية

كان **أبو حية النميرى** — ويسمى الهيثم بن الربيع من شعراء الدولتين الأموية والعباسية : وكان اهوج جبانا .. حكى عنه (**أبى قتيبة**) ان جارا له حدثه عنه ، قال . رحل إلى بيته (كلب) فظنه لصا .. فأشرفت عليه — وقد انتضى سيفه (لعاب المنية) . وهو سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق . ووقف فى وسط الدار وهو يقول : (ايها المغتر بنا والمجترئ علينا .. بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صليل . لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته . لا تخاف نبوته .. اخرج بالعفو عليك قبل ان ادخل بالعقوبة عليك ، اننى والله ان ادع قيسا عليك .. لا تقم لها . قيس وما قيس ، تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا ، سبحان الله ، ما اكثرها واطيبها .. فبينما هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا » . اهـ

قلت : انها لإحدى الطرف المروية . والله أعلم بصحتها .. إلا أنها إن صحت .. بان **ابا حية** ــ عفا الله عنه ــ لم يرد أن يبادر بالبطش قبل الانذار .. والوعيد والتهديد .. شأن الخلق الطيب .. والشيمة الكريمة .. ولولا انه مسخ كلبا .. لملأه بسيفه خوفا ورعبا ! وبطشا وضربا .. و (من هو مؤمن فليحمد الله) ..

١٠١٢ انه (السنور)

« يروى أن لصا دخل دار **الفضل بن الحباب** الكفيف ، فصاح ابنه باللص ، فخرج **الفضل** إلى صحن الدار ، وقال : (أيها اللص ، ما لك ولنا ؟ إن أردت المال فعليك بفلان وفلان .. إنما عندنا (قمطران) قمطر فيه احاديث ، وقمطر فيه أخبار . ان أردت الحديث حدثناك عن **أبي الوليد الطيالسي** ، **وأبي عمر الجوصي** ، **وابن كثير وهو محمد** . وان أردت الاخبار اخبرناك عن **الرياشي** ، وعن **الاصمعي** ، وعن **محمد بن سلام**) فصاح ابنه : ياأبت ، ليس الا الخير ، إنما هو سنور » .. اهـ

قلت : وقد لطف الله فى هذا الحادث .. إذ كان اللص فيه « سنورا » .. أما لص أبى حية النميرى .. فقد كان « كلبا » وكفاه الله حربا بعد ان استعدى عليه الصناديد ، من (**قيس**) . وما أراها الا مجرد (دعابات) ظريفة تختلف فيها الأوزان ، وتحفظ القافية !..

١٠١٣ النمل المجنون

ظهرت فى هذه الايام ــ بعض أنواع الكائنات الحية .. الطائرة أو السائرة ! بألوان مختلفة .. نتيجة الأمطار الغزيرة التى رحم الله بها عباده المؤمنين .. ومن ذلك نوع من (النمل) يطلق عليه الناس : (النمل المجنون) .. وهو أصغر حجما من النمل الاحمر .. ويميل لونه إلى السواد ، وهو من الكثرة ، والتجمع ، والالتفاف حول بعضه بحيث لا تكاد تجده الا فى (عصبة) مؤتلفة متحابة متعاونة .

ومما لفت نظرى فيه بصورة أدق .. أنه مسالم فلا (يعتدى .. ولا يقرص ، ولا يتسلق على الابدان .. ولكنه .. يلف ويدور حول نفسه .. وفى سرعة غريبة) ! ومن هنا اطلقوا عليه : « المجنون » . وفى احدى المرات .. ضايقنى (دورانه) .. وجنونه ، فى غير مبرر الا ان يكون فى مباراة رياضية ! لانه لا يندفع إلى طعام ولا شراب .. اللهم الا اذا وجد (صرصورا) ميتا فانه ليحيط به من كل جانب .. وما يزال به نهشا .. ونهسا .. حتى يواريه فى احشائه .. بعد ان يمسح به الارض مسحا ويحيط به احاطة السوار بالمعصم . ويوسعه جرا .. يمثل (الجنازة) ومن حولها من حملة النعش ! وفى تعاون وتضامن ومشاركة تبعث على الاعتبار ..

واختبرت فيه الزهد عن التعرض بالاذى لبنى آدم ، وحاولت مرة أن ادوس عليه وابيده بقدمى ! فلم يذعن لذلك من سلم منه .. واخذ ينتقم بالتسلق على الساق .. والقدم .. ويقلق راحتى بما مس بنى جنسه من ظلم وألم ! وأخذت

منه عبرة وعظة فى تعاونه وتناصره .. وإبائه الضيم وقبوله التضحية واحتماله الفتك به — إذا ألم به السوء أو تعرض له بحال .

هذا وهو (دويدة) حقيرة ! وقد ألهمها الله البصيرة والدفاع عن النفس وسبحان الخلاق الحكيم الذى احسن كل شيء خلقه ثم هدى[1] .

١٠١٤ هو - بتخفيف الواو وهو - بتشديدها

قليل منا من إذا أراد أن يشير إلى الآخر .. يقول (هو) — بفتح الواو وإنما يشددها .. فيما ينطق به .. فيقول (هو) — فلو أنه قالها صحيحة .. بدون تشديد لكان محل الاستغراب ! عند العوام . وكذلك الشأن فى المرأة .. فهى تقول (هيه) بدلا من (هى) . ولتقويم ذلك لابد من صبر جميل وأمد طويل ..

وظفرت بمثلها فى بيت من الشعر القديم : قال الشاعر ، وهو **حسان بن ثابت** رضى الله عنه :

وإن لسانى شهدة يشتفى بها
و(هو) .. على من صبه الله علقم

وبهذا يسعنا ما وسع صاحب الضرورة الشعرية ، فلولاها ما كان له ان يشدد ، (ويسروا ولا تعسروا) . و (ضرورتنا) تفادى الاتهام بالفيهقة .. والتقعر !

١٠١٥ العلاوة بالضم والكسر

فى اللغة : (العلاوة) بضم العين (عاليته — أرفعه) و (العلاوة) بكسرها أعلى الرأس أو العنق . وما وضع بين العدلين — والعلاوة من كل شيء .. ما زاد عليه وكان عطاء (لبيد) الفين ، فسأله عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (لم ترك الشعر ؟) فقال : سمى عنه (البقرة — وآل عمران) .. فزاده خمسمائة .. فلما تولى زياد ، قال له يا **أبا عقيل** هذان الفودان ، فما هذه (العلاوة) .. فقال : « أموت ، وأترك العولين والعلاوة ، فرق له زياد .. » اهـ

قلت : فهذه هى (العلاوة) التى نصت عليها الانظمة الحديثة للموظفين ، الا ان أكثر الناس ينطقونها بفتح العين .. وما هى الا بالكسر .. وهى ايضا من مصطلحات (علم المواريث) ولها باب يسمى (العول) والله عليم .

١٠١٦ تهنئة الشيخ محمد الشيبى

كتب إلى حضرة صاحب الفضيلة العلامة المؤرخ الجليل الشيخ **محمد الدفتردار** من المدينة المنورة على ساكنها أفضل التحية والتسليم ، رسالة

---

(١) (المنهل) : وبالمناسبة كما يقولون : الشيء بالشيء يذكر ، فانى ذات صبيحة من شهر صفر ١٣٨٩هـ . وحول الساعة الواحدة صباحا بالتوقيت العربى الغروبى .. بينما أنا أتجول فى حديقة منزلنا بالمشرفة بجدة إذ شاهدت صرصورا بنى اللون طائرا ، ذا أرجل طويلة نحيفة تشبه الكلالب وهو يجر بعزم وتصميم جرادة ميتة إلى ناحية خاصة .. فإذا تعب تركها وطار هنيهة ثم عاد إليها مرة أخرى وهكذا ، حتى قدم بها جارا لها بعد لأى .. إلى مكان خال من الزرع ، عبارة عن تراب فصار يحفر بزعانفه الخلفية الأرض الهشة وترى التراب يتطاير وراءه كما يتطاير من الحفارات الآلية .. حتى عمق الحفرة ثم جر فريسته وزحلقها بداخل الحفرة الكبيرة وما زال يطم عليها التراب ، حتى واراها وما اكتفى بذلك حتى ساوى بين سطح تراب حفرته وسائر التراب المجاور .. فهل يا ترى إخفاها كذلك ليعود إليها فيقضمها وحده أم هو نوع من التراحم بين الحيوان الأعجم ؟ الله أعلم .

كريمة فى ١٣٨٩/٣/١ هـ جاء فيها أنه قرأ بعض ما كتبته عن « **آل الشيبى** » الأماجد فى مجلة « المنهل » الغراء .. وقد أحب أن يتحفنى بأبيات جميلة هنأ بها شاعر المدينة الشيخ « **حسن بن مصطفى بصنوى** » ــ فضيلة الشيخ **محمد الشيبى** بقدومه إلى المدينة المنورة عام ١٢٤٧ هـ .. أى قبل ١٤٢ سنة .. وقد رآها فى ديوانه المخطوط الذى يحتفظ به أحفاده وكان عنوانها : « إلى سادن البيت الحرام » .. وأورد سيادته الأبيات المشار اليها وهى :

لك (مجد) ممن برا وهبي
اين منه جد الورى الكسبى ؟
وصف معناه كيف يديه لفظ
وهو سر ، وعمله غيبى ؟!

أيها الماجد الذى نال سعدا
يخجل الشمس نوره الكوكبي !
ذاك «بيت» فى الكون يسعى اليه
(ملكاه) الشرقى، والغربى!
حجب الاجنبى عنه لامر
لم يطق نقض عهده الاجنبي!
من قديم قد أبعد الكفر عنه
صدق ماقال فى الحديث(النبي)!

ذاك عز اوتيته من قديم
عن بني شيبة وانت صبي!
خالد، تالد العطاء عن الوا
لد، يزهى به ابنه الصلبي!
فى سراة شم العرانين غر
فى دجى الخطب رايهم شهبي!
(كعبة) الرب، عين وجه المعالى
ولهم فيه زينها الحاجبي!
وثناء يهدى اليك وحمد
سكري ، تكريره ــ ضربي!
ودعاء ما فيه قط رياء
من محب اخلاصه لبي!
وتهان اذ زرت روضة (طه)
أي طيب ترابها الطبي؟!

(بيت تاريخه) به الفأل يشدو
وله الثغر ريقه عذبي!
عدت، والعود احمد ــ للرحيـ
ـم. الصدق ــ(طه) محمد الشيبي!

قلت : هذا ما كتبه إلى مشكورا فضيلة الاستاذ **الدفتردار** صاحب « اعلام المدينة المنورة » الذى ننتظر طبعه وصدوره بفارغ الصبر .. فقد أنهى رسالته الكريمة بقوله : (إن من أجمل ما طالعته من دواوين شعراء أهل المدينة ديوان الشاعر الفذ الشيخ **حسن بصنوى** ، وهو فى مجلد واحد وفيه كثير من شعر الاحاجى والمعميات و (الاوفاق) ! وتواريخ بناء بعض الآثار والمنشآت . والابتهالات والمعارضات والتخاميس والتهانى والمراثى وخطب الافراح وغير ذلك) اهـ .

وقد وعد فضيلته بنشر ترجمة الشاعر (**البصنوى**) رحمه الله فى فصوله الممتعه (اعلام المدينة المنورة) .

وقد أردت ان يشاركنى القراء فى الاطلاع على ما سلف ذكره .. وفيه نموذج للادب فى الحجاز قبل قرن ونصف قرن تقريبا .. وهو لا يخلو من اطراف واتحاف . ونرجو ان يوفق استاذنا **الدفتردار** إلى المبادرة باصدار مؤلفه الثمين ونشر ادب المدينة المنورة فذلك مما يتطلع اليه كل باحث

ومنقب ومعقب . واسأل الله لنا وله التوفيق .. كما تضاف هذه القصيدة إلى ترجمة السادن الكبير عام ١٢٤٧ هـ الشيخ **محمد الشيبي** رحمه الله .

(١٠١٧) مقادير المساحة

عرفت العالم المؤرخ الاديب الشيخ **محمد بن الشيخ خليفة النبهاني** ــ وكان والده المرحوم من مدرسي المسجد الحرام بمكة المكرمة عام ١٣٣٢ هـ . وكانت له (شركة مع الشيخ **محمد صالح** (**الملياني**) ــ رحمه الله ــ والشيخ **محمود** (**مليانى**) فى التجارة ، فى (بنك) كبير يقع فى منطقة (**قاعة الشفا**) بمكة المكرمة .. وكان محل والدى التجارى إلى جانبه ــ فلا ينقضى يوم حتى أراه فى سمته الوقور .

ومن آثاره كتابه الجامع (**التحفة النبهانية**) ، عن (**امارات الجزيرة العربية**) .. وهو تاريخ حافل باحداث الخليج العربى وما كان قائما ــ ولا يزال ــ من الامارات والامراء ..

وفى مطالعة عابرة .. رأيت هذه الابيات فى الجزء الأول من تاريخه المشار اليه ، قال :

وفيه نظم بعضهم مقادير المساحة فقال .

ان (البريد) من الفراسخ اربع
و (لفرسخ) فثلاث اميال ضعو
والميل الف اى من (الباعات) قل
و (الباع) اربع اذرع فتتبعوا
ثم (الذراع) من (الاصابع) اربع
من بعدها العشرون ثم الاصبع
ست (شعيرات) فظهر شعيرة
منها إلى بطن الاخرى توضع
ثم (الشعيرة) ست (شعرات) فقط
من ذيل بغل ليس عن ذا يرجع

قلت : وآثرت امتحان القراء بهذه الابيات ، التى اشتملت على مقادير المساحات لمجرد الحفظ وتسييره ــ وهى من الحقائق التى لا تتبدل مع الزمن .. الا أن فى نفسى شيئا من تفريق القياس بين الميل البرى ــ والميل البحرى ! فهل نجد لذلك ما يزيل الالتباس عند علامتنا الكبير صاحب (المنهل) العذب النمير ؟

(١٠١٨) « فيفاء الغزال » بمكة

جاء فى القاموس : ان « فيفاء الغزال » .. بمكة .. حيث ينزل منها إلى الأبطح .. ولم اسمع حياتى من يذكر موضعا بهذا الاسم .. فى ضواحى ام القرى ! ويظهر أنها مما كان فبان ، أو جهله المتأخرون أو خلا من الغزلان ، ونفرت منه الآرام . وهى لا تعدو فى تحديد موقعها .. ما بين (**المحصب**) .. و (**الحجون**) .. على أوسع تقدير .. وعلى وجه الدقة .. فانها من محلة (**الروضة**) إلى (**المنحنى**) ما دامت « **فيفاء الغزال** » بحيث ينزل منها إلى الابطح .. وهنا قرينة أخرى وهى ان ما وراء جبل (**خندمة**) يتصل باجياد وكانت معروفة بملاعب الغزلان أيضا .. اما (**الفيفاء**) لغة فهى المفازة لا ماء فيها .. والمكان المستوى والصخرة الملساء .. وبالمدينة المنورة ايضا « **فيفاء الخبار** » .. بأحد جوانب العقيق .. وفى عسير .. توجد « **فيفاء** » .. أخرى .. وفى غيرها (**فياف**) شتى ! كلما اتصفت بما ذكر آنفا .

(١٠١٩) الدار البيضــاء

(قرية) تقع فى (**قرن المنازل**) أو (**ما يسمى بوادى المحرم فى سفوح الجبل الاشم**) (**كرى**) مما يلى الطائف .. يطلق عليها (**الدار البيضاء**) .. وما احسب علة لهذه التسمية الا انفرادها قبل قرون بدار طليت بالرخام الابيض .

وفى المغرب الاقصى الشقيق مدينة كبرى تسمى « الدار البيضاء » أيضا .. وهى ذات عمران عظيم وفيها عقد احد مؤتمرات القمة العربية قبل اعوام قريبة .

وفى اليمن مدينة تسمى ــ **بالبيضاء** .. واخرى فى ليبيا بنفس الاسم ..[١] .

(١٠٢٠) زبيد اليمن وزبيد الشام

(زبيد) اليمن وزبيد الشام مدينة عريقة ذات ماضى مجيد .. واليها ينسب فريق من العلماء والادباء والشعراء والمؤلفين .. وهى فى بلاد اليمن الساحلية على البحر الاحمر .

ووجدت (قرية) أخرى فى بلاد الشام يطلق عليها نفس الاسم (زبيد) .. وتقع فى النواحى الشمالية الغربية منها .. كما قرأت ذلك فى احدى صحفنا المحلية !

---

(١) (المنهل) : وفى الطريق بين مكة وجُدّة بعد بحرة وأنت ذاهب إلى جدة ثكنة عسكرية تركية مستديرة الشكل مطلية بالبياض لا تزال باقية أطلالها وتعرف إلى الآن بالدار البيضاء .

وتعود هذه الاسماء فى (بلاد العرب) أو فيما افتتحه العرب من الاقطار الاخرى ــ حتى الاندلس ــ إلى تعلقهم بوطنهم الاصيل .. فهم يطلقونها هنالك على ما يحلون به تكريما وتذكيرا بما كان مناط شمائلهم ، ومهد ولادتهم و (حب الوطن من الايمان) .

(١٠٢١) « الامام الطبرى » الشاب الحافظ

المدرس بمكة المكرمة

٩٦٧ هـ ــ ١٠٣٣ هـ

فى كتاب شرح مقصورة **ابن دريد** روى الاستاذ الاديب الشاعر الكاتب المؤرخ اللغوى الكبير الشيخ **أحمد عبد الغفور عطار** (بارك الله فيه) فى كتابه « **مقصورة ابن دريد** » : « بحث تاريخى مقارن » ــ أن من شراحها : **عبدالقادر بن محمد بن يحى بن مكرم بن الحسينى الطبرى** المكى الشافعى امام ائمة الحجاز فى زمنه ولد سنة ٩٦٧ هـ بمكة ونشأ بها ، وحفظ القرآن وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وحفظ كثيرا من المتون كألفية **ابن مالك** ، والاربعين النووية والعقائد النسفية .. وعرض جملتها على عديد من المشائخ ، واجيز بمحفوظاته ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقام فى هذه السن ــ بالتدريس ، وبدأ فيها اشتغاله بالتأليف .. وتوفى بمكة حرسها الله سنة ١٠٣٣ هـ . اهـ .

وقد عزا ذلك إلى (خلاصة الأثر) .

قلت : وقد راق لى ان اورد ذلك فى هذه الشذرة .. للتذكير .. والتقدير .. والتبصير ! وأن

صغر السن .. لم يمنعه من أن يكون حافظا ومدرسا .. ومؤلفا .. وهو مراهق أو دون ذلك ! ولا ريب أن للبيئة والبيت أثرهما فى تكوينه .. وتلقينه وتمكينه !

وقد ورد على سؤال أو تساؤل لم استطع الاجابة عليه ! وهو : كم من اترابه وفى سنه اليوم من قرأ المقصورة أو فهمها أو شرحها .. أو حتى علم بها ؟

(١٠٢٢) كذلك فليكن منا الرجال

ولن مادت مع الأرض الجبال

٢٢٣ — ٣٢١ هـ

قال ابن دريد الأزدى (٢٢٣ — ٣٢١ هـ) فى مقصورته المشهورة :

لست اذا ما بهظتنى غمرة
ممن يقول : بلغ السيل الذبى !
وان ثوت تحت ضلوعى زفرة
تملأ ما بين الرجا إلى الرجا !
نهنهتها مكظومة حتى يرى
مخضوضعا منها الذى كان طغى !
ولا اقول ان عرتنى (نكبة)
قول القنوط ، انقد فى البطن السقا !
قد مارست منى الخطوب مرسا
يساور الهوى اذا الهوى علا !
ولى التواء ، ان معادى التوى
ولى استواء ان موالى استوى !

قلت : هكذا كان السلف الطيب قوة شكيمة وكظم غيظ .. وشمم انف ، وشيم إباء وصمود .. واحتمال واستبسال ! وبهذا يجب أن ينشأ الجيل ، وتهذب الاخلاق وتوطن النفوس ، وتثبت القلوب ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. (**ولا حول ولا قوة الا بالله**) .

(١٠٢٣) الرائج والدارج في العامة

لم يرق لى ان افسر هذه الكلمات .. كل كلمة على حدة — فى شذرة خاصة بها دفعا للمهمة بتكثير الارقام ، لو عمدت إلى الحديث عنها كمفردات ..

فأثرت سردها فى قائمة — كنموذج — لأمثالها مما لا تخلو منه المحادثات اليومية فى (بلادنا) .. فى كافة الأوساط والانماط !

وقد تأصلت وتأقلمت .. وأصبحت على كل لسان .. ويفهمها الشيب والشبان .. والصغار والكبار .. والنساء والرجال على حد سواء .

وفى اعتقادى انه لن يغنى عنها أو يحل محلها (فصيح ثعلب) ولا (سحر البيان) ! فهى راسخة الاقدام .. قوية البنيان رغم ان اكثرها .. متواضع عليه مع مرور الأزمان ! وان اندمج فيها ما له اصل صحيح .. فى اللغة الفصحى .. ولئلا يضيق ذرع القارىء بهذا التمهيد ، فانى انتقل اليها لا على حكم الاستقصاء .. ولا نظام الاحصاء ، وإنما هو مجرد استشهاد بما نتداوله من الالفاظ التى يكاد الباحث يعجز أن يجد لها جذورا فى المعاجم والقواميس الا القليل ، فمن ذلك مثلا :

(١) « النحنة » — وهى فصيحة صحيحة ! وأتذكر أن لها فى كتب الادب القديم قصة طريفة

عمن قدم إلى شارب كوبا من اللبن الخزير — أو الحامض — واشترط عليه ان لا يتنحنح .. فاحتال لذلك .. ونطق بكلمات أتاحت له التحنحة .. دون أن يأتى بها ! وقاتل الله الذاكرة الضعيفة .. فقد خانتنى أن أتذكرها بالنص . ولعل استاذنا الانصارى يتذكرها ويرويها .. وكذلك هى احدى الوصمات التى يعير بها البخيل بالاضافة إلى السعال ! وقد روى احد جلساء أمير المؤمنين **عبدالملك بن مروان** (بيتا شعريا) وكان يطعن فيه الشاعر على كز بخيل بأنه اذا سئل شيئا تنحنح أو سعل ! وقرأت فيما نسيت مرجعه — أيضا — أن عبد الملك قال بعد ان سمع ذلك بأيام .. ما معناه : (لقد منعنى ذلك وايم الله أن أسعل أو أتنحنح .. وصرت أجتهد فى كتمه .. كلما تذكرت أنه من صفات البخلاء) ! أو كما قال .

وهى إلى ذلك ذات صلة بالطفل — اذا أريد له ان يقضى حاجته فان أمه أو (دادته) تلقنه بها تلقينا .. ليضغط بها على امعائه !

(٢) و « **اللكاعة** » .. فهى فى الفصيح .. ومن الشواهد عليها قول الشاعر القديم :

طوف ما اطوف ثم آوى
إلى بيت قعيدته لكاع

وكانوا — ينعتون بها من يقدحون أو ينتقدون تصرفاته فيقولون عنه أنه (لكع) ! وهى فى اللغة : اللؤم والحمق ! — فاللكاع — واللكع .. اللئيم والأحمق والأولى للمرأة .. والاخرى للرجل .

(٣) و « **الهجولة** » : ويعنى بها القائل .. الضياع — والفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار .. ولها أصل من « الهجلة » وهى الأرض المطمئنة .. الواطئة .. وهى مظنة المدلولات السالفة الذكر .

(٤) و « **الوحوحة** » : وتعنى .. التألم ، والتضجر ، والتسخط ، وهى عربية سليمة .. وأصلها « أح — أح » . و (وحوح) : صات بصوت فيه بحح .. الخ .

(٥) و « **الولدنة** » : عمل الكبير .. ما لا يجرؤ عليه الا الصغير الغرير ! وهو ما يمقت عليه وينتقد !

(٦) و « **الهلوسة** » .. من الهلس .. والمهلوس مسلوب العقل . ومن اصابه داء النقرس ! وهلس الرجل هزل .

(٧) و « **السيسنة** » .. ويعنون بها النميمة والغيبة .. ونقل الكلام وإفساد ذات البين ! وهى مأخوذة من طائفة كانت تعرف فى العصر العباسى (بالساسانية) .. وطريقتها : « **الغاية تبرر الواسطة** » فى الارتزاق ! بأى الوسائل والاسباب .. وحتى بالافك والبهتان .

(٨) و « **البقبقة** » .. وتعنى الكلام الكثير .. وهو لا يخرج الا من (البق) بضم الباء — كما تسمية العامة — ولا أصل له .. وإنما هى حكاية — للصوت . يقال بقبق الكوز فى الماء .. اذا صوت : (بق بق) .

(٩) و « **النعنعة** » .. ويقصد بها (المرقعة) .. وهى أو هما معا .. (التنبلة) .. وكلها : الافراط فى الكسل ، والترف والادلال ، والتزام الراحة .. وعدم النشاط لاى حركة .. الا بانزعاج وتكلف .. وسأم .

(١٠) و « **السرسمة** » .. وهى من داء يطلق عليه (السرسام) وهو ورم فى حجاب الدماغ يحدث عنه حمى ، واختلاط فى الذهن .. وأكثر ما تطلق عندنا من أثر الجو الحار و (الومد) الذى تقف معه النسمات .. وتختنق الانفاس .

(١١) و « **الزوزكة** » .. ويصد بها (التريقة)[1] وكلاهما العبث والاستهزاء .. و « الزوك » مشى الغراب !

(١٢) و « **التخششة** » .. وتقال لمن يستحسن منه عمل طيب . وأصلها من (التخشيشة) .. وهى أريكة العروس وما تحتوى عليه من مظهر بهيج . وأحسبها فارسية الاصل .

هذا وليعذرنى القارىء الكريم بعد ذلك .. ان أورد له طائفة من هذه الكلمات التى لا يمكن زحزحتها .. ولا تطويرها ولا اخضاعها لقاعدة مرعية .. ولا تخريجها من أصول صحيحة عربية إلا بعرق القربة .

وإليك بيان ما استحضرته فى شذرتى هذه .. استعراضا .. واستطرادا .. وقد شعرت بالاعياء من تعقبها .. وأرجو أن نجد فيها طرفة أو تفكهة .. أو تسلية .. يتسع لها وقته وصدره واحتماله .. وهى :

١١ ـــ الجعلكة .
١٢ ـــ الفرتكة .
١٣ ـــ الدردشة .
١٤ ـــ الدوشة .
١٥ ـــ المرمصة .
١٦ ـــ اللغوصة .
١٧ ـــ الحرمصة .
١٨ ـــ القربصة .
١٩ ـــ المرمشة .
٢٠ ـــ الخنشصة .

(١) (المنهل) : التريقة كما تنطقها العامة بفتح التاء وسكون الراء وفتح الياء المثناة التحتية التى بعدها قاف مفتوحة فتاء مربوطة ، وذلك كما سيأتى فى شذرة « لسان زى المبرد » « ١٠٢٧ » .

٢١ ـــ الدعبصة .
٢٢ ـــ البربرة .
٢٣ ـــ الدردرة .
٢٤ ـــ الخنبشة .
٢٥ ـــ الكركبة .
٢٦ ـــ الدردبة .
٢٧ ـــ الزبلحة .
٢٨ ـــ الفرتقة .
٢٩ ـــ الدهمسة .
٣٠ ـــ الحنتفة .
٣١ ـــ الوهوهة .
٣٢ ـــ الوعوعة .
٣٣ ـــ الدنبقة .
٢٤ ـــ الدربكة .
٣٥ ـــ العشقلة .
٣٦ ـــ الشبكنة .
٣٧ ـــ الزركنة .
٣٨ ـــ البرطعة .
٣٩ ـــ الطرطعة .
٤٠ ـــ الجليطة .
٤١ ـــ القليطة .
٤٢ ـــ الهيلمة .
٤٣ ـــ السلقحة .
٤٤ ـــ النقنقة .
٤٥ ـــ الفرقعة .
٤٦ ـــ القرمطة .
٤٧ ـــ الرطرطة .
٤٨ ـــ الدرمغة .
٤٩ ـــ القرطعة .
٥٠ ـــ الطربعة .
٥١ ـــ الدروخة .
٥٢ ـــ الدندشة .
٥٣ ـــ الصروعة .
٥٤ ـــ الطعطعة .
٥٥ ـــ المرمرة .
٥٦ ـــ الهنجمة .
٥٧ ـــ العكننة .
٥٨ ـــ القشقلة .
٥٩ ـــ العصعصة .
٦٠ ـــ البرشقة .

وكما قلت آنفا .. ان هذه مجرد أمثلة .. على ما نتداوله فى بيوتنا ومجالسنا وأسواقنا .. ويتساوى فى ذلك الخاصة والعامة .. ولا يعتريه أى التباس فى افهام الناس ، فهل له من عرق دساس ؟ وهل له أصل فى المفردات المعروفة أو أساس ؟ ذلك ما أرجو أن يجمع إلى الترفيه ! البحث العميق .. والتعليق الظريف .. من استاذنا الجليل (**أبى نبيه**) .. وانه لفاعل ان شاء الله فما يعز عليه ـــ أن يكشف اللثام عن الاصيل منه والدخيل .

ولا يحسبنى القراء الكرام .. أن هذا من (الفضاوة) .. وهذه بدورها صحيحة .. « وان اقلق الفضاء رواده » ! وان الفحول من ذوى الاختصاص — لم يدعوا شاردة ولا واردة الا أوسعوها .. درسا وتمحيصا .. وأجادوا وأفادوا ..

و «مافش لزوم.. «للشوشرة»!
فبين الاسماء تكون اثمن جوهرة»!

وقد كتب والف فى أكثر من قطر عربى — علماء اللغة .. عن الدارج لديهم من لهجات العوام .. وفصلوا فيه وبينوا ما يختص ببلادهم ، ولهذا آمل أن ينهض بهذه المهمة من يهمه أن تستنير ببحثه الأجيال الهابطة — والصاعدة .. تنقية للغة الفصحى .. من الشوائب الدخيلة ! مع الابقاء على ما لا بديل له منها والله الموفق .

(١٠٢٤) « ضراط النمل »

ما نزال نسمع من بعض اخواننا أهل الوبر .. أو البادية كلمة ..لا أظن فى اللغة ما هو أدق منها وأحق باطلاقه على — كل كلام سخيف .. فهم يقولون أن فلانا كلامهه (زى — ضراط النمل) — أى مثل .. فان (زى) غلبت فى استعمال العامة على معنى « مثل » .. وقد قرأت ابيات لابى نواس جاء فيها قوله :

انى وجـــدت كلامـــه
فيـه مشابــه من ضراطــه !

إلى أن قال :

وعريت من حلـل النـدى
عرى اليـتيم ومـن رباطـه
فاذا تطـاولت الــرؤوس
فغـط رأسك ثم طاطـه !

وما أحسب سمع الانسان .. يتصل به صدى ضراط النمل .. لو ضرط .. أو كان من الضراطين ! ولكنها المبالغة فى الاسترذال .. والاستهزاء .. والتهكم .. و (طاطه) .. مخففة من (طأطئه) .

وقد أصبح شعارنا فى هذا الزمان كان قبل الانطواء والامتهان : « ارفع راسك » .. وسبحان الحى القدير .. الذى اليه وحده تعنو الوجوه وتخر الاذقان !

(١٠٢٥) كم سنك ؟

قال **أبو الفرج** فى الاغانى : « حكى **عبيد الله بن الحسن** والى **المأمون** على المدينة قال : حدثنى **محمد بن عثمان بن عفان** . قال : قلت **لا شعب** : لى اليك حاجة ، فحلف بالطلاق لابنة وردان — لاسألته حاجة إلاقضاها ، فقلت له : أخبرنى عن سنك فاشتد ذلك عليه حتى ظننت انه سيطلق .. فقلت له على رسلك ! وحلفت له انى (لا أذكر سنه) ما دام حيا .. فقال لى . أما اذ فعلت فقد هونت على .. أنا والله حيث حصر جدك **عثمان بن عفان** أسعى فى الدار .. قال **الزبير بن بكار** — وادركه أبى — » . اهـ

قلت : وهذا أول من قرأت عنه من العرب أنه يتأذى أو يمتعض من معرفة حقيقة سنه إلى درجة تبلغ به هذا المدى من الانزعاج . ولا أدرى علة لذلك ظاهرة .. « وقد سمعنا من ذوى الاسنان والحكمة .. أن على المرء أن يكتم ثلاثة : ماله لئلا يطمع فيه ، وسنه لئلايتهم بالشيخوخة ، أو يحال

بينه وبين الزواج اذا شاء ، ومذهبه ، ابان التعصب ، وحرائره . وما أجد غضاضة ما فى اعلان السن على حقيقته .. فان لم تكن فى الرجل بقية فما تجديه افكاره فتيلا . وفى امثال العرب قولهم : عند الامتحان .. يكرم المرء أو يهان ..

اذا اشتبكت دموع فى خدود
تبين من بكى ممن تباكى

وبارك الله فى أعمار المصلحين ومنحهم الصحة والعافية .

(١٠٢٦) « ديك دعبل »

دعبل بن على شاعر مفلق ، عاش فى عصر **المأمون والمعتصم** .. وكان شيعيا .. وهجاءا ، وكان الشديد التعصب للنزارية على القحطانية .. قال **أحمد بن خالد** : كنا بدار **صالح بن على بن عبدالقيس** ببغداد ، ومعنا جماعة من اصحابنا فسقط على (كنيسة) فى سطحه ديك طار من دار **دعبل** فلما رأيناه ، قلنا : هذا صيدنا ! فأخذناه فقال **صالح** : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه فذبحناه وشويناه .. وخرج **دعبل** فسأل عن الديك فعرف انه سقط فى دار **صالح** .. فطلبه منا فجحدناه ! فلما كان من الغد خرج **دعبل** فصلى الغداة .. ثم فتل إلى المسجد وجلس عليه .. وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من المساء وينتابهم الناس . وقال :

أسر المؤذن صالح وضيوفه
اسر الكمى هفا خلال المساقط

بعثوا اليه بنيهم وبناتهم
ما بين ناتفة ـــ وآخر سامط

يتنازعون كأنهم قد اوثقوا
(خاقان) ! أو هزموا كتائب ناعط

نهشوه فانتزعت له اسنانهم
وتهشمت اقفاؤهم بالحائط

قال فكتبها الناس عنه ومضوا ! فقال لى أبى وقد رجع إلى البيت :

ويحكم ! ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى (**ديك دعبل**) ثم أنشدنا الشعر .. وقال : لا تدع « ديكا » ولا دجاجة تقدر عليه الا اشتريته .. وبعثت به إلى (**دعبل**) .. والا أوقعنا فى لسانه .. ففعلت ذلك . اهـ

قلت : وقد اغنى الله مثلهم عن مثله فى عصرنا هذا .. بهذه (المعلقات) المحمرة .. والفراخ المقمرة ! وان كانت فى لحمها أشبه بالقطن المندوف ! أو (البفتة) والصوف .. فما من ولد من (ابوين) ! كمن احمى عليه فى (الصدفين) فخرج بين ، بين .. ويا بشرى (الدعابل) اذا هم اعتاضوا عن ديوكهم بهذا المقابل ، وحذار من مثلها ، لكل صائد وحابل ونابل .

(١٠٢٧) لسان زي المبرد

تقول ذلك المرأة .. لأولادها .. أو خدمها .. والرجل أيضا .. اذا وجدا ذلاقة وسفاهة .. وجدلا ممقوتا .. ووقاحة . منكورة من محادثهما .. كبيرا كان أم صغيرا ! وزى .. تستعمل فى بلادنا بمعنى (مثل) .. وقرأت **لمعن بن اوس** قوله :

فلاتجمعى بذلى، وودى، ونصرتى
وان تجعلى فوق (لسانك) مبردا

قال هذا .. قبل الف وثلثمائة سنة ونيف .. فقد كانت وفاته سنة ٦٤ وهو (مزنى) — وموطنه ما بين مكة والمدينة .. فاذن تكون الكلمة متداولة فى البيئة الحجازية منذ أو قبل ذلك الحين .. والعجيب أن وصفه اقتصر على (حواء) .. فكأنما كان ابتلاؤه بالبرد .. من جهتها .. وما أقبح البذاء ، وأجمل الحياء .

١٠٢٨ الرين السعودى والرين الفرنسى

يوجد فى قلب بلاد العرب (نجد) .. منطقة يطلق عليها اسم (الرين) .

وتذكرت به ما يسمى فى بلاد فرنسا (بنهر الرين) وما احسب الثانى كالاول الا من حيث اتفاق التسمية ، فى الاثنين . وربما كان لمعنى (الرين) فى اللغتين مفهوم مختلف أيضا .. فهل من يبسط لنا أو يفصل مشكورا ماهية (الرين السعودى) ، وموقعه .. وحقيقته ؟.. وسبب التسمية أيضا .. ومن يستطيع أن يترجم أو يعرب كلمة (الرين) فى اللغة الافرنسية ؟

١٠٢٩ « حرض الشرقية » و « حرض » الجنوبية

وفى قلب نجد .. وفى الطريق من الرياض إلى المنطقة الشرقية مكان يطلق عليه (حرض) .. وفى الجنوب مدينة تسمى (حرضا) وذلك مما يأتلف اسما ويختلف صقعا فى عصرنا هذا ويضاف إلى امثاله مما دونه القدامى .

ولعل بعض المعنيين بهذه البحوث فى عهدنا هذا يتوافر على جمعها وتدوينها اذا لم تكن قد دونت من قبل .. ولم يزد على المدون جديد ؟

١٠٣٠ « النازية » الحجازية

... واستوقفنى هذا الاسم يطلق على موضع أحسبه يقع بين المدينة المنورة ومكة المكرمة .. ولعله من (ديار حرب) .. ولا أعرف لهذه التسمية من سبب أو تعليل .

وقد اشتهرت النازية فى (المانيا) قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية .. كعنوان للحزب الهتلرى المتطرف فيها ، وشتان بين الاسمين والغرضين ! وانما هو فى اعتقادى مجرد توافق فى الالفاظ .

ومع ذلك فهل نجد من ادباء بلادنا فى تلك الجهة من يكشف لنا علة هذه التسمية العربية .. أما الالمانية فليس بنا حاجة إلى تعليلها جملة وتفصيلا .. فقد حمى الله احب بلاد الله اليه وما حولها من كل ما منى به سواها من الاهواء والنزعات ! واختصها بالحنيفية البيضاء .. ليلها كنهارها والحمد لله رب العالمين .

١٠٣١ الشاشى والشاشة

لا يزال هذا الاسم دارجا حتى يومنا هذا ويطلق على نوع رقيق من النسيج .. ويغلب استعماله فى (**الكلل**) أى (**الناموسيات**) .. وفى ثياب الصيف .

فما أصله وما هى علة تسميته بذلك ، قرأت فى كتاب «رسوم دار الخلافة» **للصابى** (٣٥٩ — ٤٤٨ هـ) « أنه كان فى عصره غطاءاً

للرأس وهو ما نسميه اليوم (بالكوفية) .. يطلق عليه (الشاشية) .. يعم عليها وهى من مصنوعات بلاد (الشاش) فى المناطق الشمالية من خراسان » . وبقيت متداولة أو مستعملة حتى غلبت (الكوفية) .. وبالطبع فان ذلك نسبته إلى مدينة (الكوفة) اما ابتكارا وصناعة ، واما استعمالا وتداولا . وأخيرا تطور الاسم فشمل غير غطاء الرأس وأصبح عاما لكل ما هو رقيق .. أو شفيفا .. ولو صنع فى اقاصى بلاد الدنيا — أو فى « مانشستر » أو « **كاليفورنيا** » .. وهكذا نجد كثيرا من هذه المرافق .. ذا أصل شرقى أو اسلامى أو عربى عريق . وقد اكتشف الاستاذ **عبدالعزيز الرفاعى** .. أصل (**اللاس**) وهو « **اللاذ** » .. ولعل فى نشر مثل هذه الطرف .. بعض التفكيه أو الملاذ .

(١٠٣٢) من علماء مكة المكرمة الشيخ احمد الفقيه

الخطيب المصقع

قرأت فى كتاب أمير البيان للمرحوم الأمير **شكيب ارسلان** « **شوقى : أو صداقة اربعين سنة** » المطبوع سنة ١٣٥٥هـ — ١٩٣٦م — عند حديثه عن حرب البلقان — واسترداد العثمانين (أدرنه) هذه العبارة فى صفحة ٢٨٢ منه : قال — تغمده الله برحمته :

(ولما ذهبنا إلى أدرنه كما سبق الكلام عليه شهدنا صلاة الجمعة فى جامع **السلطان سليم** وهو من الجوامع الكبرى فى العالم الاسلامى لا ينقص جلالة عن (**السليمانية**) و (**الفاتح**) و (**السلطان أحمد**) وغيرها فى الاستانة . وازدحم الجمع فى تلك الجمعة لما بلغ أهل ادرنه مجىء وفد عربى يهنئهم بالرجوع إلى الدولة . وكنا قد استصحبنا من استانبول صديقنا الاستاذ الشيخ (**أحمد الفقيه**) من علماء مكة المكرمة ، ومن افصح الناس لسانا واشجاهم صوتا ، وكان فى القديم اماما **للشريف عون الرفيق** أمير مكة ، فالشيخ **أحمد الفقيه** رحمه الله .. خطب فى تلك الجمعة على منبر جامع **السلطان سليم** ، واستنزل العبرات فى خطبته المؤثرة ، وكان للناس فى أربع زوايا الجامع نشيج وشهيق من ذكرى الفجائع التى حلت بالاسلام ، وخروج ذلك البلد من يد الدولة ، ثم من ذكرى استرداد الدولة له — وتبدل ذلك المأتم عرسا ، وذلك الخوف أمنا ، وتلك الوحشة انسا) . اهـ

قلت : هذا ما أشار اليه ونوه به وأكبره وقدره أمير البيان .. وهو من هو فى مكانته العليا من الادب والعلم والذوق الرفيع ، مشيدا بأحد الافذاذ من ابناء مكة المكرمة .. وقد كنت سمعت الكثير من نوادر هذا « الشيخ **أحمد فقيه** » من سيادة المرحوم السيد **عبدالوهاب** نائب الحرم .. ولا سيما اثناء امامته أو مرافقته **للشريف عون الرفيق** — رحمه الله — مما يدل على ما كان يتحلى به من احاطة بالادب وتضلع فى العلم ومن ذكاء خارق وبديهة مواتية . ولعل ترجمته قد دونها المعنيون بالتاريخ بصورة تتجلى بها ومعها مواهبه النادرة ومميزاته الكثيرة .. فهو وامثاله من مفاخر « **أم القرى** » عليها وعليهم سلام الله ورحمته وبركاته .

١٠٣٣ (عرار نجد)

اطلعت على رسالة الاخ الاديب الاستاذ (**عبدالرحمن ناصر عبدالكريم**) من الباحة فى سراة الحجاز .. المنشورة فى بريد المنهل الاغر بالعدد (٥) جمادى الاولى سنة ١٣٨٩ هـ وتساؤله عن ابيات الصمة القشيرى .. التى منها :

تمتـــع من شميم عرار نجد
فما بعد العشيـة من عرار

وما تعنيه كلمة « عرار » ؟ .. وانى اذ أشكر له حسن ظنه .. اقول :

ان (العرار) فى نجد .. من أشهر زهور الربيع .. وهو « بهار ناعم اصفر ، طيب الرائحة ، وهو النرجس البرى والواحدة (عرارة) » .

فأما هذا الشاعر « **الصمة** » فهو (ابن **عبدالله بن الطفيل بن مرة بن هبيرة القشيرى** شاعر اسلامى ، بدوى مقل من شعراء الدولة الاموية ، ولجده **قرة بن هبيرة** صحبة مع النبى ﷺ ، وهو أحد وفود العرب عليه ، وكان **الصمة** يهوى ابنة عم له يقال لها « **العامرية** » أوثر عليه فى تزويجها غيره ، لان عمه لؤم فى السماح بالمهر ، وكان قد اشتط فيه ، ولؤم أبوه فى اكماله .. فانف **الصمة** من فعلهما وخرج إلى طبرستان فأقام بها إلى ان مات :

وحكى **ابن دأب** : ان **الصمة** هوى امرأة من بنى عمه يقال لها : « **العامرية** » **بنت عطيف** ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه بها : وخطبها **عامر بن بشر الجعفرى** فزوجه إياها ، فلما بنى بها زوجها وجد بها وجدا شديدا ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها « **جبرة** » فأقام معها يسيرا ، ثم رحل إلى الشام غضبا على قومه وقال :

لعمرى لئن كنتم على النأى والقلى
بكم مثل ما بى، انكم لصديق
اذا زفرات الحب صعدن فى الحشى
رددن ، ولم ينهج لهن طريق

وقال ايضـــا :

اذا ما اتتنا الريح من نحو ارضكم
اتتنـا برياكم قطاب هبـــوبها
اتتنا بريح المسك خالط عنبرا
وريح الخزامى باكرتها جنـوبها

وحكى عن رجل من اهل طبرستان ، قال : بينما أنا أمشى فى ضيعة لى فيها اسواق من الفاكهة والزعفران ، واذا بانسان مطروح عليه أثواب خلقان . فدنوت منه فاذا هو يتحرك ويتكلم ، فأصغيت اليه ، فاذا هو يقول ، بصوت خفى :

تعز بصبر ، لا وربك لا ترى
سنام الحمى اخرى الليالى الغوابر
كان فؤادى من تذكره الحمى
وأهل الحمى — يهفو به ريش طائر

فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه ، فسألت عنه فقيل لى : هذا **الصمة بن عبدالله القشيرى** ، اهـ .

أما الابيات التى منها (تمتع من شميم عرار نجد) فهى :

أقول لصاحبـى والعيس تهوى
بنـــابين المنيفـــة ، فالغمـــار

تمتـــع من شميم عرار نجد
فمـا بعـد العشيـة من عرار
وأهـلك اذ يحل الحى نجدا
وأنت على زمـانك غير زار
شهـور ينـقضين ، ومـا شعرنـــا
بانصاف لهن — ولا سرار !
فأمـا ليلهـن — فخير ليـل
وأقصر — ما يكون من النهار

هذا — وقد سبق ايراد الطرفة عن **الصمة** فى الشذرة ١٠١١ — فى عضه الكلب الذى كان قد عضه قبل ذلك بأيام !

فعسى أن أكون بهذا قد وفيت الاجابة لاخى الاستاذ (**عبدالرحمن ناصر عبدالكريم**) وقد كلفتنى الاجابة بعض الوقت والعناء .. لمراجعة المصادر المختلفة ومنها (معاهد التنصيص) للعباسى المتوفى عام ٩٩٣ هـ و (الاغانى) **للاصفهانى** .

وتحياتى إليه وإلى اخواننا جميعا فى بلاد « **الخليل بن أحمد** » .. والطفيل .. وأعلام الادب الاولين ، وحفاظ التراث العربى الثمين ، والله مع المحسنين .

١٠٣٤ تعقيب من السراة

« التوى والأوى أيضا »

حمل إلى البريد رسالة كريمة من أخ كريم هو الأستاذ الشيخ **على بن صالح الزهرانى** — من موظفى إمارة منطقة (الباحة) بالحجاز مؤرخة فى ١٣٨٩/٤/٢٠ هـ هذا نصها :

« أبعث إليكم بتحياتى وتمنياتى من أواسط جبال السراة — سراة الحجاز التى ينسب إليها **أبو هريرة** رضى الله عنه ، **والخليل بن أحمد الفراهيدى وعامر بن الطفيل ، وظبيان الأعرج** .. مقرونة بدعائى لكم بدوام الصحة والعافية وطول العمر المديد فى هناء ومسرة إن شاء الله .

سيدى الجليل : اننى من المتابعين لما تكتبونه من (شذرات) فى مجلة المنهل الأغر .. وقد قرأت ما كتبتموه عن الخليل ابن أحمد الفراهيدى (الجزء السادس من المجلد (٢٧) لشهر جمادى الثانية عام ١٣٨٦هـ .

إن هذا الحب لأبناء جلدتكم ليدلنا على الوفاء منكم وإحياء تراثهم وأمجادهم حفظكم الله وأدام توفيقاتكم .

هذا — وقد قرأت فى عدد المنهل فى الجزء الرابع من المجلد (٣٠) لشهر ربيع الثانى ١٣٨٩هـ بعنوان — (التوى — والأوى) — « ان التوى التى تعنى الخسارة والضياع والهلاك قلما يستعملها الناس فى بلادنا إلا المتأدبين » أما (الأوى) فقد أعياكم الوقف على أصل له بالمعنى المتداول ، رغم أنها لا تكاد تمر ساعة إلا وتنطلق به قذائف الأفواه !

ويسرنى أن أعرض لأستاذى الأجل بأن « التوى » مستعملة عند أحفاد **الخليل بن أحمد بعامة** ، وهى تعنى الهلاك ، فتقول الأم أية أم مثلا لابنها عندما يبكى أو يصاب بأذى : (توانى الله عنك) . « الله يجعلنى بالتوى عنك » كما يقول الإنسان عندما يسقط من مكان : (بغيت أتوى) .. وعندما يضرب من آخر يقول : « بغى يتوينى » وتستعمل للدعاء على العدو : « الله يتويه . وتواه الله » .

أما « الأوى » فاستعمالها يتفق مع ما كتبه الأستاذ الجليل البحاثة « **عبدالقدوس الأنصارى** » تعليقا على ما كتبتموه ، كما أنها تستعمل بمعنى السكون .. والبقاء فى الدار كما توقعتموه .. فتقول الأم لابنها إذا حاول أن يخرج من البيت للأذية : « أوه » بمعنى أسكن .. وابق فى البيت ، وللعدو « الله يجعلك بالأوى » .. أى بالإقامة الدائمة فى بيته .. أو المكان الذى هو فيه » .

أرجو قبول مشاركتى المتواضعة ، وأنا أعلم أننى بالنسبة لعلمكم وعمق بحثكم بمثابة « السلالة » فى الوادى ، « سلالة من طين » .. وتستعمل هذه الكلمة هنا بمعناها الحقيقى .. فيقول الواحد منا لصغار الرمل الطينى « سلالة » أو « سليلة » .

وختاماأكرر تمنياتى لكم بطول العمر المديد فى هناء ومسرة ، ليتأدب بأدبكم الرائع أبناء هذا الجيل الذين يحاولون إستيراد ثقافات غربية لجهلهم بثقافات أجدادهم الأوائل الذين أوردتم بعضها فى « شذراتكم » والسلام . اهـ

وأقول : شكرا لك أيها الأخ العزيز والأديب المتمكن ، والمعتز بمآثر آبائه وأجداده من أقحاح العرب وأفذاذهم الذين خلفوا لنا من التراث العلمى والأدبى ما تزدان به مكاتب الشرق والغرب وانشد معك قول الشاعر :

ورثناهـــن عن آبـــاء صدق
ونورثهـــا إذا متنـــا بنينـــا

ولئن مضى زمن طويل ــ على بلادنا الناهضة ــ كانت فيه محجوبة الأنظار عن مجدها الأثيل .. ومآثرها الجليلة .. ومواهبها الجزيلة .. فقد أماط الله عنها كل غشاوة .. وأزال عنها كل عقبة .. وها أنت تراها فى جنبات السراة ، أمامك وما يحيط بها من الربوع والرباع .. والأصقاع والبقاع وفى أكواخها وقراها .. وبدوها وحضرها وسهلها وحزنها .. وطولها وعرضها تحث الخطى ليل نهار ــ فى ظل طويل العمر المفدى ــ **مليكنا الفيصل العظيم** ــ (حفظه الله) لتدرك ما فات عبر القرون الطويلة الراكدة .. وانها لمن المعجزات هذه الأشواط البعيدة التى قطعتها الأمة نحو التقدم العلمى والأدبى والاجتماعى والصناعى والزراعى .. وما تزال الأفواج تتلو الأفواج ومن جميع الفجاج فى بعثات مختارة .. تخوض البحار والمحيطات والأجواء .. لتستوعب من العلوم الحديثة ما يجعلها بحول الله وقوته .. فى مقدمة الركب الحضارى وحاملة لألويته على هدى من الله ورضوان .. وعلى دعائم وطيدة من المثانى والقرآن .. وسنة من أرسله الله رحمة للعالمين .

وطوبى لنا نحن أبناء هذه المملكة الفتية المتطورة .. بهذا الانطلاق السليم القويم الذى أخذت بشائره .. تتألق بها بطون الأودية وشعاف الجبال .. ومهما تمسكنا بديننا الحنيف وشرعنا القويم وأخلاقنا العربية الزاكية .. فإننا لفى حرز حريز بحول الله وقوته من كل ما يفتن الناس فى دينهم ودنياهم والله مع المتقين . ولتطمئن أيها الأخ الكريم ولتقر عينا فان شبابنا ولله الحمد والمنة قد صانهم الله وحماهم وجعلهم خير خلف لخير سلف فى الداخل والخارج والطلب والإنتاج والانتهاج وما منهم إلا من تناط به الآمال وتصلح الأقوال والأعمال إن شاء الله .. ونحمد الله تعالى ونشكره على نعمه التى لا تحصى .. ونسأله الهداية والتوفيق ــ وأن يجعلنا من عباده الصالحين .. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

١٠٣٥ فيفاء الغزال - والرين - والنازية -

تناولت رسالة كريمة من الأخ الجليل الشيخ **حمد محمد العبيدى** — بمديرية الشؤون الزراعية — بالمنطقة الغربية وذلك بتاريخ ١٣٨٩/٥/١٢ هـ ، تتضمن المعلومات القيمة الآتية عما جاء فى الشذرة (١٠١٨) عن (فيفاء الغزال) — والشذرة ١٠١٩ عن (الدار البيضاء) .. والشذرة (١٠٢٨) عن (الرين) .. والشذرة (١٠٣٠) عن (النازية) . وتعميما للفائدة المتوخاة آثرت المبادرة بنشر ذلك كما أفضل به سيادته مقرونة بالشكر والتقدير .

قال سيادته ما ملخصه ، تعليقا على الشذرة (١٠١٨) :

أولا — أنه يعرف موضعا يسمى (فيفاء غزال) ويقع فى (وادى الفرع) ما بين قريتى (المضيق) و (كحل) .. وقد وصفها (**كثير عزة**) حيث تقع فى بلاده .. وذلك بقوله :

أناديك ما حج الحجيج وكبرت
(بفيفا غزال) رفقة وأهلت

وأردف ذلك بقوله : ومعلوم أن التكبير والاهلال بالحج والعمرة قد يقع قبل مكة أو خارجها على الأصح هذا للقادم ، ومن ذلك يثبت أن (فيفاء الغزال) ليست فى مكة المكرمة كما جاء فى القاموس .

ثانيا — وتعليقا على الشذرة (١٠١٩) حول « الدار البيضاء » قال بارك الله فيه : « أعرف قرية تعرف باسم الدار البيضاء ، وتقع فى (بلاد غامد) .

ثالثا — وتعليقا على الشذرة (١٠٢٨) حول « **الرين** » قال : الرين هجرة تقع قرب « العرض » فى جنوب نجد ، تابعة **لقحطان** ، و « الرين » اسم لنبات فى العائلة الخبازية ، ينمو فى بعض جهات نجد والحجاز ، ويسمى فى الحجاز « العرين » ، قال : والذى أعرف أنه ليس للرين أسم أو معنى معروف فى اللغة الفرنسية حسب ما علمت ممن أعرفهم من الفرنسيين .. غير أن كلمة « رينوس » فى اللغة اليونانية القديمة تعنى « الأنف » . والرين هو النهر المعروف فى المانيا وشرق فرنسا إلخ .. اهـ

رابعا — وعن الشذرة (١٠٣٠) قال : حول النازية : أن المعروف فى لهجة البادية أن النازية تعنى العالى .. أو المرتفع كذلك تقول العرب نزا الحصان على الفرس بمعنى شب عليها للقاح .. وقال البكرى : على لفظ فاعلت نزا ينزو .. طفر ووثب .

وجاء فى كتاب « **ابن الأصبغ السلمى** » أن النازية عين كانت فى « قرية الصعبية » إلخ .. وقرية الصعبية معروفة للآن قرب « المهد» وهى تابعة لقبيلة « مطير » .

قلت : وبهذا يستطيع القارئ الكريم أن يضع أصبعه على ما تساءلت عنه فى مكانه من بلادنا العزيزة .. وشكرا وتقديرا لأخى الكريم الأستاذ **حمد محمد العبيدى** ونفع الله به أهل العلم والأدب فى جزيرة العرب .

(١٠٣٦) للتفكيه والترفيه

سمت من إذاعة لندن العربية بعد مغرب يوم الثلاثاء ١٥/٥/١٣٧٩ هـ ،تسجيلا لأحاديث قيمة تتصل بتثقيف الشباب فى المغرب العربى الشقيق .. ولأول مرة فوجئت بسماع بيت شعرى ، تمثل به مسؤول كبير هناك فى عرض كلامه ولا أدرى لمن هو ؟ قال :

إذا الحمار ــ والحمار سيقا
علمه الشهيق ، والنهيقا !

وإنما يقصد بذلك ضرورة وقاية النشء أثناء الفراغ والانطلاق فى الشوارع ، من مصاحبة من لا خير فيهم وقديما قال الشاعر العربى القديم فى هذا المعنى :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

وراق فى الحال تشطير البيت بما يتم به معناه . فكان كالآتى :

إذا الحمار والحمار سيقا
وشبعا ــ والتهما (العليقا) !
وصاحب الجحش أخا طليقا
علمه الشهيق ، والنهيقا

أما الباعث على هذا التشطير .. فهو (العليق) لمواءمته وملاءمته للقافية من جهة ؛ ولأن (الحمارين) إذا شبعا بطرا .. وانطلقا يعبثان .. ويصخبان ! ويشهقان وينهقان !..

غير أنه لا يألف الحمار إلا الحمار ! ولن يصدق ذلك فى الواقع على ابن آدم إلا إذا أساء الاختيار ، وأكاد أطمئن إلى أن هذا الصنف قد انقرضت سلالته ! ولا مكان له إلا بين الحيوان ، وحاشا منه الإنسان !. وللمفاكهة والاطراف .. (فقط لا غير) ! كانت هذه الشذرة .

(١٠٣٧) « دقوا ساكت »

هذا مثل أكثر ما يلتفظ به اخواننا المواطنون من « التكارنة » وعلى الأصح (الأفارقة) قبل أن يتمكنوا .. وهو إذا نطق به صحيحا معربا ، كان (دقه ساكتا) .. وهو يعنى أنه لا حاجة للجدل واللجاج .. والأخذ والرد .. والشتم والسب !.. وما عليك لتفلج خصمك وتحمله على احترامك والتهيب منك إلا أن تسدد إليه لكمة شديدة أو صفعة سديدة تطرحه أرضا .. أو تشبعه رضا .. فأما مساجلته فى النقائص .. أو النقائض .. فلا ثمرة لها ، وتدل كل التجارب فى التاريخ القديم والحديث ، على صدق هذا المثل .. على أن لا يكون الدق ساكتا اعتداء .. أو بدون مبرر .. فأما أن يكون دفاعا .. فما أجدره بالتطبيق ، دون أى نعيب أو نعيق ! وهذا هو ضعف الرجولة والبطولة والفحولة ، و « **اياكم وغضب الحليم** » ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(١٠٣٨) حلق ــ حوش

تجرى هذه الجملة مجرى المثل فى بلادنا ولا أدرى أول عهدها بها .. فما فى كتب اللغة أصل لها ولا فى معروفات الأمثال المضروبة الأصيلة والدخيلة !

وبالتأمل يظهر أن كلمة (حلق) أى ضم ما حولك من النعم .. أو السخال أو الرخال ! واستدر عليهم .. ثم (حوش) أى حشهم ..

بضم الحاء وسكون الشين إلى مزاربهم .. أو مرابدهم ! — والمثل فى جملته شائع بين أوساط العامة .. وإنما يعنون به أن من يحلق عليهم أو يحاشون إنما هم من الحيوان ، لا بنى الإنسان ..

كما كان يقال فى معناه « الحج كله ططر » وأصله .. (تتر) ! أى ممن لا يعبأ الله بهم من الغوغاء .. وما كان ذلك صفة للحج .. (معاذ الله) .. وإنما كان إطلاقه قديما .. على الحجاج الذين تغلب عليهم أخلاق المشاكسة .. والمعاكسة .. والمماكسة .. والمنافسة .. ويخالفون قوله تعالى : ﴿ **فلا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾ .. والله أعلم .

(١٠٣٩) « سردان طاح على بردان »

انه مثل يضربه الناس فيمن يتماثل منهم فى الأتراب أو المتربة .. ويقابله فى الفصيح .. « أن الطيور على أشكالها تقع » وهو شطر بيت شعرى منظوم .

أما (**سردان**) .. فهى محرفة مع الزمن على ألسنة العامة .. فإنها (**صردان**) بالصاد لا بالسين ؟ وهو مرادف بردان .. إلا أنه أشد ارتعاشا منه غالبا .. أو انتفاضا .. وأحوج إلى التدفية ! ومعناه واضح .. فما يزيد أحدهما الآخر الا « **ضغثا على ابالة** » !

(١٠٤٠) كبب - وليس يطلع كويس

وهذا مثل رابع يخلو منه المجتمع .. ويقصد به .. العمل المغشوش غير السليم . وما يقوله محبذ له .. أو جانح إليه .. أو راض عنه .. فالكل ينكره .. وفى انكاره .. يقوله لمن لا يحسن ما يصنع .. ساخرا به هازئا منه وعليه .. وأكثر ما يصدق على باعة ما (**يكبب**) ولا يدرى ما فى باطنه من صالح أو طالح .

أما التلبيس .. فهو قابل للغش من حيث الخدمة .. والدقة .. والمؤونة التى تخفى وراءه .. بعض حين .. ثم يفضحها الزمن أو طول الاستعمال . « والدين النصيحة » .. « **ومن غشنا فليس منا** » .

(١٠٤١) عميا - تحفف - أو تحفحف مجنونة

وتقول لها : حواجبك سود ومقرونة

من حق كل ما يجرى على ألسنة أهل زماننا أن يسجل .. ولو كان تافها .. لتعلم الأجيال القادمة ما بقى منها وما اضمحل .. ومن ذلك هذا (المثل) ! وهو فى غنى عن التفسير أو التوضيح .. وتجمع بين الغرابة والعجب .. والحفحفة هى معالجة تنسيق (الحفة) فى جبين الحسناء .. وقد تطورت بها الأوضاع .. حتى اختفت الضفائر .. والفروق . ولولا الغسق .. ما تميز الشروق ، وسقى الله عهد المحارم

والقرعات .. و « نصبة القهوة » و « الفلات » (بضم الفاء) فقد أخنى عليها .. ما طوى معها الرباعي والغلايات ، والبراقع والملايات .. والشبوك و « الكبريتات » !

(١٠٤٢) مشي يوم ـ ولا طلوع كوم

وركوب على الخنفس
ولا مشي على الديباج

مثلان سائران ـــ قديمان ـــ غير مدونين .. فيما قرأت ! فأما الأول فاحسبه نتيجة توصية طبية .. من نطاسي بارع .. وهو ينصح بالمشي في السهول والحقول ، ويمنع من الصعود إلى الجبال والدحول ! سيرا على الأقدام !

أما الثاني ـــ فأعتقد أن الذي قاله ـــ كان قد تجاوز الثمانين .. (وبلغتها) ! فما به إلا أن يحمل حملا ! وقد أذكرني هذا بأيام الصبا .. يوم كنا نتمشى في الأصائل .. بعد « القيلة » من بطن أجياد إلى القشاشية .. ثم سوق الليل والغزة ثم (المعلا) أو (المعلاة) ثم (المعابدة) .. ثم الأبطح .. ثم (العدل) ثم (خريق العشر) ثم « الشهداء » سيرا على الأقدام ـــ وبالجبب والعمائم والشماسي أيضا .. والكنادر والشراريب !.. وتستغرق هذه الرحلة نحو أكثر من ساعتين .. وفي (الزاهر) نصنع العشاء .. ونسمر ونمرح .. ونطرب .. ونعود تارة أخرى إلى دورنا في بطن مكة .. إذا انتصف الليل .. وما يخلو سيرنا من ركض وهرولة .. وحديث ومفاكهة .. ومسابقة .. وكان بوسعنا أن نمتطي الدواب .. ولكنها (فورة الشباب) .. فلا نشتكي من المفاصل ولا نكترث بالعراقل ، ومنا من هو في سنه قد تجاوز الخمسين أو الستين وما يزال منهم من أشرف على التسعين ثم ماذا ؟ ركبنا السيارات وتعقدت العضلات ـــ وتعرضت الكروش .. واستعصى على الهضم حتى المنفوش ! ومن المأثور قول الأقدمين من ترك المشي تركة المشي !..

﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ .

(١٠٤٣) تغدى ـ وتمدى وتعشى ـ وتمشى

بذلك ينطقها القوم .. ومدلولها واضح لا يحتاج إلى بيان ! وأرى أكثرهم قد تعودوا على الأولى .. وحملوا المشي ـــ ما ليس منه ـــ فهو في عرفهم .. التمطي على أريكة السيارة .. والانطلاق بها .. كما لو كانوا في بيوتهم .. قابعين .. وعلى وسائدهم متكئين وهم في ذلك معذورون .. فان الظلال لما تمتد .. والمرور ما زال يعاني من جهل المارة .. أو طيش العجلات ؟.. وأفضل طريقة لتيسير المشي على الأقدام الخروج إلى الضواحي ..

قبيل غروب الشمس (صيفا) .. وترك السيارة .. على مدى ميل على الأقل ! والتردد إليها ومنها عدة مرات وبما استطاع أخو (الروماتزم) ! وأفضل في ذلك أن يطوف بالبيت الحرام .. وفي غير أوقات الازدحام .. ويكسب بذلك الأجر والثواب ! وإن في ذلك لذكرى لأولي الألباب !

(١٠٤٤) قال : اطبخي ياجارية قالت : كلف ياسيد

سمعت هذا منذ الصغر .. ومن عجائزنا المستنيرات .. وهو يعنى أن المرء إذا أراد أن يجد طعاما شهيا .. فإن عليه أن يحسن اختيار (مقاضيه) بنفسه .. فلا يبعث خادمه ليجمع له ما (شاح وما لاح) من عرض السوق .. وربما وفر ما يدخل جيبه وان حمل ما لا يصلح من لحم أو خضراوات ، أو فاكهة ! ومع ذلك .. فقد تعذر على الأكثرين القيام بأنفسهم بهذه المهمة .. واستوحش أو تأفف .. أو تعفف (لا أدرى) بعضهم على أن يغشى « الماركيت » أو « المنشية » أو « سوق الخضار » ليحسن بنفسه الاختيار ، وحينئذ فلا لوم على الطابخة .. ما دامت مشترواته — بائخة ؟.. وليته مع قيامه بذلك .. يرضى ولا يسخط .. ويسكت ولا يشخط ! و « نعم الأدام الجوع » .. لمن عرف الكوع من البوع ! « والكتوف من الضلوع » ! ومن لم يفته « العيش أبو اللحم » فى آخر ربوع !

(١٠٤٥) الشنك ـ ماهو ؟

قرأت فى مقال للأستاذ الجليل العلامة السيد أحمد على نشر فى مجلة المنهل الغراء بعنوان (صور من الحج فى القرون الماضية) بعدد شهر ذى الحجة ١٣٨٨ (الممتاز) — جملة — استوقفنى ما جاء فيها ، وهى قوله نقلا عن كتاب (درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحج وطريق مكة المعظمة) — « النفطى » — وهو الرجل المختص بتنظيم ألعاب نارية ، وذكر المؤلف أنها تقام أولا فى (بركة الحاج) ، وثانيا فى (ينبع) . وثالثا هى الكبرى فى (منى) ليلة النفر ، ورابعا عند (عقبة مكة) فى العودة .. اهـ

قلت : أنه يحكى ذلك عما كان فى القرن العاشر الهجرى ، وأعقب عليه بأننا أدركنا هذه الألعاب نفسها (بمنى) وفى ليلة النفر أيضا — ويقيمها أمير الحج المصرى .. وأيضا أمير الحج الشامى .. ويكون لها شأن أى شأن ! وهى عبارة عن صواريخ تطلق فى الفضاء .. وتنتشر بأشكال هندسية جميلة .. وترتفع إلى أبعد مدى ممكن ثم تتساقط منها الشظايا كالنجوم الهادئة ، وربما وقع بسببها بعض الأذى على الخيام ، أو المتفرجين أو المارة .. وكان آخر العهد بذلك فى نهاية العصر العثمانى عام ١٣٣٣هـ . ويتكرر ذلك بصورة مصغرة بمنازل أمراء الحج بذى طوى والزاهر .. ويسمى (بالشنك) — بكسر الشين والنون وتشديدها — وربما كانت الكلمة تركية أو فارسية أيضا وتعنى الاحتفال !

(١٠٤٦) تفضلوا ـ بعد الظهر

قد لايكترث أكثرنا بهذه الشذرة .. رغم الأهمية الكبرى التى تتصل بها أو تترتب عليها .. فإن دعواتنا توجه دائما وأبدا ليلا أو نهارا بالاطلاق ودون أى تقيد بساعة محددة ! فبعد الظهر .. وبعد المغرب .. وبعد العشاء .. كل أولئك يصدق على ما يصل إلى الفجر .. ولو كان من منتصف النهار !

يا اخوان .. ان من الناس من هو سقيم أو عليل أو على حمية أو علاج محدد الاستعمال ! أو عمل تقيد فيه بوعد مقرر .. ويفوته بالتهاون فيه

خير كثير .. أو يلحقه شر وفير .. وهناك الشيخ الكهل والذى لا يستطيع السهر الطويل .. أو الانتظار الممل ! لماذا ؟ لأن أحدهم لم يحضر .. لعمل أو معذرة تخصه .. ولا بد من انتظاره ..

ولو صامت الأمعاء .. وتحطمت الأعصاب ، ولا نفترض أو نفرض على الداعى أن يهمل من دعاه .. فهو مكلف بأن يتحراه وينتظره حتى يراه ! ولكن الحلقة المفقودة .. أو البلاء الذى ما زال جاثما على هذه الدعوات هو عدم تحديد الزمن بالساعة . فإذا تجاوز الوقت .. كان للداعى

عذر فى عدم انتظار .. وللمدعو عذره فى عدم الحضور .. هذا إذا لم يتقدم بمعذرة فى الوقت المناسب . وما لم يحدد الوقت بالساعة والدقيقة فإن المشكلة ستظل قائمة بدون حل وتكون لها مضاعفات لا تخلو من الازعاج والاحراج ! ولا سيما فى دعوات (**الاملاكات**) والزواج ، وما أحسب العقلاء جميعا إلا مؤمنين بهذا الاستنتاج فهل من مدكر ؟..

(١٠٤٧) ما هى المباريش ؟

قال فى (النور السافر) .. (وفى يوم الأحد سابع ٣٠ شهر صفر سنة ٩٣٣هـ توفى العارف بالله الشيخ **محمد بن على بن عراق الكنانى** الشافعى بمكة المكرمة) وبعد أن ترجم له أورد هذه الطرفة عنه : (وحكى أنه سئل عن (**الشوى**) الذى يصنعه الحضرميون المسمى عندهم (**المظبى**) .. أتقول به معنى يعجبك ؟ فقال : حتى أذوقه ! فلما ذاقه ، قال : نعم أقول به ــ أقول به ! وأورد بيتين للأديب **جمال الدين مخدوم زاده** وهما :

ان المباريش لها لذة
تفوق لذات الشوى والكباب
ولذة (الوقصة) لا تنسها
وهى التى تنسيك شرخ الشباب

قال : والحضارم يسمون ما يشوى من سواد البطن ونحوه (المباريش) . ومن عادتهم أنهم إذا جلسوا على أكلة يشرع أحدهم فى قطع اللحم فيدور فيه على الجماعة فيدفع إلى أحدهم قطعة ويصنع بالآخر مثل ذلك ومثله بالآخر إلى أن تعود نوبة الأول فيعطيه ، ويستمر كذلك إلى آخر أكلهم ويسمون ذلك الأكل على هذه الكيفية (**الوقصة**) ، ويجدون لذلك لذة عظيمة لا يعدلها لذة أخرى . اهـ

قلت : هكذا كان طعام المباريش قبل أكثر من أربعمائة عام ولقد أدركنا ذلك منذ النشأة .. فكانت لا تخلو مكة أو جُدَّة وجميع المدن من حوانيت خاصة بهذا الطعام اللطيف الخفيف .. ويطلق على الواحد منها (**المسلاتة**) أى التى تصنع (**السلاة**) .. وكان منها عدد كبير فى جميع المحلات ويغلب وجودها مجتمعة فى سقيفة (**البصرى**) بالسوق الصغير .

وكانت تسدل على أبوابها الستائر الحمراء .. وإذا دخل (الزبون) إليها .. تفرس فيه البائع الذكى وأسعفه بدور مترادف من (**القدحان**) أو الأقداح الصغيرة وبكميات لا تتجاوز القطع فيها من اللحم المختار عدد أصابع اليد الواحدة .. مما يسيل به لعاب الجائع .. ويزيد من شهيته ! وما يزال يناوله قدحا بعد آخر حتى يشبع ويكتفى ! ويمزجها بشىء من (**القصبان**) أو « **العصبان** » ! ومن الزبائن من كان يصحب معه (الحلوى) من العسل والقشطة .. أو العنب أو

اللبن .. ولا يكاد يبلغ ثمن الغداء الكامل من ذلك القرشين أو الثلاثة إلى الأربعة على أوسع تقدير وذلك طبعا قبل نحو خمسين سنة ! ومن العوائل من يبعث الخدم لحجز كميات محدودة .. مهما بلغت بعد الانضاج .. إلا أنها أشد رغبة وقابلية من فوق الحجر مباشرة ! ثم توارت وزالت كأن لم تكن ! رغم تضاعف عدد اخواننا المواطنين من الحضارم الأكرمين ! فهل لها من مرد كما كانت ؟ أم قد أصبحت فى خبر كان ؟! هى وأخواتها من حوانيت الكباب الشامى والهندى والباكستانى السواء !

(١٠٤٨) هل عمك موجود ؟ لا : (ندر)

هكذا يكون الرد — فى مثل هذا السؤال وأمثاله .. فنستعمل كلمة (ندر) مكان (خرج) .. وما كانت فى أصلها تعنى إلا السقوط .. فقد كان **أبو سفيان صخر بن حرب** (شيخ مكة) ورئيس قريش الذى أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وتوفى بالمدينة المنورة سنة ٣١ أو ٣٤ ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وقيل ابن بضع وتسعين سنة .. كان قد شهد غزوة (الطائف) مع رسول الله ﷺ ، فرمى يوم ذاك (فندرت) عينه — أى سقطت .. فقال له النبى ﷺ وعينه فى يده : أيما أحب إليك ؟ عين فى الجنة ، أو أدعو الله أن يردها عليك ؟ فقال : بل عين فى الجنة .. « ورمى بها مفضلا نعيم الله الباقى » . اهـ

(فى عالم المكفوفين) للشرباصى

قلت : ولو صدر نظام جديد يمنع استعمال كلمة (ندر) إلا فى السقوط .. وأن تبدل بـ « خرج » .. لما أذعن له الذين درجوا على (الندور) . ومن (النادر) أن تجد من يرجح الصواب على الخطأ .. فى مثل هذه الألفاظ المتحورة .. أو المتطورة .

وبهذه المناسبة أتذكر طرفة حكاها لى عمى الخطاط الشهير الشيخ **سليمان بن الشيخ محمد فرج الغزاوى** رحمهما الله ، قال : جاء رجل (يزهم) على ، أى (ينادى) من أسفل الدار يريد مقابلتى .. وعرفت صوته بلحنه .. وكنت حريصا على عدم مقابلته فأشرت على غلام كان لى اسمه (**بشير**) أن يقول له من (الروشان) .. أنه (ندر) ! فذهب مسرعا إليه وفتح النافذة .. وقال له : يقول لك سيدى أنه « ندر » !.. قال الشيخ : فاحتدمت غيظا وكدت أضربه .. لولا أننى استرجعت وقلت : أتضربه على صدقه .. فما قال إلا حقا .. وقابلت الزائر .. واعتذرت منه ! وقضيت حاجته وحكيت له ما وقع ! والعجيب أن ذلك تكرر حدوثه معى بالذات قبل عام واحد !

والآن ما رأى القارئ فى أن نتفق على إبدال (الندور) بالخروج ؟ وهل هو بعد الرسوخ الطويل .. يثبت ويروج ؟.. وأقول سلفا : ان ذلك أعسر من الهبوط على « سطح القمر » أو غزو السماء ذات البروج !

(١٠٤٩) السفح - غير الصافح

يغلب على العامة تعبيرا عن (سفح جبال أجياد بمكة المكرمة .. المؤدى إلى « المصافى » قولهم : « الصافح » ، وصحته : « السفح — أو السافح) والأول أصح !

أما (الصافح) فلا محل له هنا مطلقا .. قال (**جيهاء الأشجعى**) من شعراء (المفضليات) :

ترى تحتها عس النضار منيفا
سما فرحة من بارد الغزر طامح

سديسا من الشعر العراب كأنها
(موكرة) من وهم (صوران) صافح

وقال الشارح ــ الشيخ **أبو بكر بن عمر الداغستانى المدنى** رحمه الله : و « الصافح » الناقة التى لا يجهدها ولدها لكثرة لبنها فيعطب ضرعها ! وفى البيت (موكرة) ، أى موقرة ممتلئة .. فالكاف والقاف فيها سواء وبهذا يكون الوكر .. هو الوقر .. وان كان له معنى آخر .. هو المكان الذى يفىء إليه الطائر .. أى العش .. والله أعلم .

(١٠٥٠) كيف ترد « القدر » بعد الاستعارة ؟

لا تزال فى بلادنا عادة محمودة .. وهى أنه إذا أهدى من احدى الأسر إلى الأخرى (طعام ، أو تمر ، أو حلوى ، أو أية طعمة طيبة) فى اناء ، لا تعيد الاناء فارغا .. بل لا بد من تملئته .. بما تيسر وجوده من الطعام ، أو الطرف ، أو التحف ، مهما قلت أو كثرت ، وغلت أو رخصت ! حتى ولو ولم نجد إلا « سكرا » أو « بن قهوة » عرفنا ذلك قديما .. وما برحت هذه العادة جارية حتى اليوم .. وهى بمثابة الشكر والتقدير .

وقرأت فى قصيدة جاهلية ، **لعوف بن الأحوص** هذين البيتين قال :

فلا تسألينى ، واسألى عن خليقتى
إذا رد عافى القدر من يستعيرها

وكانوا قعودا حولها يرقبونها
وكانت فتاة الحي ممن ينيرها

ترى ان (قدرى) لا تزال كأنها
لذى (القروة) المقرور ، أم يزورها

قال **الأصمعى** ، كانوا فى الجدب إذا استعار أحدهم قدرا رد فيها شيئا من طبيخ ، لقوله : عافى القدر .. لم يجهد أهلها وما اعطوه عنوا . اهـ

قلت : ومن هذا نفهم أن هذه العادة موغلة فى القدم وانها من مكارم الأخلاق التى أقرها الإسلام وأتمها !

وهنا شاهد لا بد من التعليق عليه وهو قوله : **لذى قروة المقرور** ، فإنى أجزم أن تسمية محلة (قروة) فى الطائف إنما كانت بهذا المعنى أول ما سميت بذلك وأنها باردة أكثر من سواها مناخا .. والله أعلم .

(١٠٥١) السواك من عوائد العرب الجاهليين

قال **سويد بن أبى كاهل** فى عينيته الشهيرة التى تبدأ بقوله :

بسطت (رابعة) الحبل لنا
فوصلنا الحبل منها ما اتسع !

(حرة) تجلو شتيتا واضحا
كشعاع الشمس فى الغيم سطع

(صقلتـــه) بقضيب ، ناضر
من (أراك) طيب حتى نصع !

أبيض اللون لذيذ طعمـــه
طيب الريق إذا الريق خدع

قلت : هذا ما جاء فى المفضليات للضبى ، وفيه الدليل الواضح على أن العرب فى الجاهلية كانوا يستأكون .. ثم جاء الإسلام فدعا إلى الاستياك لما فيه من الفوائد التى لا تحصى !.. غير أن « المعاجين » و « الفراجين » زاحمت القضبان والأراك ، وقل بها (السواك) وأحسبه خيرا منها لو تدبرنا ما يحتويه من العناصر الكيماوية المطهرة !

(١٠٥٢) شر الناس

قال رسول الله ﷺ : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

ومن هذه المكارم .. ما كان معروف من أخلاق العرب قبل الإسلام ــ كالشجاعة والشهامة والنجدة والكرم والإباء .

ومن ذلك قول **المثقب العبدى** :

لا تقولن إذا ما لم ترد أن تتم الوعد فى شىء نعم
حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول ــ لا ــ بعد نعم
ان لا : بعد نعم ، فاحشة فبلا ــ فابدأ ــ إذا خفت الندم
فإذا قلت : نعم ، فاصبر لها بنجاح القول ، ان الخلف ذم

إلى أن يقول :

ان شر الناس من يكشر لى حين يلقانى ! وان غبت شتم
وكـــلام سوء قد وقـــرت أذنى عنه ! وما بى من صمم
فتعـــريت ، خشاة أن يرى جاهل ، أنى كما كان زعم

قلت : وهذا مما دعا إليه الإسلام فى كظم الغيظ .. وتحريم الغيبة .. والنميمة ، والإعراض عن الجاهلين كما قال الشاعر الظريف :

قل الخير ، وأمــر بالمعـــروف ، وأعرض عن الجاهلين
ولن فى الكلام لكل الأنا م ، فمستحسن من ذوى الجاه ، لين

وهنا أعيد الكرة فى بيان خطأ شائع .. وهو قولهم ان فلان دائما مكشر .. ويعنون بذلك العبوس والانقباض ، وما هو كذلك .. وإنما التكشير فى الأصل الابتسام ، والضحك .. وإنما خلولط بتكشيرة الأسد التى قال فيها **أبو الطيب المتنبى** :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم ؟!

فانعكس إلى ضده بهذا .

(١٠٥٣) اعتراف ، وشكر ، وتصويب

قرأت ما أفضل به أخى الأستاذ الكريم الشيخ **عبدالعزيز أحمد العويشق** ــ من الرياض ــ فى رسالة إلى « بريد المنهل » الأغر المنشورة بالعدد السادس (جمادى الثانية ١٣٨٩) موجهة إلى أخيه كاتب هذه السطور .. بشأن ما نشر فى إحدى الشذرات سابقا على الطرفة التى رواها صاحب (معاهد التنصيص) .. ووهمت خطأ أنه يعنى بها « **الصمة بن عبدالله القشيرى** » .. وأن الصحيح فيما ذكره **ياقوت** (وصاحب الأغانى) أنها منسوبة إلى النحوى المشهور (**على بن عيسى الربعى**) لا إلى **الصمة** ، وفى الحال رجعت إلى

المصدر — وهو (معاهد التنصيص) .. وأنا واثق أننى إنما نقلت عنه تلك الطرفة .. فإذا بى يسقط فى يدى .. وأطرق أسفا وخجلا من عدم التثبت لظرف طارىء أو شغل عارض .. أو عجلة تعقب الندامة ! ووجدت الحق كل الحق مع الأخ الأستاذ **عبد العزيز العويشق** إذ كان سبب الوهم أو الخطأ .. أن (**العباسى**) .. أورد فى شواهد رد العجز على الصدر قول **الصمة** برقم ١٦٦ — صفحة ٢٥٠ من المجلد الثالث :

تمتـــع من شميم عرار نجد
فما بعـد العشيـة من عرار

وأتبعه بما بعده من الأبيات التى نشرت بالشذرة (١٠٣٣) عن (عرار نجد) بنفس العدد المشار إليه ، وكان فى البيت الأول منها خطأ مطبعى إذا جاء فيه : فالغمار بالغين وصحته — بالضاد — فالضمار ! ثم استطرد العباسى رحمه الله يذكر ما يحكى عن **على ابن عيسى الربعى النحوى** وسرد الطرفة التى شرد الذهن والبصر ، وسبق القلم — خطأ — بنسبتها إلى (**الصمة**) رحمه الله بشبهة أو علة استمرار الكلام عنه ، دون إمعان وتدقيق .

وانى لأتقدم بأعمق الشكر والامتنان والتقدير لأخى الأستاذ **العويشق** ، على تنبيهى إلى هذا الخطأ غير المقصود وأصححه بهذه الشذرة وأقدر وأشكر لسيادته هذه المنة ، وأبرىء معه « شاعر الحنين » من هذه التهمة .. وأستغفر الله من هذا الزلل وقد ملأنى — بتذكيره هذا حرصا على التثبت — والتريث ، وسبحان من له الكمال المطلق وحده .

و « **إنما الأعمال بالنيات** » وأسأل الله تعالى أن يهبنا جميعا الاعتراف بالحق .. والرجوع إليه ، والعمل به ، والحرص عليه ، وشكرا مكررا لك — **يا عبدالعزيز** — وطوبى لك الارشاد إلى الصواب ، وهنا آسف مرة أخرى على ما جاء فى ذيل الشذرة ١٠٣٣ وأنفيه نفيا باتا لأنه بنى على الخطأ الأول .. وكلاهما غير صحيح كما أسلفت . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى القدير .

(١٠٥٤) الود والمعتبة لا يجتمعان

لا جدال فى أن هذا الشعر العربى الأصيل المدون .. كنز لا يقوم بثمن .. وما أجدرنا بدراسته والتمكن من فهمه .. والوقوف على معانيه ومراميه ! قال **يزيد بن (خذاق)** من شعراء المفضليات :

أعددت (سبحة) بعدما ترحت
ولـبست شكـة حازم جلـد !

لن تجمعوا (ودى) ومعتبتى
أو يجمع السيفان ، فى غمد !

(نعمـان) أنك خائـن خدع
يخفى (ضميرك) غير ما تبدى !

قلت : ومن هذا نستفيد شيئا لا يمكن أن يتبدل أو يتحول وهو أن المعتبة .. أو الضغينة .. لا تجتمع مع الود الصحيح أبدا .. وأنهما ضدان لا يلتقيان .. إلا مخادعة .. ومداهنة ! كما نعرف أن استعمال كلمة (الضمير) قد سبقت عصرنا هذا بمئات بعد أن ألف من السنين .. وفى العصر الجاهلى السحيق !

(١٠٥٥) سوى « البطيط »

ولو سألنى القارئ الكريم عنه — قبل وقوف على ما هيته — لغة .. لقلت له : لا أدرى ! فكيف بنا — نقول بين كل ساعة وأخرى : أن فلانا سوى أو عمل (البطيط) دون معرفته ؟

ان « البطيط » كلمة فصيحة عربية صحيحة .. وهى تعنى « العجب » أى أن الرجل أتى بالعجب ! وقفت على ذلك اتفاقا فى « أمالى **الزجاجى** » المتوفى سنة ٣٤٠هـ .

وهذا الرجل اللغوى النحوى الاديب .. صاحب كتاب (**الجمل فى النحو**) وقد ألفه (بمكة) .. وكان إذا فرغ من باب منه طاف حول البيت (أسبوعا) أى سبع مرات ، ودعا الله أن يغفر له وأن ينفع به قارئه . فكان هذا الكتاب كتاب المصريين وأهل المغرب والحجاز واليمن والشام » اهـ

فالعجب هو (البطيط) قال الشاعر :

ألما تعجبى وترى بطيطا
من اللائين فى الحقب الخوالى ؟

قلت : وما هو إلا البطيط . أى العجب . أن نستعملها أكثر من ألف سنة .. بما نضمره معنى ! ولا نفهمه لفظا !.

(١٠٥٦) « كسر العين » في الأضداد ؟

يقولون : كسرت عينه .. أى أذللته .. قولا أو فعلا ! وذلك عكس ما أنشده **أبو بكر بن دريد** :

إذا تخازرت ، وما بى من خزر
ثم (كسرت العين) من غير عور
ألفيتنى ألوى ، بعيد المستمر
أحمل ما حملت ، من خير وشر

يقال انه : ليتخازر لى .. إذا نظر بمؤخر عينه ولم يستقبله بنظره . اهـ

قلت : وقد لا يخلو المجتمع من المتخازرين .. الا أننى لا أكاد أظفر بواحد منهم فى عهدنا هذا ، أما قبل زمن بعيد فقد كان التخازر احدى العوائد السائدة فى بعض الناس ! ترفعا واستكبارا .. وبهذا النص فى كسر العين .. نجد النقيضين قد اجتمعا فى لفظ واحد .. ولا يتميز إلا بالقرينة ، وأن التخازر لصفة ذميمة لا تحمد بحال !

(١٠٥٧) حتى « الفشك » عربي

من المعروف أن عامتنا وخاصتنا يطلقون على ظروف الرصاص والبارود التى تعبأ بها « البنادق » «والمسدسات » اسم « الفشك » ! وكنت أحسبها تركية أو فارسية .. أو أجنبية أوربية .. وفى قراءة خاطفة قاطفة .. وجدتها .. قال **أبو على القالى** فى أماليه : « وقوله (فشقاء أى منتشرة متباعدة) » وقرأت **على أبى بكر بن دريد لرؤبة** :

فبات والنفس من الحرص « الفشق »
فى الزرب لو يمضغ شريا ما بصق !

وهنا توقفت .. وقلت : إذن هذا هو « الفشك»[1] .. لأن الوصف ينطبق عليه فهو منتشر متباعد ، وكثيرا ما أبدلت العامة والخاصة القاف كافا والعكس أيضا .. ورب قائل يقول : ما هذا ؟ ان الكلمة لاتينية .. أو (سنكسريتية) ! فأقول له : أيا ما كانت فما دمنا قد وجدنا لها ما يجعلها أصيلة عربية ، ودون تعسف ولا تكلف .. فأولى بها وبنا ذلك ، فهل يوافق على هذا الرأى (صاحب المنهل الأغر) أستاذنا الجليل ؟ أم « نتفشك » أى نتباعد عنه ؟!

(١٠٥٨) طرق الحج قبل ألف سنة و « ملك العجين »

بضم الميم وسكون اللام

مما حكاه **أبو حيان** فى مقابساته : عن رحله فى طريق الحج من العراق إلى الحجاز سنة ٣٥٤ هـ ، عزاها إلى **أبى الحسن الفرضى** قال :

« وكنت فى البادية فى صفر سنة أربع وخمسين منصرفا من الحج ومعى جماعة من الصوفية فلحقنا جهد من عوز القوت وتعذر ما يمسك الروح — فى حديث طويل — إلا أنا وصلنا من « زبالة » وهى بلد بالطريق بين الكوفة ومكة المكرمة . بالحيلة اللطيفة منا ، والصنع الجميل من الله تعالى إلى شىء من الدقيق .. فانتعشت أنفسنا به ورأيناه نفحة من نفحات الله تعالى الكريم . فجعلناه زادنا وسرنا فلما بلغنا المنزل قعدنا نمارس ذلك الدقيق ، ولقطنا البعر ودقاق الحطب ، فلما أجمعنا على العجن و « الملك » لم تجد الحراق — وهو ما تقع فيه النار عند اقتداحها من خرق ونحوها — وكان عندنا أنه معنا — واننا استظهرناه .. فدخلتنا حيرة شديدة ، وركبنا غم غالب ، وسففنا من ذلك الدقيق شيئا فما ساغ ولا قبلته الطبيعة .. وبتنا ليلتنا طاوين ساهرين ، قد علانا الكمد ، وملكنا الوجوم والأسف ، فقال بعضنا : هذا لما وجدنا الدقيق ، واصبحنا وركبنا قد استرخت ، وعيوننا قد غارت ، وأحدنا لا يحدث صاحبه غما وكربا ، وعدنا إلى ما كنا فيه قبل بزيادة حسرة من النظر إلى الدقيق ، وقال صاحب لنا : نرمى بجراب الدقيق ، حتى نلقى حملة وثقله فى طول هذا الطريق . فقلنا : ليس هذا بصواب ، وما ضرنا أن يكون معنا ؟.. فلعلنا أن نرى ركبا أو نلقى حطبا .

وكانت البادية خالية فى ذلك الوقت .. لرعب لحق قوما من **بنى كلاب** من جهة أعدائهم ، فلم يكن يجتاز بها فى ذلك الوقت غريب .

وبقينا كذلك إلى اليوم الثالث ، ونحن نلاحق ونجاهد فى المشى ، فلما كان العصر من ذلك اليوم كنت أسير أمام القوم أجرؤهم وأسألهم ، وكنت كالحاطب لهم .. (إذا ظفرنا بحراق ، وظفرنا بفتيلة) فوجدوا خرقة فيها حراق ، فهللوا ، وكبروا ، ورفعوا أصواتهم ، فقلت كالمتعجب :

---

(١) (المنهل) فى تقدير كبير لرأى الأستاذ الجليل البحاثة الطلعة نقول : انه إذا وجد لفظ عربى فصيح منطبق تمام الانطباق أو جله على مفهوم حديث فأجدر بنا أن نقر اللفظ المذكور ونستعمله إحياء لتراث لغتنا الفيحاء المتناميةونعتبره صيغة صحيحة للمعنى المطلوب ونقرره فى معاهدنا وجامعاتنا وصحافتنا واذاعتنا ومرناتنا وما يجد من وسائل الاعلام فى هذا العالم المتداخل اليوم ومعنى ذلك تأييد شامل كامل غير مشروط لرأى الأستاذ صاحب الشذرات فيما أبداه حيال صيغة « الفشك » بارك الله جهوده العلمية وجهاده اللغوى والعلمى والفكرى والإصلاحى .

ما الخبر ؟ قالوا : البشرى ، قلت : وما ذاك ؟ قالوا : هذه خرقة ملئت (حراقا) فلا تسل عما دهانا من الفرح والاستبشار .. وثاب إلينا من السرور والارتياح ، وزال عنا من الانخزال والانكسار ، وقعدنا فى مكاننا ذلك ولقطنا البعر ، وأثرنا الوقود ، وأججنا نارا عظيمة و (ملكنا الدقيق) كله ، ملكة ـــ بضم الميم وسكون اللام ـــ واحدة ، وكان أربعين رطلا وكان ذلك بلاغنا إلى « القادسية » .. فلما دنونا منها تلقانا بشر من أهلها ، وقالوا : كيف سلمتم فى هذا الطريق مع العوز والخوف ؟ فقلنا : لطف الله يقرب كل بعيد ، ويسهل كل شديد ، ويصنع للضعيف حتى (يتعجب القوى) . اهـ

قلت : وقد بدا لى سرد هذه القصة لما فيها من طرافة .. ومفارقة بين ما كان يعانيه الحجاج قبل ألف سنة .. وما أصبحوا يتمتعون به من نعم لا تحصى ، وأمسى لا مثيل له فى القديم والحديث .. فى شتى بقاع الأرض ومن رغد وراحة واطمئنان .. عبر الصحارى والطرق الشاسعة .

ووجدت فيها شاهدا على صحة ما كانت أمهاتنا وجداتنا يتداولنه من الكلمات المنحدرة إليهن من عهود بعيدة .. فإن كلمة « ملك العجين » كانت رائجة يوميا عندما يوضع فى « الطشوت » وتقول ربة الدار للخادمة : أملكيه طيب .. وذلك عندما كانت ربات البيوت لا يرضين « بعيش السوق »[1] .. ولا يقبلن ألا ما تصنع أيديهن بأنفسهن وتحت نظرهن من كل ما يؤكل أو يشرب ، أو يلبس أيضا .

(١) (المنهل) : العيش فى عامية الحجازيين : الخبز .

ثم تكاسلن وتهاون وقنعن بما تيسر وجوده دون عناء .. ولو كان غثاءا .

وفى آخر الحكاية كلمة لا تزال العجائز يرددنها حتى الآن ، وهى أن الله جل وعلا : (يقوم مع الضعيف حتى يتعجب القوى) .

ومعذرة إلى القارئ الكريم إذا طال به الشوط فى هذه الشذرة فهى هادفة .. و (الذكرى تنفع المؤمنين) .

(١٠٥٩) بم سدت قومك ؟

قال معاوية لعرابة :

« بم سدت قومك ؟ قال : كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطى سائلهم ، وأسعى فى حوائجهم ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن جاوزنى فهو أفضل منى ، ومن قصر عنى فأنا خير منه » . اهـ

قلت : هذا والسائل « معاوية » رضى الله عنه ، وهو القائل : « لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت » قالوا : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت إذا أرخوها جذبتها .. وإذا جذبوها أرخيتها .. وعسى أن يكون فى غرابة هذا قدوة لكل مؤمن .. ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ .

(١٠٦٠) الكوع .. والبوع

يقولون ـــ فى أمثالهم ـــ أن فلانا لا يعرف كوعه من بوعه ، وما أظنهم الا قد استجهلوا غيرهم بهذا الزعم الباطل .. فما من بشر ـــ إلا وهو محيط بأسماء أعضائه وأعضاده وأعصابه ،

وأوراده ، خاصة إذا كان عربيا صميما ، وعلى تقدير السؤال عن الكوع والبوع واحتمال وقوعه بغتة ، فان الاجابة عليه ميسورة بقول الناظم منذ قرون طويلة :

فعظم يلى الابهام « كوع » وما يلى
لخنصرك « الكرسوع » و « الرسغ » ماوسط
وعظم يلى ابهام رجل مقلب
« ببوع » ، فخذ للعلم ، واحذر من الغلط

وما دون ذلك ، الا حريص على دفع التهمة عن الذين يتهمون بالجهل .. والا فإننا جميعا ولله الحمد والمنة (ما شاء الله تبارك الله) .

(١٠٦١) « البنجخة » هي التباهي والتوسع

كلما زاد رجل فى المظهر سعة وترفا ، وبسطة ، وتلفا ، نعته الناس بقولهم : إنها « بنجخة » .. ولم أجد لها من أصل لغوى ولا استعمال قديم .. وأكاد أجزم بأنها دخيلة ، من لغة أعجمية أو أنها عربية صحيحة .. ويحتاج الوقوف على أساسها فى بطون القواميس وكهوف المعاجم الكبرى وما أريد أن تبلغ بى « الصبابة » بأمثالها اليها .. وعسى أن يعقب عليها من هو « أحفظ » دون اصطناعها فيما به « يتلفظ » .

(١٠٦٢) ثمن « المثالية »

قال لى صاحبى : ما هذا ؟ كيف أصنع ؟.. لقد ضاق ذرعى ، ونفد صبرى وأعيانى الاحتمال ؟

قلت : ما بك يا أخى ؟ قال :

ولى كل ما يبكى العيون أقله
وأن كنت منه دائما أتبسم

ألا ترى ما ألاقى من مكدرات ومزعجات ، ومنغصات ؟ وما والله أجد فى نفسى لأحد ضغنا ، ولا حقدا ، ولا حسدا ، ولا خصومه ولا أجد أننى تعمدت الاساءة لأحد ، أو أضمرت له شرا .. وأشعر باننى فى براءة الطفل سلامة نية ، وابتغاء خير ، واتقاء شر ومصانعه صديق ، ومؤانسة مستوحش ، وإكرام زائر ، ومداراة جاهل ومجاهدة نفس واعانة محتاج ومواساة مكروب .. وأحاول جهدى أن أكون كما يجب أن يعيش « المسلم » الحق .. وأن أكون ممن سلم المسلمون من يده ولسانه ، وربما آثرت فى غبطة وأحتملت على مضض ، ودفعت السيئة بالحسنة ، لا زعما ولا وهما ، وإنما اعتقاداً ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾ وأن من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور سيجعل لى من كل همّ فرجا ، ومن كل كرب مخرجا .

كل ذلك أعرفه ولا أنكره من تصرفاتى ، مع الاطمئنان إلى أنه ائتمار بالمعروف وانتهاء عن المنكر .. وما زلت أرى « الطلاقة » والاستبشار ، والتفاؤل الحسن ، وحسن المعاشرة والصفح عن الزلة ، من أعظم ما يتمتع به ذوو القلب السليم » ، وأردد مع الشاعر العربى الصميم :

ليس الغبى بسيد فى قومه
لكن سيد قومه المتغابى

وأجد لذة كبرى فى التنكر والتمعن فى الحديث النبوى الشريف : « **صل من قطعك واعط من حرمك ، وأعف عمن ظلمك** » .. وأروض نفسى عن ذلك ما استطعت وأتوخى أن لا أسئ إلى

الناس بلفظ أو بلحظ أن لم استطع أن أحسن إليهم .. فماذا لقيت ؟ لا أريد أن أسهب فى ذلك .. فقد رميت بالخور وبالضعف والجبن .. وبالخوف .. والرياء .. واستهان بى الأجرياء .. ولم أسلم من السفهاء .. وأوذيت حتى انتهى بى الاحتمال إلى الداء العياء ، والكبت إلى الاحتراق والانطواء ، وانهارت أعصابى ، وتمزق إهابى ، وصرت إلى حال تستحق الرحمة حتى من قساة القلوب .. وما أزعم أننى أخلو من النقائص والعيوب والأخطاء والذنوب فذلك ما لا يسلم منه أبناء آدم وحواء إلا من عصمه الله ورحمه .

ثم قال مستطردا : وكذلك رأيتنى بهذه المثالية أو الطيبة ، أو السذاجة ، بين شقى الرحى ، فاما أن أندفع مع التيار الجارف « وإلى حيث ألقت رحلها أم قشعم » أو أن أستكمل ما بقى لى من العمر إلى الأجل المحتوم .. وبين عينى ما سبق أن أنشده الشاعر المكظوم :

ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

وان كنت أراه قد أحسن ظنه كثيرا بالأيام فجعلها كالماء تمثيلا ، وهو « الحياة » لكل ذى كبد حرى .

وها أنذا فى موقف لا أحسد عليه هدف لكل رام وذام .

قلت : رويدك يا أخى ، أراك شديد التبرم والتألم مما تعانى وأنت على ثقة من ربك وأنك إلى الخير أقرب ، وبالسلامة والمسالمة أحفل وأطلب ، وكأنك قد نسيت أن صفوة خلق الله من الرسل والأنبياء والصالحين والأتقياء لم يغادروا هذه الدنيا حتى امتحنوا بما زاغت به الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وابتلوا بما لا يصبر عليه إلا عبادة المخلصون ألم تقرأ قوله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ .

فما عليك .. وأنت من البشر ، ولك من السيئات ما ربما استصغرته وهو عند الله عظيم ، الا أن تؤمن بأن ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ وأن من المصائب ما تكفر به الذنوب أو ترفع به الدرجات وأنت فى ذلك بين هذين وليس لك من الأمر شيء ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ ولا يغرنك ما ترى من هوس أو إفك أو ضلال أو شذوذ أو تهور أو غرور أو مكر أو خديعة ، فإن ﴿ **من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ ﴿ **واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواء الذين لا يعقلون** ﴾ وحسبك أن تتلو قوله تعالى : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** ﴾ .

وسل الله العافية « فما أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين » ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ .

وهنا — رفع صاحبى يديه — إلى السماء ، وقال : « **اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى** » ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .. ثم انصرف قانعا راضيا يحمد الله ويسأله المغفرة والرضوان .

١٠٦٣ جاوزها ... أي مشها

هذه كلمة .. تتردد فى بلادنا .. كلما توسط أهل الخير فى الإصلاح بين متخاصمين ، فإذا قال أحدهما : إن هذا قد فعل معى كذا وكذا ، مما يكره — بضم الياء — قالوا : لا بأس ! أنت من أهل الفضل والكظم ، « جلوزها » هذه المرة .

فما هى ؟ أصلها لغة « الجلوزة » الخفة فى الذهاب والمجئ .. و « جلوز » بين يدى الأمير كان يخف فى ذهابه ومجيئه .

وبهذا يكون المعنى المستخلص منها هو التجاوز والصفح والمرور السريع أو الخفيف به .. أى بالمؤاخذ عليه .. ولها أساس فى قوله تعالى : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾ .

ولولا « الجلوزات » والأغضاء والتغابى ، لما وسع الناس الا أن يؤول بهم الامتعاض إلى « روابى شهار » .. أى « عصفورية الحجاز » .. والله يحب المحسنين .

١٠٦٤ ستة من العيال في القرن الأول

باع **حويطب بن عبدالعزى** داراً من « **معاوية** » رضى الله عنه بخمسة وأربعين ألف دينار « دينار لا درهم .. وفى عصرهم » فقيل له : أصبحت كثير المال . قال : وما منفعة خمسة وأربعين ألفا مع ستة من العيال ؟ . ا.هـ

قلت : كان هذا قبل ألف وثلثمائة عام والدينار ، ذو قوة شرائية قياسية ، ومع ذلك ، استقل ما حصل عليه .. مع ستة من العيال فقط .. وما كان لهم تطلع إلى محدثات الحضارة العصرية ، ولا إلى اليسارة والثلاجة والراديو والتلفزيون والمكوى والطباخة والغسالة والمسجل والفساتين ، التى لا يجوز أن تلبس إلا مرة واحدة .. وسعر المتر منها مائة ومائتان من الريالات ، ثم كم هم الذين يتقاضون ثمن دار لهم ٤٥ ألف دينار ، بين عباد الله المحدودى الدخل ؟..

لا جرم أن ستر الله وبركته هما الكفيلان بأن يحفظ على الكثيرين توازن دخلهم وخرجهم ، والا فإن المثل الدارج يقول : « خذ من التل يختل » .

١٠٦٥ أقبل ! فهذا هو الطريق

قرأت فى تاريخ **العصامى المكى** ١٠٤٩ — ١١١١ هـ « **سمط النجوم العوالى** » هذين البيتين للشيخ **على بن جار الله الحنفى المكى القرشى** :

قلت لشهر الصوم لما دنا ... مودعا منى وداع الصديق
سلم على « الموسم » بالله لى ... وقل له أقبل فهذا الطريق

قال **العصامى** : ما ألطف قوله : أقبل ، إلخ .. كأنه يشير إلى أنه كعقبة فى الطريق . ا.هـ

قلت : وهنا محل الاستدلال على أن أهل مكة المكرمة بعد الألف ، كانوا يعتبرون أول الموسم من شوال ، وبعد العيد مباشرة ، أما نحن فقد أدركناه يبدأ من أوائل جمادى الأولى من كل عام إذ تفد بواخر الحجاج من « جزائر جاوى والملايو وما حولها » وهى أندونيسيا وماليزيا اليوم ، ومن

الهند سابقا وباكستان .. فى ذلك التاريخ ، بل وكان حجاج بلاد الترك يحرصون على أن يصوموا بمكة .. فما يهل شهر ذى القعدة حتى تغص بهم شعاب مكة ومنازلها ورحباتها .. وتعز بيوت « الكراء » ويعرض عليها المشايخ والمطوفون من أواسط السنة أو أوائلها لما كان حول المسجد الحرام .

أما الآن .. فإن الموسم إنما يبدأ — كما شهدناه — فى الأعوام الأخيرة من منتصف القعدة غالبا .. والسر فى ذلك ، السفر الجوى الميسر والنقل الآلى المتوفر .. وقد أثر ذلك على أهل الدور فلا ينالهم من الأجور إلّا النزر اليسير .. ومنها ما يبقى خاليا كلية .. لاقامة حجاج البر فى سياراتهم وسرعة حركاتهم وسكناتهم .. والحمد لله الذى أتاح لأهل مكة وكافة أفراد المجتمع السعودى أينما كانوا — من أسباب الارتزاق والاحتراف والصناعة ، والتعليم ، والتوظيف ، والتكليف ، ما أغناهم الله به عن الموارد المحدودة التى كانت مرتبطة بالحجاج ، وحدهم .. ولولا تسخير الله لخدمتهم فى هذه الديار المقدسة لعز من يتفرغ لها كثيرا .. لا سيما وقد كرست الدولة جهودها لتوفير الراحة والامن والرغد لهم مع الارشاد والرفادة .. وتمكينهم من أن يبلغوا الحسنى وزيادة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(١٠٦٦) المسالطة . والمبالطة

ظفرت فى مقابسات « **التوحيدى** » سنة ١٣٧٤هـ على جملة حسبت أننى بالعثور عليها والوصول إليها .. قد اكتشفت مجهلا أو بلغت مأملا ، فما هى ؟

كان يتحدث عن المقارنة بين منزلتى النثر والشعر وواتاه البيان بما يجمع بين المتناقضات ويحيط بوجوه الحسنات والسيئات ، وكان مما قاله : « **وكان ابن ثوابة إذا جال فى هذا الباب مع جماعة من أهل زمانه ناقضوه وعارضوه .. وكاشفوه وواجهوه .. فثبت لهم وانتصف منهم .. وأربى عليهم ، ولم يقلع من مسالطتهم أو مبالطتهم إلى أن نكصوا على أعقابهم وراجعوا ما هو أولى بهم** » . ا.هـ

قلت : فأما المسالطة .. فهى ذلاقة اللسان ، وفسر الشراح « المبالطة » بأنها المجالدة والمنازلة ، وما هى كذلك فى زماننا هذا .. بل تعنى المعابطة . فهى رديف لها ، والمبالطة هى المغالطة ، فكيف تطورت فى مدلولها الأول إلى الثانى عبر عشرة من القرون ؟

(١٠٦٧) (يابا) صحيحة فصيحة

كلنا — سمعنا — عندما كان البناء — بلديا — أى بالحجر والطين والنورة أو الجص ، وأيام — يتبادل البناؤون أو المعلمون — أغنياتهم وأناشيدهم — فوق (السقائل) .. سمعنا « القرارى » و (العامل) بل وصاحب البناء يقول للمعلم : « يا با » ... وهذه « اليابة » اصطلاح شائع ، عام .. ولا يطلق على غير (المعلمين) فما هى ؟ انها تعنى (يا أبانا) .. وقرأت فى كتاب (فصيح اللغة) لثعلب قوله : (وتنبل الإنسان وغيره) إذا مات وأنشد :

فقلت له : (يا با) جعادة أن تمت
تمت سىء الأعمال لا تتقبل
وقلت له : أن تلفظ النفس كارها
أدعك ، ولا أدفنك حين تنبل

قلت : والشاعر إنما أراد أن يقول : (**يا أبا جعادة**) فحذف الألف مطاوعة للوزن والتفعيل ، فإذا جاز ذلك شعرا .. فمن باب أولى أن يستخف التلفظ به العوام ، وما عدت أسمع منذ أخذ العمران يتطور بالأسمنت والحديد من يقولها .. كما انطوت وانقرضت أو خرست تلك الترانيم الشجية التى كانت تتجاوب بها أخاشب مكة .. عند البناء والانشاء .

(١٠٦٨) « عقنقل » ـ و « فهيد » أين هما ؟

كنت دون العاشرة ـــ ولا أتجاوز السابعة أو الثامنة .. عندما كانت حفلات ما يسميه أهل (مكة) بالصلوات ، تجمع حلقاتها الصاخبة بأبواب المسجد الحرام قبل عام ١٣٢٧هـ .. وذلك طوال شهر جمادى الثانية ، من كل عام ، ويلتف حولها الناس من كل حدب وصوب ، بعد صلاة العشاء ، ويتوسطها أحد كبار المغنين .. ويحدو بهم من باب المسجد إلى وسط الحارة ، أو المحلة ، التى يجب أن يبلغوها ، فى ترتيل وترنيم وترديد .. تشويقا « الرجبية » إلى المسجد النبوى الشريف .. فى جموع ضخمة كبيرة .. ولكل محلة (ركب عظيم) يتكون من أهل (النوق) ، و (البغـــال) و (الخيـــل) و (الأعيرة) و (الحمير) .. ويعدون لذلك طوال السنة حتى أن أضعف وأفقر أهل الحارة .. يظل سنته يوفر ما يمكنه من الاشتراك فى هذه الزيادة .. ولو استدان واقتراض !

وتذكرت الآن أو والدى رحمه الله .. وكان حريصا على (تدليلى) خلال صغرى فقط ! فلما أيفعت ، فما كان أشده على فى التربية والتقويم .. بشكل لا يكاد يحتمل ! جزاه الله كل خير .. وذلك على أساس من قول الشاعر :

فقسا ليزدجروا ! ومن يك حارما
فليقس أحيانا على من يرحم

وأعود فأبين سبب هذه الشذرة .. فقد كان الزحام شديدا .. والأصوات عالية .. والمناكب إلى بعضها .. فلا محل لطفل أو صغير بين هذه الجموع الحاشدة .. وكان أبى رحمه الله ، يسره أن أشهد هذه المواكب .. فيحملنى على كتفه .. ويساير الصلوات من باب السلام إلى « الراقوبة » أو « مقرأة الفاتحة » فى أعلى (المدعى) .. ثم تنتهى المظاهرة .. ويعود كل الناس بيوتهم مسرورين مغتبطين متهيئين ليوم السفر إلى المدينة المنورة .. فإذا ما عاد أبى إلى الدار ، تمنيت أن أكون من الزوار .. وبكيت أن لا أزور .. وغيرى يزورون .. فيقول : لقد زرت يا بنى فعلا ألم أصحبك معهم فى طريق (عقنقل ـــ وفهيد) ؟.. ويقول مازحا : أن (عقنقل) هى أعلى الدعى .. و (فهيد) هو (الراقوبة) حيث ينحدر بى منها إلى دارنا (بسويقة) مما يلى (المروة) .. وهو بذلك يحتال على اسكاتى وإرضائى وأبيت أحلم بأننى قد زرت فعلا ! ويراودنى شك كبير فى صحة هذه الزيارة فى حدود ما أملك من إدراك ساذج محدود النطاق .

والآن ، أتساءل : هل فى طريق المدينة من مكة المكرمة ، منازل أو محطات يطلق عليها هذان

الإسمان (عقنقل ـــ وفهيد)[1] ؟ وأين يقعان ؟ وهل هما من القرى المسكونة العامرة ، أم مجرد أودية لا بد من المرور منها ؟ أم هى آبار يحل فيها (الركب) للتزود من الماء ؟ وبدا لى أن أستفيد من ذلك بنشر هذه الحكاية من علامتنا صاحب المنهل الأغر .. ومن كل من يعرف عن ذلك شيئا ، وأرجو أن أظفر بالاجابة الشافية .. والله المستعان .

(١٠٦٩) « كخ .. كخ »

كلمة ما يزال صداها يرن فى سمع كل من كان طفلا .. تنبيها له وزجرا لما قد يحدث منه مما لا يليق من التصرفات المرذولة .. كمن يمد يده فى الطبق ليستل منه ما تميز فيه ، أو اللحم الذى كانت جداتنا تسميه « للبزورة » .. « الهيلة » ،

وبها ارتدع الصغار عن كثير من المستهجنات تأديبا وتهذيبا ، وهم لما يتخطوا الثالثة من أعمارهم ، وقد رسخ مدلولها فى أذهانهم باللفظ واللحظ وأحيانا بالقرقعة على الأصابع .

أما أصلها فقد روى أن الحسن رضى الله عنه أخذ تمرة من تمر الصدقة .. وكان صغيرا ، فقال ﷺ : « كخ .. كخ » أى ألقها .

وكم يكون شعورى بالغبطة عميقا كلما ظفرت بأمثال هذه الكلمات وهى تمت إلى أم اللغات ، أو سيدتها ، فى كل ما دق وجل من التعبيرات ، وإنما يعترينى الشك فى زماننا هذا فيما إذا كان الطفل إذا « كخكخوا » له أو « كخكخوه » هل يرتدع ويمتنع .. ويتراجع .. ويتقامع ؟ أم ضعف تأثيرها فيه بحكم « التدليل » أو التدليع .. ولو « عمل البطيط » ؟ ورحم الله من قال :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

(١٠٧٠) « اح . اح »

قرأت من شعر **المؤمل بن جميل** من أحفاد **مروان بن أبى حفصة** قوله :

يا « أح » من حر الهوى إنما
يعرف حر الحب من جربا
أصبحت للحب أسيرا فقد
صعدنى الحب وقد صوبا
لا شك أنى ميت حسرة
ان لم أزر قبل غد زينبا
تلك التى ان نلتها لم أبل
من شرق الدهر أو غربا !

قلت : فتكون كلمة (أح) .. المتداولة حتى اليوم ، علامة التوجع والتألم .. كمن تمسه النار .. أو تلسعه العقارب .. وقانا الله شر (الوحوحة) و (الولولة) وأبدلها بالألف

---

(١) (المنهل) : جاء فى معجم ما استعجم للبكرى قوله فى مادة (بدر) قال ابن إسحاق : نزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل وبطن الوادى هو يليل ، وبين بدر وبين العقنقل الكثيب الذى خلفته قريش ، والقليب ببدر هو فى العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة ، ثم روى بيتا لأمية بن ابى الصلت هو :

ماذا ببـــدر فالعقنقــــــ
ـــل من مرازبـــة جحاجـــح

ص ٢٣٢ ج١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ، وفسرها البكرى فعزا البيت المذكور آنفا لابن الزبعرى فى مادة (العقنقل) ص٩٥١ ج٣ نفس المطبعة) ومن هذا نفهم أنه كان منزل قريش فى بدر ، وبدر تقع بين مكة والمدينة كما هو معروف .

أما (فهيد) فالبحث عنه جار ولم نقف له بعد على خبر .

المرفوعة والخاء الساكنة حتى تكون (أخ) وفى مجال اللذة ، والارتياح .. وما خلا الزمان من الأثنين .

« فيوما تساء ، ويوما تسر »
« ويوم لك ، ويوم عليك »
وبضدها تتميز الأشياء .

١٠٧١ حرارة الشعر وبرودته

جاء فى (الأغانى) أن **محمدبن مناذر** الأديب اللغوى الشاعر فى العصر العباسى الأول أقام بمكة حتى مات بها .. ومما يعزى إليه قوله : أن الشعر ليسهل على حتى لو شئت أن لا أتكلم إلا بشعر لفعلت ! قال **الكرانى** : وحدثنى **هاشم بن محمد الخزاعى** عن **العباس بن ميمون طابع** .. قال : حدثنى بعض أصحابنا قال : رأيت **ابن مناذر** (بمكة) وهو يتوكأ على رجل يمشى معه وينشد :

إذا ما كدت أشكوهـا
إلى قلبـى ، لها شفعـا
ففـرق بيننـا دهـر
يفـرق بين ما أجتمعـا

فقلت : (ان هذا لا يشبه شعرك فقال : ان شعرى (برد) بعدك !) . ا.هـ

قلت : ومع أن (البارد) خير من الحار .. خاصة فى بلاد يشتد فيها القيظ ، فان من الحار ما تتوافر به الحيوية .. وتضير فيه البرودة ! ومن هنا كان قولهم : لمن يستسمجونه (يا بارد) .. (البعيد) .. وأتذكر أن السقاة الذين كانوا ينتشرون بشرابهم ــ بكسر الشين ــ فى طريق الحجاج ، من جُدّة إلى مكة إلى عرفات إلى منى .. كانوا يعلنون عن بضاعتهم أى الماء بقولهم : (يا حاجى بارد .. يا حاجى بارد ..) وهم لا يدرون أن من الحجاج من يضيق صدره بذلك لأنه يظن أنه فى البارد !.. وربما قامت مشاكسات ومجادلات بينهم فى هذا .. إلى درجة الملاكمة ! وهناك جملة مأثورة .. عن أحد شعراء الشام القدامى .. حيث يقول :

(إنه لشعر حجازى لو ضربه برد الشام لجمد) ! ولا أدرى ان كان هذا يعتبر تقريظا .. إذ هو حار ! أم تفنيدا .. ان كان من الرقة كالماء .. يجمد إذا هبت عليه ريح الشمال ! ولولا أن يكون الشعر حارا لما اهتز به قلب ، ولا تحرك له فؤاد .. ولله در الشاعر القائل :

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقا أن يقال له شعر

١٠٧٢ « الاحصاء » قديم

قرأت فى « شذرات الذهب »[1] **لابن العماد** فى حوادث سنة مائتين قوله : « فيها أحصى ولد العباس فبلغوا ثلاثا وثلاثين ألفا ما بين ذكر وأنثى » قاله **ابن الجوزى** فى الشذور . ا.هـ

كما قرأت فى تاريخ مكة المكرمة أن احصاء أجرى فى حدود القرن العاشر .. تقريبا « بمكة المكرمة » لمعرفة من يسكنها ، وتوزيع (حب

---

(١) (المنهل) : شذرات الذهب ، كتاب تاريخى كبير لابن العماد .. وهذه الكلمات التى يكتبها أستاذنا أحمد بن إبراهيم الغزاوى فى موضوعات وشؤون طريفة ، منوعة ــ هى أحق بالاسم وأولى ، ولذلك سماها صاحب هذه المجلة بها وكم من كتاب سبق إلى اسمه .. وبين يدينا كتاب (شاعرات العرب) للأستاذ بشر يموت ذكره صاحب كتاب (شاعرات العرب) عبد البديع صقر ، ولم ينكر عليه أحد ذلك .

الجراية) عليهم .. بما فيهم العلماء والخطباء والأئمة .. وخدمة الحرم الشريف .. عدى أهل المتاجر والدكاكين .. فبلغوا نحوا من اثنى عشر ألفا .. يومئذ .. ونال كل منهم قسطه من الحب أو الحنطة الواردة من مصر .. من أوقاف الحرمين الشريفين .

قلت : وبهذا تكون عملية الاحصاء .. موغلة فى القدم إلى القرن الثانى .. وربما تجاوز ذلك من هو على وجه التعيين أسبق من ذلك .. إذ يمتد إلى عصر عمر الفاروق رضى الله عنه ، عندما دون الدواوين .. وقسم العطايا .. كما هو مفصل فى التاريخ .. ولعل الحضارة الحديثة إنما اقتبست ذلك أساسا من الحضارة الإسلامية التى سبقت إلى استخدام (الآلية) المتطورة حتى الشوكة والسكين ! وتقديم قوائم بأصناف الأطعمة التى تصف على الموائد ! وكم لها من مآثر ومفاخر لا تعد ولا تحصى ؟!.. وفى كل مجال بما يضمن النفع ويدفع الضرر .. و يتعارض مع أحكام وآداب الشريعة الغراء .

(١٠٧٣) « وادى ابراهيم » والسيل والمسجد الحرام

جاء فى (سمط النجوم العوالى) **للعصامى** وهو يذكر حج (**المهدى العباسى**) سنة ١٦٠ هـ أنه : « وسع المسجد الحرام . وذلك لأنه رأى الكعبة ليست فى وسط المسجد لضيق جانبه من جهته اليمنى ، فأمر الصناع والمهندسين بتوسيعه من تلك الجهة ، واشترى دورا هنالك وهدمها فنهاه المهندسون وقالوا : (يدخل السيل ان فعلت ذلك إلى المسجد لضيق مجراه حينئذ .. فقال : لا بد من ذلك وان دخل السيل ، ولو أنفقت فى ذلك جميع بيوت المال ! وصعد المهندسون على ظهر الكعبة ، ونصبت الرماح بعضها إلى بعض ومدت من أعلى الكعبة إلى الجهات الأربع حتى كانت مستوية متوسطة فى المسجد نسبة الجهات الأربع إليها على السواء .. فجزاه الله خيرا وشكر سعيه » . ا.هـ

قلت : ومن هذا نعلم أن تحاشى دخول السيل .. باتساع رقعة المسجد من الناحية الجنوبية قد سبق إليه (المهندسون) وفكروا فيه وحاذروه قبل ألف سنة ومائتين وثلاثين .. وفى التوسعة الكبرى التى أحدثت أخيرا .. أدخل وادى ابراهيم كله .. فى المسجد من الناحية الشرقية .. والجنوبية .. اللتين هما مجرى السيل الكبير .

ولهذا رأينا جلالة الملك المفدى حفظه الله يهتم كثيرا ويقف بذاته الكريمة .. على نفس المواقع .. ويأمر باتخاذ كل ما يمنع دخول السيل إلى المسجد الحرام .. ورغم أننا لسنا من ذوى الخبرة العلمية الهندسية العملية .. فانه لا وقاية من ذلك إلا بما ارتآه جلالته وهو :

أولا : منع انحدار السيل من أعالى مكة . إلى بطنها بتوجيهه إلى مجار أخرى .. وإقامة السدود لذلك ، وتوطئه ما علا من الأرض .. ورفع ما انحدر منها .. فى الأبطح .

ثانيا : إعداد أسفل المسجد الحرام .. جنوبا .. كله .. وبدون أى عائق .. لمرور ما ينحدر من السيل من جبال مكة .. المحيطة بالبلد داخليا .. وتوسعة فتحاته .. ومخارجه .. بما يحتمل اندفاع السيل على أوسع تقدير .

ثالثا : تسوية مستوى ما حول المسجد من الأرض بحيث يكون الميل فيها من كل جهة إلى

ما تجاوزه إلى المجرى العام تلقاء (الهجلة) القديمة .. (والمسفلة) وما انحدر من بعد المسجد لا يهم أمره بقدر ما هو هام جدا .. فيما ارتفع عنه .

وذلك ما ينتظر تحقيقه باذن الله وحوله وقوته . ثم بعناية واهتمام جلالته .. أدام الله توفيقه وأطال بقاءه وايده بروح من عنده .

١٠٧٤ ماهو « الصرا » بكسر الصاد أصلا ؟

لا يخلو الحديث يوميا من تردد هذه الكلمة : (الصرا) بكسر الصاد .. ويعنون بها « الترتيب » .. أو الأول فالأول ! ومنه حركة السيارات .. فى طريق الحج أو المواقف العامة وفى أضداد **ابن الانبارى** المؤلف قبل أكثر من مائة وألف عام .. يقول :

« وصرى حرف من الأضداد ، يقال : صرى الشيء .. إذا جمعه ، وصراه إذا قطعه وفرقه .. ثم قال : وقال الفراء : يقال بات يصرى فى حوضه ، إذا استقى ثم قطع ، ثم استقى » .

قلت : فهى بهذا النص مفتوحة الصاد .. وهى استقاء وقطع ثم استقاء ! وعلى هذا يكون لها بعض مدلولها المتداول الآن .. مع تطور ذلك .. إلا أنه لا يخرجها عن أصلها مع التسامح ! إلا أن يكون لها أساس غير هذا لم أظفر به .. والله أعلم .

١٠٧٥ عود على بدء : « حنين » الشمال

سبقت لى شذرة برقم (٨١٦) بان هناك ما يسمى (حنينا) أخرى فى الشمال أم (بدر) غير حنين (أوطاس) الجنوبية المشهورة بالوقعة الكبرى بين المسلمين وهوازن فى صدر الإسلام بقيادة النبى ﷺ .

واتذكر أنه دار حولها نقاش طويل بين من يثبت ومن ينفى ذلك !

وفى مطالعة عابرة لكتاب « عمدة الأخبار — فى مدينة المختار » للعلامة المحقق الشيخ **أحمد بن عبدالحميد العباسى** المتوفى فى القرن العاشر — والذى وفق الله لنشره الأريب الكامل والأديب الفاضل **السيد أسعد الطرابزونى الحسينى** أحسن الله ثوابه . قرأت له فى الصفحة (٢٤١) من الطبعة الثالثة وهو يذكر فى الباب السابع أماكن المدينة ومساكنها وقراها ومساجدها ومشاهدها .. و .. و .. ومعالمها ، وأعلامها ، وأوديتها .. و .. الخ .. ما أنقله بنصه قال :

« الأشعر » : جبل جهينة ينحدر على ينبع . وقال **نصر** : الأشعر والأبيض جبلان يشرفان على (حنين) ولأنه من ورقان : عن **أبى هريرة** رضى الله عنه : « خير الجبال : أحد ، والأشعر ، وورقان » . اهـ

قلت : هذا نص صريح جاء فى مخطوط طبع فى العهد الأخير — وقد مضى عليه ما يقارب أربعة قرون ، وما أحسب أن أهل (الديرة) .. وسكان تلك البقاع لا يعلمون عنه شيئا من عين

أو أثر ، أو حتى ما يذكره المعمرون عنه مما لا يحتمل نسيانا .. ولا بد له من رجع قريب أو بعيد ، فهل يسعفنا بذلك أهل الذكر من رواد المعرفة والآثار مشكورين ؟.

(١٠٧٦) كعب البقر

قرأت فى بعض المؤلفات القديمة والتراجم ألقاباً مستغربة متكررة لبعض الأشخاص . ومن هؤلاء ما جاء فى كتاب (درر الفرائد المنظمة) **للجزيرى** ، وهو قوله : سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس (**كعب البقر**) **محمد بن أحمد بن عيسى بن أبى جعفر المنصور**) . اهـ

قلت : وعجبت لأمثال هذه الألقاب تلتصق ببعض الرجال .. كقولهم عن **عبدالله بن الزبير** رضى الله عنهما ــ رشح الحجر ــ وعن **المنصور العباسى** « **الدوانيقى** » .. وكثير غيرهما ولكل لقب سبب معروف أو مجهول . وقد أدركنا ذلك قبل خمسين سنة بمكة المكرمة فهذا « بيوتات العسل » للمجدور إذا كان جميلا ! وآخر (قرطاس النشا) لأنه يتأنق فى زيه وسمته ، وهذا فلان « خروق » لكثرة ما يحمل من الثياب المزركشة .. وهذا (حلاب الذر) لبخله ! وهذا (خدام الدنيا) لحرصه .. وذاك .. وهذاك .. فلا يكاد يسلم من هذه النعوت إلا من يخشى بأسه وضرره ، أو يرجى منه أى خير أو أية منفعة ، وقد زالت هذه العادة القديمة كليا .. وانصرف الناس إلى ما يعنيهم ! واشتغلوا بما يهمهم من شؤون وشجون والحمد لله وقد تخصص باطلاق هذه الصفات والسمات رجال انقرضوا .. وكان الفراغ والجدة ــ يساعدان على ذلك ويوحيان بالدعابات والنكت والمقالب أيضا !

(١٠٧٧) لوح الكتاب « فى عصر المأمون »

روى **البيهقى** فى كتابه (المحاسن والمساوىء) وقد ولد عام ٢٩٥ ــ وتو فى عام ٣٢٠هـ هذه القصة قال : « وكان **لسعيد الجوهرى** غلام قد لز (**بالمأمون**) فى الكتاب .. فكان إذا احتاج **المأمون** إلى محو لوحه بادر إليه .. فأخذ اللوح من يده فمحاه ، وغلب على غلمان **المأمون** .. ومسحه وجاء به فوضعه على المنديل فى حجره .. فلما سار **المأمون** إلى خراسان وكان من أخيه ما كان ، خرج إليه غلام **سعيد** فوقف بالباب حتى جاء أبو **محمد الزيدى** فلما رآه عرفه فدخل فأخبر **المأمون** .. فقال له مستبشرا بقدومه : لك البشرى .. ثم اذن له فدخل عليه فضحك إليه حين رآه ثم قال : أتذكر وأنت تمحو لوحى ؟ قال : نعم يا سيدى ، فوصله بخمسمائة ألف درهم .. » . اهـ

قلت : والشاهد من الخبر هو أن « لوح الكتاب » هذا .. قد اتصلت مدته وتمادت عادته حتى أدركناه .. **واصطنعناه بعد ألف سنة أو** تزيد ، وكنا نثبت فيه ما نقرأ .. ونمحو منه وما نفرغ منه « بالمضر »[1] .. ونكتب عليه بقلم البوص والمداد الأسود .. وربما تعذر على الاستاذ أو الفقيه ، أو المعلم أن يجد إلى جواره الخيزران .. عند التأديب فيتناوله من رأسه .. وينفخ به من أساء على اليافوخ ! أو على المنكب .. مرة أو مرتين أو أكثر .. ولا يكون ذلك إلا بالعرض

(١) المنهل : المضر هنا هو المدر وقد قلبت داله ضادا لقرب مخرجى الحرفين .

لا بالطول .. فأما إذا تجاوز الذنب إلى عدم الحفظ أو الخطأ الفاحش .. فهنالك (الفلكة) ! وقد وق الله أبناءنا وأحفادنا فى هذا العصر المتطور والزاهر من هذه الآلام .. وقامت (التختات) أو (السبورات) مقام الألواح والأقلام ، وحظر الضرب باليد وتهيأت أسباب الترفيه ، وتيسرت وسائل التربية والتثقيف على قواعد علم النفس .. فأتت أكلها ضعفين بإذن الله ، وأتذكر أننى أنشدت مرة فى إحدى الاحتفالات بالمعهد العلمى السعودى قصيدة ألمحت فيها بماضى التعليم فى حياتنا الأولى .. وكان منها هذا البيت ، (وهى منشورة بكاملها فى الصحف المحلية قبل نحو من ١٥ سنة أو تزيد) :

لا كالذى مر إذ كانت دراستنا
على الحصير .. وإذ ألواحنا خشب

وما نقول : الا وأسفا على أن لم تتح لنا فرص التعليم كما هى الآن فهنيئا للأجيال الصاعدة بما تنعم به من التكريم والتنعيم ، وندعو الله تعالى لهم بالثبات والتمكين والفلاح والنجاح وأن يجمعوا إلى مزية العلم ، الإخلاص فى النية والعمل وبذلك فليفرحوا .

(١٠٧٨) مع الأحياء
منذ مائة وستين سنة

صافحت بيدى قبل ٥٨ سنة .. راحة عالم كبير من أعظم علماء الحرمين الشريفين بالمسجد الحرام ، وذلك فى عام ١٣٣٠هـ وهو العلامة الجليل الشيخ **محمد بن سليمان حسب الله** المولود سنة ١٢٣٢هـ .. وقد توفى بمكة سنة ١٣٣٥هـ عن عمر ناهز أو تجاوز قرنا من الزمان — وثلاثة أعوام — وقد أدركته بصيرا .. وقد انخفض صوته ونحل بدنه ومع هذه السن المرتفعة .. كان لا يضن بعلمه ودروسه فى (حصوة باب السلام) .. وإذا **حسبنا ما تلا وفاته** من الأعوام حتى اليوم كان مجموع ذلك بالاضافة إلى حياته (١٦٦) سنة .. وكنت أحضر دروسه .. (سامعا) (لمقرئه) .. ولتقريره فى الحلقة كل صباح .. بين الأسفار والاشراق وما زلت أحس صدى صوته حيا فى أذنى .. سواء أكان تدريسا أم تذكيرا أم تفكيها وتنديرا ، ثم عاصرت من بعده رجالا كبارا .. كان هو أسنهم الا ان منهم من يلحق به فى درجات التعمير .. أو المعمرين .. بفوارق قليلة لا تتباعد كثيرا .

وهكذا تتابع الأجيال .. وتنصرم الآجال .. وتتلاقى الرجال .. ويتصل الحاضر بالماضى والمستقبل .. وإنما العبرة بالتأسى والاقتفاء ، والتلقى والاقتداء ، وحسن الأسوة والقدوة ، وقديما قال الأوائل : « أن **نوحا** صلوات الله وسلامه عليه قال : أنه عاش فى الدنيا ألف سنة .. وسئل عن الدنيا فقال : دخلت من باب وخرجت من باب آخر .. و ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ . رحمهم الله تعالى .. وألهمنا الرشد ووقانا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(١٠٧٩) الشيخ احمد باكثير المكى

ترجم له (**المحبى**) فى « خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر » قال : « **أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكى** الشافعى من أدباء الحجاز

وفضلائها المتمكنين ، كان فاضلا أديبا له مقدار علي وفضل جلي ، وكان له في العلوم الفلكية يد عالية .. وكان له عند أشراف مكة منزلة وشهرة ، وكان يجلس في المكان الذي يقسم فيه (الصر السلطاني) بالحرم الشريف بدلا عن **شريف** مكة ، ومن مؤلفاته (**حُسن المآل في مناقب الآل**) جعله باسم الشريف **ادريس شريف مكة**.

ثم ذكر من شعره قصيدة مدح بها السيد **علي بن بركات** الشريف الحسني وهي طويلة .. ثم قال واتفق له أنه سمع — وهو محتضر — رجلا ينادي على فاكهة .. ويقول : (ودعوا من دنا رحيله) .. فقال بديها :

يا صاح داعي المنون وافى وحل في حينا نزوله
وها أنا قد رحلت عنكم (ودعوا من دنا رحيله)

ومات بمكة سنة ١٠٤٧ هـ .. ودفن بالمعلاة .

قلت : فهذا (**باكثير** مكة) .. وعاش الشاعر الفحل الكبير الأخ الأستاذ **علي باكثير** الأديب الشهير .. وصاحب البيان الساحر ، والقصص الباهر .. فلعله من أخلاف الشيخ **أحمد** المشار إليه أو من بني عمومته الأماجد .

(١٠٨٠) الشيخ سالم الشماع المكي والخريق

مما يروى عن الشيخ **سالم الشماع** ، وهو من أسرة عريقة بمكة المكرمة مكية النشأة والجوار قبل أربعة قرون .. وأصله من (صعدة اليمن) ومن بيت ذي فضل وعلم وأدب بمكة ، وعلمت أنه كان من العلماء .. وأدرك أوائل هذا القرن الرابع عشر الهجري .. قوله في (الخريق) المعروف حتى يومنا هذا بأعلى مكة .. على يمين — المعلاة — أو الحجون .

أن (الخريق) لواد به البراد يغطرف
لذاك طير فؤادي على (نقاه) يرفرف

قلت : كان هذا قبل أن يمتد إليه العمران ويغص بالسكان .. وكانت (مراكزه) تمتد على الجانبين .. ويأوي إليها (الهاربون) من الومد في الأسد والسنبلة .. للسمر أو المنام .. فيجدون فيه (سكينة الأرواح في الأجسام) . ثم .. تحول بالتدريج إلى بيوت عامرة .. وأصبح في خبر كان ، وفي البيت الأول كلمة ما زالت دارجة على ألسن الناس إلى يومنا هذا وهي (به البراد يغطرف) وهي عبارة عن النسيم العليل وما كان ذلك ليتوافر لولا ما عرف به الخريق .. من أنه الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح ومنخرق الريح مهبها .

(١٠٨١) خش الزقاق

روى **مصعب بن الزبير** في كتابه المعنون بـ « نسب قريش » وقاضي مكة **الزبير بن بكار** المتوفى سنة ٢٥٦هـ في كتابه : « جمهرة نسب قريش وأخبارها » في ترجمة (**عاصم بن عمر بن الخطاب**) رضي الله عنهما ما نصه : « ولحقه يوما **ابن الزبير** فضرب بمنكبه وقال له : لا يغرك طولك وعظمك ! أدخل الزقاق حتى أصارعك ، فجعل عاصم يضحك ، وإنما يمازحه ابن الزبير » . اهـ

قلت : ومن هذا النص نجد الأصل المنحدر من العهود القديمة لما أدركناه فعلا أول النشأة فى مكة المكرمة .. عندما يختلف أو يتشاجر أثنان من الكبار أو الصغار .. ممن يمتازون بالفتوة .. والقوة .. فيقول الأقوى للأضعف : (خش الزقاق) أشرا وبطرا .. يتوعد بالطرح والضرب والدهملة ، وسف التراب وربما (كشه أو رشه به قبل دخولهما الزقاق) .. تحرشا به .. واستفزازا ، أما لماذا أختاروا الزقاق فلئلا يفرع أو يفزع للمغلوب أحد من المارة ! أو أهل الخير ودعاة الاصلاح ! وقد انقرضت هذا العادة .. منذ وزع الله بالسلطان .. أهل الشر والفساد والطغيان .. وأخزى الله الشيطان . والحمد لله رب العالمين . وذلك بحسن التوجيه .. والقيادة الحازمة بحيث اتجهت جميع قوى الأمة إلى ما ينفع ولا يضر .. فهى فى المدارس والمعاهد والكليات والجامعات والبعثات ، والكتائب والفصائل ، والتزاحم بالمناكب على المصانع والمجامع .. والجوامع .. وبذلك أرى لبلادنا المقدسة ومملكتنا الفتية أى مستقبل ناضر راغد ، وأى تقدم يشهد به الصادر والوارد ، والله مع المتقين .

(١٠٨٢) التعليم في المملكة العربية السعودية

بين واقع حاضره وأمانى مستقبله

ذلك هو عنوان الكتاب القيم الذى أصدره أخيرا سعادة وكيل وزارة المعارف (الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع) .. وقد تضمن تاريخ الثقافة فى بلادنا وتطورها منذ أوائل هذا القرن الرابع عشر حتى الآن . واحتوى على بيانات ومعلومات واحصاءات لا يتسنى لغيره جمعها ونشرها بهذه الدقة وهذا الأسلوب الرائع المبسط .. وقد ملأ به فراغا كبيرا كان لا بد من أن يملأه المختصون بهذا المجال الذى هو أساس النهوض والتقدم والأزدهار ، ومن الحق أن نفخر به وبما دل عليه من الأشواط البعيدة والخطى الواسعة التى ما زالت تمتد بها مطامح ولاة الأمور لتصبح هذه البلاد كما كانت منارا للعلم والمعارف تستضئ به جميع الأمم والشعوب فى مختلف أقطار الدنيا .. مع التمسك بالدين الصحيح .. وقد أفضل فأهدى إلى ، نسخة منه .. وجدتنى بها محلقاً فى آفاق المستقبل المشرق الوضاح .. وأنى لاشكر لسعادته هديته الثمينة .. وأتمنى له دوام التوفيق .. بتعضيد وتوجيه صاحب المعالى وزير المعارف سليل البيت الذى ما تزال أياديه البيضاء ساطعة كالشمس فى رائعة النهار .. وفى ظل طويل العمر المفدى عاهل العرب العظيم « فيصل بن عبدالعزيز » قر الله عيونه بما يحب ويرضى وأطال بقاءه مؤيدا بروح من عنده .

(١٠٨٣) في افريقيا الخضراء

زودت المكتبة العربية بمؤلف قيم ثمين جامع لشتى الفوائد .. أصدره الأخ الكريم والأستاذ الكبير الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فضيلة الأستاذ **محمد بن ناصر العبودى** بارك الله فيه ، وهو سفر يحتوى على ٧٧٩ صفحة وقد دون به تفاصيل رحلاته إلى عدة بلدان قصية فى القارة السوداء التى تغلغل فى أحشائها وتعمق فى أغوارها .. وحلق فى أجوائها .. ووصف كل ما وقع عليه نظره فيها من إنسان وحيوان

ونبات .. وجماد .. وتناول بقلمه الشرق والغرب والشمال والجنوب وما يشوق ويروق من عوائد وتقاليد وأخلاق وسمات فهو دينى وعلمى وأدبى وجغرافى واجتماعى وهو إلى كل ذلك فى أسلوب سهل ممتع .. وكان قد انتدب من قبل الجامعة المشار إليها فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية فى تلك المناطق النائية ، وذلك فى عام ١٣٨٤ وعام ١٣٨٦هـ بصحبة عضوين اختارتهما رئاسة الجامعة معه .. وكانت مهمته مع رفيقيه الكريمين الاتصال بالجمعيات الإسلامية وتقديم المنح الدراسية من الجامعة واختيار الطلبة وإتمام ترحيلهم إلى المدينة المنورة ، مع توزيع الإعانات المالية إلخ ما ورد فى مقدمة كتابه .. وقد أكرمنى جزاه الله خيرا بنسخة منه أهداها إلى مشكورا لما استطعت أن أدعها حتى فرغت من استيعابها والتهامها من أولها إلى آخرها بما اشتملت عليه من متعة وروعة ووصف وبيان .. حفزنى على الاستمرار فى قراءتها دون ملل ولا ضجر .. وإنى لأحمد الله تعالى على أن أتاح لنا فى هذا العهد الفيصلى الزاهر بلوغ هذه الأشواط البعيدة من السعى المتواصل والعمل الصالح والجهد المشكور .. لاعلاء كلمة الله .. ونشر المعرفة .. وتنوير الأذهان والأخذ بأيدى اخواننا المسلمين فى هذه القارة الواسعة .. إلى ما يثبت الله به العقائد .. ويمكن للدين الحنيف بين ظهرانيهم رغم العوائق والمصاعب .. ولا يمكن أن يتصور القارىء الكريم مدى ما احتملته هذه البعثة من المتاعب .. وما ذللته من العقاب ، وما بذلته باسم الجامعة من مساعدات ، بأمر وتوصيات حضرة صاحب الجلالة إمام المسلمين وخادم الحرمين الشريفين الملك الموفق « فيصل بن عبد العزيز » حفظه الله ، وبارشاد سماحه مفتى البلاد السعودية **محمد بن ابراهيم** وفضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية وتوجيهاتهم السديدة .. إلا من وقف على تفاصيل ذلك فى هذا الكتاب الثمين .. وما ذلك الا بمثابة إفتتاح الطريق إلى قلوب المؤمنين من أخواننا الذين يعوزهم التوجيه والتذكير ، والتدبير .. وقد قال ﷺ : « **لأن يهدى الله بك رجلا خير من حمر النعم** » . فكيف بهذه الجهود العظيمة لهداية أمم وشعوب لا تزال فى حاجة قصوى إلى الدعم ، والتقويم . وبالجملة فإن الظفر بمثل هذا المؤلف القيم الجامع نعمة تذكر فتشكر ، وسيتبع بامثاله قريبا ان شاء الله فى كل بلد إسلامى يحتاج إلى الاعانة والتقويم والتعليم ، وسيكون لخرجى الجامعة الإسلامية الدعاة إلى الحق ، الأثر العظيم — إذا رجعوا إلى ديارهم .. وأدوا أماناتهم . وقاموا بواجباتهم .. ونشروا ألوية الهدى النبوى فى أرجائها المتلهفة على الصلاح والإصلاح والبر والتقوى ، وذلك هو الفضل من الله . ومن أحق من مهابط الوحى ، ومنابع الخير ، ومطالع النور وهو نعم المولى ونعم النصير .

(١٠٨٤) تاريخ العين العزيزية بجدة

ما أشد أعجابى وأعظم اغتباطى بهذه الآثار الخالدة .. تنقاد طائعة مختارة ليراعه أستاذنا الكبير صاحب المنهل الأغر الأستاذ الجليل الشيخ **عبد القدوس الأنصارى** .. رغم شموسها وعدم انصياعها لسواه .. ممن وهبهم الله نعمة البيان ! فهو — ولا مداجاه ولا مجاملة — مؤتى له بتوفيق الله تعالى فى كل صالحة باقية ، وكثيرة هى حسناته وثمراته .. فى مجالات العلم والأدب والتاريخ والآثار .. ناهيك بقدرة العلمى فى الحفل

الصحفى .. وكما قال الشاعر :

وليس يصح فى الأفهام شئ
إذا احتاج النهار إلى دليل

إنها ، ورب الكعبة ، لمآثر لا تجحد .. وبها يذكر ويشكر ويحمد .. وأقرب ما أصدره من مؤلفاته القيمة .. هذا السفر الضخم الكبير بعنوان « **تاريخ العين العزيزية بجُدَّة ولمحات عن مصادر المياه بالمملكة العربية السعودية** » الذى يجمع بين دفتيه ٤٨٧ صفحة من القطع الوافر .. وبهذا التنسيق الباهر .. وما أزدان به من المعلومات التاريخية عن العيون .. وما احتوى عليه من الخرائط والفهارس المبوبة والرسوم ، فهو مرجع منقح ودليل مصحح .. وفى اعتقادى أنه مفخرة تعتز بها وتزدان جميع المكتبات العربية فى كل زمان ومكان .. وأن له لاجرا غير ممنون على ما قدم بين يديه من آثار قلمية .. وعلمية .. وأدبية .. وتاريخية .. وأثرية .. وما أجدر القادرين على التمام أن يبرزوا إلى هذه الميادين .. وينيروا السبيل بذلك أمام الصاعدين .. ويشيدوا بفضل المحسنين .. ويكونوا قدوة صالحة للمقتفين .. والله يتولى الصالحين .

أمد الله فى حياته .. وأعانه على تحقيق آماله وغاياته .. وما هى إلا الخير والهدى .. والبر والتقوى .. والصلاح والإصلاح .. وأحسن مثوبته فى العقبى .. ﴿ **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه** ﴾ وهو ولى المتقين .

١٠٨٥ ذهبان الجنوب

قرأت فى مجلة « المنهل » الغراء بالعدد التاسع من السنة العشرين سنة ١٣٧٥هـ وصفا للرحلة الملكية آنئذ إلى الجنوب وعسير من جهة الساحل فى كلمة للأستاذ « **عبد الله بن على العمودى** » من أبى عريش محافظة جازان جاءت فيها هذه الفقرة :

(فى ذهبان الوادى) :

ثم مضى الموكب الملكى فى طريقه إلى « ذهبان الوادى » بالجنوب ، وهو يحتوى على كمية طيبة من النخيل ، وعلى مزارع مياه عذبة . وبجانبه إلى الشمال قرية « عمق » وهى مركز وسوق للنازلين وبها ماء عذب ونخيل لا بأس بها . اهـ

قلت : وهذه من المواضيع التى اتفق فيها الاسم واختلف الصقع .. فى زماننا هذا فهناك فى الشمال (ذهبان) المعروفة فى طريق الذاهب من جُدَّة إلى رابغ والمدينة المنورة . وهذه الأخرى فى الجنوب .

١٠٨٦ ـ (القويعية) أيضا

وقرأت فى نفس الكلمة المشار إليها آنفا أن من بعد أبى عريش بلدة « القويعية » فى الجنوب وهى بلد الشيخ **هادى القصادى** كبير الشرفاء من المسارحة .

وبهذا تكون « القويعية » الجنوبية المشار إليها ، غير أختها الشرقية الشمالية فى طريق مكة المكرمة ـــ الرياض ، والتى تسمى « **القاعية** » وهى مع أخواتها الأخرى من الأماكن التى اتحد اسمها أو تقارب واختلف موضعها مما يجب أن يضم إلى أمثاله فى الخرائط الحديثة .. ويميز بجهته ومكانه وسكانه ، حتى لا يقع التباس فيما لم يقرن بتحديده بصورة وافية بحيث لا يقع معها أى التباس .

١٠٨٧ فاتح الكعبة وشيخ الحرم

المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

ترجم التقى الفاسى « للشيخ **على بن بحير بن على بن ديلم العبدرى الشيبى** » الملقب بالرضى، بأنه شيخ الحجبة وفاتح الكعبة، وأنه كان من العلماء المحدثين .. وروى عن **أبى اليمن بن عساكر**، الأول والثانى من حديث **أبى اليمان الحكم بن نافع** وجزءا من تآليفه فى فضل رمضان، وأنه كان من أقران القاضى **نجم الدين الطبرى**، وأنه توفى يوم الخميس فى الثامن من صفر سنة سبع عشرة وسبعمائة ودفن من يومه بالمعلاة .

قلت : ولقد أسهب عطوفة أمير البيان الأمير **شكيب أرسلان** فى كتابه الموسوم بـ « الارتسامات اللطاف » المتضمن رحلته إلى الحجاز فى عام ١٣٤٨هـ فى مناقب « **آل الشيبى** » وما دونه التاريخ عن رجالاتهم وعلمائهم وشعرائهم وأعلامهم، وأورد على ذلك بعض الأمثلة .. وما أزال أرى من الحق على ورثة أمجادهم وحملة أماناتهم من المعاصرين أن يبذلوا بعض الجهد لجمع مآثرهم ومفاخرهم وتراجم أسلافهم البررة، وأن يثبتوا ذلك فى « سفر واحد » يضم ما تفرق من التراجم والآثار، والطرف والأخبار المعزوة إليهم كما فعل « **آل البكرى** » بمصر فهم بذلك جديرون وما عليهم إلا أن يتصدوا له ويحققوه فان المصادر الوثقى الحافلة كفيلة بإمدادهم بما هو باعث على الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة وانهم لفاعلون إن شاء الله تعالى وهو ولى التوفيق .

١٠٨٨ من توارد الخواطر

قرأت فى كتاب أخبار النساء **للامام ابن القيم** رحمه الله ٦٩١ ـ ٧٥١هـ قوله :

وأنشد لاسحاق بن خلف البصرى :

لو أن رقيتها فى صخرة نطقت
أو آذن خرساء، أضحت غير خرساء
أخفى من الروح، ان دبت كحاجتها
ولو تشاء مشت رفقا على الماء !

قلت : وتذكرت أن شاعر العرب الكبير المرحوم الشيخ **فؤاد باشا الخطيب** كان قد شطر بيتين قديمين ـ بمكة ـ قبل خمسين سنة وسمعت ذلك منه مواجهة قال :

(هيفاء) لو خطرت فى جفن ذى رمد
نال الشفاء ولم يستشعر السقما
ولو مشت فوق سارى الذر خاطرة
(لما أحسن لها فى وطئها ألما)
(خفيفة الروح ـ لو رامت لخفتها)
مثل الهواء دخول الجسم ما علما
ولو أرادت دلالا فى رشاقتها
(رقصا على الماء ما بلت لها قدما)

وهكذا .. ترفق ووفق إلى أن يمزج بين الأصل والتشطير .. وما كان التوارد هنا .. إلا فى الماء .. وشتان بين أن تمشى عليه .. وأن ترقص .. دون أن تبتل قدماها ! فذلك لا شك أرهف فى الخيال، وأشف عن الإبداع .. (وكم ترك الأول للآخر) ؟

١٠٨٩ الناس بالناس والكل بالله

منذ أكثر من ألف ومائتى سنة .. قال **عبدالله بن محمد بن مسلم** :

وبالناس عاش الناس قدما ، ولم يزل
من الناس مرغوب إليه ، وراغب
وما يستوى (الصابى) ومن ترك الصبا
وان الصبا للعيش لولا العواقب !

قلت : وما يزال يتردد بين جماهيرنا هذا القول : « الناس بالناس ، والكل بالله » .. فأما قوله : « ان العيش هو الصبا لولا العواقب » فقد تدارك ما أسرف فيه ، عفا الله عنه ، وقد قال تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ .. وقال : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى** ﴾ .. ونسأل الله الهداية والتوفيق .

١٠٩٠ لعل السماور من السمارة !

قال **أبو زيد الأنصارى** المتوفى سنة ٢١٥ هـ فى كتابه (النوادر فى اللغة) : يقال سقانا من (سمارة) مسودة حجراتها وهى واختها أى وما طوقها من الماء من نواحيها بما يلى الاناء .. اهـ

قلت : وما دمنا قد وجدنا هذا اللفظ بحروفه .. فإنه لا يبعد أن يكون أصلا .. لكلمة (السماور) ! وحرف .. خصوصا مع المشاركة فى الاسوداد أو ما يتلصق للسماور من طول الاستعمال من التسور أو ما يسمونه (الكاشور) وإن كنت أظن أنه دخيل من الفارسية ! غير أن الرجوع به إلى أصل عربى .. دون تعسف أو تكلف .. أو تحمل أوتنحل .. لا حرج فيه .. ولا اعنات ! ورغم ذلك فاين هو « السماور » ؟ فقد انزوى ! وأصبح حكاية تروى ! وان كان فى حينه وشكله و (نصبته) ألذ وأشهى ، وأروى .

١٠٩١ المرقش الأكبر والخط

ترجم **المرزبانى** ٢٩٦/٣٨٤هـ فى كتابه معجم الشعراء **للمرقش الأكبر** فقال : هو (**عمرو بن سعد بن مالك**) .. وقيل اسمه **عوف بن سعد** وان من شعره :

ليس على طول الحياة ندم
ومن وراء المرء ما يعلم
النشر مسك ، والوجوه دنا
نير ، وأطراف الأكف عنم
فالدار وحش ، والرسوم كما
رقش فى ظهر الأديم قلم

قلت : ومحل الاستشهاد هنا أن هذا المرقش الأكبر ومعه **المرقش الأصغر** قد شهد حرب **بكر وتغلب** ، وما أريد من إيراد أبياته هذه إلا الاستئناس بأن الكتابة كانت معروفة ولو إلى حد ما .. فى قلب الجزيرة العربية منذ ذلك العهد وأقدم منه .. ولا سيما فيما حول الأمصار الكبرى .. كالحيرة .. ومشارف العراق والشام .. ولولا ذلك لما يصف ترقيش القلم فى ظهر الأديم ! وأحسب أنها ما تزال حلقة مفقودة لدى الباحثين أى قصة (الكتابة) وأوليتها .. ما دمنا لم نعثر على مخطوط بعينه قبل الإسلام .. والله يتولى الناصحين .

(١٠٩٢) من هو الإنسان ؟

كتاب (تفصيل النشأتين .. وتحصيل السعاددتين) مؤلف قيم ثمين وهو **للامام أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهانى** المتوفى فى رأس المئة الخامسة ، أى قبل نحو من تسعمائة سنة : وقد تناول فيها كل ما يتصل بالإنسان وتكوينه .. وحياته .. وتصرفاته .. ومماته .. على هدى من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه .. وما أثر عن الأئمة والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين .

ومما استوقفنى فيه ، وقارنته بإنسان عصرنا هذا ، قوله رحمه الله : « ولم أعن بالإنسان كل حيوان منتصب القامة عريض الظهر أملس البشرة ضاحك الوجه ممن ينطقون ، ولكن عن الهوى ، ويتعلمون ولكن ما يضرهم ولا ينفعهم ، ويعلمون ولكن ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ويكتبون الكتاب بأيديهم ولكن يقولون : هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا به الحق ، ويؤمنون ولكن بالجبت والطاغوت ويعبدون ولكن من دون الله ما يضرهم ولا ينفعهم ، ويبيتون ما لا يرضى من القول ، ويأتون الصلاة ولكن كسالى ، ولا يذكرون الله إلا قليلا ، ويصلون ولكنهم من المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، ويذكرون ولكن إذا ذكروا لا يذكرون ، ويدعون ولكن مع الله إلها آخر ، وينفقون ــ ولكن لا ينفقون الا وهم كارهون ، ويحكمون ولكن حكم الجاهلية يبغون ، ويخلقون ولكن يخلقون إفكا ، فهؤلاء وان كانوا بالصورة المحسوسة (ناسا) فهم بالصورة المعقولة لا (ناس) ولا (نسناس) ! ثم تمثل ببيت للبحترى :

لم يبق من جل هذا الناس باقية
ينالها الوهـــم إلا هذه الصور

قلت : ولا يحتاج هذا الكلام إلى تعليق أو تفسير .. فهو واضح صريح ويجد فيه المخلص لربه .. والحافظ لحدوده .. والمؤمن بكتابه والخاضع لجلاله ومجده وقدرته .. ما يستدر دمعه ويصدع قلبه ويوقظ غفلته ، ويجعل أوبته وتوبته . وإذا كان لى من رجاء ــ أتقدم به بهذه المناسبة ــ فإنما هو نشر وتعميم أمثال هذه المؤلفات .. التى تجمع إلى الإيجاز الاعجاز وإلى البلاغة البلاغ ! وينقذ الله بها الغرقى .. وينبه بها الغافلين .. وأن يكون لها (حصة) فى الدروس التى تلقى فى المساجد والمدارس والمعاهد ، وأن توزع بكميات كبيرة وبلا ثمن على الجماهير من بدو ومن حضر .. وأن لا يخلو منها كل جهاز اعلامى .. (وبصورة ملحة دائمة دائبة) .. فان زماننا هذا جدير بأن (تكون الوقاية فيه خيرا من العلاج) وبقدر الهجوم يكون الدفاع .

وقد طبع هذا الكتاب عام ١٣٢٣هـ .. بمصر ــ ولعله لم يطبع مرة أخرى . فعز وجوده .. وقل أو انعدم الاطلاع عليه وما أيسر أن يعاد طبعه فى أيام معدودات لأنه فى صفحات محدودة .. وليس هو وحده الذى يعالج الأهواء .. فان بين أيدينا من الكنوز الغالية والمؤلفات القيمة منذ قرون عديدة ــ ما يجب أن يكون فى الصف الأول من التلقين ومنها « الداء والدواء » و « ذم الهوى » و « رياض الصالحين » . والله مع المحسنين .

١٠٩٣ (ودّى) بتشديد الدال

ما تزال كلمة (ودى) عكس (جاب) العامية أى (جاء به) متداولة دارجة على ألسن العامة والخاصة .. ويقصد بها — ذهب به — مقابل جاء .

وكنت أحسبها منتزعة أو محرفة من (التأدية) .. الأداء وفى قراءة عابرة لمقصورة **ابن دريد** المشهورة العالم اللغوى الجليل المتوفى سنة ٣٢١ هـ وجدته يثبتها فى الفصيح حيث يقول :

وإذا سمعت وحى الزما ... ن فلا تقصر فى الوحاء
فلربما (ودى) السفا ... نحو السفا أهل السفاء

وقال الشارح : ودى أى ساق .

قلت : فآثرت نشر هذه الشذرة بها فهى معروفة بمعناها المتداول اليوم قبل ألف سنة خلت .. فإذا قال أحدنا لرسوله (وديه) .. فهو يعنى سقه .. أو اذهب به إلى حيث أمر .. والله أعلم .

١٠٩٤ (الركوب الحماري)

بفتح الحاء وتشديد الميم بعدها ألف فراء مكسورة بعدها ياء النسب

إذا وقفت فى إحدى ضواحى الطائف أو على مداخلها ومخارجها بعد أسفار الصباح .. وجدت أهل الفاكهة يقدمون بها من مزارعهم إلى (حلقة) المزاد ! وبعد أن يفرغوا من البيع والشراء .. يمتطون .. (أعيرتهم) أو حميرهم السوداء الصغيرة — حمارى — أى يجعلون أقدامهم من جانب واحد وهو دليل على نشاط الراكب وسرعة حركته .. وقوة أعصابه .. ويهزجون بأغانيهم ومجاريرهم .. وهم عائدون بالدراهم و (المقاضى اللازمة لأسرهم) . وكذلك الحال فى جميع المناطق بمكة وجُدَّة والمدينة وغيرها .. وكنت أحسب ذلك من **محدثات** القرون الأخيرة .. وأقرأ فى كتاب (الآداب الشرعية) **لابن مفلح** الجملة الآتية ، قال : « وهذا القدر الذى لاحظه (**أبو عبيدة**) حين رأى **عمر بن الخطاب** قد قدم الشام راكبا على حمار — رجلاه من جانب واحد .. **فقال** : **يا أمير المؤمنين** ، (يلقاك عظماء الناس) ! فما أحسن ما لاحظ .. إلا أن **عمر** رضى الله عنه أراد به تأديب **أبى عبيدة** بحفظ الأصل . فقال : (إن الله أعزكم بالإسلام ، فمهما طلبتم العز فى غيره أذلكم) .

والمعنى ينبغى أن يكون طلبكم العز بالدين لا بصور الأفعال ، وإن كانت الصور تلاحظ .

قلت : وما أنا بصدد الشكل ولا الصورة ولا التهذيب النفسى .. وإنما عنانى من القصة ، هذا الركوب الجانبى الذى يطلق عليه المعاصرون — الحمارى — أى الجانبى .. أى بمد الرجلين معا من جهة واحدة ! فيها علمنا أن هذه العادة موغلة فى القدم فى صدر الإسلام .. وربما كان عقد (الحمودى) أى الحزام . بحردته المعروفة ، شريكا لها فى الاستعمال .. منذ ذلك الحين أو أقدم .

١٠٩٥ أولية « القناديل » بالمساجد

عن على رضى الله عنه أنه « سمع القرآن فى المساجد ورأى (القناديل) تزهر فى المسجد » فقال : « نور الله على **عمر** فى قبره كما نور علينا مساجدنا » .

قلت : فهذا الخبر يدل على أن أولية القناديل وإضاءتها بالمساجد إنما كانت **للفاروق** رضى الله عنه ، وقد أدركنا وشهدنا هذه القناديل منذ ستين عاما وهى من الزجاج البلورى .. مناطة بمدار المطاف والمقامات والرواقات بالمسجد الحرام .. وتزود عصر كل يوم أو صباح بالوقود من الزيت .. وبالفتائل .. وتضاء قبل الغروب .. ولها موظفون ومراقبون ومعتنون ، ثم أبدلت بمصابيح الكهرباء .. وألغيت « القناديل » . ومن قبلها كان الوجهاء يستخدمون « البرم » (بضم الباء) التى لم تزل تحتفظ بعض البيوت العريقة بنماذج منها وهى ذات الوان بهيجة .. وأشكال بديعة ! حتى أن أحد مؤرخى (الطائف) ذكر أن محلة (السلامة) وحدها كانت تضاء على أبواب الوجهاء والأثرياء من سكانها والوافدين إليها فى الصيف من مكة ومن جُدَّة ما يزيد على أربعين (برمة) .. من قبل نحو من أربعة قرون خلت !.. وذلك قبل أن تخرب أكثر منازلها بالحوادث الجوية أو الأرضية .. أما الآن فإنها تنار بالكهرباء .. من كل جانب وفى شتى المناطق والانحاء ! كما هى الحال فى جميع مدن المملكة .. وضواحيها وقراها والحمد لله .

١٠٩٦ كثر الله خيره

أكاد اجزم ــ على قدر ما استطعت أن أحيط به فيما اطلعت وقرأت ــ بأن أول من استعمل هذه الجملة ــ ونظمها فى شعره هو **قيس بن الملوح** (**مجنون ليلى**) ــ إذ جاء فى احدى قصائده اليمانية المطولة الشهيرة :

ويا عم ليلى عمر الله عامرا
أخوها ــ فقد أرعى بليل ذياميا
ويا عم ليلى (كثر الله خيره)
كما لم يطل فى حب ليلى خصاميا

هذا ومن المعلوم أنه كان يعيش فى عصر **عبدالملك بن مروان** أى فى القرن الأول الهجرى .. وأحسب أن الناس قد تداولوها قبله ــ أو معه ــ أو بعده حتى أصبحت هجيراهم فى زماننا هذا . وما ألطفها وأظرفها .. وهى تقال غالبا للشكر والمكافأة بالدعاء .. وأحيانا أخرى تستعمل لرد الاساءة بالاحسان .. وتتميز بالقرينة .. ولو تعقبنا كثيرا مما يجرى على ألسنة العامة .. لوجدنا له أصلا راسخا ، منذ العصور الأولى .

١٠٩٧ « الهدى » ضاحية بالطائف

و « الهدة » بين مكة وعسفان

ما من يجهل (هدى الطائف) .. **فهو** زروة من « كرى » وهو الطريق (الفيصلى) الجديد ، المسفلت العتيد ! بل هو إحدى عجائب الفن فى

هذا الزمن ! ومن أكبر حسنات أبى (**عبدالله**) الخالدة أحسن الله مثوبته على ما شيد من أمثالها .

إلا أن بعض الناس يقولون أيضا « هدى الشام » ويلفظونها بالياء .. ويعنون به هذا الذى ــ يقوم بين مكة وعسفان .. وفى مطالعة عابرة رأيت **أبا نعيم** صاحب الحيلة .. يقول : عن **أبى هريرة** أنه قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عينا وأمر عليهم **عاصم بن ثابت الأنصارى جد عاصم بن عمر بن الخطاب** فانطلقوا حتى إذا كانوا (بالهدة) .. بالتاء المربوطة .. بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم « **بنو لحيان** » فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه ، قالوا : نوى يثرب فاتبعوا آثارهم الخ .. » اهـ . وليس المراد قصة الرهط وما انتهى إليه أمرهم .. وإنما هى للنص الوارد فيها عن (الهدة) !. وبذلك يتضح الفرق بين هدى السراة . وهدى تهامة .. فما تشاكلا ولا تماثلا لفظا ولا معنى ! إلا أن يكون هناك نص أصح .. والله أعلم .

١٠٩٨ سمعت « حسك » أي صوتك

قال **أبو ذويب** ، الهذلى فى عينيته المشهورة :

فشربن ، ثم سمعن « حسا » دونه
شرف الحجاب ، وريب قرع يقرع

فبقرينه سمعن .. يكون الحس هنا « الصوت » وهو ما يحس به السمع ويتصل به .. عن طريق الأذن .. وقد يكون الحس عاما فى جميع الجوارح .. إلا أنه تميز بالصوت .. « ومن هنا نجد المتداول بين الناس صحيحا .. وهذا ومثله أصل له .. فى الاستعمال » !. ومنهم من يقول إذا دعوت له بالخير والنعمة أو الهناء : « بحس الله ثم حسك » .. ويلفظها غير معربة .. وهى على ما فيها من اللحن إنما تعنى بأمر الله .. ثم بوجودك أو رعايتك .. أو اعانتك » . وأبو ذويب هذا كان فى عصر **عثمان بن عفان** رضى الله عنه .

وجاء فى مناقب **الفاروق** رضى الله عنه « أنه عندما فاجأ أخته وختنه وكان عندهما رجل من المهاجرين يسمى « **ضبابا** » فلما سمع ضباب (حس) عمر توارى فى البيت فدخل عليهما فقال : ما هذه الهينمة التى سمعتها عندكم ؟ وكانوا يقرؤون (طه) فقالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا . قال فلعلكما صبوتما ؟ الخ . » فاستعمال الحس بمعنى الصوت قديم ولا اعتراض عليه بحال !

١٠٩٩ انحاش فلان أي ذهب

مما فطنت إليه ولفت نظرى فى لهجة اخواننا أهل نجد ــ قولهم : « انحاش فلان من الدار أو المجلس » بمعنى خرج .. وقرأتها فى (الحلية) **لأبى نعيم** فيما رواه عن **عبدالله بن عمرو بن العاص** رضى الله عنهما .. بمعنى (دخل) أيضا .. **فهو** يقول .. « زوجنى أبى امرأة من قريش . فلما دخلت على جعلت « لا أنحاش » لها .. مما بى من القوة على العبادة من الصوم والصلاة .. فجاء **عمرو بن العاص** إلى (كنته) .. أى زوجة ولده .. فقال لها : كيف وجدت بعلك ؟ قالت خير الرجال ــ أو كخير البعولة ! ــ من رجل لم يفتش لنا كنفا .. ولم يقرب لنا فرشا » إلخ !) وتمام الرواية أن **عمر** أباه شكاه إلى النبى ﷺ فى

حديث طويل .. (يطلب فى محلة من الحلية) إلا أن الشاهد منه : « أنحاش » .. فهو كما يطلق على الخارج أو الذاهب .. يصح اطلاقه بهذا النص .. على الداخل والآيب .. إلا أنه فى زماننا لا أحسبهم يطلقونه إلا على من ذهب أو خرج .. أو غادر مكانه أو رفاقه .. واخوانه .. ولم أظفر بها فى الأضداد ولا فى المتداول . والله أعلم .

(١١٠٠) الزعل ، هو النشاط

يقول **أبو المسلم الهذلى** فى احدى مناقضاته مع **صخر الغى الخثمى** .. وهو يصف القوس :

يكاد يدرج درجا أن يقبلــه
مس الأنامل صات ، قدحه زعل
(بكسر العين)

وجاء فى الشرح « والزعل : النشاط » بفتح الزاى وتشديدها وفتح العين .. تماما كما نقولها الآن (زعل) .. ونعنى به الغضب أو الكدر .. أو الحقد ! فأين كل ذلك من النشاط ؟! إلا أن يكون نشاطا فى المزعجات ؟! قاصرا عليها .. فان لم تقترن به هذه الملابسات فيما أحسن النشاط جسما وعقلا .. وحكما وفعلا .. ونبلا وفضلا .. وسخاء وبذلا .. ولكنه إذا أطلق .. فقيل أن فلانا (زعلان) فانه يتجرد من كل هذه الأوصاف إلى ما هو مدلوله عبر القرون فى الأذهان . حتى كتب بعض أهل المخازن التجارية لافتات على محلاتهم .. « الدين ممنوع .. والزعل مرفوع » ! فاكفنا اللهم الزعل تكديرا .. وهبنا منك النشاط طاعة وتيسيرا وتبشيرا .

(١١٠١) «الشين» فى «الصين» وماجاش

يعبر الكثيرون ــ بقولهم ــ عن « الصين » بأنها « الشين » ولا أدرى من أين دخلت الشين على الصين ؟ وأخيرا اهديت إلى أن التحريف إنما جاء من طريقة التلفظ فهى فى الأصل بالجيم .. أى « الجين » ولعل هذه الجيم المنقوطة المثلثة من « تحتها » ! لهجة متداولة فى تلك البلاد .. أو ما جاورها ولتكن ما كانت فان ذلك لا يهمنا فى قليل أو كثير !

غير أن اخواننا فى مصر ينطقون هذه (الشين) .. فى اللهجة العامية .. أى غير الفصحى فى أكثر ما ينطقون به فهم يقولون « ما جاش » ، وهى تعنى : (ما جاء) ! فمن أين امتزجت هذه الشين فى عامية بلد عريق تميز بالتراث العربى العظيم والعلم الغزير والأدب الفياض ؟.. ومنه وعنه صدرت فى القديم والحديث الحضارات والثقافات ؟! وأكاد أجزم أن هذه الشينات دخيلة فيه من اختلاف الجهات واللهجات كما عرفت بعض القبائل العربية فى قلب الجزيرة بالكسكسة والكشكشة .. وما إليها .. ولا علاج لذلك إلا بارتفاع مستوى الثقافة فى شتى البيئات ، ومختلف الأوساط .. ومع ذلك .. فالأمل ضعيف جدا فى تقويم الألسنة كلها فى هذا بعد أن درجت وتداولته الألسنة فى القرون الطويلة ، ولا أقول ذلك إنكارا وإنما هو تساؤل عن الأسباب ، لو أمكن عليه الجواب ، وفى المثل السائر : « إذا لم يكن ما تريد ، فأرد ما يكون » !. وحسبنا الاجماع والتلاقى فى قوله

تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .. والكمال لله وحده جل وعلا .

(١١٠٢) الإسطول الحربي العربي سنة ٧٣٩ م

فى عهدالخليفة الأموى **سليمان بن عبدالملك** ، هاجم الأسطول البحرى العربى الذى حشده مع القوات البرية لاقتحام إسوار القسطنطينية عام ٧٣٩ م (أى قبل ألف ومائتى وثلاثين سنة) وكانت قطعه مؤلفة من ألف وثمانمائة سفينة للحرب والنقل عدى الجيش البرى الذى كان بقيادة أخيه البطل (**مسلمة بن عبد الملك**) ! وهو كما روى المؤرخون نحو مائة وثمانين ألف جندى !

وقد بلغ فعلا غايته من حيث عبوره معاقل الروم فى مداخل « الدردنيل » بحرا .. وزحف من بحر « مرمرة » إلى الضفة الغربية الأوروبية .. وكانت وسائل الدفاع الحديثة .. وهى النار اليونانية .. آنئذ .. من أسباب انسحابه بعد ذلك .. وكان من الفتح قاب قوسين أو أدنى .

قلت : وكذلك كان موقف الحلفاء من هذه المضايق .. خلال الحرب العالمية الأولى .. فقد تكبدت أهول الخسائر ، أساطيلهم الكبرى المزودة بأحدث الأسلحة والطوربيدات .. والمدرعات .. والمدافع الهائلة الضخمة .. بعد مرور ألف عام على الغزو العربى الأول وارتدوا على أعقابهم عنها بعد تضحيات لا تحصرها الأرقام !

والهدف من إيراد هذه الشذرة هو التذكير بما كان للعرب فى ذلك العصر من قوات هائلة مرهوبة فى البر والبحر ... وبمثل هذا العدد الذى لا يضاهيه فى العصر الحديث إلا الحشد العظيم فى أواخر الحرب العالمية الثانية عند غزو الحلفاء لاوروبا من الجنوب الفرنسى !..

وكذلك الأمل فى أن يعيد التاريخ نفسه فلا يزاحم العرب فى تقدمهم وتفوقهم فى كل مظاهر القوة والعتاد والأعداد .. وما ذلك على الله بعزيز إذا هم عرفوا ما كان عليه أسلافهم الغر الميامين .

(١١٠٣) يخبئن اطراف البنان من التقى

ما أروع وأورع أبيات **النميرى** الخالدة إذ يقول :

تضرع مسكا بطن نعمان إذ مشت
به زينب فى نسوة عطـــرات
يخبئن أطراف البنان من التقى
ويخرجن نصف الليل معتجرات
ولما رأت ركب (النميرى) أعرضت
وكن من أن يلقينه حذرات

قالوا : انه عندما سئل فيمن كنت يا نميرى ومن هم ركبك !؟ قال : كنت أنا وغلامى وحمارى .

وتذكرت أننى منذ أكثر من خمسين سنة كنت أدعى ــ قبل أن أبلغ الحلم إلى بعض بيوت الأقارب .. لأكتب رسالة من إحدى العجائز الجدات وقد تجاوز سنها الثمانين . فكانت تختمر .. وتتستر وتحتشم منى ــ وربما تلثمت وأملت على ، ما تريد إلى أختها أو ابنتها فى جُدَّة أو الطائف . وكانت تحم على أن أكتب ما تقول نصا وفصا ! وتبدأ بعنوان الكتاب وتمليه على ، فى كثير من العناية والاهتمام وتقول : أكتب :

(الدرة المصونة .. والجوهرة المكنونة)
(فلانة) .

وتضن بذكر اسمها على الظرف .. فلا يظهر إلا فيما هو محجوب عن النظر الفضولى .. وتعنون الظرف باسم محرم لها من الرجال ! ليكون واسطة لايصاله .

وكن يحرصن على أن لا يسمين .. عند من لا قرابة له بهن أو فى المجالس والأندية .. ويرين ذلك احدى النكرات .. ويستوى فى ذلك الفتيات والعمات والخالات ! والأمهات والجدات .. حتى الخادمات فلا يعرف ذلك عنهن إلا من تربطه بهن وشائج النسب والقربى والصهر المتصل ويخفضن من أصواتهن .. ويغضضن من أبصارهن .. ولا يتحدثن مع غير من أباح الشرع الحنيف محادثته من الرجال والمراهقين ! وإذا اقتضى الحال ذكر أحد الناس اسم زوجته فى ملأ .. أو أخته أو ابنته فقد لا يفرغ من ذلك حتى تنشب المعركة الطاحنة بما لا ينتهى إلا بفقشة أو علقة ساخنة !

وقد كن لا يسمحن باستخدام من تجاوز البلوغ أو قاربه .. ولا بأن يجلس بينهن أو يغسل أطباقهن .. أو يمسح بلاط منازلهن إلا ممن هى من بنات حواء .. ومع صغر سنى آنئذ .. فلا أرى منهن إلا من جلل الشيب مفارقهن .. وتلفعن بالشراشف .. والمناشف .. والملاحف .. كان ذلك وللرجال (العيون الحمراء) والغيرة الصارخة .. وقد كفاهن ذلك كله منهن الفطر السليمة والسير القويمة .. والأخلاق العفة المستقيمة .. أخذا بأداب الدين الحنيف .. وما تلقينه من الأصول المتأثرة بالوسط المجبول على العقائد الصحيحة .. والفوائد الحسنة .. وويل لمن شذ من الفريقين معا .. فإنه لمحل السخرية والازدراء .. وقلما وجد .. ان لم يكن مفقودا .. بين جميع الطبقات .. لا فرق بين غنى وفقير .. وكبير وصغير وصاحب كوخ . ورب خورنق أو سدير .

هذا ما كان وعصرناه .. ولمسناه .. وما أردت بإيراده إلا اثباته للعظة والذكرى .. ﴿ والذكرى تنفع المؤمنين ﴾ .

وما يزال الخير باقيا فى أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه وقد أرسله الله رحمة للعالمين . وقديما قال الشاعر العربى أبو الطيب المتنبى :

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

وقبله بقرون عديدة قال الشاعر الجاهلى **المثقب العبدى** :

ظهرن بكلة ، وسدلن رقما
ثقبن الوصاوص للعيون

وسقى الله عهد « الكباريت » فما تكاد تذكر إلا مع « البراقع » والخلاخيل .. واين : « هاواى » من « هيت » .

(١١٠٤) السليق : أقساما بالطائف ومكة

اعتاد الأوائل .. ممن أدركنا آخرهم .. بالطائف دائما وأبدا .. شتاء وصيفا .. وبمكة فى ليالى الشتاء فقط .. عمل العشاء « سليقا » بـ « الجذعان » أو « الربعان » .. أو « الهبعان » وقد يكون ذلك حتى فى الغداء فإذا ما نضج اللحم .. أخرج من الجفنة أو القدر .. وتولى

أفطنهم بالقسمة وأعدلهم — تقسيمه على المشتركين فيه .. بما يسمى « الباى » .. بحيث لا ينال أحدهم ميزة تخصه منه .. مهما علا قدره .. وامتاز محله ! وإذا كان ثمة من محاباة فهى فى إحسان الاختيار كيفا .. وتقليله « كما » ! حتى ليرضى بذلك كل مشترك .. وله كل الخيار فى أن يأخذ الأقل اللين الهين .. أو الأكثر الذى يحتاج فى عملية الهضم إلى « السفوف » .. أو « الجراوش المهضمة » . ثم بعد الفراغ من ازدراده .. بعد الكبدة واللية .. المقسمة أيضا على عدد المساهمين ! وما أعذبهما مع الملح والفلفل يمزج الحليب البقرى بالمرق .. ويغلى بعض الوقت ثم يوزع بنفس الطريقة فى الأكواب .. فإذا ما انتهوا منه .. كان (الأرز) قد نضج واستوى ! وأضيف إليه السمن البقرى الحر أو « القطرة » التى يكاد يشرب من صفائها ونقائها .. وكل ذلك السمن من إنتاج وبركات الله فى ديارنا .. وبوادينا .. ومدت « التباسى » .. وأتوا على ما فيها مسحا وكسحا .. وتناولوا « الشاى » .. الأخضر .. المعطر .. أو المعنبر ! ثم تحاسبوا على آخر دانق ! ودفع كل ما عليه .. وما كان ليزيد عن القرشين إلى الثلاثة .. حتى بلغ الريالات وتجاوزها إلى « المجيديات » ! أو الليرات !

ومن ميزات هذه الطريقة التى عفى عليها الزمن .. ان من شاء من المشتركين أن يحفظ قسمه من اللحم أو يسهم بأكثر من سهم واحد حق له ذلك .. مع الرز أو بدونه وله أن يأخذه أو كليهما إلى أهله أو ولده فى داره .. على أن يدفع ما وجب عليه دفعه كاملا .. وقد كان بعض أهل الترفه .. أو الذوق الرفيع .. لا يستسيغون ذلك بزعم أنه بداوة أو بدائية . وفاتهم أنهم بهذا « لا يعرفون من أين تؤكل الكتف ؟ » وأن الاشتغال بهذه التوافه إنما كان من باب التسلية مع مراعاة أحكام الطب وشروط الصحة .. وتخفيف العبء .. وتوفير الاجتماع على ما لا حرج فيه ولا تثريب ! وكم لنا إبان ذلك وخلاله من مؤانسات ومعابثات تولى بها الشباب ، وأين منها أو إليها الاقتراب ؟!

أما اليوم .. فقد وجد الجيل الجديد هواياته فى الدرس والمطالعة والكتابة والصحف والمجلات « والاذاعة » و « المرناء » و ﴿ **سلام على نوح فى الأولين** ﴾ .

(١١٠٥) « المسوجر » لغة

من الرسائل البريدية ما يسمى « بالمسوجر » .. وهو ما تؤخذ أجرته مضاعفة لما يحوطه من عناية وحفظ واهتمام . وتكتب الكلمة أحيانا بالكاف لا بالجيم (مسوكر) .. ومع احتمال انها دخيلة من لغة أجنبية لكثرة أمثالها فى مصطلحات الحضارة الحديثة . إلا أننى ظفرت عرضا أو مصادفة بها فى (بيت) **لأبى الطيب المتنبى** يصف فيه — مع أبيات قبله وبعده — كلب صيد أخذ ظبيا وحده بغير صقر فى أرجوزة جاء فيها :

عن أشدق (مسوجر) مسلسل
أقب ، ساط ، شرس ، شمردل

وفسر الشارح (المسوجر) بأنه : الذى فى رقبته ساجور .

وتأولت ذلك فى الخطاب المسوجر أو المسوكر .. بأنه المطوق أو المقيد .. الذى يتعذر انفلاته ، ووجه الشبه بينهما الربط والضبط والقيد والحفظ !.. اللهم إلا أن تكون الكلمة (دخيلة)

ولها (معنى) أوسع فى هذا أو شبيه به .. غير أننى أسر كثيرا إذا عثرت على ما يمكن به تعريب المستحدث من الألفاظ الغريبة فما عرف ذلك فى البريد العربى قديما .. ولعل أستاذنا العلامة صاحب المنهل الأغر .. يزيد الموضوع توضيحا بما أتاه الله من سعة الاطلاع ، وقوة الاضطلاع زاده الله نورا وعلما وتوفيقا[1] .

١١٠٦ طعم الماء

قال **البحترى** :

رب خذ للشعر من زمر أسمعونا منه ــ ما أضنى
مثل طعم الماء ليس له فى فم ، طعم ــ ولا معنى

قلت : ولا يزال الناس إلى يومنا هذا يرددون جملة دارجة من هذا القبيل عندما يستنكرون شيئا أو لا يستحسنونه ليقولون منه : ما له معنى.

ويرحم الله **البحترى** ، فلو عاش حتى شهد هذا العصر ــ وما يسمى فيه (شعرا) .. لآثر أن يتجرع ماءه .. ولو غص به .. على أن يتقيأ (قلبه) أو يتبلغ بالسلم ــ بفتح السين واللام ــ ولن يبقى إلا الأصلح والصحيح و (الديك الفصيح من البيضة يصيح) .

(١) (المنهل) : سعة اللغة العربية ما فيها ريب وسعة معلومات وسعة إطلاع الأستاذ الجليل البحاثة صاحب الشذرات ما فيها شك .. وكلمة (المسوجر) الواردة فى إصطلاح أهل البريد المحدثين على ما يتراءى لى هى أجنبية .. واستعملت منذ عهد الأتراك العثمانيين فى الخطابات والطرود المسجلة المضمونة ولا يزال استعمالها شائعا لدى بعض هذه الفئة من الموظفين .. أما الاسم العربى للمعنى ذاته فهو على ما أرى (المسجل) وقد حلت هذه الصيغة بمشتقاتها محل (المسوجر) ومشتقاتها .. هذا ما رأيته والله أعلم . وشكرا جما لأستاذنا البحاثة الطلعة على حسن ظنه ورفعة أخلاقه .

١١٠٧ ما هو « الابريق »

قال مهيار الديلمى :

ومدير ــ سيان ــ عيناه و « الابرق » فتكا ، ولحظة والمدام

والابريق هنا السيف : سمى بذلك لبريقه ! وقد أختاره لمناسبته لفظا للمدام .

قلت : فلو حاول اليوم أحد أن يجعل اسم السيف « الابريق » .. لتغامز عليه الناس .. ووصفوه بالبلاهة .. فما ابريقهم ، إلا هذا الذى يقضون به حاجتهم أو يتوضأون منه .. وقد أخنى عليه الذى أخنى على لبد .. فأخذ فى الانزواء وأصبح فى خبر كان ! وأغنى عنه ما استحدثته الحضارة من وسائل آلية ومعدنية ! و « **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** » .

١١٠٨ النار ، والظلام

قال **الصلاح الصفدى** :

صديقك ــ مهما جنى غطه ولا تخف شيئا إذا أحسنا !
وكن كالظلام مع النار إذ يوارى الدخان ، ويبدى السنا

قلت : ما أحسن ما أولد من المعنى الجميل فى هذا التمثيل .. حتى جعل للظلام به فضيلة .. تضاف إلى ما قبلها فيما يروى من قول الشاعر الآخر :

وكم لظلام الليل عندى من يد تخبر أن « المانوية » تكذب ؟

وهنا أجدنى أتساءل فى اندهاش وانكماش : هل مثل هذه الأخيلة والأمثلة ، مما ينعى على هؤلاء الشعراء القدامى ؟ وهل فى شعرائنا المحدثين .. أو المعاصرين من تلذ له أو تعجبه هذه الومضات ؟! أو أن له ما يضارعها ؟ أم أن الأمر لا يخلو من حكمة المثل العامى : « إذا بعد عليك العنقود .. قل : حامض يا عنب » ؟!.

(١١٠٩) بشار .. والقمر

قال **بشار بن برد** :

قال ريم مرعث
ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلى
قلت : أو يغلب القدر ؟
أنت أن رمت وصلنا
فانج ، هل يدرك القمر ؟

قلت : وكأمر بدهى مسلم به كانت استحالة ادراك القمر قبل هذا الشهر من هذا العام منذ هبط آدم وحواء إلى هذه الأرض من السماء ! غير أن ما فيه من حراجل وجراويل وصخور وحجارة ، أو حفر — وبؤر ! وعجر وبجر ! كل ذلك .. كدّر الخيال الشعرى فى سحره وجماله وتمامه وبهائه ! ورغم ذلك فانه مما يتعذر إدراكه فعلا إلا باربعة آلاف مليون دولار ؟ وهو مبلغ باهظ لا تسمح به الموازنات الخاصة .. أو العامة إلا بعد مرور عصور تتجاوز بها الأصفار إلى المليار ! ويخلق الله ما يشاء ويختار .

(١١١٠) بدر الجنوب

تحدثت قبلا فى بعض الشذرات عما اتفق وسما واختلف صقعا من البلدان أو القرى — وما لا يزال محافظا على اسمه وشهرته حتى الآن فى بلادنا العزيزة ، وقد عثرت أيضا على أن بالجنوب وفى مقاطعة (نجران) مكانا يسمى (بدرا) قال عنه المرحوم الأمير **تركى بن ماضى** فى كتابه (تاريخ **آل ماضى**) عام ١٣٧٦هـ .. وهو يترجم .. **الماضى بن إبراهيم** — وأولاده : ومنهم **عبدالعزيز بن ماضى** : (أنه التحق به وعين أميرا فى « بدر » إحدى المراكز التابعة لامارة نجران) .

فآثرت ضم ذلك إلى ما سبق من أمثاله حتى ينفرد هذا البحث بمؤلف خاص مستقل يجمع ما تفرق .. ويفصل ما أجمل .. وينير السبيل أمام كل مواطن يهمه الاطلاع على هذه الحقائق .. والله المستعان .

(١١١١) لا تتعلث

قال الامام **أبو بكر بن دريد الأزدى** المتوفى سنة ٣٢١هـ وذلك فى قصيدة (ثائية) له منشورة فى ديوانه :

فملنا إلى رحب المباءة ماجد
عظيم المقارى غير جبس كنابث
فلما أنخنا لم يؤده مناخنا
ولم نتعلل عنده بالعلائث !

قلت : والشاهد هنا قوله — (ولم نتعلل عنده بالعلائث) فإن المتداول حتى اليوم فى مجتمعنا إذا استبطأ أحدا صاحبه فى مهمة ما .. وجاء إليه

ينتحل المعاذير فيها قال له : (لا تتعلث) ومنهم من ينطقها بالتاء .. ويقصد لا تخترع أو تحتل المنادح للتخلى عما كلفتك به ! فى حين أن (العلثة) فى الأصل هى من (العلاثة) وهى (أقط يُلّث بالسمن) فما زال بها التطور حتى انتهى إلى أنها تعنى : محض محاولة للاعتذار أو التملص أو إيجاد وسيلة إليه (ارزوزة) .. بأية صورة كانت رغم أنها كانت عبارة عن (تصبيرة) سهلة من الطعام !

(١١١٢) من أخلاق العرب

يقول **عروة بن الورد** ــ الشاعر الجاهلى المشهور من قصيدة له :

ولا يستضام الدهر جارى ولا أرى
كمن بات تسرى للصديق عقاربه
وان جارتى الوت رياح ببيتها
تغافلت ! حتى يستر البيت جانبه

وقال غيره :

وأغض طرف ان بدت لى جارتى
حتـى يوارى جارتى مأواهـا

قلت : كذلك هى شيم العرب حتى فى (الجاهلية) وما أكثر ما جاء فى الشعر العربى من هذا القبيل ! وإنها لمن مكارم الأخلاق التى بعث الله رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ليتمها .. وما أجدرنا أن نتأسى بها فى ظل الإسلام وهو الجامع لكل خير ، وكل امرئ بما كسب رهين .

(١١١٣) قرية التنضب والطنبداوى

قال **التقى الفاسى** فى العقد الثمين .. وهو يترجم لـ (**محمد بن عبدالرحمن الطبرى المكى الملقب بالمحب**) : « وسكن باخرة : قرية (التنضب) من وادى نخلة الشامية ــ مدة سنين ، وأم بها ، وخطب وباشر العقود بها نيابة عن جدى القاضى **أبى الفضل النويرى** ، ومن بعده من قضاة مكة ، ولم يزل على ذلك حتى مات فى أثناء النصف الأول من سنة ٧٩٣هـ بمكة ودفن بالمعلاة » . اهـ

وقال الشارح : التنضب ــ بالفتح ثم السكون ــ قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة فيها عين جارية ونخل ! اهـ

قلت : وما سمعت حتى اليوم باسم هذه القرية فى نخلة الشامية ولا اليمانية .. رغم أنها كانت ذات قضاء ومعاملات وعقود مما يدل على أنها قرية ذات شأن فى القرن الثامن وما قبله ! ولعلها هى قرية (السيل) الكبير ؟! فهى ذات ماء ونخيل وما قرأنا عنها اسم (السيل الكبير) إلا فى الزمن الأخير ! والله أعلم إلا أن تكون غيرها وقد ذكرت بعد ذلك .. أو أنها موجودة وعامرة ولا يتردد ذكرها على الألسنة ؟! وعسى أن يسعفنا أهل الديرة بايضاح ذلك ونتبين مكانها من نخلة فى زماننا هذا .

وهنا (بمكة المكرمة) وفيما يطلق عليه الناس حتى اليوم (الحفاير) إلى يسار الهابط من شارع المنصور إلى المسفلة .. مكان يطلق عليه أهل مكة من قديم ــ وهو مسجل فى حدود الأملاك بالمحاكم

الشرعية ـــ (الطنبداوى) ! وما لهذا الاسم من معنى بالطاء وأميل إلى أنه (التنضباوى) ويرد كذلك أحيانا على الأفواه . وغالبا أنه كان منابت لهذا النوع من النبات .. ثم باتخاذه سكنا بالعشاش أولا والصنادق .. ثم بالمنازل الحجرية .. تحول إلى أرض ممسوحة ، وأما تسميته بالحفاير .. فهى اما حفاير الماء .. فى جوف الأرض .. عندما كانت مكة تشكو العطش .. وإما حفاير الآجر .. والطوب والمصانع التى كانت آثارها باقية إلى زمن قريب .. كما هو الحال فى أسفل مكة . والله أعلم .. وقد أدركنا فيه (بركا) وماء .. دفاقا .. فى بطن الوادى .. قبل خمسين عاما خلت !

(١١١٤) الشقلبة من فصيح العامة

يستعمل الجمهور كلمة الشقلبة غالبا فيمن يجعل رأسه مكان قدميه ، وقدميه مكان رأسه .. أو يتقلب فى الأرض يمينا وشمالا بشكل غريب مشعوذ ؟! ووجدتها فى شعر (**طفيل الغنوى**) قال :

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم
وصرف المنايا بالرجال (تشقلب)

ومن هنا يعلم أن الكلمة أصيلة .. وما تزال تؤدى نفس المدلول قبل أكثر من ألف سنة ! وكفانا الله شر الشقلبة .. والمتشقلبين ! وهدانا صراطه المستقيم .

(١١١٥) المائدة .. والخوان .. والسفرة

تطلق هذه الأسماء .. على ما يوضع عليه الطعام سواء أكان خاصا أم عاما .. أم منزليا ـــ أم فندقيا ! ويغلب استعمال كلمة السفرة فى المنازل التى ما زالت محافظة على تناول الطعام ـــ على الأرض ـــ وكانت تبسط فى سعف النخل .. بما يسمى « المغسة » أو من القماش .. أما (المائدة) .. و (الخوان) .. فقد غلبا على ما يرفع ، أى ما يسمى (بالميز) ! ولعله من التمييز بارتفاعه .. وهناك ما يسمى بالسماط .. وهو بدوره لا يكون إلا على « الطربيزات » أو « الميزات » ! وتصف حوله الكراسى للمدعوين .

ورجائى من علامتنا صاحب المنهل أن يرشدنا إلى هذه الأنواع وما يعنيه كل واحد منها شكلا وموضوعا .. وإيضاح ما بينها من فوارق ؟. وعما إذا كانت كلها إنما تعنى شيئا واحدا .. أم لكل منها إختصاص يفترق به عن الآخر .. ولسنا نطلب ذلك تطبيقيا ! ويكفى أن يكون تحريريا .. فليس المدلول فيها جميعا واحدا .. وان جمع بينها الطعام .

(١١١٦) فردوس نجد

قرأت فى شواهد المغنى **للامام السيوطى** المتوفى سنة ٩١١ هـ بيتين **للمضرس بن ربعى** هما :

تحمل من ذات (التنانير) أهلها
وقلص عن نهي (الدفينة) حاضره

وقلن على (الفردوس) أول مشرب
أجل جير ، ان كانت أبيحت دعاثره

قلت : واستوقفنى منهما ذكره فى المواضع « الدفينة » وهى معروفة فى طريق الذاهب من مكة إلى الرياض .. وقد حللت بها مرتين فهى إذن عامرة من العصر الجاهلى .. وقوله (على الفردوس أول مشرب) قال **السيوطى** : « والفردوس روضة باليمامة » .. وهنا بدا لي أن أتوجه بالاستفسار من الأستاذ الكبير **عثمان الصالح** ، وهو الألمعى الخبير عما إذا كان هذا الفردوس أو الروضة المسماة به ما تزال حتى اليوم معروفة ومعمورة هنالك !؟ فإنه لأسم بل علم — تحيط به المعانى الشائعة الخالدة .. أعتقد أنه جدير بالاحياء والانماء .. لما له من عميق الأثر والتأثير فى قلب كل عربى — تظله سماء الجزيرة العربية وتقله أرضها .. وفيه خير العوض إن شاء الله عن ذلك الذى أطلقه الناس على سمية فى الأندلس .. فان لم يكن له من عين أو أثر قائم أو معروف فمن الحق أن يطلق على أنضر وأجمل روضات اليمامة .. وأن يتصل حاضره المزدهر .. بماضيه المندثر .. وتقوم فيه وعلى جوانبه شواهد الحضارة والنضارة .. بما يترنم به الشعراء .. وما ذلك على الله بعزيز .

ملاحظـــة :

لقد كان البيت الأول فى الشواهد هكذا : (تحل من ذات التنانير) .

وأحسبه خطأ مطبعيا .. لانكسار الوزن واختلاله ووجدت أن السياق يقتضى أن يكون (تحمل) لا تحل — إلا أن يكون لذلك وجه لم « أحرزه » أو أقف عليه .. فما رأى أستاذنا القدوة (**أبى نبيه**) فى هذا التصويب ؟![1] .

(١) (المنهل) : يبدو كما أشرتم إليه أنه تصويب مصيب .

(١١١٧) هلوف .. لاهلوف

بكسر الهاء وفتح اللام وتشديدها بعدها واو ساكنة سكونا حيا ، ففاء .

يبالغ أحدهم فيقول إنى لا أرى فلانا إلا كالحلوف — بتشديد اللام — ولم أظفر بأصل لهذا « الحلوف » فيما تيسر لى الاطلاع عليه حتى الآن .. غير أننى وجدته فى قصة رواها صاحب (النوادر فى اللغة) — (**الأنصارى**) **أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت** المتوفى سنة ٢١٥ هـ وقد عمر عمرا طويلا قارب المائة .. قال :

« زعموا أن **قيس بن عاصم** أخذ ابنه (**حكيما**) وأمه (**منفوسة**) بنت **زيد الفوارس الضبى** فرقَّصه وقال :

أشبه أبا أمك — أو أشبه حمل
ولا تكونن (كهلـوف) وكل

فقلت : لعل هذا هو أصلها دخل عليها التحريف : والهلوف هو الثقيل الجافى العظيم اللحية !

(١١١٨) سوء البطيط

ما أكثر ما يتداول الناس فى مختلف بلاد العرب كلمة (البطيط) — يوردونها — فى عباراتهم الدارجة .. حكاية عمن يعمل ما يستنكره غيره ويستكبره ويستكثره ! فلو ذهبنا نسأل القائل : « ما هو هذا البطيط » ؟ لتردد فى الاجابة — لأنه لا يدرى منه غير ما سمعه من سواه وأن مدلوله هو : اقترافه ما لا يحمد فعله أو قوله منه ، وما أعجب أن يكون (البطيط) من قبل ألف

عام أو تزيد .. هو (العجب) .. قال الشاعر :

ألما تعجبنى ؟ وترى (بطيطا)
من اللائين فى الحقب الخوالى

فهذا هو كما أورده **الزجاجي** سنة ٣٤٠هـ فى أماليه .

(١١١٩) هو - بتخفيف الواو وهو - بتشديدها

قلما نسمع فى اللهجة الدارجة من يتحرى النطق صحيحا إذا قال (هو) — بفتح الواو — وإنما يشددها كما تعود ذلك أكثر الناس أو كلهم . وقرأت فى (مغنى اللبيب) **لابن هشام الأنصارى** المتوفى سنة ٧٦١هـ . هذا البيت :

وان لسانى شهدة يشتفى بها
و (هو) — على من صبه الله علقم

بتشديد الواو وفتحها — ..

قلت : وبهذا يشترك النظم مع النثر والفصيح مع العامى فى التشديد . وان كان ذلك نادرا ! — وما أردت الاشارة إلى أن لهذا الاستعمال أصلا قديما ، وربما كان أسبق من هذا الشاهد ، والله أعلم .

(١١٢٠) قل : (غاق) فانك تطير

من طرائف الأدب العربى القديم ، ما رواه صاحب الأغانى أن **نصيبا الأسود** أنشد الشاعر **ابن أبى عتيق (عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق)** .. قوله :

وكدت (ولم أخلق من الطير) إن بدا
لها بارق نحو الحجاز أطير !

فقال له : يا ابن أم ، قل (غاق) فانك تطير — يعنى أنه غراب أسود! ا.هـ

قلت : إنه لظرف مأثور عن الحجاز منذ **العصور** الاولى ، ولم يعد أحد فى زماننا هذا محتاجا **إلى** « الغوغقة » ليطير ! فقد أغناه الله (بالميج ، **والكونكورد**) .. وما إليهما عن ذلك وعن أن **يطير** — فانه ليطار به .. محمولا على أجنحة من **الحديد** .. والمعادن : وأدمغة من الاختراع .. **وأجهزة** من العلم والإبداع .. وقريبا جدا إن شاء **الله اليوم** الذى يصنع فيه شبابنا الطموح بأيديهم **وعقولهم** وإنتاجهم الصناعى المتطور كل ما **استطاع** غيرهم إنجازه وإتقانه واستخدامه من **مرافق** الحياة العصرية المتطورة فما هم فى الذكاء إلا مضرب الأمثال .. (وإن غدا لناظره قريب) .

(١١٢١) رشح الحجر وكعب البقر

من النعوت القديمة التى أطلعتها الناس على بعض الرجال فى زمانهم قولهم عن « القائد » **عبدالله ابن الزبير** رضى الله عنه .. أو وصفهم له بأنه « **رشح الحجر** » .. مبالغة فى وصمه بالشح أو **البخل !** وما يخلو ذلك من غلو .. وإيغال .. **وغل** .. واستغلال بتشويه سمعته .. من خصومه **الذين** صرعوه وهو يجالدهم حول (بيت الله **الحرام**) .. وقد قرأت أيضا لقبا أو نعتا لأمير .. آخر .. لمكة .. بعثه **المعتز بالله العباسى** ، قال **ابن الأثير** : « لما ذكر فتنة **إسماعيل بن يوسف العلوى** بمكة فى سنة ٢٥١هـ ، ثم وافى **إسماعيل** عرفة .. وبها **محمد بن إسماعيل بن المنصور** الملقب (بكعب البقر » . اهـ

قلت : وقد استمر هذا التلقيب فى المتأخرين .. حتى كنا نسمع من فلان أنه (**قرطاس النشا**) .. وآخر أنه (كذا) .. وقد عرفنا أشخاصا لا عمل لهم ولا اشتغال إلا باطلاق أمثال هذه النعوت على ما يشقى بمعرفتهم .. أو الاتصال بهم .. ومنهم من ينطبق عليه على حد المثل السائر عندهم : « ما تقول طق .. إلا من حق » .. وكنت أظنها من المحدثات الطارئة .. فى أزمان الركود والجمود .. والتفرغ للتنابز ، والتلامز . وظهر أنها عريقة .. سحيقة .. وقديما نعتوا **المنصور العباسى** بأنه « الدوانيقى » ! لحرصه على المحاسبة حتى على النقير والقطمير .. وهكذا نجد الناس متأثرين بمن سبقهم .. فمحلق طائر .. وواقف عاثر ! و (الله يتولى السرائر) .

(١١٢٢) جبل « ثقبة » بمكة هو « ثبير الأثبرة »

يطلق أهل مكة ـــ على الجبل العظيم يسار الصاعد إلى (منى) .. والكائن على يمين المتوجه إلى الطائف .. فى طريق (نخلة اليمانية) .. وهو المشرف على (**سد العدل**) والذى يمر فى سفحه خط الأسفلت الجديد من وإلى منى ، وبعد تعبيده وتمهيده ، يطلقون عليه عدة أسماء .. منها وأولها وأولاها بالاعتبار (ثبير) .. وهو لضخامته وعلوه وشموخه .. (ثبير الاثبرة) وما أحسب امرأ القيس واصفا إلا إياه بقوله :

كأن (**ثبيرا**) فى عرانين وبله
كبير أنـــاس فى بجاد مزمـــل

ومنها .. (الصدر) .. لأنه فى مكانه متصدر مرتفع المام على كل ما حوله من الجبال . وتقوم تجاهه (جبل حراء) .. وإلى يمينه جهة (المحصب) والأبطح جبل (خندمة) أحد أخشبى مكة المكرمة ، ومنها (جبل الرخم) لأنها تأوى إلى ذروته ويسيل منها وما تخلفه من (زرقها) الأبيض ! ومنها(ثقبة) .. وما أجد لهذه التسمية تعليلا فيما دونه المؤرخون .. إلا علة واحدة أظن أنها أقرب إلى الحقيقة .. وهى أن أمير مكة المكرمة فى أوائل القرن الثامن .. الشريف (**ثقبة بن رميثة بن أبى نمى**) ٧٤٤هـ . كان يأوى إليه أو إلى سفوحه .. مستجما أو محاربا .. أو مدافعا أو أنه وقعت به معركة أو أكثر بينه وبين خصومه آنئذ ! وقد كان ولا يزال معروفا بالشلالات المنحدرة من أعاليه .. فى مواسم المطر .. ويتخذ منه الناس إلى عهدنا مباءة للقيلات .. بين خرير الماء .. وعذوبة الهواء .. والله أعلم .

(١١٢٣) الوشم ـــ جاهلى

سبق أن تكلمت عن « الوشم » .. وأن له سابقة فى جزيرة العرب قبل الأقطار العربية الأخرى أو معها ! ونسيت إيراد البيت الأول فى معلقة (**طرفة**) **بن العبد** :

لخولة أطـــلال ببرقـــة ثهمـــد
تلوح كباقى (الوشم) فى ظاهر اليد

وقال شارحه **الخطيب التبريزى** : (٤٢١ ـــ ٥٠٢)هـ : « الوشم : أن يغرز بالابر فى الجلد ثم يذر عليه الكحل .. أو التؤور ! فيبقى سواده ظاهرا » ا.هـ

قلت : وبهذا يتبين أنه أقدم عهدا حتى من **طرفة** نفسه ! وما أقسى أولئك الذين يغرزون الابر

فى جلودهم لينتوشموا ! رجالا ونساء ، كبارا وصغارا ! والذين يحسبون أن ذلك حلية يتزينون بها ، وما هى إلا ترقيع وتقطيع ! والحمد لله الذى جعلها أثرا بعد عين ، فما فى بلادنا اليوم من يتخذ ذلك أو يستجمله بحال .

(١١٢٤) « الأصمعي » تلميذ « الشافعي » في الأدب

قال **السيوطى** فى المزهر : قال الساجى : سمعت **جعفر بن محمد الخوارزمى** يحدث عن **أبى عثمان المازنى** على **الأصمعى** ، قال : قرأت شعر **الشنفرى** على **الشافعى** (بمكة) . ا.هـ

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا **عبدالرحمن بن أخى الأصمعى** قال : قلت لعمى : على من قرأت شعر **هذيل** ؟ قال : على رجل من **آل المطلب** يقال له (**ابن ادريس**) . ا.هـ

قلت : سبحان المعطى الوهاب ، فإن **الامام الشافعى** القرشى ، وكان مسكنه بمنى إلى جانب **مسجد** الخيف .. لم يصرفه (التفقه فى الدين) ، عن تدريس الأدب والشعر ، ولمن ؟! لمثل **الأصمعى** الذى أصبح مضرب الأمثال فى فنون **اللغة** وبه زخرت كنوزها ، وفاضت بحورها .

وما أراه بعيدا ذلك اليوم الذى تستعيد فيه هذه **البقاع** المطهرة مكانتها العلمية الأولى فلا تضرب **إليها** أباط الإبل فقط ، وإنما تحلق عليها أيضا أجنحة (النفاثات) من جميع أركان المعمورة .. لتأخذ **عنها** ما تتزود به (التقوى) وتعتز به فى دنياها و (تقوى) !.

(١١٢٥) الومد ـ والسموم

فأما الومد فانه عادة من لوازم فصل **الأسد** وفصل **السنبلة** .. غصبا .. ولا سيما إذا كان الجو **حول الشواطىء** البحرية .. وفيها يستهل العرق من **كل بدن** ، ويتضايق النفس ويتضاعف الشجن ! **وقد خفف** منه استعمال **محدثات** الحضارة من (المكيفات) التى لم تقتصر على المنازل **والقصور** ، والبيوت والدور .. بل توافرت حتى **فى السيارات** عبر الصحارى المحرقة .

وأما السموم .. فإنه فيما بلوناه من الأعوام **المديدة** .. مختص بشهرى (**الجوزاء**) .. ثم **السرطان** .. ومرابط حول **المرتفعات** التهامية .. **ومنها مكة** المكرمة ، إلى سفوح جبل كرى .. وما **يحاذيه** من أصقاع ورباع .. وخلال هذه الفصول **الأربعة** يفر الناس إلى (الهدة) .. و (الشفا) .. و (**الطائف**) .. حيث ينعمون بالهواء البارد **العليل** ، والنسيم لطلق البليل . إلا أننى أنكرت فى **عام** ١٣٨٨ هـ تداخل الومد والسموم فى بعضهما **عبر** الفصول كلها مجتمعة .. كأنما امتزجا أو تنافسا فيها بشكل غريب ، فهذه أواخر السنبلة ، **وكأنما** السموم فيها عاصفة هوجاء .. (يذيب **دماغ** الضب) .. وما **ذلك** إلا لندرة **هطول** **الأمطار** رغم أنها عمت جميع الأرجاء إبان أوائل **الصيف** ، ومن دلائل قدرة الله جل وعلا ـــ أنه **خلال** ثوان أو ساعات ينقلب الحرور إلى عكسه ! **خاصة** بالليل ، ومن هنا يتمثل قول الأعرابية التى وصفت زوجها بأنه كليل تهامة لا حر ولا قر ولا سآمة ! ذلك أنها من أهل الوبر ولو كانت مدرية لما وسعها إلا غدير البنات بين (لية) والسداد .

(١١٢٦) التطريق قديما وحديثا

نقول فى زماننا هذا — لمن يعبر زقاقا .. أو يصعد سلم دار ، طرّق ! أى أرفع صوتك .. وناد أهل البيت .. قبل أن تفجأهم .. أى استئذن . ونقول ذلك أيضا لمن يسير فى الشارع ومعه دابة تحمل ما يخشى ضرره على المارة .. كالأحجار والمواد الصلبة .. ونقولها أيضا إذا رأينا خربة تنذر بالسقوط أو بدا عليها الميل أو الترنح نقول : إنها (تطرق) — بضم التاء وفتح الطاء وكسر الراء وشدها — أى توشك أن تنهار .

ووجدت فى ديوان (**أوس بن حجر**) — وهو شاعر جاهلى مبرز — إستعمالا قديما للتطريق لم نسمع به ولم نتداوله .. فهو يقول فى قصيدة له رائية :

وانـــا وإخواننـــا عامـــرا
على مثـــل ما بيننـــا نأتمر

لنـــا صرخـــة ، ثم إسكاتـــة
كما (طرقت) بنفـــاس بكـــر

قال الشارح : والتطريق أن يعسر خروج الولد فتصرخ لذلك ثم تسكن حركة المولود فتسكن هى أيضا .. وخص تطريق البكر لأن ولادة البكر أشد من ولادة الثيب . ا.هـ

وفى عصرنا هذا يسمون ذلك (الطلق) بسكون اللام .

(١١٢٧) اين هو الاشنان

منذ عرفت الحياة ، وميزت بين الألوان ، كان هذا الأشنان لا تخلو منه دار فى مكة ، ولا فى المدينة المنورة ، وما حولهما من المدن والقرى ، يستعمله الناس لغسل أيديهم بعد الطعام .. وربما أجسامهم ورؤوسهم ، لما فيه من خواص **طبيّة** .. وفوائد عديدة . وكانت جدتى لأبى حريصة عليه ، مدخرة له **دائماً** وبمرور الزمن لم أعد أسمع له وجودا وكأنما هو معدوم ، وكان مما يهادى به الزوار مع التمر المدينى ، لأهلهم وذوى قرباهم وأصدقائهم بكميات كبيرة تارة وصغيرة أخرى ، ومصدره « طيبة » على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ، وقد قرأت فى كتاب « عمل اليوم والليلة » **للإمام السيوطى** المتوفى سنة ٩١١هـ ، فى فصل (لطائف الأكل والشرب) قوله : « وإذا أتى — أى الطاعم — بالأشنان تناوله باليمين » ..

قلت : وقال الشارح : هو نبت نافع للجرب والحكة ، جلاء ، منقى ، مدر للطمث ، مسقط للأجنة . ا.هـ

وهذه بعض منافعه بإذن الله وهو من أعشاب بلادنا ، وكان شائع الاستعمال عدة قرون قبل أن يصطنع أو يصنع هذا (الصابون) فلماذا يهمل ويترك ؟ ولا تطور صناعته وتحضر منه أقراص أو قطع تباع وتشرى وتسد فراغا كبيرا فى وسائل التنظيف والتطهير .. بل والعلاج والحكة والجرب ، فما أحسب التربة تضن به لو وُجِدَ له رواجا فى الاستهلاك العام ؟!

(١١٢٨) يا أخي « بس » !

كلنا ــ عامة وخاصة ــ نقول لمن نريد أن يسكت وهو يتحدث ، أو نكفه عما هو يصنع : يا أخى بس .. بس ! وكنت أحسبها عامية محضة ، فإذا بى أقرأ فى كتاب « العين » : (بس) بمعنى حسب . وقال **محمد بن المعلى الأزدى** فى كتاب (المشاكهة) : فى اللغة العامية تقول بحديث يستطال : بس ، والبس الخلط ! وعن **أبى مالك** : (البس) القطع ولو قال لمحدثه (بسا) كان جيدا بالغا أى بس كلامك بسا أى أقطعه قطعا .. وأنشد :

يحدثنــا (عبيــد) ما لقينــا
فبسك يا عبيد من الكــلام

قلت : وأكاد أتمثل من قول لى بعد هذا : (بس) .. وقد بسست ! إلا أننى ما أزال فى ريب من قول الصغار لبعضهم : « بسى : بسى » ــ بكسر الباء وبعدها سين مشددة مكسورة بعدها ياء ساكنة ــ فى مجال المخاصمة .. والغالب أنها بنت أخت الأولى أو هى ذاتها .. فهى تعنى أيضا القطع أو المقاطعة .. وأتذكر أننا كنا زمن الطفولة نستعيد المواصلة بمس الخنصرين من قبل المتقاطعين .. أو (المتباسين) .. وتعود المياه إلى مجاريها على الفور بعد ذلك .. وما كان ذلك كله .. إبتكارا .. وإنما هو التراث الموروث ولدا عن والد .. حتى ينتهى بنا الأمد إلى الأصول الموغلة فى القدم ، حتى فى اصطلاح الأصابع وإشاراتها .. فلكل حركة منها مفهوم لا يزاحمه فيه جاره ولا أخوه وكذلك هى الألحاظ .. فلها وحدها قاموسها الواسع ، بما لا تملكه الخطباء المصاقع .

(١١٢٩) ادوره

كلمة رائجة دارجة .. يكررها الجمهور آلاف المرات يوميا فى مخاطباتهم على اختلاف طبقاتهم لا سيما فى الحواضر وعند أرباب وربات البيوت ! (أدوره) ــ هى بتشديد الدال وضمها ــ ويعنون بها ما تعنيه كلمة « أشوى » .. أى أهون وأخف .. ولا أدرى لها أصلا إلا أن تكون من (الدوارة) .. و (الدوران) .. ويقصد بها .. بهذا ولا بغير .. أو كسب أقل ربح مادى أو معنوى ! أو اكتفاء ما هو شر .. والاقتناع بأزهد ما يكون أو يحصل من الخير .. ولعلها من الوافدات .. أى من الكلمات الدخيلة من إحدى اللغات غير العربية .. أما تأويلها ، ومفهومهاالأول إذا أخضعناها للعربية فهى القناعة بعد التدوير أو الدورة .. أى السعى الحثيث .. بما حصل .. ولا الخيبة .. أو الحرمان المطلق .. وعسى شيخنا صاحب (المنهل) الأغر أن يشارك فى التخريج .. ويضع (النقط على الحروف) كما يقول المعاصرون .

(١١٣٠) غزة المدينة المنورة وغزة مكة المكرمة

وغزة فلسطين

قال **الفيروزابادى** فى المغانم المطابة :

(١٩٣) غزة بالفتح ــ وبالزاى موضع بالمدينة مشهورة بغزة الشام .

قال **الزبير بن بكار** : كان بنو خطمة متفرقين فى آطامهم ، فلما جاء الإسلام اتخذوا

مسجدهم ، وكان أول من سكن منهم رجل ابتنى عند المسجد بيتا .. وكانوا يتعاهدونه كل يوم ويسألون عنه ، مخافة أن يكون السبع عدا عليه بالليل ، ثم كثروا فى الدار حتى كان يقال لها (غزة) نسبة لغزة الشام من كثرة أهلها .. ا.هـ

قلت : ومن المعروف أن مدينة (غزة) فى الأصل هى التى ولد بها **الامام الشافعى** رضى الله عنه — وتسمى غزة هاشم — بفلسطين .

وبمكة المكرمة — محلة تقع ما بين محلة سوق الليل وشعب عامر — بنفس الاسم حتى يومنا هذا ، وسبب هذه التسمية فيما أرجح أن أهل غزة كانوا يقيمون بها خيامهم ويعرضون بها بضائعهم من أنواع (النقل) أو المكسرات والزبيب واللوز والقعقع والحمص الشامى والحلويات والزيتون وما يصحبونه معهم فى موسم الحج خلال أعوام طويلة غابرة فلما امتد العمران واتسع ، تفرقوا فى كثير من المواضع بأم القرى ، والله أعلم .

(١١٣١) برك الشمال وبرك الجنوب

أما الأول فإنه كما جاء فى كتاب « المغانم المطابة » : موضع قرب المدينة المنورة ، قال : « قال **عرام** ، بحذاء شواحط من نواحى المدينة والسوارقية واد يقال له « برك » كثير النبات من السلم والعرفط كأفنان الشجر .. وبه مياه . قال **ابن السكيت** فى قول كثير :

فقد جعلت أشجان برك يمينها
وذات الشمال من مرنخة أشأما

والأشجان مسايل الماء ، وبرك ههنا نقب يخرج من ينبع إلى المدينة عرضه نحو أربعة أميال أو خمسة وكان يسمى « مبركا » فدعا له النبى ﷺ . ا.هـ

قلت : أما البرك الثانى فهو الميناء المعروف فى الجنوب بساحل جازان .. مما يلى « القنفذة » وهذا مما اتفق وضعا واختلف صقعا أيضا .

(١١٣٢) « العرج » - عرجان !

أما أحدهما فهذا الذى يقع شرق مدينة الطائف . وإليه ينسب الشاعر **العرجى** : « أسفل وادى وج » .. وأما الآخر فهو واد عظيم من أشهر الأودية الواقعة بين مكة والمدينة ويبعد عنها بمسافة تقرب من مائة ميل على ما حدده **البكرى** فى المعجم » . ا.هـ

(بلاد ينبع) — للأستاذ **حمد الجاسر**

قلت : ما أجدرنا بمعرفة كل ما فى بلادنا من جبال وأودية .. وما اتفق إسما .. واختلف صقعا .. فقد سبقنا إلى ذلك القدامى رحمهم الله .. وكانت وسائلهم فى الرحلة والدرس والتأليف الركائب والنجائب .. والآن تجوب السيارات والطائرات الأرض والأجواء فى دقائق معدودات وساعات محدودات ؟.. والثقافة عامة .. شاملة .. وذلك أحق بالعلم والاحاطة .. من كل ما عداه من تقاويم البلدان .

١١٣٣ ـ « الفرع » فرعان

وهناك فى قمم جبال الشفا قرية مشهورة تدعى « الفرع » فى سفح جبل (دكا) أعلى شماريخه المشرفة على ساحل البحر رغم بعد المسافة !. وهو بسكون الراء .. وفى الطريق بين المدينة المنورة ومكة المكرمة (واد يطلق عليه أيضا « الفرع » .. بفتح الراء .. وهو يقع قرب (سويقة) ـــ بينها وبين وادى مثغر على مرحلة من المدينة .. وهو فرع **المسور بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف**) .

(بلاد ينبع) ــ للأستاذ حمد الجاسر

قلت : وقد كنا نسمع وما زلنا من رواد هذا الطريق كلمة (طريق الفرع) .. بضم الفاء وسكون الراء .. ويقابله (الطريق السلطانى) .. ولعل هذا هو ذاك .. محرفا .. أو غيره باعتبار الأصل والفرع .. والله أعلم .

١١٣٤ ـ « سويقة » سويقتان

والأولى منهما كانت بمكة فى محلة الشامية ، وهى ما بين (المروة) و (قاعة الشفاء) .. وكلها دكاكين ومعارض للكساء .. وتختص بذلك فى جميع ما احتوت عليه من بضاعة .. وأحسب أنها ليست الوحيدة بهذه التسمية .. فلها أخوات فى عدة مناطق من بلاد العرب على ما أظن .. وقد أزيلت فى مشروع توسعة المسجد الحرام .. ولم يبق لها إلا بعض الفروع .. التى تتصل بها من قديم وما من مانع يحييها فى تسمية جهة ما بنفس الاسم إبقاء لها فى المناطق الحديثة التى انتقلت إليها سوق « الأقمشة » والأردية .. وما إليها .. وأما الأخرى فهى (عين من عيون وادى الحورة فى « الأشعر » وهى بلدة (**عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب** وبنيه) .. وقد كانت بلدة كبيرة .. ولها ذكر كثير فى كتب التاريخ .. وقد رثاها شاعر ينبعى جهنى يسمى « **سعيد بن عقبة** » بقصيدة رائية طويلة من الشعر الرقيق .. ومن ابياتها قوله :

لا يبعد الله حيا كان يجمعهم
مذرى « سويقة » أخيارا لأخيار

كما جاء فى كتاب « بلاد ينبع » .. للأستاذ **حمد الجاسر** وسبحان من له الدوام .

١١٣٥ المحدثات ، الطبريات ، المكيات

جاء فى مقدمة كتاب « القرى : لقاصد أم القرى » للامام الحافظ **أبى العباس أحمد بن عبدالله الطبرى** المولود سنة ٦١٦ ـــ والمتوفى سنة ٦٧٤هـ ، قول محققه الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول قوله : « وممن سمع الحديث وأسمعه من نساء هذه الأسرة ـــ أى الطبرية ـــ ونبغ فيه حتى تسابق كبار الحفاظ إلى الأخذ عنهن . « الاختان الأصيلتان ، **أم الحسن** : **فاطمة ، وأم محمد** : علماء .. ابنتا **الامام أبى اليمن** ـــ بضم الياء وسكون الميم ـــ **محمد بن أحمد بن إبراهيم الطبرى** ، قرأ عليهما الحديث بمنزلهما « بالسويقة » بمكة ، الامام الحافظ **محمد بن محمد بن محمد بن محمد فهد الهاشمى** المكى ، والأختان الفاطمتان ، **أم الحسن ، وأم الحسين** ابنتا الامام **أحمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الطبرى** » . ا.هـ

قلت : وما أكثر من هن قبلهن وبعدهن من حملة الأسانيد ، وذوات الباع الطويل فى الفقه والتفسير والحديث من عقائل مكة .

ونرجو أن يكون فى برامج تعليم البنات الحديثة مراعاة من يخلفهن فى العلوم الدينية ليعهد اليهن بتثقيف ربات البيوت مواجهة ومحاضرة ومذاكرة .. فما أشد الحاجة إلى ذلك فى زماننا هذا .

١١٣٦ الاطباق الطائرة عند الحريري

قال أبو محمد القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات فى قصيدته الألغازية البالية :

وكم رأيت بأقطار الفلا « طبقا »
يطير فى الجو منصبا إلى صبب

قلت : وما كان « طبقه » هذا إلا القطعة من الجراد ، وما أدرى هل يقوم خيره بشره ؟.. فقد كان يأكل من الزروع ويسمن ثم يدفع أغلى الثمن ويأكله الناس « محمصا » — مملحا — قبل أن توضع له الأشراك المسمومة ، وما يقتصر ذلك على البادية وحدها بل وفى الحواضر كلها أيضا .. فكم « اجتمع عليه » أهل البيوت رجالا ونساءا وأطفالا ، ويتفكهون به أو يتحذقون .. وقد حماه المكافحون .. من الأضراس الطحون وأسنة السنون وأطلقوا عليه سهام المنون .

وما أعجب أن يرهص الحريرى قبل ألف سنة ولو تعبيرا « بالأطباق الطائرة » .. ولو عاش فرآها لأخذ بها أيضا فانه لكالبحر الهدار ، رغم ما يلقاه من الجحود والأهدار .

١١٣٧ السياسة : اجمالا

« سأل الوليد بن عبدالملك أباه ، ما السياسة يا أبت ؟ قال : هيبة الخاصة لك مع صدق مودتها ، واقتيادك قلوب العامة بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع » . ا.هـ

قلت : إنها قواعد أساسية ، وكل ما عداها فروع لها .. وما من فن من فنون القيادة والحرب والادارة وغيرهما إلا وللعرب فيه جوامع وموانع ، وبها استطاعوا أن يسوسوا الممالك ، ويحكموا الأمم والشعوب ، وهى من البراهين الساطعة على ما حباهم الله به من فطر سليمة وأخلاق قويمة .. مكن لها الله جل جلاله بالإسلام وجعلهم بها « خير أمة أخرجت للناس » .

١١٣٨ بطن نخلة وبطن نخل

قال الفيروزابادى فى المغانم : « بطن نخل جمع نخلة قرية قريبة من المدينة ، على طريق البصرة بينها الطرف على الطريق ، وهو بعد أبرق العزاف للقاصد إلى المدينة » .

قال المعلق الشيخ حمد الجاسر :

قال السمهودى : وقال الأشعرى فى وصف طريق « فيد » ان من بطن نخل إلى الطرف إلى المدينة خمسة وعشرين ميلا . قال : وبطن نخل لبنى فزارة ، وفيها أكثر من ثلثمائة بئر ، كلها طيبة ، وبها يلتقى طريق « الربذة » وهى من الربذة على ٤٥ ميلا / . ا.هـ

قلت : وهكذا نجد نفس الاسم فى الشمال — لبطن نخلة ، فى الجنوب بفارق بسيط — يدل على

القلة والكثرة ، أما « بطن نخلة » فهو طريق الطائف المعروف ويطلق عليه « نخلة اليمانية » و « نخلة الشامية » وفيه قال امرؤ القيس :

فريقان منهم هابط بطن نخلة
وآخر منهم جازع رأس كبكب

ومحل العظة والاعتبار والتساؤل .. هذه الآبار المتدفقة فى بطن نخل واندثارها .

وآمل أن يسعفنا أستاذنا الكبير « **أبو نبيه** » بما لديه عن « بطن نخل » فى زماننا هذا — وهل لا تزال معروفة بهذا الاسم ؟ وهل لهذه المياه الدافقة عين أو أثر ؟.. وإذا كانت بهذه المنزلة من الخصب والعروة المائية الجوفية .. فهل هى اليوم محل العناية والاستنباط والأحياء من قبل وزارة الزراعة ؟ ذلك ما نرجو أن يشفى الغليل عنه علامتنا الجليل .

(١١٣٩) « ثور » مكة المكرمة و « ثور » المدينة المنورة

كلنا يعرف جبل ثور الشهير بمكة المكرمة .. وقد كان فيه « الغار » الذى اختبأ فيه النبى ﷺ وصاحبه الصديق رضى الله عنه ، ومنه اتجها إلى المدينة المنورة فى هجرتهما التى تحدثت عنها كتب السيرة الصحيحة .

وهناك بالمدينة المنورة « جبل » يطلق عليه ثور أيضا وجاء فى الحديث الشريف أنه ﷺ « حرم ما بين (عير) إلى (ثور) . قال **الفيروزابادى** صاحب كتاب « المغانم المطابة فى معالم طابة » : وقال بعض الحفاظ : أن خلف « أحد » من شماليه جبلا صغيرامدورا يسمى ثورا يعرفه أهل المدينة خلفا عن سلف » . ا.هـ

قلت : وهذا مما اتفق اسما واختلف صقعا ويضاف إلى أمثاله عند التدوين الحديث إن شاء الله .

(١١٤٠) « طفيل » آخر فى طريق المدينة المنورة

قال الأستاذ **حمد الجاسر** فى تعليقاته على كتاب « المغانم المطابة » : « طفيل » قال **عرام** : إنه جبل صغير متوسط للخبت ، والخبت يمين « هرشى » فى المغرب وهو غير طفيل المذكور فى شعر **بلال** » .

قلت : والمعروف عند أهل مكة أن « طفيلا » مضاف إلى « شامة » فى ضواحى أم القرى مما يلى اليمن ، وهما جبلان متقابلان ثمة ، لا يزال المعاصرون يعرفونهما فى مكانهما وهما المذكوران فى شعر **بلال** رضى الله عنه :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولى أذخر وجليل
وهل أردن يوما « مياه مجنة »
وهل يبدون لى شامة وطفيل

و « مجنة » فيما أتذكر هى فى « مر الظهران » — وأكاد أظن أنه بالنسبة لشامة وطفيل هى ما كان يسمى « بركة ماجن » والله أعلم .

(١١٤١) أصل الفرجة لغة واصطلاحا

إن هذه الكلمة ذات معنى عميق يتصل بحبات القلوب .. وتتهلل به وله الاسارير وتنفرج الشفاه ، وذلك لانه فى اصطلاح الناس إنما يعنى

النظر إلى ما يسر من مواكب ومظاهر ومشاهد وقد أدركناها أيام الطفولة والشبيبة و « تفرجنا » على الكثير مما كان يسير فى الشوارع بأشكال وأوضاع ترتاح لها النفوس وتبتهج الأفئدة .. ومن ذلك « الموسيقات » و « النوبات » والركوب و « الخلعات » والمحامل والجنائب .. وكل ذلك ونحوه من الملاعب والزينات والاحتفالات والاستعراضات والاستقبالات مما يستحق « الفرجة » ويعنون بها طبعا « التفريج » ويشترك فى ذلك الرجال والنساء والأطفال والصغار والكبار على حد سواء .. أما فى اللغة .. فإنها السعة بعد الضيق .. قال الشاعر :

ربما تجزع النفوس من الأمـــ
ـر ، له فرجة كحل العقـــال

ومن ذلك ما ورد فى الدعاء المأثور : اللهم اجعل لنا من كل غم فرجا ومن كل ضيق مخرجا » .

وفى زماننا هذا تكاد تنحصر الفرجة العامة الغالبة على « ملاعب الكرة » وقد أغنى فيها عن كل ما مضى « ما يعرضه التليفزيون كل ليلة وكل جمعة بما اتسع لكثير من العلم والمعرفة والتهذيب والتثقيف إلا الملاكمات والمصارعات الثورية — نسبة إلى الثور — فإنها مؤلمة مزعجة لا يحتمل النظر اليها — فى نظرى — إلا متحجرو القلوب .. وإن كان الهدف من عرضها تنمية روح البطولة والرجولة فى النشء المكافح الطموح » .

(١١٤٢) يا أخى ! لا تعمل لى دوكة

يتفاوت أو يتجادل اثنان فيعلو صوت أحدهما على الآخر .. فيبادره هذا بقوله : يا أخى لا تعمل لى « دوكة » .

وفكرت مليا فى هذه « الدوكة » وبعد لأى وتأمل طويل ظهرت الحكمة فى ذلك ، مما يدل على أن مخترع استعمالها فى هذا الموقف كان أديبا ضليعا .. ذلك أن الصوت لا يرتفع دفعة واحدة وإنما يتدرج فى الارتفاع حتى يبلغ الصياح .

و « الدوكة » ما هى ؟ إنها أحد الانغام السبعة الرئيسية فى جملة « بحمر دسج » فالباء « البنجكاه » . والحاء « الحسينى » والميم « الماية » والراء « الركبى » والدال « الدوكة » والسين « السيكاه » والجيم « الجاركاه » .

ومن خصائص الدوكة عند أصحاب الفن أنها تبدأ .. صاعدة فى « المجس » درجة بعد أخرى .. حتى تصل إلى أقصى مدى ممكن للحنجرة .. ومن هنا نعلم أن أول من استخدمها فى الزجر عن الضجة و « الهيلولة » .. كان صاحب ذوق سليم وأدب صميم ، فلم يشتم ولم يقابل بالمثل ولم يقل ما يزعج فى نصحه أو زجره ، بحيث يبلغ ما أراد دون إيذاء .. أو تحقير وذلك ما لا يلقى الأكثرون له بالا .. وأكاد أجزم بأننى اكتشفت هذا المعنى وقد كان خافيا .. و « مادح نفسه » يقرئك السلام .

١١٤٣ من طق طق لسلام عليكم

تستقبل حواء جارتها أو صديقتها .. ويتحدثان ثم يتفارقان ، فتعمد احداهن إلى مقابلة أخرى .. وتنث أو تبث لها كل ما وعته ذاكرتها من حديثهما الأول . وتقول فى ختام ذلك : ها أنذا قلت لك عن كل شئ « من طق طق لسلام عليكم » أى من حين ما طرقت الباب إلى أن ألقيت سلام الوداع أو التوديع ، وبحذافيره وبكل وقائعه وجلائله .

أما إذا كسرت الطاء ، فإنها تؤدى معنى الأنفجار أو الانفلاق أو الأمر بالجلوس والسكون .

ومن هذه الجمل والعبارات والكلمات المتداولة ما لم تتناوله المدونات القديمة ، ولا بأس من زيادة الثروة اللفظية بهذه المستحدثات الطريفة ، رغم أنها تافهة ، إلا أنها تحيا معنا ولا ينبغى أن تبخس حقها من التنويه .. حتى يأخذ الله وديعتها وتلحق بما سبقها من دفين ومرموس .

١١٤٤ النقنقة والنق والنقيق

أما الأولى أى « النقنقة » .. فهى تناول المقدار الزهيد من الطعام بما يعرف أيضا — بالتصبيرة — حتى تنضج القدور أو يكتمل الحضور .

ولها معنى آخر غير هذا .. وهو أن تدعو صديقك إلى المائدة فيقسم أنه قد تغدى أو تعشى ، فتقول : لا بأس « نقنق معنا » أى من باب المجابرة .

وقديما قال **سليمان بن عبدالملك** وقد دعا رجلا إلى طعامه فقال : لا رغبة لى فيه ، فقال **سليمان** له : « لا خير فى الرجل يأكل حتى لا تكون فيه شهوة لطعام » .

أما « النق » فانه فى عرف واصطلاح المعاصرين : اللوم والتقريع والتعريض والتثريب والترديد لما يكره « المخاطب » .

وبقى « النقيق » وهو صوت الضفدع ، وله نغمة وترجيع خاص لا يشاركه فيهما غيره من مخلوقات الله .

ومهما كان نقيق الضفادع مقلقا فإنه لا يوجد فى الأصوات .. حتى الحمير .. على شدة نكارتها أشد إزعاجا وأعظم بلاءا ، وأشد مدعاة للإقلاق والأرق من صوت « الوزغ » أو الأبرص السام .. ولو ملكت وسائط الذرة المحيطة بها لتهلك كبارها وصغارها لما أخذتنى بها رحمة ولا شفقة .

ولعلى أوفق بجعلها فى حكم الأحياء المنقرضة أهلكها الله وذريتها المؤذية .

وان من العجب العجاب ما ألهمت به من الدفاع فقد لاحظت أنها تختبئ وراء الزجاج حتى لا يحطم كالصرصور الذى يلج ولا يضج إلا عند المنام .

١١٤٥ الفنترة .. والغندرة

إنها صفة تضفى على كل ذى سمت حسن وزى جميل وخلق كريم ، حتى فيمن يمارس احدى الألعاب السائلة .. فإنه يباشرها بهدوء وثقة بنفسه .. واطمئنان وسكينة ، وما أحسب

كلا منهما ــ أى « الفنترة » و « الغندرة » إلا اصطلاحا تداوله الناس دون أن يكون لهما أصل فى اللغة .

ولعل أستاذنا « **أبا نبيه** » أوسع إحاطة وأتم افادة لو أفضل بالتعليق .. وحسبى أن أختم هذه الشذرة بأن هاتين الصفتين لا تتعارضان مع الفتوة والرجولة بل هى منهما وبهما وفيهما .. فان تجاوزت إلى الرذيلة باينتها الفضيلة وما هى إلا وسط بين رذيلتين .

(١١٤٦) الفرقنة أخت «الميوعة»

كل من يبدو عليه التفكك والكسل والتفريط .. وعدم المبالاة ، كان يقول له آباؤنا وأجدادنا فيما سمعناه منهم انه « مفرقن » ويعنون بذلك أنه كمتفرق الأعضاء أو الأوصال .. فهو متسيب أو متدلع .. أو متميع .. ويمقتونه ويصلونه نارا من التأنيب والتقريع .. وأشهد أننى ما رأيت فتى ــ من هذا النوع ــ إلا تمنيت أن كان لى عليه سلطان وأعلوه بالدرة العمرية أو الخيزران السيلانى .. حتى يكتوى جلده بآلام الضرب وأراه يعدو وأعدو خلفه ولا يسلم من يدى إلا إذا استقام ونشط ، وتجنب الانخراط فى هذا النمط .. وإلا فيا خيبة أهله ووطنه فيه ، وأولى به أن يكون رهين الأشغال الشاقة .

ويقترن بهذا المعنى أيضا « التنبلة » ومنها كان تنابلة السلطان فى الحكايات القديمة .

(١١٤٧) الزبلحة . .

وإذا بدا من الصغير أو الكبير ما ينكر من السلوك والكلام المر ، امرأة كان أو رجلا أو طفلا ، وأطلق لسانه بالقبيح من الألفاظ والممقوت من الشتائم .. قالوا عنه : إنه لمزبلح .. وكانوا يملكون تأديبه حتى تسقط ثناياه أو يتقلب ظهره وبطنه وقفاه .. وقد أدركنا أمثال هذا الفريق يطرحه العمدة أو شيخ الحارة أرضا ويشبعه « ضربا » أو طقا حتى يرى النجوم فى الظهر .

ونحمد الله على أنه لم يعد للزبلحة من عين أو أثر إلا فى نجوة من الشواحط أو أغصان الشجر .. وما نذكرها إلا لشكر نعمة الله علينا بما غلب من الخير والامتثال والطاعة والأدب .

ومن أمثال العامة عندنا قديما قولهم : « رحم الله من بكانى وبكى الناس علىَّ .. ولا ضحكنى وضحك الناس علىَّ » .

(١١٤٨) هذا الولد جاب لنا « الضرحرح »

أى ضرحرح هذا الذى يجىء به الولد أو الخادم أو أى شخص آخر ؟ وما هو لغة واصطلاحا ؟.. أما لغة .. فلا نص عليه فى المعاجم المختصرة عدا قولهم : الضرح الرجل الفاسد . وضرحت الدابة : رمحت وأما فى الاصطلاح فانه كما يقولون : « القيق ونشفان الريق » ولست بصدد القيق هنا ــ فما يعدو أن يكون أخا للنقيق .. أو مرادفا له أو اتباعا مقدما ويعنون به المشقة والازعاج والارهاق .. وأكاد أعتقد أنه من نوع

السائلات .. لأنهم يقولون سقانى الضرحرح .. فقد يكون من رواسب الدبة المرذولة .. أو المنبوذة .. أو المكروهة فى الحلاقيم .. ولما لها من ذيوع عام وجب أن تدخل فى نطاق البحث المتصل بعامى الكلام .

١١٤٩ يا أخى سقيتنى « الضرحرح »

لايحتمل المرء من صاحبه أو خادمه أو رفيقه ما يزيد عن الطاقة .. فينفد صبره ويصيح به قائلا : « يا أخى سقيتنى الضرحرح » .

واللغز هنا ماهية « الضرحرح » فلو ذهبنا نسأل حتى الكثير من غير الأميين عنه لتوقفوا عن الاجابة .

وقرأت فى الأضداد **لابن الأنبارى** أيضا : « الذرحرح » : وأحد الذراريح ويقال فى دعاء العرب : « به الورى ــ وهو داء يفسد الجوف ــ وحمى خيبرا وشر ما يرى فانه خيسرى » .

قال : والخيسرى ، هو الذى يجيب إلى الطعام لئلا يحتاج إلى المكافأة . وقال آخر :

قالت له « وريا » .. إذا تنحنح
يا ليته يسقى على الذرحرح

ومن هنا نفهم أن الضرحرح هو « الذرحرح » وتفسيره واضح بأنه من دعاء العرب وأكاد أجزم أنه من النبات الكريه الطعام والمرير المذاق .. ظنا لا يقينا .. فما فى جوارى ــ ما أرجع إليه ــ من المعاجم وحسبى أن أعدته إلى أصله المحرف .. حتى نفسر غامضه الذى هو أنضر وأعرف .

١١٥٠ « خلش » لـ « هو لش »

إذا طرق الباب زائر قال له : من فى الداخل : خش .. أى أدخل .. وهى فصيحة عربية صحيحة ، ونسمع فى المتداول وخاصة فى « نجد » والمنطقة الشرقية كلمة ــ خوش ــ وهى تدل على ما يستحسن .. وحقيقتها أنها « فارسية » دخيلة .

غير أن أصلها بلا واو فهى أيضا « خش » وقد قرأتها فى شعر « **لأبى شراعة** » أورده صاحب الأغانى .. وقال : خش : كلمة فارسية تفسيرها : طيب ، ولعل من زادوا الواو إليها إنما قصدوا ذلك للتفريق بين الإذن بالدخول ، والاستحسان والقبول .. كما ميزوا بالواو بين **عمر وعمرو** .

أما « الخاش » بمعناه العامى المتداول ، فلا أساس له مطلقا فان اللغة تقول عنه : خاشه خوشا بالرمح : طعنه .. ولا صلة بين هذا المعنى وما انتهى إليه فى فهم المتأخرين والله أعلم .

١١٥١ الصرم القديمة

قال الشاعر **الانصارى المازنى أبو « صرمة »** : « وقد روى الحديث عن رسول الله ﷺ : « **من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه** » :

لنـــا « صرم »[1] يدول الحق فيها
واخــــلاق يسود بها الفـــقير
ونصح للــــعشيرة حيث كانت
إذا ملئت من الغش الصدور

(١) صرم : بكسر الصاد المهملة .

وحلم لا يسوغ الجهل فيه
واطعام إذا قحط الصبير
بذات يد على ما كان فيها
نجود به ، قليل أو كثير

قلت : فهذه هى « الصرم .. القديمة » ، والعجب أنه لو قال أحدنا لصاحبه : ما لك عندى غير الصرمة القديمة .. لكان جوابه مالا يرضى .. لأن المتأخرين يطلقون « الصرمة القديمة » بفتح الصاد على « الجزمة » أو « الكندرة » البالية وكلتاهما دخيلتان حديثتان .. ولو تعقل الساخط وعلم ما هى « الصرمة القديمة » وأنها لا تقل عن العشرين من الإبل أو حمر النعم لاستبشر وما كشر ولا زعل .. ولكنه لا يسبق ذهنه إلا إلى قدمه وما ينتعل .. وخير له إذا سمعها بعد الآن أن يتهل ويستهل .

١١٥٢ « الأورال » فى شعر امرىء القيس

إن ما يطلق عليه « الأورال » فى زماننا هذا هو جبال فى شرق بلاد روسيا وترى مواضعها فى الأطالس وكتب الجغرافيا .

واقرأ لامرىء القيس قوله :

كأنى بفتخاء الجناحين لقوة
صيود من العقبان طأطأت شملال
تخطف خزان الأنيعم بالضحى
وقد حجرت منها ثعالب « أورال »

والخزان بكسر الخاءهو ذكر الأرانب ، وجمعه « خزز » :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومحل الشاهد هنا — أو الاستشهاد « الأورال » ، فإن امرأ القيس على عروبته الأصيلة قد زار بلاد الروم واستنجد بقيصر .. فلعله انتهى إلى سمعه هذا الاسم أو وقف على تلك الجبال بالذات .. فأوردها فى شعره إذ لا نجد فيما بين أيدينا من كتب الأدب واللغة وتقويم البلدان ما يدل على أن فى بلاد العرب « اورالا » آخر[1] والله أعلم .

١١٥٣ الاحتمال والمعايشة

قال أبو الحسن بن محمد الموقت « المكى » :

إذا المرء لم يبرح يمارى صديقه
ولم يحتمل منه فكيف يعايشه ؟
وأنى يدوم الود والعهد بينه
وبين أخ فى كل وقت يناقشه ؟

قلت : وهذا من الأدب الحجازى المكى القديم قبل ألف سنة ، وهو تفصيل ما أجمله « النابغة » فى بيته المشهور :

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث ، أى الرجال المهذب ؟

فهل طرأ على هذه الحكمة البالغة خلال القرون الطويلة الغابرة حتى اليوم ما ينقضها ؟ أم دعمت فى طريق ما يسمونه « بعلم النفس » بعد أن تغلغل فيها أصحاب الاختصاص ؟

(١) (المنهل) فى شرح الزوزنى لهذه القصيدة أن « أورالا » اسم موضع .

١١٥٤ القرض .. قرضان

أما أحدهما وأكرمهما .. وخيرهما فهو (القرض الحسن) المحمود ، قال تعالى : ﴿ **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له** ﴾ ؟ وتقول العامة فى أمثالها الدارجة : « الدنيا قرض بوفاء » .

وأما الثانى ـــ وهو المذموم ـــ فإنه من (قرض الفأر إذا قضم طعاما) أو اختلس « بقسماطا » .. حتى يأتى عليه من جوانبه ويتركه أثرا بعد عين .. وقد تداوله الناس وهم يقصدون به « الغيبة » ـــ غالبا ـــ فتقول حواء لأختها أو صديقتها : ان فلانة ما تزال تقرضنى قرضا ـــ بمعنى تغتابنى .. وتنحت أثلتى وتذمنى .. أو تشتمنى .. وشتان بين القرضين .. والمتناقضين ﴿ **ومن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ « وكل إناء بالذى فيه ينضح » .

١١٥٥ الكيف ، والتكيف

كل من يتناول الشاى أو القهوة .. أو ابتلاه الله بهذا (التتن) أو الدخان .. أو الجراك .. أو التنباك .. يقول إذا افتقده : « كيفي ضاع » ؟ وإذا تيسر له وارتوى منه ، قال : الآن « تكيفت » !.. ويقول له صاحبه : (خذ كيفك) ... إذا بالغ فى تكريمه . وفيما درج من العبارات قولهم : إذا مانعهم أو عاندهم أحد (على كيفك) وتعنى أنه مُصِرٌّ على ما أراد !

فما هو سر هذا الكيف وملحقاته ؟ .. لم أجد ما أعلله به إلا أن دماغ الإنسان جهاز لابد له من (التكيف) وأن يكون تصرفه فيما يحدث له من دقيق الأمور وجليلها .. قائما على أساس من الحكمة أو العقل والمنطق ! أو كلها معا .. ومن هنا ، يعتبر هذه « العوائد » التى ملكت قياده ، بعد الاعتياد ، (مكيفة » .. وبها يتماسك تفكيره ويستقيم ! ولعلها تصورات وهمية ، تنعكس بها الأهداف إلى ما هو ضدها .. فى الألباب والأعصاب ! ومن هنا جاءت تسمية هذا « المكيف » للجو .. بردا ، وحرا .. أو حرا وقرا ؟! .. وكل ذلك حادث لم يعرفه أقوياء الشكائم .. وذوو الارادات الصارمة .. والآثار الخالدة .

١١٥٦ الغش في جمع التجليد

يهمنى أن أنبه إلى غش ـــ قد يكون غير مقصود .. أو هو نتيجة للزحمة أو الغفلة ! ولكنه مزعج .. أليم ! ذلك أنك تشترى كتابا ذا جلد واحد أو مجلدات .. وتطمئن إلى أنه كامل .. وتدفع ثمنه ولو غلا .. ثم تضعه فى الصفوف وعلى الرفوف ! وتمضى مدة أو سنة أو سنوات لكى تتمكن من فرصة للمطالعة فيه والمراجعة .. فاذا بك ترى بعض ملازمه مفقودة .. كليا .. أو إذا لم تفقد جملة .. تجدها أحيانا فى غير محلها من الترقيم .. والترتيب .. والاتصال .. ذلك أشد ايلاما من هذا .. وكلاهما مؤلم مؤسف ! ولهذا لا بد لأصحاب المكتبات ان يولوا عنايتهم لما يشحن لهم من الكتب فانك ان حاولت إعادة الناقص « المخروم » أو « المخترم » بعد مضى شهر واحد على شرائه .. أخجلك أن تعيده ، وأزعجك أن تبقيه كما هو . ولتدارك ذلك ، وبعد التجربة .. أكتب هذه (التبصرة) .. أو التذكرة

وعلى الله العوض لا فى الثمن فقط .. بل فيما ينقطع من التسلسل ! وما يسوء من النقص أو الانتقاص ، مع الابتئاس ، وهى فى تأثيرها على القارئ أشد وأنكى من التطبيع ، وكلاهما مشين وفظيع .. (فخلوا بالكم منه) ! والأصح هو عكسه : (لا تخلوا بالكم منه) .

١١٥٧ الليل والنهار طولا ، وعرضا ، وقصرا

قال جرير فى قِصَر النهار :

ويوم كإبهام القطاة مزين
إلي ، صباه غالب لى باطله
ولم أنس يوما بالعقيق تخايلت
ضحاه ، وطابت بالعشى أصائله

ويقول أبو تمام فى طوله :

ويوم كطول الدهر فى عرض مثله
وشوق من هذا ومن ذاك أطول

ويقول امرؤ القيس قبله :

وليل كموج البحر .. أرخى سدوله
علىّ بأنواع الهموم ليبتلى
فيا لك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ويقول النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطئ الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض
وليس الذى يرعى النجوم بآيب

ولكل منهم ليله ونهاره ، يكيفه ويصفه كما عانى منه .. أو شقى فيه .. أو سعد ، وما أرى الليل طويلا إلا بالمرض والأرق والقلق والفراق والجزع !.. وأيا كانت البواعث عليه . ولا قصيرا إلا بالأنس والمرح والانشراح ، وأحسن من ذلك كله (الطاعة) .. إذا وفق الله إليها عباده الابرار .. ولو فى الأسحار ، ولا النهار طويلا إلا فى القيظ والسموم والومد فى الجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة ، ولا قصيرا إلا بالغيم والرذاذ ، و « الركبى » و « الحسينى » و « العشاق » وحسن الاختيار ومشاكله أو مماثلة الأصدقاء والرفاق . وان عهدى لبعيد جدا بالبدار والبكور ، إلى « المصافى » و « المنحنى » و « الرصيفة » و « العكيشية » و « الزاهر » و « جبل النور » .. ونسأل الله تعالت أسماؤه أن يزيل كل ديجور .. ويشرح منا جميعا الصدور .. ويصلح كل مفتون ومغرور ، (ولله عاقبة الأمور) .

١١٥٨ على قدك لا قدرك

كنت أحسبها محرفة ، وهى قول البعض بل الكل : ان هذا الثوب أو القميص أو « البشت » بكسر الباء : (المشلح) جاء (على قدك) : وتأولتها بأنها فى الأصل على (قدرك) ! وحذفت الراء منها تحريفا أو تخفيفا ! وقرأت قصة عن **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه ، رواها **محمد بن على** ، قال : « قدمت على **عمر** حلل من اليمن فقسمها ما بين المهاجرين والأنصار ولم يكن فيها شئ يصلح على **الحسن والحسين** ، فكتب إلى صاحب اليمن أن يعمل لهما « على قدهما » ففعل ، فبعث بها إلى **عمر** فلبساها .. فقال **عمر** : لقد كنت أراها عليهم فما يهنينى حتى رأيت عليهما مثلها » . ا.هـ

قلت : وهكذا تبين أن (قدهما) صحيحة .. وربما كان ذلك يعنى « القد » أى (القوام) وهو بلا ريب أدنى إلى المعنى المقصود — من القدر ، ولو كانت لهذا ندحة من قريب أو بعيد — بالقد — دون ما راء .. ولا تزال دارجة منذ عصر عمر رضى الله عنه حتى يومنا هذا بنفس المدلول . ومن أمثال العامة : « مد رجلك على قد لحافك » — وان لم يكن للحاف قد ! وهنا يجوز استعمال القدر دون حرج أو تثريب ! ويرحم الله القائل :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

وشتان بين « القدين » .

(١١٥٩) يا بشير ! ارخ الفانوس

كثيرا ما سمعت هذه الجملة .. يقولها المرحوم الشيخ **سليمان بن الشيخ محمد فرج الغزاوى** ، شيخ الخطاطين بالحجاز ، وهو بداره ، والمنادى — بفتح الدال — بشير غلامه وخادمه ، وذلك أثناء الليل .. وفيما بين المغرب والعشاء .. وكان لا يستعمل (الأتاريك) إلا للضرورة القصوى ، واستقبال الضيوف . أما الكهرباء ، فلم تكن قد عممت بمكة . وهو لا يكتفى بأن يرخى بشير فتيلة الفانوس ، بل يزيد على ذلك قوله : « وادرقه وراء الجدر » .. أى واره .. أو أخفه ، كل ذلك كان يضايقنى .. وما كنت أعرف سره عند هذا الجيل من عباد الله الطيبين . وظهر أنه محافظة على قوة الإبصار ، وسلامته عن الأعشاء والاحزار ، فعاش نيفا وخمسا وثمانين سنة .. دون أن يحتاج إلى « المنظرة » .. وكذلك أخوه أيضا المرحوم الشيخ **تاج الدين الغزاوى** ، وقد تجاوز الثمانين أيضا .. وكلاهما خطاط بارع ممتاز . كما أن تبكيرهما فى النوم ، منحهما الانطلاق قبل صلاة الفجر لأداء الصلاة فى المسجد الحرام .. ومن قبلهما كان والدهما الشيخ **محمد فرج خطاطا** وتوفى فى غرة التسعين ولم أره قط يستعمل المنظرة فى حياته الطويلة !

وقد رأيت المرحوم الملك (**الحسين بن علي**) وهو فى غرة السبعين ، ثم الثمانين ، لا يدع فى مجلسه أو مخلوانه الخاص ضوءا باهرا .. من أى نوع .. بل انه يقيم غالبا فى ليالى الصيف — فى خارجة الجملون — بقصر الحكم ، دون ضوء إلا شمعة إلى يمينه يشعلها بيده عندما يحتاج إلى قراءة ما .. ثم يطفئها بفيه إذا فرغ ! وذلك محافظة على البصر والابصار . وما رأيته قط ، واضعا على أنفه (النظارة) .. رغم ارتفاع السن .

وأغلب المسنين من أهل البادية .. ومن بلغ منهم المائة عام فأكثر .. إنما يعود الفضل فى سلامة عيونهم .. بعدهم عن الضوء القوى الباهر ، واكتفاؤهم فى الصحراء ، بنجوم السماء .. وبرغم ذلك فاننى لم أتعظ بما مر بى من هذه التجارب العملية ! واستمر على ضوء تعشى به زرقاء اليمامة .. وتتوارى عنه الحمامة واليمامة ! فهل من يعتبر بما قصصت من سيرة القدامى ويقتصد فى كل ما يجهر أو ينجهر به بصره السليم ؟ ثم لا يبالغ فى السهر ويبكر فى القيام ؟ فهو أنجح وأفلح وأصلح والله ولى التوفيق .

١١٦٠ النمردة . والبغددة

حلقات آخذ بعضها برقاب بعض منذ نشأة الخليقة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .. يتلقى الخلف من السلف كل ما انتهى إليه من تجارب وأحداث .. وحكم وأمثال ! ولا تنفك الأمم والشعوب عن ماضيها السحيق .. مهما كان سعيدا أو شقيا .. طيبا أو رديا .

ومن ذلك ما يتداوله أهل عصرنا هذا وهو قولهم : « لا تتنمرد » لمن يبدو منه شىء من الصلف والعناد والكبرياء .. ويعنون بذلك أنه فى تصرفه بذلك .. إنما يمثل (النمرود) الذى لا يجهل قصته أحد مع سيدنا **إبراهيم الخليل** صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا الكريم .

وأما (البغددة) .. فانهم يقولون لمن يمعن فى الادلال أو « الدلع » ، أو الترفع ، أو التمنع : « لا تتبغدد » .. أى لا تكن كأهل بغداد يوم كانوا يصطنعون ذلك فى عصورهم الزاهرة .. وعندما كان الخليفة هارون الرشيد يقول للسحابة تمر به : (امطرى حيث شئت فان خراجك يصل إلى) وهو كناية عن سعة الملك وانتشار السلطان .. ومن هنا كان الترف والشرف والفخر والاعتزاز ، والتعزز !.. وسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

١١٦١ خزاعة . وقضاعة

يجمع الناس عامتهم وخاصتهم على أن (خزاعة) من قبائل اليمن القحطانية .. وأنها إنما طرأت على الحجاز بعد سيل العرم ، مع الذين نزحوا من اليمن إلى مشارف الشام والعراق ، ولا يرتابون فى ذلك ، ويستدلون بعنوانها واسمها وهو (خزاعة) .. وانها إنما سميت بذلك لانخزاعها إلى (مكة) .. واتخاذها مأوى لها دون أخواتها .

وقرأت فى بعض كتب الأنساب أنها عدنانية .. وفى أخرى أنها قضاعية .. ولم أجد بدا من الاستعانة بذوى العلم والراسخين فيه لبيان ما هو الأصح فى هذا الموضوع ، مع هذا التضارب ، للاطمئنان إلى الحقيقة فيه ، لذلك أرجو من ذوى العلم عامة ارشاد قراء المنهل الأغر إلى ما هو الصحيح فى هذا مع بيان أسانيده القوية الجازمة ، وأوجه هذا الرجاء خاصة إلى فضيلة العلامة صاحب المنهل الأغر — بارك الله فى حياته المديدة وأدام النفع بآرائه وبحوثه المفيدة .

وعسى أن يكون ذلك تعليقا على هذه الشذرة ليتم بذلك النفع إن شاء الله تعالى .

١١٦٢ (خزاعة) ايضا اقحطانية ام عدنانية ؟

تساءلت فى الشذرة السابقة لهذه عما إذا كانت قبيلة **خزاعة** قحطانية أم عدنانية .. نظرا لتضارب الروايات .. وكان سر الاشكال هو أنها إنما سميت خزاعة لانخزاعها إلى مكة المكرمة ، بعد سيل العرم .. حيث اتجه الغساسنة إلى مشارف الشام .. والمناذرة إلى الحيرة .

وأخيرا قرأت فى كتاب (قلائد الجمان — فى التعريف بقبائل عرب الزمان) للعلامة **أبى العباس أحمد بن على القلقشندى** المتوفى سنة ٨٢١هـ ما نصه :

« البطن الثالث من الأزد » :

(**خزاعة**) ـــ بضم الخاء وفتح الزاى المعجمتين ، وألف ثم عين مهملة وهاء فى الآخر ـــ وهم **بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن مازن بن الأزد** .

قال **أبو عبيد** : **وعمرو** هذا **أبو خزاعة** كلها ، ومنه تفرقت بطونها .. فولد له (**كعب**) **بطن** ، و (**مليح**) **بطن** ، و (**عدى**) **بطن** ، **وعوف** ، **وسعد** .

وذكر فى موضع آخر : أن خزاعة هم **أسلم** ، **ومالك** ، **وملكان من بنى أفصى بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر** . (نقلا عن الجمهرة) . (٢٢٨) .

وقرأت فى جمهرة **ابن حزم** ، قوله : « قال **على** ، أما الحديث الأول والثالث والرابع ففى غاية الصحة والثبات ، وأما الثانى ففيه « اسرائيل » ! ولكن فى الأحاديث الثلاثة حجة قاطعة وكفاية ، ولا يجوز تعدى القول بما فيها (**فخزاعة**) من ولد **قمعة بن الياس بن مضر** بلا شك ، وليس لأحد مع مثل هذا كلام ، **وأسلم** أخوة **خزاعة** بلا شك عند أحد من النسابين » . ا.هـ

وجاء فى العبر : « وقال **القاضى عياض** : المعروف فى نسب **خزاعة** أنه **عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر** ، وانما **عامر** عم أبيه أخو **قمعة** فتكون **خزاعة** من **العدنانيين** (العبر) ٢ ـــ / ٣١٥ » .

وقال **السهيلى** فى الروض الأنف (٣٥) : (**كان حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر خلف على أم لحي** بعد أبيه « **قمعة** » فتبناه **حارثة** فانتسب إليه ، فالنسب صحيح بالوجهين) . ا.هـ

قال **ابن الكلبى** : « وسموا **خزاعة** لأن **بنى مازن بن الأزد** لما تفرقت **الأزد** من اليمن فى البلاد نزل **بنو مازن** على ماء يقال له (غسان) على ما تقدم ، وأقبل **بنو عمرو بن لحى** ـــ فانخزعوا عن قومهم .. فنزلوا (مكة) .. ثم أقبل **بنو أسلم** ، **ومالك** ، **وملكان** ، فانخزعوا عن قومهم أيضا ، فسمى الجميع (خزاعة) » ا.هـ.

قال فى العبر : « وكانت مواطنهم مكة و (مر الظهران) وما بينهما .. وكانوا حلفاء قريش ، وكان **لخزاعة** (ولاية البيت بعد **جُرهم**) ولم تزل بيدهم حتى باعها **أبو غبشان من قصى بن كلاب** .. وقال : وبقايا **خزاعة** بأرض الحجاز ـــ وغزة » ا.هـ .

وقال فضيلة الشيخ **حمد الحقيل** فى كتابه « كنز الأنساب » صفحة ٢٥ : « ... فيقال لبنى **سبأ** كلهم السبئيون إلا **حميرا وكهلانا** ، فان القبائل قد تفرقت منهما ، فإذا سألت الرجل : من أنت ؟ فقال : (سبأى) فليس بحميرى ولا كهلانى ، وفى هذا الجزء الكبير ، حمير والتبابعة والأوزاع ، وقضاعة ، والأوس والخزرج ، وجماهيرهما .. وخزاعة » ا.هـ .

قلت : وما زالت **خزاعة** معروفة إلى عصرنا هذا بمكة وما حولها ، إلا أن هذه النصوص تفسح مجالا واسعا بتناقضها للتساؤل ؟! فانها تثبت نسب **خزاعة** مرة إلى **الأزد وكهلان** .. وأنها قدمت من اليمن بعد سيل العرم .. وانخزعت إلى مكة .. وفى الوقت نفسه .. تجعلهم مرة أخرى من **العدنانية** بما عزى إلى (**القاضى عياض**) .. وإلى (**ابن حزم**) .. وإلى (صاحب العبر) .. « **ابن خلدون** » !

وما كان (كهلان) أبو الأزد إلا ابن (سبأ) ابن (يشجب) وإلى الأزد انتهى نسب (خزاعة) ! فكيف يتفق بعد ذلك اعتبارهم من العدنانيين ؟! إلا بنص صحيح صريح ؟!

هذا ما يجب أن يتحقق — علميا — من الأصول العريقة .. لتتبين الحقيقة ، فما يصح التقاء النسبين معا .. وقديما قال الشاعر :

أيها المنكح « الثريا » سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان ؟!
هى شامية إذا ما استهلت وسهيل إذا استهل يمانى !

وينعقد الرجاء على أبى (نبيه) والعلماء الأفذاذ الراسخين من أهل الاختصاص بعلم النسب ، فى إزاحة الغشاء عن هذا الموضوع وازالة الالتباس فيه ، إن شاء الله والله الهادى إلى سواء السبيل .

١١٦٣ مع الأزياء القديمة

ولا أعنى بها تلك التى كانت تستعمل فى حواضرنا قبل قرن أو أكثر .. بل منذ خمسين عاما فقط .. وقد أدركناها وارتديناها .. وشاهدناها .. ثم أخذت فى الاختفاء ، حتى لم يبق منها لا عين ولا أثر !

ومن ذلك ما يسمى (بالميتان) وهو صورة طبق الأصل لهذا الذى يسميه الناس (بالكوت) فى أيامنا هذه .. إلا أنه مما يغلب فيه الاستعمال أثناء فصل الشتاء لأنه من الصوف السميك .. ويغلق على الصدر بأزارير .. من الصدف أو العظم أو المعدن .. ولا (ثنية) فى (رقبته) أو ما يحيط منه بالرقبة على الأصح .. فهذه الثنيات فى الأثواب والأكوات إنما حدثت منذ عهد قريب جدا .

وهناك ما كنا نرتديه إذا اشتد البرد .. ولزمت الوقاية منه ولا سيما لمن هم فى سن الأطفال .. ويسمى (بالمضربية) — بضم الميم وفتح الضاد المنقطة وتشديد الراء وفتحها وكسر الباء بعدها ياء مفتوحة مشددة فتاء مربوطة — وأحسبها تركية الأصل أو شامية .. وحشوها (قطن) .. يضرب بالخيط كاللحاف .. وفى خطوط متناسقة .. متوازية .. ويشترك فيها البنات والاولاد .. على السواء .

كما كان استعمال « البدن » — بفتح الباء والدال المهملة بعدها نون — رائجا فى أوائل هذا القرن إلى العشرينات ، وهو ما يشبه « الشايات » إلا أنه بلا أكمام .. وأكثر ما يتخذ فى فصل الحر .. لخفته ورهافته .. ولا يصطنع إلا من قماش قطنى رهيف . فأما « الشاية » فانها كانت من خصائص ذوى المكانة والشرف وذوى الثراء والشرف ، ومن يحاكيهم من مختلف الطبقات ، فلا بد منها تحت « الجبة » .. وتشد من وسطها بحزام من السليمى — بفتح السين — أو الابريسم ، وتناط بها « أساتيك »[1] الساعات المدلاة عليها .

و « الجبة » رداء ضرورى لمن يشتغلون فى الخدمة الدينية أو التجارية . وتزداد رحابة وسعة فى الطول والعرض ، إذا كان المرتدى لها من العلماء الكبار أو المنتمين إليهم من الطلاب المتازين .. وتكون لها أكمام فضفاضة تتجاوز

---

(١) (المنهل) الأستيك فى اللهجة العامة الحجازية هو ما يربط بالساعة الجيبية من ناحية وبالجيب من ناحية أخرى سواء أكان خيطا متينا من قماش أم سلكا معدنيا ذا عقد مترابطة ذات مرونة للانثناء والاستقامة على الدوام .

نطاق الأيدى أكثر من شبر ، تقريبا . وهى فى هذا الوضع تسمى « بالفرجية » ــ بفتح الفاء والراء وكسر الجيم بعدها ياء مشددة فتاء مربوطة ــ ولا محيص معها من تكوير الرأس « بالمدرج » الذى كان من خصائص الأئمة والخطباء .

أما « البشوت » أو « المشالح » .. فكان الحصول عليها صعبا والوارد منها محدود ، والاستعمال لها مقتصر على كبار ووجهاء البادية ورؤساء القبائل ، وعند المناسبات الطارئة .. فأما أهل الحاضرة ، فان ارتداءهم لها واجب لا عدول عنه خلال الأيام التالية لعودتهم من الزيارة الرجبية ، مهما علت أو انخفضت مكانة الزائر القادم . والعجيب أنها على ندرتها تتوافر لهم فى تلك الفترة بمقادير تتجاوز الآلالف ، وهى من الوبر الأسود الممتاز .. ولا يقل ثمن الواحدة منها آنئذ عن عشرة من الدنانير أو الجنيهات . ولا أدرى من أين كان يتيسر الحصول عليها ــ وربما بالعارية غالبا ــ ولأيام معدودة .

وقد انقرض زى آخر كان شائعا شاملا فى جميع الأوساط الشعبية .. وهو ما يسمى « بالسديرية » ، وأحسبها بالصاد لا بالسين .. فهى قطعة من القماش تفصل على قدر مساحة الصدر والظهر ، ويتخذ فيها جيبان ، عن اليمين وعن الشمال ، لاستيعاب الدراهم أو الساعات .. وبلغ من شمولها ورواجها ونفاق سوقها أنه اختص بها « خان كبير لا يعرض به سواها » ويسمى « خان الدارى » وهى الصدارى كما سلف آنفا .. وكان فى الجانب الأيمن من « المروة » وتعرض فيه أنواع شتى منها ذات أثمان مختلفة .. وعلى حسب الطلب والمقاس والقدرة الشرائية .

كما كان « للكوافى المقصصة » حوانيت كثيرة ، فى (مكة المكرمة) ، ويشتغل فيها فريق كبير من مسلمى الهند والبنغال ، ولا يقل ثمن الواحدة منها على الجنيه أو أكثر ، ويزيد كثيرا عن ذلك فى مناسبات الأعياد ، وخاصة « عيد الفطر » السعيد .. ويتهافت عليها جميع الحجاج ، ولا سيما أهل جاوى والأفارقة .. ومن كافة أطراف القارة الأفريقية .

وتسجيلا لذلك « كصورة حية » لابسناها ولم تعد ماثلة للمشاهدة آثرت أن أعرضها على الأجيال الصاعدة ، لمجرد العلم بها .

ونحمد الله تعالى على « توحيده » أولا ، وعلى « وحدة الزى » وتخفيف المؤونة والكلفة ، والمشقة ، والعنت .

وأختم هذه (الشذرة) بما كنا نؤمر به ــ فى سن الخامسة إلى التاسعة ــ من حمل اثقال (الكسوة الموسمية) فى الأعياد وهى ما لا يقل وزنها عن ضعف وزن المرتدى لها .. بما انتظم فيها من الرغلة الفضية والزخارف الذهبية ، كما هو الحال فى ذوات الحجال .. أيام الخف والبابوج .. و (الحجيلة) ، والخلخال !.

ولعلى نسيت مع مرور السنين والأعوام بعض ما يستدركه عليَّ ، متقدمو السن من القراء الكرام ، ولهذا فانى التمس العفو على هذا الاسهاب فانه من قبيل : « أسرع السحب فى المسير الجهام » ! وأرجو من أخى اللوذعى الهمام (**أبى نبيه**) رائد حملة الأقلام ، وصاحب الفضل الكبير فى مجال التوعية والالهام ، أن يطرفنا بتعليقاته التى تميط اللثام ، عما أسدل عليه النسيان ستور

الأبهام[1] ، وما شئت هذا السجع عمدا ، ولكنه مجرد الانسجام ، ولكم منى جميعا عاطر التحية والاحترام .

١١٦٤ « الو أواء » والماء .. والوهم

للمدنية والحضارة أدوار وأطوار بها تدرجت فى تقدمها علما وعملا حتى بلغت ما هى عليه اليوم من نمو وازدهار ، وقد اقتبس الجديد من القديم ، والغرب عن الشرق .. منذ عرف تاريخ الإنسان .

وللعرب سهمهم الأوفى فى هذا المضمار ، وناهيك بقصة (**عباس بن فرناس**) فى محاولته الأولى للطيران ، وهى معروفة للجميع .

وقد قرأت أبياتا (للوأواء) **أبى الفرج محمد بن أحمد الغسانى** ، وكان يحترف المناداة على الفاكهة فى (دار البطيخ) بدمشق — أى الدلالة — وقد توفى عام (٣٨٥ الهجرى .. أى قبل ألف وخمسة من الأعوام .. قال فيها :

أتانى زائرا من كان يبدى
لى الهجر الطويل ، ولا يزور
فقال الناس لما أبصروه
ليهنك ! زارك البدر المنير
فقلت لهم ودمع العين يجرى
على خدى له وقع نذير
متى أرعى رياض الحسن منه ؟
وعينى قد تضمنها غدير ؟!
(ولو نصبت رحى بازاء دمعى
لكانت من تحدره تدور) !

قلت : فهذا هو على كونه خاطرة شعرية عين ما انتهى إليه الأمد فى حضارة القرن العشرين .. حيث استخدمت الشلالات .. والمياه المنحدرة فى (تدوير) أجهزة الكهرباء ! وكم أرهص الشعراء العرب القدامى بالطيران ؟.. إذ تمنوا أن يطيروا إلى من يحبون !..

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلى إلى من قد هويت أطير ؟!

وهكذا ، بدا كل اختراع جديد بحلم قديم .. وما لأحد فى الخليقة أن يزعم أنه الأول فى الابتكار دون سابق افتكار ، أو بذور استبصار ، إلا ما خلق الله تعالى مما لا نعلم .. ﴿ **وفوق كل ذى علم عليم** ﴾ .

١١٦٥ يا أخى « جلوزها »

وفكرت مليا فى أصل هذه الكلمة وهل هى عربية أم دخيلة ؟ وبعد التروى ظهر لى أن عامتنا بل وخاصتنا تستعملها . عندما يكون أحدهم معاندا أو مصرا على رأى معين له فى قضية ما .. فيقولون له : جلوزها — بالزاى — غير أن صحتها بالذال من (الجلوذة) .. وقد عرفنا من يتولى الاحتسابة قديما كان له أعوان يطلق عليهم (الجلاوذة) ، ومفردهم جلواذ . وبقليل من التأمل يفهم أنها انحدرت إلينا من عهود سابقة وكانما كان الجلواذ ، فى حالة رضائه أو استرضائه يغضى عن بعض الأمور التى لا يبيحها النظام ..

---

(١) « المنهل » : شكرا وتقديرا لرائد البحث والعلم والادب والشعر استاذنا الجليل الشيخ أحمد بن ابراهيم الغزاوى فى شذراته الدريه .. وامتثالا لاشارته الكريمة اذكر انه كان هناك من اللباس المنقرض (القميص) القطنى الذى يلبس عادة على الجسم مباشرة وكان يحل محل الفانيلات الان .

ويتجاوز عنها (بالبرطلة) أو (الرشوة) أو (الهدية) .. فيتيسر عسيرها .. ويطمئن صاحبها إلى مصيرها !

قلت : هذا ما بدا لى فى هذه الكلمة التى لا يخلو منها التداول اليومى بلادنا حتى الآن .. ولعل لها من التأويل ما هو أصح لفظا ومعنى؟! ورحم الله من قال خيرا فغنم .. أو سكت فسلم .

١١٦٦ ازلوجها

تكلمت فى الشذرة السابقة عن كلمة (جلوزها) .. وأنها تعنى « مشها » أى تغاض مما فيها من عوج .. وتذكرت الآن أن لها (أختا) تكاد تتفق معها لفظا ومعنى وتداولا — وهى (زلوجها) .. وكثيرا ما يتردد بها اصطلاح الجمهور من خاصة وعامة .. ورأيتنى أجنح إلى صحتها أكثر من الأول ، فهى لها أصل لغوى فصيح .. فان اللغة تنص على : « زلج ، زلوجا ، وتزلج » زلق .. فهى بهذا المدلول أقرب إلى المقصود ، فكأنه يقول : (زلجها) وأضيف الواو دون حاجة إليها .. وفى وسعى هنا أن أقول للقارئ الكريم ، إذا لم ترق له هذه الشذرة .. (زلوجها) ! وإن شاء الأخرى : « جلوزها » فله ذلك .. وكل جائز .. وكلاهما يدل على (المصانعة) أو (التغابى) .. وقديما قال الشاعر :

ولكنا نعاشر من نلاق
على حكم المودة .. والتغابى

وقال الآخر قبله :

ليس الغبى بسيد فى قومه
لكن سيد قومه ، المتغابى

١١٦٧ كشف الراس

لكل بلد ما تقيد به من آداب وأخلاق ، وتوارثه من عوائد وتقاليد .. ومن ذلك أن لا يقابل الرجل ضيفه أو صديقه حاسر الرأس .. بل لا بد من تغطيته بالكوفية والعقال .. أو الصمادة .. أو العمامة .. وذلك دليل التوقير والاحترام .. ثم طرأ بعد هذا تبديل وتعديل .. بما هو عكس المعتاد منذ ألف عام ومائة جيل .. فأصبح الكشف علامة الاحترام والتبجيل .

وكثيرا ما سمعنا من يتهدد به ، فيقول : سأكشف رأسى .. استعدادا للخصومة والمجادلة ، أو المنافحة ، والمفاضحة ، وقرأت لأبى نواس بيتا قال فيه :

لا خير فى اللذات ما لم يكن
صاحبها منكشف الرأس

وهو يعنى بذلك إعلان الخلاعة .. وعدم المبالاة بالأدب الاجتماعى (طبعا) فى عصره .

١١٦٨ صيد القلم للشيخ حمد بن ابراهيم الحقيل

كثير هى الكنوز المخبوءة والمخطوطة والمطبوعة تلك التى تحفل بالأدب الأصيل والمجد الطريف والأثيل وتجمع بين دفاتها وفى صفحاتها أثمن التراث العربى والإسلامى فى مختلف العصور والأدوار والفنون والأطوار والعلوم والأسرار .

غير أنها — وهى موسوعات عظيمة — مما لا يتيسر للأجيال الصاعدة الحصول عليها ، بالنسبة لاعتبارات جمة ، منها الثمن الباهظ

واشتمالها على ما لا يستطيع غير الباحث الموفق أن يستخلصه من أعماقها واشتغال الطلاب عنها بما هم بسبيله من الطلب للعلم وانقطاعهم له فى أغلب أوقاتهم ، فكان من التوفيق العظيم أن يتحرى كبار العلماء والأدباء إستخراج ما فيها من فرائد وخرائد مختارة ممحصة وتقريبها للأفهام وتحبيبها إلى الطلائع من نشئنا الطموح ، ومن ذلك هذا الكتاب الذى أتحدث عنه اليوم بما جمع وأوعى من الحكم والنثر والمنظوم .. ومن الألغاز ، والفكاهات ، والنوادر والشذرات .. حتى لا يكاد القارىء يبتدىء فى استقرائه حتى ليلازمه ولا يفارقه إلى انتهائه .. أى من ألفه ليائه .. وما هو لعمر الله إلا « تحفة » لا تقدر بثمن ، إذ لا يستغنى عنه الذين ضربوا فى الإحاطة بالأدب قديمه وحديثه بأوفر السهام وذلك أنه خيار من خيار ، ونتيجة لحسن الاختيار ، ناهيك بالمؤلف الكبير فى الفقه والقضاء والأنساب والآداب والآثار .

ولو لم يشتمل إلا على « المرتبة العبدونية » التاريخية الشهيرة وإلا على رائية « **عمر بن أبى ربيعة** » التى سارت بها الركبان والتى استنشدها منه الحبر « **عبدالله بن عباس** » رضى الله عنهما لكان اقتناؤه بذلك ضروريا لكل متأدب وكل مثقف وكل ناشىء طموح ، فكيف وقد أضاف إلى مشتملاته مؤلفه الشيخ **محمد بن إبراهيم الحقيل** ، طائفة من آرائه وملاحظاته ونقداته ، وتعليقاته الثمينة .

إننى ـــ مع شكرى الجزيل ـــ لفضيلته على إهدائى هذا الكتاب القيم لآمل أن يسارع إلى اقتنائه شبابنا المثقف .. بل وكل ذى ولع بالأدب وفنونه ، وغرره ودرره ، وأن ينهج على طريقته المؤلفون المحدثون حتى يتسنى لكل قارىء تناوله من أقرب الطرق . وأقل الأثمان ، فهو ذخيرة تضاف إلى ما كان قد وفق إليه فضيلته من مؤلفات قيمة خالدة والله ولى المصلحين .

(١١٦٩) ما هى السفرة ؟

كل الناس يستعملون كلمة « السفرة » منذ كانت تمد لوضع الطعام عليها للأسرة ، فى جميع المنازل أو حتى المنازه ويعنون بها هذه المشمعات المستحدثة ، أو ما كان ربات البيوت يتخذنه من القماش أو الخوص والسعف .. وكان بعضهم يطلق عليها « المفتة » ـــ بكسر الميم وفتح الفاء وتشديد التاء بعدها تاء مربوطة ـــ وكأنما كانت تبسط ويفت عليها الخبز للثريد أصلا .

وفى الحقيقة أن « السفرة » لا تسمى بذلك ، إلا إذا وضع فيها زاد السفر ومن ذلك ما فعلته ذات النطاقين **اسماء** بنت **أبى بكر الصديق** رضى الله عنهما عندما هاجر رسول الله ﷺ ومعه أبوها إلى المدينة المنورة من « غار ثور » بمكة المكرمة .

فقد روى أنها سميت بذات النطاقين لأنها لم تجد ما تضع فيه الزاد لهما .. فشقت نطاقها نصفين وجعلت من أحدهما « سفرة » تستوعب زاد السفر ، وانتطقت بالنصف الآخر .

إذن ، تكون السفرة فى الأصل لهذا الغرض فقط ، ثم اتسع معناها ، فكانت للإقامة والسفر معا .. ولنا أن نتأول بين لفظها ما يصح التداول فتكون السفرة من السفور أو الأسفار ، بما يمد عليها من أنواع الخضراوات والثمار والطعام المختار ، والا فإنها « الخوان » بالكسر وبالضم ، وليكن اسمها ما يكون ما دامت عامرة « بنعمة الله » فيها

ربيان وبريان ، وقوطة وباذنجان ، والحمد لله الكريم المنان .

(١١٧٠) «عرفات» المدينة المنورة

قال الفيروزابادى (٧٢١ — ٨٢٣هـ) فى كتابه « المغانم المطابة فى معالم طابة » : « عرفات بلفظ غرفات مكة ، موضع قرب قباء من قبلى المسجد ، وهو تل مرتفع .

وقال **ابن جبير** : « سميت بعرفات لأنها كانت موقفا للنبى ﷺ كان يقف عليه يوم عرفة فيرى منه عرفات ، قال : ومنه زويت له الأرض فأبصر الناس بعرفات » ا.هـ .

قلت : ولا أدرى إذا كان هذا الموضع لا يزال معروفا بهذا الاسم حتى الآن أم تبدل أو اندرس ، ذلك ما أرجو أن يجيب عليه فضيلة عالم الآثار الكبير (صاحب المنهل) الأغر ، بارك الله فى حياته[1] .

(١١٧١) المهر الجنين

روى **الأصمعى** قال : بلغنى أن أعرابيا — من أهل نجد — وفد على **الوليد بن عبدالملك** ، فأرسل فرسا له أعرابية فسبق عليها الناس بدمشق ، فقال له **الوليد** : أعطنيها . فقال ان لها حقا ، وانها لقديمة الصحبة ، ولكنى أحملك على مهر لها سبق الناس عاما أول وهو رابض فعجب الناس من قوله ، وسألوه معنى كلامه . فقال : ان « حزمة » — بكسر الحاء وسكون الزاى بعدها ميم مفتوحة فتاء مربوطة — وهو اسم فرسه سبقت الخيل عاما أول وهو فى بطنها ابن عشرة أشهر » ا.هـ .

قلت : أبى الأعرابى أن يهب فرسه لأمير المؤمنين على جزيل مكافأته ، ضنا بها ، وحفاظا عليها .. وما أحسن ما تخلص به فأبقى له « حزمته » .

(١١٧٢) روضة « خاخ »

قال صاحب المغانم المطابة : (خاخ) موضع بين الحرمين .. يقال هل روضة خاخ وهو بقرب حمراء الأسد من المدينة .

قال **مصعب الزبيرى** : حدثنى **عبدالرحمن بن عبدالله بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب** رضى الله عنه قال : لما قال **الأحوص** :

يا موقد النار بالعلياء من (اضم) أوقد ، فقد هجت شوقا غير مضطرم
يا موقد النار ، أوقدها فان لها سنا يهيج فؤاد العاشق السدم
نار يضىء سناها إذ تشب لنا سعدية ، وبه تشفى من السقم
وما طربت لشجو أنت نائله كما عهدت ، ولا أيام ذى سلم

غنى فيه (**معبد**) ، وشاع الشعر بالمدينة ، فانشدت (**سكينة**) ، وقيل (**عائشة بنت أبى وقاص**) قول الشاعر فى (خاخ) .. فقالت : قد

---

(١) (المنهل) : شكرا للباحث الطلعة الأستاذ الجليل الرائد فى الأدب والشعر والتاريخ . واستجابة لإشارته الكريمة أقول : كنت بحثت عن هذا المكان حين كتابة (آثار المدينة المنورة) فلم أجد إذ ذاك من يعرفه ويحدده . على أنه لا يزال يوجد تل حرى مرتفع جنوب مسجد قباء قريب منه حتى اليوم فلعله هو المعنى والله أعلم .

أكثر الشعراء فى خاخ ووصفه ، لا والله ما انتهى حتى أنظر إليه ، فبعثت إلى غلامها (**فند**) فجعلته على بغلة ، وألبسته ثياب خز منه ثيابها ، وقالت : امض بنا نقف على خاخ ، فمضى بها ، فلما رأته قالت : ما هو إلا ما أرى ؟ قال : ما هو إلا هذا ! فقالت : والله لا أريم حتى أوتى بمن يهجوه ، فجعلوا يتذاكرون شاعرا قريبا لكى يرسلوا إليه ، إلى أن قال (**فند**) : والله أنا أهجوه ، قالت : أنت ؟ قال : أنا ! قالت : قل . فقال : « خاخ ، خاخ ، اخ » .. ثم تفل عليه كأنه يتنخع . فقالت : هجوته ورب الكعبة ! لك البغلة وما عليك من الثياب .

قلت : ما أعظم ما بالغ **فند** فى هجوه .. وهو أبلغ من قصيدة مطولة ، هذا فى الهجو .. وأتذكر أن شاعرا فرنسيا عظيما .. وقف لأول مرة على « شلالات نياجرا » فى أميركا الشمالية .. فراعه ما رأى من جمال المنظر ــ فقال : « نياجرا ــ نياجرا ــ نياجرا » .. وعاد أدراجه ، فقيل له : ألم يوح لك هذا المشهد بما تمثله فى قصيدة خالدة ؟ فقال : لا أجد من الشعر ما يستطيع وصف هذا المنظر الرائع .. وحسبى ما قلت أنه (نياجرا وكفى) !

(١١٧٣) التكوة .. والحبوة

أما الأولى ــ فهى الاتكاء .. أى التمكن من الجلوس والتمطى فيه ، والاستناد على الوسائد ، أو أيدى الأرائك .. وإذا بالغ المضيف أو المزور فى إكرام زائره أو ضيفه قدم إليه (المخدات) أو ما يسمى (بالمدفع) وفوقه (شلتة) .. وقال له : يا أخى ــ إتك ــ ، وقد ورد ذكر « التكوة » فى شعر الأندلس ، قال **ابن زهر** فى موشحه المشهور ــ عفى الله عنه :

ونـــديم همت فى غرتـــه
وبشرب الـــراح من راحتـــه
كلمـــا استيقـــظ من سكرتـــه
جذب الـزق إليــه و (اتكـــى)
وسقانى أربعا فى أربع

فأما الحبوة ، فإنها من السنن النبوية ، وكان أكثر الناس يولعون بها ، ولا سيما العلماء .. ومن تلاهم باحسان إلى يوم الدين .. فهم يكادون يختصون بها وأكثر منهم حرصاً عليها وتمسكا بها إخواننا « الحضارمة » فهى لازمة لهم ، فى الغالب ، ولكنها فى هذه الأيام ، لا ترى إلا نادرا ، وهى ظاهرة غريبة .. وأحسب أن سر ذلك عدم الفراغ عند الجميع .. فكلهم أعجلته الحياة حتى عن الحبوة « وان لبدنك عليك حقا » .. وما رأيت شابا محتبيا بمصنف أو إحرام قط ! وهو دليل على النشاط والصحة والانطلاق .. وقد كان المتقدمون فى السن يقولون لأولادهم أو خدمهم : تعالوا ، (اتكوا لى) .. أى اضغطوا على أكتافى أو كاهلى .. أو يدى أو قدمى ، نتيجة الاعياء وضغط الأعصاب ، وأظنه ما يسمى حديثا (بالمساج) .

(١١٧٤) القعود على «الكرسى»

كتب **أبو بكر بن محمد بن الحسن الزبيدى** النحوى إلى **أبى مسلم بن فهد** :

أبـا مسلـم أن الفتى بجنانـــه
ومقوله ، لا بالمراكب واللبس
وليس ثياب المرء تغنى قلامة

إذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجى
أبا مسلم (طول القعود على الكرسى)

قلت : وقد فات الناظم أن يضيف على عدم فائدة (القعود على الكرسى) — أنه يضر بالأعصاب .. ويجلب الأوصاب ، ويعقد الركب ! فإذا لم يكن للمرء إلا أن يقعد على الكرسى . ويدنو فى الوجبات إلى « التبسى » .. فانه سيجد نفسه منحل العرى راكد الحس . ولا بد له من الحركة فى ظلال الرياحين والورد والورس . وهنالك يتفتح ذهنه ويحسن الاصغاء إلى الدرس !

وعجيب أن يكون — الكرسى — وبهذا الاسم موغلا فى قدم استعماله منذ أكثر من ألف عام .

(١١٧٥) خطتا خسف الكبير .. أم الصغير ؟

قال الشاعر الأديب **يحى بن حكم الغزال** : المتوفى عن أربع وتسعين عاما ، فى الأندلس ، والمتوفى سنة ٢٥٠ هـ :

وخيرها (أبوها) بين شيخ
كثير المال ، أو حدث فقير
فقالت : خطتا خسف ، وما ان
أرى من خطوة للمستجير
ولكن إن عزمت فكل شىء
أحب الى من وجه الكبير
لأن المرء بعد الفقر يثرى
وهذا لا يعود إلى صغير

قلت : حق والله ما قالت الفتاة ، وجميل ما يخيرها أبوها ، فلا يسخو بها للطمع ، ويفرق الدهر ما جمع .. وقديما قال الشاعر :

أحلى الرجال من الناس مواقها
من كان أشبههم بهن خدودا

وأحسن الله عزاء من يصح فيه قول الشاعر :

« وإذا الشيخ قال أف فما مل
حياة وإنما الضعف ملا »

وإلى الله تصير الأمور .

(١١٧٦) نهار الصيف

أنشد **أبو أحمد العسكرى** النحوى **لأبى المفجع** :

لنا صديق مليح الوجه مقتبل
وليس فى وده نفع ولا بركة
شبهته بنهار الصيف يوسعنا
طولا ، ويمنع عنا النوم والحركة

قلت : وقد غفل القائل عن أن لنهار الصيف (بركة) كبرى .. وأقلها أنه يطول ويجهد فيه العامل ، ويكدح الأجير أكثر من نهار الشتاء ..

وعجيب أن لا يثنى على نهار الصيف ، كما لا يستحب ليل الشتاء ، وهما يتفقان فى الطول .. وقديما أطرفنا الظرفاء بقولهم : « ليلة كل ما فيها بارد إلا الماء » وهى بهذا ملحقة بنهار الصيف .. وإلا لكان الماء فيها باردا .. ولا يتحدث بهذا إلا من لم يقن — بفتح الياء وسكون القاف وكسر النون — « الثلاجة » ! فقد أغنت عن الشنان والرباعى والشراب والقفل والتقفيل .

(١١٧٧) عادة جميلة

أدركنا الأسر فى مكة المكرمة ابان عهد الطفولة .. وإلى ما قبل خمسين سنة .. أو أقل .. إذا أهدي إليها من الأقارب شيء من التحف أو الطرف .. أو الفاكهة أو الحلوى .. فى أطباق ..

أفرغوا ما فيها — وملؤوها بما تيسر لديهم من أمثالها — أو أحسن منها .. فلا تعود خاوية .. إلى أهلها ... وأحسبها عادة قديمة جميلة تدل على الاغتباط والشكر والتقدير . وما يزال البعض حريصا عليها حتى الآن .

وقرأت فى كتاب (رحلة الشتاء والصيف) تأليف **محمد بن عبدالله الحسينى الموسوى** المشهور (**بكبريت**) .. (١٠١٢ — ١٠٧٠هـ) « وقد أعاد طبعه حديثا حضرة صاحب الفضيلة العالم السلفى الجليل الشيخ **محمد حسين نصيف** » أحسن الله مثوبته : ان **الامام مالكا** رضى الله عنه أهدى إلى **الامام الليث بن سعد** قاضى مصر فى زمنه (صينية) تمر — فأعادها إليه مملوءة ذهبا) ! وقد توفى **الليث** سنة ١٧٥هـ . وعزا ذلك إلى **ابن خلكان** .. فعلمت بذلك أن هذه العادة عريقة منذ العصور الأولى فى الإسلام .. وأتذكر أنى رويت من قبل ما قاله الشاعر الجاهلى فى المعنى نفسه .. فهى من مكارم الأخلاق التى بعث رسول الله ﷺ ليتممها .. وفى الأثر « تهادوا تحابوا » .. (ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا) .

(١١٧٨) ابــرد من يخ

هذه الجملة دارجة .. يتداولها كل الناس .. واحسب أن أكثرهم لو سئلوا ما هو هذا « اليخ » ما استطاعوا معرفته .. وإنما هى كلمة فهموا معناها فى استثقال من يكرهون .. واستعملها الجمهور منذ عهد بعيد فيما عنه يصدفون !

وليس من البرودة إيراد ما يكشف النقاب عنها .. فهى كما شرحه العلامة (**أحمد تيمور باشا**) فى كتابه (الأمثال العامية) لفظ فارسى معناه (الثلج) .

ولا شك أن « اليخ » أو « الثلج » من أحب الأشياء إلى الإنسان فى البلاد الحارة .. وفى حمارة القيظ .. فلا يكون مذموما فى هذه الحالة وإنما يشغف به ويرتاح إليه الظامىء .. والمحرور ، إلا أنه إذا اقترن بوصف (الثقيل) .. أو (المملول) لحقه منه وبه الذم والكراهية .. وكما أنه « من أجل عين تكرم مدينة » .. فكذلك من أجل المكروه .. قد يكره المحبوب .

(١١٧٩) من فصيح العامة

تطلق على المفرد من الشركات (الشركة) .. بتشديد الشين وفتحها .. وينطق بذلك العامة والخاصة على السواء حتى من كان من الادباء والشعراء ، فإذا قال عامى : (الشركة) بكسر الشين .. سخرنا منه وحسبنا أنه يخطىء .

ويقول **موفق الدين البغدادى** النحوى اللغوى فى كتابه (ذيل الفصيح لثعلب) : (وهو باب الشركة كالبركة .. والجلسة (بالكسر للشين) ولا يقال الشركة (بالفتح) .

قلت : وعلى هذا فان ما كنا نظنه خطأ يكون هو عين الصواب .. فهل نعود إليه بالكسر أم لا محيص من الفتح ؟.. وأراه أشبه (بجدة) ــ بكسر الجيم ــ أى (عنزة ولو طارت) .

(١١٨٠) ليس الطرب فرحا فقط

كنا نظن أن الطرب لا يعنى إلا الفرح والانشراح وما هو فى معناهما فإذا به (لغة) : يقال (رجل مطرابة) أى كثير الطرب وهو خفة تصيب الإنسان لشدة الفرح والحزن .

قلت : غير أن كلمة (الطرب) قد غلب عليها السرور والمرح .. وامحى عنها الحزن والترح .. فلا يقترن بها إلا الانبساط دون الانقباض .. اللهم إلا إذا استجاش الشجون .. وأسال الدمع الهتون ... فثمة يصدق عليه المثل . (ومن الحب ما قتل) .

(١١٨١) التزكين مجرد الاعلام

يقول الرجل لرسوله إلى من شاء (زكن عليه) ويقصد بذلك التأكيد لا مجرد الاخبار .

واللغة تنص على « زكنت منك كذا وكذا .. أى علمت » .

قلت : وقد مضى التداول حتى اليوم على أن التزكين .. هو التأكيد والتشديد .. ويدرك ذلك كل ما ينطق به أو يستمع له دون أى التباس .. فكأنما اكتسب هذا المدلول .. واقترن به ــ بمرور الزمان .. فلا سبيل إلى زحزحته عنه ولو (آب القارظان) .

(١١٨٢) الصرورة ـ لا الصرارة

كنا نسمى كل من زار (المدينة المنورة) لأول مرة .. ولا سيما الأطفال ممن يستطيع التمكن من السرج أو الشداد .. (صرارة) ويحتفل به أهله وربعه ويزفونه ويحفونه بالتكريم ويقدمونه فى (الركب) ممتطيا (فرساً) مطهمة .. ومزينة فى أبهى الحلل .. وهو متقدم على سواه فى الموكب وأمامه « الطاسة .. والزير » .. وكأنه عروس تنص ولو تجاوز سنه العشرين وما سمعت أن من يحج لأول مرة يسمى (صرارة) قط اللهم إلا أن يكون ذلك فى بلده إذ يعود ، ورأيت (اللغة) إنما تطلق على من حج لأول مرة (الصرورة) دون الزيارة .. فلو ذهبت أحاول تصحيحها لسميت بالصرارة ــ أيضا ــ فى محاولة المستحيل .. على أننا لم نعد نسمع بهما معا منذ عهد طويل ... **﴿ وما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾** .

(١١٨٣) حجة الدين المكي

٤٩٧ ــ ٥٦٥هـ

هو شاعر مكى الأصل مغربى المنشأ ــ ترجم له **العماد الأصفهانى** فى الخريدة . وروى له من شعره هذين البيتين :

كن من مدبــــرك الحكيـــــ ــــم ، علا وجل ، على وجل
وارض الــــقضاء ــ فانـــــه حتم ، أجــل ، ولــه أجـــل

قلت : وقد تعددت المعانى فى (جلجلاته) . وهى واضحة للقراء ولا تحتاج إلى تفسير ولا

تعليق . وقد حدا بى إلى نشرهما الاستدلال على الذهنية الأدبية التى كانت تسود عصره من حيث الشغف بالمحسنات اللفظية .. والطرف البديعية ! ـــ وقد أصبحت أثرا بعد عين ! ولكل مقام مقال ، ولكل زمان دولة ورجال ، (والناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم) رحمهم الله رحمة واسعة .

(١١٨٤) من شوارد الخواطر

قرأت فى خريدة العصر ـــ للعماد **الأصفهانى** ـــ **لعمارة اليمنى** سنة ٥١٥ ـــ ٥٦٩هـ هذه الأبيات الرقيقة ، وقد زار صديقا له فلم يجده فكتب إليه :

يا سيدا ساحة أبوابه
لكل من لاذ به قبله
بكسر القاف

قد استنبت الطرس فى لثمه
كفك واستودعته قبله
بضم القاف

فامدد إليه راحة لم يزل
معروفها يخجل من قبله
بفتح القاف

قلت : وتذكرت الأبيات الثلاثة التى نظمتها قبل سنوات ، ونشرت بالمنهل الأغر بعدد صفر سنة ١٣٨٦ وذلك على أثر المعركة التى عرفت (بجيم جدة) وقلت فيها :

لقد أصبحت فى يومى
مع الحمد ـــ (أبا جده)
بفتح الجيم

وبان الجر فى جددى
وصح الضم فى (جدة)
بضم الجيم

ومن يولد يعش حينا
ويحدو جده (جده)
بكسر الجيم

وعجبت من التقاء الطريقتين بعد ثمانمائة سنة .. وما والله قرأتها إلا اليوم فى ١٥ ـــ ٥ ـــ ١٣٩٠ ـــ هذا مع اتفاق عدد الأبيات أيضا ! (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وربما زاد فى عجبى أننى نسيت بعض أبياتى هذه .. وأردت أن أعود إليها فى المنهل .. ولم أتذكر تاريخه ولا رقمه .. وقمت لأبحث عنه .. ومددت يدى إلى أحد أعداده فما خرج إلا المطلوب حالا وبدون أى عناء .

(١١٨٥) القزق ـ أو القوزاق ؟

فى أوائل العشرينات من هذا القرن الرابع عشر .. وإلى عام ١٣٣٢هـ قبيل الحرب العالمية الأولى .. كانت مواسم الحج بمكة المكرمة تحفل بالعديد من أجناس المسلمين .. من جميع أطراف الأرض .. ولا سيما من آسيا الكبرى والصغرى وما وراء النهر .. وخاصة من اخواننا أهل بخارى .. وسمرقند وكشغر وداغستان .. وكانت لهم مناطق تحتفى بهم تقريبا للسكنى خلال أيام الحج .. أو للمجاورة .. الدائمة .. ومن أولئك من يطلق عليهم « القزق .. أو القوزاق » .. وهم ضخام الأجسام .. ولهم لغة ذات لهجة خاصة ونبرات عالية .. وإذا اجتمع منهم ثلاثة أو أربعة ـــ كانوا كالسد المنيع فى الأحياء ذات الشوارع الضيقة ـــ كسويقة القديمة مثلا ..

وكان أطفال مكة .. يعجبون من أشكالهم وأزيائهم ويمضون وراءهم .. حيثما اتجهوا للامتيار أو للشراء وربما صاح الأبالسة منهم خلفهم بهذه الجملة « أوى منا منا » ولا أدرى حتى الساعة ماذاتعنى ؟ وكنت أرى الواحد منهم إذا أقبل على بائع اللبن أو الحليب استحوذ على ما فى (طبليته) من الزبادى يقذف بها فى جوفه الواحدة بعد الأخرى حتى (يجبر) اللبان .. وكانوا يتلهفون على اللبن الرائب يعده لهم فى (السطول) باعة الحليب .. فربما تناول أحدهم (السطل) المستوعب للأرطال .. فلا يفارق فمه .. حتى يلتهمه .. حتى الثمالة ! فأما أهل (داغستان) فانهم يتحرون النطق بالعربية الفصحى بعناية ودقة وحرص شديد ويغلب ذلك فيهم دون سواهم ويتميز لباسهم بالمناطق التى تتوسطها الخناجر ذات الحدين .. من الامام ومنهم العلماء الاعلام ! ولم نعد نراهم منذ خمسين سنة أو تزيد ! ونسأل الله لهم ولذرياتهم الحفظ والثبات

(١١٨٦) ظاهرة عمرانية اختفت

بين عامى ١٣٣٠ — ١٣٣٤ هـ كانت منطقة (بركة ماجن) بالمسفلة بمكة المكرمة حافلة بالنخيل .. وبعض الخضروات .. وتجرى بها المياه وبينها .. من قنوات تمتد من البركة المشار إليها .. وبحكم انحدار أرضها ، وصلاح تربتها للزرع .. كانت تبدو دون سائر أحياء مكة .. (زمردة خضراء) .. يرتادها المتنزهون فى أوقات العصر والامسيات .. ويتخذون منها (مقيالا) ممتازا .. يقصرون فيه أيام الدجن منذ قرون طويلة .. وكأنما استهوت بمنظرها الموصوف آنفا ، إخواننا المجاورين من أهـــــل (جاوى) .. (اندونوسيا) .. الذين آثروا الإقامة بهذا البلد الأمين وانقطعوا لطلب العلم أو التسبب بالحرف التى يحذقونها .. ومنها (الصياغة) وصنع الأطعمة وبيعها لأمثالهم ممن كثر عددهم حينئذ فى جميع الأحياء والمحلات . وأذكر أن هذه المنطقة — كانت ذات عمران مزدوج — فالى جانب السفوح من جبالها ترى « اعشاش » البدو وفى سهلها تجد صنادق إخواننا (التكارنة) الذين أربوا على الألوف ! وبينهما أنشأ (الجاويون) ، أو الأندونوسيون .. دارات بديعة رشيقة جميلة على الطراز الذى ألفوه فى بلادهم — وهى جميعها من الأخشاب ولها (فرندات) ولا تزيد أدوارها على الاثـنين .. وسطوحهـا (جملونيـة) محدودبة !.. ومناظرها جذابة شائقة عابقة ، وفى كل فناء منها غرست الأزهار والورود ! وما لبثت الحرب العالميـة الأولى أن كوتهم بنيرانها .. فلـم يستطيعوا الاقامة بدون ارتزاق .. وأخذوا فى الارتحال زرافات ووحدانا إلى ديارهم .. وباع أكثرهم ما كان شيده هنالك ، ومع مرور الأعوام هدمت الأدوار وبقيت الآثار .. ولم يبق لذلك كله غير هذه الصورة التى تشبه الأحلام ! وسبحان من له الدوام .

(١١٨٧) الورق ـ والمصطكاة

من أمثالنا العامية قولهم « يحفظ الورق .. ويضيع المصطكاه » ! وهو ظاهر المدلول .. ويعنى أن يفرط فى الغالى .. ويحرص على الرخيص ! .. وخطر ذلك ببالى .. عندما لفت نظرى هذا العمران المتبحر المتزايد فى (مكة المكرمة) خاصة .. وفى كثير من مدننا الكبرى أو الصغرى ، فثمة ظاهرة .. لا تخفى على المتأمل ،

وهى أن الفكرة الفنية .. أو الجماعية تكاد تكون مفقودة فى كثير من إنشاءاتنا القديمة .. والحديثة على السواء وبدون استثناء وأمضيت طويلا فى أسباب هذا التعرج والاعوجاج والالتواء فى (البنايات) فاجتمعت كلها فى استرخاص الأرض .. قبل كل شيء ! فهى إذا تيسرت فى سهل أو جبل .. وبقيمة زهيدة حتى لذوى اليسار .. تحظى بعمارة شامخة ناطحة للسحاب ! ولو اتسقت وأمثالها إلى جانبها فى خطوط مستقيمة لانتهى بها الانطلاق والاتساق إلى مسافات شاسعة وفى شوارع طويلة مبهجة ! حتى لأكاد أجزم بأنها تصل ما بين مكة وجدة حتى تصبحا (بلدا واحدا) متصلا ببعضه دون أى فاصل .. وقد أخذ التطور الجديد سبيله إلى الاستقامة والتنظيم — ومراعاة النظير ! وعما قريب إن شاء الله سنرى العمران كله متوجها إلى الخط المستقيم .. وذلك برهان على الذوق السليم والخلق الكريم .. وعندئذ ينعكس المثل ويكون المثل معكوسا أى : « يحفظ المصطكاه ويهمل الورق » وما ذلك على ذوى الاختصاص بعزيز .

١١٨٨ رحلات الاستاذ الكبير احمد علي

منذ سنوات عديدة نقرأ فى الصحف اليومية السعودية .. بين أعمدتها المشرقة .. وفى المجلات الشهرية .. مقالات وصفية رائعة .. وفى بيان ساحر أخاذ ، وبأسلوب نادر جذاب ، وبروح عربية واسلامية محلقة مخلصة .. للأستاذ الكبير العلامة السيد (**أحمد على**) ، بحيث اشتملت على الدقيق والجليل من (رحلاته) فى داخل المملكة وخارجها ، واتسعت مع مسافاتها الطويلة فى قلب الجزيرة — نجد ، والاحساء والحجاز ، والسراة ، وعسير .. والعراق وايران والكويت ، والبحرين ، وحلقت فى أجواز الفضاء .. وخاضت اثباج البحار ، وامتدت إلى (أوروبا) و (أمريكا) أو العالم الجديد ، ما بين « المحيط الهادى » و « الخليج العربى » . وكنت ما أزال من قرائه فى كل ما دوّن وكتب عن هذه الرحلات المباركة حتى يومنا هذا خصوصا أنه من أكابر الأدباء المتمكنين من اللغة والشواهد الشعرية التى يخرج بها مقالاته الرائعة الشائقة .. وما أردت بهذه الشذرة أن أبثه ما أحمله له وأكنه لسيادته من إعجاب واحترام وتقدير ، وإنما حرصت على أن أقدم إليه رجاء أعتقد أن كثيرا من قرائه يشاركوننى فى إزجائه إليه ، وهو التوفر على جمع أنباء هذه « الرحلات » فى كتاب يضم أشتاتها .. ويحفظ للأجيال الصاعدة ما فيها من تجارب وفوائد وطرف وتحف .. فان لسيادته كل الامكانات لتحقيق هذا الرجاء ، وما أحسبه إلا متجاوبا مع هذه الرغبة الملحة فى إتحاف المكتبة العربية بهذا الكنز الثمين .. ليضيف به إلى الرحلتين الشهيرتين ، **لابن جبير وابن بطوطة** ثمار رحلاته الموفقة الشهية فى القرن الرابع عشر ! وما ذلك على فضل الله تعالى ثم همته واخلاصه بعزيز .

١١٨٩ المعجم الجغرافي

سعدت بنسخة من كتاب (المعجم الجغرافى) للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) المخلاف السليمانى — لمؤلفه الأديب الشاعر المؤرخ أخى الأستاذ الكبير الشيخ (**محمد بن أحمد العقيلى**) .. وقد أهدانيها سيادته فضلا منه وكرما وله طيب الشكر والتقدير والاحترام . وما أن

تناولتها حتى انقطعت لاستقرائها فى شغف ولهف وتقدير وإكبار لهذا النجم المتألق فى الجنوب .. وشد ما كنت أشعر بالاغتباط والارتياح والاعتزاز فى آن واحد بما احتوى عليه هذا المؤلف الثمين من حقائق تاريخية واحصاءات دقيقة وشمول لكل ما فى هذه المقاطعة العزيزة من بلدان ومدن وقرى وشواطىء وموانىء وسهول وجبال .. وعشائر وقبائل .. ومكارم وشمائل .. وعوائد وتقاليد . وحمدت الله تعالى أن يسر له جمع هذه الفوائد الكثيرة بما بذله من مجهودات عظيمة ومراجعات دقيقة قلما يظفر بها إلا من كان فى مثل حرصه وطموحه واخلاصه لوطنه الحافل بالأمجاد من كل تليد وطارف . ولست بذلك مجاملا ولامكافئا على معروفه الذى أسداه إلى ، وأضفاه على ، وانما أقرر حقيقة تقر بها عيون كل مواطن ، ويعترف بها كل باحث ومنقب ومعقب ، هذا مع إضافته إلى ما سبقه ويلحق به من إنتاج هذا الرجل المجاهد فى سبيل الله والعلم والأدب والتاريخ مما يدعو إلى إكباره والاشادة بآثاره ، وإنه لعمل صالح ، وسعى موفق ، وجهد مشكور .. وحبذا لو سار على منواله كل قادر على التأليف والتصنيف فى مختلف جهات هذه المملكة الواسعة الشاسعة وقد باركها الله أرضا وسماء ، وآباء وأبناء وماض وحاضر — وهيأها للمستقبل الذى أسفرت به الأضواء وبذلك يحفظ التراث ، وتتجلى الشموس بأعظم ميراث ، وجزى الله « **العقيلى** » وأمثاله وكل من سار على طريقته فى منطقته خير الجزاء وأنها لآثار خالدة ، وأسوة حسنة ، والله لايضيع أجر العاملين .

(١١٩٠) رحلات المنهل الأربع

أعتقد أننى لست وحدى المغتبط لهذا الإنتاج العظيم ، فقد استمتع جميع القراء — بهذا المنهل العذب الكثير الزحام ، بما احتوى عليه من هذه الرحلات المباركات السابقة واللاحقة .. تلك التى قام بها صاحب المنهل — وأقربها عهدا ، وأطيبها شذى ، وأوسعها مدى وأرغدها عطاء وسخاء هاتان الرحلتان أو الثلاث بل الأربع إلى (الرياض) وإلى (الخرج) وإلى (الظهران) .. وإلى (سراة الحجاز ، وبنى مالك وغامد وزهران) . فقد اشتملت على ما يعتبر بحق كنزا ثمينا غاليا .. وفتحا جديدا فى مجال العلم والمعرفة والتاريخ و (الجغرافيا) معا .. وما هى بأولى الأيادى **لأبى نبيه** حفظه الله وبارك فيه . فقد عود قراءه بهذه الطرف والتحف .. ومع ما يتكبده من مشاق السفر فانه لا يعبأ بذلك ما دام ينفع المواطنين بما يعيده ويبديه فيها من المعلومات التى يجهلها الكثير من الناس فى الداخل أو الخارج على السواء . وما أعظم امتنان كل قارىء بهذه الرحلات النافعة والمفيدة ، واعتزازنا بهذه الآثار الخالدة والمآثر التالدة .

وبودى — أن لو توالت إليه الدعوات الكريمة من جميع امارات ورجالات المناطق فى المملكة الشاسعة الواسعة .. لينطلق بيانه الساحر بهذا الفيض والرصف .. والافادة والاجادة والأسلوب الشائق الرائق .. فما أسعد (الربع) الذى يحل فيه .. ويستجلى مغانيه ، ويصف سهوله وحزوته وروابيه ، وسكانه وقطانه ، وأجواءه وقممه وأفياءه ، وأخلاقه وعاداته ، وحاضره وماضيه .. ومستقبله المتطور وأمانيه ، فهو بذلك يضيف إلى

المكتبة العربية ذخائر باقية .. وحبذا لو شاركه فى هذه المهمة ـــ المثقفون من ذوى الأقلام فى كل بلد .. فيكتب كل صاحب بيان ما يختص بموطنه .. تداركا لما فات .. وقياما بأهم الواجبات ، فانه لا عذر بعد اليوم لأى قصور فى هذا السبيل ، وقد شملت أنوار المعرفة كل الجهات من بدو وحاضرة ، وانى لأشكر علامتنا الكبير على ما بذل ويبذل من مجهودات عظيمة فى التنوير والتبصير والتذكير .. أمد الله فى حياته ، وأعانه على ما ينفع الأجيال الصاعدة ، ويزيل كل غموض أو غشاوة من أمجادنا الغابرة والحاضرة ، وأدعو له بالتوفيق ممن لا يضيع أجر العاملين . وهو ولى المصلحين .

(١١٩١) اقتراح بسيط

إذا ناديت (الأندونـــوسى) قلت : (مرى) .. والباكستانى قلت (آد) والتركى قلت : (جيل) .. والعربى قلت (تعال) .. وهكذا لكل لغة لفظ بهذا المعنى !

وقد امتزجت الأمم والشعوب بالرحلات التجارية .. والاستجمامية وتيسرت المواصلات بين جميع الآفاق .. ويجهل الأكثرون حتى أبسط الكلمات التى يضطرون لاستعمالها فى كل قطر .. مما لا غنى عن معرفته واتقانه لكل فرد من العامة والخاصة على السواء .

ولهذا فاننى أقدم هذا الاقتراح إلى فضيلة العلامة صاحب المنهل الأغر .. ليرى رأيه فيه . وعسى أن يكون محل الاستحسان والقبول . وهو إفراد (صفحة واحدة)من مجلته الكبرى ذات المعين الثر الذى لا ينضب .. لاختيار الكلمات التى تمس الحاجة إليها من اللغة الانكليزية .. والافرنسية .. وتعريبها .. باللفظ العربى .. أو ذكرها بما تنطق به فعلا .. وما تعنيه بالعربية .. فى جدول واضح شهرى .. يستعين به القراء الذين لا يحسنون اللغتين المشار اليهما ويقتصر ذلك على ما هو ضرورى جدا فى المقابلات والمعاملات والمجاملات وما إلى ذلك بحيث يلم كل قارىء بذلك إلماما يساعده على التفاهم الضرورى جدا .. وذلك فى رأيى قد يكون سهلا على (رئاسة التحرير) وكتاب المنهل وقرائه وهو عظيم الجدوى فى الجماهير . و « قليل دائم خير من كثير منقطع » فما رأى أستاذنا الجليل فى هذا الاقتراح ؟ وهل هو معقول ومقبول[1] ؟

(١) المنهل : أجل انه اقتراح جيد ومفيد وسنبذل الجهد لتنفيذه تدريجيا إن شاء الله ونأمل ممن لديه المام بمختلف اللغات من قرائنا أن يسهم بهذا المجهود العلمى القيم والشكر الاجزل لاستاذنا العلامة الطلعة صاحب الشذرات الذهبية الماتعة .

(١١٩٢) النهد ـ لا الشرك

أدركنا الناس عندنا يعزمون على « الليلة » أو « القيلة » فيدفع كل منهم قسما من النفقة مقدما أو مؤخرا .. ويساهمون مع بعضهم كل بقدرته واستطاعته ، أو على وجه التساوى .. ويسمون ذلك (شركا) بمعنى مشاركة أو اشتراك . ونعوذ بالله من الإشراك !

وكأنهم نسوا ما اصطلح عليه القدماء من السلف الصالح إذ قال **ابن مفلح** فى (الآداب الشرعية) ما نصه :

« ولا بأس بالنهد .. قد تناهد الصالحون » كان **الحسن** إذا سافر ألقى معهم ويزيد أيضا بقدر

ما يلقى فى السر ، ومعنى النهد أن يخرج كل واحد من الرفقة شيئا من النفقة يدفعونه إلى رجل يتفقون عليه منهم ويأكلون جميعا وان أكل بعضهم أكثر من بعض فلا بأس » .

١١٩٣ كنا نتحدث .. لا كنا نهرج

يتداول الناس كل الناس قولهم هنا إذا سئلوا ماذا كانوا يصنعون — رجالا أو نساء — هذه الجملة : (كنا نهرج) .. وما الهرج إلا القتل .. أو ما هو بسبب إليه أو منه . والصحيح هو (كنا نتحدث) أو نتكلم .

فمن أين جاءت ؟ إنها عاشت وذاعت يوم كان الهرج فى أيام الفتن غالبا . ومن الحق أن تعود إلى أصلها .. ما دام لها بديل خير منها وأصدق .

وقد ورد عن **أبى هريرة** رضى الله عنه « يتقارب الزمان ويقبض العلم » وفى رواية وينقص العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر (الهرج) ، قالوا : وما الهرج ؟ قال : (القتل) .

وقلما يتفطن لذلك المتحدثون .. حتى ذوات الجمال يقلن : (كنا عند فلانة نهرج) ! ولا فرق عند الجميع بين الكلام والحديث وبين (الهرج) — كفانا الله شره ، وألهمنا الصواب .

١١٩٤ (فريقة) - لا فريك

... (ويذكر عن النبى ﷺ أنه عاد **سعد بن أبى وقاص** رضى الله عنه (بمكة) .. فقال : « ادعوا له طبيبا » .. فدعى **الحارث بن كلدة** ، فنظر إليه فقال : ليس عليه بأس ، واتخذوا له (فريقة) مع تمر عجوة رطبة يطبخان فتحساها فبرأ) . والفريقة : الحلبة — وهو طعام النفساء . (**ابن مفلح**) ا.هـ .

قلت : ومن هذه الرواية فهمت — والله أعلم — أن ما نطلق عليه فى زماننا هذا اسم (الفريك) .. إنما هو فى الأصل مأخوذ من (هذه الفريقة) .. وان اختلفت عناصرها ويجمعها مع الاسم المعنى .. فى أنها غذاء رقيق .. يصلح للممعودين .. والمكبودين .. وضعيفى الهاضمة .. ومن قرائبها (الحريرة) .. وكانت تسمى فى العصر الجاهلى (السخينة).. وقال **أبو كبير** :

ولقد وردت الماء لون حمامة
لون (الفريقة) صفيت المدنف

ومهما يكن من أمر فان تسميته (الفريك) مع صحتها لغة لا بد أنها تمت بصلة إلى (الفريقة) بالقاف لا بالكاف .. وحتى هذا (الفريك) فانه عز حتى ليصح أن يقال عنه أنه (فارك) !

وقد عرفه صاحب المنجد بقوله : « انه المفروك من الحب طعام يفرك ويلت بالسمن » وما عرفناه بهذا الوصف قط .. إلا منه ، فهو حب يفرك .. وهو خضر .. ويشبه ما يسميه أهل الطائف (الخضار) — بضم الخاء المعجمة وتشديد الضاد المنطقة وتصنع منه « العصيدة » الممتازة .

(١١٩٥) الهضم .. والبطيخ

اعتاد أكثرنا أكل (الحبحب) .. أى البطيخ الأخضر بعد الفراغ من الطعام .. وهو خطأ يجب أن نكف عنه ، قال **ابن مفلح** فى كتابه (الآداب الشرعية) : أنه يؤكل قبل الطعام ويتبع به والا غثى وقيأ ، قال بعض الأطباء : هو قبل الطعام يغسل البطن غسلا ، ويذهب بالداء أصلا ا.هـ .

قلت : فأما البطيخ الأصفر (الخربز) فيكون أكله بين طعامين .. على أن من « المعدات » ما لايضيق بكل ما التهم .. وشتان بين العامل والخامل والساكن والمتحرك ، وفى المثل القديم : (نعم الأدام الجوع) .. والحمد لله رب العالمين .. ونسأله العفو والعافية .

(١١٩٦) «الحامض» وتدبيع القلب

كنا فى عهد الطفولة .. نتحاشى أكل الحامض .. كالخوخ .. وكل ما تغلب الحموضة فيه .. ونتواصى بذلك — لأنه (يدبع) القلب .. أى يمنع الحفظ .. ويضعف الذاكرة وكان ذلك معروفا لدى الأطفال إبان الصغر ، والطلب ، وأيام « الكتاتيب » .

فما أن نرى صبيا يتناول فاكهة حامضة أو غير ناضجة حتى نحكم عليه بالغباوة والبلادة وننظر إليه كأنما أتى شيئا (إدا) !

ولا ريب أن هذه الوصية .. قد تلقاها الصغار عن الكبار من الآباء والأمهات . وهو يدل على أنهم كانوا أهل بصر بما دونه العلماء والأطباء من قبلهم .

فهذا **ابن مفلح** يذكر فى كتابه (الآداب الشرعية) أن أكل الحامض يضر بالفهم والذهن ولم نعد نسمع ذلك أو مثله بين الصغار والأطفال ، رغم حاجتهم إلى (الفهم والذهن) .. بما يكلفون به من دروس متعددة فى المدارس .. ولأن أغلب أوليائهم لم يعودوا يهتمون بهذه النصائح الثمينة .

(١١٩٧) من أدب القرن العاشر بمكة المكرمة

قرأت هذه القصة القصيرة .. ووجدتها ذات مغزى هادف مفيد .. فأوردتها من تاريخ مكة المكرمة ، (الخلاصة) حيث جاء فيه أن **الشريف حسن بن أبى نمى** (٩٣٢ — ١٠١٠هـ) أمير مكة آنئذ .. وكان ذا فضل باهر وأدب غض ، ومحاضرة فائقة واستحضار غريب ! كان فى مجلس تصدر فيه بعض الناس على بعض بنى عمه عيه ، ففطن له **الشريف حسن** ، فقال : إنه ليقودنى إلى العجب ، ويهز من عطف أريحيتى ساعد الطرب قصيدة **أبى الطيب المتنبى** التى أولها :

فؤاد ما يسليه المدام
وعمر مثل ما يهب اللئام

فتسلى بذلك ابن عمه ، وتبسم وجهه بعد القطوب لأنه علم تلميحه إلى قوله فيها :

ولو لم يعل إلا ذو محل
تعالى الجيش وانحط القتام

قلت: وفى ذلك أقوى دليل على أن البيئة المكية فى ذلك العصر .. كانت شديدة التعلق

بالأدب العربي الحي القديم الممتاز .. وفيها أفذاذ من الرجال ذوى الاطلاع والاحاطة بروائعه .. وبدائعه .. حتى الذين كانوا مشغولين بغيره من المهام الكبرى والمصالح العامة أو الخاصة لا كما يظن بعض المعاصرين أنهم كانوا — يعانون من ادوار الانحطاط الأدبي — فهم بهذا الشاهد ازكن وأفطن من كثير من المعاصرين المتخصصين والمتعالمين المتشدقين فما يكاد يعرف مثل هذا إلا فى العصور الذهبية الأولى .. والله أعلم .

(١١٩٨) العملة الدارجة بمكة

١١٤٠ هـ

قال فى تاريخ (مكة) — الخلاصة — أن سنة ١١٤٠هـ كانت من أرخص السنين لكثرة الأمطار .. فان العلامة الرضى فى تاريخه : « اشترينا (البر) الهميس بالطائف (الكيلة) بأربعة ديوانية ونصف وخمسة ديوانية . والنقرة الصافية بسبعة ديوانية . والشعير بديوانيتين ونصف . والعسل (الرطل) بأربعة ديوانية . والتمر بديوانى ونصف . والزبيب النعمانى بأربعة ديوانية . والفواكه كثيرة جدا رخيصة إلى الغاية .

أما عن العملة الدارجة آنئذ فهى المشخص والأحمر والريال .. وصرفها كالآتى :

(القرش) بأربعين ديوانيا .
(الأحمر) بقرشين .
(المشخص) بأربعة قروش .
(الريال) بقرشين وثمن .

قلت : ومعنى ذلك أن المشخص الذى هو بمثابة (الجنيه) اليوم يساوى ١٦٠ ديوانيا .. وأن قيمة الرطل من العسل أربعة ديوانية ، أى أن المرء يشترى بمشخص واحد ، أو (جنيه) واحد : أربعين رطلا من العسل ، أى نحوا من (ثلاثين كيلو) على الأقل أو أكثر .. واليوم فانه باعتباره أربعين ريالا ، فانه لا يمكن أن يشترى به من العسل نفس الكمية إلا بما يساوى ٤٥٠ ريالا إذا كان سعر الكيلو كما هو الآن ١٨ ريالا .. وهكذا تقاس أسعار الأغذية الأخرى .

هذا بالنسبة لما كان قبل ٢٥٠ عاما خلت ! أما ما أدركناه قبل ٦٠ سنة بمكة فان أردب الحب — وهو ستون كيلة من المغربى الممتاز — كان يباع فى (أوصال الجراية) بسعر ثلاثة ريالات إلى أربعة أو خمسة ، أى نصف جنيه عثمانى .. وتستطيع أن تملأ (زيرا مغربيا) من الجبن الممتاز وهو يستوعب ٥٠ (منا) بخمس من الريالات فقط .. ولا تستطيع ذلك الآن بخمسين ضعفا — وهى مقارنة لمجرد الذكرى .. ونسأل الله الغيث والرحمة والبركة والهداية والصلاح .

(١١٩٩) من هو الشيخ محمود بجرول

فى أول (الملف) وأمام البازان المسمى (أم قبة) أو رأس مفترق الطريق إلى ذى طوى — والزاهر — والحجون — بمكة — يمينا من جهة جرول — وإلى درب جدة — يسارا — كانت ثمة (مقبرة) دفن فيها الكثير من المجاورين .. وكان يطلق عليها (مقبرة المهاجرين) .. واحتوت أيضا على رفات عدد من أمراء مكة المكرمة فى العصور الخالية قبل الألف وبعدها .. وقد انمحت الآن ولم يعد لها عين ولا أثر .. وأعرف أن الدفن فيها كان مستمرا إلى عام ١٣٣٣هـ . وقد شهدته ،

وشاركت فيه فى العصر العثمانى ، ثم تقاصر واضمحل .

ويطلق الناس على هذا الموضع كله : « **الشيخ محمود** » .. ولو ذهبت تسأل الجميع عمن هو هذا **الشيخ محمود** ؟ لما استطعت أن تتلقى إجابة صحيحة شافية كافية .. وكان من القوم من يقول لك انه الامام « **محمود الزمخشرى** » صاحب تفسير الكشاف ، وأنه مدفون ثمة .. حتى عرفت بالاستقراء أنه توفى فى غير مكة من البلاد .. فواصلت البحث عن هذا (المحمود) — وقد ظفرت به فى تاريخ لمكة المكرمة .

« وخلاصة الكلام » حيث تبين أنه **الشيخ محمود بن إبراهيم بن أدهم** الزاهد المشهور .. وقد ظفرت بذلك عرضا أثناء المطالعة .. فبادرت باثباته لمجرد التنوير حيث ما يزال هذا الاسم يتردد على ألسنة العامة والخاصة بأم القرى حماها الله ، ومنه يعرف أن **ابن أدهم** هذا هو المدفون فى هذه الجبانة القديمة .

(١٢٠٠) (حب الفنا) و (جبل الفنة)

فى بطن مكة المكرمة — يقوم جبل عظيم فى محلة الشبيكة يشرف على ما يسمى غربا بالطندباوى « أو الطنبداوى خطأ » وما يطلق عليه اليوم شارع **المنصور** ويشرف على منطقة (الحفاير) وعلى (وادى **ابراهيم**) كله إلى « المعلى » من فوقه .. ويعلو عن (جبل **عمر**) فيكون دونه كالسفح .. وقد تبحر فيه العمران وامتد إلى قمته ومن حواليه الآن . ويسميه أهل مكة القدامى (جبل الفنة) ، ولم أدر ما هى (الفنة) حتى قال لى المسنون منهم أنها (نار توقد للاعلام أو الايذان بدخول الأعياد) فى القرون الماضية ، ولم أجد نصا على ذلك فى تواريخ مكة .. وفى قراءة عابرة لكتاب **لأبى الفرج قدامة بن جعفر** ، فى نقد الشعر ، وهو المتوفى سنة ٣٣٧هـ فى العصر العباسى استوقفنى بيت أورده من قصيدة : (**لزهير بن أبى سلمى**) :

كأن فتات العهن فى كل منزل
نزلت به (حب الفنا) لم يحطم

وبدا لى أن هذا الجبل المشار إليه آنفا لعله كان مما ينبت فيه (حب الفنا) وهو حب تنبته الأرض أحمر .. والعهن : هو الصوف الأحمر .. ولهذا سمى به ومرت القرون عليه وتداولته الألسن .. مع التحريف .. كما هو فى غيره من الألفاظ المشتركة ! وذلك لعدم تبين أصله فى نص صريح .. فهل يرى ذلك أستاذنا **الأنصارى** ؟ فاننى لم أظفر فى اللغة بما يدل على صحة ما ذهب إليه القدماء من أنه جبل (الفنة) وأنها تعنى النار التى توقد فى رأسه وان كنت أدركت قبل خمسين عاما اشعال النار فيه كل ليلة جمعة وذلك من قبل (عبيد الموارد) الذين كانوا يقيمون فيه ما يسمى (بالطنبرة) من بعد العشاء حتى الصباح وبطبول وصيحات مقلقة مزعجة .. يتردد صداها فى أخاشب مكة — ويتجاوب معها مثلها من شعاف جبل قرن ، من سلسلة (قعيقعان) .. هذا إذا لم تكن الكلمة (زنجية) المورد معهم .. والله أعلم .

(١٢٠١) (اللاذ) مرة أخرى

تحدثت فى شذرة سابقة إلى ما نبهنى إليه الأديب الكبير الأخ الأستاذ **عبدالعزيز الرفاعى** — حفظه الله — عن كلمة (اللاز) وأنه هو

« اللاس » الذى عرفناه منذ زمن قريب .. وهو نوع من القماش الذى تتخذ منه الأثواب و (الشايات) و (الأكوات) .. وأيدته فى رأيه هذا وأوردت عليه دليلا من الشعر العربى القديم .

وظفرت أخيراً بهذا البيت الذى يرجع إلى أكثر من ألف سنة أو تزيد .. وهو قول **أبى عبادة البحترى** :

متعـــود لبس الـــــدروع تخالها
فى البر خزا ــ والهواجر (لاذا) ؟
(الحاتمى)

قلت : وزادنى هذا البيت معنى جديدا ــ وهو أن اللاذ رهيف خفيف وإنما يستعمل فى فصل الصيف وحمارة القيظ والهواجر .. بينما المعروف فى (اللاس) الذى أدركناه أنه (حار) ويحسن إستعماله وارتداؤه فى الشتاء .. ولعله من قبيل التطور فى المنسوجات .. وربما كان منه النوعان .. و (ليس الخبر كالعيان) ! وقد طويت صفحته مع (الكتان) !

(١٢٠٢) (العلق) قديما وحديثا

عرفنا أن هذه الكلمة فى اللغة الفصحى ــ تدل على كل ما يعلق به القلب أو يكون شيئا نفيسا يعلق ــ لنفاسته ، ومن ذلك تسمية القصائد المذهبة بالمعلقات .. أو قول الشاعر :

علقتها عرضا ــ وعلقت رجلا
غيرى ! وعلق أخرى غيرها الرجل

ثم تطورت حتى أصبح لها مدلول كريه لا يرضى به من يحترم نفسه ، فإذا نعت به غضب .. واكفهر !.. ويحق له ذلك بعد أن لبست ثوب التحقير والازراء ، والشتم والايذاء !

وتعقبت كثيرا أسباب هذا البلاء الذى نزل بها فلم أجده إلا فى الاصطلاح المتداول والمفهوم المعلوم المتعاطل ، ومصادفة وجدت (**صلاح الدين الصفدى**) قبل نحو من ٧٠٠ سنة هجرية . يقول فى قصيدته السينية .. التى ينكر فيها استعمال غريب اللغة .. (إنما الحيزبون والدردبيس) .

أتراني ان قلت للحب .. يا علق
درى أنــه العزيــز النفـيس ؟

ولذلك أدركت أن القوم كانوا يرتابون منها . ويتأبون منذ قرون طويلة أن ينعتوا بها .. لغلبة دلالتها على ما يسوء فى الأوساط العامة والخاصة .. وإنها كالخبيص الذى كان من أجود أنواع الحلوى فصار مثلا للاختلاط (والخربطة) والفوضى .. ولهذا يجب التنزه عنها فى الاستعمال ، ما دامت قابلة للوجهين ، و (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) .

(١٢٠٣) تطور التطريق

عندما كانت شوارع مكة وأزقتها تعج منذ الصباح إلى المساء بأفواج من (الحمير) التى تنقل عليها مؤن العمائر .. كالحجار والحداد والنورة والتراب ، بأعداد وفيرة ــ وذلك قبل استخدام (السيارات القلابة) .. كان يلازم كل فوج منها سائق أو سائقان أو أكثر ــ يرفعون عقيرتهم بين يديها وأمامها ومن خلفها بقولهم : (طريق .. طريق) .. لتنبيه المارة حتى لا تصدمهم وتؤذيهم .. فأما ما يستخدم منها لمجرد الركوب

فقط .. فكانت لها « جلاجل » تناط إلى رقابها يسمونها (الكشحة) .. وكلما تحرك العير أو الحمار .. سمعت لها أصوات تحمل الغافل على الابتعاد عن طريقها .

وقرأت فى الأدب القديم : أن **أبا العيناء** وكان ضريرا .. زحمه رجل على الجسر فى بغداد راكب على حماره .. فضرب **أبو العيناء** على أذنى الحمار وقال له : يا فتى قل للحمار الذى فوقك يقول : « الطريق » .. فقلت أن الطريق الذى أدركناه كان معروفا من القرن الثانى والثالث الهجرى بصورته التى شهدناها ثم سكت .. بعد « أبواق » السيارات .. ولكل زمان ما يلائمه من الأسباب ولعل فيما يقبل من الأيام من الوسائل ما يعفى على الجديد حتى يعود قديمه .. ولا محيص من التطوير .. (وإلى الله المصير) .

(١٢٠٤) كلمات لابد من ترجمتها

تنشر الصحف والمجلات العربية الداخلية والخارجية ــ مقالات وأبحاث مستفيضة لا تخلو من كلمات أجنبية غير معروفة أو مفهومة لدى جمهرة القراء ــ من غير أولئك الذين درسوا فى الجامعات .. وحذقوا بعض اللغات .. وضربوا بسهم وافر فى الفنون الحديثة .. وطالما تساءلت وتساءل كثير غيرى عن مدلولات تلك الكلمات غير العربية ــ أو المترجمة ــ واعتمدت فى الاجابة عنها على ما توهمه الخاطر .. أو قدرة الظن = يخطىء ويصيب = ، ومن ذلك :

١ ــ الكوميديا .
٢ ــ الانسكلوبيديا .
٣ ــ التقنية .
٤ ــ الاستراتيجية .
٥ ــ المكيافيلية .
٦ ــ التول .
٧ ــ الديكور .
٨ ــ الطرطور .
٩ ــ الفلكلور .
١٠ ــ الدكتور .
١١ ــ البلكونة .
١٢ ــ التلسكوب .
١٣ ــ الرومانسية .
١٤ ــ الكلاسيكية .
١٥ ــ الأيدولوجية .
١٦ ــ الامبريالية .
١٧ ــ الأوتوماتيك .
١٨ ــ التكتيك .
١٩ ــ الجنتلمان .
٢٠ ــ الاتيكيت .
٢١ ــ الدبلماسية .
٢٢ ــ الجرامفون .
٢٣ ــ التلفون .
٢٤ ــ التليفزيون .
٢٥ ــ المرمطون .

إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى .. مما يتصل بالعلم والفن والأدب والاجتماع .. ومع أن كل كلمة منها قد عرف مدلولها (عمليا) فى الأجهزة الآلية .. مشاهدة وتطبيقا .. ولكن بعضها ذو مفهوم معنوى غير ملموس .. ويقف القارىء منه حائرا يتلمس ما يروى غليله لادراك مغزاه ومعناه ، فان من واجب أولئك المحيطين بهذه المعلومات أن يصدروا بين حين وآخر « نشرات أوكتيبات دورية » دائمة .. تسير مع كل تطور

جديد ، ولفظ عتيد تكون (دليلا) أو (منجدا) للقراء .. ويحتوى على ترجمة أو تعريب كل كلمة طارئة ، إذا أمكن ذلك ، أو جمع ما عرف منها وشاع استعماله حتى الآن فى (مؤلف) كبير .. يتولى القيام بها (أهل الذكر) أو المتمكنون فى اللغات الحية الأخرى التى تمت إليها هذه المصطلحات الحديث منها والقديم .. حتى يكون الناس على بصيرة من كل ما تعنيه مهما دق وجل وهو عمل إنشائى عظيم لم يسبق إليه فى كافة الاقطار العربية حتى الآن كما أظن .

إنه اقتراح — أتمنى أن يجد من ينهد إليه ويعطف عليه .. ويحققه من أرباب القلم وأعلام البيان .. فهو (جديد) كل الجدة .. ويتلهف على الظفر به جميع القراء .. فما فى اللغة العربية حتى يومنا هذا كتاب يجمع متفرقه ، ويضم أشتاته ، ويكشف عن المجهول منه والمعلوم .. وسيجد مثل هذا الكتاب الجامع رواجا كبيرا ، فان هذه الكلمات المستحدثة ، لم تكن — قبل هذه الحقبة ، معروفة فى الأوساط العربية عامة .. ولست أرى فى ذلك حرجا أو صعوبة على من (علموا) على أن فيه كل الفائدة لمن (جهلوا) .. فهل إلى ذلك من سبيل ؟

اننى لأرجو أن تتضافر الجهود على ذلك مبادرة . وعسى أن يفضل سيادة أستاذنا الكبير العلامة النحرير (صاحب المنهل الأغر) ليؤيد هذا الاقتراح .. ولولا العبء الكبير الذى يحمله وينهض به فى رسالته العلمية والأدبية والأثرية فى مجلته التى هى من ذخائر الأدب الرفيع ، لوجهت إليه قبل أى شىء آخر ، هذا الرجاء .. فقد قام بتحقيقه فعلا فى بعض الظروف ونشر فى نفس المجلة قسطا وافرا من الترجمة والتعريفات ، لما تيسر له بحثه وتحقيقه فى نطاق الامكانات المحدودة .. جزاه الله خير الجزاء .

على أننى لا أجد بدأً — مع ذلك — من التقدم إليه بالرجاء ، بأن يتابع جهوده فيما بدأ به .. فيفرد لذلك من المجلة صفحة واحدة من كل عدد ، يتعقب بها ترجمة وتعريف كل لفظ جديد يطرق الأسماع ويملأ الرقاع يوميا من مبتكرات الحضارة الحديثة .. فانه لا غنى عن ذلك البتة ما دمنا مضطرين إلى استعمالها واصطناعها .. ويعد ذلك كسبا عظيما — للغة الضاد — وثروة جديدة تضاف إلى كنوزها الثمينة ، وانه لفاعل ذلك إن شاء الله وهو به جدير .. والله ربنا ونعم المولى ونعم النصير[1] .

(١٢٠٥) (الفوطة) معروفة منذ ٨٠٠ سنة

قال الشاعر **أبو الحسن ابن أبى الخير سلامة النصرانى** الدمشقى المولود سنة ٥٥٦ هـ والمتوفى سنة ٥٧٩ هـ ، يستمنح كسوة من (تاج الملوك) **بورى بن نجم الدين** أصغر اخوة **صلاح الدين** الستة :

أنعـــم عـــلى بثـــوب
تربـــح جزيـــل الثـــواب

(١) (المنهل) : يعتبر أستاذنا الجليل الشيخ أحمد بن ابراهيم الغزاوى مفخرة علمية وأدبية لا لبلادنا فحسب وإنما لبلاد العرب والإسلام .. فهو شيخ الصحافة المعلم وجذيلها المحنك ، وعميدها وهو شيخ الأدب وعميد اللغة العربية وحارس حماها . وهو يسعى دائما لتطويرها وتصحيحها واحيائها وانمائها واثرائها . وشذراته الذهبية فاقت (نقل الأديب) للأستاذ اسعاف النشاشيبى كيفا وكما أمد الله فى عمر أستاذنا الغزاوى وأبقاه ذخرا .

كأنه زمن الوصل
في زمان الشباب
و (فوطة) مثل شعرى
رقيقة - أو شرابي
طويلة مثل ليلى
لما جفا أحبابي
كأنها رمضان
إذا أتى في (آب)

قلت : ومن هذا النص نعرف أن الفوطة كانت من الأكسية المعروفة منذ أكثر من ٨٠٠ سنة .. وإنها كانت سوداء اللون .. ومثلها (الشراب) !

١٢٠٦ الضبة والمفتاح

سقى الله عهدهما - فما عاد لهما من ذكر - بعد أن كانا خلال القرون الطويلة ، هما الحرز للدور ، وقد أدركناهما قبل خمسين عاما ، ولا يكاد يخلو بيت منهما .. ولا سيما على الأبواب التي هي المداخل لكل منزل .. ويصنعان من الخشب الطلح القوى أو الأثل[1] ، وما تزال بعض المنازل القديمة ذات ضبات تدخل في حكم الآثار ! وما قرأت في الأدب القديم ما يدل عليها إلا ما جاء في شعر **أبي اسحق إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزى** في القرن الخامس حيث يقول :

فقد تصقل (الضبات) وهي كليلة
ويصدأ حد السيف وهو مهند

وكأن الضبات قديما كانت تصنع من الحديد لا من الخشب[2] بهذا النص الثابت ؟ ثم تطورت ، حتى انتهت إلى شكلها الأخير المنقرض وكان معها أيضا المزلاج والترباس ! وهو عمود معترض من الداخل يمتد وراء الباب من جانبيه في الجدار .

وعسى أن دار الآثار تحتفظ بنماذج منها للذكرى !

١٢٠٧ الأزيب - هو النعامى

إن من الكلمات ما تكاد تطويه الأيام .. ويقل استعماله حتى ليبدو عربيا .. ومن ذلك « النعامى » - بضم النون وفتح الميم ، فقد كانت معروفة في بلاد الأندلس - وقرأتها في أدبهم المعجب وشعرهم المطرب .

قال أحدهم :

بكر الوسمى تحدوه النعامى
لاهتزاز الطل في مهد الخزامى

وكانت دارجة في المشرق العربي كله حتى أوردها في ميمية طويلة شاعر شامي في القرن

---

(١) (المنهل) : تقوم جامعة الرياض في الآونة الأخيرة بجهود موفقة لاعادة تصنيع الأثل بعد أن هجر هجرا كاملا وحل محله الخشب المستورد وهذا التصنيع نرجو أن يمتد وأن يشتد وأن يشمل البلاد .. فان البلاد في حاجة ماسة إلى تصنيع منتجاتها الوطنية ، لتحل محل المستوردات ، فتحتفظ البلاد بثروتها المالية بداخلها ، وتحمى منتجاتها والأمر يحتاج إلى حملة وطنية تقودها الجامعة بحيث تنشأ مصانع للأثل وتنشأ إلى جانبها مغارس وغابات حديثة له في الأماكن الصالحة لزراعته ونموه واستثماره .

(٢) (المنهل) : إذا نظرنا إلى واقع الضبات في هذه البلاد قديما فاننا كما أشار إليه أستاذنا الطلعة تتكون من خشب ، وهي ضبات البيوت الشعبية ، ومن حديد وربما تكون هذه للبيوت الشعبية الممتازة . وهناك نوع ثالث من الضبات مكون من الفضة الخالصة والذهب ، ويوجد نموذج لهذا في باب الكعبة المشرفة ، وأبواب الحجرة النبوية المعطرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ولا تزال الضبات الخشبية مستعملة في بعض القرى وقد شاهدناها في قريتي خيبر وتيماء .

الخامس : وهو أبو عبدالله القيسرانى المولود سنة ٤٩٨ هـ :

ومهفهف لعب الصبا بقوامه
لعب (النعامى) بالقضيب الناعم

وما هذه (النعامى) إلا ريح الجنوب . التى نطلق عليها فى بلادنا اسم « الأزيب » ! ولو ذهبت تسأل عنها اليوم كثيرا من الناس لما استطاعوا تعريفها .. وأحسب أنه لفظ شعرى جميل هو خير من (الأزيب) وأنى لها التغلب عليه ؟!

١٢٠٨ من هو البقم ؟

نسمع بعضهم ينطق بهذه الكلمة ينعت بها غيره .. فيقول إن فلانا (بقم) .. ويعنى بها غالبا (البلاهة) وعدم الذكاء .. وراجعتها فوجدتها فى اللغة بتشديد القاف ، يراد بها الرجل الضعيف العقل !
« المنجد »

ومن الناس من يجعل القاف (جيما) .. وقد قل استعمالها والحمد لله لأن نسبة « البلادة .. وأخواتها » قد انخفضت أو انعدمت بعد أن عمت « الثقافة » الحاضر والباد .. وانتشرت فى كافة أنحاء البلاد .. وإنما هو حذق وفطانة وتقويم .. وتلك هى فطرة العربى ولو كان هو الفطيم !

١٢٠٩ الطربوش - هو الشربوش

قال الشاعر **فتيان الشاغورى الأسدى المعلم** ــ ٥٧١ هـ :

وشادن صبغة (شربوشه)
فى لونها ــ والفعل كالهذم
معتقل من قده ذابلا
ولحظه أمضى من الخذم
لا غرو أن راح وملبوسه
كأنما أصدره عن دمى
كأنه بدر تجلى لنا
من شفق أحمر كالعندم

قلت : وقال الشارح أن الشربوش قلنسوة طويلة معربة عن (سربوش) أى غطاء الرأس ــ وهي من الفارسية .. فهى اذن الطربوش محرفة ، وكأن ما يغطى به (رأس الجراك) لمنع الهواء عن النار فيه إنما أخذ منه استعارة حيث أعطى حكم الرأس فى الآدمى ، وقد أخذت الطرابيش فى الاختفاء ! أى فى البلاد التى كانت لا ترضى بها بديلا .

١٢١٠ كسوة الكعبة فى الجاهلية

« مما يرويه التاريخ أن (**عبدالله بن أبى ربيعة**) **أبا عمر بن أبى ربيعة** الشاعر المشهور كان يكسو (الكعبة) فى الجاهلية من ماله سنة .. وتكسوها قريش بأجمعها سنة » وسمى لذلك (بالعدل) !

قلت : (وما تجود يد إلا بما تجد) .. وقديما قال الشاعر **ابن دريد** فى مقصورته :

والنـاس ألـف منهم كواحـد
وواحد كالألف أن أمر عنى

وقال الله تعالى : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

صدق الله العظيم

(١٢١١) مشى حـالـه

من الكلمات السائرة .. التى ما تزال منذ قرون عديدة محل الاستعمال اليومى قولهم :

« فلان مشى حاله » .. أى أثرى ! أو ارتفعت مكانته .. أو تحقق أمله .. إلخ ، ووجدتها فى كلام (**للقفطى**) عن (**أبى العلاء المعرى**) .. فهو يقول : « كان **لأبى العلاء** وقف يشاركه فيه غيره من قومه . وكانت له نفس تشرف عن تحمل المنن .. (فمشى حاله ، على قدر الموجود » .

قلت : ويظهر أنها فى الأصل لا تعنى أكثر من الكفاف .. وسداد العوز .. ثم توسع مدلولها إلى ما هو أعم واشمل إلى درجة (الرغد) .. و (الشرف) .. وحتى أن الكبير يقول للصغير :

(مشى حالك) ! إذا نالته هبة .. أو ظفر بشهادة مدرسية .. أو أجازة غير عادية .. وهلم جرا .. وآخرون يريدون بها « تمشية الحال » أى توفر الضرورى من العيش وكفى .. وهى تختلف كما وكيفا .. حسب قراءتها وملابساتها .

(١٢١٢) كان مما ينفق الحجاج

قرأت أن **السلطان الناصر بن قلاوون** حج ذات مرة ، فكانت تمد له مائدة فى طريقه وسط (حديقة) مصنوعة .. وعليها الفاكهة والزهور .. وكان هذا المنظر يبهر الناس فى صحراء بلاد العرب .. وقد قالوا ان احدى زوجاته أنفقت فى حجها مائة ألف دينار » .

قلت : وإذا عرفنا القيمة الشرائية للدينار فى القرن السابع والثامن الهجرى .. تصورنا ضخامة المبلغ المنصرف .. أيام الحج .. من حاجة واحدة ! عدى ما لها من أتباع وأشياع .. وكم هنالك من أمثالها من حجاج الأقطار الإسلامية فى تلك العهود ؟! كل ذلك يدل على أن الحركة الاقتصادية كانت بالدرجة العليا فى الأسواق والسويقات بمكة المكرمة والمدينة المنورة .. وقد أدركنا مواسم الحج تمتد أكثر من ستة أشهر فيها وما بينها .. ينفق خلالها الحجاج ما يستعدون به من أموال عظيمة تصرف فى ابتغاء الأجر والثواب حتى كان يحجر عليهم السفر فى العودة .. إلا بعد أن تفرغ جيوبهم .. وتجرد من كل أحمر وأصفر ..

ثم عادت أيام الحج معدودة ، محدودة .. وزادها القدوم السريع والوسائط الجوية الحديثة سرعة وانفضاضا فلا تزيد أيام الموسم عن أسبوع أو أسبوعين مع السلامة والأمن والراحة والاطمئنان وعدم دفع دانق واحد للأتاوات التى كانت تفرض على الحجاج .. فرضا .. فى الطريق ما بين الحرمين الشريفين .. وما يعانونه من مشاق العطش والظمأ .. والخوف والطمع والارهاق والازهاق .. وانها لنعمة نسأل الله تعالى دوامها

والشكر عليها .. والزيادة منها فى هذا العصر العمرى الفيصلى الزاهر .

(١٢١٣) السواد في الشرق والبياض في الغرب

كان اللباس الشائع المستعمل فى بلاد المشرق ــ يختار من اللون الأسود فى أيام الحداد والعزاء والحزن والمآتم .. وعلى عكسه كان فى بلاد المغرب .. فهم يختارون لها البياض .. حتى قال الشاعر **الحصرى** :

إذا كان البياض لباس حزن
بأنــــدلس فذاك من الصواب
فها أنا قد لبست بياض شيبى
لأنى قد حزنت على شبــابى !

قلت : والواقع أننى لم أشهد منذ الطفولة (بمكة المكرمة) من يلبس السواد فى هذه الظروف أو المناسبات .. لا من الرجال .. ولا من النساء .. بل كلهم يؤثرون البياض .. ويجلسون للعزاء فيه .. ولا سيما ربات البيوت .. ولعل اتخاذ السواد كان قديما فعدل عنه إلى ما رأى (**الحصرى**) أنه الصواب .. وتعزى به واستخدمه فى حزنه على فقدان الشباب !

(١٢١٤) الجمع بين السمك واللبن

كنا إلى عهد قريب نتلقى وصايا السلف من الآباء والأجداد والأمهات والجدات بأن لا يأكل أحدنا السمك .. ويضيف معه أو اليه اللبن .. فى آن واحد .. وان ذلك شديد الضرر .. وأخذ هذا الاعتقاد يضمحل مع الزمن ، حتى لم يعد له وجود كليا .

وظننا ذلك وهم علق بالأذهان .. دون أساس صحى ثابت ! وأنه إنما كان يعتمد على الشاهد المعروف فى علم النحو : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » .. فقط .. وقد قرأت **للجاحظ** قصة تؤكد الاعتقاد أو الظن أو الوهم الأول ..

فقد ذكروا أنه اجتمع مع (**يوحنا بن ماسويه**) على مائدة بعض الوزراء ، وكان فى جملة ما قدم (مضيرة) بعد سمك فامتنع **يوحنا** من الجمع بينهما .. فقال له **الجاحظ** : « أيها الشيخ لا يخلو أن يكون السمك من طبع اللبن أو مضادا له ، فان كان أحدهما ضد الآخر فهو دواء له ، وان كانا من طبع واحد فلنحتسب أنا قد أكلنا من أحدهما إلى أن اكتفينا » ! فقال يوحنا : والله ما لى خبرة بالكلام .. ولكن كل يا **أبا عثمان** ، وانظر ما يكون فى غد . فأكل **الجاحظ** نصرة لدعواه ..

ففلج فى ليلته ، فقال : هذه والله نتيجة القياس المحال » .. كما ورد ذلك فى (كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) **لابن أبى أصيبعة** ا.هـ .

قلت : فجزمت بأن الناس قبلنا كانوا مأخوذين بهذه القصة .. فى حرصهم على عدم الجمع بين السمك واللبن .. أما فى عصرنا هذا فقد تسامحوا فى ذلك ! دون أن يصابوا بضرر ما غالبا ! ولا أدرى ما يقول أطباؤنا فى هذا اليوم ؟ فلعل أحدهم يفيد القراء الكرام بما ينير الطريق .. ويثبت الفائدة أو ينفى المضرة .. والله المستعان .

١٢١٥ (حنا) هي (نحن)

تستمع إلى أغلب رجال البادية فتجدهم يقولون (حنا من أهل كذا .. أو حنا ما أكلنا أو شربنا) .. ينفون أو يثبتون .. بعدها ما يريدون .. ويقصدون (بحنا) نحن ! وفكرت طويلا فى سبب هذا التصحيف أو التحريف .. فما وجدته إلا من قبيل القلب والابدال .. المعروفين فى اللغة الفصحى .. وان حلت الألف محل النون الأخرى من (نحن) .

وقلت : ألا يمكن أن تستعيد الكلمة صحتها وحروفها دون هضم أو قضم ، أو حذف أو ضم ؟! وقدرت أن من يحاول ذلك فإنما يتعنت .. ويتزمت .. ولا سبيل إلى تصويبها إلا بالتعليم وانتشاره فى جميع البوادى كما هو فى الحواضر .. وكم فيها من كلمات تستدعى العناية والتصحيح .. إلا أنها برسوخها وقدمها ، لا يسهل فيها أو معها التعديل ولا التحويل وأرجو أن يجد القراء على هذا تعليقا من علامتنا اللغوى الكبير صاحب (المنهل الأغر) .. فلعل لذلك وجها صحيحا خافيا على الكثير .. « **ولا ينبئك مثل خبير** »[1] .

(١) (المنهل) : عفوا يا أستاذنا الجليل فليس وراء تحقيقك تحقيق . ورئيس تحرير المنهل يوافق على ما تفضلت به كل الموافقة ، خاصة وأنتم تعلمون أنه قد عانى كما عانيتم فى سبيل تحقيق تصحيح كلمات عامية مشوهة ، لم يكتف التشويه بها باللهجة العامية الدارجة بل تجاوزها إلى البيان المنظوم والمنثور فى الكتب المطبوعة وفى الصحف السيارة .. وحقيقة أن إنتشار التعليم وإدراك المثقفين فيما بعد حقيقة هذه الأغلاط الشوهاء وضرورة تعديلها ـــ ان ذلك وحده كفيل بالإصلاح المنشود إن شاء الله .. وكل آت قريب .

١٢١٦ زيده كمان

أصل هذه الجملة ـــ (زده أيضا) ـــ ويقول أهل الوبر .. إذا أرادوا التمثيل « كاه » أى كمثله .. وأحسب أن الأولى (كمان) ـــ مقتضبة فى الاستعمال فهى : « كما أن زيدا زاد فى الشىء فزده » أو بقدر ما وضعت من قبل زده مثله ..

فهذه كما يبدو هى معنى (الكمان) .. وان اشتركت فى مسمى آخر وهو « القيثارة » ! بحيث نستطيع أن نقول : (زد مع العود ـــ الكمان ـــ كمان) !. وعسى أن لا ينتطح فى ذلك عنزان .. والله أعلم بالصواب « وما شاء الله كان » .

١٢١٧ (كنك) ما سمعت

يقولها المتضجر من المتحدث معه إذا (طنش) عنه أو تغافل عما يأمره به أو ينهاه أو يحدثه فيه من مختلف الشؤون والأغراض .. منكرا عليه هذا التصرف ، أو التطرف ، أو التعجرف ! فيبادره به .. ويقول : « كنك ما سمعت » وصوابها وصحتها هى : « كأنك ما سمعت ؟ » .

وقديما قال الشاعر :

الألمعى الذى يظن بك الظـ
ـن .. (كأن) قد رأى وقد سمعا

وهذا الحذف للألف .. لم يتجاوز اللفظ إلى المعنى .. فهو هو فى مؤداه العامى والفصيح .. و « بلاشى حفلطة .. أو جليطة » .. وكلاهما فى حاجة إلى الشلوطة !

(١٢١٨) (ايش) ـ و (وليش)

أما الأولى ــ فهى مختصرة من (أى شىء) ولم ينقص منها حرف إلا الياء قبل الهمزة .. وأصبح معناها مفهوما معلوما لدى العامة والخاصة من عهود قديمة .. وأتذكر فى الطرف الأدبية التاريخية أن أحد رجال الحكم والسلطان اشترى جارية جميلة فسألها بقوله : « أنت عذراء .. أم ايش ؟ » فقالت .. وما أذكاها : « أنا ايش ! » .. ففهم كل منهما ما أراد الآخر دون تطويل .

أما (ليش) ــ فهى كأختها .. وأمهما أو أبوهما على الأصح هو « الشىء » .. فيقول زيد لعمرو .. أو السيد لخادمه .. أو الوالد لابنه : (ليش ما عملت كذا وكذا ؟) أى : (لأى شىء لم تعمله ؟) .. فيرد بالاسباب أو الاعتذار .

وأستطيع أن أجزم بأنه لا يمكن أن يزحزحهما عن موضعهما من التداول أى تقويم .. ولو اجتمع عليهما أهل اللغة من كل فج عميق وكل جديد وقديم ! .

(١٢١٩) (المجلة » و (المحلة)

قال صاحب الأمالى ، **أبو على القالى** : « والمجلة صحيفة كان يكتب فيها شىء من الحكم ، وأنشد بيت **النابغة الذبيانى** :

(مجلتهم) ذات الالــه ، ودينهم
قويم ، فما يرجون غير العواقب

قال **أبو حاتم** يروى مجلتهم ومحلتهم : « فمن روى مجلتهم أراد الصحيفة ، ومن روى محلتهم أراد بلادهم الشام » .

قلت : هذا الأصل فى المجلة .. قبل أكثر من ألف سنة ، فهى بهذا النص موصوفة بأنها إنما تحتوى على التوحيد ، والدين القويم والصراط المستقيم .. فليت كل مجلة تمضى على هذا النهج السليم .. وتتحاشى ما يناقضه أو يتعارض معه فيما تنشره من الوعى والتوعية والدعوة إلى الله كما هو الحال فى هذا المنهل العذب النمير وأمثالها من المجلات الهادفة الصادقة ذات الإنتاج الهادى إلى جنات النعيم .

(١٢٢٠) بم يسود الغلام ؟ !

قال **الزجاجى** ــ المتوفى سنة ٣٤٠هـ فى أماليه : (أخبرنا **أبو موسى الحامض** ، عن المبرد عن **المازنى** عن **الأصمعى** ، قال : قال **معاوية للأحنف بن قيس : يا أبا بحر** ــ بم يسود الغلام فيكم ؟ قال : إذا رأيته نشأ أن يتقى ربه ، ويطيع والده ، ويستصلح ماله ، ويقيم مروءته ، ويبسط ضيفه ، ولا يغضب جاره) .. فقال (**معاوية**) : (وفينا وأبيك) . ا.هـ .

قلت : وكذلك كان التأديب والتهذيب فى المجتمع العربى الإسلامى الأول .. وما أجدر هذه القصة وأمثالها بحفظ الناشئة .. وتلقينهم ما تعنيه جملة وتفصيلا .. وقديما قال الشاعر :

والمرء ينشو على ما كان والده
ان الأصول عليها ينبت الشجر

(١٢٢١) هذا هو (البارجوه)

قال **المبرد** في كتابه (الفاضل) ــ أي غير الكامل :ــ حدثني الرياشي قال : قال **سعيد بن المسيب** : كنت وأنا صغير ألعب مع **علي بن الحسين** عليه السلام (بالمداحي) ، فكان اذا غلبني ركبني ، واذا غلبته يقول : أتركب ابن رسول الله عليه الصلاة السلام ؟

والمداحي أصلها من (الدحوة) وهو المر السهل ، وهي المواضع التي تنتضل بها العرب بينهم لأنهم يرمون بالواحدة فتقع موضعا ثم تمر مرا سهلاً حتى تدخل في الحفرة . ا.هـ .

قال الشارح : دحا الحجر بيده يدحوه دفعه ورمي به .. والمداحى أحجار أمثال القرصة كانوا يحفرون حفرة بقدر ذلك الحجر فيتحرك قليلا ثم يدحون تلك الأحجار على الأرض أي يدفعونها إلي تلك الحفرة فان وقع فيها الحجر غلب صاحبها فقمره ، وان لم يقع فيها غلب فقمر . والمدحاة خشبة يدحو بها الصبي » . ا.هـ .

قلت : وما أرى ذلك بوصفه هذا الا (البارجوه) .. وربما تهذب وتطور بمر الزمان الطويل عليه .. وقد انقرض كليا منذ أكثر من ٤٠ سنة ، فلم أره حتى نادرا ، وقد كنت تأولته في شذرة سابقة بأن تسميته انما هي (بره) (جوه) .. والله أعلم .

(١٢٢٢) « مدائن صالح » مؤلف ثمين

اطلعت أخيراً على مجلد ضخم يتألف من ٤١٦ صفحة من القطع المتوسط وهو الجزء الأول ، بعنوان : (مدائن صالح) : « أروع البلــدان السياحية في المملكة العربية السعودية .. مع جولات وتحقيقات للخمس القارات في مدى ثلاثين عاماً » .. لمؤلفه الأصيل النبيل الأستاذ الأديب اللغوي الأريب أحد فلذات (أم القرى) وسليل أسرة علمية عريقة فيها : فضيلة الأستاذ الرحالة البحاثة « الشيخ **محمد بن عبدالحميد ميرداد** » .. بارك الله في حياته .. وقد أصدر منه الطبعة الأولى عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م بمصر .. وأفضل بإهدائى نسخة منه في ٢٩ رجب ١٣٩٠ ، ويتلوها ما يصدر بعدها باذن الله .

ولقد تصفحته فأعجبت بما احتوى عليه من فوائد وفرائد ومعلومات وصور ورسومات وأوصاف وتعريفات .. وزاد من عجبي وإعجابي أنه بين عدد الرحلات التي قام بها خلال ثلاثين سنة خلت فكانت ١٦٩٠ رحلة ، منها ٧٦٠ سياحية ، و ١٣٥ تجارية ، و ١٢٠ تنزهية ، و ٧٥ نقاهية ، و ٤٢٠ كشافية ، ومنها البرى والبحرى والجوى .. وانه والحق يقال كتاب قيم ثمين ، يضاف إلي المكتبة العربية السعودية .. ويدل على أن رجال العلم والأدب والتاريخ والتراجم والرحلات .. ما زالوا بخير والحمد لِلّه .. وأنه ما برح هذا العصر الزاهر الميمون يفيض بالكثير من الانتاج الطيب والعمل الصالح .. وأني لأذكر ذلك معتزاً مفاخراً بهذا

النفر من رجالاتنا وأدبائنا المقتفين أثر أسلافهم الكرام ، وهو إلي ذلك صاحب بيان ساحر وأسلوب جميل أخاذ ومتمكن من اللغة .. وله فيها مقارنات وتصويبات عرفها القراء من الصحف المحلية بما كان ينشره فيها دائماً من بحوث شيقة ، زاده الله توفيقاً .. وأحسن ثوابه في العالمين .

(١٢٢٣) عظتان بالغتان

يقول **ابن الرومي** :

طامن حشاك فلا أبا لك واقع
بك ما تحب من الأمور وتكره
واذا خشيت من الأمور مقدرا
وفررت منه ـــ فنحوه تتوجه

وقال **أبو محمد عبدالله بن الحسن الأنصاري القرطبي** المتوفي سنة احدى عشرة وستمائة :

سهرت أعين ـــ ونامت عيون
لأمور تكون أو لا تكون
فاطرد الهم ما استطعت عن النفـ
ـس فحملانك الهموم جنون
ان ربا كفاك بالأمس ما كا
ن ، سيكفيك في غد ما يكون

قلت : وما أجدر الناس في هذا العصر المتميز بالقلق والهموم ، والمغبش بالقتام والغيوم ، أن يتمثلوا بهذه الأبيات .. ويتوجهوا بدعائهم إلي الحي القيوم ، ويتجردوا إليه ويتعوذوا به من نار السموم ، وزعاف السموم ، فهم بذلك في منعة ومناعة من كل المحاذر والهموم ، ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا** ﴾ .

(١٢٢٤) الفريقة في سراة الحجاز

على أثر ما جاء فى الشذرة ١١٦٩ فى الجزء السادس والمجلد ٣١ من المنهل الأغر ـــ عن الفريقة والفريك ـــ تلقيت رسالة كريمة من أخ عزيز من سراة الحجاز (الباحة) هو الأستاذ الأديب (**على بن صالح الزهرانى**) بتاريخ ٦/١١ عام ١٣٩٠ جاء فيها :

« إن اسم (الفريقة) لا يزال معروفا لدى أحفاد **أبى هريرة والخليل بن أحمد الفراهيدى** (**غامد وزهران**) بهذ الاسم .. وهو نوع من الطعام الرقيق يستعمله المرضى خاصة .. وصفة عمله كما يلى : يوضع ماء بقدر على نار هادئة حتى يصير حميما .. بين الساخن والبارد ، ويذر عليه شئ من دقيق الحنطة أو الشعير أو الذرة ، ويحرك تحركيا جيدا حتى أصبح شبيها بالحساء ـــ بكسر الحاء الخفيف ـــ وأحيانا يوضع بدل الماء (لبن) ويضاف إليه قليل من الفلفل الأسود وينزل من النار وبعد أن يبرد يضاف عليه أحيانا قليل من السمن البرى ثم يرشفه المريض لأنه خفيف على المعدة » .

وقال : وفى الأيام السابقة قبل العهد السعودى الزاهر كان الأجداد المرضى وغير المرضى يستعملون (الفريقة) بمثابة طعام اقتصادا لقلة الحبوب إذ أن كمية بسيطة من الدقيق تكفى لأكبر قدر من الآكلين إذا كثر عليها الماء .. أما الآن ـــ والحمد لله ـــ فان الفريقة لا تستعمل إلا للمرضى اقتداء بالأجداد الأوائل رحمهم الله » .

قلت : وإنى أشكر للأخ (**علي بن صالح الزهراني**) ما أفادنا به وأضيف عليه أن ما وصفه يعرف لدينا بمكة (بالحريرة) .. ويتخد للمرضى والناقهين قديما .. ولمن يعزف عن تناول الأطعمة الغليظة .. وتعجز معدته عن الهضم من الشيوخ والناقهين .. وهناك نوع آخر يسمى (مرقة الهوا) وهى لا تحتوى على غير الماء المغلى فى البصل المفروم وشيء من (الابزار) القليل .. وكانت تستعمل فى الدور عندما تكون ربتها فى شغل عن الطهى ، كأيام الغسيل ، أو حتى للأخشيشان أحيانا .. وهى من الخفة والرقة .. مصداق لما سميت به واضيفت إليه .. أى ـــ الهواء ـــ

وبالمناسبة أبشر قراء « المنهل » الأغر .. بأن الأستاذ المشار إليه معنى بوضع مؤلف جغرافى عن بلاد غامد وزهران .. يكون حلقة هامة فى (المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية) الذى يهتم باصداره الأستاذ **حمد الجاسر** . وأسأل الله جل وعلا أن يوفق الجميع لكل ما فيه مجد العرب وعز المسلمين .. ويحفظ تراث العلم والأدب والدين .. وأن يأخذ كل فريق من حملة الأقلام قسطه فى منطقته من هذا الواجب الكبير .. مع بيان ما كانت عليه وما صارت إليه فى ظل طويل العمر المفدى جلالة **فيصل** المعظم حفظه الله وأطال بقاءه .. فان ذلك أمانة فى أعناق الشباب الطامحين .. والله لا يضيع أجر المحسنين .

(١٢٢٥) من فصيح العامة (أشوى)

روى **أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي** المتوفى سنة ٣٤٠هـ فى أماليه النادرة الآتية قال : « كان **معاوية بن أبي سفيان** وابن **الزبير** يتسايران فابصرا راكبا ، فقال معاوية : هو فلان ، وقال ابن الزبير : هو فلان ، فلما تبيناه كان الذى قال ابن الزبير ، فقال **معاوية** : **يا أبا بكر** ، ما أحسن هذا الحدة مع الكبر ! قال : برك يا أمير المؤمنين (أى قل بارك الله عليك ـــ وهى عبارة كانت تقال لدفع العين) . فسكت ، فقال له الثانية : برك .. فسكت وضحك ، قال **ابن الزبير** : ما أحسن هذه الثنايا واطرا هذا الوجه مع طول العمر وكثرة الهموم ! فقال **معاوية** : برك ، فسكت يقولها ثلاثا ويسكت **ابن الزبير** ، ثم افترقا فاشتكى **ابن الزبير عينيه حتى أشرف على ذهابهما ، وسقطت ثنايا معاوية .. فالتقيا فى الحول الثانى ، فقال له : يا أبا بكر** ، أنا (أشوى) منك ـــ (أى أكثر حظا منك فى الإصابة بالعين ـــ وأنا أقل ضررا منك) .

قال ثعلب : هو من قولهم : **رماه فاشواه إذا لم يصب مقتله** ا.هـ .

قلت : وفى هذه القصة مع التهذيب والتأديب دليل على بقاء هذه الكلمة فى الاستعمال كما هى بمعناها العربى الفصيح الصحيح إلى يومنا هذا يتداولها العامة والخاصة ، والرجال والنساء ، بمدلولها القديم ، دون أى تحريف ، وكثير أمثالها فى الكلام الدارج .. وذلك هو الأصل المفروض أن لا يعتوره أى تبدل أو تحول ، لولا أنه أصبح غريبا لشيوع العجمة واللحن والدخيل .

(١٢٢٦) هذا هو الرجل

جاء فى معجم (**ياقوت**) عن الأبرى ما نصه : « قال اسحاق بن راهويه : « كنا عند **سفيان بن عيينة** نكتب أحاديث **عمرو بن**

دينار ، فجاءنى **أحمد بن حنبل** ، فقال لى : قم **يا أبا يعقوب** حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله ، فقمت ، فأتى بى فناء (زمزم) فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض تعلو وجهه السمرة ، حسن السمت ، حسن العقل ، وأجلسنى إلى جانبه ، فقال : **يا أبا عبدالله** . هذا **إسحاق بن راهويه الحنظلى** ، فرحب بى ، وحيانى فذاكرته فانفجر لى منه علم أعجبنى ، فلما طال مجلسنا قلت : قم بنا إلى الرجل ، قال : هذا هو الرجل ، فقلت : يا سبحان الله ، قمت من عند رجل يقول : حدثنا **الزهرى** ، فما توهمت إلا أن تأتينا برجل مثل **الزهرى** أو قريب منه ، فأتيت بنا إلى هذا (الشاب) .. فقال لى : **يا أبا يعقوب اقتبس من الرجل فانه ما رأت عيناى مثله** » اهـ

قلت : وما كان هذا (الشاب) الذى وصفه الامام **أحمد بن حنبل إلا الإمام الشافعى** رضى الله عنهما .

وهكذا ــ لا يعرف الفضل إلا ذووه .. وكذلك كان العلم زينة الشباب .. فهل لأجيالنا الصاعدة من عودة إلى هذه الأمجاد الباسقة ؟!

الا أنه لا سؤدد ولا شرف ولا امتياز ولا تقدم ولا كرامة ولا اعتزاز إلا بهذا (العلم الدينى) يهدى به الله عباده الصالحين .

وهو ما يجب أن يحرص عليه ويتنافس فيه شباب (مكة) خاصة ــ وحول (فناء زمزم) .. وهل من ينشد قول الشاعر القديم :

ورثناهن عن آباء صدق
ونورثها إذا متنا بنينا

اللهم انك القادر على كل شيء .. فهب لنا من أمرنا رشدا فانك نعم المولى ونعم النصير .

وبارك الله فيمن نسج على منوال السلف الصالح ، وحفظ بهم تراث السابقين الأولين فى هذا البلد الأمين ، وسائر بلاد المسلمين .

(١٢٢٧) شجر الدوم

روى **أبو عبيدة** ، أبياتا **للحاجب بن زرارة** ، أحد شعراء نجد يقول فيها :

شتان هذا والعناق ، والنوم
و (المنهل) البارد ، فى ظل الدوم

فسمع **الأصمعى** بذلك ، فقال : « كذب **أبو عبيدة** ، إنما هو : المنهل البارد فى الظل الدوم ، أى الدائم . وأما قوله فى ظل الدوم .. فمعناه فى ظل شجر الدوم ، وشجر الدوم ينبت فى الحجاز ، والشاعر نجدى ، وليس لأهل نجد شجر الدوم » .
(نزهة الألباء)

قلت : وأغلب الظن أن شجر الدوم هذا إنما ينبت فى جنوب الحجاز التهامى[1] .. وكان أغلب السقوف بمكة المكرمة من (عيدانه) أو أعواده ذوات الشعبتين .. وما تزال بعض دورها القديمة .. تحتفظ به منذ قرون عديدة . وهناك بيتان **لعمر بن أبى ربيعة** يقول فيهما :

سقى سدرتى (أجياد) فالدومة التى
إلى الدار صوب الساكب المتهلل

(١) (المنهل) : وينبت الدوم فى شمال الحجاز ونواحيه التى تليها إلى نجد .. فقد شاهدناه قرب خيبر بشمال المدينة المنورة فهناك واد يعرف من القدم باسم (وادى الدوم) . ولا يزال مليئا بأشجار الدوم . وشاهدناه فى الصويدرة شرق المدينة المنورة فى طريق المدينة ــ القصيم المسفلت اليوم .. كما شاهدناه شمال شرق جدة فى طريقنا من جدة إلى بلاد بنى سليم .. وقد ذكرناه فى رحلتنا إلى بلادهم التى أصدرنا بها عددا خاصا من هذه المجلة باسم (رحلة بنى سليم) وذلك بشعبان ١٣٩٠هـ .

هنالك لو أنى مرضت لعادنى
كرام ومن لا يأت منهن يرسل

مما يدل على أن الدوم أيضا من شجر مكة قديما ، أما أنه لا ينبت فى (نجد) فذلك ما يدل عليه عدم استخدامه فى عمرانها القديم .. ولعل سيادة البحاثة العليم الأستاذ الجليل الشيخ **عثمان الصالح** يتناول بيان ذلك مشكورا فى إحدى خواطره الشائقة ، إن شاء الله .

(١٢٢٨) اصطلاح طبي قديم

إذا تناول أحدهم (مسهلا) قال : (جانبى مجلسين أوثلاثة أو أكثر أو أقل) .. فمن أين جاءت تسمية ذلك بالمجلس ؟

قرأت فى كتاب : (أخبار العلماء — بأخبار الحكماء) للوزير **القفطى** المتوفى سنة ٦٤٦هـ قوله فى ترجمة الطبيب (**عبدوس بن زيد**) : « ولما اعتل **القاسم بن عبيدالله** فى حياة أبيه وكان به مرض حاد فى تموز وحصل به (قنولنج) صعب ، وانفرد بعلاجه **عبدوس بن زيد** وسقاه ماء الكرفس والرازانج ودهن الخروع وطرح عليه شيئا من أيارج . فلما شربه سكن وجعه وقلقه وجاءه (مجلسان) ! وأفاق ثم أعطاه من غد ذلك اليوم ماء الشعير فاستظرف هذا منه » . ا.هـ .

قلت : والمراد من إيراد ذلك ليس (الوصفة) للقلونج والحرارة وعلاجهما .. وإنما هو الشاهد على أن كلمة (مجلس) انحدرت إلى الناس من القرن السابع الهجرى وما قبله وحتى اليوم ولا تتميز إلا بالقرينة . ومع (السنامكى) و (والهليلج) و (الملح الانكليزى) .

(١٢٢٩) « ذنبك على جنبك »

وهذ الجملة .. تتردد يوميا .. وباللهجة العامية أيضا دون مراعاة ما يجب نصبه أو رفعه .. أو خفضه ! وهى غاية فى الايجاز .. والبلاغة والاعجاز .. وأصلها فى الفصيح الصحيح « قوله تعالى : ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها** ﴾

وهى على عاميتها — لا تخلو من التذكير ، والتحذير ، وتزيد عليهما — المقت والنكير . ويقابلها المثل العامى بمعناها :

« **الحجر من الأرض — والدم من رأسك** »

على اختلاف كبير بينهما من حيث الوعظ والاعتبار .. فتلك أوقع فى النفس وأشد فى الانكار .. وأدعى إلى الانابة والاستغفار .. ومن هنا نستطيع أن ندرك بسهولة أن القدماء جزاهم الله خيرا .. قد درجوا على الأدب الشرعى ..

وتخلقوا به ودعوا إليه .. لا فى الرجل فحسب ! بل وبين ربات الحجال ، اللواتى كن متأثرات بالعلم الدينى والأدب النبوى .. وما زالت كبيرات السن منهن ، بهذه الخصال .. ويتمنين أن يرين أخلافهن متزينات بها فى كل مجال .. سواء منهن من سكن السهول — أم من احتضن القمم والجبال .. وهن لعمر الله ثمرة العصور الخيرة ، والعناصر الطيبة ، وركائز الصلاح ، وميراث الأجيال ، وبهن البركة ولهن التكريم والامتثال .

(١٢٣٠) احنا وانتو شيء واحد

جملة عامية .. يقولها المجامل لجاره أو صديقه .. أو ضيفه .. بهذه الصيغة المطلقة .. المتداولة .

وقرت فى شعر **عمر بن أبى ربيعة** نفس الجملة تقريبا قال :

إنما أهلك جيران لنا
إنما نحن وهم شىء احد

فكأنما هى عميقة الجذور ، من قبل أربعة عشر قرنا ، فى هذا « البلد الأمين » يتداولها أهله فى مناسباتها وملابساتها .. بالنص والفص .. فهى ذات نسب عريق ومعنى دقيق ، ولا تقبل الزيادة ، ولا النقص ، وإدراجها فى « الشذرات » إنما هو على طريقة (حكاية المقص) : كلمتين وبس) .

(١٢٣١) ضع ـ ضع وأخ ـ أخ

أنشد **الأصمعى** :

قلن : اتضعت ، فقالت : لا ، فقلن لها
فكيف تقوين يا سلمى على الجمل

قال **المبرد** فى كتابه « الفاضل » اثر إيراده هذا البيت :

زعموا أن المؤدب من الابل يقال له : « ضع ضع » فيطاطىء رأسه ليركب .

يقول : وأنت لو لم تفعلى ذلك ما قدرت على ركوبه ! واتضعت افتعلت من الوضع » .ا.هـ .

قلت أما ما سمعناه حين يراد من الجمل أن يركب .. فهو « اخ .. اخ » بكسر الألف وسكون الخاء ــ سوا أكان ذلك ليبرك ، أم ليصعد عليه .. فأما « ضع ، ضع » فقد تكون من اللهجات التى تختلف فى القبائل ، أو من المترادفات .. أو من فصيح لغة الجمال أو هى خاصة بالمؤدب منها .. دون الأرعن أو الطائش ، وما يضطر لذلك أهل الحضر فيما شهدناه وجربناه .. فقد كانوا يضعون السلالم على رقاب الإبل للصعود إلى « الشقادف » .. فاما أهل البادية .. فانهم يقفزون إليها قفزا ويثبون عليها وثبا .. وهى « عرى » من القتد والسداد ، وقد شهدت فتيات من أهل الأخبية فيما بين مكة والطائف والزيمة والسيل يركضن وراء السائمة من الإبل ويقتعدن أسنمتها فى لمح البصر .. « سقاهن الحيا .. وزانهن الحياء » .

(١٢٣٢) ما كانت في حسابي

وهذه جملة دارجة رائجة عتيقة منذ أكثر من ثمانية قرون وهى تستعمل منذ ذلك الحين حتى الآن بالنص أيضا .. وقد قرأتها فى (الحلة السيراء) **لابن الأبار** ٥٩٥ ــ ٦٥٨هـ .

قال ــ وهو يترجم لرفيع الدولة **ابن المعتصم** ــ وله :

إذا ما الأمر أخفق فيه سفى
وضاق صرامه من كل باب
فلا تقنط ، فان الله يأتى
بفتح لم يكن لك فى حساب

قلت : وأحسبها حافظة مكانتها فى التداول إلى يوم الحساب .

(١٢٣٣) يا أخي لا « تردن »

(الردن) ــ بفتح الراء ــ وعند العامة والخاصة فى زماننا ، وفى التداول العام ، لا تعنى إلا تكرير الكلام وترديده مع الازعاج والانزعاج أو السخط والغضب والتكره !

وحقيقته اللغوية أنه « صوت وقع السلاح بعضه على بعض » كما ورد ذلك فى لسان العرب : قال الأمير **الحكم بن هشام الربضى** ٢٠٦ هـ :

غناء صليل البيض أشهى إلى الأذن
من اللحن فى الأوتار ، واللهو فى الردن

وأقول : انه بهذا التقدير والاعتبار يكون استعماله أول الأمر على أن ترديد الكلام بتلك الصورة ، يشبه « صوت وقع السلاح بعضه على بعض » من حيث الصدى والصوت .. ولا يستعمل السلاح عادة إلا فى حالة الحرب أو الغضب والاستياء ! ومن هنا اصطبغ بهذه الحالة النفسية (مجازا) .. وما أبعده عن المعنى الآخر الذى هو فى أخيه « الردن » ــ بضم الراء ــ وهو ما يزيد من أكام الثوب .. كالثياب التى كانت تسمى (بالمحرورة) وتنسدل من السواعد والأعضاء إلى ما تحت اليدين وتعقد أحيانا عند اللقاء من خلف الرقاب والأجياد ! وقد أخذت فى الانقراض بعد أن أدركناها فى أزياء أهل البادية إلى عهد قريب !

(١٢٣٤) الديباج الخسرواني

قال **إسحاق الموصلى** : أنشدت **الأصمعى**:

هل إلى نظرة إليك سبيل ؟
فيبل الصدى ويشفى الغليل
أن ما قل منك يكثر عندى
وكثير ممن تحب القليل !

فقال : هذا والله الديباج الخسروانى ! ولمن تنشدنى ؟ فقلت : إنهما لليلتهما .. فقال : لا جرم . والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر ا.هـ.

قلت : وفى هذه القصة عظة وعبرة .. لا تخفى على الحاذق الفطن ، فلو أن **إسحاق** ابتدأ **الأصمعى** ــ بنسبتهما إليه ــ لما وصفهما بالديباج الخسروانى ، ولكنه أغفل صاحبهما حتى يتقن إستحسانه لهما .. صارحه بأنهما له من ليلتهما فما وجده أهلا .. لتقديره وتكريمه .. فأقسم أن أثر التكلف ظاهر فيهما .. و (المعاصرة حرمان) .. وقديما ضرب المثل : (**يوجد فى النهر .. ما لا يوجد فى البحر**) .

(١٢٣٥) السماط والسموط

قال **البحترى** :

يقوم لها (السماط) وقد أضاءت
على جنبات (لبتها) السموط

ويعنى بالسماط : الرجال الموظفون ، فى مجلس الخليفة أو الحاكم والذين يصطفون على يمينه وشماله .. فما يقومون إلا لذى مكانه عليا ومقام كريم .. فهم يقومون لها إذا أقبلت .. كما تضئ

اللآلىء والجواهر وهى سموط .. أى منظمة منسقة فى (لبتها) .. أى صدرها . و (قد أدركنا أيام « اللبة » .. التى أشار إليها فى الأعراس .. وهى أغلى قيمة وأرفع منزلة من « العقود ») .

وقد أطلق الناس على بعض أنواع الموائد الكبرى من الأطعمة المنوعة التى تقام فى الحفلات السلطانية الفخمة ــ أطلقوا اسم (السماط) .. لما يجتمع فيه على الجانبين من مختلف الأطعمة الشهية والحلوى والفاكهة حتى لا يقل عدد الأطباق المحدودة عن ألف طبق فى أدنى الأحوال ، ثم تطور ، واكتفى عنه بهذه الموائد العصرية .. التى لا يقدم فيها الطعام إلا نوعا بعد آخر .. حتى يفرغ منه مع احاطته بالقوائم المشتملة على أسماء ما يقدم تباعا فيها .. ولكل زمان تقاليده وعوائده وما استحسن فيه من أشكال وألوان .

(١٢٣٦) زكن عليه

تستعمل فى لهجاتنا ــ الخاصة والعامة ــ بمعنى : أكد عليه .. وما كانت فى الأصل إلا كما نص عليه (**ثعلب**) فى كتابه فصيح اللغة ، قال : (وزكنت منك كذا وكذا .. أزكن .. أى علمت) وأنشد هذا البيت :

ولن يراجع قلبى حبهم أبدا
زكنت من بعضهم مثل الذى زكنوا

قلت : وشتان بين المدلولين .. ولكنه التطور فى المفاهيم .. والتداول بين الجديد والقديم .. فلو أخذ الناس فى (زكن) بما تعنيه فى عصر (**الثعلب**) لتجردت من مدلولها الحاضر .. وهو التأكيد .. وما كان إلا مجرد العلم .. وما فى ذلك من بأس .. فمن العلم (التأكيد) أيضا .

فقد قال الشاعر :

أتروض عرسك بعدما هرمت ؟
ومن العنــاء ريــاضة الهرم ؟!

(١٢٣٧) شــوانى

إذا تضايق الإنسان من تصرفات غيره معه ، واعوجاجها ، واشتد ألمه من ذلك قال : (شوانى) .. وقرأت **ليزيد بن الحكم الثقفى قوله** :

تملأت من غيظ علي فلم يزل
بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تنشوى !

قلت : وبذلك تكون الكلمة عريقة فى الاستعمال منذ ألف سنة وزيادة . وأغلب ما يتداولها النساء .. ويعنين بها الصبيان »[1] ! فى أكثر الأحوال .. (لو وجدوا فى هذا الزمان) فكلهم احتوتهم (المدارس) والمعاهد .. فى جميع القرى والمدن والحمد لله .

(١٢٣٨) من اخلاق العرب

قال **حاتم الطائى** :

تحلم عن الأدنين ، واستبق ودهم
ولن تستطيع الحلم حتى تحلمـا

ونفسك أكرمها ــ فإنك ان تهن
عليك ، فلن تلقى لها الدهر مكرما

(١) (المنهل) : يقصد أستاذنا بصيغة (الصبيان) هذه « الخدام » وأغلب ما تعنيه منهم الصيغة (الخدام الصغار) الذين يكونون فى المنازل . ومعلوم أن الصيغة المذكورة بهذا المفهوم خاصة هى لهجة عامية حجازية معاصرة .

أهن فى الذى تهوى التلاد فانه
يصير إذا ما مت نهبا مقسما

قليلا به ما يحمدنك وارث
إذا ساق مما كنت تجمع مغنما

واغفر عوراء الكريم ادخاره
وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

ولن يكسب الصعلوك مجدا ولا غنى
إذا هو لم يركب من الأمر معظما

لحا الله صعلوكا منها وهمه
من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما !

قلت : وكثيرا ما كنت أسمع جلالة المغفور له الملك **عبدالعزيز** تغمده الله برحمته ورضوانه يتمثل بطائفة مختارة من الشعر العربى الرصين . ومنها هذه الأبيات ولا سيما قوله :

« وأغفر عوراء الكريم ادخاره
وأعرض عن شتم اللئيم تكرما »

وقد سرنى جدا أن رأيت فى المقررات المدرسية مختارات من هذا الأدب العالى الرفيع .. وقد نقلت هذه من الجزء الأول من كتاب تاريخ الأدب العربى تأليف العلامة الأستاذ الجليل الشيخ **محمد سعيد الدفتردار** وهو مؤلف عام ١٣٧٤هـ ومطبوع .. وقد أهدى إلي فضيلته أجزاءه الأربعة . وهى من الكنوز الغالية .. أطال الله عمره .. وأدام توفيقه لما يحب ويرضى .

(١٢٣٩) هسه . ولسه

كلمتان عاميتان دارجتان .. تتردد على الألسنة آلاف المرات يوميا .. أما الأولى ، فانها رغم ما يبدو من العجمة فيها أو اللكنة .. واختصاص إخواننا الأفارقة من « الفلاتة والهوسة » بها .. إلا أنها تعتبر اقتضابا لقولنا بالعربية الواضحة : « هذه الساعة » .. وهى لديهم أكثر استعمالا منها لدى المواطنين ، وما اتخذوها فى الأصل إلا من الفصيح !

وأما الأخرى وهى أختها « لسه » .. فتؤدى معنى : « إلى هذه الساعة » وهى من استعمال المواطنين .. وكلاهما راسخ القدم فى لهجتنا المحلية .. وان كانت « لسه » أبرز وأميز .

(١٢٤٠) شاهد الصقعة

يقولون : هذا (الواد) أو (الإنسان) مصقوع .. أى خفيف .. طائش مشعوذ فى تصرفاته ! وهذا هو معناها فى اللغة الصحيحة الفصيحة .. وقد قال (**سويد بن أبى كاهل اليشكرى**) فى عينيته المعروفة :

صاحب المرة لا يسأمها
يوقد النار إذا الشر سطع

(اصقع) الناس برجم صائب
ليس بالطيش ولا بالمرتجع

قلت : ويبدو أن **سويدا** هذا ، لم يأنف أن يكون (أصقع الناس) ، مع استدراكه وما فى الشطر الثانى من أنه (ليس بالطيش ولا بالمرتجع) .. وان رجمه صائب رغم أنه أصقع الناس ، فهو يثنى على صقعته هذه .. لا بالمدلول الشائع وإنما بالذكاء البالغ .. أو الطائع .. كأنما يريد أن يقول ما قاله الشاعر الآخر :

الالمعى الذى يظن بك الظن
كأن قد رأى وقد سمعا

وكيف ما كان الأمر ، فان الصقعة ، (صعقة) .. والرزانة خير من الزكانة .. إذا تجاوزت حدودها !

(١٢٤١) حقا ـ انك لمعلمي

لشد ما كان اغتباطي عظيما جدا بما قرأته في بريد المنهل الأغر (عدد شوال ١٣٩٠هـ) في رسالة سعادة الأخ الأديب الشاعر الإداري القدوة الأستاذ الكبير (**يحيى المعلمي**) .. بعنوان (لون الفوطة) .. تعقيبا على الشذرة رقم (١١٨٠) المنشورة بعدد المنهل لشهر رمضان ١٣٩٠هـ

لقد نبهني إلى التأويل الصحيح ــ المؤيد بقرائنه المثلى .. في قول الشاعر :

و (**فوطــة**) **مثـــل شعـــري**[١]
رقيقـــــــة ــ أو شرابي[٢]

وقد توهمت أنه يقصد الشعر بفتح الشين والعين .

ومثلها (الشراب) .. وخرجت من ذلك خطأ بأن لونهما هو الأسود ! وأحسب أنني عندما تصورت ذلك كنت في جو ملبد قاتم ، أو كان ذهني متلبدا أو بليد الطبيعة ، ولئن كان أخي الأستاذ (**يحيى**) .. قد منحه الله حسن التأويل واستطاع أن يجعل (الفوطة) منذ ٨٠٠ عام خلت .. ذات ألوان تتشكل حسب ذوق مرتديها بالصهوبة والشقرة وغيرهما كما هو المشاهد الآن فعلا .. فإن ذلك غير مستغرب على فهمه وإدراكه وذكائه وجنوحه إلى ما هو الأليق بالشعر والشاعر

(١) بكسر الشين لا فتحها .

(٢) بفتح الشين لا ضمها .

من الرقة .. والصفاء .. والوصف الجميل .. وكم له من غرر ودرر تذكر فتشكر .؟

فشكرا لسعادته على تعقيبه وتصويبه لهذا الخطأ .. وانه لم يلقب (**بالمعلمي**) إلا ليكون (معلما) ومرشدا شأنه في جميع الأدوار التي يقوم بها في كل مجال .. بارك الله فيه .. ووفقه لكل ما يحب ويرضى .

(١٢٤٢) خير ـ وابشر وطيب ـ ونعم

تختلف إجابة من ينادى من ولد وخادم في بلادنا العزيزة . فتسمع سيد الدار يقول : يا سعد ! فيجيبه بهذه الإجابات كلها ــ أي إحداها ــ ففي بادية الحجاز يقول مجيبا : (خير) أو (أبشر) ــ وفي الحواضر : (طيب . أو نعم) .. وبعضهم من الرعاع يقول : (جاك) أي جاءك ! أما إخواننا أهل نجد من حضر وبادية فان الجواب لديهم هو « سم » أي باسم الله[١] ولعل البلاد العربية الأخرى تستعمل ألفاظا تواضعوا عليها غيرها وهي متداولة لديهم بهذا المعنى .. وكلها في نظري لطيفة طريفة متفائلة . ولو هي توحدت لما تجاوزت كلمة (لبيك) .. وأحسب أنهم ارتفعوا بها إلى التلبية التعبدية الشرعية عند أداء المناسك .. فقصروها على ذلك فقط .

(١) (المنهل) : أو بمعنى (سمعا) واختصرت الكلمة بحذف العين التي لا تكاد تبين إذا كانت بعد الميم الساكنة .. وسبب ذلك كثرة التداول الذي من شأنه التخفيف كما يشير إليه أستاذنا البحاثة فيما بعد .

(١٢٤٣) أهلا ـ وسهلا ـ ومرحبا

قال النميرى :

وداع دعا بعد الهدوء كأنما
يقاتل أهوال السرى وتقاتله

فلما سمعت الصوت ناديت نحوه
بصوت كريم الجد حلو شمائله

فأبرزت نارى ثم أثقبت ضوءها
وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله

فقلت له (أهلا وسهلا ومرحبا)
رشدت ولم أقعد إليه أسائله

قلت : هذا يقوله النميرى قبل أكثر من ألف سنة .. وفيه نفس الكلمات التى نرددها يوميا عدة مرات كلما قابلنا صديقا أو ضيفا أو زائرا ، حتى يومنا هذا .. فهى من المتانة والثبات والعراقة ، بحيث لا يمكن أن يزاد عليها أو ينقص منها .. وهناك من يكتفى بواحدة منها (أهلا) وإذا زاد فى الحفاوة قال (وسهلا) .. وللغاية فى الترحيب : و (مرحبا) وقديما قال حاتم طيء :

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خطيب

(١٢٤٤) هيا بلا تفقيع

تقولها المرأة .. لمن تتحدث معها إذا بالغت أو توسعت فيما لا احتمال له ولا قبول من الكلام .. وتقول لها : (هيا بلا تفقيع زى (حب الشربة) وهى تعنى أنها مثل ما يتفقع من الحنطة عند إغلائها بالتزيد ! وقرأت لابن الرومى شطرا من أرجوزة له فى الهجو .. يقول فيها :

(بقباقة) كبقبقات الحب)

وبهذا يكون « التفقيع » معروفا قبل ألف سنة أو تزيد وهو ابن عم « للفقع » .. المعروف (بالكمأة) .. وكان يطلق على المزدرى به « فقعة القاع » .. ويضرب مثلا .. للذليل المحتقر ، وعسى أن لا تكون هذه الشذرة .. (فقعا) أو (تفقيعا) .. وأن يكون التفكيه بها لها شفيعا .. كفانا الله المفقعين جميعا .

(١٢٤٥) بهمك سرح

كنت قبل نحو من اربعين سنة فى رحلة مع بعض الاخوان إلى أعالى جبل (الشفا) .. وعندما بلغنا القمة منه وتسمى (الفرع) — بفتح الفاء — أبرقت السماء وأرعدت .

واضطررنا إلى الدخول فى إحدى القاعات .. على ضوء ضئيل من وقود (القهوة) — والفانوس ! وشهدت غلاما لم يتجاوز الثامنة ، فى أحد الأركان قابعا .. وسمعت شيخا من أهل (الديرة) يصيح به فى حنق : يا ورع « بهمك سرح » ..

فإذا بالصبى يلم ثوبه حول ركبته وساقيه ، ويعتدل ويتطلع فى أسف وخجل كأنما شعر بالضعة أن يظهر منه للضيوف ما ينبغى عليه ستره ! وتبين أخيرا أن الشيخ يعنى بكلمته .. نفس مايقال فى الحواضر عندنا : « العود فى خشمك » .. وأرى أن الأولى أظرف وأجمل وأبلغ وأرشق وان كانت البادية بها أخص .

(١٢٤٦) بقــاك

إنها كلمة واحدة .. أو لفظ واحد .. وما يحيط به ويلابسه من المعانى يستثير العجب والاعجاب .

فان الأصل فيه : الرفض ، والدفع ، والامتناع ، وعدم الاقتناع .. يقولها المرء ، لصاحبه ، إذا سمع منه ما لا يرضاه أو يرتاح إليه أو ينكره .. ولكن فى أسلوب الحكيم .

فهو أول ما يواجهه به قبل المشاكسة والمماكسة والمعاكسة ، يقول له : (بقاك) .. ثم يتبعها بما ينفيه عنه أو يعارضه فيه ، فكأنما يبدؤه بأن يسأل الله له « البقاء » أولا .. ثم يفاجئه بما فى نفسه من الانكار .. أو الاستنكار . وأحسب ذلك غاية فى الحكمة والأدب ، وحسن (الأناة) والرفق والمجاملة ، دون المجابهة ، والمكالحة ، والمواقحة ، وهى واحدة من مثيلات لها كثيرة ، انحدرت الينا عبر القرون الطويلة .. أما الهمزة من (بقاك) فقد حذفها التداول الذى من شأنه التخفيف .. والله أعلم .

(١٢٤٧) ما الطفـه واظرفـه

يطربنى كثيرا قول ابن الدمينة :

بنفسى من لو مر برد بنانه
على كبدى كانت شفاء انامله
من هابنى فى كل شىء ، وهبته
فلا هو يعطينى ، ولا أنا سائله

وقول ابن الدثينة : وقد توافقا فى هذه السجعة :

بنفسى وأهلى من إذا عرضوا له
ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرىء ، ولم تزل
به غشية ــ حتى يقال مريب !

قلت : انها لعذوبة فى اللفظ ، وسلاسة فى المعنى ، ورونق فى التعبير ، ودقة فى التصوير ، قلما يرقى إليها إلا كل موهوب قدير ، وذلك هو الفضل الكبير ، ورحم الله الأول والأخير .

(١٢٤٨) أمان الله

جاء فى (المضاف والمنسوب) : عن النبى ﷺ أنه قال : « **لا تطرقوا الطير فى أوكارها فإن الليل أمان الله** » . ا.هـ .

قلت : ونحن نقول لمن نودعه مسافرا ليلا أو نهارا : فى (أمان الله) .. وحتى السيدات أو الستات يقلن ذلك لزائراتهن . وبهذا النص ينبغى أن يقال فى (أمن الله) أو فى (حفظ الله) .. ما دام الليل ، هو (أمان الله) تخصيصا ، وإذا تعذر ذلك تطبيقا ، فالمادة واحدة .. وكلاهما يؤدى نفس المعنى ، ولا حاجة إلى « التزمت » .

وقد ورد فى الأثر الشريف فى باب الدعاء : « **اللهم لا طارق يطرق إلا بخير يا رحمن** » .. وهذا فى الطارق الإنسان ! فكيف إذا كان الطرق أو الطارق هو جهاز الهاتف وجرسه بعد نصف الليل ، ثم يكون الجواب . ان الثمرة سقطت خطأ .. والواقع أنه لا يكون ذلك إلا نادرا جدا .. إلا أنه مزعج جدا أيضا .

وفى أمان الله ــ وأمنه وحفظه وكلاءته .

(١٢٤٩) « الشيطنة » ذما ومدحا

فى « ثمار القلوب » **للثعالبى** قال : قال الجاحظ « إنا وإن كنا لم نر شيطانا قط ! ولا صوره لنا صادق ، ففى إجماع العرب والمسلمين وكل من لقيناه ، على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه فى الحقيقة أقبح من كل قبيح ، والكتاب إنما نزل على الذين ثبت هذا فى طبائعهم غاية الثبات ، قال : « وربما قالوا : فلان شيطان ، على معنى الشهامة والنفاذ .. إلخ » . ا.هـ .

قلت : سبحان الله ، فما يزال الناس يضفون بالشيطنة كل من كان قوى الذكاء والحيلة ، والحركة والنشاط ، واللماحية والألمعية .. ولا يخلو وصفه بذلك من مزيج من الثناء والهجاء ، والتحذير والتقدير ، وحتى الشعراء فانهم — وان لم يكونوا منهم ، فان لهم شياطينهم الوهمية .. كما قال (**أبو النجم**) قديما :

أنى وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

فما يرانى شاعر إلا استتر فعل نجوم الليل عاين القمر

وعلى ذلك فلا محل للانزعاج إذا نعت بالشيطنة الإنسان .. ما دام الغرض من ذلك أنه حاذق فطن ، لا يتجاوز الخير إلى الشر ، ولا يقترف المآثم وإنما يتوخى المكارم .

(١٢٥٠) جبال « التبت »

قال **الجاحظ** وهو يذكر خصائص البلدان : « ومن أقام بقصبة (تبت) بضم التاء وتشديد الباء وهى — المناطق الواقعة بين الهند والصين شرقا — اعتراه سرور لا يدرى ما سببه ؟ ولا يزال مبتسما ضاحكا حتى يخرج منها » اهـ

قلت : ولو علم **أبو بحر** .. ما هى عليه هذه « التبت » الآن لرجع عن قوله هذا .. فما أراها إلا كسواها بائسة محزونة .. وإلا لهاجر إليها الناس من (واق الواق) .. ومن جميع الآفاق .. فما كان السر فى التربة ولا فى الطقس ، ولا فى المناظر ، وإنما هو فى القلوب والنفوس والضمائر ، وقد ضاقت بهم الأرض بما رحبت ، بعد أن زالت الأبعاد ، وتزلزلت الأطواد ، وتدفقت الأحقاد ، ونسأل الله حسن العواقب ، وإصلاح الفساد قبل يوم التناد .

(١٢٥١) ماعاب هذا مسلم « المعصوب »

عاب بعض القراء « الفالوذج » عند **الحسن** ، فقال **الحسن** : لعاب النحل ، بلباب البر ، بخالص السمن ، ما عاب هذا مسلم ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ .

قلت : وما عرفنا هذا إذا امتزج إلا « بالمعصوب » يضاف إليه .. الهيل أو حب الهال ولكن متى ؟ عندما كان لعاب النحل صافيا ، ومن رؤوس الشفا ، ولباب البر ، ومن جبال الحجاز ، وهو النقرة ، وخالص السمن من

بطون الحيوان البقرى أو الشفوى وزاد القوم فيه ترفا فأضافوا إليه (الموز) .. وأحيانا « القشطة » الصفراء .. ذات الدسم ، وما أحسبهم سموه « المعصوب » إلا لأنه يعصب الأعصاب ويشدها ، فأما « الفالوذج » فما كنا نعرفه إلا من السوائل ذات النشويات وكانوا يطلقون عليها « الفالودة » — بالدال — وقد كانت الأسواق لا تخلو كل صباح وفى كل شارع من صناع (المعصوب) وبعد أن أفتقدت مواده الأصيلة ، وغلبت فيه الأصناف الدخيلة ، هجره الناس ، ولحق به « العصيب » .. وكان يوزع مع الكبدة والليه — بعد تناول العبية — فى المصيف الحبيب ، أو بمكة ليالى الشتاء ، ثم يتلوه اللحم تقسيما ، ثم الرز ، أو الأرز ، « تكريما وتسليما » ثم الشاهى الأخضر ، وكل ذلك كان — بالمساهمة ، وحسبك للمشاركة فيه قرشان أو ثلاثة .. ولو أردت ذلك اليوم لما أغناك فيه قبلهما « الصفران » على أن يكون من اليمين : دون الشمال ، وما كان ذلك مهضوما لولا الحركة والمشى والعمل والارتحال والانتقال ولو على ظهور الأعيرة .. ومتون البغال وأسنمة الجمال .

(١٢٥٢) مهلا فان له ثالثا

الفنان الكبير
« عبد العزيز الهزاع »

قال **الثعالبى** عن « حكاية أبى **ديونه** » : كان زنجيا .. وكان يحكى كل صوت وكل هيئة ، وكل مشية ، ويحكى أصوات الدواب ، والبهائم ، والطير ، فلا يفرق بين صوته وأصواتها ، ونظيره فى زماننا « ٣٥٠ — ٤٢٩ هـ » أبو الورد صاحب **المهلبى الوزير** ، ولا ثالث لهما . ا.هـ .

قلت : ومن الحق علينا أن نسجل للتاريخ أن ثالثهما فى زماننا هذا (١٣٩٠ هـ) أى بعد ألف سنة هو الممثل الشعبى الفنى البارع الجدير بكل تقدير الأستاذ « **عبدالعزيز الهزاع** » وأرجو أن يتقبل منى هذه التحية .. مع أطيب التمنيات له باطراد النجاح فى تمثيله الأخاذ ، وأن يروض عليه بعض التلاميذ فانه فى ذلك لنعم الأستاذ ، وكم ترك الأول للآخر .

(١٢٥٣) ابو دلامة (جبل بمكة)

« روى **الأخفش** عن **السكرى** عن **محمد بن حبيب** : أن اسم **أبى دلامة** ، الشاعر العباسى ، هو (**زند**) بالنون .. ومن الناس ما يرويه بالياء .. وكنى أبا دلامة ، باسم جبل (بمكة) يقال له **أبو دلامة**[١] ، كانت قريش تئد فيه البنات فى الجاهلية ، وهو بأعلى مكة » ا.هـ .
(الأغانى — الجزء العاشر)

قلت : لم أسمع منذ نشأت حتى الآن بهذا الاسم فى جبال مكة .. فهل نجد من يعرفه ويدلنا عليه ؟ وهل لا يزال يعرف بهذا الاسم ، أم عفى عليه الزمن ؟! وأغلب الظن أنه نسى وأهمل وابغضه الناس مذ عرفوا أنه كان موضعا لوأد البنات !

(١) (المنهل) : هو جبل المعابدة ، فى وقتنا الحاضر ، على يسار الصاعد إلى منى وعليه قلعة ، وبها محطة لاسلكية .

١٢٥٤ (ابن النعامة) هو (الموتورجل) !

رويت هذه الأبيات لشاعر جاهلى يدعى (**خزز بن لوذان**) قيل انه كان قبل امرىء **القيس** :

ان الرجال هم إليك وسيلة
أن يأخذوك تكحلى ، وتخضبى
وأنا امرؤ أن يأخذونى عنوة
أقرن إلى سير الركاب وأجنب
ويكون مركبك القعود وحدجه
و (ابن النعامة) يوم ذلك مركبى

قال **أبو عمرو الشيبانى** : (ابن النعامة مقدم رجله مما يلى الأصابع — يقول : فلا يكون لى مركب إلا رجلى) .. ا.هـ .

قلت : وأرى أن هذه الجملة (ابن النعامة) أظرف من كلمة (موتورجل) المختلطة بالأعجمية .. فلو أحياها الجيل الجديد لأغنته عن التقليد .. وليت المشي — اختيارا — لا اضطرارا .. يسعف به أصحاب العكاكيز !

١٢٥٥ ماهى الجماسة ؟ !

قرأت فى الأغانى هذه الفقرة : « أخبرنا **الزيدى** ، قال : حدثنا **عيسى عن ابن عائشة والأصمعى** ، أن رجلا سأل **أبا الأسود الدؤلى** ، فرده ، فألح عليه ، فقال له **أبو الأسود** : ليس للسائل الملحف مثل الرد الجمس ، قال : يعنى بالجامس — الجامد ا.هـ .

قلت : ونسمع بعضهم فى عهدنا هذا يصف شخصا ، عند الحديث عنه ، فيقول : إنه (جمس) وهم ينطقونها بكسر الجيم .. ويعنون : أنه ثقيل الظل والروح ! ولا يكاد الجلوس معه يحتمل .. لجموده .. فهى إذن ذات عراقة فى التداول .. ولها أصل صحيح فى اللغة الفصحى .

١٢٥٦ (هس) - لزجر الغنم

عن **محمد بن سلام** قال : كان **أبو الأسود الدؤلى** قد أسن وكبر ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : **يا أبا الأسود** أراك تكثر الركوب ، وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ، ولو لزمت منزلك كان أودع لك ، فقال له **أبو الأسود** : صدقت . ولكن الركوب يشد أعضائي وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي ، وأستنشي الريح ، وألقى اخواني ، ولو جلست في بيتي لاغتم بي أهلي ، وأنس بي الصبي واجترأ علي الخادم ، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي لإلفهم اياي ، وجلوسهم عندي حتى لعل العنز أن تبول علي فلا يقول لها أحد « هس » ا.هـ .

قلت : في الرواية حكمة صدرت عن تجربة .. ويكفي كل قارىء أن يتفهمها ليدرك الفوائد التي سردها (**أبو الأسود**) ، والمضار التي تفاداها من بقائه جالساً فى بيته ، ولم يدعنى إلى سردها ما احتوت عليه من النصائح لذوى الاسنان ، لو هم أخذوا بها واستبدلوها بركوب السيارات .. بالخيل أو البغال أو الحمير .. لتتوفر لهم الرياضة المتوخاة ، بل .. ومع كل ذلك ما ختمت به من قوله : فلا يقول لها أحد (هس) فهذه (الهس) إنما كانت لزجر الغنم ثم استعملها (بنو آدم)

بمعنى : (صه) .. أو اسكت .. وأصبحت مشتركة بين الانسان والحيوان .. وما أحسب ذلك كان اتفاقاً أو مصادفة بل لحاجة في النفس عمن (يهسهس)[1] ! .

(١٢٥٧) من هو القعدد ؟

قال دريد بن الصمة في داليته المشهورة التي يقول فيها :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
دعاني أخي والخيل بيني وبينه
فلما دعاني لم يجدني بقعدد

قال الشارح : (القعدد ، كقنفذ .. الجبان اللئيم القاعد عن المكارم) . ا.هـ

قلت : أما نحن في زماننا هذا فنسمع الأم أو العمة تقول للغلام الصغير ان كان ولداً أو خادما : (اقعد .. عساك بقعدد) ! .. وما ندري ماذا تعني هذه الكلمة ؟ .. الا أن تكون جداتها أدركن هذا المعنى .. فاستعملنه .. كدعاء عليه بأن يكون جبانا قاعدا عن المكارم .. وقد خفي على الأخريات والمتأخرات .. ممن لم يمهمن التدقيق .. ومهما يكن الأمر فانها من المذام التي يربأ بنفسه عنها كل ذكي ونجيب ، ويتحرز من (الشيطنة) أن هداه الله ــ وحفظه من الشياطين !

(١) (المنهل) : ويحتمل أيضا أن تكون كلمة (هس) من (اس) . و (أس) مختصرة من كلمة (أسكت) .. وكلتا الهمزة والهاء حرف من حروف الحلق وهما قريبا المخرج فى أقصى حلق الإنسان ويسهل عليه أن يضع أحدهما بدل الآخر خاصة فى العامية التى لا تتقيد بشىء من القواعد اللغوية ولا بشىء من الأصول النطقية .

(١٢٥٨) ارجوحة ام المؤمنين « عائشة » وعرائسها

« عن **عائشة** رضي الله عنها قالت : تزوجني ــ أي خطبني ــ النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في **بني الحارث بن الخزرج** ، فوعكت فتمزق شعري فوفى جميمه ، فأتتني **أم رومان** ، واني لفي (أرجوحة) ومعى صواحب لي ، فأتيتها وما أدري ما تريد مني ؟ فأخذت بيدي فوقفتني على باب الدار ، فاذا نسوة من الأنصار في البيت .. فقلن : « على الخير والبركة ، وعلى خير طائر » ، فأسلمتني إليهن فأصلحت من شأنى فلم يرعنى إلارسول الله ﷺ إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين » . أخرجه الخمسة الا الترمذي . ا.هـ .

وفي أثر آخر أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ .. وهي تعني هذه العرائس التي تخاط من القماش وتحشى بالقطن ، وكان لها صواحب يشاركنها في ذلك .. وينقمعن منه ، وكان يسر بهن ويلعبن معها .

قلت : وهذه الأرجوحة يلعب فيها الصغار هي ما نسميه في زماننا (المدريهة) .. وما أحسبها كانت الا شبيهة المهد .. معلقاً بين عودين أو عمودين أو ساريتين ! وفي الرواية ما يقال للعروس ، من حاضرات أو متحضرات في زفافها من كلمات التبريك والتهنئة .. أما عرائس البنات .. فما يزال لها بقية في الجيل القديم .. واستغنى عنها الجيل الجديد بـ (البلاستك) أشكالا وألوانا .. هذا وليت كل زفاف ــ يقتدى فيه ــ بمثل هذه الحفلة .. المتواضعة ، ويسلم من

التكاليف المحدثة ، والمصاريف المرهقة ، والعوائد التي لم يعرفها الصدر الأول من المسلمين ، وإنما نشأت وتضخمت على مرور الأيام والعصور ، مما دخل عليها من مختلف الأجناس والأمم ، حتى بالغ فيها أهل الغراء ، وعجز الضعفاء وتعنست النساء .. وتأبلس الرجال .. « ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » .. وقد بدأت بشائر الاعتدال تتمثل في سلوك أهل اليسار ، وهم القدوة الصالحة لمن يعانون الاقتاو ..ولا بد من مضاعفة الجهد وبذل النصح ، في هذا المضمار ، فقد بلغ السيل الزبى ، وتجاوز الحزم الطبيين .. والله الهادي إلى سواء السبيل .

(١٢٥٩) أأستبضع التمر الى هجر ؟

سرني كثيراً وأبهجني ما دبجته يراعة البحاثة الكبير والعلامة القدير ومربي الأجيال ، الأخ الجليل الشيخ **عثمان الصالح** ــ زاده الله فضلاً وعلماً ــ في كلمته الرائعة بمنهلنا الأغر الصادر في شهر ذي القعدة ١٣٩٠ بعنوان « استعراض .. وبحث عن أصول كلمات » .. واستغرقت في درس كل حرف وكلمة منه بامكان وتدبر .. وامتنان وتقدير .. وخرجت من ذلك بما يأتي :

أولاً ــ الاعتراف .. بصحة كل ما أورده (الصالح) المصلح الكريم ، فان الفرق واضح بين الانحياش للخروج فقط .. وللفرار والهرب ، وما دامت متداولة في نجد بالمفهوم الثاني .. فلا محل للتطفل فيها أو التأويل .

ثانياً ــ وفي تعليقه على (ماجاش) توجيه سليم لا أحسبه الا كما قال صحيحاً .. فالشين لا تعدو أن تكون اقتضابا من (شيىء) .. وكذلك الحال في (معليش) وكلاهما مما يتداوله إخواننا أهل مصر المحروسة أكثر من سواهم .

ثالثاً ــ وعن (الزلوجة) ــ فلا أجد تفاوتا في مدلولها في شرق المملكة وغربها ، وشمالها وجنوبها فمدلولها في الجميع سواء .

رابعاً ــ وعن (الشولشة) .. فمع ما كنت ذكرته عنها .. أضيف إليه أنها عند البعض تعني ــ مع الاعلان عن الغبطة والسرور البالغين ــ الاحتجاج على سكوت أو انتهاء العازف أو المغني : فهم يقولون له : (ليش .. ليش ؟) أي استمر في الاطراب .. وما دامت تحتمل الكلمة التوسع في التعليل والتأويل ، فلا ضير على الباحث أن ينطلق فيها بشرط الدليل .

فأما (الشوشة) .. فاني لأظنها أقرب إلى التشويش ، والتهويش ، منها إلى ما سواهما .. وهلا يصدق واقعها ، على ذلك ؟ أنها مجرد ضجة وانفعال .. أو صدى لما تتجاوب به الجوانح إبان الطرب ، تارة ، والفزع تارة أخرى . وأن أغلب استعمالها في الأول غالباً ..

واذا كان من الضروري التثبت من أصلها لغة .. فما هنالك لها الا (**أبو نبيه**) .. بارك الله فيه وفي بنيه (١) .

(١) المنهل : (فى القاموس المحيط (مادة شاش) : بينهم شواش إختلاف والتشويش والمشوش والتشويش كلها لحن . ووهم الجوهرى ، والصواب : التهويش والمهوش والتهوش . والتشاوش : التهاوش . وقال فى تاج العروس : « قال شيخنا وتعقبوه وردوا عليه ذلك واثبته العلامة حسين الزوزنى فى مصادره وغيره » ويقول معجم متن اللغة لأحمد رضا : أن الجوهرى والليث أثبتا « التشوش » فى أصل العربية وأصله التهويش وهو التخليط : « مادة ش ى ش » . وفى المعجم الوسيط المشوش غير المرتب « مادة شوش » وهذا كله يطابق بحاثتنا الكبير الشيخ أحمد ابن إبراهيم الغزاوى .

خامساً — وعن (الصاقعة) .. فما أراها بعد الشاهد في حاجة إلى ترديد ، أو تأكيد .

واستعمالها في نجد في الماء ، وأن الصاقع منه هو البارد . فهي على أحسن الفروض وفيما أراه دون تمسك به ولا تسليم ، انما تعني شدة البرودة .. كما أن للصاقعة أو الصاعقة .. صوتا شديداً في الآذان .. وأن لها وجها هو الأصح حتما ، فان الثلج من اسمائه (الصقيع) .. ومن ذلك كان استمدادها ، واشتقاقها .. ان لم أكن واهما .

على أن استعمالها بهذا المعنى ليس مقصوراً على نجد وحدها فهي أعم استعمالا وشيوعاً وتداولا في (مصر) .. خاصة وعامة .. وانما يهضمونها حقها في الابانة .. فيجعلون الصاد سينا .. فيقولون ساقعة .. وما أظلم الناس للحروف في مختلف اللهجات والجهات .

وأخيرا — وليس آخرا .. فأرجو أن يسمح لي أخي الحبيب الشيخ **عثمان الصالح** أن أذكره بالمثل القديم (كمستبضع التمر إلى هجر) أيرضى أن يجعل من صديقه مصدقاً لهذا المثل الذي ينطبق عليه في اجابته هذه — لفظاً ومعنى ؟. ذلك إليه .. وما حاولت الا أن ألبي طلبه .. بما أستطيع .. وانه للعلم — بفتح العين المهملة واللام — الخفاق .. في مكارم الأخلاق . ضاعف الله له النعمى ، وقر عيونه فيما يحب ويرضى .

(١٢٦٠) العصا - لمن عصى

صليت (الجمعة) في ٢٧ شوال ١٣٩٠ هـ بادارة مشروع عمارة المسجد الحرام ، كعادتي دائماً .. مع سعادة الأخ المفضال الموفق الشيخ **محمد صالح القزاز** ، بارك الله فيه وزاده فضلا ونعمة وتوفيقا . وخلال انتظار الصلاة واقامتها والاستماع إلى آيات من الذكر الحكيم يرتلها الحفاظ من الفتيان المتفوقين ، توافد إلى المجلس عدد من أصحاب الفضيلة العلماء وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ **عبدالمهيمن أبو السمح** ، وفضيلة الشيخ **عشماوي سليمان** ، وغيرهما ، ولاحظت أن كلا منهم يحمل في يده (عرجونا) يتوكأ عليه .. وهو من النوع الضخم الفخم الغليظ .. ذى السمك الكبير .. وكان ممن شهد المجلس حضرة صاحب المعالي الوزير الجليل والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي شيخ الأدباء والشعراء الشيخ **محمد سرور الصبان** .. فوجدتني أتناول القلم .. وأكتب هذين البيتين :

أرى المشايخ طرا يستعظمون (العصيا)
ما ذاك الا اعتداد لمن يكون ، عصيا !

وأنشدتهم اياهما ، فاستحسنوهما ، جداً .. وقلت معقبا : هذا نظم للمثل المعروف : « **العصا — لمن عصى** » ! فهل تراهما يستحقان أن يكونا من الشذرات ؟ .

(١٢٦١) اول قصر بني بالطائف

« كان **لأمية بن أبي الصلت** قصر منيف بالطائف يسمى قصر (**غيلان**) .. وقصة بنائه ، تتلخص في أن **غيلان بن سلمة بن معتب** وفد على كسرى ، وحاوره ، فأعجب به واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من (الفرس) من بني له هذا القصر ، بالطائف ، فكان أول قصر بني بها ». (ملخصا من الأغاني) .

قلت : فاذا كان هذا هو أول قصر بني في الطائف .. في العصر الجاهلي .. فانه يدل على أن ما سواه من الدور كانت دونه سموقا ، وارتفاعا ومتانة وزخرفة .. فانفرد بالأولية لميزاته الجديدة ، غير أنه من المتعذر أن يعرف مكانه الآن : إلا أن يكون لأهل الديرة علم به من أخبار القدامى .. وما أراه الا في جوانب وادي (رج) .. ومن بعد الهضبة التي هي الآن مدينة الطائف المعروفة .

ومن هذا نعرف أن العرب الأولين قد استفادوا من خبرة ذوى الفن من أهل الحضارات القديمة ، حتى حذقوها فأقاموا آثارهم الخالدة في مشارق الأرض ومغاربها .

١٢٦٢ (الدار البيضاء) في مكة

« كان أول من نقل الغناء الفارسى إلى الغناء العربي : **سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم** . وذلك أن **معاوية بن أبي سفيان** لما بنى دوره التي يقال لها : « الرقط » وهي ما بين الدارين إلى « الردم » أولها (الدار البيضاء) وآخرها دار الحمام . وهي على يسار المصعد من المسجد إلى (ردم عمر) حمل لها بنائين فرسا من العراق . فكانوا يبنونها بالحصى والآجر . وكان **سعيد بن مسجح** يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم ، فما استحسن من الحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربي ثم صاغ على نحو ذلك » ا.هـ . من (الأغاني) .

قلت : هذا نص على أنه كان بمكة ما يسمى : (الدار البيضاء) وموقعها على وجه التحديد على يمين المرور ، الآن ، وعلى يسار الصاعد إلى المدعى . وربما كانت أمام ما كنا نسميه (بالقبان) .. وهو دار **أبي سفيان بن حرب** .

وقد نص على أن البنائين كانوا يتغنون وهم على عملهم ، وذلك ما أدركناه في العصر الأخير . عندما كان البناء بالحجر والطين .. وكانت أصواتهم تتجاوب بها شعاب مكة وأحياؤها .. ثم بطل ذلك بالاستغناء عن البناء الحجرى بالبناء بالأسمنت المسلح ..

١٢٦٣ استبضاع الحروف

« قال **معاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء** : « كان **أبو عمرو** اذا لم يحج استبضعني الحروف أي الكلمات اسأل عنها **الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة** الشاعر وآتيه بجوابها ، قال : فقدمت عليه سنة من السنين ، وقد ولاه **عبدالملك بن مروان** مكة ، فلما رآني قال : **يا معاذ** ، هات ما معك من بضائع **أبي عمرو** .. فجعلت أعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير » .

قلت : وهذا نبأ يستحق العجب والاعجاب معا : أن تكون الحروف بضاعة .. وان يستخلف عليها الغائب من يتعاطاها عنه ، وأن تؤخذ عمن يرشح لامارة مكة ، وأن ينشد عنها ، وهو في مكانته العليا . وأنها لجديرة بأن تكون كذلك ، فهي أثمن من الأموال ، وأبقى على الأجيال ، ومظهر للكمال والجمال .

١٢٦٤ (السماط) الفصحى صيغة

« قرأت في كتاب (الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة) للشيخ **نجم الدين الغزي العامري القرشي** ــ ترجمة للشيخ **حسين بن القاضي**

حسين المكي المالكي الشهير بالكرم بمكة المشرفة ، قال فيها : (قيل كان سماطه فى الأعياد ألف صحن صينى وكان تولى القضاء بالمدينة المنورة سنة ٩٨٢ هـ .. ثم بعد سنة عزل ورجع إلى مكة .. مات في تاسع صفر سنة ٩٩٠) .

قلت : وفي الرواية دليل على أن جيران بيت الله الحرام كانوا بهذه الدرجة من السخاء والكرم ، ولا سيما العلماء والقضاة وهو أيضاً دليل على أن من (السماط) ما يتألف من ألف صحن آنئذ ، وأن هذا الذي نسميه (بالصيني) كان معروفا مستعملا بمكة المكرمة .. قبل أربعمائة سنة . وبهذه الكميات الكبيرة ، وقد أدركنا بقية منه تعرض في رفوف المجالس — كالطراز — بما لها من ميزات فنية وأشكال طريفة يتغالون في اقتنائها ..

وربما كانت الغاية من عرضها المباهاة بأنها إنما اعدت للولائم ، والمكارم . وبهذه المناسبة أذكر ما قاله شاعر عربي قديم :

أنا اذا اشتد الزمان وناب خطب وادلهم
ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدى بيض السيوف وللندى حمر النعم

وقد عرفت مكة بهذا (السماط) وتعدد أصنافه واتساع موائده ، وأدركناه مرفوعاً على الموائد التي تصف حولها المقاعد .. بعد أن تكاثر فيه المتأخرون .. وقد اصبح في خبر كان من حيث التسمية ولكنه ما يزال باقياً في الأوضاع المستحدثة .

(١٢٦٥) الحمد لله الذي لم يضيع حرمه

قال **محمد بن سلام** : « كانت **سوداء** بالمدينة مشغوفة بشعر **عمر بن أبي ربيعة** وكانت من مولدات مكة ، فلما ورد على أهل المدينة نعي **عمر بن أبي ربيعة** أكبروا ذلك واشتد عليهم ، وكانت السوداء أشدهم حزنا وتسلبا — أي لبس الحداد — وجعلت لا تمر بسكة من سكك المدينة الا ندبته ، فلقيها بعض فتيان مكة ، فقال لها : خفضى عليك ، فقد نشأ ابن عم له يشبه شعره . فقالت : أنشدني بعضه ، فأنشدها قول **الحارث بن خالد المخزمي** :

اني وما نحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل

الأبيات كلها ، قال : « فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول : الحمد لِلّه الذي لم يضيع حرمه » .

قلت : لقد كان أحرى بهذه **السوداء** أن تبكي فرحاً بان الله صان حرمه ممن كان أكثر شعره التشبيب في ذرات الحجال ، وفي موطن الهداية ومشاعر الدين ، والذي لقبوه (بفاسق قريش) غفر الله له وهو الذي يقول :

وكم مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمي

(١٢٦٦) ابن الزبير ـ وابن يسار

« خرج **عروة بن الزبير** إلى الشام يريد **الوليد بن عبدالملك** وخرج معه **إسماعيل بن يسار النسائي** ، وكان منقطعا إلى **آل الزبير** .. (فعادله) فقال عروة ليلة لبعض غلمانه : أنظر كيف ترى (المحمل) ؟ قال : أراه معتدلا . قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط ! فضحك عروة ، وكان يستخف **إسماعيل** ويستطيبه » .

قلت : هدفي من سياق هذه الرواية .. الاستدلال بها على أن ما كنا نسميه بالشقدف ، في الزمن الأخير ، كان يطلق عليه (المحمل) ويركبه العظماء مع من يختارون من ندمائهم وذوي مودتهم للمسامرة .. فيعادلونهم في الشق الثاني منه ، تماما كما هو الحال في (الشقدف) . وشقدف الله من سماه بغير اسمه الفصيح المعروف وهو (المحمل) سقى الله أيامه الغاربة .

(١٢٦٧) ما هو الدولاب ؟

قال **علي بن الحسن بن سعد الخير** في دولاب :

لِلّـــه دولاب يفـــيض بسلسل
في روضة قد اينـــعت أفنانـــا
قد طارحته بها الحمائم شجوها
فيجـــيبها ويرجـــع الالحانــــا
فكأنـــه دنـــف يدور بمعهـــد
يبكي ! ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه
فتفتـــحت أضلاعـــه أجفانــــا

قلت : فهذا أصل الدولاب وهو ما يستخرج به الماء من الآبار والأنهار . وما يزال مستعملاً في بعض الأقطار باسم « الناعورة » على ما أظن ، لا ما اتيقن ، فكيف تحول من الماء إلى الخشب ؟ وأصبح مباءة للأمتعة أو الألبسة أو الكيف ؟ ــ ذلك ما أرجو أن يميط اللثام عنه أستاذنا الكبير (**أبو نبيه**) في تعليقاته الشائقة خشية أن تأخذ (الدولاب) العزة بالاثم فيتذكر ماضيه أو تنشق أضلاعه .. فيغرق ما يحتويه من المقتنيات أو يقنع بأنه غير مغبون ولا مفتات .

(١٢٦٨) (الكشك) بكسر الكاف و(الكشك) بضمها

فأما الكشك ــ بكسر الكاف ــ فانه طعام لذيذ وافد إلى بلاد العرب من (مصر) غالباً وأكثر من يسمعون به من القدامى لا يجهلونه ، ولا بد أنهم استطابوه وعهدى به قد بعد . وهو يتألف من الحب أو الحنطة واللبن . وفيه مزازة أو حموضة لذيذة . وكان أهل مكة لا يسأمون منه ، ويطبخونه ، ويرصعونه بقطع من (الكباب) المدور ، ويشاركهم في ذلك اخوانهم في المدن الحجازية الأخرى ، وقد قل أو انعدم اصطناعه مع انقراض العجائز وهو أشبه ما يكون طعما ولذة بما يسمى عند أهل نجد (بالجريش) أو « المجروش » ، وما تناول منه أحد الا ود لو استبدله بكل مطرز ومنقوش .

أما (الكشك) ــ بضم الكاف ــ فهو ما يزال قائماً بالدليل على الذوق الجميل والخير والوفير ، والنعمة السابغة ، وهو « مقيال » أهل الوجاهة والشرف ولا يكون الا في اعالي الدور والقصور ، وفيه تحلو القيلة ويطيب السمر ،

وتسحر الأمسيات ومن شاء أن يراه في ذراه ، فليلتمس ذلك من حضرة صاحب الفضيلة والد الجميع العالم الكبير الشيخ **محمد حسين نصيف** ، بجدة ، فان من يصعد إليه ويستوي فيه يدرك صحة ما قاله « **أبو العبر** » في زمن المستعين العباسي ببغداد : « الكشكية لا تطيب الا بالكشك » . وما أشد اندهاشي عندما وجدت هذا الطعام وهذا المقام معروفين منذ عصر **الرشيد** ، **والمتوكل** ، ويرحم الله عصر الاكشاك ، والرواشين ، والكشك ، والسكنجبين .

(١٢٦٩) نعم : (أس) هي (هس)

أرشدني ــ كعادته المعهودة ــ علامتنا الجليل صاحب المنهل الأغر أطال الله بقاءه وضاعف إليه نعماءه ، في تعليقه على الشذرة (١٢٢٣) بمنهل ذي القعدة سنة ١٣٩٠ هـ إلى ما غفلت عنه فيها ــ من أن كلمة هس ، ربما كانت في الأصل مبدوءة بالألف المضمومة ، بدلا من الهاء ، وتنبهت إلى أن كثيراً من الناس يقولون « اس » لمن يريدون منه أن يسكت . ومنهم من يبدؤها بالهاء وهي أكثر تداولا بيننا فاذا جعلناها في صيغة الأمر نجدها كفيلة بالمقصود ، رغم حذف الكاف والتاء منها .

وهي بطبيعة الحال متميزة بالقرينة الحسية مواجهة ، فأما كلمة « اس » في غير هذا الموقف ، فانها مفرد (آساس) وهي أصول البناء .. كما هو معروف .. وشتان بينهما في الأولى والثانية .

وما دامت كلمة « هس » انما كانت تزجر بها الغنم خاصة .. فان « اس » خير منها وأسلم ، وأصبح وأقوم ولعلي لا اساير بذلك أحدا فيضجر ويقولها .. فأنكمش وارتبك .

(١٢٧٠) اذن ماهو الا المعصوب

روي أن **الحسن البصري** قال **لفرقد** : « بلغني أنك لا تأكل الفالوذج » . قال : **يا أبا سعيد** ، أخاف أن لا أؤدى شكره ، قال : يا لكع ، وهل تؤدي شكر الماء البارد في الصيف والحار في الشتاء ؟ أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم** ﴾ .

وسمع **الحسن** أيضاً رجلا يعيب « الفالوذج » فقال : « لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ، ما عاب هذا مسلم » . ا.هـ .

(ابن عبد ربه)

قلت : وبموجب هذا الوصف فان الفالوذج هو هذا الذي نطلق عليه (المعصوب) ، مضافا إليه في الزمن الأخير « الموز » أحيانا والقشطة أحيانا أخرى .. وقد أخذ هذا النوع من الطعام يتلاشى ويقل صانعوه ، لأنه في نظر المعاصرين ، بطيء الهضم ، وانما يسعى إليه ويغتبط به أهل الزنود الكادحة ، والصحة الرابحة ، وإلى جانبه قدح الفول المدمس . ولِلّه في خلقه شؤون .

(١٢٧١) الأصمعي وحريقيص

روى أحدهم قال : « وقف علينا غلام من بني **أسد** ، رث الأطمار لا يدل مظهره على ذكاء أو علم ، ثم سلم وجلس ، فسأله **الأصمعي** عن اسمه . فقال : « حريقيص » ، قال **الأصمعي** :

أما كفى أهلك أن يسموك « حرقوصا » وهو اسم لحشرة كالبرغوث ، حتى حقروا اسمك وصغروه ، قال الغلام : « ان السقط ليحرق الحرجة »[1] ، فعجب الأصمعي من جوابه .

قلت : ما أعظم المواهب التي ينعم بها أبناء البادية ، ومنها هذا الذكاء الفطرى الذي لا يزاحمهم فيه غيرهم من الأتراب في الحواضر ، الا القليل النادر . وأني لأستبشر كثيراً ، بشمول التعليم العصري لهم واتاحة الفرص أمامهم لابراز ما جبلوا عليه من الزكانة ، والفطانة ، والابانة ، وما هو ببعيد ذلك اليوم الذي يزاحمون فيه افذاذ الأمم والشعوب كلها في مجالات الفن والاختراع . « وان غدا لناظره قريب » .

(١٢٧٢) منشورة تطوى

ليس من الوفاء في شيء أن ننسى أو نتناسي ما كان دارجا ومتداولا إلى عهد قريب من الكلمات اللطيفة ذات المدلول الاجتماعي الرقيق . ثم أخذت تنطوى أو تنزوي ولا يهتم بها الا النزر اليسير من الناس ، فمن ذلك .

١ ــ (جبا) للدعوة إلى المركاز .. ودفع التكاليف .

٢ ــ (دستورك) ــ للاستئذان يقولها راكب البعير أو الحمار للجالس عندما يمر به ، دون انتظار منه للاذن . ويرد عليه بقوله : (معاك[2]) .

٣ ــ (نعيما) ــ يقولها الصديق لمن يراه مطرقا للحلاق .. ويرد عليه : « أنعم الله دنياك » ، ولا أدري ان كان ذلك من النعومة ، أو النعمة أصلاً .

٤ ــ (عوافي) ــ يقولها الزائر للمعلم سواء أكان من البنائين أم من غيرهم ، ويرد عليه : « الله يعافيك » .

٥ ــ (من الزرقاء) ــ يقولها من يشاهد أحدهم « يتوضأ » ، ويرد عليه جميعا إن شاء الله ، فان كان من أهل المدينة المنورة قال : من زمزم .

٦ ــ (شوفيتم) ــ اذا انتهى من الحمام أو بيت الخلاء ويرد عليه : « عوفيتم »[3] .

٧ ــ كل عام وأنتم بخير ، في رأس كل عام أو حلول كل عيد ، وهي التي ما تزال تحافظ على الرمق ، وتنفرج بها الشفاه وتتهلل بها الأسارير وتقر الحدق .

وما أردت بهذا ، الحصر ، وانما أوردت أمثلة لعبارات أو كلمات كانت هجيرى الناس منذ عهود بعيدة .. أيام كانوا يأخذون الأباريق ويتوضأون أمام الدكاكين عند كل أذان

(١) (المنهل) : (السقط ــ بكسر الهين وسكون القاف بعدها طاء ــ هو ما سقط بين الزندين قبل إستحكام الورى . و (الحرجة) : مجتمع الشجر ، والمعنى أن الجزء الصغير الذى يسقط من النار الصغيرة من الزند يحرق الغابة الكبيرة بعض الأحيان .. فلا تحتقرن يا أصمعى ، اسمى : (حريقيصا) الذى هو مصغر اسم دويبة صغيرة .. فليس العبرة بكبر الأجسام أو صغرها أو الأسماء .. بل بما حوت من الخصائص والأسرار .. ونحن قد رأينا الذرة حينما فلقت أخيرا تحرق أكبر المدن ، وتقتل الوف البشر .

(٢) (المنهل) : أى (معك) بمد العين كعادة العامية الدارجة فى الغرام بالتحريف بالتحريف ولو كان فيه التثقيل بدل التخفيف .

(٣) (المنهل) : من الطرائف التى سمعناها من بعض الظرفاء بالمدينة المنورة ولا تزال عالقة بالذهن . اختزاله الكلمتين معا . فيقول : (شو) بضم الشين أى (شوفيتم) وكنا نجيبه على القياس بكلمة (عو) بضم العين أى (عوفيتم) .

وفريضة .. ويرون التقصير فيها أو اهمالها محل الانتقاد . فاذا بها تتواري في جميع الأوساط ، ولا تكاد تسمعها الا نادرا ، فهل ضاق بها الوقت ؟ أو أتى عليها ما حل بكثير سواها من المصطلحات الاجتماعية المستحسنة ؟ فسلام عليها مع أهلها الطيبين .

(١٢٧٣) « جلباب العروس » كان « أسود »

قال **ذو الرمة** ، وهو من شعراء صدر الاسلام :

وليل كجلباب العروس ادرعته
بأربعة والشخص في العين واحد
أصم « علافي » ، وأبيض صارم
وأعيس مهري ، وأروع ماجد

ويعني بالاصم العلافي الرحل ، والأروع الماجد نفسه هو ، والشاهد فيها ، قوله : « كجلباب العروس » .. فما كان اذن الا أسود اللون ، لا كما هو في عصرنا هذا ، لا يكون الا أبيض ، وله ذيول ، تحملها الوصائف ، أو الولائف ، ولا عجب أن يكون « الأسود » في عهد الشاعر هو لون ثوب العرس .. فقد جاء بعده من قال دعاية للبزازين الذين سبقوا الغرب إلى فن (الاعلان) .

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلت بناسك متعبد ؟
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له بباب المسجد

وأقول : هذا وهي مقنعة ، ولم يظهر منها الا القناع ، فكيف به لو رآهن سافرات ؟ واستوعب نظره ما كان مستورا عن « النميري » يوم كان ركبه هو وغلامه وحماره وراء عرفات ، واذكن كما قال :

يخبئن أطراف البنان من التقى
ويخرجن نصف الليل معتجرات

ولنرجع إلى ثوب « العرس » أو ما يسمى الآن بالفستان فانه أبيض ويشاركه أيضاً في البياض ثوب « المأتم » أو العزاء .. وكان خليقا أن يكون مسودا — كما هو الحال في الصحف اذا جللت بالسواد نبأ الوفاة .

أما سواد القناع « الخمار » فانه معهود وأدركناه ، ثم أخذ يتبدل بما ليس قناعا ، ولا قنعة وانما هو « تحلة القسم » « ولا أفلح من ظلم » .

(١٢٧٤) (حج) ملك التكرور والذهب

جاء في ذيل كتاب « العبر » **للذهبي والحسيني** ، قوله في ص ١٣٣ و ١٣٨ : (وفي سنة ٧٢٤ هـ قدم « ملك التكرور » **موسى بن أبي بكر الأسود** ، في ألوف من قومه للحج ، فنزل سعر الذهب درهمين ، ودخل إلى السلطان فسلم ، ولم يجلس ، ثم أركب حصانا بزنارين أطلس ، وأهدى هو إلى السلطان أربعين ألف دينار ، و إلى نائبه عشرة آلاف ، وهو شاب عاقل حسن الشكل ، راغب في العلم مالكي » .

وقال بعد ذلك في حوادث سنة ٧٢٥ هـ : « ورجع ملك التكرور موسى فخلع عليه السلطان « خلعة الملك » .. عمامة مدورة ، وجبة سوداء ، وسيفا مذهبا . » . ا.هـ .

قلت : نزول سعر الذهب درهمين .. انما كان لوفرة ما جاء معه ومع حاشيته وحجاج بلده من هذا المعدن الثمين ، فتأثرت به (بورصة زمانه) تماما كما يقع ذلك في عصرنا هذا تحت تأثير العرض والطلب ، وفي هذا وغيره من النصوص التاريخية نعرف عراقة الصلة الاسلامية بين هؤلاء الأخوة المسلمين واداء المناسك منذ أكثر من سبعة قرون وما زالوا ولِلّه الحمد أهل تدين واعتقاد وبذل وايثار وحرص على شعائر الاسلام .

(١٢٧٥) ماهي « الشيرة » ؟

الشيرة ــ بكسر الشين وسكون الياء ــ أنواع وهي من جملة ما اعتاد أكله أهل بلادنا من أنواع الأطعمة « اللقيمات » وهو معروف لفظا ومعنى ، وتصحب دائماً بما تغمس فيه من الحلوى .. ويسمى « الشيرة » وهي السكر المعقود على الليمون .

ومصادفة قرأت في مقامة قديمة يرجع تاريخ كاتبها المسمى **بأبي المطهر الأزدى** إلى القرن السابع الهجري ، بيتا في قصيدة رائعة جاء فيه :

حتـــى اذا شبـــوا لها ... وتلاحقـــوا مثـــل الصقـــور
وقـــعت عليهم شيرة ... بالطـــول في يوم مطير
فراتهم .. ولحومهـــم ... في الـــدار تجرف بالمرور

والشاهد منها « شيرة » .. وقد تبين أنها « الصخرة » المشرفة في جبل وهي عامية مولدة ، وتستعمل في لبنان حتى الآن . ا.هـ .

قلت : فهل نجد ما يحل المشكل بين السائل والجامد في (الشيرة) عند بحاثتنا العلامة الكبير صاحب المنهل الأغر ، خشية أن يكتب لأحد منا أن يكون في لبنان يوماً ما فيطلب الشيرة .. بمفهومه ، ويحضروها له بمصطلحهم والوقاية خير من العلاج . وعسى أن يظفر لها بأصل صحيح من العربية أو ما يؤدى معناها إن شاء الله [١] .

(١٢٧٦) ماهو التبطيق ؟

نسمع الناس اذا حكوا عمن افلس في ماله أو أموال غيره يقولون : « ان فلانا بطق على ما لديه من الدراهم » . ويعنون لذلك أنه أكلها .. وتصرف فيها أو فرط أو أسرف أو احتكر ، كل ذلك من مفهوم « التبطيق » .

غير أنني قرأت في (ذيول العبر **للذهبي والحسيني**) المتضمن أحداث ما بعد عام ٧٠٠ إلى ٧٦٤ هـ ، (وهو من مطبوعات وزارة الارشاد والأنباء) بالكويت ، ما نصه ، ص ١٥٠ .

« ووقع اللهب في دارين أو ثلاثة لأعوان الوالى أي بالاسكندرية . قال : فبطق الأمير إلى مصر وغوث الخ .. ــ غوث ــ بفتح الغين وتشديد الواو المفتوحة ــ وذلك سنة ٧٢٧ هـ .

قال الشارح : (ومعنى بطق سرح الطائر بالبطائق) . ا.هـ .

(١) (المنهل) : يبدو أن (الشيرة) المعروفة عندنا بمعنى السكر المذاب فى ماء تغمس به اللقيمات مأخوذ فى ــ المادة أخذا عاميا خاطفا من (شار العسل شورا وشيارا : إستخرجه من مكانه) .. وأما الشيرة بمعنى الجبل فلعله اسم كان خاصا بصخرة فى جبل ثم أطلق لديهم على كل صخور كل الجبال أو الصخور المتآكلة . وقد وجدنا فى اللغة « شوران » اسم جبل قرب عقيق المدينة .. والمادة فى (شيرة وشوران) واحدة .

قلت : فهذا هو بريد الحمام الزاجل الطائر الذي كان يستخدم بعد التدريب والتمرين لحمل الرسائل بين البلدان والمسافات البعيدة ، وأصبح اليوم مجرد خبر وذكرى ، بعد أن أغنت عنه الطائرات النفاثة السريعة ، على أن من أنواع الطير السائح ما لا يزال يعلق في يده أو قدمه ألواحاً من المعدن مكتوبة تدل على وقت هجرته من مواطنه الأصلية في مواسم ارتحاله المعروفة .

هذا وقد تبين أن استعمال الناس كلمة (بطق) بمعنى الاحتيال والنصب والمخادعة حادث لم أجد له تعليلا ولعل له سبباً طواه الزمان ولم نعثر عليه .

ولعله اشتق من نفس البطاقة المزورة أيضاً .

١٢٧٧ اصل المشبك

قال **ابن الرومي** يصف (قالي) الزلابية :

ومستقر على كرسيه تعب
روحي الفداء له من منصب نصب
رأيته سحرا يقلى « زلابية »
في رقة القشر والتجويف كالقصب
كأنما زيته المقلي حين بدا
كالكيمياء التي قالوا ولم تصب
يلقى العجين لجينا من أنامله
فيستحيل شبابيكا من الذهب

قلت : ومن هذا نفهم أن المشبك ، انما سمي بذلك لما يكون عليه من التشبيك والاستدارة والالتفاف ، وأنه فرع من الزلابية ، كأخيه « اللقيمات » وكان ذلك منذ ألف ومائة سنة ، وعوضنا الله خيرا عن هذه « الأغذية » الشائخة ، وعن الزنجبيل والكمون والناخة .

١٢٧٨ (الدهمقة) لها اصل عربي

روي التاريخ قصة عن أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ، تتلخص فيما يلي :

« وفد على **عمر** قوم من أهل العراق منهم **جرير بن عبدالله** فأتاهم بجفنة قد صبغت بخل وزيت .. وقال : خذوا ، فأخذوا أخذا ضعيفاً ، فقال : ما بالكم تقترمون قرم الشاة الكسيرة ؟ أظنكم تريدون حلوا وحامضا وحارا وباردا ثم قذفا في البطون ، لو شئت أن (أدهمق) لكم لفعلت . ولكنا نستبقي من دنيانا ما نجده في آخرتنا ، ولو شئنا أن نأمر بصغار الضأن فتسمط .. ولباب البر فيخبز ، ونأمر بالزبيب فينبذ لنا في الاسعان حتى اذا صار مثل عين « اليعقوب » أكلنا هذا وشربنا هذا ـــ لفعلت .. والله اني ما أعجز عن كراكر وأسنمة وصلائق وصناب . لكن الله تعالى قال لقوم عيرهم أمرا فعلوه . ﴿ **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا** ﴾ . واني نظرت في هذا الأمر فجعلت ان أردت الدنيا أضررت بالآخرة وإن أردت الآخرة أضررت بالدنيا ، واذا كان الأمر هكذا فأضروا بالثانية » .

قلت : ومع ما في هذه القصة من أدب رائع وخلق عال وورع وزهد وتقوى فان منها كلمة استوقفتنى وهي « أدهمق » ، وما تزال ربات البيوت وشيوخ القوم يكررونها بمعنى « التظاهر » أو التجمل ، أو التزيد ، أو المخادعة ، كل ذلك من مدلول هذه الكلمة ، حتى يوم الناس هذا ، ومنهم من يحرفها إلى « الدهقنة » وما لها من أساس فيها ، ولعل أستاذنا العلامة « **أبا نبيه** » يزيدنا بيانا عنها

من حيث النص اللغوي .. فما بيدى عند كتابة هذا من المعاجم الا المنجد .. وقد خلا منها [1] .

(١٢٧٩) الخزر - والشذر

يقال : نظر إليه شذرا ، اذا حدجه ساخطا بمؤخر عينيه يمينا مرة وشمالا مرة أخرى وخزرا — بسكون الزاي — وبفتحها .. وكلاهما بمعنى واحد ، قال الشاعر :

اذا تخازرت وما بي من خزر
ثم كسرت العين من غير عور
الفيتني الوى بعيد المستمر
أحمل ما حملت من خير وشر

وهذه النظرة لا تكون الا في حالة الغضب ويستعملها الكبار مع الصغار غالباً عند الزجر والردع بأوضاع مختلفة زاجرة رادعة . وقد يتصنعها من لا يعد في العير ولا في النفير ، وانما هو مجرد التقليد لصاحب الشأن الخطير ، فاذا أبدلت بعين الرضا ، فانها لكليلة عن العيوب كل العيوب وخير منها نظرة العدل والحق والمودة والانصاف .. اللهم الا ضد العدو ، فانه جدير بالخزر ، والشزر والقطع والبتر ، والشفع الوتر ، ولكن بالصارم القاطع ، والسنان اللامع .

---

(١) (المنهل) : الدهمقة فى اللغة من معانيها تطييب الطعام وترقيقه وتليينه ، أو عكس ذلك كله ، فهى لفظ مشترك يؤدى المعنى الأول وضده معا . و (الدهنقة) بمعانى (الدهمقة) تماما . ولعل (الدهقنة) العامية محرفة عن (الدهنقة) حيث وضعت القاف فى (الدهقنة) موضع النون فيها ، والنون موضع القاف وهكذا نقلت العامية اللفظ إلى (الدهقنة) . ومعنى الصيغة إلى ناحية أخرى هى التى أفضل بها بحاثتنا الطلعة صاحب الشذرات الذهبية المتوهجة ، فصار معنى الدهقنة التظاهر والتجمل والمخادعة . وللعامية عجائب وغرائب فى التحريف والتخريف . والتزييف والتلفيق .

(١٢٨٠) حساب الربح والخسارة

كان ابن **أبي يعلى** ، يساير رجلا من وجوه أهل الشام ، فمر بحمال معه سلة رمان فأخذ منها « رمانة » جعلها في كمه فتعجبت من ذلك ثم رجعت إلى نفسى وكذبت بصرى حتى مر بسائل فقير ، فأخرجها من كمه وأعطاه ، فعلمت أني رأيتها وسألته عن ذلك فقال : أما علمت أن الأخذ سيئة واحدة ، والاعطاء عشر حسنات فكسبت تسعة . اهـ .

قلت : ولو راعي كل الناس هذه الطريقة الغريبة ، لانتقض الأساس ، واختصم الناس واحتدم السياس ، واحتكم الوسواس ، وانما هي من الطرف والأفاكيه ، وقد قسم الله الآجال والأرزاق والخير كل الخير فيما شرعه لعباده ، وهو أرحم الراحمين .

(١٢٨١) بمناسبة المصارعة الحرة

يشاهد الناس في أيامنا هذه — أو ليالينا على الأصح — على شاشة التلفزيون السعودي حلبات المصارعة الحرة ، ويعجبون من هذه اللكمات والصدمات والقبضات و (الشقلبات) المدهشة ، التي تعجز عنها الوحوش الضارية ، ويتحمسون مع أحد المتصارعين على الآخر .. ويكادون يقفزون معه .. أو يضربون خصمه !

وقد نشرت الصحف أخيرا أنباء مثيرة عن الملاكمة التي غلب فيها المصارع المسلم (**محمد علي كلاى**) لأول مرة في حياته من ضربة شديدة وجهها إليه خصمه أو منافسه (**فريزر**) .. حتى أن بعض مشاهدي المصارعة وراء البحار — في

شرق الأرض وغربها ــ غشي عليهم من سقطة (**كلاي**) وأصيبوا بنوبات قلبية وقضوا نحبهم على الفور لمجرد خيبتهم في انتصار (**كلاى**) .. وأحسب أن بعض الشباب .. اذا تهيأت لهم الأسباب .. لا بد أنهم يحاكون ما يرونه عند فراغهم .. تمرينا ورياضة .. واستظهارا بالقوة .. والغلب بل ربما تجاوز ذلك إلى صغار الاولاد ..

وقرأت في أخبار (**هلال بن الاسعر بن خالد ابن الأرقم**) ، وهو شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية ــ قال صاحب الأغاني ــ وأظنه أدرك الدولة العباسية ، وكان رجلا شديدا عظيم الخلق أكولا معدودا من الأكلة .

قال **أبو عمرو** : وكان **هلال** فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش ، أكثر الناس أكلا ، وأعظمهم في حرب غناء ، **وعمر هلال بن الاسعر** عمرا طويلاً .. ومات بعد بلايا عظام مرت على رأسه .

قال **خالد بن كلثوم** : « ان **هلال** كان يوماً في ابل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس ، محتدم الهاجرة ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينا هو كذلك إذ مر به رجلان أحدهما من **بنى نهشل** ، والأخر من **بنى فقيم** ــ كانا أشد تميميين فى ذلك الزمان بطشا يقال لاحدهما « الهياج » ، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواط من تمر هجر ، وكان **هلال** بناحية (الصعاب) ــ اسم جبل بين اليمامة والبحرين ــ فلما انتهيا إلى الابل ، ولا يعرفان (**هلالا**) بوجهه ، ولا يعرفان أن الابل له ، ناديا : يا راعى ، أعندك شراب تسقينا ؟ وهما يظنانه عبدا لبعضهم ، فناداهما **هلال** ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة التى صفتها كذا فى موضع كذا فأنيخاها فان عليها (وطبين) من لبن .. فاشربا منهما ما بدا لكما .

قال : فقال أحدهما : ويحك ! انهض يا غلام فأت بذلك اللبن !

فقال لهما : إن تك لكما حاجة فستأتيانها فتجدان الوطبين فتشربان .

قال : فقال أحدهما : انك **يا بن اللخناء** لغليظ الكلام ، قم فاسقنا ، ثم دنا من **هلال** وهو على تلك الحال .. فقال له : « إنك يا بن اللخناء لغليظ الكلام » قال لهما : أراكما والله ستلقيان هوانا وصغارا .. وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسوط على عجزه ، وهو مضطجع ، فتناول **هلال** يده فاجتذبه إليه ، ورماه تحت فخذه .. ثم ضغطه ضغطة .. فنادى صاحبه ويحك أغثنى قد قتلنى .. فدنا صاحبه منه ، فتناوله **هلال** أيضا فاجتذبه ورمى به تحت فخذه الأخرى ، ثم أخذ برقابهما فجعل يصك رؤوسهما بعضا ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه فقال أحدهما : كن هلالا ، ولا نبالى ما صنعت ، فقال لهما : أنا والله **هلال** .. ولا والله لاتفلتان منى حتى تعطيانى عهدا وميثاقا لا تخيسان به : لتأتيان (المربد) إذا قدمتما البصرة ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان منى ومنكما .. فعاهداه وأعطياه نوطا من التمر الذى معهما ، وقدما البصرة فأتيا (المربد) فناديا بما كان منه ومنهما » ا.هـ .

وقد جاء فى ترجمته قصص من هذا القبيل يدل على أنه مصارع عظيم .

قلت : هذا أحد الرجال الذين سجل تاريخنا القديم بطولته الخارقة .. قبل ألف سنة .. غير أن

ثمة فارقا بين هدفه فى الدفاع الذى هو مجرد الدفاع هو الذى بعد التحدى والاعتداء .. وبين هذه المصارعات التى يشاهدها الملايين .. وتبذل من أجلها الأموال الطائلة .. وتتفجر بها الدماء .. وتتألم الأحاسيس .. وتزهق الأنفس — كملهاة — للجماهير ليس إلا .

ولو أنها كانت مقتصرة على الأوضاع الرياضية السليمة من العنف لكان لها مبرر من تنمية روح النشاط والفتوة فى الشباب والفتيان ، فاما أن تبلغ درجات الايلام والادماء ، والارهاق ، والازهاق ، فانها مما تتقزز منه الأذواق السليمة .. والأخلاق القويمة .. مهما تكن البواعث والدوافع . وما كنت أحسب أن حضارة القرن العشرين تسمح بهذه المشاهد ، وما رضيت بمثلها فى (مصارعات الثيران) فضلا عن الإنسان ، وكلاهما ذو (كبد) حرى .

وما أكثر ما قرأنا عن أمثال **هلال** بين رجالنا وأبطالنا القدامى والمحدثين .. وكم أود لو تصدى لبيان ما لديه كل من عرف شيئا عنها فى عصرنا الحديث .. بين ذروى السواعد القوية فى جزيرة العرب فى العصور الأخيرة ، حتى يومنا هذا ، فانها لا تخلو من الرجال المشهورين بالقوة والغلب ، ولا سيما فى (بوادينا) ، وبين فرساننا المغاوير على أن لا يتغلب فيها الخيال ، أو الانتحال .

ففى ذلك تخليد للأبطال ، ودعوة إلى الاعتداد والاعداد ، ومحاربة للكسل والخمول .. والأمور بمقاصدها ولا عدوان إلا على الظالمين .

(١٢٨٢) السد السملقي

فى شرق المصيف اللطيف : (الطائف) وبأعلى وادى (لية) مما يلى الجنوب (سد) أثرى عظيم ، وقفت عليه فى رحلة خاصة إليه صيف عام ١٣٤٩ هـ ، وأدهشنى متانة بنيانه ، وجسامة صخوره التى تدعو إلى التعجب من حيث كيفية نقلها ورصها — طبقا فوق طبق — وهى مما لا تحتمله الأيدى أو الكواهل ولو كانت (**محمد على كلاى — وفريزر**) ومن على شاكلتهما .. حتى استدعى انبهارى به إلى نظم قصيدة تتجاوز العشرين بيتا — وهى لامية على ما أتذكر — ولم أجدها الآن ، بعد مرور نحو أكثر من أربعين سنة .

وأعود فأقول : ان هذا السد يطلق عليه أهل (الديرة) هناك (السد السملقى) وسد **بنى هلال** .. وكنت أتوخى أن أجد علة لهذه التسمية أو السملقة دون جدوى .

واتفاقا قرأت أخيرا بيتين ينسبان للشاعر عمر ابن المولى يقول فيهما :

سلا دار ليلى هل تبين فتنطق
وأنى ترد القول بيداء سملق

وأنى ترد القول دار كأنها
لطول بلاها والتقاوم مهرق

قال الشارح :

(السملق ، القاع المستوى الأملس الذى لا شجر فيه) . ا.هـ .

قلت : وبهذا نستطيع أن نقول أن هذا السد إنما بنى أول بنائه فى قاع مستو أملس ولا شجر فيه[1] .

وهو من الآثار الضخمة التى تنطق بما كان للأوائل من همم وعزائم — فى شتى المجالات الزراعية — قبل أن تظهر هذه (الدركترات) والزحافات والآلات الرافعة والخافضة وهى التى يسرت بناء سد جازان العظيم الذى هو إحدى المآثر الخالدة فى العهد الفيصلى الزاهر .

وأقترح على أستاذنا البحاثة الجليل صاحب المنهل الأغر أن يقصده برحلة (انصارية) ، ويكتب عنه مشاهداته اللوذعية ، وتحقيقاته الاستقصائية .. وينشر له صورة فوتغرافية ويضمه إلى بحوثه الأثرية .. فانه من المفاخر العربية الخالدة . والمجد التاريخى التالد ؟ وانه لفاعل أن شاء الله ، وما ذلك على نشاطه العلمى بعزيز .

١٢٨٣ (سد) عبيدالله بن عمر بالمدينـــة

قرأت فى قصة **للأحوص** أنه قال أبياتا تعرض فيها لذكر زوجة سعد بن مصعب بن الزبير ، بما لا يؤاخذ به إلا مجرد التعويض بقوله فيه :

فما يبتغى بالغى لا در دره ... وفى بيته مثل الغزال المربب ؟

ان أسعد هذا — عمل سفرة — أى طعاما — وقال للأحوص : اذهب بنا إلى سد **عبيدالله بن عمر** نتغدى عليه .. ونشرب من مائه ، ونستنقع فيه .. فذهب معه فلما صارا إلى الماء ، أمر غلمانه أن يربطوه وأراد ضربه ، وقال : ما جزعت من هجائك اياى ولكن ما ذكرك زوجتى ؟ فقال له : **يا سعد** ، إنك لتعلم أنك ان ضربتنى لم أكفف عن الهجاء ، ولكن خير لك من ذلك ، احلف لك بما يرضيك ألا أهجوك ولا أحدا من **آل الزبير** أبدا ، فأحلفه فتركه » .

قلت : وما أردت بهذا الايراد الا الاشارة إلى « سد **عبيد بن عمر** » متسائلا عما إذا كان ما يزال قائما وله بقية أم اندثر ككثير غيره من المعالم القديمة ؟ وأعتقد أن (**أبا نبيه**) محيط بذلك احاطة تامة ﴿ **ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ .. فهل أطمع أن يتفضل بما يعلم فى ذلك وهل هنالك سدود قديمة أخرى قائمة من العصور الأولى ، أم لا شىء منها غير الجديد المحدث ؟ وله الشكر الجزيل .

---

(١) (المنهل) : تأييدا لاستنتاج الأستاذ البحاثة الكبير نقول : انه ورد فى القاموس المحيط ما نصه : السملق كجعفر : القاع الصفصف مادة (سمق) وورد فيه أيضا أن (القاع) : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والأكام (مادة قاع) . وورد فيه أيضا : الصفصف : المستوى من الأرض (مادة صف) . ونخرج من كل هذا بمحصول هو : أن صيغة (السملق) مأخوذة من صيغة (سمق) بمعنى الارتفاع : واللام اما أن تكون مزيدة أو تكون الكلمة مركبة من كلمتين أبقى كلاهما وهما (سمق) وابقى من الأخرى حرف اللام وقد تكون الكلمة الأخرى المدمجة فى (سمق) هى (سلق) بالكسر التى من معانيها : مسيل الماء (القاموس مادة سلق) — وقد فتح العوام ميمه وشددوا لامه — فيكون المعنى إذن السد المبنى فى مكان سهل مطمئن منفرجة عنه الجبال والآكام يجرى منه مسيل الماء قبل ابتنائه ليقف دون جريانه الدائم .

١٢٨٤ ماذا تعني (تقبرني)

كنت لا أفقه المقصود منها أول ما سمعتها وهى كلمة « تقبرنى » فان مجرد ذكر القبر مما لا ينشرح له الصدر عند الكثيرين .. وأدركت أخيرا أن اخواتنا فى (لبنان) الأشم يتداولونها كدعاء لمن يحبون بطول العمر ، وأن محدثه يتمنى أن يكون موته قبله لا يشعر بالحزن عليه .. إذا مات .. وهى من حيث المعنى تتفق تماما مع ما كان الشعراء يقولونه بأسلوب آخر كقول **الحارث بن خالد المخزومى** الذى كان عاملا بمكة فى العصر الأموى من قصيدة غزلية له فى (ذات الخال) :

وجودى على اليوم منك بنائل
ولا تبخلى (قدمت قبلك فى لحدى)

فهما سواء من حيث المدلول .. مع اختلاف فى الألفاظ فهى لا توجب الاشمئزاز فى الثانية ، كما يستشعر ذلك فى الأولى ، وكلاهما غاية فى الرقة والمودة والايثار حتى بالحياة ، لولا أنها مما لا يملكه إلا مقدر الآجال .

١٢٨٥ النبق ـ والمخيط ولون النبي

من الذكريات التى لا ينساها الطفل . وترسخ فى مخيلته وتحيا معه ولو تجاوز الأربعين والثمانين تلك الحوادث التى مرت به أول نشأته ، وإبان طفولته ، ولو أنها كانت فى منتهى السذاجة ، وفى هذه الشذرة أقصى ما أدركناه قبل أن نبلغ الثامنة ، فما يكاد نغادر (كتاب سيدنا) حتى نلتف على بعضنا ــ أى الذين تسود بينهم روح الصداقة والتفاهم ، فلا يتشاكسون ولا يتخاصمون وعلى مصلحتهم جميعا ينفقون إلا نادرا . فنتشاور إلى أين يكون اتجاهنا قبل العودة إلى المنازل ، ويتقرر بالاجماع غالبا أن نمضى إلى ساحة مدرسة (الداودية) بالسوق الصغير ، حيث تسمق شجرة ضخمة معمرة ذات جذع عظيم .. وما أحسبها اقتلعت خلال مشروع توسعة المسجد الحرام إلا بالدركترات التى أحاطت بها وقضت عليها ، كما ذللت كبرياء « جبل كبرى » .. وكانت ذات ثمر وفير من « النبق » السمين ، فيصعد إليها من الأرض فوق الجذوع والأغصان من هو أجرأ قلبا وأشد عزما وذلك فى كثير من الحذر والتوجس والاستعدد للفرار إذا وقع إنكار من بعض الكبار .

ويحذف الصاعد فى وسطها أو أعلاها ما تصل إليه يده أو وسيلته من الجريد إلى الأرض .. ويتولى الآخرون الجمع واللم فى « الأحاريم » أو الكوافى .. حتى إذا امتلأت تقاسمناه بيننا بالسوية مع شيء من التمييز لذلك الذى صعد وخاطر .. فيعطى سهمين من المحصول . وطالما عرض لنا شيخ (الداودية) بخيزرانه مهددا ومتوعدا ومطاردا .. ولا ينصرف حتى يكون له نصف الحصاد أو أربعة .

وهنا شجر آخر يسمى « المخيط »[1] ــ بضم الميم وفتح الخاء المعجمة بعدها ياء ساكنة فطاء مهملة قلما أراه فى هذه الأيام بنفس الطريقة ، وفى محله أجياد .. حيث كانت أشجاره ممتدة على الجانبين بين إدارة المستشفى و « القشلة » أى

---

(١) (المنهل) : جاء فى مراجع اللغة العربية أن المخيط كجميز ثم تشجر .

« المالية » .. وكانت عساكر الترك آنئذ تملأ تلك المنطقة .. ويحرص أكثرهم على حماية ثمرته ، للاستئثار بها .. وكان الفوز بها لا يخلو من « ابر النحل » .

كل ذلك .. رغم أنه فى شوارع « ما حول الحميدية » تنتصب أبسطة صغيرة ، تعرض فيها النساء من أجناس مختلفة وأسنان مرتفعة « أكواما » لا تقل عن « الأقة » غالبا أو الرطل من هذه الأصناف ، ومن « لوز النبى » الأخضر ، وتباع هذه البضاعة — طبعا — على « البزورة »[1] وبماذا ؟ لا بالريال ولا بالقرش .. ولا بالهللة .. فقد كان القرش يساوى أربع هللات ، والهللة خمسة « خماسى » والخمسة الواحدة (بفردانيتين » .. وكلها من المعدن النيكل الخفيف .. فيستطيع الطفل أو الغلام أن يملأ جيوبه من كل نوع بهللة واحدة .

فإذا كان متربا فبنصف هللة .. أى ستة من « الفردانيات » .

ومن هنا نعرف أن الخمسة والفردانية كانتا تكفيان ليأخذ المشترى فى سوق الخضروات الفلفل أو الليمون أو الكزبرة أو البقدونس أو الكرات أو الفجل الخ .

ومع هذا الرخاء ، فانه لا يلذ للأطفال إلا التشعلق ، والتعلق ، لاختيار ما هو أكبر وألذ من مجانيه الكثيرة المجانية .

(١) (المنهل) : البزورة أصلها الأصيل من البذر وجمعتها عامية الحجاز على « البذورة » ثم حرفت الذال إلى زاى .. وهى بمعنى الأطفال الصغار .

أما « لوز النبى » فكان وروده مع (الحميض) من ضواحى مكة والطائف ، ومن سراة الحجاز .

وقد لا تسلم بعض الأصائل من معارك بين الأولاد خلال القسمة .. لما قد يقع فيها من غلول أو ايثار أو استئثار .

وبهذه المناسبة لا بد من الاشارة إلى أن فرن (الميرى) بجانب مطبعة الحكومة وخلف الحميدية .. كان يجهز يوميا للعساكر الشاهانية الخبز الذى يطلق عليه (الصامولى) وكأنما هو « الورد » لونا أو الأسفنج نضجا و (ملكا) و (لبا) بحيث يستطيع المرء اساغته بالملح وهو حار « مقمر » دون أى أدام .. فإذا أضاف إليه قطعة من الجبن أو (الكشكبان) واحتسى أنه معه الشاى فانه يستغنى بذلك عن كل الموائد .. ولو مدت من الفالوذج واللوزينج ، ولا سيما إذا كان فى حاجة إلى الغذاء أو هو خاوى المعدة ولا يستطيع الانتظار .

إنها لصورة لم تزل عالقة بالذهن منذ أكثر من ستين عاما ، ورحم الله أيام (الصامولى) والمخيط ، والنبق ، والهللات والخمسات ، والفردانيات .

وقبل ذلك وبعده — فما أجمل الطفولة الساذجة — والنفوس المرحة ، وقد كان هذا (النبق) متوافرا جدا .. ثم ندر وجوده ، لا من انعدام ثمره ، أو قلته ، ولكن كما يبدو من انصراف الزارع والبائع عنه إلى ما هو أكثر ربحا ، وأعظم عائدة .. مع أن له من الفوائد الطبية ما حفلت به كتب الأقدمين ، وأقلها (تقوية المعدة) وتشهية الطعام ، (والذكريات صدى السنين الحاكى) .

فيا أيها الشباب ، أين أنتم .. من أيام الكتاب ، وغزارة الطفولة ومرح الشباب .

(١٢٨٦) ماهي الشوي ؟

تستعمل الناس إذا هان عليهم أمر ، كلمة (أشوى) ويعنون بها أن هذا أخف ضررا من غيره .

ولها أصل عريق بنفس المدلول .. جاء فى شعر **أبى حرزة (جرير)** قوله :

وانى لعف الفقر مشترك الغنى
سريع إذا لم أرض دارى انتقاليا
وليست لسيفى فى العظام بقية
وللسيف (أشوى) وقعة من لسانيا

قلت : وفسرها أهل اللغة بأن (أشوى) هى : أيسر وأهون من الشوى ، وهو الشيء اليسير الهين ، وأصله من الشوى وهى الأطراف ، والأطراف ليست بذات مقتل ، وبهذا يتبين أن تداولها صحيح فصيح ، ولا تنتطح فيه عنزان ، وهى غير (شوى السلاة) أى (شى السلاة) على النطق الفصيح .

(١٢٨٧) هلا - اي (أهلا)

إذا أقبل الزائر على صاحبه أو الضيف السارح ، قابله على الفور فى طلاقة وبشاشة واستبشار بقوله : (هلا) أى أهلا وسهلا ومرحبا .. وقرأت فى شعر **النابغة الجعدى** نفس الكلمة حيث يقول :

ألا حييا (ليلى) وقولا لها (هلا)
فقد ركبت أمرا أغر محجلا

غير أن (هلا) هذه ليست كتلك فى الترحيب .. وإنما هى كلمة زجر تزجر بها الاناث من الخيل إذا أنزى عليها الفحل لتهدأ وتسكن .

ولهذا اجابته **ليلى الأخيلية** من ابيات تقولها :

تعيرنى داء بأمك مثلـــه
وأى حصان لا يقال لها هلا ؟

(١٢٨٨) احجام البرد قديما وحديثا

قرأت فى هذه الأيام من أنباء المطر النازل بغزارة فى مناطق شتى من البلاد المجاورة وما حولها ، أن بردا عظيم الحجم قد تساقط فى بعض الجهات ، وأن منه ما يبلغ وزنه (الكيلو) ! أو أقل أو أكثر . وتضرعت إلى الله تعالى أن يشملنا برحمته ويعيذنا من نقمته .. ويلهمنا الرشد والهداية والتوفيق ، والعمل بما يحبه ويرضاه .

ثم قرأت فى كتاب : (مآثر الأناقة ــ فى معالم الخلافة) .. فى الجزء الأول منه ــ وهو من تأليف **أحمد بن عبد الله القلقشندى** .. المتوفى سنة ٨٢١هـ . ما نصه : وفى سنة عشر وأربعمائة سقط بالعراق برد كبار وزن البردة رطلان فأقل ، وأصغرها بقدر البيضة » . وكان ذلك فى عصر الخليفة **القادر بالله العباسى** . ا.هـ .

قلت : وقد كنت سمعت من سماحة رئيس القضاة الشيخ **عبدالله بن سليمان بن بليهد** ــ رحمه الله ــ منذ أكثر من أربعين سنة أن ما يسقط فى الشمال ــ أحيانا ــ بردا إذا أصاب رأس البعير حطمه أو (فشفشه) أو شدخه كفانا الله الأسواء ، وحمانا من كل بلاء .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(١٢٨٩) معنى « المصارعة » في الإسلام

روى **الإمام البخارى** (فى الأدب المفرد) — تحت عنوان (باب الغضب) ما نصه : (١٣١٧) .. (حدثنا **إسماعيل** قال : حدثنى **مالك عن سعيد بن المسيب** عن **أبى هريرة** أن **رسول الله** ﷺ قال : « **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**) .

قال الشارح : « الصرعة — بضم الصاد وفتح الراء — الذى يصرع الناس كثيرا بقوته .. والتاء للمبالغة فى الصفة . وبسكون الراء عكسه أى من يصرعه غيره كثيرا .. والمقصود أن المستحق لهذا الاسم هو الذى يملك نفسه فيصرعها عما تدعوه إليه من هواها . ولا يمنع إطلاقه على الذى يغلب الناس أيضا .. لكن الذى يغلب نفسه عن هواها أحق أن يسمى بهذا .

وعن **أنس** رضى الله عنه : أن النبى ﷺ مر بقوم يصطرعون ، فقال : ما هذا قالوا فلان ما صارع أحداً إلا صرعه ، قال : أفلا أدلكم على من هو أشد منه ، من كلمه رجل ، فكظم غيظه ، فغلبه وغلب شيطانه ، وغلب شيطان صاحبه) ا.هـ .

قلت : ولا حاجة بعد ذلك إلى التعليق .. إذ الاشارة إلى أن المصارعة كانت مما عرفه أهل الصدر الأول فى الإسلام وكان له من الشباب هواة مبرزون .. ولكنه بعيد عن العنف والايلام و (العفاشة) المنكرة .. وإلا لانكره ونهى عنه سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله واصحابه وسلم .

(١٢٩٠) (النش ـ و الانش)

قرأت فى (الأدب المفرد) هذا الحديث الشريف (١٦٥) :

« حدثنا مسدد قال : حدثنا **أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة** . عن أبيه عن **أبى هريرة** قال : قال **رسول الله** ﷺ : « **إذا سرق المملوك بعه ولو بنش** » ا.هـ .

قال الشارح : (النش) نصف وقية — والوقية أربعون درهما .

قلت : وبهذا تكون الكلمة صحيحة فصيحة إلا أنها مما لا يستعمل فى أوزاننا الآن . وتذكرت بها ما يعرف الآن بـ (الانش) وهو على ما أظن من المقاييس الغربية لا العربية وليس هو من الأوزان . ولعل علامتنا الكبير (**أبا نبيه**) أمد الله فى حياته يسالف القراء فى (النش والأنش) معا بما يعرفنا بهما تعريفا ، إن شاء الله[1] .

(١٢٩١) بئر عجلان بالطائف

لا يجهل أكثرنا موقع **بئر عجلان** (بقروة) الطائف .. وكيف كان ماؤها من العذوبة والخفة ، بحيث تنافس (بئر عروة) بالمدينة المنورة ، وبئر (الجعرانة) بمكة ، وما كان أحد

---

(١) (المنهل) « النش » كما أفضلتم وأوضحتم عن معناه اللغوى العربى . وإما « الأنش » فشىء آخر هو أحد المقاييس المستعملة فى اللغة الانكليزية كالقدم واليرد .
والأنش يعادل ٢,٥٤ سنتمتر .
والقدم يعادل ٣٠,٤٨ سنتمتر .
واليرد يعادل ٩١,٤٤ سنتمتر .

من المصطافين ذوى اليسار يشرب وأهله إلا منها .. فهى الثمير السلسال .. والسلسبيل المشتار ، أما بعد أن أحاطت بها المنازل والمساكن ، وتسربت إليها من جوانبها المياه الماجنة ، أو الآسنة فقد تبدلت حالها ، منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وقل الواردون إليها ..

وكنت معنيا بمعرفة من تنسب إليه .. ومن ابتناها وأسسها ومتى كان ذلك ؟ وأخيرا ترجح عندى .. (إن لم يكن لدى أهل العلم ما يناقض ذلك بنص تاريخى صريح) ــ أن الذى حفرها وبناها لا ينبغى أن يكون إلا **الشريف عجلان بن رميثة** فى منتصف القرن الثامن الهجرى .. حيث كان آنئذ أميرا على مكة المكرمة .. وقرأت عنه فى (مآثر الأناقة) أنه كان جاريا على سنن العدل الجافى عن أموال الرعية والتعرض للمجاورين » .. فما من **عجلان** آخر سواه فى هذه الحقبة وما بعدها من نستطيع أن نعزو ذلك إليه والله أعلم .

(١٢٩٢) ماهى السبعة أو السبع ؟

بشامة بن الغدير قد تخرج عليه ابن أخته **زهير بن أبى سلمى** ، وكان مقعدا ذا مال كثير ولا ولد له ، فأورث أهله ماله ــ وجاءه **زهير** يسترشد ، فقال له : والله يا ابن أختى لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله ، فقال **زهير** : وما هو ؟ قال : (شعرى ورثتنيه) .

قال **بشامة** هذا :

لمن الديـــار عفـــون بالجزع
بالـــــدوم بين بحار فالشرع
درست وقد بقيت على حجج
بعد الأنيس عفونها (سبـع)
إلا بقايـــــا خيمــــة درست
دارت قواعدهـــا على الربــــع

قلت : وأنا أقرأ هذه الأبيات ، وهى تنعى من أتى عليهم الجدب بعد الاخصاب ، هل لهذه (السبع) علاقة بما كان يردده الصغار ابان الطفولة .. دون وعى أو إدراك .. أمام إخواننا أهل الحجاز من **غامد وزهران** قبل خمسين عاما تقريبا إذ يصرخون فى وجوههم (سبعة) فينزعجون منها جدا .. فهى كما تدل الأبيات (كالسبع العجاف) .. ذات محل واجحاف ، وكأنهم يتشاءمون منها ــ ويتطيرون أم أن لهم فيها دليلا غير هذا ؟ ــ وإلى أن نجد ما هو الصحيح فانى أجزم بأنها لا تخرج عن هذا المعنى ، فهو من دواعى التبرم والامتعاض ، وسقى الله السراة أهلها من سحائب فضله ورحمته واحسانه .

(١٢٩٣) انده عليــه !

يستعمل اخواننا أهل مصر هذه الكلمة : (انده عليه) بمعنى أدعه ، أو ناده ، من المناداة ، وهى فى اللغة ، (نده ، ندها) الرجل ، صوت ، والرجل زجره وطرده بالصياح والابل ساقها مجتمعة .

وقرأت بيتا لمطلع قصيدة **لأبى محمد اليزيدى** جاء فيه :

قلت : ونــفسى جم تأوههـــا
تصبـــو إلى أهلهـــا ، واندهها

ويعنى بهذا النده : الزجر ، ويكون التداول صحيحا ، باسم المدعو ، فى حالة الاستدعاء

والنداء ، من حيث (التصويت) اليه .. وهى كلمة لا تستعمل إلا فى البلاد المصرية فقط .

(١٢٩٤) من شعراء الطائف

(**يزيد بن ضبة الثقفى**) — شاعر عربى من أبناء الطائف عاصر **الوليد بن يزيد وهشام بن عبدالملك** — وله معهما قصص معروفة — أوردها صاحب الأغانى وعنه :

قال **أبو حاتم** فى خيرة خاصته : وحدثنى **غسان بن عبدالله بن عبدالوهاب الثقفى** عن جماعة من مشايخ الطائفيين وعلمائهم .. قالوا : **قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة** ، فاقتسمتها العرب وانتحلتها .. فدخلت فى أشعارها » .

قلت : ومن ذلك نستفيد أن الطائف كانت ابان ذلك العهد .. عامرة بالمشايخ والعلماء ، وأن شاعرا واحدا من أهلها كانت له ألف قصيدة ، وأن السطو الأدبى كان قديما إلى هذه الدرجة .. وما كان الراوى لذلك إلا ممن يبنى روايته على المشاهدة أو النقل من أفواه الرجال .

(١٢٩٥) اشكل - قديما وحديثا

يجتمع الصديقان — أو الصديقتان — فيتبادلون عبارات الشوق والترحيب .. فيقول أحدهما للآخر : (والله أنك أوحشتنى) .. فيرد عليه : « وأنت أشكل » ويقصد بذلك أن شوقه إليه أكثر منه .

قلت : وما كانت فى الأصل إلا من « المشاكلة » أو التشاكل بمعنى « المشابهة » لا « الأكثر » .. وهى بهذا المدلول صحيحة فى الاستعمال أيضا إذ يكون الرد : « وبى من الشوق إليك مثل ما لديك » . أو ما يشابهه غير أنها ولا ريب إنما يقصد بها الزيادة ، لا المماثلة من قبيل : ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ . والأحسن خير من الحسن .. على أن للكلمة معانى أخرى . منها « الاشكال » .. ومنها الاستحسان ..

قال الشاعر « **ابن الضحاك** » :

وق أشكل العيش فى يومنا
فيا حبذا عيشنا المشكل

ويعنى بذلك جمال الطقس . و (تقصير يوم الدجن) .. بدليل مطلع قصيدته :

ألست ترى ديمة يهطل
وهذا صباحك مستقبل ..

(١٢٩٦) ركب النميري

من أروع ما يروى من الشعر العربى تقديم قصيدة الشاعر الغزلى الثقفى المشهور **محمد بن عبدالله بن نمير** .. تلك القصيدة التى أولها :

تضوع مسكا (بطن نعمان) إذ مشت
به زينب فى نسوة عطرات

وإذ يقول فيها :

تهادين ما بين المحصب من منى
وأقبلن لا شعثا ، ولا غبرات

أعان الذى فوق السموات عرشه
مواشي بالبطحاء .. مؤتجرات

مررن بفخ ثم رحن عشية
يلبين للرحمن معتمرات

يخبئن أطراف البنان من التقى
ويخرجن نصف الليل معتجرات
تقسمن لبى يوم نعمان اننى
رأيت فؤادى عارم النظـــرات
جلون وجوها لم تلحها سمائم
حرور ، ولم يسفعــن بالسبرات

إلى أن يقول :

ولما رأت ركب **النميرى** راعها
وكن من أن يلقينه حذرات
فأدنين حتى جاوز الركب دونهما
حجابا من القسى والحبرات

قال **أبو زيد** : فبلغت القصيدة **عبدالملك بن مروان** فكتب إلى **الحجاج** : قد بلغنى قول الخبيث فى **زينب** ــ وهى أخت الحجاج فاله عنه وأعرض عن ذكره ، فانك ان أدبته أو عاتبته أطمعته ، وان عاقبته صدقته .

فلما هرب **النميرى** من **الحجاج بن عبدالملك** ، أو استجار به استنشده قصيدة حتى بلغ : ولما رأت ركب **النميرى** اعرضت .

قال له **عبدالملك** : وما كان ركبك **يا نميرى** قال : أربعة أحمرة لى كنت أجلب عليها القطران ، وثلاثة أحمرة صحبتى تحمل البعر ، فضحك **عبدالملك** حتى استغرب ضاحكا .. ثم قال : لقد عظمت أمرك وأمر ركبك !. وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل له عليه .. الخ .. » . ا.هـ .

قلت : وأتذكر أننى قرأت مرة رواية أخرى فى جوابه عن ركبه إذا قال :

كنت (أنا وغلامى وحمارى) .. وقد أدركنا قبل خمسين سنة هذه الحمر صاعدة هابطة بين مكة والطائف عن طريق (كرى) والهدة تحمل الركاب والفواكه ، وتكاد تنعدم فى زماننا هذا خاصة بعد أن طأطأ الطود رأسه وتعبد ، وتسلفت وتمهد . وسلكته السيارات وأراح الله منه ذوات الآذان الطويلة .. والهامات الصغيرة .. والجلوس الوثيرة .. وقد امتطاها **الخير الزركلى** فى أول رحلة له إلى الحجاز ثم إلى الطائف .

وما أجمل ما قال **النميرى** فى بيته :

يخبئن أطراف البنان من التقى
ويخرجن نصف الليل معتجرات

١٢٩٧ (حقا) انه للصفى الحلى

قرأت فى عدد المنهل الأغر الصادر لشهر ذى القعدة سنة ١٣٩٠هـ كلمة رقيقة ، تحمل بين طياتها أدبا وفهما .. وتلطفا وعلما ، بتوقيع الأخ الكريم الأستاذ « **حمزة محمد جابر** » من العلا .. تساءل فيها عما هو الصحيح . أهذا الذى زعمته فى منهل رجب سنة ١٣٩٠هـ عندما قلت فى شذرة سابقة تحت عنوان : « العلق » قديما وحديثا ؟ :

ومصادفة وجدت « **صلاح الدين الصفدى** » قبل نحو من ٧٠٠ سنة هـ يقول يقول فى قصيدته السينية التى ينكر فيها استعمال غريب اللغة :

« **انما الحيزبون والدردبيس** »

أترانى ان قلت للحب ، يا علق
درى أنــه العزيــز النفـــيس

أم ما علمه وحفظه وهو واثق منه ، من أن القائل إنما هو (**صفى الدين الحلى**) ؟

ولم ألبث بل ولم أتردد منذ وقع نظرى عليها .. أن استرجعت وحوقلت وأدركت أنها كانت

« فلتة ذهن ، أو شرودا ، أو ذهولا ، أو سبق قلم » إلخ .. ولم أجد حاجة إلى « المراجعة » .
فانى لموقن أيضا بأنها **للصفى** الحلى .. لا للصفدى وقد وردت فى ديوان الصفى فى الباب الحادى عشر ص ٢ (٦٢٤) طبعة بيروت عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م .

وانى لأستغفر الله تعالى عن خطأ لم أتعمده (وأين الشجى من الخلى) .. وها أنذا أشكر لأخى أو ابنى (**حمزة محمد جابر**) تنبيهه ، وأقدر له اهتمامه بهذا التصويب ، مع اعجابى بأسلوبه الحكيم فى الارشاد إليه .. وأقول له : اننى ولله الحمد لأرجو أن أكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وممن يتأثر بقول أمير المؤمنين **الفاروق** رضى الله عنه : « رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبى » .

وبمثل هذا الأديب سيكون مستقبل الأدب فى بلادنا زاهيا مشرقا إن شاء الله ، وله المزيد من احترامى وتقديرى .

فأما جمع الشذرات وطبعها فان مد الله فى الأجل .. وسنحت الفرص الملائمة واستطعت تهذيبها كما أحب أن تكون فانى لحريص على ذلك مع كثير من الحذر والتحفظ ، لانها دون ما ينعم به المثقفون : ويرضى به العالمون .. ﴿ **وأما الزبد فيذهب جفاء** ﴾ .

وإنما هى — من باب الترفيه ، لا التفقيه (ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) . فمعذرة وشكرا .

(١٢٩٨) متى تصح الاغارة شعرا ؟

قال **ابن رشيق** فى العمدة : « ان المعانى الموجودة فى طباع البشر يستوى الجاهل فيها والحاذق ، ألا ترى لو أن رجلا أراد فى المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه فى الجود بالغيث والبحر .. وفى الاقدام بالأسد .. وفى المضاء بالسيف .. وفى العزم بالسيل .. وفى الحسن بالشمس .. فان لم يحسن تركيب هذه المعانى فى أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر ، وبعضهم يمثل المعنى بالصورة ، واللفظ ، بالكسوة ، قال : فان لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها فى اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت فى عين مبصرها » .

قالوا : (ونحن نرى الجمهور من الأدباء على أن أخذ المعنى إذا أبرزه بحلية أجمل من حليته الأولى ، وبتركيب أكمل ، كان أحق به من السابق والا فهو السارق المغير على ذخيرة غيره » اهـ

قلت : وهذا هو نص الخطاب فيما يقوم من نزاع حول السرقات الأدبية .. قديما وحديثا وعلى مر الأجيال .

وما أشد اعجابى ببيت رائع سمعته من سعادة الشاعرالفحل **عزيز اباظة باشا** فى مأدبة تكريمه ليلة ١٣٩١/٣/١٢هـ بجدة ، تلك التى أقامها حضرة صاحب السمو الملكى الشاعر الكبير الأمير **عبدالله الفيصل** المعظم ، قال فيه : (ويعنى به جلالة مولاى **الملك فيصل** المفدى حفظه الله) :

يسجد المجد على أقدامه
وهو لله أبر الساجدين

قال الشعراء القدامى قد طرقوا هذا المعنى غير أن ما أضافه إليه سعادته من قوله : (وهو لله أبر الساجدين) .. جعله صاحب الحق الأدبى فى هذا المعنى الشريف ، وفى أوله وآخره معا .

١٢٩٩ (الأورال) الحجاز

كل ذى إلمام بالجغرافيا ، أو علم تقويم البلدان ، يجد أن ما يسمى (بالأورال) هو جبال شاهقة تمتد فى بلاد روسيا مما يلى سيبريا .

ولا يكاد يطلق هذا الاسم أو يطرأ فى حديث إلا ويتمثل الإنسان ذلك دون سواه .

غير أننى — عثرت — أثناء قراءتى للكتاب الثمين الذى أصدره سعادة الأستاذ الجليل العلامة الشيخ **عبدالله بن محمد بن خميس** ، أحسن الله ثوابه على جهوده الموفقة وهو « المجاز بين اليمامة والحجاز » .

وقد وصل به ماضى الجزيرة العربية المشرق بحاضرها المتفوق وتجشم فى ذلك فى ذلك اتعابا لا يقدرها إلا من عرفها وعاناها .

أقول عثرت على أبيات **للعباس بن مرداس السلمى** يوم حنين جاء فيها قوله :

هزمنا الجمع : جمع بنى قسى
وحكت بركتنا ببنى رئاب
ركضنا الخيل فيهم بين (بس)
إلى (الأورال) تنحط بالنهاب
بذى لجب رسول الله فيهم
كتيبته تعرض للضراب

قلت : وقد اعترانى الشك فى النطق بالأورال أهو بضم الهمزة ؟.. أم بفتحها مع سكون الواو ؟ فان تكن الأولى فهى مما اختلف صقعا ، واتفق وضعا وان تكن الأخرى .. فربما ، لكثرة الحيوان المعروف « بالورل » فى هذا المسمى ، كما لم أعرف اين هو إلا بقرينة (بس) وهو جبل فى منطقة « عشيرة » .. وعسى أن نظفر بكلمة عن ذلك من تعليقات أستاذنا الجليل صاحب المنهل الأغر ، بارك الله فيه(١) .

١٣٠٠ الاعتداد والاعداد

عندما أنشد صريع الغوانى **مسلم بن الوليد** قوله فى وصفه .

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة
لا يأمن الموت أن يدعى على عجل

قال له **يزيد** :

« هلا قلت كما قال **الأعشى** فى مدح **قيس بن معدى كرب** » :

وإذا تجىء كتيبة ملمومة
شهباء يجتنب الكماة نزالها

---

(١) (المنهل) : جاء فى معجم ما استعجم لعبد الله بن عبدالعزيز البكرى أن (أورال) ضفرة دون مكة .. قال ابن مقبل :

يا هل ترى ظعنا كبيشة وسطها
متذنبات الخل من أورال

وقوله : (متذنبات الخل) يشهد لك أن أورال ففرة وعلى .
ومتذنبات : أخذت ذنابته . وفى شعر امرىء القيس :

وقد حجرت منها ثعالب أورال

وقال عباس بن مرداس :

وكضنا الخيل فيهم بين بس
إلى الأورال تنحط فى النهاب

يعنى : (يوم حنين) — (مادة أورال) .
و (الصفرة) — بفتح فكسر ففتح — لغة : ما عظم فى الرمل وتجمع .

كنت المغبر ، غير لا بس جنة
بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال **مسلم** : قولى أحسن من قوله لأنه وصف قيسا بالخرف ووصفتك بالحزم » .

قلت : وهكذا فان ما يصدق على الفرد يصدق على الجماعة والأمة والشعب ، وذلك هو الاعداد والاعتداد والعتاد ، ولا سيما فى زمن الصواريخ والذرة وغزو الفضاء ، وإلى ذلك دعا الله جل وعلا عباده ، وبه يتنافس شبابنا اليوم فى جميع أكناف البلاد .. ويتسابقون إلى التمرس بأسباب الجلاد والله مع المتقين .

١٣٠١ اراك نعمان

قال **عمر بن أبى ربيعة** :

تخيرت من « نعمان » عود أراكه
لهند ، ولكن من يبلغه هكذا ؟

قالوا : وكان يتخذ من أعواد أراكه هديته لمحبوبته ، ولكن أنى ، وكيف يصلها ؟

قلت : وما تزال أعواد الأراك يتخذها من « الحجاز » البدو للسواك ، إلا أننى عهدتها « خضراء » لا بيضاء ، وهى غير ما اعتاد أهل مكة استعماله من الأعواد ذات النكهة الطيبة ، ولها (لذعة) خفيفة لطيفة ، ومنها الدقيق ومنها السميك وتعرض فى الأسواق أيام الحج ويشترى منها الحجاج كثيرا للاهداء لديارهم ، فأما ما كان عوده أخضر ، فانه مقصور على البادية غالبا .. وهنا أتساءل هل هما من نبات واحد ؟ وأحسبهما متغايرين وأولاهما بالاستعمال الأبيض الحديث عهد بالعهاد .

١٣٠٢ هكذا كانوا

سأل **دعبل بن على الخزاعى** الشاعر المشهور ، **أبا نواس الحسن بن هانئ** ، عن **مسلم بن الوليد** ، فقال : هو أشعر الناس بعدى ، وسأل مسلما عنه فقال : هو أشعر الناس وأنا بعده .

قلت : هذا مع أن **دعبلا** كان تلميذا **لمسلم** فما بخل عليه أستاذه بالإشادة به والتشجيع له .. وما ذلك إلا من الأدب النفسى الذى يتحلى به ذوو الأخلاق الكريمة .

عفا الله عنا وعنهم .

١٣٠٣ هجاء الخنافس

قرأت **للأخطل** أبياتا لا تخلو من الفحش يهجو بها **النابغة الجعدى** جاء فيها قوله :

« خنافس » أولجت لمبيت سوء به
ورثن فراش زانية وزان
وما أم ربوت على يديها
بطاهرة الثياب ولا حصان

قلت : وعجبت من التسمية .. بالخنافس منذ ألف وثلثمائة سنة .. وذلك فى باب الهجو والتصغير . وكيف أطلق ذلك فى عصرنا هذا على أولئك الذين لا يستحقون إلا الازدراء والتحقير .. ولا أدرى ان كان ذلك قد وقع مصادفة أم أنه يستند إلى هذا المأثور عن **الأخطل** .

١٣٠٤ الجديد والقديم

قال ابن **شرف القيروانى** فى كتاب « أعلام الكلام » :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا
ويرى للأوائل التقديما
ان ذاك القديم كان جديدا
وسيغدو هذا الجديد قديما

قلت : ولا مكابرة فى هذا الذى قاله **ابن شرف** منذ قرون طويلة ، غير أن محل الحيرة والازعاج ليس فى عصرنا هذا الحداثة أو القديم ، وإنما هو فى الخروج عن القواعد ، الموطدة إلى المكائد المستوردة .

١٣٠٥ « ألبد »

إذا جرى حديث بين اثنين ، وخشى المتحدث إليه أن يستمع إليهما أحد قال له فجأة : « البد » — أى أسكت — ونحسبها عامية مبتذلة.

وهذا فيما لا يزال التداول عاما به فى أيامنا فهل لذلك من أصل فى الأدب العربى ؟

أقول : نعم ، فهذا الأخطل التغلبى شاعر **عبدالملك بن مروان** ، يقول فى وصف الصائدين :

دسم العمائم ، مسح لا لحوم لهم
إذا أحسوا بشخص نابئ لبدوا

وبذلك تكون « البد » عريقة فى الاستعمال قبل ثلاثة عشر قرنا ، وهى من صميم الفصيح .

١٣٠٦ الكبيبة والسراة

قل لمن شئت من الناس : ما هى (الكبيبة) ؟ يجبك على الفور : « إنها تلك الطعمة اللذيذة الشامية التى تصنع من الحب واللحم المفروم والصنوبر ، وبعض البهارات .

ولن يخطر ببال أن فى جبال السراة الجنوبية من حولنا « سراة جنب » قرية تسمى « الكبيبة » كما ورد ذلك فى كتاب « المجاز » .. وما أحسن أن يزدرد الجائع إليها سميتها .. فيجمع بينهما مقاما وطعاما .. وقد أصبح ذلك يسيرا على السائرين والصاعدين والهابطين .. والله يحب المحسنين .

١٣٠٧ الحلال من الابل

قال **الأصمعى** : أغير — بضم الهمزة وفتح الراء — على ابل خزيمة ، فركب « بجيرة » — وهى الناقة إذا ولدت خمسة أبطن ، فكان آخرها ذكرا بحروا أذنها أى شقوها وتركت فلا يمسها أحد — فقال له : أتركب حراما ؟ قال : يركب الحرام من لا « حلال له » . اهـ

قلت : كنا نسمع أصحاب الجمال يصيحون بأسواق مكة على رفاقهم : اين الحلال ؟ يقصدون الجمال التى تشد عليها الأحمال ، والشقادف والشبارى والعصمان والأثقال .. ولعل هذه التسمية قد انحدرت اليهم من وراء العصور والأجيال .. وربما كانت لها صلة بهذا الاحتمال .

(١٣٠٨) وقليل ما هم

جاء فى كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه ٢٤٦ ــ ٣٢٨هـ أن **العتابى** قال : « من قرض شعرا ، أو وضع كتابا فقد استهدف للخصوم ، واشرف للألسن إلا عند من نظر فيه بعين العدل ، وحكم بغير الهوى ، وقليل ما هم » . ا.هـ .

قلت : وقد انقضت على هذه الكلمة مدة تنيف عن ألف ومائة وخمسة وأربعين حولا ، فهل تبدلت فيها الطباع ؟ أو انفتل عنها الانطباع ؟ وما أنصفه حين يقول : « وقليل ما هم » .

وأن امرءا يمسى ويصبح سالما
من الناس ، إلا ما جنى لسعيد

(١٣٠٩) افصح الناس اهل السراة

قال **أبو عمرو بن العلاء** : « أفصح الناس أهل السروات وهى ثلاث ، وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن ، أولها سراة « هذيل » وهى تلى السهل من تهامة . ثم سراة « بجيلة » وهى السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف فى ناحية منها ، ثم سراة « الأزد » أزد شنوءة ، وهم **بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد** » ا.هـ . « المجاز »

قلت : فكيف بهم وقد اتصل الطريق بهم ومنهم واليهم وانتشر التعليم بينهم ، ونبغ فيهم الفتيان .. واحاطهم الله تعالى بعناية طويل العمر جلالة الملك فيصل المعظم .

اننى لأنظر إلى مستقبلهم المشرق بعين التفاؤل وأعتقد أنهم سلائل الغر الميامين ممن عرف الإسلام بلادهم فى العلم والأدب والفتح المبين ، وأن غدا لناظره قريب ، والله ولى المصلحين .

(١٣١٠) صلاة العرب في الصين

قال **المسعودى** في (مروج الذهب) : ان تواريخ الصين القديمة تنص أن سفارات عديدة جرت بين البلاط العباسي والبلاط الصيني في القرنين السابع والثامن للميلاد ..) وكانت تلك الصلات تجارية وثقافية .

قلت : وما كان الاتصال بين العرب والصين . من حيث وسائل المواصلات ميسراً كما هو الآن في القرن العشرين ، بعد ربط اجزاء العالم برا وبحرا وجوا .. والقطارات والسيارات والبواخر والطائرات .. مما يدل على أن العرب كانوا من مهرة الربابين في خوض أعالى البحار وبالسفن الشراعية ، التي تعاني المشاق ، لا قبل لأهل زماننا باحتماله ، وان في زيارة رائد التضامن الاسلامي وخادم الحرمين الشريفين لبلاد الصين في عصرنا هذا ، الاحياء للعلاقات الطيبة بين أهل المشرق ، وتوطيدا لاواصر السلام في العالم ، وما أحسب (موجا) في العصور الماضية والراهنة تقحم الأجواء وتحمل الاعباء وتجسم الاتعاب في سبيل الله كأبي **عبدالله** جلالة (**الفيصل بن عبدالعزيز**) حفظه الله .. وقد استوعب برحلاته الموفقة كل جهات الدنيا منذ أكثر من خمسين سنة حتى الآن بنصره وعونه وتأييده .

(١٣١١) اول دار للضيافة في العهد النبوي

قال **السمهوري** في (وفاء النظار) : « ان أول دار بناها أحد المهاجرين بالمدينة المنورة هي (الدار الكبرى) دار **حميد بن عبدالرحمن بن عوف** .. وكان **عبدالرحمن** ينزل فيها ضيوف رسول الله ﷺ . وكانت تسمى (دار الضيفان) . ا.هـ .

قلت : وعسى أن يميط اللثام عنها استاذنا الجليل صاحب « المنهل » الأغر .. ذو القدم الراسخة في البحث عن الآثار .. وهل لا تزال معروفة المكان هنالك ؟ ولها بقية من بناء أو عمران ؟ أنها اندثرت ؟ .

(١٣١٢) (المكيفات) في العصر العباسي

قال المؤرخون العرب وهم يتحدثون عن الحضارة العباسية .. (وأما البيوت وأثاثها ورياشها وخاصة دور الأعيان والوجوه فقد بلغت حدا عالياً في الترف من سعة في البناء ، وفخامة في الجمال والزخرف ، واستكمال مظاهر الرفاهية والراحة . ففيها الكراسى الأنيقة ، والسجاجيد البارعة ، والدواوين المطرزة .. والمصابيح المذهبة . وطبعى الورود والأزهار والرياحين ، وأواني الطعام والشراب والطبخ الفضية والزجاجية والعاجية والمطعمة والمكفتة .. قال : وكانت منازل الوجوه والأعيان تبرد في الصيف بالثلج بطرق خاصة » .

قلت : كان هذا في القرن الثاني الهجرى وأوائل القرن الثالث وفي أوائل العصر العباسي ، فهل بعد ذلك غاية لمستزيد ؟ .. وهل انتهت حضارة الغرب في أوجها وأقصى مداها — في هذا المجال — الا إلى ما ابتدأت به الحضارة العربية في إبانها ؟. حتى هذه (المكيفات) الآلية المحدثة قد اتخذها العرب قبل ألف سنة في منازلهم (بطرق خاصة) باستخدام الثلج والمراوح ! وكل ذلك مما اقتبسه الغرب عن الشرق .. وتطور مع الزمن حتى بلغ ما هو عليه الآن . و (الفضل للمتقدم) .. وان بلادنا بحمد الله تعالى لفى سباق مع الليل والنهار لاستعادة المجد التالد والمآثر الخالدة .. (وكل آت قريب والله ولى الصالحين) .

(١٣١٣) الصدم الحيواني

قرأت في كتاب (مجالس **ثعلب**) أن مؤلفه **أبا العباس أحمد بن يحى** (**ثعلب**) المولود سنة ٢٠٠ هـ والمتوفي سنة ٢٩١ هـ . كان سبب وفاته أن سمعه كان قد ثقل في أواخر أيامه ثم صم .. فانصرف يوم الجمعة من المسجد بعد النصر ، وكان ممسكا بيده كتاباً يطالعه في الطريق .. وكان خلفه دواب لم يسمع وقع حوافرها ، فصدمته فوقع على رأسه في هوة من الطريق ، ولم يستطع القيام .. فحمل إلى منزله ومات في اليوم التالي ، ودفن بمقبرة باب الشام ببغداد .. » .

قلت : فهذا أول صدم عثرت عليه في التاريخ القديم قبل ألف سنة .. ولم يكن من قبيل ، يحدث في زماننا من السيارات المسرعة .. بل من ذوات (البردعة) أو (البرذغة) ! ومع أنها كانت مزودة بالجلاجل أو القلاقل ، فان صمم

(المرحوم) ! أورده الأجل المحتوم . وهو شهيد العلم والأدب ولو أنه كان رواغا — كما هي صفة سميه الثعلب — ما أخذ بهذا الغريم غرة . دون أن يهرب .

(١٣١٤) من الحجارة أسهل

قال **أبو معاوية** من ولد **كعب بني مالك** (لقد رأيتني أنضج أول النهار — وأضرب آخر الليل على بطني بالمعول) فقيل له : لقد لقيت مؤونة . قال : (أجل انا طلبنا الدراهم من أيدي الرجال ، ومن الحجارة .. فوجدناها من الحجارة أسهل ..) .

قلت : كذلك كان العربي والأعرابي عفة نفس وهمم أنف .. وحفاظاً على المروءة والعزة والإباء .. ومن ذلك ما قاله الشنفري فى لامية العرب :

واستف تربة الأرض كى لا يرى له
على من الطول امرؤ متطول

وقال **سيد ولد آدم** صلوات الله وسلامه عليه : (**لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**) . ولا يزال أخلافهم عبر القرون الطويلة يتأسون بآبائهم ويهتدون بسيرة نبيهم العظيم فما تلقى منهم الا كل من يعتز به السلف في كل زمان ومكان .. والحمد لِلّه رب العالمين .

(١٣١٥) الايقاظ لصلاة الفجر

« كان من عادات **عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب** رضي الله عنهما .. اذا طلع الفجر ، خرجا لايقاظ الناس لصلاة الصبح » . ا.هـ .

قلت : وقد أدركنا العديد من أهل الفضل بمكة المكرمة وكبار العلماء ، يقومون بهذه المهمة دائماً . وكان آخر من عهدناه منهم فضيلة المرحوم السيد **بكر أبو بكر بن السيد سالم البار** حتى بعد أن ضعف بصره واضطر إلى ركوب (عيره) الصغير ، فانه يبدأ بالتنبيه والتهليل والتكبير والايقاظ من داره بجبل الكعبة إلى باب المسجد وما كف عن ذلك الا في مرض موته . وما وجدنا بعده من يخلفه في هذا الأجر العظيم .. أحسن الله ثوابه في دار المقامة .. ووفق عباده إلى ما يحبه ويرضاه .

(١٣١٦) الشملة - قديما وحديثا

روي البخاري عن **سهل بن سعد** : « أن امرأة جاءت ببردة منسوجة ، كساء مخطط ، وقيل كساء مربع أسود ، فقيل : نعم هي (الشملة) منسوج في حاشيتها ، فقالت : يا رسول الله أني نسجت هذه بيدي فجعلت أكسوكها .. فأخذها » .

وفي الحديث الشريف قال : « **عمل الأبرار من الرجال الخياطة .. وعمل النساء المغزل** » .

قلت : اذن تكون الشملة مما يلبس أيضاً ، وما عرفناها بهذا الاسم الا فيما ببسط ويفرش في البيوت .. وهي من صنع ونسج أهل السراة وأعالي الحجاز . وتخطط وتلون ويتغني فيها الصانع أو الصانعة حتى كانت يستغنى بها عن (المفارش والجلايل والزل) في بيوت متوسطى الحال . ثم أخذت في الانكماش ! زاحمها من أنواع الأبسطة والفرش .

هذا وما كان بيت في مكة المكرمة أو جدة أو المدينة المنورة أو الطائف يخلو من (المناسج)

لتقضي الفتيان أوقات فراغهن في الأشغال الزخرفية الجميلة .

(١٣١٧) الحجل - وأين هو ؟

قرأت عن طائر الحجل في تظهيرات تقويم أم القرى ١٣٩١ ، ما يلي : « الحجل طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين ، ويسمى (دجاج البر) وهو صنفان (نجدى) .. وهو أخضر اللون أحمر الرجلين . و (تهامى) وهو فيه بياض وخضرة ، وفراخ هذا الطائر تخرج كاسية ، ويعيش الحجل عشر سنين ويصنع عشين ، ويجلس الذكر على واحد والأنثى على واحد ، ومن طبع الحجل أنه يأتي أعشاش نظرائه فيأخذ بيضها ويحضنه .. فاذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التي باضتها » .

قلت : وقد ذكرني ذلك بما كنا تعودناه قبل أكثر من اربعين سنة .. من عرض أقفاص من هذا الحجل في أسواق مكة ، يأتي بها البدو من الحل ، ويبيعونها جملة .. فيأخذ منها من شاء (بيعات) تتألف من عشرين إلى ثلاثين طائرا .. ويسلقونها كالدجاج ، ولها مرق لذيذ ، ولحم طرى ، ونكهة مستساغة . ثم انقطع ذلك فلم أعد أراها منذ حين ، ولا أدري سبب ذلك .. هل هو انصرافها إلى أجواء أخرى .. أم انصراف القناص عنها باشتغالهم بموارد أنفع وأجمع ؟ أم أنها لا تظهر الا في فصول الربيع أو الشتاء ؟ ..

وقد لفت نظري في وصفها أنها تسمى « دجاج البر » . وما كنا نعرف ما يسمى « بدجاج البر » الا هذه الطعمة الحاذقة التي يصنعها أهل الهند والباكستان ويمزجون بها « الشطيطة » .. وتتألف من دقيق الحمص وتعرف بهذا الاسم بين الأطفال .. (والكبار والصغار) ، وهي مما لا تخلو منه حوانيت الحلوانية دائماً منذ عرفت الحياة .

وما بها من شبه يتصل بالدجاج أيا كان برياً ، أو بحرياً ، أو جوياً .. لا شكلا ولا موضوعاً . فهل نجد من يعلل لنا هذه التسمية ؟ وله من الله الأجر والثواب إن شاء الله .

(١٣١٨) (ابن بطوطة) وخطيب المسجد الحرام

جاء في رحلة العالم الفقيه **أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن بطوطة** أنه دخل إلى صعيد مصر .. أثناء توجهه إلى الحجاز سنة ٧٢٦ هـ ووصل إلى بلدة (نوص) ورأى فيها العالم (**ابن دقيق العيد**) وكان هو الخطيب بها ، وقال : (لم أر من يماثله الا خطيب المسجد الحرام . **بهاء الدين الطبري** ، وخطيب مدينة خوارزم **حسام الدين الشاطبي**) فحصر خطباء العالم الاسلامي في وقته في ثلاثة . ا.هـ .

قلت : وأضيف إلى ذلك ـــ ما كان قد سجله أمير البيان الأمير شكيب أرسلان في مؤلفاته القيمة وأوردته سابقا في احدى الشذرات عن المرحوم الامام العلامة (**الشيخ أحمد فقيه**) .. اذ سمعه يلقى خطبة في مسجد « ملانيك » في بيان ساحر وأداء مؤثر .. وفصاحة عربية (لم ير مثلها هو الآخر) .. مع كل ما امتاز به وأثير عنه في نبوغ وتفوق وذلاقة وطلاقة .. وقد كان من خطباء (المسجد الحرام) بمكة المكرمة في أوائل هذا القرن الرابع عشر .. وقد تقلب على المنبر فيه

أعلام كرام يشار إليهم بالبنان .. ناهيك بمن لم يزالوا عليه يذكرون ، وبكتاب الله وهدى رسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه يهدون ويهتدون ، ومنهم فضيلة العلامة سليل أقطاب الدعوة إلى (التوحيد) **الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله بن حسن** .. وفضيلة العلامة **الشيخ عبدالله خياط** ولكل منهما المواقف المشهورة ، والمواعظ المحمودة . أحسن الله جزاءهم جميعاً .. وزادهم علماً وفضلاً وأحسانا .

١٣١٩ شيطان ـ ليطان

قال **ابن الأعرابي** : سألت العرب : أي شيء معنى « شيطان ليطان » ؟ قالوا : « شيء نتد به كلامنا أي نشده » . ا.هـ .

قلت : وقياسا عليه ما يقوله الناس في أيامنا السابقة (شقدف ، مقدف) .. (عفريت ، نفريت) .. (كراكب ، درادب) .. وأحسب أن أهل العلم أطلقوا على ذلك (الاتباع ..) للشد والتوكيد والاشباع ولو جاء مخالفاً لما قبله أحيانا كقولهم عدس مدس ، رزمز ، بزمز ، وكندس ، مندس ، وهكذا كل ما انطلق به اللسان .. وانفرجت به الشفتان ، ولا ينتطح في ذلك عنزان .

١٣٢٠ ماهو الجندعان ؟

يقولون : جاء فلان وأخبرنا أن بين **زيد وعمرو** نزاعا .. وبينهما حصل (الجندعان) وفعلا وتركا .. مما لا يصح صدوره عن العقلاء .. ولها مرادف هو (الهيل والهيلمان) ولعل صحته « الهول والهيلمان » .

وفكرت ثم راجعت عن أصل هذه الكلمة لغة فلم أجد لها نصاً ما .. اللهم الا أن يكون في المعاجم اللغوية الكبرى .. ولم يتسع الوقت لي للبحث فيها عن هذا (الجندعان) .

وضاق ذرعي بالجهل بها .. وأخيراً آثرت أن أرجو من أستاذنا **الأنصاري** .. اسعافي مع القراء .. بما وقف أو يقف عليه عن أصلها وفصلها .. فان العلم نور على كل حال وكفانا الله شر الجندعان ومترادفاته .. بالمفهوم المتداول ..

ولا أستبعد أن لها أصلاً فما أقل ما عرفناه من مشتملات الموسوعات اللغوية القديمة .. ولا تقول العامة الا ما ورثته ممن هم أكثر منها فطنة وإحاطة وتبصرا بالكلام من الآباء والأجداد .

حاشا ما هو دخيل من اللغات الأخرى وما أكثره في المدن دون البوادي غالباً .

١٣٢١ ردغ .. لارجغ

في اللغة نص صريح « بأن الأرض الموحلة بالطين والوحل الشديد يقال عنها أو يطلق عليها : أرض ردغة .. والجمع ردغ ورداغ وردغات .

غير أن الاستعمال الشائع .. هو (الرجغ) ويظهر أن الجيم مبدلة عن الدال في وقت ما ودرج الناس على ذلك خطأ .. وما دام هناك نص واضح صريح .. بأنها الردغ ـــ لا الرجغ ـــ فان من الأفضل العودة بها إلى الصواب اذا أمكن ذلك ، بعد الرسوخ الطويل .

على أن سفلتة أو تزفيت الشوارع (كما يرشد إلى ذلك أستاذنا العلامة الشيخ علي الطنطاوي في برنامجه التلفازي الذي لا يخلو من الأحماض

والايماض ، جزاه الله خيراً) قد حماها من الوحل والطين وستلحق بها (الأزقة) إن شاء الله .. فلا يكون فيها شيء من الردغ .. كما أمطرت السماء (رذاذا) ولم تجرف السيول .

١٣٢٢ بيت لعروة بن الورد

يقول **عروة بن الورد** ، الشاعر العربي الحكيم :

عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم
ومقتلهم عند الوغي كان أعذرا

قلت : فهل كان عبر القرون الطويلة يتحدث عن زماننا هذا وأهله وأجداثه ؟ ألا ما أثرى الأدب العربي بالحكم البالغة .. وما أغبن الذين ينصرفون عنه إلي غيره من الآداب المستوردة .. وهل هناك من ايجاز واعجاز شعري كقول الشاعر العربي الجاهلي (**النابغة الذبياني**) ؟

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث ، أي الرجال المهذب ؟!

اللهم ألهمنا الرشد والهداية والاستقامة بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين .

١٣٢٣ الثلج والخيار

قال الشاعر :

يا علي بن حمزة بن عماره
أنت والله ثلجة في خياره

وأراد بذلك هجوه .. وأنه « بارد » ..

قلت : وأحسب أن ما كان يعتبر هجوا ، يصبح في فصل الصيف مدحا .. فما ألذ الثلج مع الخيار اذا شيب باللبن .. إبان الظهيرة والقيلولة وحمارة القيظ .

واذن لاالتهم **ابن عمارة** هذا كل من صادفه من محروري القلب ومسعورى الكبد .. حباً له لا تكرها منه .. لا أكثر الله من أمثاله .

١٣٢٤ الشمس .. والقمر

قال **العباس بن الأحنف** :

هي الشمس مسكنها في السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود
ولن تستطيع إليك النزولا

قلت : ولو عاش **العباس** هذا إلي زماننا هذا ، لرأى رواد أبولو ١٥ وكيف صعدوا إلي القمر — وجاسوا خلاله .. وهو مما يستعار للجمال الذي ينشده ويفتقده وقد ذكرت ببيتيه هذا قول الشاعر العصري المعروف **امام العبد** ، وكان أسود البشرة :

أنا ليل وكل حسناء شمس
فاجتماعي بها من المستحيل

وها نحن نرى البشر يتطلعون رويدا رويدا إلي ما وراء القمر من الكواكب .. غير أن ما لا نشك فيه أبدا أنهم عاجزون عن الاحاطة بأسرار هذا الكون العظيم .. مهما اكتشفوا ومهما اعتسفوا .. وانما هم مصداق قوله تعالى :

﴿ حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ﴾ .

١٣٢٥ قمران .. لا كمران

انها جزيرة في جنوب البحر الأحمر .. ويغلب أن يسميها الناس « كمران » بالكاف وما هي كذلك . فان أصل التسمية لها كان بسبب معقول : فهي « قمران » بالقاف .. وتقرب مساحة قمران من ١٤ ميلا طولا ، و ٦ أميال عرضاً .

وعلة تسميتها بقمران هي أن انعكاس ضوء القمر قرب مياهها يجعل الناظر يرى القمر على هيئة قمرين .

قرأت ذلك في العدد الممتاز من مجلة « العربي » الغراء تمام السنة التاسعة ، عام ١٣٨٧ هـ .

وذكرني ذلك بالبيتين المشهورين قديماً والمعروفين ببيتي « الرقمتين » .. قال الشاعر :

رأت قمر السماء فذكرتني
ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا .. ولكن
رأيت بعينها ورأت بعيني

وقد تصدى لشرحهما الأدباء ، والمعنى فيهما واضح لا يحتاج إلي بيان .. وشتان ما بين القمر ينعكس وجهه على صفحة الماء ، وبين القمر الذي عناه الشاعر في بيتيه .. وما يزال القمر أبلغ ما يصف به الشعراء من تكامل جماله من بني الانسان ، ولا عبرة بما اكتشفه الرواد أخيراً من صخوره وجباله ورماله وأخاديده ، فانه ما برح الرمز الأول للتفوق والاعتلاء والنور والبهجة والضياء ، وحسبنا ما انتهيناه من لياليه القمراء .

وان قال أهل الأمثال : « أضيع من قمر الشتاء » فان طقس بلادنا المعتدل لا يسومه الضياع .. ولا سيما في أواسط الصحراء .

١٣٢٦ جبل (قرنيت) في (الشفا)

سواء منا من هو باد ومن هو حاضر .. لا ينطق اسم هذا الجبل الاشم في أعالي الشفا بمنطقة الطائف وهو الذي يراه القادم إليه من مكة .. من جهة « اليمانية » أو وادي نخلة حالما يتوسط المكان المسمى (حرم القميع) قبل (أم الحمض) وهو أعلى القمم التي تصدر جبال الشفا .. كما أنه ذو شعبتين ظاهرتين لكل مشاهد .

وقد قرأت في بعض المؤلفات الحديثة أنه انما سمي بذلك (قرنيت) وهو اسم أعجمي روماني .. الا وهناك احتمال بأن الرومان في أحد الأزمان الغابرة قد كانت لهم صلة ما بهذه المناطق .. وما عرف التاريخ القديم والحديث ذلك ولا اعترف به بحال ، وانزعجت كثيراً لذلك .. وهداني التفكير والتأمل إلي التعليل بأن سبب التسمية انما هو كونه ذا سنامين أو شعبتين ظاهرتين .. فقال العرب الأولون عنه أنه (قرنان) وحرفت بمرور العصور ، فقيل : أنه (قرنيت) وما هو الا (قرنات) .. ويؤيد ذلك أن بمكة المكرمة جبلاً يطلق عليه حتى الآن (جبل قرن) .. بدل (قرنان) .. واذا اتسع بنا الخيال .. فإن التسمية نشأت من أن الجبل المشار إليه ذو صخور من (القرانيت) أو (الجرانيت) الا أن العرب القدامي لم يعرفوا ذلك حتى يسموا

جبلا أو واديا ..وهناك في الشمال مما يلي ثغر (صبا) الجبل الطود العظيم المسمى (بشار) وهو ذو ثلاث شعب .. وقد شهدته ومررت فوقه في طائرة محلقة وعرفته لزملائي من الركاب آنئذ .. لأنني أبصرته من الأرض فما اشتبه علي .. وأنا أنظر إليه من حالق وكان حريا به أن يسمى ذا القرون ، والله أعلم .

١٣٢٧ من الأيام المعدودة

تروى كتب التاريخ أن (**الناصر لدين الله الأموي**) بقي في حكم الأندلس خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام .

قال **ابن غالب** : وجد بخطه : (أيام السرور التي صفت له في هذه المدة الطويلة يوم كذا — ويوم كذا — فكانت أربعة عشر يوماً .. وقد توفي في رمضان سنة خمسين وثلثمائة) . ا.هـ .

قلت : ما أعظم ما يتحمل صاحب الولاية والسلطان من الاعباء ويتجشم من الاتعاب في سبيل الله والاصلاح اذا كان ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر .. فهو ساهر والناس نيام .. وما كان له أن يصبر ويصابر لولا الاعتقاد الراسخ واليقين المكين بأن جزاءه على ما قدم سوف يلقاه ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا** ﴾ ولولا ذلك لما أرضته الدنيا بحذافيرها عما يتكبد من مشاق لا يتغلب عليها الا بقدر ما أوتيه من فوق الايمان .. وتوفيق الرحمن .. والله لا يضيع أجر المحسنين .

١٣٢٨ من شعر الزهاد

قال الزاهد **أبو وهب عبدالرحمن العباسى** المتوفي سنة ٣٤٤ هـ عن تسعين سنة في أيام **الناصر** بالأندلس وكان حفل جنازته عظيماً :

أنا في حالتي قد تراني ... أحسن الناس لو تأملت حالا
منزلي حيث شئت من الأر ... ض أسقي من المياه زلالا
ليس لي كسوة أخاف عليها ... من مغير ولا ترى لي مالا
أجعل الساعد اليمين وسادي ... ثم اثنى اذا انقلبت الشمالا
قد تلذذت حقبة بأمور ... فتدبرتها .. فكانت خيالا

قلت : وتذكرت حين تلاوتي لهذه الأبيات بيتين قالهما شاعر العرب الكبير المرحوم الشيخ **فؤاد باشا الخطيب** في هذا المعنى ، وهما :

كم ضجعة بالقاع في خلس الدجي ... فوق الرمال العفر وهي وسادى
أدركت اذ أدركتها معنى الكرى ... وسكينة الأرواح في الأجساد

وسبحان من جعل في كل قلب ما أشغله ، ونعما الحياة الجامعة الوادعة : ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ .

١٣٢٩ الأثر ينوب عن العين

جاء في كتاب نفح الطيب **للمقري** أن **موسى بن محمد بن عبدالملك** (٦٣١ — ٦٣٥هـ) وكان واليا على « الجزيرة الخضراء » من قبل ابن **هود** ، أخبره شخص أن عند بعض النبهاء كراريس من شعر الشعراء وأخبار الرؤساء الذين تشتمل عليهم دولة الموحدين فأرسل إليه يستعيرها ، فأبي ، وقال : ان كانت له حاجة إليها يأت للاطلاع عليها .. فضحك **موسى** وقال لابنه **علي** : سر معي إليه .. فقال له : ولن يكون هذا حتى نمشى له على هذه الصورة .. فقال له : انني لا أمشي ولكن أمشي للفضلاء الذين تضمنت الكراريس أشعارهم وأخبارهم ، أتراهم لو كانوا أحد مجتمعين في موضع أنفت أن أمشى إليهم . فقال **علي** : لا ، فقال : ان الأثر ينوب عن العين ، وذهبا فأطلعا عليها وشكر **موسى** لصاحبها ، ثم قال لابنه : (انني سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية ، وأن هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها) .

قلت : وهكذا كان الاهتمام بالعلم والمعرفة حافزا للعظماء على ابتغائهما من مظانهما أني كانت ، وكذلك كان احتفاظ أصحابها بكنوزهم الغالية .. لندرتها ، وهي مخطوطة لا مطبوعة ، وانما يعرف الفضل لذوى الفضل ذووه . ا.هـ .

١٣٣٠ البشكة .. والابتشاك

أتذكر أنني تناولت في إحدى الشذرات السابقة هذه الكلمة .. وتساءلت عن أصلها ورجحت أنها قد تكون من اللغة التركية .

أما مدلولها في بلادنا ، فهو معروف لا اشكال فيه فهي تعنى (الجماعة) المتآلفة التي تجمع بينها المودة والصداقة ويخرجون إلي المتنزهات في أيام الغيم والمطر للقيلات ، ويلتفون على بعضهم في أكثر الأوقات وقضاء السهرات .

وما زلت حريصاً على أن أجد لها أصلاً من اللغة العربية .. ولم أظفر بذلك حتى الآن غير أنني قرأت **لأبي الطيب** المتنبي هذا البيت : وهو يمتدح سيف الدولة :

وما أرضى لمقلته بحلم
اذا انتبهت توهمه ابتشاكا

قلت : وفسر الابتشاك بأنه الكذب ، ومن هنا علق بذهني احتمال أن تكون التسمية مأخوذة في « البشكة » من هذا الابتشاك .. لما فيها من الأحماض والتسامح برغم أنها تشمل نخبة الناس وأفاضلهم ، ممن لا يغلب بينهم الكذب أو التكاذب ، وإن كانت ظروف اللهو البرىء لا تخلو من ذلك أحيانا للترفيه وأكد ذلك عندي ما لا يزال متداولاً في الأوساط العائلية فانهن يقلن : « أنهن خرجن إلي بيت فلانة للهرج أو الهرجة أو (ليهرجن) وما الهرج الا القتل لغة .

غير أنه تحول بمرور الزمن إلي الكلام والحديث ، دون قصد إلي ما كان يعنيه في أيام الفتن لهوجاء والحمد لِلّه ، الذي من علينا بالهرج المأمون ، حتى تبدل معناه إلي هذا المضمون ، برغم أنف الحاسد والمغبون ، أدام الله علينا نعمه ظاهرة وباطنة وأوزعنا شكرها .

(١٣٣١) هيد[1] .. وهاد لاهد ولا هاد

لا أدري ان كان ذلك توهما أو واقعا فقد كنا نسمع أهل الابل والجمالة اذا أرادوا زجرها أو احتثاثها في السير صاحوا بها بكلمة (حد — بدون مد ولا ألف) ولعلهم كانوا ينطقونها محرفة من هاد) التي هي الأصل اللغوي الصحيح المنصوص عليه .

ولقد طال عهدى بسماعها منذ أقال الله الجمال من الشقادف والشبارى ، ومنذ تحولت إلي المسانخ ، بعد استخدام السيارات فهي تصعد بنا القمم والجبال والجسور .. وان لها على كل عربي حق الرعاية والاكرام ، فطالما كان لها الفضل في (المواصلات) عبر الصحارى .. وحسبها أنها ذكرت في التنزيل الحكيم : ﴿ **أفلا ينظرون إلي الإبل كيف خلقت** ﴾ ؟

وما أجمل منظرها ومن حولها (الفصلان) ومن ورائها السهول والأودية والروابي والرعان .. ومن تحتها العشب الناضر .. ومن فوقها الرباب الغامر .. وقاها الله شر الاستئصال وحفظها وانسالها من الاضمحلال .

---

(١) هيد ، بفتح الهاء بعدها ياء ساكنة .

(١٣٣٢) « الجنادع » هي « الجندعان »[1]

كثيراً ما نسمع من بعضهم قوله : انه ذهب إلي فلان وعمل معه « الجندعان » مجادلة أو منازعة أو مخاصمة .. وعثرت مصادفة على أصلها القديم . قال (**محمد بن عبيد الأزدي**) في حماسة البحتري :

فلا أدع ابن العم يمشي على شفا
وابن بلغتني من اذاه الجنادع

قال الشارح : الجنادع ، الأحناش ، وجنادع الشر أوائله ، والجنادع البلايا والآفات وما يسوءك من القول .. وهي الداهية أيضاً .

قلت : فهذه هي « الجندعان » محرفة عن الجنادع .. بمعانيها المختلفة ، اللهم الا أن نظفر بمن يورد ما هو الأصح أو الأصوب بنص أصرح وأوضح وأثبت ، وما أعجب أن تتفق نفس الحروف مع « الجدعنة »[2] تارة .. ومع « الجعدنة » تارة أخرى .

كفانا الله شر الأخرى ، ويسر لنا الأولى .

---

(١) (المنهل) : كان الأستاذ البحاثة صاحب الشذرات تساءل فى شذرته بالعدد الماضى عن أصل كلمة (الجندعان) وأحال سؤال إلى رئيس التحرير وكان لدى رئيس التحرير نفس شذرته الأخرى هذه التى وضح فيها أصل الجندعان وماخذها الأصيل ولذلك كان الاكتفاء بما شرحه هنا شرحا وافيا .

(٢) (المنهل) : ربما كان أصل الجدعنة من « جدع » بفتحتين التى هى من « جذع » أى صغير السن .
قال الشاعر :
ياليتنى فيها جذع   أخب فيها واضع

١٣٣٣ « ندرنا » صحيحة

جاء في كتاب « الصداقة والصديق » **لأبي حيان التوحيدي** (٣١٠ ــ ٤١٤هـ) قوله :

« وسمعت ذا الكفايتين **ابن العميد** ببغداد يقول : « انشاء المعرفة صعب » فلما « ندرنا » من مجلسه قال **أبو إسحاق الصابي** : « تربيتها أصعب من انشائها ، عرضت هذا الكلام على **أبي سليمان** فقال : أما الانشاء فانما صعب لأنه لا أوائل له يناط بها ويؤسس عليها ، وأما التربية فانما صعبت أيضاً لأنها تستعير من الانسان زمانا مديدا هو يسمح به ، وعناءا متصلاً يشتد صبره عليه ، ومالا مبذولا قلما تطيب النفس باخراجه الا اذا كان الكرم له طباعاً ويجد من ضريبته (أي سجيته) إليه نزاعاً » .

قلت : والشاهد في القصة انما هو قوله : « فلما ندرنا » ــ أي خرجنا ــ وما برحت الكلمة شائعة التداول عندنا وفي أغلب البلدان العربية بمدلولها المعهود .. وهو « الخروج » وهي ذات أصل لغوي فصيح .

١٣٣٤ حاء .. وحل

قال **إبراهيم بن العباس الصولي** ، من شعراء العصر العباسي في القرن الثالث الهجرى :

كان الشباب كخضاب قد نصل
وابتـــز الشيب محلا فنـــزل

فأزعـج الشيب الشبـاب فارتحل
(ازعـاجك العيس بحاء وبحل)

وتمامه :

والشيب داء قاتل ، وان مطل
معجل بالموت من قبل الأجل

قلت : هكذا كان زجر الابل ، بحاء ــ بكسر ــ وبحل ــ بالسكون ــ قبل ألف سنة ، وقد أدركت أصحاب الجمال يصيحون بها (بحد) مكررة ــ لا بحاء ــ وبعضهم (بحا) ــ بدون لام ــ مرددة أيضاً . ومن ذلك يتضح أن التحريف قد شمل حتى الأنعام ، بما فيها الابل ، وما كان لها أن تتنكر للحن وهي عجماء .. وقد اصطلح عليه ورضى به أصحاب العقول .. وكأنها بدورها ، لم تجد مناصا من فهم المقصود ، دون تقيد بالمعهود ، وأغلب الظن أن اللحن لم يلحق بها في (قلب نجد) حتى الآن .

وما بالناس حاجة في زماننا هذا إلي « التفقه » في ذلك ولا إلي زجر الابل ، بعد أن أصبحوا في غنى عنها بذوات « العجل » وهم بعد يستنبطونها ويتطلعون إلي ما هو أسرع منها فانهم في عصر الصواريخ واكتشاف القمر والمريخ ، فقد رأيت ورب الكعبة من يتحرك فيها كما لو كان على متن دابة ، يهمزها من جنوبها ، لتطير ، والله على كل شيء قدير .

١٣٣٥ كيف انت .. وكيف الحال

قال **الأعمش** ، المولود سنة ٦١هـ ، والمتوفي سنة ١٤٨ هـ :

« أدركت أقواما كان الرجل منهم لا يلقى أخاه شهراً وشهرين ، فاذا لقيه لم يزده على : (كيف أنت ، وكيف الحال ؟) ولو سأله شطر ماله

لأعطاه .. ثم أدركت أقواما لو كان أحدهم لا يلقى أخاه يوماً الا سأله عن (الدجاجة في البيت) ولو سأله حبة من ماله لمنعه » . ا.هـ .

قلت : ولست بصدد التذكير بحق الصديق هنا — فانه ولله الحمد — محفوظ ، بشرط الصداقة الحقة .. الا أنني استغربت أن تكون تربية الدجاج في المنازل قديمة حتى لترجع إلي ما قبل ألف ومائتين من السنين .. وذلك بالرغم مما يقال من ازدراء الناس للدجاج ، فما أرى بعد هذا النص الثابت الا ما يدل على اقتنائه واحتوائه .. وان المناسبة لتدعو إلي الاشادة بالدجاج والفراخ التي تتوالد بدون معامل التفريخ الحديثة .. فهذه أسمن وأجسم ، وتلك ألذ وأطعم ، ولكن الاستهلاك أكبر وأضخم . اذا ما لم يكن إبل فمعزى .

١٣٣٦ يبي يسافر

يستعمل أهل البادية في الحجاز ونجد ولعل ذلك متداول في غيرهما يستعملون كلمة (يبي) بمعنى (يبغى) أي (يريد) .. فيقولون : ان فلان يبي يسافر أو يتزوج أو يغدو أو يروح — بكسر الياء والباء من « يبي » وما أحسبها الا من باب الاقتضاب .. أو الاختصار وقد بغى الحاضرة في الحجاز على الغين فحذفوها رغم أنفها .. وحتى كلمة (يبغي) لا ينطقونها بفتح الياء وكسر الغين .. كما يجب أن تكون بل يكسرون الياء ويفتحون الغين فيقولون : (يبغي) ويستوى في ذلك أهل المدر والرجال والنساء .. ولو ذهب أحدهم ينطقها فصيحة .. لكان محل الغرابة والزراية .. الا أن يكون في وسط تعود على الفصيح والصحيح .. وما أحسن أن تعود إلي أصلها هي وأمثالها في بلاد العرب قاطبة ..

ولها أخت أخرى هي (بدي) وصحتها (بودي) ويسعها ما وسع « ليش » و « أيش » .

١٣٣٧ اليتيمة الأولى

روي صاحب الأغاني : أن **الأصمعي** : فضل قصيدة **سويد بن أبي كاهل العينية** — التي مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا
فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وقال : كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكمها ثم قال : حدثني **عيسى بن عمر** أنها كانت في الجاهلية نسمى « اليتيمة » .

قلت : اذن تكون هذه العينية هي « اليتيمة الأولى » ثم تتلوها « اليتيمة الأخرى » الدالية المشهورة .. والتي زعموا أن كثيراً من الشعراء يدعيها .. واستقر الرأي على أنها للشاعر (دوقلة المنبجي) ومطلعها :

(هل بالطلول لسائل رد)

ومنها :

أن تتهمي فتهامة وطني
أو تنجدى يكن الهوى نجد(١)

ولا يستغربن القارىء الكريم أن قصيدة **سويد** المشار إليها كانت مما يعني بحفظه وتحفيظه الأساتذة والتلامذة في مدارسنا هي وأمثالها في الصفوف المتميزة منذ أكثر من ٥٠ عاماً خلت ، وما أجدرها أن تستظهر مع كل شعر جيد ولا سيما

(١) (المنهل) : للدكتور صلاح الدين المنجد تحقيق فى هذه اليتيمة فى كتيب لطيف توصل فيه إلى النتيجة التى توخاها .

لامية أبي طالب ولامية العرب ولامية الطغراني وما هو من قبيلهن مما يهيء للناشيء ملكة البيان وما توصى به من مكارم الأخلاق .

وأول مرة سمعت (عينية) **سويد** كانت منذ نحو من ٥٥ سنة من فضيلة العلامة قاضي مكة المكرمة الشيخ **أحمد بن عبدالله القارى** رحمه الله ، وكان من الأفذاذ فقها وعلماً وأدباً وأخلاقاً ، ومن خريجي المدرسة العريقة (الصولتية) أحسن الله جزاء منشئها وأخلافه البررةِ الكرام :

١٣٣٨ العتابي . . والمأمون

قال **جعفر بن المفضل** : قال لي أبي :

(رأيت **العتابي** جالساً بين يدي **المأمون** وقد أسن .. فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده ، واعتمد الشيخ على **المأمون** ، فما زال ينهضه رويدا رويدا حتى أقله فنهض ، فعجبت من ذلك ، وقلت لبعض الخدم : ما أسوا أدب هذا الشيخ ! فمن هو ؟ قال : **العتابي**) . ا.هـ .

قلت : ما كان المنكر لهذا الخلق الكريم من المأمون الا من المتغطرسين ، فقد نفس على **العتابي** أن يحتفل به (**الخليفة**) ويكرمه ويقيمه ويعينه على النهوض .

وأني بهذه المناسبة لأذكر أني شهدت طويل العمر المفدى (**فيصل بن عبدالعزيز** حفظه الله) ، وهو من هو جلالة قدر وعلو مقام يقيم الأشياخ اذا استأذنوه بيديه . كما فعل **المأمون** ولا يدعهم حتى يستووا قياماً على أقدامهم . وما زاده ذلك عند الناس الا جلالاً وإكباراً وليس الباعث على ذلك الا ابتغاء الأجر والمثوبة باكرام ذوى السن من أهل العلم والفضل خاصة .. وذلك كله من مكارم الأخلاق .. وأين منها الأكثرون حتى أنهم بذلك ليجدون في صدورهم حرجاً وضيقاً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

١٣٣٩ اذن هي « الرادار »

روى « **ابن رسته** » في كتابه « الاعلاق النفيسة » ــ المجلد السابع ــ وقد أكرمني باهدائه إلى ، فضيلة أستاذنا الجليل الشيخ **عبدالقدوس الأنصاري** ، تحت عنوان « من عجائب الأرض » ما نصه : « قال **عبدالله بن عمرو بن العاص** : عجائب الدنيا أربع : مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية .. فكان الجالس يجلس تحتها ويرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر » و .. الخ.

قلت : هذا نص صريح .. ننقله عن مؤرخ عربي قديم .. وهو دليل على أن ما يسمى في عصرنا هذا « بالرادار » لم يكن محدثا آنفا الآن وغربياً ، بل له أصل شرقي قديم .. حتى لو أن بالرواية مبالغة أو تجاوزا .. وداخلنا الشك في صحتها كما رويت .. فلا أقل من أن تكون الفكرة الرادارية » قد سبق المشارقة إليها بالأسلوب المستطاع آنئذ .. ثم تقدم بها العلم والتطوير حتى بلغت المستوى العصرى الراهن .. (وكم في الزوايا من خبايا) .

١٣٤٠ الدار غير الدارة

نص اللغويون على : (أن الدارة أخص من الدار ، اذ الدار تطلق على الناحية والمدينة .. وأما الدارة فلا تطلق الا على المسكن الخاص) قال **أمية بن أبي الصلت** :

له داع بمكـــة مشمعـــل
وآخـــر فوق دارتـــه ينـــادي

قلت : فهل نستطيع أن نطلق على البيوت الخاصة ، ما ينطبق عليها لغة .. وهو « الدارة » ؟ برغم أن **عنترة** قد تجوز فقال في معلقته :

يا دار عبلة بالجواء تكلمـــي
وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

ولعله انما أراد بدار **عبلة** ، حيها وحلتها وأهلها وعشيرتها ، دون أن يقصد (دارتها) الخاصة وذلك على قاعدة (من أجل عين تكرم مدينة)

(١٣٤١) جازان .. لا جيزان واصلها « جاء فزان »

من مقال رائع ماتع ، جامع مانع ، نشرته مجلة (قافلة الزيت) الغراء بعدد رجب سنة ١٣٩١ هـ تحت عنوان (جازان على عتبة فجر جديد) للأستاذ **سليمان نصر الله** .. قرأت ما نصه .

« .. ومن الجدير بالذكر أن إسم جازان قد أصابه شيء من التحريف فى هذا القرن فأخذ بعض الناس يقولون : « جيزان » بدلا من جازان .. اسمها القديم الذى لا يزال يردده أهالى المنطقة .. قال : « وقد وجدت بين أهلها من قدم تعليلا طريفا لاسمها بقوله : انه مؤلف من الكلمتين (جاء) و (زان) وأسقطت الهمزة فأصبحت (جازان) ومعناها : جاء من أسس المدينة وزينها) . ا.هـ .

قلت : وما أعظم إنتصار **أبى نبيه** ـــ أستاذنا الكبير ـــ صاحب هذا التصويب الصحيح بما له من بينات لا نزاع فيها وهى الشعر العربى القديم والتواتر العام لدى أهل المنطقة ، وكتب التاريخ ، ثم ما أطرف هذا التعليل الجميل فانه فى بعض وجوهه يشبه مثله فى بلدة (سامراء العراقية) التى قيل انها فى أصلها (سر من رأى) .

هذا وطوبى لجازان بما ينتظرها من نمو ورغد وازدهار ، كأخواتها من المدن السعودية فى الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وما أعظم نعيمها ونعمتها بشعرائها وأدبائها ، وناهيك **بالسنوسى والعقيلى** ، فان لهما من الخرائد والفرائد ما نافس به أرق الإنتاج فى أزهى العصور .. وكذلك قصاص جازان **محمد بن زارع** ، بارك الله فيهم وجعلهم قدوة صالحة للأجيال الصاعدة ، وان لنا أمنية نرجو أن تتحقق قريبا ، وهى إصدار صحيفة يومية بها و « بأبها » وأخرى مجلة شهرية أو أسبوعية لتنشر ما هنالك من أدب عال ، ونهوض يعتز به الجميع ، وما ذلك على الهمم القعساء بعزيز .

(١٣٤٢) ٦ ايام في « ماليزيا »

أفضل سعادة الأخ الكاتب القدير والأديب الشهير الأستاذ الكبير **عبد العزيز الرفاعى** فأهدانى مؤلفه الثمين الذى جعل عنوانه : « ايام فى ماليزيا » وهو رحلة قام بها سنة ١٣٨٥ هـ وقد واتاه فيها البيان فى إيجاز وتركيز ، يجعل القارىء يشاركه الاحساس بكل ما شاهده ثمة من مناظر وخمائل وغدوات وأصائل وورود وأزهار وأثمار ، وما أعجب به من أخلاق وسمات وكأنما هو يراها معه فى روحاته وغداوته بأسلوب أخاذ ونسق جميل . وقص فيها بعض ما مر به من « مواقف » طريفة .. كقصة « حلاق ماليزيا » وما تقدمها

وتأخر عنها من وصف رائع ، وحدائق وزنابق ، وصوابح وغوابق ، ومرابع ومناطق ، وبالجملة فما استطعت أن أدعه قبل أن أفرغ من قراءته باستمرار حتى ألهانى عن تناول غدائى .

حقا انه كما كتبت إليه « كالشيك » الذى يخف حمله ويضمن صرفه .. مهما علا وغلا .. أو « كالفيتامين » المركز الجامع لكل ما يتغذى به عقل القارىء المشغوف ويرتوى به الظامىء الملهوف .. ولا أقول ذلك مجاملة له ولا تزيدا فى نعته فهو غنى عن ذلك بما احتوى عليه من طرف وتحف ، ومع أنه اختار أن يكون لكل رحلة قام بها كتاب خاص يتسع لاصداره (وقته الثمين) فأننى لأرجو أن تتاح له الفرصة ليجمع ما تفرق منها فى كتاب يحيط بها كلها إن شاء الله . وكقارىء أقدم إليه تهنئتى بما وفق اليه فى ذلك كل التوفيق .

وبالمناسبة أتمنى لكل أصحاب الرحلات من أعلامنا أن يعنوا بجمعها ونشرها تامة متضامة فى كتاب يجمع شملها وتعتز به المكتبة العربية عامة والسعودية خاصة وإنهم لفاعلون ذلك إن شاء الله ، والله لا يضع أجر العاملين .

(١٣٤٣) مطعم الطير

ينعت (**شيبة الحمد**) عبدالمطلب جد النبى ﷺ بأنه (مطعم الطير) .

وقرأت فى التاريخ أنه كان بالشام وقف مرصود على اطعام الطيور .. فيشترى لها ناظره ما يقوتها على مدى العام من غلة الوقف المشار إليه .

كما كانت هناك أوقاف على تعويض من يسقط منه شىء من الخدم أو الاولاد .. فيكسر من الآنية .. فيخشى أن يضرب من أهله .. فيعوض بدلا عنه من غلاتها .. وما عهدنا بمكة ببعيد من أمثال هذه الأوقاف .. جزى الله المحسنين كل خير .

(١٣٤٤) عبد اصطمبول

... وبينما هو رحلاته العلمية .. فى (أوروبا) يدون خلالها كل ما يلفت النظر من آثارها وعمرانها .. ومشاهدها إبتداء من اليونان .. وقد نظم اثنتى عشر رحلة حتى الآن من حدود الشام حتى نهاية تركيا ما بين رحلة قصيرة وطويلة ومتوسطة .. كتب الي .. الأستاذ **عبدالحميد بن مرداد** الذى هو أحد فلذات مكة المكرمة .. كتب الي من أنقرة ، بأنه سيزور بلاد الأغريق فى ١٩٧١/٦/١م ، ثم يقول : بارك الله فيه وفى مساعيه المشكورة .

... « ارجو التكرم فيما إذا سنحت لكم الفرصة لتنشروا فى شذراتكم الذهبية ما يشفى الصدور ويروى الغليل عن هذه الجملة : (أهل الشامية عبيد أهل اسطمبول أو استامبول) .. هذه الجملة سمعتها هنا (أى فى تركيا) من بعض كبار الحجاج المعمرين من حجاج بيت الرشيدى ، بالشامية إذ قال فى مجلس : ان أهل الشامية عبيد اسطمبول .. فقلت له : ماذا تقصد ؟ قال : اسال كباركم ، فما زالت هذه الجملة تحز فى صدرى ، ولا أدرى من قالها عندنا حتى لصقت بأهل الشامية .. وفعلا لا يزال البعض عندنا يفتخر ويقول : « أنا من الشامية عبيد أهل اصطمبول » .

أرجو تفصيل هذه الخرافة لأعلق عليها فى رحلتى من جملة ما اتفق لى بأرض الترك من

غرائب خلقية وأدبية وأثرية وعمرانية ودينية .. وهل هذه الجملة قيلت من قرون ، أم أنها مستحدثة ؟ فان كانت قديمة فلماذا سكت عليها رؤساء الأسر العريقة الكبيرة من أهل الشامية مثل : بيت شطا ، والعجيمى ، والياس ، ومرداد وغيرهم ؟ .

وقلت : واستجابة لطلب فضيلته أقول :

أولا ـــ مع الشكر لغيرته على أهل بلده وملته فان مما أدركناه منذ الطفولة .. أن أهل الحارات كانوا كلهم أصحاب نعرة أو عزوة يعرفون بها ويتميزون بأسماء محلاتهم ، فأهل الشبيكة والقرارة والنقا والشعب والمسفلة كلهم يقولون وقت الافتخار وأثناء اللقاء .. فى الهوشات البائدة فيما بينهم : (**عبدالنقا**) و (**عبـــدالشعب**) و (**عبدالباب**) وهلم جرا .. وما كان جمهرة هؤلاء فى الغالب إلا من (العبيد) الأرقاء فعلا أو المعاتيق ومن على شاكلتهم من الدهماء .

ثم انقرض كل ذلك مع كبح جماح الغوغاء وإزالة آثار العصبية الحارية و (الحمد لله) وذلك منذ أوائل العهد السعودى الحاضر .

ثانيا ـــ إن اختصاص أهل الشامية بالاعتزاء إلى (اصطمبول) كان الهدف منه أنهم ينتمون إلى دار السعادة التى كانت دار الخلافة آنئذ .. فلا يساميهم فى هذا غيرهم ،ولا يخلو ذلك من دعاية مبثوثة من ذوى السلطان يومئذ .

ثالثا ـــ أن أولية ذلك وسببه وعلته فيما يبدو لى .. أن كثيرا من ذوى المقام والمنصب والثروة والجاه .. خلال القرون الخمسة الماضية .. كانوا يسكنون فى المحلة الشامية وكان أغلبهم من الأتراك .. ومنهم كبار التجار وأصحاب المعارض الكبيرة فى (سويقة قديمة) .

وقد أدركنا ذلك فى أواخر العصر العثمانى .. فلا يزاحمهم غيرهم فى المركز التجارى الممتاز .. أو فى السكنى .. ما عدا (محلة أجياد) فى أول القرن الرابع عشر الهجرى وفيما بعد .

وكلهم بطبيعة الحال يتباهون بعنصريتهم وعاصمتهم وذلك لأنها موطن السلاطين والخلفاء من آل عثمان حينئذ ، وما كانت كلمة (عبد) أو (عبيد) تعنى أكثر من مجرد الانتساب ، هذا إلا أنها لا تخلو من هدف مقصود وهو التفوق ، والتميز ، والتعلق بمن كان لهم فى التاريخ الأثر المحمود فى الذود عن الإسلام والمسلمين .. وإن أصبح شبحا فى القرن التاسع عشر والعشرين .. حينما كانت الدولة العثمانية تنعت (بالرجل المريض) .. فى أوروبا وفى كافة جوانب العالم .

هذا ، وكما شاخ الرواة لهذه الأسطورة أو ماتوا .. فانها قد ماتت معهم وقبلهم .. ولم يبق لها من أثر .. فلا عزوة ـــ ولا عصبية ـــ ولا تمييز .. والناس كلهم لآدم .. وآدم من تراب .. و ﴿ **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ولله الأمر من قبل ومن بعد .

فأما لماذا ينكر أعيان أهل المحلة هذه النعرات فانى لأرى أنهم لم يروا فيها أكثر من التفاخر والتباهى .. وما كان لهم أن يدخلوا فيما لا يعنيهم .. فإن أهل الفضل والعلم وذوى السمت والوقار .. إنما كان الحاريون يطلقون عليهم لقب (أهل الخرقة) .. حتى اضطر بعضهم إلى المشاركة معهم فى بطولاتهم أو هوشاتهم .. إنتصارا لمحلاتهم وحاراتهم . وكان

وراء ذلك كله من الدوافع والبواعث ما لا يخفى على المتأمل ، خصوصا مع ظروف الحكم والحكام يومئذ وتقلباتها بين عشية وضحاها ، والتنافس بين ولاة مكة وأمرائها وبين هؤلاء وبنى عمومتهم .. ولكل منهم أتباع وأوزاع .. وأشياع .. (ومن لم يكن معهم ، فانه عليهم) ونسجد لله العلى القدير حمدا وشكرا على أن أنقذ مهابط وحيه من هذه الجاهليات .. والخزعبلات .. فى ظل الحكم العادل الرشيد .. القائم على إقامة الحدود الشرعية مما كان له هذا المقام المحمود ، والفضل المشهود فى استتباب الأمن الوارف الظلال ، دون مكابرة أو جدال .

(١٣٤٥) « ماء طريق الحج »

﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ .

قال **ابن المعتز** :

وصاحب سوء وجهه لى أوجه
وفى فمه (طبل) بسرى يضرب
ولا بد لى منه فحينا يغصنى
وينساغ لى طورا ووجهى مقطب
« فماء طريق الحج » فى كل منهل
يذم — على ما كان منه — ويشرب

قلت : كان هذا الوصف لماء طريق الحج معهودا فى الأزمنة الغابرة ، وكان بوسع أصحاب السلطان أن يجعلوه عذبا فراتا .. وأن يشقوا إليه الجداول والأنهار ، ولو بالسدود والأسوار .. فأما فى عصرنا هذا فانه ولله الحمد والمنة — يحمد ولا يذم .. قبل قرن أو قرنين فقط كان لا يظفر به على ذمه — إلا أهل الميسرة ، واليوم يباح لكل باد وعاكف وساع وطائف ، مثلجا وممزوجا وبلا ثمن ، وسيأتى — إن شاء الله — اليوم الذى تمتد فيه الجداول بالصحارى ، من كل الجهات ، وتحف بنا الرياض والأزهار والواحات وكل آت قريب « وإنما الأعمال بالنيات » .

(١٣٤٦) « الزنابيل » المدرعة

قرأت فى قصة رواها **أبو منصور الثعالبى** فى عهد الخليفة **المتوكل العباسى** حكى فيها ما كان من بذخ عظيم فى ختان « **المعتز** » قال فيها : وجاء القراشون بزنابيل قد غشيت بالادم مملوءة دراهم ودنانير نصفين فصبت على الصوانى .. الخ ..

قلت : والمهم من الرواية .. استعمال الزنابيل بهذا اللفظ منذ ذلك الزمن البعيد حتى الآن — وكنت قرأتها فى مطالعات كثيرة بلفظ « الزبيل » دون النون ، واستوقفتنى فى هذه الحكاية قوله : قد غشيت بالأدم — أى بالجلد — وقد رأيناها فى حوانيت « الحبابين » بهذا الوصف .. بل كان الحمال من أهل الحلقة[1] وسواها يدرعون زنابيلهم من خارجها بالجلد .. لتكون أقوى على الاحتمال .. وأبقى فى الاستعمال .

وقد أخذت أكياس النايلون تحل محلها ، وان خسرت بذلك أيد كانت تخصفها أو ترصفها .. مع القفف المزخرفة .. وكلها من الخوص والسعف .

---

(١) (المنهل) : الحلقة هنا تعبير عامى حجازى دارج حتى اليوم بمعنى سوق مزاد الخضراوات والفواكه وما أشبه .. والأستاذ الجليل هنا يقصد بهذه السوق سوق مزاد ما ذكر بمكة المكرمة فى العصر الحاضر وأوائله .

١٣٤٧ ضرب الهجر

قال أعرابى لابنه : يا بنى كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، ولكن إياك والسيف فانه ظل الموت ، واتق الرمح فانه رشاء المنية ، واحذر السهام فانها رسل الهلاك ! قال : فبماذا أقاتل ؟ قال : بما قال القائل :

(جلاميد) ترتاد الأكف كأنها
رؤوس رجال حلقت فى المواسم

قلت : ما أشفق هذ الأب على ولده ، وما أراها إلا من مفاكهات القدماء ، وان كنا أدركنا أول عهدنا بالحياة « الهوشات » بين الحوائر .. فهى إذا اشتبكت كانت بالعصى الغلاظ « المزقرات » .. فإذا ابتعدوا عن بعضهم فبالحجارة التى تحاكى (المنجنيقات) وكم لها من صواب وإصابات . وكان من جملة ما يتفق عليهْ أهل الاغارات ، منع استعمال القذف بالحصى ، والاكتفاء بالعصا ، وإذا تلازم اثنان من الفتيان اشترط كل منهما أن يكون اللكم والشكم والكدم فيما يشج ويرج ، ولا يتصل بالمقاتل أو (المحاشم) وان كان ذلك اخلالا بنظام المصارعة ، تدخل أنصارهما فى المقارعة ، وكانت (القارعة) دون (الفارعة) .

١٣٤٨ من حفظ حجة على من لم يحفظ

يسائلنى أخى الكريم من (الأفلاج) السيد (**وقيان بن عمر آل لحيان**) .. إذا كان البيت الذى أوردته فى منهل ربيع الثانى ١٣٩١ : « وذلك فى بريد المنهل الأغر عدد شعبان ١٣٩١ هـ .

تخيرت من نعمان عود أراكة
لهند ، ولكن من يبلغه هندا ؟

منسوبا **لعمر بن أبى ربيعة** .. هل هو له حقيقة أم (**لورد الجعدى**) أم (**للمرقش الأكبر**) ؟ أم لغير هؤلاء ؟

وانى مع الاغتباط والتقدير لأشكر للأخ **وقيان** تعقيبه هذا وتساؤله .. وأعتذر ببعد المصدر الذى عزوت إليه أو نقلت منه .. ونسيانه لطول المسافة الزمنية .. وأعتقد أن الأدب كله إنما اتصل بنا قديمه بالرواية والنقل من أصحاب الموسوعات العربية التى إليها الاسناد ، وعليها الاعتماد .. وما يملك المحدثون إلا الاعتراف بفضل القدامى فى هذا المجال الفسيح .. فما نقله صاحب الحماسة من نسبة البيت (**للجعدى**) أحق وأولى بالتسليم .. إلا أن يعلو عليه مصدر آخر أقدم منه .

ومهما يكن فان الهدف من إيراد البيت ليس هو تحقيق من هو القائل له .. وان كان التحرى فى (العزو) واجبا على كل حال .. بل كان الاستفهام عن عود الأراك الأبيض ، والأخضر .

فأما قرينة الصدق فى نسبته **لابن أبى ربيعة فهو** (**نعمان**) والأراك لقربه من مكة ، ومن مراتع عمر ومرابعة .

وقرينة أخرى أنه يخاطب فيه (**هندا**) وما أحسبها إلا هى التى قال عنها :

(ليت هندا انجزت ما تعد)

وأعد صديقى العزيز بأننى إذا ظفرت مرة أخرى بالمصدر فسأعيد الكرة .. لاثباته أو نفيه

وأرى أن العمدة يجب أن تكون على ما رواه (صاحب الحماسة) حتى نجد ما يعارضه من السابقين الأولين . وهذه احدى المراجعات التى ستضطرنى إلى مراعاة ذكر المرجع المنقول عنه ما استطعت إن شاء الله ، وشكرا .

(١٣٤٩) دق راسك في الحجر

انها جملة عامية دارجة يستعملها المتنازعون ، إذا تعذر بينهم التفاهم ، وغلب الشاجر .. وما أراها فى الواقع من محدثاتهم أو لم يسبقوا إليها ، فى صورة أخرى .. قال الشاعر القديم :

كناطح صخرة — يوما — ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وإذا تلطف أحدهم قال : اشرب من البحر .. أى ملحا أجاجا ، ومن فضل الله تعالى أن هذه الكلمات قد أخذت فى الاختفاء والانزواء على قاعدة « اللى تقتله بالسم ، اقتله بالسكر » ! وهو مثل رائع عريق . ومما سمعته من حكم الأقدمين ، أن أحدهم قال لرفيقه أو مشاكسه : والله ان قلت كلمة أسمعك عشرة .. فرد عليه الآخر : مكانك . والله لو قلت عشرة ما تسمع منى كلمة .

(١٣٥٠) كل هواء

إذا تنازع اثنان .. ولم يتفقا قال أحدهما للآخر ، غاضبا : (كل هوا) ..

ومصادفة وجدت من الحيوان من لا يشرب مطلقا .. ويكتفى باستنشاق الهواء . قالوا : انه الضب .. قال **أبو العلاء** فى (لزوم ما لا يلزم) :

كأن الضب كان له سجيرا
فحالفـــه على فقـــد الأوام

والسجير هو الصديق . والأوام هو العطش . والضب لا يرد الماء .. فكذلك السيف الموصوف فى قافيته .

وأحسب أن الاكتفاء بالهواء فى الشرب ، أكثر غرابة منه فى الطعام .

والحاصل أن من يقول لصاحبه : (كل هوا) فكأنما يجعله بمثابة الضب .. وهى شتيمة ملفوفة أو مغلفة .

وليس ببعيد عنا ما كان يصنعه ربات الحجال فى البيوت ذوات العيال من (مرقة الهواء) عند اشتغالهن بما هو أهم من الخدمات المنزلية .. غير أنها لم يعد لها ذكر منذ عهد بعيد .. وهى تؤلف غالبا من مجرد الماء المغلى ممزوجا بشئ من البصل المكشن والدهن الزهيد .. ثم يثرد عليها فتكون غذاء أو غداء لا عنت فيه ولا مشقة ، وعلى كل حال فان أكل الهواء خير من أكل سواه ، إذا تخانق اثنان ، وتفلت اللسان .

(١٣٥١) لا تردن

يسخط أحد المتحادثين ، أو المتخاصمين فيولى عابسا ، وتنطلق شفتاه بكلام غير مفهوم .. فيقول له صاحبه : « لا تردن » .. أو يتكلم معه بسرعة ، وانزعاج ، وغضب شديد ، فيقول له : (ايش هذا الردن) ؟

وقرات فى شعر **المعرى** قوله :

الغـــزل ، والـــردن ، للغـــوانى
خلقـــان عدا من الجزالـــه

والشمس غزالـــة .. ولكـــن
خففت الزاى فى (الغزالــه)

وهنا أدركت فائدتين ، أولاهما أن الردن صحيح وفصيح ، والأخرى أنه من خلق الغوانى ، منذ مئات السنين .

وما كدت أحسبنى اكتشفتها ، حتى عدت أدراجى ، فان الردن الذى قصده أبو العلاء إنما هو من (ردن ردنا) الأشياء نضدها وردنت المرأة غزلت على (المردن) — وهو المغزل .. وبقدر الخيبة من هذا النص ، كانت الفرحة بوجود (الردن) وهو صوت وقع السلاح بعضه على بعض ، ومن هنا ربما كان الاستعمال المعروف فى الكلام المختلط ، وغير المفهوم . وأخيرا : فانه لا علاقة (لحواء) بما يريد البعض أن يخصها به من الردن ، الذى هو كرة « الرغى[1] » وحاشاها منه ، فى الجيل الجديد على الأقل !..

(١٣٥٢) اذا فرغت لم احتج عليك

قال **عبيدالله بن سليمان** ، **لأبى العيناء** : (اعذرنى فانى مشغول عنك) فقال له **أبو العيناء** : « إذا فرغت لم أحتج إليك » .

وهو يعنى : ان شغلك متصل بولايتك ولن تفرغ ، إلا إذا (عزلت) فإذا عزلت تبق لم حاجة إليك .

قلت : وكان الله فى عون أصحاب المناصب والمسؤوليات الكبرى ، فما لهم من عذير .. وكما قيل : (صاحب الحاجة أعمى — لا يرى إلا قضاءها) .

وهذا فى المجال تتميز الأخلاق وتتفاضل الأقدار والرجال .

(١٣٥٣) اصل الاستخدام من (البارد)

روى (**أحمد بن طاهر**) عن نفسه وكان مؤدب (كتاب) ، ويقول عنه **البحترى** انه « كان كثير اللحن والسرقة فى شعره . جميل الأخلاق ، ظريف المعاشرة » .

قال : « خرجت من منزل **أبى الصفر** (أحد وزراء المعتمد) نصف النهار فى (تموز) ، فقلت ليس بقربى منزل أقرب من منزل (**المبرد**) ، إذ كنت لا أقدر أن أصل إلى منزلى بباب الشام فجئته ، فأدخلنى إلى حويشة له — وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين ورقانى ماءاً بارداً وقال لى لى أحدثك إلى أن تنام .. فجعل يحدثنى أحسن حديث . فحضرنى لشؤمى وقلة شكرى بيتان ، فقلت : قد حضرنى بيتان أنشدهما ؟ فقال : ذلك اليك ، وهو يظن أنى مدحته ، فأنشدته :

ويوم كحر الشوق فى صدر عاشق
على أنه منه أحر ، وأومد
ظللت به عند المبرد قائلا
فما زلت فى (ألفاظه) أتبرد

فقال لى : قد كان يسعك إذا لم تحمد أن لا تذم ، وما لك عندى جزاء إلا أن أخرجك ، والله لا جلست عندى بعد هذا . فمضيت إلى منزلى باب الشام ، فمرضت من الحر الذى نالنى مدة .. وعدت باللوم على نفسى » .

---

(١) (المنهل) : وربما كان الردن هنا بمعنى (الرطن) قلبت العامية طاءها دالا .

قلت : واستوقفتني في هذه الأقصوصة القصيرة عدة ملاحظات .

أولها : أن أصل (البرودة) والنعت البارد إنما جا في هذا الخبر ، فما سبق نص قبله بمعناه فيما اطلعت عليه .

وثانيهما : أن **ابن أبي طاهر** ، ما كان يقصد (ببرودة ألفاظ **المبرد**) إلا المدح .. لا القدح .. فانها بقرينة الحرور والقيظ تكون صيغة للذة لا الألم .

وثالثهما : أن تداول (البرودة) حتى في الشعوب الغربية بمعنى الذم ، أي السماجة ، أو عدم المبالاة .. أو التبرم من صاحبها لا يزال معروفا حتى في أوساطنا العربية . وقد أدركنا أهل (المباسط) وباعة الشراب ـــ بفتح الشين ـــ والماء المبرد في الشراب ـــ بكسر الشين ـــ أيام المواسم يصيحون بالحجاج في المشاعر حتى يومنا هذا : « يا حاجي بارد ـــ يا حاجي بارد » وكان من لا يعرفها من الأعاجم لا يهتمون بها ، أما من كان من اخواننا أهل مصر ، فانهم كانوا يزجرون البائع .. ويعتبرون الموصوف بانه (بارد) منهم ، أو أنهم المعنيون بذلك وربما قامت المشاجرات بينهم في الانزعاج بهذا الوصف .. حتى لكان أحدهم هو القائل :

يا من رأى رجـــلا واقفــــا
أحرقـــــــه الحر من (البرد)

وخامسها : ما جاء في عجز البيت الأول من كلمة (الومد) فانه معروف لدينا في فصلي الأسد والسنبلة بتراكم السحاب ، وركود للهواء ، وتقاطر العرق وانحداره ، و (لسلسة) الثياب على الأجسام لا سيما في الموانى البحرية .

وسادسها : « أن على المرء أن لا يستعمل ألفاظا مشتركة المعنى ، ويخشى أن تفهم على غير وجهها ، ويتأولها السامع بما هو إلى الاساءة أقرب منه إلى الاحسان ، وأن يأخذ بالحديث المشهور : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

وأخيرا ـــ فاني أكتب هذه الشذرة وللومد سلطان أضفاه عليه ازدحام الجو بالسحاب المتراكم ، حتى لتكاد (السنبلة) تضيق بها الأنفاس والمناسم ، وأرجو المعذرة من القراء ، إذا استبردوا هذه الشذرة .. فهي من تأثير تلك البذرة .. وهل ينضج الرطب ويؤكل التمر ، إلا بعد أن يتوقد السموم ويتسعر الجمر ، ولله الخلق والأمر ، تبارك الله أحسن الخالقين .

(١٣٥٤) انت امير الشعر بعدي

« قال **البحتري** : أنشدت **أبا تمام** شعرا لي في بعض (**بني حميد**) وصلت به إلى مال له خطر ، فقال : أحسنت ، أنت أمير الشعراء بعدي ، فكان قوله أحب إلي من جميع ما حويته » .

قلت : والظاهر أن هذه الامارة التي انحدرت عبر القرون حتى انتهت إلى « أحمد شوقي » ، إنما كان أصلها هذا الخبر[1] ، وما هي بإمارة حكم ولا سلطان .. وإنما هي مجرد تقدير وإكبار .. وما تزيد على القول المأثور .. قبلها : « فلان أشعر الناس ، أو العرب » . وفي المثل قولهم : « يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر » .. والعبرة

(١) « المنهل » : مما صار مؤكدا لدينا استناداً إلى وقائع التاريخ المسجل ان « امارة الشعر » قد وجهت إلى أحمد بن أبي حصينة السلمي بمرسوم من الخليفة العبيدي بمصر .. يمكنك ان تجد الوافي عن ذلك في كتاب : (بنو سليم) لرئيس التحرير .

بالاجادة والاحسان .. يتقدم بها الشاعر على الأقران . ورب بيت واحد كان أبلغ وأخلد من ديوان .. (**والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء**) .

(١٣٥٥) النيم - نيمان

قرأت كتاب الأستاذ **حمد الجاسر** — المسمى : (فى سراة غامد وزهران) — فى فصل « النبات » فى تلك السروات ، ما يلى :

(النيم) — بكسر النون فياء ساكنة فميم — شجر قريب الشبه بالعوسج لاشوك له ، له ثمر أسود كصغار النبق يؤكل ، فى طعمه حلاوة بحموضة .. قال : ونقل فى « اللسان » عن **أبى حنيفة** : النيم شجر له شوك لين ، وورق صغار ، وله حب كثير متفرق أمثال الحمص حامض ، فإذا أينع أسود وحلا ، وهو يؤكل ومنابته الجبال .

قال (**ساعد بن جؤبة الهذلى**) ووصف وعلا فى شاهق :

ثم ينـــوش إذا آد النهار له
بعد الترقب ، من نيم ، ومن كتم

قلت : ولم أجده بهذا الوصف منطبقا على ما نسميه (النيم) فى زماننا هذا — وهو الذى تغرسه البلديات على جوانب الطرق والشوارع فانه لا ثمر له يؤكل — لا حلو ولا حامض[1] — وإنما هو ذو رائحة عطرة إذا جان موسمها تضوع أريجها حيثما مر عليها النسيم ، ولا سيما فى الليل والسحر .. وانه لجدير بأن يعم ويشمل السهل للإستظلال والاسترواح ولما فيه من خصائص طيبة نافعة بإذن الله .. ومع ذلك فهل هذا النيم الفواح عرف أصله من بلاد الهند غالبا وفى زمن قريب جدا لانه لم يكن معروفا من قبل . فى تلك السروات ، أو الجبال ، فلم أره بعد ، والعجب أن يسمى كل منهما وفى عهد قديم جدا ، وفى العربية (بالنيم) .. ولعله من قبيل الزيتون البرى والآخر المأكول ، يجمعهما الاسم ويفترقان فى الطعم .. والله أعلم .

(١٣٥٦) جيد « ابن اجياد »

فى اضداد **ابن الانبارى** بيت عزاه إلى شاعر عن **ابن الأعرابى** ، قال :

أيام ابدت لنا جيدا ، وسالفة
فقلت انى لها جيد (ابن أجياد) ؟

قال : فان **يعقوب بن السكيت** يرويه : « انى لها جيد ابن أجياد » ؟ باضافة الجيد إلى (ابن أجياد) .. ظبى يكون فى جبل بناحية مكة .. يقال له « أجياد » .. أى لها عنق هذا الظبى الذى يسكن هذا الجبل » .

قلت : ونستدل من ذلك على أن « أجياد » إنما هو اسم للجبل .. وبه سميت المحلة كلها من جميع جهاتها المحيطة به ، كما يدلنا على أن الظباء ذوات الأجياد .. كانت ترعاه ، وأنه على كون كل الظباء فى سائر الصحراء ، ذات جياد ، يضرب بها المثل فى الحسن والجمال وفتنة التلفت ، فان ظبى أجياد كان فى نظر الشاعر على الأقل أمثلها

(١) « المنهل » : نستميح أستاذنا الجليل في ان نعرض عليه ان النيم الذى يزرع اليوم فى شوارع المدن له هو ايضا ثمر صغير أصفر ما دام طريا فاذا يبس أسود وانكمش وهو مر شديد المرارة .. ويتكون اصله من الزهر ذى الرائحة العطرة الذى يصفه أستاذنا البحاثة هناك . فاذا انتهى دور طراوته انعقد فاستحال إلى ذلك الثمر الصغير الموصوف آنفاً . ومن خواصه انه اذا يبس تساقط من شجره . وبه شبه كبير من ثمر العرعر .

وأجملها وأحقها بالتشبيه والتشبيب .. ويظهر أنها منذ اتصل بها العمران ، وتسلق السفوح والقمم ، نفر منها هذا الظبى وبارحها إلى حيث يجد الأمن والاطمئنان .

وهكذا هى طبائع الإنسان والحيوان .. تجنح دائما إلى الابتعاد عن المزعجات ، والمنغصات وتستبدل بمواطنها خيرا منها إذا قلقت وتقلقلت .. وأن اشتد بها وعليها فراقها .. وسبحان من قدر فهدى .. وله الأسماء الحسنى .

(١٣٥٧) المثناة هى « المسناة »

سقى الله « المثناة » وزادها بركة ونعمة ونماء .. وما أحسبها فى الأصل إلا المسناة ، والمسناة — بضم الميم وتشديد النون — « حاجز يبنى للسيل ، يمسك الماء » ، وذلك ما يشاهد فى « مثناة الطائف » .. فلها عدة حواجز لتصريف السيل وتوزيعه بين مزارعها وركبانها .. وكل حاجز تدعمه الصخور الضخمة والعقمان الرملية العالية .. وأغلب الظن أن الكلمة .. تغيرت مع الزمن .. وأوثرت خفة اللفظ فى الأولى ورجحت على النقل فى الأخرى .. وما أتذكر لها شاهدا فى الشعر الجاهلى أو الإسلامى نستدل به على صحة التسمية .. كما هو الشأن فى « لية » مثلا .. ورغم هذا فليس فى وسع أحد أن يحمل الناس على تبديل ما تواضعوا عليه .. واصطلح عليه الخلف عن السلف .. ولو أعيانا تفهم معنى « المثناة » إلا أن نأخذه من تثنى الغصون كالقدود ، وهو بعيد الاحتمال .. وعلى الله الاتكال فى كل حال .

(١٣٥٨) (الغلبة) ـ والدوشة

يقول أحدنا لمحدثه : « بلاشى غلبة »[1] ويقصد بذلك أن يمنعه من الضجة واللجاج ورفع الصوت وكثرة الكلام وهذره .. وما أن لها من تأويل إلا عدم تغليب الحماقة على الرزانة والرصانة .

أما « الدوشة » .. فهى أخت الأولى .. إلا أنها فيما أعتقد إنما تعنى (الخوتة) .. وكما يقول الشاعر :

وفسر الماء بعد الجهد بالماء

فما هى (الخوتة) أيضا ؟ كلاهما ما يسبب فى الأذن صوتا مزعجا .. يطلق عليه الأطباء المختصون (الوش) .

ولعل (الوشوشة) منه أى الحديث القوى الخافت .. وهما من الأضداد .. بهذا الاعتبار .. ولولا أن الشذرة مكتوبة لخشيت أن أنبز بالدوشة ، ويكفى أن يطلق عليها « الدردشة » وهى الكلام المرسل على عواهنه دون هدف .. ولكننى أؤكد أننى أهدف ولا أهرف ، وبودى أن تحل الفصحى محل العامية ما وجدنا إلى ذلك سبيلا .

---

(١) (المنهل) : بارك الله وأطال عمر بحاثتنا الضليع فى تنقيباته وتحليلاته الملهمة الموفقة عن كل عامى احتل محل الفصيح . فأهم دواء إنما يكون بعد اكتشاف مكامن الداء .. وعلى ذكر سعادته (الغلبة) فيبدو لى أن أصلها (الجلبة) بالجيم وهى الضوضاء ، وأستاذنا البحاثة قد أشار إلى هذا فى شذرات سابقة . فاقتضى التنويه اعادة الفضل لذويه .

١٣٥٩ زليت عليه وزل علي

يستعمل الناس كلمة (زل) بمعنى (مر) فيقول **زيد** : زليت على **عمرو** ــ مثلا ــ أو أنه زل على .. وكلاهما غير سليم ولا مطابق للواقع ولا أصل له من اللغة .. ولا أدرى من أين جاء ؟ ومتى ؟..

فان زل من الزلل وهو الخطأ والخطيئة وزلت قدمه : زلقت أو زهقت .. وما أجدرنا بترك إستعمالها مطلقا فانها مرذولة مكروهة ، وفى الامكان إبدالها بخير منها وهو : (مررت عليه أو مر على) .. أو باللغة العربية الفصحى (عجت به) .. أو (عرجت عليه) .. كما قال الشاعر العربى الصميم **النابغة الذبيانى** :

(عرجوا) فحيوا لنعم دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤى وأحجار ؟

وكل وما اختار .

١٣٦٠ تعال ياولد « سويقه » اضل

كانت سويقة المعروفة بمحلة الشامية ذات مظلات من صفائح تقيها حرارة الشمس ووهج الحر وحرارة القيظ ، وهى مع ذلك ترش بالماء صيفا ، حتى ليزهق الماشى بقدمه فيها أحيانا أو يتزحلق (بالوحل) أو « الردغ » وهو (الرجغ) بالعامية الحجازية .

وكان أحدهم يدعو خادمه ليحضر إليه أو ابنه أو من يعز عليه فيقول : تعالى من (سويقة) فانها (أضل) أى (أظل) . وكثيرا ما احتلت الضاد مكان الظاء اعتباطا ، كما تنتقم الظاء بدورها من الضاد .. وتحل محلها من قبل ما لا يجيد النطق بها فيقول ولا (الظالين) ، وهو يقصد ولا (الضالين) . ولا سبيل إلى وقف الاعتداء بينهما إلا بالتثقيف والتعريف ، والارشاد والتوجيه .

١٣٦١ التخويف للأطفال قديما « بالنمنم »

كانت الأمهات والجدات إذا أردن تهويب الطفل فى الليل أو تنويمه ، أو تخديره أو تحذيره ، قلن له : « أرقد ، وألا أزهم لك (النمنم) » . وطالما سمعناها أول النشأة .. وهى كلمة تترك أثرها فى نفس الصغير باعتبار هذا النمنم يأكله هضما وقضما .. وما لذلك من أصل ولا فصل .. وإنما قال **ابن الوردى** فى القرن السابع : أن فى بلاد (التكرور) مدينة متوسطة تسمى (لم لم) .

وقال ابن خلدون : أن (لم لم) قوم من السودان كفار يكتوون فى وجوههم وأصداغهم .

وقد كان هذا (الديدن) فاجعا للأطفال ، حتى لتجدهم يتفززون فى نومهم .. ومثله (الدجيرة) و (ابو سبعبع) أو (سمعمع) كما هو الصحيح فى التسمية ، فما من ذلك شئ فى الواقع .. ومن أجل هذا نشأ كثير منهم يتوجس خيفة من السير فى الظلام أو وحده .. وهى بحمد الله ظاهرة قد قضى عليها التثقيف والتنوير .. وأصبح الغلام ملقنا بالفتوة والرجولة .. منذ نعومة أظفاره وقبل افترار عذاره .. وذلك بزوال

هذه السخافات من أذهان الأمهات .. وربما طمح إلى أن يكون (طيارا) أو (جنديا) أو (غواصا) .. أو (رائد فضاء) بالتربية السليمة من هذه الخزعبلات .

(١٣٦٢) « عكة العسل » من هو ؟

قال **محمد بن سلام الجمحي** ١٧٩ – ٢٣١هـ فى كتابه : (طبقات فحول الشعراء) : ان **سعيد بن العاص** كان لا تأخذه العين ، وكان يقال له : « عكة العسل » ، وروى ما قاله فيه الزبرقان :

خفيف (المعى) لا يملأ الهم صدره
إذا سمته الزاد الخبيث عيوف

قال الشارح :

وقوله : (لا تأخذه العين) أى تتخطاه ولا تقف عليه .. وقد كان **سعيد آدم** نحيلا خفيف اللحم ومن أجل ذلك سمى (عكة العسل) .. والعكة زق صغير جدا أصغر من قربة السمن . وكان سعيد سخيا لا يرد سائلا . اهـ .

قلت : وأرى فى ذلك كناية لطيفة .. فان عكة العسل تبذل ما فيها لمن رشف منها .. وهى فى حد ذاتها ضامرة لا تأخذ ما هى تعطى ، وإنما هى وعاء ينضح بما فيه .. وذلك شأن أهل الايثار .. وكأنما اقترن النحول فى الأجسام بالتفوق فى كل ما يتعب الكرام ، وفى أمثال العوام « خف تعوم » .. أكثر الله من العكاك .

(١٣٦٣) « مرقة الهواء » و « السخينة »

قال الشاعر **خداش بن زهير** :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة
على « سخينة » لولا الليل والحرم

وهو يعنى « بسخينة » قريشا تعييرا لها وهى طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة فى رقته وفوق (الحساء) . وإنما كانت تؤكل فى شدة الدهر وغلاء السعر وهزال الأنعام فعيرت بأكلها .

قلت : وقد تذكرت ما كان معروفا بمكة – إلى عهد قريب – حيث تكتفى ربات البيوت إذا كان لديهن « غسيل » و « نشر » و « كى » للملابس بصنع ما يسمينه « بمرقة الهواء » ، وهى عبارة عن ماء يغلى مضافا إليه البصل المفروم ودموع من السمن والكمون والملح والليمون ، ويفت فيه الخبز اليابس .. ويكون طعام الأسرة كلها يوم لا فراغ للطهى الكامل ، وأعلى منه درجه « الرز والعدس » والمخلل .

ولم أعد اسمع لمرقة الهواء رجعا ولا صدى « بين كداء وكدا » والحمد لله على نعمائه .

(١٣٦٤) « المخراق » هو « الطرة وزرة »

قال الشاعر :

« ورفعونى وقالوا : أيما رجل
وأدرجونى كأنى طى مخراق »

والمخراق هو : ثوب أو خرق تلف وتلوى ثم يضرب الصبيان به بعضهم بعضا .

قلت : إذن يكون المخراق هو ما كنا نسميه في العابنا قديما (طرة) وزرة .. بوصفه السابق .

وكان الخبثاء من عفاريت الأطفال يدسون فيها بعض الحصى ليكون الضرب بها أليما . أما هي (الوزرة) فأحسبها محرفة ، وأن أصلها (طرة .. وزرى) أي ضرب وخصام ولم تكد عيني تراها منذ عشرات الأعوام .. فقد أخنى عليها ما أخنى على « الكبوش »[1] وأنى للجيل الصاعد اليوم فراغ يعبث فيه اللهم إلا كرة القدم ، وان هي لم تخل أحيانا من الصدم والألم .

١٣٦٥ من هو « الزول »

منذ عرفنا الحياة — نسمع في (مكة المكرمة) اخواننا (التكارنة) أو التكروريين اذا دعوا أحدا من الناس صاحوا به : (يا زول) — بضم الزاي — وما كان بنا من هم لتعقب الكلمات ان كانت ذات أصل عربي أو هي دخيلة ..

وفي تاريخ غرب أفريقية ونيجيريا .. وجدت أن عرب اليمن خاصة .. قد هاجر قسم كبير منهم إليها من أقدم الأزمنة .. ثم مد الله عليهم ظلال الاسلام ، تارة عن طريق الفتح وأخرى بالتأثير الروحي وهاجر إليهم عدد غير قليل من عرب الجزيرة .. واختلطوا بهم وأقاموا بينهم عصورا حتى ليغلب على بعضهم الدم العربي ولغة الضاد ، رغم الأبعاد الشاسعة .. ومن هنا نجد أن من بين الكلمات التي استوطنت لديهم من كلام العرب

كلمة « زول » **فهي** في الفصحى — تطلق على الرجل والمرأة معا — وتعني أنه الخفيف الظريف الفطن الداهية .. ولا محل لانكار عروبتها بعد أن تبين مدلولها .. مع ما سبق بيانه من الامتزاج الطويل المدى .. غير أن هذه الكلمة تكاد تختفي هذه الأيام . وكانت رائجة في كل شارع وزقاق ،

وأحسب أن ذلك كان نتيجة أن اخواننا الأتقياء من رجال « التكرر » قد انصهروا في البوتقة فأصبحوا مواطنين وكل حديثهم عربي فصيح مألوف لدينا ، ومنهم الأفذاذ في العلم والفقه والحديث والأدب والشعر والنثر رجوعا إلي أصولهم الراسخة .

١٣٦٦ أنا قائله

روى صاحب (طبقات الشعراء) **محمد بن سلام الجمحي** (١٣٩ — ٢٣١ هـ) هذه الطرفة قال :

« قال **أبو عبدالله** : قال **الحجاج** وهو على المنبر : أنتم يا أهل الشام كما قال القائل :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم
وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

والبيت من قصيدة **لحريث بن محفظ** ، وكان **حريث** تحت منبره ، فقال : أنا قائله أيها الأمير :

(١) (المنهل) : الكبوش : جمع كبش ، والكبش لغة معروفة ولكن عامية الحجاز سمت (كعوب) الأكباش ، بأسمائها ، فهو من باب المجاز المرسل الواسع الأبواب ، تسمية الجزء باسم الكل ، وأما الأكباش والكبش فاسمهما لديهم هو « الطليان » والطلى .. وهي كلمة عربية تمت إلى الفصاحة بصلة وثيقة . والكبوش بالمعنى العامي المذكور هو الذي يعنيه أستاذنا البحاثة في شذرته هذه وقد انقرض اللعب بها فعلا كما قرره .

فقال : كذبت ! ذاك **حريث بن محفظ** . قال : فأنا حريث بن محفظ ، قال : فما حملك على الرد علي هكذا ؟ قال : ما ملكت حين تمثل الأمير بشعري ان أخبرته بمكاني » اهـ .

قلت : وقد حدث لي منذ أكثر من ٥٤ عاماً ما يكاد يكون مطابقا لذلك ، فقد كنت آنئذ .. شاباً متحمساً ، ولي صلة قوية بالأستاذ الكبير رئيس تحرير جريدة القبلة المرحوم **أبي قصى السيد محب الدين الخطيب** ، وكنت أتردد عليه في مكتبته بمطبعة الحكومة بأجياد .

وتتابعت أنباء الانتصارات لجيوش الثورة العربية في الشمال فما يفرغ من قراءة بلاغ بفتح مدينة ، الا ويتلوه آخر بفتح غيرها .. حتى احتلت (دمشق الشام) في عام ١٣٣٧ هـ فصعدت إليه ، فرحاً مرحاً ، مدهوشاً ، وقلت له في نفس اليوم ما معناه : (أن قلوبنا قد طفحت بالسرور وليس فيها سعة للزيادة فيه فعسى أن ترفقوا بنا بعض الوقت .. أو يكون لذلك رد فعل لا يحتمل » .. وخرجت من عنده إلي عملي .. فما راعني الا وجريدة (القبلة) تخرج وفي صدرها مقال له : يشيد بهذا الفتح المبين .. واستهله بقوله « أصدق كلمة تنطبق على شعور أهل البلاد ، كلمة قالها شاب مكي مهذب » (وأورد ما قلت له آنفا) . وهناك تبرمت ان لم يقل أنه (فلان) .. وصدر العدد في الأسواق .. وجاءني الاشتراك فيه .. فتناولت القلم وهمشت على ذلك أي على (شاب مكي مهذب) بقولي « هو أنا ! فلان » وما يزال هذا العدد مجلدا في مكتبتي بهذا التهميش ! وما كان له من سبب الا (الاخبار بمكاني) تماما كما قال ذلك (الحريث) عفا الله عني وعنه والشيء بالشيء يذكر ، وهل يعلم بهذا الهامش أحد غيري ؟ ولكنها غرارة الصبا !

(١٣٦٧) المذهبات والفنون الجميلة

كثيراً ما نمر على ما يرويه تاريخ الأدب العربي الجاهلي ، دون التفات إلي بعض ما يستدعى الاهتمام به الوقوف عنده ، ومن ذلك ما جاء في (العقد الفريد) من : « أن العرب عمدت إلي سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها (بماء الذهب) فى القباطى المدرجة ، وعلقتها في استار الكعبة .. فمنه يقال : مذهبة **امرىء القيس** ، ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع . وقد يقال لها المعلقات » . وأكد ذلك **السيوطي** صاحب (المزهر) آخذا من (العمدة) **لابن رشيق** .

قلت : والذي يدعو إلي التأمل في هذه الرواية هو أن هذه (المذهبات) كتبت بالطبع بقلم عريض ليستطيع القارىء والطائف قراءتها .. وأنها ذهبت ، بمحلول الذهب .. فما يجوز أن يكتبها أو يذهبها أحد من غير العرب أنفسهم ، خطاً وتذهيبا .. وكلاهما من الفنون الجميلة ! مما يدل على حذق (قريش) لها على الأقل آنئذ إن لم يكن هناك غيرهم تولى ذلك من مثقفى العرب الوافدين إلي مكة من الشام ومن العراق ، حيث لا يبعد أن يكونوا قد تلقوا ذلك من الحواضر الكبرى !

وأحب أن يدلى أستاذنا الكبير جهبذ العلم والآثار صاحب « المنهل » الأغر برأيه في هذا الاستنباط تنويرا للأذهان إن شاء الله[1] .

١٣٦٨ بخ لك

« يا ابن المرقتين »

حظيت (بالبريد) بهدية ، ثمينة غالية ، من أخي وصديقي الكريم الكاتب العربي الكبير سعادة الأستاذ « **عبدالعزيز الرفاعي** » .. حفظه الله ورعاه .. وهي الرابعة من انتاجه الهادىء الرصين . فقد سبقها (ثلاث) قبلها هي « ١ » توثيق الارتباط بالتراث العربي . و « ٢ » جبل طارق . و « ٣ » خمسة أيام في ماليزيا .. وكانت هذه المرة « ٤ » **كعب بن مالك الصحابي** الأديب .. رضي الله عنه ..

وقد لحق بها أيضاً « التحقيق الدقيق » الذي اضطلع به الأستاذ البحاثة « **يحى محمود الساعاتي** » في كتابه « **أبو محمد البطال** » .

وكنت أحب أن تحذف الألف من لقبه .. حتى يكون كما هو « البطل » . الا أن النصوص لا تبدل ، وقد زين بمقدمة (رفاعية) قيمة ، تدل على ما كان لنا من بطولات لم يزل يتغنى بها الجاحد ، ويتمنى مثلها الحاسد ، ولها من التاريخ أعدل شاهد ، وفيها من المثل العليا ما يتزود به جيلنا الصامد وجيلنا الصاعد .

واذا كان لى ما أقوله عنها — فانى لأجدها مدعاة للغبطة وحافزة على الاقتفاء . ودليلا على الاختيار ، بما اشتملت عليه من حماس دافق ، وأسلوب شائق . وما احتوته من أخلاق قوية ، واخلاص عميق ، وايمان راسخ ، ومجد باسق ، لا يعني به الا أولئك الذين آتاهم الله من نور البصيرة ما يستخرجون به اللآلىء من أغوار البحار .. ويكتشفون المخبأ من الكنوز والآثار .. ولهم بذلك دون ريب الفضل الكبير — والأجر الوفير — وعقبى الدار .

لقد شغل الناس عن هذه الذخائر ما دهمهم من المشاغل والمشاكل .. كما استهوى الأكثرين ما تقذف به المطابع من الانتاج العصري الحديث .. وقدموه أغلبه بمظهره الخلاب ودعاياته المنمقة !. وغلب عليهم الانصراف عن تراثهم الزاخر ، إلي الزبد والجفاء ، والغث والغثاء ، يقتلون به الفراغ ، أو يشغلون أنفسهم بما في

---

(١) (المنهل) : إذا كان « البحاثة » يعنى به من ينقب فى العلوم والآداب عمقا عميقا حتى يصل إلى جذور الحقائق الخفية عن كثير من البصائر والأبصار فان أستاذنا الضليع الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى يصح إطلاق البحاثة عليه خاصة فى شذراته الذهبية هاته .. وامتثالا لاشارته الكريمة أقول أنى راجعت عدة مراجع فى شأن المعلقات فوجدت ابن رشيق فى العمدة يقول فيما يتعلق بخطها واسمها : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت فى القباطى بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : « مذهبة فلان . إذا كانت أجود شعره ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه لتكون فى خزانته » ص٩٦ ج١ط مطبعة السعادة بمصر .

وإذا كان لى أن أعلق على هذا فأقول : كتابة المعلقات فى القباطى — أى قماش البفتة الناصع البياض على ما يبدو لى — يدل على شوء من سذاجة الكاتبين .. فان القباطى لا تتحمل طقس مكة المكرمة زمنا مديدا إذا صح أن تعليق المعلقات كان على الكعبة بل تهرأ بسبب عوامل الجو من حر وبرد ومطر ورياح شديدة تهب على البلد .. وكتابتها بالذهب يدل على فنية دقيقة لأن الذهب إذا عولج بالأصباغ ثبت دهرا بقدر ثبات ما كتب عليه .. والقباطى مصرية .. فلعل ورودها لمكة كان من مصر ، ولعل ماء الذهب كان من مصر أيضا . أما الكتابة فالأمر فيها كما يتراءى لى كما قال شيخنا البحاثة أطال الله بقاءه فى صحة وعافية وزاده سعة بحث وعلم وأدب وروعة شعر على مدى الأيام .

بعضه من المغثيات وبواعث الاستفراغ .. ولو هم التفتوا إلي ما عندهم من الثراء الموروث ، و « الركاز » العظيم ، لكان لهم فيه الغناء عن كل مستورد ، ومستوضح ، ومشعوذ ومطلسم ، (ولكل أجل كتاب) .

وما كان استخراجه من مكانه ومصادره الأولى ، سهلاً ولا ميسوراً . لكل قارئ وكل مثقف ، لانطوائه بين ثنايا الموسوعات الضخمة والمؤلفات المهملة .. فاذا استطاع أحدنا أن يتوافر على ذلك وأن يتصدى له في دأب وإصرار .. فانما يكون باعثه على هذا الاخلاص المكين ، والايمان واليقين ، والا نكص عنه من أول الطريق ، واكتفى بما حازه من الاحاطة والاماطة ، ولا حاجة به إلى ما يعنيه ، ويشق عليه جمعه وتأديه .

ولكن المؤمن الحق ، لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .. ومن هنا كان اهتمام الأستاذ (**الرفاعي**) بهذه الغرر والدرر التي أوجزها وأنجزها ، وملكها وأحرزها ، وجمعها في كتبه التي أحسبها (عصرية) من حيث بلورتها .. في (فيتامينات) مركزة ، يسهل تناولها وهضمها ، دون تكلف أو إملال !

فأما **كعب بن مالك** فانه كما قال **ابن كثير** : « شاعر الاسلام » وهو الذي كان رسول الله ﷺ ينشده ويستعديه على المشركين وهو الذي تحفظ له أم المؤمنين (**عائشة**) رضي الله عنها الكثير من قصائده المطولة .. وهو صاحب الحديث الذي أورده **الامام البخاري** في صحيحه عما قاله عن نفسه يوم تخلف عن غزوة (تبوك) رضي الله عنه .

وما أريد أن أشيد بالأسلوب الشائق ، والنسج الرائق ، فهو غني عن الاطراء ، وبرىء من الدعوى والاغراء ، غير أني أجد الفرصة سانحة لأنوه بهذا التوفيق في استخلاص ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، وهذا الالهام في الاخراج والعرض ، والتمكن من أن يستهوى القراء إلى أن يستوعبوه في نهم وارتياح ، واجمام ، واسترواح .

ولقد زاد في تقديري واعجابي بذلك — أن الأستاذ **الرفاعي** لم يضن بآثاره وانتاجه على الصحف والمجلات المحلية بكل رائع وشائق من المقالات المحبرة رغم ما هو مكلف به الأعباء الرسمية والعائلية ، بالاضافة إلى ما يتصف به شخصياً من الاستقامة والنزاهة والتحلى بمكارم الأخلاق .

واخيراً — فان (مائدته) هذه التي تخيرها وما فيها من لذائذ الفكر — قد جمعت فأوعت ، وحفلت بأشهى القطوف وأطيبها وأزكاها ، وما هي الا مشارع للارتواء ، ومشارق للضياء ، وأشعة من الذكاء ، وجدير بنا أن نتحلى بها ، وأن نتخذ منها أمثلة تقتفى ، وأن نستزيده منها ما أمكنه الجهد ، وواتاه الاقتناص والاستخلاص ، وعلى حملة الأقلام منا أن ينسجوا على منواله فان منهم من لا يشق له غبار في ميادين الكتابة والاصابة ، وأرجو أن تكون دعواتي لهم مجابة ، في التوافر على مثل هذه المأثرات الخالدة عوضاً عن الانصراف الكلى إلى أعمدة الصحف ، فهذه وقتية ، وتلك أبدية ، وما برح أصحاب التدوين تترطب بالترحم عليهم الشفاه والالسنة والقلوب ، وقد حفلت المكتبة العربية الكبرى بالكثير مما يزخر به التراث العربي والاسلامي من كنوز لا تقدر بأثمان ، وفيها من كل فاكهة زوجان .. غير أنها في حاجة إلى التمحيص والتلخيص وهو ما لا يستطيعه الا المتخصصون .. (**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**) .

(١٣٦٩) أقلوا عليهم

قال **الحطيئة** .. في **آل شماس من بني بغيض** — مما أورده له نقاد الأدب :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها
وان غضبوا ، جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم ، لا أبا لأبيكم
من اللوم ، أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى
وأن عاهدوا أوفوا ، وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها
وإن انعموا — لا كدروها ، ولا كدوا
وتعذلني أبناء (سعد) عليهم
وما قلت الا بالذي علمت « سعد »

قلت : وكثيراً ما كان صقر العرب ومؤسس هذه الدولة الكبرى — جلالة المغفور له الملك **عبدالعزيز** — يتمثل في مجالسه العامة والخاصة . وكان ذا بصر نافذ وذوق عال رفيع في الأدب العربي الرصين ، تغمده الله برحمته ورضوانه .. وكذلك شبله العظيم جلالة الملك **فيصل** المفدى ، فانه ، وما أعظم ما له من مواهب كبرى ، لمن الراسخين في هذا المجال وفي النقد المركز وقد حباه الله ذاكرة قوية ، لا تبارى .. ولقد قلت قبل نحو من ثلاثين عاماً . قصيدة لم تنشر .. اقتضى الظرف حينذاك عدم نشرها ، فأصبحت مما أملك (التصرف فيه) حذفا واضافة وتضمينا ، وبعد مرور أكثر من ٨ سنوات ، أخذت منها بيتا أضفته إلى قصيدة جديدة أنشدتها بين يدى جلالة الملك **عبدالعزيز** ، ونشرت القصيدة .. فقال لي حينئذ جلالة الملك **فيصل** ، وكان اذ ذاك (نائب جلالته) ما هذا ؟ ان البيت الذي سمعته قد كنت قلته منذ سنوات .. فقلت يا طويل العمر ، أجل ! غير أنه لم ينشر ، وهو لا يزال قابلا (للصرف) ما دام لم يصرف من قبل ! حفظه الله وأيده بنصره وتوفيقه .

(١٣٧٠) من دخل (ظفار) حمر

قرأت في عدة مصادر من كتب الأدب ، وفي (الصاحبي) **لابن فارس** أنه « قد خرج رجل من **بني كلاب** أو من **بني عامر بن صعصعة** إلى (ذى جدن) من ملوك اليمن فأطلع إلى سطح والملك عليه .. فلما رآه الملك قال له : (ثب) — بكسر الثاء وسكون الباء — يريد (أقعد) . فقال الرجل : ليعلم الملك أني سامع مطيع ، ثم وثب من السطح ودق عنقه ، فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ، ان الوثب في كلام **نزار** (الطمر) أى الوثوب إلي أسفل ! فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم ، من دخل ظفار حمر[1] . أى : من دخل مدينتنا (ظفار) فعليه أن يتكلم بلهجة (حمير) .

قلت : اذن يكون من الخير لكل قادم على بلد غير بلده أن يتفهم من لغتها — ولو كانت عربية — ما ينقذه من مثل هذا المصير .

وبهذه المناسبة أتذكر أن خادما من سراة الحجاز كان يعمل لدينا في حياة الوالدة رحمها الله — وقد توفيت عام ١٣٢٨ هـ ، أي قبل ٦٣ عاما — قالت له وأنا أسمع — بعد أن أحضر لوح

(١) (المنهل) : حمر — بفتح الحاء والميم وتشديدها بعدها راء مهملة .

العيش مخبوزا من الفرن ـــ : اجمعه وبقشه .. ثم إنصرفت لأعمالها في احضار الغداء ، فلما حان موعده وحضر الوالد من عمله ، ومدت السفرة ، دعت بالخبز ، فاذا به كله (مفتوت) كأنما أعد ليثرد (ثريدا) .. فاندهشت ودعت الولد الخادم وسألته ماذا عمل ؟ قال : ألم تقولى فقشه ؟ ـــ وقد فهم الباء فاء ـــ ففقشته !.. ولم يسعهم الا ازدراده (نتفا) أو فلذا .. وذلك هو بعض اختلاف اللهجات .

(١٣٧١) (البلوت) ومادته في « اللغة »

من المفارقات العجيبة أن يطلق الناس كلمة (البلوت) على هذا (الورق) الذي يتسامرون عليه ليلا .. وتسمع لبعضهم (جلبة) وضوضاء ترتفع إلى عنان السماء ، وأن أجد في (تاج العروس) شرح القاموس في مادة (ب ل ت) : « وبلت الرجل يبلت ، اذا لم يتحرك وسكت .. « وبلت ـــ بالفتح ـــ الرجل يبلت . وبلت ـــ بالكسر ـــ ، وأبلت : انقطع عن الكلام فلم يتكلم » .. وأيضاً : « والبليت ـــ بتشديد اللام ـــ الرجل الفصيح الذي يبلت الناس .. أي يقطعهم » .

قلت : وعلى هذا فان مراعاة ما نصت عليه المعاجم اللغوية واجبة على الناطقين بالضاد .. أي فاذا لعبوا (البلوت) صمتوا وسكتوا وانقطعوا عن الكلام ، على أن لهم اذا لم يشاءوا الا الصياح مندوحة في النص الأخير .. ومن حقهم أن (يتبالتوا) حتى يقطع أعلاهم صوتا من نازعه في (البلوت) .. كفانا الله وإياهم البلاء .

(١٣٧٢) « البرد الكبار »

قرأت في كتاب (العبر) في خبر من غبر (الجزء الخامس) من أحداث سنة ٦١٣ هـ : قول مؤلفه (الحافظ الذهبي) ٧٤٨هـ قال **ابن الأثير**: «فيها قد وقع بالبصرة برد قيل أن اصغره كالنارنجة الكبيرة.. وأكبره مايستحي الانسان أن يذكره» .

قلت : كفانا الله السوء ، وسقانا الغيث برحمته ، ووقانا البلاء ، وانما قال ابن الأثير : (وأكبره ما يستحي الانسان ان يذكره) لأن وقوعه نادر والحمد لِلّه ، حتى لا يكاد يصدق به من عوفي منه من أهل البلايا الأخرى .. وما الطمأنينة الا بتقوى القلوب ، والتحرز من الذنوب . والله أرحم الراحمين .

(١٣٧٣) الصحة والايمان

جاء في كتاب (عش مرحا تعمر طويلا) وقد ترجمه بالعربية الدكتور (**محمد فتحي**) لمؤلفه (**جيلاد هوزر**) ما أنصه في هذه الشذرة .. في كثير من الغبطة والطمأنينة والارتياح :

« لقد قال لى « **ينج** » ـــ **كارل ينج** المشهور بتفوقه النفسى ، وهو عالم نفسى يحيا في (زيورخ) : « يأتي لاستشارتي الوف من الناس ، وقد لاحظت أن أسرعهم تحسنا ، هم الذين ينعمون بقسط من الدين والايمان » اهـ .

قلت : وهي شهادة من طبيب نطاسي كبير مشهور مجرب فآثرت نشرها .. لما فيها من برهان عملى ساطع على أن أهل الدين والايمان يستمدون العافية والشفاء ممن لا يملكهما غيره ، بعقيدة

واخلاص وتضرع وابتهال ، وبذلك يقوى فيهم الأمل ، ولا يرتابون طرفة عين في قوله تعالى : ﴿ واذا مرضت فهو يشفين ﴾ .. ولا تجد الوساوس والأوهام إلى قلوبهم سبيلا ، كالآخرين الذين يحسبون الشفاء في الدواء فقط .. ورحم الله ابن الرومي اذ يقول :

(غلط الطبيب اصابة المقدار)

فهل من مذكر ؟

(١٣٧٤) (باذنجانة)

جاء في معجم الشعراء **للمرزباني** : في ترجمة **محمد بن اسماعيل المدني أبي علي** ، قوله عنه : (معتصمى ، كان يصحب غلاما يقال له (باذنجانة) فقال **نصيب بن وهب المدني** يمازحه :

كلف مغرم (بباذنجانه)
قد ثنى صبوة إليه عنانه
كل يوم له هوى مستفاد
هو منه في ذلة واستكانه
أو ما في المشيب والصلع الفا
حش شغل عن الصبا والمجانه ؟!

فأجابه (**محمد**) :

لا تلمني فان (باذنجانه)
بذ في الحسن عندنا أقرانه
حسن الشكل مدعم القد حلو
يتثنى تثني الخيزرانه
لو يراه الذي يفند فيه
لم يعب مغرما به ، وأعانه
ان يكن اصلعا علاه مشيب
فأراه الرشاد حين استبانه
ان تحت الكسا لظرف فتى
ذي اختيال ، وجنة فينانه
قد سقاه الهوى بكأس التصابي
فجرى جامحا يجر عنانه

قلت : هذا ، وقد أدركنا بعض الرعاع اذا مر بهم من يعرفون فيه الحماقة والطيش والغرور والكبرياء يتقفونه بالشارع ، ولا سيما الصغار منهم بالصياح خلفه (بذنجانة ـــ بذنجانة) .. حتى اذا التفت إليهم ليناوشهم تيقنوا فيه (العته) ـــ واحتوشوه من كل جانب .. ولا يسلم منهم الا بالفرار ركضا ، بعد أن يكونوا قد أفحموه طولاً وعرضاً . وقد انقضت هذه العادة المرذولة بعد أن اشتغل الصغار والكبار بالعلم المثمر والعمل الصالح .

فهل لهذه (البذنجانة) ـــ علاقة بالأولى .. من قريب أو بعيد ؟ أم أنها ـــ كما أجزم ـــ لا صلة لها بها .. وانما هي مجرد (غوغائية) .. بما يتأتي أحيانا من (الباذنجان الأسود) ومن (الكيموسى) في الغذاء .

ولا يعني ذلك بحال ما يطلق عليه (القوطة) الحمراء .. فهي ذات فوائد جمة .. ومن أراد التوسع في معرفة خواصهما ـــ فعليه بتذكرة الشيخ أو الحكيم أو الدكتور (**داود الأنطاكي**) على أن للباذنجان الأسود قابلية لا تنافس اذا طهى ، بالطريقة العربية ، أو التركية .. أي (الضلمة) ! كفانا الله منها (الظلمة) !

١٣٧٥ الطفولة والكوفلة

كان الطفل أو الطفلة بعد الولادة مباشرة إلي أن يقضى من حياته عاما كاملا أو أكثر يكفت تكفيتا .. ويشد شدا .. في لقائف من (الخروق) أو الشاش بحيث يحيط به فوقها ما يسمى (بالكنار) .. حتى لا يجد سعة للحركة الضرورية .. فهو يتمعط خلاله .. ويتظلم من ربطه هذا بالحاظه وأنفاسه دون جدوى ! وتطلق الأمهات والجدات على ذلك — (الكوفلة) ! محافظة عليه من النسيم !

وقد لاحظت في أيامنا هذه تطوراً غريباً .. اذ لم أعد أرى هذه (الكوفلة) مطلقاً .. بل رأيت الطفلة والطفل طليقين .. منذ الشهر الأول .. بل ويكرهان أيضاً على الجلوس في شهرهما الثاني والثالث وينقلان بالأيدي (دون شد ولا رباط ولا قماط) .. وما كان ذلك مما يملكانه أو يباح لهما الا بعد أكثر من حول كامل .. والناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

انه لتطور حميد ، يتمتع به الأبناء والبنات والجيل الصاعد الجديد .. رغم حرماننا منه أول عهدنا بالحياة .. كما ان للمواليد روضات أطفال ، ومدارس ومعاهد وجامعات ، وبعثات . وقد فاتنا القطار أن ندركهم .. هذا مع أساليب التربية الصحيحة التي لا (فلكة) فيها — ولا خيزران ، مما لم نسلم منه أيام الكتاتيب و (الالواح) .. والقسوة وعدم الحنان .. (فطوبي لهم وحسن مآب) .

١٣٧٦ لماذا سمي مر الظهران « بوادي فاطمة »

كثيراً ما حاولت أن أقف على نص تاريخى قديم عن سبب تسمية (مر الظهران) بوادي (فاطمة) .. وأعياني أن ألقى ذلك واضحاً صريحاً .. حتى الآن .

وفي مطالعة عابرة في كتاب (اسماء جبال تهامة وسكانها) **لعرام بن الأصبغ السلمي** من رجال القرن الثالث الهجرى قرأت هذا النص ، قال :

« ومن عن يسار الطريق مقابلا (قدسا) أسود جبل من أشمخ ما يكون يقال له : (أرة) .. وهو جبل أحمر تخرج من جوانبه عيون على كل عين قرية .. فمنها قرية غناء كبيرة يقال لها (الفرع) وهي لقريش والأنصار ومزينة .. ومنها (أم العيال) قرية صدقة **فاطمة** بنت رسول الله ﷺ وعليها قرية يقال لها (المضيق) الخ » .

ومن ذلك استطعت أن أتمثل السبب في تسمية وادي مر الظهران باسم (وادي فاطمة) .. وأن اطلاق ذلك عليه عموما ربما كان من باب التبرك من القدماء .. ولأن (أم العيال)تعتبر جزءا منها .. في الأصل .. ولا سيما بعد أن تعاقب على امتلاكه واستثماره كثيرون من ذرية (**فاطمة**) رضى الله عنها .. ولا أجد أحسن من هذا التأويل أو التعليل ما لم نظفر بما هو أصح وأوضح والله أعلم .

١٣٧٧ الآثار العتيقة في (وادي الخضراء)

قرأت في (الرحلة اليمانية) لمؤلفها المرحوم الشريف **شرف بن عبدالمحسن البركاتي** ، وقد أصدرها مطبوعة في عام ١٣٣٠ هـ ــ ما يأتي :

« ثم بعد صلاة صبح يوم الخميس الساعة الحادية عشر ــ أي في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢٩ هـ سرنا حتى وصلنا (وادي الخضراء) في منتهي الساعة الأولى صباحاً وهو المرحلة الثالثة (أي في مكة) قال : وبه قبائل (شعبة) التي هي فرع من قبائل (هذيل) وقفنا فيه ووجدنا فيه تحت الأرض أبنية عتيقة يصل إليها الانسان من باب معقود بالحجر .. وفي تلك الجهة شمالا على بعد نحو ألف متر من تلك الابنية جبل على قمته تمثال شخص يشاع بتلك الجهة أنه تمثال المؤسس لتلك المباني .. الخ . اهـ

قلت : وقد وجدتني أتناول القلم لأكتب هذه الشذرة لتوجيه النظر إلي هذا الأثر القديم الذي لا يزال شاخصاً في هذا المكان القريب من « أم القرى » ليتولاه بالبحث والتنقيب والتعقيب المعنيون بعلم الآثار .. ويكشفوا عن اسراره وتاريخه ان استطاعوا ويقفوا عليه (مباشرة) .. فانه مما لا يصح اهماله أو اغفاله .. فلا بد أن يكون له شأن قريب أو بعيد جاهلي أو اسلامي .. وأيقنت أنه وأمثاله لا يفوت عالمنا الفذ الحبيب الشيخ **عبدالقدوس الأنصاري** أن يسلط الأضواء عليه ، وهو على مدى ساعة أو ساعتين أو ثلاث من جنوب مكة[1] واذا كان السابقون قد أعرضوا عنه ولم يهتموا به فلأن الأمن كان مفقودا والسبيل إليه غير ممهد ولا ميسور ، أما في عصرنا هذا ــ فما أراه الا جديراً بالاهتمام والاعتناء من كل الأوساط المعنية بالآثار ودرسها ومعرفة أسرارها ، فمثل هذه الآثار لا ينبغي أن تبقى مجهولة يحيط بها الغموض والابهام .

ولعل في داخل هذه الأبنية العتيقة بعض الآنية ــ أو الكتابات القديمة ــ أو المعروفة .

وان أعجب فعجب أن تظل خافية إلى يومنا هذا ! فهل يميط اللثام عنها من له القدح المعلي في (علم الآثار) سليل الأمجاد والأبرار من المهاجرين والأنصار ؟

١٣٧٨ اكتشاف لغوي ؟ !

قال **كعب بن زهير** في لاميته المشهورة التي مطلعها :

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول »

قال :

يمشون مشي الجمال الزهر ــ يعصمهم
ضرب ــ اذا عرد السود التنابيل

وفسر الشــراح (التنابيل) بأنهم القصار .

---

(١) (المنهل) : إن شاء الله لا بد أولا من رحلة خاصة إلى هذا المكان الأثرى . لاستيعاب أحوال المنطقة عن كتب وعن مشاهدة .. وللوقوف على عين هذا الأثر الشاخص ودراسته ومن ثم تكون بإذن الله الكتابة عنه وافية بالمرام . وأرجو أن يتم ذلك فى الربيع القريب بتوفيق الله ومعونته وتسديده وشكرا لأستاذنا البحاثة فى شذراته المتوهجة بكل معرفة وعلم .

وانتقد الشاعر الأديب الشيخ **محمد بن بلهيد** (بيتا) جاء في قصيدة أنشدتها تحية للجيش بليهد من فلسطين في جدة قلت في سطره الثاني :

عاش البواسل ، وليفن التنابيل

فقال : ان التنبل انما هو القصير .. لا الذي يظنه عامة الناس ، العاجز أو الكسول وأقنعته بالمعنى والمبنى والقرينة : رحمه الله .

وفي مطالعة عابرة ، ظفرت بمعنى جديد .. للتنبلة .. لم يكن مما دار بخلدى من قبل قط ، وهو شرح لما جاء في قول **الحريري** في قصيدته الالغازية — البائية — قد نشرها فضيلة الأستاذ الشيخ **عبدالحي بن حسن كمال الطائفي** في كتابه « الأحاجي والألغاز الأدبية » عام ١٣٨٢ هـ قال :

ومنتدين ذوى نبل بدت لهم
(نبيلة) فانثنوا منها إلي الهرب

وشرح كلمة « نبيلة » بأن المتبادر أنها امرأة ذات فضيلة و « النبيلة » في اللغة : جيفة ! ومنه تنبل البعير اذا مات وأروح يعني نتن .. » اهـ .

قلت : فلعل ما غلب على الأفهام طوال القرون حتى الآن ، انما هو فهم التنبلة على هذا الوجه — أي الموت والنتانة ، مضافة إلى تعريد التنابيل .. بوصفهم بالقصر .. بعد التعريد .. الذي هو الانهزام والادبار .. وأتذكر أنني بكيت في صغري مرة قبل أن اتجاوز الثامنة في (نزهة بميمونة) اذ قال لى أحدهم ممن أحتشم منه : ما لك لا تعمل كالآخرين ؟! انك (تنبل) ! فأجهشت بالبكاء طويلا .. ونهضت قبل غيرى لأداء ما يجب من خدمة « البشكة » متحديا من اتهمني بالتنبلة !

وكان له علي فضل الألغاز والايعاز والاستفزاز أحسن الله إليه .

(١٣٧٩) اختر خصلة من ثلاث

قال صاحب الأغاني .. عن **محمد بن إبراهيم التيمي** . قال : « وحدثني **ابراهيم بن حمزة** عن جدى **عبدالله بن مصعب** عن أبيه أن **الحسين بن علي** عليهما السلام كان بينه وبين **معاوية** رضي الله عنهما كلام في أرض له ، فقال له الحسين عليه السلام : اختر خصلة من ثلاث خصال : اما أن تشتري مني حقي ، واما أن ترده على ، أو تجعل بيني وبينك **ابن الزبير** ، **وابن عمر** ، **والرابعة** .. (الصيلم) قال : وما الصيلم ؟ قال : أن أهتف (بحلف الفضول) ! قال : فلا حاجة لنا بالصيلم ، قال : فخرج وهو مغضب فمر **بعبدالله بن الزبير** فأخبره ، فقال : والله لئن لم ينصفنى لأهتفن بحلف الفضول ، فقال **عبدالله بن الزبير** : والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدن ! أو قاعد لأقومن ، ولئن هتفت به وأنا ماش لأسعين ، ثم لينفدن روحي مع روحك أو لينصفنك ، قال : فخرج **عبدالله بن الزبير** فدخل على **معاوية** فباعه منه ، وخرج **عبدالله** إلي **الحسين** عليه السلام فقال : « أرسل فانتقد مالك فقد بعته لك » . وللقصة روايات أخرى تتفق في الهدف وهو الانصاف اهـ .

قلت : وهكذا كانوا يتعاونون على الحق وإزهاق الباطل والانصاف دون الاجحاف ، هذا وهم نفر في أمة واحدة بل بلد واحد ، فكيف « بالصيلم » تشترك فيه أمم الأرض كلها مجتمعة في هيئة الأمم المتحدة ؟ وهي ذات سطور ونظام مصادق عليه منها كلها ، يمنع الاعتداء .. ويحث

على التناصف ، وينذر ويوعد بالعقوبات ، والتنكيلات لمن يتجاوز حدوده .. أو يعتدى على شعب أعزل أو ضعيف ! ثم هي تعلم ما يحل بالعالم من كوارث ونكبات بأيدي المستخفين بالناس والمتعدين ، والمخادعين والماكرين والناكثين .. وتقف (متفرجة) على كل ما يحيق بعباد الله من أخطاء وويلات ، ولا تحرك ساكنا ، ولا تكف معتدياً ، رغم قوتها وعتادها وامكاناتها الضخمة ، ولكنها لا تخلو من الميول الجانفة ، والأغراض الجائفة .

ان السر في عدم الاهتمام بها ، والخشية منها ، هو عدم قيامها على الفور بواجبها — بروح من الاخلاص — والتجرد .. والبعد عن الرياء ، وإلى أن يتوافر لها ذلك ويتحقق منها الجد الجاد .. وفي المواقف الدقيقة والجليلة كلها .. فان البشر لا يزالون يعانون من الاضطرابات والمشاكل والويلات ! فان مجرد التهديد « بالصيلم » أعاد الأمور إلى نصابها بين يوم وليلة ، بتأثير الخشية من أهل « حلف الفضول » الذي شهده رسول الله ﷺ بمكة وقال فيه : « **لقد شهدت بدار عبدالله بن جدعان** حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعيت إليه في الاسلام لأجبت » ، أو كما قال : و ﴿ **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ ، و ﴿ **تعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الاثم والعدوان** ﴾ .

(١٣٨٠) دالات أبو العنبس

كان **أبو العنبس** هذا من معاصري **البحتري** وفي زمن **المتوكل العباسي** .. وله معه قصة مضحكة ليس هذا محل ايرادها .. وانما أردنا بها غير ذلك .

فهو يقول : (قوام أمر الانسان بتسع دالات : (دار) ، و (دينار) ، و (درهم) ، و (دقيق) و (دابة) ، و (دبس) و (دن) ، و (دسم) ، و (دعوة ..) .

قلت : هذا كان رأيه وحده طبعاً .. وفي زمانه قبل أحد عشر قرنا اذ كانت وفاته سنة ٢٧٥ هـ .

ولئن اتفق مع كثير من الناس في دالاته هذه بكل ما تؤديه من معان قديمة أو حديثة .. فان صلحاءهم وأتقياءهم ينكرون (داله) السابعة فلا (دن .. ولا ددن) ! على أنه لو قد عاش إلى عصرنا هذا لأضاف إلى دالاته هذه (دلة القهوة) ، و (دولاب الألبسة) وغيرها من حاجات الحياة المتطورة الحديثة .. ولاضطر إلى الخروج من نطاق الدال إلى حروف الهجاء كلها .. ان وسعتها ، ولن تسعها .. وقديما قال الشاعر :

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد إلي قليل تقنع

(١٣٨١) شعر المرجان وذيول الطواويس بميناء جدة

قال المرحوم **شكيب أرسلان** في كتابه « الارتسامات اللطاف » وهو يصف ميناء جدة وشعاب البحر فيها : « فهذه الشعاب هي التي تنعكس ألوانها على سطح الماء ، فيكون أشبه بذيول الطواويس أو قسى السحاب .. » وقال فيما قيل له : « ان ملوحة البحر الأحمر زائدة . وان هذه الملوحة هي السبب في تكون هذه الشعاب التي تكثر في هذا البحر ، وتجعل مسالكه خطرة ، وأن هذه الشعاب تنمو وتعلو حتى تقارب سطح

الماء ، ومنها يبرز عن سطح الماء ، فيكون جزيرة ، وأن هذه الشعاب متكونة من أعشاب وحيوانات بحرية من طبقة الأسفنج ، وهي ذوات ألوان شتى ، كلها ناصع ، ومنها ما هو أحمر قان ، ومنها ما هو أخضر ناضر ، ومنها ما هو أصفر فاقع ، ومنها ما هو دون ذلك . وقد يقتطع الملاحة والغوص منها أشجارا تسمى (شجرة المرجان) وهو غاية في الجمال ، ومن أبهى ما يوضع في القصور للزينة » اهـ .

قلت : انه وصف رائع وبديع ، ومحل التساؤل هو : لماذا لم يتخذ من شجر المرجان هذا صناعة محلية ، بحيث يباع للحجاج والزوار والسائحين ؟ كما تفعل الشقيقة « السودان » وغيرها بتشكيل العاج وأمثاله واتقان صنعته بما تدر به على البلاد ثروة كبيرة .. وكم هو مفيد ونافع جداً أن تتخصص لذلك شركة تجارية مزدوجة للاستثمار الصناعي .. والغذائي معاً في هذا المجال الرحيب ! .

(١٣٨٢) روائح الجنة في الشباب

روى صاحب (الأغاني) أن **لأبي العتاهية** قصيدة مزدوجة تعرف بذات الأمثال ، وهي مطولة وتبلغ نحو أربعة آلاف بيت .. قال : ولم يبلغنا منها الا نحو خمسين بيتا ، وأن **الجاحظ** سمع من ينشدها حتى أتى على قوله :

(روائح الجنة في الشباب)

قال للمنشد : قف ، ثم قال : أنظروا إلي قوله : (روائح الجنة الشباب) ، فان له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الالسنة الا بعد التطويل ، وادامة التفكير ، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه .. »

قلت : ومن تقرير **الجاحظ** هذا ، نتأكد أن من كلام المؤثر ما لا يحده الوصف ولا يبلغ كنهه سحر البيان ، كالطرب الذي ينفرد القلب وحده بادراك معانيه .. وفهم مراميه ، وشجوه وعمق تأثيره .. أما أن روائح الجنة الشباب .. فلا ريب في أنهم حريون بهذا الوصف الرائع .. ما داموا محافظين على كل ما يأخذ بأيديهم إلى سبيل الجنة .. وأمامهم فسحة العمر ونشاط الفتوة .. هذا سر الوصف وان اعتبره آخرون في صور الجمال والدلال ، أو الشجاعة والبطولة ! أو هما معاً ، وبخ بخ لمن اغتنم شبابه قبل شيخوخته ، وقوته قبل ضعفه ، وحياته قبل موته ! فانه لمن المصلحين .

(١٣٨٣) درجات الحرارة بمكة المكرمة

نشر صاحب كتاب (جغرافية شبه جزيرة العرب) الأستاذ **علي رضا كحالة** .. في كتابه المشار إليه جدولا .. بدرجات الحرارة في جدة طوال أشهر السنة الأفرنجية ، أو الميلادية .. واستوقفني ذلك لأتساءل عن الدواعي التي حرمت (مكة المكرمة) مما كانت تعودته في الاذاعة اليومية من ذكر درجات الحرارة بها يومياً ، صباح مساء .. وانقطاع ذلك منذ مدة طويلة ؟!

ان مكة كانت تقاس بها كميات الأمطار مع درجات الحرارة .. وتعلن باهتمام ، فهل ثمة مانع ، من اداراجها مع اخوانها من البلدان الأخرى « فذلك مفيد جداً لجميع السكانْ .

وبهذه المناسبة أتذكر أنه قبل خمسين عاماً كانت بلدية مكة على ضعف تكوينها ، ذات جهاز فني كامل ، وكان موظفوها يطوفون في كل صباح على الباعة ، فيزنون (العيوش) و (الكعك) ويتأكدون من سلامتهما ونظافتهما وجودة خبزهما .. وصحة وزنهما .. كما يختبرون (الحليب) في سطوله لدى (اللبانة) بميزان يظهر السليم والمشوب والمغشوش والفاسد والصالح ، ويترتب على ذلك المصادرة والعقوبة والحذر من الغش ، وكان جديرا بهذا الزمن أن تزداد وسائل الكشف والتعقيب ، ولكنها انعدمت وعسى أن تعود وان تضاعف إن شاء الله .

(١٣٨٤) الحبحب اليافاوي بمكة

ازداد استهلاك هذا الثمر الجميل اللذيذ الأحمر ، الحلو البارد في مواسم الصيف في جميع مناطق المملكة .. وأكرمنا الله بفضله ورحمته .. بكميات كبيرة من هذا النوع الممتاز الذي تصدر منه « الخرج » وبلاد « القصيم » إلى كل الجهات مقادير وافرة جداً ، حتى إلى الخارج .. وهي نعمة كبرى نشكر الله تعالى عليها بالاضافة إلي أمثالها مما لا يعد ولا يحصى والحمد لِلّه .

غير أنني أتذكر أنه كان من انتاج مزارعنا في مكة .. وضواحيها وما حولها نوع من هذه الثمرة « الحبحب » كان يرد يومياً إلى الأسواق . ويباع بأرخص الأثمان ، ويختلف حجمه بين كبير ومتوسط وصغير ، ويسمى بالحبحب اليافاوي ..

وكان من الجودة والحلاوة .. بحيث لا يفترق طعمه عن طعام السكر البحت ! واذا عصر المرء الثمرة .. سمع لها في داخلها وشوشة أو خشخشة كما يتكسر الزجاج من نضجها .. واستوائها ، فأين هي اليوم وقد ضوعفت العناية بالمزارع ووسائل الانتاج ؟! اللهم الا ان انصرف عنها المزارعون فأصبحوا وقد تقدمت بهم أسباب التعليم إلى ما هو أجدى عليهم ربحاً ؟ غير أن ذلك لا يستدعي انقراض ما هو صالح من الأثمار ، ولا بد من إحيائه وانمائه ، فهو من الثروة الزراعية المباركة .

(١٣٨٥) الأخاشب - والجباجب بمكة المكرمة

قال **البكري** : الأخاشب والجباجب ، هي منازل منى .. ونقل عن آخر أنها بيوت مكة ، **قال : واياها عني الفرزدق** بقوله :

تبجحتم من بالجباب وسرها طمت بكم بطحاؤها ، لا الظواهر

قلت : والذي أعرفه أنه يوجد بين مدينة الطائف .. وفي أول الطريق منها بعد (معشى) إلى مكة المكرمة عن طريق (الهدة) موضع يطلق عليه أهل الطائف : (جباجب) .. وهي منطقة (خلاء) لا يوجد فيها منازل أو بناء .. وكنت أحسب أن الجباجب هي حجارة منثورة .. أو منشورة ، وهنا يجعلها (**البكرى**) .. منازل منى .. ولا منافاة فانه لا يعني بالمنازل الا المناخ .. أي محل النزول لا الدور التي حدثت بعد الاسلام ، والله أعلم .

(١٣٨٦) (بيشة) - والأسود

قال **ياقوت** فى معجم البلدان : « بيشة قرية غناء .. وعن **أبى زياد** : « خير ديار **بنى سلول** بيشة ، وهو واد يصب سيله من الحجاز : حجاز الطائف ثم ينصب فى نجد حتى ينتهى فى بلاد عقيل . وبيشة من عمل مكة مما يلى اليمن من مكة على خمس مراحل ، وبها من النخيل والفسيل شىء كثير ، وفى وادى بيشة موضع مشجر (كثير الأسد) .اهـ .

قلت : وما سردت هذا التعريف لبيشة جهلا بها وبمكانها وميزاتها ، ولكن لما قصه الخبر من وجود الأسود بها فى مشجر أو غابة . وكثيرا ما قرأنا فى الشعر العربى القديم كلمة (آساد بيشة) .. وهذا محل التساؤل ، فاين ذهبت هذه الأسود والأشبال ؟ وهل لا يزال بها من انسالها شىء قليل أو كثير ؟ أم انقرض هذا الحيوان منها كليا ؟ ثم ما هى أسباب ذلك ؟ فان المتأخرين أعلنوا انقراض الأسود من جزيرة العرب بافتتاح قناة السويس ، وأنها إنما كانت تيمم بها قادمة من قارة أفريقية .. فهل لنا أن نطمع فى الاجابة من أهلها الكرام ؟

(١٣٨٧) من الحجاج فى القرن الرابع

قال **ابن حجة الحموى** فى (ثمرات الأوراق) قال **صلاح الدين الصفدى** فى (التذكرة) ومن خطه نقلت « حجت **جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد بن حمدان** أخت **تغلب** سنة ست وثمانين وثلثمائة .. فسقت أهل الموسم كلهم « السويق » بالطبرزد ، والثلج .. واستصحبت البقول المزروعة فى المراكب (لعلها المراكن) وعلى الجمال .. وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين .. ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار .. ولم تستصبح عندها وفيها إلا بشموع العنبر .. وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين .. » اهـ .

قلت : وما سمعنا بمثل ذلك ولا ببعضه خلال ألف سنة بعدها .. فأما قبلها ففى أخبار **عبدالله بن جعفر وحكيم بن حزام** ، ما خلد لهما الذكر الحسن على مدى الأجيال !

هذا وقد مر بى فيما قرأت أن **الرشيد** كان يستصحب معه الثلج من العراق حتى يصل إلى مكة ويحج ويعود بوسائل بريدية مضمونة .

وجاء فى أخبار **السلطان قايتباى** صاحب مصر ، أنه استصحب معه أيضا الخضراوات على ظهور الجمال .. تمونه أثناء قدومه وعودته فى الصحراء بين المشاعر المقدسة وبلاد النيل .

وبالمناسبة فان مكة قد شربت الثلج بكميات كبيرة وبأسعار رخيصة جدا منذ عام ١٣٣٠هـ وكنت ممن يشترى الأقة منه بقرش واحد فى بطن سويقة القديمة .. وكان بائعه ثمة يسمى (**أبو رشيد**) من أهل الشام وقد فتح أول مصنع أقيم له بمكة فى جرول ويعرف بمصنع (الناولو) وهو ، شامى أيضا ثم امتدت إليه ابان الأيام الأولى من الثورة العربية فى ٩ شعبان ١٣٢٤هـ ولا تزال آثاره باقية إلى عهد قريب ثم انمحى وأبدلنا الله خيرا منه أضعافا وله الحمد والشكر .

(١٣٨٨) جبل برد في الطائف

هنالك فيما وراء مزارع الوهط والوهيط بالطائف وفى الجهة الغربية منهما يعترض جبل عظيم يطلق عليه أهل الديرة اسم (برد) .. وهو محيط بالطائف ويقع من وراء جبل الغمير الواقع فوق (مسرة) ويقابل جبال الشفا .. التى تقوم جنوبا منه .

ولم أعثر فيما قرأته من الشعر القديم أو الحديث ، على اسمه أو الاشارة إليه أو الاشادة به كغيره من الجبال المحظوظة فى بلاد العرب .

وقد قرأت أخيرا فى مجلة (العرب) الغراء خلال مقال للشيخ **حمد الجاسر** بعنوان « ملاحظات حول المعجم الكبير » كلمة فى الصفحة (٥٣٣) نصها :

(٢٣ — ص ٢٦١) : (برد موضع ورد فى قول **النابغة الذبيانى** ولم يحدد ، وأقول : هو جبل لا يزال معروفا فى الجنوب الشرقى من تيماء بما يقرب من مائة كيلو ، ويدعه طريق المتجه إليها من خيبر على يمينه غير بعيد . ويشاهد من الطريق بقرب الدرجة ٢٧/٣ طولا ، و ٣٨/٥٩ عرضا .. قال : وتسكن راؤه) .

قلت : فهذا بالتسكين (برد) .. فهل نطمع أن نجد شاهدا على (برد الطائف) .. الذى لا يكاد يسامقه إلا الأطواد الراسية من جبال الجزيرة ؟ وهل يظن أنه لم يذكره شاعر جاهلى أو إسلامى حتى الآن على ضخامته ، وعظم هامته وقامته ؟ ولعلنا نظفر من أساتذتنا الكبار أصحاب القدم الراسخة فى هذا المضمار بما ينصف هذا الطود الذى هو من أخوة (ثبير) و (خندمة) و (الأخاشب) وانهم لفاعلون ان شاء الله[1] .

(١٣٨٩) هدايا الحجاج قديما

قرأت فى (المستطرف) أن **عمرو بن حيان** الضرير أنشد حين لم يهد إليه الحجاج شيئا :

كأن الحجيج الآن لم يقربوا منى
ولم يحملو منها (سواكا) ولا (نعلا) !
أتونا فما جادوا بعود أراكة
ولا وضعوا فى كف طفل لنا (نقلا)

وكان ذلك منذ ستمائة عام أو أكثر .

قلت : وقد منّ الله على الحجاج فى عصرنا هذا بأن يحملوا من الهدايا إلى ذويهم وأقاربهم

---

(١)(المنهل) : لجبل برد — بالفتح ثم السكون — ذكر فى (معجم البلدان) لياقوت الحموى .. قال فى مادة (برد) : « برد — بالفتح ثم السكون — جبل يناوح روانا ، وهما جبلان مستديران بينهما فجوة فى سهل من الأرض غير متصلة بغيرهما من الجبال .. بين تيماء وجفر عنزة ، وجفر عنزة فى قبليهما » .

وجاء فى كتاب : (ما رأيت وما سمعت) لخير الدين الزركلى قوله : (برد — جبل فى بلاد قريش ، يبعد عن الطائف ستة فراسخ ، يقال أن جميع عيون المياه التى فى الطائف منشؤها منه ، كذا رأيت فى تعليق لأحد المعاصرين على كتاب العجيمى ، ولم أر هذا الجبل) ص٨٧ .. ويدل ما ذكره على أن العجيمى ذكر شيئا عن (برد الجبل) هنا فى كتابه . ولعل جبل برد هذا هو الذى يقصده بحاثتنا الضليع فى شذرته هذه .

وإضافة إلى ما ذكر حول ذكر (برد) أقول : ان كتاب (صور من شمال جزيرة العرب إلى منتصف القرن التاسع عشر) لجورج أوغست فالين ترجمة سليم سمير شبيلى قد ذكر (بردا) أيضا عرضا فى رحلته فقال عن رقعة فسيحة من الأرض تقع جنوب تيماء : (وفى أرض الخولة التى هى إمتداد لها أتينا مضارب الفقراء وعددها مائتا خيمة ونيف نصبت على سفح تلة منعزلة من صخور رملية اسمها (جبل برد) — بسكون الراء — ص١٨١ مطبعة شرفان وديب بيروت ١٩٧١م .

وأصدقائهم ما يعجزون عن حمله ويكتفون باليسير منه .. يستبضعونه من أسواق (منى) ، و (مكة) و (جدة) و (المدينة المنورة) ويشتمل على منتجات البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا عدى ما يجبى إليها من ثمرات كل شئ .. مع توافر عيدان الأراك وما افتقده **ابن حيان** فى زمانه

وقد أفدنا من الرواية أن (النقل) كان من هدايا الحج أيضا — وهو ما لم يزل حتى يومنا هذا — مبذولا فى المباسط التى تقوم بمنى حول الجمرات ، ولا تخلو منه دار فى أيام الموسم وخاصة فى الأيام المعلومات . والحمد لله على ما أفاض من الخيرات والبركات .

(١٣٩٠) ماهى الغنيمة الباردة ؟

قلما يعرف ذلك أهل العلم ، فانها جملة ترددها العامة والخاصة ، يوميا ويقولون : جاءت إلى فلان (غنيمة باردة) . ولكن أصلها أو أوليتها .. يرجع إلى ما رواه الامام **أحمد بن حنبل** رضى الله عنه : فى كتاب (الزهد) حيث قال فى بحث زهد **أبى هريرة** رضى الله عنه « عن **أنس** عن **أبى هريرة** قال : ألا أدلكم على غنيمة باردة ؟ قالوا : ماذا يا أبا هريرة ؟ قال : الصوم فى الشتاء » .

قلت : ومن فضل الله تعالى ورحمته أن أنعم على عباده بكثير من هذه الغنائم الباردة .. فصاموا فى الشتاء خلال أعوام مضت ثم تتلو تباعا .. ان شاء الله ، وحجوا أيضا ويحجون فى ظلال السلامة والنعمة والرفاهية ، فأما الناس أكثر الناس فيقولون عن كل ما فازوا به من أمور الدنيا إذا حصل عليه بلا مشقة ولا عناء .. (انه غنيمة باردة) .. وشتان ما بين هذه وتلك ! والعمل الصالح يرفعه» أوزعنا الله الشكر على نعمه التى لا تحصى

(١٣٩١) جوارش لابن عمر

عن **ابن سيرين** أن رجلا قال **لابن عمر** : « اجعل لك (جوارش) ! قال : وأى شىء الجوارش ؟ قال : شىء إذا كظك الطعام فأصبت — بضم الهمزة — منه سهل عيشك ، قال . فقال ابن عمر : ما شبعت من طعام منذ أربعة أشهر ، وما ذاك أن لا أكون له واجدا ، ولكنى عهدت قوما يشبعون مرة — ويجوعون مرة »

قلت : إذن تكون هذه الجوارش معروفة منذ صدر الإسلام ، ويظهر انها وفدت مع القادمين من مسلمى الأمصار .. فاما العرب فلا عهد لهم بها من قبل ! وأى حاجة بها لمن لا يشبع ولا يكتظ ، وما يزال راكعا أو ساجدا ، أو ساعيا أو مجاهدا ؟ ولذلك أثره العميق ، وسره الدقيق فى كل ما كتب الله لهم من النصر والفتح والتوفيق .. (ولا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) .. وفى ذلك أسوة للمقتنعين .. فيغنيهم الله عن المهضمات .. والفيتامينات[1] ..

---

(١) (المنهل) : بمناسبة ذكر الفيتامينات كنا فى ليلة الأحد الموافقة ١٨ صفر عام ١٣٩٢ أول إبريل ١٩٧٢م مدعوين عند سعادة سفير المغرب السيد الداى ولد سيدى بابا بمنزله فى شارع مجلس الوزراء بجدة بمناسبة قدوم فضيلة الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالله أحد علماء المغرب الأعلام إلى المملكة فى زيارة قصيرة .. وفى المجلس قبيل تناول طعام العشاء دارت أحاديث قيمة وأفاض فضيلة المحتفى به فى الحديث عن مكتب التعريب بالمغرب ومزاياه لاحياء اللغة العربية الفصحى بتطعيمها بما فى لغات العالم الحاضر من صيغ علمية وتعريبها فى نمط عربى صحيح وجاء فضيلته على ذكر (الفيتامين) بالمناسبة .. فقال : ان علماء الشام عربوه بقولهم (حيامين) جمعوا بين صيغة (الحياة) العربية ، و (مين) الأفرنجية وأدمجوهما فصارت الصيغة بعد حذف (تاء حياة) : (حيامين) فقلت له : (الا ترون أن الأنسب أن نسميه إذن (حيوى) لأن الفيتامين يمد الحياة بطاقة صحية جديدة ؟ فقال : (الحيوى) سمى به شوء آخر قريب من الفيتامين) .

والجواريشات وكفانا الله شر البطنة .. فانها تذهب الفطنة .. (وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد .. فثلث لطعامه .. وثلث لشرابه وثلث للنفس) .. وبذلك يرتاح الأطباء من كثير من المشاق .. فقد أرهقهم المراجعون ، ولو تدبروا أو تبصروا لأعوزهم من يشغل فراغهم فيما يكونون .

(١٣٩٢) بمناسبة المهرجان الرياضي الكبير

سراويل قيس بن عبادة

« روى أن ملك الروم أراد أن يباهى أهل الشام فبعث إلى **معاوية** رضى الله عنه رجلين أحدهما طويل .. والثانى قصير شديد القوة . فدعا **معاوية** للطويل **قيس بن سعد بن عبادة** فنزع **قيس** سراويله ورمى بها إلى الرجل الطويل ، فلبسها ، فبلغت ثدييه ، فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال :

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس ، والوفود شهود
وكيلا يقولوا خان قيس وهذه سراويل عاد أحرزتها ثمود
وأنى من القوم اليمانين سيد وما الناس إلا سيد ومسود

ثم دعا **معاوية** للرجل الشديد فى قوته **بمحمد بن الحنيفة** فخيره بين أن يقعد فيقيمه .. أو يقوم فيقعده .. فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين » اهـ

قلت : وهكذا كان اللقاء الرياضى الأول على المستوى الرسمى أو الدولى بين العرب والروم فى القرن الأول الهجرى .. وقد أوردت هذه الشذرة كتحية للمهرجان الرياضى الكبير الذى افتتحه « الفيصل » العظيم .. فى (الرياض) فى ٢٩ المحرم ١٣٩٢ هـ ، والتاريخ سيعيد نفسه فى المباريات المشتركة القادمة إن شاء الله مع مختلف الأمم والشعوب المتقدمة والنامية .

(١٣٩٣) هكذا كانوا

روى **الامام أحمد** فى كتاب (الزهد) عن **عمر بن قيس** يعنى الملائى قال : « كانوا يكرهون أن يعطى الرجل طبيبه الشىء فيخرج به ، فيراه المسكين فيبكى على أهله .. ويراه اليتيم فيبكى على أهله » اهـ

قلت : ما أبعدنا عن هذه الأخلاق الفاضلة .. وما أقربنا إلى حب التفاخر والظهور .. ولو كان فى ذلك قصم الظهور .. ولو عنانا من أمرنا وصلاحنا ، ما عنى السلف الصالح وما هدفوا إليه من الخير والوقاية ، وحسن الأسوة ، وبعد النظر ، وتغليب الحكمة ، لحفظنا الله تعالى من كثير من المزعجات .. ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** ﴾ .

(١٣٩٤) نفقات السفر الظاهرة والباطنة

« حدثنا **هشام** عن **منصور** قال : كان **الحسن** إذا سافر وأخرج القوم نفقاتهم أخرج معهم مثل الذى أنفقوا .. ثم يدس إلى صاحب النفقة شيئا سوى ما أعطاهم » اهـ

قلت : إنما يريد بذلك أن لا تنكسر نفوسهم بالتزيد من جهة عليهم فلا يعلمون ما بذله ، خفية

عنهم .. ولقد أدركنا رجالا يطلق عليهم أو على أحدهم : (شيخ البشكة) إذا خرجوا للقيلات أو السمرات أو النزهات ، فى المواسم المعتادة .. وفى الضواحى الجميلة .. يفعلون ما يشبه ذلك سرا .. وذلك فى طريقة توزيع المصروفات على المشتركين فى ذلك .. فيقسمونها أنماطا .. فهذا يدفع مثلا عشرين — وآخر خمسين قرشا أو ريالا .. وآخرون أقل من ذلك ، ومنهم من يؤدون إليه شيئا علاوة على إقامته معهم .. لأسباب تتصل بحالته المادية ، أو خدماته التى يقوم بها .. بحيث لا يحرجون ، ولا يجورون على الغنى .. ويرضى بذلك الجميع دون أن يعلم الفقير ودون أن يعلم الكل هذا التوزيع حفاظا على كراماتهم .. ودفعا للاستياء .. وأحسب ذلك ما يزال ملحوظا فى عهدنا هذا فى أمثال هذه المناسبات ، وهى من المناقب المحمودة ومن وسائل التحبب والتقرب والائتلاف .

(١٣٩٥) علم الآثار واستنطاق الديار

بمناسبة الحديث الذى رأيناه وسمعناه على « شاشة » المرناء — التليفزيون — فى ندوة الأسبوع فى أوائل شهر ربيع الأول ١٣٩٢ هـ[١] ودارت فيه مناقشة بين الأساتذة الكبار والجهابذة الأخيار .. عن مصادر علم الآثار .. وأورد هنا بعض ما يتصل بذلك من مآثر الاشعار :

قال **النابغة** فى قصيدته المشهورة :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤى واحجار ؟
أقوى وأقفر من نعم وغيره
هوج الرياح بهابى الترب موار
وقفت فيها سراة اليوم أسألها
عن آل نعم أمونا عبر أسفار
فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات أخبار
فما وجدت بها شيئا ألوذ به
إلا الثمام — وألا موقد النار

قلت : وبذلك يعتبر (النابغة) من أوائل رواد الآثار فى العصر الجاهلى .. فما يزال علماء الآثار ينهجون طريقته فى استنطاق الأحجار وكل ما عفى عليه التراب الموار .. وحسبك أن كثيرا من المدن أو القرى إنما عثر عليه من بعد حفريات عميقة .. وبين أردام أو ردوم من الرمال .. مما يدل صراحة على أن الرياح قد أهالت عليها خلال القرون المتعاقبة — ما أخفاها عن الأنظار .. وكذلك السيول الجارفة .. وانى لاتذكر ما عسى أن لا يكون قد علمه الكثيرون فى مكة المكرمة .. كمثل على ذلك (قريب) .. ذلك أنه فى عام ١٣٣٠ هـ قامت إدارة عين زبيدة بحفريات فى باب العمرة .. لانشاء خزان أو (بازان) للسقيا هناك .. فلما بلغ عمقها أكثر من (٦) أمتار .. عثروا على دار كاملة بجميع منافعها .. متهدمة تحت هذا العمق السحيق .. وكان ذلك مدعاة للتعجب ! ولا غرابة فى ذلك .. فان مرور الحقب وتطاول الأزمان وهطول الأمطار .. وانجراف

---

(١) (المنهل) : يشير سعادة أستاذنا الجليل البحاثة أطال الله بقاءه ذخرا إلى الندوة التى عقدها الدكتور عبد الرحمن الشبيلى المدير العام للتليفزيون السعودى ، بالرياض بين كل من من الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى عميد كلية الآداب ، والدكتور عزة النص المستشار بوزارة المعارف ، وعبد القدوس الأنصارى حول الآثار بالمملكة العربية السعودية ، واماط فيها الدكتور عبد الرحمن الأنصارى اللثام عن إكتشافه لمدينة الفاو السعودية الأثرية العظيمة .

التربة .. وارتفاع مستوى الأرض بانحدار ما تجرفه السيول من أعالى الجبال وسفوحها .. قد طمر تلك الدار وأمثالها ، وارتفع بمستوى الأرض إلى هذا الارتفاع .. وحسبك أن تعلم أن أبواب المسجد الحرام كانت جميعها خلال (وادى ابراهيم) ترتفع لها سلالم من الأحجار الضخمة تمنع السيول من أن تقتحم الأبواب داخل المسجد وخارجه .. ولولا أن السلطات ــ كانت تحرص كل الحرص ــ فى أعقاب كل موسم من الأمطار على (تنقية) مجرى السيل وحمل ما تراكم من التراب فى بطن الوادى إلى أسفل مكة .. بما كان يسمى آنئذ (بالفغر) جمع (فغير) وعلى متون الدواب ، لولا ذلك لارتفع مستوى الوادى كثيرا ــ ولكان بطن المسجد (كالبركة) وراءه .. ولغشيته السيول عبر الأزمنة الطويلة .

إذن ــ فان العثور على (الآثار) .. يستدعى دائما العمل فى اختراق المظان .. بين أعماق التراب .. خصوصا إذا كان الموقع المنقب عنه فى منحدرات السيول .. وقد كنت ذكرت فى شذرة سابقة ما كان عثر عليه سعادة المرحوم الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتى .. وأشار إليه فى (رحلته اليمانية) عام ١٣٢٩ هـ عن وجود آثار ذات شأن فى جنوب مكة .. عفى عليها الزمن .. وما تزال قائمة فى أعماق الأرض .. بجدرانها وبنياتها .. وقد ذكر أنه زارها ورآها رأى العين .

وبالمناسبة فانى أرجو أن يوفق رجال الآثار وعلماؤها فى بلادنا .. إلى تدارك ما فات ، وتقديم الأهم على المهم .. والمحافظة على كل ما دق وصلب منها .. والاحتفاظ به فى (المتاحف) التى تنير السبيل أمام الأجيال الصاعدة .. وتقيم الدليل على كل ما كان للسلف الطيب من حضارة وعمارة .. وصناعة وتجارة .. فما يتيسر الآن جمعه وتداركه قد يتعذر جدا الحصول عليه لمن بعدنا !

وناهيك بما فى المناطق العربية والإسلامية .. فى العصر الإسلامى الأول من آثار مأثورة ما يزال بعضها مدفونا تحت أطباق الثرى مما له صلة بالرسالة المحمدية والحضارة العربية ومنها ما هو ظاهر مهمل ، ومنها الدبول والقنوات والمجارى .. وقد عثر على الكثير منها فى قلب مكة .. والشرائع .. ونعمان .. وهلم جرا .

وهناك فى (وادى العقيق) وما حول المدينة المنورة مظان كثيرة الآثار العظيمة المردومة ، أو الكنوز الثمينة المختفية وقد كان فى (ينبع النخل) ما يزيد عن المئات من العيون التى انطمرت واندثرت .. وفى (وادى فاطمة) وفى ضواحى الطائف .. و (الوهط) و (الوهيط) .. وكل ذلك لم يكن إلا بعد كد وكدح وجهد ، وعمل متواصل ، وسعى حثيث ، وبذل سخى ، فى الجهد والمال . وفى الكشف عنه واحيائه وانمائه ، ما يعيد الخصب والنماء ، إلى عهودها الأولى ، (وكل من سار على الدرب وصل) خاصة وقد أظلت البلاد نهضة علمية وثقافية وحضارية واسعة الأفق بعيدة المدى ، وليس ذلك محدودا فى هذه الأماكن فقط بل هو عام وشامل فى شتى أنحاء المملكة العربية السعودية وجزى الله الخير كل الخير كل من عنى بالكشف عن الآثار ، فان بها من العظات والعبر ، فى قيامها وحتى فى ارتدامها ، ما تستنير به البصيرة ويرتاح له البصر ، ويكفر عن الاهمال الذى أدى بها إلى الاختفاء أو الامحاء .. فليس من المعقول أن تخلو مناطقها التاريخية ذات الأثر الحضارى فى ماضيها العريق ..

من الكنوز والركازات والمعادن والمصانع .. ولتكن أيدينا ممتدة إلى (الحاضر) إنشاء ، وإلى (الماضى) إحياء ، وإلى (المستقبل) اذكاء وإنماء . **والله لا يضيع أجر المحسنين** .

وانتهز هذه الفرصة .. لاعرب عن عظيم غبطتى واعتزازى بهذا الجهبذ الكبير ، والعالم النحرير ، والأثرى الأثير أستاذنا الجليل الشيخ **عبد القدوس الأنصارى** مكتشف (مدينة الجار) وصاحب كتاب (بين التاريخ والآثار) .. فقد كان نسيج وحده فى تطلعاته وغزواته الميمونة الموفقة .. وكأنما هو فى إنتاجه الغزير قد احتمل مسؤولية (جماعة) أو جماعات .. لو انيط بها هذا الواجب لناءت به ولكلت عنه — فأداه راضيا مرضيا .. وبذل فيه من جهده وماله وسهره وصحته ما لا يتحمله إلا من اختصهم الله بحمل أمانة العلم والتضحية فى سبيله ، أمد الله فى حياته الغالية .. وأعانه واخوانه الصامدين على فتوحاتهم العلمية والأثرية والثقافية .

وأخيرا وليس آخرا فاننا ندعو الله مخلصين أن يطيل بقاء الرائد الأول والقائد الموفق والعاهل العظيم (**فيصل**) **بن عبدالعزيز** وأن يجعل عصره الذهبى غرة فى جبين العصور حفظه الله وأيده بروح من عنده .

(١٣٩٦) جدة فى العصر النبوى

يكاد الاجماع ينعقد بين كثير من المؤرخين على أن مدينة أوميناء (جدة) إنما أنشأها لأول مرة الخليفة **ذو النورين عثمان بن عفان** رضى الله عنه .. أو أنها لم تكن قبله شيئا يذكر !

وقرأت خبرا جاء فى طبقات (**ابن سعد**) وهو : أن **نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب** كان ممن يتجر فى الرماح .. وقد أسر يوم بدر ، فقال له النبى ﷺ (افد نفسك برماحك التى (بجدة) .. فقال : أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله ، ففدى نفسه بها ، وكانت ألف رمح).

قلت : ومن هذا نفهم أن جدة كانت حاضرة عامرة بالسكان ، وتقوم بها صناعات منها تثقيف الرماح وهنالك إحتمال آخر ، هو انها تستورد السلاح أو يصدر منها إلى غيرها عن طريق التجارة .. وأنها كانت رائجة بها خلال ذلك العصر وقبله .. ولا منافاة بين ذلك .. وبين ما رواه التاريخ من اعتناء أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه بها فى عهده فطورها وجعل منها الثغر الأول فى الحجاز ، وزاد فى عمرانها — واتخذ منها بديلا من « الشعيبة » — أو سواها .. وأرجو أن نقرأ لأستاذنا البحاثة الجليل والبحر الزاخر صاحب تاريخ جدة رأيه الصائب فى ذلك مفصلا إن شاء الله مع الشكر المضاعف[1] .

(١٣٩٧) (منى) طخفة

قرأنا فى معلقة (**لبيد**) **بن ربيعة العامرى قوله** فى مطلعها :

عفت الديار محلها — فمقامها
(بمنى) تأبد غولها فرجامها

وتساءلت ، هل لا تزال (منى) هذه قائمة بمكانها وبهذا الاسم فى حمى ضرية من (نجد)

---

(١) (المنهل) : المعلومات المركزة التى أفاد بها القراء ، الأستاذ البحاثة الواسع الاطلاع والرائع البيان عن ماضى جدة قبل زمن عثمان رضى الله عنه هى تصوير حق للواقع التاريخى تصويرا جميلا .. وجدير بالذكر بالمناسبة أن هذا الواقع الحضارى لمدينة جدة قبل الإسلام قد فصل تفصيلا فى كتابنا (تاريخ مدينة جدة) .

حتى اليوم ؟ أم عفت منذ عهد صاحب المعلقة ؟ فما لها من أثر .

ولئن أبقى الله على العصور (منى) مكة إلى يوم القيامة بارتباطها بمناسك الحج .. فليس بعيدا أن تكون (منى لبيد) هذه بذاتها أو بما تحولت إليه بعده .. معروفة من أهل المنطقة الوسطى .. فان **لبيدا** قد أدرك الإسلام وأسلم ومات عام ٤١ هـ وكان من المعمرين فبلغ مائة وسبعا وخمسين سنة .. فورودها فى شعره يدل على أنها مما كان فى أواخر العهد الجاهلى وأوائل العصر الإسلامى .

وأرجو من سعادة الأخ العلامة الكبير الشيخ **عبدالله بن خميس** ، صاحب (المجاز بين اليمامة والحجاز) .. أن يكشف لقراء المنهل الأغر عن الحقيقة فى ذلك فهو (عذيقها المرحب .. وجذيلها المحكك) .. ولا ينبئك مثل خبير .

(١٣٩٨) حدائق (مكة) قديما وحديثا

استوقفنى أحد أبيات الرائية التى كان يحفظها وينشدها الحبر **عبدالله بن عباس** رضى الله عنهما .. تلك التى سارت بها الركبان ، وبقيت على كر العصور والأزمان ، وهى رائية **عمر بن أبى ربيعة** التى مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ؟
غداة غد ، أم رائح فمهجر ؟

وهو منها قوله :

واعجبها من عيشها ظل غرفة
وريان ملتف الحدائق أخضر

فتساءلت : عن الصورة التى كانت عليها بيوت مكة فى عهد **أبى الخطاب** فى القرن الأول الهجرى ؟ ووجدت الجواب فى بيته هذا الذى يستطيع الباحث الاستدلال به على أن « أم القرى » لم يكن عرانها يخلو آنذاك — من هذه الحدائق المؤنقة ، والأغصان المورقة ، والورود العبقة ، ولا سيما فى عواليها ، وضواحيها ، وفى منازل أهل النعمة والثراء من أهلها ، فليست كما يحسب البعض خاوية على عروشها .. أو هى رباعا مغلقة .. وهجالا مصوحة .. بل كان خلالها من الخضرة والماء الذى تروى به (طبعا) ما يجيش به صدر الشاعر فيورده فى غير تصنع ولا افتنات .

ولقدأدركت فى كثير من أحيائها ، أماكن شتى ، تغرد بها الأطيار وتتدفق النوافير .. وتتجاوب الألحان . وأتذكر أنه كان فى حى جرول وحده ما لا يحصر من الدواوين ذات الحدائق البهيجة .. والروائح الاريجة .. وكان آخر عهدى بها عام ١٣٣١ و ١٣٣٢ هـ وكذلك الحال فى الأحياء الأخرى ، بين الأبطح والحجون ، وما فوق ذلك ما دونه ، إلى وادى الزاهر وبساتين « المسفلة » وسفوح الجبال المطلة على (بركة ماجن) .. فقد كانت هنالك غابات من النخيل .. وأفواف من الزهور ، وكانت الأرض مكسوة بالخضرة فكأنما يسير المرء على بساط من السندس وما أزال أتمثل نسيم الأصائل .. إذا داعب اعشابها ، وهفهف أثوابها ، وهى متنزهات ، ينطلق إليها الشبان والكهول فى الأماسى وأصائل الجمع .. ولقد أنبأنا التاريخ القديم عن « الليط » ، الذى هو الآن (شارع المنصور) .. أنه غاية من التألق والتأنق فى الأزياء وقد وصفه الراؤون إبان زهوه وازدهاره بأنه كان

يسمى « الأقحوانة » لفرط خصوبته ، وأن أهل مكة كانوا يقصدونه عصر كل يوم .. للنزهة .. ويلبسون من الاردية والأكسية الزاهية اللامعة ما يحكى بألوانه (قوس قزح) .

واننا لنحمد الله تعالى أن هيأ (لمكة) ما عوضها عما افتقدت وما تزدان به شوارعها .. وتعذب به مشارعها وتشوق رياضها وتتضوع أرباضها فى عصرنا السعودى الزاهر وبفضل ما يغدقه عليها **جلالة عاهلنا المفدى** بهمة وإخلاص (أمينها) الناهض وابنها البار الأخ الأستاذ الكبير **عبدالله عريف** بارك الله سعيه وضاعف نفعه .. وأحسن مثوبته .. غير أنه لا تزال فى النفس حاجة إلى تعليل ظاهرة إنصراف الجمهور عن اتخاذ الحدائق كالسابقين الأولين .. ولا أجد لذلك سببا رئيسيا إلا عدم توافر (الرى) الكافى ، وسيزول ذلك إن شاء الله متى تحققت مشروعات المياه الجديدة .. وحصل الاكتفاء للمنازل إن شاء الله وكل آت قريب .

على أن العاصمة المقدسة قد اشتملت فى عصرنا هذا على الكثير من الحدائق العامة والخاصة ، ولا تزال فى تطورها آخذة الأفضل والأجمل .

ومن كان يظن قبل حقبة من الزمن أن (جدة) تصل إلى ما بلغته الآن من غضارة ونضارة وهى بعد ، فى أول الطريق ، وقد منحها الله بالعين العزيزية وبازالة الملح من مياه بحرها الأجاج ــ ما يجعلها ترفل فى حلل من النعيم .

واننا لنطمع من أمانة العاصمة ومن وزارة الزراعة والمياه أن تضاعفا من عنايتهما فى تزويد (أم القرى) بما يجعلها للنواظر قرة ، وللمدائن قدوة . وباسعافها بالبذور والغروس والورود والرياحين ، وبامدادها الدائم بالماء المعين وإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

(١٣٩٩) كسر القوارة او الكوز .. والرتيمة

قرأت فى أخبار العرب وعوائدهم الجاهلية « أنهم إذا نزل بهم الرجل البغيض أكرموه .. فاذا رحل كسروا شيئا من الأوانى وراءه حتى لا يعود » اهـ

قلت : فهذا إذن هو ما انحدر من ذلك العهد القديم إلى الناس حتى زماننا هذا ، فقد اصطلحوا على أن يقولوا فيمن يبارحهم من البغضاء (كسرنا وراءه قوارة) ! والقوارة من أوانى الشرب ما كسر فمه ، وهى عين ما جاء فى (الشعر الجاهلى) دفعا لهذه العادة ونهيا عنها .

ولا نكسر الكيزان فى أثر ضيفنا
ولكننا نقضيه زادا ليرجعا

وما أكثر ما خفى أصله من العوائد الذميمة ؟ حمانا الله منها .

وقد كانت العرب تتخذ ما يسمى (بالرتيمة) وهى ربط الخيط فى الأصبع استذكارا للحاجة .. وما أحسب أن فى ذلك بأسا بهذا القصد ، وهو ما اعتاده أهل البادية وبعض الحاضرة .. حتى زماننا هذا .

(١٤٠٠) ما هي البصارة بعد الموسم ؟

اصطلح الناس في الحجاز على تسمية الأشهر التي تعقب مواسم الحج (بالبصارة) بكسر الباء قبل الصاد وتفكرت مليا في علة هذه التسمية ! وأدركتها بعد طول تأمل .

فهي (البصارة) بفتح الباء لا بكسرها .. وهي من (التبصر) فكأنما أريد بها التفرغ لهذا التبصر .. بعد أن يفرغ الناس من مشاغل الحج .. وذلك في أمورهم الخاصة والعامة ودخلهم وخرجهم .. وسفرهم واقامتهم ، وتأمين حاجات أسرهم وكانت تعني غالباً خلوهم من أسباب الحركة الدينية المتصلة بالحج والحجاج .. خلال أشهره المعلومة .. وكانت البصارة ، تستغرق نصف السنة فقط .. فأما النصف الثاني أي من أول رجب — إلى غاية ذى الحجة — فانها مرصودة لاستقبال الوفود وحركة الركود .. وتكريس المجهود ..

فأما الدليل على هذا المعنى — فقد وجدته في كلمة للامام **ابن حزم** المتوفي سنة ٤٢٦ هـ . قال فيها يصف **اسلم بن عبدالعزيز** من أعيان أهل الأندلس وأجمل فتيانها : « وكان أسلم هذا من أهل الأدب البارع والتفنن مع حظ من الفقه وافر به وذا (بصارة) في الشعر ، وله شعر جيد ، وله معرفة بالأغاني « وتصرفها .. الخ » . اهـ .

فما من شك في أن الصحيح في « البصارة » ، هو بفتح الباء وأنها إنما تعني (التبصر) والاستبصار .. والتدبير ، والاستذكار .. وما أحسن أن نستمع إلى ما يرجحه فضيلة علامتنا الكبير ، صاحب المنهل الأغر ، في هذا الاستنتاج فهو بذلك (مصباحنا المنير) .. زاده الله علماً وفضلاً ، وأمد في عمره النضير [1] .

(١٤٠١) شتان بين « السانيين »

قرأت في تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، لمؤلفه : (الدكتور **أحمد محمود الساعاتي**) .. ما وراه عن الرحالة العربي (ابن بطوطة) الذي تجول في تلك القارة .. وهو أن الحكام المسلمين قد منعوا آنئذ ممارسة (الهنادكة) لعادة « الساتي » البشعة فلم يبيحوها لهم الا في أحوال قليلة نادرة وباذن من السلطان نفسه . اهـ .

ولم أكن أعلم قبل ذلك عن « الساتي » الا أنه نوع من الطعام اللذيذ يصطنعه اخواننا « الجاويون » أو الأندونيسيون في وجباتهم الغذائية ، ومطاعمهم الشعبية ، ومآدبهم الأخوانية وهو « اللحم المشوي » في الأسياخ الخيزرانية .. ويلتذ به كل طاعم وناهم وهاضم .. فعجبت ، وقلت : كيف يمنع هنالك ما لا حرج في أكله ولا تأثيم ؟!

وزال العجب عندما شرح المؤلف هذا « الساتي » الهندوسى — (لا الاندنوسي) .. بأن عادة الساتي هنالك هي اقبال المرأة الهندية على حرق نفسها حية مع جثة زوجها ما لم يكن لها ولد في الغالب . اهـ

---

(١) (المنهل) : ما أحسن هذا التحليل وهذا الشرح الذى أفضل به أستاذنا البحاثة الحصيف سعادة الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى ، فهو ابن بجدها وأهل مكة ادرى بشعابها وقطعت جهيزة قول كل خطيب .

قلت : ولعل الجامع بينهما في اللفظين واحد ويختلف في المعنى .. فكلاهما (شي ــ أو شواء) (وبضدها تتميز الأشياء) !

١٤٠٢ روائح الجنة في الشباب

قال **الجاحظ** : وقد سمع رجلا ينشد أرجوزة **أبي العتاهية** التي سماها « ذوات الأمثال » فلما بلغ قوله :

(**روائح الجنة في الشباب**)

قال للمنشد : قف ، ثم قال : انظروا إلى قوله : « روائح الجنة في الشباب » فان له معنى كمعنى الطرب ، لا يقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الالسنة الا بعد التطويل ، وادامة التفكير ..اهـ

قلت : فمرحى للشباب .. خلقا وخلقا .. وتأديباً ، وهمة وطموحاً ، وجسما وروحاً .. فهو للحياة ربيبها .. وهو السعادة جميعها .. و (**طوبى لهم وحسن مآب**) ما حفظوا التراث ، وحافظوا على الصلوات ، وحرصوا على الواجبات .. وتجملوا بمكارم الأخلاق وتزينوا بالباقيات الصالحات .. وكانوا قرة أعين لمن يعتز بهم من الآباء والأمهات .

١٤٠٣ كبينى كبمبنى

« ... ومن الأحماض أن أورد هذه الشذرة أو الخاطرة .. تفريجا لمن تصاعد بهم السن .. وتفريجا للقلوب من أشجانها المكبوتة .. ذلك أننا كنا في عهد الطفولة ـــ اذا عدنا من « الكتاب » بضم الكاف ـــ وفرغنا من « اللوح » و « المضر » و « الزية » ننطلق إلى الأزقة للعب مع اللدات والأقران في أصائل كل يوم .. وأتذكر أن من جملة تلك الألعاب ما كانوا يسمونه « كبينى كبمبنى » ولا أدري سر هذه التسمية حتى الآن) ، وما كان الا جمع أكوام من التراب واخفاء أى شيء من عود أو حجر في إحداها .. وفي يد كل منهما (طرة) ملفوفة تختلف رقة وشدة ، ويدورون حول تلك الأكوام في سباق تحدوه ضربات من خلف ، من ضريبه أو منافسه وكلاهما في ذلك سواء ليستخرج المخبوء فيها بالحدس والتخمين .. وبالطبع فان ما يخبأ بها لا يكون الا في غياب أو حجب عيون اللاعبين ، فمن أخرجه فهو الفائز بالشوط .. ومن أخفق فانه المغلوب ويتأخر حظه في الدور التالي ويتقدم عليه الأذكياء ..

وما كنت أحسب ذلك الا من المحدثات في العصور المتأخرة .. الا أنني وجدته قديماً جداً ومن العصر الجاهلي ، فقد جاء في معلقة « **طرفة بن العبد** » قوله :

(عدولية) أو من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاح طورا ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها ... كما قسم الترب (المفايل) باليد

فقد قال الشراح : « المفايل » الذي يجمع تراباً ويخبىء فيه شيئاً مثل الحلقة ، ويقسم التراب نصفين ويطلبه في أحدهما فان أصاب ظفر ، وان أخطأ قمر . اهـ

قلت : وبهذا الوصف تكون هذه اللعبة عربية قديمة .. معروفة تسلسلت خلال القرون الطويلة إلى عهدنا الذي أدركناه ، ثم ماذا ؟ طويت صحيفتها .. ولم يبق لها من عين ولا أثر الا أن تكون باقية في البوادي أو القرى التي لا تزال

محافظة على ما ورثت من عوائد وتقاليد وألعاب ، ولعل فضيلة علامتنا (**أبي نبيه**) مد الله في حياته وأمتعه بالصحة والعافية . يمدنا بشيء من ذكرياته في هذا اللهو البرىء الذي عرفناه بمكة أطفالا .. فقد يكون عاما في تلك الحقبة بالمدينة المنورة وغيرها .. ما دام هو من التراث الموروث المتعاقب ، ما أحسن ما اعتاض عنه الجيل الصاعد بالألعاب الرياضية المتنوعة (١)

(١٤٠٤) هضاب الزور بالطائف

هنالك يمين الداخل إلى الطائف المأنوس من طريق اليمانية وبالقرب من قصر « شبرى » هضاب ذات صخور ضخمة يطلق عليها « هضاب الزور » ــ وينطقونها بضم الزاي ــ والصحيح فيها أنها بالفتح ، وقد كان أهل الطائف اذا أرادوا في الرجبيات التجمع للخروج في ركبهم السنوي إلى زيارة المسجد النبوي ، يتواعدون على ذلك حولها ثم يصدرون .

وقد أنكرت منذ سمعتهم يلفظونها بالضم فلم أستسيغ أن تكون ــ للزور ــ أو التزوير وأيقنت أخيراً أنها محرفة فهي بالفتح و « الزور » هم الزائرون في الذهاب أو الاياب .. قال **عبدالله بن العباس الربيعي** الشاعر العباسي من رجز له :

يأبي « زور » أتاني بالغلس
قمت إجلالا له حتى جلس

---

(١) (المنهل) : هذه اللعبة فتشت فيما لدى من المراجع عنها فلم اعثر عليها لا فى مصر ولا غيرها .. كما أنى لا أذكر أن أطفال المدينة المنورة كانوا يلعبونها وربما كانت فى مكة المكرمة خاصة .. واسم هذه اللعبة « كيني كميني » يبدو عليه أنه ليس بعربى السمات .

قلت : ولم أعد أسمع منذ عهد بعيد بهذا الاسم .. وما يعرفه الا أهل الديرة القدامى ، وهي ظاهرة تدل على أن لها أمثالها كثيرة كانت فبانت .. وسبحان من له الدوام .

(١٤٠٥) جبل (الغمير) في الطائف

هناك في منطقة مدينة الطائف وفي أفقها الغربي جبل شامخ عظيم يشرف على أحياء (مسرة ، ومعشى ، وقروة) ويسامقها ، ويمتد من الشمال إلى الجنوب ولا يناوحه جبل آخر في الارتفاع ، وكل ما سواه مما حوله يعتبر كالهضاب ، ويطلق عليه اسم « الغمير » وطالما كساه « البرد » في مواسم الأمطار تاجا مكللا من الثلج .. وقد شهدته عدة مرات وكأنما هو في « بجاد مزمل » من ناصع البياض وفي « قمته » وعلى سفوحه يبقى البرد فيه يوماً وليلة أو أكثر في فصل الصيف .. فلا يكاد الناظر يرنو إليه حتى يحسب نفسه في ذرى الطود الأشم « لبنان »

وقرأت لابن **أبي حصينة** هذا البيت :

أقول لصحبي بجو « الغمير »
وقد ضل حادى المطايا وحارا

وقال شارحه : « الغمير » بالمعجمة ذكره ياقوت ، وهو عدة مواضع أحدها قرب ذات عرق في الحجاز ، وثانيها في ديار كلاب ، وثالثها في بلاد طيء عند « أجا » . اهـ

قلت : وأحسب أن ياقوتا قد أبعد بالغمير فشرق به إلى « ذات عرق » اللهم الا اذا كان حولها غمير غير هذا .

ولعل أستاذنا الجليل « أبا نبيه » يسعف القراء بما في محيط علمه الواسع عن هذا « الغمير » المغمور ، فانه أهل للبحث وهو من الصدور (١) .

(١٤٠٦) الميت والحي

قال دعبل بن علي الخزاعي — عفا الله عنه :

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره
ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت رديئ الشعر من قبل أهله
وجيده — حي — وإن مات قائله

قلت : وهكذا حمد الناس أمر بيته وقد تجاوز عمره ألف عام ، ولا يزال حيا يتمثل به الخاص والعام ، ولا جدال في أنه قرر فيه (حقيقة) لا يعتريها الابهام وليرحم الله الموتى وليعظم أجر الأحياء .

(١٤٠٧) سلم العمر

قال الأمير **أبو الفتح الحسن بن عبدالله** المعروف **بابن أبي حصينة السلمي** قبل ألف سنة من قصيدة طائية له :

كان الفتى يرق من العمر سلما
إلى أن يجوز « الأربعين » فينحط

قلت : وهذا التحديد ثابت لا مجال فيه للارتياب . فقد جاء في التنزيل الحكيم ، قوله تعالى : ﴿ **حتى اذا بلغ أشده ، وبلغ أربعين سنة** ﴾ .. فهو منتهي ما ينمو فيه الإنسان ، ثم يأخذ في الضعف والانحطاط الجثماني ﴿ **سُنّة الله ولن تجد لسُنّة الله تبديلا** ﴾ .

وهنا نرفع الأكف إلى الله جل وعلا ضارعين « أن يجعل الحياة زيادة لنا من كل خير .. والموت راحة لنا من كل شر » وأن يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ويحسن عواقبنا في الدين والدنيا والآخرة . بمنه وكرمه .

(١٤٠٨) من هو « القعدد » ؟

كثيراً ماكنا نسمع ولا نزال بعض المسنات من الأسر تقول لمن (يتشيطن) من الأولاد « العفاريت » : « أقعد .. عساك بقعدد » ونحسبها سجعا لا معنى له ، أو إشباعاً لا غناء فيه :

وقرأت في أبيات من قصيدة (**لدريد بن الصمة**) قوله :

أمرتهم أمري بمنعرج اللـوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم ، وقد أرى
غوايتهم ، وأنني غير مهتـد
وهل أنا الا من (غزية) أن غوت
غويت ، وأن ترشد غزية أرشد
دعاني أخي والخيل بيني وبينه
فلما دعاني لم يجدني « بقعدد »

---

(١) (المنهل) : أحسنتم فى التحليل والتعليق معا فالغمير عدة مواضع أجدها قرب ذات عرق فى الحجاز ، وموضع بديار بنى كلاب ، وغمير الصلعاء بديار طىء والغمير الذى عناه ابن أبى حصينة السلمى هو ، الذى بديار بنى كلاب عند التلبوث ، فهو من منازل قوم ممدوحه الأمير (ثمال المرداسى) . والبيت الذى أفضلم بذكره هو مطلع قصيدة ابن أبى حصينة فى مدح ثمال ، وقد وردت فى ديوانه المطبوع بدمشق ، ووردت فى باب شعراء بنى سليم عن كتابنا : (بنو سليم) وورد هذا الشرح للغمير فى هامش ص٤٨٥ من ذلك الكتاب ، الذى طبع فى بيروت ١٣٩١هـ — ١٩٧١م .

قال الشارح : « غزية » قبيلة من هوازن رهط الشاعر ، و « القعدد » : الجبان اللئيم عن المكارم . اهـ

قلت : فكأن العجوز اذا سخطت على ولد ما ، تمنت له أن يكون « قعددا » أو أن يسلط عليه « قعدد » .. ومحل الاستغراب هو أن كثيراً من الالفاظ لا تزال مستعملة بين ربات الحجال من عصور ممعنة في القدم ، وهي ذات معان قد تكون خافية عليهن « كسخامة » الطين .. وقد أوردتها قبل في إحدى الشذرات .

(١٤٠٩) « سلم » الرابح لا الخاسر

ورث **سلم الخاسر** (الشاعر العباسي الشهير) من أبيه مائة ألف درهم ، فأنفقها على الأدب ، وبقي لا شيء عنده فلقبه الجيران ومن يعرفه « **بسلم الخاسر** » ، وقالوا : (أنفق ماله على ما لا ينفعه) . ثم مدح « **المهدي** » أو « **الرشيد** » — وقد كان بلغه اللقب الذي لقب به — فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : « كذب بهذا المال جيرانك » . فجاءهم بها ، وقال لهم : « هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحت الأدب فأنا سلم الرابح ، لا سلم الخاسر » . اهـ « الأغاني »

قلت : ومهما يبذل في سبيل اكتساب العلم والأدب فانه مخلوف على صاحبه مادة ومعنى . ولذلك أمثال فيما يروي عن بعض الأئمة والفقهاء « وكل ميسر لما خلق له » .

(١٤١٠) الفتوت - والمشلتت

قال **محمد بن وهيب** : في القرن الثاني الهجرى : « جلست بالبصرة إلى عطار فاذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار « خلوقا » فقلت له : تجدها اشترته لابنتها وما ابنتها إلا خنفساء ، فالتفتت الى ، متضاحكة .. ثم قالت : لا والله ، لكن مهاة جيداء ، ان قامت فقناة ، وان قعدت فحصاة ، وان مشت فقطاة ، وأسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كفتياتكم اللاتي تسمنونهن (بالفتوت) ثم انصرفت وهي تقول :

ان الفتــوت للفتــاة مضرطــه
يكـربها في البطـن حتـى تثلطـه

قلت : ومن هذه الرواية — يظهر لنا أن « الفتوت » كان معروفا قبل ألف سنة في بيوت الناس .. وقد أدركناه إلى عهد قريب وكان مما لا يستغنى عنه غالباً .. فاما تتخذ منه « العريكة » بالسكر والعسل مع اللوز أو يؤكل مع الجبن وله لذة ونكهة جميلة .. لا سيما اذا كان سمن « بقريا » وكان إلى جانبه أيضاً ما يعرف بالفطير « المشلتت » وهو ما تخلط به بعض البهارات والحبة السوداء ويسقى بالحليب تارة .. ويكون منه أشكال من الثريد أو يؤكل بدلا من الخبز الخمير .. الا أن كليهما كما قالت الأعرابية بطيء الهضم ثقيل على المعدات الضعيفة ، وقد كاد كلاهما يندثر . فلا يعرف في أيامنا هذه الا في منازل بعض أهل الترف أو الخرف .

(١٤١١) (الشابورة) معروفة قبل ألف عام

لا تزال أسواقنا عامرة بمباسط ما يطلق عليه اسم « الشابورة » ولا يكاد يخلو منه بيت في أيام الموسم خاصة وهي معروفة للجميع شكلاً وموضوعاً .

وقد صادفت في « ديوان **ابن وليد التيسى** » الشاعر المصري المتوفي سنة ٣٩٣ هـ والذي عاش في القرن الرابع الهجرى ذكرها في أبيات له يصف طعاماً يتألف من الرقاق .. يحشى باللحم المفروم والبصل على طبقات و « كأنما هو ما نسميه في زماننا هذا بالمطبق » وربما كان بالغاً من الجودة والرقة واللطافة ما يسمى « بالسوبريك » وهو حلو ومالح . قال :

حتى اذا أنت أجدت فعله ... ثم جمعت في الرقاق شمله

صيرته يا ذا العلا السنيه ... « شابورة » ليست لها سمية

قلت : وبهذا تكون « الشابورة » من الطعام المعروف منذ ذلك الحين .. وهي أشكال وقوالب عديدة .. ومنها ما هو « كالكماج » لينا ، وما هو في القسوة كالحديدة ، وبارك الله في السمن والأبازير :

ولولا الحبة السودا ء ما كنا ازدردناها

(١٤١٢) (أوعد) بمعنى (وعد) احيانا

قرأت في السيرة النبوية عبارة تدل على أن (أوعد) تأتي أحيانا بمعنى (وعد) .. أو (واعد) فهذا **ابن إسحق** يروي عن **معبد بن كعب** أن أخاه **عبدالله بن كعب** حدثه أن أباه **كعب بن مالك** حدثه قال **كعب** : « ثم خرجنا إلي الحج (وواعدنا) رسول الله ﷺ (العقبة) أوسط أيام التشريق ، قال : فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي (أوعدنا) رسول الله ﷺ لها ومعنا **عبدالله بن عمرو بن حزام أبو جابر** سيد من ساداتنا .. الخ » .

قلت : وليس القصد ايراد القصة .. وانما الاستشهاد على أن (أوعد) بمعنى (وعد) مما هو مأثور في كلام العرب .. الا أن الأمثل والأفضل والأصح فيما غلب به الاستعمال وقام عليه الدليل والاستدلال هو أن (وعد) انما تكون بالخير (وواعد) في الزمان والمكان .. و (أوعد) بالشر .. كفانا الله السوء ، وقديماً قال الشاعر :

وانى اذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدى

(١٤١٣) « قاعة الشفا » بمكة

هناك في قلب مكة ــ وفي ناحية المسجد الحرام من الجهة الشامية ــ مكان أدركنا الناس يطلقون عليه إسم (قاعة الشفا) .

وكنت أحسب أن سبب التسمية أن كثيراً من (العطارين) وباعة العقاقير الطبية القديمة يملؤون الحوانيت حولها ــ قلت : لعل وجودهم بها ــ كان قديماً .. ولذلك كانت التسمية .

غير أنني وجدت أن لهذه التسمية سببا آخر قد يكون أمثل وأوجه .. وأدنى إلى الحقيقة .. وهو أن « أم السائب » « **الشفا بنت الأرقم بن هاشم بن عبدمناف** » ــ وهي زوجة **هاشم بن عبدالمطلب بن عبدمناف** » من عقائل مكة وبيوتها الكبرى .. لعلها كانت تسكن بهذه الناحية ولها (قاعة) فيها .. وعرفت بها واشتهرت حتى الآن ، وبذلك لا يصبح التعليل الأول الا وهما .. أما هذا فحقيقة تاريخية ولا يتسرب إليها الشك .. والله أعلم .

(١٤١٤) من شباب مكة : الامام الشافعي

قال الإمام **محمد بن ادريس الشافعي** (١٥٠ ــ ٢٠٤ هـ) (ما عبر أحد عن اللغة بأحسن ما عبر **الأصمعي**) . ويقول **الأصمعي** عنه وكان في سن الأربعين : « قرأت ديوان الهذليين على شاب من شباب قريش يقال له **محمد بن ادريس الشافعي** .

وكان شيوخ مكة يصفون **الشافعي** بالذكاء والعقل والفتوة والصيانة ويقولون (لم تعرف له صبوة) وقد علم القرآن وهو ابن سبع سنين وأبكى به الناس وهو ابن ثلاث عشرة .

ويقول **الشافعي** : « ما أفلح في العلم الا من طلبه في القلة .. ولقد كنت اطلب ثمن القراطيس فتعسر على » ! هذا وقد كان مسكنه بجنب (منى) ويهبط منه ويصعد إليه من المسجد الحرام في طلب العلم سائرا على قدميه يومياً .

قلت : وكذلك كان المثل الصالح والقدوة الحسنة لأهل جيله ، أو هو رمز للشباب الطامح المتحفز إلى كل خير ــ فهو فقيه في دينه .. ثابت في يقينه ، وهو فارس لا يشق غباره .. وهو رام لا يخطىء هدفه ، و و و .. ورغم يتمه واعساره فقد مكث في قبائل هذيل في العقد الثاني من حياته ليدرس أشعارهم ويأخذها عنه أمثال **الأصمعي** .

ناهيك أنه صاحب المذهب ومقرر الأصول .. فعسى أن يمنح الله أهل جواره بأمثاله من أعلام الإسلام وقد تيسرت لهم أسباب العلم والطلب .. وكوفئوا على ذلك بالمنح الوفيرة .. والمراكب الوثيرة والمراتب الأثيرة فهم بذلك أجدر وعليه أقدر والله أكبر ولِلّه الحمد .

وان اسماع العالم الإسلامي والعبارة المشدودة إلى ثمار هذه النهضة العلمية الفيصلية الرائعة وإلى أن يكتظ رحبات المسجدين الشريفين في مكة والمدينة بالمدرسين والعلماء العاملين فذلك سبيل المؤمنين وبه الظفر والفلاح والنصر المبين .

(١٤١٥) الآنسون : لا اليانسون

قال **شهاب الديوان أحمد الخفاجي المصري** (٩٧٧/١٠٦٩ هـ) في كتابه (شفاء الغليل) :

(آنسون) حب معروف يحصل بجزائر الروم وهو لفظ يوناني ، وعرفه المولدون ، قال بعضهم :

يا طبيبا بالآنسون يداوي
ليس ما بي يزول بالآنسون

داوني يا معـــذبي باسم قوم
أي وقت ذكـــرتهم آنسوني

وهذا الحب أو البزر أو البذر كثير الاستعمال فى العلاج ويصفه الأطباء حتى يومنا هذا للممعودين والممرورين ولتطهير الأمعاء .. ولادرار البول . وله خواص شتى أوردها صاحب التذكرة (داود) الانطاكي .. الا أن الناس يلفظون اسمه هكذا (اليانسون) وصحته باللام والألف الممدودة .

وقد كان أحد المعمرين المحافظين على صحتهم بعد الثمانين والتسعين لا يكاد يشرب غيره حتى ليستغنى به عن الماء كلما وجده .

وزاد الشاعر في خواصه ما اتفق له في (الأنس) والاستئناس وهو عقار يرفع به الله عن المريض بإذنه كل بأس ، والتجربة خير برهان .

(١٤١٦) الدهليز قديما هو « الصالة » حديثا

(الدهليز ــ بالكسر ــ هو ما بين الباب والدار ، فارسى معرب عن **الجوهري** ، وفي شرح الفصيح هو اسم الممر الذي بين باب الدار ووسطها ، عن **ابن درستويه** جمعه دهاليز ، قال **يحيى بن خالد** : ينبغي للانسان أن يتأنق في دهليزه لأنه وجه الدار ومنزل الضيف ، وموقف الصديق ، حتى يؤذن له ، وموضع المعلم ، ومقيل الخدم ، ومنتهي حد المستأذن » . (الخفاجي)

قلت : وبهذا الوصف الذي ينسب إلى **يحيى ابن خالد** ، نجد الدهليز في زماننا هذا هو ما يطلق عليه العصريون « الصالة » وقد روعيت فيها كل الشرائط أو الأسباب التي أوردها .

أما فيما مضى قبل نصف قرن .. فان الدهليز .. ان كان خاويا على عروشه .. وانما يسكنه البواب أحيانا .. وفي الدور الكبرى .. وقد أغنت الصالات الحديثة عن الصعود والهبوط ، وقربت بين الزائر والمزور . وأثثت بكل ما عز وغلا .. وهكذا الشأن في « الفنادق » المشهورة .. والمغمورة على السواء . والبقاء للاصلح .

(١٤١٧) خير الدنيا والآخرة

روي **أبو هلال العسكري** ٢٩٣ /٣٨٢ هـ في كتابه (المعجم) في بنية الأشياء بالسند إلى (**أبي حنيفة**) قال :

(سمعت **عطاء بن أبي رباح** يقول : دخلت على يوما وعلى ثياب جدد ، فقال : ان أول مروءة الإنسان نقاء ثوبه ، ثم اصلاح لسانه ، ثم اصلاح معيشته ، ثم التفقه في دين الله ، والتحبب إلى عباد الله ــ من رزقهن فقد رزق خير الدنيا والآخرة) .

قلت : انها لعبارة جامعة على ايجازها ، ولو اتخذ الناس منها طريقهم في هذه الحياة .. لأراحوا واستراحوا ، ففيها البلاغة والفصاحة .. وفيها الوجاهة والملاحة ، وناهيك بالتحبب إلى عباد الله ــ فانه يدل على السجاحة والسماحة .. (وأهل العقول في راحة) ..

١٤١٨ الصواب في الأسد لا الأشد

رفع رجل هاشمي يسمى (**عبدالصمد**) صوته في مجلس المأمون عند مناظرة .. فقال **المأمون** : (لا ترفعن صوتك يا **عبد الصمد** ، ان الصواب في الأسد ـــ لا الأشد) .

قلت : ألا ليت كل من يتحدثون أو يتبادلون الرأي .. يحفظون هذه الحكمة البالغة على ايجازها فكثيراً ما يرتفع الصوت بين المتناقشين .. حتى ليظن المستمع أنهم في مصارعة أو ملاكمة ..

ومخاصمة لا مفاهمة . ولقد ظفرت في حياتي كلها بها بما لا يتجاوز أصابع اليدين من ذوى الأناة والقادرين على ضبط أعصابهم ، وخفض أصواتهم .. والتأثير في محدثيهم .. في هدوء وطمأنينة وابتسام وبشاشة ، وطلاقة في البيان الهادي .. ولو عصفت من حولهم الأعاصير الهوجاء وهي موهبة عظيمة لا تقدر بثمن لمن يحرص على وقاره فهل نفطن لها ونعمل لها ونتواصى عليها ؟

١٤١٩ تجربة الجاحظ

قال **عمرو بن بحر الكناني الجاحظ** سنة ١٦٠ ـــ ٢٥٥ هـ : « اذا سمعت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئا ، فاعلم أنه ما يريد ان يفلح » اهـ .

قلت : فما أجدرها عظة بالغة .. يجب أن ترسخ في الأذهان وان تنطلق منها همم كل انسان ـــ إلى الاستفادة من كل ما سبق قبله من الإحسان والاتقان ، وان يضيف إليه ما يتأتي له بسعيه ووعيه من التكميل أو التجميل . والتأثيل والتمثيل ، ما انفسح به الأجل واسعفه الزمان ..

والا ـــ فلو اكتفى بما وجد لما برح مكانه ولبقى كلا .. لا يمنح ولا يكدح .. ولا ينجح ولا يفلح ولظل حيث هو .. ثقيل الظل محدود الامكان وهجيراه (كان ياما كان) ! وأذكر بهذه المناسبة (بيتا) ما ازال احتفظ به لأمير البيان (**شكيب أرسلان**) رحمه الله وهو :

اذا كان شأو الأولين مبرزاً
فكم فاتهم شيء أتاه الأواخر

ولا يحتاج ذلك إلى دليل أو برهان ، ففيه تجدد ويتجدد من العلوم والمخترعات الحديثة ما يشهده العيان (وكل يوم هو في شأن) .

وبذلك يتميز النشيط من الكسلان على أن ما يتصل بعبادة الواحد الديان .. فانه راسخ ثابت لا يتبدل ولا يتحول ، وعلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ دون سواهما المعول ، وبهما السلامة والنصر المظفر ما تعاقب الكون .

١٤٢٠ جـدة

... « جـدة » هنا لا تعني (عروس البحر الأحمر) ، هذا الميناء المعروف .. الذي تحقق ضم الجيم فيها بالبراهين الدامغة ، وانما هي اسم أحد أولاد جرم بفتح الجيم من (قضاعة) . قال ابن **عبدربه** في كتابه (العقد الفريد) : « ولجرم أربعة من الولد ، قدامة و « جدة » وملكان ، وناجية ، ثم استطرد فقال : ومن بنى (جـدة)

بنو راسب ، وهم بنو **الخزرج بن جدة بن جرم** » .

قلت : والعجيب في هذا « العلم » الآدمي ضبطه أيضاً بالضم (مشكولاً) .. وقلماً عرف بين الناس في زماننا هذا .. لانصراف الأكثرين عن مطالعة المصادر أو الموسوعات التاريخية والأدبية القديمة التي لا تحظى الا بمراجعة نادرة (والعلم بالشيء خير من الجهل به) .. و (كم في الزوايا من خبايا) ؟!

(١٤٢١) (هجاء) بين قبرين

قال **ابن خلكان** : « ... قال **ابن المزرع** — يعني يموت — حدثني من رأى قبرا بالشام عليه مكتوب : « لا يغترن أحد بالدنيا ، كأني ابن من كان يطلق الريح اذا شاء ويحبسها اذا شاء » .. وبحذائه قبر مكتوب عليه : (كذب ، لا يظن أحد أنه **ابن سليمان بن داود** عليهما السلام ، انما هو ابن حداد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها ، قال : فما رأيت قبلهما قبرين يتشاتمان » .

قلت : ولئن كانت هذه احدى الطرف ، فقد وقى الله الناس هذا التشاؤم القبورى ، انهم لم يعودوا يكتبون الشواهد على القبور .. لا بمدح ولا بقدح .. والا لعادت الحرب جذعة بين الموتى .. كما هي بين الأحياء ! وتلك دريئة كبرى دفع الله بها الشر عن عباده بالهدى ودين الحق شرعة من أرسله الله رحمة للعالمين — صلوات الله وسلامه عليه على وآله وأصحابه أجمعين .

(١٤٢٢) ماهي (البهدلة)

قال **أبو عبيدة** في (التاج) « ان أشرف بيت في مضر غير مدافع في الجاهلية بيت (**بهدلة**) **بن عوف بن كعب بن سعد بن زند بن مناة بن تميم** » .. وقد كان منهم **الزبرقان بن بدر** وفيهم كانت (الافاضةُ) من عرفات في الجاهلية حتى قال فيهم **أوس بن مغراء السعدى** :

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا (آل صفوانا)
ما تطلع الشمس الا عند أولنا ولا تغيبن الا عند أخرانا

قلت : ومما سار مسير الأمثال ما نسمعه من البعض وهو قولهم : « العز بهدلة » ثم تطور معنى (البهدلة) بين الناس فيما يتردد على ألسنتهم فصارت تدل على الفضيحة وكشف الحال وكل ما هو مذموم من الأقوال والأفعال !

ولم أستطع التوفيق بين مدلولها القديم ومفهومها الجديد ، فبدا لي أن أستفتى في ذلك أستاذنا العلامة (**أبا نبيه**) ليوضح للقراء الكرام .. ما هو الصحيح منهما ؟ وهل هناك تعليل أو تأويل لانعكاس المعنى بينهما ؟ فهي من الشيوع والتداول بحيث لابد من التثبت من أصلها وفصلها .. حتى لا يكون التلفظ بها (خبط عشواء) .

(١٤٢٣) ثمن الكبش في عصر الأمين

مما يروى عن **أبي نواس** أنه خرج يوماً يتنسم الهواء في أيام النحر ، فاستقبل اعرابياً يسوق غنما فقال له **أبو نواس** :

أيا صاحب الضان اللواتي يسوقها
بكم ؟ ذلك الكبش الذي قد تقدما !

فقال له الأعرابي :

ابيعكه — ان كنت تبغى شراءه
ولم تك مزاحاً بعشرين درهما .

فقال له أبو نواس :

اجدت — هداك الله — رد جوابنا
فأحسن إلينا ان أردت تكرماً .

فقال له الأعرابي :

احط من العشرين خمسا لانني
اراك ظريفاً — فانقدن وتسلما

ثم مر وتركه ، فقيل له اتدري من كان يكلمك ؟ قال : لا ، قيل له هو **أبو نواس** فرجع إليه وحلف عليه أن يقبل منه الكبش فقبله منه ، ثم سأل عن الأعرابي فأخبر بأنه باهلي .

فقال :

وباهلي من الأعراب ذى كرم
جادت يداه بوافى القرن والذنب
فان يكن باهلياً عند نسبته
ففعله (قرشي) كامل الحسب

قُلْتُ : ومن هذه القصة الطريفة عرفت ثمن الكبش في ذلك الزمن ، وبدا لى أنه مرتفع بالنسبة للقيمة الشرائية آنئذ للدراهم ، وعللت ذلك بكثرتها وتوفرها .. وقد مر بنا مثل ذلك خلال ستين عاماً خلت ، فقد هبط ثمن الكبش في ابان الحرب العظمى الأولى وفقدان النقد وقلته إلى ريال واحد .. وفي يومنا هذا بلغ ثمنه فوق مائة ريال — لكثرة المال وسيولته المتواصلة ، واستخلصت منها أيضاً أن من العامة من يطرب ويعجب بالأديب والشاعر حتي ليسخوله بما استطاع رغم فقره ومتربته ، وتساءلت عما اذا كان هذا قد بقى له اثر في عصرنا هذا وكان الجواب : (نعم ! نادراً ..)

(١٤٢٤) من هو المبلط ؟

قال صاحب كتاب « لحن العوام » **أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج الزبيدى** الاندلسي ٣١٦ — ٣٧٩ هـ :

« والمبلط » الذي لا شيء له ، كأنه لزق بالبلاط أنشدنا **أبو علي** قال : وأنشدنا **أبو بكر بن دريد** ، قال : أنشدنا **أبو حاتم** عن **الاصمعي** قال : أنشدني **خلف الاحمر** ، لبعض الرجاز :

(قالت : **أراه مبلطاً لا شيء** له)

وقال **الكسائي** : المبلط — أبلط الرجل فهو مبلط ، اذا افتقر .

قُلْتُ : فالكلمة عربية صحيحة .. وهي مما تداوله العرب قبل ألف سنة أو تزيد .. وما تزال تدور على الالسنة حتي يومنا هذا بنفس المعنى ، وقد زيد عليه أيضاً ما لم يكن من مدلوله قديما

وهو أنه أكل من حقوق الناس ما ستره واختزنه لنفسه .. وانما تميزها القرينة فاما هو الفقير أو المحتال .

(١٤٢٥) الوأواء الضاحك والباكي

كان **الوأواء الدمشقي** من شعراء **سيف الدولة الحمداني** .. وهو شاعر مطبوع عذب العبارة حسن الاستعارة .. ومن قوله في **سيف الدولة** :

من قاس جدواك بالغمام فما انصف في الحكم بين الاثنين
انت اذا جدت (ضاحك) أبداً وهو اذا جاد باكيء العين

قُلْتُ : ولو ضحك الغمام — لاشرقت الشمس ، وتبدد السحاب .. ولم يغدق (الحيا) ولو بكى ممدوحه عند سخائه .. لكانت الفضيحة الكبرى .. بأنه يتألم من عطائه وجوده ، فما أعجب المقابلة .. ولعل سعادة الأستاذ الكبير (**فكرى باشا أباظة**) قد اقتبس عنوان كتابه : (الضاحك الباكي) من هذين البيتين .. وان كان هدفه منه غير هذا الذي احتج به (الوأواء) وطوبي لمن وهبه الله نعمة الذكاء .

(١٤٢٦) الحياة بين الطول والعرض

قرأت كلمة بعنوان (الكيف والكم) لفقيد العلم والأدب المرحوم الأستاذ **أحمد أمين** قال فيها :

« روي ان **ابن سيناء** كان يسأل الله أن يهبه حياة (عريضة) وان لم تكن طويلة ولعله يعني بالحياة العريضة حياة غنية بالتفكير والانتاج ، ويرى أن هذا هو المقياس الصحيح للحياة .. وليس مقياسها طولها اذا كان الطول في غير انتاج .. فكثير من الناس ليست حياتهم الا يوماً واحداً متكرراً ، برنامجهم في الحياة ، أكل وشرب ونوم ، أمسهم كيومهم ، ويومهم كغدهم ، وهؤلاء ان عمروا مائة عام **فابن سيناء** يقدره بيوم واحد . على حين أنه قد يقدر يوماً واحداً طوله أربع وعشرون ساعة بعشرات السنين اذا كان اليوم عريضاً في منتهي العرض ، فقد يوفق المفكر في يوم إلي فكرة تسعد الناس أجيالاً ، أو إلي عمل يسعد آلافا ، بل قد تساوي عمر أمة ، لأن العبرة بالكيف ، لا بالكم » .

قُلْتُ : ما أعظمها تجربة وحكمة وعظة بالغة ! وما اجدر الناشئين من الجيل الصاعد بأن يحذقوها .. ويستلهموا منها ما تهدف إليه من معان هي (النور) وهي الطموح ، وهي التوفيق فما أكثر من عمر وعاش .. ولكنه لم يؤثر له ما يحيى به ذكره ، ويعظم نفعه وأجره .. فإنما **« الناس عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله »** وقلما أكثر وأنضج .. الا من كابد وادلج .. وسهر وانتج ، وكل من همه بطنه ، فما هو الا المعنى بما يتنادر به الظرفاء (من عرضه :— ضر طوله) .

نرجو ان (شبابنا) يحققون نظرية (**ابن سيناء**) .. فيؤثرون العرض على الطول .. وما منهم الا من تفخر به المواهب والفروع والأصول وتزين به الغرر والحجول .

(١٤٢٧) حلقات النبوغ

من آثار « المنفلوطي » رحمه الله قوله :

(.. والعلم سلسلة طويلة طرفاها في يدي آدم أبي البشر ، واسرافيل صاحب الصور ومسائله (حلقات) يضع كل نابغة من النوابغ في كل عصر من العصور واحدة منها . ولن ينفع المتعلم درجة النبوغ الا اذا وضع في العلم الذي مارسه مسألة أو كشف حقيقة ، أو أصلح هفوة أو اخترع طريقة ، ولن يسلس له ذلك الا اذا كان علمه مفهوماً لا محفوظاً ، ولا يكون مفهوماً الا اذا اخلص المتعلم له ، وأنس به انس العاشق بمعشوقه ، ولم ينظر إليه نظر التاجر لسلعته ، والمحترف لحرفته — إلي ان قال : ولا يزور العلم قلباً مشغولاً بترقب المناصب ، وحساب الرواتب ، وسوق الآمال وراء الاموال ، كما لايزور قلباً مقسماً بين تصفيف الطرة وصقل الغرة ، وحسن القوام ، وجمال الهندام » .. اهـ .

قُلْتُ : لقد أصاب المحز ، وطبق المفصل بهذه النصيحة الصريحة ، وعجيب أن يمضى عليها خمسون عاماً وكأنما يخاطب بها من عناهم اليوم ونحمد الله على أننا قد شهدنا من نبغ بذهنه وذكائه في بلادنا ومن حاول صنع (المكيفات) ونجح وأفلح في ذلك وهاهي ذى مكيفاته تغمر الأسواق والمنازل .. ولم يعوزه ذلك إلي شهادات ولا اجازات ، ولم يدرس في معاهد أو جامعات ، اللهم الا اخلاصه لما هدف إليه ، وحرص عليه .

فكيف بمن جمع الله له بين الدرس والتطبيق والبصر الحاذق الدقيق ، والذكاء الخارق العميق ؟

فما أحسب أمة في الأرض تجادل العرب في مواهبهم ، وقد شهد التاريخ لهم بالتفوق في جميع الفنون والعلوم .. وكانوا اساندة (الغرب) ابان ازدهار حضارتهم .. وسيشهد العالم قريباً باذن الله منهم وفيهم كل اية ان لم يؤمن بها اليوم فسيوقن بها في الغد القريب إن شاء الله تعالى .

(١٤٢٨) والله ـ ان عصيتنى لأطيعنك

بعث **رسول الله** ﷺ **أبا عبيدة بن الجراح** لامداد **عمرو بن العاص** رضي الله عنهما في غزوة (ذات السلاسل) وكان **رسول الله** ﷺ قد عقد له لواء .. وجعل معه سراة المهاجرين والأنصار في مائتين وأمره ان يكون **وعمرو** معا فلا يختلفان .

فلما لحق **بعمرو** أراد **أبو عبيدة** أن يومُ الناس ، فقال له **عمرو** : انما قدمت مدداً لي ، وليس لك أن تؤمنى ، وانا الأمير ؟! فقال المهاجرون ، وفي طليعتهم أبو بكر وعمر : بل انت أمير أصحابك — **وأبو عبيدة** أميرنا .. فقال **عمرو** : لقد امددت بكم فانا القائد ، فقال **أبو عبيدة** في سماحة ورضاء :

(انظرن **يا عمرو** تعلمن ان آخر ما عهد إلى ، **رسول الله** ﷺ ان قال : « **اذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا** » .. وانك والله ان عصيتنى لأطيعنك) .

قُلْتُ : طوبي لهم وحسن مآب .. طاعة لِلّهِ تعالى ثم لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ..

ثم ماذا ! .. تهديد هو أعذب من الشهد وأحلى .. ووعيد هو بالوعد اجدر وأولى ، فكيف

لا تدين الدنيا لهؤلاء الذين تطاوعوا وما تخالفوا .. وتكاتفوا وما تجانفوا .. فما كان لهم من هدف الا كل ما يحبه الله ويرضاه ، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون .

(١٤٢٩) قــائل البيت

قرأت في « المنهل » الاغر الصادر في رجب عام ١٣٩٢ هـ الجزء السابع ، في « ما اعجبني » لحضرة صاحب السعادة الأمير الاديب الأريب **سعود بن عبدالرحمن السديري** ـــ اطال الله عمره فيما يحبه ويرضاه ـــ تحت الرقم ٥١ تساؤله عن هذا البيت الشعرى :

يجود بالنــفس اذ ضن البخيل بها
والجود بالنفس اقصى غاية الجود

وقد رغب سعادته في معرفة من هو قائله وما هي قصته ..؟ واستجابة لذلك أبادر بهذه الشذرة تجاوبا مع سعادته .. وتحقيقا لرغبته واكبارا لشممه وشهامته ..

فقائل هذا البيت هو الشاعر الفحل العظيم « **مسلم بن الوليد** » الملقب بصريع الغواني .. وهو من شعراء العصر العباسى الافذاذ .. وكان على عهد « **الرشيد** » **والأمين والمأمون** .. وهذا « البيت » كان من بين مائة بيت تجمعها قصيدة طويلة أنشدها في الأمير « **داود بن حاتم بن خالد بن المهلب** » ومطلعها :

لا تدع بي الشوق اني غير معمود
نهى النهي عن هوى الهيف الرعاديد

وختامها هو :

عودت نفسك عادات خلقت لها
« صدق الحديث » و « انجاز المواعيد »

وفي وسطها :

ومجهل كاطراد السيف محتجز
عن الادلاء مسجور الصياخيد
تمسى الرياح به حسرى مولهة
حيرى ، تلوذ باطراف الجلاميد
قريته الوخد من خطارة سرح
تغري الغلاة بأرقال وتوخيد

وانه لوصف باهر مثير لم يسبق إليه : الخ ..

وهي مطبوعة في كثير من امهات كتب الادب وجاء البيت المسؤول عنه خلالها .. وهو يصف مواقف ممدوحه في حرب « الأزارقة » بسجستان .

حيث يقول :

اعذر من فر من حرب صبرت لها
يوم الحصين ، شعار غير مجحود
يوم استضبت (سجستان) طوائفها
عليك من طالب وترا ، ومحتود
ناهضتهم ذائد الاسلام ، تقرعهم
عنه ، ثلاث ، ومثنى بالمواحيد
« تجود بالنفس ، اذ ضن البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود »

قُلْتُ : فلعلى بهذا استطعت أن اقدم لسعادته طرفاً مما رغب فيه ولو موجزاً .. وما زلت من قرائه فيما يعجب ويطرب ، وان هذه الدالية لمن روائع الشعر العربي الخالد التي تتفجر من ثناياها ينابيع البلاغة والفصاحة وهي جديرة بالحفظ والتلقين ، لكل من يرفع راية المجد باليمين . وأشفع

ذلك بالشوق والحب والتقدير والاحترام لسعادة الأمير الكريم .

(١٤٣٠) من الحضارة الاسلامية

قال صاحب نفح الطيب وهو يتحدث عن العلامة **أبي بكر بن العربي** ، صاحب كتاب « العواصم من القواصم » عام ٥٣٦ هـ ، ناقلاً عنه : (أنه دعى لتناول الطعام في بيوب بعض الاكابر ، بدمشق الشام ،، وكان قد مر بها في طريقه من المغرب إلي العراق ، فرأى نهراً جارياً إلي موضع جلوسهم .. ثم يعود إلي جهة أخرى .. قال : فلم أفهم معنى ذلك حتي جاءت موائد الطعام في النهر المقبل إلينا ، فأخذها الخدم ووضعوها بين أيدينا .. فلما فرغنا ألقى الخدم الاواني وما معها في النهر الراجع .. فذهب بها الماء إلي ناحية الحرم من غير ان يقرب الخدم من تلك الناحية فعلمت السر ، وان هذا لعجيب) اهـ .

قُلْتُ : وهذا دليل قاطع على ما بلغته الاقطار الإسلامية يومئذ من الحضارة والنعمة والتنظيم ، واستخدام الهندسة والطبيعة في التأخير والتقديم .. ولم نسمع بمثله في هذا القرن العشرين ، ولو لم يكن فيه الا صيانة « الحرم » وعدم الحاجة إلي العديد من الخدم ، مع جمال المنظر والخبر .. لكان جديراً بأن يحتذى في كل مدينة تجرى من تحتها وحولها الأنهار .. واحسب انه ما زال نهر « بردى » متعرجاً في أكثر الدور والقصور حتي يومنا هذا .

(١٤٣١) اكره ان اتميز عليكم

« كان من حسن عشرة **رسول الله** ﷺ لاصحابه أنه كان في بعض الاسفار فأمر باصلاح « شاة » فقال رجل : علي ، ذبحها .. وقال آخر : علي ، سلخها .. فقال ﷺ : « وعلي ، جمع الحطب .. فقالوا : نحن نكفيك ، فقال : قد علمت انكم تكفوني ولكني أكره ان اتميز عليكم » .. ثم قام وجمع الحطب ..

قُلْتُ : ولقد كان العلية من الناس — كما شهدتهم بام عيني — وهم أهل القدر والقدرة والجاه والعراء اذا خرجوا للتنزه « للقيلة » أو « السمرة » في احدى الضواحي متأثرين بهذه الاخلاق النبوية الكريمة .. فتراهم يتقاسمون خدمة أنفسهم لا فرق بين كبير وصغير ، وغني وفقير ، فهذا يغسل القدور .. وذلك يتولى الطبخ .. وآخر يقوم بالكنس .. وغيره لتقديم القهوة أو الشاهي .. وهلم جرا .. حتي ليرضى أمثلهم بأن يمتهن بما يستنكف منه كل من هو دونه منزلة ومكانة .. ويستوى في ذلك الكهول والفتيان . ناهيك بمشاركاتهم في الالعاب الرياضية حتي « الكرة » و « الكبت » و « المزمار » .

ثم لم نعد نرى لذلك اثراً منذ أربعين سنة أو تزيد .. وكانما هم انما كانوا يتأثرون سيرة من أرسله الله رحمة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه .

(١٤٣٢) حمارة (الماء)

أخرج الامام **مسلم** عن **جابر** رضي الله عنه أنه « كان رجل من الأنصار ، يبرد له الماء — أى **لرسول الله** ﷺ — في « أشجاب » له على « حمارة » بكسر المهملة وتخفيف الميم والتنوين — من جريد » اهـ .

و « الحمارة » هي أعواد تعلق عليها اسقية الماء ، و « الاشجاب » — بفتح الهمزة وسكون المعجمة : جمع شجب ، وهو السقاء الخلق البالي .

قُلتُ : ولا أدرى ان كانت البادية في أيامنا هذه لا تزال تستعمل كلمة الحمارة للاعواد التي تعلق عليها اسقية الماء ، للتبريد .. أم هم استبدلوا بها غيرها ؟ ولقد شهدت أمثالها كثيراً لديهم .. فهي « ثلاجاتهم الطبيعية .. وما الطف ان يجدها الشارب في بطون الصحراء ، وعند اشتداد القيظ ، شديدة البرودة .. وبهذه المناسبة أتذكر كلمة » يصف فيها قائلها ألطف لياليه التي لا يحمدها : « ليلة كل ما فيها بارد . الا الماء » ...

(١٤٣٣) (زمزم) والعلم والعمل

حج الامام أبو بكر **بن العربي** في موسم سنة ٤٨٩هـ وأخذ عن محدث مكة ومفتيها **أبي عبد الله الحسين بن علي الطبرى الشافعى** (٤١٨ — ٤٩٨ هـ) . ومما تحدث به عن مكة ، قوله : « كنت بمكة مقيما في ذى الحجة سنة ٤٨٩ هـ وكنت اشرب من ماء زمزم كثيراً ، وكلما شربته نويت به العلم والايمان ، ففتح الله ببركته في المقدار الذي يسره لى من « العلم » .. ونسيت أن اشربه « للعمل » .. قال : « ويا ليتني شربته له حتي يفتح الله لي فيه ولم يقدر ، فكان صغوى للعلم أكثر منه للعمل ، واسأل الله تعالي الحفظ والتوفيق برحمته » اهـ

كذلك كان العلماء الافذاذ يتضلعون من ماء زمزم عاملين بما جاء فيه من الآثار النبوية الصحيحة : « **ماء زمزم لما شرب له** » وما ورد من مأثور الدعاء اثناء شربه : « **اللهم اني اسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء وسقم** » .

ويا ليت طلاب العلم في زماننا هذا — ولا سيما الذين هم على أبواب الامتحانات — يقرؤون ما دونه هذا الامام الكبير ويشربون من ماء زمزم ما استطاعوا بهذه النية الخالصة بقلب سليم ، وعقيدة راسخة ، واخلاص مكين و « **انما الأعمال بالنيات . وانما لكل ما امرىء ما نوى** » .

(١٤٣٤) (الله) و (بالله)

قال **ابن منظور** (٦٣٠ — ٧١١ هـ) في كتابه : « مختار الاغاني » :

وكانت **لابي العتاهية** بنتان تسمى احداهن : « **لِلّه** » والأخرى **بِاللّه** » ، فخطب **منصور بن المهدى** « **لله** » فلم يزوجه وقال : انما طلبها لأنها بنت أبي العتاهية ، وكأني به قد ملها ، فلم يكن

إلي الانتصاف منه سبيل .. وما كنت لأزوجها الا لبائع الخزف ، ولكني أختار لها موسراً » اهـ .

قُلْتُ : وأحسست أن كثيراً من القراء لم يقفوا على هذه التسمية الطريفة وتحفظ **أبي العتاهية** .. واختياره الموسر .. وهو رأى رشيد لو قرنه بصاحب الدين والتقوى ، فهو احق بها وأولى ولو كان متربا ، وكان ذلك منه برغم تزهده في شعره المأثور ..

(١٤٣٥) (الفدائيون) الأوائل

قرأت في « الاغاني » : « أن الناس لما التقوا يوم قس الناطف » .. كان مع الاعجام « فيل » يكر عليهم فلا تقوم له الخيل .. فقال **أبو عبيد بن مسعود** : هل له مقتل ؟ فقيل : نعم ، خرطومه الا انه لا يفلت منه من ضربه ، قال : فأنا اهب نفسي لِلّه . وكمن له حتي اذا اقبل إليه ضرب خرطومه بالسيف .. فرمى به .. ثم شد عليه الفيل فقتله ، ثم استدار فطحن الاعاجم وانهزموا .. وقد رثاه **أبو محجن الثقفي** » اهـ .

قُلْتُ : فهذا **أبو عبيد بن مسعود** احد أولئك الفدائيين الذين لم يعبأوا بالموت في سبيل الله .. وقد كانت حادثته في صدر الإسلام ، وفي عهد خلافة « **الفاروق** » **وقيادة سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنهما ..

وقد كنا خلال الحرب العالمية الثانية نعجب من الفدائية اليابانية التي كانت تتمثل في الجندى الطيار ، يقذف بطائرته وهو فيها على البوارج والمدمرات المعادية عبر المحيط الهادىء ليغرقها .. ويحرقها .. وهو أول الضحايا .. ونحسب ان ذلك من المحدثات الطارئة .. فاذا بالعربي المسلم يسبقهم قبل ألف وثلثمائة عام ونيف .

ورحم الله الصديق اذ يقول :

« احرص على الموت توهب لك الحياة » وأى حياة أفضل واكمل وأجمل من حياة الشهداء ؟

(١٤٣٦) الجمع في القصر

اتفق في احد الأيام ــ خلال السبعينات ــ ان تواعد أعضاء مجلس الشورى بمكة .. وكان منهم فضيلة المرحوم الشيخ **الطيب الساسي** ، على التوجه عصرا إلى جدة ــ للسلام على « جلالة الملك » .. فسأل الشيخ : أين يكون « الجمع » ؟ أى مكان الالتقاء .. فبادرته بقولي : « في القصر » .. فقال انها لطرفة أو نكتة ، فما اتفق قط أن يكون الجمع في القصر ولا العكس .. ولكنها صحت في هذا الجواب ، قال : ومن حقها ان تدون .. ولقد كان الشيخ **الطيب الساسي** رحمه الله ، صاحب خلق كريم ، وعلم غزير ، وأدب وفير ، ولا يحب عشيره أن يفارقه ، لما يتدفق به من الطرف والتحف . تغمده الله برحمته الواسعة .

(١٤٣٧) فأين « رقمتا مكة » ؟

قال زهير بن أبي سلمى :

ودار لها « بالرقمتين » كأنها
مراجع وشم ، في نواشر معصم

وقالوا : ان الرقمتين احداهما قرب المدينة

والأخرى قرب البصرة . اهـ

قلت : سبحان الله العظيم .. وأين اذن ما يطلق عليه أهل مكة سلفاً عن سلف « الرقمتين » في أعلى محلة « النقا » ومكانها لا يزال معروفا عند سكانها حتي يومنا هذا .. حتي لقد كنا أول عهدنا بمطالعة كتب الادب اذا قرأنا « بيتى الرقمتين » وهما :

رأت قمر السماء فذكرتني
ليالى وصلها « بالرقمتين »
كلانا ناظر قمرا ، ولكن
رأيت بعينها ورأت بعيني

قلنا ان الشاعر انما عنى « رقمتي » مكة ، بالذات .. حتي علمنا ان هناك « رقمات » أخرى ، فاستمسكنا بالأولى .. حتى يقوم الدليل على عكس ذلك .. ولن يتسنى هذا الا بمعرفة هوية القائل وزمانه ومكانه ، وقد ألف بعضهم شرحاً مستفيضا لهذين البيتين ، الا انني لم اظفر فيه « برقمتى مكة » أيضاً ، فهل يسعف أستاذنا الكبير أبو « **نبيه** » قراء منهله الاغر ، بما يميط اللثام عن هذا التجاهل لما صح به « التواتر » عبر القرون ؟ انه لفاعل ان شاء الله كالعهد به فى الانصاف والاتحاف بارك الله في حياته الحافلة بالافضال .

(١٤٣٨) هودج الثريا !

قال **عبدالله بن المعتز** ــ وهو الذى ضرب به المثل في الوصف :

كأن الثريا هودج فوق « ناقة »
يحث بها حاد الى الغرب مزعج
وقد لمعت حتى كأن بريقها
« قوارير » فيها زئبق يترجرج

وقد جاء في طرائف تقويم أم القرى : أن فصل « الجوزاء » تظهر فيه « الثريا » لجميع الأبصار .. فآثرت التذكير بهذين البيتين لمن يتفكر ويتبصر من ذوى الادراك ، والتأملات الشعرية عسى ان لا يفوتهم هذا « المنظر الرائع » .. ليتمكن من الاستيحاء في الأشجار ، ويتابع حركة « الثريا » وهودجها وحاديها وقواريرها وزئبقها .. عسى ان يلهم بما هو أجمع وأروع وأجمل وأبدع ، وهيهات ..

(١٤٣٩) (الخيف) ـ بالاندلس ايضا

جاء في « قلائد العقيان » هذه الابيات للوزير الاندلسى الكاتب **أبى القاسم بن السفاط** :

ويوم لنا « بالخيف » راق أصيله
كما راق تبر للعيان مذاب
وللموج تحت الريح منه تكسر
تولد فوق المتن منه حباب
وقد نجمت قضب لدان بشطه
حكتها قدود للحسان رطاب
واينع مخضر النبات خلالها
كما اقبلت نعمى ، وراق شباب

ونستخلص من ذلك أن العرب عندما حلوا بالاندلس وكانت قبلهم أعجمية لا تدرى ما هو الخيف ولا الحيف .. أطلقوا على ارباضها ومتنزهاتها نفس الاسماء المحببة إلي قلوبهم في اوطانهم « الأم » .. وأخرى هي ان شعراءهم نسجوا

على منوال اخوانهم واسلافهم من المشارقة في التغني ، بنفس المواضع ، وترنموا بها استذكاراً لماضيهم المجيد .. وما انساهم ما تقلبوا فيه من النعيم والرفاهية .. ما كان لآبائهم واجدادهم في صحرائهم — على جدبها — وقحولتها — من أدب لا يزال شذاه عابقا في رياض الآداب .. فكما أثر **لابن أبي ربيعة وللشريف الرضى** في حجازياته .. ما هو معروف ومدون ومألوف ، من الغزل والنسب والوصف والرصف ، فكذلك هم أعادوا التاريخ في المناطق التي عمروها ، وتركوا لمن بعدهم ما ورثوا عن أوائلهم حتي ليتوهم القارىء « خيف » **أبي القاسم** ، كانما يعني به « خيف منى » الذى يقول فيه **ابن أبي ربيعة :**

نظرت إليها بالمحصب من منى
ولي نظر لولا التحرج عارم
فقلت : أشمس أم مصابيح بيعة
بدت لك خلف السجف أم انت نائم
بعيدة مهوى القرط اما لنوفل
أبوها وأما عبد شمس وهاشم

يا لله كم من ركاز مطمور وكنز مغمور ، لو اتيح له الظهور لكان به الغناء عن كل مبتور ومثبور « والي الله تصير الأمور » .

(١٤٤٠) (الباى) هو (النهد)

اذا اجتمع فريق من الاخوان وارادوا الخروج إلى (متنزه) أو ضاحية جميلة ، اتفقوا على أن يدفع كل واحد منهم قدرا من المال إلي من يطلقون عليه اسم « القيم » أو (القيوم) .. ليقوم بتحضير اللوازم لهم من المرافق الضرورية ليوم (القيلة) أو (السمرة) .. ويسمون ذلك : (الباى) وما زلت في كربة من كل لفظ اعجمي تتعذر معرفة أصله وفصله ومصدره ..

وقد ظفرت اخيراً في العربية الفصيحة بما يحل محله — مادة ومعنى ، وذلك بهذا النص :

(تناهد القوم : اخرج كل منهم نفقة بقدر نفقة صاحبه ليشتروا (طعاماً) يشتركون في أكله ، واسم ما يخرجونه (النهد) — بكسر النون) اهـ .

فهل نطمع في ان يستبدل (الباى) الدخيل المجهول — بالنهد الاصيل المعلوم ؟ أم يستمر العرف جارياً .. ولو تحيرت فيه الفهوم[1] ؟

وعسى أن يقول (**أبو نبيه**) كلمته في هذا المظلوم .. فقد يذعن له فيه (البشاك) وما أدراك ما البشاك ؟ انها اخت (الباي) في التسلق من (الشباك) .. وقد نصبت بها الشباك بالاحتكاك دون احتفال باللوز أو (الزرنباك) ..

وما وجدنا السبيل إلي البديل ، وقام به الدليل فلا مناص من التصويب .. دون تثريب ..

---

(١) (المنهل) : ويبدو لي أيضاً انه يصح ان يطلق على (الباى) صيغة (الهداء) بكسر الهاء وفتح الدال المعجمة بعدها الف ممدودة فهمزة .. جاء في القاموس وتاج العروس ما نصه : (والهداء ككساء أن تجيء هذه بطعام ، وهذه بطعام فتأكلا معاً في مكان واحد) مادة (هدى) وهذا النص بنفسه يوجد في لسان العرب (لابن منصور) (مادة هدى) .

وجاء في (معجم متن اللغة) لأحمد رضا : (والهداء : أن يأتي كل بطعامه فيأكلوه في مكان واحد ، وقد وضع على هذا التعريف حرف (ز) وهو عنده بمعنى (المجاز) (راجع مادة هدى) وقد ذكره أيضاً بهذا المعنى (معجم الأطعمة) للأستاذ عبدالعزيز بن عبدالله الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ، الذي أصدره المكتب الدائم لتنسيق التعريب — راجع ص ٣٦ —

(١٤٤١) فتنة السراء

قال صاحب (العقد الفريد) : (.. وعن **رجاء بن حيوة** عن **معاذ بن جبل** . قال : (انكم ابتليم بفتنة الضراء فصبرتم .. واني أخاف عليكم فتنة السراء ، وهي النساء اذا تحلين الذهب ، ولبسن ريط الشام ، وعصب اليمن ، فاتعبن الغني ، وكلفن الفقير ما لا يطاق) . اهـ

قلت : يرحم الله (**معاذاً**) فكأنما سبق عصره بثلاثمائة والف سنة ، بما تخوفه من الناس .. وما أدري كيف يكون قوله هذا لو أدرك ما يعانيه الناس في زماننا هذا — لا من حليات الذهب .. بل و (الابلتين) ولا من ريط الشام وعصب اليمن فقط ، بل من منسوجات (القارات) ومصائب (**الموضات**) وتكاليف الحفلات .. وارتفاع المهور .. وما يتبع ذلك من نوائب وعواقب .. وإلي الله تصير الأمور ..

(١٤٤٢) (ولد) و (أب) و (أم)

قال (**أبو عتاب**) لأبيه — وقد وقع بينه وبين ابنه كلام — : « لولا أنك أبي ، وانك اسن منى لعرفت .. » .

وقال آخر : وقد سئل : ما بلغ برك بامك ؟ قال : « ما رفعت سوطى عليها قط . » اهـ .

قلت : كان هذا الابن وأبوه ، والآخر وامه من جملة الملح المنكورة التي تذكر في كتب الادب .. للتفكيه .

وأحسب ان أمثالهم في زماننا هذا لا يفتقدون .. وهم مع الانصراف عن « البر » يتزايدون ولا ينقصون ، وحتي يعلم هؤلاء ان « **الجنة تحت أقدام الامهات** » وما تعنيه الآية الكريمة : ﴿ **ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً** ﴾ .. وكيف كان بر **أبي بكر الصديق** رضى الله عنه بأبيه « **أبي قحافة** » وكيف عاتب **رسول الله** ﷺ صاحبه اذ جاءه به وهو كبير السن ليسلم .. لأنه تكلف . وقال له فيما روته كتب السيرة : ان **الرسول** ﷺ كان يؤثر ان يذهب إليه ..

أقوال إلي ان ترسخ هذه المبادىء الإسلامية في الناشئة منذ الطفولة .. فان الطين لا يزداد الا بلة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

(١٤٤٣) لا يعرف من الشر شيئا

قال **ابن الأثير** فى « **الكامل** » : **قال مجالد** : « ذكر رجل عند **عمر** رضي الله عنه ، فقيل : يا أمير المؤمنين (فاضل) لا يعرف من الشر شيئاً ، قال : (ذاك أوقع له فيه) ١هـ .

قُلْتُ : وروي لشاعر لا أتذكر اسمه قوله :

عرفت الشر ، لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من الشر ، يقع فيه

وما أحسب ذلك الا من باب التيقظ والحذر مما يمت إلي الشر من قريب أو بعيد بصلة ، وذلك نهي عنه لا أمر به لأن معرفته لا تعدو التفطن إلي مصادره وأسبابه للتمكين من الاعراض عنه وسد بابه .. فأما من كانت نيته بذلك الخبث

والاضرار ، فانه من أعوان الشياطين .. ونعوذ بالله من كل معتد أثيم ، و « **انما الاعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى** » .

(١٤٤٤) «قبل الفلكة» «سقاموية»

قرأت في « الكامل » **لابن الأثير** : أن أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه » خرج من « همذان » .. (فرأى رجلان يقتتلان) — هكذا — ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا : ياغوثاه بالله .. فخرج يحضر نحوه وهو يقول : اتاك الغوث .. فاذا رجل يلازم رجلاً .. فقال : يا أمير المؤمنين بعت هذا ثوباً بسبعة دراهم ، وشرطت أن لا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً .. وكان شرطهم يومئذ ، فاتاني بهذه الدراهم فابيت ، ولزمته فلطمني .. فقال للاطم : ما تقول ؟ فقال : صدق يا أمير المؤمنين ، فقال أعطه شرطه ، فاعطاه ، وقال للملطوم : اقتص . قال : أو اعفو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذلك إليك .. ثم قال : يا معشر المسلمين ، خذوه .. فحمل على ظهر رجل — كما يحمل « صبيان الكتاب » ثم ضربه خمس عشرة درة . وقال : هذا نكال لما انتهكت من حرمته .. » . اهـ

قُلتُ : واجتذب نظرى في الرواية .. أمران : (الاول) ان ما كان يقوم مقام (الفلكة) لصبيان الكتاب .. قبل اختراعها واصطناعها .. كان حمل الصبي على الظهر ثم ايجاعه بالضرب .. (طبعاً اذا أخطا) وهو ما يعبر عنه في أول عهدنا بالحياة (بسقاموية) أى كما يحمل السقاء قربته ..

و (الثاني) ان الملطوم ، وقد تنازل عن الاقتصاص .. أى اسقاط حقه (الخاص) وقام ولي الأمر بتأديب المعتدي لردعه وزجره وهو الحق العام ..

وفي القصة فوائد جمة أخرى لا تخفى على المتدبر ، والمتبصر .

(١٤٤٥) البد : امي اسكن

فصيحة صحيحة لا غبار عليها ، هذه الكلمة التي يتداولها عامة الناس وخاصتهم ، وهي (البد) اذا أمروا بكتم السر .. أو السكوت عن شيء ما أو السكون في مكان ما وعدم الحركة .. ويستوي في ذلك الكبار والصغار والرجال والنساء .

قال الاخطل ، يصف الصائدين :

دسم اللحائم ، مسح لا لحوم لهم
اذا احسوا بشخص نابىء لبدوا

قُلتُ : وقد اخذ الباحثون يحصون على العامة ما يخطئون فيه أو يغربون من اللغة ومن حقهم ان ينصفوا فيما حافظوا عليه من الصواب ويشكروا عليه (أيضاً) فما مكر بهم الا بالدخيل .. وما أكثر ما ينطقون به من الفصيح الاصيل .. غير انه يكاد يعتبر مع الكثير من الخطأ .. أقل من القليل .. أو هو القليل .. ولا غرابة في ذلك بعد ان اختلط بهم الحابل بالنابل عبر القرون الطويلة .. والاتجاه العربي كفيل برد الحق إلي نصابه ، والسيف إلي قرابه ، ان شاء الله .

(١٤٤٦) الشعر الموروث

قال أبو عبدالله بن سلام الجمحي ، المتوفي سنة ٢٣٢ هـ في كتابه : « طبقات الشعراء » : حدثني أبو عبيدة ان بشامة بن الغدر كان كثير المال ، وكان ممن فقأ عين بعير في الجاهلية ، وكان الرجل اذا ملك ألف بعير فقأ عين فحلها ، وكان قد اقعد ، فلما حضرته الوفاة لم يكن له ولد ، فقسم ماله بين أخواته واخيه : واقاربه ، فقال له زهير بن أبي سلمى وهو ابن أخته : ماذا قسمت لي يا خالاه ؟ فقال أفضل ذلك كله ، قال : ما هو ؟ قال : شعرى .. فيزعم من يزعم أن زهيراً جاءه الشعر من قبل بشامة » . اهـ

قُلْتُ : وكذلك كان تقدير الشعر في نظر أربابه .. حتي ليكون اغلى قيمة وأعلى منزلة من الثراء المادى .. غير ان توريثه لا يتفق في جميع الاحوال والاجيال . ولقد يتعذر على ابن الشاعر من صلبه ان يكون شاعراً .. فان الشعر المؤثر « هبة » لا يحظى بها الا الموهوب وما هو الا الارق والقلق .. و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق** ﴾ الا ان يكون دعوة إلي الخير .. ومكارم الاخلاق .. وان يلهم الهاماً .. ويتدفق سجاماً .. ويكون برداً وسلاماً .

(١٤٤٧) دان مسف فويق الارض هيدبه

قرأت **لاوس بن حجر** وهو من فحول شعراء **مضر** قبل الإسلام قصيدته الحائية التي يصف فيها البرق والسحاب والمطر . ومنها قوله :

دان مسف فويق الأرض هيدبه
يكاد يدفعه من قام بالراح
كانما بين اعلاه واسفله
ريط منشرة ، أو ضوء مصباح
ينفي الحصا من جديد الأرض مبتركا
كانه فاحص ، أو لاعب داح

قُلْتُ : وتذكرت بعض الامسيات في ذرى « الهدا » وعلى قمة جبل « كرى » وما شهدته فيها من دنو الأرض من السماء ، والسحاب من التراب .. وكيف يصعد من سفوح الطود الاشم .. قادماً من آفاق بعيدة ومن أسياف البحر الأحمر .. متجمعاً من بطون تهامة حتي اذا أقبل ، كالقطن المندوف وتسلق في تؤدة واناة عرانين الجبل .. رأيته كما يقول **أوس** :

دان مسف فويق الأرض هيدبه
يكاد يدفعه من قام بالراح

وفي رواية : يكاد يمسكه ..

فاذا ما التأم وانضم إلي بعضه ووجهته حيث اراد الله جل وعلا .. وانعقد بقدرة الله تعالى استهل برحمة الله المغدقة .

ولقد حدثني قبل خمسين سنة بعض أهل « الهدة » و « الشفا » انه احيانا يمنع الرؤية القريبة جداً حتي ليحدث ان يسقط الصغير وضعيف البصر في الآبار المفتوحة من ركامه الذى يتسلل بغتة فيحول بين العين وما ترى على امد قصير جداً .. ولقد كنت في احدى الاصائل حول منهل « المعسل » في أعلى المسافة إلي « الهدة » فما يزال يزحف زحفاً ويرجف رجفاً ويزف زفاً حتي لكانه الجراد المنتشر ، فاضطررت إلي الابتعاد عنه في الغرف قبل ان لا أرى شيئاً بسببه ، واحسب ان

ذلك هو الحال في جميع جبال السراة الشامخة .. وفي اعالي الحجاز وعسير ، سقانا الله الغيث وبارك فيه لعباده المتقين .

(١٤٤٨) « القعدد » مرة أخرى

تحدثت في شذرة سابقة لا أتذكر رقمها عن « القعدد » وما يعنيه قديما وحديثاً[1] .

واكتشفت اخيراً معنى آخر له في كتاب « جمهرة انساب العرب » **لابن حزم** (٣٨٤ — ٤٥٦ هـ).

فقد استطرد في صدر كتابه وهو يؤكد الحاجة إلي علم النسب .. والاحاطة به لاسباب تقتضيه شرعاً .. حتي قال :

(.. ومات بقرطبة سنة ٤٢٢ هـ **محمد بن عبيدالله بن عبدالله بن مروان بن عبدالله بن مسلمة بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم** الكاتب .. هو آخر من بقي من ولد **مسلمة بن عبدالرحمن بن معاوية** المعروف (بكليب) واليه تنسب (ارحي — أي ارحاء) كليب التي على النهر بقبلي قرطبة — فورثت انا ماله — **محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن بن عبدالملك بن عبدالرحمن بن سعيد الخير بن عبدالرحمن بن معاوية** (بالقعدد) ودفعته إليه ، وقضيت له به ، وما كان عند **محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن** هذا علم بانه مستحق هذا المال ، ولا كان له طمع في أخذه ، فلولا علمي بالنسب لضاع هذا المال وأخذه غير أهله بغير حق ، ومثل هذا كثير » اهـ .

وقال الشارح (القعده) أقرب القرابة إلي الميت) اهـ .

قُلْتُ : فما وسعني الا ايراد هذا الخبر بنصه وفصه ، ليعرف القعدد شعراً وشرعاً ﴿ **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** ﴾ .

(١٤٤٩) الشراة .. غير السراة

قال **النويرى** في كتابه « نهاية الارب » في المجلد الثامن عشر : « وقد روي أيضاً عن **سواد بن قارب** من رواية **سعيد بن جبير** نحو هذا .. الا انه قال : كان **سواد** في جبل من جبال (السراة) .. وقال : أتيت **رسول الله ﷺ** وهو بمكة ، وقد ظهر .. فاخبرته الخبر وبايعته » اهـ .

قُلْتُ : و « الشراة » — بالشين المعجمة — مما جاء في الشرح .. جبل شامخ عن يسار **عسفان** ، وبه سلسلة تذهب إلي ناحية الحجاز .

وبالطبع فانه غير « السراة » — بالسين المهملة — المعروفة الممتدة من الشمال إلي الجنوب لمسافة طويلة جداً .

غير ان محل التساؤل هو ان جبل الشراة لم يتداول ذكره بين المتأخرين .. وقلما سمعت حديثاً عنه في اوساطنا العامة والخاصة ولا ريب في انه معروف لدى أهله ومجاوريه ، فهل نطمع ان يوافينا « **المنهل** » الاغر مشكوراً بما يدفع الجهالة عنه .. ويعرف القراء بماضيه وحاضره وموقعه ومساحته وعلة تسميته ؟ فيروي بذلك كعادته الظمأى إلي المعرفة .

---

(١) « المنهل » : هذه الشذرة سبق أن نشرت في أحد الاعداد الصادرة في ١٣٩٢ هـ من هذه المجلة .

(١٤٥٠) بزرك ، اشكم

« عن **أبي سعيد التيمي** انه قال : كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان في السوق فاذا رأينا (**عليا**) ـــ أى ابن أبي طالب ـــ قد اقبل ، قلنا : بزرك أشكم . قال **علي** : ما تقولون ؟ قال نقول : عظيم البطن ، قال : أجل ، اعلاه علم واسفله طعام ، وكان رضي الله عنه عريض المنكبين ، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضارى ، لا يبين عضده من ساعده ، قد ادمج ادماجاً .. شثن الكفين ، عظيم الكراديس ، اغيد ، كان عنقه ابريق فضة ، اصلع ليس في رأسه شعر الا من خلفه » اهـ .

(الرياض النضرة)

قُلْتُ : في هذه الرواية عدة فوائد : الأولى : ان القوم كان منهم غلمان يبيعون المتاع أو الثياب على العواتق في الأسواق .. كهؤلاء الذين نطلق عليهم (الباعة السريحة) . وقد ادركناهم إلي ما قبل اتخاذهم (العربات) السيارة .. أو السائرة بالدواليب .

والثانية : استعمالهم اللغة الفارسية تهيباً واجلالاً .. والثالثة : حلمه ، عليهم واجابته لهم بدون ضجر ولا اشمئزاز !! واحسب ان الأولى ان لا يصطنعها الناس .. لما ينشا عنها من ظنون !! سواء بالمجالس العامة أم الخاصة فانها أفظع من المسارة بين اثنين ومعهم ثالث اذا ما تناجيا في حضوره و « **دع ما يريبك إلي ما لا يريبك** » .. والحمد لِلّه رب العالمين .

(١٤٥١) درع علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قرأت في احدى مطالعاتي ان أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه كانت له درع قاصرة على محيط صدره ـــ المواجه للعدو ، يلبسها عند الملاقاة .. فاما ما وراء ظهره فانه خال من أى تدرع أو وقاية .. وانه قيل له : لماذا لا تجعل درعك ، كما هو من الامام من الخلف ؟! فقال : « انما أتخذ ذلك فيمن يقابلني وجها لوجه .. فاما ان يكون من وراء ظهرى .. فانه لا يعني بذلك الا من يخشى الانهزام .. ويلحقه الضرب أو الطعن أو الرمي من خلفه مدبراً ، وهو يعدو !! فاذا كان ذلك ـــ ولن يكون ان شاء الله ـــ فلا أبقى الله من أبقى على » اهـ (بالمعنى لا باللفظ)

قُلْتُ : كذلك كانوا ... شجاعة واقداما وتوكلا وايمانا ... ومن الشعر الماثور عنهم في هذا المعنى قول **كعب بن زهير** :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيل

(١٤٥٢) الامام مالك واين كان يذاكر ؟

« قال بعض معاصرى امام المدينة **مالك بن أنس** رضي الله عنه : « رأيت (مالكا) فى حلقة (ربيعة) وفي أذنه شنف ، وهذا يدل على ملازمته الطلب منذ صغره ، وكان حريصاً منذ صباه على استحفاظ ما يكتب حتي انه بعد سماع

الدرس وكتابته يتبع ظلال الاشجار يستعيد ما تلقى . ولقد رأته أخته كذلك فذكرته لابيها فقال لها : « يا بنية انه يحفظ احاديث **رسول الله** ﷺ »

قُلْتُ : كذلك كان حال الجهابذة الاكابر فى الصدر الأول في تهيئة جو « المذاكرة » .. أو « التذكر » أو «التثبت » .. يلتمسون الخلاء والظل والشجر .. وما يستقر به الذهن .. ويستجمع القلب ، ويعين على الاستقراء .. هذا وهم بعيدون بطبعهم وبيئتهم عن الضوضاء .. ولا ثمة ما يشغلهم عن العلم من زخرف الحياة ومحدثاتها الجديدة ..

(١٤٥٣) العـــام - خطأ

تعارف الناس في بلادنا ــ على ان (العام) اذا أطلق فانما يعني به الحول السابق .. بينما كان لا يعني الا « العام الذى انت فيه » وصيغة (قابل) للثاني لانه يستقبلك وجمعة قوابل ، وصيغة (قباقب) (بدون ياء !!!) للعام الثالث .. وصيغة (مقبقب) للعام الرابع .. » اهـ .

قُلْتُ : هذا ما قرأته منصوصا عليه نصا في كتاب « الازمنة والامكنة .. سنة ٤٥٣ هـ وبه يختلف اصطلاحنا لتسمية العام الماضي ــ العام ــ فقط .. وكان القدامي يضيفون عليه كلمة (أول) ... أى الذى يسبق الذى هو فيه .. فيقولون (عام أول) فاما ما بعده فلا حاجة لهذه القافات كلها .. ولا (للقبقبة) ... بأشكالها المختلفة .

(١٤٥٤) هل هو ابو لهب او ابن عتيق ؟

عن يمين الذاهب إلي الزاهر (ضاحية مكة الشمالية) ثم التنعيم .. يقوم تل كان عظيماً جداً من الحصى المقذوف ، المتجمع خلال قرون عديدة . ويعرفه الناس بأنه (**أبو لهب**) .. أى ان **أبا لهب** دفن ثمة ورجمه السابقون واللاحقون والبادون والعاكفون ، وفيما قرأت من احداث تاريخ مكة المكرمة انه كان بها وزير ظالم غاشم يسمى (**عبدالرحمن بن عتيق**) .. وقد انتحر في سجنه سنة ١٠١٠ هـ ... خشية التعذيب ، قالوا : ودفن بهذا الموضع ورجم ، مما جعلني أميل إلي ان أسطورة (**أبي لهب**) انما حدثت بعده ..

وفي مطالعتي بامعان في رحلة **ابن بطوطة** ــ وقد حج عام ٧٢٨ وعام ٧٣٢ هـ واقام كثيراً بمكة فيما بينهما ــ وجدته يشير إلي هذا الموضع ويسميه (**بأبي لهب**) ! ومن هذا يتأكد انه الصحيح غالباً ، فما يتواتر الخبر عن كافة الناس من سكان ومجاورين بمكة دون ان يكون لذلك اصل أو اساس ، وقد زالت تلال الحصى .. وحتي الجبل المسمى ثمة (**بأبي لهب**) توقف منذ ٣٠ سنة قطع الاحجار للبناء منه لدور مكة وقد لا ينقضى هذا الجيل حتي يكون الجبل اثراً بعد عين !

هذا وقبلهما رجم قبر أبي رغال دليل الحبشة إلي مكة عام الفيل وهو بالمغمس بين الشرائع والجعرانة .

(١٤٥٥) ظلامة بنت الراجز ابي النجم العجلي

وصف **أبو النجم العجلي** الراجز بنته بين يدي **هشام بن عبدالله** فقال :

كأن **ظلامة** اخت شيبان
يتيمة ووالداها حيان
الراس قمل كله وصئبان
وليس في الساقين الا خيطان
تلك التي يفزع منها الشيطان

فأمر هشام بأن يعطي ما كان معداً للنفقة مع خازنه : ثلثمائة دينار ، قال : اعطه اياها ليجعلها في رجل **ظلامة** مكان الخيطين !

قُلْتُ : وقد ذكرتني (ظلامة) ـــ وقول أبيها عنها (الرأس قمل كله وصئبان) بأيام (المشقرة) والجدات . وبما كنا نراه في الصغر ، من تناول الفتيات كبراهن لصغراهن لتفلية رؤوسهن ... وتمشيطهن وعقص الضفائر .. وقعص الصئبان فوق الاظافر !! أو العجائز للشابات منهن ! ثم لم نعد نشهد ذلك في زماننا هذا ـــ وكأن الأمشاط والأدهان الحديثة و « الكريمات » قد اتين على آخر بقايا نسل التجميل القديم .. أو ان ذلك تحول إلي « تواليت الصبيان » والفتيان ، هنالك بالخصب والنماء !! واستغنى بآدم عن حواء ؟!

(١٤٥٦) ما هذه الاخلاق ؟

قال **معاذ بن سعيد** : كنا عند **عطاء بن أبي رباح** فتحدث رجل بحديث ، فاعترض له آخر في حديثه .. فقال عطاء : سبحان الله ، ما هذه الاخلاق ؟ ما هذه الاخلاق ؟ اني لاسمع الحديث من الرجل .. وانا أعلم به منه ! فأريه اني لا أحسن منه شيئاً » اهـ .

قُلْتُ : ولعل في ايراد هذا الخبر .. ما يقوى حرصنا على الاستماع دون المقاطعة أو المعارضة كما هو شأننا في زماننا هذا .. وازيد على ذلك ما هو معروف ، في اغلب ندواتنا .. فلا تكاد تميز من هو المتكلم ؟ ولا من هو السامع ؟ .. كلهم يتكلمون .. وواضيعة السامع ، كلهم يتكلمون ... !! ووافوات الفرص .. على من حرص على الاستفادة .. والاسترشاد ولا مراء في ان منا من هو مثل صالح للاصغاء والاستماع الحسن . ولا يلبث هذا الداء العياء ان يشفي باذن الله .. اذا وعينا ما قاله هذا الحبر التابعى الجليل الذى انتهت إليه (فتوى مكة) في زمانه .. رحمه الله ورضي عنه . « وعن كل من يستمع القول فيتبع أحسنه » .

(١٤٥٧) شد الحبال

ذكر **الفاكهي** : أن **علي بن الحسين الهاشمي** كان واليا على مكة في سنة ٢٥٦ هـ وقال في أوليات (مكة) « وأول من فرق بين الرجال والنساء في جلوسهم في المسجد الحرام : **علي بن الحسين الهاشمي** ، أمر بحبال فربطت بين الاساطين

التي يقعد عندها النساء .. فكن يقعدن دون الحبال ، اذا جلسن في المسجد ، والرجال من وراء الحبال » اهـ .

قُلْتُ : وقد أدركنا في حدود عام (١٣٢٥ هـ) قفصا كبيراً محاطاً بالشيش ومرتفعاً بقدر قامة الانسان في الركن الشرقي .. إلي يسار (باب علي) ، من جانب أبي قبيس .. وناحية (الصفا) .. وله أبواب للدخول والخروج ، خصص للنساء وجلوسهن وصلاتهن مع الجماعة ، خلف الرجال طبعاً فما بعده الا حائط المسجد الحرام ، ثم ازيل لأسباب قالوا انها .. اندساس بعض من لا خلاق لهم من الاخلاق .. أو الورع ، في ثياب النساء بينهن .. وعلى اثر اكتشاف ذلك جرى نقضه وازالته[1] . واتذكر انني اتمثله في ذلك المكان ، بصورة اشبه بالخيال ، لانني كنت آنئذ طفلاً .. لا اتجاوز السابعة بل ربما كان سني دونها — وما احسب هذه العلة — كافية لترك الحبل على الغارب في الاختلاط . فان في مشروع توسعة (المسجد الحرام) الجديدة .. ما يتيح أكبر فرصة لتخصيص جانب علوى وسفلى .. منها في الجوانب الاربعة للنساء دون الرجال ، حتى يتسنى لهن اداء الصلوات فيها دون حرج ولا احراج ، وتكون المراقبة دقيقة .. من قبل فضليات منهن يعهد اليهن بذلك كموظفات ومراقبات ومرشدات .. والله ولى المتقين .

(١) « المنهل » : وكذلك كان المسجد النبوي الشريف في جانبه الشرقي الشمالي قفص مماثل مصبوغ بلون أصفر برتقالي وهو مخصص لجلوس النساء وصلاتهن الجماعة ثم ازيل في عهد الحكومة السعودية لنفس السبب .

(١٤٥٨) المجس ايضـــا

قال طــرفة :ـــ

رحيب قطاب الجيب منها رقيقة
(بجس) الندامى ، بضة المتجرد

وشرحه التبريزي بقوله :ـــ

قال بعضهم : بجس الندامي : بما يطلب الندامي من اقتراحها وغنائها ١هـ . والجس بمعنى الطلب : اهـ .

ولا أرى غنية لاهل الغنآء عن معرفة السبب للتسمية (بالمجس) ، وان كنا نكاد نفجع فيه اخيراً بالتلقيح ، أو التطوير ، أو التدجين ، أو التهجين ... فما عدنا نحن الكهـول أو الشيوخ ... نهتز بما نعهده مما يجس النبض ، ويمس القلب ، ويضحك تارة ويبكى تارة أخرى من ألحاننا الشعبية الأصيلة ... ولست أنكر ان لها بقية وملامح وصوراً ذات تأثير بالغ لو أعيدت سيرتها الأولى ، وليكن التطور في المادة — فقط — بأشكالها .. أما الروح فلا سبيل إلى التسلط عليها بغيرها في كل عصر وحين ما أرانا نقول الا معاداً أو معاراً من شعرنا مكروراً ، وبارك الله في الاستاذ الفنان المبدع (الشيخ **محمد علي سندي**) .. ومن حذا حذوه من ذوى المواهب المقدورة المبرورة والنبرات المعهودة المشهورة وليتنا كنا في اللحن والشدو .. كما قال الشاعر .

١٤٥٩ ما احمله التاريخ

كانت تتردد على السنة العامة والخاصة بمكة المكرمة قبل خمسين عاماً ، خلت .. بعض الأمثال الدارجة التي لم يدركها المتأخرون من أبنائها حتى اندرست ، وباتت لا يعرفها الا من سمعها وعاصرها .. وهي ذات معان لا تخلو من هدف في تلك الأيام الماضية ، ومن الأمانة ان لا تحرم حقها في التنويه ولو بقصد الترفيه !! وهي :

المثل الأول ــ « بقرة مغامس » :

وكانت تطلق على الاكول النهم ذى الشراهة البالغة .. من الذكور أو الاناث على حد سواء ، فاما قصتها التي رواها أصحاب الاسنان والمعمرون فهي تتلخص في أن (أميرا لمكة) في القرون التى سبقت الالف ــ وكان يسمى (**مغامسا**) ــ كانت له (بقرة) ضخمة تنطلق مع كل صباح ومساء إلى السوق الصغير (أى بجوار مربضها أو مربطها) فتجوس خلاله وتلتهم ما تجد بين يديها من علف أو برسيم أو فاكهة أو خضرة .. ثم تغرس فمها في (الزنابيل) التي يرصها (الحبابة) في واجهة كل دكان لهم وهي من ذرة أو دخن أو حب أو شعير .. فلا ترفع رأسها عنها حتى تلتهم ما فيها أو أكثره !! .. وتنثر الباقي على الأرض وتقلب أو « تشقلب » الأصناف على بعضها . وتجعل عاليها سافلها .. وصاحب الدكان شاخص .. مغيظ لا يستطيع صدها أو ردها خشية من العقاب كما يتوهم ذلك ، لأنها (بقرة مغامس) الذي هو « سيدنا » آنذاك ، وان كان لا يدري بما تفعل البقرة في الناس ، وربما كان هذا العبث أو العيث منها ــ ناشئاً عن جوعها .. واختيان المسؤول عنها قيمة العلف لصالحه .. استغلالاً لضعف الباعة .. وجهلهم ــ فذلك هو الاجدر بالتصديق .

قال الراوى : فلما اشتد الاذى منها ــ وضاق ذرع أصحاب السوق من هجومها وبلائها اجتمع عقلاؤهم وتشاوروا فيما يصدها عنهم دون ضرر ولا ضرار .. فاتفق رأيهم على أن يتوجهوا إلى عالم كبير هو محل الاجلال والاكبار من (المغامس) وشكوا إليه ما يلقونه من (بقرته) النهمة فأمرهم بأن يوافيه منهم عشرون رجلاً صباح الغد ليصعد بهم إلى الأمير ويرجوه ان يأمر بحجزها عن الهجوم اليومي .. وفعلاً تجمعوا .. وتوجهوا إليه .. ولبس جبته وتقلد عمته .. وأسدل طيلسانه ونزل إليهم .. فما وصل إلي باب سيدنا الا كان أكثر من نصفهم قد توارى .. وانصرف ، وصعد السلم .. فلما انتهى منه التفت وراءه فلم يجد شخصاً واحداً منهم ، فتأسف وكاد يجزم بالعودة لولا أن خدم الأمير قد أشعروه بقدومه .. فدخل إليه وسلم عليه وجلس محتشماً موقراً محترماً .. وسأله الأمير عن أى خدمة يستطيع أن يقوم بها له ؟ .. فقال : المسألة بسيطة جداً .. وهي أن أهل السوق كلهم جاؤوا إلي ، يرجون توسطي لديكم لتأمروا بإضافة ثور الى البقرة التي تجتاح مبيعاتهم صباح مساء لأنهم يتباركون بها وما تمس شيئاً الا ويضاعف بيعهم منه وربحهم فيه ! فاستلغز الأمير ما سمع ؟! .. وقال هذا كلام وراءه ما يدل عليه ، ما هذا الذي تقول ؟ قال : ماذا أصنع مع هؤلاء القوم ؟ وحكى له ما كان من البقرة وما كان منهم ، وكيف أنهم هابوا الاقدام حتى على الشكوى ومعى أيضاً ــ وغادروني وحيداً .. فليس لهم الا أن يعاقبوا

بمضاعفة خسارتهم ما داموا جبناء !! فما كان من (مغامس) الا أن أمر بما يجب من حجز البقرة وعدم اطلاقها .. وشكر للشيخ وساطته وايقاظه من غفلته وانقاذه لرعيته وتعهد بأن يسدد قيمة ما سبق منها من تجاوزات لم يعلم بها قبلا .. واعتذر إلى الشيخ وأكرمه .. وانصرف من عنده منتصفاً لجيرانه واخوانه اهـ .

هذا ما كان من قصة (بقرة مغامس) فهي عبرة وعظة .. وعلى عهدة الرواة وذمتهم ..

المثل الثاني وهو (حمار الشيبى) :

كانوا يطلقون ذلك على أى رجل عريض الأكتاف .. فاذا جاء ذكره في معرض الانكار عليه أو في معرض المؤاخذة له أو التقصير منه قالوا : انه (قد[1] حمار الشيبى) أى قدر أو بقدر حجمه وجسمه وطوله وعرضه .. وكان ذلك فعلاً مما يتصف به هذا الحمار بين اخوته وعشيرته من (ربائط) أهل مكة التي يكرمها أهلها ويغذونها بالتمر والسمن وربما هو أقوى وأجدى منهما على حسب الهواية والطاقة والاستعداد والاعداد .. وما يتوخونه لها من حسن المنظر والمخبر .. والتقدم والتبختر .

وقد سمعت ذلك من المعمرين الذين أدركوه وعاصروه فعلاً قبل أكثر من قرن مضى ، وتحقق عندى من مصدر موثوق به أن رئيس السدنة في أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ــ ويسمى الشيخ **عمر بن جعفر الشيبى** ــ كان له حمار يشار إليه بالبنان .. ويضرب به المثل في التيه والاناقة .. يمتاز بشكله وهندامه .. وبرذعته ولجامه وكان يطلق عليه اسم جميل هو (اليعسوب) لرشاقته ولما له من سرعة قياسية في قطع المسافات حتى انه استطاع أن يقطع المسافة بين مكة والطائف ــ عن طريق (عقبة كرى) وقبل أن تمهد أو تسفلت ــ في مدة لا تزيد عن ست ساعات (والعهدة على الراوى) .. فكان جديرا لكل ذلك أن يضرب به أهل مكة (المثل) وأن يبكت على من كان في مثل منظره من الرجال اذا بدا منه عجز أو كسل أو تهاون في مهمة ما !! .. ولا يضرب الا في حالة السخط والمقت فقط على المقصرين والتنابلة . اهـ .

فاما المثل الثالث والأخير فهو :

« تيس الاغاوات »

قالوا : وأقول معهم : وقد أدركت ذلك إلي عهد غير بعيد ــ ان اخواننا الكرماء اغوات المسجد الحرام ــ وقد اوتوا من النعمة والرفاهية ــ ما مكن لهم أن يفعلوا الخير ما استطاعوه وكان لهم ميل كبير إلي اقتناء « الماعز » أو الغنم الحلب ــ بضم الحاء واللام جمع حلوب ــ المصريات بحيث لا يكاد يخلو بيت من بيوتهم منها .. ولهم عناية بها وترفيه لها في الغذاء والنماء .. وكان من تقاليدهم (الاحتفاظ) بتيس فحل ضروب ولا يقيد من مهمته الطبيعية الا العجز أو الهرم أو الموت !! وكانوا لا يضنون به على أصحاب المواشي من (الماعز) الأهلية .. فيستعيره أصحابها منهم أياماً أو ليالى ليضموه إلي ما لديهم من هذا النوع بعض الوقت بشرط أن يقوم المستعير باشباعه وارواؤه خلال مدة

---

(١) (المنهل) : قد : بفتح القاف وسكون الدال المهملة ــ يعنون بها « قدر » أى على قدره ومقياسه . ويبدو لي أنها فصيحة في هذا المعنى فمن المعلوم ان (القدُّ) بفتح القاف وتشديد الدال بمعنى (القدر) .

الاستعارة . وكان المستعير ، بدوره لا يبخل عليه بما يجعل مادته خصبة مجدية .. منتجة .. وبهذا كان أغلب النسل المبارك من صلبه مع (الزوم) و (الروم) و « الخيلاء » ! ثم تضاءل كسابقيه كل ذلك مما طويت به الصحائف كأن لم يكن يقدح الشرر بين عينيه ، ويسترضي سما يقدم له من علف مختار بين يديه . ولا مشاحة في أنه من الذكريات والسوالف ، والنوادر والطرائف ، وكفانا الله كل نقد زائف .

(١٤٦٠) بهمك سرح

قبل أربعين سنة — صعدنا مع جماعة إلي جبال الشفا .. وأقمنا يوماً في (الفرع) بأعلاه .. وكان الطريق إليه وعرا .. وارتياده صعبا .. وفي جلوسنا باحدى الكنائن .. بعد صلاة المغرب .. سمعت رجلاً « شفويا » يصيح في غلام له ، جلس تلقاء الباب .. الضوء خافت : يا ورع[1] « بهمك سرح » .. فرأيت الغلام يجمع ثيابه ، ويلم نفسه خجلاً ! وفطنت آنئذ إلي أنه لم يتنبه إلي انكشاف عورته .. فأنذره بهذه الجملة .. التي يقابلها عندنا في الحاضرة قولهم : « العود في خشمك[2] » ! وهي تؤدى نفس المدلول الأول . الا انني استطرفت المصطلح البدوي وآثرته على الحضري ، فما يعرف هذا (البهم) .. أو السرح ... كا يألفه الرعاة .. الوعاة !! وقديماً تلقي أئمة اللغة موسوعاتهم من بطون الصحراء ، ومن أفواه العرب الاقحاح .. ولا يزال في أنسالهم « ذخائر » لا تثمن .. وما أجدرها أن تدون وتؤمن .

(١) الورع : بكسر الواو وسكون الراء بعدها عين ، بمعنى (الولد) .. وهي من عامية بدو هذه البلاد .

(٢) الخشم بمعنى الأنف . وهي من عامية هذه البلاد أيضاً .

(١٤٦١) الشبكة ـ والاحوص

قال **الاحوص** الشاعر المدني .. في أوائل العصر الأموي قصيدة غزلية جاء فيها :

أحل النعف من « أحد » وادني مساكنها « الشبيكة » أو سنام
سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

« والنعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي ، فما بينهما (نعف) وسرو ، وخيف . وأحد : جبل في شمالى المدينة كانت عنده الغزوة . والشبيكة : بهيئة التصغير موضع بين مكة والزاهر .. وسنام : جبل بالحجاز بين ماوان والربذة ..» اهـ .

قلت : وبهذا — وبما روي قبله عن مقبرة الشبيكة وأنها كانت قائمة قبل ظهور الإسلام ! وكانت لقريش البواطن . تكون هي و (اجياد) من اعرق حارات مكة المكرمة .. أما ما انفصل عنها بين حدودها الأولى حارة الباب وجرول فهما حديثا عهد اذ لم يرد في الشعر القديم عنهما شيء فيما قرأت ، ولكنني علمت من أهل السن أن حارة الباب كانت إلي ما قبل قرنين ، من الشبيكة ثم انفصلت عنها .

(١٤٦٢) متى يحسن العي

مما رواه الإمام **تقي الدين الفاسي** المكي المولود سنة ٧٧٥ هـ والمتوفى سنة ٨٣٢ هـ في تاريخه الشهير : (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) وقد وفق الله تعالى إلي طبعه على نفقته الخاصة حضرة صاحب المعالي الوزير الجليل نصير العلم والأدب المرحوم الشيخ **محمد سرور الصبان** أحسن الله ثوابه على أعماله الصالحة ومآثره الباقية ــ قول التقي : (قال **محمد بن عبدالعزيز**) **الدينوري** ، عن **محمد بن سلام الجمحي** ، قال **سعيد بن العاص** : لا أعتذر من العي في حالين : اذا خاطبت سفيها ، أو طلبت حاجة لنفسى .. اهـ .

قُلْتُ : هذا ما اعترف به طائعاً مختارا ورآه مكرمة لا مثلمة (عكة العسل) واكرم العرب ــ **سعيد بن العاص** ــ وقد ورد فيه الأثر الشريف كما رواه المؤلف نفسه عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة إلي **رسول الله** ﷺ ببرد فقالت : اني نويت أن أعطي هذا البرد اكرم العرب .. فقال : (أعطيه هذا الغلام) يعني **سعيد بن العاص** وهو واقف ، فبذلك سميت الثياب السعيدية .. اهـ ، وما أحسن ذلك من خلق نبيل ، وصفح جميل ، وورع لا يحظي به الا القليل ، وما كان أكرم العرب قاطبة الا خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وان من كرمه الذي لا يحد ايثاره (ابن العاص) بهذا البرد المشروط .

(١٤٦٣) البدر والكتان

في تراثنا الأدبي القديم من الطرف والتحف .. ما تمتلىء به النفوس غبطة ، والالباب حكمة ، والصدور انشراحاً ، ومن ذلك قول **أبي المطاع بن حمدان** :

ترى الثياب من الكتان يلمحها ... نور من (البدر) أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها ... والبدر في كل وقت طالع فيها

وقال ابن طباطبا العلوي :

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر ازراره على القمر ؟

قُلْتُ : فهذا بعض اثر أو تأثير ضوء القمر على ما في الأرض من النبات ، ومنه الكتان .. وله في الخصائص الأخرى ما لا يكاد يحصيه الا الراسخون في العلم ولو تحول إلي سطحه سكان الأرض أجمعون .. لانقطت بهم أسباب الحياة .. وبقي يؤدي ما خلق له في مداره حتى تطوى السماء كطي السجل للكتب .. وما أجمل ما قاله الشاعر فيه أيضاً :

والبدر كالمرآة غير صقلها ... عبث الغواني فيه بالأنفاس

فكيف اذا ــ تحول إليه أذى الناس ..

(١٤٦٤) حيلة لئيمة

قال **أبو عبيدة** : قال **بشار** الشعر ولم يبلغ عشر سنين ، ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرة اللسان .. قال : وكان بشار يقول : هجوت جريراً ـــ فأعرض عني واستصغرني ولو أجابني لكنت أشعر الناس .. اهـ

قُلتُ : ومن هنا نستطيع ان نتبين وسائل الذين يتعرضون لمن تسنموا (القمة) .. في كثير من التجني والتجاوز .. ليلتفتوا إليهم .. وليظفروا منهم بما تعذر على **بشار** ان يحظى به قبل ألف ومائة عام من ابن الحفظة رغم مكانته ، التي لا تنكر ، وهو الذي يقول :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما اعرنا سيداً من قبيلة
ذرى منبر صلى علينا وسلما

(١٤٦٥) النقيضان

قبل نحو من ٥٤ سنة خلت ، قرأت في رسالة رسمية من شخصية كبيرة آنذاك بيتا استشهد به في موضوع يتصل بسوء الاختيار لرجل طلبه ليعمل في وظيفة تعليمية فخاب رجاؤه فيه .. فقال متمثلاً :

اذا كان الغراب دليل قوم
يمر بهم على جيف الكلاب

وقرأت الآن ـــ بعد مرور هذه الحقبة الطويلة من الزمن في (نزهة الجليس) ، **للعباس بن علي بن نور الدين المكي** المتوفي سنة ١١٨٠ ما يناقض البيت الأول على خط مستقيم وهو :

من كان الهزر له دليلاً
يمر به على ورد نضيد

فسرني ان أظفر به وان يكون بديلاً عن الأول ولو في ذات نفسي فقط .. فهو بشذاه الفواح .. قد اغني عن الجيف والنباح ، وما أحسن ان يلتزم الانسان في خلقه ونطقه ما ينضج به القلب ، ويطرب به الفؤاد ويرتاح .

(١٤٦٦) منهل الرحلات الملكية

لاستاذنا الكبير صاحب مجلة « المنهل » أياد بيضاء على معاصريه بما أنتجه وأخرجه من المؤلفات الشائقة ، التي لم يسبق إلي مثلها .. في مجالات الأدب والعلم واللغة والتاريخ والاجتماع والرحلات ، وهي جميعها ما برحت المصابيح تنير السبيل أمام الأجيال الصاعدة .. وكم تحمل من الجهد والعرق والسهر والبذل السخي في جمعها وطبعها ، وفوائدها ومنافعها الخالدة ؟

وأحدثها وأثمنها وأجملها عدد المنهل الأخير عدد « ذي الحجة » الذي جمع فأوعى رحلات الخير والسلام ، والتضامن الإسلامي ـــ الذي قام بها طويل العمر جلالة الملك المفدى امام المسلمين ـــ في البلاد الإسلامية الشقيقة ـــ وما دار فيها من الخطب الملكية واستوعبت الكثير من المعلومات القيمة التي هي الحقائق المجردة .. دون زيف أو تزيد .. أو افتعال .. تلك الرحلات التي كان لها من الآثار العاجلة ما لا يجهله العالم كله .. قديمه وجديده .. وشرقه وغربه ..

انها ــ ورب الكعبة ــ لغرة في جبين النهضة السعودية الكبرى .. وبها يدرك كل متعقب مدى المكانة التي بوأ جلالته أمته منازلها في العالم الإسلامي .. بل انها في عرضها وجمالها لاحدى الأدلة الراهنة ، والبينات الساطعة على المجهودات التي يعتز بها كل من يؤمن بالله واليوم الآخر .. ومثل ناطق بما لجلالة (فيصلنا) العظيم من جهاد في سبيل الله والدعوة إلي دينه القويم وصراطه المستقيم .

وان من حق ناشرها أن نشيد بما له من فضل كبير وما يتحمله من مشاق ، ويبذله من تضحيات ــ ويتجشمه من عناء وسهر ، ويبرزه من عرائس ونفائس .. كلما اقتنص الفرص فدون ما يجب أن يحفظ للأجيال المقبلة من مظاهر التقدم والتطور وما يكتشفه من الآثار ويعضد من بواعث الاعتزاز والافتخار ..

فهنيئاً لسيادته بما وفقه الله إليه مما لا يشاركه فيه منافس .. ولا يزاحمه فيه صاحب يراع أو بيان . وان مأثرته هذه لتضاف إلي كثير من انتاجه الثمين وتآليفه القيمة .. وان مكافأته على ذلك بالنسبة لكل سعودي وعربي لا تقدر بثمن .. ومن حقه علينا جميعاً أن لانضن بما نستطيعه من المشاركة معه في استدامة هذه المآثر والمفاخر .. وذلك باستقطاب جميع النسخ المطبوعة من هذه الرحلات وأخواتها من قبل ومن بعد .. فحسبنا منه توفره على نسج أبرادها ، وتقديمها في أبهى الحلل وأجملها ، وبهذا يتسع المجال .. للاستزادة في هذه الذخائر الباقية .. وهي الاجدر بالاقتناء .. وندعو له بدوام الصحة وطول العمر ، وحسن التوفيق ، فهو بذلك جدير ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله .

أمد الله في حياته .. وأعانه على بلوغ أهدافه ، وزاده فضلاً ونعمة وشكوراً .

(١٤٦٧) الغيم السكري

كان يوم الخميس الموافق ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٩٢ هـ من الأيام التي عهدناها في شرخ الشباب وعنفوان الصبا ــ من حيث الجو الذي يضطر الناظر إليه إلي الاسراع لانتهاز الفرصة المتاحة به .. كما كنا وكان الناس قبل عقود من السنين .. فلا يكاد الغيم السكري .. يبدو في الافق المحيط بأم القرى .. حتى ترى « البشاك »[1] .. مبكرة إلي الجبال و « المصافي » و « منى » و « الجعرانة » و « الشهداء » أو « الزاهر » أو « وادي فاطمة » وقد أعدوا معهم الغذاء المناسب من « المبشور » أو « السلاة » .. أو السليق أو الندى .. أو حتى « المعدوس » والمخلل !! ويظلون مستمتعين طيلة يومهم ، حيث كانوا في أنس وحبور ، وبهجة وسرور ، بين أناشيد شائقة أو « مجسات » رائعة .. أو اوتار خافقة .. متلفعين بالاصواف .. مولعين بالاتحاف والاطراف ، ومنهم من يقضيه في النوادر أو الفكاهات ، أو في الالعاب الشعبية .. كالمزمار .. والزومال ، ولا تبخل عليهم السماء بالرذاذ تارة .. وبالطل والوبل تارة أخرى ، وربما جرفت السيول .. وهم بين الكهوف أو على الشعاف والذري .. في مرح وفرح ، وانطلاق من كل قيد ، أو تزمت مع المحافظة على الأدب وأداء الفروض .. وايثار للاخوان .. وتوقير للكبار ، ومجاراة للصغار ، وعطف على الفقير ، وتجاوز عن الزلات ، وتسامح في المعاشرة يضرب به المثل ، ثم

يعودون إلي منازلهم وكأنما استأنفوا الحياة من جديد . وقد انصرف الكثيرون منا عن ذلك في هذه السنين الأخيرة ، لانصرافهم إلي المشاغل والمشاكل ، وانقطاعهم إلي الجد المحض .. نسيانهم أنفسهم في غمار الحياة المتدفع ، كالأمواج الهادرة ، فلا تكاد تجد — اذا بدا لك أن تحيي هذه العوائد الجميلة — من يشترك معك فيها ولو بحثت عنه — بمصباح « ديوجنيس » !! — ولله الخلق والأمر . وان تعجب فعجب أن الدراهم كانت عزيزة .. ولا تتوافر الا لأفراد يعدون على الأصابع وأن كثيرين لا يملكون الا الكفاف مع العفاف ، واليوم فاضت الفلوس ، وشحت النفوس .. وتكاثفت الهموم مع كل ما ترفل فيه من أمن ونعمة ورغد ووفر .. ورزق كريم !!

ثم ماذا عن هذا الغيم الذي وجدنا من قبلنا من الآباء والأجداد يطلقون عليه « السكري » أهو لانه ابيض لا يشوبه سواد أم لأنه — بمثابة طعم السكر — في الارتياح به ، والانبساط فيه ؟ فما احسب ان غير أهل الحجاز — يصفونه بذلك ..

ولقد اشاد (**طرفة بن العبد**) في قلب الجزيرة — كما جاء في معلقته المشهورة .. بالدجن .. وهو الغيم الاسود الغزير المطر .. فقال :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنـــة تحت الخبـــاء المعمــد

ويظهر ان من الاذواق مالا يسر بالرعود والبروق الوامضة ، والرياح العاصفة .. ويريد الغيم صافي الاديم .. هادىء النسيم ، وليكمل لها الايناس ، ولا يزعجها الخوف من الالباس ، أو الالتباس أو الباس كما يكون التهام (الحلوي) .. في اطباق من الماس .. فإذا لم يكن هذا (التأويل) صحيحاً .. فما هي علة التسمية اذن ؟ ورجائي أن يكشف الغطاء عنها استاذنا الكبير (صاحب المنهل الاغر) .. فانه ولا ريب أبصر بذلك وأدري من كل من لم يعرف (كيف توكل الكتف) لا سيما وهو ممن لم يفته (الغيم السكري) في عقيق طيبة .. وخمائلها العاطرة .. خلال امد طويل .. فان ذلك حق على أهل الأمانة والاحاطة .. وسيادته منهم — (مكان النواصي من وجوه السوابق) .. أطال الله بقاءه ذخرا للأدب والعلم والأخلاق ، وذلك شأنه في التنوير والاغداق .

(١٤٦٨) سخينة قريش مما أدركناه

جاء في قصيدة **لكعب بن مالك** رضي الله عنه ، قوله :

جاءت (سخينة) كي تغالب ربها
فليغلبـــن — مغـــالب الغـــلاب

قال ابن هشام في السيرة : (مسندا) قال **رسول الله ﷺ لكعب** : (لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا) .

قال في (الروض الأنف) : وذكروا أن قصيا كان اذا ذبحت قريش ذبيحة أو نحرت نحيرة بمكة أتي بعجزها فيصنع منه (خزيرة) بوزن جزيرة وهي : لحم يطبخ يسيرا فيطعمه الناس فسميت قريش به « سخينة » .

(١) (المنهل) : البشاك — بتقديم الباء — جمع بشكة .. ومعناها في اللهجة الحجازية (الجماعة) تجمع لنزهة أو ما يضارعها .

قُلْتُ : ولقد ادركنا الناس في مكة وجدة والطائف والمدينة المنورة اذا أولموا الولائم .. (الجفلي) أي العامة .. اتخذوا من بعض زوائد الذبائح وأطرافها (قدورا) اضافية كبيرة يضيفون إليها الدقيق ويوزعونها على الفقراء والمساكين عامة ، فهي اذن منحدرة من عوائد قريش ومن عهد قصي « إلي الآن » الا أنها مما افتقدناه اخيراً .. وذلك لقلة الذين يتعرضون له أو يستحقونه أو يحرصون عليه .. للايسار العام والحمد لِلّه الذي بنعمته تتم الصالحات ، واحب هنا أن اقرا ما يراه (أبو نبيه) في ذلك .. وهل هو كما تصورت أم لديه ما هو أصح واصوب ؟!(1)

(١٤٦٩) مسابح الصدر الاول

« الكلم الطيب » للامام ابن تيمية رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال : (الا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو افضل ؟ فقال : سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والحمد لِلّه مثل ذلك ، ولا إله الا الله والله أكبر مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك) أخرجه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .. اهـ

(١) المنهل : يبدو لي جليا أن التأويل أو التحليل بالمعنى الأدق الذي تفضل به أستاذنا الجليل الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي هو التحليل الموفق الموافق .. ولا عطر بعد عروس كما يقول المثل العربي .. أمد الله في عمره للافادة والامتاع .

قُلْتُ : والهدف من الرواية معرفة ان التسبيح كان يعد بالنوى أو الحصى .. وايسره ما كان يعد بالاصابع ، ثم تطور إلي المسابح الكهرمان أو الصندل .. وما هو اغلى أو ارخص !! وفي هذا الحديث ما يشفى ويكفى و « انما الأعمال بالنيات »

(١٤٧٠) المكاشرة - حي الطلاقة

روي عن (المبرد) قوله :

عين الحسود عليك الدهر حارسة
تبـدي المساوىء والاحسان تخفيـه
يلقـاك بالبشر بيديه مكـاشرة
والقلب منكتم فيه الذي فيه !!
ان الحسود بلا جرم عداوتـه
وليس يقبـل عذرا في تجنيه !!

قُلْتُ : ولست بصدد هذه الحكمة .. أو ايرادها .. فهي معروفة ، ولا جدال فيها .. وقديما قالوا : « قاتل الله الحسد ما اعدله ، بدأ بصاحبه فقتله » .

وانما محل الاستشهاد هنا كلمة (المكاشرة) فهي تعني الطلاقة والمباسطة ومكابرة ما يضمره الكاشح أو الحسود . فهي بذلك غير ما اصطلح الناس عليه اخيراً من أنها انما تعني (الكراهية) أو ما هو في حكمها من الغضب والتسخط .. فهي بهذا مظلومة .. كبعض أخواتها التي حملت غير ما يقصد بها .. فالتكشير عند أهل زماننا على نقيض ما كان له من مدلول قبل ألف سنة .. ولن يحوله التصويب ، الا اذا سمي محلول « الجبس » بالحليب !!

(١٤٧١) علاج الشك

قال **أبو رميل**، فيما أخرجه أبو داود .. وذكره الامام **ابن تيمية** (في الكلم الطيب) قلت **لابن عباس** رضي الله عنهما : ما شيء أجده في نفسي ؟ يعني الشك .. فقال لي : اذا وجدت في نفسك شيئاً من ذلك فقل : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » .

قُلْتُ : فهذا ما لا مناص من الأخذ به في زماننا هذا .. وترديده كلما وسوس الشيطان، وقد سمى ب « خنزب » اعاذنا الله منه . ووقانا بفضله ورحمته من همزاته ولمزاته . و (الذكرى تنفع المؤمنين) .

(١٤٧٢) ابن القحرة

نسمع من كبار السن ـــ دائماً ـــ اذا ارادوا أن يذكروا أحدا .. بشيء من الخير أو الشر .. استحسانا أو استقباحا ـــ قولهم .. (فلان ابن القحرة ! فعل كيت وكيت) فما ندري ما هي القحرة ؟ وهل هي شتيمة .. أو لئيمة ..

وقرأت في كتاب (خلق الانسان) : **لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت** من علماء اللغة في القرن الثالث الهجري .. وهو يرتب أوصاف الرجل والمرأة .. متدرجا في ذلك من ابتداء تكوينه (جنينا) حتى يهرم ويهتر قوله : (فاذا ارتفع عن ذلك ـــ أى عن الشيخوخة فهو قحم ـــ وقحر .. وامرأة (قحمة) و (قحرة) ..

قلت : اذن لا محل للانزعاج أو الغضب اذا قيل لاحد ما : انه **ابن القحرة** .. ما دام انها لا تعدو ان تكون الام عجوزا .. كالهرمة .. أو (الهرمة) .. كما ينطقها القوم بكسر الهاء وسكون الراء .. اللهم الا أن يكون الموصوف بذلك ناشئاً أو يافعاً ولما تبلغ والدته من السن هذا المدى .. فقد يسوؤه ان ينعت امه بذلك ! وكيف كان الحال فانه تواضع واتفاق على سلامته من كل طعن، وما يستعمل الا ـــ للاشارة به أغلب الاحايين .

(١٤٧٣) الطن ـ والقامة

قال **ابن الاعرابي** : يقال : ان فلانا لطويل السمك اذا كان تاما . وحكى الاثرم ان فلانا لطويل (الطن) .. القامة (خلق الانسان) .

قُلْتُ اذن يكون هذا هو الطن ـــ بتشديد الطاء وفتحها أو ضمها .. اذا صلة بالطول أو العرض . فهل سمى ما يوزن بما يقاس ـــ أي بثقل وزنه ؟! .. ولا اظن ذلك صحيحاً، لان (الطن) أثقل وزناً من قامة الرجل ولو كان عملاقاً .. ولا أدري ما هي علاقة القامة بالطن فهل يزيل الاستشكال صاحب الفتوحات اللغوية استاذنا الكبير صاحب المنهل الاغر ؟! زاده الله علماً ونفع به المتأدبين .

(١٤٧٤) الفرى ـ المخموم

قال سويد بن الصامت الشاعر المخضرم :

ألا رب من تدعو صديقاً، ولو ترى
مقالته في الغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشهد ما كان شاهداً

وبالغيب صاب مستفيض من الثغر

و (الفري) : هو الكذب والاختلاق والمبالغة في النكاية .

قُلْتُ : ولم تزل هذه الكلمة مستعملة في مدلولها هذا .. في جميع الأوساط العامة والخاصة وفي البيوت ، واكثر ما يتداولها النساء فتقول احداهن للأخرى : ماذا فعلتن أمس ؟ فتجيبها : كن يتحدثن عن فلانة .. وفروها أو فرينها فريا .. أي مقتنها وذكرن سيئاتها أو مساوئها ، وهلهلنها .. ولم يتركن لها جنباً تتكيء عليه .. على ان من الفري ما هو محمود .. غير مذموم .. اذا كان في الخير والصلاح والبر والتقوى .. وهو عكس هذا المرادف — للافتراء .

(١٤٧٥) عقل الحنطة

قرأت في كتاب (المصون) في الأدب **لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري** المتوفي سنة ٣٨٢ هـ ما نصه : « دخل **سلمة بن غيلان الثقفي** في ناس من العرب على كسرى ، فطرح لهم مخاد عليها صورته ، فوضعوها تحتهم ، الا **سلمة بن غيلان** ، فانه وضعها على رأسه ، فقال له : ما صنعت ؟ قال : ليس حق ما عليه صورة الملك أن تبتذل ، وما أجد في جسدي عضوا اكرم ولا أرفع من رأسي فجعلتها فوقه ، فقال له : ما اكلك ؟ فقال : الحنطة ! فقال : هذا عقل الحنطة » اهـ

قُلْتُ : وهذه مزية لخبز الحنطة لا سيما ما كان يسمى بحب (النقرة) الفاخر وما كنا ندري بها وما أكثر ما استعملت ثقيف وأهل الحجاز هذا الخبز في الحنطة إلي عهد قريب جداً .. وبالغوا أن القرص الواحد ربما يبلغ من كبره وضخامته أن لا ينقل الا بالخطاطيف ويفرغ عليه السمن البري والعسل المصفى .. وفي الخبر دليل على أن عرب الطائف لم يكونوا محتجزين وراء جبال السروات وان منهم من بلغ ديار فارس للتجارة طبعاً وجاوزها إلي سواها من بلاد العالم .

(١٤٧٦) الرز - بين الضم والكسر

يقول بعضنا — ولا سيما من أهل الوبر اذا سئل ما هو العشاء ؟ : انه (الرز) بالكسر ، ويقصد بذلك (الرز) الذي ينطقه أهل المدر غالباً ودائماً بالضم ورأيت ما دعاني إلى التنبيه إلي حقيقة الرز بكسر الراء .. قال أبو النجم العجلي الراجز .. وكان من شعراء العصر الأموي — في لاميته الشهيرة :

تدافـــع الشيب ولما تقتـــل
في لجة أمسك فلانا عن فل
لو جز (شن) وسطها لم تحمل
من شهوة الماء (ورز) معضل

قال الشارح : (الرز المعضل) بكسر الراء : وجع شديد في جوف الابل من الجوع والعطش .

قُلْتُ : فما اجدرنا بتصحيح هذا الخطأ الفاحش لمن يقع فيه دون تفريق بين الضم والكسر .. فبالرفع وحده نسلم من الخفض والا اشتبه الامر بين الصحة والمرض ، وما الذالرز ولو مع العدس ، ومعه المخلل .. والسيجان ، والرذاذ والهتان .

(١٤٧٧) قبل سبعين سنة بمكة

سمعت هذه القصة الطريفة يتداولها الكبار في العصر التركي بمكة ــ فقد كانت الجمالة تحمل الأرزاق في جدة إلي مكة وتدخل بها إليها مع صلاة الفجر .. واتفق مرة ان دخل جمال بحموله ، خطأ من ناحية القشاشية وكان عليه أن يسلك طريق المسمى إلي (المدعى) أو (المدعاة) ... لأن التاجر صاحب البضاعة محله هناك ..

فتعرض الجمال لرجل مغربي الزي واللباس ، وصاحب لحية كثة بيضاء وطلب منه في وسط القشاشية أن يقرأ له الوصل الذي فيه المخرط .. فقال له : لا أرى في الظلام ، اعطني المسرجة التي عند هذاك (المقادمي) ــ أي بائع المقادم[1] ، وكان هذا أول من يفتح دكانه ، ويصف قرحانه ، لفتة المقادم .. فذهب إليه .. فصاح في وجهه ونهره وشتمه وقال له : انا أوقف شغلي وعملي وأعطيك اللمبة ؟ فارق من هنا في هذى الصبيحة .. أبوك وأبو الذي أرسلك ، روح يا شيخ ! فعاد خائباً إلي صاحبه ، وهذا يسمع كل ما قال له المقادمي فاقترب حتى تمكن من قراءة الوصل ودله على الطريق الذي يسلكه إلي المخرط ، وما كان صاحب الزي المغربي الا سيدنا الأمير الحسين بن علي رحمه الله وكان من عادته أن يتنكر اذا خرج لصلاة الفجر حتى لا يعرف . وما ان جلس مجلس الحكم حتى أمر باحضار شيخ الحارة وأمره باحضار المقادمي ، ولم يعاقبه ولكنه لقنه درساً قاسياً لم ينسه قط في مكارم الأخلاق .. وقال له : (هيا لا عاد تكررها) .

قُلْتُ : هكذا كانت الأمية غالبة على أكثر أهل الأسواق ، وقد زالت والحمد لِلّه حتى صح المثل (بعد ما شاب ودوه الكتاب) .

(١٤٧٨) بين الضم والكسر

مرض قيس بن سعد بن عبادة الصحابي الجليل المتوفي في سنة ٦٠ هـ ــ وكان من دهاة العرب وذوي المكيدة والرأي في الحرب ، فأبطأ اخوانه عنه فسأل عنهم فقيل : انهم يستحيون مما لك عليهم من الدَّيْن .. فقال : خزى الله ما يمنع الاخوان من العيادة . ثم أمر مناديا فنادى : ألا من كان لقيس عليه حق فهو منه في حل وسعة ــ فكسرت درجته بالمشى لكثرة من عادة » .

قُلْتُ : وفي ذلك عبرة وعظة وقدوة حسنة ، كما ان جملة (كسرت درجته) ما تزال من متداول الناس إلي يومنا هذا ، مبالغة في كثرة الترداد .. الا انها كانت من الاخشاب فتكسر . أما الآن فانها من الاسمنت المسلح أو (بالمصاعد) الكهربائية فلا ضير عليها ، وللناس طباعهم في كل زمان ومكان . و ــ(المنهل) العذب كثير الزحام .

(١) المنهل : المقادم في لهجة أهل الحجاز تعني ما يعنيه المصريون بالكوارع . والكوارع : قوائم الدابة مقدم الساقين . وصحتها اللغوية هي كراع على وزن غراب وجمعها أكرع وأكارع . وهي من البقر والغنم بمنزلة الوظيفة من الفرس وهو مستدق الساق ويؤنث (القاموس المحيط ــ مادة الكرع) .. والصيغة اللغوية الفصيحة ، يراد بالمقادم في الحجاز وبالكوارع في مصر هي (الأظلاف) جمع (ظلف) بفتح الظاء المنقوطة وكسرها . فالظلف هذه في البقر والشاء والظبي وشبهها بمنزلة القدم لنا وجمعه ظلوف واظلاف (القاموس المحيط مادة الظلف) .

١٤٧٩ امشي يا « سيساني »

تقول ذلك المرأة .. ويقولها الرجل .. لمن ؟ للمرأة أو الرجل أو حتى الغلام .. اذا اتهم بأنه ينقل الكلام .. أو يفشي الأسرار أو يختلق الحديث ! واغلب ما تستعمل فيمن تعرف عنه (الغيبة) و (النميمة) .

والحقيقة أنها في أصلها ليست كذلك الآن قبيل مستلزماتها .. فان أساس استعمالها قديم وقبل ألف سنة مقصور على من اتخذ (الكدية) و (الاستجداء) و (التسول) و (التحيل) مهنة له .. وعرف ذلك من العصر العباسى والنسبة فيها إلي (**ساسان**) .. والساساني هو هذا المتسول المتحيل ! ولا علاقة له بما اصطلح الناس عليه أخيراً (البتة) ! الا أن الكلمة تطورت في مفهومها مع الزمن .. حتى استدار بها التداول ، وحولها من مدلولها الاصيل إلي المعني الجديد وتناولها اللحن أو الاعواج فابدلت الألف بالياء .. خطأ .. وأحسب أن « الساساني » لا بد له من كل النقائص ! فلا يملك أن يكون ساسانيا حتى يكذب ويفترى ويزور ويغتاب وينم .. ولا يدع وسيلة تؤدى به إلي غايته الا اتخذها واستحلها !

ويستحيل تصحيح ذلك الآن عند الناس .. ولو جاء (**ساسان**) ... بالذات ؟! وقد كان فريق من محترفي « الساسانية » ذا أثر في الأدب .. ومن ذلك ما دونه الحريرى في مقاماته على لسان أبي زيد السروجي .. و « بديع الزمان » الهمذاني في مقاماته على لسان أبي الفتح الاسكندري .. وكانت حرفة رائجة .. ذات قواعد وأهداف في ذلك الزمان !

١٤٨٠ ابو ريحانة المدني

قال **أبو الفرج الاصفهاني** : « أخبرنا **إسماعيل** قال حدثني **عمر بن شبة** قال : مرت جارية بأبي ريحانة ــ يوماً على ظهرها قربة وهي تغني وتقول :

وأبي فلا ليلى بكت من صبابة
إلي ، ولا ليلى لذى الود تبذل
واقنع بالعتبى اذا كنت مذنبا
وان اذنبت كنت الذي اتنصل

فقام إليها فقال : يا سيدتي أعيدى ! فقالت : مولاتي تنتظرني ، والقربة على ظهرى .. فقال : أنا أحملها عنك ، فدفعتها إليه فحملها .. وغنته الصوت فطرب فرمى بالقربة فشقها .. فقالت له الجارية أمن حقى أن أغنيك وتشق قربتي ؟ فقال لها ، لا عليك ، تعالي معي إلي السوق فجاءت معه فباع ملحفته واشترى لها بثمنها قربة جديدة ، فقال له رجل : **يا أبا ريحانة أنت والله كما قال الله** عز وجل ﴿ فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾ فقال : بل انا كما قال الله تعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ .

قُلتُ : كذلك كان القوم في التأثر بالشعر والصوت الجميل .. **ولأبي ريحانة** قدوة في **أبي السائب المخزومي** الذي يصوم ويفطر بما يستحسن من أدب ونغم .. ويوصل ذلك حتى بالاستغناء عن سحوره . الا ما أكثر ما طوى التراب من القلوب الرقيقة ، وكم في تراثنا الزاخر من طرف وتحف .. تفرج عن المكروب ، ومن فقه وتبصير تقر بهما العيون .. وتستنير القلوب ! وما أرى لذلك من مثيل في العصور المتأخرة ..

(أو المتقدمة) كما يحسب بعض أصحاب التغرب والغروب ، فاهدنا الصراط المستقيم يا ربنا ـــ يا علام الغيوب .

(١٤٨١) هيا الى «زمزم» يا اهل العكاكيز ١٤٥٤

روى المحب الطبري في كتابه (القرى) : ما أخرجه أبو ذر قال : « وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل مكة لا يسابقهم أحد الا سبقوه : ولا يصارعهم أحد الا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم فأصابهم المرض في أرجلهم » اهـ .

قُلْتُ : وقد غلب مرض الركب والأرجل .. وشاع استعمال العراجين والعكاكيز . حتى لمن لم يبلغ به العمر عتياً !! فما يكاد يتجاوز الأربعين حتى تراه يتكأكأ .. أو يتلكأ .. في سيره !! واذا كانت العلة في ذلك الانصراف عن ماء زمزم أو الاقلال منه وكان ذلك منذ عصر ابن عباس رضي الله عنهما .. ثم زاد على هذا الاعراض أو الغفلة قلة الحركة والمشي .. والاستغناء عنهما بامتطاء السيارات .. وبالاضافة إلى ضعف التغذية .. بالدهون الصناعية ... بعد « البقرية .. أو الحيوانية » !! وأطباق المكدرات النفسية .. ومشاركة أهل الدنيا في كروبها ومشكلاتها وهمومها .. فلماذا والعلاج الروحي والبدني بين أيدينا ـــ المشهود له بأنه طعام طعم وشفاء سقم وأنه لما شرب له كما ورد ذلك في الأحاديث الشريفة النبوية ؟! لماذا لا يعب منه كل من يؤمن بالله تعالى ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ؟! وأشهد أنه عندما كنت أعتاده قبل صلاة الفجر وبعد الطواف لم أكن أشعر قط بآلام الركب .. ولا ما يسمى بالروماتزم وما حدث ذلك وتضاعف .. الا بعد أن عز علي شربه من (دلو البئر مباشرة) فعلى كل مكي بل وكل مسلم أن لا يفوته التضلع من ماء زمزم ما استطاع إلي ذلك سبيلاً حتى اذا صارع لم يصرع واذا سابق لم يسبق ولو تجاوز الثمانين .

(١٤٨٢) ما احفله من كتاب كنز الانساب

أسعدني الحظ فتسلمت هدية ثمينة من لدن صاحب الفضيلة العلامة الشيخ **حمد بن ابراهيم الحقيل** ـــ رئيس محكمة الخرج سابقاً .. وصاحب المؤلفات القيمة الخالدة ومنها :

١ ـــ زهر الأدب في أنساب وأخبار العرب .
٢ ـــ كنز الأنساب ومجمع الآداب (في طبعتيه الأولى والثانية).
٣ ـــ صيد القلم للشوارد والحكم .
٤ ـــ نسيم الصبا في أشعار الأدبا .
٥ ـــ شفاء المرام في القضايا والأحكام .

وغير ذلك من المخطوطات ـــ التي هي تحت الطبع .

هذه الهدية التي استمتعت كثيراً بما احتوته من فوائد لا تقدر .. والتي تدل على افق واسع وعلم غزير ، واحاطة تامة بالانساب قديمها وحديثها هي (الطبعة الثالثة) المزيدة من مؤلفه : (كنز الأنساب ، ومجمع الآداب) .. فهو من الذخائر التي تعتز بها المكتبة العربية .

ولا ريب في أنه من مفاخر الجزيرة العربية .. ومن أبرز أعلامها في الأدب والتاريخ والتراجم والأنساب

والاسمار ـــ علاوة على أنه الفقيه الذي يشار إليه بالبنان ، والقاضي الذي تبحر في علوم السُّنَّة والقرآن . والقدوة الحسنة لكل من أراد أن يحظى بالتفوق ، أو أن يرقى إلي مكانته في التأنق والتألق ..

والحق أنني منذ ظفرت به ما زلت أقلب النظر وأرتع في رياضه اليانعة مرة بعد أخرى .. وأحسب أنني في عصرنا هذا استمع إلي أمثال الجاحظ ، وابن قتيبة ، وابن عبد ربه ، وأبي الفرج الاصفهاني ، وأبي علي القالي وغيرهم من أقطاب الأدب في العصور الاسلامية المزدهرة .

وانك لواجد في ثمرات يراعته السيالة كل ذلك ـــ مجتمعاً ـــ بالاضافة إلي أنه استوعب من الطرف والتحف ما لم يجتمع لمؤلف معاصر مثله .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ومن ميزاته التي لا يبارى فيها اثباته أنساب القبائل كافة في الماضي والحاضر .. والحاق (الحمولات) : العوائل ، الشهيرة فروعها إلي أصولها . التي صح فيها قول الشاعر :

لسنـــا وان كنـــا ذوي عدد
يومـــاً على الاحساب نتكـــل
نبنـــي كما كانت اوائلنـــا
تبني ونفعـــل مثـــل ما فعلـــوا

ومنهم من يستطيع أن يرفع عقيرته بقوله :

(ونفعل فوق ما فعلوا) ..

ان هذا الكتاب الذي يصدر في أواخر القرن الرابع عشر الهجري هو احياء لتراث العرب الأولين .. ودليل ساطع على أن بلاد العرب ما برحت محافظة على أجمل وأكمل ما تميزت به منذ العهود الأموية والعباسية في الشرق والغرب .. وما زال تراثها مصوناً ومضموناً ـــ بالفطرة ، في نبغائها وأقطابها من سلالات ربيعة ومضر .

وعزيز علي ان اكتفي بهذه الكلمة العابرة عن هذا (الكنز) الذي لا غني عنه لكل مهذب ومؤدب .. ولكل ذى نهم علمي وأدبي ويود أن يكون من أهل الظرف وأرباب البيان . ولا سيما أولئك الناشئين في قلب (الجزيرة) ـــ والظامئين إلي موارد المعرفة ومصادر العروة التي لا ينضب معينها في الحاضر والغابر .

وما أردت بهذا ، الاعلان عنه ولكن توجيه الأنظار إلي هذه الدرة اليتيمة ، وهذا الأثر الباقي ، والسياج الذهبي الواقي ، فهو تركيز وتحفيز ، وبه يستغنى عن كل ما سبقه من كتب الأنساب التي تمادي عليها الزمن .. ولا تسلم من بعض المآخذ التي أزاحها العلامة الجليل في ايجاز .. أحسن الله مثوبته .. وأمد في حياته الغالية ، وأعانه على ما هو بسبيله من نشر المفاخر والأمجاد .. وهنيئاً (لنجد) خاصة وللعرب عامة بعلمائها وشعرائها وقضاتها وفقهائها .. فما هم الا منابر ومنائر .. للمهتدين والله لا يضيع أجر المحسنين . وشكراً لفضيلته على اسعافي بخير ما أتطلع إليه من التراث الخالد الثمين .

(١٤٨٣) الله يخليك !

تتكرر هذه الجملة يومياً على الاسماع في كافة الاوساط العامة والخاصة . وهي كدعـاء للمخاطب .. ويبدو لي أن اللفظ يختلف عن المعنى المقصود .. وأنه إلي الدعاء عليه أقرب من الدعاء له !! لأنه من التخلى الا وهو الترك !! فان أحسن الظن بأصله فهو من (التخلية) أي من المؤخذة أو الذنب أو العقوبة .

ولم أظفر قط بمثل هذا في اللغة التي استعملها الناس في العصر الجاهلي أو الإسلامي .. ولم يرد مثله في نثر أو في شعر .. قديماً وحديثاً .

ومثلها (الله يتعروى لك) .. فمعناها مفهوم ولفظها يحتاج إلي تأويل . و (عند جهينة الخبر اليقين) .. فعسى أن ينير الصواب فيهما علامتنا الجليل (أبو نبيه) حفظه الله ورعاه[1] .

(١٤٨٤) معارضة

قرأت في الأدب القديم هذين البيتين :

وثقيل أشد من غصص المو ت ، ومن بغتة العذاب الأليم
لو عصت ربها الجحيم لما كا ن سواه عقوبة للجحيم

فراق لي أن أعارضهما بمثلها في عكس المعنى فقلت :

وجميل الذ من غفوة الفجـ ر ، واشهي من الطلي والنديم
لو حبا (الجنة) الآله جزاءا كان حقاً مثوبة للنعيم

(١٤٨٥) يمشي رويدا .. ويكون اولا

ما أعظم ما في الأمثال السائرة في ايجاز واعتبار .. تقول العرب على لسان شاعرهم القديم :

(١) المنهل : يبدو لي أن القول ما قالت حذام .. في هذا الشأن والأمر يحتاج إلي بحث أعمق وربما نستدرك ذلك في مستقبل قريب إن شاء الله .

تسألني أم البنين جملا يمشي رويدا ويكون أولا

وهم يضربونه في طلب ما يتعذر وقوعه .

وذلك أقرب إلي الحماقة والغفلة ، ولن يكون ، ممكنا أن يمشي رويدا ، ويسبق من تقدم .. فمن أراد المستحيل ما طلب ذلك متواكلاً ، ولن يصل إلي غايته الا آخرا ، ونحمد الله تعالى أنه لم يعد في مجتمعنا الناهض من ينطبق عليه هذا المثل .. فكله يسير سيراً حثيثاً إلي الأهداف العليا .. في نشاط وانطلاق .. ومنافسة تتجاوز الآفاق .. ﴿ **وان ليس للانسان الا ما سعى** ﴾ .

(١٤٨٦) ثالثة الأثافي

كانت العرب تقول : رماه الله بثالثة الاثافي .. وذلك في حالة الدعاء على العدو .. فما هي الاثافي ؟ انها الأحجار .. ينصب منها اثنان إلي جانب الجبل فيكون منها قاعدة للقدر يوقد عليه النار تحتها .. وبذلك يكون المعني بالثالثة ، الجبل .. فيكون معنى الدعوة : (رماه الله بالجبل يرتدم تحته أو ينقض عليه) والعياذ بالله .. (للمعلومية جري تشذيره) .

(١٤٨٧) ماهي العجر والبجر

كثيراً ما يردد الأديب أو المتأدب هاتين الكلمتين .. ويغلب أن لا يكون عالماً بماهيتها ، وانما يريد أنه لا شيء عنده من انتاجه أو بيانه الا العجر والبجر ، وهو يقصد المبذول والمرذول والمملول .

ولكن ما هما ؟. لو سألته عنهما لما أمكن أن يعرفهما لغة .. فأما العجر — فهي : العروق المتعقدة . والبجر ما يكون من تلك العروق في البطن خاصة .

وجاء في المثل : (اخبرته بعجري وبجري) . أي بجميع عيوبي ثقة به .

(١٤٨٨) من الفصيح المحرف
اتاه هنا

هذه الكلمة لا يكاد يخلو منها بيت فيه أطفال صغار .. فمتى ضاقت الأم ذرعاً بالولد أخذت بيده وأجلسته في احدى زوايا الحجرة — وقالت له : أتاوه هنا — بتشديد التاء — وجدتها ذات أصل صحيح فصيح .. فهي (تأوى) هنا .. من الايواء — وما أكثر ما لها من أخوات .. في الكلام العامي الدارج كقول بعضهم (استناك في المحل الفلاني) وانما هي (أتأناك) أو اتأني حضورك .. وهي من الأناة .. واستعملت في معنى الانتظار . و (قوام) — بمعنى أسرع .. وهي تعني أن لا تلتفت إلي غير ما أنت بصدده وخذ سبيلك إليه قصداً وقواماً ..

و (بقاك) .. بمعنى يطول بقاؤك .. وهذا الذي تزعم مردود ، و (حيلك) .. أي أبذل جهدك في الأمر ولا تنصرف عنه و (عوافي) .. أي منحك الله العافية وقواك ..

وهكذا — فإن كل أو جل ما تستعمله العامة يكاد يكون له أصل صحيح .. سرعان ما يظفر به الباحث المعقب . والدارس المنقب . ومنه ما درجت به القرون ، (وكل في فلك يسبحون) .

(١٤٨٩) ابو العميثل
« عبدالله »

هذا الأديب العباسي .. كان كاتباً **لعبدالله بن طاهر** وشاعره — وكان منقطعاً إليه .. ومن شعره فيه قوله :

يا من يحاول أن تكون صفاته
كصفات « عبد الله » انصت واسمع
أصدق، وعف ، وبر، واصبر، واحتمل
واصفح، وكاف، ودار، واحلم واشجع
والطف ، ولن ، وتأن ، وارفق ، واتئد
واحزم ، وجد ، وحام ، واحمل ، وادفع

قُلْتُ : وما كدت أفرغ من تلاوتها .. حتى تمثل أمامي من لا يغيب عن بصري وبصيرتي (عبد الله) الذي نعتز به في زماننا هذا والجامع لهذه الصفات العشرين .. مع أمثالها مما يرفع به راياته باليمين ، وهو من هو في حسبه ونسبه الرفيع ، وأدبه الرصيف ، وفي مواهبه التي اختصه بها رب العالمين .. أمد الله في عمره الطويل .. وقر عينه بكل ما يحبه من خيرى الدنيا والدين .

ولست في حاجة إلي الايضاح . الا أن يتمم الشذرة (**أبو نبيه**) (فذكره المعتلي عن ذاك يغنينا) ببعض ما يعلق به عليها ويمليه[1] .

---

(١) المنهل : اعتقد أن قراء الشذرات أذكياء يفهمون بالاشارة التي تغني أمثالهم عن العبارة . واشارات أستاذنا الجليل البحاثة الطلعة سعادة كاتب الشذرات . تعبر من الشذرات الذهبية المتلالئة وأعتقد أنه يقصد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل الذي جمع إلي شتى الفضائل ، الفكر والأدب .

(١٤٩٠) الشاعر .. قديماً وحديثاً

استوقفني هذا النص التاريخي : قاله صاحب الصبح المنبي : « وكان **المعري** على جلال شأنه ، و عظيم قدره ، يذكر الشعراء بأسمائهم المجردة .. فاذا وصل إلي « **المتنبي** » لم يذكره باسمه .. وانما يذكره بلقب « الشاعر » تعظيماً وإكباراً » اهـ .

قُلْتُ : ثم لا يزال كل من ينبز بلقب الشاعر .. في العصور المتأخرة ينحدر به الناس — أو جهالهم على الأقل — فلا يظنون به الا أنه المهين المكتسب الشحاذ .. حتى ليجزع من يلقب به — من يربأ بنفسه أن يعبث بها المستهترون . حتى صار مبتذلا .. مرذولاً .. في كثير من الأوساط العامة والخاصة .

وفي الواقع ، لا يخلو عدد كبير ممن يتصف بالشاعر ، من هنات في شعره أو خلقه ، أو سمعته ، حتى أن **أبا الطيب المتنبي** نفسه لم يبرأ من ذلك ، ولكن قوته البيانية وشهرته العالمية غطت على المساوىء بالمحاسن .. وكما قال الشاعر العربي :

من ذا الـــذي ما ساء قط ؟
ومـــن له الحسنـــى فقـــط ؟

والعبرة في ذلك أن **أبا العلاء** ، انما نظر إلي **أبي الطيب** من حيث ميزاته على أقرانه في زمانه ، في مجال القوافي دون سواه ، و نسأل الله الغفران لمن سبق ومن يلحق ، ولن يجد الانسان الا ما قدمه في سبيل الخير والهداية والحق ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ .

(١٤٩١) الدامغة .. والبتارة

لا أحسب أن كثيراً من جيلنا الصاعد يستطيع اذا ما سئل أحدهم فجأة عما هي (الدامغة) — أو (البتارة) .. في الشعر العربي .. أن يجيب عن ذلك بداهة الا من ندر .

فأما (الدامغة) فهي بائية **جرير** في (**المربد**) وهي التي يقول منها :

ففض الطـــرف انك من نمير
فلا كلبـــاً بلـــغت ولا كلابـــاً

وأما (البتارة) .. فهي لامية **حسان بن ثابت** رضي الله عنه .. روى **أبو عمرو الشيباني** الكوفي أن **عمرو بن الحارث** الأعرج الغساني فضل **حسانا على النابغة** ، وعلى **علقمة بن عبدة** .. وكانا حاضرين معه .. وأثنى على لامية **حسان** التي فيها :

لِلّـــه در عصابـــة نادمتهم
يومـاً بجلق في الزمـــان الأول

ودعاها (البتارة) التي بذت المدائح .. اهـ .

قُلْتُ : وما اقصد بذلك أن يحيط كل النشء بذلك .. ولكن أفلا يحسن أن لا يجهلها بعض النشادين .. والمتخصصين ؟. وكم كذلك من قصائد كبرى ذات صفات تتميز بها عما سواها .. ولها القاب ونعوت عرفت بها في مختلف الأدوار والأطوار ؟ وعسى أن أكون مخطئاً وأن يحظى ادبنا الحديث ، بكل ما ازدان به تراثنا العظيم .

(١٤٩٢) من لباب الحكمة

قال **النابغة الذبياني** المتوفى سنة ٦٠٤ م ـ و (١٨) قبل الهجرة :

المرء يأمـــل أن يعـــيش
وطـــول عيش قد يضره
تفنـــى بشاشتـــه ويبقـــى
بعـــد طول العـــيش مره
وتصرم الأيـــام حتـــى لا يرى شيئـــاً يسره
كم شامت بي ان هلكـــت ، وقائـــل : لِلّـــه دره

قُلْتُ : انها أربعة أبيات خفيفة الظل .. جامعة مانعة .. وهي حقائق نفسية لا يعتريها الشك .. وما نفشها الا مجرب مارس الحياة ، وحلب الدهر أشطريه .. وجدير بكل متأدب أن يحفظها عن ظهر قلب ! ويتزود لآخرته بما يجده حاضراً .. **﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾** .

(١٤٩٣) (دعوة) فدعوة سابقة لها

خلال أيام الحرب العالمية الكبرى الأولى ـ عانت بلاد الحجاز ـ وخاصة مكة المكرمة كثيراً من المضايقات وعز فيها استيراد الحنطة أو الأرز ، والسكر والشاي والغاز .. وكل ما يستورد من البحر .. وأنعم الله عليها بالغيث والخصب والنماء .. الزراعي .. فكانت الخرفان فائضة .. والأسعار رخيصة جداً .. لانعدام الدراهم .. أقول : في هذه الاثناء ، بدا لأحد أولاد الحارة في محلة الباب .. أن يرفه عن نفسه وينتقم من آل بيت ذوي ثراء .. وتجارة .. وأرباح .. وكان أعور العين مجدور الوجه ، رث الثياب ولا مأوى له الا في المقاهي .. ولا يكاد يجد ما يسد جوعته الا بمشقة شاقة ؟ وحقت الحاقة .. فصنع أربعين بطاقة .. من الورق المقوى .. واستكتب من يخط على كل واحدة منها « دعوة » إلي التفضل بعد الظهر بدار (فلان) بمكة . (ولا حاجة لاسمه .. ولا لاسم الداعي المزور) .. من يوم كذا وتاريخ كذا لتناول الغداء بدار فلان العري المجدود ..

غير أن الأمر لم يقف عند هذا الحد .. فقد أرشده ذكاؤه إلي اختيار المدعوين الأربعين كلهم من ذوي الأعين الكريمة .. أو العور من كل محلة .. وكان صاحب الدار نفسه (أعور) أيضاً .. وكان ذلك خلال عام ١٣٣٣ هـ .. وكان الناس يبيعون سقوف بيوتهم من شدة الفقر والاحتياج .. ووزعت الدعوة .. من يد (الأعور) نفسه الموزع إلي المدعوين (العور) ليشرفوا دار الداعي الأعور المفتري عليه ، فما أزف الوقت بعد صلاة الظهر حتى مشى الزقاق والشارع من يمينه وشماله إلي (الوليمة) الكاذبة .. وبهت صاحبنا من القادمين الذين ليس منهم ولا فيهم الا (أعور) .. وكان سؤال وجواب وانفعال وانزعاج .. وبما انطلقت بعض الشتائم المتبادلة .. وعادوا كلهم يخفى حنين !! ولم يظفروا حتى (بحنانة) ولا (منانة) .. الا الاهانة ..

ودارت بذلك آنئذ الاحاديث .. بالحادثة .. في جميع الحوائر والدوائر .. والبواطن

والظواهر .. (بأم القرى) ... واستطاع الباحثون أن يعلموا اسرار الدعوة وأسبابها .. وأنها عبارة عن تشهير بذلك الرجل الموسر .. الذي لا ينتفع منه الفقراء ..

كان ذلك — كله — كما سردته مما وقع أمامي .. ورأيته بأم عيني .. وترددت به الأصداء والاضاحيك ما بين جرول والمعابدة .

وبالمصادفة قرأت في كتاب « مجالس ثعلب » **لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب** المولود سنة ٢٠٠ هـ والمتوفي سنة ٢٩١ هـ ... أي قبل ألف ومائة عام .. ما هذا نصه :

قال **ابن سلام** : حدثني **أبان بن عثمان** قال : (أراد رجل بالمدينة أن يسوء **عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب** ، اساءة ، فجعل يلقى وجوه أهل المدينة فيقول : قال لكم **عبيدالله بن العباس** : تغدوا عندي ، فجاء الناس حتى ملأوا عليه الدار ، **وعبيد الله** غافل ، فقال : ما شأن الناس قال : جاءهم رسولك أن يتغدوا عندك .. فعلم ما أريد به ، فأمر بالباب فأغلق .. وأرسل إلي السوق في أنواع الفاكهة .. وقدم الاترج ، والعنب ، والموز ، فشغلهم ، وأمر بالاطعمة فطبخت وشويت .. فلم يفرغوا من الفاكهة حتى أتوا بالطعام حتى صدورا عنه . فقال **عبيد الله** : أموجود هذا كلما شئت ؟ فقالوا : نعم ، فقال : لا أبالي من أتاني » . اهـ .

قُلْتُ : ومع ما في الدعوتين من فوارق لا تخفى على القارىء .. من حيث كرم **عبيد الله** وعدم مبالاته بمن يأتي إليه ، ما دامت الاطعمة والفواكه متوافرة في كل وقت وحين .. على عكس ذلك النحز الشحيح ! فان بينهما بعض التشابه الا في المدعوين .. فأولئك من كل طبقة .. والمحتاجون إلي سد العوز من المجاعة .. وهؤلاء من الوجوه والاعيان .

وعن لي أن اكتب ذلك في هذه **الشذرات** .. ونفسي تحدثني بأن موسوعة (الأغاني) **لأبي الفرج الأصبهاني** .. لم تخل من هذه النوادر في الزمن القديم .. بل ان أكثر ما احتوت عليه من (القصص) انما كانت مادته الأولى أمثال هذه الطرائف .. فهل يوافق القارىء الكريم على ذلك ؟ وهل لا يرى بأساً في نشره من لدن أستاذنا الكبير (**أبي نبيه**) ؟

وأحسبني لم أسىء إلي أصحاب التمثيلية الأولى .. مطلقاً ، اذ لم أعلن اسماءهم .. ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

وكان ما قدره — فعلاً — فصعد شيخ الأغاوات .. ورتل آيات الشكر لسيدنا .. فقال له : « لا .. لا .. هذا بعض ما لك عندنا !! وأنت جدير به .. ومحل له » . ولك أمثاله دائماً وأبداً .. فما أنت « قليل ولا شوية » !!

ويختم القصة الراوى .. وبقوله : وضاعف الشيخ ، لبائع الفاكهة الثمن .. وما كان يرويها .. بنفس هذه الالفاظ .. ولكن بمعانيها !! ومعذرة إلي القارىء اذا رأها طويلة .. أو مملة .. فقد صورتها كما فقهتها !! وهي مما اهمله التاريخ .. وفيه امتاع ومؤانسة .. وتذكير .. وكلما وجدت الفرصة سانحة .. اضفت إليها أخواتها إن شاء الله ، « الا أن (يحشم علي **أبو نبيه** » .

(١٤٩٤) أجور الطبع بمصر قبل ١٢٠ سنة

جذب نظري ، في آخر صفحة من ديوان ابن **هانىء الاندلسي** ــ المتوفى سنة ٣٦٢ هـ .. المطبوع بمصر ، سنة ١٢٧٤ هـ .. فقد ختمت بهذه الجملة :

(هذا الكتاب بلغت مصاريف طبعه أحد عشر قرشاً .. وأربعة فضة لا غير وخالص الجمرك) .

وهو المحتوى على مائة وستين صفحة .. من القطع المتوسط .. وعلى الورق الممتاز في حينه .. وعجبت من حرص صاحب المطبعة على بيان تكاليف طبعه .. ولو أعيد طبعه ــ في عصرنا هذا ــ لتجاوز ثمنه القروش إلي الريالات ، مع ندرة المطابع يومئذ .. ووفرتها في الوقت الراهن .. غير أن (القيمة الشرائية) للقرش قبل مائة وعشرين عاماً تجعله بمثابة الريال أو أكثر .. في القرن الرابع عشر .. » وكذلك هي النسبة في جميع ما يباع ويشترى وكلما امتد الزمان تطورت الأسعار والأثمان .. وكان ياما كان .. يا سعد يا كرام .

(١٤٩٥) ماء زمزم لما شرب له

قال العلامة **أبو بكر بن العربي المعافري** المولود سنة ٤٦٨ هـ والمتوفي سنة ٥٤٣ هـ ومؤلف الكتاب القيم الشهير : « العواصم من القواصم » وقد ذهب إلي الحج من بغداد إلي الحرمين الشريفين ، فحج بيت الله الحرام ــ وأخذ في مكة عن محدثها وفقيهها **أبي عبدالله الحسين بن علي بن الحسين الطبري الشافعي** .. (٤١٨ ــ ٤٩٨) هـ ومما تحدث به ابن العربي عن مكة قوله : « كنت بمكة مقيماً في ذي الحجة سنة ٤٨٩ ، وكنت أشرب من ماء زمزم كثيراً ، وكلما شربته نويت به العلم والايمان .. ففتح لي ببركته في المقدار الذي يسره لي من العلم .. ونسيت أن أشربه للعمل .. ويا ليتني شربته لهما حتى يفتح الله لي فيهما فلم يقدر .. فكان صفوي للعلم أكثر منه للعمل .. وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته » . اهـ

قُلْتُ : كان هذا قبل نحو تسعمائة عام خلت ! وهناك روايات أخرى عن رجال من السلف الصالح تثبت لماء زمزم أسراراً منها الري والشبع والسمن . وصدق رسول الله ﷺ : « ماء زمزم لما شرب له أو كما قال .. وجاء في الأثر الشريف الدعاء المأثور حين شربه وهو : « **اللهم اني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء وسقم** » .

وبمناسبة موسم الامتحانات .. أحض ابناءنا الطلاب على التضلع من ماء زمزم بغية الحفظ والفهم والنجاح .. فانه مضمون الأثر والتأثير بما روي عنه ــ في أحاديث البشير النذير .. ﷺ .. أعانهم الله على التفوق .. ووفقهم إلي بلوغ الدرجات العلى في الدين والدنيا والآخرة .

(١٤٩٦) الافندي « عمر نصيف »

مما سمعته من المعمرين الذين عاصروا الأفندي الكبير ــ **عمر نصيف** ــ ومن حفيده النبيل ــ **الشيخ محمد بن حسين بن عمر نصيف** .. رحمهما الله .. أنه كان مضيافاً كريما ، وصاحب

جاه وثروة ودهاء وذكاء .. وبيته لا يخلو دائماً من الزوار من أعيان الناس المواطنين أو العائدين من الخارج .

قالوا : وكان ممن يداوم على زيارته رجل لا ينسجم معه ولا يرتاح إليه ويضيق به ذرعه ، ولكنه لا يبرح عنه حتى نهاية جلوسه ! فقال هذا الضيف الثقيل ـــ يوماً : ما هذا انك تدعو خدمك مراراً .. وتكراراً فلا يردون ولا يحضرون .. وان لي ساعة انتظر ماء أو قهوة أو شايا !! انها لقلة أدب منهم .. ولو أدبتهم ما (خسروك) .. فابتسم الأفندي وقال له : ماداموا يخسرونني .. فوالله ما لهم عندي الا الخسران ايضاً فلا أدعوهم !!.. وظل على ذلك (أياما) وربما تعمد ذلك معه .. فما كان منه الا أن انصرف انصرافا لم يعد بعده إليه !! وهي طريقة ناجعة .. لكل ثقيل !! لا يعرف الحكمة .. وفي الأثر المشهور : « زر غبا تزدد حبا » وفي ذلك دلالة بارزة على ما كان للأفندي الكبير من (ذكاء خارق) .. وما أكثر ما انطوى مع الرجال من التجارب والتجاوب ، وقد شهدت بشاشة حفيده الكريم .. وترحيبه وتكريمه لزواره حتى لمن هم في صفة ذلك الطفيلي المقترح أحيى الله بذريته سيرته العطرة .

١٤٩٧ الإمام مالك بن أنس كيف كان يحفظ ويذاكر ؟

قال بعض معاصرى الإمام **مالك بن أنس** ـــ رضي الله عنه :ـــ « رأيت مالكاً » في حلقة ربيعة ، وفي أذنه (شنف) ـــ هذا يدل على ملازمته الطلب منذ صغره ـــ وكان حريصاً منذ صباه على استحفاظ ما يكتب ، حتى انه بعد سماع الدرس وكتابته .. يتبع ظلال الأشجار يستعيد ما تلقى ، ولقد رأته أخته كذلك فذكرته لأبيها فقال لها : « يا بنية انه يحفظ أحاديث رسول الله ﷺ » . اهـ

قُلتُ : وبهذا نجد أن المذاكرة في دور الطلب .. بين الحدائق .. وفي ظلال الأشجار .. لم تكن في زماننا هذا ـــ فقط ـــ بل هي متصلة في طلبة العلم منذ قرون طويلة .. ومن عصر امام دار الهجرة .. وما في الرواية ما يدل على أي الطريقتين كان الإمام يتبع .. هل يتظلل بالأشجار وهو يحفظ ويذاكر ماشياً .. ذهاباً وايابا .. أم هو قاعد ؟ وعلى كل فان من حق طلابنا في موسم الإمتحانات .. أن لا يزعجوا وهم ـــ يذاكرون ـــ أفرادا وجماعات .. تحت الظلال وبين الزهور والورود .. فان ذلك يساعدهم على الهدوء والتوفر على الدرس ويفتح قلوبهم وأذهانهم .. ويجعل منهم خلفا صالحا لسلف صالح إن شاء الله .. خصوصاً اذا هم أدوا فروضهم .. وتضلعوا من ماء زمزم .. واخلصوا نياتهم في طلب العلم .. فانهم بذلك لناحجون .. بتوفيق الله جل وعلا .

١٤٩٨ شلالات المصافي

قبل ستين سنة ، كانت نسبة سقوط الأمطار ـــ بمكة وضواحيها ـــ عالية جداً .. خصوصاً في فصلي الشتاء والربيع ، وكانت جبال أجياد العليا ـــ تصب كلها في واد جبلي ، تنحدر منه المياه .. متدرجة .. حتى تنتهي إلي مدرج عال يبلغ ارتفاعه أكثر من أربعة أمتار تقريباً ..

وهناك — تتجمع وراءه مياه السهول والأمطار وما تنحدر به الجبال التي حوله .. فتسمع له خريراً — (موسيقياً) جميلا .. وترى العين فيه — اللجين الذائب .. المسكوب .. ويلتف الناس حوله ومن أطرافه وجوانبه مبتهجين بمنظره الرائع .. وبايقاعه الساحر ، وهم يقصرون أيام الدجن (بألذ الأطعمة) .. وأشهاها كالسلاة والمبشور والسليق .. وما إلى ذلك من الطيبات .. ولا تخلو (جماعة) أو (بشكة) من حاد أو شاد أو (جسيس) يشنفهم بأعذب الالحان .. والسماء تغاديهم وتراوحهم تارة بالوبل — وأخرى بالطل .. وآونة بالرذاذ .. والبرق يتناوب مع الرعد .. ويتجاوب معهما « العشاق » .. و (الماهور) و (والماية) و « الحسيني » .. و » السيكا » و « الجاركاه » ، وكافة أنواع ارلالحان المرقصة .

وفي أعلى مكة — حماها الله — جبل ثبير الكبير .. ويطلق عليه البعض اسم « الصدر » وجبل الرخم . وفيه فجاج منحدرة .. تنطلق منها الشلالات أبان الأمطار ..

وفي وادي نعمان وعرفات .. و إلي جوارهما ، موقع يسمونه « الخرار » .. وهو بدوره (شلال) لا ينقطع أغلب الأحيان .

واتمثل أمامي الآن منظراً خلابا شهدته ابان طفولتي قبل ٦٥ سنة .. ببستان أمير مكة ، الشريف عون الرفيق رحمه الله بجرول .. وهو ذو « بركة » عظيمة كالبحيرة ولها ضفاف عظيم عرضه أربعة أمتار .. وقد نيط بها أقنية من الفخار تصب في حوض بجانبها الغربي .. ومنه تطلق إلي الركبان .. وكان هدير الشلال منها يسمع في مدرج أبي لهب آنئذ .. وكنا نسرع إليها في الأماسى .. ونمتع الطرف بالخضرة والماء .

تذكرت ذلك وبدأ لي أن أقترح .. (متطفلا) على مصالح المياه .. أن تحقق بعض الرفاهية للسكان من المواطنين .. والرواد من الوافدين .. باصطناع هذه « الشلالات » بصورة هندسية دائمة ، فان من طبع الماء أن لا يتوافر في مدينة ما أوضاحية الا وهو منحدر من جهة تعلوها .. وهنا أحسب أن تهيئة مصب له — قبل التوزيع — في أي خزان أو مورد ، وتجمع فيه الكميات الكبيرة من المياه ، بطريقة المدرجات المتقاربة .. أو النوافير الدافقة ، أمر ممكن يسير بإذن الله ، ثم يوجه إلي حيث يؤمن الحاجة في داخل البلد وبيوتها ، في الانابيب الضيقة أو الواسعة بشرط حراسته لئلا يتقذر بالأوساخ .. أو الايدي أو الأرجل من المرتادين !

وفي جدة ، من الممكن اتخاذ (الشلالات) بنفس الطريقة .. وبالطبع لا يكون ذلك الا بالهندسة الفنية الدقيقة .. فمثلاً في الكيلو (١٤) وفي الكيلو (١٠) وفي حدائق قصر خزام الشعبية ، وفي طريق المدينة المنورة ، حول محطة المياه ، لا يتعذر فنيا نصب هذه النوافير وهذه الشلالات .. مادام الماء لا بد له من انحدار ، ولو بضعة أمتار .

وهي (أمنية) .. لا يضيع بها الماء .. وتتوافر بها المناظر الترفيهية .. حتى في قلب المدينة .. ونوافيرها الملونة .. بمكة ، وجدة ، والمدينة ، والطائف وغيرها .. فهو يؤدي دوره كشلال .. ثم يتجمع فينصرف إلي الاستهلاك العام .. عبر دقائق معدودة . وكل ما في الأمر اتجاه من المسؤولين — إلي هذه الغاية بالاساليب العصرية

التي تساعدها الأجهزة الفنية الحديثة .. والأمل وطيد في القائمين بأمر الماء ـــ أن يأخذوا في حسابهم هذا المشروع الذي لا أشك في أنه سهل التحقيق في (أبها) ، و (جازان) ، ومكة ، ونعمان ، وجدة وعسفان ، والرياض ، والخرج .. والطائف ، والعرج . وبه تخف وطأة القيظ وحرارة الهواجر ، والله مع المحسنين .

١٤٩٩ العسب واللخاف

جاء في رواية **زيد بن ثابت** رضي الله عنه ، عند العزيمة على جمع القرآن .. قال : تتبعت (القرآن) اجمعه من العسب واللخاف ، وصدور الرجال .

قلت : ولعل العسب مما لا تدق معرفته على أهل زماننا هذا .. وهي جمع عسيب ، أي جريدة النخل ، وهي السعفة التي لا ينبت عليها الخوص ، أما اللخاف فقد تخفى على الناشئين .. وما هي الا حجارة بيض رقاق كانوا يكتبون عليها اذا تعذر الورق ..

وبهذا يتعين وجود هذه الحجارة ـــ وتوفرها ـــ في صدر الإسلام .. حول أم القرى .. وأحسبها من رقائق الواح المرمر .. الذي اكتشف اخيراً .. وأصبح تصنيعه حديثاً (صناعة) رابحة .. وتجارة رائجة .. واكتفي به عن الاستيراد .. وأقيمت به ومنه أعمدة العمارة السعودية الجديدة في (المسجد الحرام) .. وكثيراً ما كنا نزين به شواهد القبور المحفورة بأسماء الموتى .. منذ قرون بعيدة الواحا عريضة منه .. بالاضافة إلي الأحجار السود الأخرى التي تشبه الا لواح (البرنزية) ولا تزال في مقابر الحجون بقايا منها ..

١٥٠٠ شفته بعيني

يكاد يغلب في التداول العام استعمال كلمة : (شفته) بمعنى رأيته .. أكثر من (رأيته) . فما هي علة ذلك ؟ الغالب أن أول من نطق بها كان (لغويا) متمكنا .. فان (الشوف) أبلغ من النظر أو الرؤية .. لأنه يعني التفحص والتمعن والصقل .. فاذا قال : (شفته) فهو يؤكد أنه رآه واستجلاه .. أكثر من مجرد النظر إليه لمحا أو شزرا .. وما ورد في كتاب الله المبين لفظه ولا معناه ..

وانما هو من الاستعمال الدارج العام الذي لا يتزحرح .. وله نص لغوى صحيح ، ويكون بذلك من فصيح العوام .

١٥٠١ ماهو الجذيل والمحكك والعذيق المرجب

ما أكثر ما يكتب الأديب هاتين الكلمتين أو الجملتين في رسالة أو مقالة .. أصلها وفصلها ، حاشا معناها الذي يقصد به المعرفة والخبرة والتجربة والاختصاص .

فأما الفاظهما .. فالمراد بالجذيل المحكك (أصل الشجرة تحك .. أو تتحكك به) (الابل) . وبالعذيق المرجب : (النخلة التي دعمت ببناء أو خشب لكثرة حملها) .

وكان أول ناطق بهما في الإسلام (**الحباب بن**

المنذر) يوم السقيفة .. فمن علمها .. فانه هو (الموصوف) .. ومن جهلها .. فما أجمل أن يعلمها مما اكتظت به المجلدات .. في (الرفوف) .

(١٥٠٢) ابن النعامة

يستعمل بعض القوم — كلمة (موتو رجل) .. للدلالة على المشي .. وأنه لا يملك هذا الماشي (موتوراً) أو سيارة .

ووجدت خيراً منها : (ابن النعامة) .. فهي أفصح وأصلح .. فان اللغة تنص على أن النعامة (ما تحت القدم) .. قال **خزز بن لوذان السدوسي** :

فيكون مركبك القعود ورحله
وابن النعامة يوم ذلك مركبي

قُلتُ : وما أصح السير على الاقدام .. ولا سيما في داخل المدن .. فقد أضرت الربلات والعجلات والمقاعد الفارهات . حتى بالشباب ، وكثرت الشكوى من (مفاصل الركب) .. وذلك من عواقب عدم المشي ، من الجلوس الطويل على « الكنب » ! وكل وما اختار .

(١٥٠٣) بيض السوق

قال أحد معاصرى **بشار بن برد** : « قلت لبشار انك لتجيء ، بالشيء الهجين المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قلت : بينما تقول شعرا تثير به النقع وتخلع القلوب مثل قولك :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس — أو قطرت دما

اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة
ذري منبر — صلى علينا وسلما

تقول :

ربابة ربة البيت
تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات
وديك حسن الصوت

فقال : لكل ، وجه وموضع .. فالقول الأول جد .. وهذا قلته في ربابة جاريتي وأنا لا آكل البيض من السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها .. فهذا عندها من قولي أحسن من « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » عندك .

قُلتُ : اذن يكون بيض السوق منذ أكثر من ألف عام .. غير مرغوب فيه لغلبة فساده — وقد جربنا ذلك كثيراً ، واقتناء الدجاج أفضل .. ولكن من الدجاج البلدي .. **فهي** اغذى وأعذى .. والذ وأمرى .. وقد احدث الناس في زماننا هذا علاجاً — لحفظ البيض ، وهو ايداعه (الثلاجات) .

وهذه فائدة أخرى في هذه الرواية .. وهي صب الخل في الزيت .. أو الزيت في الخل .. فهو ولا ريب (ادام) خفيف لطيف ولا شيء فيه من التكليف ، لو قنع به المتكاثرون .. و (الصحة في أطراف الجوع) .. و (البطنة تذهب الفطنة) .. « **ونحن قوم لا نأكل حتى نجوع .. واذا أكلنا لا نشبع** » .. أي لا نبلغ حد الشبع .. بخلاف ما يتأوله أهل النهم .. فانهم يقولون : اننا مهما أكلنا وتزيدنا .. واكتظت (معدنا) .. فاننا لا نشبع .. وقانا الله شر — الشره ، والالتهام !

(١٥٠٤) برضه - عربية أم أعجمية

تتردد هذه الكلمة في كل أوساطنا ومجتمعاتنا ودورنا . وبين كبارنا وصغارنا ورجالنا ونسائنا آلاف المرات بين طلوع الشمس وغروبها .. فما هي وماذا تعني وهل هي عربية أو أعجمية .

وقد وجدت لمادتها أصلاً في اللغة كما يلي : « برض برضا .. الماء من العين ، خرج قليلاً ، فالعين بروض ــ بفتح الباء ــ أي قليلة الماء » .

و « برض بروضا النبات خرج بعضه وهو أول ما يطلع منه .. وتبرض : تبلغ بالقليل من العيش .. الشيء أخذه قليلاً ، قليلاً .. وتبرض الماء ترشفه وتبرضت الأرض خرج نبتها » .

قُلْتُ : وفي هذا النص اللغوى ما يمكن معه التأويل في كلمة (برضه) الشائعة الذائعة. فهي تعني .. ما يراد بها في الدلالة .. إذ يقول المتكلم لسامعه : ان حديثه لم يتم بعد .. فهو يتبرض .. ويتتابع رويدا رويدا .. وهى أيضاً ذات مفهوم آخر .. وهو يعني الاستزادة .. اذ يقول أحدهم لصاحبه : أيكفى ما فعلته وقدمته ؟ فيرد عليه قائلاً : (برضه زد) ..

ولست اقطع بهذا .. فما يزال عندي شك أنها من لغة دخيلة .. غير العربية .. وأكاد اجزم أنها ــ اذا لم تكن عربية كما ذكرت .. وتأولت .. فانها (تركية) .. وأرجو من علامتنا الجليل وأستاذنا الكبير صاحب المنهل الاغر أن يمتعنا بما يراه في ذلك أصوب وأرجح[1] فهو المثابة في حل المشكلات العلمية واللغوية .. مع العلم بأنني أسر كثيراً كلما ظفرت بنسبة عربية لكلمة متداولة والله المستعان .

(١٥٠٥) ابن الكلب

من الشتائم التي يتداولها الجمهور .. حتى يومنا هذا ــ كلمة ــ ابن الكلب .. وكنت أحسبها من المحدثات في العصور المتأخرة .

وقرأت (**للاخطل**) التغلبى الشاعر الفحل الكبير في العصر الأموي : فى هجائه لجرير الخطفى . من قصيدة له ــ قوله :

فان تسع ــ يا ابن الكلب ــ تطلب دارنا
اتدركه ــ لا تفتأ الدهر عانيا

وعجبت أن تكون هذه الشتيمة . منحدرة إلي زماننا هذا منذ أكثر من ألف وثلثمائة عام .. وما أكثر ما تردد بها الصدا كلما ــ ذكر واجد ، أو حاقد من اسخطه أو احفظه من الخصوم ..

---

(١) المنهل : ما أماط عنه اللثام أستاذنا البحاثة الجليل الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي أطال الله عمره وأبقاه ذخرا ــ من معاني « برضه » واشتقاق (برضه) العامية من هذه الصيغة .. هو تأويل جيد موفق رد به هذه الكلمة التائهة إلى أرومتها العربية . وخاصة انه لم يكتف بهذا التأويل فأضاف التنقيب عن ارومة صيغة : « برضة » حتى أبدى لقرائه المقدرين لشذراته الذهبية الممتعة أنها ربما تكون تركية الاصل .. وقد سنح لي أيضاً رأى مقتبس من (تنقيبات) أستاذنا العلامة ، وذلك أن (برضه) ربما تكون في الأصل عربية مضغوطة : (بأرضه) أي بمكانه .. أي مثله .. ثم تحول إلي (برضه) بحكم تأثير العامية المتعجلة في ضغط الكلمات الفصحى لتوائم أسلوبها ومنهجها المنحرف . والله أعلم . واخيرا شكرا من الاعماق وتقديرا لصاحب الشذرات الممتعة العبقة فى كل مكان .

وما ينبز بها المخدومون خدمهم .. وحتى الاباء يفردون بها بعض ذوى الشقاوة من الأولاد .

وقديما قال الشاعر :

لو كل كلب عوى القمته حجرا
لا صبح الصخر ، مثقالا بدينار

(١٥٠٦) فطنة نادرة

في أوائل عام ١٣٦١هـ أى قبل اثنين وثلاثين سنة . دعي وفد علمي قضائي من مختلف أنحاء المملكة ــ بأمر من المغفور له جلالة الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته ــ فعقد مؤتمر عام في (نجد) ... وكان جلالته قد ضرب سرادقاته الملكية ــ (بروضة خريم) .. وكان لي شرف الاشتراك فيه عضوا وسكرتيرا ــ بأمر جلالته ، وكانت مهمته الاصلاح الشامل . وكان من جملة من ضمنه حملتنا (المكية) ... جهاز كامل لمطبخ متنقل .. وكان بين الخدم ــ فتى جاوي الأصل .. الا انه على درجة كبيرة من الفطنة والذكاء .. والالمعية ..

وكان جلالة الملك ــ كعوائده دائماً وابداً .. اذا ركب من مخيمه العالي إلي حيث ينعقد المؤتمر العام بقصد الزيارة أو التوجيه .. يضع بين يديه في سيارته الخاصة .. (بدرا من الذهب أو الفضة) أي (الاريل أو الريالات .. تلك التي كان الواحد منها كالمفتة[1] ، استدارة وطولاً وعرضاً .. وذلك لينثر منها طول الطريق .. وهو نحو من ثلاثين (كيلا) .. على أهل البادية الذين يبادرون كباراً وصغاراً وأطفالا ونساء ورجالاً إلي الاصطفاف ــ عن اليمين وعن الشمال ــ لينفحهم ويرمى إليهم بكميات كثيرة من الريالات فيتزاحمون عليها ويجمعون ما تيسر لهم الحصول عليه منها .. وهو كثير .. وفي كل يوم ..

وفي احدى الامسيات ، وعند اقتراب الفراغ والاعداد للسفر وجدت الفتى الجاوي يترنح طربا ويتضرع إلي الله شكراً وحمدا ودعاءا لطويل العمر . بشكل يجذب الانتباه فقلت له . ما بالك يا هذا ؟ قال : يا عمي : انا لما (سفت) أي « شفت » جلالة الملك يرمي بعدد من الريالات .. استريت منهم أي اشتريت ثوبا ممزقا خلقا مثلهم ــ بريال واحد ــ وكلما حان وقت العصر أي ساعة تسريفه أي (تشريفه) إلي المؤتمر .. اجلس بينهم كأنني واحد منهم ! وهل تدري كم جمعت في ستة عشر يوماً ؟ قلت : كم قال : ثلثمائة ريال .. الحمد لِلّه .. دحين أي (الآن) صار عندي راس مال كبير .. وسأبسط به دكانا في مكة ــ واعجبت به وبذكائه وحذقه (والحاجة أم الاختراع) !

(١٥٠٧) الغزو اللغوي

ما أكثر ما دخل على العربية في زماننا من الالفاظ الأجنبية أو التزمناه في كلامنا . وتداولناه .. حتى ليتعذر حصره واحصاؤه ! .

وقد أصبح ذلك امرا محتما .. لا مناص منه .. وهو يزداد مع الأيام شيوعاً وذيوعاً ومن المستحيل حذفه أو صرفه .. ما دام متصلا بالتقدم الحضارى والعلمي والفني والآلي .. فما يستطيع

(١) « المنهل » المفتة في لهجة أهل الحجاز : طبق من سعف كبير توضع عليه صحون الطعام أو الفاكهة وهي بفتح الميم والفاء والتاء المشددة بعدها تاء مربوطة .

اشد المتزمتين (في اللغة) .. أن يأتي استعمالها .. الا ذا قصد بها البديل مما تقره المجامع اللغوية عوضا عنها أو تعريبا لها .. ومن أمثال ذلك (الفولكلـــور) .. و (الديكـــور) و (الدكتور) — إلي آخر هذه المسميات الحديثة .. التي لا يستطيع فهمها الا الدارسون لها في الجامعات .. والكليات .. ولو أنها معدودة محدودة لهان الخطب ، ولكنها تتجاوز المئات والالوف ... واعتقد أنه مامن معنى .. ايا كان علمياً أو صناعياً تضيق به لغة الضاد ... وأن سبيل الترجمة .. أو التعريب ممهد لذوى التخصص الذين يحسنون الكلام بأكثر من لغة أجنبية — لا سيما تلك التي احاطت بالتمدن الحديث وسايرته في ابانه — وتطوره .. وازدهاره .

ومن الحق أن تفرد مؤلفات لذلك . مبسطة ، في جميع الفنون ... واعتقد أن في امكان استاذنا العلامة الجليل — الشيخ عبد القدوس الأنصاري اطال الله بقاءه أن يتولى ذلك في بلادنا العزيزة — وان يتابع هذه الكلمات المحدثة . اما في نهر خاص بها في المنهل الاغر .. كما فعل في بعض اعدادها .. (شهريا) .. واما بتدارك ذلك وجمعه في (سفر) يصدره للتنوير .. ويضيفه إلي (فوائده) القيمة ومؤلفاته الثمينة وهو من الأهمية بالدرجة التي يعلمها فضيلته . والحاجة إليه ملحة فما اجدره بهذه (المكرمة) وقد مكن الله له في العربية وأسرارها .. فقد تعذر على الناس الحصول على ما اصدرته وتصدره المجامع اللغوية .. الكبرى ، في هذا المجال الواسع[1] .

---

(١) « المنهل » : شكراً عميقاً لحسن ظن أستاذنا العلامة الجليل ونسأل الله التوفيق لتحقيق رغبته واني لساع في ذلك بقدر الجهد والمستطاع .

١٥٠٨ من هو (البصاص)

أدركا أول النشاة بمكة المكرمة — فريقا — من أهلها .. عهد لهم بالعس ليلاً .. وهم الخفراء — الذين يقومون — بالطواف حول المنازل والحوانيت ومعهم الصفافير — للحراسة من أول الليل إلي مطلع الفجر .. ويطلق على الواحد منهم (بصاص) وكان ذلك في العهد العثماني .. ثم تبدل .

وبحثت عن البصاص لغة — فوجدتها — فهي من (البصاصة) وهي (العين) .. وهو في مهمته (عين) تبص .. وتتعقب .. والله اعلم .

١٥٠٩ كلمات اصيلة - لا دخيلة

يقول احدنا لصاحبه « صه » بمعنى أصمت .. وهي فصيحة لا غبار عليها . ويقول له — اذا اراد الحديث في موضوع ما — وكان فيه شيىء من الغرض أو الكذب أو المخادعة :— (صن) بمعنى تجاوز وتغاض عنه ؟ وهي صحيحة أيضاً .. ففي اللغة (اصن الرجل : سكت) الا أنها في التناول تشتمل على معنى الانكار والتغاضي .. ويقول : (نيسة) .. وهو يقصد الاعراض عن الشيء الذي لا يرضاه لا يقتنع به . والكلمة فيما أرى مشتقة من (النسيئة) والإنساء أي التأخير .

ووقفت طويلا عند كلمة شائعة في جميع الاوساط وهي .. (السوطرة) فاذا ضاق المرء بمحادثه وحديثه .. واعتبر ما يقوله هزءاً به أو سخرية منه ؟ قال له : (انا ماني سوطرة) !!

واخيرا استطعت ان الحقها بما هو معروف عن (الاسطورة) وان أكثر الاساطير لا تعدو ان تكون خزعبلات .. أو مفتريات .. فهو يربأ بنفسه ان يكون في نظر مخاطبه من الهوان بحيث يجعله (تريقة) — بفتح التاء وسكون الراء — أو سخرية .. والتريقة فى اصلها صحيحة فإنها من (الترياق) .. وكل في دعواه فيه عديم البرهان !! وارجو ان اقرا لاستاذنا الكبير أبي نبيه — رأيه في ذلك فانه به أعلم وابصر (وابخص) والتبخيص لغة تحديق النظر[1] .

(١٥١٠) الحمـــد لله

قرأت في إحدى المجلات القديمة من (المختار) . عدد ديسمبر لسنة ١٩٥٩ م هذه القصة القصيرة : « قبل مأدبة عيد الشكر الأمريكي الذي تقدم فيه وجبات من الديك الرومي سألت مدرسة الأطفال في إحدى مدارس (مينوتا) تلاميذها عن الشيء الذي يشكرون عليه ؟ .. فقال طفل منهم : انني اشكر الله لانني لست ديكا روميا » اهـ .

واغرقت في الضحك .. وتذكرت اختا لهذه القصة سمعتها قبل نحو من ستين سنة : من المرحوم مدير الاوقاف والحرم الشريف بمكة المكرمة .. الشيخ محمد أمين اماسيلي ، رحمه الله .. سنة ١٣٣٤ هـ وكنت حينئذ اباشر وظيفة تافهة في ادارته .. أول عهدى بالخدمة وسنى بعد لم تتجاوز السادسة عشرة .. فدخلت عليه بأوراق استأمره فيها .. فوجدته رافعا يديه بالشكر والحمد .. وما كان لي ان اسأله عن السبب (لمقامه) وشيخوخته .. ولحداثتي .. فبادرني بقوله : « وكان أغلب كلامه ، باللغة التركية — الا ما تضطره إليه الضرورات » : (هل تدري لماذا انا اشكر الله الآن ؟ قلت : لا افندم قال : عشان ربنا ما خلقني فرسا تحت (فلان) وهو ذا منصب ديني عال رفيع .. واتبع ذلك بقوله : (الله يكون في عون الفرس التي يركبها فما من شارع ولازقاق الا هو فيه .. من الصباح إلي المساء وقد اهمل اكلها وشربها .. واكتفى بركوبها فقط . واهلكها ! حسبه الله) .

وكانت تبدو على محياه مظاهر الانكار الشديد ؟ والجزع والاحتجاج !! فخرجت من عنده ضاحكا مستغربا وحدثت بذلك زملائي يومئذ .

(١٥١١) الشيخ محمد البنداري

قرأنا كثيرا عن (النكت والتنكيت) — ومن اشتهر بها في مصر العزيزة — كالشيخ **علي الليثي** ، والشيخ **عبدالعزيز البشري** .. والشيخ **محمد (البابلى)** .. وغيرهم من الرجال الكبار ذوى المواهب الفكرية الممتازة .. وحتى أمير الشعراء (شوقي) وشاعر النيل — كان لهما دور بارز في هذا المجال .. وقد صدرت بذلك عدة كتب تناولت هذا الموضوع وأهله منذ أكثر من قرن مضى .

ومع كل أسف فان بلادنا لم تكن خالية من أمثالهم .. وربما زادت قفشاتهم على غيرهم .. الا ان عدم وجود الصحف والمجلات ابان حياتهم

---

(١) « المنهل » لا عطر بعد عروس .. وها هوذا الأستاذ المبجل والبحاثة الأكمل الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي أطال الله بقاءه ذخراً ، ينفذ إلي مناجم العلم بذهنه اللماح ، وفكره الثاقب أمتع الله بحياته أمداً مديداً .

طوى (لطائفهم) ـــ مع الأيام والأعوام .

ولا يجهل أحد ممن عاصروا المقرىء الكبير والفقيه الوقور الشيخ **محمد البنداري** رحمه الله ان مجلسه كان حافلا بنوادره وتعليقاته .. المرتجلة بالتندر والفكاهة .. والظرف الحجازي المشهور ولو أنها كانت معروفة لكان لنا بها القدح المعلى .. برغم ان جونا ضنين بالمرح غالبا .. ولا تزاحم مصر في تبريزها في هذا الفن الذي لا يحذقه الا الاذكياء واللوذعيون .

وقليل أولئك الذين ادركوا قبل ستين سنة خلت ابنه المقرىء الاكبر الشيخ **عبدالهادى البندارى** .. الذي جمع إلي القراءة .. كثيرا من العلوم الدينية وبرز فيهما . واشهد اني سمعته وهو يتلو القرآن مرارا وتكرارا بصوت جهورى اذا ارتفع في أول الشبيكة سمعه الناس في آخر (محلة الباب) .. وكان ممتلىء الجسم وكأنما حنجرته (مزامير داود) ثم هو امام في (المجسات) والالحان ، وقد هاجر إلي بلاد جاوي وانقطع بها للتدريس والتلحين ثم توفاه الله بها رحمه الله .

(١٥١٢) مالي سواك

قال **جمال الدين محمد بن مكرم** صاحب « لسان العرب » المولود في القاهرة سنة ٦٣٥ هـ والمتوفي سنة ٧١١ هـ هذين البيتين :

بالله ـــ ان جزت بوادي الاراك
وقبلت عيدانه الخضر فاك
ابعث إلي المملوك من بعضه
فانني والله مالي (سواك)

قُلْتُ : وما أضيع (عيدان الاراك) في زماننا هذا بعد ان ركن الناس الا اقلهم من أهل الوبر إلي هذه (الفرشات) واللدائن واعتاضوا بها عن (السواك) .. وكم فيه من منافع وفوائد طيبة .. كثيرة .. عدا ما تتقاضاه (الفرشاة) وتوابعها من اثمان لو توافرت لأغنت في المجالات الاقتصادية الأخرى .. فهل من عودة إلي (اعوادنا) الطاهرة النقية .. أم أنها لا تتلاءم مع الحضارة العصرية ؟!

(١٥١٣) العود في خشمك وبهمك سرح

يستعمل أهل بلادنا جملة رمزية ينهون بها من بدا من سوأته شيء فيقولون له : « العود في خشمك » .. فيعرف ما قصدوه ، ويلم نفسه ، ويستر عورته .. على الفور ، واتفق ان صعدت إلي أعلى بلاد « الشفا » منذ أكثر من أربع وأربعين سنة .. وكان في الكوخ معنا والد شفوي .. ومعه ابنه الطفل الذي لا يتجاوز الثامنة .. فلاحظت ان الوالد ـــ قال لابنه في حدة : (يا ولد .. بهمك سرح) وشاهدت الطفل يرتبك ويضم ثيابه إليه في كثير من الخجل والحياء .. وظهر أن جملة (بهمك سرح) .. عندهم اصطلاح يتفق تماما مع ما يتداوله أهل الحاضرة .. من قولهم : (العود في خشمك) .. واعتقد ان ما هو متداول في (الشفا) وربما عند أكثر أهل البادية هو اصدق تعبيرا من الأول .. والطف واطرف .. لو لقى ذلك قبولاً حسناً منهم وبالطبع فان ذلك قليل الحدوث في المدن .. لارتدائهم السراويل .. وهو في البادية اشيع لأنهم لا يتخذونها .. وكم لهم من ميزات عربية لو وجدت من يتبعها ويدونها .. فقد سلموا من الاختلاط .. وحافظوا على عوائد العرب وتقاليدهم النقية الخالصة .

(١٥١٤) ماهي (اعاعه) ؟

هذه الكلمة شائعة ذائعة بين ربات الحجال .. منذ عهد بعيد ولا تزال تقال يوميا في المنازل — بينهن — وبين من يخدمهن من بنات حواء .. ويعنين بها الاستغراب والاشمئزاز .. والتوبيخ معا ، وعجزت أن أجد لها اصلا لغويا مقنعا .. ولو مقاربا .. والح بي الفضول أن لا ادعها دون اعادتها الي جذر عربي فصيح .

واخيرا — وجدت أنه لا يحل مشكلتها — ومشكلتي معها .. الا الاستاذ الكبير العلامة اللغوي والبحاثة اللوذعي (أبو نبيه) بارك الله فيه . وأطمع أن اقرأ ذلك من سيادته تهميشا على هذه الشذرة .. فما يصح أن تهمل ولا أن نعتبرها من الدخيل ، فهي بمجرد التلفظ بها — تكاد تعبر عن معناها المتداول .. واحسب ان منها .. ولا من أمثالها .. فما استعملها ربات البيوت الا اخذا من ذوات العراقة من جداتهن العربيات — منذ قرون[١] .

(١) « المنهل » : تلبية لرغبة أستاذنا الكبير راجعت بعض المراجع اللغوية المعتمدة فوجدت فيها أن لفظ (عاعيت) هو من الألفاظ التي تقال في زجر الابل ، ومثلها (حاحيت) و (هاهيت) أي قلت : (حاء) و (عاء) و (هاء) فعاعي فلان اذن فعل صوت (عاء) قال القاموس والتاج : (عاعيت عيعاء بالكسر قلت : عاء عاء) .. ثم قالا : (نقلا عن ابن جني) في سر الصناعة) في بحث الاشتقاق : ان هذا من أفعال الأصوات . يقولونها في زجر الابل . راجع مادتي (حيع) و (حنح) فيهما فلعل صيغة (اعاعا) هذه التي يعني بها في عامية الحجاز التوبيخ جاءت من هذه المادة وزيدت الهمزة في أولها علامة للاستكار والله أعلم .

(١٥١٥) صراع الثعابين

هنا قصة أرويها بالسند .. وفيها اضافة وطرافة (ولا تخلو من عظة واعتبار . وقد وقعت قبل أربعين سنة بمكة قال لي — الشيخ **حسين العجاج** — المعلم الكبير — والذي كان في مهنته « البناء » على الطراز القديم — من المقدمين .. وذوى الامتياز والاختصاص ، قال لي : تعال اخبرك بما حدث لي اليوم في عقر داري ؟ الأمر الذي لم أر مثله في حياتي .. وكان قد تجاوز سنه الثمانين .

قلت : خيرا إن شاء الله .. تغديت في منزلي مع أهلي وأطفالي وشربت الشاهي .. واسترحت على (الطاولة) لأهجع قليلاً حتى يؤذن العصر .. فأنهض للصلاة في المسجد الحرام .. وكانت داره تجاه باب إبراهيم في السوق الصغير — ولكنها في مؤخر الزقاق — لا في الواجهة .. قال : فما شعرت الا بحبلين طويلين سميكين ينحطان على ، بغتة من عل .. فوثبت فزعاً .. فرأيت ثعبانين كبيرين .. يتصارعان .. بصورة فظيعة — جداً — فهما يلتفان على بعضهما ويعتصران آونة وأخرى ويرتفعان وينخفضان ، في عناد واصرار وتصميم وعض ورض ، وكان أحدهما أسود سالخا ، والآخر أبيض اللون تلوح عليه سيما الترف والنعمة .. (قال — واحسبه انثى) .. وحمى الوطيس بينهما وفر أهل البيت وهم يتصارخون .. وبهت وجمدت في مكاني .. حتى تعذر على ، الخروج أو الولوج ، وكان الجو شديد الحرارة وفي فصل الجوزاء وهي السموم .. قال : وما كان لي من حيلة معهما — الا مجرد السكوت ، حتى

أرى ما يكون .. قال : وقد ظهر لي أن الأسود « وعيناه تقدحان بالشرر الأحمر » حاقد كل الحقد على الأبيض أو البيضاء (الرعبوبة) .

فأخذت أدعو في سرى أن يكفينا الله شرهما .. واتعوذ بأسماء الله الحسنى واقرا المعوذات وجاءت (المعجزة) أو (الاجابة) السريعة . فانطلق الاثنان وهما متعانقان ـــ لابل متلاصقان كل منهما يريد أن يقضى على الاخر .. وانقضا ، كالسهام إلي أعلى السقف .. ثم اتجها معاً إلي احدى النوافذ .. التي تطل على (ميضاة) باب إبراهيم .. التي ازيلت في التوسعة الجديدة .. وسقطا على أرض الشارع في السوق الصغير ، ولم يستطع المارة غير الفرار .. واتفق آنئذ مرور احدى السيارات الكبيرة الضخمة ذوات العجلات الثماني .. وأتاح الله للبيضاء الهرب إلي جحرها .. حالما تلكأ أو داخ الاسود اللعين .. فداسته العجلات .. ومزقته اربا اربا ، وبقى امام اعين الناس بعض الوقت .. جثة هامدة .

قال لي الشيخ **العجاج** : فكيف ترى هذه المصارعة (غير الحرة) ؟ وهذه النتيجة المقدرة .. على هذا الباغي الأثيم .. وهذا الانتقام .. الالهي العاجل ؟ قلت : لا شك : أنها عناية الله ـــ ولا اظن هذا الأسود المجرم الا فاسقا .. وكان يحاول ان يسيطر على عفاف (ملعونة الوالدين) :

ولكـل شيء آفـــة من جنسه
حتى الحديد سطا عليـه المبرد

وانها لعظة لكل من له قلب أو القى السمع وهو شهيد . والله خير حافظا ـــ وهو أرحم الراحمين .

(١٥١٦) حسن العرض وأناقة الشماتة

صورة ما تزال منطبعة في أعماق نفسي واحداق عينى .. وآفاق ذهني .. مقترنة بالغبطة والاعتزاز .. فقبل سبعين سنة أو ستين .. كان .. « المسعى » يحتوي على الكثير من الحوانيت .. والمعارض .. وباعة الفاكهة .. من كل جنس ولون .

وكان كل بائع من هؤلاء يصف أنواعها أمامه وبين يديه .. في تناسق وترتيب ، ويشكل بعرضها (ديكوراً) جميلاً .. يوجه انظار الزبائن إليها .. وهي زاهية مزهوة .. خصوصاً أصناف ((الرطب .. والبلح) العديدة .. ويرفع عقيرته بلحن رخيم .. يدعو إليها ـــ ويكرر : (يا زين يا حليل الزين) ـــ وهو بنفسه نظيف لطيف .. ظريف .. وكان إلي يمين الصاعد إلي (المروة) من جهة (المدعى) صف طويل من السمانة[١] لا يقل عن السبعة .. والعجيب فيهم أنهم يتأنقون في أزيائهم وثيابهم جداً فهم ـــ يرتدون الثياب الرهيفة من (الدرابزون) ويعرضون ثمانية على الأقل من أنواع السمن البرى .. والبقر .. وتعبق منها الروائح الجميلة .. ورغم أنهم معرضون للزفر[٢] فلا تجد نقطة واحدة على ثيابهم وناهيك بالفول والسمن (والسلطات) التي يسيل لها وبها اللعاب مع القطر والطحينة والعسل الشفوي هذا مع الصلاح

(١) « المنهل » : السمانة بتشديد الميم أي بائعو السمن .
(٢) « المنهل » : الزفر بفتح الزاي المعجمة وفتح الفاء الموحدة بعدها راء : هو : الدسم .

والتقوى وأداء الفروض مع الجماعات ــ ولا تسل عن الاسعار فأنها كانت من الرخاء بدرجة (يا بلاش) ..

١٥١٧ (الشرعة) و (القنعة)

كادت هاتان الكلمتان تضمحلان .. بمرور الزمن . وكانت الأولى تعني (زينة أو تزيين العروس) ليلة زفافها ــ حينما تتصدر (الريكة) أو الأريكة .. محملة بأثقال ينوء بها كاهلها من الأثواب وأنواع المصوغ واللبات والعقود والقلائد .. والذهب والفضة !!

وتعني الأخرى : (القنعة) : الملاءة .. والبرقع ، ومعهما (الخف والبابوج) !! فلا يبدو منها ــ من قمة رأسها إلي أخمص قدميها ــ غير (الوصاوص) .. وهي النافذتان اللتان ترى منهما ــ الطريق ــ ولو كانت بين (شبرا والعقيق) ! وكانت بذلك ــ وبالجلابيب ، حفيظة على ما ورثته من جداتها يوم كن الرعابيب .

١٥١٨ (الصرعة ـ والمرعة)

فأما الصرعة .. فلا ريب في أنها مأخوذة من (الصرع) وهو الداء المعروف ــ فيقولون عن كل نهم .. أكول : انه مصروع أى فاقد رشده .. فيحشو بطنه بكل ما يحصل عليه .. ولا يتحاشي بين الآخرين الافراط في ازدراد الطعام .

وأما (المرعة) .. فتقال للغلام أو الفتاة .. الصغيرين .. اذا زادا في التدلل وأفرطا في الدلع[1] .. وهي تعود في الأصل إلي (الامراع) ، وهو الخصب والنماء .. وكلاهما عربي صحيح فصيح .. وحب التباهي (غلط) ، وخير الأمور الوسط .

١٥١٩ (المكاسة ، لا النكاسة)

يخطيء البعض فيقولون ــ ريع النكاسة ــ بالنون بعدها كاف مشددة مفتوحة ــ وصحة ذلك : المكاسة ــ بميم بعدها كاف مشددة مفتوحة فألف ــ وهو مكان في أسفل مكة إلي طريق اليمن .. وكان به مركز جمركي قديم ، فاطلق ذلك عليه ، و « المكس » : دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع في أسواق الجاهلية .. ثم ما يأخذه أعوان الدولة عن أشياء معينة عند بيعها أو عند ادخالها المدن .

وكان في مدخل مكة من جهة (ريع الرسام) مركز آخر كالذي في (المسفلة) .. ويخطيء البعض أيضاً في تسميته بريع الرسان وان كان بجانبه فيما أدركناه ، وكان لصانع أرسان الجمال .. ومن فضل الله ورحمته أن ازاح هذه الكوابيس في العهد السعودي الدائم .

وكذلك يقال عن (الطندباوي) ــ الطنبداوى خطأ ــ فالصحيح فيه هو الأول .. لأنه كان كثير (الطنوب) وهو نوع من الاعشاب التي كانت تغلب في واديه .

(١) المنهل : الدلع : من عامية الحجازيين .. وصحتها الدلال .. حذفوا الألف وقلبوا اللام الأخيرة عيناً .. ولعل الأصل في ذلك : الدلال على ، أوعلينا . ثم صار ادماج .

(١٥٢٠) (الطفش)

كلمة دارجة يقولها من سئم أو تبرم مما هو فيه ، أو افتقد (الفرفشة) .. ولم اعثر لها على أصل عربي صحيح .. واحسب أنها استعارة .. من قرص الخبز — اذا تخمر .. قبل خبزه .. واشتد تخميره .. حتى يتفطر ، وبذلك يكون تداوله متصلاً بسبب لا يجهله الناس .. ولا يحل محله وبمعناه سواه .. ويردف الطفش غالباً بالزهق .. فالطفشان والزهقان ، كلاهما سيان .. وخير لهما أن لا يضيقا بما يعانيان ، فقديما قال الشاعر :

رب يوم بكيت فيه فلما
صرت في غيره بكيت عليه

والحمد لِلّه على ما لا يحصى من نعمه الجزيلة ، جعلنا الله جميعاً من الذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون .

(١٥٢١) (البشاشة)

(بش — بشا — وبشاشة) كان طلق الوجه — للشيء : أقبل عليه ، وفرح به — بالصديق ، سر به) اهـ .

قُلْتُ : وقديما قال الشاعر :

بشاشة وجه المرء تغني عن القرى

وما أقل ما يصادفها المرء — في زماننا هذا — وهي لا تكلف (الباش) مشقة ولا ارهاقاً .. وبالعكس تضفى عليه روحا من المرح والفرح ، وحسن المقابلة .. وتكسبه الحب والاحترام والتقدير .. لا سيما من كل من تراوده الظنون في (عبوسه) وتقطيبه ! ويعود ذلك عليه بالمقت والنقمة والازدراء .

وما احوجنا إلي الابتسام في وجوه الناس .. والا لتفات إلي هذه (المزية) العظيمة !

فإن البر شيء هين
وجه طليق وكلام لين

(١٥٢٢) (الوراشة)

يقال : فلان (ورش) .. أي خفيف الظل والدم . وهي صحيحة .. عربية أصيلة : (ورش يورش ورشا .. كان نشيطاً خفيفاً) .. وبالطبع فالوراشة وصف جميل اذا تجردت من الخفة في العقل ، وتجاوزت الطيش .. فلا بد معها من (الرزانة)والا عادت نقيصة ولا تقمع الا (بالخيزرانة) !

(١٥٢٣) (الكناشة)

هذه الكلمة مع عروبتها وأصالتها قليلة الاستعمال والتداول . وهي تعني مجموعة كالدفتر تدرج فيها الشوارد والفرائد .

وكنا نسمع قديما فيمن سبقنا من الأوائل ، أنهم كانوا يدونون خواطرهم من الأدب شعراً أو نثرا فيهما يسمونه : (السفينة) .. ثم أهملت ، ولم تعد لنا كلمات ولا سفائن ، وحلقت بذلك كله الصواريخ ! وربما كان معها المخ .. أو المخيخ . وقبل ذلك كان يسمى المتنوع . ومن التدوينات الأدبية : (الكشكول) ، ولعله في أيامنا هذه هو ما يدعى (بالكوكتيل) !.. والله أعلم .

(١٥٢٤) (العفاشة)

اذا تقسى أحدنا في كلامه .. وهو يحادث غيره .. وتجاوز فيه حدود اللياقة والذوق والأدب وقيل له : رويدك (ايش هذى العفاشة) ؟ وكذلك اذا تصرف فيما بين يديه (خبطا ورقعا) ودون ترفق واناة .. يصدق عليه وصفه (بانه عفش) ــ بكسر العين والفاء ــ ولا اساس له بهذا المعنى في اللغة .. وما نصت الا على ان (العفاشة) هو من لا خير فيه من الناس ، وعفش الشيء عفشاً ، جمعه ..

فهي عامية الاستعمال ؟ ولا يغني عنها قلب ولا ابدال ، وقد تمكن مدلولها منذ أجيال ، ولا حرج في بقائها فهي مستحكمة متمكنة .. ولا تتزحزح حتى بـ (القتال) . و (ما دخل الرفق في شيء الا زانه ، ولا دخل العنف في شيء الا شانه) .

(١٥٢٥) (الشلاشة)

وهي اخت (الوراشة) .. وتعني أيضاً ــ مثلها ــ خفه الظل .. والروح .. ولها أصل عربي . فان (الشلشل) من الرجال ، الخفيف في الحاجة ، السريع ، الطيب النفس .

ولعل (الشولشة) في مجالس الطرب مأخوذة من هذه الكلمة . وكنت أحسبها تعني : ليش تسكت . أى لا شيء لا تطرب ؟ ولكنها إلي (الشلاشة) أقرب وهي بها الصق ، ومعها اصدق .

(١٥٢٦) ايش وليش

هاتان الكلمتان ــ المتداولتان بين الماضي حتى يومنا هذا عريقتان في الاستعمال الف ومائتين من السنين .

فقد روي ان أحد الحكام في العصر العباسي اشترى جارية .. وخلا بها فسألها أنت بكر أم ايش فقالت له في الحال : أنا (ايش) والمقصود معروف فهي تقول انها « ثيب » . وايش هذه تعني أي شيء ونجد ابا نواس ابا الحسن بن هانىء ــ عفا الله عنه ــ المولود سنة ١٣٠ هـ والمتوفي سنة ١٩٠ هـ يقول :

كيف أصبحت ؟ لا عدمت صباحاً
صاحــا ــ يا محمــد بن قريش
انس نفسي كيف استجزت اطراحي
فيــم ذا سـيدي وذاك لا يـش

أي لأى شيء ؟

قُلْتُ : وما أراهما الا اقتضابا .. وقد رسخت بهما الاقدام وتعلقت الالسنة والافهام ، ولن تتزحزحا عن التداول .. ولهما أمثال كقولهم : (لسه) فهي بمعنى « حتى الساعة » وأما (هسه) فهي (هذه الساعة) ، وما هناك حرج من ذلك .. في المخاطبة والمشافهات ،.. فاما فيما يكتب ويدون فالافضل التكميل .

وكم سمعنا قول البعض (لا فيش وعليش) .. وأصلها مفهوم أي لا « في شيء ــ ولا على شيء » .. وأمثال ذلك كثيرة ــ لا تكاد تحصر ــ في العامية ــ هدانا الله إلي كل فصيح صريح .

(١٥٢٧) القصر الابيض العربي

قال **أبو العباس** ـ أى **ثعلب** :ـ حدثنا **عمر بن شبة** . **حدثنا أحمد بن سيار الجرجاني** : وكان شاعراً ، راوية ، مداحا **ليزيد بن مزيد** : قال : دخلت أنا **وأبو محمد التيمي وأشجع بن عمر** ، **وابن رزين الحراني** ، ـ على « **الرشيد** .. » (بالقصر الأبيض) .. بالرقة .. وقد كان ضرب اعناق قوم في تلك الساعة فتخللنا الدم حتى وصلنا إليه فتقدم **التيمى** فأنشده (أرجوزة) يذكر فيها نقفور ، ووقعة الرشيد بالروم ، فنثر عليه الدر من جودة شعره الخ .

قُلْتُ : (فالقصر الأبيض) العربي في أزهي عصور الإسلام وقبل اثنى عشر قرنا اعرق واقدم من القصر الأبيض في (واشنطن) وما يملك أحد أن يكابر في ذلك .. مع هذا النص التاريخى الصريح .. فهل كانت هذه التسمية في العصور الأخيرة مجرد توافق فقط ؟ أم أنها اقتباس وتقليد وتعظيم وتمجيد ؟ .. فما خلا بلد في العالم من باحثين ذوي إحاطة بتاريخ الشرق ، وحضارته ، وعمرانه ، وبذلك اعتقد جازماً (أن التسمية الحديثة انما اخذت من القديمة .. فما كان في قصر الرشيد الأبيض .. الا من كان اذا مرت به سحابة ما .. قال : امطري حيث شئت فان خراجك لنا .. وذلك برهان على سعة الملك وعظيم الشأن وبسطة السلطان .

(١٥٢٨) ما هو الردن

يغلط أحدهم ويتابع كلامه في حدة وسرعة واندماج وانزعاج ، فيصيح به الآخر : يا اخى (ايش بك تردن) .. ووجدتها واضحة في أبيات شعر اندلسية **للحكم بن هشام** المعروف **بالريفي** (١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ) اذ يقول :

تمنى صليل البيض احلى إلي الاذن
من اللحن بالاوتار واللهو و (الردن)

(قال صاحب اللسان) : (الردن هنا صوت وقع السلاح بعضه على بعض) .

ونحمد الله تعالى على أن الردن عندنا لا يتجاوز الحناجر . ولا يتعدى إلي الخناجر .. وله مثيل (في الاردية) .. حيث يقولون : (قل قل ني) بفتح القافين وسكون اللامين . و (ني) بفتح النون وسكون الياء .

(١٥٢٩) البخشة والبغشة

قال **ثعلب** : وانشدنا **أبو الربيع النابغة** :

تميح بعود الضرو اغريض (بغشة)
جلا ظلمة ما دون ان يتيمما

واتبع ذلك قوله : (البغشة) السحابة التي يدفع مطرها دفعة .

قُلْتُ : ولا أدري ما هي هذه البواعث التي تكمن في أعماق نفسي فلا اكاد أظفر بنص عربي نستطيع الاستغناء به عن كل لفظ دخيل .

(١٥٣٠) ايش يخصرونـي ؟ أنا أوريهم !

يروي أن الشيخ **عمر افندي نصيف** الكبير جد المرحوم المبرور الشيخ **محمد افندي نصيف** كان صاحب ثراء ودهاء وبعد نظر ومع استقباله يومياً بداره الكبرى أصنافاً من عباد الله يسعهم بالطافه وكرامته واكرامه .. فانه كبشر كان لا يسر بشخص يصابحه ويماسيه .. وهو لا يميل إليه ، ويستثقله كثيراً ، ويضيق به ذرعاً ..

قالوا : وما زال هذا الانسان مداوما على الزيارة بدون أي مبرر .. الا مجرد الامر والنهى والازدراد !! حتى اضطر « الأفندي الكبير » ان يتخذ وسيلة للخلاص منه .. والسلامة من فضوله ، فكان ان رتب أمره مع الخدم .. (كما يبدو) فطلب صاحبنا ماءاً .. أو قهوة .. أو شاياً .. ودعا مرارا أحد الخدم لاحضار ذلك إليه .. فما رد له أحد منهم جواباً ولا حضر .. فشكا إلي (الافندي) اهمالهم له .. فقال له : ابشر ، وصاح ، (يا ولد — يا ولد — يا ولد) .. فما اجابه أيضاً لا ولد ولا بنت !! فتضجر الثقيل .. وقال له : (افندي امرك عجيب خدامك ويخصروك ؟) أي لا يهتمون بندائك .. فانزعج الأفندي ، واظهر الغيظ منهم .. وقال له : (يخصروني — أنا — والله طيب .. والله لاوريهم[1] شغلهم ، قليلين الأدب .. وبقى الرجل مهملاً .. دون جدوى !

(١) لأوريهم — عامية حجازية .. أي لأرينهم شغلهم .

فقال : (يا افندي ايش يعني توريهم وهمه[2] .. لا يبالون ولا يحضرون قال : (والله مقابل خصرانهم اخصرهم انا ولا ازهم[3] احدا منهم (خيبة العمر عليهم) !! وبقى الرجل .. ينتظر .. طويلاً .. فما كان منه الا ان خرج محموقاً .. مهرولا ، ولم يعد بعد ذلك الدرس القاسي ، وعسى ان لا يلجا إلي مثل هذا التصرف من تضيق صدورهم بالثقلاء .

(ملحوظة) .. أوردت القصة بالفاظها .. ولو حاولت أن أحرص على الفصحى لفقدت ميزتها العامية .

(١٥٣١) أنت ما تصير آدمي !

قال المرحوم المبرور السيد **عبدالوهاب** نائب الحرم تغمده الله برحمته : يحكى أنه كان في اسطنبول رجل — أدركه الهرم ورغم شيخوخته وأمراضه .. أبي عليه شيبه .. ووقاره وصلاحه ، أن يستجدى الناس فعكف على حرفته التي نشأ عليها ودرت عليه رزقه — وهي صنع (الجزم) أو الكنادر .. أو اللابشينات وقد تجاوز سنه (الثمانين) .. وكان له ولد رزق به على كبر ومنذ نشأ .. صغيراً .. حتى كبر .. كان ديدنه الشقاوة واللعب والاستهتار بالحياة .. والعقوق بأبيه .. فقال له مغتاظا : (انك لا تصير آدمياً.. ابدا) .. فانزعج الولد بذلك كثيراً — وهرب من الآستانة وارتاح والده من انكاده واعناده .. ومضت عدة أعوام . ولا يدري أبوه شيئاً عنه !

(٢) المنهل :— وهمه — بضم الهاء وفتح الميم وشدها بعدها هاء ساكنة كلمة من عامية الحجاز أصلها العربي (وهم) أي ضمير الغائبين .

(٣) ولا أزهم : أي لا ادعو .. عامية حجازية ايضاً .

فاذا بالولد العاق .. ينطلق إلي اوروبا ويلتحق بمعاهدها .. وجامعاتها .. ثم يذهب .. إلي السفارة التركية في باريس ، ومن ثم يرتقى من ادنى المراتب إلي ان اصبح هو السفير ثم — يستدعى إلي العاصمة .. ويعين وكيل وزارة .. ثم وزيرا .. ثم (صدرا اعظم) .. وما بعد ذلك ما يطمح إليه .. فامر (مدير البوليس) بأن يتوجه مع كوكبة من فرسانه إلي الزقاق الحقير الذي يقيم فيه والده فيه حانوته .. وان يحضروه إليه حالا .. وفوجىء المسكين بهذه « المصيبة الكبرى » فما اقترف اثما .. ولا ارتكب جرما .. وهو في آخر عمره .. وينوء بأمراضه .. فحوقل وبسمل .. وجر قدميه معهم .. إلي صاحب الصولة والدولة السلطان وهو يرتعش وينكمش !! فلما مثل بين يديه متهاويا متحاملا — لا يكاد يقف !! قال له (الصدر):ـ هل عرفتنى ؟ قال :ـ وقد تبين سحنته وعرف حقيقته :.. نعم عرفتك كما عهدتك ! قال : من أنا ؟ قال : أنت الذي قلت لك مرارا (ما تصير آدمي) .. قال : وحتى الآن تقول هذا — وانا اشغل منصب الصدارة ؟ قال : انالم أقل لك انك لا تصبح وزيرا أو صدرا .. أو سلطانا .. وانما قلت ومأزال أقول : (انك ما تصير آدمي) .. وكذلك أنت حتى الآن .. فلو كنت آدمياً كإبن .... لبادرت إلي ابيك تقبل يديه وقدميه تكسب رضاءه ودعاءه .. بدلاً من ان تبعث إليه (زبانية جهنم) يجرونه .. إليك مهانا .. مفجوعاً . لا يدري ما ذنبه وما جريمته .. (فالآدمية) غير السلطة .. وغير الجاه .. وغير المال !! (ومن يضلل الله فماله من هاد).

وفى هذه القصة عظة وعبرة وحكمة وتوجيه وتذكير وتنبيه .. والله الهادى إلى سواء السبيل .

قُلْتُ : ان وقوع هذا الحادث قد يكون على هذه الصورة أو غيرها ، الا انني اعتقد جازما ان من يرتقى إلي دست الوزارة ثم يتقدم إلي الصدارة لا يمكن أن يكون بهذه الأخلاق ، انني انزهه عن ذلك ومن المعلوم ان الروايات تختلف بحسب الاهواء في بعض الأحايين .

(١٥٣٢) (ثلاثة بثلاثة)

ما بين عامى ١٢٣٠ هـ و ١٣٣٠ هـ .. نشأت بمكة طائفة تدعى (الجعايدة) وقد وفدت إليها — في ظروف خاصة من بعض البلدان المجاورة .. اذ لم نعرف بمكة ولم تذكر قط الا تلك الحقبة فقط .. وكانت كالصلبة . بين قبائل العرب وهي ذات ملابس قذرة .. نساء ورجالاً وأطفالاً — ولها أصوات منكرة .. مرتفعة .. وكان لها شيخ خاص بها — معين من الحكومة إذ ذاك .. وبقيت معروفة في زاوية من جبال مكة المشرفة .. إلي ما قبل خمسين عاماً .. ثم انطوت أو اندمجت واتخذت القابا واسماء جديدة .. سلمت بها من المعرات والوصمات اللاصقة بها قديما .. (على ما اعتقد .. فليس بمكة اليوم اثر لهم بالاسم ولا بالمسمى ، وكان يضرب بهم المثل في « المواقحة » .. والمعابطة .. والصفاقة .. وابرز ميزاتهم ارتفاع أصواتهم — وعدم مبالاتهم حتى بلغت شهرتهم بذلك درجة جعلت كل من يعلو صوته وتشرس أخلاقه .. يقال عنه أنه جعيدي .. وأحسب ان لهم بقايا في (مصر) حتى الآن .. ولا أدري لماذ نعتوا بهذا اللقب ! وما أصله وسببه وعلته ؟

قُلْتُ : هذا تمهيد لحكاية سمعتها من معمر توفاه الله قبل ستين سنة .. قال : كان التنافس بين الأمير

والوالي متصلا لا ينقطع وكان كل منهما ــ يحاول ان يستميل إلي جانبه ونصرته أكبر عدد ممكن من الاهالي ليعتز به امام السلطان العثماني ، وأنه كثير الصلات بالناس واعيانهم وكبرائهم .. وان رجحت بالطبع كفة « سيدنا » على الوالي التركي .. فحدث ان اتصل ثلاثة من الوجهاء بالوالي باساليب كانت رابحة للوصول آنئذ !! حتى اكتسبوا رضاءه ــ بكل ما استطاعوه من وسائل الزلفى ، فكتب باسمائهم بيانا إلي (المابين) في استنبول ــ وقال : انهم من اصدق القوم واخلصهم لمولانا السلطان وهم جديرون بالتقدير والتكريم .. وطلب لكل واحد منهم تشريفاً له ووساما يزدهي به بين اقرانه .. في المحافل والمجامع مكافأة لهم على خدماتهم ووو ..

وجاء الرد بالاستجابة لطلبه .. مع « النياشين » والبراءات .. واحضرهم وناطها برقابهم .. وهناهم على هذا العطف السلطاني ، وخرجوا والأرض لا تسعهم من الفرح . « وما اردت ان اسمى هؤلاء الوجهاء قصداً » .

وما ان علم سيدنا ــ « عون الرفيق » بذلك حتى اضطرم غضبا .. واضمر الانتقام المناسب .. من الوالي .. ومن المنعم عليهم من قبله .. فسحب إلي « المابين » برقية عاجلة بانه علم بما حدث .. وهو خطأ عظيم .. ومضرته كبيرة فماذا يقول لمن هم اشرف منهم واكرم واحق واجدر بالتقدير والتشريف ــ من الأهالي ــ الذي هو أدري بهم ، واعرف ؟ واخيراً سمى « ثلاثة » ــ مقابل (الثلاثة) ــ وهم (فلان) وهو شيخ « الحمارة » .. وفلان ــ وهو شيخ (كلاب المسعى) وفلان ــ وهو (شيخ الجعايدة) مبالغة في النكاية بالوالي واصدقائه .. واردف التماسه بالرجاء إلي ذوى الشان في (يلدز)[1] .. فما مضى أسبوع الا والبريد يحمل إليه الاوسمة والبراءات .. وبدرجة أرفع واسمى من الأولى .. مع شكره على توجيه النظر إلي من هم احق من السابقين .. واحضرهم وأمرهم بان يتقلدوها صباحا يوم العيد (عيد الفطر .. أي حين تقام الشريفات وتتميز الشخصيات ، وأنهم اذا راوا (الثلاثة الأولين) يصعدون السلالم باوسمتهم .. فما عليهم الا ان يضايقوهم ويدفعوا بهم دفعا الي الوراء ، ويتقدموا عليهم بحكم ان اوسمتهم أرق درجة ، وانهم أشرف منهم وأكبر .. وابرز واظهر .. وكذلك كان .. وليمثل القارىء .. الموقف المخجل الرهيب آنئذ فقد عجل كل من الأولين ــ فك (نياشينهم) من صدورهم أو حلوقهم .. وادخالها في جيوبهم .. واحتملوا مزاحمة الآخرين وهماتهم بهم ، وقاموا بواجب السلام في سحنات مكدرة .. ووجوه محجرة ، وعرفوا أنها مكيدة مدبرة ! وان سيدنا انما اراد ان ينتقم منهم لصلاتهم بالوالي .. وذهبت احدوثة أو امثولة بين الجمهور .. وهي قصة طريفة لا تخلو من الفكاهة والاعتبار ، والعهدة على (الراوى) ..

قُلْتُ : ان القصة وان تكن حدثت الا أنها لا تخلو من المبالغة والتحريف ، واعتقد أنها لو وقعت فعلاً فانها كانت بأسلوب غير هذا . والله أعلم .

---

(١) المنهل : يلدز بمعنى النجمة في اللغة التركية وهو اسم قصر السلطان في الاستانة .

١٥٣٣ دفن العيد

لعل أغلب من ولدوا ونشأوا خلال الخمسين سنة الأخيرة .. يستغربون هذه الشذرة أو عنوانها — فما تقبل عقولهم النيرة .. ان يدفن العيد .. وما الدفن الا لمن مات من بني الانسان .

غير ان من سبقهم الي الحياة — وعايشوا الناس قبل عام الأربعين —هـ ، ربما شارك بعضهم في موكب هذا المدفن .. فما تكاد الشمس تميل بعد الزوال إلي الغروب في اليوم الرابع من شوال من كل عام حتى يتراكض الفتيان .. وبعض الشيخان إلي امتطاء الحمير .. على اختلاف درجاتها .. وأشكالها من (الربائط إلي سكسك له ولا تلعطه) .. ويخرجون زرافات ووحدانا إلي ضواحي مكة — كالشهداء — ومنى — وجعرانة — والوادي : وادي فاطمة — وهم زومال) لا احفظه الآن مودعين أيام العيد .. وهم محزونون على انقضائها .. وكأنهم يؤبنون فقيدا عزيزا عليهم ومن هنا زعموا أنهم يدفنون العيد لأنه كالميت في نظرهم بعد أن تولى — بعيدياته وحلوياته .

ثم انقرضت هذه العادة فلم يبق لها عين ولا اثر .

١٥٣٤ كلاب المسعى

نعم : (كلاب المسعى) ! انها كانت بين بني جنسها ذات امتيازات وتؤثر بالرعاية والعطف والايثار .. ولها منطقة معلومة لا تتجاوز ما بين (المروتين) .. وهناك تسكن وتعيش وتتوالد وتتحاضن وتتوطن .. فلا يستطيع احد أن يزجرها أو يطردها من (حماها) .. كما يقولون .. كان ذلك قبل خمسين عاماً .. ومن شدة الاعتناء بها .. كان يخصص لها (خادم) يسمى (شيخ الكلاب) وعليه ان يهيىء لها (مراكن) الماء النقي البارد ووجبات الغذاء : الغذاء والعشاء والافطار . وربما كان له مقابل ذلك راتب من الدولة آنئذ وعليه ان يكف عنها أذى الصغار والكبار .. ويا ويل من يتعرض لها بمناوشة أو مهاوشة ، فانها تحتاط به من كل جانب وتهر عليه هريرا .. وتنبحه عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه وربما مزقت أثوابه .. وتركته مثلة بين المتفرجين عموماً — وهي تسرح وتمرح دون نكير ف المشعر الحرام — واخيرا صرف الله شرها .. بحجز المسعى وادخاله في المسجد الحرام وتفرقت في سائر الأنحاء وزالت عنها مزية الجوار الذي أكسبها ذلك الانتساب والاحتساب .. وكان أجدر بها ان تشرد وتطرد وفقاً لأضرارها وصيانة للساعين والحمد لِلّه رب العالمين .

١٥٣٥ (لاتقول ماشفتني)

سمعت هذه القصة من المعمرين — وقد حدثت في أوائل هذا القرن الرابع عشر الهجرى بمكة : وتتلخص في ان الشيخ **عبدالله قطش** كان من اثرياء الناس ومن أهل محلة الباب .. وكان له رفاق كثيرون يستخدمهم في مصانع النورة العائدة له ويسكن في (داره) في وسط المحلة .. وله مركاز يجلس فيه لاستقبال زبائنه وبيع (نورته) ورخامه امام منزله .. صباح مساء .. قالوا : وذات صباح مر به أحد معارفه من أهل الحارة .. وهو مكتف و (الجندرمة) الاتراك يسوقونه من المحكمة إلي

السجن أو العكس .. وكان متهما بالقتل أو قاتلا .. ووجبت عليه (الدية) .. فصاح به : **يابو صالح** : لا تقول ماشفتنى فأثار نخوته ومروءته وشفقته ، فنفض يده من كل ما كان يمارسه من الاعمال حالا وانطلق إلي البلد .. يبحث عن دلال العقائر .. فوجده وأمره ان يبيع الدار سكناه وهي تضم أفراد عائلته وأطفاله .. لعدم توافر الدراهم لديه حينئذ .. وبالفعل لم تمض ساعات حتى اتاه (بالثمن) مبخوساً .. فأخذه وذهب إلي أهل (المقتول) وتراضى معهم على دفع الدية وسلمهم اياها فورا وعاد يحمل معه العفو والتنازل وقدمه إلي ذوى الشان وفك (رقبة) صاحبه من القصاص .. وفقد دار سكناه .. وسكن في دار سواها بالاجرة وما تزال الدار المذكورة ــ قائمة ــ في واجهة المحلة حتى اليوم ومعروفة بهذه المكرمة يتحدث بها الناس حتى الآن[1] .. واكتسب بذلك الأجر والثواب .. والسمعة الطيبة الباقية تتناقلها الأجيال بعد الأجيال و (ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق) و (أمة **محمد** إلي خير) .. (**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**).

(١٥٣٦) الأمير عبدالله بن محمد بن عون

والحامل ــ والصندوق

مما سمعته من ذوى الأسنان .. المعاصرين لأمير مكة الشريف **عبدالله بن عون ــ قبل مئة سنة ــ وزيادة .**

أنه كان في قصره (الذي احترق وهو الآن قصر يملكه الاخوان : **الشيخ إبراهيم الجفالي وأشقاؤه** الأعزاء .. وكان الفصل في الجوزاء شديد الحر والقيظ لاهبا والجو شاحباً ! فنظر من (روشنه) في الظهر .. والهجير يذيب دماغ الضب فراى حاملا نحيل الجسم لو وزن لكان اخف من الريشة وهو (يعتل) في الشمس القاهرة .. وعلى ظهره صندوق من الحديد .. أي (خزنة) لو حمله بعير لآده .. وطاح به .. ولم يقو على احتماله ! فعجب من ذلك ودعا احد الخدم .. وقال : ادرك هذا الحامل وائتنى به وليضع حمله ــ في الدكة فركض إليه وناداه وأحضره إلي (سيدنا) فسأله متعجبا : كيف استطعت ان تحمل على ظهرك في هذا القيظ هذا الصندوق الحديدى فتململ ولم يجب .. فأمر الشريف بتفتيشه ــ فوجد في وسطه (كمرا) ضخما ، فأفرغ ما فيه ــ فاذا هو من الذهب الابريز .. (زعموا أنه أكثر من ٤٠٠ جنيه ..).. فقال الشريف لمن حوله : (هذا هو سر قوته ــ وانتصاب قامته وشدة اعصابه .. وبه كانت قوة احتماله .. ولكن ــ ما كان اغناه بما جمع ان يسعف وان يكف .. ويتخذ له حرفة .. تضمن له رزقه بدون شقاء . . ولكنه (الطمع) و (منهومان لا يشبعان ــ طالب علم ــ وطالب دنيا) .. وقد اطلق سراحه بعد ان نصحه بالقناعة والاكتفاء .. وان يرحم نفسه وشيخوخته من هذا البلاء .

(١٥٣٧) ما هو التزكين

(يا ولد زكن عليه .. يواجهني) .. جملة لا

(١) (المنهل) : نيابة عن القراء الكرام نرجو أستاذنا البحاثة المفضال أن يعرف بهذه الدار تعريفا أوسع وأشمل ربطا للماضى القريب من تراثنا بالحاضر والمستقبل وله شكر جزيل ، ودعاء من الأعماق بالعمر الطويل والصحة الموفورة والمسرات .

تخلو منها احاديثنا اليومية . ويقصد بها (التأكيد) وما هي به في اللغة قال : **اياس بن معاوية القاضى** المشهور بالذكاء والفراسة والدهاء .. (عرفت الزكن من أمي وكانت خراسانية ، وأهل بيتها (يزكنون) أي يتفرسون .

وبهذا يكون (التزكين) بعيدا عن معناه المتداول الدارج على الالسنة .. منذ عصور طويلة .. وهيهات أن يعود إلي أصله : (الفراسة) والتفرس .. بعد ان ثبت مدلوله في افهام الناس .. بمعنى التأكيد وله امثال شتى .. لا يفطن إليها الا الباحثون ، ولكنهم لا يستطيعون تحويلها عن الخطأ إلي الصواب الا بكثير من الاعنات .

١٥٣٨ هدية هند

قرأت في السيرة النبوية ان هند بنت أبي سفيان بعثت بهدية إلي رسول الله ﷺ يوم فتح مكة .. وكانت عبارة عن (جديين) مشويين !! وتساءلت : هل هما من نوع (الندى)[1] المعهود في زماننا هذا ؟ واغلب الظن أنها منه أو مثله الا أنهما كانا — بلا ارز) لعدم وجوده آنئذ أو استعماله .. أو ندرته .. ومع الفارق في (التنور) الذي ينذى أو اليدين .. ومعه طائفة من الجنود يشوى فيه (الكبش أو الجدى) فقد يكون ذلك كما شهدته في محطات سكة الحديد السودانية منذ خمسين سنة حيث يرصون من الحصى كمية كبيرة ويوقدون النار من تحتها حتى تحمى .. ثم يضعون عليها من شرائح اللحم قطعا كبيرة .. تحمر فوقها . ويعرضونها للبيع على ركاب القطارات من السودانيين وهي ناضجة لذيذة الطعم رخيصة الثمن .. بقى علينا ان نعرف اولية اصطناع (السليق) واعتقد أنها لا تتجاور ثلاثة قرون .. فما عثرت على بدنها في كل ما مر بى من مطالعات .

١٥٣٩ عمران (مكة) الحديث

خلال هذا العصر السعودي الزاهد .. استبحر عمران مكة .. فامتد مصعدا إلي (دقم الوبر) .. حيث اعتلى عن حدود (منى) وفي نسق منظم جميل .. فما بينه وبين (المزدلفة) الا رمية حجر كما يقول البدو .. ومنحدرا حتى تجاوز إلي ما بعد (ام الدود — وما وراء التنعيم) .. ولا يزال يتمطى في ضواحي أم القرى كلها بشكل غير معهود قط منذ أسكن (خليل الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه — ذريته (بواد غير ذى زرع) عند بيته المحرم — وما ذلك الا للأمن الوارف الظلال .. وتوافر أسباب الحياة العصرية .. مع الشوارع الممهدة المسفلتة والكهرباء .. و الماء .. والحدائق .. الغناء .. وكل ذلك : من النعم الكبرى التى نستزيدها بالشكر لِلّه والحمد — وندعو لكل من بذل في ذلك جهدا — بالتوفيق الدائم ، ولعاهلنا المفدى بالعمر المديد .. والنصر والتأييد ، هذا بالاضافة إلي ما تراه العيون من ذلك في كل من جدة والطائف والمدينة المنورة وكافة المدن والقرى .. والضواحي ، وما اصبحت عليه بلاد عسير من تطوير يبشر بالمستقبل الناضر الرغيد بحول الله — وقوته — إن شاء الله .

---

(١) الندى بفتح النون وتشديد الياء بمعنى : المشوى والحنيذ ، وهي كلمة من عامية الحجاز في هذا المعنى بالذات ، وربما يعني به الكبش المشوى في التنور .

(١٥٤٠) كرملين الجحاش

قرأت في كتاب (شفاء الصدر بتوضيح واعراب شواهد القطر) للعلامة **علي بن عبدالرحيم العدوى** المالكى من علماء الجامع الأزهر الشريف ، هذا الشاهد :

أتانى انهم ممزقون عرضي ، جحاش (الكرملين) لها نديد

واستوقفني منه كلمة (الكرملين) فما نعهدها في اذهاننا الا قصور القياصرة الروس في موسكو .

وبحثت عن المقصود بها .. فوجدته يشرحه بقوله : (والكرملين بكسر الكاف والميم بينهما راء ساكنة ..) وفتح اللام .. اسم ماء (بجبل طى) تشرب منه الجحاش .

وفي الأصل تثنية (كرمل) كزبرج .. والنديد : الصوت .. ومعنى البيت : (بلغنى تمزيق هؤلاء القوم لعرضى ، وهم عندى في الحقارة مثل الجحاش التي ترد الماء المسمى بالكرملين حال تصويتها وتنهيقها) .

قُلْتُ : لقد عجبت لاتفاق التسمية من جهة وتطلعت إلي ان نقرأ لادبائنا بين (اجا وسلمى) عن بقائه حتى الآن بهذا الاسم في (جبل طى) أو اندراسه وانطماسه . ولا تخفى النكتة في المضاف والمضاف إليه .. ههنا وهناك على أرباب الذكاء .

(١٥٤١) (اللاميات) العربية

وانها لاربع لاميات ، سارت بها الركبان .. الأولى (لامية **ابي طالب**) ..والأخرى (لامية العرب) للشنفرى .. والثالثة (لامية العجم) **للطغرائي** .. والرابعة .. (لامية **ابن الوردي**) .. وكنت ابان شبابي .. احفظها كلها .. واترنم بها في خلواتي .. وقد جمعت فاوعت من الأدب الرفيع .. والنصائح الثمينة .. ما يعجب ويطرب ..

واني لا نصح الجيل الصاعد .. ان لا يغفل عنها (حفظاً) وتطبيقاً .. ومناشدة .. ومساجلة .. ففيها ذخائر لا ترخص بكرور الأيام .. والأعوام .. والعصور .. وهي ثروة عظيمة من اللغة والأخلاق ، ومادة غزيرة تتقوم بها الالسنة وتتنور الأذهان وتهذب الطباع . فلو لم يكن سواها .. للناشئين .. من الاوابد والخوالد لكان له بها الغناء عن غيرها .. فهي من الكنوز الغالية .. وما للشداة .. مثلها ــ عتاد ، وزناد ، واعتداد ، وامداد .. فليجرب ذلك الذين يريدون أن يكونوا يوما من اساطين البيان ، ولا سيما أولئك الذين يتزودون ويتمكنون من أساليب (الفرقان) . فما مثله تقويما لكل لسان ، وهواية لكل قلب وجنان ــ والله ولى التوفيق .

(١٥٤٢) قصيــدتان

قرأت مرة : ان **الاصمعي** كان في غربة .. فعرض عليه متأدب قصيدة له وطلب منه ان يبدى له رأيه فيها .. فتأملها .. ثم بكى !! فقال صاحبها ما بالك تبكى ؟ فقال : أبكى لأنني غريب في

هذه البلد ، ولو كنت في بلدي .. لما تجرأت ان تعرضها على ،

وقرأت اخيرا في مظهرات تقويم أم القرى لسنة ١٣٩٣ هـ هذه (الاطروفة) .. وهي : « بعث شاعر ناشيء بقصيدة عنوانها : (لماذا اعيش ؟) إلي رئيس تحرير مجلة أدبية « طبعاً غير المنهل » ! .. وكانت القصيدة ركيكة المعنى ، سيئة النظم فردها إليه رئيس التحرير .. وكتب تحت عنوانها العبارة الثانية : « انك تعيش لسبب واحد هوانك ارسلت قصيدتك إلى ، بالبريد ولم تحضرها بنفسك » ..

قُلْتُ : وكان الله في عون رؤساء التحرير .. فانهم ، ليعانون الكثير من هذا القبيل ! وقد وجدتني انصح نفسي ثم الآخرين من أصحاب (الخيال المجنح) ان يحترسوا !! فلا يذهبوا بأنفسهم بالانتاج الذي يضطر رئيس التحرير إلي المصارعة أو الملاكمة أو البكاء .. فان وقتهم ثمين .. وحسبهم بعثه (بالبريد) .. ففيه وقاية من التهديد والوعيد ، .. و (دع ما يريبك إلي مالا يريبك) .. ومن انذر فقد اعذر .

(١٥٤٣) الفالوذج قديما وحديثاً

« دخل **فرقد السبخي** علي **الحسن** .. وهو يأكل الفالوذج .. فقال : يا **فرقد** ! ما تقول في هذا ؟ فقال : لا آكله .. ولا أحب من أكله »

(صيد الخاطر **لابن الجوزى**)

قُلْتُ : فيكون الفالوذج بوصفه هذا ــ هو « المعصوب » المعهود في زماننا هذا .. وقد كاد لا يوجد .. بعد ان كان من أهم والذ ما يفطر به أهل مكة .. ممزوجاً بالموز اونة ــ وبالقشطة آونة أخرى .. فاما السمن البقري .. فانه أعز من لبن الأنوق !! فمن اراد ان يستكمل به (الفاذجة) فلا بد له من ثمن ــ لا يسخو به الا الأثرياء .. وكان ميسورا للعمال والفقراء .. ولا يتجاوز تكليف (القدح) منه بزوجين .. من الاقراص .. أكثر من نصف ريال على أكبر تقدير .. وعاد ذلك يتطلب أكثر من خمسة .. إلي عشرة من الريالات .

وما كنا نظن الفالوذج الا الحلوى المعروفة مما كان يسمى في بلادنا بالمهلبية (والفالوده) .. وقديما سمعنا **أمية بن أبي الصلت** يمدح **ابن جدعان** بقوله :

إلي نصب من الشيزى ملاء
لباب البر يمزج بالشهاد

وأحسب ان في (بلاد عسير) واعالي الحجاز لا يزال هذا الطعام مألوفا حتى اليوم .. غير انه لا يدق .. ويقدم في الموائد اقراصاً كاسنمة الجمال .. ومن حولها وعليها يصب السمن والعسل المصفى .. ادام الله فضله وانعامه على الجميع .

(١٥٤٤) وكلما مر يحلو

قال **بدر الدين الذهبي** :

يا عاذلى فيه ، قل لي
بدا كيف اسلوا ؟
يمر بي كل وقت
وكلما مر يحلو ؟

قُلْتُ : ما أحلى هذه التورية وما اشد الغربة

لمثل هذه المحسنات اللفظية اللطيفة .. وما اظلم المحدثين للقدامى ـــ فيما هم به اجدر بالتقدير والتكريم .. وما اندر العثور على أمثالها وما احكم من قال : « اذا بعد عليك العنقود قل حامض يا عنب » ..

١٠٤٥ الدكتورة بنت ملا أمان بمكة المكرمة قبل ٦٨ سنة

لم اجد في كل ما كتب من تاريخ مكة الحديث .. وما قرأته خلال حياتي حتى الآن من اثبت هذه الحقيقة : لقد شهدت قبل ستين سنة ـــ بشوارع مكة .. وبيوتاتها الكبيرة هذه الدكتورة والطبيبة أو الحكيمة وهي تمتطى (حماراً) كبيراً مدندشا ، زينته بأجمل الزينات ، وزركشته بكل ما كان يتنافس فيه الناس .. من الجلاجل واللجام والركائب والحلى التى تناط إلي رقبته واطرافه وهي متوشحة بالقناع التقليدى القديم من الملاءة والبرقع فى تحجب سميك .. ما عدى الخف والبابوج .. فانها تستعمل بدلا منهما (الجزمة) ويسير على يمينها خادم يحمل لها « الشنطة » التي لا بد أنها تحتوي على لوازم العلاج الاولية .. وميزان الحرارة وما إلي ذلك .
وكانت ذات ارستقراطية مترفعة فلا تستجيب لكل من دعاها لمريض أو مريضة وانما هي خاصة بأهل الجاه والثروة والمناصب .. فظلت على ذلك مدة العصر التركي وربما بعض الوقت من اوائل العهد الهاشمى .. ثم اختفت ، وهي في نحو الخمسين .
أما كيف صارت (دكتورة) ؟ وفي أي عهد درست ؟ وبأي شهادة ظفرت ؟ فذلك مالا أدريه ، وأحسب أنها تلقت دراساتها بالتجارب من جهة وبالانتساب إلي أب كان صاحب صلة بالطب والتطبيب . وأرى من حقها أن لا نهضم حقها في الذكرى فهي أول امرأة زاولت المهنة بين سمع الدولة وبصرها .. خلال سنوات طويلة تمتد من عام ١٣٢٥ هـ وتنتهي ربما في عام ١٣٣٧ هـ .. رحمها الله تعالى ولا اتذكر غيرها فيمن عاصرت ولا مثلها قبلها من ذوات الحجال .

١٠٤٦ الدندن البالي

ما أوسع هذه اللغة التي أنزل الله بها القرآن .. ومكن بايجازها واعجازها قواعد الايمان .. وما أكثر ما هو مدفون في كنوزها الغالية ولقد كنا نضرب مثلا ـــ قديماً ـــ ولا ندري ما هو ـــ بلفظه .. ولو حذقنا معناه بالتداول وهو : « قصدت ، دندن يا معدن » . وفي مطالعة عابرة قرأت **لحسان بن ثابت** رضي الله عنه قوله :

والمال يغشى رجالا لا طباخ لهم
كالسيل يغشى أصول الدِّندن البالي

وقال شراحه : لا طباخ لهم أي لاقوة ولا سمن ، والدندن ما اسود من النبات لقدمه .

قُلتُ : وبهذا نستطيع ان نتأول المثل الذي يضرب عندما ينيط احدنا بمهمة ما .. بمن لا يكفيه فيها .. ولا يزال دارجا بأفواه الناس حتى يومنا هذا .. فكأنه مأخوذ من ان من لا كفاء به ولا غناء هو (الدندن) . فأما المعدن فما احسبه الا للمقابلة السجعية ويقصد به المغتر .. الخائب في ظنه الجدوي .. فيما تهشم أو اذوى .. والله أعلم .

(١٥٤٧) الرماد والضماد

ما زالت ربات البيوت .. تضمد الجروح — كما عهدنا ذلك منذ الطفولة بالرماد — أو بمسحوق البن . وتبين لي الآن انهن كن يفعلن ذلك بالتوارث السحيق .. فقد قرأت في قصة المهلهل سيد ربيعة في العصر الجاهلي : أن سلمى ابنته كانت تمسح جراحه وتغسلها .. بالماء الساخن في أعلى ذراعه وتذر عليها رمادا من أعواد الطرفاء المحروقة وتلف عليها ضمادة من الصوف .

ومن ذلك أدركت تاريخ استعمال الرماد والضماد .. ورغم التقدم الحضاري في عصرنا هذا فانه متداول لا بين البادية فقط — بل وفي قلب الحاضرة ولا أدري ان كان الطب الحديث لا يرى مانعا من ذلك ، وان له خاصة كبح النزيف .. واندمال الجراح .. خاصة في المناطق التي لا يتوافر فيها العلاج (وما كل ذات رماد بطرفاء) .. ولكل داء دواء .. حتى الحيوان فان له تجاربه في الاستشفاء .. بإلهام من رب الأرض والسماء .. وسبحان الخلاق العظيم .

(١٥٤٨) لاعنصرية في الاسلام

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قاولت رجلا عند النبي ﷺ : فقلت له : يا ابن السوداء !! فغضب ﷺ وقال : (**يا أبا ذر ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل**) فقال أبو ذر : فاضطجعت وقلت للرجل : قم فطأ على خدى .

قُلتُ : هذا ما فعله الصحابي الجليل .. وهذا ما أمره به سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه . فمن يترجمه لأهل حضارة القرن العشرين ؟ ومن يلقنهم قول من ارسله الله رحمة للعالمين « الناس كلهم لآدم وآدم من تراب » ؟ ومن يستطيع أن يخضع لأمر الله تعالى ، ورسوله فيضع خده على الأرض .. وهو الأبيض ليقول لمن ساءه : (طأ على خدى ..) وهو الأسود ومن يملك من البشر اليوم ان يهتدى بقوله تعالى :﴿ **إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .. الا من انار الله بصره وبصيرته .. ولم تأخذه العزة بالاثم والحمد لِلّه على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة .

(١٥٤٩) حكمة بالغة

قال ﷺ : (**ان من الشعر لحكمة**) .. أو كما قال : وما زلت اردد في خلواتى بيتا لأبي تمام هو .

قد ينعم الله بالبلوى ، وإن عظمت
ويبتلى الله بعض القوم بالنعم .

وان لذلك لشواهد ناطقة .. وآيات بينة .

ولعلى في هذه البلوى الكبرى التى ابتلى الله بها عباده المؤمنين في فلسطين (نعمة) تتمثل في يقظتهم ورجوعهم إلي دينهم القويم وصراطهم المستقيم ، وعودتهم إلي كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وفي جمع شملهم وتوطيد وحدتهم وتضامنهم وصدق الله العظيم ﴿ **وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم** ﴾ و ﴿ **الم .. أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا أمنا وهو لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ « ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم » .

(١٥٥٠) من التطريب

استوقفني بيتان **للشماخ** .. رواهما (**قدامة بن جعفر**) في كتابه (نقد الشعر) ذكر فيهما نهيق الحمار .. وهما :

اذا رجع التعشير ردا كأنه
بناجذه من خلف قارحة شج
بعيد مدى (التطريب أولى لهاقة
سحيل واخراه خفى المحشرج

قُلتُ : واحسب الشماخ كان دقيق الوصف حتى ليجعل لنهيق الحمار (تطريبا) .. وهو ترجيع الصوت وتزيينه . ثم يطلق عليه (التعشير) بمعنى ان النهيق يغلب فيه الترديد إلي عشر مرات .. او (صدحات) . وذلك مالم يعن بحصره الاكثرون .

وهنا اجد الفرصة سانحة لاقول : ان الشعراء الاوائل لم يدعوا شاردة ولا واردة من كل ما شاهدوه في هذا الكون العظيم الا تناولوها بالوصف كائنة ما كانت .. وقد استجدت في عصرنا هذا المبتكرات في الأرض وفي البحر وفي الجو .. وفي أعماق الفضاء .. فماذا قال عنها المحدثون وهم أوسع آفاقاً .. وارحب معرفة من القدامى ؟ ولا نكران في ان من الشعراء المحدثين من تصدى لشيء من ذلك الا أنه غير مستوعب ولا محيط ، وقد تكون مشاغل الحياة اليوم غيرها بالأمس لانتحال المعاذير .

وقد تذكرت بهذه الطرفة .. افكوهة تروى عن شاعر النيل العظيم : (**حافظ إبراهيم**) رحمه الله وهو أنه كان فى حفل كبير ينشد قصيدة من روائعه الخالدة .. فنهق حمار شوش عليه وعلى المستمعين فتوقف عن الأنشاد ، فقيل له مالك لا تستمر في انشادك : (يا انا يا هوه) : أو اسكتوه فلما اتم العير تعشيره ونهيقه أو تطريبه استأنف (حافظ) الانشاد .

(١٥٥١) البرطمة

قرأت نصا عن البرطمة **لفضيل بن عياض** : انها شدة الغضب ، .. ولا يبعد ذلك عن مفهومنا في عصرنا هذا ــ لها ــ

فاذا ما لوى المرء وجهه .. وقطبه .. وزم شفتيه و (فرصع) عينيه أو صوبهما .. حانقا ساخطا .. أو لم يتجاوب مع محدثه وهو كاظم غيظه .. قلنا أنه (مبرطم) ! .. وهي حالة لا تتفق مع السماحة والرفق .. وكما قيل (البر شيء هين ، وجه طليق وكلام لين) .. فلا بد للانسان من الالتزام باخلاق الايمان .. والا كان ضحية للاكدار والاشجان .. ورحم الله من قال :

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت ! واى الناس تصفو مشاربه ؟!
فعش واحدا ، أو صل أخاك فانه
مقارف ذنب مرة ، ومجانبه

وصدق الله العظيم : ﴿ **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ .

(١٥٥٢) برك الغماد

كنا نظن ان برك الغماد ، من مناطق الجنوب .. كما هو معروف ان من ضمن موانىء البحر الأحمر الجنوبية .. ما يسمى بـ (البرك) ! الا ان القاضى **عياضا** قال في كتابه (مشارق الأنوار) ما نصه : (هو موضع في اقاصى هجر ..)

فهل للقراء من يزيل هذا الالتباس ؟ وهل لا يزال هذا الموضع في (هجر) معروفا وقائماً ومنعوتا بهذا الاسم حتى الآن ؟ ام أنه اندثر .. ولا عين له ولا اثر ؟

أرجو أن يسعفنا استاذنا الجليل .. صاحب المنهل حفظه الله .. بما هو الأصح في ذلك إن شاء الله[١] .

(١٥٥٣) مربد المدينة

كنا نحسب ان (المربد) هو ذلك المعروف حول مدينة البصرة بالعراق .. والذي كان له شأن عظيم في الأدب العربي واللغة العربية والأدب .. وعثرت في بعض المطالعات على أن بالمدينة المنورة (مربداً آخر) كان يسمى (مربد النعم) قال الهروى بينه وبين المدينة ميلان .. وهو الذي ذكر في الموطأ ان **ابن عمر** تيمم به ، قال : والمِرْبد .. هو الذي تحبس فيه الابل وهو أيضاً موضع سوق الابل خارج البصرة . وسمى به لحبسهم الابل فيه للبيع ، ويسمى كل موضع تحبس فيه الابل (مربداً)

قُلْتُ : واتساءل الآن هل لا يزال (مربد النعم) معروفاً بجوار المدينة المنورة أم انه اندثر ولا يعرفه أهل زماننا ؟ وشنان ما

ولا ريب ان سيادة استاذنا الشيخ **عبدالقدوس الأنصاري** .. لا يضن على القراء الكرام بما لديه عن (مربد النعم) .. في استقراءاته واحاطته بالاثار .. ونرجو ان يعلق على هذه النبذة بما نتمثل به الحقيقة إن شاء الله[١] بين المربدين البصرى والمدنى .. من حيث الشهرة — واختصاص الأول بالرواية والرواة والشعر والشعراء ..

(١٥٥٤) أيام الهوشات

في اللغة العربية ومعاجم الحديث نص جاء فيه : (اياكم وهيشات الاسواق وروي : وهوشات .. بالواو ، وقال **أبو عبيدة** : (الهوشة : الفتنة والاختلاط) ..

قُلْتُ : وكان الناس يطلقون نفس الكلمة على ما كان يحدث بين أهل الحارة قبل العهد السعودي الزاهر — اذا اشتبك (المشاكلة) — بفتح الميم — جمع مشكل — بكسرها —[٢] .. والعيال المفاليح .. في الأسواق والازقة .. بالشماريخ .. أو العصى المزقرة المدهونة .. المعدة للصراع ..

---

(١) — المنهل : برك الغماد — بكسر الباء والغين ، يطلق على موضعين : أحدهما بجنوب مكة المكرمة باليمن ويعرف اليوم بالبرك ويسكنه قوم السيد هادي هيج .. وثانيهما : بناحية « منعج » .. ومنعج تقع في عالية نجد الشمالية مادنا برك الغماد « ومنعج » بمعجم البلدان لياقوت وكتاب صحيح الأخبار لابن بليهد ج١ .

(١) (المنهل) : مربد النعم مكان على ميل أو ميلين من المدينة المنورة ، له ذكر فى معجم البلدان لياقوت ، ووفاء الوفاء للسمهودى ، يقع فى الناحية الشمالية للمدينة (مادة مربد) .

(٢) الهوشة : تطلق فى اللهجة الحجازية الدارجة اليوم على المخاصمة المشتملة على مضاربة تكون بين اشخاص عديدين .

المباغت في غير سبب مشروع .. وانما هو البطر والعنترة .. أو الفتوة الضائعة .. ونحمد الله تعالى اذ انه لم يبق لذلك اثر البتة .. وأنه لا يوجد عاطل ولا جاهل .. وخلال خمسين سنة تحولت القبائل والفصائل .. والعوائل .. إلي المعاهد والجامعات والبعثات .. وتبدل الحال إلي ما هو خير وأمن وازدهار .. فاذا لقى احد ما ، من يقول له ما يزعجه .. كظم غيظه ونصحه وادبر عنه ناصحاً .. ومرشداً .. ومحذراً من الاعتداء .. واصبح المجتمع كله .. خالياً من عناصر الشر .. ومنصرفا إلي ما يفيده في حاضره ومستقبله ..

(١٥٥٥) الأمن في المجتمع

قد يحسب القارىء الكريم أن هذا العنوان مبتكر من قبلي ، لشذرة عادية ، والحقيقة أنه عنوان كتاب ثمين أصدره حضرة صاحب السعادة الزعيم الشاعر الفحل الأديب الأستاذ (**يحيى المعلمي**) ، (المدير العام لادارة الخدمات الفنية) بجهاز الأمن العام بالمملكة المحروسة ، وقد تفضل باهدائه إلي ، مشكوراً ، ورأيت من حقه على كل من أطلع عليه وقلب النظر فيه ان يوفيه ما هو جدير به من التقريظ والتقدير .

ولم استغرب من سعادته اهتمامه باصدار مثل هذا السفر الثمين ، وهو الأديب الكبير والشاعر الملهم ، والاداري الحازم — فقد اودع في ثناياه واسطاره زبدة تجاربه الطويلة ، في المجلات الامنية وكان بمثابة (مصباح) يضيء للناس بالواجبات المنوطة بكل من أفراد الشعب وموظفي الأمن العام ، ويحفل كثيراً بما دق وجل من علاقات المواطنين ، وينبه إلي ما ينبغي ان يسودها بين الجميع من التجاوب المتبادل بالمحبة والثقة والاعتماد ، واعتبار المجتمع كله مشاركاً في القيام بتوطيد الاستقرار والطمأنينة ، مع رجال الأمن العام وأنهم جميعاً دعائم يشد بعضهم بعضا في الهدف المنشود ، أفراداً وجماعات ، باعتبار أنهم (اخوة) متضامنون وجنود ساهرون ، كل في نطاق اختصاصه ولو كان (مدنياً) حضرياً أو بدوياً ، قريباً أو بعيداً ، فالجميع مسؤولون عن شمول (الأمن) والاطمئنان ، في كل زمان و مكان واعتقد ان هذا الكتاب الأول من نوعه فى بلادنا العزيزة ، وانه قد اضاف به ذخيرة ثمنية إلي المكتبة العربية السعودية التي تفخر بالانتاج القيم ، والتدوين الناجح المفيد .

وقد ضمن مؤلفه هذا كل ما ينبغي ان يدرسه المواطن والموظف من الوسائل والأسباب التي تؤدي إلي الغاية الشريفة على أساس من الشعور بالمسؤولية وأنه بقدر ما يتعاون كلاهما على ذلك تسهل كل المصاعب وتزول كل المتاعب ، كما اقترح فيه ما رآه سبيلا لهذا التعاون ، والحق أنه لم يدع ثغرة ، لم يرشد إلي سدها ولا فكرة صحيحة — يجب ان تحقق في هذا المجال الا جلاها وعرضها في أسلوب هاديء رزين ، سواء اكانت تخص المسؤولين مباشرة أم كافة أفراد الشعب ، بحيث يساعد تكاتفهم وتآزرهم على الأمن والتأمين فليحسن الله جزاءه ، فانه من رواد الفكر واقطاب الأدب والله لا يضيع أجر المحسنين بارك الله سعيه وامده بالصحة والعافية والتوفيق .

(١٥٥٦) ماهي « الدادة » ؟

عند ما كان الاسترقاق مباحاً — قبل تحرير الارقاء في بلادنا — كان أهل البيوت يطلقون على الجواري « الدادات » .. وينادي الغلام أو الفتاة

احداهن ولا سيما اذا كانت متقدمة في السن — وتولت تربيتهم وهم بعد أطفال بقوله في حنان : (يا دادتي) — كما ينادي الرجل منهم — بقوله « يادادي » وذلك الى عهد قريب ، بل وحتى الآن فيمن من الأحياء .. ولم يفارق عشه إلي غيره وان تحررن فعلا .

وكان ظنى أنها كلمة مصطلحة لا أصل لها ولا فصل .. أو دخيلة منذ عصور طويلة !

ومصادفة وجدت القاضي **عياضا** يقول في كتابة : (مشارق الأنوار) — ومنذ قرون أى قبل ثمانمائة سنة : « الواو مع الدال » ودد .. من الوداد ، ويقال : وددت الرجل أوده ودا بكسر الواو وودا — وبفتحها — ودادا ومودة ، وموددة و (دادة) ووددة » اهـ .

قُلْتُ : فزال الوهم وتبين ان (الدادة) من المودة .. وما اظرفها وأجملها ، واعذبها !

١٥٥٧ شاعر من جدة في زمن الرشيد

قرأت في المجلد الثامن عشر من كتاب الأغاني **لأبي الفرج الاصفهاني** في الصفحتين ذواتى الرقم ٢٤٠ و ٢٤١ — ما نصه : « فرجع **الرشيد** لما أعطاه **نقفور** ما أعطاه إلي الرقة فلما

(المنهل) : يشكر لأستاذنا البحالة صاحب الشذرات الذهبية الممتعة تنقيبه القويم .. وعلى ضوء ارشاداته خطر إلي أن صيغتي (الدادا) و (الدادة) هاتين ربما يكون أصلهما من مادة « دادا » خففت الهمزتان على عادة فريق كبير من العرب الفصحاء فالداداة لغة هي اتباعك للشخص مقتفياً له . والدادا والدادة بالمعنى الدارج هما يتوليان مهمة تعقيب الطفل وتربيته .. ويستأنس له بما ورد في اللغة أيضاً من أن « الداداة » : صوت تحريك الصبى في المهد (مادة دادا) من لسان العرب لابن منظور ص ٦ طبعة بيروت) .

سقط الثلج وأمن **نقفور** أن يغزى اغتر بالمهلة .. ونقض ما بينه وبين **الرشيد** ، ورجع إلي حالته الأولى ، فلم يجترىء **يحيى بن خالد** فضلا عن غيره على أخبار الرشيد بغدر نقفور .. فبذل هو وبنوه الأموال للشعراء على ان يقولوا أشعاراً في إعلام الرشيد بذلك : فكلهم (كع) أي جبن .. واشفق الا شاعراً من (اهل جدة) كان يكني **أبا محمد** : وكان مجيداً قوي النفس قوي الشعر . وكان ذو اليمينين اختصه في أيام المأمون ورفع قدره جداً .. فانه اخذ من يحيى وبنيه مائة الف درهم .. ودخل على الرشيد فأنشده :—

نقض الذي أعطاكه نقفور
فعليه دائرة البوار تدور

وهي قصيدة تتجاوز العشرين بيتا .. الخ ..

فهل يروى ظمانا عن هذا الشاعر الجداوي الكبير .. استاذنا العلامة (أبو نبيه)[1] فقد اغفل اسمه ولم يبين أصله وفصله في هذه الرواية المقتضبة .

(١) — (المنهل) اسم هذا الشاعر الكامل : (أبو محمد عبدالله بن يوسف) من أهل جد هارون الرشيد ذكره ابن الأثير في (الكامل) ص ١٨٥ م ٦ هكذا . وروي بيتين آخرين بعد ذلك البيت . وذكره الطبري فى تاريخه ص ٥٠١ و ٥٠٢ م ٦ وأورد له عدا الثلاثة الأبيات ١٣ بيتاً وذكر أنه من أهل (جندة) هكذا وصححه محقق الكتاب (محمد أبو الفضل إبراهيم) بأنه من « حره » بدلا عن (جندة) . وقد وهم هذا المحقق اذ قال أن المذكور هو الحجاج بن يوسف التيمي مع أن التيمي غيره ص ٣٠٨ ، والذي نراه أن (جنده) و (حرة) تحريف لجدة والله أعلم .

(١٥٥٨) جمال الدين الأفغاني

يروى أن حكيم الشرق كما يسمونه : جمال الدين الأفغاني .. كان في الهند وقصد الحج .. فركب سفينة كبيرة .. حملت من الحجاج عدداً وفيراً ..

وخلال سيرها في المحيط الهندى .. هبت عواصف شديدة جداً .. وانهمرت أمطار غزيرة .. (ويظهر ان ذلك كان في الفصل الذي يطلقون عليه) « زمن الطوفان » .. أى الاشهر الثلاثة :

يونيه ويوليه وأغسطس .. « وقد جربته وشاهدته — وتمثلت الأمواج فيه حول الباخرة الهائلة العظيمة كجبال كرى وكبكب .. لمن يرنو إليها في بطن عرفات » وزاد الخطر .. واضطرب الركاب وكادوا يغرقون ووقع الهرج والمرج بينهم ، وأخيراً التفوا حول الشيخ الصالح — أي جمال الدين .. يطلبون إليه الدعاء الصالح إلي الله تعالى ان ينقذهم ويكتب لهم السلامة . بعد ما بلغت الأرواح التراق ، فما كان منه الا ان اقسم لهم بأنهم ناجون ، وأن هذا الكرب سيزول بعد ساعة .. وفعلاً .. لطف الله بعباده .. وهدات الرياح ، وكفت الأمطار وصفا الجو .. واعتدلت المسيرة .. فجاؤوا إليه يشكرونه ويتبركون به ..

ويحسبونه من أولياء الله ، المستجاب دعاؤهم . وقال جمال الدين : انني لمثلهم قلقاً واضطراباً .. وأكثر منهم مخافة .. ولكنني قلت : اما أن يتداركنا الله بلطفه الخفى وننجو ، واما ان نغرق جميعاً .. وفي هذه الحالة لا اجد من يكذبني أو ينازعني ، لاننا نكون في قاع البحر .. وفي حالة السلامة .. أصبح من الأحبار الاخيار .. وكذلك كان .. فما برحوا يلثمون اذيالي ويقبلون يدي وذلك سر الخشوع ، والرجاء في رحمة الله والطافه ، وهي حكمة بالغة ، وتصرف صائب وعقل سليم .

(١٥٥٩) هيا - بلا صقعة

جملة تقولها الامهات للبنات أو الأخوات الصغيرات .. اذا بدا منهن مالا يستحسن أو ما لا يعقل ، وهي في أفصح المفردات (أي الصقعة) ..

فهذا **سويد بن أبي كاهل** يقول في عينيته المشهورة المنشورة في (المفضليات) :

كم قطعنا دون سلمى مهمها
نازح الغور — اذا الال لمع
في حرور ينضج اللحـــم بها
يأخـــذ السائـــر فيها كالصقـــع

وقال شارحها العلامة المدنى الشيخ **أبوبكر بن عمر ، الدغستاني** ، رحمه الله في عام ١٣٢٤ هـ : « الحرور ريح حارة أكثر ما تكون بالليل : وقد تكون بالنهار و (الصقيع) يقال : صقع الرجل اذا أصابه شيء فأذهب عقله » .

(١٥٦٠) الشيخ أحمد الصقعة

وبالمناسبة فقد تذكرت الشيخ **أحمد الصقعة** رحمه الله ، وهو والد الأخ الشيخ **عبدالقادر** الصقعة . أحد الموظفين بادارة الحرم بمكة ، وكان والده المذكور (حلاقاً أو مزيناً) .. في الثلاثينات ولا يحلق الا للوجهاء ، والعلماء والأثرياء غالباً .. ومنهم — قاضي القضاة المرحوم الشيخ **عبدالله سراج** آنئذ سأله ذات يوم مداعباً : من اضفت إلي سجلك من الصقعاء؟ فقال له : فلان وفلان

فأما فلان .. (دون تسميته) .. فأنه بعد ، لم يتجاوز الهوسة إلي (الصقعة) .. يقصد أنها منزلة لا يبلغها الا من بلغ القمة في الشذوذ والاضطراب والاختلال ـــ ، فقال له : وما رأيك في ، انا فيغضى حياءاً ويقول له : (مع الأسف هيهات ، بقى عليك كثير حتى تنالها) وكان ظريفاً ذكياً لطيفاً .. خفيف الروح **والظل يرفه عن محدثيه** وزبائنه المكروبين .

١٥٦١ ماذقت اللعط

كنا نسمع هذه النادرة من المتقدمين .. قالوا : ان هذليا .. وقع منه ما دعا إلي احضاره لدى أمير الطائف االشريف **زيد بن فواز** .. رحمه الله ، وقد كان أميراً على الطائف إلي عام وفاته ١٣٣٣ هـ أو قبله بقليل لارتكابه ذنبا أو جرما ضد أحد أفراد قبيلته .. وتبين للأمير أنه آثم ومخطىء ومعتد ، فأمر في مجلسه بأن يطقوه (مائة) جلدة أي يضربوه .. فانزعج الهذلي كثيراً .. وصاح والمجلس مكتظ بالشاكين والمراجعين : (الله .. مائة .. مائة .. اسمع يا شريف : والله أما أنك (ما ذقت اللعط) : أو ما تفهم العد .. أي ما تعرف العدد (مائة !! (هب) : ذق منها (خمسا) ..فما كان من الشريف زيد رحمه الله الا أن استغرق في الضحك . وعفا عنه .. وساوى بينه وبين خصمه بشيء من عطائه ونصحه بالاستقامة وعدم التجاوز .. والا اذاقه أكثر من المائة .

١٥٦٢ الازقة القديمة بمكة

كلنا نعرف انه كان في مكة ـــ حول المسعى زقاق ضيق يؤدي إلي سوق الخضروات واللحوم ويسمى زقاق الكراث .. وله اخوة .. كزقاق المجزرة وزقاق الجنائز وزقاق المهراس وما لا يحصر من أمثالها .. ولا يزال حتى الآن عدد منها موجودا لم يتبدل .. كزقاق الخضرة وزقاق الشيش ـــ بكسر الشين وفتح الياء ـــ وزقاق الراقوبة .. وزقاق البرسيم .. ورقاق الضوغ ـــ بفتح الصاد والواو ـــ وهلم جرا ، .. وفي مصر وكثير من البلاد العربية والإسلامية أزقة يضاف إليها ما يباع فيها أو يصنع كزقاق (المدق) في القاهرة .. وفي المدينة المنورة أزقة من هذا القبيل شتى .

ومع أن زقاق الكراث يباع فيه الكثير من السلع غير الكراث ومنها البيض والدجاج والفراخ والمكانس والمراوح إلي ان ازيل في توسعة المسجد الحرام فان شهرته بالكراث غالبة على ما عداها .

ومما قرأته في (الفخرى) **لابن الطقطقي** ان **المهدي** خرج مع صديق له للصيد فاوغل في البادية وابعد عن المعسكر فجاع فقال: هل من شيء يؤكل؟ فقال له صاحبه: أرى كوخاً فقصدوه.. فاذا به (نبطى).. وعنده مبقلة فسلموا عليه.. فرد السلام، فقالوا: هل من طعام؟ فقال: عندي (رميثا) وهي نوع من (الصحناء) وعندي خبز من شعير، فقال **المهدي**: ان كان عندك زيت فقد اكملت الضيافة؟ قال: نعم (وكراث) فأتاهما بذلك، فأكلا حتى شبعا، فقال **المهدي** لرفيقه (**عمرو**): قل في هذا شعراً فقال:

أن من يطعم الرميثاء بالزيت ... وخبز الشعير بالكراث
لجدير بصفعة أو بشتين ... لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدي : بئس ما فعلت : انما كان ينبغي ان تقول :

لجدير (ببدرة) أو بشتين ... لحسن الصنيع أو بالثلاث

قال : ثم وافاهم العسكر والخزائن والخدم ، فأمر للنبطي بثلاث بدر ، وانصرف .

قُلْتُ : هذا وهو أمير المؤمنين الذى يعيش على الذ أنواع الاطعمة واشهاها .. ولكنه الاضطرار ..

(ونعم الادام الجوع) .

وبقى ان نتساءل عن (الرميثاء) و (الصحناء) و (الكراث) ونرجو ان يعلق عليها (أبو نبيه) بما يعرفهما الى القراء[1] .. أما الكراث فإنه بقل لا يستغنى عنه الفقراء ولا الأغنياء وناهيك به في صنع(المقلية) و (العيش أبو اللحم) . وبهذه القصة يكون تاريخ وجوده منذ ألف ومائتين من السنين .

١٥٦٣ اول (روشن) بمكة

جاء فى كتاب (الأوائل) **لأبي هلال العسكري** ان أول من اتخذ بمكة « روشنا » **بديل بن ورقاء الخزاعي** ، قال : « وهو أول من بني بها بيتاً مربعا ، وكانوا لا يبنون بها بيتاً مربعاً لأن الكعبة مربعة فلا يبنون بها بيتاً رفعاً لشأنها وتشريفا لأمرها .. » .

قُلْتُ : الا ما أجمل الرواشين .. في المنازل .. كما عهدناها والفناها .. خاصة بعد ان انتهي بها التطور إلي شكلها الأخير المعهود .. فجعلت نوافذها من (القلاب) .. وانيطت بها اطارات من الزجاج ، تمنع الرياح الشديدة .. في الحر والقر .. فأما هذه النوافذ الجديدة ــ والتى لا تفتح الا إلى الداخل ــ فتعوق الجلوس فيها .. وتبعث على المضايقة وهذه الأطرزة المحدثة مما يسمى ــ (القلاطق) .. و « الكنب » .. فانها مما لا يشيع في النفس البهجة والسرور .. كما ان ما يسمى (بالبلكونات) .. أو (الفرندات » لا يخلو من الاضرار بالجيران .. وان كان قد عرف مثله قبل مائة عام في عمارتنا القديمة الجديدة .. وفي البناء. بالاسمنت قوة ومتانة الا انه شديد الحرارة في القيظ ، ولا بد معه من (المكيفات) .. وقديما قال الشاعر : « ومن يشتري ذا علة بصحيح ؟» .

١٥٦٤ ماهو « الهميس »

قال **الثعالبى** في « فقه اللغة » : (والهميس صوت نقل اخفاف الابل في سيرها) ومنه قول القائل :

(وهن يمشين بنا هميسا)

قُلْتُ : وايما رجل من الحاضرة لدينا اذا قلت له ما هو الهميس ؟ اسرع إلي الاجابة بانه (الحنطة التي تزرع في بلاد سراة الحجاز) ولا تزال معروفة في الاسواق بمكة والطائف بهذا الاسم .

فاما ان يكون (الهميس) هو صوت نقل اخفاف الابل فى سيرها ، فانما اراه مشتقا فى الاصل من (الهمس) .. وهو انخفاض الصوت واخفاؤه .. واذا تساءلنا فمن اين جاء اطلاقه على (الحنطة) .. أو (البر) أو (الحب) ؟ وجدنا له مندوحة أو مخرجا فى نصوص اللغة أيضا اذ تقول : « همس العنب : عصره » .. فلعل همس الحنطة حصادها مجازا .. فماذا يرى فى ذلك استاذنا اللغوى الضليع .. (أبو نبيه) أطال الله بقاءه للتنوير والارشاد[2] .

---

(١) (المنهل) : الصحناء والصحناة يمدان ويكسران : ادام يتخذ من السمك الصغار ، منه مصلح للمعدة . والصحناء فارسية عربها العرب (القاموس المحيط) مادة ــ صحن ــ .

(٢)(المنهل) : استاذنا العلامة البحاثة شيخ شعرائنا تأبى عليه سعة معارفه الا ان يثير دقائق البحوث اللغوية فى شذراته الذهبية وامتثالا لاشارته المطاعة اقول :

لم يظهر لى بعد ــ وجه تسمية العامة للقمح المجلوب من جبال الحجاز ، « السروات » باسم (الهميس) لان مادة (همس) فى اللغة مجمع معانيها ، اخفاء الصوت لاى شيء مما حدد فى مراجع اللغة .. وربما كان من أسس هذا الاستعمال أن من معانى (الهمس) ــ والهميس مشتق منه ــ « مضغ الرجل للطعام والفم منضم ــ (يَأكُلْنَ ما فى رِحْلِهِنَّ همسا) فالخبز الذى يطهى من هذا الحب يمكن للرجل ان يمضغه وفمه مضموم وبدون صوت للينه وطيبه واصالته ــ أو أنه للينه وهو مستو لا صوت له اذا عبىء فى الغرائر ورحل به إلى مكة والطائف .

١٥٦٥ التكروري .. لا التكروني !

عايشنا منذ قرون طويلة في (بلادنا المقدسة) اخواننا الاتقياء من الافارقة .. الذين يدعوهم الناس (التكارنة) خطأ .. اذ ان صحة ذلك هو التكاررة .. نسبة إلي بلاد (التكرور) .. والدليل على ذلك ما جاء في شعر **للامام الشافعي** رضي الله عنه : قال :

امطري لؤلؤا جبال سرنديب — وفيضى آبار (تكرور) تبرا
انا ما عشت لست اعدم قوتا — واذا مامت لست اعدم قبرا

ومما يسترعى النظر ويدل على تمكن الإسلام من قلوبهم .. ما لا يزال يسمع حتى اليوم فانه اذا نودى أحدهم قيل له : (يافقى) .. وكذلك المرأة منهم تدعى (بفقيهة) وذلك يعود إلي ما ورد في الحديث الشريف : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) .. وأغلب ظني ان أصل الدعوة بذلك انما بدأ من متفقه في الدين .. وانهم لمن (أمة) مشهود لها بالتدين والخير والاستقامة .. وقد ظهر منها العلماء المبرزون والفقهاء الصالحون .. بارك الله فيهم .

والعجب ان آبار تكرور قد عرفت بأنها تفيض بالتبر في صدر الإسلام .. وهو تجوز أو كناية عن المناجم .. وقد قرأت في التاريخ ان أحد ملوكهم حج إلي مكة المكرمة ومر بمصر في القرن السابع أو الثامن الهجري وصرف من الذهب ما هبط به سعره في الأسواق التجارية .. لكثرته !!

١٥٦٦ تراب

من شعر **مطيع بن اياس** من شعراء العصر العباسي الأول قوله في بائية له أولها :

ان قلبي قد تصابى — بعد ان كان انابا
احضر الناس لى أكرهه — منه جوابا
فاذا قلت أنالني — قبلة ، قال (ترابا) !!

والشاهد فيما ذكر ، كلمة (تراب) فانها لا تزال متداولة .. بنفس اللفظ .. ولا سيما في المنازل — وعند ربات الحجال ، تقال عند الامتعاض ، والرفض ، والاحتجاج .. والانزعاج .

وهي تعني .. المخاطب .. بما لا يقبل أو يرضى به من الكلام ، أي نصيبك التراب (السعيد طبعاً) !!

١٥٦٧ حدى الآباء

قال **عبدالملك بن مروان** لمؤدب ولده : اذا رويتهم شعراً فلا تروهم الا مثل قول **العجير السلولى** :

يبين الجار ، حين يبين عني — ولم تأنس إلي ، كلاب جارى
وتظعن جارتي في جنب بيتي — ولم تستر بستر من جدار
وتامن ان اطالع حين آتى — عليها ، وهي واضعة الخمار

كذلك هدى ابـــائي قديما
توارثـه النجـار عن النجـار
فهديى هديهم وهـم افتلـونى
كما افتلى العتيق من المهـاري

قُلتُ : وكذلك كانت اخلاق السلف الصالح وشهامتهم ، ومروءتهم ، وأخلاقهم .. وبها كفاهم الله الاحن والمحن ، وبقيت آثارهم ومآثرهم غرة في جبين الزمن وعلى كل عربي ان يوصى بنيه بالمحافظة على هذه الفضائل التي هي من هدى الاباء ، بل هي هدى الله يؤتيه من يشاء .

(١٥٦٨) من هو الشاطر ؟

لا تزال كلمة (شاطر) يوصف بها الفتى النابه الذكي الفطن الحاذق ــ متداولة في اوساطنا العامة والخاصة منذ عصور طويلة .

وما كان الشاطر في العصر العباسي الا الذي اعيا أهله ومؤدبه خبثا .. قال **الحسنى بن الضحاك** ، وهو من شعراء ذلك العصر ، في عصر **الأمين والمأمون** :

وشاطرى اللسان مؤتلق الفكـر
ة شاب المجون بالـــــــنسك

(الاغاني)

قُلتُ : وبعد ان كانت قبل الف سنة من صفات النعت ومرادفاته .. اخذت تتطور من الذم بما استقر في الأذهان .. حتى انتهى بها الامر إلي ان أصبحت بمعنى ما يحمد ويعتز به الفتيان ، واحسب انها ــ أي الشطارة ــ كما تكون في الشر ، محضا ، فهي ايضا واردة في الخير .. اذا سلمت من الشوائب والمعايب .. وهي بهذا المدلول لا تعدو الفطنة والذكاء والنباهة .. بعكس البلادة والبلاهة .. والتجاوز والسفاهة ..

ولعل استاذنا الجليل (أبا نبيه) حفظه الله يزيدنا ايضاحا فان من (الكلام) ما كان مذموما أو دالا على الذم ــ وبمرور الأيام .. وما استقر بالافهام تحول من الذم إلي الحمد أو العكس وارى ان من لم ينعت بالشطارة وحرم من وصفه بها فى زماننا هذا ــ فانه لساخط على مؤدبه .. وممعن في تعتبه .. لانها اقترنت بالحذق والفطانة الانسان في طوريه : الخيانة والأمانه[1].

(١٥٦٩) دقيق العيد وقرطاس النشـا

ما اعجب ان تتلاقي الاجيال الماضية بالحاضرة في بعض ما تحسبه من محدثات زماننا ..

فقد قرأت ان الامام الفقيه العلامة الشيخ **(تقى الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري بن الفتح المعروف بابن دقيق العيد)** القوصى المولود في البحر الاحمر على مقربة من ثغر ينبع بينما والداه في طريقهما إلي الحج في ٢٥ شعبان سنة ٦٥٢ هـ ... انما لقب جده (دقيق العيد) لأنه كان عليه يوم عيد ، طيلسان شديد البياض .. فقال بعضهم : كانه دقيق عيد) اهـ .

---

(١) « المنهل » : شذرات أستاذنا المبجل الشيخ البحاثة أحمد بن إبراهيم الغزاوي ارتقت من (شذرات ذهبية إلي « شذرات لؤلؤية » فما يكاد يترك درة الا التقطها وسجلها .. في شذراته . بارك الله في عمره وأطاله في صحة ومسرات .. ونشاط وهناء .. وأقول امتثالاً لاشارته : ربما كان من هذه « التحولات » اللغوية التي تفتعلها العامية العشواء باللغة العربية الفصحى تحويل الوصف بالشيطان من ذم إلي مدح تماماً كما حولت المعنى في (الشاطر) . والشيطان لقب لمن هو أشدِ خبثا من الشاطر على كل حال .

قلت : وقد كنا نسمع ابان النشاة الأولى نعوتا واسماء تطلق من بعض الظرفاء على أشخاص تميزوا بوضع خاص .. وكان الذي يقول ذلك — دائماً أحد الشخصيات البارزة ، والمنتسبين إلي السلك العلمي بمكة .. ومن ذلك قوله عن أحد الشبان في عصره انه (قرطاس النشا) .. ويعني بذلك شدة عنايته بزيه و (عياقته) !! وهلم جرا .. قدحا ومدحا .. وكثيرا ما كان وصفه يطابق المظهر والمخبر في موصوفيه رحمهم الله تعالى) .

ومن هذه القصة نفهم أن دقيق العيد كان الناس يتخيرونه من النوع الابيض لا الاسمر .. مبالغة في الرغد والترف ! .

١٥٧٠ هجو ابليس

اتى **الفرزدق الحسن** (**البصرى**) ، فقال : اني هجوت **ابليس** فاسمع » قال : لا حاجة لنا بما تقول ! قال ، لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس : ان الحسن ينهي عن هجو **ابليس** ، قال : اسكت فانك بلسانه تنطق اهـ . (**أبو الفرج**) .

قُلتُ : وما عسى ان يكون هجاء **الفرزدق لابليس** .. بعد ان لعنه الله ، وسخط عليه . ونهى عن وسواسه وخناسه .. على ما اخذ على **الفرزدق** من هنات لا يجرؤ عليها الا المستهترون .. عفى الله عنه .. وتجاوز عن سيئاته .. واحسن جزاءه على حسناته .. وهو الذي قال له **أبو هريرة** رضي الله عنه : (انه سياتيك قوم يوئسونك من رحمة الله ، فلا تياس) .. والله ارحم الراحمين .

١٥٧١ « بنات الأرض » وأبناؤها قديماً وحديثا

قال **الثعالبي** : (بنات الأرض) هي الاصداف التي تحتجب عنك ، وقيل بل عروق الأرض قطر منها الماء ، ويسير إليها الوحش في القيظ فيترشفها ويقتصر عليها دون ورود الماء . وقال **ثعلب** : (بنات الأرض هي الأنهار الصغار) اهـ .

قُلتُ : وهذه المدلولات كلها لم يبق لها اثر في اذهان الناس عامة فيما اظن .. واذا أراد أحدهم ان يمزح مع اخيه أو ولده .. أو صديقه .. قال له : (عليك ببنت الأرض)! وهو يعني ما يلقيه الغوغاء في الطرق من الغائط .. المتكور .. أو المتكعك .. فاين هذا من تلك ؟! أما « بنت الجمر » فهي ما يخبز على النار من الفطير أو الخمير ، وليست كالأولى التي لها اخت أو ابنة عم — وهي « كعك السطوح » .. ومالنا بعد الف سنة خلت .. الا التعقيب على ما اختلفت معانيه .. أما بنيات الطريق فانها الصعاب والمعاسف قال الشاعر :

تنكب بنيات الطريق وجورها
فانك في الدنيا غريب مسافر

وهناك ، ابن الأرض — وهو نبت يخرج في رؤوس الآكام ، وله أصل فلا يطول ، وهو سريع الخروج ، سريع الهيج يضرب به المثل في سرعة الادراك والفناء .

(١٥٧٢) « عقيق مكة »

كل الناس يعرفون (عقيق المدينة المنورة) .. وما أعذب ذكرياته التي حفلت بها ذخائر التراث .. فلا يكاد يتمثلها المتأدب أو الأديب حتى يترنح بها ولها طربا .

ويعرفون (عقيق الطائف) .. الذي كان آخر ما تغني به شاعر لم أدر بعد من هو ؟ وهو من المتأخرين وقال :

خطـــــرت تميس وتنثـــــى
ما بين شبرا والعقيـــــق

والذي قال فيه الآخر :

يوما بشبرى ويوما بالعقيق وبالـ
مثناة يوما ويوما بابـن عبـاس

وفي مطالعة عابرة في كتاب « المناسك » للامام إبراهيم الحربي في أوائل القرن الثاني الهجري قرأت هذه العبارة بالنص وهي :

(ومن بطن مر إلي مكة ثلاثة عشر ميلا .. وبها بركة للسيل ، وعين لعبيد الله بن عبد الله القلوبي تعرف (بالعقيق) .. اهـ

قُلْتُ : فهذا اذن عقيق مكة .. ولكنه مجرد من الذكريات ! ولا ينافس في الجلوات .. ولعله لا يزال بوادي مر الظهران حتى اليوم ما يطلق عليه هذا الاسم الجميل فما اتذكر انه ذكر بين ارجائه ، فيما سمعت وما قرأت ! .

(١٥٧٣) « البرودة اشكال »

كنا أدركنا كثيراً من اخواننا حجاج مصر الشقيقة يضيقون ذرعا من باعة (الاشربة) ابان الحج ، وخلال أيام الموسم مما يرددونه ويلهجون به في (مباسطهم) من قولهم : « يا حجى بارد .. يا حجى بارد » .. وهم انما يعنون الماء الذي يقدمونه لهم (باردا) .. لا سيما في فصل الصيف وحمارة القيظ .. وفي الطريق ما بين مكة وجدة والمدينة المنورة .. ويحسب السامعون منهم ان هذا وصف للحاج بالبرودة ! التي ينعت الشعب الانكليزي بها ، لما غلب على طباعهم من الهدوء وعدم التأثر الشرقي الفائر لا الفاتر .

وقرأت بيتين **للصفى الحلى** ابدع فيهما حيث يقول :

مليح يغار الغصن عند اهتزازه
ويخجل بدر التم ، عند شروقه
فما فيه شيء ناقص غير خصره
وما فيه شيء (بارد) غير ريقه

قُلْتُ : وبهذا تكون البرودة محمودة لا سيما في الماء المثلج .. وفي الهاجرة ..

وقد تكون مذمومة عندما يستدعى الأمر حرارة .. وحماسة .. وتأثرا .. واحتداما وانطلاقا .. فتبدو على عكس ذلك في (البارد) أو المتبلد !! أو المفطور على التجمد ، واننا لنعيش في زمان لا بد فيه من وضع المرء اعصابه في الثلاجات ، او تشتعل بما فيه من مفارقات ومزعجات .. و إياكم وغضب الحليم .

(١٥٧٤) استنوق الجمل

قالوا في كتب النقد الادبي « ان **طرفة بن العبد** سمع **المتلمس** ينشد بيته :

وقد اتناسى الهم عند احتضاره
بناج عليه (الصيعرية) مكدم

فقال : طرفة (استنوق الجمل) .. لان الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق البعير .

قُلْتُ : فما اغرب واعجب ان تفرق العرب حتى في الحيوان بين زى الناقة والبعير فيكون لها ما ليس له من السمات ! وان نرى من « تهيبوا » أو الذين يقال عنهم : « الهبيون » في زماننا هذا وهم لا يانفون ان يتأنثوا .. ويتأثثوا .. كالنساء .. فانى لهم بعد ذلك ان يكونوا رجالا مكافحين ، أو ابطالا معلمين والحمد لِلّه على سلامة مجتمعنا من أمثالهم .. وليس لهم الا ما يقمع ويردع ، والا « الموسى » تجعل كل راس منهم كالاقرع .

(١٥٧٥) (من الظرف) جود المهدي بالظرف

جاء فى الأمثال العربية المولدة .. قولهم : « من الظرف .. جود المهدي بالظرف » أي اذا اهدى اخ اخاه (فاكهة) فى طبق أو اطباق .. فان من تمام الفضل أن تكون الاطباق معها .. وكذلك الحال في كل ما لا يهدى الا مظرفا .. أي في وعاء محفوظ ..

قُلْتُ : وانى لاحب ان اكون من هؤلاء الظراف أو الظرفاء .. فما ابالي عندما اهدى هذه الشذرات إلي فضيلة استاذنا (الأنصاري) ان اشفعها بكل الظروف .. التي (تحتويها) وبهذه المناسبة اتذكر اننا كنا في عهد ما سابق — نقتدى بمن هم أكبر منا مقاما وسنا .. فنتخذ من الظروف .. ورقا نكتب في ظهورها (المسودات) اقتصادا في النفقة .. ونتولاها (بالمقص) — لتصلح لذلك . لان (القرطاسية) المقررة كانت تعد (بالقروش) .. وما في ذلك من عيب .. في العصر (الدوانيقى) .. الذي يصدق فيه المثل : « فلان يحفظ الورق .. ويضيع المصطكاة » .. وعسى أن يكون في هذه الشذرة تدوين لبعض ما مرت به علينا التجارب خلال (الادقاع) .. حتى في (الرقاع) !

اما الآن .. (فمن اخصب تخير) ونسأل الله تعالى دوام الانتاج والاخصاب .

(١٥٧٦) « لا تخبصها »

ينهي الرجل اخاه أو ابنه أو خادمه عن (الخلط — أو الحماقة) فيقول له لا تخبصها ، فما هو أصلها ؟!

لعله (الخبيص) وهو نوع من الحلوى يخبص أي يخلط ويقلب ويوضع في (الطنجير) .. ثم يسوى .. وهو من طعام أهل النعمة والترف : قال **الفرزدق** في **ابن هبيرة** :

تفنق في العراق أبو المثنى
وعلم أهله اكل الخبيص

و (تفنق) أي تنعم وتأنق .. فمن شاء فليتفنق وليتخبص .. فيما يزدرد فقط ليس غير ..

قُلْتُ : فاستعملها الناس بمعنى الخلط في الأمور .. وفساد التصرف .. وغلبة الحماقة . وتحولت مع الزمن إلي هذا المعنى ، بعد ان كانت من الحلوى التي يتحلب لها الريق .. ولعلها من نوع (الهريسة) اللوزية .. أو (المهجمية) أو (اللبنية) وما اشهاها لمن عرف معناها ، وانعم بها من (خبصة)!

١٥٧٧ ماهي « المناهتة » ؟

جاء في ابيات قالها (**حماس بن خالد**) من قبيلة بني بكر .. (يوم فتح مكة) .. وكان يتوعد رسول الله ﷺ وأصحابه وجيشه ويعد لهم السلاح ويحد سيفه .. ثم انهزم إلي جبل (خندمة) .. فذكرته امرأته بما كان يقول ويتوعد فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمة
اذ فر صفوان وفر عكرمه

ومنها يصف جيش الفتح :

لهم (نهيت) خلفنا وهمهمه
لم تنطقى في اللوم ادنى كلمه

قُلْتُ : فهذا (النهيت) .. انما هو تردد الأنفاس المحتدمة اثناء المعركة .. قال أهل اللغة : (نهت نهاتا ونهيتا) الأسد ، أو الحمار أو الرجل : زأر ، أو هو دون الزأر ..)

قُلْتُ : ونسمع البعض اذا دخل مع أحدهم في جدال أو نزاع يقول له : لا تناهتني ! ويقصد ما تعنيه الكلمة العامية (لا تنشف ريقى) أي كف عني .. (جدالك) ، وكثيراً ما تستعملها ربات البيوت وذوات الحجال ، وكأن المناهتة انما تبادل الأخذ والرد بلا جدوى .

١٥٧٨ « العجلة من الشيطان »

تتردد هذه الجملة يوميا آلالف المرات بين الناس بدون استثناء ، غير ان من العجلة ما يدعو إليه الشرع المحمدي الحنيف ، قال حاتم الاصم : العجلة من الشيطان الا في خمسة فانها من سُنَّة رسول الله ﷺ : اطعام الضيف ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدَّيْن ، والتوبة من الذنب » .

قُلْتُ : فلا بد من مراعاة العجلة في هذه المرافق التي يكون التريث فيها من الشيطان ! مع الوقوف عند كل امر ونهى كما كان في صدر الإسلام !! والا فان الخروج عن ذلك ، والزيادة فيه أو النقص عنه .. داعية الاضطراب والارتياب ، والافراط والتفريط .. (والله بكل شيء محيط) .

١٥٧٩ التكشير هو الابتسام

يقول **أبو فراس الحمداني** من رائية طويلة :

دع الوطن المألوف ، رابك أهله
وعد عن الاهل الذين (تكاشروا)

ويعني بـ (تكاشروا) .. اظهروا الابتسام وابطنوا البغض في قلوبهم .

قُلْتُ : وما منا اليوم من يعتبر التكشير الا الازورار والامتعاض .. واظهار العبوس .. وتحول

معناه اللغوى إلي مدلوله الاصطلاحي .. ولا سبيل إلي تصويبه الا ـــ به ـــ ولا حاجة لذلك .. (ومن قرعيناً بعيشه نفعه) !

١٥٨٠ « الطفيلية » وجبل اي قبيس

لا أدري ان كانت مجرد تفكهة .. أو هي حقيقة واقعة تلك القصة التي سمعناها من المسنين قديما ، زعموا ان من ابتلى بداء التطفل .. في الزمن الماضي .. كان وكل من على شاكلته يعتلى (قمة جبل أبي قبيس) .. ويبكر إليه .. ومن ثمة يستطيع ان يحيط ببصره بجميع عمران مكة وبيوتها .. فاذا ما رأى الدخان صاعدا إلي الفضاء من جهة ما .. قدر وحزر من أي بيت هو ؟ وانحدر إليه .. مباشرا أو معاونا .. فما الدخان من غير نار .. ولا نار الا لفرح أو مأتم ، ويتناول ما شاء من الصحون والقدور .. ويقضى يومه وليلته في بجحة وحبور .. وهكذا دواليك .. وما اظنها الا تندرا !! وتبكينا .. وان ادركنا الاطفال يركضون وراء من يسمونه « كناس الرز » !! وحتى هذه الولائم تضاءلت .. وتوقفت الفضولية والطفيلية .. وانتقلت إلي (الفنادق) تدريجيا .. ولا دخول إليها الا (بالبطاقات) والعوض على الله الكريم وبحمد الله فانه لم يبق من يطعم إلي غير الكدح والعمل ، (وكل من سار على الدرب وصل) .

١٥٨١ الصيف .. والحلبة والحمر

قرأت كثيراً في المؤلفات الطبية القديمة والحديثة عن فوائد الحلبة والحمر (التمر هندي) والعرقسوس (والخروب) ومالها من منافع في الابدان خلال فصل الصيف .. منذ العصور الاولى .. وأنها مرطبة ـــ مغذية ـــ وتخلص الدم من حموضته وتساعد الجسم على ازالة ما يتراكم فيه من السموم ..

وتذكرت أن من أول ما كان يحرص عليه كبارنا وعجائزنا ـــ ابان القيظ ـــ والومد والسموم .. هو الاعتناء الدائم بهذه المشروبات اللذيذة وأولها وأهمها وأروجها « السوبياء » وكان أهل البيوت وذوات الحجال ـــ والمتقدمات في السن منهن ـــ غالباً .. لا تخلو مرافعهن من الاواني الفخارية التي تنقع فيها هذه المرطبات .. بالاضافة إلي ما يسمى « ببزر الريحان » وحتى في الاعياد التي يصادف حلولها أيام الصيف .. وكن يمزجن بها (القرفة) ـــ أو الهان لتكسب بذلك رائحة عطرية تزيد من لذتها ، وطيب نكهتها .

وقد كنت اعب منها عبا .. كلما ظمئت .. فترويني .. وذلك شأن جميع الاسر ، فاين هي في زماننا هذا ؟ لقد حلت محلها هذه المعبآت المنوعة من (الكاكـــولا) و « اللمونالكـــو » و « السينالكو » واخواتها .. واعرض القوم عما الفوه خلال العصور الطويلة !!

وما أدري لذلك من سبب أو تعليل غير التكاسل عن كل ما يستدعى من ربات البيوت .. جهدا ولو يسيرا .. كشأن (الخبز) وتخميره ..

وعجنه .. وتقريصه .. فقد اكتفى الناس بما هو جاهز في الحوانيت .. ولا حاجة (للت والعجن) .. الا في الحواديت) ؟

فهل فيما استبدلت به تلك المرطبات ما هو معروف لها ومسلم به من الفوائد الطبية ؟ — ذلك ما يجهله الاكثرون « ولِلّه في خلقه شؤون » !!

١٥٨٢ اهل مكة .. فـ زمزم

جاء في تاريخ « القرى — لقاصد أم القرى » **للمحب الطبرى** ٦١٦ — ٦٧٤ هـ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان أهل مكة لا يسابقهم احد الا سبقوه ولا يصارعهم أحد الا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم فأصابهم المرض في ارجلهم اخرجه أبو ذر » اهـ .

قُلتُ : وفي أوائل هذا القرن ما كنا نرى احدا يحمل العصى أو العراجين .. وبلغة العصر « البساطين » الا من تجاوز الثمانين .. وذلك مصداق لقول ابن عباس لأنهم كانوا — جلهم — ان لم يكن كلهم .. ممن يحرصون على اداء صلاة الفجر في المسجد الحرام .. ويطوفون قبلها وبعدها .. ويذهبون إلي بئر زمزم ويتضلعون منها تضلعا فلا يكادون يخرجون إلي بيوتهم .. حتى تجتمع لهم فوائد شتى .. أولها وأهما الطاعة والتطوع .. ومن بعدها المشى .. الذي لا بد منه لكل حي .. و (المشى) الذي تطهر به الامعاء !! ومع التكاسل في ذلك والانصراف عنه .. رأينا أكثر القوم من سن الأربعين وربما دونها .. يتوكؤون على العصى .. ويتألمون من الركب والمفاصل .. وما علينا الا العودة إلي ما كان عليه اخيارنا وابرارنا فذلك أصح وانجح من هذه « المستحضرات » .. فان زمزم طعام طعم وشفاء سقم .. وانما الاعمال بالنيات . والله المستعان .

١٥٨٣ اصل « المغرة »

يعرف الجميع ان في جملة (الألوان التي تطلى بها الجدران) وتزين الحيطان في هذا الزمان — نوعا يطلق عليه « المغرة » وكنت احسبها أعجمية .. وهي ذات لون احمر ..

وفي مطالعة عابرة ظفرت بها في لغتنا العربية الفصحى ، قال (**أبو اسامة معاوية بن زهير الجشمي** حليف **بني مخزوم**) بعد وقعة (بدر) :

فأقسم بالــذي قد كان ربي
وانصاب لدى الجمرات (مغر)
لسوف ترون ما حسبى اذا ما
تبــدلت الجلــود جلــود نمر

قال الشارح : (مغر) جمع أمغر « وهو الأحمر .. يريد الانصاب مطلية بالدم » اهـ .

قُلتُ : فإذن لا تكون « المغرة » صحيحة المدلول .. في الحمرة ولا تسمى بذلك — الا اذا كانت تعكس الاحمرار .. فهل من اطلق عليها ذلك كان منسوبي الاصمعيات أو المجامع اللغوية .

١٥٨٤ « ليه ما قلت لي » ؟

جملة عامية متداولة .. كلما تذكر الرجل شيئاً بعد فوات أوانه .. أو ذكر به .. بتشديد الكاف وكسرها بعد ذال مضمومة — .. ووجدتها فصيحة في أصلها فيما رواه الامام الذهبي في كتابه

« سير اعلام النبلاء » قال : ان معاوية رضي الله عنه بعث مرة إلي عائشة رضي الله عنها بمائة الف درهم — فوالله ما أمست حتى فرقتها ، فقالت لها مولاتها : لو اشتريت لنا منها بدرهم لحما .. فقالت : (الا قلت لي)

قُلْتُ : فهذا هو صحيح الجملة وفصيحها .. فاما ان أم المؤمنين فرقت كل ما جاء إليها على مستحقيه .. فهو استبقاء للأجر .. وحرص عليه .. واما قول مولاتها لو اشتريت لنا منها بدرهم لحما .. فانه يدل على ان اللحم كان رخيص الثمن .. فما يكون بالدرهم آنئذ .. ربما لا يحصل عليه في زماننا هذا بالدينار ! واغلب الظن ان الناس قد درجوا على اللحم وأكله .. اكثر جداً من كل من سبقهم من الأولين ، ولو قصروا ذلك على يومين في الأسبوع .. أو نصفه .. (مناوبة) لما ارتفع سعره من قرش للاقة قبل خمسين عاماً إلي مائة وخمسين قرشا .. و (حب التناهي غلط) .. و (خير الأمور الوسط) .. والله خير الرازقين .

(١٥٨٥) الصاعد .. والهابط

اجزت لنفسى ان استخدم كلمة : « الهابط » . فيمن تجاوز سن الكهولة .. وذلك لمقابلة (الصاعد) أي الجيل الجديد ، كما تواضع على ذلك أهل زماننا هذا وما كنت احسب ان من الناس من سبقنى إلي هذه المقابلة .. أي النزول بعد الطلوع أو الهبوط بعد الصعود .

ولكننى قرأت في ترجمة الامام **ابن تيمية** رحمه الله ، **لابن حجر** . قوله : « وكان لابن تيمية في أول القرن الثامن — قبل ان يتولى تنكر دمشق سنة ٧١٢هـ من القوة والقدرة ، الكثير ، وكان (ينحدر) نحو الأربعين من عمره .. » الخ ..

فوجدت ما ظننت اني استعملته لأول مرة .. قد سبقني إليه القدماء من اعلام العلماء .. فقوله (ينحدر) .. انما هو بمعنى يهبط أو ينزل .. رغم ان الأربعين هي القمة .. وما بعدها هو الانحدار .. وفي أيامنا هذه نسمع من يقول اذا سأله احد عن فلان هل رأيته .. أو هو موجود بداره في (اعالى مكة) مثلا .. لا .. انه حدر اي نزل ومنه سمى يوم الصدر من منى آخر أيام التشريق يوم الحدارة .. ومنه (الدحديرة) .. وعلى كل من هو دون الأربعين وله مهلة لبلوغها ان يغنم كل دقيقة من وقته في طاعة الله واستباق الخيرات واكتساب الباقيات الصالحات .. وادخارها قبل الفوات .. فما نأسى على شيء مثل التفريط فيها .. والاسراف في تبديدها فهى كنز الكنوز .. والله الموفق .

(١٥٨٦) جبة ابي عبادة (البحتري)

اورد (**الصولي**) المتوفى سنة ٢٣٥ هـ في كتابه (اخبار البحتري) هذه القصة ، قال : « وحدثني **عبد الله بن الحسين** قال : اخبرني **البحتري** قال : كنت في دعوة **أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد** انا **ومحمد بن عتاب ، والحارثى** ، فخلع على (جبة) خضراء — ووصلني ، ورطب الجو ، فانصرفت فما زال المطر على رأسى .. فكتبت الى ابن عتاب :

اخى انــه اضعت به رشدى
ولم ارض من هزلى انصرافي ولا جدى

فبلغ شعري أبا صالح فوجه إلى (بجبة)(*) الزيتون التي ذكرها الله في كتابه اخرى من جبابه .

قُلْتُ : كان هذا في القرن الثالث الهجري .. وكان اصطناع (الجبب) ـــ معروفا في الأوساط العليا .. منذ ذلك الحين ، وكان البعض يطلق على الواحدة منها (الدراعة)

وما برحت الزي الغالب إلي أمد قريب .. وكانت تختلف (تفصيلا) باختلاف اللابسين لها .. من حيث اتساع الاكمام وضيقها .. واختيار الالوان .. ومراعاة الاسنان .. وكانت تتخذ من الصوف أو الكتان أو القطن ومن اقمشة ذت اثمان مرتفعة .. كـ (الانقـــوري) والسليمـــي و (القرامود) الخ وقد خفت المؤونة .. وزالت الكلفة بتركها والاكتفاء بالسمت العربي العام في جزيرة العرب وهو « المشلحـــ و البشت والصمادة أو الغترة .. ولم يعد هناك ما يستلزم (العمامة) من المقصص ، والتي كان لزاما على من لم يحسن لفها اسبوعيا ـــ ان يستعين بذوى الاختصاص في ذلك مقابل اجرة تعلو وتنخفض على قدر (الزبون) .. ومكانته وامكاناته .

وقد علمت من متقدمى السن في مكة المكرمة .. انه كان بها في اوائل هذا القرن وحتى العقد الثالث منه احد الاعيان من ذوى الجاه والثراء .. يبدل يوميا كامل ملبوسه أو (بدلته) من القمة .. حتى اخمص القدم .. بجديد غير مستعمل على طول أيام السنة وبعدد أيامها ! ولا كذلك الآخرون ، ولكنهم يشعرون بالعبء الثقيل في ارتدائها (صيفا أو شتاء) .. مع التنافس في ذلك بين الاقران ، وقد اصبحت في خبر كان !!

ومن حقها ان تذكر بعد ان الوى بها الحدثان ولكل زمان ما يلائمه من الأوياء والالوان والله المستعان .

(١٥٨٧) جلباب العروس قبل ١٢٠٠ سنة

قرأت في شعر ذى الرمة (غيلان بن عقبة ١٢٧ هـ) قوله :

وليل كجلباب العروس ادرعته ... باربعة والشخص في العين واحد
احـم علافي ، وابـيض صارم ... واعيس مهرى واروع ماجـد

قلت : واسترعي نظري فيه ان يكون جلباب العروس اسود اللون في ذلك العصر وما يليه .. ولو إلي حين .. وتذكرت قول الشاعر الآخر : (قل للمليحة في الخمار الأسود) ..

فتأكد لي ان العرائس .. وذوات السوار .. كن يستحسن السواد في حلل التزين .. قبل اكثر من الف ومائتى عام .. وكان ذلك بالطبع في (بلاد العرب) .. ومجتمعاتها من « قرى وحواضر .. بعكس ما انتهى إليه في زماننا هذا (ثوب العرس) أو الزفاف فانه غالبا ما يكون لونه البياض .. مع كل ما يستدعيه جر الذيول وقرع الطبول .. وهنيئا للشباب بالنعمة والغبطة .. **فهي** خير من كل الشباب .

(١٥٨٨) « الخلة » .. (بالتقوى)

كان **ابن الجلاء** الزاهد (بمكة) يقول لاصحابه « اطلبوا خلة الناس ـــ بكسر الخاء ـــ في هذه الدنيا بالتقوى ، تنفعكم في الدار الاخرى[1] ، الم تسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ . اهـ

قُلْتُ : هذا ما رواه أبو حيان في كتابه (الصداقة والصديق) .. ومنه نعلم ان ابن الجلاء المكي هذا كان قبله .. أو معه ! ـــ وانها لنصيحة في الحب في الله ولِلّه .. فما علينا الا الحرص عليها .. والدعوة إليها . ولو لم نجن من ثمراتها الا العزم وحسن الاختيار .. و (الصديق من صدقك لا من صدقك) .

وقد جاء اسم (**الجلاء**) هكذا خلوا من الشدة على اللام .. واكاد اجزم انه بالتشديد .. وأنه ممن كان يجلي العيون .. بالاكحلة أو السيوف .. بالمصقلة ، وهما مشتركان في الصيقلة .

(١٥٨٩) « ابنه حقا » ببرهان

« مر رجل **بيونس بن عبد الله الخياط** وهو يعصر حلق ابيه وكان عاقا له ، فقال له : ويلك ، اتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده ، ثم اقبل على الأب يعزيه ويسكن منه ، فقال له الأب : يا اخي لا تلمه ، واعلم انه ابني حقا والله لقد خنقت أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك !» اهـ . الأغاني

قُلْتُ : وفي ذلك أي عبرة وعظة . فان العقوق معجل العقوبة في الدنيا ـــ وربما قامت الشواهد على ذلك في زماننا هذا ، ولكنه نادر جداً .. فما من ناشيء يؤمن بالله واليوم الآخر .. الا وهو محافظ على ما أمره الله به : ﴿ وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ . صدق الله العظيم .

(١٥٩٠) الصديق لا يحاسب

قال **ثعلب** في كتابه الفصيح : دخلت على **أحمد بن حنبل** ومجلسه غاص بالناس ؟ فجلست الى جانبه ، ثم اقبلت عليه وقلت له (اخاف ان أكون قد ضيقت عليك ، على انه لا يضيق مجلس بمتحابين ـــ ولا تسع الدنيا باسرها متباغضين) .. فقال له أحمد : الصديق لا يحاسب ، والعدو لا يحتسب له » . اهـ

قُلْتُ : وكأنما اقتبس الشاعر هذا المعنى عندما قال :

رحب الفلاة مع الأعداء ضيقة
سم الخياط مع الأحباب ميدان

وانه لأدب لا لغو فيه ولا تأثيم ولا سيما في الغض عن هفوات الصديق الحميم .. والتجاوز عما قد بدر منه من عثرات الكريم .

---

(١) « المنهل » : هكذا أورد أستاذنا البحاثة الخبر ويبدو أن الأفصح منها أو أنه توجد لغة أخرى بضم الخاء قال تعالى ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ﴾ بضم الخاء .

(١٥٩١) العجلة . والاناة

قيل **للأحنف بن قيس**، يا **أبا بحر**، ما رأينا رجلا اشد اناة، منك؟ قال: « قد عرفت مني عجلة في أمور ثلاثة .. قالوا ما هي؟ قال: الصلاة اذا حضرت حتى أؤديها .. والأيم اذا خطبها كفؤها حتى أزوجها .. وجنازة اذا توفيت حتى الحقها بحفرتها » اهـ

قُلْتُ: فياليت من تعجل لم يتجاوز هذه الثلاث، ومن تأنّى لم يكن ممن يتمنى ثم يتمثل مع ذلك بما هو مأثور « في الاناة السلامة . وفي العجلة الندامة » .. وقديما ضرب اسلافنا المثل « رب عجلة وهبت ريثا » .. كما يقابل ذلك قول الشاعر:

وربما فات قوما جل أمرهم
من التأني وكان الحزم لو عجلوا

وما أضاع الفرص .. وجرع الغصص .. الا التردد بين الإحجام والإقدام .. ولكل موضعه عند ذوى الاحلام .

(١٥٩٢) الولد هذا طالع «الشغب»

تقول هذا أمه — اذا زاد في تعنته .. وتأبيه .. وبكائه .. وضجته وهو بعد بين الثالثة والخامسة من سني عمره! — غالباً — حتى يعتاد ذلك الى البلوغ اذا لم يردع .. ويقمع! ويتردد هذا حتى اليوم في جميع البيوت، وتنطق « شقب » بالقاف معقودة واعتقد ان أصلها بالغين — فهي شغب —.. لا شقب .. الشغب .. (العناد) والمشاكسة .. والمعاكسة!! فهل يملك كل اللغويين .. لو اجتمعوا من كل حدب وصوب ان يصححوا ما درجت عليه السنة الناس مئات السنين .. من هذا الخطأ؟ اذن فلا حاجة إلي تحقيق معنى « الشغب » منا لتصحيحه فلتأخذ (القاف) اعتباطا مكان (الغين) حتى تتلطف في احتلاله اختها .. بالحسنى .. ولطف التلقين .. وما لذلك ما يهم له من الأثر ما دام قد اقترن معناه بلفظه،

(واذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلي ما تستطيع)

وما كان للطفل ولا الطفلة ان يشغبا أو (يشقبا) لو لم يعودا على ذلك ابتداء .. ولو زجرا عنه قبل التمرد!! ويرحم الله الشاعر الحكيم اذ يقول:

فقسا ليزدجروا، ومن يك حازما
فليقس احيانا على من يرحم
والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

(١٥٩٣) أيش . واشبك . واشلك

هاتان الكلمتان لا يكاد يخلو منهما الحديث اليومي — والليلي أيضاً — في بلادنا منذ عهود قديمة! فاما (ايش) فأصلها أي شيء — فهي مقتضبة .. وعريقة الاستعمال وقد قرأتها في كتب الأدب القديم من العصر العباس وربما تداولها القوم قبله أيضا . ومن ذلك ان جارية ابتاعها احد الامراء فسألها: ابكر انت أم ايش؟ فقالت: انا (ايش)!

وأما (اشبك) .. فهي الأخرى مضغوطة .. أو مركبة .. من (أى شيء بك)؟!.. وما اتعب من يحاول اعادتهما إلي أصلهما .. فلا تنطقان الا به ! ومع ذلك فهما .. بهذه الصيغة اخف على اللسان .. ولا تقصر عن التبيان وكذلك هي (اشلك) ؟ فهي « أي شيء لك »وليس معنى التجاوز والتسامح جوار استعمال الخطأ في « الكتابة » — الا حكاية مع التعقيب ! أو تمليحا .. بدون تثريب ، وانتشار التعليم ومحو الأمية .. كفيلان بتقويم الاعوجاج .. من غير اكراه ولا احراج ، والا سمع الناقد ما يكره ، وما عليه ان لا يعبأ بذلك أو يأبه به .

(١٥٩٤) اذن ، فهو المعصوب

« روى الامام **أحمد بن حنبل** في كتاب « الزهد » عن **أبي قلابة** عن **النبي ﷺ** في قوله عز وجل : « ثم لَتسألنّ يومئذ عن النعيم » قال : (ناس من أمتي يعقدون السمن والعسل بالنقي) .. وهو مخ القمح ولبابه .. » اهـ

قُلْتُ : فما يكون هذا الطعام بوصفه ما يسمى « بالمعصوب » في الزمن الأخير .. وقد كسدت سوقه .. أو لم يجد من يبادره مع الفجر كما كان الأولون ، وقد مزجوه أيضاً تارة بالموز — وأخرى بالقشطة وكنت احسبه ما قاله **أبو الصلت الثقفي في عبد الله بن جدعان** :

له داع بمكة مشمعل
وآخر فوق دارته ينادي
إلي ورح من الشيزى تلاء
(لباب البر يلبك بالشهاد)

فجاء بالبر والشهد .. وفاته السمن — فأما هذا الحديث الشريف فقد استجمع كل الأوصاف .. وناهيك به بعد صلاة الفجر والطواف ، ونسأل الله تعالى شكر النعمة .. ونعمة الشكر مع القناعة والكفاف .

(١٥٩٥) يرحمك الله يا ابا رياض

ورحم الله **شوقي** اذ يقول : (والذكريات صدى السنين الحاكي) فقد تذكرت في لحظة مهومة احدى مسامراتنا مع الشاعر العربي الخالد : « **فؤاد الخطيب** » ابان وجوده بمكة المكرمة .. وقبل (٥٥) سنة خلت ، انه روى لنا (بيتين) في الغزل أحسبهما لغيره وهما :

هيفاء لو خطرت في جفن ذى رمد
لما احس لها من وطئها الما
خفيفة الروح لو رامت لخفتها
رقصا على الماء ، ما بلت لها قدما

وقال أنه شطرهما كالاتي :

هيفاء لو خطرت في جفن ذى رمد
« نال الشفاء ، ولم يستشعر السقما »
« ولو مشت فوق ساري الذر خاطرة »
لما احس لها من وقعها ألما
خفيفة الروح لو رامت لخفتها
« مثل الهواء دخول الجسم ما علما » !
« ولو أرادت دلالا من رشاقتها »
رقصا على الماء ما بلت لها قدما

قُلْتُ : وقد دالت دولة التشاطير والتخاميس والتسابيع .. ولم يعد لها رواج في اسواق الأدب وما كانت الا دلالة على الترف أو الفراغ أو التفرغ .. ومنها ما يزيد الأصل حسناً وجمالاً

كهذه القطعة التي ما برحت عالقة بالذهن منذ أكثر من نصف قرن .. ولا أدري ان كان ديوانه العتيد قد احتواها ام لا ؟

وقديما قرأت لامرئ القيس قوله :

من القاصرات الطرف ، لو دب محول
من (الذر) فوق الأتب منها لأثرا

وأقول : « الذر » .. في كليهما انما هو (النمل) .. طبعاً فاما ذرة القرن العشرين فالعياذ بالله من أثرها وتأثيرها فانها من أشراط الساعة ، هدانا الله إلي الاعتصام بحبله المتين . قبل ان ﴿ **لا ينفع مال ولا بنون .. الا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ .

(١٥٩٦) الاضراب عن الطعام

« عن سعد بن مالك قال : كنت رجلاً بارا بأمي ، فلما أسلمت ، قالت : يا سعد ، ما هذا الذي اراك قد احدثته ؟ لتدعن دينك هذا . أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتعير بي فيقال : يا قاتل أمه ! فقلت : لا تفعلى يا أماه ، فاني لا ادع دينى هذا لشيء ، فمكثت يوما وليلة ولم تأكل ولم تشرب ، فأصبحت قد جهدت .. فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب ، فجهدت ، فمكثت يوما آخر وليلة ، فاصبحت وقد اشتد بها الجهد ، فلما رأيت ذلك .. قلت : يا أماه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا .. ما تركت ديني هذا لشيء ، فكلى ، وان شئت لا تأكلي ، فأكلت .. فنزل قوله تعالى : ﴿ **وإن جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا** ﴾ اهـ .

رواه أحمد في مسنده ، وذكره ابن كثير في تفسير سورة لقمان .

قُلتُ : فهذا أول اضراب عن الشراب والطعام صدر في الإسلام وكانت نهايته الايلام والملام والصغار والاذعان والاستسلام .. وما هو الا من وسائل الحمقى والطغام .. و (على نفسها جنت براقش) .

(١٥٩٧) الخلاسي ، والخنفصي

قال **الجاحظ** : « رأينا الخلاسي من الناس — وهو الذي يتخلق بين الحبشي — والبيضاء ، والعادة من هذا التركيب ، أنه يخرج أعظم من أبويه ، وأقوي من أصليه ومشمريه » ا.هـ .

من الحبشى والبيضاء .. فهو من الأبيض والحبشية ولعل كليهما — مشترك الازدواج ! والغالب ان ذلك قد تضاءل بعد ان خلت ارتيريا من الطليان .. الا بقايا من النرجس والأقحوان ..

وفي عام ١٣٤٣ كتب لي ان ازور (اريتريا) .. ومن مصوع صعدت في القطار إلي (اسمرا) ليلة واحدة .. ورأيت فتيات لا هن بالسود ولا بالبيض .. والوانهن ذات صفرة ذهبية ! وعلمت انهن نتاج الايطاليين مع الحبشيات !! ويطلقون عليهن « الخنفص » وقد يكون — بالطبع — معهن فتيان واخوان .. (حنفصيون أيضا) وهذا عكس ما قاله **الجاحظ** .

(١٥٩٨) الشقدف .. هو المحمل

« ولما وفد **اسماعيل بن يسار النسائي** مولى **بني تيم بن مرة** (**تيم قريش**) مع **عروة بن الزبير** إلي الشام يريد **الوليد بن عبد الملك** ركب معه في المحمل يعادله : .. فقال **عروة** ليلة من الليالي لبعض غلمانه : انظر كيف المحمل ؟ قال : أراه معتدلا ، فقال اسماعيل : الله أكبر .. ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط ، فضحك عروة ، وكان يستخف اسماعيل ، ويستطيبه » (الاغاني)

قُلْتُ : اذن كان القوم اذا توجهوا من قلب الجزيرة والحجاز إلي الشام أو العراق يمتطون الابل .. ويتخذون المحامل عليها .. ويتعادلون فيها ــ تماما كما هو الحال في (الشقدف) .. وكلاهما قد انطوى وانزوى !! ولا أدري من أين جاءت هذه « الشقدفة » في القرون الأخيرة ؟. فهي دخيلة ولا أصل لها في المأثور عن العرب وانما عرفت في القرن الثامن وما بعده ويلحق بها « الشبرية » وكأنها سميت بذلك لأنها تقاس بالاشبار طولا وعرضا .. و (يتكرفس) فيها الراكب ، ورغم ذلك كانت تحمل الاثنين احيانا

(١٥٩٩) يوم الطين

كان **المعتمد بن عباد** الأمير الشاعر الأندلسي ٤٨٤ هـ .. قد تزوج بامرأة تدعى (اعتماد) وتلقب بالرميكية .. وهي أم أولاده .. وكان مفتونا بها ومحبا لها .. قال صاحب نفح الطيب :

« ومن اخبار الرميكية القصة المشهورة التي قال فيها المعتمد : (ولا يوم الطين) .. وخلاصة ما ذكره « المعرى » في هذه القصة ، ان الرميكية أطلت من قصرها فرأت القرويات في يوم مطير .. يمشين في الوحل في طرق (اشبيليه) وعلى رؤوسهن الجرار .. فاشتهت ان تتشبه بهن ، فأمر المعتمد فسحقت أنواع من الطيب في ساحة القصر ثم صب عليها ماء الورد من غرابيل ، وعجنت بالايدي حتى صارت كالطين .. فمشت الرميكية وجواريها في هذا الوحل .. وقد غاضبت المعتمد يوما ، فاقسمت انها لم تر منه خيراً قط ، فقال (ولا يوم الطين) فاستحت ، واعتذرت » . اهـ

قُلْتُ : ولا محل لاساءة الظن في اسراد هذه الطرفة فما أردت بها الا التلميح !! ، والتصريح دون التلميح و (وكل اناء بالذي فيه ينضح) .

(١٦٠٠) من اخلاق النبوة

قالت **أم المؤمنين عائشة** رضي الله عنها : (اهدى لنا **أبو بكر** رجل شاة ، فاني لأقطعها بمخازن تسمى (القاز خانة) ويستحضر منها يوميا إلي الباعة بالتفرقة ما يكفى يوما أو يومين **رسول الله** ﷺ في ظلمة البيت ، فقال لها قائل : أما كان لكم سراج ؟ **فقالت** : لو كان لنا ما نسرج به أكلناه .. وذلك لانهم كانوا يسرجون مصابحهم بالدهن .)اهـ

كان هذا ، وهو الذي راودته الجبال أن تكون له ذهبا فأبي وتذكرت انه خلال اشتداد الحرب العالمية الأولى .. شح في (مكة) السكر والقاز والأرز .. وكل ما كان يصل اليها عن طريق البحر .. وافاض الله عليها السمن والعسل والبر وجاد عليها بالغيث .. فكان سعر الكبش لا يزيد

عن ريال واحد .. والخضروات من الوفرة بحيث يغني القرش والقرشان في ملء (الزمبيل) .

وكنا نوقد في الليل المصابيح ـــ بالشحم ـــ الذي زاد بالخصب ـــ ونتخذ له (الفتائل) من القطن ، واستمرت أزمة افتقاد « الغاز » إلي درجة انه لا يصرف الا (بالبطائق) وبمقدار ضئيل جداً .. حتى وضعت الحرب اوزارها .. واذن الله بالانفراج .. ونحمد الله جل وعلا على ما اغدقه على عباده من النعم التى لا تحصى ، ونسأله دوام الشكر على فضله العظيم .

(١٦٠١) لا تقل الا خيرا

جاء في قصة اسلام **عدى بن حاتم الطائي** ومقابلته لأخته (**سفانة**) عندما قدم إلي الشام وكانت قد سبيت أو أسلمت قبله ، وارتحلت إليه جاء ما يأتي : « قال **عدى** .. فوالله اني قاعد في أهلي اذ نظرت إلي ظعينة تصوب إلي قومنا ، فقلت : ابنة حاتم ، قال : فاذا هي ، فلما وقفت على انسلخت تقول : القاطع الظالم ، احتلت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك قال : قلت : أي خيية ـــ (لا تقولي الا خيراً) فوالله مالي منى عذر .. الخ ..»

قُلْتُ : ولسنا بصدد استيفاء قصة اسلامة واكرامه من قبل رسول الله ﷺ .. فمكان ذلك كتب السيرة النبوية .. وانما شاهدى منها قوله : (لا تقولي الا خيراً).. وهي هي نفس الجملة التي يرددها الناس إلي يومنا هذا ـــ كلما عاني احدهم امرا غير رشيد .. وهداه الله إلي الرشد بعد ذلك .. فما من أحد يحدث منه ما يندم عليهم .. ويعاتب في تصرفه الا اعترف بانحرافه وضلاله .. واسترجع معتذرا عنه بقوله : (لا تقل الا خيراً) فهذا هو أصلها .. قبل أربعة عشر قرنا ، هدانا الله إلي سواء السبيل .

(١٦٠٢) المغلق والغلق

يطلق التجار في عهدنا هذا على متاجرهم بالجملة ـــ طبعاً ـــ االمخزن أو المخازن . وبعضهم يسميها (المحلات) .. أما ما ادركناه قبل نصف قرن مضى .. فانهم يسمونها (المغلق) وجميعها « المغالق » .. وكانت محدودة معدودة وللجلابة الكبار وهم ما بين محلة الشبيكة بمكة إلي سوق المعلاة .. ولا تزيد كلها عن (٣٠) إلي (٤٠) مغلقا .. وهم يمونون جميع الحوانيت والدكاكين في البلد بطريقة الاخذ المقسط اسبوعيا أو أكثر أو اقل .. ويتاجرون بجميع انواع الارزاق والالبسة والادوية والوقود .. وما كان الا القاز .. وحده .. ويحجز في خارج المدينة بمخازن تسمى (القاذخانة) ويستحضر منها يوميا إلي الباعة للتفرقة ما يكفي يوما أو يومين ليس غير على متون الحمير وكان ذلك متعارفا عليه إلي اعلان الحرب العالمية الأولى .

أما (الغلق) بفتح الغين واللام فهو شيء آخر .. انه اصطلاح لمعلمي البناء بالحجر والطوب .. قديما .. ويعنون به الحجر المسطح السميك اعلاه .. المحرود ادناه . ليسقطوه بين الحجرين الأخيرين في العقود المقوسة في الدواوين .. يختمون به .. أو يدعمون به .. ذروة العقد .. بحيث لا يحل مكانه الا بالضغط عليه والدق الشديد حتى يختم ذروة العقد .. وقد طويت صفحته مع البناء الحجرى والجصى ..

وغلب استعمال الاسمنت المسلح .. واعتق الله الغلق من الخبط والضغط .. كما أقال الجمال بالسيارات من الشقادف والشباري والأحمال .. والاثقال .. والسكاكين .. ولِلّه في خلقه شؤون وانا لله وانا إليه راجعون .

(١٦٠٣) المحفة والهودج

عرف أهل اللغة والعلم (المحفة) بأنها بالكسر مركب كان للنساء .. كالهودج الا أنها لا تقبب ، كما تقبب الهوادج .. اهـ .

قُلْتُ : وعلى هذا فتكون المحفة أصلا لما سماه المتأخرون : (الشبرية) لأنها بدون قبة .. ويكون الهودج هو (الشقدف) بعد ان استكمل وسائل الرفاهية . أما التخت أو التختروان .. فانه لا يركبه الا من كان ذا ثراء وسلطان .. من الرجال أو النسوان .. وكان يناط إلي عديد من البغال أو الجمال .. وقد شهدناه في آخر الزمان .. وقد اختفى كل ذلك بعد السيارات .. ويجب ان تضاف منه (نماذج) .. في (المتحف) .. مع كثير من أمثاله من الامتعة .. التى كانت مستعملة ثم ابدلت بغيرها حتى (الاخفاف والبوابيج) و (الملايات والبراقع) و « بنت المنقل » و (والمنجرة والمرش) [1] .

(١) المنهل — كل هذه الاثار القريبة العهد موجودة في المتحف الأثري الذي أسسه وانشأه الأستاذ عبد الله خوجه ، وقد كنا شاهدناه في بحرة ، وكتبنا عنه افتتاحية في بعض أعداد هذه المجلة اذ ذاك .

(١٦٠٤) كانوا يسبحون

عن ابن **عباس** رضي الله عنهما قال : ربما قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ونحن محرمون بالجحفة ، تعال انافسك ، أينا أطول نفسا في الماء ؟ اهـ .

وعن **ابن عمر** رضى الله عنهما : ان **عاصم بن عمر وعبد الرحمن بن زيد** .. تماثلا في البحر وهما محرمان .. يغيب كل واحد منهما رأس صاحبه .. **وعمر** جالس على شاطيء البحر لا ينكر ذلك . اهـ .

قُلْتُ : ففهم مع التسبيح .. يسبحون ويتداعبون .. رغم أنهم إلي الصحراء ينسبون . وعلى النشء ان يحسن العوم والرمى وركوب الخيل ! والركض .. أو المسابقة .. وان يكون كل ذلك مما يحذقون .. وفيه يتنافسون .. وهو ما أعد له ذوو الشأن الآن كل الوسائل .. حتى لا يكون بين الفتيان كسول أو خامل ! و (عفا الله عما سلف) .

(١٦٠٥) اقرؤا ما بعدها

ذكر **الحافظ بن حجر** في شرح البخاري قال : أخرج ابن أبي شيبة من طريق مرسلة قال : لما نزلت « والشعراء يتبعهم الغاوون » . جاء عبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت . وكعب بن مالك بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، وكتب الله هذه الآية وهو يعلم اننا شعراء ، فقال : اقرؤا ما بعدها : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » — أنتم — « وانتصروا من بعد ما

ظلموا » أنم — قال السهيلي : فنزلت الآية في الثلاثة وانما وردت بالابهام ليدخل معهم من اقتدى بهم ، وذكر الثعلبى مع الثلاثة كعب بن زهير — بغير اسناد» اهـ .

قلت : فكل من كان مؤمنا وعمل الصالحات وانتصر بعد ظلمه .. فانه ملحق بهؤلاء الثلاثة أو الأربعة .. على ان كثيراً من الجهال يقرؤون الآية .. ويقفون بها قبل الاستثناء ! .. كالذي يقرأ .. « ويل للمصلين » .. ولا يتم الآية .. وليس هذا دفاعاً عن كل شاعر لا يبالي بما يقول من المنهيات والموبقات « وانما الأعمال بالنيات » .. والله يعلم المفسد من المصلح وهو ولي التوفيق .

(١٦٠٦) لو ذكرتني لفعلت !

روى ان عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قسمت في يوم ، ثمانين ومائة الف بين الناس ، فلما أمست ، قالت : يا جارية علي ، (فطوري) فجاءتها بخبز وزيت . فقالت لها أم درة : اما استخلفت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت : لو ذكرتني لفعلت .

قُلْتُ : من أجل ذلك كانت أم المؤمنين ، وحب — بكسر الحاء وتشديد الباء وفتحها — خير الأولين والآخرين .. ولو حاول احد أن يعمل ما عملت في المتأخرين .. لكان اعجوبة في المؤثرين وهنا — ملاحظة في الخبر .. من حيث أنها أمست .. فطلبت الفطور وانما يكون الافطار في الصباح .. وتأويل ذلك أنها شغلت عنه إلي المساء فلم تبدل اسمه بالغداء أو العشاء .. وبارك الله في الخبز والزيت .. فانه الكفاف .. (وما عندكم ينفد .. وما عند الله باق) .

(١٦٠٧) العطاس والزكام

صح عن **أبي هريرة** رضى الله عنه أن **النبي** ﷺ كان اذا عطس غطى وجهه بثوبه ويده ثم غض لها صوته .. قال **الحجاوي** : في تغطية وجه العاطس ، لئلا يخرج من فمه شيء يؤذي جلساءه من بصاق وغيره أو يخرج شيء مفحش منظره . اهـ

وقال **ابن هبيرة** رضى الله عنه ، قال بعض الاطباء : العطاس لا يكون أول مرض الا أن يكون (زكمة) . فاذا عطس الانسان استدل بذلك من نفسه على صحة بدنه ، وجودة هضمه واستقامة قوته . اهـ .

قُلْتُ : ذلك ما كان يفعله **رسول الله** ﷺ .. قبل انتشار الحضارة الغربية والطب الحديث .. بالف واربعمائة سنة .. وهو الاسوة الحسنة لأمته .. وما من خير الا دعا إليه قولاً وعملاً .. ولا من شر الا نهى عنه وحذر منه و (ما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .

(١٦٠٨) من اهل الجنة

جاء في حديث نبوي شريف قوله ﷺ : « يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة » فطلع الرجل فسئل عن عمله ؟ فقال : اني لا اجد لأحد من المسلمين غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه . اهـ .

قُلْتُ : وما من أحد يؤمن بالله واليوم

الآخر – يأبي ان يكون من أهل الجنة بشهادة من لا ينطق عن الهوى ، ولا ريب في ان من كان على غير هذه الخصال فانه لعلى شفا جرف هار ، اعاذنا الله من النار .

(١٦٠٩) وصية جديرة بالحفظ

قرأت هذه العبارة أو النصيحة – فآثرت بها القراء الكرام ، قال **أبو زكريا بن معاذ** الداعي الواعظ المتوفي سنة ٢٥٨ هـ . « ليكن حظ المؤمن فيك ثلاث خصال : ان لم تنفعه فلا تضره ، وان لم تسره فلا تغمه ، وان لم تمدحه فلا تذمه .

قُلْتُ : وما هي الا من مكارم الاخلاق .. ومن حفظها وحافظ عليها أمن من الشقاق ، وبرىء من النفاق .. ومن لم يحرص عليها فما له في الآخرة من خلاق .

(١٦١٠) من شعر العلماء

قال العلامة **الزمخشري** : المتوفي سنة ٥٣٨ هـ .

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد
وليس فيها لعمري مثل كشافي
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته
فالجهل كالداء – والكشاف كالشافي

قُلْتُ : ومن هذا نعلم ان من العلماء شعراء لا يشق لهم غبار .. وان من شعرهم ما تغرد به الاطيار .. وليحسن الله جزاءهم يوم يقوم الاشهاد .

(١٦١١) بريد الشيطان

« قال رجل لوهب بن منبه : ان فلانا شتمك . فقال : ما وجد الشيطان بريدا غيرك ؟! . اهـ .

قُلْتُ : فاذا كان صاحب النميمة انما يمثل بريد الشيطان ، فمن هو الذي يرضى ان يكون كذلك اللهم الا الجاهل الاحمق والطائش المغرور .. كفانا الله شر أنفسنا – وهدانا إلي الطريق المستقيم .

(١٦١٢) الكذب في اللحية

كثيرا ما سمعنا من يقول لمن يكذبه ويختصم معه في حالات الغضب : « تكذب في لحيتك » .. البعيد .

فأما ما هو الكذب في اللحية واصله ومصدره فانه يعود إلي بيتين قديمين يعزيان إلي الامام **ابي محمد جعفر السراج** الحنبلي صاحب كتاب « مصارع العشاق » وهو غير التأليف المعروف للدكاترة زكي مبارك بهذا العنوان .

قال :

ومدع شرخ شباب قد
عمه الشيب على وفرته
يخضب بالوسمة عثنونه
يكفيه أن يكذب في لحيته !

قُلْتُ : وما كنت أعرف هذا قبل الآن حتى ظفرت به في مطالعة عابرة ، وبهذا تكون الشتيمة اهون وقعا في نفس المشتوم .. وما تداولها الا « الظرفاء » دون تسفيه ، أو تشويه ..

فالخضاب .. غير مكروه شرعاً .. وانما هي احدى الطرائف .

(١٦١٣) ماهي « أبـ » ؟ !

كل من يوم بوغت بما لم يتوقع .. نطق بهذه الكلمة (أب) ! مستغربا ما حدث ، فما أصلها في التداول ؟

وقرأت في شرح **السفاريني** ما يلي : « وقد أخرج **البخاري** في الأدب المفرد بسند صحيح أن **ابن عمر** سمع ابنه عطس فقال : (أب) وما أب ؟ ان الشيطان جعلها بين العطسة والحمد . اهـ .

قُلْتُ : فهذه أولية هذه (الأب) التي ما برحت دارجة على السن الناس منذ ذلك العهد .. بل ومن قبله أيضاً بدليل استعمال ابن عمر المشار إليه لها ، وهي اكثر تداولا بين الصبيان والفتيات لكثرة ما يرونه من أسباب الدهشة . وبالطبع فان هذا (الأب) غير ما هو وارد في في القرآن الكريم ﴿ **وفاكهة وابا** ﴾ فانه هنا « المرعي » أو العشب رطباً ويابساً .

ولذا كانت كما قال أبوه رضى الله عنه انها من مكايد ابليس .. فان من الواجب .. اهمالها ، وابدالها بما هو خير منها وهو التحميد في العطاس .. فاما فيما عداه فيكفى الانسان أن يقول بدلاً منها (خيراً إن شاء الله) ..

(١٦١٤) قرع الابواب بالأظافر

كان الناس قبلنا من التهذيب بهذه الدرجة التي قرأتها في « غذاء الألباب لمنظومة الآداب » .. حيث قال :

« ينبغي للمستأذن ان لا يدق الباب بعنف لنسبة فاعل ذلك إلي قلة الأدب .. لا سيما ان كان رب المنزل شيخاً .. ولذا كانوا يقرعون بيوت الاشياخ بالاظافر .. » اهـ .

قُلْتُ : اما في زماننا هذا فان القرع يكون بالاجراس الكهربائية وبشدة تزعج القاعد والقائم . والصاحي والنائم ، وأشد من ذلك وانكى .. ان يكون ذلك من سائل صفيق أو صبي طليق .. وفي الليل واغلاسه .. ثم ان يعتذر بلنه اخطأ .. بعد الازعاج .. تماما كما يكون ذلك في اجهزة الهاتف .. مما يأتى عنه ضرر عظيم .

ومما يرويه القدامي ان سائلا دعا صاحب المنزل من أعلاه فنزل إليه ــ ولا يدري ما يريد .. فقال له « حسنة لله » فصعد به من الدهليز إلي سطح الدار .. وهناك قال له : (الله كريم) .. ومع ذلك فانه لم ينتصف من تهجمه عليه .. لأنه أكرهه على السخط والتعب والنصب ! فهل من وسيلة للسلامة من هذه المشكلات ؟

(١٦١٥) أشهد أنك من اولاد الرسول

لقى رجل **علي بن الحسين** رضى الله عنه فسبّه ، فثارت إليه العبيد ، فقال : مهلا ، ثم اقبل على الرجل فقال : ما ستر عنك من أمرنا أكثر .

الك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيى الرجل ، فألقى عليه خميلة كانت عليه ، وأمر له بالف درهم . فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسول . اهـ .

قُلْتُ : وتذكرت بذلك قصة متداولة معروفة عند المعمرين من أهل مكة الذين ادركوا امارة الشريف **عبد الله بن محمد بن عون** بمكة المكرمة .. فقد بلغه عن شخص من كبار رجال المحلة ــ حول قصره ــ انه لا يفتا يذكره بالسوء في (المركاز) كل ليلة .. وينال منه بما يوجب العقوبة والانتقام .. واستاذن بعض عيونه وخدمه ان يضربه أو يسجنه ! فقال : لا ، دعوه لنا ، وقالوا انه استدعاه سرا : وعاتبه في لين وحكمة ، ونفحه بعطاء .. ملك عليه سمعه وبصره ، واستحوذ على قلبه .. فما سمع بعد ذلك يتكلم في (مركازه) الا بما هو ثناء وحمد وشكر واشادة بالشريف .. وصار من أحب الناس إليه كما ان الشريف أيضاً اصبح في نظره وحديثه من أعظم الامراء واكرمهم واصلحهم واعظمهم وصدق الله العظيم : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ .

(١٦١٦) عامر بن عبد الله بن الزبير

مما يرويه بعض أهل السير والتراجم ان أمير المؤمنين **عبد الله بن الزبير** رضى الله عنهما كان شحيحا كما يزعمون ــ حتى ليطلق عليه بعضهم ــ لقب « رشح الحجر » ويعزون إليه قوله : اكلكم تمرى وعصيتم امرى وهو مالا يصدق فيه وانما هو من نهم مناوئيه . وقرأت ان ابنه **عامرا** كان يتخير العباد ــ وهم سجود ، فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم ــ فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه ، فقيل له : ما يمنعك ان ترسل بها إليهم فيقول : اكره ان يتمعر وجه احدهم اذا نظر إلي رسولي . أو لقيني » . اهـ

قُلْتُ : وبذلك فانه لا محالة من الاجواد الاماجد ولا يصح ان يكون الا سر أبيه ، وما اكثر ما امتزج السم بالدسم في بعض ما يرويه التاريخ في المصادر المبنية على الاهواء والاغراض .. وكل ما أحسبه صحيحاً .. هو ضيق ذات اليد ابان حصار أبيه وراء المعاقل والحصون اثناء حربه مع الحجاج .. وما عدا ذلك فما هو الا للجاج والاحراج .

(١٦١٧) اصـل الغترة

طالما حاولت ان افهم لماذا يسمون ما يوضع فوق الرأس فوق الكوفية وتحت العقال أو الشطافة بالغترة . اهـ .

ووجدتها فصيحة صحيحة : قال **عمارة** :

حتى اكتسيت من المشيب عمامة
« غثراء » اغفـــر لونها بخضاب

أي ان (الغثرة) بضم الغين ــ وكما ننطقهاالآن ــ شبيهة بالغبشة يخالطها حمرة : فهي قريبة إلي « الغبرة » اهـ .

قُلْتُ : وكذلك هي أول ظهورها واستعمالها فما كان اغلب المنسوج منها الا مزدوجا بالحمرة والسواد والبياض .. ثم تطورت فغلب عليها اللون

الأبيض ــ الا ان امهاتها ما برحن على عهدهن منذ الولادة [1] .

(١٦١٨) (قنطر) خير من (ملين)

نسمع في زماننا هذا ــ أن فلانا بلغ من ثرائه أنه أصبح (مليونيرا) وأنه ملين فماذا كان يقال عن مثله في العربية قديما ؟

قالت كتب اللغة : (قنطر الرجل ملك مالا بالقنطار) ..

وفي الحديث : (ان **صفوان بن أمية** قنطر في الجاهلية) .. وقنطر أبوه اي صار له قنطار من المال) .. اهـ .

قُلْتُ : ومع التسامح في استعمال ما تواضع الناس عليه في عصرنا هذا افلا يكون من الممكن اذا لم يكن من الأولى استبدال القنطرة به ، ولها أصل عربي صحيح حتى في القرآن الكريم ؟

وعدت فتذكرت ان الأموال كانت ذات احجام واوزان من المعادن والذهب والفضة .. ثم تحولت إلي (هذا الورق الخفيف المحمل .. أو ما يسمى بالشيكات .. مما لا يصدق عليه) . الوصف بالقنطار ! ولا القياس بالامتار ! وانما هي امتار واشبار ! وسعة واعتبار ! وصلى الله وسلم على من قال :

« انما لك من مالك ما اكلت فأفنيت : أو لبست فأبليت : أو تصدقت فأبقيت » .. والله ولى التوفيق .

(١) المنهل : كتب رئيس التحرير كلمة في هذا الصدد اشاد فيها بهذه الشذرة الذهبية لغوياً وفكرياً .

(١٦١٩) جبل (عمر) بالفتح لا (عمر) بالضم

بأسفل مكة وفوق الهجلة جبل مشرف يقابل السوق الصغير يطلق عليه أهلها (جبل عمر) .. بضم العين .. ووجدته في (تاج العروس) بفتحها ــ وقال عنه .. (وعمر) جبل يصب في سبيل مكة حرسها الله تعالى .. وأكاد اطمئن إلي ذلك لأنه لم يرد في كتب السيرة المعتبرة ان **لعمر الفاروق** رضى الله عنه (جبلا) ينسب إليه .. بمكة .. ولا أنه كان يسكن بذروته أو سفوحه .. والله اعلم .

(١٦٢٠) العفريت ، النفريت

كثيراً ما سمعنا هذا الوصف يطلقه الناس على الرجل أو الغلام اذا كان ــ ممن تغلب عليه الشيطنة .. أو الابلسة .. أو تذم منه بعض الخصال .

وقرأتها في اللغة هكذا : (يقال : العفريت النفريت بكسر العين والنون .. وعفرية نفرية وفي الحديث : « ان الله تعالى يبغض العفرية النفرية الذي لا يرزأ في أهل ولا مال » !!

وأحسب ان أغلب الذين يقولونها لا يفقهون منها الا أنها مجرد وصف للخبيث أو الداهية .. أو الذي يجب الحذر منه ! غير ان هذا النص حصر معناه فيمن لا يرزا .. ونسأل الله العفو والعافية .

(١٦٢١) عورتني ياشيخ

يقولها من يصيبه أحد بكدم أو صدم أو زج ، أو اي شيء يؤلمه من قمة رأسه إلي أخمص قدميه .. وهو يعني انه ألحق به أذى أو ضررا أو خدشا أو فقشا .. وما هي في أصلها تعني ذلك كله . اهـ .

في اللغة : (وعورت الرجل اذا استسقاك فلم تسقه ، قال الجوهري : ويقال للمستجير الذي يطلب الماء اذا لم تسقه قد عورت شربه .. ويقال : « عورته عن الماء تعويرا حلاته ، وقال **أبو عبيدة** التعوير ، الرد ، عورته عن حاجته رددته عنها وهو مجاز) .

قُلْتُ : فمن يستطيع ان يعيدها إلي أصلها ؟ .. بعد ما ذاعت وشاعت وتمكنت من الالسنة والافهام !

(١٦٢٢) الدعاء والصدقة

« قال **محمد بن عيسى الخزيمي** ، وكان جارا لأبي العتاهية : كان لأبي العتاهية جار يلتقط النوي ضعيف سيىء الحال ، وكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار ، فيقول أبو العتاهية ، اللهم أعنه على ما هو بسبيله ، شيخ ضعيف سيىء الحال عليه ثياب متجمل ، اللهم اصنع له .. فبقى على هذه الحال إلي ان مات الشيخ نحوا من عشرين سنة لا والله ما تصدق عليه بدرهم ولا دانق قط ، ولا زاده على الدعاء شيئاً ، فقلت له يوماً : يا أبا إسحاق ، اني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم انه فقير معيل ، فلم لا تتصدق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى ان يعتاد الصدقة ، والصدقة آخر كسب العبد ، وان في الدعاء لخيراً كثيراً . اهـ .

(ابن منظور ٦٣٠ — ٧١١ هـ)

أما الفكرة فحسنة ، واما الصدقة فاحسن .. ولا سيما ممن يقول :

كل حي عنـــد ميتتـــه
حظـــه من مالـــه الكفـــن

ومع ذلك فإن من كان قادراً على الكسب ويسأل فهو بالحرمان أولى وأجدر ..

(١٦٢٣) (كما) .. وامية بن ابي الصلت

دأبت جريدة (عكاظ) — على احياء كلمة (كما) في حقبة سابقة وهي مما لا يزال دارجا في لهجات البادية حتى الآن ..

ووجدتها (بالنص) في شعر **أمية بن أبي الصلت** في عتابه على ولد له كان عاقا .. اذ يقول : فيها :

غذوتك مولودا ، وعلتك يافعا
تصل بما اجنـى علـيك وتنهل
اذا ليلة تأتيك بالشكو لم أبت
لشكـواك الا ساهــرا اتملمــل
كاني انا المطروق دونك بالذي
طرقت به دونى فصبني تهمل
تخاف الردي نفسى عليك وانها
لتعلـم ان الموت وقت مؤجـل
فلما بلغت السن والغاية التي
إليها مدى ما كنت منك اؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظـــة
كانك انت المنعــم المتـــفضل
وسميتنـــي باسم المقيـــد رأيــه
وفي رأيك التقييد لو كنت تعقل

فليتك اذا لم ترع حق أبوتي
فعلت (كما) الجار المجاور يفعل

قُلْتُ : وما بعد ذلك من شاهد على صحة استعمالها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا إلي زمننا هذا .. ولا سيما عند أهل الوبر .. أكثر مما هي لدى أهل المدر : وفي نشر هذه الأبيات الحكيمة ذكرى وتبصرة وعظة واعتبار لمن القى السمع وهو شهيد !!

(١٦٢٤) حقائب الحجاج

يقول **أبو حرزة جرير بن عطية اليربوعي** المتوفي سنة ١١٤ هـ من قصيدة يمدح بها الحجاج بن يوسف :

ولقد كسرت سنان كل منافق
ولقد منعت حقائب الحجاج !

قُلْتُ : وبهذا نستدل على ان حقائب الحجاج .. كانت عرضة للنهب والسلب في زمان الخليفة الأموى (عبد الملك بن مروان) .. واستمر ذلك موصول الحلقات حتى اظلت البلاد المقدسة .. (راية التوحيد) فما سمع الناس خلال هذا العهد السعودي الزاهر (بحادثة) واحدة تعرض فيها حاج في بدو أو حضر من أطراف هذه المملكة الكبرى الواسعة) لما يزعجه من تلك الرواسب العريقة في القدم .. عدا ما هو متمتع به من الرفاهية والتكريم .. انها لمن أجل النعم الالهية على عبادة المؤمنين والحمد لِلّه رب العالمين .

(١٦٢٥) ابن عمر .. والحوت

كان **ابن عمر** رضى الله عنهما ــ اذا اشتد حبه لشيء من ماله قربه لِلّه عز وجل ، روى أنه نزل (الجحفة) وهو شاك ، فقال : اني لأشتهي حيتانا ، فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتاً ، فأخذته امرأته فصنعته ثم قربته إليه ، فأتى مسكين ، فقال **ابن عمر** رضى الله عنه : خذه ، فقال له أهله . سبحان الله ! قد عنيتنا ، ومعنا زاد نعطيه ، فقال : « ان عبد الله يحبه » .

قُلْتُ : فهل من ايثار في المتأخرين كهذا الذي كان من **ابن عمر** رضي الله عنه ؟ وفي الرواية ، ما يمكن الاستشهاد به على ما للحوت من ميزة على سواه من الاطعمة المعتادة في منطقة الجحفة ورابغ ومستورة .. وما إليها من الجهات المتاخمة لسيف البحر الأحمر .. منذ عهود بعيدة .

وبهذه المناسبة اتذكر انني كنت مع بعض الرفاق في سيارة منذ ٤٥ سنة .. ومررنا برابغ فتشهي أحدهم الحوت وانتظرنا احضاره فحضر .. وكان الوقت ضحى .. فكان يتحرق لالتهامه .. غير أنه كان يخشى ان يضره .. بأن يكون فاسداً أو بائتاً .. أو او فتركه امامي وادركت قصده بان اتناول منه قبله .. وهو يراقب اثره فاذا سلمت اخذ منه والا كنت الضحية الأولى ، فاعرضت عنه واشتغلت بالتسبيح .. حتى ضاق صدره .. فصاح : لماذا لا تأكل ؟.. فقلت : انني لا اشتهيه وانت تخشى منه التسمم .. فخير لك ان لا تاخذ منه .. ولا يجوز في هذه الحال ان تتصدق به ، وقذفت به في الصحراء والسيارة تسابق الريح فصعق وبهت ولم

يعد لمثلها . فما يليق بالاخوان ان يجربوا (الموت) في غيرهم من الرفاق .. عافانا الله من الأثرة وحب النفس .. فهما من بواعث الاضطغان ، (والخير بالخير والبادى أكرم .. والشر بالشر .. والبادى أظلم) .

(١٦٢٦) نحو الحجاز اطير

أجل : ما كان من الأماني .. فى المعانى .. أصبح من الحقائق المشهودة .. فهذا نصيب الشاعر من قبل ألف ومئتى عام .. يقول :

فكدت ـــ ولم اخلق من الطير ـــ إن بدا
سنا بارق ـــ نحو الحجاز ـــ أطير

وما كان بوسعه ان يتخيل ان سيأتي عصر .. يطير فيه الانسان .. فعلاً إلي أية جهة في الأرض .. ويحلق فوق السحاب عبر السماء ويفطر في أقصى الشرق .. ويتعشى في اقصى الغرب . في يوم واحد .. ما كان بوسعه ان يتخيل وقوع ذلك .. وقد وقع فعلاً .

الا ان ثمة ـــ فرقا ـــ بين ان تكون له اجنحة ، يطير بها بجسمانه .. إلي حيث يشاء .. كالطير .. وبين ان يطير به الحديد ! وان حاول بعضهم كابن فرناس ان يشكل له جناحاً صناعياً .. ولعل مما لا ندركه الآن ان يخلق الله ما لا نعلم .. فيصعد المرء ويهبط .. كلما حمله الشوق وألحَّ به الهيام . إلي أي افق بعيد (١) ، فيلهم بصنع آلة جديدة

(١) (المنهل) : لقد بدىء فعلا فى اختراع هذه المركبة الاضافية ، ومن قبل فى احد اعداد هذه المجلة نشرنا صورة مركبه بشكل كرسى يجلس عليه الراكب الطائر ، أو المطار ـــ بضم الميم ـــ ويحرك جهازا تحت الكرسى فيرتفع به الجهاز (الكرسى) الطائر إلى حيث يريد .. وقد يحسن ـــ بضم الياء ، وتشديد السين ـــ هذا الاختراع فيتحول إلى جناحين أو ما أشبه يطير بهما الانسان =

تضاف إليه ذاتيا . تحلق به (عمودياً وافقياً) ، وحينئذ .. يختلط الحابل بالنابل . وتقع أعوص المشاكل .. والله بصير بالعباد ، وهو أرحم الراحمين .

(١٦٢٧) ابخشة هي .. ام بغشة

ما زال الناس ـــ فيما سمعناهم منذ الطفولة ـــ يطلقون على الحديثة في رحاب المنازل (بخشة) .. ولا أدري حتى الآن .. من أين جاءت فما عثرت في اللغة العربية على أصل لها !

وقرأت في الأغاني قصة جاء فيها : (وراحت عليهم سماء الصيف فعلتهم منها (بغشة) ثم أردفها غيث) الخ ..

وفسرها الشارح بأنها المطرة الخفيفة .. وكدت أجزم بأن هذا هو أصل الكلمة فحرفت .. والجامع بينها وبين الحديقة الرواء والنضارة .. كانما هي من الحياة والنضرة ، في ربيع دائم ورباغة لا تريم .

ومع ذلك فلعل (البخشة) كلمة دخيلة من لغة فارسية أو تركية .. ولأستاذنا الكبير **أبي نبيه** القول الفصل في هذا التخريج .. وعلى الأقل فانني حريص إلي تعريب ما نجد له حيلة أو وسيلة من الأصول .. ولو تقريبا .. على ان الاستعمال لها قد انكمش .. أو انطمس ، ولم أعد اسمعها منذ عهد بعيد .. وحل محلها الحديقة .. و (الجنينة) .. وهما أصح وأصدق (٢) .

= طيران الطيور باجنحتها في الأجواء . (والله في خلقه شؤون . والله خلقكم وما تعلمون) .

(٢) المنهل : أدركنا الأتراك يقولون الكلمة (بغجة) ـــ بضم الباء وسكون الغين المعجمة .. وتبعهم أبناء الحجاز في ذلك بحكم تقليد

١٦٢٨ المسألة قديمة اذن !

كثير من الشيوخ المعمرين ، بل والكهول .. يتضايقون من التساؤل عن أسنانهم ، ويظهرون أنهم لا يزالون في ريعان الشباب .. وقد أدركنا منهم عدداً ليس بالقليل .. فكأنهم يخافون الحسد .. أو ما زالت لهم أطماع في متع الحياة .. وأهمها الزواج مثلاً ..

ومما يؤثر عن القدامي أنهم كانوا يدعون إلي كتمان الذهب والعمر والعروة .. لأسباب لا تحصى .

ومصادفة قرأت هذه القصة في الأدب القديم .. وقد رواها **أبو الفرج الاصفهاني** ، قال : « حدثني **محمد بن عثمان بن عفان** ، قال : قلت **لأشعب** : لي إليك حاجة ، فحلف بطلاق **بنت وردان** — أي زوجته — لا سألته حاجة الا قضاها ؟ فقلت له : اخبرني عن سنك ؟ فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيُطَلِّقُ ! فقلت له : على رِسْلِكَ وحلفت له اني لا أذكر سنه مادام حياً ، فقال : أما اذ فعلت فقد هوَّنْتَ عليَّ ؟؟ أنا والله حيث حصر جدك **عثمان بن عفان** التقط السهام » اهـ .

قُلْتُ : فهذا مثال قديم في التكتم في السن ومن بواعثه الجدية الاحالة على التقاعد بعد الستين .. وقد لاحظت في القصة انقطاعاً .. أو وهما .. فهو يقول : (حيث حصر جدك) .. وهو أبوه كما في هذه الشذرة .. والله أعلم .

= المحكوم للحاكم في كل شيء وفي مفردات كلامه..فهي اذن كلمة أعجمية .. وأدركناهم يقولون (بخشة) — بفتح الباء — الحديقة فهي تركية وربما يكون أصلها فارسياً ومنه (باغ) في (بغداد) .. فالحاء اذن مقلوبة عن غين والله أعلم .

١٦٢٩ الامام ابن القيم بمكة

« حج **الامام ابن القيم** المولود سنة ٦٩١ هـ والمتوفي سنة ٧٥١ هـ — مرات كثيرة وجاء بمكة وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته » .

وقرأت له في كتابه الثمين : (مفتاح دار السعادة) وهو يتحدث عن النخلة .. وما فيها من الآيات والعجائب .. ما نصه : « وحضرت مرة في مجلس (بمكة) فيه من أكابر البلد .. فجرت هذه المسألة : (أي تفضيل العنب على النخل أو العكس) — واخذ بعض الجماعة الحاضرين يطنب في تفضيل النخل وفوائده .. وقال في اثناء كلامه « يكفى في تفضيله أنا نشترى بنواه العنب ، فكيف يفضل عليه ثمر يكون نواه ثمنا له ؟ وقال آخر من الجماعة : قد فصل النبي ﷺ النزاع في هذه المسألة وشفى فيها بنهيه عن تسمية شجر العنب كرما ، وقال : الكرم قلب المؤمن فاى دليل أبين من هذا ؟ وأخذوا يبالغون في تقرير ذلك ، فقلت للأول : ما ذكرته من كون نوى التمر ثمنا للعنب فليس بدليل فان هذا له أسباب ، أحدها حاجتكم إلي النوى للعلف ، فيرغب صاحب العنب فيه لعلف ناضحه وحمولته ، الثاني : ان نوى العنب لا فائدة فيه ولا يجمع ، الثالث : أن الأعناب عندكم قليلة جداً ، والتمر أكثر شيء عندكم فيكثر نواه فيشتري به الشيء اليسير من العنب ، وأما في بلاد فيها سلطان العنب فلا يشتري بالنوى منه شيء ولا قيمة لنوى التمر فيها ، قلت لمن احتج بالحديث : هذا الحديث من حجج فضل العنب لأنهم كانوا يسمونه شجرة الكرم لكثرة منافعه وخيره فانه يؤكل رطباً ويابساً وحلوا

وحامضا وتجنى منه أنواع الاشربة والحلوى والدبس وغير ذلك فسموه كرما لكثرة خيره ، فأخبرهم النبي ﷺ ان قلب المؤمن أحق منه بهذه التسمية لكثرة ما أودع الله فيه من الخير والبركة والرحمة واللين والعدل والاحسان والنصح وسائر أنواع البر والخير التي وضعها الله في قلب المؤمن فهو أحق بأن يسمى(كرما) من شجر العنب ولم يرد النبي ﷺ ابطال ما في شجر العنب من المنافع والفوائد .« الخ .. اهـ .

قُلْتُ : وقد كاد ينعدم بيع النوى .. لقلة الحاجة إليه .. وكان من جملة ما يباع في أسواق مكة ــ العلف ــ وحل محله « النفط » علفا للسيارات ! ومن الخير ان اذكر ان بعض المجربين يصفون (النوى) .. محروقاً مسحوقاً لمن يشكو داء السكرى .. وأنه دواء ناجع له .. ولا أدري ما يقول في ذلك الأطباء العصريون ؟ .. وكذلك الترمس ، والحلبة والبصل ! وقد آثرت نقل القصة لما تدل عليه من ان مجالس القوم في القرن السابع الهجري بمكة ــ كانت حافلة بأهل العلم ممن ينعتهم الامام **ابن القيم** ، بأنهم من اكابر البلد ، وكان النقاش فيها (علميا) .. مؤيداً بالبرهان وقائماً على الاستدلال .. وهو ما يتفق ويليق بمهابط وحي الله وأهلها في كل زمان ومكان .. ومن أحق واجدر بذلك منها ؟

وبالمناسبة فان الدارج المستعمل حتى اليوم في مجتمعنا اذا تلاحي اثنان .. ان يقول أحدهما للآخر : (هيًّا بَلَا أَكْلْ فَصِيّ) وهو النوى ومعناها المبطن (دعك من الحيوانية) فما يأكله الا الدواب أو البهائم ولا يفهمها الا الانسان الفطين .

١٦٣٠ ما هذه (البلكى) ؟

يغلب استعمال هذه الكلمة في الحديث اليومي الدارج .. ويقولها الرجال والنساء والأطفال على السواء ، وبدون استثناء .

وشغلت بالي أحيانا كثيرة .. وحاولت أن أجد لها أصلاً عربياً وأعياني .. فهي في شيوعها وعمومها وهمولها أنها تعني في الواقع (يمكن) .. فكيف تحولت إلي (بلكي) أو (بلكن) .. وليست حديثة فمنذ عهد الطفولة كانت دارجة في جميع الأوساط وسائر الطبقات .. حتى أولئك الذين ينسبون إلي العلم أو الأدب .. وأخيراً بدا لي أن أجعلها محل استفتاء في منهلنا الأغر .. وأطمع ان أظفر لها بتعليل أو تحليل من أستاذنا الكبير (**أبي نبيه**) .. أطال الله بقاءه .. فان لم أجدها لدى بحره الزاخر .. فاني لأحسبها انما تمكنت من الالسنة والأذهان .. من قبل (الدخيل) ! كأختها الأخرى (بدى) .. بمعنى (قصدى) .. وما أشد فرحي بالعثور على الحقيقة .. وتعريب ما هو أعجمي أو محرف .. مهما تيسر ذلك بدون تعسف أو تكلف .. و (بلكي) أظفر بما يطمئن إليه القلب وتزول الغربة والغرابة إن شاء الله[1] .

(١) المنهل : نشكر أستاذنا العلامة البحاثة ذا الشاعرية الثرة المجيدة على بحوثه الفذة الجامعة .. وتساؤلاته القيمة المفيدة التي يشرف كاتب هذه السطور بتوجيهها إليه مع علمه بقلة بضاعته وضعف صناعته وضالة صياغته ومع ذلك أقتحم الجواب عملا بقول المثل السائر : اطاعة الأمر خير من سلوك الأدب .. وقد يبدو لي أن صيغة (بلكى) أو (بلكن) هذه .. هي من التركيب العامي المزجي مثل (برضو) و (بدى) .. ومن دأب التركيب المزجي حتى في الفصيح أن يحذف بعض حروف الكلمات الممزوجة ببعض تسهيلا للنطق بها، مثل (عبشمي) و (عبدلي)..واذن فربما =

(١٦٣١) الأعشى . والرياض

قال **الأعشى** ــ وهو الشاعر الجاهلي الكبير المدفون بجوار مدينة (الرياض) (بمنفوحة) قال :

ما روضة من (رياض) الحزن معشبة
خضراء ، جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

وأحسبه أول من سمى (الرياض) ــ عاصمة المملكة العربية السعودية ــ وربما كان هذا الاسم عليها اقتباسا من أبياته هذه ، وربما كان المتأخرون من بعده انما استحسنوا هذه التسمية .. فاقتبسوها واختاروها ، اللهم الا ان يكون ذلك من قبيل المصادفة ، ومن أجدر منه في فحولته وجواره لها ــ بالاشادة بها أو الارهاص بمستقبلها الذي تقر به عيون الأدب والتاريخ والعمران . ولعل سعادة الأخ الاستاذ الشاعر (**عبد الله بن خميس**) يدلى برأيه في ذلك .

= يكون أصل كلمة (بلكي) أو (بلكن) (بل قد يكون) وحينا أقدمت اللهجة العامية الحجازية على مزجها عمدت إلي (قد) فحذفتها استغناء عنها (وحذف ما يعلم جائز) كما يقول صاحب الألفية .. ثم عمدت إلي ما تبقى من العبارة فحذفت الياء والواو من يكون .. فقالت (بلكن) ثم حذفت النون وأحلت محلها (الياء) الساكنة فصارت (بلكي) .. ومعناها الاجمالي هو معنى (أيضاً) .. وكلمة (بدى) بكسر الباء قد تكون في الأساس (بودي) فحذفت الواو للمزج . فصارت (بدي) .. أما « برضو » فلعل أصلها (بارضه) فعمل فيها ما عمل في زميلتها ..

(١٦٣٢) كيف يسود الغلام

قال (**الزجاجي**) المتوفي ٣٤٠ هـ في أماليه « أخبرنا **أبو موسى الحامض** عن **المبرد** عن **المازني** عن **الأصمعي** قال : قال **معاوية** للاحنف بن قيس : يا أبا بحر بماذا يسود الغلام فيكم ؟ قال : اذا رأيته نشأ يتقى ربه ، ويطيع والده ، ويستصلح ماله ، ويقيم مروءته ويبسط ضيفه ، ولا يغضب جاره ، فقال **معاوية** : وفينا وأبيك » اهـ .

قُلْتُ : وما زالت هذه الصفات في العرب ــ أينما كانوا ــ وحيثما نزلوا .. من دعائم التربية ــ ومكارم الأخلاق وأسباب السيادة والريادة وبها يبلغ الغلام والكهل الحسنى وزيادة .. ونحن بخير ماالتزمناها (وقد أفلح من زكاها .. وقد خاب من دساها) .

(١٦٣٣) ام الفضل وابنها : عبد الله بن عباس

قال **أبو علي القالي** في أماليه : « ...وأخبرني عمى عن **ابن هشام** قال : قالت أم الفضل بنت الحارث الهلالية وهي ترقص ابنها عبد الله بن العباس :

ثكلتُ نفسى ، وثكلتُ بكري
ان لم يسد فهراً وغير فهر
بالحسب العد وبذل الوفر
حتى يواري في ضريح القبر

قُلْتُ : وهكذا كانت الأمهات يرقصن أبناءهن في طفولتهم ويلقن الوليد منهم منذ نشأته ،

بما يجعله طموحاً إلي المجد وإلي معالي الأمور .. ومستهدفا من حياته أن يكون نابه الذكر عالي القدر ، عظيم الفضل والعطاء والحياء .

١٦٣٤ الناجم الشاعر و القمر الباهر

قال الشاعر **الناجم** :

طالـــبت من شرد نومـــي وذعـــر
(بقبلة) تحسن في القلب الأثر
فقال لي مستعجلاً وما انتظر
ليس لغير العين حظ في القمر

قُلْتُ : انه قال ذلك قبل الف سنة .. ولو أدرك زماننا علم ان البشر قد غزوا القمر .. وهبطوا فيه .. ولمسوا جوانبه ونواحيه .. وادانيه واقاصيه لتغير خياله .. وتبدل مقاله .. ولاستسهل ما صعب عليه .. غير ان هذا القمر .. الذي كان يخاطبه .. هو من قبيل ما قاله الشاعر :

رأت قمر السمـــاء فذكرتـــي
ليـــالي وصلهـــا بالرقمـــتين
كلانا ناظر قمرا ــ ولكن
رأيت بعـــينها ورأت بعينـــي

وقد زعم الذين وطئوا سطح القمر .. وداروا من حوله في الفضاء ان الأرض ترى هناك بصورة يتضاءل معها القمر .. ضياء ونوراً وجمالاً واختيالاً .. و (عش تر) .

١٦٣٥ هـ هـ . . . هـ هـ

جاء في كتاب (عبقرية الامام) للمرحوم فقيد العرب والعربية **محمود عباس العقاد** قوله عن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « اشتهر بالعطف على صغارهم كما اشتهر بمودة كبارهم » ــ أي أبنائه وبناته ــ قال : « فكان أحب شيء ان يداعبهم أو يرى من يداعبونهم .. وكانت له طفلة ذكية ولدتها زوجة له من (بني كلب) يخرج بها إلي المسجد ويسره ان يسأل أصحابه : من أخوالك ؟ فتجيب : وه .. وه .. محاكاة لعواء الكلاب » .

قُلْتُ : وتصرمت القرون الطويلة .. وما زلنا نسمع هذه اللازمة تنطق بها ربات البيوت .. مراراً وتكراراً .. في أحاديثهن الدارجة .. كلما عرض لهن ما يستدعى استغرابهن من شيء ما .. متعجبات مما يسمعن .. ومنهن أو كلهن يضعن أيمانهن على صدورهن امعانا في الانكار .. أو الاستغراب ..

وما في اللغة الا هذا النص : « وهوه ، وهوهة » .. في صوته ، ردده حزنا أو جزعاً » .. وبذلك تكون (الوه) المتداولة من هذا القبيل .. ولا صلة لها (بالوه) الأولى لأنها انما تمثل بالذكاء ــ الاجابة عما سئلت عنه ؟ وهي من الطرف النادرة .. والاحظ ان المعروف في زماننا هذا ، استعمال محاكاة صوت الكلب بالهاء قبل الواو .. أي (هو .. هو) .. وربما كان من فضائلها .. من لا يحاكي الا بالعكس .. وقد لا يعلم الكثيرون انه كان بمكة في العهد العثماني وظيفة .. كلبت .. (وهي شيخ الكلاب) ويتركز عمله غالبا في (المسعى) . حيث يقوم بتأمين غذائها ومائها ورفع أقذارها وأقذائها ..

(١٦٣٦) فلا عجب اذا ماقلت «ستي»

السيد من ساد قومه ، وارتفع بمناقبه ومزاياه بدون توقف على أصالة أو نسب .. قال **عامر بن الطفيل** :

فما سودتنى عامر عن كلالة
ابى الله ان اسمو بجد ولا أب
ولكننـــى أحمى حماهـــا واتقـــى
أذاها وأرمى من رماها بمنكب

ويقال للرجل « سيد » وللمرأة « سيدة » قال الشاعر :

اشارت الى بعنابـــــــــــــــــة
مخضبـــــة من دم الافئــــــده
وقالت : على العهد يا سيدى
فقـــــلت : إلى الحشر يا سيــــــده

وقال **البهاء زهير** :

بنفســـى مـــن اســـميها بستـــــى
فترمقنـــى النحـــــاة بعين مقت
يرون باننـــى قد قلت لحنـــاً
وكيف ؟ واننـــى لزهير وقتـــى
وقد ملكت جهاتى الست حقاً
فلا عجب اذا ما قلت : ستى

والاستعمال الدارج الآن فى (ستى) .. هو ان تقول الامة لسيدتها .. (ستى) وتقول الفتاة لجدتها ــ ستى ــ وتقول زوجة الابن لام زوجها (ستى) .. ويقتصر ذلك على التداول العائلى .. ولا يتعداه إلى (الكتابة) والشعر .. وقد تعمقت بها الجذور .. ولا سبيل إلى تصويبها .. ولو تعاقبت العصور .

(١٦٣٧) من هو « المبلط »

كثيرا ما نسمع هذه الكلمة أو الجملة : « ان فلانا اصبح على البلاط » أو « مبلطا » ــ أى عديما أو معسرا أو متربا .. وكنا نحسبها انه كالجالس على البلاط .

وقرأت أبياتا انشدها **خلف الاحمر** ، وعزاها لأعرابى وقد جاء فيها قوله :

تهزأ منى أخت آل طيسلــــة
قالت اراه مبلطا لاشىء له !

واتبعها بأبيات أخرى من نفس القافية والشاهد فيها قوله : (مبلطا) ــ بدون تشديد اللازم .. ولربما كان هذا التخفيف بسبب الوزن الشعرى .. ومن ذلك نستخلص ــ بالقرينة ــ ان « المبلَط » أو « المبلّط » بتخفيف الاولى وتشديد الثانية ــ كلتاهما ذات مفهوم واحد ، وهو انه (لا شىء له) .. وبهذا يكون الاستعمال الدارج صحيحا وله اصل راسخ فى الادب العربى القديم .. ولعل (البلاطة)[1] مشتقة منه .

(١٦٣٨) الصرارة والصرورة

جاء فى شعر **النابغة الذبيانى** المتوفى سنة ١٨ قبل الهجرة قوله :

ولو انها عرضت لأشمط راهب
يخشى الالـه (صرورة) متعبـــد

(١) (المنهل) : البلاطة هنا مصدر من (بلط) وليس بمعنى (البلاطة) المصنوعة من الفخار والمرمر مثلا .. ويقصد بها عامة الحجازيين : الامعان فى اتباع الشخص رأي نفسه باصرار وعناد وبدون حق أو شبهة حق .

لرنــا لرؤيتها وحسن حديثهـــا
وخالـــه رشدا وان لم يرشد

قلت استوقفنى فى البيت الاول قوله : « صرورة» فوجدت الشارح يقول : « الصرورة الذى لم يتزوج ولم يأت النساء .. وهو مأخوذ من الصر بمعنى الحبس والمنع » .

وتذكرت ايام الركوب ، وان اهل مكة كانوا يطلقون على الفتى الزائر لأول مرة « الصرارة » .. وكان لهم تقديم وتكريم واحتفال ممتاز عند عودتهم إلى المدينة المنورة .. وتتقدمهم (الطاسة والزير) وتزركش لركوبهم فى الموكب الخيول المطهمة ، ويتزينون بأفخر الملابس واجملها .

وقرأت فى اللغة : « الصرورة والصارورة ، والصاروراء : من لم يحج ، أو لم يتزوج تستعمل للواحد والجمع » اهـ .

وما اشد شوق ، على اننى لم اكن فى زياراتى على الكبر من الصرورات والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

(١٦٣٩) نعمان ــ التنعيم

يقوم بعد (التنعيم) بمكة جبلان يسمى احدهما (نعيم) بالتصغير ، والآخر إلى يساره (نعيم) بفتح النون ، وبينهما الوادى (نعمان) .. وهو غير (نعمان الاراك) فوق عرفات .

وقد روى ذلك عن بعض المؤرخين القدامى .. وقليل من الناس من يعرف ان هناك (نعمان) غير الثانى ، وما سمعنا بذلك خلال حياتنا الراهنة .

(١٦٤٠) الى « الحمر » في السراة

عثرت مصادفة على هذا النص فى (تاج العروس) لمؤلفه **الزبيدى** .. قال : « والحمر ــ كصرد : ــ التمر الهندى .. وهو بالسراة كثير .. قال ابو حنيفة : « وقد رأيته فيما بين المسجدين ويطبخ به الناس . وشجره عظيم مثل شجر الجوز ، وثمره قرون مثل ثمر القرظ » انتهى .

قلت : وقد كان ولا يزال بمكة المكرمة زقاق يقال له : (زقاق الحمرة) فى السوق الصغير ، وهى شجرة كانت تبسط ظلالها على مسافة واسعة .. واذا كان هذا (الحمر) بالسراة كثيرا منذ قرون فلماذا يستورد من الخارج ، بأموال وفيرة ، وتباع الاقة منه أو الكيلو بأكثر من أربعة ريالات ؟

ارجو ان يكون استثماره وتسويقه محل الرعاية والتعهد من قبل وزارتى الزراعة والتجارة .. فما أحراه بالاهتمام ــ فهو ضرورى ، للاستهلاك العام .

(١٦٤١) راشد ـ لا غاوي

كان لبنى **سليم** صنم يعبدونه فى الجاهلية ، وكان **غاوى بن ظالم السلمى** ، سادنه ... فبينما هو جالس إذ أقبل ثعلبان يشتدان ، فشغر كل واحد منهما وبال على الصنم ... فقال : **يا بنى سليم** ، والله ما يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع ، ثم أنشد :

ارب يــول الثعلبـــان براسه ؟
لقد هان من بالت عليه الثعالب !

ثم كسر الصنم وفر ، فأتى النبى ﷺ ،

فأسلم ، فقال له : كيف اسمك ؟ فقال : غاوى بن ظالم . فقال النبى (ﷺ) : « بل انت راشد بن عبد ربه » اهـ .

قلت : والمغزى فى ايرادنا لهذه القصة هو تبديل الاسم الذميم ، بما هو عكسه ، وبما هو اجمل وانفس .

ومنذ ايام قرأت إعلاناً فى بعض الصحف جاء فيه اسم رجل هو (**قبيح**) ولو عرفت مكانه لنصحت له بأن يبدله باسم (**جميل**) وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١٦٤٢) لله درك اباعبادة !

قال **البحترى** منذ أحد عشر قرنا أو يزيد . فقد توفى سنة ٢٨٤هـ .

اسيت لاخوالى ربيعة اذ عفت
مصايفها منها واقوت ربوعها
بكرهى ان باتت خلاءا ديارها
ووحشا مغانيها وشتى جميعها
وامست تساق الموت بعد ما غدت
شروبا تساق الراح منها شروعها
اذا افترقوا عن وقعة جمعتهمو
لاخرى دماء ما يطل نجيعها
تذم الفتاة الرود شيمة بعلها
اذا بات دون الثار وهو ضجيعها
حمية شعب جاهلى ، وعزة
كليبية اعيى الرجال خضوعها
تقتل من وتر اعز نفوسها
عليها ، بأيد ماتكاد تطيعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر ارماح تقطع بينهم
شواجر ارحام ملوم قطوعها

قلت : ما اجزل وما اجمل هذا الشعر .. وما اجدر ان يحفظه ويتعظ به ويتدبره كل ناطق بالضاد ، وان ينشد فى كل محفل وفى كل ناد ، ومـا احسب ان له شبيهاً فى معنـاه .. وبهذا الاسلوب الباهر قديما وحديثا ، فرحم الله **ابا عبادة** ، وكل من احسن واجاد فى مثل هذا الديباج الخسروانى .. واصلح الله امور العرب والمسلمين ، فما اشد وامض ما انتهوا اليه من التغابن والتضامن وقد ترك فيهم رسول الله ﷺ ما ان تمسكوا به لن يضلوا : كتاب الله وسنة رسوله الكريم .

(١٦٤٣) المدعى والمدعون

هناك فى منطقة بيوت آل البصرى ، ودار الشريف المنديلى ، بالشبيكة بمكة ، أى فى مدخل سوق الخضروات من الجهة الغربية الجنوبية — (بئر) عادية قديمة — لا ادرى ان كانت قد ردمت أو ختمت ، يطلق عليها اهل مكة اسم : (بئر المدعون) بسكون الدال المهملة .. ولم اقف على هذا المدعون ان كان رجلا قام بحفرها وبنائها ؟ أم انه تحريف لكلمة صوابها : (المدعون) بتشديد الدال ..

وغلب على ظنى اخيرا ، والعلم لله — ان الصحيح هو (المدعون — بضم الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة — لسببين :

أولهما : ما يقابل هذه البئر فى اعلى مكة ، وهو (المدعى) اى موقف الحاج عند مغادرته لمكة

بعد قضاء المناسك ، للدعاء مواجهاً بذلك (القبلة المشرفة) .. وهذا من اسفل مكة يقف به المدعون ، وهم يدعون — من الدعاء — حين مفارقتهم للبلد .. اللهم الا ان يثبت تاريخيا وبنص صحيح ان من حفر هذه البئر ، وبناها كان يلقب بالمدعون . ولا ارجح ذلك حتى يقدم به الدليل .

(١٦٤٤) ما هي القَدَّيْش !

يقول احدنا لصاحبه أو خادمه : (قديش) اقول لك ان لاتفعل كذا وتفعله بلا مبالاة) وتأملت هذه الكلمة فاذا هى اصيلة ، الا انها مقتضبة ، فهى (قدر ايش) اى قدر اى شيء انبهك أو اكرر عليك فما تفهم ..

وما احسبها الا من رواسب العجمة والاختلاط بالاغراب ، رغم انها تعود إلى اصل سليم .. وما احرانا بتحرى الصواب وتصحيح كل ما خرج عن القواعد الصحيحة .. فنستبدل بكل مدخول ما هو اوضح وارجح واصح .. ولا شك فى ان هذه امنية لاتتحقق الا بكثير من التصدى والتحدى والتنقية .. ولو فى نشرات دورية لغوية أو بتخصيص صفحة شهرية على الاقل لتعقب امثال ذلك كلما تعثرنا بها فى التداول العام كقولهم : (لافيش ولا عليش) .

وآمل ان يساعد على ذلك علامتنا « **ابو نبيه** » فما غيره لها ، مع صفحة اخرى لتعريب الاسماء المحدثة الفنية والتعريف بها . والاصلاحات الجديدة . وكل ما لا يدركه القارىء الا على بينة من اصلها وفصلها وترجمتها فقد عود قراء المنهل بذلك وبما تنوء به كواهل المعاجم والمجامع ، احسن الله جزاءه عن اللغة العربية الفصحى وعن العلم والادب ، واطال بقاءه فى صحة وعافية ذخرا لاخوانه وابنائه الذين لا يجحدون فضله العظيم ، ما انطلقت الافهام ، ورغفت الاقلام[1] .

(١٦٤٥) منطق صحيح

قال بعضهم : دخلت على **ابن منارة** وبين يديه كتاب قد صنفه ، فقلت : ما هذا ؟ قال : كتاب عملته مدخلا إلى التورية ..

فقلت : ان الناس ينكرون هذا ! فلو قطعت الوقت بغيره ! قال : الناس جهال ! قلت : وانت ضدهم ؟! قال : نعم ، قلت : فينبغى ان يكون ضدهم جاهلا عندهم ؟ قال كذاك هو ، قلت : فقد بقيت انت جاهلا باجماع الناس .. والناس جهال بقولك وحدك !!

قلت : انها لحكمة شاردة ، وعظة بالغة . وذكرى لمن القى السمع وهو شهيد .

(١٦٤٦) ياخيل الله اركبي

لقد سمعت هذه الجملة مرارا وتكرارا من اناس ينطقون بها .. ويعبرون بذلك عن الاعداد .. والاستعداد .. وربما كان أكثرهم لا يدري ما أصلها !

وحقيقة ذلك ان (**قحطبة**) أحد قواد العصر العباسى الأول .. لما فصل من خراسان وفي حملته

(١) (المنهل) : لا نذيع سراً اذا قلنا ان هذه الشذرة الذهبية قديمة بين شذرات الذهب ، ظلت مطوية مكنونة في سجل المنهل ثم أراد الله لها نشر أضوائها في هذا العدد وأن رئيس تحرير هذه المجلة ليقدر جهود البحاثة الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي وقد حقق المنهل منذ أمد ما تمناه عليه مشكوراً .

خالد بن برمك .. بينا هو على سطح بيت وفي قرية نزلاها .. وهم يتغدون نظر إلي الصحراء فرأى اقاطيع من الظباء قد اقبلت من جهة الصحاري حتى كادت تخالط العسكر .. فقال خالد لقحطبة : أيها الأمير . ناد في الناس ، يا خيل الله اركبي ، فان العدو قد قرب منك ، وعامة أصحابك لن يسرجوا أو يلجموا حتى يروا سرعان الخيل ، فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئاً يروعه ولم يعاين غباراً ، فقال لخالد : ما هذا الرأى ؟ فقال : أيها الأمير لا تتشاغل بي ، وناد في الناس ، أو ما ترى اقاطيع الوحوش قد اقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس ، وان وراءها لجمعاً كثيفاً ! قال : فو الله ما اسرجوا ولا الجموا حتى رأوا النقع وساطع الغبار فسلموا ولولا ذلك لكان الجيش قد اصطلم » اهـ .

قُلْتُ : فهذا مصدرها وهذا قائلها .. ويغلب على الظن أنها سابقة عن زمنه .. وإنما اقتبسها من غيره .. وفي القصة تحريض على اليقظة والتأهب .. واتقاء المباغتة .. والاخذ بالحزم .. وكان ذلك في زمن ليس فيه من الاسلحة الحديثة ما تقع به المفاجآت ! ومع هذا .. أكملوها جهاز (الرادار) .. ليكتشفوا على مسافات بعيدة حركات العدو .. وليتقوا هجومه أو وثوبه على غرة !

١٦٤٧ حاذي الحجر

قرأت في (انيس الجليس) **للعباس بن نور الدين** المكي الموسوعي قوله : « وفي سنة ثلاث وثلاثين والف هـ أي قبل ٣٧٢ سنة .. قبيل الظهر ــ يوم الأحد سابع جمادى الآخرة سالت أودية (مكة) وامتلأ المسجد الحرام ، وعلا الماء حتى حاذى الحجر الأسود ، وعمل الشيخ **محمود الحناوي** لذلك تاريخاً فقال :

قد جاءنا سيل من الله في ... جمادى الآخر ياذا النظر
في مسجد الله الحرام الذي ... سعت إلي علياه كل البشر
سيل عظيم ما رؤى مثله ... تاريخه : (الماء حاذى الحجر)

قُلْتُ : وهذا كان السلف الطيب .. يثبت الحوادث البارزة ، بالكلمات القليلة الموجزة .. على حساب الحروف الابجدية .. وادركنا بعضهم متيما بهذه الطريقة.. التي طواها النسيان !! ولم يعد يعبأ بها انسان .. وكنت اعانيها .. في شيء من العنت ، وما هي بالأمر اليسير الا على من طرح وجمع ، ولاءم بين اللفظ والمعنى .. ووفق إلي استخراج الرقم المطلوب .. في غير تعقيد ولا تعريب .. ولا تكلف ولا تخليب .

١٦٤٨ إرْفَعْ رأسك

« نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلي شاب قد نكس رأسه خشوعاً ! فقال : يا هذا إرفع رأسك ، فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب . فمن أظهر للخلق خشوعاً فوق ما في قلبه فانما اظهر نفاقاً » .

قُلْتُ : والمهم ان لا تنعكس الآية ، فيرفع الرأس تكبرا أو يخفضه .. تظاهراً ، وانما يكون ارتفاعه بالاخلاص والجد والعمل والتقوي والمروءة والعفاف .. والله الهادي إلي سواء السبيل .

١٦٤٩ جَنَّصْ

تستعمل في لهجتنا الدارجة بمعنى .. تغافل .. أو اعرض .. وهي في الفصيح غير ذلك ، فان « جنص » بتشديد النون . تعني (هرب من الخوف — وجنص بصره حدده ، والطريق بالناس ضاق بهم — فمن أين جاء إليها هذا المفهوم المتداول ؟

لا ريب ان أصل الاستعمال كان صحيحاً .. اذ يقول الانسان لصاحبه (جنص) عن كذا .. أى اهرب منه ! .. فان كان لها أصل أو فصل غير هذا .. فمن حفظ حجة على من لم يحفظ .

١٦٥٠ جَفِسٌ — لاجَفِصٌ

يقولون : فلان (جفص) ! ويعنون بذلك أنه (سيىء الاخلاق) وما هي كذلك في أصلها فهي محرفة عن كلمة « جفس » من الجفس .. والجفيس هو الضعيف اللئيم !

وما أهون ان ينال التحريف منها ربعها .. حيث استعملت الصاد بدل السين فقط وبذلك تكون — قريبة إلي المفهوم الشائع .. فما للئيم من خلق كريم !

١٦٥١ من أهل الجنة

قال **ابن عساكر** عن **سلمة بن عاصم** : ما لقيني **الاصمعي** قط الا قال : « أرجو ان تكون من أهل الجنة ! » قال : فقال لي جليس له : انما اراد انك (ابله) لأن أكثر أهل الجنة البله ، قال لا يبعد — فقد كان ماجنا » .

قُلْتُ : وكذلك يتداول الناس هذه الجملة نفسها منذ مئات السنين .. بهذه النية .. ولا يجهلها حتى العوام .. حاشا من هو (ابله) وما هي الا دعابة .. ساخرة .. أما الجنة وأهلها .. فذلك مما لا يعلمه الا الواحد الأحد الفرد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد جل جلاله ، واحسب أنه لو وثق الانسان أنه من أهل الجنة .. اذا كان بهذه الصفة .. لتباله عمداً .. ليدخلها .. وما أعدت الا للمتقين .

١٦٥٢ البجاحة

ان « التبجح » .. لغة .. هو الافتخار ، والتعظيم ، والتباهي ، وقد تطور به الزمن بهذا اللفظ فانتهى الى أن يقصد به ما هو رديف .. (الوقاحة) .. والتوقح .. وما كان قبل ذلك — في الأصل — الا مقتصرا على مدلولاته السابقة ، ثم تصاهر مع أخيه أو ابن عمه .. الآخر .. فامتزجا .. وازدوجا .. وانصهرا في قالب (قلة الحياء) .. فتطلقه الأم على ولدها .. المجادل والوالد على ابنه المناحل ويطلق على الذكر الانثى والكبير والصغير .. وكان خيراً له ان لا يلزم مع الوقاحة في قرينها لولا أنه .. لم يبعد عنها كثيراً .. بتعاظمه وتباهيه .. « وكل جان يده إلي فيه » .

١٦٥٣ اسكت ياحمار

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى
في كل معنى لطيف أجتلي قدحا .

قرأت هذه الطرفة في كتاب (في عالم المكفوفين) للعالم الجليل الشيخ **أحمد الشرباصي** قال :

أنشد **ابن الجوزي** في بعض مجالس مواعظه :

على رياض ، يكاد الوهم يؤلمنى ..
وكل ناطقة في الكون تطربنى!

فقال له شخص يتصيد العبث : يا مولانا ، أنت تقول : وكل ناطقة في الكون تطربنى ، فماذا تقول اذا كان الناطق حمارا ؟ فقال ابن الجوزي : أقول له : اسكت يا حمار .. وسكت الحمار ..

قُلْتُ : وقد مرت بى قبل يومين قصة طريفة من هذا القبيل .. فقد شكى إلى ، خادم صغير لا يتجاوز سنه الثانية عشرة .. أنه أصبح لا يسمع من احدى اذنيه .. فقلت له : شوف انا امتحنك ، فما أقوله لك قل لي (مثله) وهمست قريبا منه : (انت حمار) .. فما كان منه الا ان ردها على بنفس اللفظ .. ومع استيائي من ذلك ضحكت اذ كنت انا الآمر له بذلك وتبين ان سمعه سليم وما اساء الأدب .. وانما هى السذاجة المزدوجة .

(١٦٥٤) « طرفة » التجمع في القصر

اتفق في أحد الأيام .. ان تواعدنا بمجلس الشورى على النزول إلي جدة في مناسبة رسمية للسلام على المغفور له الملك فيصل .. فسأل زميلنا الشيخ الطيب الساسي رحمه الله : أين يكون الجمع ؟ اى الاجتماع فبادرته بقولى « في القصر » فقهقه طويلاً رحمه الله وقال : انها لطرفة لم تسبق إليها .. وكان ذواقة للأدب .. ضليعا في البيان ، تغشاه الله برحمته .

(١٦٥٥) ماهو « الجبا »

« عادة جرى عليها اصطلاح أهل بلادنا .. وهي انه اذا مر زيد بعمرو ـــ أو بجماعة .. كانوا معا في (قهوة) أو مقصف) صاح به : (جبا) .. (جبا) .. ويعنون بذلك أن يشاركهم ماهم فيه من (شرب القهوة أو الشاي على حسابهم .. وكذلك اذا كانوا في (مطعم) .. فانهم يدعونه إلي الطعام معهم أو حتى وحده .. (مجانا) وهم يدفعون عنه ثمن ما يلتهم .

و (الجبا) لغة : هو ما حول البشر والحوض ، أو الحوض الذي يجبى فيه الماء ..

قُلْتُ : وتأويل ذلك اذن .. في الاستعمال العام هو الدعوة إلي ما يباح الاخذ منه بلا مقابل .. وقد تضاءلت هذه العادة تدريجياً في أيامنا هذه .. وكانت أغلب ما تسمع وتصطنع من قبل (الطبقات) العاملة الكادحة ، وقد سبق ان تحدثت عن ذلك في احدى « المطالعات » المنشورة في الصحف سابقاً .

وهي مع كونها من باب المجاملات الا أنها ذات مشاكل في بعض الاحايين عندما يكون الجيب خاوياً .. وتركها خير للصادر والوارد والعادم والواجد .

(١٦٥٦) من شيم النفوس

قال **ابن دريد** في مقصورته :

من ظلم الناس تحاموا ظلمه
وعز عنهم جانباه واحتمى

وهـــم لمن لان لهم جانبـــه
أظلم من حيات أنباث المسفا

وقال الشارح : (الانباث) التراب المستخرج من البئر ، و (السفا) تراب القبر .. وهو ما تسفيه الريح أى تحمله .

قلت : انها لواقع بني آدم أفراداً وجماعات ، وأمما وشعوبا الا من رحم ربك ، وقبل ذلك قال الشاعر الجاهلي **زهير بن أبي سلمى** :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقال المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفـــة فلعلـــه لا يظلـــم

ولا مخرج من ذلك الا باتباع الهدى النبوي الشريف .. الداعي إلي أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك والله معك ، وهو ولى المتقين .

(١٦٥٧) معنى « الاشلاء »

يقول أحدنا : ان فلانا ما زال يذيع عنى ما أكره ، وقد (شلانى) والخادم أى اتعبني وازعجني ، وتقولها المرأة عن الأخرى لأنها تسعى وراءها بما شلاها أو أشلاها فتقول : ان (فلانة .. قد شلتني) فما هو هذا (الاشلاء) ؟ أو التشلية ؟

لقد عثرت عليها في كتاب **أبي العلاء المعرى** المسمى (عبث الوليد) أى **أبي عبادة البحتري** ، والذي نشره الأديب المفضال الصديق الكريم السيد أسعد الطرابزوني قبل ٣٤ سنة .. بعد ان ظفر به في (المكتبة المحمودية) بالمدينة المنورة .. فقرأت ما يلي :

(وقد حكى ان **الكميت** استعمل (الاشلاء) في الايساد ، أى الاغراء ، وأنشد له قوله :

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل
على الرغم من تلك النوابح والمشلى

وأكد ان الاشلاء دعاء للمشلي .. الى اذاة المشلي عليه ..» اهـ .

قُلْتُ : فهذه كلمة فصيحة استعملها البحترى وقبله الكميت وعلق عليها المعرى قبل نحو من الف سنة .. ولا تزال (العامة) والاسر تتداولها بمعناها ومدلولها الصحيح .. وهو الاغراء ومنه .. التشهير — والتعزير والتعذيب !!

(١٦٥٨) « الجخ » لغة واصطلاحا

كلما هرف أحد بمالا يعرف .. أو رأينا من يختلق كلامه أو يتزيد فيه .. ويصوره واقعا .. وهو محض تزوير ، قلنا له : بس ! بلا جخ .. أو لا تجخ .. فماهو (الجخ) .. لغـــة واصطلاحاً ؟ ..

أما في اللغة ، فهو : « جخ — جخاً » أي اضطجع أو استرخى ، وتحول من مكان إلي مكان . وبرجله ، نسف التراب » اهـ .

وفي الاصطلاح .. ما اسلفنا ذكره ، ويتداوله الجمهور .. في كلامهم .. بذلك المدلول ، وبالطبع فانه غير ما يسمونه (مسح الجوخ) فليس هذا من ذاك .. ولكل مفهومه الخاص .

(١٦٥٩) مالك الفضاء

قال الشاعر قبل الف سنة ، يرثي فقيداً كبيراً :

ما كنت أحسب ان بحراً زاخراً
عم البريـــة كلهـــا ارواءا
اضحى دفينا في ذراع واحد
من بعد ما ملك الفضاء ، فضاءا

قُلتُ : وهنا يصح لنا ان نستعير جملة ترد على السنة العامة : « هذا كلام فاضي » فمن يملك الفضاء .. ولن يملكه الا من له الخلق والأمر ..

وأظن الشاعر هنا لم يحمله على تمليك صاحبه الفضاء ، الا حرصه على وصفه بعد ذلك بالضياء .. في صيغة محببة إلي المولعين بالجناس المعجب ..

(وللناس فيما يعشقون مذاهب)

(١٦٦٠) بين الأخشبين

قال **شبيب بن الرحباء** :

ترى ابل الجار الغريب كأنما
بمكـــة بين الأخشبين مرادهـــا

قال الشاعر قبل الف سنة ، يرثى فقيداً كبيراً :

عم البريـــة كلهـــا ارواءا
من بعد ما ملك الفضاء ، فضاءا
يكون عليها نقصها ، وضمانها
وللجار ان كانت تزيد ازديادها

قُلتُ : وكذلك كان ما بين الأخشبين بمكة ــ أي خندمة وقعيقعان ــ « مراد » ــ بفتح الميم ــ للابل ترعاه .. أما اليوم فأنها « عمران » يمتد من « الزاهر » و « الزهراء » إلي ما فوق « المحصب » و « الابطــح » و « البطحاء » .. وكلها اليوم حدائق وميادين ، وآس وريحان وياسمين ونرجس ونيلوفر ونسرين .. كفانا الله وإياها عيون الحاسدين .

(١٦٦١) الحجال .. وربائها

قال **الآمدي** في (موازنته) : وقال **علي بن علقمة الجرمي** :

ترى حجلها ملآن ليس بزائد
يجول ولم تملأ وشاحاً ولا عقداً

قلت : وما أدري أي شعور أو احساس حملني على الاطراق هنيهة عندما قرأت هذا البيت .. وتمثلت الحجل والخلخال .. وما كان لهما من العناية والاحتفال ، وجزمت بأنه لم يعد لهما من أثر في عصرنا هذا ــ اللهم الا أن يكون ذلك بين أحشاء الصحارى وبطون الاودية ، وشعاف الجبال ؟ وآلمني كثيراً أن يزول هذا الحلى من الحقيقة ، ويعز حتى على الخيال .

(١٦٦٢) القول لا القائل ياهو !

أنشد **اسحاق بن ابراهيم الموصلي** ، (الاصمعي) قوله :

هل إلي نظرة إلـيك سبيـل
فيروى الصدى ويشفى الغليـل ؟

ان ما قل منك يكثر عنـدي
وكـــثير ممن تحب القليـــل

فقال **الاصمعي** : لمن تنشدني ؟ فقال : لبعض الأعراب . فقال : « هذا والله هو الديباج الخسرواني » .. قال لليلتهما ! فقال : « لا جرم ، والله ان اثر الصنعة والتكلف عليهما .. » انتهى .

قُلْتُ : كان هذا ، ولا يزال ، ديدن الناس .. وما أكثر ما يبدع الناشئون ويحسن المتأدبون .. ومع ذلك يغمطون ويبكتون (وكم ترك الاول للآخر)

(١٦٦٣) جلد العنبر

قرأت في « تاج العروس » **للزبيدي** قوله ، عن « العنبر » وفي الحديث : ان النبي ﷺ بعث سرية إلي ناحية « السيف » — بكسر السين — أى ساحل البحر الأحمر — فجاعوا ، فالقى الله لهم دابه يقال لها العنبر ، فأكل منها جماعة السرية شهراً حتى سمنوا » .. قال الأزهري : هي سمكة بحرية يبلغ طولها خمسين ذراعاً ، يقال لها بالفارسية (باله) قال الصاغاني : « ورأيت أهل جدة يحتذون أحذية من جلد العنبر ، فيكون أقوى وأبقى ما يتخذ منه وأصلب ، وقد اتخذت أنا حذاء من جلده » اهـ

قُلْتُ : ومنذ خلقنا حتى الآن لم نسمع بهذا الاسم العنبر وسمك العنبر ولم نسمع بتوافره ووجوده ببحرنا الأحمر وبهذا الطول ، وأحسبه انقرض أو هاجر ، أو قل وندر ، ولو وجد وكان فيه غناء في صناعة الاحذية لنافس جلود النمور ..

(١٦٦٤) لماذا هي « الغترة »

يطلق الناس على ما يسدل فوق « الكوفية » على الرأس اسم « الغترة » ويضعون فوقها « الشطافة » أو « العقال » فلماذا كانت هذه التسمية ؟

قال صاحب « تاج العروس » : الغترة بالضم كالغبشة تخلطها حمرة » .

قُلْتُ : ومن ذلك علمت ان اصل التسمية جاء من الحمرة المندرجة أو الغالبة في هذا اللباس وان أخذ يعم كل ما يغطى الرأس من كل نوع ولون تغليبا .. اذ كان الاكثر منها منسوجاً بالخيط الأحمر أو مصبوغاً باللون الأحمر ..

(١٦٦٥) القنطرة .. والمليئة

يقول الناس عن صاحب الأموال الكثيرة قديماً : أنه « مقنطر » .. أى جمع مالا وفيراً يوزن بالقنطار .. ويقابل ذلك في زماننا — قولهم . أنه (مملين) أى بلغ ماله في العدد المليون .. وبلغة أخرى (مليونير) ..

قُلْتُ : ان كان ما يحسب بالقنطار في العهود القديمة ، انما يصدق على ما كان من جنس المعدن ذهباً أو فضة أو نيكلا .. أما في عصرنا هذا فان العدد بالمليون أصدق تعبيراً .. لأن النقود عادت من القراطيس أو الأوراق المالية .. فلا محل للأوزان .

(١٦٦٦) هل يعيبه مسلم ؟

دخل **فرقد** السجن على **الحسن** ، وهو يأكل الفالوذج ، فقال : **يا فرقد** ! ما تقول في هذا ؟ فقال : (لا آكله ، ولا أحب من أكله . فقال الحسن : لعاب النحل ، بلباب البر ، مع سمن البقر .. هل يعيبه مسلم ؟

قُلْتُ : وبهذا الوصف يكون هذا (الفالوذج) هو بعينه ما نسميه المعصوب) .. وقد زاد عليه المتأخرون (الموز) أو (القشطة) .. ولكن الذه وأطعمه ، ما اقتصر فيه على الثلاثة الموصوفة في كلام الحسن .. والظاهرة الجديدة في زماننا هذا ، هي : الانصراف عنه في الافطار ، وكان مما لا بد منه مع الاسفار ــ بكسر الهمزة ــ مع ندرة السمن البقرى السليم من الغش وغلائه في الأسعار وأحسب ان ذلك هو السبب الأول في الاعراض عنه ، فان القدح منه لا بد له من عشرة دراهم أو دينار ، وما يستطيع ذلك الا ذوو الثراء والاقتدار ، وكان قبل خمسين عاماً لا يتجاوز ثمنه ربع ريال ، وما للمحروم منه الا أن يتمثل بقول الشاعر القديم :

(من فاته اللحم فليشرب من المرق)

(١٦٦٧) أم عمرو بن العاص « النابغة »

ذكروا أنه جعل لرجل الف درهم على ان يسأل **عمرو بن العاص** عن (أمه) وهو على المنبر !! فسأله .. فقال : أمي سلمى بنت حرملة تلقب (النابغة) من بني (عنزة) ! ثم أحد بني جلان ، أصابتها رماح العرب فبيعت (بعكاظ) ، فاشتراها **الفاكه بن المغيرة** .. ثم اشتراها (عبد الله بن جدعان) .. ثم صارت إلي العاص بن وائل ، فولدت له .. **فأنجبت !!** فان كان جعل لك شيء فخذه .

قُلْتُ : كان ذلك منه وهو الأمير النافذ الأمر المطاع في سلطانه .. فلم يغضب ولم يزجر السائل .. رغم فضوله !! واتسع صدره إلي الاجابة .. على ما فيها من اعنات غيظا لحساده وكبتا لمن ارادوا ان يحطوا من منزلته .. أو يعيروه بأن أمه كانت من السبي ! والعجب أن يذكر (بسده) من يمثل هذا الموقف .. (كمعن بن زائدة) في تعرض الشاعر الموعود بالجعل .. أيضاً .. ولا يكاد يعرف هذه المكرمة عن عمرو ــ أحد دهاة العرب المعدودين ــ الا القليل النادر .. وانها لمأثرة يجب ان يحيط بها كل عربي وكل مؤمن حريص على مكارم الاخلاق .

(١٦٦٨) كيف أنت ؟

قال **أبو محمد سليمان بن مهران الاعمش** المولود سنة ٦١ هـ والمتوفي سنة (١٤٨) هـ .. (أدركت أقواما كان الرجل منهم لا يلقى اخاه شهراً وشهرين ، فاذا لقيه لم يزده على : « كيف أنت ــ وكيف الحال ؟ » ولو سأله شطر ماله لأعطاه . ثم أدركت أقواما لو كان احدهم لا يلقى أخاه (يوماً) سأله عن الدجاجة في البيت « ولو سأله حبة من ماله لمنعه » اهـ . « **أبو حيان ــ** الصداقة والصديق » ..

قُلْتُ : لمعرفة متى كان هذا التاريخ ليراجع القارىء الكريم تاريخ ولادة القائل ووفاته وبهذا

نفهم ان طباع البشر ، لا تتبدل بغير التدين والتثقيف وانها لا تتفاضل بغير التقوى والايثار .. على أن يكون في حساب الجميع ان الدنيا أخذ وعطاء .. وأن يغلب خلق المشاطرات .. بصورة لا اثر للاثرة فيها ، وذلك لا يتم الا بالمودة الصحيحة وابتغاء ما عند الله ؟ وصدق رسول الله ﷺ « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » . ولقد سرني اني وجدت في هذه الرواية نصاً على أن « كيف انت وكيف الحال » قد انحدرت بها العصور الطويلة السنين ولا تزال محل التداول كما هي ، وان كانت معانيها قديماً ، غيرها حديثا .. فقد لاتزيد الآن غالباً عن هذا الذي يسمونه « الروتين » أما اذا كان الجواب بالشكوى والأنين فـ « في احدى الأذنين طين .. وفي الأخرى عجين » والله يحب المحسنين .

(١٦٦٩) ماهما الأشدان ؟

قال ابن عُيَيْنه ، قال **عمر بن عبد العزيز** لأبي **بردة** : كم أتى عليك ؟ قال : « أشدان » يعني أربعين .. وأربعين .

قُلْتُ : أي ثمانين سنة ، وذلك مأخوذ من الآية الكريمة ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ كما بينه الشارح .

واعتقد أنها لم تستعمل كثيراً .. في مداولات الناس .. على فصاحتها وايجازها وانما قال الشاعر :

ان الثمانين وبلـــــــــــــغتها
قد احوجت سمعي إلي ترجمان

فهل ثمة اليوم من يقتدي (بأبي بردة) رحمه الله .. أم لا بد له من مفسر .. اذا قالها ؟؟!

(١٦٧٠) « النقع في اللقلقة »

كان الفهم يتجه دائما اذا قيل « النقع » أنه الغبار أو القتام .. وهو مايثور اثناء طراد الخيل أو التحام القتال .. وهو العجاج أيضاً .. وفي (اللقلقة ، نقل الحديث .. والغيبة .. والنميمة .. وما إليها .. هذا ما يتبادر إلى الاذهان في عصرنا هذا لأول وهلة) .

أما الصحيح ، فان هناك مشاركة في المعنى بهذين اللفظين .. فقد روى **يحيى بن سعيد القطان** عن **سفيان** عن **حبيب بن أبي ثابت** عن **أبي وائل** ، قال : بلغ **عمر بن الخطاب** ان نسوة من نساء **بني المغيرة** اجتمعن في دار يبكين على **خالد بن الوليد** ، فقال **عمر** : وما عليهن أن يبكين **أبا سليمان** مالم يكن (نقع) أو (لقلقة) . اهـ

قال الشارح : النقع رفع الصوت ، وقيل اراد شق الجيوب ، واللقلقة الجلبة .. كأنه حكاية الأصوات اذا كثرت ، واللقلق اللسان .. اهـ

قُلْتُ : والجلبة هي ما يطلق عليه الآن (الغلبة) خطأ .. وفي هذا الأثر ما فيه من نبل **عمر** رضي الله عنه .. وتقديره للرجال والأبطال .. فما رأى ما يستدعي الانكار على من (يبكين **أبا سليمان**) .. وكذلك هي مكارم الأخلاق . رضوان الله عليهم أجمعين .

(١٦٧١) في الولائم والدعوات : الصالح مأجور

نزل (**حماد عجرد**) الشاعر علي **محمد ابن طلحة** فأبطأ عليه بالطعام فاشتد جوعه فقال فيه حماد :

زرت امرأً في (بيته) مرة
له حياء ، وله خير
يكره أن يتخم اضيافه
ان أذى التخمة — محذورا!!
ويشتهي أن يؤجروا عنده
بالصوم ، والصالح مأجور

فلما سمعها **حماد** ، قال « عليك لعنة الله ! أي شيء حملك على هجائي وأنا انتظر ان يفرغ لك من الطعام ، قال : الجوع وحياتك !!! حملني عليه ، وان زدت في الابطاء زدت في القول فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة .. » اه

قُلتُ : وهذا أثر اشتداد الجوع وتأثيره في كيان الانسان الناطق !! وكثيراً ما كنت في الصبا وشرخ الشباب (اغاور) من يدعوني .. ثم يبلوني بالانتظار الطويل حتى يقدم مائدته واتهجم على من لا احتشمه من الأصدقاء .. مؤنباً .. وناصحاً .. وواعظا .. وأحياناً .. شاتماً .. وأخرى مغادراً !! دون غداء أو عشاء .. وسبب ذلك كله عدم التقيد بوعد محدد بالساعة في الدعوة .. فأكثرنا يدعو صاحبه أو أصدقاءه (بعد الظهر .. أو بعد المغرب ..) وبالطبع فهذا محتمل ان يمتد إلي ما قبل العصر .. أو قبل الفجر .. وأخيراً وجدت الحل الرشيد ! وهو أن اتغدى أو اتعشى واذهب إلي الداعي مستعداً للانتظار طال أو قصر .. وانما هي مجرد مجاملات ! أو اعد نفسي لذلك دون أي جلبة أو ضوضاء .. لأنه لا فائدة مطلقاً في ذلك الا ان يحدد وقت الطعام في الدعوات .. بالساعة والدقيقة .. مع الوفاء بذلك من دون تأخير وتغرير .. وللداعي مطلق الحرية وذلك طولاً وعرضاً .. أو قصرا !! فليس الأمر مسألة جوع فقط بل .. وتذمر وسخط وتبرم ولغط وانصراف عن الحديث الطريف !! وانكماش واندهاش !! واستيحاش !! على ان يحرص المدعو على الاستجابة قبيل الوقت فلا يبطيء حضوره عنه ، فاذا كان معذورا .. اعتذر قبله أيضاً .. أو لا يمكنه الحضور الا متأخرا وفات الموعد .. الغى الدعوة من حسابه ، وانذر داعيه .. فان لم ينذره وحضر فلا يضطره إلي الارتباك والخجل !! وليس له الا « القهوة » والشاي .. وبغير هذا فان كثيراً من هؤلاء المتصبرين (حمادون) ، الا أنهم يتأدبون ويتسربلون ولا يتجردون ؟!! وما فقدوه شعراً لا يعدمونه نثراً — ولكنه .. ممتزج بالمرارة والالم وليكن هذا التحديد في كل دعوة عامة أو خاصة ليلاً او نهاراً أساساً لا محيص منه حتى يستطيع كل من الداعي والمدعو ان يرتب أموره على ما يلائمه (معدة) .. وقلباً وعملاً .. والله الهاديء إلي سواء السبيل .

(١٦٧٢) « بلاط الفاكهة » وزقاق الصواغين

« كان **حكيم بن حزام** القرشي الاسدي المكني **خالد** من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام . وعاش في الجاهلية ستين سنة ، وفي

الإسلام ستين سنة وتوفي بالمدينة المنورة ، داره بها عند (بلاط الفاكهة .. وزقاق الصواغين) في خلافة معاوية سنة (٥٤ هـ) وهو ابن مائة وعشرين سنة .. وكان عاقلاً سرياً فاضلاً تقياً سيداً بماله غنياً » اهـ (الاستيعاب) .

قُلْتُ : كنا نسمع بالبلاط .. وحسبناه مما يلي المسجد .. فقط .. فاذا هو أيضاً في جهة أخرى ــ وهو بلاط الفاكهة ــ أي أن مكان بيعها كان مبلطا أو مرصوفا .. منذ صدر الإسلام ويتبع ذلك طبعاً كنسه وغسله وتنظيفه بعد كل بيع وشراء .. أو غدوة أو عشية .. كما كان هناك زقاق للصواغين .. وأغلب الظن أن كليهما .. مما يلي باب السلام فما يزال الصاغة .. حوله حتى يومنا هذا .. فهل كان بلاط الفاكهة .. إلي جواره ؟ ذلك ما نرجو ان يفصله استاذنا الكبير (**أبو نبيه**) في تعليق يكشف غموضه ويبين حقيقته فهو به أعلم .. وله فيه القدم الراسخ ، وهو صاحب (آثار المدينة المنورة) .. بارك الله فيه .

(١٦٧٣) الخبز والخمير

روى **هشام بن عروة** .. عن أبيه عن **عائشة** .. وعن **ثور** عن **خالد بن سعدان** عن **معاذ بن جبل** أن النبي ﷺ سئل عن الخبز والخمير يقرض الجيران فيردون أكثر أو أقل ، قال : «لابأس بذلك » ، وباسناد آخر عن معاذ بن جبل : أنه سئل عن استقراض الخبز والخمير .. فقال : « **سبحان الله ؟ انما هذه من مكارم الأخلاق فخذ الكبير ، واعط الصغير ، وخذ الصغير واعط الكبير ، خيركم أحسنكم قضاء ، سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك** » .

قُلْتُ : وأين هي الواح الخبز والخمير أو « العيش البيتي » ؟؟! ذلك الذي كان يتعني به ذوو الأمر .. فيجاء به « حبا » وينقى .. بعد الغربلة .. ويغسل ثم ينشر ثم يطحن .. ويبزّر بما يصلحه .. ويملك .. أي يجود عجنه .. ويرسل إلي (الفرن) ليأخذ مكانه من الصفوف .. ويكون قائد المعركة صاحب الطابونة .. فيقدم ويؤخر كما يروق له .. ويهوي .. وينتهز الصغار الفرصة ليلعبوا (المداحي) أو (البارجوه) .. أو (بره جوه) ؟!! أو (اليرسى) أو (المدوان) .. أو (الكبوش) ويتأخرون ماشاء لهم اللعب .. ويعودون بعد ان تصيح الامعاء .. ويضيق بالجوعى الفضاء .. وهم يهزجون فرحاً ومرحاً « بالحنانة » .. أو (الحنينة) .. وكأنها « المولودة السعيدة .. وحامل اللوح بين اثنتين ، اما عفو وتسامح !! أو شحط .. ولعط .. وتصايح ، وقد تفوته (الجعلة) .. الذي لا يستهويه (القرص) كله بديلا عنها !!؟ وأين منا ذلك العيش المرصع بالتمر والحبة السوداء !! وأين هي الاسرة التي تجد فراغا لكل هذه المشقة ؟!! وانما هي اقراص تبلع ، وعجلة تهرع .. سواء انضجت أم تشلوطت أم حرقت ؟ وما زلنا نسأل الله تعالى ان تتوفر للاسر المخابز التي تيسر الحصول على أنواع الخبز الممتازة .. كل منطقة من البلد قربت أم بعدت ..!! لا أن تكون خاصة بالولائم والعزائم فقد كان كثير من الناس القدامى يكتفون صباحاً بذلك الخبز « المقمَّر » « البيتي » وبِحُقّ « الدُّقّة »

(المنهل) : ترحيباً باقتراح أستاذنا العلامة البحاثة الشاعر المفلق الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي ونستسمحه حيال ارجاء تنفيذ اقتراحه الكريم إلي العدد القادم إن شاء الله تعالى .

« المبزَّرة » .. أو المخلوطة بالحبق والملح الأسود !! وبكوب من الشاي أو الحليب أو هما معاً وأني ذلك مع هذا العيش الذي خلا من كل ذلك وانما ينصح الطب والأطباء بما غلبت فيه النخالة ، ولا اخاله .

(١٦٧٤) لا تشوقنا يا اصيل

جاء في « استيعاب **ابن عبد البر** » أن (**أصيل الهذلي** ويقال **الغفاري** قدم على **النبي** ﷺ من مكة إلي المدينة ، فقالت **عائشة** رضي الله عنها : يا **أصيل** ، كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها حين ابيضت اباطحها ، وارغل ثمامها ، وانتشر سلمها ، واعذق اذخرها ، فقالت عائشة : يا رسول الله الا تسمع ما يقول أصيل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **لا تشوقنا** — أو كلمة نحوها — **يا أصيل** » .

قُلْتُ : وكل ما وصفه **أصيل** يجمعه الخصب والنماء والارتباع .. وانما هي كلمته الموجزة .. « لاتشوقنا » .. فانها تدل على ما (لمكة) شرفها الله ، وحماها من مكانة في نفس النبي ﷺ وهي على اختصارها تحمل من المعاني ما تعجز عنه الكلمات والقوافي كلها .. وندعو الله جل وعلا ان يغدق عليها سحائب فضله وكرمه واحسانه .. وان يسقيها ويرويها . فقد كنا ابان الشبيبة .. لا نفتأ نخوض في سيولها .. ونتمشى في حقولها وسهولها .. ونرقى إلي قممها وشلالاتها المتواضعة .. ونرتاح إلي نسائمها العليلة .. وامسياتها الجميلة وأصواتها المغردة .. وأفراحها المتجددة ، وكان العشب يكسوها حتى اذا هبت عليه الرياح تموج .. وترنح .. واهتز وربا .. وابهج وارغد .. ولا يكاد الغيم ينشر برودة في سمائها حتى يهرع أكثر أهلها إلي منازهها .. طلبا للترويح .. بين التهليل والتكبير والتسبيح جمعاً بين التعبد والتنعم ، **فهل إلي مرد من سبيل ؟!!** أرجو ان يحسن الله نياتنا .. ويغمرنا بعفوه ورحمته ورضوانه ، انه على كل شيء قدير .

(١٦٧٥) كيف يكون سيدا ومعه سكان !

جاء في كتاب (أخبار القضاة) **لوكيع محمد بن خلف بن حيان** : ان الحجاج دعا حجاما فحجمه !! فقال : لمن أنت ياغلام ؟ قال : لسيد قيس ، قال : ومن هو ؟ قال : (زرارة بن أوف) .. قال : وكيف يكون سيداً ومعه في داره التي هو فيها سكان ؟!! اهـ .

قُلْتُ : كان هذا شأن القوم قبل الف ومائتى عام ، وشبوا وشابوا عليه إلي منتصف هذا القرن الرابع عشر .. و (في بلادنا على الأقل) ! ثم ماذا ؟ .. استحدث نظام (الشقق) !! لزيادة الغلة !! لا أقل ولا أكثر !؟! ولينشر الغسيل في (النوافذ !! والبلكونات) .. ولو كان مما يختص بربات الحجال ؟! واستغفر الله .. فما بقى حجل ولا خلخال وحسبهم في الصيف اذا اشتد قيظه .. ان يناموا تحت السقوف .. والتعويل على (المكيف .. أو المروحة) .. ولا احتمال لعطل التيار !!؟ .. ولا تكاثف البخار و « للناس فيما يعشقون مذاهب » !! .. ورحم الله أيام الاسطحة .. و « الخوارج » أى « الخارجات » .

وقديماً قالت الأعرابية وهي في دار الخلافة غوطة دمشق :

لبـيت تخفـق الأرواح فيـه
أحب إلي من قصر منيـف
ولـبس عبـاءة وتقـر عيني
أحب إلي من لبس الشفـوف

ولحوش أرضى مسور بالسلم والأشواك ، وتحت قبة السماء .. إلي مقصورة فيه تستر الحرم وحديقة ذات خضرة يانعة ، واطيار مغردة ساجعة ونجوم متلالئة ساطعة خير ورب الكعبة من هذه الجحور .. المرتفعة ، والحجر المقفولة !! وليحسن الله عزاءنا في (الرواشين) .

(١٦٧٦) الخيط في الاصبع

ينسى أحدنا شيئاً .. أو يخشى على الأصح ان لا يتذكره .. فيربط في اصبعه خيطاً .. ليستذكر به ما اراد ! فهل لذلك من أصل ؟ نعم .. فقد سأل **أبو الطحاطح السيد المطهر بن حسن الصعدى الصنعاني** من علماء اليمن وشعرائها في القرن الثالث عشر والمتوفي سنة ١٢٢٣ هـ الوزير **الحسن** يوما يكسوه وشكا شدة في البرد فتأخر عنه جواب الوزير فكتب إليه :

يا احسن النـاس اسما
ومـن اذا قال اعطـى
أنت الـذي لست ترضى
ردى اذا جيت قطـا
ومـا نسيت ، ولكـن
ابطـا جوابك ابطـا
وان نسيت لشغـل
فاعقـد بكـفك خيطـا

وقال : مما رواه **أبو يعلى** عن **عبد الله بن عمر** ان النبي ﷺ كان اذا خاف ان ينسى الحاجة ربط في اصبعه خيطا ليذكرها ..» اهـ .

قُلْتُ : هذا ما قرأته في كتاب (نيل الوطر) **لابن زبارة** ــ والله أعلم .

(١٦٧٧) دار الأدب ، وبيت الأدب ؟

كان أهل اليمن في الزمن الماضي إلي القرن الثالث عشر يطلقون على السجن .. (دار الأدب) .. ولا ريب أنهم يعنون (التأديب) ! .. ولكن بعض الناس لا يزالون يطلقون في بلادنا (بيت الأدب) على (المرحاض) .. ولا أرى لذلك علاقة بالأدب .. في شتى صوره وأشكاله الا أن يكون السكون والاختلاء !! دون سواهما .. وقد تلاشي هذا الاستعمال .. وابدل (بالحمام)!! ومن مترادفاته (الطهارة) .. واحسبها اقرب إلي الواقع من حيث ان من لوازمها غالباً التطهر .. والاغتسال أو الوضوء .. وعلى كل حال فما أكرم الأدب وأجله من أن يقترن به هذا البيت الذي هو محل التغويط والتبول .. ولا مجال فيه للتمحل ، والتأول ..

(١٦٧٨) من أين جاء الجس ؟

يسمى أهل الحجاز .. ما يتغنى به المغنى « مجسا » ــ ودرج على ذلك الخلف عن السلف القريب أو البعيد !! وما يدرون سببا لذلك فيما أظن !! وتفكرت في ذلك مليا فاستنبطت فيه أوله تعليلا ، لعله يكون مقبولاً ، فان الاطباء الاقدمين كانوا يطلقون على « نبض المريض » اذا اختبروه

« المجس » ومن المعروف حتى الآن قولنا جس النبض — !! اذن يكون من أثر اللحن أو الغناء المطرب أو المحزن في نفس السامع جس لجوارحه ، أو مس لجروحه !! أو تطبيب لجسمه وروحه ؟!! ولم نعد نظفر به الا في النادر جداً .. للتأثر باللحن الدخيل !! والتقليد المحس .. ولعل بعض من ورثوا تراثنا الاثيل ، ان لا يصرفهم في دبير أو قبيل !! فان لكل أمة خصائصها .. (وليست النائحة كالثكلي) .. و (المجرور) في بطون الاودية ، وشعف الجبال ورؤوس الاكام أوقع في قلوب المواطنين من رنات الثالث والثاني ولو جاءت بكل ما يهزنا من الأغاني والا .. انطبق علينا المثل أو الاثر « ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى » !!

(١٦٧٩) التفــاريق ؟

يطلق المتأخرون على المسكوكات المعدنية الصغيرة .. كلمة (التفاريق) .. وعلى هذا ادركنا الناس .. كما يقولون في مصر « الفكة » .. ولكل منهما دلالته الواضحة .

وقد قرأت **للاحنف العكبري** في العصر العباسي الأول قوله :

قد قسم الله رزقي في البلاد فما
يكاد يدرك — الا (بالتفاريق)
ولست مكتسبا رزقى بفلسفة
ولا بشعر ، ولكن بالمخاريق
فالناس قد علموا اني اخوخيل
فلست انفق الا في الرساتيق

وهكذا .. تحيا الالفاظ والكلمات ثم تموت أو تمرض .. أو تتحول وتتطور .. على حسب مالها من حظ في البقاء أو الفناء . تماما كما يطرأ على جميع الأحياء .. فما هي الاَّ هُمْ .. أو مَاهُمْ إلاَّ هِيَ ؟!!

(١٦٨٠) معنى « الفندق »

قال صاحب المحيط في اللغة : « الفندق » كقنفذ حمل شجرة وهو البندق وتقدم — قال : والخان السبيل .. اهـ

وهنا يجب ان يحتاط أهل الفنادق فلا ينزلون بها صاحب لغة متمكنا !!.. فقد يرجع بهم إلي هذا النص .. الذي يجعل الفندق « خانا — وسبيلاً » — واتساءل عمن أطلق على هذه المؤسسات الحديثة .. المتطورة هذا الاسم ما دام هذا المدلول قديماً [1] — وكأنما هو مرادف للرباط الخيري ! وما هو بذاك مطلقاً ..

فأما تسميته (بالاوتيل) أو (الهوتيل) ، فانها كلمة دخيلة على العربية وإلي ان يجد لها الباحثون (المجمعيون) بديلاً خيراً منهما فلا مناص من استعمالها بمفهومها الجديد .. مع التفرس في الزبائن .. المتزمتين .. وازالة الشك عنهم باليقين !!

---

(١) المنهل : نقدر لأستاذنا الجليل تساؤلأته العلمية في اللغة والتاريخ ونستسمحه في أن نعرض عليه وهو العليم بما هناك ، أن الفندق والفندقة قديمان في الحضارة العربية الاسلامية ومنها أخذهما الافرنج وعرفوهما من طريق هذه الحضارة الزاهرة الخالدة .. فقد ذكر المؤرخون أن أول من أدخل كلمة الفندقة إلي الغرب هم العرب المسلمون وذكروا أن بالمرية في الأندلس أيام حضارة العرب في الأندلس نحو ٩٠٠ فندق حول المساجد . وفي كتابنا : (عودة الرحالة ابن جبير) المعد للطبع تحقيق شامل عن الفندق والفندقة أصلاً وفصلاً وتعريفاً وتاريخاً .

(١٦٨١) البشكة في العربية

قال **الفيروزابادى** في القاموس المحيط : « البشكة » .. سوء العمل والخياطة الرديئة أو العجلة . والكذب .. الخ .. إلي ان قال : (والخلط من كل شيء) !! اهـ .

فهلا نجد في هذا النص مندوحة لما يطلق عليه أهل بلادنا (اسم البشكة) أي الجماعة .. بأنه تعبير عربي صحيح .. اذا راعينا فيه (معنى الاختلاط) ـــ فان أكثر من تجمعهم[1] « البشكة » غالباً .. يختلطون وهم من مختلف الاذواق والأعراف والمدارك والاسنان .. فان لم تكن (دخيلة) صريحة من لغة ـــ أخرى .. فلا معدى من اعادتها إلي هذا الأصل ، بهذا السبب ـــ وما دام لها بحروفها ومدلولها ـــ هذا التعليل .. فلتكن عربية لما لها من شيوع وذيوع !! فهل يستحسن ذلك استاذنا الكبير « **أبو نبيه** » بارك الله فيه ؟! ونفعنا بأساليبه وما يرتضيه .[1]

(١٦٨٢) على أولك

ربما كان ما يتلقاه الغلام أو الصبي أو الخادم من تعليمات والده أو مخدمه أو عمه عندما يبعثه في رسالة تهمه ، هو هذه الكلمة .. أو الجملة : (على أولك) .. ويدمجها في بعضها حتى تشكل في نطقها ، معناها المحرض على الاسراع والمبادرة والاهتمام !! وهي في الواقع رغم ايجازها انما تعني ان يكون الرسول حريصاً على الذهاب والعودة .. منجزا ما أمر به ، وان يكون الأول في ركضه ، وسعيه ، واتمامه وقديما قال الشاعر الراجز :

« تسألنـــي أم البـــنين جملا
يمشي رويـــدا .. ويجيء أولا »

وتنطق غير معربة .. ولا مجرورة !! لتكون جارة .. للمستحث بها ويستوى في اللحن فيها العامة والخاصة على السواء .

(١٦٨٣) اسباب الظرف عند القدامى !

روي **ابن حجة** في (ثمرات الأوراق) أنه كان يقال : من تختم بالعقيق ، وقرأ **لأبي العلاء** ، وحفظ قصيدة **ابن زريق** فقد استكمل الظرف » هـ .

وقصيدة **ابن زريق** هذه هي التي مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه
قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

وناظمها هو **أبو الحسن علي بن زريق** البغدادي من شعراء العصر العباسي الثالث أي من أواسط القرن الرابع إلي أواسط القرن الخامس الهجري .

ولئن كانت أسباب الظرف واستكماله في نظر **ابن حجة** .. لا تعدو هذه الثلاثة فما أحسبها في زماننا هذا .. الا بعض ما يجب ان يتحلى به الظريف .. وان الرجل الممتاز والذي تعبر عنه آداب الغرب « بالجنتلمان » ! لا غناء له عن حذق الكثير من الأدب القديم والحديث وما استخدمته الحضارة .. من عوائد .. وتقاليد .. لاتكاد تحصر .. هذا بالاضافة إلي وصف الظريف

---

(١) (المنهل) : **ما يقرره هنا الأستاذ المبجل الطلعة ، هو بلا ريب في محله ، وكيف لا وهو رب القوس وباريها ومعطاها .**

بأنه خفيف الظل بالفطرة .. وله جاذبية ، ساحرة ! وشخصية متميزة قاهرة !. وقد ضاقت الدنيا بالظرف والظرفاء لامن حيث الكثرة !! ولكن من جهة العناء والابتلاء ! فلم تعد تتسع لغير الشحناء والبغضاء .

وقليل من لا يزال من الناس يتأثر بالماضي البعيد أو القريب ! وانما هو فى نطاق حاضره القاسي الرهيب ، وإلى ان تغير الأمور .

١٦٨٤ « تميم بن المعز » و « عبدالله بن المعتز »

الأول منهما (فاطمى) — بمصر — والثاني (عباسي) بالعراق . وكلاهما ابن خليفة .. ومعاصر لابن عمه في القرن الرابع الهجري ، وشاعر عظيم ينافس أحدهما الآخر . في أسلوب ممتاز .. وقد يعرف الكثيرون (**عبدالله**) . ويجلون (**تميما**) بحيث لا تبلغ شهرته .. المكانة التي احلتها (**العباسي**) ! وقد روي من شعر **ابن المعز** قوله : رحمه الله :

أما والذي لا يملك الأمر غيره
ومن هو بالسر المكتم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما
لاعلانها عندي أشد وآلم
وبي كل ما يبكي العيون اقله
وان كنت منه دائماً اتبسم

وهي ديباجة لا يتيسر مثلها لكل شاعر والاحظ أنه خالف القاعدة النفسية المعروفة في أن التفريج عن القلب انما يكون بالافضاء لا الاخفاء !! الا ان المضايقات الشديدة الوقع ان يحتمل الانسان آلامه ويجترها ، ويرى أن اعلانها أشد عليه من كتمانها .. فهذا هو جهد البلاء !! وعياذا بالله من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا وهو ولي المتقين .

١٦٨٥ رش الشوارع بمكة قبل سبعين عاما

رأيت في العشرينات من هذا القرن . وفي العهد العثماني ظاهرة كانت حديثة على أهل البلد وكان الصغار يلتفون حولها ويمشون وراءها أو معها وهي ربط دابة بغلا كانت أو حمارا إلي عربة ذات عجلتين وفوقها برميل يحمل الماء وله في اخره رشاشات كالتي تسقى بها الحدائق .. وله مسك ومفك فكانت أيام الاحتسابة — أي قبل انشاء أول بلدية بمكة .. تخترق شارع المسعى من الصفا الى المروة وبالعكس فترش ما بينها رشاً رقيقاً ذهاباً واياباً بعد كل عصر — أي من الساعة العاشرة وفي الظل .. فيهدأ بها الغبار ويتلطف الجو ولا سيما في الصيف والسموم وما كان ثمة رصف وانما هو التراب فقط .. وقد يمتد ذلك إلي باب الوداع والحميدية والتكية آنئذ .

فأما بقية شوارع مكة الكبرى من جرول إلي المعابدة فكانت ترش بوساطة قرب السقائين .. كل مساء من البازانات المجاورة فيأخذ اثنان منهم الطريق يميناً وشمالاً حتى ينهيا ماء وعائهما ويلحق بهما سواهما بالتناوب إلي ان يتم رش الشارع طولاً وعرضاً في وقت واحد ولهم مقابل ذلك معلوم بسيط يدفع لهم شهرياً من أهل الحوانيت لا يتجاوز القرش الواحد في الشهر عن كل مكان .

قُلْتُ : ومن المصادفات انني قرأت في (ملخص الابريز عن تلخيص تاريخ باريز) للشيخ

رفاعة الطهطاوي أول مبعوثي مصر إلي أوروبا للتعليم أنه رأي قبل مائة وخمسين عاماً تقريباً نفس الوضع من حيث عربة البراميل وشراشيرها في شوارع باريز (باريس) يومئذ بفارق واحد وهو أنها كانت مرصوفة بالحجارة المستوية .. خلافاً لما كان عندنا من الرمل أو التراب .. وقد سبقت باريس في رصف الشوارع المدينة المنورة منذ العصور الأولى اذ كان في جوانب المسجد النبوي الشريف ما يسمى (بالبلاط) وقد ورد ذكره في أخبارها .. كثيراً . وأغلب الظن أنه كان أمام باب السلام إلى عهد قريب (وعند جهينة النبأ اليقين) .. وما ينبئك مثل خبير .. فعسى أن يزيدنا علماً بذلك فضيلة استاذنا الجليل **أبو نبيه** أمد الله في عمره ونفع بع الأعزاء وطلاب المعرفة[1] .

١٦٨٦ حلاَّب الذرة فـي وجه الرِّزَّة

كنا نسمع ونحن أطفال أن بائعاً صاحب دكان في المسعى بمكة المكرمة ــ كان يدعى (حلاب الذرة) وكانوا ينطقونها هكذا : (الضرة) « ويعنون بها النملة » وهم يشيرون بذلك إلي شدة بخله أو مماطلته في المساومة والبيع والشراء .. وعدم تسامحه ومياسرته في معاملته .

وكذلك كنا نسمع من هذا القبيل ــ (كقرطاس النشا) لمن يحرص على الأناقة والزي المنسق وما يسمى « بالعياقة .. ــ أو الحنكلة .. وما أكثرها ــ واقساها » .

وفي قراءة عابرة في المجلد الرابع والعشرين من الأغاني .. قرأت هذه الجملة ، (في خبر **عبد الله بن أبي العلاء**) قال : (حدثني **ذكاء** (وجه الرزة) اقال : قال لي **ابن المكي** المرتجل : كان يقوم دابة **عبد الله ابن أبي العلاء** وثيابه اذا ركب بألف دينار .

قُلْتُ : وكما أطلقوا هذه الاسماء على البعض منذ أكثر من ألف سنة لغاية مقصوده في الشكل أو الخلق أو الخلق « فكذلك أطلقوا ما هو عكسها بالمدح لا القدح : (**مطعم الطير**) . و (**زاد الراكب**) و (**منهب الورقة**) وهو جد **عبد الله بن أبي معقل الخزرجي** .. وذلك أنه كسب مالاً فأعجب أهل المدينة من كثرته ــ فأباحهم اياه فنهبوه » .

١٦٨٧ جلباب العروس

يغلب في زماننا هذا ــ أن يكون جلباب العروس أبيض اللون ولكنني قرأت في شعر **ذي الرمة** قوله :

وليل كجلباب العروس ادرعته ... بأربعة والشخص في العين واحد
أصم علاميّ وأبيض صارم ... وأعيس مهري ، وأروع ماجد

ويؤيد ذلك ما اشتهر من قول الشاعر :

قل للمليحة في القناع الأسود ... ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى قعدت له بباب المسجد

---

(١) المنهل : البلاطات كانت تعم المدينة الداخلة في السور المحيط بها تقريباً .. إلي عهد قريب . وفي تفصيل ذلك يحسن الاطلاع على كتابنا (آثار المدينة المنورة) ففيه التفصيل الكافي عن البلاطات تاريخاً وواقعاً ، فقد عقد لها في ذلك الكتاب .

١٦٨٨ العجب القديم والجديد

يقول عروة بن الورد :

عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم
ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

قُلتُ : وما أجد هذا البيت بالانشاد — في يومنا هذا — لمصداقه فيما يتكرر حدوثه بين الاخوة وبني الأعمام وتهدر فيه الضحايا بالالوف ، وهناك من يتربص بهم الدوائر وهم بطرده أجدر ، وبخطره ابصر والله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم .

١٦٨٩ « البد » بمعنى اسكن

يقول الشخص لرفيقه : (البد) أي اسكن . ولا تحدث صوتاً .. ولا حركة .. اتقاءا وحذرا .. ووجدتها في شعر الاخطل التغلبي اذ يقول في وصف الصائدين :

دسم العمائم مسح لا لحوم هم
اذا أحسوا بشخص نابىء لبدوا

١٦٩٠ ماهو الزعل ؟ !

برغم أنها كلمة أكسبها الاستعمال قرونا عديدة رسوخاً لا يكاد يتزحزح .. فانها في لغة العرب عكس ما يفهمه الناس كلهم من عام وخاص (فالزعل في كلامنا الدارج — انما هو الكدر والتكدير والحنق والغيظ والاثارة والازعاج إلي اخر هذه المترادفات .. لا يختلف في ذلك اثنان ولا ينتطح عنزان . الا أنني وجدته في المفضليات) بمعنى غير ذلك أو عكسه في المعنى .. وذلك في أبيات من قصيدة (**أبي ذؤيب**) البائية وقد وجدت في (المنجد — ما نصه : (زعل زعلا : نشط من المرض وغيره ، ضجر واضطرب . وبهذا نجد السبب لما غلب في المداولات العامة . **وأبو ذؤيب** هو شاعر هذلي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، قال **أبو عمرو بن العلاء** سئل **حسان** من أشعر الناس ؟ قال : حياً أو رجلاً قال : حياً ، قال أشعر الناس حياً **هذيل** ، وأشعر **هذيل** غير مدافع — **أبو ذؤيب** .. فأما موضع الشاهد في (الزعل) هنا فهو قوله منها :

أكل الجميم ، وطاوعته سمحج
مثل القناة ، وازعلته الأمرع

قال الشارح : أزعلته ، نشطته ، والزعل : النشاط والمرح .

قُلتُ : فلا ينبغي بعد أن نعرف ذلك أن يكون للزعل عندنا مفهومه الأول .. وبذلك يكون محموداً غير مذموم — ان استطاع التصويب أن يمحو ما يثبت منذ أجيال طويلة ..

١٦٩١ طرفة لغوية

روي أن (**حافظ إبراهيم** ، شاعر النيل — رحمه الله — كان يكره رجلاً فدخل هذا الرجل مرة على حافظ في مجلس من الناس ، ولاحظ الناس تأفف حافظ من وجوده ، وبعد برهة خرج هذا الرجل .. ودخل شاب فسلم عليه حافظ سلاما فاترا فسأل الناس حافظاً عن هذا الشاب ، فقال لهم : « هذا ابن اللي آم » .

قُلْتُ : ولولا الذكاء الخارق والبديهة الحاضرة .. والمصادفة المسعفة ، لما تسنى له ان يجيب بهذه الجملة التي لا مأخذ فيها في اللفظ والمعنى وان كانت في الحقيقة شتيمة بالغة ! وبالطبع فإن (القاف) انما هي هذه الالف المهموزة في اللهجة المصرية العامية الظريفة ! ..

(١٦٩٢) بشر وبشير - ومنكر ونكير

« كان بعضهم في الزمن القديم — أي قبل ألف عام — يلعبون « الطشت ، والابريق » اذا قدما قبل المائدة بـ « بشر وبشير » ، واذا قدما بعدها بمنكر ونكير ..

قُلْتُ : ذلك لأنهما في الأول استقبال للطعام .. وفي الثاني .. انتهاء منه .. وهذا بالطبع من تطرف الاكلة . وأصحابهم الا ان الذي قصدت إليه بالذات من هذه القصة ان أرى هذا « الطشت والابريق » . موضع الاهتمام والتقديم قبل مئات السنين . وقد ادركناهما حتى يومنا هذا متلازمين .. لا يفترقان ، ويوشك أن يندثرا عما قريب . بعد ان مدت الصنابير ، أو البزابز » ، وهي من المرمر تارة .. وأخرى من الحديد و « القلويز » وربما كانت في بعض البلاطات من الذهب الابريز ، وبذلك خفت المؤونة على تحمل الابريق .. اذ غيره بطقم . وهو على الريق .

(١٦٩٣) الفصعنة

جملة كثيراً ما تقال للناشيء الحدث اذا بدا منه شيء من « البجاحة » أو الوقاحة .

والأولى ليست كما يظن البعض مرادفه للثانية ! بل ان التبجح انما يعني التفاخر ، وليس هو من قبيل (قلة الأدب) كما هو المتداول بين العامة والخاصة .. ونعود إلي (الفصعنة) .. **فهي** في عرف الناقدين لها والمنكرين عليها عبارة عن ظهور الطفل أو الغلام ، بل وحتى الكبير أحيانا بما يكره صدوره منه من التشادق في الكلام ام من هو حقيقي ، بأن يستحي منه الكبار وهو أيضاً التفاصح أو عدم المبالاة . بذوي الاسنان وأرباب المكانة والوقار ، وقد لا يكون من يرضي بها أو يمقت محلاً للمؤاخذة بل ان انكارها عليه انما يكون الباعث عليه محض التعنت أو النقاشة أو المضايقة من طلاقته أو ذلاقة لسانه .. حالما يكون ذلك داعياً إلي الغبطة به والارتياح والتشجيع ! اذا كان في حق دون باطل وأدب دون تطاول قالوا : ان القاضي المشهور اياس في العصر الأموى دخل وهو صغير السن على قاضي الشام : في حقوقه فأخذ يرفع صوته ضد خصمه فزجره القاضي وقال تأدب ، الا ترى أنه أكبر منك ؟ قال **اياس** (الغلام) ان الحق أكبر منه ! قال القاضي اسكت ، فما أراك تقول حقاً ! قال (**اياس**) : « أشهد أن لا إله إلا الله » وأن **محمداً** رسول **الله** » .. ثم قال : اتراني أقول حقاً أم باطلا فبهت القاضي وأخذ قلسونته وبادر إلي الخليفة يعرض عليه الحادثة فقال له اسرع فاقض أمره واخرجه من البلد واني اخاف أن يحدث به أمراً .. وفعلاً انهي قضيته واخراجه .

قُلْتُ : فإذا كانت الفطنة من هذا القبيل فما اصدق صاحبها وافطنه وأحقه بالاحترام والتكريم والا فلا ! وما أحسبها مما نصت عليه معاجم اللغة فما عثرت عليها فيما طالعت حتى الآن ..

(١٦٩٤) العلامة جمال الدين ابي المحاسن محمد بن علي

« الشيبي المكي » ٩٩٦ هـ

قرأت في مجلة « العرب » الغراء عدد صفر سنة ١٣٨٨ كلمة تحت عنوان « حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم » للاستاذ **حمد الجاسر** .. انه طالع في رحلته إلي « تركيا » : ٢٧ ــ ٩ ــ ١٩٦٥ م في مكتبة (**نور عثمانية كتبخانة**) عددا من المخطوطات الفها علماء من مكة المكرمة وعد أولها **للقطب الحنفي** ثم قال :

١ ــ « كتاب (تمثال الأمثال) تأليف الامام العلامة الأديب الاوحد قاضي القضاة **جمال الدين أبي المحاسن محمد بن علي الشيبي المكي الشافعي** رحمه الله وهو كتاب يحوى مجموعة من الأمثال العربية مرتبة على حروف المعجم مشروحة شرحاً واضحا منقولاً عن متقدمي علماء اللغة والأدب ، ويضم كثيراً من الشواهد الشعرية واورد نموذجاً من ذلك وأن الكتاب يقع في ٣٦٤ صفحة ، سطور الصفحة ١٩ ــ والكتابة حديثة . وليس فيها تاريخ » .

ومن مؤلفات **جمال الدين الشيبي** ــ هذا ما تحدث عنه فقال : « واطلعت في مكتبة يوسف اغا في مدينة (قرنية) في تركية . على ثلاث رسائل في اللغة للعلامة **جمال الدين الشيبي المكي** في المجموعة الرقم ب (٢٥٩) .

١ ــ رسالة (المنهل المأهول بالبناء للمجهول) . و (٢) رسالة تلذذ المحب بلذاته ، فيمن لقب بشيء متصل بذاته) وتقع هذه الرسالة في ست صفحات .

٣ ــ رسالة ، (راحة المعنى .. في محاسن الكلام المثنى) .. وجاء في آخرها « وكان الفراغ من نسخته في يوم الأربعاء خامس شعبان سنة ٩٩٦ هـ .

ثم تحدث عن آثار العلامة المكى المرشدي سنة ٩٧٥ هـ وكان قاضياً لمكة وأعمالها ..

قُلْتُ : وكذلك نجد ــ بين كل حين وآخر ــ هذه الذخائر .. محفوظة في مكتبات العالم الإسلامي .. والأوربي .. دون ان تكون لها أصول في مكتباتنا وهي أحق بالمحافظة عليها .. ومن الحق ان تستنسخ وتعرض في (بلادنا) قبل سواها .. وهي كنوز غالية .. وآثار باقية .. ولعل وزارة المعارف الجليلة تولى هذا الموضوع عنايتها فتعيد إلي (الحرمين الشريفين) كل ما صدر عنهما في القرون الطويلة الخالية .. وليس ذلك بعزيز ولا متعذر فقد يسرت وسائل النسخ الحديثة والتصوير .. تبادل النسخ في مدة وجيزة .

وان كل بلد ليعتز كثيراً بإنتاج علمائه وشعرائه وادبائه .. وكم هو مؤسف أن نجد ذلك في الخارج .. ونسمع به دون أن نحوزه ــ أو حتى ندرى عنه ؟! ولعل بعض الجرائح التى تسببت عن الأحوال والظروف التى كانت تلابس هذه الحقيقة من التاريخ مع ما جرته السيول العرمة .. في (وادي **إبراهيم**) قد ذهب بالأصول .. التي لا بد أنها كانت في « مكتبة الحرم » من هذه المؤلفات القيمة ..

وان كثيراً من اعلام السدنة : « آل الشيبي » . قد كانوا أهل علم وعرفان وادب وشعر ..

وفي تاريخ المغرب والاندلس وغيرها افذاذ منهم .. تحدث عنهم العديد من المؤلفين .. ولا

تخلو مكاتبهما من آثارهم . وانه لزاما علينا ان نتعقب ذلك في كل مظنـة وكل مكتبة .. وبصورة عامة عن كل ما يمت بصلة بأسلافنا البررة الكرام ، والله يتولى الصالحين .

١٦٩٥ الأحمدون ـ الثلاثة

أما اسماؤهم ــ مع حفظ الالقاب ــ وهي اشهر من نار على علم .. فإنها مقترنة بالتجلة والتقدير والاكبار بمالهم من آثار باقية ، وجهود موفقة ، وانتاج قيم وأسلوب رائع أخاذ ..

وأولهم ــ باعتبار السن : (أبونا) الاستاذ الكبير الشيخ أحمد السباعى .. .

وثانيهم ــ باعتبار السن الشاعر الناشر .. الفذ الشيخ أحمد قنديل ..

وثالثهم ــ أخي االأستاذ الورع الشيخ أحمد محمد جمال وما أريد ان أترجم لهم . جملة ولا تفصيلاً فان لهم من الشهرة والمكانة والمؤلفات العظيمة ما يغني عن ذلك .. وما هم بحاجة إلي « الاطراء » .. ولو لم يكن مراءاة أو مداهنة .. أو صادرا عن الصداقة او عين الرضاء .. فقد آمنت بأنهم « ثروة » نرجو من الله تعالى نماءها .. وان تكون لهذه البلاد رأس مال تحافظ عليه .. وبهم اتباشر واتفاءل للجيل الصاعد بالمستقبل المشرق الوهاج .. ما ساروا على نهجه .. فهم الأسوة .. والقدوة .. رغم التفاوت في الأسنان !..

وكم تمنيت أن لو كنت (أحدهم) . وعياً وسعياً .. وادراكا واحاطة .. وأسلوبـاً . وبلاغة .. وتثقيفاً وتاليفاً .. وحسبى هذه الجملة تدليلاً على مالهم عندي ــ كما هم في نظر جميع المواطنين ــ من مكانة وتقدير واحترام ؟!

ومع انني لا أحمد فضل (أحمدين) كثيرين يرفعون راية المجد باليمنى .. في أوساطنا الناهضة .. المخصبة .. وعلى رأسهم استاذ الجيل « حقيقة لا مجازاً وسعودية ــ لاحجازاً » العلامة الوقور .. (السيد أحمد العربي) الذي كابد وجاهد خلال أربعين سنة مضت حتى الآن في حقل التعليم وكان له من التلامذة .. الافذاذ من لا يحصون من الرجال العاملين ومنهم الأمراء . والوزراء .. والشعراء .. والأدباء .. كما لا يسعنى الا الاعتراف بفضل كل من عداهم من الشباب الطامحين .. والشيوخ المخلصين .. فانني لأستاذن القراء في الالمام ــ بما لهذا (الشيخ السباعي) من تخصص وتفوق في الأدب الوصفى العربي كتابة .. ومحاضرة .. واذاعة .. وتأليفاً وتصنيفاً ولا يصدنى عن التوسع في ذلك الا غيظى منه وحنقى عليه بترديده في كل مجلس يشهده أنني اسن منه) .. مكابرة وزعما وارجو له من الله تعالى العمر الطويل والمجد الاثيل .. وقد تفضل فأهدى الي أخيرا . كتابه الموسوم بـ « قال : وقلت » وكما يتسع لى الوقت لالتهامه واستلهامه ! أنني واثق « أنه شنشنة اعرفها من اخزم » وناهيك بنضجه واستوائه . بعد ان نيف على الستين ! وان أحب هو ان لا نتجاوز به الأربعين .. وما كانت الحياة الحقيقة بمعولة على الأيام أو السنين وانما هي الكدح والمجاهدة و » البيان ، والتبين » وما يزاحم (أبا اسامة) احد في إنتاجه المتواصل واتزانه المتكامل .. وأسلوبه الرائع .. و (مكتبته) القيمة فأما ــ أخونا وصديقنا وصاحب اليد الطولى والقدم الراسخة في حجازياته وبلدياته .. أو شعره ونثره .. وبره وبحره .. الاستاذ الكبير (أحمد قنديل) .. بارك الله في حياته .. وحقق له أطيب أمنياته .. فاني لأقولها دون مجاملة .. ولا

مداهنة .. أنه من الرواد الذين لا يجود بهم الزمان . الا نادراً فما شئت من أدب وخلق كريم .. وما تترنح له من لؤلؤ يتيم ودر نظيم .. وفي كلمة جائية .. فانه مرآة لعصره ووطنه .. خالصين من الشوائب .. مصقول الجبين والترائب ، وأرجو ان يعفو عني في هذا النمط (الحريري) .. فقد غلب على منذ حاولت أن أكون (كاتباً) .. « وانك لا تجني من الشوك العنب » .. واذا ضربت في هذه الكلمة الموجزة هذا المثل .. فانما اقتداء به في برنامجه الحافل المشوق اليومي (حلوة .. ومره) وحرصه على ضرب الأمثال ذات الأثر المباشر في علاج كثير من مشاكل البيئة الاجتماعية .. والمنزلية .. وليس له منا غير الدعاء له بالتوفيق . وأن يضاعف الله عليه نعمة البيان .. ويوزعه شكرها .

فأما ــ من كان له اسمه ولقبه أوفي نصيب .. الاستاذ أحمد محمد جمال .. ففي وسعى ان أعلنها من (بطن مكة) .. مدوية في أرجاء الوطن العربي والإسلامي انه (المثل) الصحيح . لشبابنا الحريصين على أن يكونوا خير خلف لخير سلف .. وانه بسمته وصلاحه واستقامته . واخلاقه وانتاجه العلمى انما شهد فيه .. « بقية » من أولئك الاعلام الذين تزدهي بهم أم القرى) ابان مجدها العلمي والأدبي .. واسأل الله للجميع دوام الصحة والعافية والتوفيق ومره أخرى أعود فأكرر أن هناك غير الأحمدين محمدون . يذكرون فيحمدون ومعهم رواد سابقون ولاحقون . وكلهم بما قدموا أو يقدمون ، محمودون ، مشكورون وان لهم لأجرا غير ممنون .

(١٦٩٦) « اورال » الشمال و « اورال » اليمين

قرأت في الكتاب القيم الثمين الذي الفه وأصدره علامتنا الكبير واستاذنا النحرير (**الشيخ عبد القدوس الأنصاري**) ــ أمد الله في حياته ــ وهو (**بنو سليم**) .. في الصفحة (٤٣٣) بعض أبيات من قصائد إسلامية **لعباس بن مرداس السلمى** جاء فيها .. قوله في (حنين) :

فاني والسوانح يوم جمع
وما يتلو الرسول من الكتاب
لقد احببت فالقيت ثقيفا
بجنب الشعب امسى من العذاب
ركضنا الخيل فيهم بنى (كبش)
إلي « الاورال» تنحط بالنهاب
بذى لجب رسول الله فيهم
كتيبته تعرض للضراب

قُلتُ : وعلق في الشرح على هذه « الاورال » اجبل ثلاثة سود بجانبها ماء لبني عبد الله بن دارم » .

وهنا استوقفنى خاطر خاطف اذ من المعروف ان في « شمال آسيا » وفي محيط المناطق الروسية ما يطلق عليه هذا الاسم ــ نفسه ــ ويقال عنه « جبال الاورال » .. وهي سلسلة عظيمة ــ ومنها ينصب نهر بنفس الاسم ينحدر إلي بحر (قزوين) . وترتفع فيها قمة تبلغ (١٦٥٦) مترا كما ان النهر يبلغ طوله (٢٣٥٠) مترا ..

وكنت من قبل أحسب هذه الجبال هنا وهناك مباءة للحيوان المعروف ، وهو (الورل) فسميت بذلك ، ولكثرتها قيل (أورال) !!

غير أن ما قرأته في (**شعر بن مرداس** وشرحه) .. جعلني أتساءل عما اذا كانت فتوحات العرب في صدر الإسلام ، وقد اوغلت في تخوم الشرق والغرب والشمال والجنوب .. قد حملت معها هذا الاسم من قلب الحجاز إلي تلك الاصقاع للتشابه في الوصف .. والاسوداد في اللون ــ أم ان هذه التسمية انما جاءت (عفوا) ، و (مصادفة) و (اتفاقا) ؟ وتغلب لدى ، الظن أو الاحتمال الأول .. لأسباب شتى منها ان كثيراً من اسماء البلدان والقرى .. والأماكن .. قد انتقل فعلاً إلي البلدان المفتوحة مع الغزاة الفاتحين ، وفي (الاندلس) قديما الشاهد الأول .. كما في « العالم الجديد » حديثاً .. الشاهد الأخير .. فماذا يرى في هذا مؤلفنا الملهم ؟ .. وهل لهذا التقدير أو التصوير مبرر لديه ؟ وأرجو ان يسعف سيادته القراء ــ بما يرجحه ــ من الرأي الصائب في ذلك ، فهو به أبصر ، وعليه اقدر ــ وما (**ينبئك مثل خبير**)[1] .

١٦٩٧ فـ هذا من ذاك « حقل » ايضـــا

لاحظت اثناء استغراقي في هذه الموسوعة الكبرى التي جمعت شمل (**بنى سليم**) أصلاً وفرعاً .. وصعوداً ــ وهبوطاً .. وهجرة واقامة .. بما وفق الله إليه علامتنا الجليل صاحب المنهل الاغر .. في مؤلفه الجامع المانع .. الرائع الماتع .. (**بنو سليم**) .. لاحظت ما أورده في موضوع (وادى حقل) .. وما استشهد به من أقوال الشعراء .. وانه بما قال عنه (**العباس بن مرداس**) : في حقل سليم ومنازلها ..

وما روضة من روض (حقل) تمتعت
(عرارا) مطباقا ونخلا توائمـــا

وبما قال ابن (**الدمينة**) **الخثعمي** في حقل اليمن :

واشتـاق للبرق اليماني اذا غدا
وازداد شوقا ان تهب جنـوب
و (بالحقل) من صنعاء كان مطافها
كذوبا ــ وهو أول المقام كذوب

وبما قال الرحالة الكبير الاستاذ **محمد عبد الحميد مرداد** في (حقل ايلة) وشاهده عليه قول **كثير** :

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلاً
(بحقل) لكم ياعز قد زانتا (حقلاً)

فان المؤلف الجليل ــ يتساءل فيقول : « فهل (حقل) الوادي الذي كان من منازل سليم ــ وهو بقرب هذا الساحل ؟ أو هو (واد يصب في الساحل) ؟ أو هو غيرهما ؟ اسئلة تحتاج الاجابة

---

(١) (المنهل) : رائعة جداً ملاحظات الأستاذ الجليل الطلعة أمد الله في عمره وأبقاه ذخراً .. وأن رئيس التحرير مؤيد له فيما ذكره واستنتجه واستدل عليه بدلائل مقروءة ومشاهدة . وماذا يمنع اذن أن يكون اسم جبال الأورال في روسيا مقتبسا من اسم جبال الأورال في بلاد بني سليم ؟ ولدينا دلائل وفيرة على ثبوت نقل اسماء المسميات في ديار الغرب والشرق إلي اسماء المسميات في بلاد العرب بما طفحت به كتب الشرق والغرب معاً .. وذلك اثناء استبحار حضارة العرب الاسلامية ووقوفها وحدها قمة شامخة للحضارة الانسانية جمعاء اذ ذاك حتى أن ملك صقلية الأوروبي اتخذ من اللغة العربية لغة لدواوينه ومن رجالها وزراء لدولته وقس عليه شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً .

عليها إلي مزيد من التحقيق العميق » . واردف ذلك بقوله حفظه الله : « على ان التاريخ قد ذكر لنا ان **قيس بن خزاعي السليمى** قد تأمر لقيصر على فلسطين » .

قُلْتُ : وأرى سيادته قد ظفر بالاجابة على ما تساءل عنه بجملته الختامية انفا .. فما يزال (حقل) منازل **بني سليم** في مكانه .. وكذلك (حقل) صنعاء .. فاما أن يكون في (ايلة) حقل ثالث .. كما هو الواقع فعلا فلا منافاة .. بين الحقول الثلاثة .. وأحسب ان علة تسمية (حقل ايلة) .. انما هي اشتياق الأمير **السلمي** إلي دياره . فأطلق أحب أوديتها إليه على ما كان صاحب سلطان فيه .. وهي من سنن العرب قديما كما اسلفنا في (الأورال) .. الشمالي وفي (الفردوس المفقود) .. وفي (الدنيا الجديدة) .. من تسمية بعض أريافها ومدنها وقراها باسماء عربية شرقية .. كما لا يحتاج ذلك إلي الدليل .

وفي وادي (الاردن) اليوم منطقة استحدث فيها اسم جديد لمنطقة خصبة هي (الرصيفة) ، وما كانت قبل العشرينات أو الثلاثينات معروفة به .. وانما هي .. (رصيفة) مكة وفي جنوبها .. وهذه كتلك عند التأمل .

ولقد استوقفني في بيت (**العباس بن مرداس**) المذكور انفا أنه جعل من نبات (حقله) العرار ..

وما عرفناه من قبل ومن بعد الا (نجديا » .. فأما في الحجاز .. فان المعروف في سرواته « العرعر » .. وتأولت ذلك بأن من ديار بني سليم ما كان في نطاق (نجد) .. وتربته وخواصه .. فالا يكن ذلك .. فانه استرواح له وتمجد به .. وسقى الله ديار العرب عامة وبني سليم وهنيئاً لهم بماضيهم المغدق وحاضرهم المونق .. ومستقبلهم المشرق .. ورحم الله الرائد القائد (الفيصل بن عبدالعزيز) مناراً لكل خير وعز وتقدم وازدهار .. رحمه الله ..

(١٦٩٨) الثمر والزبد

قرأت في كتاب « الجمان .. في تشبيهات القرآن » **لابن ناقيا البغدادي** (٤١٠ — ٤٨٥ هـ) .. شاهداً أورده لأحد الأعراب قال :

وتمر كأطفال الزنوج اثوابها وقد عمموا بالزبد منها رؤسها
فما زالت الأنياب تفري بطونها كما فرت الاساد منها فريسها

وقد اورد هنا في كلامه عن شجرة الزقوم « أن الزقوم كل ما أكل بتكره شديد » ومن هنا غلط بعض المشركين فأتى بتمر وزبد وقال : ما نعرف الزقوم الا هذا فتزقموا أي املؤوا به أفواهكم » .

قُلْتُ : وقد نعمت بذلك في رحلاتي إلي قلب الجزيرة العربية — الرياض — قبل نحو من ٣٧ سنة خلت ! وما وجدته الا ثمة .. وهم يجعلون منه — (فكوك الريق) — في السحر أو بعد صلاة الفجر مباشرة .. ويتناولون معه أكواب القهوة .. الممتازة .. وناهيك به من طعام لا تمله الأفواه والاسنان .. لا سيما في فصل الشتاء .. وبين الاغصان والافنان وهي عادة قديمة يدل على

عراقتها هذان البيتان ، ونسأل الله تعالى دوام نعمته مع الشكران .

١٦٩٩ كيف اصبحت ؟

قال **ابن شاكر الكتبي** : وهو يترجم (**ابا العالية الشامي** المتوفى سنة ٢٤٠ هـ « وحدث **المبرد** قال : قال **الجماز لأبي العالية** كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت على غير ما يحب الله ، وغير ما أحب أنا ، وغير ما يحب الشيطان ! لأن الله عز وجل يحب ان أطيعه ولا اعصيه ، ولست كذلك ! وأنا أحب أن أكون على غاية الجدة والعروة ! ولست كذلك .. وابليس يحب أن أكون منهمكا في المعاصي واللذات ، ولست كذلك) اهـ .

قُلْتُ : فهذه كلمة : كيف أصبحت ـ وكيف أمسيت » يرجع تداولها إلي ما قبل الف ومائة سنة .. بنفس الصيغة والعبارة وقد ورد في الحديث النبوي الشريف :

« اذا أصبحت آمنا في سربك ، معافى في بدنك ، عندك قوت يومك فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها » والحمد لِلّه على نعمتة . ونسأله الهداية والرعاية والتوفيق إلي ما يحبه ويرضاه .

١٧٠٠ روائح الجنة في الشباب

لأبي العتاهية ارجوزة شهيرة تعرف بذات الأمثال .. قالوا انها أربعة الاف مثل لم يبلغنا منها الا نحو خمسين بيتا ـ كما جاء في الأغاني ـ وقد روي عن (الجاحظ) أنه سمع من ينشدها حتى أتي على قوله :

يا للشباب المرح التصابي
روائح الجنة في الشباب

فقال للمنشد : قف . ثم قال : «انظروا إلى قوله : (روائح الجنة في الشباب) فان له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الالسنة الا بعد التطويل وادامة التفكير ، وخير المعاني ما كان القلب الي قبوله أسرع من اللسان إلي وصفه » اهـ .

قُلْتُ : ويطول اسفنا على ما فرطنا في جنب الله .. فما تكون روائح الجنة الا في الشباب المتدين .. المترقب .. المتأوب .. والمتأدب بأدب الدين والدنيا .. والمغتنم لنشاطه وصحته .. وقوته .. وما منحه الله من المواهب وقيامه بشكر من اغدق عليه نعمة الحياة والصحة والشباب وهداه إلي سبيل الرشاد ، و « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » .

١٧٠١ زبدية الدجاج

روي **المحي** في خلاصة الأثر : ان **الشريف أبا طالب بن حسن بن أبي نمي** المولود سنة ٩٦٥ هـ والمتوفي سنة ١٠١٢ هـ قدم قبل توليه أمارة مكة إلي المدينة المنورة فنزل مع حاشيته على رجل يقال له السوداني .. فذبح الذبائح .. وبسط الموائد .. ثم بلغه ان الشريف أبا طالب لم يأكل من ذلك الطعام ، ولم يحضره لشغل عرض له ، فعمد السوداني إلي أربع أو خمس دجاجات فذبحها وطبخها وقدمها في (زبدية) كبيرة من الصيني ! وجاء بها إليه ، وقال : يا سيدي هذا عشاء عبدك اجبر بخاطره .. جبر الله خاطرك ! فغسل الشريف

يده ، وأكل من تلك (الزبدية) لقيمات .. ودعا له .. فلما ولى الامارة وفد عليه السوداني بعد سنة .. فقال له الشريف « الزبدية » التي تعشينا فيها عندك ؟ » فقال : نعم ! قال ائتنى بها فملأها له ذهباً ، وله كثير من هذا القبيل » اهـ .

قُلْتُ : وكذلك يجازي المعروف واصطناعه . وفي الحكاية ما يدل على ان ما نسميه (بالزبدية) قديم الاستعمال .. وأيضاً هذا (الصيني) .. الذي كان استيراده من بلاد الصين .. وأصبح الآن في كل شرق وغرب .. وبهذه المناسبة اذكر ان أهل مكة كانوا يتخذون رفوفاً في مجالس الاستقبال ويصفون فيها ما يملكون من أصناف (الصينى) كتحف معروضة للانظار لأن اقتناءها كان عزيزاً على غير ذوي الثراء ! وقد زالت هذه العادة في كل دار [1] .

(١٧٠٢) ديوان ابن المقرب

قليل من يعرف ان مطبعة مكة المكرمة التي اسست لأول مرة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري كانت قد استفتحت بطبع (ديوان أبي عبد الله جمال الدين بن المقرب العيوني المولود سنة ٥٧٢ هـ والمتوفي بالبحرين سنة ٦٢٩ هـ وكان ذلك في عام ١٣٠٧ هـ .. أما الأول فكان قد سبقه وأحسبه في سنة ١٣٠٠ هـ أو ١٣٠٣ هـ وطبعت أيضاً طبعات حجرية وأخرى بالحروف المسبوكة ! ومن المناسب جمع نماذج من كل ما صدر منها والاحتفاظ به في مكتبة (مكة المكرمة) مع كل ما أصدرته مطابعها القديمة والحديثة .. ولعل من يهمهم الأمر لا يضنون عليه ببعض المجهود .

(١٧٠٣) مثل الرزق

قال أبو عبد الله **محمد بن ادريس** المعروف (**بابن مرج الكحل**) **الاندلس** المولود سنة ٥٥٤ هـ .. والمتوفي سنة ٦٣٤ هـ :

مثل الرزق الذي تطلبه ... مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعا ... واذا وليت عنه تبعك

قُلْتُ : انه تشبيه بديع لا يوفق إليه الشعراء الا نادرا وما أحسبه يتعارض مع السعي والحركة في ابتغاء الرزق .. قال الله تعالى : ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ . وكما قال أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه **لأهل** الصفة : « ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » .. ومع ذلك السعي فانه لن يبلغ به الا ما هو مقدور له وهو الذي يتبعه كالظل » .

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ . صدق الله العظيم .

(١٧٠٤) بدر في حنين

قال **ابن نباتة جمال الدين** المولود سنة ٦٨٦ هـ والمتوفي سنة ٧٦٨ هـ :

وبدر في حنين جاء يسطو ... بسيف اللحظ ، والخط الرديني
فأنَّي نشكر القتلى ! وبدر ... اتانا وهو يخطر في حنين ؟!

(١) (المنهل) : وكذلك كانت العادة في المدينة ثم زالت في مبادىء عهد التطور الحالي إلي ما قبل نحو خمسين عاماً خلت ، والعادات كأصحابها من الناس تولد ثم توأد .

قُلْتُ : وهكذا كانت المحسنات اللفظية رائجة نافقة .. ولكنها مع ذلك لا تخلو من حس مرهف .. ولماحية لطيفة ، وأدب ماتع .. أما اليوم فما لذلك او مثله من مجبذ أو دافع ، (وكل كاسدة يوما لها سوق) ! وربما يأتي زمان ينظر فيه أهله إلي ادب عصرنا هذا بنفس المنظار ، ولا خيار في ذلك ولا اختيار .. فهو من طبع الأحياء ماتعاقب الفلك الدوار .

(١٧٠٥) فلان زنقر بعرة

يطلقون في اللغة الدارجة هذه الجملة المتداولة أو هذا الوصف الممقوت على كل أحمق طائش ضيق الصدر .. عديم الاثارة .. وكل صاخب صارخ !! وطابخ نافخ ! ما أن يفاجأ بما يكره من التوافه حتى يلج ويهيج ، ويثير الجدل والضجيج فيما لا يحتمل ذلك من سفاسف الأمور .

هذا ما يراد به — فيما رأينا وسمعنا — أما أصله فلم نعثر عليه في الأدب أو (اللغة أو الأمثال ! والذي يظهر ان « الزنقر » هو هذه الشوكة الصغيرة ذات الرأس البارز كالابرة في كل بعرة .. من بعر المعز ، أو الغنم ولعل الغرض من هذا التشبيه الحقير .. والتصغير والايلام والتعزير .. ومن ذلك « الزنقرة » ، وهي التعصب والتعنت ، والتغضب ، هذا و (من حفظ حجة على من لم يحفظ) .

(١٧٠٦) ست جاريتين على قلي بيضتين

هذا مثل عامي يتردد في البيوت من عهود قديمة .. ولا يراعى فيه نَحْوُ سيبويه ولا نفطويه « وانما تقوله السيدات اذا رأين حيرة .. أو جهلاً ، أو كسلاً ممن يتجمعن في المطبخ لطهي طعام بسيط !! وقد اخذ استعماله يتلاشى بعد ان لم يعد هناك (جوار) حتى ولا (خادمات) وقد تولت ربات المنازل — بأنفسهن كل ما دق وجل .. وشؤون تدبير المنزل .. ويسرت الأجهزة الكهربائية و (البوتاجازات) قَلْي كُلَّ ما يقلى وسَلْق كل ما يُسْلَق وطَبْخَ كل ما يطبخ من بَيْض ولحم وشحم وعظم . فلا يستغرق ذلك من الوقت أكثر من دقائق معدودات !! وبذلك مُحِيَ هذا المثل من الوجود .. ولم يعد له محل بين (الكوانين) والحلل . ولا بين فصفصة الثوم ولا فرم البصل ، ورحم الله **ابن الوردي** اذ يقول :

قيمة الانسان ما يحسنه
أكثر الانسان منه أم أقل

(١٧٠٧) أحذية اهل جدة من جلد العنبر

قال في تاج العروس : وفي الحديث « أن **النبي** ﷺ بعث سرية إلي ناحية (السيف) بكسر السين .. (أي شاطيء البحر) .. فألقى الله لهم دابة يقال لها العنبر .. فأكل منها جماعة السرية شهراً حتى سمنوا .

قال (الصاغاني) : ورأيت أهل جدة يحتذون

أحذية من جلد العنبر ـ فيكون أقوى وأبقى ما يتخذ منه وأصلب .

وقد اتخذت أنا حذاء من جلده .. اهـ .

قُلْتُ : والغريب اننا لم نسمع بهذا النوع منذ وجدنا حتى الآن .. فهل انقرض « حوت العنبر » من البحر الأحمر .. أم انتقل إلي المحيطات .. لأن **الأزهرى** يقول : ان العنبر سمكة بحرية يبلغ طولها خمسين ذراعاً .

اللهم الا أن يكون قد تبدل اسمه أو صغر حجمه .. ولعلنا نجد شرحاً كافياً من ذوى العلم بالأحياء البحرية في عصرنا هذا فينير لنا الحقيقة . ولِلّه في خلقه شئون .

(١٧٠٨) من طقطق لسلام عليكم

هذه جملة تكاد تكون مثلاً معروفاً وهي متداولة يومياً في أحاديث الناس .. خاصة بين النساء ! وهي تعني ان شخصاً ما منهم أو منهن .. ما تتبل الفولة فى فمه فهو يحكي كل ما رأي وسمع .. من حين يطقطق باب المزور .. بضم الزاي .. إلي ان يقول له : « السلام عليكم » مستأذنا بالانصراف .. فلا تفوته شاردة ولا واردة الا ويقصها على رفاقه .. أو من يشاركه في الاستماع !! مع ان « المجالس بالأمانة » الا أنها عادة للبعض .. متأصلة فيه ، لا يقبلها منها الا الاحتراز .. لمن لا يريد ان يكون موضوع اسهاب أو ايجاز وقد أخذ يتضاءل بحمد الله هذا الطراز .. وضاق الوقت فيه على من يهمه العمل والانجاز ، ونعوذ بالله من كل هماز لماز . و « من ادخل الجنة فقد فاز » .

(١٧٠٩) يخي غور

مما لا يخلو منه كلام الناس في عصرنا هذا .. قول الأب لولده أو خادمه .. أو محدثه .. (يخي غور) وفصيحها .. (ياأخي غر) . و (غر) في الأساس فعل أمر من (غار) الماء يغور) بمعنى يهبط إلي الاغوار ويضمحل وهي ذات أصل عربي صحيح ؟ وذلك عندما لا يطمئن إلي قوله أو عمله أو حديثه وينكر عليه ما قاله أو عمله أو تحدث به .. أو زعمه وادعاه . وتجاوز فيه مداه .

أما كيف هي صحيحة ؟. فانها من (الغور) .. وهو ما يقابل (النجد) .. والغور هو المنحدر المطمئن من الأرض ، والكهف ، فاذا قال أحدهم (غور) .. يعني (اختف) أو (استر نفسك) فهي مبالغة في الانكار عليه .. ومن فضل الله تعالى ان هذه الكلمة قد (غارت) هي بدورها !!! فما بقى الا من ينجد ولا يغور ، ويفلح ولا يبور ! وإلي الله عاقبة الأمور .

(١٧١٠) أوه ثم « واها »

أما (اوه) بضم الألف .. فهي كلمة توجع (لغة) .. وما زالت تمثل نفس المعنى في متداول العامة والخاصة . حتى اليوم . وهي أيضاً قد اكتسبت مع الزمن معلولاً جديداً أو اضافياً وهو التضجر .. والاستغراب معاً !!

أما (واها) فهي كلمة تعجب واستطابة .. (لغة) .. وطرأ عليها التحريف لفظاً ومعنى .. فقد اسقطت منها الالف الأخيرة ! ومثلت غير ما كانت تدل عليه قديماً .. فهي الآن « واه » أو

« وه » بحذف الالفين كليهما .. وأكثر ما تتردد في الأوساط النسائية . ويقصد بها (الاندهاش) والاستنكار .. ومن هنا تتفق مع تعريفها اللغوي من حيث انها للتعجب لا الاعجاب ولكن هل يستطيع الرجل أو الفتى أن يقول (وه) ؟ كلا !!! فما يجوز لهما ذلك عرفاً ، والا حدجتهما الابصار .. وعدا من ذوات الدملج والسوار ، وما يليق النطق بها أي (وه) الا للعوانك والعواتق ؟ ومن هي هند ودعد ونوار !!

(١٧١١) حسن الاصغاء

قال **أحمد بن أبي دؤاد** ، **لأبي العيناء اليمامي البصير** المولود سنة ١٩١ هـ والمتوفي سنة ٢٨٣ هـ : « ما أصابك : في ذهاب بصرك ؟ فقال : ابدا بالسلام ، وكنت أحب أن أكون أنا المبتدئ ، واحدا من لا يقبل على حديثي ، ولو رأيته لم أقبل عليه » اهـ . فقال له **أحمد بن أبي دؤاد** : أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل نيتك له ، وأما من أعرض عن حديثك .. فإنما أكسب نفسه من سوء الأدب أكثر مما نالك من سوء الإعراض » . اهـ .

قُلْتُ : فهذا الرجل البصير .. لم ير مصيبته نزلت به — بفقد بصره — تعادل الحزازة على من أقبل عليه بالحديث فأعرض عنه ولو كان ينظر إليه ورأي اعراضه .. لازور عنه .. وحرمه منه .. فما رأي أهل النظر فيما غلب على الناس من رجال ونساء من هذه المآخذ ؟! وفيمن يتكلمون جميعاً في ان واحد ؟! وفيمن يقطعون الحديث .. على المتحدث استخفافاً به أو بحديثه ؟ أو عدم مبالاة بأثر ذلك في نفسه !!! اللهم اهدنا سواء السبيل ، وعلمنا حسن الحديث والهمنا حسن الاستماع ..

(١٧١٢) عقل الحنطة

جاء في كتاب (المصون) **لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري** المتوفي سنة ٣٨٢ ه ما نصه : (أخبرنا **محمد بن يحيى** قال) : حدثنا **علي بن الصباح** عن **أبي محكم** قال : (دخل **سلمة بن غيلان الثقفي** في ناس من العرب على كسري فطرح لهم مخاد عليها صورته فوضعوها تحتهم .. الا **سلمة بن غيلان** فانه وضعها على رأسه ؟ فقال له : ما صنعت ؟ قال : ليس حق ما عليه صورة الملك أن يبتذل .. وما أجد في جسدي عضواً — لا أكرم ولا أرفع من رأسي فجعلتها فوقه . فقال له : ما أكلك ؟ فقال : الحنطة ، فقال : هذا عقل الحنطة) .

قُلْتُ : في الرواية ما يبرهن على ذكاء وأدب الأعراب من جهة .. وفيها ما يفيد ان الحنطة ذات تأثير في تغذية العقل .. ولا سيما ان كانت من تلك التي كانت تسمى الطائفية أو (النقرة) .. وقد كادت تنقرض الا اننا نطمع في أن تعود إلي أوفر مما كانت بعناية الله ثم برعاية وزارة الزراعة .. وأحسبها هي التي قيل عنها في **عبد الله بن جدعان** :

له ردح من الشيزي ملء
لباب البر يلبك بالشهاد

وكلاهما من إنتاج (الشفا) منذ القديم ولعلهما ايسر في نبوغ من يفخر التاريخ بهم من رجالات ثقيف ، وحتى الحب الهميس الذي يرد إلي الأسواق بكميات وافرة لم يعد له من أثر وانما يستهلك محلياً في السراة .

(١٧١٣) اجرة الخان في بغداد

قبل الف سنة أو تزيد كانت الفنادق في بلاد الإسلام منتشرة في جميع الاصقاع .. وكان بعضها يطلق عليه الخان [١] .. ومما رواه صاحب (المصون) أن **محمد بن زكريا** قال كنا عند **ابن عائشة** : فأتي كتاب ابنه في بغداد يشكو أنه اخفق فيما فعل . وكان في أخر كتابه : (يا أبة) :

انـــــــا في الخان ادوي
كـــــل يـــــوم درهـــــمين
نازل فيـــــه على نفسي
على سخنـــــــــة عين
واراني عن قليـــــــــل
لابســـــا خفـــــي حنـــــين

فقال **ابن عائشة** : لا يدع ابنى ظرفه .

قُلْتُ : ومنها نعرف ان سعر النزول في الخان أو الفندق يكلف كل يوم درهمين .. فقط ومع ذلك استغلاه ــ وحسبه من غلائه سيضطره أن يعود بخفى حنين ، وربما كان ذلك أجرة للمبيت والمقيل .. والوجبات الغذائية كلها أو بعضها ..

فكيف به لو طلب منه الف درهم أو خمسمائة يومياً كما هو الحال في زماننا هذا !!

(١) ــ المنهل ــ في كتابنا (مع ابن جبير في رحلته) فصلنا أن الفندق يسمى في الأندلس والمغرب ومصر والجزيرة العربية باسم (الفندق) ويسمى بلهجات أهل العراق وسورية باسم (الخان) . فالخان نفسه هو الفندق ذاته .. كل خان فندق ، وكل فندق خان .

(١٧١٤) كلمة بالغـــة

قال **الجاحظ** : كان **اكثم بن صيفي** يقف (بالموسم) كل سنة .. فيتكلم بكلام يحمل عنه .. فقال مرة : « من نال رتبة فتاه عندها فقد أظهر انه نال فوق ما يستحق » .

قُلْتُ : انها لتجربة لم تتبدل منذ عرفها اكثم ومن ارتاب فيها فقد أهدر كرامته حتى يراها في نفسه بعد ان يندم .. ولات ساعة مندم ..

(١٧١٥) نصيحة زياد

حدثنا **ابن زيد** : عن **الرياشي** عن **العتبي** قال : قال **زياد** : « انني رأيت خلالا ثلاثاً بدرت إليكم فيهن بالنصيحة . اعظام ذوي الشرف ، واحلال ذوي العلم ، وتوقير الاسنان ــ والله لا اوتي بوضيع لم يعرف لشريف شرفه الا عاقبته .. ولا يأتيني كهل بحدث لم يعرف له فضل علمه على حداثته الا عاقبته له .. ولا يأتينى عالم عاقل بجاهل لم يعرف له فضل علمه على جهلة الاعاقبته .. فانما الناس بعلمائهم واعلامهم وذوي أسنانهم ثم تمثل بقول الشاعر :

تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت
فان تولت فبــالاشرار تنقـــــاد
لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم
ولاسراة اذا جهـــــالهم سادوا

قُلْتُ : ولا تحتاج هذه الشذرة إلي تعليق فقد تضمن لنا كل ما فيها أدب الإسلام . وعدل الحكام وما زالت هذه الخصال محل الرعاية من الجميع والحمد لِلّه رب العالمين .

١٧١٦ عبدالله بن صالح والرشيد

قيل للرشيد : ان عبد الملك بن صالح يعد كلامه ويفكر فيه ، فلذلك بانت بلاغته فأنكر الرشيد ذلك وقال : بل طبع فيه ، ثم أمسك ، حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل بن الربيع : اذا قرب من سريري فقل له : ولد لأمير المؤمنين هذه الليلة ابن ومات ابن .. ففعل الفضل ذلك قال : فدنا عبد الملك فقال ! يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك .. وجعلها واحدة بواحدة ثواب الشاكر ، واجر الصابر .. فلما خرج قال الرشيد : هذا الذي زعموا أنه يتصنع للكلام : ما رأي الناس اطبع من عبد الله : في الفصاحة ..

قُلتُ : ما أوجز وأعجز هذا البيان المرتجل وما هو الا السهل الممتنع وسبحان الواهب المنعم والمانح الملهم .. الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم .. جل وعلا .

١٧١٧ « الكويكر » طعام نبوي

« جاء الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر إلي سلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فقالوا لها : اصنعي لنا طعاماً مما كان يعجب رسول الله ﷺ ويحسن أكله ، فقالت : يا بنى لا يشتهنه اليوم ! قالوا : بلى ، اصنعيه لنا، قال : فقامت فطحنت شعيراً وجعلته في قدر ، وصبت عليه شيئاً من الزيت ودقت عليه الفلفل والتوابل ، وقربته إليهم .. وقالت : هذا ما كان يعجب رسول الله ﷺ » .

(بهجة المحافل)

قُلتُ : وبهذا الوصف فان هذا الطعام الذي كان يعجب رسول الله ﷺ ، انما هو ما يسمى في زماننا هذا : (شربة) أو حساء (الكويكر) المعلب ، فهو من الشعير ، واذا طبخ أضيف إليه شيء من الدهن .. زيتاً أو سمناً وقليل من البهارات وهو خفيف لطيف لا يكظ ولا يلظ .. وان يكن زاد فيه مالم يوصف .. فانه قطع من اللحم أو الدجاج وكأني بالناس جميعاً قد اختاروه بعد أن اختبروه وآثروه .. (فليتكوكر) المعمودون .. فانهم بالراحة والهضم لموعودون — وبه يتعودون .. ويتعودون — وفاز المخفون ، وفي « الاشنان » — غناء عن « الصابون » ..

١٧١٨ الأطراف - منازل الأشراف

جاء في خزانة الأدب ، ومن الشعر المطبوع قول **البحتري** :

عجب الناس لاعتزالي وفي الا طراف تلقي منازل الأشراف
وقعودي عن التقلب والار ض لمثلي رحيبة الاكناف
ليست من ثروة بلغت مداها غير أني امرؤ كفاني كفافي

قال **الحموي** : قيل لبعضهم في أي موضع من القرآن : (الاطراف منازل الأشراف) .. فأجاب في قوله تعالى : ﴿ **وجاء من أقصى المدينة**

رجل يسعى ، قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ فهذا أشرفهم (وقد كان رسول الله ﷺ يسكن أقصى المدينة) .

قُلْتُ : وقد كنا نسمع هذه الجملة من القدامي هكذا (الاطراف منازل الأشراف يقصدهم الناس بالحاجة ويقصدونهم بالفضل) .

وهنا لابد من الاشارة إلي ان الأطراف لم تعد كما كانت في القرون الماضية بعد ان اتسعت المدن ، وقربت المسافات بالسيارات فهي كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها المهم الا ما انقطع عن العمران .. ثم اتصل بعد « رمية حجر » .

(١٧١٩) أين الصــواب

رفع رجل من بني **هاشم** يدعي **عبد الصمد** صوته في مجلس **المأمون** ، فقال له : « لا ترفع صوتك يا عبد الصمد ان الاطراب في الأسد .. لافي الاشد »

قُلْتُ : أنها لحكمة لا تقدر بثمن ، وما احوجنا جميعاً بالاخذ بها في أحاديثنا ومجتمعاتنا ، ومداولاتنا ، ومناقشاتنا .. فمازالت عادة « الصوت المرتفع » .. أو الصياح .. غالبة في كثير من الأوساط .

ولقد جمعتني حفلة خاصة في العام الماضي ، لتكريم عضو رابطة العالم الإسلامي ورئيس وزراء اندونيسيا معه أكثر من ساعتين إلي ثلاث ، في حديث ماتع يتصل بالإسلام والمسلمين ، فأدهشني أسلوبه في الحديث ، فما يكاد محدثه يسمعه الا باصغاء عظيم ، وكانت كلماته كأنما هي مفصلة من العسجد أو الديباج .. رغم أنها تترجم لنا من الاندونوسية إلي العربية ، بترجمان بارع حاذق أمين ، هو سكرتيره الخاص ..

حقا ان من اللجاج ما يجلب النقمة والانزعاج والارتاج والارتجاج .. فكلما اكتمل العقل ونضج ، كان حظه الفوز والظفر والفلح .. فهل نطمع ان نتحلى بحسن الانصات ، وخفض الاصوات ؟ . فيكون ذلك لنا ميزة عند احتدام اللغط ، وتسقط الهنات ؟. وما زلنا نرى أحسن الاسوة فيمن اذا تحدثوا .. فكأنما على رؤوسهم الطير .. وفي ذلك لنا الخير كل الخير ..

(١٧٢٠) « الزلابية » وابن الرومي

قال أبو الحسن علي بن العباس الرومي (٢٢١ — ٢٨٣ هـ)، أي قبل الف ومائة عام :

ما انس لا أنس خبازاً ، مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح للبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة
في لجة الماء يرمي فيه بالحجر

قدلا ينطق هذا الوصف فيما شهدناه الا على ما يسميه الناس (الزلابية) وهي هي نفسها والتساؤل هو عن هذه التسمية (الزلابية) .. فما أحسبها عربية ولعلها من الدخيل المعرب ، وقد كانت متوافرة مع (اللقيمات) في أكثر الأسواق ولكنها انكمشت حتى لا تكاد ترى [١] الا في (صبحات) الزفاف .. كطعام تقليدي لا غناء عنه مع الجبن الأبيض المملح .. و « الشيرة » .. وهذه أيضاً ملحقة بتلك في الاستفهام ، وان كان

هناك ما يشفع لهما في الاستيهام ! فانه الالتذاذبهما عند الالتهام و (عقبال) الافراح عند أخواننا القراء الكرام ولا حاجة « لخوتة الدماغ » ، ولا لمضغ الكلام .

(١٧٢١) الا ما افصحهم

كنت استمع إلي المعلمين ــ البنائين أيام الحجر والحداد والطين ، وهم يعتلون « سقائلهم » ومن حولهم في الأرض من يسمونه (بالقرارية) ومن بعدهم (الفلاتية) .. ومن ورائهم أو أمامهم العمال الذين يحملون المؤن ويرفعونها إليهم ..

وكثير ما اكتسبته منهم ــ من حيث المصطلحات التي يتنادون بها أو يرددونها اثناء البناء ــ فمن ذلك قولهم ــ اذا أرادوا ضبط واتقان الرص وتمكينه .. « وسده أو طمنه » أو اذا اتموه قالوا ! « كحله ــ أو مسده » يعنون مسده بالملاعق التي هي اداة البناء ، وقديما قال الشاعر :

العنبري الجعد ابقى من حجر
لا يشتكي الشر وان كان بشر

وقد حفظت من ذلك عددا كبيراً من الفاظهم .. وكنت أعجب كل العجب .. من أنها ذات مدلولات لغوية صحيحة فصيحة ، وقد كان من جملة ذلك أنهم يطلقون على الحجر الغشيم .. أو المنحوت من الجبال كلمة (حجر) فقط فاذا هذبت اطرافه وحواشيه سموه (حدة) لاستقامة اطرافه ولا يصلح الأول الا في (الدك) والأساس والبطائن .. أما الواجهات فلا بد لها من الحداد المشذبة .

ويطلقون على الحجارة الصغيرة أيضاً اسماء أخرى هي ! (الحشو) .. و (النقل) وهما معدان لاستقرار المدماك واسناده من فوقه ومن تحته ومن جوانبه حتى يستوى مع مجاوره دون اضطراب .

وفي مطالعة عابرة في (كتاب الأمثال) **لأبي فيد** مؤرج بن **عمر السدوسي** سنة ٤٨ هـ . وهو الذي حققه وقدم له الاستاذ الكبير الدكتور **أحمد محمد الضبيب** الأستاذ بكلية الأداب بجامعة الرياض شكر الله له سعيه ، ظفرت لأول مرة بكلمة (النقل) ، فاذا هى دارجة ومستعملة ، قبل ألف ومائتي عام .. قال مؤرج .

يقول أهل الحجاز .

« ٩٩ ــ اقد ارض فلان أرضه . وذلك اذا نقاها من الحجارة ، و (النقل) وأصول الشجر ومن كل جذل » .

قُلْتُ : وقد وقفت على ذلك : الاما افصحهم ومما يسترعي النظر ان هذه الطائفة لم تكن من طبقات أهل العلم أو اللغة أو الأدب وانما أكثرهم العامة .. مما يدلنا على أنهم رغم العامية متأثرون بالبيئة عندما كانت سالمة من الدخيل ، ويشتد اسفي على التفريط فيما دونته قبل ثلاثين سنة من هذه المصطلحات التي هي من صميم اللغة العربية وسقي الله عهد (المدر ــ والحجر والرواشين) والبناة ، واغاريد المعلمين وأصواتهم المشجية ، والحانهم المطربة ، تلك التي كانت تستوقف المارة ، وتعينهم على الانتاج وما تخلو من محاكاة ابن سريج ومعبد والفريض رحمهم الله أجمعين ..

(١٧٢٢) حول المحسنات اللفظية قديما وحديثا

يعني أهل زماننا هذا ـ أو بالاصح .. بعضهم .. على الأدب التقليدى القديم يحسبونه غير ذي قيمة ولا جدوي !.. ويعيبونه تارة بالسجع .. وأخرى بالتورية .. والجناس .. وكل ما جاء به علم (البديع) !! ولا الوم منهم من استبدل ذلك بخير منه سواء أكان من نوعه وجنسه .. أم من أدب ممتاز غير هماز ولا لماز !! ولا ينافس ولا يكاثر .

أما وكل ما هنالك .. مجرد الازراء .. أو الازدراء .. فما أرى لهم بذلك من موجب أو داع الا .. المثل المضروب « اذا بعد عنك العنقود فقل حامض يا عنب » . وان من الاغراق في الظلم أن يحمل أحياء القرن الرابع عشر من سبقهم بمئات السنين على أن يطفروا فيعيشوا معهم في عصر البخار والكهرباء ، والذرة والفضاء ، والتكتيك ، و « المكانيك » !!

وما أجدرهم بالتوقير والتكريم .. والتقدير والاحترام اذ أنهم تركوا وراءهم ما يذكرون به من منظوم ومنثور .. وأن يوسع لهم في مجال العذر . بأنهم انما كانوا يعيشون في « بيئات » لا تستسيغ الا هذا الضرب من الشعر أو النثر .. أو الرسائل ! ولعلهم لو امتدت بهم الحياة إلي عصرنا هذا .. لكانت لهم الأولية في كل علم وفن وعمل .. فمهما قيل عنهم .. في هذا المجال فان لهم فتوحاً عظيمة في الفقه والحديث والتفسير والعلوم الدينية .. بحيث لا يبلغ الكثيرون مد أحدهم ولا نصيفه .. ممن لا يتورع عن رميهم بالجدب أو الضحولة .. أو العشولة .. رحمهم الله وأحسن مثوباتهم وما أدري أي مأخذ في قول بعضهم :

سم سمة .. تحسن آثارهـــا
واشكر لمن اعطى ولو سمسمة
والمكر مهما استطعت لاتأته
تنل بذاك الفخر والمكرمة

لا شيء الا تأنق في اللفظ .. واحكام للمعنى .. ونصيحة بالخلق الكريم .

وقول الآخر :

قل العفو ! وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام ـ لكل الانا
م فمستحسن من ذوي الجاه لين

الا يستحق قائل هذا .. أن يقال له : أحسنت ،.. على الأقل ..

وماذا ينقم منه ومن كل من هم على شاكلته .. اذا لم يجدوا أمامهم أو وراءهم .. من يرضي بغير هذا ؟.. ويعتبره تفوقاً .. لا مكابرة فيه ..

وهذا المترسل الآخر الذي هو من ائمة البيان في عصره : ضياء الدين بن الاثير صاحب كتاب (المثل السائر) .. لا يضن على نفسه بالثناء كلما استحسنت من إنشائه عبارة أو جملة .. وحق له ذلك .. فهو مكين في اللغة .. ضليع في الأدب .. محيط بالتاريخ .. متفوق على اقرانه في زمانه حتى اننى لأتذكر له جملة .. ما زلت أعجب بما فيها من الاطلاع الواسع .. قال : يصف مخدومه أو سلطانه :

(فإن طلب فكالليل الذي هو مدرك) بفتح الطاء

(وإن طلب فكالجنة التى لا يشم رائحتها مشرك) بضم الطاء

فهو بهاتين السجعتين قد أشار إلي بيت النابغة الجاهلي **ابن النعمان بن المنذر** عندما توعده[1] والي حديث نبوي كريم . فهل يدل هذا على غير سعة العلم والاحاطة والادراك ؟

وهذا ذو الوزارتين (**ابن زيدون**) الذي سارت برسائله وقصائده الركبان .. فانه خلد ذكره برسالتيه : الجدية والهزلية .. بما تضمنتاه من أحداث الأولين .. ومشاهير المتقدمين .. وما أثر عنهم من أدب عال .. ومثل شائد .. وحكمة بالغة .. فهل يملك غيره .. أن يتأثره .. أو يقتفي سبيله ؟! بعد أن طوته المنون ؟!

انها لمواهب نادرة .. وحقها علينا اذا لم تكرم أن لا تهان ! وربنا المستعان على ما يصفون .

وليسمح لي القارئ أن أورد له هنا ـــ تفكهة له وتفريحاً ـــ قول أحدهم من المزري بهم أو عليهم :

(سور حماه بربه محروس)

وليعكس قراءتها .. من آخرها إلي أولها .. فانه سيجدها كما بدأها أول مرة !! وكقول الآخر :

مودتــــه تدوم لكـــل هول
وهـــل كل مودتــه تدوم ؟

ومن ذلك ندرك مدى الشرف العقلي والسمو الفكري .. في هذا الرعيل الأول الذي ضرب في العلوم كلها بأوفر السهام ، و (الناس بأزمانهم أشبه بآبائهم) .. وقديماً قال الشاعر :

اذا محاسنـــي الـــلائى ادل بها
كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر ؟؟

واني لمع الذين يقولون ان هذا الترف .. اذا سلمنا به .. فانه لا يصلح الا في أوقات الفراغ .. والدعة .. والسلامة من المشكلات والمشاغل ، أما في زماننا هذا فلا محل له ولا مساغ ، على شرط أن يكون التأمل منصرفاً بكليته إلي ما هو خير من ذلك علماً وعملاً .. وغاية وهدفاً .. وبذراً وحصاداً .. فان لم يكن الا (هطشاً وبغشاً) (ونفخاً ونفشاً) فما أصدق ما يقول الشاعر عن مثله :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسداً وبـــغضاً انـــه لدميم

(١٧٢٣) ليس كل ما على الراس غترة

نصت كتب اللغة على أن (الغترة) بالضم تخلطها حمرة .. وهي التي كانت تستعمل أكثر ما تستعمل في نجد وبلدان الخليج .. وهي التي كان لا يستبدل بها غيرها جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ـــ رحمه الله .

فأما ما استحدث بعدها وكان أبيض اللون .. فانه بهذا الاعتبار لا يطلق عليه اسم الغترة لأنه لا اختلاط فيه بالحمرة .. فاذن يكون (صمادة) .. الا ان يفيدنا استاذنا الجليل ابو نبيه بما هو الاصح حفظه الله ورعاه [1] .

---

(١) (المنهل) وذلك في قول النابغة :

فإنك كالليـــل الـــذي هو مدركـــي
وان خلت ان المنتـــأى عنك واسع

(١) (المنهل) : نعم وأجل .. ان الرأي اللغوي الذي تحدث به أستاذنا البحاثة العلامة هو عين الصواب .. وأذكر أني كتبت عن هذا الموضوع منذ أمد ليس بالبعيد جداً في المنهل نفس هذا الرأي .. أبقى الله عالمنا وأديبنا الجليل وأطال عمره في صحة موفورة .

(١٧٢٤) قتلوني

من الكلمات الدارجة المتداولة ما يتعاقب به الزمان .. وتنطق به الأجيال .. ولا يكاد الكثير منا يعرف أصله ولا فصله .. ولا قدمه أو حداثته .. ومن ذلك قول من يضيق ذرعه بما احتمل أو حمل من أثقال مادية أو معنوية .. فنسمعه يقول (قتلوني) !

وقرأت في (بهجة المحافل) لعماد الدين العامري ، سنة ٨٥٥ هـ هذه الجملة — في بحث بناء المسجد النبوي ، قال : (قيل دخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن — فقال : يا رسول الله — (قتلوني) يحملون على ، ما لا يحملون .. فجعل رسول الله ﷺ ينفض عنه التراب ويقول ؟ ويح ابن سمية ! ليسوا بالذين يقتلونك ، انما تقتلك الفئة الباغية) ..

قلت : فهذا أساس الاستعمال لهذه الكلمة تعبيراً عن الضيق أو الضجر .. أو الشكوى من احتمال ما لا يطاق .. وقد قال جل وعلا : ﴿ **ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به .. واعف عنا واغفر لنا وارحمنا** ﴾ .. وهي عبارة أو كلمة لا تزال حية يرددها الناس في جميع البلدان العربية .. ولايؤدي معناها غيرها مع الايجاز .

(١٧٢٥) الشيخ سعيد بن المسيب والوليد بن عبد الملك

سنة ٩١ هجرية

حج الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين سنة ٩١ هـ وعمر بن عبد العزيز أمير على المدينة .. فلما وصلها دخل المسجد ينظر في بنائه .. فأخرج الناس منه فما ترك فيه أحداً ..

وبقى سعيد بن المسيب وهو من جلة التابعين .. وما عليه من الثياب لا يساوي خمسة دراهم .. فقيل له : لو قمت ! فأبي أن يقوم قبل الوقت الذي يقوم فيه ، فسألوه أن يسلم على أمير المؤمنين . فأبي أن يفعل .

قال عمر بن عبد العزيز ، فجعلت أعدل بالوليد بناحية المسجد رجاء أن لا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلي (القبلة) فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيب ؟ فقال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر ، فقال الوليد : قد علمت حاله ونحن نأتيه ونسلم عليه ، فدار في المسجد حتى وقف على المنبر ، ثم أقبل على سعيد ، فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فلم يتحرك سعيد ولم يقم وقال : بخير والحمد لِلّه ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لِلّه .

وانصرف الوليد وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : (هذا بقية الناس) .

قُلْتُ : ما أعجب هذه الأخلاق الكريمة !! وما أجمل هذا التواضع من ذوي السلطان .. ولولا أن الشيخ كان من (بقية الناس) لما مشى إليه أمير المؤمنين ولا احتمل منه — هذا الجفاء — وهذه الخشونة . ولكنه الانقطاع للعبادة .. والزهد في الدنيا ، والانصراف عن عرض هذا الأدنى ، كما هو الاعتراف بالفضل لأهله من (الوليد) .. وتقدير الرجال المتقين .. وان الله لمع الذين اتقوا والذين هم محسنون ..

١٧٢٦ دواة الكاتب

قال الامام الشافعي رضي الله عنه : « اذا أردت أن تعرف الرجل أكاتب هو ؟ فانظر أين يضع دواته ؟ فان وضعها عن شماله ، أو بين يديه .. فاعلم أنه ليس بكاتب » .. اهـ .

قُلتُ : لأن الأصل في وضع الدواة من قبل الكاتب أن تكون على يمينه .. هذا أيام الزيت والمداد الأسود والقلم البوص أو اليراع .. أما الآن فان دواته في قلمه .. ولا يضعه غالباً الا في جيبه الايسر ليتناوله بيمين يديه اذا شاء .. فذلك أيسر من وضعه في اليمين ..

ومع ذلك فكم من حامل قلم .. ومرسمة .. يصدق عليه قول الشاعر القديم :

(بليـد) في الكتابـة يدعيها
كدعوى آل حرب في زيـاد

١٧٢٧ الشافعي والرحا

جاء في حلية أبي نعيم : عن **أبي محمد قريب الشافعي** قال : حدثتني أمي ، قالت : كانت له (هنة) .. فوضعت يدها على فم الصبي ، وخرجت مبادرة — خشية اقلاقه وايقاظه — وكان الباب بعيداً ، فلم تبلغ الباب حتى اضطرب الصبي ، قالت : فلما استيقظ الشافعي قالت له أم عثمان : ويحك يا ابن ادريس ، كدت تقتل اليوم نفساً ، فاحمر وانتفخ ، وجعل يقول لها : وكيف ذاك ؟ فأخبرته الخبر ، فحلف أن لا يقيل مدة طويلة الا والرحا عند رأسه تطحن .. فكان اذا أراد أن يقيل جئنا بالرحا حتى نطحن عند رأسه .

قُلتُ : ما أعظم التروض على قوة الارادة ، فانها أصل العبادة ، فقد تفادي تكرار ما وقع للصبي وما تسبب له فيه من كتم نفسه .. أو ذهاب نفسه بهذا التهذيب الذي تكلف به ما لا يحتمل الا بمشقة عظيمة ! وأشهد ان الساعة الصغيرة أضعها إلي جانبي فتدق بخفوت يتعاقب على ذهني ليلاً .. فلا أطعم النوم حتى أبعدها ما استطعت ، واكتم صوتها .. وأتقلب كثيراً ، وأسهد بأصوات (الوزغ) و (الصراصير) والبعوض !!

١٧٢٨ البخاتي .. على الخوان

وفي كتاب (الجمان) أيضاً شاهد آخر أورده بهذا النص :

ترى البازل البختي فوق خوانه
مقطعـة أوصالـه ومفاصلـه

واستشهد أيضاً يقول لبيد :

ويكللون اذا الرياح تناوحت
شرعـاً تمد شوارعـاً أيتامهـا

قُلتُ : فهذه عشرة قرون تقريباً كرت ومرت .. ولا تزال العرب تحتفل في (الضيافة) — الجفلي بتقديم — هذه البخاتي — على الجفان الكبرى .. وفي جوفها الجذعان والهبعان ! وهي محشوة بالفراخ والدجاج .. وحولها من كل فاكهة زوجان ! وقد شهدتها في ولائم المغفور له جلالة الملك عبد العزيز تغمده الله بالرضوان ، ولا تزال هذه العادة جارية حتى يومنا هذا في المآدب العظيمة .. غير أنها فيما أظن قاصرة على الضيوف من العرب أما غيرهم فلهم ما تعودوه .. الا أنني الا حظ في هذا البيت ما يمكن

أن لا يكون أيراده بهذا النص الا تعظيماً وتفخيماً وتكريماً .. فان البازل غالباً ما يكون مرتفع السن .. ولحمه .. أقل نضجاً وأصعب هضماً .. وأتعب قضما .. وما أظن أنه يقدم دائماً من هذا القبيل بل هو غالباً ما يختار من فصائل (ابن اللبون) فما هو في لزز ، ولا انطلاق .. وانما هو للازدراد ، لا للسباق !! ..

(١٧٢٩) المفايلة في الجاهلية

قال **لبيد** في معلقته :

يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المفايل باليد

وقال الشراح : المفايل الذي يلعب لعبة الفيال — وهي أن يخبأ شيء في التراب ثم يقسم قسمين .. ويسأل عن موضع المخبوء ،.. فإذا أخطأ قيل له : فال رأيك .

قُلْتُ : سبحان الله ، لقد أدركنا في عهد الطفولة العابا من هذا القبيل .. ومنها (كبمبني ، كبمبني) وأحسبها من العاب المجاورين .. ومستحدثة .. أما المفايلة .. فانها كانت تعقد بأشكال أخرى .. وهي تغيب اللاعبين في الزوايا .. ومن ظفر بواحد منهم حل محله في اللعب والتدوير .. والركض والبحث والتنقير أو التنفير !! ولعل شيخنا الأنصارى يتذكر — ما يقابل الفيال .. أو المفايلة [1] .. وهي مما أدركناه في صورة أخرى : هي القبض على درهم أو قرش أو حصاة في احدى اليدين وقبضهما معاً — ليستخرج اللاعب المفايل بالحدس والتخمين محل اختباء الدرهم أو الحصاة !! وفرق ما بينهما ان تلك في التراب .. وهذه في البنانين !! ولعل ذلك انما كان تطويراً أيضاً .. ويرحم الله (الضاع) فقد كنا نتبينه وقد ضاع ..

(١٧٣٠) التنضباوي .. لا « الطنبداوي »

يختلف الناس في التعبير عن اسم المنطقة الغربية من مكة المؤدية إلي (الرصيفة) الواقعة خلف جبل (الحفاير) الذي عاد اليوم طريقاً ممهداً ومسفلتاً ينتهي إلي (شارع المنصور) ويبتدىء مطلعه من الشبيكة ، بعد أن كان من حارة الباب قبل تمهيده ، فهم يعبرون عن هذه الجهة باسم (**الطنبداوي**) وهو خطأ صريح لا أصل له ولا معنى .. أما الصحيح فهو (**التنضباوى**) والتنضب هو شجر عيدانه بيض ، وكان كثيراً في السهل الذي عرف به ، منذ أزمان بعيدة . وقد استرعى نظرى ، الحديث الذي أدلى به مؤرخ مكة سعادة الاستاذ الكبير الشيخ **أحمد السباعي** مد الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية لجريدة عكاظ في العدد (٣٩١٠)الصادر بتاريخ ٢٤ صفر ١٣٩٧ هـ — وجاء فيه قوله : و (**الطنبداوي**) اسم أعجمي ولعله وافد إلينا من افريقيا السوداء مع اخواننا الافارقة أو التكارنة الذين استعمروه منذ نحو سبعين سنة ، وكذلك (الهنداوية) الواقعة شمالاً منه .

قُلْتُ : وكما سبق بيانه فانه عربي قح صحيح لا

---

(١) « المنهل » ما ذكره أستاذنا العلامة البحاثة الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي أطال الله عمره في صحة وعافية هو نوع كان يسمى في المدينة المنورة لدى أطفالها وشبابها باسم « الضياع » ولعله في الأصل (ضاع) عبر به عن الضياع المرتقب والواقع للقرش أو الهللة المدسوسة في أحد اليدين ثم أدخل عليه الألف واللام باعتبار أنه صار اسما هذه اللعبة .. بالذات .

(أعجمي) وليس بوافد لا هو ولا (الهنداوية) فهي منسوبة **لآل الهنداوي** المشهورين بجدة ، ولهم مثلها محلة كبيرة معروفة بجدة .. وعلمت ان سبب تسميتها بذلك في مكة أن المرحوم الشيخ **عبد الرزاق الهنداوي** كان أول من بني فيها (دارة أو فلة) فنسبت إليه وانضم إليها غيرها واتسعت كمحلة ..

وكذلك كانت العادة قديماً اذا بنى أحدهم منزلاً أو حديقة في جهة ما وكانت قبله خلاء نسبت إليه وعرفت به .. كالمفتية والعقيلية والشبيبية والبرنجية بمكة .. ومثلها في جدة . كالبغدادية وهلم جرا والله أعلم .

(١٧٣١) الثمرات اليانعة والاختيارات الرائعة

تفضل ـــ أو أفضل أخي الكريم الأديب الكبير الاستاذ **عبد العزيز الرفاعي** فأهدى ـــ إلي أحسن الله إليه ـــ ما أصدره أخيراً من المكتبة الصغيرة التي نعتها بهذا الوصف (تواضعاً) ـــ رغم أنها كبيرة ، بأهدافها .. وهي كما قلت له في رسالة سابقة أنها كالفيتامينات المركزة .. وقد بلغت ١٩ ـــ في العدد ـــ كما سبق أن أتحفني بكل ما أصدره منها منذ العدد الأول .. ولست أجد وسيلة للشكر أكثر من الدعاء له بالصحة والعافية والتوفيق الدائم ..

هذا ـــ وارجو أن يطمئن سعادته إلي أن مشروعه هذا الجليل ينطبق عليه المثل السائر : « قليل دائم خير من كثير منقطع » و (من القطر تسيل الأودية) .. ولأن يختار فيحسن الاختيار ويوجز ما ينشر خير من أن يطيل فلا يقرأ ـــ من الأكثر شيء .

أما أسلوبه هذا فانه يستقطب اهتمام كل أديب ومتأدب وبعيد وقريب وناشيء وكهل .. فيكون الاستيعاب تاماً والافادة عامة .. وهو بنشره هذه الذخائر من التراث العربي الثمين .. قد اختار طريقة سهلة لاحيائه ، وأسأل الله تعالى أن يبلغ بها (المئات) ـــ فهي انتاج مثمر ثمين جدير بالاكبار والتقدير ، جزاه الله عن الأدب العربي الخالد ما هو جدير به من المثوبة العاجلة والأجلة بمنه وكرمه .

(١٧٣٢) لماذا يقدمون ..

مما تأثرت به ـــ أو له ـــ ورأيت من الخير ذكره في هذه الشذرة ، حادثتان لكل منهما هدف يتفق مع الأخرى ، ولا يخلوان من عظة واعتبار .

أولهما .

ما رواه أصحاب الأخبار وفي كتب الأدب والتراجم والتاريخ من أن **جعفر بن يحيى البرمكي** .. عوتب من بعض خاصته على تقديم وتكريم **الشريف الرضي** الشاعر المعروف .. على أخيه نقيب الطالبيين آنئذ في بغداد ـــ وهو من هو سنا ، وشرفاً ، ومنصباً ، وثراء ، وعلما . بعكس أخيه **الرضي** الذي كان شاعراً كبيراً ـــ مع الاملاق والمتربة .. وحفظ الكرامة .. قال الراوى : فكان اذا أقبل عليه **المرتضي** .. لم يحظ منه الا بما يجده منه عامة الناس .. دون أي تمييز أو تفضيل .

فإذا أقبل عليه (**الرضي**) الأصغر سنا منه نهض له وبالغ في اكرامه وتعزيزه وتوقيره ومشى له خطوات في استقباله .. وعند خروجه .. مما استغربه أهل مجلسه ..

فقال **جعفر** للمعترض أو الملاحظ أنظرني اذا خرج المراجعون والزوار وخلوت بك أحدثك عن السرّ في ذلك !!

وحان وقت الراحة والخلوة فدعا بالمعترض وقال له اسمع بارك الله فيك ان **الشريف المرتضي** برغم ما يملكه من الثراء الكبير .. والجاه والعلم والمنصب وامارة الحج .. كل ذلك لم يبدل من طبعه الأناني .. وطمعه الغالب عليه .. فهو اذا زارنا دائماً يحاول أن نحط عنه ضريبة تافهة على عظم ما له من أملاك وضياع وأموال لا تحصى .. ولا تضر به أضعافها .. فيتملق لنا .. ويبسط رجاءه ويضاعف ثناءه ليظفر بالحط عنه في مبلغ زهيد لا يحتمل كل هذا منه مع التمسكن والتخاضع والمخافتة الطويلة المملة .. وذلك شأنه دائماً ، فما ظلم ان استحق الاعراض وعدم الاهتمام والاكرام .

وأما أخوه (الرضي) ، فهو على مترتبه وخصاصته .. فان له في نفسه عزة وكرامة تدعوان إلي الاعجاب والاكبار .. وانه لجار لنا في محلتنا .. وطالما حاولت أن أقدم له هدية في المناسبات أو هبة تليق بمثله ، فيتهربَ منها ولا يخضع ولا يطمع فيها .. ولم يزرنا الا في السنة مرة دون أي تصديع أو طلب أو طمع أو جشع .. حتى أنني سمعت في داره يوماً بجلبة فرح و (غطاريف) أو زغاريد تدل على أنه ولد له مولود .. فدعوت احدى السيدات الكبار من أهل بيتنا ودفعت لها صرة فيها ألف دينار .. وقلت : اذهبي بها إلي دار **الشريف الرضي** .. وقدميها لأهله وقولي : انها (للقابلة) فما لبثت أن عادت بها .. وقد حملوها الشكر والثناء والدعاء .. مع الاعتذار عن قبولها ، لأنهم كما قالوا لها : (أهل بيتي لا يدخلون بيوتهم القوابل .. وانما يتولى ذلك نساؤهم) .

قال **جعفر** ــ للمعترض : فماذا ترى بعد ذلك ؟ وأيهما أحق بالحفاوة والرعاية والايثار والاكبار ؟ قال : سبحان الله ما كنت أعلم بهذا من قبل ! ولك كل العذر في (تصرفك) الذي أنكره عليك الكثيرون .. (اهـ بتصرف) .

هذه الأولى ــ فأما الأخرى فهي :

(كان **صفوان بن أمية القرشي** .. احد الطيبين في الجاهلية والنصحاء . وكان تحته أخت معاوية (**أم حبيبة**) وله منها أم **عبد الرحمن** .. وقد وفد على خاله **معاوية** مع أخيه **عبد الله** ، فقدم **معاوية عبد الله** على **عبد الرحمن** ، فعاتبته أخته (**أم حبيبة**) في تأخير ابن اختها ، فأذن لابنها ، فدخل عليه فقال له **معاوية** : سل حوائجك ، فذكر ديناً وعيالاً ، فأعطاه . وقضى حوائجه ، ثم أذن **لعبد الله** ، فقال سل حوائجك ؟ قال : تخرج العطاء ، وتفرض المنقطعين ، وترفد الأرامل والقواعد ، وتفقد أحلافك (الأحابيش) .. قال : افعل كل ما قلت : فهلم حوائجك ، قال : وأي حاجة لي غير هذا ؟ أنا أغني قريش ، ثم انصرف ، فقال **معاوية** لأخته : كيف رأيت ؟)..اهـ .

قُلْتُ : وفي القصتين ما يغني عن الايضاح وان العز كل العز في القناعة ، والمجد كل المجد في قضاء حوائج الناس دون الاستهتار .. وان العصور .. تتلو العصور وصاحب هذه الأخلاق .. خالد على الأيام بهذه الفضائل .. ﴿ **وما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ .. وما أجدر أن يلقن بها جيلنا الصاعد ليكون به خير خلف لخير سلف .. والله ولي المتقين .

(١٧٣٣) كانون كسرى وحكمة العلماء

روي القاضي **الرشيد بن الزبير** – في القرن الخامس الهجري ، في كتابه (الذخائر والتحف) هذه القصة :

« ٢٣٦ » : قال **أبو محمد الفرغاني** في (تاريخه) : وأصاب **المأمون بالله** بخراسان كانوناً من ذهب مرصعا بجوهر كثير ، قيل انه كان **ليزدجرد بن شهريار الفارسي** لا تعرف قيمته لكثرتها .. فقال ذو الرئاستين **الفضل بن سهل بن الصولت** .. يا أمير المؤمنين الرأي أن تجعله في الكعبة يوقد عليه العود والند بالليل والنهار ، فقال المأمون : أفعل ، وأمر بحمله إلي مكة . واتصل الخبر **بيزيد بن هارون** المحدث فأمر مستمليه أن يقف يوم الخميس عند اجتماع الناس وأصحاب الحديث ، فيشكر المأمون ويدعو له ويخبر بخبر الكانون .. ففعل المستملي ذلك ، فلما سمع **يزيد** كلامه صاح وانتهره وقال له : ويلك ! أسكت . ان أمير المؤمنين أجل قدراً وأعلم بالله عز وجل من أن يجعل (بيته) بيت نار .. فكتب أصحاب البريد إلي المأمون فأمر بكسر الكانون .. وبطل ما كان دبره ذو الرئاستين).. اهـ .

قُلْتُ : ولا تحتاج القصة على قصرها إلي أي تعليق .. سوى الاشارة إلي التصرف الهادىء الرزين من قبل هذا العالم الجليل وبلوغه إلي النصيحة بالأسلوب الحكيم .. وانتصاح المأمون بما قال .. واحباط ما دسه صاحب الرأي المأمون .. أو الغرض المدفون ، و ﴿ **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ .

(١٧٣٤) ماهو الصراء ؟

يشتد عجبي واغتباطي كلما ظفرت بكلمة نادرة صحيحة فصيحة يتداولها الناس عبر القرون الطويلة – سواء منهم العامة والخاصة .. وتقع في محلها من الاستعمال .. كما هي في العصر الجاهلي أو صدر الإسلام .. وما ذلك الا لأن الاكثرين .. يظنونها غير عربية .. أو لم يعثروا على أصلها القديم .. فلو سألني سائل : ما هو الذي يسمونه (الصرا) في اصطلاح الجمهور .. لترددت في الاجابة .. وتحيرت في ذلك كثيرا واعتذرت (بلا أدري) .

وقد اتفق مصادفة أن قرأت في كتاب « الأضداد » للامام اللغوي الكبير **محمد بن القاسم الانباري** المتوفى ببغداد في رجب ٢٧١ هـ . فوجدت ما طالما بحثت عنه في الفقرة (١٥) من كتابه المشار إليه فقد قال :

(... وصري حرف من الأضداد ، يقال : صري الشيء اذا جمعه – وصراه : اذا قطعه وفرقه – ومما أورد كشواهده على ذلك قول الراعي في وصف الصقر :

فظن بالأم – ما يصري – أرانبها
من حد أظفاره الحجران والقلع

وقال : (ما يصري) : معناه ما يقطع ويمنع .

قُلْتُ : وبهذا نتبين أن السلف الطيب قد طور الصري خلال أكثر من ألف سنة حتى أصبح معناه في مدلوله المتداول الآن .. أي أنه يعني التقديم والتأخير (مرتباً) وبالاستحقاق .. والأسبقية

حفظاً على حق السابق على اللاحق .. وجدارته بالتقديم .

ولست أجزم بذلك اذا كان هناك نص لغوي صريح فيه لم أقف عليه يكون أوضح أو أظهر وأبين .. وآمل أن يرشدنا إلي ذلك فضيلة استاذنا الكبير صاحب « المنهل » الأغر .. ويسعفنا بما لديه في (الصرا) حتى يكون الناس على بينة فيه . كما هو شأنه في تعميم الثقافة ، وازالة الحجب عن كل أثر مطمور أو مغمور .. في المادة — أو المعنى .. ونسلف إليه شكر طلاب العلم والمعرفة على أياديه البيضاء في التنوير والتبصير — وانه بالاجابة لجدير إن شاء الله (١) .

(١٧٣٥) ماهي التريقة ؟ !

كثيراً ما نسمع هذه الكلمة (التريقة) شائعة ومتداولة بين الناس في مناسباتها .. كأن يحاول أحدهم أن يسخر من صديقه أو يداعبه .. أو يخادعه .. فيقول له الآخر : ما هذا ؟ أما (تريقة) .. فما هي هذه التريقة .. وهل لها أصل من الفصحى ؟.

وقد تأملت فيها .. ولم أجد لها نصاً في المفردات اللغوية .. وأخيراً اهتديت إلى ما احسب أنه هو الحقيقة ..

فان مما عرف أن (الترياق) .. هو الدواء الناجع للأمراض بدعوى من يصنعه ويتخذه (مهنة) له .. فهو لا يفتأ ينشر عنه دعاياته .. كاذبة كانت أو صادقة .. ويغلب فيه الافتراء .. وجر المغانم والاحتيال .. حتى ارتاب فيه الكثيرون ، وسميت هذه الحرفة أو (الفرية) .. بالتريقة أى اتخاذ الحيل والمكر والخداع فيها .. خلال القرون الماضية الطويلة .. فكان تأويلها الآخير مبنياً على أنها مجرد عبث أو ضحك (على الذقون) واستنزاف للدراهم .. وأنها لا تعدو أن تكون استغلالاً واحتيالاً .. ذلك ما استطعت أن أعيدها إليه — ولعل أستاذنا الكبير صاحب المنهل الأغر يشفى عنها الغليل ويوافقني على هذا التأويل أن وجده أقرب إلي الصحة وأدنى إلي التأويل وهو فاعل إن شاء الله (١) .

---

(١) (المنهل) : ورد فى تاج العروس شرح القاموس ما نصه : (وصرى : تقدم ، وايضا تاخى ، وايضا علا . وايضا سفل : كل ذلك عن ابن الاعرابى وشاهد الاخير (اى علا وسفل) قول الشاعر :

والناشئات الماشيات الخيزرى
كعنق الارام أوفى أو صرى

أوفى : علا : وصرى : سفل ، وصرى : عطف الخ (مادة صرى) .

فمادة (صرى) مادة مرنة تحمل فى طياتها معانى مختلفة : التقدم والتأخر والعلو والسفل ، والجمع والتفرقة ، ومن هذا المنطلق نؤيد قول شيخنا الغزاوى فى تاويل كلمة (صرى) العامية الحجازية .

(١) المنهل : يبدو أن تأويلكم لصيغة (تريقة) بفتح فسكون ففتح آخر ، تأويل موفق وجميل .. وفي أثناء مطالعتي لبعض مراجع اللغة عثرت أيضاً على قولها : (ويقال : راق فلان على فلان اذا زاد عليه فضلاً ، يروق عليه فهو رائق عليه ، وقال الشاعر يصف جارية :

راقت على البيض الحسا
ن بحسنها وبهائها

(لسان العرب مادة روق) كما ورد فيه بنفس المادة : « والترويق : أن تبيع شيئاً لك لتشتري أطول منه وأفضل . وقيل : الترويق أن تبيع بالياً وتشتري جديداً » .. فاذا أضفنا هذه المعاني إلي المعنى الذي استكشفتوه في أصل الصيغة العامية (تريق) من الترياق فيمكن للباحث أن يصل إلي نتيجة ايجابية متكاملة لا سيما وأن الكسائي يرى أن عين راق ياء .. مما يسهل علينا الترصل إلي صيغة (تريقة) من هذه المادة نفسها والله أعلم .

(١٧٣٦) تعليق على «حوت العنبر»

تعليق على كلمة « واها »

تلقيت في البريد من مصر رسالة شائقة من فضيلة الأستاذ الرحالة المكي الكبير الشيخ **محمد عبد الحميد مرداد** مؤرخة في ١٦ ــ ٢ ــ ١٣٩٧ ﻫ هذا ملخصها :

قال بارك الله فيه : « ولقد استرعى نظري في شذراتكم الذهبية الشذرة ١٧١٤ شوال ١٣٩٦ ﻫ ــ والشذرات ١٧١٧ ذي القعدة ١٣٩٦ ﻫ ــ وأعجبت بهما أيما أعجاب حيث ان الأولى ترمز إلي عجائب البحار من نوع (حوت العنبر) الخ ما تفضلتم بذكره ..

وأضيف إلي ذلك أن حوت العنبر لا يزال موجوداً . وذكرت عنه الجرائد المصرية والتلفزيون المصري الشيء الكثير .. ولقد ذكرته في كتابي « مدائن صالح » بالصفحة ٢٨٨ في السطر الخامس ، ثم في الصفحة ٢٩٠ السطر الأول في عام ١٣٦٤ ﻫ حيث وجد أمام (الشارقة) بين البحرين والجهة المقابلة من الخليج . فقد وجد طافياً في النزع الأخير من حياته .. واقتادته سفينة كبيرة ، وقطعوه في البحر ووزعوا لحمه على مدن الخليج ــ وكتبت عنه الجرائد بالحروف البارزة ، وقد وصل إلي البحرين شيء من لحمه وهيكله عام ١٣٦٤ ﻫ وفي العام الماضي كتبت عنه الجرائد المصرية هنا أن البحارة أكتشفوا على بعد ٦٠ ميلا من بحر الشمال حوتاً عظيماً يبلغ طوله ٩٠ متراً ــ وهو من نوع حوت (يونس) فهربوا بباخرتهم خوفاً منه لئلا يلحق بهم ــ ثم أفيدكم بأن هذه الحيتان العظيمة لا توجد على وجه الماء اذا نفقت بسبب ثقلها كانت مئات الأطنان زنة الواحدة منها فهي بمجرد ما تلفظ أنفاسها تهوى في قاع المحيطات ، وعندما تصاد وهي على وجه الماء بعد قذفها ما في جوفها من عنبر تعتريها دوخة (دوار) وتمكث بضع ساعات وهي ترفس على وجه الماء ــ فاذا أدركوها في هذه الحالة اقتادوها إلي الساحل بواسطة جرارات من الحديد الذي يجر به السفن .. وفي هذه الحالة لا تستطيع المقاومة أما اذا لم يدركوها فانها تهوي في البحر ، ألا ترى أن الانسان اذا مات في الباخرة وضعوا في رجله (ثقلا) من الحديد حتى لا يطفو على وجه الماء ، وأي وزن من الموتي يزيد عن المقرر المعين لا يطفو بل يغرق في القاع .. وعندما يصطادون العنبر حياً دائخاً يجدون في جوفه عشرات الأطنان من السمك على اختلاف الاحجام حتى من (القروش) فهو عبارة عن باخرة متحركة .. أما انهم يصيدونه وهو في قوته الطبيعية فمن رابع المستحيلات . ويخلق الله ما يشاء ..

أما الشذرة ١٧١٧ الخاصة بكلمة (واها) وأن الناطق بها ربات الحجال ، أما الذكور فلا ــ فيظهر أن الصواب عكس هذا في الأزمان السابقة ، أما الآن فكما تفضلتم ومن شعر الشواهد في الفصحي (ابن عقيل على الفية بن مالك) قول الشاعر :

واها لسلمى ، ثم واها ، واها
هي المني لو أننا نلقاها

ثم :

إن أباها ــ وابا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

(من شواهد المعرب والمبني ، ومن شواهد الأسماء الخمسة وغير ذلك .. الخ) ..

قلت : وقد رأيت أن أتحف القراء الكرام بهذه الطرف اللطيفة من الأستاذ العلامة الشيخ محمد عبد الحميد مرداد ، وأن أنتهز هذه الفرصة لأرجو من فضيلته أن يصدر (رحلاته العالمية) [1] تخليداً لذكراه العاطرة .. وامتاعاً للاجيال القادمة بانتاجه الكبير .. وعلمه الغزير .. فانها أضعاف ما كتبه (**ابن جبير**) و (**ابن بطوطة**) وغيرهما من الرحالين الكبار لا سيما وأنها في عصر الكهرباء والذرة والفضاء ، وأسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك إن شاء الله ، وأن يمد في حياته .. ويبلغه كل خير من أمنياته انه سميع مجيب .

(١٧٣٧) يرحم الله أيام القيلات والسمر

أدركنا المجتمع في بلادنا ــ لا يشغله شاغل عن (القيلة) أيام الربيع والغيم والمطر .. في ضواحي المدن وحتى في قلبها .. فهم يتداعون إليها رغم الفقر والعوز .. وكان يشجعهم على ذلك الفراغ من جهة ورخص الاسعار .. فما كانت القسمة على الشخص الواحد أكثر من قروش معدودة ..

(١) المنهل : رحلات رحالتنا السعودي الذي فاق ابن جبير وابن بطوطة وماجلان وغيره شاملة .. وستصدرها المنهل إن شاء الله في مجلدات متسلسلة فهي أكبر من مجلد ومجلدين . يضاف إليها رحلته من الطفولة إلي الكهولة التي تنشر مجلة المنهل حلقاتها تباعاً .. وهذه أيضاً ستنشرها إن شاء الله نشراً مستقلاً عن الرحلات العالمية الكبرى ومثل رحلات الرحالة السعودي أيضاً شذرات أستاذنا العلامة وملاحظات غير عابرة للأستاذ الجليل عثمان الصالح سيتم القيام بطبعها إن شاء الله ..

وكان لهم ميل إلي التفاكه والتنادر .. والمباسطة والاجتماع وقلوبهم لا يعتريها الصدأ من الأحداث التي تخرج عن نطاقهم في شرق ولا في غرب .. وتحول الزمان فجاء (الرادي أو الراديو) .. (والتلفاز ــ أو الرائي ــ أو المرناء) .. والصحف .. فانصرفت إلي ذلك الأذهان .. وزادت الاهتمامات بما كانوا في نجوة منه من الاكدار .. فلا تجد من يشترك معك في قيلة ولا ليلة .. فاذا وجدته قال لك : ان الفاضي يعمل (قاضي) رح يا سيدي وخليني في حالي .. وهل يستطيع أن يدفع مائة ريال نصيبه في الحساب .. ما دام ثمن الكبش خمسمائة من الريالات ؟ (ذلك رجع بعيد) .. ونسأل الله أن يعيد لنا عهد الأفراح ، وأن يهبنا نعمة التواصل والانشراح ، انه سميع مجيب ..

(١٧٣٨) عهد الأزقة قد مضى

في كل من مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة عشرات الأزقة التي كانت تعرف بمن سكن فيها أو مر بها .. فهناك بمكة كان (زقاق الكراث) و (زقاق المجزرة) و (زقاق الدعوجي) و (زقاق الجنائز) و (زقاق القنفدة) و (زقاق الهجلة) و (زقاق الشيش) و (زقاق الحفرة) و (الطبري) و (البخارية) الخ .. وعشرات غيرها ..

وكذلك الحال في المدينة المنورة ــ وفي جدة ــ وفي الطائف وقد أصبحت كل الأزقة الآن فى خبر كان .. أو كادت !! نتيجة للتوسع العمراني وان كان بعضها لا يزال حياً إلي أن يلحق بما سبقه ويعود أثراً بعد عين ..

وأحسب ذلك عاماً في كافة البلاد العربية

والإسلامية يوم كانت المدن على فطرتها الأولى ..

ومن أشهرها في مصر (زقاق المدق) ومئات غيره ..

١٧٣٩ البوليتكة هي الدبلوماسية

كثيراً ما تداول الناس في بلادنا في عهد بعيد كلمة (بولوتيكة) كعلم على ما يرادفه عندهم وهو (الدهقنة) مع فارق بسيط في المعنى بين اللفظين ، وكان أحدهم يقول لصاحبه وهو يحاوره : بس بلا (بلتيكة) أو لا تسوي لنا (بلتيكة) ..

وفي الزمن الأخير عرفت أن أصلها (يوغوسلافي) حتى لتصدر عندهم كبرى صحفهم بهذا العنوان نفسه ..

أما كيف وصلت إلينا فانها ولا ريب جاءت مع أخواننا الأتراك الحجاج منهم والموظفين .. فدرجت في أوساطنا ولا يزال لها نفس المدلول حتى يومنا هذا ــ وما أكثر أمثالها من الكلمات الدخيلة التي رسخت وتمكنت ..

١٧٤٠ استقامة البنيان الحديث

بالرغم من تطور العمران الحديث من الحجر والنورة إلي الاسمنت والحديد .. واشتماله على كثير من التجديد والتنظيم .. ومع ما ينكره القدامي في هذه الغرف الضيقة ونوافذها التي تزاحم ساكنيها بارتدادها إلي الداخل .. واندثار عهد (الرواشين) وما كان لها من جمال فني .. وراحة للجالسين .. فان هناك ظاهرة تقذي بها العيون وتجافي التقدم الصحيح .. وهي أن أكثر ما شيد من العمارات الكبرى ــ أقيم على أرض محدودة .. متعرجة .. منزوية متخالفة الاتجاه .. فهذا شرق وهذا غرب وهذا شمال وذاك جنوب .. مع التجاور في ساحة متقاربة .. خضوعاً لحكم الأرض أو رخصها ، ولو هي استقامت كما يجب كصف مرصوص وسمت مستقيم لكانت أبهج للنفوس وأوسع للشارع وأبرز في التنظيم .. فأما الأسلوب القروي المتعارض المتعرج فانه محل الانتقاد .. ومن الواجب أن ينسق كل تجديد في اتجاهات محدودة ممتدة ظاهرة باهرة .. والله المستعان .

١٧٤١ الدانات اليمانية

لا أدري لم سميت القنبلة (دانة) ، ولكنني أعرف الدانة في الالحان وأظنها مشتقة من (الدندنة) أو (الددن) ..

ولقد كنا نرى ونسمع في (المرناء) بعض حلقاتها .. وانسجامها وقبولها كاحدى ثمرات (المألوف الشعبي) القديم .

وهي في الواقع غناء مؤثر ذو توقيع جميل ونظام دقيق أخذه الأخلاف عن الاسلاف بكثير من الحذق والفطانة ..

وكان له شأن أي شأن في الأوساط الشعبية ، واشتهرت به (بعض الحارات في مكة المكرمة) حتى أنها ليتألف فيها أكثر من (رد) واحد .. أي حلقة .. وكان منهم من يشار إليهم ، ولهم سلطان على كل من يتحلق عليهم .. ويا ويل من يختلف صوته أو لحنه أو وزنه عن جماعته .. فقد شاهدت (العصي الغليظة) ترتفع وتهوي على رؤوس الشاذين .. وهناك يقولون (سقطت الدانة) ..

(١٧٤٢) المزيكة هي الموسيقى

منذ عرفنا الحياة ونحن أطفال ـــ نسمع من الكبار والصغار كلمة (مزيكة) ـــ وكنا نقول لبعضنا : (هيا نروح نسمع المزيكة) في (اجياد) أثناء الحكم العثماني ـــ أو في جرول خلال وجود (المحمل المصري) وفي ابان موسم الحج حيث ينزل الحجيج حول (بئر طوي) ..

وتقدم بنا السن .. فإذا بها هي (الموسيقى) .. فكأنها بلفظها الأولى قد عربت واندمجت في المصطلحات الحديثة .. وهي أسهل في النطق على اللسان .. فهل يصح اندراجها في العربية كما كان الكثير من الالفاظ الدخيلة .. ذلك ما نستفتي فيه علامتنا الجليل (**أبا نبيه**) حفظه الله آمين ..[١]

(١٧٤٣) ارفعوا رؤوسكم

جاء في كتاب (شعب الايمان) للامام **البيهقي** صاحب السنن الكبرى المتوفي سنة ٤٥٨ هـ عن **سفيان** قوله : « يا معشر القراء ـــ ارفعوا رؤوسكم ، لا تزيدوا الخشوع على ما في القلب ، فقد وضح الطريق .. فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ولا تكونوا عيالاً على المسلمين »اهـ .

قُلْتُ : فلا يزعمن أحد أن كلمة (ارفع رأسك) شعار جديد .. فهي مما التزمه وعرفه وعمل به السلف الصالح .. منذ صدر الإسلام .. وحسبنا في ذلك قوله جل وعلا ﴿ **فإن العزة لِلّه ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ .. وما التماوت والتمارض .. والتصعلك من شيمهم .. فما قبله الفاروق رضي الله عنه من العاطس .. وأراده أن يكون مدوياً .. ومعبراً عن الفحولة والرجولة والبطولة .. وما أتى المتأخرون .. الا من عدم التأسي والاقتداء بمن جعلهم الله تعالى : ﴿ **خير أمة أخرجت للناس** ﴾ .. ولا يزالون بخير ما اتقوا الله وأطاعوه وساروا على النهج النبوي القويم .. دون تفريط ولا افراط ، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١٧٤٤) ابن هذا يقرئك السلام

روي صاحب الأغاني .. في ترجمة **أوس ابن حجر** ـــ وهو الذي كان شاعر **مضر** .. في عصره .. حتى جاء **النابغة وزهير** .. فأخملاه .. روي صاحب الأغاني : ان سبب اتصاله بفضالة وهو من **بني أسد** ومدحه له .. أنه كان في بعض أسفاره في بلاد **أسد** .. وسقط عن ناقته .. وانكسرت ساقه .. فبات مكانه .. فلما كان الصبح أقبل بنات الحي يجنين الكمأ .. فلما رأينه فزعن ، فدعا صغراهن وسألها عن إسمها ، قالت : حليمة بنت فضالة ، فأعطاها حجراً ، وقال اذهبي إلي أبيك فقولي له : ابن هذا يقرأ عليك السلام . فلما أدت الفتاة رسالتها ، قال أبوها : يا بنية لقد جئتني بمدح الدهر .. أو ذم الدهر . ثم انتقل بأهله حتى ضرب قبته على (أوس) .. ولم يفارقه حتى استقل .. اهـ .

قُلْتُ : ولا أجدني قانعاً بهذه الرواية .. فإن

---

(١) « المنهل » : ما دامت المعاجم اللغوية الحديثة ، استلهاما من المجامع اللغوية العربية الحديثة قد أدخلت ما هب ودب من الكلمات الأعجمية في تامور اللغة العربية واعتبرتها منها فليس هنا أي مانع فيما اشرتم إليه لا سيما وأن (المزيكا) أخف وأشف من (الموسيقى) والطف وأقرب إلي لساننا ومنطوقنا وأعلق بأفكارنا .

الفتاة التي زكنت أن تقول : انها بنت فضالة .. لا يصعب عليها أن تقول لأبيها ان ابن حجر يقرؤك السلام . فما هي بالطفلة التي لا تحسن التعبير .. ومع ذلك فانها لا تخلو من الطرفة التي تدل على ذكاء أوس ، وسذاجة حليمة .. ولا سبيل لنا إلي ما مضى الا بكتب الأدب والتاريخ .. وفيها ما لا نحيط به من أوابد العرب واقاصيصهم .. ونوادرهم الا بها ولولاها لانقطع الحبل بين الماضي والحاضر .

(١٧٤٥) اخرى .. مع المبشور

أما هذا (الأخرى) طبعاً (بضم الهمزة) .. فهي لازمة في كل ما يعقب عليه البداة .. غالباً .. ويعنون بها ، وفوق ذلك أو ومع هذا ..

قالوا : ان (البشكة) قيلت وسمرت في (الشهداء) قديماً ، ونمي الخبر إلي (الحاكم) بأن فلاناً وفلاناً .. بأسمائهم .. قيلوا وسمروا .. (على طنبور) .. وكان معه (مبشور) وكان ذلك قبل عدة قرون طبعاً أي أول ما فن (المبشور بمكة) (ولا حاجة بي إلي وصفه فهو معروف لأهل بلادنا جميعاً .. ومن جهله فما عليه الا أن يطلبه إلي الأستاذ الكريم والكاتب العظيم الأخ أو الأب فؤاد شاكر [١] .. فانه لا أخبر به منه ولا أولع منه باصطناعه (بيده) .. في أكثر الأحيان .. الا أن يكون ساكنا بجدة .. فهو يستبدله بالسمك المقلي .. أو (المشرمل) أو (المطفي) أو (الصيادية) . (نهايته) : فأرسل الحاكم إليهم فرداً فرداً .. ووبخهم وأمر بسجنهم .. بعد أن قال : (ما كفاكم الطنبور .. فأضفتم إليه المبشور ؟؟ حسبنا الله عليكم .. وبعد أن تقدم إليه بعض خلصائه بالرجاء .. عفا عنهم وأطلقهم خلال ساعات معدودة ..

وأراد أحدهم أن يقيم الحجة على الحاكم .. فتلطف به حتى أجابه إلي دعوة تكريمية .. يقيمها على شرفه .. فأقامها .. وكان الطعام فيها قاصراً على (المبشور) وحده .. مع الأرز الكشنى الممتاز .. وقد انعدم وروده منذ خمسين عاماً .. وفي أطباق اللبن والسمن البقري وكان مزركشا بالكبة والاسجاق .. جمع سجق .. وهو ما يحشى داخله بالمفروم والبصل والبقدونس والفلفل والنعناع وحضر الوليمة صاحب الدعوة .. ولأول مرة يرى ويطعم هذا النوع اللذيذ ـــ الجديد .. وبالغ في الالتهام .. وحبذه وأسهب في الثناء عليه كثيراً ، وسأل ما هو اسم هذا الطعام الجميل اللطيف ؟ فبادره أحد سجنائه .. وهو الذي احتال عليه وهيأه له : بأن اسمه هو الذي أدخلنا السجن يا سيدي .. هذا هو (المبشور) .. فماذا ترى فيه ؟ قال : حسبهم الله لقد كنت أظنه .. أحد أنواع الخمور .. أو أنه من المنهي عنه أو المحظور .. أما هذا .. فعرفوني بكل (قيلة) يسطع خلالها منه هذا البخور ..

قُلْتُ : وأكاد أجزم بأنه من الأطعمة التي دخلت إلي البلاد مع المهاجرين أو الحجاج من بلاد السند والهند .. وتطور حتى استحجز كأمثاله .. ومن المؤسف أنه أخذ ينكمش .. أو يندر .. لأن الناس كانوا به يقضون أكثر الوقت بين (بشر) و (بشر) « بفتح الباء وكسرها » وتكبيب وتبويب .. وتصعيد وتصويب ،

---

(١) المنهل : هذه الشذرة الدعابية كتبت في حياة المرحوم الأستاذ فؤاد شاكر صديق الشيخ البحاثة الأديب الأريب محرر هذه الشذرات أمد الله في عمره وذلك كما يدل عليه سياق الشذرة .

وشيٍّ .. وترتيب .. بين نادرة تروي .. او فراغ يملأ أو حكاية تقص . أما الآن .. فما بقى من الزمن ما يحتمل كل هذا العناء .. وقد شهدت كبار القوم وسمراتهم يعتنون به ويلتفون حوله .. ولا يخلو واحد منهم من قسطه في تحضيره .. وتخميره ، وتكويره وتدويره .. ولو كان حظه من ذلك فصفصة الثوم .. أو طحن الفلفل .. أو اشعال النار .. وهو مقترن بالأرج .. حتى ليتعالي مواء الهررة من أجله من أعالي البيت أو أسافل الدرج .. وما الذه وأطعمه .. اذا صادف يوم (الدجن) .. وتقصيره .. وانطلاق السيل وهديره .. وكان في ذري الجبال ، وعلى الأصوات العذبة .. والألحان الجميلة ، والفرح والمرح وبين الجداول والخمائل ... وصح النوم ..

(١٧٤٦) خط المأمون

روي أبو هاشم محمد بن ظفر المكي صاحب (أنباء نجباء الأبناء) المولود سنة ٤٩٧هـ والمتوفي سنة ٥٦٧هـ « أن المأمون ــ العباسي ــ كتب بين يدي مؤدبه سطراً (معوجاً) فضربه ضربة أوجعته ، فجعل ــ يتلون ــ وأحسبها (يتلوى) لها ، وقال : (أصلحك الله ، ينبغي أن تقف في صغار الذنوب عند الارتياع ، وتتجاوز في كبارها إلي الايقاع) .. اهـ .

قُلْتُ : ومع ما في كلمة المأمون من توجيه حسن فقد تذكرت أيامنا الأولى في (تعلم الخط) .. وكيف كان المعلم أو الاستاذ أو الخطاط .. يقرمع الأصابع بخيزرانة .. أعدها لذلك كلما رأى السطر معرجاً ، أو الخط رديئا ؟ ولا يسمح باستبدال (المشق) بغيره ــ الا بعد الاجادة التامة .. لمحاكاة ما قبله .. على أتم الوجوه (١) .

ومضت الأيام .. فاذا أكثر الخطوط لا تكاد تقرأ .. ومنها ما يكتبه المثقفون بينما أثر من حكم الأوائل قولهم : (الخط الحسن ، يزيد الحق وضوحاً) ، وهذا يدل على أن العناية به .. دون غيره في الفصول نتيجة الترفق والتسامح وعدم القرمعة على الكفوف أو الأصابع .. على أن من المعترف به أن من الطلاب الذين شغلوا (المناصب العليا) من يضرب به المثل في الخط الحسن ، وأصدق دليل على ذلك (خط الوزير الكبير الشيخ **حسن بن عبد الله آل الشيخ**) .. وكم هو جميل أن يتخصص فريق من الطلاب في فن الخط بأنواعه وأشكاله في (ثلث) ورقعة ونسخ .. وديواني وفارسي .. فانه للفن الرائع البديع .. وأن يكون له (معهد) .. يعني به ويتخرج منه من نباهي بخطه .. بين جميع الأوساط محافظة على هذا التراث الباقي .. وحتى (نجد) به (الألواح) المذهبة و (النماذج) المختارة .. التي تقر بها العيون .

(١٧٤٧) وصف البطيخة

قال **سبط بن التعاويذي** يصف البطيخة :

(حلـــوة) الريـــق ــ حلال دمهـــا في كل ملـــة

نصفهـــا بدر فان قسمتها صارت أهلـــة

(١) المنهل : كذلك كان معلم الخط لنا بالمدينة المنورة الخوجة شكري أفندي رحمه الله يفعل تماماً .. كان يراقبنا ونحن نكتب خط الرقعة حتى اذا ضم أحدنا سبابته وابهامه على القلم على نحو يشبه الدائرة المستطيلة قرعة بخيزرانته الصغيرة على اصبعيه قرعاً شديداً وقال له : مد الأصبعين حول القلم لئلا يردأ خطك وتتعب أصابعك بدون جدوى .

قُلْتُ : ما أبدع وصفه وأجمله وأظرفه .. وان التشبيه بالبدر — في نصفها .. ترد عليه ملاحظة الحمرة فيها .. والبياض فيه .. الا أن تكون — من النوع الذي يشبه الدباء .. ولعل وجه الشبه في اكتمال الاستدارة .. دون اللون .

وبالمناسبة .. فان شدة الحرور في الجوزاء ، تدعو الناس إلي أكل البطيخ . في الهاجرة والظهيرة .. ولكن بلغت اثمانه في الارتفاع أعلى درجة لا تسمح لمحدودي الدخل — بشرائه لا سيما ما هو ممتاز منه ، فلا تقل قيمته غالباً عن ثمانية ريالات .. ولا ينحدر إلي الخمسة .. الا أن تقل حلاوتها .. أو تبيض حمرتها .. وما كان ذلك معهوداً من قبل وكان متوسط الثمن ريالين أو ثلاثة .. رغم أن الوارد منه يومياً كثير .. وهنا أتساءل . بطيخنا القيم المسمى (باليافاوي) .. فقد افتقدناه كلياً .. وكان من الوفرة والحلاوة حتى كأنما يحطم فيه الزجاج من الرواء .. وبعد ذلك وقبله : لماذا لا يزرع البطيخ (القصيمي) في منطقة مكة المكرمة وجدة وحيث تجري المياه والعيون ؟ حتى يرخص سعره .. ويتبرد به السفار ؟ وينعم به الفقير والكبير والصغير على السواء .. ومما كتب بعضهم يتعذر به عن الغلاء فيه .. أنه يصدر إلي بلدان الخليج طلباً للاثمان العالية .. فهلا عولج هذا السبب بالاكثار من الإنتاج قبل الاخراج ؟

(١٧٤٨) الثلاثة البيض

من مأثور أهل البادية من العرب ، قولهم ، الثلاثة البيض .. وهي : (الطنب السابح) و (الضيف السارح) و (خوي الجنب) .. فهذه عندهم ذات حقوق لا محل للتقصير فيها أو الاعراض عنها مطلقاً والا كان المقصر أو المعرض محل الازدراء والتنقص .. والمقت والتعزيز .

وتأملت طويلاً فيها .. فاذا بها من التواصى بالحق .. والحرص عليه .. فان (خوي الجنب) يقابله في النص الديني (الصاحب بالجنب) صراحة بفتح الجيم .. والصاحب بالجنب أيضاً هو الرفيق في السفر . والجار ذو القربى .. انما هو صاحب الطنب السابح .. والجار الجنب (بالضم) هو البعيد غير الملاصق .

ووصفها بالبياض .. يقصد به أنها تبيض وجوه المؤدين حقوقها كاملة .. وهي ذات الحرمة لا يجرؤ أحد ما على اهمالها .. أو التهاون بها .. أو هو منبوذ وممقوت ومطارد ومأخوذ ..

وما تلقاها البدو خلفاً عن سلف الا اتباعاً لوصايا الإسلام ورسوله الكريم الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق .. صلوات الله عليه وسلامه .. ولا يجهل ذلك من سكان الفيافي والقفار وأعالي الجبال .. ذكر ولا أنثى ، ولا شيخ ولا شاب . ولا يافع أو غلام .. وهي من أقوى الدعائم في الإسلام .

(١٧٤٩) جفخ - تكبر

من المستعمل في لغتنا الدارجة .. قولهم .. جفخ ونفخ .. ويقصد به التغضب والتسخط والدعوى والغرور .. أو الاغترار .. والنفش والاستكبار ، وهي هي في اللغة .. تؤدي هذا المعنى .. الا أنها لا تستعمل رغم انطباقها على مرادفاتها المذكورة .. وقديماً قال **المتنبي** فيما أخذ عليه في التعقيد والتركيب :

جفخت — وهمْ لا يخفجون بها —
بهم شيم على الحسب الأغرد دلائل

أي أن ما تحلوا به من أخلاق عالية .. سمت بهم هي : ولم يسموا بها هم .. وذلك مذهب في الأدب والتصرف في طرقه .. وأساليبه .. تطفح به أسفاره قديماً وحديثاً .. وهو واسع المجال .. لأرباب البيان .

(١٧٥٠) « كما » من قبل لم يخلد قـــدار

اصطنع كتابنا المشار إليهم بالبنان ، خلال بضعة أعوام هذه الكلمة (كما) في كثير من ثمار أقلامهم — خاصة في جريدة « عكاظ » الغراء وتأفف منها البعض ، لعدم اعتيادها الا في اللهجة العامية .. أو الأعرابية أو البدوية .

وقرأت في (معاهد التنصيص) **للعباس** المتوفي ٩٦٣ هـ هذه الجملة (وقال **ابن الأعرابي** : كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً ، وهو شاعر ، وخاله شاعر ، وابناه كعب وبجير شاعران ، وأخته (سلمى) شاعرة ، وأخته الخنساء شاعرة وهي القائلة ترثيه :

وما يغنـي توقي المرء شيئـاً
ولا عقـد التميم ، ولا الـنضار
اذا لاقي منيتـــــه فامسى
يساق به ، وقـد حق الحذار
ولاقـــاه من الأيـــام ، يوم
(كما) من قبل لم يخلد قدار

قُلْتُ : وبهذا وشواهد أخرى كثيرة نجد هذه (الكما) .. متداولة من صدر الإسلام وما قبله ، وعلى السنة فصحاء العرب وما برحت تتردد بين بوادينا .. فلماذا لا تأخذ مكانها بين الصحف (بوادينا) ؟

(١٧٥١) وجبات الطعام لدى اهل مكة

تحدث الأستاذ الشيخ **أحمد السباعي** في كتابه (تاريخ مكة) .. فعلق على ما ذكره **ابن بطوطة** في رحلته إلي الحجاز سنة ٧٢٥ هـ عن عوائد وتقاليد أهل مكة — وعقب على ما قاله من (أنهم لا يأكلون في اليوم الا أكلة واحدة بعد العصر ويقتصرون عليها إلي مثل ذلك الوقت . ومن أراد الأكل في سائر النهار أكل التمر .. لذلك صحت أبدانهم وقلت فيهم الأمراض والعاهات .. اهـ .. قال الشيخ **السباعي** : « والذي أقوله ان أكلة العصر هي الأكلة الدسمة ولا بد من وجبة الصبح أو الضحى » .. اهـ .

قُلْتُ : ومع أنني أستطيع بهذا النص أن استدل على ان (المؤلف) **أبا أسامة** بارك الله في حياته من المعمرين الذين عاصروا (**ابن بطوطة**) .. ولا بأس طبعاً .. ولكن بهذا التصحيح الذي جزم فيه بأن القوم انما كانوا يدسمون الغداء .. أما الفطور فلا بد منه .. وتغاضي عمداً عن ذكر العشاء .. فقد لا يصطنعه الا أصحاب المجهود العضلي من العمال والشغال .. ورأيت من الانصاف للتاريخ والحق والحقيقة أن أزيد على ما أفضل به التعقيب : أن (**ابن بطوطة**) لم يتغلغل في جميع الأوساط في مكة .. وانما اقتصرت صلته وسمته بطائفة العلماء والفقهاء وطلاب العلم والأدب .. ولهذا اتسم وصفه بما لابسه ورآه من عوائدهم .. فأما الافطار — صباحاً — فقد كان أكثر دسما —

بالمعصوب واللقيمات والزلابية والفول المدمس والهريسة والعصيدة .. والمقادم أي الكوارع .. الخ .. كما أن الغداء يختلف وقته من فريق إلي آخر .. فمن كان من المعلمين وأضرابهم فلا به له منه بعد صلاة الظهر مباشرة .. لاستئناف عمله إلي الغروب .. ومن قال : انهم يقتصرون على طعام واحد بعد صلاة العصر .. فانما يعني أولئك الذين ترفهوا — ولم يهضموا بالحركة .. ما ازدردوا .. تقللا — أو تزهداً .. أو اقتصاداً .

ومع ذلك فان لهم ما يسمونه (التعتيمة) ليلاً .. وهي غالباً ما تكون من الحلوي والجبن والزيتون .. وبعض الفاكهة بالخربز والعنب والموز .. وقبيل صلاة الفجر لا بد لهم من (فكوك الريق) بما يسمى (العريكة) أو (بنت الجمر) وكل ذلك عاصرناه وعرفناه وسمعناه ورأيناه .. ما عدى بعض التطورات المحتمة .. وما أحسب بلداً كان يفرط في البذخ ويتنافس في بسط الأطعمة ولا سيما (للأضياف) كأهل مكة خاصة والعرب عامة قديماً وحديثاً .. وهم من كافة سكان المدن والقرى على حد سواء في الايثار والاكرام .. سيان في ذلك البادية والحاضرة .. وذلك دأب جميع العرب في كافة مناطق الجزيرة العربية وحتى يومنا هذا زادهم الله نعمة وشكراً وبركة .

ولا يزالون حتى يومنا هذا — الا ما ندر جداً — محافظين على هذه العوائد والموائد .. مئات المسنين منهم — كشيخنا .. وأخيه .. أو ابنه « كاتب هذه الأحرف » فقد ركنوا إلي الجلوس وأخلدوا إلي السكينة ولم يرتاضوا .. فاذا عن لهم مشوار قصير جداً .. لهثوا .. ونفشوا .. من (الربخ) (1) نتيجة ركوب السيارات .. بعد

(1) الربخ : الجري ، فصيح .. وتربخ الرجل : استرخى .

أن كانوا « من العيال النشامي » .. ولا مطية لهم الا الأقدام يرتادون بها السهول .. ويتسلقون الوعور .. (ولِلّه عاقبة الأمور) .

(١٧٥٢) تكاليف الحياة في المهور والأعراس

يقول الشاعر العربي القديم :

شئمت تكاليف الحياة ، ومن يعش
ثمانين حولاً لا أباً لك يسأم

ويقول الأديب الفرنسي الكبير « **أناتول فرانس** » : (مما زاد في بؤسنا أن تكاليف الحياة أصبحت أثقل من قبل .. فان الجماعات الحديثة قد جوزت ضروب الأماني .. فاستثارت بذلك مجهود الانسان ، وأصبح التزاحم على الحياة أشد من كل دهر ، وصار الظافرون فيها أكثر حمقا ، والمنكسرون أعظم انكساراً ، لقد أضعنا حب الخير بضياع الايمان والرجاء .. وكانت هذه الفضائل الثلاث تحمل الأرواح البائسة على ظهر هذا البحر ، بحر العالم فمن الذي يأتينا اليوم بالايمان والرجاء وحب الخير ؟)

قُلْتُ : أما الشاعر العربي وسأمه لتكاليف الحياة .. فإنه علله بالثمانين .. وفيه يصح قول ابن فنه :

واذا الشيخ قال أف فما مل
حيـــاة وانما الضعـــف ملا

وأما الفيلسوف أو الأديب الغربي الفرنسي .. فإن استثقل الحياة وتكاليفها لما جد فيها من الأثقال ، وما كان له بها من عهد في صباه ، كما شق عليه افتقاد الإيمان ، وجدير بنا أن نكبر فيه أسفه الكبير وتساؤله عمن يأتي إليهم بالإيمان

والرجاء وحب الخير فما تحسر الا على ما افتقده في بيئته وعصره .

ومعذرة إلي القارئ الكريم أن أسهبت في هذا الموضوع . فقد عرفت البعض قبل خمسين سنة أو أقل .. لا يملك في جيبه ما يكفيه يومه .. أو ما يسد (بايه) أي اشتراكه مع (بشكته) أو (جماعته المختارة) في قيلة أو سمر .. وهو مع ذلك بادي البشر ، متألق الأسرة .. وما كان يومه ولا (بايه) — ولا (قيلته) أو (سمرته) من الكلفة بحيث تتجاوز بضع (قريشات) .. أو تعدو في الأكثر عدد أصابع اليدين ، أو حتى اليد الواحدة ، وأعرف من كان يقضى عاماً كاملاً .. وهو لا يخلو يوم فيه أو ليلة من (اجتماع) ، أو مشاركة لاخوانه في كل مكان يغدون إليه أو يروحون .. ويقيلون أو يسمرون .. ولا يمنعه خلو يده من هذا القدر الزهيد من الدراهم وهي لا تزيد عن ال (٥) إلي (١٠) من القروش لا يمنعه ادقاعه .. من أن يطعم ويشرب في غضون السنة كلها .. على الحساب . أي يقيد عليه ذلك مدي عام كامل .. فاذا انقضى حسم عليه صاحبه الدائن كل ما عليه من أجرة دار كان يشغلها ، له ، ودفع إليه الباقي .. وما يبلغ المحسوم منه عشره أو ثمنه ، أي اذا كانت الأجرة (مائة ريال) .. فانه يستوفي الباقي منه (٨٠) أو (٧٠) ريالا .. ذلك أن السهم الذي يدفعه لوجبة كاملة .. بما فيها الشاي والقهوة .. والسليق .. والفاكهة .. لا يتجاوز في المرة الواحدة (ربع ريال) .

وهنا نقف قليلاً لنقارن بين الطمأنينة التى كانت الناس ينعمون بها مع (الاتراب) أو (المتربة) ، وكيف كان من قبلنا ممن أدركناهم في غبطة ورغد وفرح ومرح ؟ رغم أن أكثرهم لا يجدون ما ينفقون الا الدريهمات المعدودة ، وان كانت ذات قوة شرائية معهودة ، ثم تقلبت الأيام وفاضت النقود . وازدادت المقتنيات .. من ضروريات وكاليات .. وانقبضت الصدور .. وزالت البشاشات .. وتقلصت الشفاه وتعبست البسمات ، وعزت أسباب الانشراح ، وافتقدت الصلات ، وتوارت الزيارات .. واختلفت الميول .. وتناكرت الأرواح ، وصدئت القلوب .. وندر التعاطف .

أما الآن فان ما كان هذا ثمنه قديماً أصبح يزيد عن عشرة أضعافه .. وربما تجاوز العشرين .. وخلال (٥٥) سنة فقط .. تضاعف ثمن (الكبش) أو (الخيال) بنسبة (مائة في الواحد) .. وعليه يقاس ما سواه ..

ومهما قارنا بين التكاليف التي كانت وما انتهت إليه في زماننا هذا .. فان الفرق ليتجاوز حدود التصديق .. وانه لمن الانصاف — بعد هذا التمهيد — الساذج — أن نقيس الأشياء بأشباهها .. فان المهور كانت معقولة .. وجهاز العروس كان محتملاً .. وكان من الكثرة والبساطة .. بحيث لا يرسل إلي دار (العريس) الا في موكب يشغل من الشارع الطويل معظمه أو كله .. وينقله الحمال في صفوف وتعرض على الجمهور ما يحتويه من تحف وطرف .. وأمتعة وأبسطة وصناديق .. ومعاليق .. ومواعين .. وكؤوس وفناجين .. ومن حولها (اللوكسات) .. أو (الأتاريك)[1] ويطلق على

(١) المنهل : اللوكسات والأتاريك عبارة عن المصابيح المتوهجة التى تضاء بالغاز تسلط حرارته على كيس مصنوع من النيلون منسوج نسجاً مملوءا بالثقوب المنفرجة عن بعضها بميزان دقيق . ويربط أعلى المصباح المشرق البياض المستدير الكبير البطن وبطنه =

ذلك (المعرض) السائر « الدبش » وأمامه وخلفه الحراس .. وأهل الاختصاص من المنجدين والمنظمين . ومع كل ذلك .. وما يتخلله من المرايات والسموارات .. والقدور والصحون والصينيات .. فان تكاليفه صنعاً ونقلاً وما قبله وما بعده من العوائد القديمة .. (غمرة) و (دخلة) و (صبحـة) و (زفـة) .. و (نصة) .. كل ذلك كان في حدود الاحتمال .. لمتوسطي الحال .. دون أي شكوى أو تذمر أو مضض .

والآن فان المهر لمثل هذا الفريق المتوسط مهما علا فانه مع الابهاظ لا يزيد عن (عشرة آلاف) ريال .. وفي المتوسط يكون بين الخمسة أو السبعة وأكاد أجزم أن ٨٠ في المائة من الشباب لا يتسنى له جمع ذلك الا خلال سنوات متواليات ، الا أن يكون له (والد) معين أو وارد (ثمين) .. فماذا يجب أن تجهز به العروس ؟! وماذا يمكن أن يوفر هذا المهر الكبير ؟!

لا بد لمعرفة ذلك — من تقويم ما يجب أن تدخل العروس به كمثيلاتها وأترابها ، وأن يستغنى عن أكثر ما كان ما فيها .. بما غلا ثمنه وخف حمله .. وما يساير روح العصر .. ولا يشذ عن الناس ولا يؤدي إلي الفضيحة :

١٠٠٠٠ ريال : ١ — فساتين عدة لكل موقف منها فستان خاص ، فأما ثمنه فبين ألفين وثلاثة . وهي لا تحتاج إلي أكثر من (٥) منها إلي ٨ متنوعة الألوان والأشكال .. وجملة ذلك تستغرق كل المهر .. دون استكمال الملحقات وأجور الخياطات .. وقد يبلغ عشرة آلاف .. على شرط أن لا يعاد لبس فستان مهما غلا .. في حفل آخر .

٤٠٥٠ ريال : ٢ — ثلاجة : ١٥٠٠ ريال — غسالة ٨٠٠ — طباخة بوتوجاز ٧٠٠ — مكواة ٥٠٠ — راديو ٥٠٠ مسجل . أما السيارة فلا بأس من انتظارها وهذا المبلغ هو ٤٠٥٠ ريال .

٨٠٠٠ ريال : ٣ — ثم طقوم الصالون والصالة وغرفة النوم وغرفة المائدة أو السفرة أو الصفرة كما يقولون . وهذه لا تقل في ثمنها عن ثمانية أو تسعة آلاف ريال .

٦٠٠٠ ريال : ٤ — ضيافات واستقبالات .. وولائم رجالية ونسائية تمتد نحو أسبوع بين كبيرة وصغيرة ولا تقل في التكاليف عن أربعة آلاف مع ألفي ريال (للمميز) أو (التعتيمة) .

٣٠٠٠ ريال : ٥ — ثم التصبيحات .. وعرض الخدمات وبدل التنقلات ومكافآت اللعابات .. والخدامات وذلك يستلزم ما لا يقل عن ثلاثة آلاف ريال على الأقل .

١٠٠٠ ريال : ٦ — وهناك ما يستأجر من قدور وكراسي ومناشر وغيرها .. وما يدفع إلي الحمال ذهاباً واياباً .. وما يدفع إلي الطباخ ومعاونيه وذلك لا يقل بحال عن ألف ريال .

٣٠٠٠ ريال : ٧ — وبدون تطويل ولا تقصير ماذا تكون النتيجة ؟ اذا جمعنا هذه الأرقام مع أثمان الحلي والجوهرات .. وهي لا تقل أيضاً عن ألفين أو ثلاثة آلاف ريال في المتوسط .

٣٥,٠٥٠ ريال .

فماذا يكون المجموع كله .. في أدنى التقديرات ؟ أنه (٣٥,٠٥٠) ريال . وفي وسع

= هذا يكون مملوءا بالغاز ، ويشعل بالكبريت . وكان هذا مستعملا في هذه البلاد قبيل دخول الكهرباء العامة فيها .

المقتصد أن يضغط كل ذلك حتى يصل به إلي ثلاثين ألف ريال (أو حتى ٢٥,٠٠٠ ريال) أو عشرين الف ريال ، اذا كان ممن يحفظ الكلمة المأثورة : (هذا فضيحة ـــ وهذا فضيحة) .. خلوها كلها فضيحة واحدة .

بعد هذا البيان المعزز بالأرقام يصح أن نتساءل عما اذا اتفق وكان لأحدهم عدة بنات أو أولاد يريد أن يزوجهم .. أو يزوجهن .. فماذا يصنع بهذا الاعنات كله ؟ أو التكليف أو التطور أو (الموضة) ؟؟ فلا ريب أنه لا يجد مخرجاً له من ذلك الا بردود فعل قد تهدم كيانه ، وتقوض بنيانه .. وتجعل من داره جحيماً .. أو أن يقترف مالم يتعود . ان استطاع .. أو أن يبيع ما يملكه من عقار موروث .. ليشبع به رغبات أو شهوات ما أنزل الله بها من سلطان أو أن يصر على عقيدته الإسلامية .. وأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ و ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته** ﴾ .. ويحزم أمره على أنه لا شيء من هذا الا ما يجب أن يقام من وليمة العروس .. وضرورة اللبس ولياقة الفرش .. في نطاق المقدرة والاستطاعة .

وهنا لا بد أن تجري أمامه الدموع ، وتسيل الشموع .. وتفسد البيوع ، وتظلم الربوع .. وتزفر وتشهق الضلوع ، وتكفهر الوجوه .. وتشن الغارات ، ويرى نفسه مع ذويه بين المطرقة والسندان .. ولا يعبأ به انس منهم ولا جان ..

فهل لهذا البلاء من علاج ؟؟ وهل بهذه التكاليف يتيسر الزواج ؟ ويتم الامتزاج والازدواج ؟ وهل بهذا يطبق قوله ﷺ : « **تناكحوا تناسلوا فاني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة** » .. أم هي مجرد المناظرة والمنافسة ؟؟ ولو أدي ذلك إلي الارهاق ، وانتهي إلي الفراق والشقاق ، والازهاق والطلاق ؟ ..

ان على عقلاء القوم وذوي المكانات والمدارك العالية .. والغيرة والشهامة وكل من هو مسؤول عن مستقبل وحاضر هذه الأجيال الصاعدة .. أن يتدارك كل منهم بطاقته وتصرفه ونصائحه ومن جهته هذه النازلة المتصلة بالحياة في صميمها .. وأن يجعل من نفسه القدوة الصالحة والأسوة الحسنة في هذا السبيل ، فقد بلغ السيل الزبي وتجاوز الحزام الطبيين ، وليرحم الله الشباب ، وليهدهم إلي سواء السبيل ، فانهم ضحايا التقليد الأعمى .. والعوائد الممقوتة .. وهم على نبذها أقدر ، وبالبت لها أجدر .

ومن الحق أن يشاد بأهل البيوتات الكريمة الذين سبقوا غيرهم إلي المشروع في (الزفاف) والاقتصاد فيه على (القرابة) وذوي الرحم .. وأخص الأصدقاء .. وأن يشكر لهم ما اتبعوه من الرشد ، رغم أنهم أقدر على البذخ والترف ، ولكنهم آثروا التوسط على التبذير والسرف .. فجزاهم الله خيراً .. وكم هو واجب وضروري جداً أن لا تني الإذاعة والصحف والمجلات عن الدعوة إلي التوسط في ذلك وعدم الاسراف فيه . والا فان لهذه الأوضاع آثارها البالغة ومضارها الجارفة .. ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ فكيف يضع المخلوقون أنفسهم في هذه القيود الثقيلة .. وما هي الا من أشد الحرج كل الحرج ؟ ولها نتائجها التي يجب أن يتوقاها كل ذي عقل ودين .. ولا نجاة منها الا بالتعاون على التناصح والبر والتقوي .

وأتقدم بالرجاء إلي أصحاب الفضيلة العلماء وهم ورثة الأنبياء أن ينبهوا الغافلين ويعظوا

السادرين ، ويذكروا الناسين .. بما وصى به الله جل وعلا عباده المتقين ، وما أرشدهم إليه رسوله الأمين ، وقد أرسله الله رحمة للعالمين .. فان هذا الموضوع عظيم الخطر والأثر .. وهم بذلك أدري .. ولن يعصي لهم الناس أمرا .. وفي (الراد) ــ أو التلفار أو (المرناء) أقرب الوسائل إلي التحذير والتذكير .. و (الدين النصحية) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١٧٥٣) على البديهة

جاء رجل إلى **صالح بن عبد القدوس** الشاعر المكفوف ، وقال : إني أسألك على البديهة لتجيبني على البديهة ، قال :

الموت باب وكل الناس داخله
فليت شعري ــ بعد الباب ما الدار ؟

فقال **صالح بن عبد القدوس** : وأنا بدوري أرد عليك على البديهة :

الدار جنات عدن ان عملت بما
يرضي الاله ، وان خالفت فالنار

قُلْتُ : انها للاجازة التي لا تقبل جدالا ، وهي من توفيق الله تعالى ، ويماثلها ما عزي إلي **المعري** في قوله :

يد بخمس مئين عجــد وديت
ما بالها قطعت في ربع دينار ؟

والرد عليه بالبيت المعروف :

عز (الأمانة) أغلاها .. وأرخصها
(ذل الخيانة) ، فافهم حكمة الباري

(١٧٥٤) رمال يبرين هي الربع الخالي

نستدل مما نصت عليه مدونات الجغرافيين .. من قدامي ومحدثين .. على أن ما يسمى بالربع الخالي الآن شرقي جزيرة العرب .. وهي من ضمن ما يظله (لواء التوحيد) في المملكة العربية السعودية .. انما هو في قديمه وحقيقته (رمال يبرين) قال ياقوت : (هو رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة) اهـ . ولعلها هي أيضاً رمال عالج ..

وأعتقد أن هذا الربع الخالي .. في طريقه إلي أن يشغل ويسكن ويعمر تدريجياً .. رغم وعوثة رماله وصعوبة مسالكة .. وقد بدأت الأيدي تعمل فيه .. والعقول تتصرف في استثمار كنوزه المخبوءة و (عش تره) .. وما على العلم من حجاب .. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم .. وليلنا الناطق .. وبرهاننا الصادق هذا الطود الأشم (كرا) الذي ذلله بعزمه واقدامه واصراره وصموده جلالة المغفور له الفيصل طيب الله ثراه[1] .

(١٧٥٥) في المطاف

جاء في (الرياض النضرة) **للمحب الطبري** : « كان عمر يطوف بالبيت وعلي يطوف أمامه اذ عرض رجل لعمر .. فقال : يا أمير المؤمنين خذ

(١) المنهل : هذه الفراسة ربما تكون من توارد الخواطر .. فقد كنت نشرت في هذا المجلد في العدد الصادر في ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ مقالاً افتتاحيا خياليا عنوانه : (أحلام) وذكرت فيه أنه سيعمر هذا « الربع الخالى » وستكون فيه مدائن زاهرة ومصانع باهرة الخ .

حقي من علي بن أبي طالب قال : وما باله : قال : لطم عيني ، قال : فوقف عمر حتى لحق به علي ، فقال : الطمت عين هذا يا أبا الحسن ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ولم ؟ قال : لأني رأيته يتأمل حرم المؤمنين في المطاف ، فقال عمر : أحسنت يا أبا الحسن : ثم أقبل على الرجل فقال : وقعت عليك عين من عيون الله عز وجل ، فلا حق لك ، فقال : بقلبه : — يعني صاحبه — من جواهر الله ولي من أولياء الله ..) اهـ .

وهي عظة لا تستدعي أي تعليق .. و (تزودوا فان خير الزاد التقوى) .. وبهذا كانوا يتواصون ويتناصحون ويتعاونون و « لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١٧٥٦) وصية ذي الأصبع العدواني لولده

قال **أبو عمر** : « ولما احتضر **ذو الأصبع** دعا ابنه (**أسيداً**) فقال : يا بني ، ان أباك قد فني وهو حي .. وعاش حتى سئم العيش ، واني موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني :

١ — الن جانبك لقومك يحبوك .
٢ — وتواضع لهم يرفعوك .
٣ — وابسط لهم وجهك يطيعوك .
٤ — ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك .
٥ — وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم .

٦ — واسمح بمالك ، واحم حريمك .. واعزز جارك ، وأعن من استعان بك .

٧ — وأكرم ضيفك ، واسرع النهضة في الصريخ ، فان لك أجلا لن يعدوك .
٨ — وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً .

فبذلك يتم سؤددك .. اهـ .

قُلْتُ : ألا فليحفظ الناشئون هذه الكلمات المختارة .. وليتأدبوا بها فانها من كنوز الأدب القديم .. ومن مآثر العرب الخالدة .

(١٧٥٧) مصرع رحت وجيت

هذه الجملة تتردد كثيراً في أوساطنا العامة والخاصة .. و (مصرع) هي (ما أسرع) .. تقال لمن يذهب ويعود من الخدم .. اما لأنه عاد بخفى حنين ... أو تعجل العودة .. دون قضاء الحاجة .. وأشك كثيراً في أن يتمكن (لغوي) في استبدال الصاد بالسين .. ولو دعا إلي ذلك بلسان عربي مبين ..

وكفانا الله (المصارع) فشتان بين الكلمتين .. وقاتل الله العجمة ، فكم بها ابتلى الفصيح .. وفسد الصحيح .. فهل نطمع في التقويم بانتشار التعليم .. أم هي (العامية) .. فلا تسلم من الاعوجاج ، ولا تخضع للتقويم .. وأين القطن من اليقطين .

(١٧٥٨) كتاب الفصوص لصاعد ٣٩٩ هـ

ألف **أبو العلاء الربعي صاعد بن الحسن** الشاعر اللغوي الموسيقي في شهر ربيع الأول ٣٨٥ هـ أي قبل ألف سنة — كتاباً أسماه « الفصوص » على نحو كتاب « النوادر » **لأبي**

علي القالي ، وقدمه للمنصور بن أبي عامر الأندلسي : وقد أثابه عليه بخمسة آلاف دينار في دفعة ، وأمره أن يسمعه الناس في المسجد الجامع (بالزهراء) واحتشد له جماعة أهل الأدب ووجوه الناس ، قال ابن حيان : وقرأته عليه منفرداً سنة ٣٩٩ هـ . وذكر ياقوت حادثة غريبة اتفقت لهذا الكتاب : وهي أن أبا العلاء لما أتمه ، دفعه لغلام له يحمله بين يديه .. وعبر نهر (قرطبة) فزلت قدم الغلام فسقط في النهر هو والكتاب ، فقال في ذلك ابن العريف (وكانت بينه وبين العلاء شحناء قديمة ومناظرات) :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص
وهكـــذا كل ثقيـــل يغـــوص

فضحك المنصور والحاضرون ، فلم يرع ذلك صاعداً ، وقال على البديهة مجيباً ابن العريف :

عاد إلي معدنـــــــه وانما
توجد في قعر البحار الفصوص

قُلْتُ : ومن الأمثال الدارجة قولهم : « عدوك صاحب صنعتك » وما أبدع ما أجاب به صاعد .. وما في البحر من فصوص الا اللؤلؤ والمرجان .

١٧٥٩ شاعر الحجاز بالاجماع سنة ١١٤٠ هـ

قال السيد **العباس بن علي ابن نور الدين الموسوي** في كتابه : (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) المطبوع قبل أكثر من مائة سنة أي عام ١٢٩٣ هـ وهو نادر الوجود : انه (اجتمع في مكة بعلمائها الأخيار وأدبائها الكبار سنة ١١٤٠ هـ بالأديب اللوذعي اللبيب شاعر الحجاز بالاجماع .. **الشيـــخ سالم الصفـــدي الشماع**) اهـ .

قُلْتُ : وما كان مثله ليصف هذا الشاعر بأنه شاعر الحجاز بالاجماع لولا أنه فاق أنداده في الابداع .. وان كان لا يخلو من قول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولكن أين هي آثاره المتفرقة ؟ وقصائده المتفوقة ؟ انها لأمانة في أعناق الباحثين .. ولا بد لذلك من اختصاص .. يعهد به إلي ذوي الملكات الراسخة .. ليصلوا ما انقطع من هذه الكنوز الداثرة بالتفرغ والاستقصاء ، وانهم لفاعلون إن شاء الله .

١٧٦٠ شاعر البطحاء في القرن التاسع

ذكر العلامة **السخاوي** ٨٣١هـ ـــ ٩٠٣ هـ في كتابه : « التبر المسبوك في ذيل السلوك » .. (**حسين بن محمد بن حسن الحكمي المكي العدناني الحلوي**) .. نسبة إلي مدينة (حلي) المكي الشافعي المعروف بابن العليف ٧٩٤ هـ ـــ ٨٥٦هـ أنه كان من العلماء الشعراء .. وتقدم في فنون الأدب وقال الشعر الجيد ومدح (أمراء مكة) بالشعر المفلق .. وأنه كان يلقب بشاعر البطحاء ، وقد درس بالمسجد الحرام .. اهـ .

قُلْتُ : وقد روي عنه في بعض تواريخ مكة شعر يدل على تمكنه من الأدب .. وكم أتمنى أن يتفرغ أديب معاصر أو كاتب لجمع ما تفرق من سيرة شعراء مكة في العصور الماضية ـــ ويترجم لهم من المصادر الموثوقة .. ويبعث موات ما

انطوي من آثارهم فان منهم من يباهي به وبانتاجه الذي تسنم الذروة في الشعر العربي .. ومنهم العلامة الكبير صاحب الرائعة الذائعة ـــ التي عارض بها **ابن دراج الأندلسي وأبا نواس** ، وهو (**ابن علان**) المكي من علماء وشعراء القرن الثاني عشر وهو شارح (احياء علوم الدين) للغزالي .. رحمهم الله تعالى ، فذلك كله من التراث القيم الذي لا غني عنه .. والله ولي التوفيق .

(١٧٦١) الحسبة بمكة المكرمة في القرن الثامن

عثرت في احدى المطالعات على ما جاء في التبر المسبوك للامام السخاوي حسب ما يأتي : (**أحمد ابن يوسف أبو البركات الحسني** الأصل المكي عرف بابن المحتسب ولد في ١٣ شعبان سنة ٧٩٥ هـ وتوفي بمكة ودفن بالمعلاة في في شهر صفر عام ٨٥٥هـ .. وكان من العلماء .. وناب في الحسبة بمكة ثم تركها) اهـ .

قُلْتُ : ويستدل بذلك على أن الاحتسابة كانت من الوظائف الراتبة الدائمة في ذلك العهد .. وأغلب الظن أنها مما سبق اتخاذه آنئذ بمصر .

وقد أدركتها في العصر العثماني بمكة .. وكان آخر من رأيته قائماً بها ـــ ما بين عامي ١٣٢٥ هـ و ١٣٣٠ هـ شخص هرم أحسبه تركي الأصل يدعي (القيصرلي) .. أي قبل إنشاء أول بلدية بمكة المكرمة .. ولا أزال أتمثل أمامي ما كان له من رهبة وتأثير في الأسواق .. حتى ليتواري منه الكثيرون ممن يخافون كشف الغش فيما يعرضونه من الألبان واللحوم والخضراوات .. ومن الذين يخرجون بالدكاكين إلي عرض الشارع .. وكان له صلاحيات مطلقة في الحبس والجلد .. وكان يركب (بغلة) شهباء .. وحوله أربعة أو خمسة من أعوانه .. ثم انقرض ذلك فيما بعد ، واستبدل بالبلدية حتى الآن ..

(١٧٦٢) هذا قبل الف سنة فكيف به اليوم ؟

قال **أبو حيان** في امتاعه ومؤانسته وهو يروي حديث رسول الله ﷺ : « **بدا الإسلام غريباً ـــ وسيعود كما بدء .. فطوبي للغرباء من أمتي** » قلت (**لابن الجلاء**) الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة : ما صفة هذا الحديث ؟ فقال : يا بني هو الذي يفر من مدينة إلي مدينة .. ومن قلة إلي قلة .. ومن بلد إلي بلد .. ومن بحر إلي بحر .. ومن بر إلي بر حتى يسلم ، وأني له بالسلامة مع هذه النيران التي قد طافت بالشرق والغرب .. **وأتت** على الحرث والنسل ، فقدمت كل أفواه ، وأسكتت كل ناطق ، وحيرت كل لبيب ، وأشرقت كل شارب ، وأمرت على كل طاعم ، وان الفكر في هذا الأمر لمختلس للعقل وكارب للنفس ومحرق للكبد .. اهـ .

قُلْتُ : يرحم الله **أبا الجلاء** المكي .. فهذا ما أكرثه .. وأنفثه .. قبل ألف عام .. فماذا عسى هو قائل لو عاش في هذه الأيام ؟ ومهما يكن من أمر فإن الدين عند الله الإسلام . وفي اليقين والإيمان والتقوى الاعتصام ، والله أكبر ، وهو القاهر فوق عباده ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

(١٧٦٣) بين الفاطمتين رضي الله عنهما

جاء في (الاستيعاب) **لابن عبد البر** بسنده : « أن **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه قال لأمه **فاطمة بنت أسد بن هاشم** : « اكفي بنت رسول الله ﷺ الخدمة خارجاً .. وسقاية الحاج ، وتكفيك العمل في البيت : العجن .. والخبز .. والطحن » .. اهـ .

قُلْتُ : أليس في هذا التوزيع كل العدل والانصاف والصون والعفاف .. فانه لم يجد رضي الله عنه أصلح من أن يسمع للكبرى العجوز ـــ بما هو في وسعها دون حرج ، واختار للزوجة العمل في البيت .. وفي زماننا هذا أصبح ضرورياً لكل منزل خادم للسوق .. والمراسلة والمقاضي .. وبأجر خيالي .. ودلال أسطوري ، واحتمال أخنفى .. وخادمة لغسل النحاس وكنس الدرجات .. بعد أن طويت صحيفة الرحي .. ولم يعد هناك طحن ، ولا عجن ولا خبز ، هذا مع توافر وسائل الرفاهية .. التي أحدثتها الحضارة .. ولم يعد عنها غني في كافة الأوساط والمستويات .. وكان الله في عون محدودي الدخل ومطلقي الخرج .

(١٧٦٤) مادح نفسه يقريك السلام

هذا مثل عامي سائر ـــ يتكرر يومياً ، على أفواه الكثيرين . وانما يقال لمن يثني على نفسه أو عمله أو تصرفه أو انتاجه أو شعره أو أدبه .. وطالما خطر لي إيراده ودرجه فيما أفضل به علامتنا (صاحب المنهل) ـــ فعنون له « بشذرات الذهب » اختياراً من فضيلته لهذه الخطرات .. أو النفثات .. واني لأرجو من انصافه والطافه أن يصادق على أن هذا العنوان لم يكن منه الا تشجيعاً واستحثاثاً للاستمرار فيها أو الاستكثار منها فان الصدق محمود مطلقاً الا اذا تناول الانسان نفسه بالثناء .. أو الاطراء .. فانه يسمج ولا يعرج ..

ولو أنني خيرت دون أن أعصي له أمراً .. لجعلت بدلاً منه « قراضة الجلم » لا استهانة بما تحويه فان منه ما هو أعز من اللآلئ وأغلى من الذهب .. اذا نسب أو عزى إلي أهله النبلاء من ذوي العلم والأدب الرفيع .. فأما القراضات فانها جملة وتفصيلاً انما تعني هذه التعليقات التي تلز اعتباطا إلي قرن من الشذرات .. وما كان أولاها في الحقيقة بعنوانها القديم « مطالعات وتعليقات » .. فقد نشرت منها في جريدة « البلاد » و « الندوة » و « أم القرى » الغراوات نحو ألفي تعليق منها خلال السنوات الماضية وهي مرقومة فيها .. بالعدد قبل هذه المنشورة في (المنهل الأغر) فهل يقبل « **أبو نبيه** » رجائي فيعيدها سيرتها الأولى ؟؟ ويكفيني النقد المرير وأن لا أكون مصداقاً لهذا المثل الشهير .. وانه على ذلك لمعين .. (**والله لا يحب كل مختال فخور**)[1] .

---

(١) المنهل : تواضع أستاذنا البحاثة أراه البدر سهى . والماء الثمير اجاجا .. واذكر اني كنت ابديت له حول عندما حول نشر هذه التعليقات والمطالعات إلى المنهل .. ان العنوان المذكور لا يفي بحق ما ينظم في سلكها واني ارى ان نضع عليها عنوانا يفي بذلك وهو (شذرات الذهب) التي سمى بها كثير من العلماء والمؤرخين كتبهم القديمة فابدى موافقته التامة على الرأي الذي رأيته ومن ثم صار هذا العنوان علما عليها وأرجو ان يوفقنا الله لطبعها به طبعا انيقا في كتاب رائع الاخراج في حياة علامتنا الكبير إن شاء الله . =

(١٧٦٥) المطر ــ في الجمعة

مسلية انهمار الغيث والاستصحاء بصورة عامة في العشر الأواخر وما قبلها من هذا الفصل المسمى (بالحمل)[1] اثرت ايراد هذا الحديث فقد روى عن انس رضي الله عنه انه قال : (والله ما نرى فى السماء من صحاب ولا قزعة ــ وما بيننا وبين (سلع) من بنيان ولا دار ، فطلعت من ورائه سحاب مثل الترس .. ثم دخل رجل من ذلك الباب في (الجمعة) المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب .. فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا ،فرفع النبى ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا .. اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر .. فانقلصت وخرجنا نمشى فى الشمس » ..اهـ . الظراب : الروابى الصغيرة .

قُلْتُ : ومن هنا توارث الناس فكرة أن المطر اذا نزل في يوم الجمعة .. فانه بحكم العادة .. يستعر هطوله إلي الجمعة التالية .. وغالباً ما يتفق ذلك .. والظاهر أن أصل ذلك مستنبط من هذا الحديث الشريف وهنا يرد على الذهن أن ما يقال من أن الشجر جالب للمطر .. انما هو عندنا معاشر المسلمين بدعاء رسول الله ﷺ .. وجل القائل في محكم كتابه : ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته** ﴾ .

ونسأله جل شأنه أن يجعلها سقيا رحمة لا سقيا عذاب وأن يوفق عباده لصالح الأعمال .

(١٧٦٦) آيات الكبر سبع

روي **سفيان بن عيينة** عن **عبد الملك بن عمير** ، قال عاد **عمرو بن حريث أبا العريان ــ المحاربي** ــ فقال : كيف تجدك يا أبا العريان ؟ قال : أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض ، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ، وقال :

اسمع أنبئك بآيات الكبر ... تقارب الخطو ، وسوء في البصر
وقلة الطعم اذا الزاد حضر ... وكثرة النسيان فيما يذكر
وقلة النوم اذا الليل اعتكر ... نوم العشاء ، وسعال في السحر
وتركي الحسناء في قيل الظهر ... والناس يبلون كما تبلى الشجر

قالوا : وهو معدود في الصحابة ... اهـ

قُلْتُ : وما أحسب هناك ــ ما يضاف ــ إلي ما حصره (**أبو العريان**) من آيات الكبر منذ ألف وثلاثمائة عام ونيف .. الا ما هو من فروع تلك الأصول .. ورحم الله امرأ حافظ على كيانه وشبابه قبل هرمه ، ونشاطه وصحته قبل سقمه .. والسعيد من اتعظ بغيره .. ولِلّه عاقبة الأمور ..

= وما اردت بذلك الاطراء مدحا وانما اردت به وضع الامور في نصابها .

وبعد فما هو رأي القراء فيما ابديت حيال هذا الموضوع اللطيف ؟ والواقع انه ليس هنا مادح نفسه فى الحقيقة وانما هو الممدوح من غيره كما يشهد بصحته القراء .

(١) (المنهل) : كانت كتابة هذه الشذرة فى فصل الحمل من العام الماضى وتم نشرها فى فصل الدلو من هذا العام . فاقتضى التنبيه .

١٧٦٧ ـ أنواع اللذات سبع

قال **المأمون للحسن بن سهل** : نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبع ، قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : « **خبز الحنطة (١) ولحم الغنم (٢) والماء البارد (٣) والثوب الناعم (٤) والرائحة الطيبة (٥) والفراش الوطيء (٦) والنظر إلي الحسن من كل شيء(٧) . قال : فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال ؟ قال : صدقت ، وهي أولاهن** » .. اهـ .

قُلْتُ : لقد أحصى المأمون .. وأحاط ، ولم يذر .. وكأنما استبعد من حسبانه لذة الظفر بأعداء الله .. لأنه كان قد فرغ منهم ابان مجد الإسلام وعزته وشوكته .. أما محادثة الرجال فأحسن بعد العزاء فيها .. فقد عز مناهلا وشط مزارها .. وحسب المرء عوضاً عنها المدونات ، والموسوعات والمخطوطات .. والمطبوعات .. و (كل الصيد في جوف الفرا) ..

١٧٦٨ ماهو الجندعان ؟

كثيراً ما تتردد هذه الكلمة على ألسنة العامة والخاصة .. ويعنون بها الشيء الذي لا يحتمل من التصرفات الشاذة ، فيقول الرجل أو المرأة .. ان فلانا أو الولد أو الخادم (سوى فينا الجندعان) ــ ولم أجد لها نصاً لغوياً بهذا المدلول أو سواه .. واهتديت أخيراً إلي هذا التخريج أو التأويل .

قال الشاعر ــ في ديوان الحماسة :

وما كنت أبغي العم يمشي على شفا
وان يلفتني من اذاه الجنادع

وأصل الجدع القطع .. وجدع الرجل أهله : حبس عنهم الخير .. ولا سبيل إلي اعتبارها صحيحة فصيحة .. الا بتسامح كبير .. وصهر بعيد .. وصهر .. جديد .. فهي لا تخلو بألفاظها من القرابة للجدع أو الجدعنة .. وهي بالأول الصق وبمدلولها أليق .

١٧٦٩ عـد ــ عـد لا ـ هد ـ هد

منذ عرفنا الحياة إلي يومنا هذا نسمع صاحب الدابة ، اذا أراد أن تسرع في سيرها « سواء أكانت من الإبل أم البغال .. أم الأعيرة . صاح بها (حد ــ حد) وظهر لي في مراجعة قاموسية .. أن الأصل في ذلك هو (عد ــ عد) .. زجر للبغل ، قاله : (**أبو زيد**) ، قال : ومثله (عدس) .. اهـ .

قُلْتُ : وأرى أن ذلك هو الأنسب لأنه أمر بالتعدية أي المرور ــ أما (حد ــ حد) فانها أشبه بالزجر والأمر بالوقوف : وأحسب أنه لن يصحح ــ من الحاء إلي العين .. الا اذا مضى من الوقت لترسيخ ذلك ضعف ما مضى على الخطأ أو اللحن فيه .. ويظهر أن الكلمة ما كانت للزجر فقط .. ومع الزمن تحولت إلي الحث وقد رحم الله البهائم بالسيارة وان كتب عليها أن تجب جنوبها ــ للازدراء .

١٧٧٠ القد / هو / القدر

ومن فصيح العامة قولهم : « فلان عمر ، (قدي) .. أي قدري بمعنى (مثلي) .. قال صاحب تاج العروس : و (القد) .. القدر — أي قدر الشيء .. وبهذا تكون الكلمة الدارجة صحيحة فصيحة ولو استعملت في لغة الكتابة لكانت قويمة وراجحة .

١٧٧١ مفلطح .. لا مفرطح

قال **عبد الرحمن بن أخي الأصمعي** : قلت لعمي : ما المفلطح ؟ قال هو الشيء يعرض أعلاه ويدق أسفله ، ومنه قيل رأس مفلطح .. قال الزجاجي : والعامة تقول (مفرطح) اهـ .

قُلْتُ : ولا تزال العامة تلتزم الفرطحة بدل الفلطحة .. حتى يومنا هذا .. حتى في الخبز .. وفي الآناف يقول : (خشم مفرطح) .. فهل نطمع أن يعودوا إلي الصحيح ؟ أم لنا فيه مندح ؟؟

١٧٧٢ الدربكة و الفبركة

يقول أخونا لصاحبه مستنكراً ما بدا منه .. أثناء مناقشته أو محادثته اذا تضجر منه أو سخط .. ما هذه (الدربكة) ؟.. أي اللجاجة والصخب والضجيج .. كلما أغلظ في كلامه ، أو تجاوز الاحتمال .. فما هي هذه الدربكة ؟..

إنى أحسبها مأخوذة من (الدربكة) وهى من آلات الرقص أو الطرب .. ولها صوت مرتفع .. وصوت تزعج به الأسماع .. وربما كانت متعددة الطبول .. ومختلفة الايقاع ، وهي إلي (الطنبرة) أقرب .. وهى بدورها ذات ضجيج شديد أو مريد ، وكل هذا مما وفد إلينا من الخارج .. وأظن الأولى من الشام أو لبنان ، والأخرى من قلب افريقيا ولا أصل لهما في اللغة العربية كما أعتقد ..

و (الفبركة) شيء آخر ، ويقصد بها — غالباً — اقناع شخص أو جهة ما — بموضوع لا يتم الا بها .. وبطريقة لا تخلو من (المخادعة) والممالئة — وهي كما أظن — مأخوذة من (الفابريكة) — وهي كلمة دخيلة محدثة .. وتجمع على (فبارك) والأصل فيها تجمع أجهزة شتى لغرض صناعي .. تجاري واسع .. أو كبير .

ولقد كنا نعاني من الأسماء الطارئة المعدودة .. وأصبح الحال طوفاناً متدفقا وله من الشيوع والذيوع ما تخشى عواقبه — وهو ، لا يكاد يحصر عدده ، ولا ينقطع مدده .. في الغذاء والكساء والدواء والأثاث ومن ذلك (الموضة) أو (الاتيكيت) و (المانشيت) و (الكرويت) و (الليسانس) و (الماجستير) و (الزنبلك) إلي آلاف المصطلحات الجديدة التي لا بد لها من معجم يعرب معانيها ومبانيها ، إلي الفاظ عربية مفهومة ، لن تضيق بها الموسوعات اللغوية اذا ما عني بها ونفر لها طائفة من علماء اللغة ومجامعها قبل أن يستعجم الصغار ، ويتحير الكبار ، ويختلط الحابل بالنابل (وتأبي الطباع على الناقل) . وما هو رأي استاذنا الجليل صاحب المنهل الأغر في الاستمرار مشكوراً على التعريب في كل عدد يصدر منه (وما لا يدرك كله لا يترك كله) والله ولي التوفيق .

(١٧٧٣) براد الشاهي

ما أعجب أن يسمى (الوعاء) الذي يحفظ فيه الشاهي (بالبراد) .. كأنما هو (فريجدير) صغير .. بينما العكس فيه هو الصحيح فهو (سخان) لا براد .. والبرهان الدخان ..

ولا أدري من الذي سماه بذلك أول الأمر .. ولا السبب المعقول لتسميته بهذا الاسم ، وأرى بعد ان تنبه إلي ذلك الذهن — أن يطلق عليه (السخان) بدل البراد .. لأنه يلقى فيه الشاي (تلقيمة) ويغطى بالمنشفة برهة .. وهو حار جداً ولا يقبل شربه اذا برد .. اللهم الا أن يعم استعمال الشاهي مثلجاً وبماء مثلج بارد .. فيصدق عليه أنه (البراد) ولا عادة للقوم في بلادنا بذلك قديماً أو حديثاً .. فما هو رأي أستاذنا (أبي نبيه)فى ذلك[١] ؟ ولعل لديه ما هو أكثر انطباقاً من السخان وكما استطاعات اللغة أن تحول الفنجان إلي كوب .. التماسا للاصح .. فكذلك الحال في كل ما يمكن ابداله بما هو أليق وأصدق و « أهل العقول في راحة » وأحسب أن ضارب المثل انما قصد (المجانين) .. فان المعروف أن صاحب العقل في تعب ونصب .. وقد قال الشاعر الحكيم :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

(١) (المنهل) : رائعة نظرية الشيخ الجليل صاحب الشذرات الذهبية فى نقده لتسمية وعاء الشاى الذى يصب فى الاكواب ليشرب باسم (البراد) وعلى انه ربما راعى المسمون له بذلك انه يخفف من غلواء غليان الماء فى السموار اذا وضع فيه فالاسم نسبى وكفى .

(١٧٧٤) بئر دولات بمكة المكرمة سنة ٨٤٩ هـ

كان يوجد في جرول من أول المدخل إلي (الطنضباوي) لا الطندباوي وبجوار فندق التيسير .. وأما دار معالي وزير المالية الأسبق **الشيخ عبد الله السليمان** (بئر) عميقة — لا أدري ان كانت لا تزال قائمة أو ردمت .. وتسمى (**بئر دولات**) .. وكان الناس يستقون منها في الأزمات المائية وفي موسم الحج إلي عهد قريب .. اذا كثر الزحام على الماء .. وليس ماؤها عذباً لكنه مستساغ .. يشرب .. ولو سألنا أي مواطن بمكة عن أصل هذه النسبة أي (**دولات**) لتعاصي عليه معرفة ذلك .. غير أنني أكاد أجزم أن (دولات) هذا — كما أثبته المؤرخون كان من أمراء الحج المصري في عام ٨٤٩ هـ .. ولا يبعد بل من المحقق أنه هو الذي احتفرها وسبلها للحجاج منذ أكثر من خمسمائة عام .. كما هي عادة الأمراء الصالحين في ذلك التاريخ .. خصوصاً في توفير الماء لضيوف الله .. بحفر الآبار ، وبناء ما يسمى (بالسبيل) على قارعة الطريق أو حتى في قلب المدن .. والله أعلم ..

(١٧٧٥) أبو علي القالي وجمهرة ابن دريد

حكى الخطيب **أبو زكريا التبريزي** أن **أبا الحسن علي بن أحمد القالي** الأديب كان له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة .. فدعته الحاجة إلي بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضي منه بستين ديناراً .. فتصفحها فوجد فيها

أبياتاً بخط بائعها المذكور وهي :

أنست بها عشرين حولاً وبعتها
فقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية
صغــار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي
مقالة مكوي الفؤاد حزين !
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخة إليه وتكرم بالدنانير (**ابن نور الدين**) ..اهـ

قُلْتُ : وهكذا كانوا حرصاً على الأدب عنايه ، واشفاقاً ورحمة وايثاراً وسخاءا من ذوي الأقدار .. لأصحاب المواهب .. ولا زال الخير في أمة محمد صلوات الله عليه .

(١٧٧٦) فأنا ابن كلب

لا يحسبنها القارىء ــ شتمة ــ أو قذفاً .. بل انها كلمة قالها عن نفسه في الأدب العربي القديم **عبد الله بن عمر الكلبي** وهو من الشعراء .. فقد هجم عليه في احدى الوقائع في الدفاع عن الحسين فارس من جند الأمويين ، فاتقاه الكلبي بيده اليسرى وأطار أصابع كفه فمال عليه الكلبى فضربه حتى قتله وهو ينشد :

ان تنكروني . (فأنا ابن كلب)
حسبي بيتي فى عليم حسبي
اني امــرؤ ذو مرة وعصب
ولست بالخوار عند النــكب

قُلْتُ : ويروي أن شاعر النيل المرحوم **حافظ إبراهيم** زار لبنان مرة .. فكرموه واحتفلوا به ، وكان مما قيل في الاحتفال ، خطاب قدمه صاحبه بقوله : يا ابن النيل .. انك وانك .. فقال حافظ ــ وهو مشهور بالتنكيت ــ يشكر الخطيب : يا ابن الكلب الخ ..

فحدث هرج ومرج واستشاط الحفل واضطرب الحبل .. فقال : مهلاً !! انكم تجهلون ما قصدت .. انكم نعتموني بأنني ابن النيل .. وبالمقابلة قلت ما سمعتم : السم تعرفون أن نهر كم يسمى بنهر الكلب .. فلماذا الاستياء ؟!

(١٧٧٧) ما هي « البقيري »

لا بد أن الكثيرين قد سمعوا قول بعضهم « في البقيري » .. اذا أجاب المخاطب بها قصد أن ما يتحدث به صاحبه انما هو من قبيل (اللعب) أو العبث : أو ما لا يمكن وقوعه ، وانه في حديث (المنى) .. ولا يتحقق .. وهو بذلك يسخر منه ويستجهله ..

أما ما هي هذه (البقيري) . فانها احدى لعب العرب القديمة وقد ذكرها العلامة **أحمد تيمور باشا** في كتابه (لعب العرب) .. فقال : « وفي الحيوان للجاحظ : البقيري .. أن يجمع يديه على التراب في الأرض إلي أسفله ثم يقول لصاحبه : ايش في نفسك ؟ فيصيب أو يخطىء » .. اهـ .

وفي محاضرات الراغب : « البقيري .. وهو جمع تراب يقطع نصفين ويقال : خذ أيهما ان شئت » .. وفي المخصص **لابن دريد** : (البقيري) لعبة لهم يقرون الأرض ويخبئون فيها خبيئاً وهو (التبقير) .

قُلْتُ : وقد أدركناها ونحن أطفال .. وكنا نلعب بها مع الطرة وزرة .. غير أنها انقرضت كلياً منذ أكثر من ستين سنة » .

١٧٧٨ يدي ملآنة منه

مما يعزى إلي **علية بنت المهدي** أنها أرسلت الأبيات التالية إلي أخيها **الرشيد** حين غضب يوماً عليها واستعطفته بها .. وهي من نظم **أبي حفص الشطرنجي** :

لو كان يمنع حسن العقل صاحبه
من أن يكون له ذنب إلي أحد
كانت (علية) أربى الناس كلهم
من أن تكافى بسوء آخر الأبد
ما أعجب الشيء ترجوه ، فتحرمه
قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي

وكان أن رضي الرشيد عليها .. اهـ .

قُلْتُ : وشاهدي من ايراد الأبيات .. ما جاء في آخر البيت الثالث في قوله : (قد ملأت يدي).. وكان هذا قبل ألف ومائة عام تقريباً .. ولا يزال هذا الاصطلاح متداولا حتى يومنا هذا ، فيقول أحدنا عن أخيه أو صديقه : (ان يدي ملآنة منه) أي أنه واثق بمودته ومناصرته .. ومواساته وصداقته ..

١٧٧٩ سيد الاستغفار

في كتاب « ذم الهوى » للامام **ابن الجوزي** ؛ **عن شداد بن أوس** قال :

قال رسول الله ﷺ : « **سيد الاستغفار** : **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي .. وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت** » من قالها بعد ما يصبح موقنا بها فمات في يومه كان من أهل الجنة ، ومن قالها بعد ما يمسى موقنا بها فمات في ليلته كان من أهل الجنة .

قُلْتُ : ولا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، لذلك أوردته ليلتزمه من يوقنون بالله واليوم الآخر .. فلا يَدَعُوهُ صباح مساء ، والله ولي التوفيق ..

١٧٨٠ التصييف والمصيف

أما اذا كان في زمن القيظ .. واشتداد حرارة الصيف .. فلا محل لاستشكاله .. واذا صعد أهل تهامة إلي الطائف أو الهدة أو الشفا ، أو السراة .. فانهم مصيفون .. وهي (المصايف) .. غير أن كلمة متداولة سمعتها مرارا — ويستعملها اخواننا في نجد .. وهي (فلان مصيف) . ولو في زمن الشتاء .. اذا اخلد إلي الهدوء أو الراحة أو استغرق في النوم وهي عادة انما تكون بين أداء صلاة الفجر وبزوغ الشمس أو الضحى .. وكنت لا أدري سرها من حيث الاصطياف .. أو التصييف . وقرأت أبياتاً لأبي بكر بن دريد جاء فيها قوله :

أريكن هب نسيما لا يغرنك استماحي
ربما انقاد جموح ، فله يوم هَيُـوف
فتماديـــه عنيــف تارة ثم (يُصِيف)

قُلْتُ : وشرحه : صافى عنه يصيف صيفاً : عدل ، يقال صاف السهم عن الهدف . فإذن

يكون القصد أن المصيف هو من عدل عن الشغل إلي الفراغ والله أعلم .

١٧٨١ بين العقل والمروءة

قرأت فيما دونه الأوائل ، انكار أهل الفضل على من عرف بالسخاء والكرم ما يقوم به المماكسه .. في الأشياء التافهة بالأسواق .. اذا أراد أن يبتاع أو يشترى منها حتى اليسير وأنهم عاتبوه على ذلك ولاموه ، وقالوا له : أنت تهب أضعاف هذا ؟ فما هذا المكاس ؟ أي المساومة ، فكان جوابه لهم هذا عقلي أبخل به ، وتلك مروءتي اجود بها . اهـ

قُلْتُ : لهذا الملوم ما اختار ، فهو على حق في أن لا يستغفله البائع فيضحك عليه ... (الباعة) حتى في الأمور التافهة .. ولكن التسامح في هذا لا يدخل في نطاقُ الغفلة .. أو التغفيل .. فأكثر أهل السوق وباعة التوافه .. فقراء .. وأرباب عوائل وتكاليف فما يضيره .. وهو الجواد المعروف .. لو يتغاضي ويحتال في الاحسان إليهم ما استطاع دون أن يشعروا بالمن عليهم من جانبه اللهم الا أن يكون الشطط عظيماً والمبلغ جسيما .

١٧٨٢ كيف اصنع

جاء في « الامتاع والمؤانسة » **لأبي حيان** : قال **حاتم** : اذا رأيت من أخيك عيباً فان كتمته عليه فقد خنته ، وان قلته لغيره فقد اغتبته ، وان وأجهته به فقد أوحشته ، قيل له : كيف أصنع ؟ « أي كما نقول اليوم ايش أسوِّي » قال : تكني عنه ، وتعرض به ، وتجمله في جملة الحديث »

قُلْتُ : وما أحسب ايراد ذلك في زماننا هذا .. لازما .. فأغلب الناس ــ بحمد الله ــ يحفظونه عن ظهر غيب . ويأخذون به .. ولا يتجاوزونه .. وما أقول ذلك الا تفاديا لانتقاداتهم أو أن ينكره علي من لا يرى فرقا ، بين « الليمون » و « اللئيم .. ونسأل الله الهداية والغفران من كل ما هو ممقوت ونعيم .

١٧٨٣ أغزوان هو ام عروان

كما نكب الكلام أو البيان آخر الزمان بالتطبيع ! فقد ابتلى في أوله بالنساخ الذين يعجمون ولا يعربون .. ويهملون ولا ينقطون !!

فهذا الجبل الشامخ المشرف على رأس السراة وعلى سفوحها الزمردية وقممها السندسية .. والذي تقع في منطقته (مدينة الطائف) ومروجها وبساتينها انما يطلق عليه القدامى اسم : (غزوان) .. بما فوقه من قمم (الهدة) و (الشفا) كما أعتقد .. وأقرأ في كتاب « الشعر والشعراء » **لابن قتيبة** .. أي قبل ألف ومائة وعشر سنوات أيضاً .. وهو يقوم كتابه هذا ــ قوله : « ولا تثق بمعرفتك في (حزم نبايع) و (عروان الكراث) الخ » اهـ . ويفسر الشراح (عروان) بضم العين بأنه من أمنع جبال الحجاز وأكثره صيداً وعسلاً ، وهو من منازل هذيل) ونقل عن **ابن دريد فتح العين** » **اهـ** .

قُلْتُ : وما أحسب هذا الا من تحريف النساخين .. كما يقع اليوم أضعافه بل ما هو أشد منه وأنكى من تجديف « الصفافين » وسوء خطوط بعض الكاتبين .. فانما هو جبل (غزوان) بالغين لا بالعين وبالزاي لا بالراء وعلى

ذلك أدلة كثيرة من كتب الأدب والسير والتراجم ! فهل للمنهل الأغر أن يضيء سبيل الصواب بعد الارتياب ؟! فما يحسن أن يحقق في مثل هذا الا ذوو الألباب . حتى يصح الاعتماد على ما هو الأرجح .. أرجو ذلك فقد يكون فيه فصل الخطاب !! بعد كشف النقاب !! [1] .

١٧٨٤ تدفق السيول .. في الجبال والسهول

نحمد الله الجواد الكريم الذي لا تحصى نعمه على عباده الشاكرين فقد أرسل السماء علينا مدراراً وتلك آية على غفرانه ورضوانه وفضله ورحمته واحسانه[2] . الا أن ما أقامته الدولة من السدود العظيمة فى شتى مناطق الدولة قد انتفع به الحرث والنسل كثيراً وهو مما يستدعى أن يهتم أصحاب الشأن ـــ باستمرار تشييدها في كل ما يرجى فيه الخير الكثير من الأودية التي تنتهي بالماء إلي البحر وان استعدناه منه بأجهزة الإعذاب ـــ بكسر الهمزة ـــ الثانية .. وباختزان ما يفيض منها ويطغى .. ليكون امداداً للمزارع والسكان والانسان والنبات والحيوان خلال الصيف أو تأخر الأنواء .. وانني أعتقد أن وزارة الزراعة الجليلة لم ولن تضن بكل بذل ومجهود وتضحية في سبيل تأمين الاحتياجات (المائية) ما وسعها الجهد .. مع ضمان سلامة المصادر من هجمات السيول العارمة .. بالطرق الفنية المتاحة ، وانها لفاعلة ذلك إن شاء الله في ظل حكومة جلالة مولاي الملك خالد المفدى حفظه الله التي لم تدخر وسعا في رفاهية الشعب وازدهاره والله المستعان .

١٧٨٥ لذلك سميت شعرا

على يسار الذاهب إلي نجد من الحجاز .. بلدة تسمى (شَعْرًا) .. وهي على شمال (مرات) وفي جنوب القصيم .. ووقفت على نص قديم للزبيدي قال فيه : (ويقولون للأرض الموات التي تنبت ضربا من العيدان (شَعْرًا) .. والصواب : أن (الشَّعراء) الشجر الكثير ، عن الأصمعي .

وقال يعقوب : أرض كثيرة الشعاري أي كثيرة الشجر .. اهـ .

قُلْتُ :ـــ وأعتقد أنها لم تسم بذلك الا لكثرة أشجارها .. ووفرة نباتاتها ـــ زادها الله نماء وضياء واحياء .. فلا يتوهمن أحد أنها من الشِّعر .. وان كان من أعلامها الشيخ الشاعر العلامة (**محمد بن بلهيد**) رحمه الله وغيره من القديم والحديث .

١٧٨٦ حامض ياعنب

من الأمثال المضروبة التي ما يزال الناس يتداولونها حتى يومنا هذا قولهم :

«اذا بعد عليك العنقود ، قل حامض يا عنب » .. وهو مثل قديم متداول بين الخاصة والعامة والرجال والنساء ..

---

(١) (المنهل) : من محاسن المصادفات وتوارد الخواطر مع أستاذنا العلامة المطلع اني قد أوردت هذا الذي ابداه ونص عليه من تحريف الحروف عن مواضعها لدى النساخ الاوائل للسبب الذى ذكره نفسه وهو التحريف ، وعللت ذلك فى كتابى الذى قدم لمطابع الروضة بجدة ، لطبعه ، إن شاء الله : (طريق الهجرة النبوية) (مسس) يصح أن تقرأها : (مشتين) و (مسنتين) .

(٢) (المنهل) : عندما كتب سعادة الأستاذ الجليل العلامة الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي هذه الشذرة في العام الماضي كان المطر قد تدفق على مكة المكرمة .. فكانت كتابته للشذرة في مناسبتها الجميلة ..

وقرأت للوزير الشاعر أبي إسحاق ابن خفاجة الأندلسي (٤٥١ ــ ٥٣٣) هـ .. قوله في ديوانه :

أيها العائب سلمي انت عندي كثعاله
رام عنقودا فلما أبصر العنقود طاله
قال : هذا حامض لما رآي أن لا يناله

قُلْتُ : فأما معناه فهو واضح لا يحتاج إلي بيان ، ويحضرني في ذلك من باب الإطراف أن **الشريف عون الرفيق** في أول هذا القرن خرج إلي المثناة بالطائف للتنزه عصراً .. وكان في معيته المرحوم الشيخ **محمد فرج الغزاوي** .. وكان معلما لأولاد الأمراء .. ومحترماً لديهم .. فالتفت الأمير إليه وهو يمشي بين عرائش العنب : وقال له : يا شيخ هذا حلو جداً وممتاز .. فأجاب الشيخ : (لأنه حامض يا سيدنا) فالتفت إليه مستغرباً جداً .. ثم تذكر .. فقال : « أوه : نعم حامض .. خذ ، يا ولد منه إلي منزل الشيخ ليكون حلواً » وفعلاً عاد إليه مشيداً بالفضل ومعترفاً بالحلاوة والطلاوة .

(١٧٨٧) الأمارية

اذا بعث أحدنا رسولاً إلي أحد ليحضر منه شيئاً أو يستعجله ، قال له : قل له (بأمارية) ما هو كذا وكذا .. مما لا يعرفه الا المرسل والمرسل إليه .

وقد ظهر أن ذلك خطأ .. منذ أكثر من ألف سنة .. وقد صححه في كتابه (لحن العوام) العلامة اللغوي الكبير **أبو بكر بن حسين بن مذحج الزبيدي** سنة ٣١٦ ــ ٣٧٩ هـ .

فقال : (يقولون سر إلي فلان « بامارة » كذا ــ فيكسرون الهمزة . والصواب : « بأمارة » ــ بفتح الهمزة ــ وهي العلم والسِّمة .. وأستشهد بقول الأفوه الأودي :

أمارة الغي أن تلقى الجميع زري الأب- رام للأمر والأذناب اكتاد

قال : فأما الامارة بكسر الهمزة فهي الولاية ..

قُلْتُ : انتهي اللفظ في عصرنا هذا إلي (الأمارية) بزيادة الياء .. وهي (الأمارة) بدونها .. أي العلامة .

(١٧٨٨) أفرم .. وبراو

تتردد هاتان الكلمتان على الألسن في بلادنا في أكثر الأوساط ، وأحسب أن (افرم) كلمة تركية الأصل .. وتعني الثناء والتقدير للتلميذ اذا سئل فأجاب جواباً سليماً صحيحاً .. وإلي الرسول اذا عاد بالطلب سريعاً .. ولكل من أحسن وأجاد في عمله .

فأما (براو عليك) .. فهذه وان كان المفهوم أنها أخت الأولى أو ابنة عمها : الا أنني ما زلت أجهل أساسها وأصلها ومن أين جاءت ؟ والغالب أنها محرفة عن كلمة (برافو) الانكليزية ..

وتساءلت : ألا يوجد في العربية ما يحل محلهما ــ مع التسامح والتيسير ؟

(كطوبي ، أو مرحي) ثم ألم تعالج أمثال هذه الألفاظ في المجامع اللغوية الكبرى ؟ ــ ولا ينبئك مثل خبير .

(١٧٨٩) ماهو الغرجوز

يغضب الرجل من محدثه اذا حاوره في أمر ما ، وأغرب أو اشتط أو تطاول أو تهكم ويقول : (أنا ماني غرجوز) .. ويقصد أنه ليس بمضحكة أو محل استهتار أو تريقة) .

فما هو (الغرجوز) ؟ وهل له أصل عربي في القواميس ؟

قُلْتُ : وأحسبه في الغالب دخيلاً .. وأصله (البرجواز) ولكن من أية لغة هو ؟ وهناك (البرجواز) .. فهل هو الأول أو غيره ؟ وهو ما يستعمل في عصرنا هذا تعبيراً عن الغوغائية أو البرجوازية .. وأرجو أن يميط اللثام عن ذلك علامتنا الجليل (**أبو نبيه**) أمد الله في عمره ونفع به الجميع[١] .

(١٧٩٠) الحــارة

في بلادنا مناطق كثيرة في كل مدينة يطلق على مجموعها (الحوائر) .. واحدتها حارة .. قال الزبيدي :

ويقولون لجمع الحارة حوائر .. والصواب حارات : وكل أهل محلة دنت منازلهم فهم أهل (حارة) لأنهم يحورون إليها (أي يرجعون) : وأما الحوائر فجمع الحائر ، وهو المكان المطمئن

(١) (المنهل) : يبدو أن الأرجوز بالهمزة كلمة تركية الأصل فقد كانت مستعملة لديهم بمعنى المهرج والمضحك كجحا مثلا ومن يشبهه من المضحكين العالميين الذين سارت بذكرهم الركبان ، كما تفضل به أستاذنا البحاثة صاحب الشذرات أطال الله عمره وأبقاه ذخرا .

يتحير فيه الماء .. وأحسب أن حائر الرياض من هذا القبيل وبهذا المعنى ..

وهناك ملاحظة هامة وهي أنه في هذا القرن وما قبله كان الناس ولا يزالون يقولون : (ان فلانا من أهل الحارة) ويقصدون أنه (شلاوي) أي من عوام الناس أو من غير أهل (الحرفة) أي المتعلمين وأصحاب السمت والتجمل ..

وما أعظم ما كان لأولاد الحارة الأوائل والأواخر منهم ، من المناقب والفضائل والفحولة والرجولة والشهامة والشمم والمروءة والشجاعة والنجدة وصفات الخير ، فما كان يطفىء الحرائق غيرهم ، اذا صاحت بهم أرملة أو أسرة : (يا رجال النخوة) . وذلك قبل أن توجد تجهيزات الاطفاء الحديثة وما كان أسرعهم إلي معونة الملهوف .. والعاجز والضعيف والارامل مع التقوى والعفة والشرف .

(١٧٩١) اللماضة هي اللماظة

يوصف الطفل أو حتى من كان أسن منه بأنه (لميض) أي سفيه أو صاحب ذلاقة في لسانه وجرأة في حديثه ، ويزجره من هو أكبر منه أو أعقل : أسكت يا لميض .. فما أصلها في كلام العرب ؟

قرأت في حديث جرى بين **سودة بنت عمارة ومعاوية بن أبي سفيان** حين قدمت عليه بعد استخلافه تشكو من عامله (ابن أرطاة) ، وكانت تحرض على معاوية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .. فجادلها فأفحمته ، وكان من قوله لها وقد أجابته بجنان ثابت : « هيهات » (المظكم) **ابن أبي طالب** الجرأة على السلطان فبطيئا ما تقطعون .

قُلْتُ : فهي اذن من اللماظة لا بالضاد .. وعسى أن لا نظفر بذي (لماظة) بعد اليوم و (الحياء من الإيمان) .

(١٧٩٢) السرسرة

انها كلمة دارجة .. مزعجة لمن يرمي بها .. وهي في الحقيقة .. كما يبدو من الدخيل .. ولكنها بلفظها مثيرة .. ولا يرضى بها صاحب كرامة أو شرف .. وأكاد أظنها تركية الأصل .. فأما معناها فيكاد يكون — رجما بالغيب .. شتيمة تعني (الصعلكة) والحقارة .. وعدم الاعتبار فهل هي كذلك ؟ أم لها أصل عربي ؟ وأرجو أن لا تكون كذلك .. فان الأعرابي أبي قديما ان يقبل في لغته كلمة (الاستخذاء) .. لأنه لا يستخذي بطبعه .. وعند جهينة الخبر اليقين .

(١٧٩٣) التبليط

يطلق الناس في أيامنا هذا على من أفلس .. كلمة (مبلط) و (على الواو) .. ووجدتها مستعملة في العهد الأموي بالأندلس قبل ألف سنة .. الا أنها بدون تشديد .. فهي (مبلط) وهو الذي لا شيء له .. وقال بعض الرجاز :

(قالت أراه (مبلطاً) لا شيء له)

و (المبلط) الذي لا شيء له كأنه لزق بالبلاط .. اهـ .

قُلْتُ : ونحمد الله تعالى أن التفليس والتبليط قد انعدما في بلادنا .. بما يسره الله لها من نعمة وارفة .. وأخلاق قويمة .. وطريقة مستقيمة ..

غير أنني لا أزال في تطلع إلي معرفة (الواو) التي يكون عليها المترب .. أو الفقير .. أو المسكين .. فهي كلمة محدثة .. ولا ريب أنها تعني في أصلها سبباً علم في حينه .. ونسي بعد ذلك .. فهل من فاعل خير .. يرشدنا إلي أوليتها أو علتها مشكوراً ؟!

(١٧٩٤) « المشق » في الخط

كنا في أيام الطلب والتعلم .. وعند لخطاط بالذات .. نطلق على السطر (المنمق) الجميل يكتبه الخطاط ليكون مثلاً يحتذيه الطالب أو التلميذ — « المشق » بسكون الشين .. ونكتب منه ما يملأ الصفحات مرارا وتكرارا إلي أن يرضى عن ذلك الأستاذ أو يبقى المتعلم رهين (مشقه) ولو امتد به ذلك أياماً وأسابيع .. والذكي المغبوط من يفلح لأول مرة أو مرتين .. عند (التغيير) أي العرض على الخطاط ، ويأخذ (مشقاً) آخر ثم يتدرج حتى يصبح (عريقاً) ممتازاً على اقرانه .

وقرأت بيتين **لأبي الفتح البكتمري** أوردهما **الثعالبي** قبل (٩٠٠) سنة هما :

قمر كأن قوامه
من قد غصن مسترق
وكأنما قلم الزمرد
فوق عارضه مشق

وبهذا يظهر أن استعمال كلمة (المشق) . موغلة في القدم .. وهو بلا ريب مأخوذ من قولهم (قوام ممشوق) أي معتدل .. ولا أدري في عصرنا هذا إن كانت الأمشاق مازالت تحافظ على مكانتها في المدارس لتحسين الخطوط .. أم اكتفى عنها بالمطبوعات التي توافرت ؟ وأكاد أجزم أن الخط لم يتقدم بصورة عامة الا بالنسبة للموهوبين

دون الكثيرين ممن يتعذر فهم ما يكتبون .. وعسى أن لا يعلق صاحب المنهل على هذه الشذرة بقوله : « وانك لمنهم بما تجشمنا في قراءة خطك المعلق المجنون .. ولو شئت لأثبت له أنني أحسنه أكثر مما يظنون .. ولكنه عصر السرعة ولو غبنت الفنـون .. »

(١٧٩٥) يوم السبت والصبيان

وصف **ابن مجاهد** قبل تسعة قرون ثقيلا فقال : هو أثقل من يوم السبت على الصبيان . قلت : هكذا كان شعور الأطفال قبل ألف عام ، كراهة ليوم السبت بعد فسحة يوم الجمعة .. وقد شاركتهم الأجيال المتتابعة في ذلك إلي حد قريب .. وقد زالت هذه الغضاضة والمضاضة .. بعد أن تبدل منهاج الدروس .. وتمكن المدرسون من تلاميذهم بالترغيب لا بالترهيب .. وبهذا الطموح في الفتيان والفتيات .. يباكرون الطير به .. والاسفار .. إلي معاهدهم ومدارسهم حتى دون افطار .. فهم واجدون ثمة من الحنان والأمان .. ما يجتذبهم ويختلبهم .. وبذلك انعكست الآية في يوم السبت .. فهو أشهي إليهم من الانطواء والانزواء .. خصوصاً وقد اطمأنوا إلي أنه لا (علقة) — ولا (فلكة) .. وعوضنا الله عما أضعناه في نشأتنا الأولى من المغريات ، وما أكله البعض من القرمعات .. أو العلقات ، وما أحسبهم قالوا (علقة) الا لأن الطفل يعلق بالحبل في الفلكة .. ويضغط على قدميه بها حتى تخرج عيناه من رأسه أو تكاد ، ويهوي عليه الخيزران فلا يعرف يومه من أمسه . غير أنه لا يؤدب بالضرب الا من استحقه حقاً وصدقاً من (العفاريت) (والذي خبث لا يخرج الا نكدا) .

(١٧٩٦) الاملاك هو « العقد قديما وحديثاً »

لا يختلف اثنان في أن ما يطلق عليه أهل بلادنا وزماننا كلمة (الاملاك) انما يعنون به (عقد الزفاف) .. ولم يسبق أن ظفرت بأوليتها استعمالاً وتداولاً .. وقرأت في (خاص الخاص) للثعالبي — قبل نحو من تسعمائة سنة — قوله :

نثرت عليك سعودها الأفلاك
وعنت لعزة وجهك الأملاك
زوجت بالدنيا لأنك كفؤها
فاسعد بها وليهنك (الإملاك)

ومحل الشاهد هو (الإملاك) .. وبهذا يكون استعماله عريقاً .. وهذا أول ما عثرت عليه من نص فيه قديم .

(١٧٩٧) ثلاثة .. أم اربعة ؟

حفظناها من عهد الصبا . ويتداولها القوم في روحاتهم وغدواتهم هكذا :

ثلاثة تنفي عن القلب الحزن
الماء والخضرة والوجه الحسن

وما كنا ندري من هو قائلها .. عفى الله عنه .

وقرأت غيرها في كتاب (خاص الخاص) **لأبي منصور الثعالبي** المتوفي في سنة ٤٣٠ هـ منسوباً **لأبي نواس الحسن بن هاني** هكذا :

أربعـة ، مذهبـة
لكـل هم ، وحـزن
تحيـى بها ، عين ورو

ح ، وفـــؤاد ، وبـــــدن
الماء ، والبستـــان ، والقهـــــــ
ـــــوة والوجــــــه الحسن

وما كانت قهوته .. بالطبع الا « الأسفنط » أعاذنا الله منها .. وقد أبدلنا الله عنها بالحلال ، و (كل يغني على ليلاه) .. ومع ذلك فهل الثلاثة أو الأربعة كفيلة في زماننا هذا بإذهاب الهم والحزن .. اذا أخذ المرء في حسابه مشكلات العالم الذي اتسع واتصل .. واشترك كله في هموم وغموم .. وصلاحه وفساده .. وجرائمه وبوائقه .. اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك .. واهدنا صراطك المستقيم .

(١٧٩٨) تشـــطير

قال الشيخ **عبد الرحيم بن أحمد العباسي** صاحب (معاهد التنصيص) المتوفي سنة ٩٦٣ هـ :

أرعشني الدهـــر أي (رعش)
وكـــــنت ذا قوة وبـــــطش
وكـنت أمشي ــ ولست أعيا
وصرت أعيــا ــ ولست أمشي

فشطرتها كما يلي :

أرعشـــــي الدهــــر أي رعش
وقـــل (دشي)[١] ، وزاد هرشي
ونـــؤت وهنـــا بما الاقي
وكـــنت ذا قوة ــ وبـــطش
وكـنت أمشي ــ ولست أعيا
فمن « شهـــار » إلي « معشي »
ومـــن « كداء» إلي « كدي »
فصرت أعيـــا ــ ولست أمشي

مكة المكرمة ــ حي النزهة
١٥ صفر ١٣٨٩ هـ .

(١٧٩٩) لا يبعد الله الا من ظلم

حكى **الجاحظ** المتوفي سنة ٢٥٥ هـ في كتابه البخلاء : نص وصية **أبي عبد الرحمن** لابنه . وقد جاء فيها قوله : « أي بني ! .. لم صفت اذهان العرب ؟ ولم صدقت احساس الأعراب ؟ ولم صحت أبدان الرهبان ؟ مع طول الاقامة في الصوامع ، وحتى لم تعرف النقرس ــ ولا وجع المفاصل ولا الأورام الا لقلة الرزء من الطعام وخفة الزاد والتبلغ باليسير . أي بني !. ان نسيم الدنيا وروح الحياة أفضل من أن تبيت (كظيظاً) .. وأن تكون بقصر العمر خليقاً .. وكيف لا ترغب في تدبير يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح المعاد وكثرة المال والقرب من عيش الملائكة . أي بني !. لم صار الضب أطول شيءٍ عمراً ؟ الا لأنه يعيش بالنسيم .. ولم جعل ــ الرسول ﷺ الصوم وجاء الا ليجعل الجوع حجازاً دون الشهوات . افهم تأديب الله .. فانه لم يقصد به الا إلي مثلك ، أي بني !. قد بلغت تسعين عاماً .. ما نغض لي سن ، ولا تحرك لي عظم ، ولا انتشر لي عصب ، ولا عرفت أنين أذن ، ولا سيلان عين ، ولا سلس بول ، ما لذلك علة الا التخفيف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة .. وآن كنت تحب الموت فلا يبعد الله الا من ظلم » .. اهـ .

قُلْتُ : والانصاف يدعونا إلي أن نخرج أبا عبد الرحمن من سياق البخل والشح إلي مجال النصيحة

(١) كناية عن ضعف القوة الهاضمة والقاضمة .

والارشاد فما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه .. وقد أدركنا من المعمرين من ذوي الأسنان من يتحفظون على صحتهم ونشاطهم بالحركة والرياضة والمشي والتخفيف من الأطعمة .. والاجتهاد في العبادة والصلوات والطواف .. وما شاعت الأمراض ولا حملت العكاكيز الا فى هذا الجيل المترف .. فلا يبعد الله الا من ظلم .. (وخير الأمور الوسط) .

(١٨٠٠) البازل البختي والموائد

قال عبد الله بن الزبير الشاعر يمدح اسماء بن خارجة :

الم تر أن المجد أرسل يبتغي
حليف صفاء واتلى لا يزايله
تخير أسماء بن حصن فبطنت
بفعل العلمي إيمانه وشمائله
ترى البازل البختي فوق خوانه
مقطعة أعضاؤه ومفاصله

قلت : ولقد شهدت ذلك في الموائد الكبرى في القصر الملكي بالرياض ، قبل نحو من أربعين سنة فما بعدها .. وشهدت « البوازل البختية » تتصدر الجفان الضخمة وعليها أسنمتها .. وبين أحشائها الجدي والجديان .. والدجاج والغزلان .. وما تقدم الا في المناسبات الجديرة بالتكريم الممتاز غالباً .. وأحسبها من عوائد الملوك الأولى .. (في بلاد العرب) ثم أعتق الله منها رقاب (الابل) .. وان لم تنج من الذبح في الأسواق للاستهلاك اليومي .. ولعلها تكون مصداقاً للمثل « بقية السيف أنمى عدداً » .

(٨٠١) مع الرفاعي الفنان

كدت ــ برغم ما أعانيه من الألم والشجن والحزن ــ أن أرقص طرباً لتلك الدرة الغالية التي تمثلت في الكلمة التي نشرها الأديب الكبير أخي الأستاذ **عبد العزيز الرفاعي** (حفظه الله) في جريدة (الرياض) الغراء ــ في صفحة (من يوم إلي يوم) بالعدد (٢٠٦٦) الصادر في يوم الأحد ٢٦ محرم ١٣٩٢ هـ بعنوان « فارسان .. والصمت » ..

تلك النفثة السحرية الهادئة .. والدمعة السخينة الهادئة .. تحدث فيها عن خوالجه فيما أوحى إليه رثاء (الفقيد الكبير) الشاعر (**حمزه شحاتة**) فى القصيدتين الرائعتين لكل من الصديقين الحميمين الأستاذ (**أحمد قنديل**) والأستاذ (**حسين سرحان**) المنشورتين في الصحف المحلية .

لقد أبدع كل الابداع في العرض والابانة .. عما غمر الراثيين من الأسي والذكريات وطاف معهما في ملاعب الصبا .. ومسابح الخيال .. ومسارح الحياة بما لعله لم يتفطن إليه كثير من القراء .. حينما ترنموا بالمعاني التي اشتملت عليها كل من القصيدتين ابان نشرهما اعترافاً منهم بأن ما جاء على أصله لا يسأل عنه .

ورأيتني في غمرة اعجابي بأسلوبه الأخاذ .. وبيانه الساحر .. وادراكه الفني المتغلغل في الأعماق .. والمتصاعدإلي مختلف الآفاق .. أبادر لتدوين هذه الشذرة .. لأبشر حماة الأدب وشداته .. في بلادنا العزيزة بأن لنا في (**الرفاعي** الفنان) ومن ينهج طريقته في انتاجه الرائع أي

عزاء .. عمن نرجو أن لا يفرغ مكانهم في محيطنا الأدبي ومن يخلفهم ويحفظ تراثهم .. ويشيد بمآثرهم ويعتز بآثارهم الخالدة أمثال (**عبدالعزيز**) **الرفاعي** .. (وانما المرء حديث بعده) ..

وحق علي أن أهنئه بهذه اليراعة والبراعة .. بل وأعتقد أن (روح الفقيد) رحمه الله لترفرف .. محلقة من فرط الاغتباط للأدب وبأن الله جل وعلا .. قد ضمن للأدب بقاءه .. ونماءه ومجده وعلاءه .. (**القنديل** .. **والسرحان**) .. و (**الرفاعي**) واضرابهما من أدبائنا الميامين واقرانهما من الصفوة المختارة في هذه (البلاد) التي ما زالت تنجب الأفذاذ من أفذاذها .

ورحم الله **أبا شيرين** .. وأحيا بها ذكره في الخالدين ..

(١٨٠٢) فقد الشباب .. وفرقة الأحباب

مما ترويه كتب الأدب القديم بيتان لشاعر لم يسم ، وهما :

شيئان لو بكت الدماء عليهما
عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الأحباب

قُلْتُ : أي والله انه لكما قال الشاعر الملتاع .. وماذا بعد ذلك غير الصبر والاسترجاع ؟ وتدارك ما فات من الطاعات .. (اللهم احينا ما كانت الحياة خيراً لنا .. وأمتنا ما كان الموت خيراً لنا .. واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير .. واجعل الموت راحة لنا من كل شر) وتداركنا بلطفك يا أرحم الراحمين ..

(١٨٠٣) كيف الحال ؟

انها جملة دارجة شائعة تجري على جميع الألسنة كلما التقى شخص بصديقه أو قريبه بادره بها بدوا أو حضراً .. وفي التو يقول له صاحبه (أنت الحال) لا عدمناك ..

فما أصل هذه الاجابة ؟. وماذا تعني ؟!

قرأت في (المستطرف) **للأبشيهي** المحلي (٧٩٠ ـــ ٨٥٠ هـ) أي منذ أكثر من خمسمائة عام خلت قوله :

(قال **عبد الله بن يحيى لأبي العيناء** : كيف الحال ؟ قال : أنت الحال .. فانظر كيف أنت لنا ؟ فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته) .

قُلْتُ : اذن تكون الاجابة في أساسها ذات هدف مقصود لا مجرد مجاملة .. ويبدو أنها مستعملة منذ قرون طويلة (قبل ذلك بكثير) .. الا أن مرماها لم يعد محل الالتفات الا عند ذوي الأريحيات .

(١٨٠٤) وفي باب المختارات بين اللذة .. والألم

طر اذا شئت في أمانيك أوقع
ان حسن اليقين في القلب أوقع
ان يكن رزقك المتاح حلالا
فلأنت السعيد ، مهما تقوقع
وسواء اذا قنعت (فشار)
أو (قفار) .. وفستق أو قعقع

لن تساوي لذائذ الحس طراً
الم الذل ـــ بالذي أنت تطمع
هبك أدركت في حياتك كدحاً
(مال قارون) ما عسى أنت تصنع ؟
هو كرب عليك مضني ، وهم
فيه تشقى ، من حيث لا تتوقع
انه (فتنة) ، وفيك ابتلاء
فأنج منها بما به لك يرفع[1]

مكة المكرمة ـــ حي النزهة
٢٥ محرم ١٣٩٢ هـ .

(١٨٠٥) ما ذقت « اللعط » او ماتلهم العدد ؟

سمعت هذه القصة ذات المغزي البعيد من أحد رجالنا القدامي قال : كان « **الشريف زيد بن فواز** » أميراً للطائف ، وكان رجلاً وقوراً مهيباً ، وبلغ من احترامه لسنه وخبرته وميزاته الكثيرة أن كان « **الملك حسين بن علي** » رحمه الله لا يدعوه على مقامه وسنه الا « يا عمي » لأنه أسن منه ، قال : وشكى إليه بدوي من (ثقيف) فصاح بالخدم .. (أفرشوه مائة عصا) فما كان من **الثقفي** الا أن وقف مفجوعاً ، وصاح بأعلى صوته كالمجذوب ماذا ؟ ماذا ؟ مائة عصا .. شوف يا شريف اما انك ما ذقت (اللعط) أو انك ما تلهم العدد ؟ فضحك الشريف زيد من كلامه وعفا عنه ونصحه أن لا يعود إلي ما ارتكب ،

وقول البدوي : (اللعط) أي الفرش أو الضرب .. وتلهم العدد : أي لا تعرف أو تعلم كم هي المئة ؟ وفي أمثال العامة : « من آذى لا يستوحش » . وهذا يدل على الفطرة السليمة عند أهل الوبر ، أكثر مما هي بين أهل المدن والحضر ..

(١٨٠٦) « جوان » بن عمر بن ابي ربيعة و « دون جوان »

عرفت من استقراء أخبار **عمر بن أبي ربيعة** أنه كان له ولد يسمى (**جوان**) وتوقفت كثيراً عند هذه التسمية فما أعهد لها مثيلاً في الجاهلية .. ولا في الإسلام بل ولا قبلها ولا بعدها .

وما عهدي بها الا في الفرنجة أو في الاسبان .. وأشهر من يدعي بها (**دون جوان**) وأمره معروف لدى الأكثرين .

وقد عرف (**جوان بن عمر بن أبي ربيعة**) بأنه نشأ نشأة صالحة وحسن السيرة .. وكان صادقاً في قوله ، عادلاً في شهادته حتى ضرب فيه المثل .. واستغل هذا الأمر (**العرجي**) أحد شعراء الحب وذكره في شعره على أنه شاهد حبه فقال :

شهيدي (جوان) على حبها
أليس بعدل عليها جوان ؟

قالوا : فجاء **جوان** إليه وعاتبه ، فقال له : ما هذا ؟ مالي ومالك ؟ تشهدني في شعرك على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنت أنا أشهد في مثل هذا .

قُلْتُ : هذا ما قصه الاصبهاني قبل ألف عام .. فمن أين دخلت هذه التسمية إلي بلاد العرب ، وقبل فتح الأندلس والأقصى باسبانيا ؟

(١) (المنهل) : واضح أن هذا من الشعر الرائع المصفى لصاحب الشذرات العلامة البحاثة : الشيخ الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي أمتعنا الله بطول بقائه ..

ولعل (**أبا نبيه**) حفظه الله يكشف للقراء عن هذا السر المغلق .

١٨٠٧ ليته تزوج عشرا

من شعر **عمر بن أبي ربيعة** الأخاذ قوله مطايا عن زوجته :

أخبروها بأنني قد تزوجـ ـت فظلت تكافح الغيظ سراً
ثم قالت لأختها ولأخرى جزعاً : ليته تزوج عشراً
وأشارت إلي نساء لديها لا ترى دونهن للشر ستراً
ما لقلبي كأنه ليس مني وعظامي اخال فيهن فتراً ؟
من حديث نمى إلي فظيع خلت في القلب من تلظيه جمراً

قُلْتُ : انه لتصوير رائع موجز لا يعدو الحقيقة الخالدة ، وهو مما يعتبر من أدق علم النفس باعتبار أنه لم يزل منطبقاً على كل من ابتليت (بضرة) مهما بلغت من التصبر والجلد والتجمل ، حاشا من كتب الله لهن الامتثال للقضاء والقدر .. ولأحكام دينه الحنيف .

١٨٠٨ اقل في اللفظ من « لا »

قال أبو نواس :

يا عاقد القلب مني هلا تذكرت حلا ؟
تركت قلبي قليلاً من القليل أقلا
يكاد ـ لا يتجزا أقل في اللفظ من (لا)

قُلْتُ : هذا المعنى (بكر) .. لم يخترع .. من قبل ومن بعد ، وقائله كان يعيش قبل ألف ومائة عام ، فما سبقه ولا لحق به من جاء بأقل من (لا) .. حينما يلفظها الانسان ، وهي من الخفة بحيث لا تزاحمها حتى (نعم) .. وقد شرف الله (لا) باقترانها بكلمة التوحيد ، ولا تملك (نعم) على ما ميزها به الشعراء .. فضيلتها .. واستثنى من الأولين والآخرين ، زمرة المخترعين الذين جزؤوا (الذرة) وأتلفوا بها الانسان والحيوان والجماد .. وما كان لهم أن يهتدوا لذلك لولا قضاء من الله سبق .. ونعوذ بالله رب الفلق ، من شر ما خلق .

١٨٠٩ انها ـ من آل نعم

ذكر الرواة أن الحبر **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما .. كان مرة بالمسجد الحرام وعند **نافع بن الأزرق** وناس من الخوارج ، اذ أقبل **ابن أبي ربيعة** (**عمر**) فدخل وجلس ، وأقبل عليه **ابن عباس** وسأله أن ينشده : فأنشده رائيته الشهيرة « أين آل نعم » وقد زعم الرواة أن ابن عباس حفظها غيباً .. وأن بعض أصحابه لامه في ذلك فقال : « انها من آل نعم » ، وانا نستجيدها .

قُلْتُ : وهل بعد ذلك من تقدير وتشجيع لصاحب الموهبة .. وممن ؟ من أعظم الرجال علماً وزهداً وورعاً وتقوى .. وما ذلك الا لما في الرائية من معان رائعة .. وانسجام ورقة وحسن بيان .

(١٨١٠) « الطول » ـ عز

هذا ما نشأنا عليه ـــ وآمنا به (اجتماعياً) .. وما وصف به الا العظماء من الرجال والأبطال قديماً وحديثاً .

بل هو (القاعدة) غالباً ـــ جسماً وروحاً .. غير أن للعامة فيه استثناء .. فهم يقولون الطول بالخرق أو الحماقة .. بما ابتلوه في بعض الطبقات .. والأفراد . وفي اللغة ما يؤيدهم في فهمهم .. فهي تنص على (الهوج) فتقول : (هوج ـــ هوجاً) كان فيه طول في حمق وطيش وتسرع فهو أهوج .. وأعتقد أن الطول هنا مقحم فان من القصار والأوساط والطوال العاقل والرزين .. والأحمق .. والأبله والفطين .. غير أن الطوال الغر الميامين لم يعدموا حسن المقابلة .. ورد التحية فقالوا : (كل قصير نقمة) .. وهو تحامل لا يحتمل .. وخير ما يقال في الفريقين .. ﴿ **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ـــ وما بالطول ولا بالقصر .. يتميز الرجال ، ولا تتفاضل الخلان :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(١٨١١) هل تدري ما تقول ؟

روي (**البلاذري**) أن **أبا هريرة** وفد على **عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما فسأله عن الناس .. ثم قال له : « ما جئت به ؟ ـــ أي من البحرين ـــ وكان عامله عليها .. قال : جئت بخمس مئة ألف . قال : هل تدري ما تقول ؟ قال : مئة ألف ، ومئة الف وعد خمسا .. فقام **عمر** في صبيحة اليوم الثاني يخطب في الناس ويقول : انه قدم علينا مال كثير ، فان شئتم أن نعده لكم عداً ، وان شئتم أن نكيله لكم كيلاً ؟..

قُلْتُ : وذكرني ذلك بكلمة دارجة لا أعرف لها أصلاً في العربية وهي قولهم (عند فلان فلوس أو دارهم (بالهِكِي) .. أي كثيرة جداً .. فهل هي دخيلة ؟ أم لها في قواميس اللغة أصل لم أقف عليه ، وأجزم أنها غريبة وليست عربية .

ونرجع في ذلك إلي أستاذنا الكبير صاحب المنهل الأغر أدام الله به النفع والارشاد .

(١٨١٢) قل غاق فانك تطير !

روي **أبو الفرج** في أغانيه أن الشاعر **نصيبا الأسود** أنشد ابن أبي عتيق ـــ وهو من نساك قريش وظرفائهم قوله :

وكدت ، ولم أخلق من الطير ، ان بدا
بها بارق نحو الحجاز أطير

فقال : يا ابن أم : قل : غاق .. **فانك تطير** ، يعني أنه غراب أسود ..

قُلْتُ : ما أرق هذا المزاح والطفه .. وأندره وأظرفه .. ومع أن الطيران في زماننا هذا أصبح ممكنا وسهلاً فان قلوب المحبين لأسرع منه إلي من تحب .. فهي تخفق بهم على متون الطائرات النفاثة تعجلا للقاء وقد قال الشاعر قديماً :

(واسأل عنهم من لقيت وهم معي)

(١٨١٣) وأيضاً عرعر في وادي نعمان

في الشذرة المرقمة بعدد ٦٢٤ ـ المنشورة بعدد شهر جمادى الأولى ١٣٨٧ هـ بعنوان (عرعر هذيل ـ غير عرعر الشمال) .. تساءلت عما اذا كان أحد من اخواننا (أهل الديرة) يدلنا على المكان المشار إليه وموقعه في بلاد هذيل ؟ ـ وقد وافاني خطاب غير مؤرخ ـ وصل إلي ، فى ١٣٨٧/٧/٧ هـ من حضرة الأخ الكريم الشيخ (**عطاف السالمي**) .. ومصدره (الرياض) (شرطة النجدة) .. وفيه الاجابة الشافية قال : « عرعر واد يصب في وادي نعمان على يمين الصاعد إلي (شداد) أي في الجهة الجنوبية من وادي نعمان ويبعد حوالي خمسة كيلو مترات من شداد ، وحوالي عشرة كيلو مترات من (أُمَيَّة) عين زبيدة ، ويقع بالوادي المذكور بئر شبه مهجورة ، وفيه بعض المزارع التي تروي من مياه السيول في مواسم الأمطار كبقية مزارع المنطقة ، وهو تابع (للجوابرة) من أفخاذ قبيلة (هذيل) .. واذن فتكون عرعر هذه هي الجنوبية .. والأخرى هي عرعر الشامية والشمالية وشكر الله لأخي عطاف .. هذه المساعدة في تنوير الأذهان ، بما في بلادنا العزيزة من الأودية العبقة والرعان وسقاها الله الحيا ، وكللها بالريحان والأقحوان .

(١٨١٤) المتأني .. والمستعجل

قال **القطامي** : من شعراء العصر الأموي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال **ميمون بن مهران** ، حدثني رجل كان يديم الأسفار قال : سافرت مرة إلي الشام على طريق البر ، فجعلت أتمثل بقول **القطامي** (المذكور آنفا) ومعي أعرابي قد استأجرت منه مركبي ، فقال ما زاد قائل هذا الشعر على أن يثبط الناس عن الحزم ، فهلا قال بعد بيته هذا :

وربما ضر بعض الناس بطؤهم
وكان خيراً لهم ـ لو أنهم عجلوا

قلت : وبهذا نستطيع أن نجزم بأن العرب ولو كانوا (جمَّالة) أو من جماعة : (ياورويكب) . يتمتعون بالنظرة النقية والذكاء المفرط وينطقون بالشعر الموزون . وهم فوق ذلك أو من أهل حكمة وبصيرة ، وتجارب.. وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **وعجلت إليك رب لترضى** ﴾ .

(١٨١٥) ازواد الركب

عن ابن الكلبي ـ فيما رواه صاحب الاستيعاب أن ازواد الركب كانوا ثلاثة : « **زمعة ابن الأسود بن المطلب بن عبد المناف** » . **قتل يوم بدر كافراً** ، و (**مسافر ابن أبي عمرو بن أمية**) ، و « **أبو أمية بن المغيرة المخزمي**) وهو أشهرهم بذلك ، وما سموا بذلك الا لأنهم اذا سافر معهم أحد كان زاده عليهم » اهـ .

قلت : هذا ما دونه في زمنه ابن عبد البر الأندلسي في القرن الخامس الهجري وعمن كانوا في صدر الإسلام ، أو أخريات الجاهلية ، ثم لا ندري من خلفهم في هذه الميزة طوال القرون السالفة بعدهما ، وما خلت من أزواد الركب دائماً ، وقد أدركنا في حياتنا (ازوادا) كثيرين ، وأجوادا مؤثرين ، لا يسمحون لمن صحبهم أو كان معهم في سفر بأن ينفق (دانقاً) واحداً .. ذهاباً واياباً .. ويغمرونه بالقرى ، ويمدونه حتى (بالفرا ..) !! وهذه (الفرا) ليست تلك التي جاءت في المثل .. (كل الصيد في جوف الفرا) ، وانما هي في عرف الناس (الدراهم .. أو الفلوس) .. وأحسبها دخيلة .. وربما كانت (تركية) .. وكم كان في ركوب الزيارة من مكة إلي المدينة ومنها إلي مكة .. من لا يشق لهم غبار ، في هذا المضمار ، أما عن نجد وقلب بلاد العرب فحدث عن البحر ولا حرج ولكن أين هو التدوين ؟

(١٨١٦) لا تردن

اذا تحدث أحد ، إلي صاحبه : فأجابه في سرعة وعجلة وانفعال .. قال له : يا أخي مهلاً ! لا تردن !! .. ويعني بذلك الانطلاق والانفراط في الكلام بدون أناة ولا ترو ، ولا ابانه ، وهو يقابل أو يرادف قولهم : (لا تبربر) . وغالباً ما يكون ذلك تحت تاثير الانفعال والغضب . وقرأت في (الحلة السيراء) لابن الابار ٥٩٥ / ٦٥٨ هـ قصيدة تنسب للحكم بن هشام المعروف بالربضي جاء في مطلعها قوله :

غناء صليل البيض اشهى إلي الأذن
من اللحن بالأوتار : واللهو ، والردن

وشرح (الردن) بفتح الراء هنا صوت وقع السلاح (بعضه على بعض) .. أما الردن بضمها فانه الكم وطرفه الواسع كما في اللسان ..

قلت : فهذا الذي يستعمله العامة حتى اليوم يرجع بذلك إلي أصل صحيح .. فإن لوقع السلاح بعضه على بعض .. صدى .. لا يكاد يتميز فيه غير القعقعة في المعمعة !! .. وليس ذلك سبيل التفاهم بل الادراك السليم والمنطق المستقيم والا كادت (ردنا) !!

(١٨١٧) حظ المعلم قديما

قال **الجاحظ** في البيان والتبيين : وهو المتوفي سنة ٢٥٥ هـ : قال **ابن عتاب** : « يكون الرجل نحوياً .. عروضياً .. وقساماً فرضياً .. وحسن الكتابة ، جيد الحساب .. حافظاً للقرآن .. راوية للشعر .. وهو يرضي أن يعلم أولادنا بستين درهماً ، ولو أن رجلا كان حسن البيان ، حسن التخريج للمعاني ، ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم ، لأن النحوى الذي لا اقتناع عنده كالنجار الذي يدعي ليعلق باباً وهو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه فيقال له : انصرف .. وصاحب الامتناع يراد في الحالات كلها ..» اهـ .

قلت : رحم الله أبا بحر .. فلو رأي حظ المعلمين في زماننا هذا وما يمتازون به في جميع الأوساط .. ويؤثرون به من الاكرام والاحترام .. والايثار .. بما لهم من تخصيص .. في كل فن على حدة .. لا سيما في الجامعات والكليات .. والمعاهد العليا لقرت عينه واطمأن باله وتطامن أسفه وأحسبه ان كان يدعو لاجادة (البيان) ..

والاحسان فيه !! كما كان هو عذيقه المرجب وجذيله المحكك ؟!! غير مزاحم ، وهيهات ..

(١٨١٨) اضربك - لا يوجعك ؟

روي صاحب فوات الوفيات في ترجمة (**طويس**) **بن عبد الله المدني المغني** .. المتوفي سنة ٩٢ هـ قوله : (ويضرب به المثل في الحذق والغناء .. وأيضاً في الشؤم) وأن **أبا الحسين المدايني** قال : (صعد **طويس** يوماً على جبل (حراء) فأعياه وسقط كالمغشي عليه تعباً ! فقال : يا جبل ! ما أصنع بك ؟ أشتمك لا تبالي .. أضربك لا يوجعك ، ولكن يا شماتتي بك يوم تبقى كالعهن المنفوش !!) اهـ .

قلت : مهما كان هذا صحيح الوقوع من هذا الطويس فانه لا يعدو التظرف .. والتفكيه !! فما يكون له أن يشمت به في ذلك اليوم الموعود !! فهو فيه أشغل بنفسه على كل ما سواها ؟!! وأحسب أنه لم يجزع رأس كبكب .. ولا تدحرج في الكـر . وكـري في زمـانه .. ويكفي شرفاً وخلود ذكر — لحراء — أنه مهبط الوحي الأول .. ومساءة سيد ولد آدم رسول الله ﷺ أعلى الله مناره .

(١٨١٩) القفص - على نعش المرأة

« عن **محمد بن علي بن أبي طالب** رضي الله عنهما .. عن أمه أم جعفر — أن **فاطمة بنت رسول الله** ﷺ قالت **لأسماء بنت عميس** : « **يا أسماء** اني قد استقبحت ما يصنع بالنساء ، انه يطرح على المرأة — أي المتوفاة — الثوب فيصفها ، فقالت **أسماء** : يا بنت رسول الله ، ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا ، فقالت **فاطمة** : ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجال ، فاذا أنا مت فاغسليني أنت ولا تدخلي علي أحدا ، فلما توفيت جاءت **عائشة** تدخل ، فقالت **أسماء** : لا تدخلي ، فشكت إلي **أبي بكر** ، فقالت : « ان هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ ، وقد جعلت لها مثل (هودج العروس) !! فجاء **أبو بكر** فوقف على الباب ، فقال : يا **أسماء** ما حملك على أن منعت أزواج **النبي** ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ وجعلت لها مثل هودج العروس ؟ فقالت : أمرتني أن لا **يدخل** عليها أحد .. وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها ، قال **أبو بكر** : فاصنعى ما أمرتك ثم انصرف فغسلها **علي وأسماء** ، قال **أبو عمر** : **فاطمة** رضي الله عنها أول من غطي نعشها من النساء في الإسلام على الصفة المذكورة في هذا الخبر ، ثم بعدها **زينب بنت جحش** رضي الله عنها صنع ذلك بها أيضاً » لأن من عوئد بلدنا أن يؤخذ فراش المتوفي أو المتوفاة — وبعض ما كان يرتديه لمن يغسله .. أو يغسلها . ورضي الله عن **أم الحسنين** وهي تحض على الحياء والستر في الحياة وبعد الموت : ولا غرو فهي سيدة نساء أهل الجنة . (الاستيعاب) .

قُلْتُ : فهذه أولية اتخاذ هذه القفصان على نعوش النساء .. ستراً لهن .. وتمييزاً عن الرجال . وفي هذا الأثر ما يدل على اخذ ما لا يتنافي مع النصوص الشرعية من العوائد المستحسنة واصطناعه ، ولو كان من عمل غير المسلمين ما

دامت المصلحة تمت به .. وقصد به الخير .. ولا ضرر فيه ولا ضرار .

وهنا أذكر طرفة شهدتها يوم كنت في القاهرة سنة ١٣٦٥هـ في معية المغفور له جلالة الملك عبد العزيز وكانت أول زيارة لي فيها وآخرها حتى الآن ! فقد رأيت (عربة — أو عربتين) مزينة مذهبة مزركشة .. تجرها خيول أربعة .. وهي تتلألأ .. وتضيء وحسبت أنها (خاصة بالعرائس) !! وسألت ما هذا ؟ فقالوا : انها (النعش للميت) من غير المسلمين ودهشت وقلت : عسى أن يكون من حظ (الغاسل) أخذ ما عليها على الأقل أو ما فيها ..

(١٨٢٠) ماهو الدردي ؟

اذا غضبت ربة الدار على الخادم أو الخادمة صاحت به أو بها : « عساك بالدردي » ولو ذهبت تسألها ما هو « الدردي » ؟ ما استطاعت الاجابة لأنها تجهله .. وانما هي كلمة سمعتها من أمها أو جدتها .. ولا تعني عندها سوى أنها (دعوة) ساخطة .. عرفها الأولون وجهلها المتأخرون .

فأما (الدردي)[1] فانه عكر الزيت يرسب في أسفل الوعاء .

وما أراها الا كالأخرى : (سخامة الطين) — فانها الكلبة السوداء الملطخة بالوحل .. وقد ذكرها لبيد في معلقته :

وهكذا نجد بعض الكلمات المتداولة .. ذات قدم راسخة في القدم .. وهي شائعة حتى اليوم على السنة العقائل دون علم بأوليتها أو ماهيتها .. وأني لهن ذلك ؟ وما يكاد يعرفها الا أصحاب القواميس ..

(١) (المنهل) : الدردي : بضم الدال المهملة وسكون الراء المهملة بعدها دال مهملة فياء مشددة .

(١٨٢١) قرود (كرى)

هذه ظاهرة — شهدناها — ولا بد من تدوينها وهي أن (عقبة كرى) التي مهدت من أسفل (الكر) إلي أعلى قمة (الهدة) .. كانت مشهورة بانتشار (القرود) في جميع مدارجها بشكل بارز معروف .. حتى ليضرب المثل بها .. في أوساط البادية والحاضرة ، وكانت تؤذي الصاعدين على (الأعيرة) أو الأحمرة السود .. بقذفهم بالأحجار والالتفاف حولهم (والضحك) عليهم .. وأخذ الخناق بهم من كل جانب ..

حتى اذا لعلعت في الطريق كله أصوات الألغام .. ودوت أو دمدمت فيها الدركترات الضخمة .. وتفجر في أصلادها وصخورها البارود واقتحمها الحديد ، فطوعها للسيارات لم تجد تلك القرود على اختلاف أحجامها — بدا من الهجرة منها — تفاديا من الازعاج وهرباً من الموت .. وأغلب الظن أنها انما تحولت من مناطق (كرى)إلي ما حوله من الجبال الجنوبية .. غير المطروقة أو إلي (يعرج) و (ربع الشرى) وكفى الله السالكين شرها .. وبعد أن ظلت قروناً طويلة تحتل الشعاف وتعبث بالضعاف وهي احدى (حسنات التمهيد) التي أخضعت هذا الطود العملاق العنيد .. ليكون أقصر طريق إلي (المصيف الأنيس) .. فما عدنا نسمع أو نرى فيه أثراً لهذا الحيوان الشغوب ، لا رد الله غربته .

(١٨٢٢) بين مسمعين

قرأت في (سلافة العصر) **لابن معصوم** (١٠٨٢ هـ) في ترجمة (**الفضل بن عبد الله الطبري**) المكي .. وهو ممن عاش في أوائل القرن الحادي عشر الهجري .. وكان مفتياً للشافعية .. قوله ، في التفصيل (بين مسمعين) أي مغنيين ..

تخالف الناس في (ركن) فقدمه
قوم ، وقوم عليه قدموا (القصبي)
وقائل الحق ، والانصاف قال : متى
أسمعهما ، الق (أستاذاً) أو (الق صبي)

قلت : وبصرف النظر عن الجناس في البيتين فانه قد عني بالأستاذ (طبعاً) (**ركناً**) وعجبت كيف اتفق بعد مرور أكثر من ثلثمائة سنة على هذا العصر .. أن ينشأ بمكة نفسها مسمع — أو مغن .. عبقري عظيم يسمى بالشيخ (عبد الله ركن) وهو من طائفة مشايخ الجاوي المشار إليهم بالبنان وذو سمت واعتبار ، ووجاهة ووقار .. وكان ممن يقدمه ويؤثره ويكرمه (مفتى الشافعية بمكة) العلامة الكبير المرحوم الحبر الزاهد الجليل السيد **حسين الحبشي** .. ولا يكاد يخلو مجلسه منه بين الأكابر وذوي الهيئات والعلماء .. فاذا فرغوا من الصلوات ومن التدريس والتذكير ، والتهليل والتكبير ، طلبوا إليه التأنيس والتجسيس أي (المجس) فكان ينشد بين أيديهم ما يحسنه من القصائد الزهدية والتضرعات والابتهالات في أداء محكم رصين .. وصوت عذب رخيم واتقان تام للألحان الحجازية المختارة .. وبكل ما لها من أصول وفروع ، وكل من سمعه لا بد أن يتأوه ويتأثر ، وربما ذرف دمعة من خشية الله ، ورقة الصوت ، وقد شهدته في أواخر العشرينات وفي الثلاثينات والأربعينات وسمعته وجالسته كثيراً .. وكان غير محترف للغناء وعزيز السماح به لغير الخلصاء .. وقد لاحظت فيه ميزة لم تتوافر لأحد من قبله ولا بعده .. وهي أنه في الوقت الذي يكون فيه آخذاً مكانه بين العشرين والثلاثين من الناس لا يكاد السامع له يتبين من هو المنشد أو المغني منهم على علو صوته وارتفاعه وسعة مداه .. فلا يرفع يديه إلي خديه ولا يتكلف ولا يتعسف .. وكأنما هو صامت مع السامعين .

ولعل السائر في وادي (طوى) أو في شعاب الشبيكة) يسمع ما يقول ، ويشجيه تطريبه وقوة ابانته على بعد ميل من دار ودكة (**آل الحبشي**) الكرام في أول (ريع الرسام) أو ثنية كدا بفتح الكاف كا كانت تعرف قديماً .. هذا مع الترفع عن كل ما يشين أو يريب .. وناهيك بمن يتأسي بذلك الجسر الذي كان يشع من محياه نور الإيمان واليقين .. ولا يحف به الا كل من يهتدي بهدى خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

لقد كان ذلك مجرد اتفاق ، هذا في اللقب وذلك في الاسم..وانما تجمعهما (المكية) والاحسان والتقدم ورحم الله الجميع برحمته الواسعة .

(١٨٢٣) يتيمة سويد بن أبي كاهل اليشكري

كل ذي صلة بالأدب اذا قيل له ما هي اليتيمة في الشعر اذا أطلقت ؟ قال : أنها تلك المشهورة التي مطلعها :

(هل بالطلول لسائل رد) ؟

والتي منها :

أن تتهمي فتهامة وطني
أو تنجدي قديارنا (نجد)

غير أن لسويد بن أبي كاهل اليشكري — (الذي عمر طويلاً في الجاهلية ثم أدرك الاسلام فأسلم وتوفي عام ٦١ هـ) قصيدة عينية رائعة مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا
فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وقد حفلت بالحكمة والأمثال .. ولهذا أطلق عليها العرب (اليتيمة) وهي سابقة على الأخرى في الزمن .. ومن الحق والانصاف أن تكون لها الأولية في هذا (اليتم) الذي لا يعني الا التفوق .. وانبهار الأنفاس دونها . وكم في تراثنا الأدبي من (يتيمات) و (أيتام) .

١٨٢٤ كما - ايضا

أخرج الامام الحافظ **ابن حجر** عن طريق **الحاكم** : أخبرني **محمد بن إبراهيم المؤذن** ، أنشدنا **عبد الله بن محمد بن عدي الفقيه** ، للامام **الشافعي** رضي الله عنه قوله :

المرء ان كان عاقلاً ورعاً
يشغله عن عيوبهم ورعه
(كما) العليل السقيم يشغله
عن وجع الناس كلهم وجعه

قلْتُ وهذا شاهد آخر .. على أن (كما) قد استعملت في النظم كما كانت ولا تزال متداولة في النثر كقولهم (كما تدين تدان)(*) .

(*) (المنهل) : يبدوا أنه يوجد فرق أعرابي ومعنوي قوي بين (كما) في قول الشافعي: (كما العليل) الخ..و (كما) في قول = المثل (كما تدين تدان)..فان كما في البيت حرف تشبيه مكفوف عن العمل لاتصال (ما) الزائدة به . أما (كما تدين تدان) فكما هنا مركبة من (كاف) التشبيه و (ما) الموصولية لغير العاقل .. ولا يصح جعلها حرفا بدون معنى .. اذ لو قيل تأويله مثلاً : (كادانتك تدين) لفسد المعنى ولم يؤد المثل مطلبه من أنه مثل الذي تدين به الغير تدان به أنت . والله أعلم .

١٨٢٥ الحزم - الخرق

أنشد صريع الغواني **مسلم بن الوليد** (**يزيد بن زيد**) قصيدته اللامية المشهورة . ومما جاء فيها قوله :

تراه في الأمن في درع مضاعفة
لا يأمن الموت ، أن يدعى على عجل

فقال له **يزيد** : هلا قلت كما قال **الأعشى** في مدح **قيس بن معد يكرب** :

واذا تجيء كتيبة ملمومة
شهباء يجتنب الكماة نزالها
كنت المغبر غير لابس جنة
بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال **مسلم** : قولي أحسن من قوله لأنه وصف قيساً بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزم .. اهـ .

قلت : ما من حاجة مع ذلك إلي التعليق ، وانما هو الاعداد والتطبيق ومن الله الاعانة والتوفيق .

١٨٢٦ ماهي هذه (الأشكل) ؟؟

تقول المرأة لصديقتها : أوحشتيني كثيراً .. فتجيب : أنا أشكل .. ويظنها الناس انها بمعنى (أكثر) وما هي بهذا .. ان أصلها في اللغة (المشاكلة أي المشابهة) .. فهي بردها هذا — انما تقول : « أنا أشبه بك في هذه الوحشة » فاما

أن يفهم منها الزيادة أو الكثـرة فذلك مجرد فهم جديد لهذه الكلمة على أن الاصطلاح المتداول جمع لها (المشابهة لغة) أو الوحشة الأغلب لا الكثرة .. وما أحسبها الا من الرواسخ التي لا تتزحزح وما بها من بأس ولا حرج ..

١٨٢٧ شفته - وشافني

تسأل رفيقاً لك عن صديق طال غيابه عنك فيقول لك : انه بخير وعافية وقابلته (وشفته وشافني) .. ويعني بذلك أنه رآه بعينه ، فهل هي صحيحة فصيحة ؟

ووجدتها عربية لا مجال للتردد فيها . فقد جاء في القاموس المحيط قوله : (شفته شوفاً جلوته) .. فهي ليست مجرد النظر بل والدقة فيه والاجتلاء .

١٨٢٨ ابن قتيبة والشعراء

قال **ابن قتيبة** في كتابه (الشعر والشعراء) « ولا نظرت إلي المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل إلي الفريقين .. وأعطيت كلا حقه .. فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله .. ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين .. ولا عيب له عنده الا أنه قيل في زمانه ، ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن .. ولا خص قوماً به دون قوم ، بل جعل ذلك مقسوماً بين عباده ، وجعل كل قديم منهم حديثاً في عصره .. اهـ

قلت : وكذلك هو الانصاف والعمل والتجرد من التعصب والتحيز ، وما دام كل من الفريقين يعطي حقه .. فلا محل للتنقص أو الاضعاف ، وقلما نهج هذا السبيل الا الرواد من ذوي البصيرة .. وطاهرو السريرة .. ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ .

١٨٢٩ الايجاز - والاعجاز

قال (**ابن الدثينة**) :

بنفسي من لو مر برد بنانه على كبدي ، كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كل شيء ، وهبته فلا هو يعطيني ، ولا أنا سائله

وقال (**ابن الدمينة**) :

بنفسي وأهلي من اذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب ؟
ولم يعتذر عذر البريء ولم يزل به صعقة ، حتى يقال مريب

قلت : وعلى كثرة ما في الشعر الغزلي من روائع وبدائع .. فما يستهويني منه ويأخذ بمجامع قلبي وربما استدر الشؤون من عيني مثل هذه الأبيات التي جمعت بين الايجاز والاعجاز . وما أعتقد أن لها مثيلا في عصرنا هذا .. رحم الله ابن الدثينة وابن الدمينة .. فقد لمسا بشعرهما هذا أعماق كل ذي قلب سليم .

١٨٣٠ دابة المسك

قال الامام العالم أبو زكريا القزويني في كتابه : (آثار البلاد وأخبار العباد) :.. وقال ابن الفقيه : (بالصين دابة المسك) ، وهي دابة تخرج من الماء في كل سنة في وقت معلوم ، فيصطاد منها شيء كثير ، وهي شديدة الشبه بالظباء ، فتذبح ويؤخذ الدم من سرتها — وهو المسك — ولا رائحة له هناك حتى يحمل إلي غيرها من الأماكن .. اهـ .

قلت : وقديماً قال الشاعر العربي :

وما أنا الا المسك في أرض غيركم
أضوع ، وأما عندكم فأضيع

كما قال الآخر :

فان تفق الانام وأنت منهم
فان المسك بعض دم الغزال

وعارضه الآخر فقال :

فان تفق الأنام وأنت منهم
فان البيض بعض دم الدجاج

ومساكم الله بالمسك ، بعد أن تشبعوا من (الكشك) ..

١٨٣١ ميمات الدواة

قال الشاعر العالم الأديب الفقيه المحدث المعمر الشيخ **عبد المعطي بن حسن بن عبد الله باكثير المكي** ثم الحضرمي المولود بمكة سنة ٩٠٥ هـ والمتوفي سنة ٩٨٩ هـ (بأحمد آباد) ..

و « ميمات الدواة » تعد سبعا
وسبعا ، عدهن بلا خطاء
(مداد) ثم (محبرة) . (مقص)
و (مرملة) و (مصمغة) الغراء
و (مكشطة) و (مقلمة) (مقط)
و (مصقلة) و (مموهة) لماء
و (محراك) و (مسطرة) (مشن)
و (ممسحة) لختم وانتهاء

قلت : كان حصرة هذا لميمات الدواة .. في عصره قبل أربعمائة سنة خلت . وقد أدركنا كل ذلك بعينه وسنه .. واسمه ورسمه بمكة لدى (الخطاط) قبل ستين عاماً وما زال يتوارى شيئاً فشيئاً حتى أغنى عنه كله .. هذا القلم ذو الحبر الناشف يعلق في الجيب .. وان لم يكن الخط به كما كان رونقاً واشراقاً وجمالاً ودلالاً .. وقواماً واعتدالاً .. (وواحد كالالف ان أمر عنا) .

١٨٣٢ موسى اطبق

روي هذه الطرفة صاحب الأغاني فيما أتذكر ، قال : **ضاق الهادي العباسي** ، وهو خليفة ، بنفسه وبظروفه .. وما حوله من المشكلات .. فرأى أن يفرج عن صدره بعض همومه .. فدعا برجلين معتوهين معروفين آنئذ ببغداد ، فأحضرهما — فلما وقفا على الباب وعليه الحرس .. والخليفة في صدر الديوان صاح به أحدهما على الفور : (موسى أطبق) — وسبب تسميته بذلك أنه كان وهو صغير يفتح فمه دائماً .. فوكل به أبوه خادماً يصيح به : (**موسى** أطبق) فيصك شفتيه .. ويتألم لذلك .. فما أن سمع الخليفة ذلك حتى صاح بالحرس .. اسحبوه

على الأواصر والأرحام أن تقطع وانهم لفاعلون إن شاء الله .

(١٨٣٦) فطنة خارقة

كان للشيخ **سليمان غزاوي** الخطاط الشهير — غلام — رقيق تبناه .. ولا يكاد يفارقه .. ونادي أحدهم من باب الزقاق — الشيخ يريد أن يقابله .. ولكن الشيخ كره أن يلقاه لأمر ما .. فقال : يا بشير .. قل له خرج .. ما هو هنا !!

فأخرج بشير رأسه من الروشن وقال يا عم : « يقول لك سيدي هو ما هو هنا .. خرج » !!.. وضحك المنادي والشيخ .. واضطر أن يقابله بفطنة بشير الخارقة .

(١٨٣٧) اطال الله عمرك وعافاك (ياعمـر)

كثيراً ما حاولت أن أكتب باسهاب عن المقالات الشائعة التي يتكرم بها أخي العزيز الشيخ **عمر عبد ربه** في الصحف المحلية عن ماضي جدة — وما أدركه فيها من مكارم الأخلاق في أهلها الكرام ومظاهر الحياة في أرجائها ومما يطابق الواقع تماماً ويذكر بالأخيار من ذويها الذين أدركتهم معه — أو أكثرهم — رحمهم الله تعالى .. وكم طربت لها ونعمت بها وعشت معهم في أدوارها وأشكالها وأوضاعها وعوائدها الجميلة — ودعوت الله له بطول العمر والصحة والعافية ؟!.. ولا ريب انه من رجالنا البارزين وأعياننا الأكرمين وانه (بقية) السلف الصالحين ثبتنا الله واياه على الدين القويم ، والنهج المستقيم وأحسن ثوابه ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ . واني لأفتخر به وأعتز ، واقرأ له ، وأستعيد بذلك نكهة الصبا وعنفوان الشباب وأستزيده من هذا الخير انه ولا محاباة في بلادنا من أبنائها النبلاء .. كما يقول المثل « ان الطيور على أشكالها تقع » .. فهو يذكر القراء بما كنا عليه وما صرنا إليه .. ويحسن التعبير عن ذلك بأسلوب أخاذ .. وأدب غزير .. وفطرة سليمة .. ولا أجد ما أقدمه له الا الدعاء من الصميم بأن يمد الله في حياته .. ويمتعه بالصحة والعافية .. ويحفظه ذخراً ومرجعاً لعنعناتنا التاريخية .. وماضينا المجيد .. وأن يجعل فيه وفي اخوانه ونسله المبارك الخير كل الخير .. ولطالما انشرح صدري بما يكتب من ذكرياته الطيبة .. و (الذكريات صدى السنين الحاكي) ..

وانما المرء حديث بعـــده
فكن حديثاً حسناً لمن وعي

جعلني الله واياه من عباده الصالحين .. وأحسن خواتيمنا .. بما يرضاه و ﴿ **الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ ، فمزيداً من هذه النفائس يا أبا سراج فانها سلوتنا في زمان لا سلامة منه الا بالتمسك بحبل الله المتين ، (وطوبي للغرباء) .. الذين يصلحون ما أفسد الناس !

(١٨٣٨) على مهلك خطأ وصوابه (على مهلك) بفتح الهاء

يقول الكثيرون لمن يسرع في مشيه — أو يهرول : على مهلك — بسكون الهاء .. وهي كلمة تنفر منها الطباع والأسماع ، لأنها من الهلاك لا التمهل ولا الامهال .

... سمعت من والدي رحمه الله أن عمه [ال]شيخ **محمد فرج الغزاوي** كان يصيح بمن يقولها ــ لأ لا ، قل على مَهَلِك ــ بفتح الهاء ــ وما زالت رائجة بما فيها من الازعاج في كل الأوساط .. وقد أخذت ترسخ في الأذهان وعلى الألسنة ، وخير منها : (الهون) فيه العون .. أو رويدا رويدا ــ بالفصيح .. ولا عذر بعد اليوم للعوام أو الخواص .باستعمال المتداول قديماً .. و (بشروا ولا تنفروا) .

(١٨٣٩) عود الكبريت و لحية ابيه !

مما علق بذهني عن المرحوم **عبد الرحمن الزامكة** من أهل الطائف.. وكان نادرة في لين عظامه وتلويه بشكل لا يستطيعه انسان .. فكأنما خلق بلا عظام ..

ومن نوادره أنه شخط عود الكبريت أمام أبيه وهو من العلماء الكبار .. وأشعل به سيجارته بيمينه ولكن من وراء رقبته ورأسه !! وقال هل تستطيعون ذلك مثلي ؟ فقال أبوه : (ما شاء الله يعني ايه ؟) هات .. وقلده فيما فعل وكان ذا لحية كثة عريضة طويلة .. فاتصل اللهب بها دون أن يبلغ شفتيه .. فاشتعلت .. وفاح لها رائحة كرائحة رأس الضأن وهو يشوي .. فقام إليه من حوله يطفئون ما اشتعل من لحيته وهو يركض وراء ابنه بالعصا لاحتياله عليه !! وكذلك كان الكثيرون من ذوى المواهب والغرائب .. والبدائه .. رحمهم الله .. وغفر لهم ولنا وللمسلمين .

(١٨٤٠) لابد من الفحم النباتي

ان أمكن الاستغناء عن الفحم النباتي الذي كان هو الوقود الوحيد مع الحطب للعصور الخالية ــ بالغاز والبوتاجاز .. والكهرباء .. فهل يمكن اغفاله في حاجات اخرى هامة .. وهي : اللحم المشوي على الطريقة الشامية أو الهندية .. وفي المبشور .. وفي السلاة .. أو ما يسمى (بالمضْبِيّ) الحضرمي ؟ لا أظن ذلك .. ولا بد من الفحم لما لا يصلح الا به من الانضاج المعتدل لا (الأهوج) .. غير أن ذلك انقرض وينقرض مع من أدركوه وانقرضوا أو كادوا .. وكما لا يرضى اليوم راكب السيارة بركوب الشقدف .. فان الجيل الجديد .. ليس له من الصبر والأناة ما يرضى به بغير العجلات الطائرة .. والأغذية المعلبة الجاهزة وقد دخلت تلك (الأكلات) أو المأكولات في (عالم النسيان) وسبحان من له الدوام .

(١٨٤١) النظافة والرش و الاضاءة في شوارع مكة

قبل ٧٠ سنة

نعم ــ ذلك ما عاصرناه وشهدناه .. قبل أن تنشأ بلدية لمكة المكرمة ــ فما كانت الا بعد عام الثلاثين وفي شكل بدائي .. لا جدوي منه .

وكانت نظافة الشوارع كلها بل والأزقة .. يعهد بها إلي شيخ الحارة .. وهو بدوره يهيِّء لها من الحمير أربعة ومعها سائق هو الكناس .. وتدور على كل الحارات والمداخل والمخارج وتجمع

النفايات ويرمي بها في أقصى المسفلة .. مقابل هللات يتقاضاها من أهل الدكاكين شهرياً ..

ويعهد بالرش إلي سقائي الموارد بالقِرَب .. صباح مساء .. وذلك في الشارع العام من أول جرول إلي أقصى المعابدة يخرجون لذلك في وقت واحد ..

ورأيت في عام ١٣٣١هـ ـــ عند الصفا ـــ أو دار البلدية الجديدة .. براميل ذات رشاش من التنك في مؤخرها ويجرها الحمار وهي ترش ما بين الحميدية .. وقصر الحكم في الغزة .. كما رأيت آنئذ ..موظفاً من البلدية يزن أو يختبر سطول الحليب عند (اللبانة) ويميز المغشوش من السليم ويعاقب من يغش حالاً ..

أما الاضاءة فكانت بالفوانيس البلدية الضئيلة جداً .. وعشنا ورأينا التنظيف والرش بالسيارات الفخمة .. والاضاءة بالكهرباء ـــ والحمد لِلّه على نعمه التي لا تحصى .

(١٨٤٢) ايقظة ـ ام حلم ـ خلال ستين سنة

كنا خلال عام ١٣٣١ و ١٣٣٢ هـ ـــ نملأ الزنابيل أو المكاتل ـــ كما كان يقال عنها في الأسواق بما لا يكاد يذكر من الدراهم .. فيكفي صاحب العائلة أن يكتفي بكل ما يحتاج إليه بيته في يومه بربع ريال .. يقضى به اللحم والخضراوات والسمن وما إليها بسعر الأقة ـــ لا الكيلو ـــ خمس هللات .. اذكان ثمن الكبش السمين آنئذ ريالاً واحداً .

وما زال الغلاء يزداد حتى بلغ ذروته عام ١٣٤٧ هـ ..

هذا واطرافاً للقاريء أقول : ان (الشيخ **أسعد أفندي مفتي**) وكان وكيلا لنقابة السيارات بالمدينة المنورة ـــ قدم إلي مكة في حج ذلك العام ـــ وكنت مشغولاً بأعمالي الرسمية فرجوت من أخيه **الأفندي عبد الله بن بكر مفتي** أن يقوم عني بضيافته في حديقته (أمام الحجون) وتسمى (المفتية) وأن يجعلها فائقة شائقة ويقدم لي كشف الحساب لتسديده له .. فقام بذلك خير قيام .. وكانت من كبشين (سليق) وأرز « عنبربو » وفواكه وشاهي أخضر وأسود وقهوة .. و (حسن جاوي) أيضاً وما إليه .. وبعد الفراغ من ذلك قدم إلي كشف الحساب .. وكان نحوا من ٢١ ريالاً احدى وعشرين ريالاً .. وقلت له : هذا كثير .. واسراف !؟ ويقابل ذلك الآن قيمة للكبشين فقط أزيد من ألف ريال أي قيمة ألف رأس قبل عام ١٣٣٢ وإلي عام ١٣٣٤ هـ !! فهل يصدق هذا الجليل المعاصر ؟!! اللهم ارحم عبادك ، وأعنهم على ما يحملون من أعباء تقال ؟ ولا سيما أرباب العيال .. وأنت الرؤوف المتعال ..

(١٨٤٣) اعواد الدوم والعرعر والجريد

كانت الدور القديمة كلها بمكة المكرمة والطائف ـــ تسقف بالدوم والعرعر والحلفاء والأذخر .. وقلما تجد سقفاً من غيرها الا ما استجد بعدها من استحضار القندل والخشب الجاوي عن طريق البحر ـــ بنسبة محدودة .. ثم تضاعفت ..

وكان ذلك يدر ثروة على المعمرين والذين يجلبون الدوم والعرعر والحلفاء .. من منابتها في

جنوب مكة أو السرة .. وانتهي دورها كلياً بعد استعمال الاسمنت والحديد ، وكسدت (الحلفاء) وما إليها ..

فماذا عسى صارت إليه تلك المؤن التي تملؤ السهل والجبل في نواح شتى ؟! فان من الخير أن لا تهمل وتستخدم فيما تصلح فيه من الصناعات بالطرق الحديثة احتفاظاً بها وتقديراً لماضيها الطويل .

واعتقد أن وزارة الزراعة .. قد عالجت ذلك في مخططاتها العامة إن شاء الله .

(١٨٤٤) القرش - يا اولاد القحرة

ممن أدركت من رجالات الطائف الشيخ (**علي فتة**) وكان مرحاً .. لا يدع لجليسه فرصة للهم أو الغم كأمثاله آنئذ .. رحمهم الله .. وكانت له حذاقة عجيبة في صنع الأرز الذي كان يسمى (مغازلية الطائف) .. حتى أنه ليكاد يؤكل وهو بعد على النار .

قال مرة .. قبل نحو من ستين سنة : انني أشكو من ألم في بطن .. فبادرنا إليه .. وقلنا له : (هات قرشاً) فأخرج القرش وقال : لماذا ؟ قلنا : اصبر ! وأحضرنا له به (قرطاساً) من المسهل (الملح الانكليزي) .. وأذبناه له في كأس . وقلنا سم بالرحمن واشرب .. فأخذه على فمه .. وقبل أن يبلغه كله أخذنا نقرفه .. ونصطنع التكره له .. بل والاقياء .. فقاء ما أدخله في فمه أو جوفه — وهو كريه المذاق .. وأثناء قيئه صاح .. (ضاع القرش يا أولاد القحرة) !! والقحرة هي الناقة المسنة فيما أظن !! ..

وكانت حسرته على ضياع القرش أكثر من جزءه من القيء .. ومن هنا ندرك قيمة (القرش) آنئذ .. وان كانت القصة لا تعدو الترفيه أو التفكيه به .

(١٨٤٥) ما هي الخرنوبة ؟

لو سأل أحدنا نحن الذين تجاوزنا الستين .. ناشئاً حتى قبل أربعين سنة إلي الآن عما هي (الخرنوبة) .. لأعوزه الجواب ، وربما تصور أنها واحدة من ثمر الخرنوب !!

وما هي بتلك .. انما هي جزء من ربع الكيلة .. التي كانت تستعمل معياراً لدى الحبابين قبل (الكيلو) ...

وهي تعني أن الفقير واجد ما يريد من أي نوع من الحبوب مهما قل .. وعلى قدر فلوسه .. كما أن القرش كان يعني أربع هللات .. والهللة ست خمسات .. والخمسة فردانيتان أي أن القرش الواحد كان يمثل من العملة المتداولة (٤٨) قطعة . ولا يعدم الصغير والفقير شيئاً يشتريه بها من الكراث والفجل والبقدونس والكزبرة الخضراء .. ومن أكوام النبع و (المخيط) و (لوز النبي) و (الحميض) .. وما إلى ذلك من الفلفل الأخضر .. فاذا حسبت الريال الآن تجده يساوي ١٠٠ هللة .. وهذه بدورها تمثل ٦٠٠ خمسة .. وتضاعف فتكون ١٢٠٠ فردانية .. (وصح النوم) .. فقد صارت الحزمة من حاجات السلطة بالريالات العديدة !! نقول هذا .. وقد عاصرناه وتعاملنا به وله نماذج لا تزال محفوظة !! وكانت عيديات الصغار في الأعياد لا تزيد عن القروش أو ربع الريال والآن لا يقنعه عشرات الريالات .. وكان الله في عون الآباء ..

(١٨٤٦) الصحيح (القراش) لا (القراج)

يستعمل في مستودعات السيارات كلمة (قراج) بالجيم والصحيح الذي يطابق الأصل في اللغة تماماً (القراش) بالشين فقد جاء النص في ذلك صريحاً اذ يقول صاحب تاج العروس (وتقرشوا تجمعوا : ومنه سميت قريش) .. ولا أدري ان كان هذا الاستعمال في مبدئه كان باعتبار أنه بالشين أو أنه بالجيم .. على أساس أنه كلمة دخيلة من لغة أخرى (ولا اجتهاد مع النص) .. وكلما وجدنا ما يتفق مع المعنى المنصوص عليه من المصطلحات الجديدة — كان ذلك كسبا للعربية .. وكل وما اختار .

(١٨٤٧) احسن الله اليك وجزاك عنى خير الجزاء

قرأت في المنهل الأغر الصادر برقم المجلد ٤٠ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ وجمادى الأولى ١٣٩٩ هـ كلمة العلامة أستاذنا الجليل الدكتور **محمد رجب البيومي** الأستاذ بكلية اللغة العربية بالمنصورة (بمصر) العزيزة .. والكلمة بعنوان : (بين القالي والفالي) .. وكما سرنى كثيراً ثناء فضيلته على أخيه في صدر كلمته القيمة .. ورغم ما أعانيه من الآلام النفسية المرضية عافاه الله منها جميعاً .. فقد وجدتني بطوعي واختياري واعترافي بالفضل لصاحبه ، أكتب هذه الكلمة المتواضعة شاكراً كل الشكر لرعايته وتكريمه وجميل أفضاله وارشاده ..

وقد تأثرت كثيراً باحسانه المضاعف بارشادي إلي الخطأ في (النقطة) بين القالي ، والفالي .. وكما يقول المثل العامي : (العتب على النظر) ورب ملوم لا ذنب له فقد كانت هذه الهفوة ابان مصيبة كبرى زلزلت كياني بوفاة « عشيرة الحياة » كلها .. رحمها الله هذا من جهة ومن الأخرى أحمد الله أن الخطأ وان كان في نقطة واحدة فانها أقل خطراً واهمية من نقطة (اخص من قبلك ..) المعروفة في الأدب العربي القديم . وجزاه الله عني خير الجزاء . (ورحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي) .

وما كانت مشاركتي في المنهل الأغر وبالشذرات الا تأسياً بأهل الفضل وذوي الايادي البيضاء أمثال فضيلته ومن قبيل :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم
ان التشبه بالكرام فلاح

وحسبى غبطة بعد هذا العمر الطويل أن أقرأ مثل هذا الرضا من علامة جليل .. أمدّ الله في حياته ووفقه لكل ما يحبه ويرضاه ، كما أرجوه أن لا يحرمني من دعواته الصالحة (وكل اناء بالذي فيه ينضح) وإليه أخلص التحية وأزكى السلام ، ولولا الاعياء والعياء لأسهبت فيما يحبه وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

(١٨٤٨) ابو خيشة والزاهد بمكة

من غريب الاتفاق أنني أعرف رجلاً مغربياً بمكة منذ ٧٠ سنة .. كان لا يرتدي الا (الخيشة) فقط ، يقطعها من جهة ليدخلها في رقبته .. وهو في حالة جذب .. ويتجول دائماً في الأسواق ويقنع بالقوت القليل .. ويلازم

الجماعات في المسجد الحرام ، ويلقب بـ (أبي خيشة) .

وكان لي معه موقف حرج جداً .. وذلك أنه صادفني في الشبيكة وأنا أقصد المسجد الحرام في الثلث الأخير من الليل .. اذ كنت حريصاً على الطواف وصلاة الفجر .. وكانت بيدي مسبحة من (الكهرمان) .. وهي تحتوي على ثلث مائة حبة .. وفي غفلة مني ، أمسك بيدي في غضب وانزعاج ، ونزعها من يدي ، وقال : ما هذا ؟ انها لا يستعملها الا اليهود .. فلا أراك تحمل مثلها بعد الآن أو أفعل وأفعل !!! فقلت له : لن تراها بيدي وجزاك الله خيراً .. وانطلقت منه مرتبكاً .. ولم أعد أحملها فعلاً فيما بعد ..

وقرأت في (تاج العروس) قوله : « فهو الصاغاني : (ذو الخيشة) : زاهد كان بمكة شرفها الله تعالى (مقتصراً على ازار يستر به عورته ، ولا يرتدى ! وكان يصلي الصلوات الخمس بحرم الله تعالى (ساكنا بالحجون إلي أن مات) وكان أشعث أغبر ، خشنا جلده ، حتى صار كأنه خيش خشن ، فلقب به لذلك ، وقبره بالحجون رحمه الله تعالى » اهـ . ولم يبين في أي زمن كان ..

قُلْتُ : ولم أعد أرى أو أسمع بعد ذلك من يلقب بهذا اللقب خلال ٦٠ سنة بعده ، ولِلّه في خلقه شؤون .

(١٨٤٩) ان شاء الله تنعمي

سمعت مذيعة من بلد اسلامي تقول لامرأة أخرى تحادثها ، هذه الجملة : (إن شاء الله تنعمي) .. فاستغربت ذلك ، وما كانت تريد الدعوة عليها ، ولا كان حديثها معها يستدعى ذلك . فعرفت أنها انما تريد (النعمة) لا (العمى) ..

وقُلْتُ : لقد كان خيراً لها لو قالت : (أنعم الله عليك) أو نحو ذلك ــ تفادياً من الفهم الذي يتبادر إلي السامع لأول وهلة (**وانما الأعمال بالنيات**) .

(١٨٥٠) (لاحول الله) !

كم يزعجني ما أخذ يشيع ويذيع بين أكثر الناس حتى في بلادنا تقليداً .. وهو قولهم : (لا حول الله) .. اقتضابا من جملة : (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) وهو استعمال فظيع لمن يدقق فيه .. فالحول كله لِلّه . وماذا على القائل لو نطق الجملة كلها بنصها كاملاً ، بدل هذا التحذلق والتمشدق ؟.. وعسى أن يلاحظ ذلك عباد الله .. الذين سلمت نياتهم ولا يريدون الا الحق والصدق .. فما أحسب ذلك الا من روافد (الغزو) اللغوي .. المدسوس .. و ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ .

(١٨٥١) البورصة ـ دخيلة

قرأت في اللغة : (والبراص) ككتاب منازل الجن .. جمع (برصة) .. واصطلح الناس في أيامنا على تسمية أسواق العملات النقدية والورقية في المدن الكبرى (بالبرصة) أو (البورصة) وأغلب الظن أنها دخيلة .. فاذا جعلناها من العربية كانت (من منازل الجن) .. ولا تبعد عنها .. فان من الناس من يكون من فصائل الجن وهي لا تخلو من تصرفاتهم !! بتقلباتها الفورية ..

(١٨٥٢) الحنفص في اريتريا

يطلق الناس على من تكون أفريقية الأصل .. وتزاوجت بأبيض أيا كان من الايطاليين فولدت له بنتا أو ولداً بلون مختلط بين السواد والبياض أو سواهم .. بأنها (من الحنفص) !! ولا أظن أنهم يراعون في هذه التسمية لغة العرب .. ولعلها تكون من لغة أخرى .. غير أنني وجدت لها صلة بها حيث جاء هذا النص :

(الحِنفص) بالكسر .. هو الصغير الجسم .. (وعن **ابن دريد** قال : وأحسب أن النون فيه زائدة وهو من حفصت الشيء اذا جمعته) اهـ .

والغريب أن يتحري قائله العربية فيه اذا قصد ذلك في الأصل وأحسبه كذلك .. وحتى (الحنفصة) أصبحت اسما بلا مسمى هناك .

(١٨٥٣) السبع البنات

من طُرَف **الامام ابن الجوزي** في كتابه (ذم الهوى) (٥١٠ ــ ٥٩٧ هـ) قوله : باسناده إلي **هشام بن محمد** : « سمعت رجلاً من **بني عذرة** يحدث ، قال : لما علق جميل بثينة وجعل يشبب بها استعدى عليه أهلها (**ربعي بن جارحة**) وهو يومئذ (أمير تيماء) .. فخرج جميل حتى انتهى إلي رجل من عذرة بأقصى ديارهم وكان سيداً فاستجار به ، وكان للرجل سبع بنات ، فلما رأى جميلاً رغب فيه ، فأراد أن يزوجه ليسلو عن بثينة ، فقال لبناته : البسن ثيابكن وتحلين بأحسن حليكن ، وتعرضن له .. فلعل عينه أن تقع على احداكن فأزوجه اياها !! قال : وكان جميل اذا أراد الحاجة أبعد في المذهب ! فاذا أقبل رفعن جانب الخباء .. فاذا رآهن صرف وجهه !! قال : ففعلن ذلك مراراً فعرف جميل ما أراد به الشيخ ! فقال :

حلفت لكيما تعلمنن صادقاً ... وللصدق خير في الأمور وانجح

لتكليم يوم واحد من بثينة ... ورؤيتها عندي الذ وأملح

من الدهر لو أخلو بكن ، وانما ... أعالج قلباً طامحاً حين يطمح

فقال الشيخ : أرخين عليكن الخباء فوالله لا يفلح هذا أبداً .. اهـ .

قلت : ومع ما في القصة من تفكيه وترفيه ، فما إلي ذلك هدفت ! بل قلت : لعل هذا الشيخ .. كان من سكان أم القرى .. وفي اجياد .. وفي جبل (السبع البنات) المعروف بذلك حتى اليوم ــ رغم أن النص واضح بأنه كان من بني عذرة وأن الحادث انما وقع في أقصى ديارهم !!! ولعلهن هاجرن بعد ذلك إلي مكة .. وأقمن بهذا الجبل .. وما ذلك الا من باب التأويل والتعليل !! حتى يزول التساؤل ويظفر بالدليل !

(١٨٥٤) ابن خلكان

قليل من وقف على علة تلقيب المؤرخ الشهير بهذا اللقب وهو (**ابن خلكان**) .. وأكثر الناس يحسبونه من القاب الأعاجم !! وظفرت في ترجمة قطب الدين الحنفي المكي (٩١٠ ــ ٩٩٠ هـ) .. أنه قال : ان لفظ **ابن خلكان** .. ضبط على صورة الفعلين « خل » أمر من التخلية .. و « كان » الناقصة .. قال : وسببه أنه

كان يكثر قول : (كان والدي كذا) .. (كان جدي كذا) .. (كان فلان كذا) .. فقيل له : خل كان !! فغلب عليه اهـ .

قلت : انه تعليل معقول .. ولا يبعد أن يكون هو السبب لولا أن الموصوف بذلك يجب أن يكون والده .. لأنه أنما يقال (ابن خل كان) !! هذا ــ وفي الشعر التهذيبي الحديث قولهم :

ان الفتى من يقول ها أنذا
ليس الفتى من يقول كان أبي !!

فاذا جمع التالد مع الطارف .. خلعت عليه المطارف ، وتجاوبت حوله الغطارف !! أو كشح بالخل وكسح بالمجارف !!

١٨٥٥ لساعة ماجاء

يسأل زيد عمرا عن فلان هل حضر أم لا ؟. فيكون جوابه هذا (لساعه ما جاء) ، وهي في صحتها لغة .. « إلي هذه الساعة لم يجيء .. » فما هو سبب هذا التحريف .. في « بلد » أخذ أكثر العالم ثقافته وأدبه وتهذيبه .. ومحيطه العربي الإسلامي ؟ ان السبب ينحصر في التواء الألسنة الأعجمية ــ التي امتزجت عصوراً طويلة .. بالسكان .. وغلبت لهجاتها على الشارع .. والدور .. بما فيها من عجمة .. واعوجاج ! وكثيرة هي أمثالها .. ولا سبيل إلي تقويمها .. الا في هجرها .. وابدالها بالصحيح الفصيح .. ومع الزمن .. ستعود إلي أصولها ، وتخلص من هذه (العامية) الطارئة .

أما اكراهها على التحول من الخطأ إلي الصحة حالاً .. فانه متعذر بعد أن درجت عليها الأجيال الطوال .. وفي هذا لا بد لنا من « طولة البال » ..

والا فان في (الطين) الابلال !! وفي أمثالهم قولهم « أخضر يابس هات ! كله ماشي » ..

١٨٥٦ الفلوس .. من عصر ابن عمر

عن قرة بن خالد ، قال : قلت **لمحمد بن سيرين** : هل كانوا يتمازحون ؟ فقال : ما كانوا الا كالناس . كان **ابن عمر** يمزح وينشد الشعر ويقول :

يحب الخمر من كيس الندامي
ويكره أن تفارقه (الفلوس) !!

قلت : ومن هذا نعلم أن استعمال كلمة (الفلوس) قد عمرت .. وامتدت قرونا طويلة .. ورسخت في الأذهان .. وجرت على كل لسان ، رغم أنها زوحمت بسواها من المسكوكات .. غير أنني رأيت ظاهرة ربما لم يلق الكثيرون بالا لها ، وهي أن (الفلوس) يغلب الحديث عنها أو بها في الحواضر .. دون البوادي . أما أهل البادية فانهم يقولون « الدراهم » .. وأهل حضرموت واليمن يقولون « البقش » !! وقد أدركت الأولين من أهل المتاجر و « المغالق » بمكة وجدة يقولون : « الداوين » وهي في الأصل « الدواوين » جمع « ديواني » .. وهكذا تدول الأيام حتى بالعملة .. المضروبة !! وفي المثل « انفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب » ..

وخير منه قوله ﷺ : « **أنفق بلالا ، ولا تخش من ذي العرش اقلالا** » ..

(١٨٥٧) القوارة .. صحيحة

كثيراً ما نسمع هذه الكلمة من السيدات في المنازل .. تقولها ربة الدار للخادمة أو لمن يكون معها من الخلطاء .. وذلك اذا استفظعت حركة ما ، أو كلمة نابية غير مناسبة من الصغير ، فينطلق بها لسانها هكذا : « أما قواية » !! وكنت أحسبها مما جري به التداول العامي فاذا هي صحيحة لغة : قال **المرزوقي** : « .. ونحو منها ما حكاه **سيبويه** من القواية » . قال **عمرو بن براقة** :

ومال بأصحاب الكري عالياتها
فاني على أمر القوايـــة حازم

قال : وهو فعالة من القوة ، وأصلها قواوة .. وكأنه كره اكتناف الواوين .. اهـ .

قُلْتُ : وكلما تنحلنا العامية الدارجة .. وجدنا لها أصولاً راسخة وفروعاً سامقة ، وما أكثر المفردات التي يتداولها الجمهور وهي عريقة في انتسابها إلي الفصيح الصحيح ..

(١٨٥٨) الفرا .. هو الثراء

نسمع من متداول كلام العامة ــ قولهم ــ (الفرا) .. ويقصدون بذلك الدراهم .. بأنواعها .. واذا قالوا ان فلانا .. (ذو فرا) .. فانهم يعنون أنه غني .. ووجدتها في كتاب (الابدال والمعاقبة والنظائر) للامام **الزجاجي** المتوفي سنة ٣٣٧ هـ أي قبل ألف سنة ونيف قال : « ورجل ذو ثروة ــ وفروة .. وقد أثرى وأفرى ! قال الشارح : عن **ابن السكيت** **يعقوب** : « انه لذو ثروة من المال وفروة بمعنى واحد اذا كان كثير المال » اهـ .

قُلْتُ : وكنا نحسبها مأخوذة من المثل السائر « كل الصيد في جوف الفرا » .. على بعد ما بينهما من مدلول ! وهكذا نجد كثيراً مما تستعمله العوام .. يعود إلي أصل صحيح فصيح .. وأحسب أنّ (الفرا) في اللغة التركية هي بدورها تؤدي معنى (الدراهم) .. ولعلها انما اقتبست من العربية !

(١٨٥٩) أبد الله ؟ !

من أطرف ما قرأته قول **الزجاجي** : وذكر : وذكر : **محمد بن يحيى العنبري** : أن رجلا من فصحاء ربيعة أخبره أنه سمع كثيراً من (أهل مكة) من فصحائهم يقولون : يا **أبد الله** .. يريدون : يا **عبد الله** » اهـ .

قلت : انها رواية ترجع إلي ما قبل ألف سنة !!

ولا تجوز المكابرة في صحتها وانما يمكن أن تكون ــ انما راجت على السنة المهاجرين من الأفريقيين الذين كانوا يشكلون أكثرية في أوساط مكة .. عن طريق الاسترقاق أو الاستخدام أو الاقامة .. غير أن الراوي يقول أنه سمعها من فصحاء أهل مكة آنئذ !! وما أحسبه الا عابر طريق .. فما لها من داعم أو دعامة تسندها في رواية أخرى .. وما تزال كلمة (أبد الله) بمعنى (عبد الله) .. مسموعة حتى اليوم .. ولكن لا من قريش ولا هذيل ولا ثقيف !! ولكنها من كل طارئ لم يستقم بيانه ولم يطعه لسانه .. وذلك كشأن أبي عطاء السندي الشاعر العباسي

المشهور .. وقد جاء بالدر النفيس فيما أنشأه من شعر وقصيد ؟!![1] .

(١٨٦٠) الطنجير

يصف أحدهم الآخر .. ذاما له : بأنه (طنجير) ! ولو سألته ما يعني ؟ لما زاد على أنه غير صالح — او فالح ! — وحقيقته هي أن الطنجير بكسر الطاء .. هو الاناء يصنع فيه الخبيص ونحوه .. وهو كناية عن الجبان أو اللئيم !! وقليل ما هم الذين يتداولونه فيعرفون ذلك منه .. وفيما بلوناه في زماننا أن الغرض الأول من هذه الكلمة أن الموصوف به .. يخدع بمظهره الضخم الفخم .. السمين المتين !! ولكنه .. غير ذي جدوى !!

(١٨٦١) البشكة

وعوداً على بدء .. ما زلت أنقب عن أصل كلمة (البشكة) التي سمعناها وعشاها طوال حياتنا ابان الصبا والشباب .. ورحم الله أيامها ..

أقول ان اللغة تنص على : (بشك بشكاً .. أسرع ، وابتشك كذب .. وارتجل الكلام واختلقه و (البشاك) .. الكذاب .. بتشديد الشين وفتحها ..

وأين هذا من مفهوم (البشكة) المصطلح ؟؟ اللهم الا أن يكون أول من أطلقها على جماعة مؤتلفة .. ماكراً !!! أو أن أغلب ما تنطوي عليه .. يغلب فيه اللغو واللهو .. والكذب .. من باب الاطراف أو التفكه ! فان لم تكن كذلك فهي دخيلة من لغة أخرى .. وعلى من ظفر بها أن يكشف عنها الغموض .. بدلاً من الظنية والتعسف والفروض ..

(١٨٦٢) اذن الخبيص هو المعصوب

عن رجاء بن أبي سلمة عن عون قال : كان في أهل ابن سيرين فرح .. فأتاهم فرقد السبخي يهنئهم ، فأتوه (بخبيص) ، فأبي أن يأكله ، فأتوه بسمن وعسل وخبز نقي فجعل يأكل ، فقال ابن سيرين : « وهل الذي تركت الا هذا الذي تأكله » اهـ .

قلت : فهذا هو (المعصوب) في عهدنا هذا .. ان بقى له أثر حتى اليوم .. بعد أن غلا « السمن البقري » المحض ! و « العسل الشفوي » المصفى ! وما أشد ما لحق هذا الاسم « الخبيص » من ظلم عظيم .. عندما انقلب معناه إلي « الخبصة » أو « التخبيص » !! فان كل ما يخرج ويخلط من هذا الطيب .. وعلى هذا النسق اللطيف مضافاً إليه « الموز » أو « القشطة » كما اعتاد أهل مكة أو الحجاز عامة .. لا يكون الا محلا للتكريم .. ولعله استحى الامتهان .. فعز .. أو تعزز .. فأعيدوا إليه كرامته بالحمد والشكر .. لعله يتوفر .. ولا يتنفر !!

(١٨٦٣) فهم البخور

« جاء في كتاب أخبار الحكماء للقفطي المتوفي سنة ٦٤٦ هـ في ترجمة للطبيب بختيشوع بن جبرائيل .. وكان قد ناله خير عظيم من طبابته

(١) (المنهل) : ونسمع إلي اليوم (أبد الله) بمعنى عبد الله من أهل اليمن الشمالي في تهامة .. وهم من قديم يقلبون العين همزة كما هو في المراجع اللغوية المعتمدة .

للخلفاء العباسيين في القرن الثالث الهجري وعاش في ترف كبير ، ما نصه : « وكان بختيشوع يهدي (البخور) ومعه في درج آخر (فحم) يتخذه من قضبان الكرم والأترج والصفصاف المرشوش عليه عند احراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور ويقول : أنا أكره أن أهدى بخوراً بغير فحم فيفسده (فحم العامة) !!»

قلت : وإلي هذا المدى بلغت الحضارة الإسلامية .. ولو أن كل بخور .. لم يسطع الا بمثل هذا الفحم .. على وصفه المفصل آنفاً لتساوي ثمنه بما يوقد به أوله من الجمر !! ومن الحق أن بعض الفحم يفسد الشذى .. بما فيه من القذى والأذى !! ويكفي أن يتخير من سقط أغصان النقا .. أو الغضا .. ولا داعي للاسراف .. ولكنه البذخ .. وفي الأمثال العامية . « الدم من الرأس ، والحجر من الأرض » !!

(١٨٦٤) طو - طو - وطي طي

من أمثالنا العامية قولهم : « طي طي طي طي ـــ زي ما رحتي جيتي » !! ولا نعلم أوليتها ولا من ضرب هذا المثل وفي أي تاريخ ؟

غير أنني قرأت في احدى المطالعات العابرة : قصة عن « **ابن جني** » اللغوي ، قال : « روي عن **أبي حاتم** أنه قال : قرأ علي أعرابي بالحرم (طيبى لهم وحسن مآب) فقلت « طوبى لهم طوبى فقال طيبى .. قلت : طوبى ، قال : ، فلما اشتد علي ، قلت : (طو طو) ، فقال : (طي .. طي) .

قُلْتُ : كان هذا قبل مائة وألف سنة أو تزيد .. فهل تتيح لنا هذه الرواية اعادة المثل العامي السالف الذكر إليها ؟ أم أنها لا دخل لها فيه ؟

وينطق بعض الناس المثل بالتاء لا بالطاء .. مطابقة لما بعده ، فيقول : (تي تي ، تي تي) ـــ زي ما رحتي جيتي .. فأما معناه فلا يكاد يبعد عن قصة الأعرابي .. من حيث أنه لم يقنع .. رغم التكرار الا (بطيبي) .. كما هي لهجة قومه وعشيرته ، فكأنما جاء أبو حاتم كما هو راح .

وما أردت بذلك الا الترفيه والترويح .. وأن أستطلع رأي علامتنا اللغوي الكبير أبا (نبيه) في هذا الاستنتاج ـــ أمد الله في عمره .. ومتعه بالطيب والطوبي ـــ والفالوذج ، و (الكماج)[1] .

والشيء بالشي يذكر ، فقد كنت أسمع من المرحوم رئيس السدنة الشيخ عبد القادر المتوفي سنة ١٣٥٠ هـ قوله : ما هذا يا ناس ؟ كنت أركب البغلة من الصفا إلي الشهداء .. وأمشى بها الهويني .. وأتمتع بما أراه في الشوارع على مهل .. وجاءت السيارة وطارت بي فلا أتمكن من رؤية شيء .. وما هو الا « طوط .. طوط » وينتهي المشوار !! ويعني بذلك (المنبه) الكهربائي .

(١٨٦٥) أمارة الشعراء الأولى

قرأت في (شذرات الذهب) **لابن العماد** المتوفي سنة ١٠٨٩ هـ : « .. وقال **ابن خلكان** : قال **البحتري** أنشدت **أبا تمام** شعرا لي في بعض

(١) (المنهل) : لا عطر بعد عروس . ولا يفتى ومالك بالمدينة . والرأي الحميد السديد ما رأيته أيها الشيخ البحاثة الجليل الذي جمع الله له بين طرفي الأدب : الشعر العطر والنثر الزاهر مع الفكر الناضج .. أطال الله بقاءك وأبقاك ذخرا لنا ولرائدى الثقافة الاسلامية الرائعة وحفظك ورعاك .

(**بني حميد**) وصرت به إلي مال له خطر !! فقال لي : أحسنت ، أنت أمير الشعراء من بعدي ! » . فكان قوله هذا أحب إلى من جميع ما حويته « اهـ.

قلت : فهذه أولية التلقيب بالامارة في الشعر !! غير أن الملاحظ فيها أنها بيعة أو منحة من شاعر فرد واحد ، احتفظ لنفسه بهذا اللقب .. وخلعه على من بعده .. فاذا كانت الامارة تعني التقدم والتميز على من هم تحت ظلها .. فلا بد اذن من انعقاد الاجماع بها لمن يرتضى لها من قبل أهل الحل والعقد فيها من جميع الأقطار والأمصار .. فان لم يكن اجماعاً فلا أقل من أكثرية .. ساحقة !! وما أروح وأعقل وأهدأ .. من صرف همه إلي الاحسان في انتاجه !! دون التعلق بهذا التغرير ورواجه !!.. وسبحان من تفرد بالكمال والجلال .

(١٨٦٦) الحجـــاج هو النخعي لا الثقفي

لا يكاد يذكر اسم **الحجاج** حتى يتبادر إلي السامع أنه ابن يوسف الثقفي صاحب الحكم والسلطان والبطش والطغيان ، ولكنني ظفرت بحجاج آخر .. من النخع .. وهو « القارىء القوام ، الساري الصوام . الفقيه الأثير ، الفقير الأسير « **الأسود بن يزيد النخعي** » .. أما لماذا أطلق عليه « **الحجاج** » من أهل زمانه فقد قال عنه (**الشعبي**) : انه كان رجلاً (حجاجاً) ..فذلك أنه حج (ثمانين حجة) وقيل : انه حج ثمانين ما بين حجة وعمرة .. وهو من الثمانية الذين انتهى الزهد إليهم من التابعين » .

قلت : وأحسب أنه قل أن اتفق ذلك لمثله قبله وبعده .. هذا مع المشقة والوعورة والوعث والهاجرة .. والظمأ .. والسغب .. وما لا يطاق احتماله اطلاقاً في زماننا هذا حلاً وترحالاً .. حتى قيل له وهو يجهد نفسه في الصوم ويخضر جسده ويصفر : لماذا تعذب جسدك ؟ قال : (انما أطلب راحته) فيا بعد ما بين الحجاجين .. وهكذا كان أثر اليقين والايمان .

(١٨٦٧) هكذا كانوا .. ايثار حتى الموت

جاء في (الاستيعاب) **لابن عبد البر** في ترجمة (**عكرمة بن أبي جهل**) — رضي الله عن عكرمة — ما نصه : « ذكر **الزبير** قال : حدثني عمي عن جده **عبد الله بن مصعب** قال : استشهد ، باليرموك **الحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو** .. وأتوا بماء وهم (صرعي) فتدافعوه كلما دفع إلي رجل منهم قال : اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه ، قال : طلب عكرمة الماء فنظر إلي سهيل ينظر إليه ، قال : ادفعه إليه ، فنظر سهيل إلي الحارث ينظر ، فقال : ادفعه إليه ، فلم يصل إليه حتى ماتوا » اهـ.

قُلْتُ : كذلك كان المسلمون في الصدر الأول ، وبهذه الروح التي تحلوا بها استطاعوا أن يملكوا العالم .. ويدوخوا الدول ، ويبسطوا الأمن والعدل والاحسان في كل بقعة حلوها .. وكل بلاد احتلوها !! فهل من مدكر ؟

١٨٦٨ اذا عجز الدواء .. فالدعاء

في نوادر حكمة الطبيب « **يوحنا بن ماسويه** »وقد عاصر **الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل** في القرن الثالث الهجري : « أن رجلا شكى إليه (جرباً) قد أضر به فأمره بفصد الاكحل في يده اليمني . فأعلمه أنه قد فعل ، فأمره بشرب (المطبوخ) فقال : قد فعلت ، فأمره بشرب « الاصطخيقون » فأعلمه أنه قد فعل .. فقال له : لم يبق شيء مما أمر به المتطببون الا وقد ذكرت أنك عملته .. وقد بقى شيء لم يذكره « **بقراط** » ولا « **جالينوس** » وقد رأيناه يعمل على التجارب كثيراً فاستعمله ، فإني أرجو أن ينجح علاجك إن شاء الله تعالى .. فسأله عما هو ؟ فقال : ابتع « زوجي قراطيس » ـــ أي فرخين من الورق .. وقطعها رقاعاً صغاراً وأكتب على كل رقعة « رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية » وألق نصفها في .. الجامع الشرقي بمدينة السلام ، والنصف في المسجد الغربي وفرقها في مجالس الناس يوم الجمعة .. فاني أرجو أن ينفعك الدعاء اذا لم ينفعك الدواء .

قُلْتُ : وان الدعاء ليتدافع مع البلاء .. وانها لوصفة شرعية لا مجال للشك فيها وقد قال جل وعلا ﴿ **واذا مرضت فهو يشفين** ﴾ .

عافانا الله وكل مبتلى من السقم ، وأرشدنا إلي الخير وأوزعنا شكر النعم ، ومنه يستمد العفو والعافية وحسن العاقبة وهو أرحم الراحمين .

١٨٦٩ اهلا وسهلا .. طارفة تالدة

قال مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري ـــ وكان شاعراً غزلاً من شعراء الدولة الأموية ، وتقلد خوارزم :

عنت لعينيك ليلى عند مسراها
فبت أرشف يمناهــا ويسراهــا
وقلت : (أهلاً وسهلاً) اذ هديت لنا
ان كنت تمثالها أو كنت اياها ..

قلت : فهذه الصيغة لا تزال بعينها متداولة بين الناس خلال أكثر من ألف وثلثمائة سنة خلت .. وأحسب أنني قرأت في غير هذه الأبيات شطر بيت قديم يقول فيه الشاعر :

(فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً)

فهي هي لا بديل لها في مجتمعنا عبر القرون الطويلة .. وذلك لما فيها من التكريم الجامع والايجاز المانع .. وستبقى رديفة لرد السلام .. ما نبتت بين الاكف الأصابع .

١٨٧٠ الشريف المرتضى والسرقات الأدبية

قال الشريف المرتضى **علي بن الحسين العلوي** الموسوي ٣٥٥ هـ ـــ ٤٣٦ هـ وهو في الذروة من ائمة الأدب واقطابه : « انه لا ينبغي لمصنف أن يقول : هذا البيت مسروق المعنى من فلان ، لأنه قاطع على ما لا يأمن هذا أن يكون كذباً .. فربما تواردا فيه من غير قصد » .

ويقول في قضية التفرد بالمعاني : « الخواطر مشتركة ، والمعاني معرضة لكل خاطر ، جارية على كل جنس » . وانه « يجب أن لا يطلق أحد في معنى من المعاني أنه منفرد به سابق إليه . وان كان لم يسمع له نظيراً ولا عثر له على شبه ، لأنه لا يأمن أن يكون فيما لم يبلغه ولا اتصل به ، وقد ورد ذلك المعنى ، فان الخواطر لا تضبط ولا تحصر ، ومن ذا الذي يحيط علما بكل ما قيل وسطر وذكر ، وان الانصاف هو أن يقال : هذا المعنى نظير هذا المعنى ، ويشبهه ويوافقه ، فأما أخذه وسرقه فيما لا سبيل إلي العلم به . لأنهما قد يتواردان على ما ذكرناه . وان يسمع أحدهما الآخر . وربما سمعه فنسيه وذهب عنه ثم اتفق له مثله من غير قصد اهـ .

(الشهاب : وطيف الخيال)

قلت : آثرت نقل هذه النصوص بمناسبة ما يشار أحيانا في بعض الصحف من صور حول السرقات الأدبية .

وليس يعني (المرتضى) ما ينقل بنصه وفصه .. شعر أو نثر .. عن طريق السطو والاستباحة .. والمخادعة .. والادعاء أو الرياء .. فهذا عدوان مبين .. ويجب أن تكون عقوبته فضيحته .. حتى لا به محدودو الاطلاع .. ويجترىء اولئك الذين لا يزالون في حاجة إلى التمكن من الأدب القويم ، والخلق الكريم ، ويزدجر كل أفاك أثيم . •

(١٨٧١) (الكنافة) وابن غانم

كان **أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم ابن شرحبيل بن ثوبان الرعيني** المولود سنة ١٢٨ هـ والمتوفي سنة ١٩٠ هـ من أصحاب **مالك ابن أنس** رضي الله عنه ، وكان قاضياً بافريقية ..

وقد روي صاحب كتاب (رياض النفوس) **أبو بكر بن عبدالله المالكي** .. أن ابن غانم هذا خرج مع جماعة من أصحابه إلى منزله .. وكان فيمن خرج معه **سليمان بن زرعة** .. وخرج بزوامله ومطابخه ، فلما نزل نزع ثيابه واشتمل بردائه ، وفعل مثل ذلك بجميع من معه ، وكان في صيف ووقت حر ، ثم أمر بالطعام فقرب إليهم ، وفيه (كنافة) ، وكان **ابن غانم** يحبها ، فلما وضعت بين أيديهم خرق رجل من القوم موضع الزبد من وسط القصعة ، فقال له **سليمان** : أخرقتها لتغرق أهلها ؟ فقال له **ابن غانم** : « أتهزأ بكتاب الله » عَلَيّ ان لا أكلمك أبداً ! ثم أمر بدابته فقربت إليه وانصرف راجعاً إلى القيراوان .

قلت : والشاهد هنا هذه الكنافة العريقة الغريقة ! التي يتوسطها الزبد .. منذ أكثر من ألف ومائتي سنة .. وما عهدنا بها الآن كذلك .. مما يدل على تطورها مع الزمن (وعند جهينة الخبر اليقين) ! أو لعل كنافة الغرب ليست كمثيلتها في الشرق ! وانما هي من قبيل (الهريسة) أو (العصيدة) أو (العقيدة) ..

(١٨٧٢) الداء - الدوى هو (الذنوى)

قرأت في كتاب صفة جزيرة الأندلس **لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى** ، وقد جمعه سنة ٨٦٩ هـ قرأت قصيدة رائية .. تصف ما حل باحدى مدن الأندلس (بربشتر) سنة ٤٥٦ هـ من أعداء الاسلام

والمسلمين .. وقد آثرت نقلها ونشرها لما فيها من العبرة والعظة لكل من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .. قال : (وفي ذلك يقول الفقيه الزاهد ابن العشي :

ولقد رمانا المشركون بأسهم
لم تخط ، لكن شأنها الضماء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها
لم يبق ، لا جبل ، ولا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها
في كل يوم غارة شعواء
باتت قلوب المسلمين — برعبهم
فحماتنا في حربهم جبناء
كم موضع غنموه لم يرحم به
طفل ، ولا شيخ ، ولا عذراء
ولكم رضيع فرقوا من أمه
فله إليها ضجة ، وبغاء
ولرب مولود أبوه مجدل
فوق التراب وفرشه البيداء
ومصونة في خدرها محجوبة
قد أبرزوها مالها استخفاء
وعزيز قوم صار في أيديهم
فعليه بعد العزة استخذاء ؟
لولا ذنوب المسلمين ، وأنهم
ركبوا (الكبائر) ما لهن خفاء
ما كان ينصر للنصاري فارس
أبداً عليهم ، فالذنوب الداء !!
فشرارهم لا يختفون بشرهم
وصلاح منتحلي الصلاح رياء

قال المؤلف : « ثم تداعت لأخذها ممالك الأندلس ..» اهـ .

قلت : وكذلك هو الحال في كل زمان ومكان ، قال تعالى : ﴿ **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .. **وقال** : ﴿ **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** ﴾ .. ولا حاجة للاسهاب في ذلك .. فان الأحداث السابقة واللاحقة .. لم تزل مؤيدة لبواعث النصر .. ودواعي الانخذال .. ولعل في ذلك تبصيراً وتذكيراً .. ونسأل الله جل وعلا أن يلهمنا الرشد ويعيننا على الطاعة ويوفق المسلمين كافة لكل ما يحبه ويرضاه .

(١٨٧٣) شهداء الزاهر بمكة

يتساءل البعض دائماً عن سبب تسمية هذه الضاحية التاريخية الجميلة التي تقع شمالي مكة المكرمة — بالشهداء .. ومن هم هؤلاء الشهداء .. الذين دفنوا إلي جانب قبر **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما .. في سفح من سفوح وادي الزاهر ..

فلا يستبعد أن تكون التسمية بسبب من بريع أذاخر ..لا بالزاهر .. أو وادي فخ كما كان يسمى في ذلك العهد ..

وأما الشهداء .. فما وقفت على أصل لذلك الا ما دونه التاريخ من اشتباك في معركة وقعت هناك في حدود عام ١٦٩ هـ في عهد الهادي العباسي بين عامله وأنصاره وبين **الحسين بن علي بن الحسن بن علي** واخوته وشيعته . وقد قتل فيها جمع غفير من الطرفين .. ودفنوا بمكة فهم اذن الشهداء ، ويزيد عددهم عن المئة .. من استشهد في هذه المعركة وأطلق هذا الاسم على المنطقة منذ ذلك العصر حتى الآن .

وقلت : أما **ابن عمر** رضي الله عنه فانني أتذكر أن بعض مؤرخي مكة قالوا انه دفن جماعة الحسين المشار إليه .. ومنها نجا الامام ادريس بن عبد الله واتجه إلي المغرب وكون الدولة الادريسية هناك .. (تماماً كما كون الدولة الأموية هنالك (صقر قريش) عبد الرحمن الداخل .. الأموي في بلاد الأندلس .

وأرجو من علامتنا الكبير صاحب المنهل الأغر التكرم بالايضاح والبيان عن ذلك بما يطابق الحقيقة والنصوص المرعية .. مع الشكر الجزيل .

تعقيب على الشذرات

بقلم الأستاذ

عاتق بن غيث البلادي

من سنين ليست بقليلة وأنا أداوم على قراءة المنهل ، هذا المنهل الذي شببنا على حبه فأصبح جزءاً من ثقافتنا ، مؤثراً في شخصياتنا باتزانه وانتقائه ضروباً من العلم والثقافة تجعله مدرسة جيل لا نظير لها في عصرنا .

وأنا اقرأ المنهل من الغلاف إلى الغلاف ، وكثيراً ما أبدأ بقراءة حديث الشهر لمحرره الفاضل صاحب المنهل ، ولا أبدأ بعده بغير الشذرات (شذرات الذهب) هذه الحديقة اليانعة ذات الثمار الدانية والأريج الفواح .

وفي عدد المنهل العذب لجمادي الثانية ورجب سنة ١٤٠٠هـ وهو العدد الممتاز ، طالعت الشذرات ، فإذا بصاحبها شيخ الجيل **أحمد بن ابراهيم الغزاوي** أطال الله بقاءه قد أتى فيها بما يشتهي القارىء والباحث ، وإذا هو يغوص في تاريخنا وتراثنا غوص من تعود اقتلاع الجواهر واللؤلؤ من قاع المحيط . وما كنت أجرؤ على التعقيب على الغزاوي يحفظه الله ، لو لم أره يطلب من سعادة رئيس التحرير ومن القراء تصحيح ما لم يستطع الجزم بصحته ، وهذه من طباع العلماء المتثبتين ، ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ .

من هنا رأيت أن أقول شيئاً عن هذه الشذرات ، تصويباً لا نقداً :

١ ــ ان اسم الشهداء أخذ كما قال صاحب الشذرات من يوم فخ الذي قتل فيه العلويون سنة ١٦٩هـ ، وقد أتيت على ذكره مطولاً في (معالم مكة التاريخية والأثرية) وفي (معجم معالم الحجاز ج٥ ، ٧) .

أما **ابن عمر** رضي الله عنهما فمن الثابت تاريخنا انه دفن في ربع اذاخر مما يلي الخرمانية في مقبرة **آل عبدالله** من **آل أسيد** ، صلى عليه ودفن ليلاً لئلا يصلي عليه الحَجَّاج . (انظر الجزء الأول من معجم معالم الحجاز) ولدينا في الحجاز أربعة مواضع تسمى الشهداء : هذه واحدة ، والثانية شهداء المدينة المنورة ، سميت بشهداء يوم أحد ، وسيدهم **حمزة بن عبدالمطلب** سيد الشهداء جميعاً ، والثالثة في الطائف من خارج مسجد **عبدالله بن عباس** من مطلع الشمس ، وكنت أظنها سميت بشهداء حصار الطائف ، حتى ظهر لي غير ذلك ، (راجع المعجم ج٥) وشهداء رابعة تقع قرب سويقة **عبدالله بن الحسن** رضي الله عنهما على مقربة من الفريش غرباً ، أراها سميت بقتلى أهل سويقة .

٢ ــ أم صالح الحشرة المعروفة : تسميها العرب صويلحة تصغير صالحة ، وهذا من قبيل

التيمن لأنها غير سامة ولا ضارة ، فهي من ضعاف الحشرات التي تعيش حول الناس ، ومن عادة العرب التكنية بالاشتقاق ، فمحمد نقول له : **أبو حامد** أو **أبو حماد** ، ونقول **لسالم** : **أبو سالم** ، ومن هذا القبيل سميت **صويلحة** : **أم صالح** .

٣ ــ الماء والتمر ما زالت العرب تسميهما (الأسودين) فإن سميا الأبيضين فمن قبيل النقيض .

٤ ــ في قصة **عيسى بن موسى** و **عمرو الهذلي** المغني جاء الآتي :

اللاحجة : الطريق بين كدي ــ بالتصغير ــ وجبل ثور ، ما زال معروفاً ، يهبط من كدي في بطحاء قريش ثم يقطعها إلى المفجر الغربي فيدخل بين ثور على يمينه وسدير على يساره ، فيفضي إلى أسفل المفجر الأوسط (حوض البقر) .

سوق البقر : أدركناه ــ ولا أدري كيف غاب عن ذاكرة شيخنا ــ بين برحة الرشيدي وحوض **أبي طالب** الذي أخذه الآن جسر الحجون .

وهو يبعد عن بطحاء قريش ــ حيث كان الفتية القرشيون ــ قرابة خمسة أكيال .

البيت الثاني الوارد في هذه الشذرة رقم ١٨٨٧ ، يروي هكذا :

عفت الدار بالهضاب اللواتي
بسور فملتقي عرفات[1]

(١) المنهل : يلاحظ في الشطرة هذه أنها لا تخلو من اختلال في الوزن الشعري فعسى أن يقوم الأستاذ كاتب المقال باصلاحه في العدد الثاني من المنهل وله شكر عميق على ما نبه وما سيصحح بتوفيق الله .

وأرى (سور) صوابه (ثور) وجاء الخطأ سماعياً ، وهو داء قديم .

أما ملتقي عرفات فلا يحتاج إلى تفسير .

عاتق بن غيث البلادي

مكة المكرمة

الثامن من رمضان المبارك ١٤٠٠هـ

(١٨٧٤) الأبيضان

هما :

١ ــ جبل أبي لهب بمكة

٢ ــ جبل العرج .. بالطائف

قرأت في كتاب (جنى الجنتين .. في تمييز نوعي المثنيين) للمحبى المتوفي سنة ١١١١ هـ .

« الأبيضان » عرقان في خالب البعير ، وقال بعضهم الماء والتمر .. قال : (والأبيضان) جبلان ، الأول اسم الجبل المشرف على جبل أبي لهب بمكة .. وكان يسمى في الجاهلية المستنذر .. الثاني جبل العرج .. » اهـ .

قلت : وقد عرف الناس هذا الجبل المشرف على أبي لهب بمكة في أول طريق الزاهر والتنعيم بمكة .. بما كان يؤخذ منه إلي ما قبل ٤٠ عاماً من الاحجار الموصوفة بالمتانة للعمارات القديمة بمكة منذ عهود بعيدة حتى كادت قممه تزول من كثرة ما ينقص منها للبناء .. وما ضرب فيها من الالغام . وحجاره توصف بالصلابة والجودة ..

وقد أحيطت سفوحه اليوم بالبنايات الحديثة الخرسانية .. ولم يعد في جوانبه الا العمران .. وأعتقه الله من الأعتال والفواقيش ..

(١٨٧٥) نجران العراق

قرأت في المجلد الأول من كتاب « العبر في خبر من عبر » لمؤرخ الإسلام **الحافظ الذهبي** ٧٤٨ هـ : في أحداث السنة الرابعة عشرة قوله : (وفيها كانت وقعة جسر أبي عبيد) واستشهد يومئذ طائفة منهم أبو عبيد بن مسعود الثقفي وهو الذي نسب إليه الجسر ، وهو والد المختار الكذاب .. وكان من سادة الصحابة ، وهذه الواقعة عند (نجران) على مرحلتين من الكوفة) .. اهـ .

قال الشارح : هو « موضع بين الكوفة وواسط ، سكنه أهل نجران لما أجلاهم عمر ، فسموا الموضع باسم بلدهم » اهـ عن (معجم البلدان) .

قلت : وكذلك فعل الكثيرون من أصحاب السلطان في العصور الأولى فانهم قد سموا كثيراً من المواقع في الشرق وفي الغرب بأسماء بلدانهم ــ بعد الفتح ــ احياء لذكراها .. وهو من حب الوطن .. والحنين إليه رغم بعد الشقة واختلاف الآفاق وما أحسب نجران العراق باقية بهذا الاسم إلي الآن لانقراض من سكنها وسماها ، وسبحان من له الدوام ..

(١٨٧٦) آخ .. وأخ

كلمتان شائعتان لا يجهل معناهما أحد في بلادنا قاطبة وربما في عامة الأقطار العربية وهما (آخ) ــ أو (اخ) .. ويقصد بالأولى التأوه من ضربة موجعة بفتح الألف غالباً ــ أو التأسف على فائت .. وقد وردت في كتب الحديث النبوي الشريف عندما مد **الحسن بن علي** رضي الله عنهما وهو طفل يده إلي تمر في الصدقة فأخذ منه واحدة .. فنهاه جده **المصطفى** صلوات الله وسلامه عليه .. فقال له أخ .. تأففا وتعففا لأن الصدقة لا تجوز لآل البيت رضوان الله عليهم .. ولعله كان أدخلها في فمه فقال له : (اخرجها) .. واقتضب ذلك (بأخ) .. وانها لكلمة محظوظة لأنها ما برحت محافظة على معناها المقصود حتى اليوم وقد يكسرها البعض فيقول (اخ) أو اذا خاطب بها طفلاً قال (اخي) .. تقذراً وتقرفا .

أما الأخرى وهي (أُخ) .. فانها تستعمل فيما هو دارج ومعروف عندما يستعذب الطاعم شيئاً من الطعام أو الفاكهة أو يستبرد ويستعذب ماء زلالا بارداً .. وتقال بالكسر (اخ) للبعير اذا أريد أن يبرك في الأرض .

ولا أدري ألذلك أصل في العربية .. أم هما دخيلان ، وأرجو من أستاذنا (**أبي نبيه**) كشف القناع عن ذلك للافادة .. كما هي عوائده الجميلة في كل مستشكل وغامض حفظه الله ورعاه .

(١٨٧٧) من الأمهات المعروفات

أول ما عرف منها (أم القرى) ــ وهى مكة المكرمة ــ وقد سماها الله بذلك في كتابه العزيز .

ثم يتبع ذلك مما عرف بين مكة وجدة ــ وهي (أم السلم) ، ثم (أم القرون) بئر بحداء ، ثم (أم الدود) .. وقد أبدلها الله خيرا من الدود بالجود (خيرا) ثم (أم الدرج) ــ وهي بئر

ثرة برة في مدخل مكة .. كرمها الله .. ثم (أم الحمض) قرية قبيل الطائف .. معروفة .

هذا في الامهات التى سميت بها بعض القرى أو الآبار . والغالب ان سبب التسمية في (السلم والحمض) .. أن في كل واحدة منهما من النبات كثيرا من هذين النوعين أول ما سميتا بها : اختصت به التربة فيها .

أما أمهات المؤمنين — فهن زوجات النبي ﷺ .. رضوان الله عليهن جميعا .. و (أم النبيين) .. و (أم المساكين) وهي زينب بنت خزيمة العامرية .. و (أم الحسنين) وهي والدة خديوي مصر (عباس حلمي) رحمها الله .. لما عرف عنها من البر والاحسان .. وسمين أمهات تكريماً وتعظيماً لهن .

وأتوقف عند ما يطلق عليه الناس (أم أربعة وأربعين) وهي حشرة سامة ضارة ولها زعانف كثيرة لم يتسن لى حصرها أو عدها تقززا منها ولعلها تبلغ أربعا وأربعين زعنفة فعلا تزحف بها جميعاً كالأرجل ومنها الصغار الاحجام والكبار جداً .

ثم (أم صالح) .. وهي حشرة ملساء تشبه (الوزغ) الا أنها حمراء أو صفراء وهي الآن في طور الاختفاء أو الانقراض ، وأتوقف عند سبب التسمية لها بذلك ، ولا أدرى لماذا أطلق عليها هذا الاسم ؟ — ولا من هو صالح هذا الذى يمكن أن يرضى بها (أما) ؟!! فانها لا تخلو من سبب قديم .. أو حادث طريف .. وعلى من أحاط به علماً أن لا يبخل على القراء .. بما علم أو قرأ أو سمع .

كما أن في الحشرات ما يسمى (أبو مقص) و (أبو وردان) وتعنى (أبو) : (ذا) .

وهناك (أم ملدم) و (أم قشعم) و (أم عامر) وهن معروفات في الأدب العربي القديم .

(١٨٧٨) في سوق البقر بمكة المكرمة

عرفنا فيما أدركنا من أسواق مكة — سوق الليل — والسوق الصغير .. ووقفت في مطالعاتي في الأغاني .. على أنه كان بها ما يسمى (بسوق البقر) .. وهو بالطبع غير (حوض البقر) الذي تحول به العمران الآن إلي ضاحية جميلة ذات قصور وحدائق .. أما أين كانت هذه السوق في وقتها فأحسبه في الموقع الذي بالشعب تجاه (المعلى) .. في مكان (بركة الشامي) التي دفنت .. أمام (برحة الرشيدي) أو بأعلى الخريق منها .

وقد جاء ذكرها في عرض حديثي عن **عمرو ابن أبي الكنات** : قال **عيسى بن موسى** : كنا يوماً با (للاحجة) ومعنا **عمرو** هذا اذ قال قبل طلوع الشمس : من تحبون أن يجيئكم ؟ قلنا : **منصور الحجبي** .. فقال : امهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلي (سوق البقر) فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني :

أحسن الناس فاعلموه غناء ... رجل من بني أبي الكنات
عفت الدار بالهضاب اللواتي ... بسوار فملتقي عرفات

فلم نلبث أن رأينا **منصوراً** من بُعد قد أقبل يركض دابته نحونا ، فلما جلس إلينا ، قلنا : من أين علمت بنا ؟ قال : سمعت صوت **عمرو** يغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر .. فخرجت أركض

دابتي حتى وصلت إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال » اهـ .

قلت : ولا نعرف الآن ما هي اللاحجة ولا ما هو (سوار فملتقى عرفات) وكأنما عفى عليهما الزمن مع ما انمحى واندثر .

وما أرى في الرواية مبالغة من حيث بلوغ الصوت إلي هذا المدى . فقد كان المرحوم (**صالح حلواني** ـــ والمرحوم **عبد الله ركن**) وهما من أئمة الألحان في مكة .. اذا رفع أحدهما عقيرته بالصوت الجميل من بطن فخ .. (الشهداء) سمع ذلك حرفاً حرفاً و (مشقاً ومحطاً) من أبواب ثكنة جرول بعد الغروب اذا كانت الرياح في هذا الاتجاه !! وذلك قبل نحو خمسين سنة .. أو أقل .. وكذلك كان المرحوم **عبد الهادي البنداري** . و (**محمود سعد**) ومن على شاكلتهما **كالبوحي الطائفي** في (المجارير) .

(١٨٧٩) في منى ايام التشريق

« عن **الأسود بن يزيد** قال : دخل شباب من قريش على **عائشة** رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون .. فقالت : ما يضحككم ؟ قالوا : فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه تذهب .. فقالت : لا تضحكوا فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتب الله بها درجة ، ومحيت عنه بها خطيئة** » رواه مسلم . اهـ .

قلت : ولقد كان ذلك يتكرر على الأفراد والجماعات طوال القرون الماضية في عرفات ومنى .. يوم كانت غير مخططة ولا منظمة .. وأحسبه قليل الحدوث الا نادرا في زماننا هذا .. والشباب لا يتحول عن طبعه و (كل شيئ في وقته مليح) وما كان ضحكهم على صاحبهم الا زجراً له وتنبيها .. فقد كان عليه في نظرهم أن لا يخطو قبل أن يتعين مواطن اقدامه . ولعلهم تعمدوا تحديثه .. واشغاله بما صرف بصره عما أمامه .. فاصابه لكى يضحكوا .. فرحاً .. ومرحاً .. وأعتقد والحق يقال : ان هذه الدعابات على كونها ليست من الحرج الكبير .. فانها توارت وخفت كثيراً عما عهدناه قبل جيلين أو ثلاثة .. نتيجة التعليم والتهذيب ، وقديماً قال الشاعر :

ومن لم يزل عن دربه الشوك قبل أن
يطاه ، فلا يعتب اذا شاك رجليه

وكذلك هي الحياة كلها .. في جدها وهزلها .. فلا بد من التبصر والتأني .. وأن يسأل الانسان ربه في دعائه الوقاية والهداية والسلامة والاستقامة ، وهو ولي الصالحين .

(١٨٨٠) اب .. اب العامية انما هي (به .. به) الفصيحة

اذا استعظم أحدنا شيئاً ، أو رأى ما ينكر ، أو يستغرب أو فوجيء بما لم يتوقع انطلق لسانه عفواً بكلمة : أب .. أب .. ولا معنى لها الا باقترانها بما ذكر فهي بمعناها .. أدل منها بلفظها على الاستهوال والاندهاش والانكار غالباً . ولقد سمعت بعضهم يقول : (بَه ـــ بَه) أيضاً .. وان لم يكن على علم بها من حيث اللغة .

فهل لها من أصل عربي سليم ؟ قلت : نعم فهي في الأساس على ما أعتقد : « بـه : بـه » ، قال ابن السكيت : (بخ بخ) و (بَـه .. بَـه)

بمعنى واحد .. وهي تعني تفخيم الأمر وتعظيمه .. ومن هنا نستطيع أن نعيد ما نتداوله من (أب : أب) إلي (بَـه ـــ بَـه) ويعوضنا عن حذف الهمز ، ظفرنا بهذا الكنز ولمن عرف سرها .. الأصح من هذا أن يسعفنا به مشكوراً ..

(١٨٨١) ابن مسجح .. أخذ وألقى

« **أبو عيسى سعيد بن مسجح** موسيقي ، ملحن ، مغن ، مشهور ، من أهل مكة في عهد الدولة الأموية .. كان مولى **لبني جمح** ، وقيل لبني **نوفل بن الحارث بن عبد المطلب** . وكان أسود اللون ذكره صاحب الأغاني من فحول المغنين وأكابرهم .. وقال : انه « أول من صنع الغناء منهم ، نقل غناء الفرس إلي غناء العرب ، ثم رحل إلي الشام ، وأخذ الحان الروم والبربطية والأسطرخوسية .. ومعناها (تنظيم الأزان) وانقلب إلي فارس فأخذ بها غناء كثيراً .. وتعلم الضرب .. ثم قدم إلي الحجاز .. وقد أخذ ـــ محاسن تلك الانغام ، والقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم ، خارجة عن غناء العرب .. وغنى على هذا ، فكان أول من أثبت ذلك ولحنه وتبعه الناس فكان من تلاميذه ابن سريج والغريض » اهـ .

قلت وهذا ما نحرص أن يتحراه ويتوخاه الفنانون في عصرنا هذا فلا يتأثرون بما لا يسيغه الذوق العربي من ألحان الأمم الغربية أو الشرقية .. بل يأخذون ما يلائم الأمزجة والبيئة التي لا تتخلى عن تراثها الموروث .. ويلقون أو ينبذون ما هو غث أو مغشوش ! فان لكل أمة وجيل .. خصائصها .. التي تأبي الاندماج .. وان قبلت الازدواج .. والامتزاج .. في حدود القابلية والتأثر والابتهاج .. لا بما يثير السخط .. ويدعو إلي الانزعاج .. وعفا الله عن الأستاذ (أبي تراب الظاهري) .. فانه بهذا السجع المساعف أو المصادف ، قد نظمني في سلك (المقاماتيين) ! وانها لمنزلة .. لا يدركها الا كل ذي حظ عظيم .. وأنّى لي بلوغها ؟. وقد عزت على الأكثرين .

(١٨٨٢) ام القرى الطائف (الوهط)

تقع الوهط بستان **عمرو بن العاص** على ثلاثة أميال من (وج) ويراها المؤرخون آخر حدود الطائف من غربه ، فيها عين ماء جارية كانت تعرف بعين الأزرق وتعرف اليوم بعين الوهط . وقال **الفاكهي** .. في الكلام على الوهط في عصره : هي قرية قريش وأم قرى الطائف . اهـ .

وفي أمثال **الميداني** نبذة أوردها في كلامه على دهاء **عمرو بن العاص** قال : ويحكي في دهاء عمرو أن معاوية قال له يوماً : هب لي الوهط يا عمرو واسألني ما شئت . فقال : هو لك ، ثم قال لمعاوية : وقد بقيت مسألتي ! فقال : أنت بكل ما سألت مسعف ، قال : (ترد لي الوهط) فعجب معاوية من دهائه ، وقال : لك هو » اهـ .

قلت : وكذلك كان صاحب عرش الخلافة .. وساكن دمشق الفيحاء .. وحدائقها الغناء .. وبساتينها الفيحاء .. يطمح بنظره إلي قرية في أعالي الحجاز !! لماذا ؟ لولا أنها من العذوبة

والخصوبة والجو الطلق .. والربيع الدائم .. بالمنزلة التي تحمله على استيهابها من ابن العاص ، وما علينا الا أن نعيد لها سيرتها الأولى .. بالاحياء والانماء .. والارواء ، وحينئذ تنعكس الآية ونرى المصطافين ينسلون إلينا من كل حدب وصوب ، وما ذلك على المخلصين العاملين بعزيز .

١٨٨٣ الرديء والجيد

قال دعبل بن علي الخزاعي :

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره
ويكثر من أهل الرواية كامله
يموت رديء الشعر من قبل أهله
وجيده يبقى ! وان مات قائله

قلت : وقد نعت الأقدمون حِكَمَهُ بالقسط والعدل وأن شعره هذا من الغرر .. ولقد صدق فيما قال : فها نحن نرويه بعد موت صاحبه منذ قرون طويلة .. استجادة له واعترافاً بصحته ، وانما لا بد من توقف تنفيذه على أن تكون « البيئة » .. من التضلع .. والتفطن والبقاء فوق مستوى الشبهات .

١٨٨٤ تقصير يوم الدجن

من العصر الجاهلي .. نجد العرب تستقبل أيام الدجن باللهو .. والتفريج .. والتفسح .. فهذا (**طرفة**) يقول في معلقته :

وتقصر يوم الدجن .. والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمــد !

ومحل الاستشهاد (الدجن) فقد عرفوه بأنه هو « المطر الكثير » .. وقال آخرون : انه الندى والمطر الخفيف .. وقيل : هو الباس الغيم السماء ، وان لم يكن مطر » اهـ .

قلت : وفي أول عهدنا بالحياة .. وفي أيام الصبا والفتوة .. أدركنا الناس لا يتوانون لحظة عن انتهاز فرص الغيم .. أو الدجن .. وما كان أكثرها .. وأجملها .. وأحفلها .. فيتركون أسباب معايشهم في الأسواق .. ويبكرون إلي الجبال والضواحي .. ومعهم وسائل اللعب والسلوة والطرب والائتناس .. ويستوى في ذلك الاصاغر والأكابر ، من مختلف طبقات الناس ! ولا يبالون ما خسروا اذا هم كسبوا يوماً بين الورد والآس ، وأذكر أننا كنا اذا حان وقت الطعام (وفي الغذاء غالباً) فما يغرف الأرز في صحون الصيني أو النحاس .. بل فوق ظهور الصخور وقد غسلت فظهرت كاللؤلؤ والماس .

ومرت الأيام .. فلا قيلة ولا ليلة ! ولا سمر ولا قمر ! وانما هي المنغصات من يأجوج ومأجوج !! ونام نام !! وفيتنام !! وكوريا !! وكوبا !! والحمد لله على ما وهبنا من الفضل والرغد والانعام .

١٨٨٥ حفاظنا من الأطفال

تبارك الله أحسن الخالقين . كثيراً ما حمدت الله تعالى على ما من به على أطفالنا الصغار من حفظ القرآن الكريم وتلاوته مجوداً مرتلاً ..مفسراً .. وفي أسنان يغبطون عليها جاءت مصداقاً لما كان يؤثر عن السلف الصالح والأئمة الكبار في صدر الاسلام ، الأمر الذي تمتلىء به النفوس غبطة وسروراً ، وفرحاً وحبوراً ، هو ولا شك رصيد

عظيم من العلم والمعرفة والأخلاق وقد بلغت نسبة الفائزين فيه حدا يستدعى الفخر والاعتزاز . ولم يكن ذلك قاصراً على الأولاد فقط فقد شمل البنين والبنات وهو ما يتفق مع مكانة بلادنا المقدسة ، وتاريخها المشرق .. ولا بد من الاشادة بالفضل والاحسان لمن أحيوا هذه السنة الشريفة من ولاة الأمور والآباء والاساتذة وذوي الاهتمام باحياء التراث الاسلامي الخالد ، وكل من كانت لهم يد في انشاء وتأسيس مدارس تحفيظ القرآن لا في مدينة واحدة بل في كثير من المدن والضواحي والقرى . وندعو الله مخلصين أن يعم بهم النفع والصلاح والاصلاح مع أصدق التهاني لهم جميعاً بهذا التوفيق الدائم وان كان هذا هو المعهود والمتوقع من عهد بعيد في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي ليالي صلاة القيام « التراويح » .. وما جاء على أصله فلا يسأل عنه . فبارك الله فيهم أجمعين .

ولا ننسى الدعم المستمر من الدولة عامة وعقد المؤتمرات العالمية في ذلك والجهود المبذولة في ذلك من مدارس وهيئات تحفيظ القرآن الكريم وتجويده ، ووزارة الاعلام ووسائلها المختلفة بصورة دائمة فذلك هو أشرف وأقدس ما نتمسك به ونحرص عليه ونفوز به إن شاء الله وشكراً لمن يبذلون المنح ويسخون بالمبالغ الطائلة للتشجيع ولا سيما لمن يستحقون ذلك أعانهم الله ورعاهم .

ناهيك بهذه التبرعات السخية الكبرى من لدن جلالة الملك المفدى وولي العهد الأمين وأصحاب السمو الملكي الأمراء والأغنياء لهذا المشروع ابتغاء وجه الله تعالى وذلك من فضل الله تعالى وحسن توفيقه وان هذا لهو الفوز العظيم .

(١٨٨٦) جلباب العروس

قال ذو الرمة .. قبل ألف سنة أو تزيد :

وليل كجلباب العروس ادرعته ... بأربعة والشخص في العين واحد
أصم علاف وأبيض صارم ... وأعيس مهري ، وأروع ماجد

قلت : والغاية من ايراد البيتين الاستدلال على أن جلباب العروس كان يختار من اللون الأسود .. ثم تحول إلي الأبيض .. واشترك مع ثياب التعزية في البياض أخيراً .

ويؤكد ذلك قول الشاعر الآخر :

قل للمليحة في « القناع الأسود » ... ماذا فعلت بناسك متعبد ؟
قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى وقفت له بباب المسجد

وهو ما كان داعياً لتصريف ما كان لدى التجار اذ ذاك من الأقنعة السود .

(١٨٨٧) ملك الروم والخط العربي

جاء في أخبار **البحتري للصولي** المتوفي سنة ٣٣٧ هـ ــ قال : « كان **الواثق** أنفذ إلي ملك الروم بهدايا قال : وافقت لهم عيداً فرأيتهم قد علقوا على باب بيتهم كتبا بالعربية منشورة ، فسألت عنها ، فقيل : هذه (كتب المأمون) بخط **أحمد بن أبي خالد الأحول** استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا ، فحدثت أنا بهذا الحديث

أبا عبد الله محمد بن داود الجراح فقال لي : هذا حق ، قد كتب سليمان بن وهب كتاباً إلي ملك الروم في أيام المعتمد ، فقال : ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل ، وما أحسدهم على شيء حسدي اياهم عليه ، والطاغية لا يقرأ الخط العربي ، وانما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه » .

قلت : بخ بخ هذا كان الخط العربي في كماله وجماله واستقامته واعتداله فهل نعيد له ماضيه المجيد ؟ أم ما تزال بنا العجلة حتى يضمحل ما يتميز به من شكل رائع ومنظر أخاذ ؟

(١٨٨٨) لاحاجة الى الجوارش

قال رجل **لعبد الله بن عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما : « أجعل لك (جوارش) ؟ قال : وأي شيء الجوارش ؟ قال : شيء اذا كظّك الطعام فاصبت منه سهل عليك . قال : فقال **ابن عمر** : ما شبعت من الطعام منذ أربعة أشهر ! وما ذاك أن لا أكون له واجداً .. ولكني عهدت قوماً يشبعون مرة ، ويجوعون مرة ! » اهـ .

قلت : ومعذرة إلي الاطباء .. لو أخذ الناس بهذه الطريقة . ولو هم عملوا بالأثر : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع .. واذا أكلنا لا نشبع » .. ولو أكتفوا « بثلث » للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس .. لما احتاجوا إلي العقاقير الحديثة ولا إلي « الجوارش العتيقة » .. ولشكرهم الأطباء بدورهم من اعناتهم .. بالشكوى والأزمات الحادة .. والخفيفة !! فهم على صحتهم أحرص .. وكثرة مراجعيهم تضطرهم هم إلي العلاج !! — وعجيب أن تكون (الجوارش) .. معروفة .. في عصر « ابن عمر » كما هي عندنا أو في زماننا ؟.. وما أحسبها تعدو (الملح الأسود) و (الكمون) .. وما إليهما .. من الهواضم .. « وفي أداء الفرائض والسعي إليها .. واتباعها بالنوافل !! ما يغني عن المشهيات .. وعن التوابل .. والفلافل .. كفانا الله شر الشره .. والتخمة .. والجشع .. « فرب أكلة منعت أكلات » .. وحرمت الطاعم من (المبشور) و (السلات) ولا حجر على من هضم وقضم ، فله أن يتناول ما يشتهي من الطيبات على أن يكون ذلك (ديدنا) فيندم .. وحسبك أن لا تتضرر بما تزدرد .

(١٨٨٩) مثلان متشابهان

في (نزهة الجليس) ... مثل قديم متداول في عصر مؤلفه ١١٤٠ هـ وهو : « شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه » .. وأسمع في عصرنا هذا مثلاً يكاد يؤدي معنى الأول مع بعض النصيحة .. وهو « أردب ، ما هو لك لا تحضر كيله ، تتغبر ذقنك .. وتتعب في شيله » !!

وكما دون العباس الموسوي في (نزهته) أمثال زمان .. فهل من العدل أن نهمل ما أدركناه ؟ — ومع ذلك فانه لا أردب ولا كيل .. ولا غربلة .. ولا تغيير .. وكان الله في عون الشائل ! وأستغفر الله .. أولاً وأخيراً فقد أورد الموسوي المثلين .. معاً .. وما هان علي أن أهملهما .. و « تيتي ، تيتي ، زي ما رحتي جيتي » ! وغيرها أحسن منها إن شاء الله .

(١٨٩٠) سلط الله عليك

روي أنه لما تلا رسول الله ﷺ سورة النجم .. **قال عتبة بن أبي لهب** : كفرت برب النجم — يعني نفسه : فقال ﷺ : « **سلط الله عليك كلباً من كلابه** » فخرج **عتبة** مع أصحابه إلي الشام حتى اذا كان بمكان يقال له « الزرقاء » — وهي بالاردن شمال عمان — فرأى الأسد فارتعدت فرائص **عتبة** : فقال له أصحابه : من أي شيء ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء ! فقال : ان **محمداً** دعا علي ولا والله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من **محمد** ! ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه .. ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم ! وناموا ! فجاء الأسد يهمس وهمهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه ، فضغمه ضغمة فكانت اياها ! فسمع وهو بآخر رمق وهو يقول : الم أقل لكم : ان **محمداً** أصدق الناس » اهـ .

قلت : انما أوردت الخبر كما قرأته .. للعظة والذكرى أولاً .. ولاستمرار تداول هذه الجملة — عند البادية — فما يزيدون عليها وهي (سلط الله عليك).. وما أحسبهم درجوا عليها منذ القدم الا أخذاً من هذه العبرة البالغة !! كفانا الله شر التسلط !! ﴿ **وهو بكل شيء محيط** ﴾ .

(١٨٩١) كهمس ، وقصر في المسعى

كان **كهمس** رجلاً صالحاً من بني حنيفه ، وكان يعمل في الجصاصات كل يوم بدانقين .. فاذا أمسى اشترى بهما فاكهة فأتى بها إلي أمه ..

وعن **عبد الله بن أحمد بن حنبل** عن **هشام ابن حسان** قال : دخلنا على **كهمس** وهو بمكة .. وهو في دار **لسليمان بن علي** (على المسعى) .. قد اشتراها بأربعين ألف دينار !! قال هشام ، وقد أنفق عليها مثلها ، قال : فدخلنا عليه بعد العصر ، فرفع انسان رأسه من أصحابنا فنظر إلي سقف البيت فقال : يا **أبا عبد الملك** يسرك أن هذه الدار لك تأكل غلتها ؟ فقال **كهمس** : لا والله ما يسرني لو أنها — لي بأربعة دراهم ، قال **هشام** : فلا أرى رجلاً يحلف على يمين — بعد العصر — وهو كاذب » اهـ .

(أبو نعيم)

قلت : فهذا الزهد وهذا الصلاح .. وهذه القناعة .

وفي الخبر أن « المسعى » كان عامراً بالدور والقصور ذات القيم الغالية والزخارف الثمينة .. منذ صدر الإسلام ! وقد كانت دور الأمراء والعظماء وأرباب الجاه والسلطان محيطة بها .. وآخر ما أدركنا اسماً لا معنى !! « القصر المشنشن على يسار الصاعد إلي (المروة) .. وأحسبه اندثر وزال رسمه قبل قرون وبقى اسمه خالياً من المرمر المسنون .

١٨٩٢ التحبيش

(**الأحابيش**) .. هم حلفاء **قريش** ! وهم من العرب لا من (**الأحباش**) كما قد يسبق إلي بعض الأفهام !! وهم **بنو المصطلق ، والحيا بن سعد بن عمرو ــ وبنو الهون بن خزيمة ــ** اجتمعوا بذنب « حبشى » ــ أي بسفحة .. وهو جبل بأسفل مكة ، وتحالفوا بالله ، انا كيد على غيرنا ، ما سجى ليل ووضح نهار ، وما رسي (حبشى) مكانه .. فسموا **أحابيش** باسم الجبل ، وقال **حماد الراوية** : سموا أحابيش لاجتماعهم والتجمع في كلام العرب هو (التحبيش) اهـ .

قلت : وما تزال العامة تستعمل هذه الكلمة بالمعنى الذي قرره حماد كأنما هي مرادفة (للتحويش) .. والمهم أن نعرف الآن ومن أهل الديرة الخبراء .. هذا الجبل .. بأسفل مكة .. فلا بد أنه معروف لهم .. فان لم نظفر بذلك فأكاد أجزم أنه « جبل الفته » بعلو « جبل **عمر** » وذلك لأننا أدركناهُ ونحن ما زلنا أطفالاً لا تكاد تسكت فيه أصوات (الطنبرة) .. وهي طبول وأهازيج زنجية .. فقد يكون أصل تسميته لأن الأحباش كانوا يحلون فيه والله أعلم .

١٨٩٣ قحطانية أم عدنانية

هناك اجماع أو شبه اجماع على أن **خزاعة** قحطانية .. وأنها انما سميت بذلك لانخزاعها بعد سيل العرم .. واقامتها بمكة وما حولها .. إلي أن آل إليها أمر السدانة .. قبل أن يستحوذ عليها ويختص بها « **قصي** » كما هو معروف ، الا أننا رأينا « **أبا علي بن حزم** » وغيره من النسابين يجعلونها عدنانية .. ومن هؤلاء **ابن قتيبة الدينوري** (٢٧٦) هـ .. في كتابه (المعارف) حيث يقول : « ان في ولد الياس بن مضر .. (**قمعة**) وأن بعض النساب يذكر أن خزاعة ولد عمر بن عامر » . اهـ .

قلت : وكنت أحسب ابن **حزم** .. ومن لحق به .. واهما .. على ماله من مكانة علمية واحاطة واسعة وقدم راسخة في العلم .. فاذا هو يعتمد على من سبقه بمئات السنين .. ولا يملك المتأخرون أن يجحدوا ــ ما دونه المتقدمون .. وانما هي قوة التواتر .. وأكاد أجزم أن أية قبيلة غير قريش .. فضلاً عمن عداها ما كانت تستطيع أن تستأثر بهذه المكرمة .. وهي دخيلة .. مهاجرة على من هم أحق بها وأهلها ..

١٨٩٤ شفته ـ بمعنى جلوته

قال **النابغة الجعدي** :

تذكرت شيئاً قد مضى لسبيله
ومن عادة المحزون أن يتذكرا
نداماي عند المنذر بن محرق
فأصبح منهم ظاهر الأرض مقفرا
كهول ، وفتيان كأن وجوههم
دنانير ــ مما (أشيف) في أرض قيصرا

قال الشارح : شاف الدرهم والدينار يشوفه شوفاً فهو يشوف .. جلاه يريد مما صنع وجلى في أرض الروم وهي أجود الدنانير وأكثرها بريقاً ، وصفاء في زمانهم .

قلت : فهذا هو (الشوف) في أصله ، وما أكثر ما نقول اليوم مكان رأيته : (شفته) وهي أكثر استعمالا من الأولى الآن وهي تعني ما هو

أقوى من مجرد النظرة العابرة فالاجتلاء أدق وأرق ، وما أعذب أن تجتلي الأبصار ما تقر به وتأنس في كل المرئيات .

(١٨٩٥) الشعر والناس

قال شاعر قديم :

والناس من يلق خيراً قائلون له
ما يشتهي ، ولأم المخطيء الهبل

وقال **فؤاد باشا الخطيب** :

والناس صنفان : اما فاتك شرس
وعر الطباع ، واما خاتل لبق

وقال شاعر متأخر :

والناس كالماء ان أرضاك ظاهره
فلا تفتش عن المكنون في الماء

قلت : وأحسب أن هذا البيت الأخير أحكم الثلاثة وأودعهم وأقربهم إلي التسامح .

بنـــــى ان البر شيء هين
وجـــه طليـــق وكـــلام لين

(١٨٩٦) (بقا) .. لها أصل فصيح

« قال المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم : وبقى بقاء طويلاً :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وازددت من عدد السنين مئينا
مائة التي من بعدها مئتـان
وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ، (بقا) الا كما قد فاتنا
يوم يكـر ، وليلـة تحدونـا

قال ابن **سلام** : (بقا) يريد بقي ، وفنا يريد فني ، وهما لغتان لطىء وقد تكلمت بهما العرب .

قلت : في الخبر ما يدل على ان الانسان قد يعمر حتى يعيش ثلاثة قرون .. ونيف .. والله أعلم بالحقيقة .. غير أن الشاهد من ايراد الأبيات هو في قوله : (هل ، بقا) .. فانها ما تزال مما التزم به اخواننا أهل مصر في لهجتهم وتعبيراتهم الدارجة .. وكنا نحسبها خاصة بهم ولا أساس لها فاذا بها واردة في الشعر العربي الجاهلي القديم .

(١٨٩٧) واه .. ويه

أما وقد تحدثت عن بعض مصطلحات النساء وكلماتهن الدارجة خلال العصور السابقة واللاحقة ، فلا بأس من أن أضيف إلى ذلك هاتين الكلمتين (واه ، ويـه) .

فقد قرأت في الأغاني أن **عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي** مرض مرضاً شديداً بالبصرة ثم عولج وشفي .. وتردى من سطح فمات ورثاه ابن مناذر وجزع عليه كثيراً . وأنكر على النائحات عليه من قومه نواحهن .. بأنه على غير استواء .. فأنشد بيتين في رثائه قال فيهما :

لأقيمــن مأتما كنجـوم الليـل
زهـراً يلطمـن حر الخدود
موجعات يبكين للكبـد الحرى
عليـه ، وللفـؤاد العميـد

فأقسمت أمه وقالت : والله لأبرن بقسمه . فاقامت عليه مأتماً ، وقامت مع أخوات **عبد المجيد** وجواريه ينحن عليه ويصحن : (واه)—

(ويه) — (واه) — (ويه) فيقال انها أول من فعل ذلك في الإسلام . اهـ .

قلت : وقد كان هذا قبل ألف ومائتي عام .. ثم استمر وانطلقت به النوائح — بنفس الكلمات يرددنها .. ابتداء .. ويزدن عليها المناقب ما شئن .. حتى كتب الله لهن الهداية .. وائتمرن بالمسنون والمشروع وبعد الحمد والمنة وقل منهن هذا الفتون والحمد لِلّه .

ومن أمثال العرب : « ليست النائحة كالثكلي » .

(١٨٩٨) اياك ان تكونه

قال **أبو الفرج الاصفهاني** :

عن **العتبي** عن **الحكم بن صخر** ، قال :

« انصرفت من (منى) فسمعت زفناً أى دفعاً شديداً — من بعض المحامل ، ثم ترنمت جارية فتغنت :

من النساء لم يحججن يبغين حسبة
ولكـن ليقتلــن البرىء المغفــلا

فقلت لها : أهذا مكان هذا ؟ يرحمك الله .
فقالت : نعم واياك أن تكونه » .

قلت : وأحسب أن هذا القتل مقصور على (المغفلين) .. وهم (الغافلون) .. أما الذين حماهم الله ونهوا نفوسهم عن الهوى .. فما هم الا المتقون .. الذين هم عن اللغو معرضون .. ويغفر الله **لجرير** اذ يقول :

ان العيون التي في طرفها حور
قتلننــا ثم لا يحيين قتلانــا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله انسانا

(١٨٩٩) الشرة غير الشر

٢٢٣ — ٣٢١ هـ

قال **ابن دريد** في مقصورته المشهورة :

وغاض ماءَ شرتي دهرٌ رمي
خواطــر القــلب بتبريح الجوي

وقد شرح **ابن هشام** البيت فقال :

والشِّرة — بكسر الشين وتشديدها : النشاط والحدة . اهـ .

قلت : وقد وهم الناس في عصرنا هذا في (الشرة) فحسبوها من الشر وما هي منه في قبيل أو دبير ، وطالما سمعنا البعض يقول : ان فلانا (شرة) ويعني أنه من أهل الشر أو أنه أميل إليه من الخير .. وما كان أصلها كذلك فهي لا تعدو النشاط والحدة .. وهما دليل على الحيوية .. والاحساس المرهف فهل تعود إلي معناها الأصيل ؟!

(١٩٠٠) شــاعر في الكتاب

قال **ابن المعتز** في طبقاته وهو يترجم **لعلي بن الجهم** الشاعر : (حدثني **الشيرازي** قال : حدثني **ابن أبي طاهر** قال : سمعت **أبي عبد الله بن محمد** يسأل **الجهم بن بدر** معلم **علي** أن يحبسه في المكتب لشيءٍ وجد عليه .. فحبسه إلي الظهر .. فضاق صدره فأخذ شق لوح وكتب فيه إلي أمه ، وبعث به مع بعض الصبيان إليها من حيث لا يعلم أبوه :

أمنـــا أفـــديك من أم
أشكـو إلـيك فظاظـة الجهــم
قد سرح الصبيــان كلهــم
وبقـــيت محصوراً بلا جرم

فلما قرأت أمهم البيت وثبت إلي لحية الجهم فنتفت أكثرها فذهب الجهم بنفسه حتى أطلقه انتهى .

قلت : فهذا غلام لا يزال يفك الحرف أو يقرأ (الف باء تاء ثاء) في الكتاب استطاع بذكائه وشعره أن ينقذ نفسه من معلمه بأمه حتى اضطر أباه إلي إطلاقه .

وقد أردت في القصة التفكيه والترفيه لا الاغراء والتنبيه ، وقديما قالوا في أمثالهم : (الديك الفصيح من البيضة يصيح) .

١٩٠١ روح ـ وتعال

لاتكاد محادثاتنا اليومية .. تخلو من هاتين الكلمتين .. وقد قرأت في (سقط الزند) لأبي **العلاء المعري** .. قوله :

متى نصبح ـ وقد فقنا الأعادي
نُقم ، حتى تقول الشمس روحا
بأرض للحمامـــة أن تغنـــي
بها ـ ولمن تأسف أن ينوحـا

قلت : والشاهد منها (روحا) .. أي ترحلا واذهبا .. فيكون القول الدارج حتى يومنا هذا صحيحاً فصيحاً .. وهو من الرواح .. غير أنه فيما أظن لا يصح لغة استعماله الا اذا كان الوقت (غير الغدو) .. فان للغدو استعمالاً آخر يغلب كثيراً ـ عند أهل البادية ـ ولا سيما في سراة الحجاز .. حيث يقولون (أغد) خلافاً للحضر اذ يطلقون الرواح ـ على الوقتين .. ومع الليل والنهار .. أيضاً اذ يقولون (روح) بالعشي وبالآصال دون تفريق !

فماذا يرى في ذلك فضيلة أستاذنا الجليل (**أبو نبيه**) ؟ عسى أن ينبه بتعليقه القيم لنرجع عن الخطأ إلي الصواب إن شاء الله[1] .

١٩٠٢ المجاشعي شاعر الحرمين

٤٦٣ هـ

ترجم له صاحب دمية القصر **أبو الحسن الباخرزي** ٤٦٧ هـ وعرض له نماذج من شعره الرصين ، واسمه **علي بن فضالة المجاشعي** وقد توجه من مكة حرسها الله إلى غزنة ثم إلى العراق وانتظم في **جماعة نظام الملك الحسن بن إسحاق**

قُلْتُ : وهذا لقب آخر عثرنا عليه في (الدميمة) وكم في الزوايا من خبايا .

ويشتد الأسف على فقدان ماله ولأمثاله من آثار ادبية لم تظهر ، فقد اثنى عليها الذي اثنى على لبد .. فلا يمكن أن يكون له هذا اللقب الكبير في أبيات معدودة لا تزيد على صفحة واحدة . ولعل الأيام تكشف عما انطوى من هذا التراث الثمين .

(١) (المنهل) : الغدو في الصباح ، والرواح في المساء كما اشرتم إليه مشكورين .

(١٩٠٣) من لغة الابل

قال ذو الرمة :

اذا حدوناها بهاد ، هيد
صفحن ملإزرار بالخدود

والازرار ، الأزمة والبرى .

وكانوا بذلك يستحثون الابل للسير ـــ وأكثر ما ينطقون به زجر الابل لتنهض .

قلت : وقد استوقفني ذلك برهة ـــ لأصحح ما كنا نسمعه من ركاب الابل .. وأصحابها .. بل ومن الصغار والكبار .. وهو قولهم (حد) (حاد) مكررة .. فانها محرفة عن (هاد) .. أما الهيد .. فما لنا عهد بها في أهل المدر .. وما أشك أنها ما تزال دارجة في أهل الوبر .. وما أري الجمال وقد أعتقت من الأثقال والأحمال ـــ الا كالمستغيث من الرمضاء بالنار .. فما بقيت تضرم ـــ الا لتضرم .. ولا تسمن الا لتؤكل ..

وما مصير السيارات ببعيد عنها فانها اذا شاخت صهرت .. واذا استغني عنها بما هو خير منها .. ذبحت [١] .

(١٩٠٤) النيمرشت والكشي

قال أبو الينبعي الشاعر في آل برمك :

انما الدنيا كبيض
عملوه (نيمرشي)

فحشاه البرمكيو
ن وقال الناس تحشي

والبيض المرش هو : ماشوي نصف شي ، وكش كلمة فارسية تعني بفتح الكاف الحسن الملائم .

قلت : والعجب أن للكلمتين حتى يومنا هذا وقبل ألف عام رواجهما في أوساطنا العامة والخاصة ، فان استعمال البيض نصف استواء .. شائع في كافة البيوت لأنه ايسر للهضم ، وهناك (أرز) كان معهوداً في أسواقنا إلي عهد قريب يطلق عليه الكشي ، وهو أغلى وأحسن أصناف الأرز (أوالرز) لئلا يشتبه مع أرز لبنان .. وكان أهل مكة وجدة والمدينة والطائف لا يعدلون به غيره مطلقاً في اكلات (المبشور) فانه بدونه أقل شأناً وقيمة والتذاذا وقد افتقدناه خلال ربع قرن ، وحل محله ما يسمى (عنبربو) . وقديماً قال الشاعر :

(اذا ، لم تكن إبلا فمعزي)

والحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات .

(١٩٠٥) بين ابي عبادة البحتري والغلام الشاعر

قال أبو عبادة البحتري :

(دخلت يوماً دار **الفتح بن خاقان** فوجدت الشعراء في دهليزه .. وبينهم صبي صغير السن ، قصير القامة ، فقلت له : من أنت يا غلام ؟ قال : شاعر ، فتبسمت عجباً منه ، ثم قلت : أجز البيت :

(ما بين من أحب وبيني) .

---

(١) (المنهل) : هذه العبارة : (ذبحت) يستعملها أهل صناعة السيارات المعاصرون في هذه البلاد للسيارات الخربة المستهلكة عندما يأخذون منها بعض قطع الغيار اللازمة لهم .

فقال : من البعد أم من القرب ؟ فقلت : من القرب ، فقال :

(**مثل ما بين حاجبي وعيني**) .

قال : فقلت من البعد ، قال :

(**مثل ما بين ملتقي الخافقين**) .

فأخذت بيده فاوصلته إلى **الفتح** ، وأخبرته بما دار بيني وبينه فعجب منه وأجازه . اهـ .

قلت : وكذلك يقوم الدليل على صحة قول الشاعر :

ليس الحداثة عن حلم بمانعة
قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

و (يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر) :

و : **سبحان من قسم الحظو**
ظ فلا عتــاب ولا ملامــه
أعمــــــــــى وأعشى ثم ذو
بصر وزرقـــــاء اليمامـــــه

(١٩٠٦) فنجان القهوة ؟

لم أستطع أن أقف على أول من استعمل كلمة (فنجان) القهوة .. ولا من أين هي جاءت ؟!!

وأحسب أنها دخيلة من احدى اللغات أما ما يقابله في العربية مع التجوز .. فهو القدح .. أو (الكوب) ، غير أنني ظفرت بها نصاً في ترجمة شاعر القاهرة .. المتوفي سنة ٩٤٨ هـ المسمى (**برهان الدين إبراهيم بن المبلط**) اذ يقول :

يا عائبــــاً لسواد قهوتنـــــا
فيها شفاء النفس من أمراضها
أو ما يراها وهي في (فنجانها)
يحكي سواد العين وسط بياضها ؟

قلت : ولا تزال مصر وكثير غيرها من الأمصار تستعمل القهوة سوداء اللون .. ممزوجة بالسكر أو اللبن !!.. أما جزيرة العرب .. فانها لا تحتسيها الا مخففة صفراء .. وبمقادير قليلة جداً .. ولو تكررت .. ويطيبونها بحب الهان : (الهيل) والزعفران .. وفي حضرموت بالزنجبيل .. ويقال ان أهل اليمن .. مع انتاج أرضهم لأجود أصناف البن .. فانهم لا يستعملون غالباً الا قشره .. ولهم فيه أغراض طبية .. فهذه أولية الفنجان .

(١٩٠٧) هون عليك جعفر

جاء في طبقات الشعراء ــ (**لابن المعتز**) وهو يترجم **كلثوم بن عمر العتابي** : (وحدثني **جعفر المالكي**) قال : (ما سمعت كلاماً قط لأحد من المتكلمين أحسن من كلام العتابي ، وما رأيت كاتباً تقلد الشعر مع الكتابة الا وجدته ضعيف الشعر ، غيره فانه كان فحل الشعر جيد الكلام) .

قلت : ليت جعفراً هذا رأي عصرنا هذا الذي استيقظت فيه المدارك والعقول .. كم هم أولئك الذين نعتز بانتاجهم شعراً ونثراً من حملة الأقلام وأرباب المواهب ؟ فانهم لأقوياء في الصناعتين مبرزون في المذهبين ، وقديماً قال الشاعر :

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجــرت

وقد انطق الصم البكم مالابسوه من نهوض ووثوب وتقدم وتطور .. والحمد لِلّه رب العالمين .

(١٩٠٨) على جفن النائم

قال **رهين المحبسين** .. يصف سرعة سير الإبل :

يحاذرن وطء البيد حتى كأنما
يطأن برأس الحزن هامة أصيد

وقال في موضع آخر :

ولو وطئت في سيرها جفن نائم
لمرت ، ولما ينتبه من منامـــه

وبهذه المناسبة أورد ما أحفظه من قول الشاعر العربي **فؤاد باشا الخطيب** في هذا المعنى :

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد
نال الشفاء ولم يستشعر السقما
ولو مشت فوق ساري الذر خاطرة
لما أحس لها من وطئها الما
خفيفة الروح لو رامت لخفتها
مثل الهواء ذخول الجسم ما علما
ولو أرادت دلالا من رشاقتها
رقصاً على الماء ما بلت لها قدما

قلت : فاذا كان هذا سير الإبل .. خفة وسرعة ورقة ونعومة .. حتى انها تمر فوق جفن النائم فلا ينتبه من نومه .. فكم هي انتقمت لاهمالها والاستغناء عنها بالعجلات ، والربلات والكفرات ؟.. فانها لتجعل من الانسان والحيوان الصاحي المتيقظ .. (عجوة) .. من قمة رأسه إلي أخمص قدمه ..

وكان الله في عون الغافلين ، وألهم الرشد والأناة كلها من يتهور من السائقين ، ولقد شهدت بمكة بأم عيني قبل بضع سنوات — كلباً — يتلفت شمالاً ويميناً .. ثم يقفز في خفة الغزال الغرير .. من أحد جانبي الشارع إلي الآخر .. وعيناه ترصدان السيارات وقد أدرك بفطرته الخطر المحدق به ، اذا هو تباله .. أو تكاسل في المرور .. فهل من مدكر ؟

(١٩٠٩) اصل السحارة

« عن **جعفر بن سليمان** : قال : سمعت **مالك بـن دينار** يقول : اتقوا السحارة ، اتقوا السحارة .. مرتين .. فانها تسحر القلوب .. يعني الدنيا — » اهـ .

قلت : وما من بيت كان منذ أعوام قليلة — وربما حتى الآن الا وفيه — الصندوق (السيسم) .. ومعه (السحارة) !! وحتى العرائس فانه لا محيص من تزويدهن بها قبل هذه المحدثات المزخرفة .. فمن أين كان اسمها ؟ وهل هو من حيث انها تحتوي على « المتاع » .. « **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** » .. ومع أن لها تأويلاً لغوياً غير هذا .. وليس أولى بها منه .. لو أنها باقية ، ولكنها .. هجرت .. وان لم تهجر الدنيا .

(١٩١٠) اكل الفتوت

كان الناس قبل خمسين سنة .. ونحن منهم — لا يعدلون (بالفتوت) طعاماً .. وهو مبسوس أو مبثوث بالسمن البقري ومادته دقيق الحب المصرية أو النقرة الطائفية .. ويخلط به الأبزار من الحبة السوداء .. والشمر .. وما إليها .. وتكون له رائحة جميلة ويتناوله أفراد العائلة غالباً في الصباح والمساء ، والعسل الشفوي ، ثم لا يزال يتلاشي ..

وينقرض حتى أصبح حكاية أو ذكري .. عند العجائز من الرجال والنساء .. وقلما ذاقته .. الفتيات الحديثات السن وسبب ذلك هو عدم توفر مواده الأصلية الأصيلة ! وغلاء أثمانها .. واكتفاء الأكثرين (بالشريك والتميس) ولا حاجة للّت والعجن .. كما قنعوا باقراص الخبز من الأسواق جاهزة .. كيف كانت بعد أن كانت تصنع في البيوت صغيرها وكبيرها .. بعد غربلة وتنقية وطحن وعجن وتقريص وارسال إلي الأفران .. وانتظار لما يسمى (بالصرا) أو (السري) .. أي النوبة .. ومعها (الحنانة) التي يزدحم عليها الأطفال .. ويستأثرون بها ..

ثم لم يعد لذلك كله من أثر ، (ولا لطشت الغسيل) .

قال **الأصفهاني** وهو يتحدث عن أخبار **محمد بن وهيب** : قال حدثني **ابن وهيب** هذا .. قال : (جلست بالبصرة إلي عطار ، فاذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار (خلوقاً) .. فقلت له : تجدها اشترته لابنتها ؟ وما ابنتها الا خنفاء !

فالتفتت إلي متضاحكة ، ثم قالت : لا والله ، لكن مهاة جيداء ان قامت فقناة ، وان قعدت فحصاة وان مشت فقطاة ، أسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كفتياتكم اللواتي تسمنونهن (بالفتوت) ، ثم انصرفت وهي تقول :

ان الفتوت للفتاة مضرطه
يكر بها في البطن حتى تثلطه !

فلا أعلمني ذكرتها الا اضحكتني ذكرها اهـ.

قلت : ومن عجب أن تدرك هذه الأعرابية السوداء أن الفتوت ثقيل الهضم .. وهو ما ينصح أطباء عصرنا هذا ، باجتنابه لهذه الصفة .. وما كنا في أيام الصبا والطفولة لنعبأ بالطهي ونحن في مرح دائم .. وركض متلازم .. وكفى بهما من تأثير للأخضر واليابس .. وسقى الله ذلك العهد الذي لا يشعر بفقدانه الا من تخلعت أضراسهم وضاقت أنفاسهم واكتفوا بالسوائل و (مرقة الهواء) ..

(١٩١١) يارب جيبها سيل مرازيبها

لم نعد نسمع هذه الأنشودة القديمة من أطفال اليوم .. وهي مما كان ملازماً لهم كلما أنشأ الله السحاب .. وبدأ المطر رذاذا أو طلا فلا يزالون يرفعون بها عقائرهم في كل بيت وفي كل زقاق ، حتى ينهل وابله .. ويجري سيلاً ولهم بذلك عناية ربما خفيت على الكثيرين ، فما هي في الحقيقة مجرد رغبة في (الخير والرحمة والنعمة) بل يزدوج بذلك ، أملهم في أن تحول الأمطار كلما هطلت .. وابتلت بها النعال .. أن تتاح لهم فرصة الراحة من (الكُتّاب) و (البعد عن سيدنا والعريف) يوماً كاملا أو أكثر .. وغبطتهم بالغيث لأنه يتيح لهم فرصة الانفلات و (اللعب) .

أما اليوم فلا شيء من ذلك فأكثرهم بل كلهم يغدو ويروح ، من وإلى المدرسة مستقلاً سيارة فارهة ، وحتى الفتيات فانهن أشد حرصاً على الدرس والطلب من إخوانهن .. ولقد شهدت بأم عيني كيف يبادرن إلي مدارسهن وللرعد ذوي وللبرق وميض .. والجو ينذر بالمطر الغزير ، تسابقاً إلي المعرفة وأن لا يفوتهن (درس) أو

حصة دون أية مبالاة بالعوائق أية كانت ، زادهن الله هداية وتوفيقاً .

(١٩١٢) خيار الشيوخ والشبان

قرأت هذا الحديث في كتاب (الوصايا الخالصة) المطبوع حديثاً سنة ١٣٨٦ هـ على نفقة عالم الأمراء حاكم قطر السابق سمو الشيخ **علي آل ثاني** بارك الله في حياته .. « .. بلغني عن النبي ﷺ : أنه قال : « **خياركم شبابكم المتشبهون بشيوخكم . وشراركم شيوخكم المتشبهون** بشبانكم » اهـ .

قلت : ولا شك أن **تأويله** الترغيب في أن يقتدي الشبان بالشيوخ .. **في كل ما هو طاعة وعمل صالح .. وبر وتقوى ..** وعدل **واحسان .. مع** الاحتفاظ بما منحوه من قوة **ونشاط ، وهمة** وطموح ، واقدام في الخير — دون الشر .. أما من يتشبه من الشيوخ بالشبان .. **فأحسب أنه فيما** يسوء ولا يسر .. فان هم استطاعوا أن يجمعوا بين المحاسن كلها .. عقلاً ورشداً .. وسقياً وكدحاً .. فان ذلك يعد نعمة من الله عليهم ، فان تجاوزوه إلي ما لا يليق بوقار الشيخوخة و (حاشاهم) فهم حريون بهذا الوصف .. الا أنهم ولِلّه الحمد أهل التقدم والتكريم .. وبهم يتمثل كل ذي خلق قويم .

(١٩١٣) من أخلاق السلف

كان **محمد بن واسع** وأصحابه يدخلون منزل **الحسن** فيأكلون ما يجدون بغير اذن ، فكان **الحسن** يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول : (هكذا كنا) .. ومشى قوم إلي منزل **سفيان الثوري** فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا (السفرة) .. وجعلوا يأكلون ، فدخل **الثوري** وجعل يقول : (ذكرتموني أخلاق السلف ، هكذا كانوا) « الإحياء » .

قلت : وقد أدركنا بعض هذا فيما تقدم .. ومن سلف وأرجو أن تبقى هذه المكرمة .. في الخلف الطيب للسلف الصالح على أن لا يكون ذلك مملا .. أو مخلا .. أو مستغلاً .. وانما هي المفاكهة تارة .. واسقاط الكلفة .. وثانية الضرورة تارة أخرى دون (المقالب) المتعمدة .

(١٩١٤) بين اللحن والاعراب

قرأت هذه الحكمة في كتاب (غدير الخصائص الواضحة) ، وهي : « النحو بين العامة ، كاللحن بين الخاصة » .

والحق أنها ثمرة التجارب الطويلة .. فان من يتكلف الاعراب بين العوام .. لا يخلو من اذاهم .. ومن سخريتهم به واستهزائهم منه .. ولهذا قالوا (لكل مقام مقال) .

وكذلك فان الذي يلحن بين الخواص .. فانه بمنزلة أخيه الأول .. بما يناله من الاستخفاف والازدراء ..

وبالمناسبة : أتذكر أن شخصية كريمة كانت بمكة في (الثلاثينات) وما قبلها بقليل .. قد أخذت على نفسها أن لا تتكلم الا بالفصحي في كل ما دق وجل من الأمور . فما لبثت أن تناولها الناس بالنقد والمقت والانكار ، ونسبوا إليها ما لم يقله صاحبها من الألفاظ الشنيعة ، الا أنه برغم ذلك ثابر على خطته ، ولم يعبأ بالجهال .. وكان

بوضعه ذلك من المفلحين ، ونال الحظوة لدى أصحاب البيان والتبيين .

هذا ، وأرى أن سواد الناس قد ارتفعت مداركهم الآن أو اقتربوا من الفصيح الصحيح وهم في طريقهم إلي الرجوع إلي الجادة بسبب انتشار العلم والتعليم ووسائل الاعلام .. ولن يكون التبكيت الا على من يجهل الصواب ، وينكر الاعراب .

(١٩١٥) عليهم يابرد

قبل أكثر من ستين أو سبعين سنة .. كانت الأمطار تنهمر في بروج القوس والجدي والدلو .. بحيث تنبت بها قمم الجبال وبطون الشعاب .. ويشتد خلالها البرد القارس ، وتجد ربات البيوت ، وكن حريصات على القيام المبكر من النرم وأداه صلاة الفجر حاضرة وفي وقتها بدون أي كل أو ملل .. تبعاً للرجال من الآباء والأزواج .. ولا يدعن أولادهن من اناث وذكور في مضاجعهم بل يوقظونهم معهم لأداء الفريضة وينصرفن بعد ذلك إلي المطابخ .. فيحضرن الافطار الدسم من العصائد والهرائس .. و (المعصوب) و (المطبق) و (المشلتت) و (الفطير) المبزر وهن بذلك يجمعن بين الطيبات من الأغذية والرياضة والحركة والبركة معاً .. ولا تكاد الشمس تبزغ حتى يكون جميع أصحاب الحرف والصناعات والحوانيت .. قد بادروا إلي أعمالهم .. وهم يرددون ما حفظوا من آيات بينات ، وأدعية مأثورات .. ومنهم ، بل جلهم يطوفونِ قبل الفجر .. ويعبئون من الدلاء من بئر زمزم .. ويصحبون معهم إلي بيوتهم ما يحتاجون إليه من أنواع الغذاء الطازج .. ولاسيما (اللقيمات) والمطبق والمعصوب و (المقادم) وغيرها .. ومنهم من يصعد إلي (الحلقة) ليشتري كل ما يحتاجه من الطعام والفاكهة ، ولزوجاته الصناديق الممتازة وبأرخص الأثمان ؛ وكنا — ابان الطفولة — نسمع أولاد الشوارع يزفون الفقراء خلال الأزقة والمنعطفات بنشيد حفظوه عمن قبلهم من الأجيال السابقة ، ورياح البرد تهب عليهم من كل جانب وأكثرهم يرتجف من شدته .. ويلتف فيما عليه من كساء بسيط واذا تنفس خرج الدخان من جوفه وفمه وأنفه .. وقد تقع بعض المناوشات معهم .. نتيجة الفراغ .. وغلبة (الشيطنة) على من لم يهده الله من الغلمان .

ذلك النشيد هو صياحهم خلف العراة .. أو شبه العراة ممن كانوا يملؤون الطرق من الحمال والعمال والكهول والمتربين : (عليهم يا برد) .. (يستاهل البرد من ضيع عباته) .. وأعتقد أن علامتنا الجليل وأستاذنا الكبير (**أبا نبيه**) قد عاصر كل ذلك وربما زاد عليه عنه بما لم أتذكره من (الطرف) و المحاسن فهو في كل ذلك لا يكاثر ولا ينافس أطال الله عمره في صحة وعافية .. واضمحلت هذه العادة بمرور الزمن فلم يعد لها عين ولا أثر بما مَنّ الله به من الكسب الحلال ، والعمل الدائب ، والمدارس التي اكتظت بالطلبة فلا تكاد تجد فارغاً أو مضيعاً أو من يتصدى لمثل هذه الترهات .. فالكل في طريقه إلي حرفته أو عمله أو دكانه أو مدرسته .. (انها ظاهرة) لا يلحظها الا الذين عاصروها من قبل . كما لم يعد في الشوارع من هو محروم من الغذاء أو الكساء .. وأصبح أكثرهم أهل صناعات ونشاطات نافعة وتجارة رائجة .. وثروة مجزية .. ومنها نعني « التبكير » في النهوض .. إلي صلاة

الفجر .. واكتفاء العائلات بأى غذاء جاهز .. أو معلب .. و (بالتميس)[1] والجبن أو الملح مع الشاهي .. والحمد لِله .. وفي الحديث الشريف : « **لو علمتم ما في العتمة لأتيتموها ولو حبوا** » و «**بورك لأمتي في بكورها** » .. كما نشكر نعمة الله في الأجيال الصاعدة بانصرافهم للدروس والمدارس وطلب العلم .

هدانا الله واياهم إلي مرضاته .. وجعلهم خير خلف لخير سلف بمنه وكرمه .

(١٩١٦) الغربلة

كثيراً ما تقال كلمة « الله يغربلك » البعيد .. من اخواننا (أهل نجد) ، خاصة .. وربما تداولها عرب الخليج .. أيضاً .. ووجدتها في صحاح الجوهري قال : « ويقال غربله اذا قطعه » .. فما وجدت فرقاً بينها وبين ما يستعمله أهل الحجاز وخاصة في الحواضر . اذ يقولون لمن يداعبونه أو يشتمونه : « الله — يقطعك » البعيد أيضاً .. وهما معاً لا تقالان تسخطاً في الغالب .. وانما إلي الرضا .. والمودة والمفاكهة والمداعبة أقرب كما هو مأثور في الحديث الشريف : « **عليك بذات الدين تربت يداك** » .. وقد يعتريهما الغضب أحياناً ، مع سلامة القلب من الحقد .. أو سوء النية ..

(١) (المنهل) : **التميس « بالسين هنا » وفي المدينة يسمون هذا النوع من الخبز الذي كان البخاريون المقيمون بالمدينة يعملونه في أفرانهم الخاصة — يسمونه : « التميز » — بتاء مفتوحة فميم مكسورة فياء ساكنة سكوناً ميتاً فزاي — وقد ذهب هذا النوع الممتاز من الخبز الذي كان يعد للافطار ، وجاء بعده هذا النوع النحيف المفلطح الذي يصنعه اليمانيون وغيرهم الآن مغرقاً مدهوناً بشيء من السمن الصناعي أو غير مدهون .**

وفي الصحاح أيضاً : « المغربل » — بفتح الغين وسكون الراء :— المقتول المنتفخ .. وهي عريقة .. ممعنة في الجاهلية الأولى .

ولعل أستاذنا العلامة الجليل (**أبا نبيه**) يزيدنا تنويراً وايضاحاً وتكميلاً لما لم يخطر به علماً .. أمد الله في حياته النافعة .. وبيناته الساطعة[1] .

(١٩١٧) الجندعان - يد العدو - داعته

ما زلت أبحث عن أصول صحيحة لهذه الكلمات الدارجة دون جدوي . ومفاهيمها معلومة عند العامة والخاصة .. فهي :

(**الجندعان**) :

يقول أحدهم : (سوى لي الجندعان) أي ورشة كبيرة أو ضجة عظيمة . وأحسبها دخيلة ..

(**يد العدو**) :

يستعملها ربات الحجال غالباً وتعني : (دفع الله الشر إلي العدو) .. وهي شائعة الاستعمال في مصر دائماً .

(**داعته**) :

وهي مما يستعمله النساء والرجال على السواء وتعني في العربية : (أشوى) ، أو (أن الأمر هان وهو أخف مما سواه) ..

فهل نطمع في أستاذنا العلامة الكبير (**أبي نبيه**) في اسعادنا بالأصول ، ومن أين جاءت أو دخلت هذه الكلمات المعروفة المألوفة .. ولسيادته الشكر الجزيل .

(١) (المنهل) : **لا عطر بعد عروس ، وليس بعد تنويرك تنوير ، وليس بعد تقريرك تقرير ، ولا أعلى وأدق من بيانك بيان .**

(١٩١٨) الجوزاء فجرير

استقبلت مع فجر هذا اليوم – الثلاثاء – ١٤ صفر ١٣٨٧ هـ .. دخول فصل (الجوزاء) .. وهي وان عُدَّت من أشهر الربيع .. الا أنها كما قال جرير :

ويوم من الجوزاء مستوقد الحصى
تكاد صياصي العين منه تصيح
شديد اللظى ، حامي الوديقة ريحه
أشد اذى من شمسه حين تصمح
بأغبر وهاج السموم ترى به
دفوف المهاري ، والزفاري تنتح
نصبت له وجهي وعنسا كأنها
من الجهد .. والاساد قرم ملوح

ومن شاء التثبت من أوصافه هذه فعليه بديوانه وشروحه .. وما استشهدت بما قال عن الجوزاء .. الا بقصد التذكير بأن الشرف .. والحرص على الاستزادة منه ، يضاعف من ضعف الاحتمال .. لتقلبات الأجواء .. والتغلب على عوارض الأدواء وكلما عود المرء نفسه على (الاخشيشان) كان ذلك أنشط لكيانه ، وأدعم لبنيانه ، وأجدر أن لا يتأفف من مكانه وزمانه ؟! ولهذا فان رجال الصحراء .. أمتن كواهل .. وأقوى سواعد ، وأشد مناكب وبذلك .. غلبوا على من أترفوا .. وتفوقوا على من أسرفوا ودكوا بسنابك خيلهم .. مطلع الشمس ومغربها .. وقد منحهم الله إلي ذلك صادق اليقين .. وخالص الايمان ، وهذه الأمم الحديثة .. المتقدمة .. لا تكاد تركن إلي الرفاهية وتؤثرها .. حتى تبتلى بما يوغرها ويوقرها ! وكم هم أولئك الذين يملون .. من « الترف » .. فيجوبون فيافي أفريقية وأدغالها .. ويتصيدون وحوشها وأفيالها ، وما أجمل ما يعني به ذوو الشأن والقائمون على التعليم من تعميم (الكشف) وتمرين الكشافة .. وإقامة الملاعب الرياضية والسباحة ، والمهتمون بالفروسية واحياء حلباتها .. وإقامة مبارياتها .. فان العقل السليم في الجسم السليم .. وعونك اللهم على سموم (الجوزاء) .. فانك بعبادك الرحمن الرحيم .

هذا ، وما كان عدد الفصول .. واختلاف مواقيتها أو أوقاتها .. الا لحكمة الهية .. تصح بها الأجسام ، وتنضج الثمار وتتفتح الأكمام ، (ولولا الليل ما عرف النهار) ، وبضدها تتميز الأشياء .. ورحم الله الشاعر اذ يقول :

يتمني المرء في الصيف الشتا
فاذا جاء الشتا أنكره
لا بذا يرضى – ولا يرضى بذا
(قتل الانسان ما أكفره)

(١٩١٩) عين الرضا

اطلعت بفخر وانشراح وتقدير على ما جاء في بريد المنهل شهر شعبان ١٣٩١ هـ ومن بينه وفي صدره رسالة سعادة الأخ الأديب الضليع الأستاذ **عبد الحميد بن السيد الجليل بشير السعداوي** تغمده الله برحمته . تلك الواردة من « جنيف » والتي علق فيها على كلمة (الجندعان) وقد كشف النقاب عن أصلها في العربية الفصحى .. وتلاقيت واياه في بيت (**الأزدي**) الوارد في حماسة (**البحتري**) لاثبات أصالة الكلمة وانها من الفصحى ..

واسترعى نظري في كلمة أخي **عبد الحميد** .. ما خلعه على من نعت (هرمت به) من الروعة .. أو الارتياع .. وقد كان حسبي أن أكون من « اللبنات » .. المشطوفة .. أو المشطورة .. في هرمنا الأدبي العظيم وكم فيه من الأعلام والاقطاب والأساطين من ترفع بايمانهم رايات المجد باليمن .. ولكن (عين الرضا) وكرم الخلق .. والأدب العالي المتوارث أباً عن جد ، كل ذلك ، حمل الأستاذ **عبد الحميد** .. على ما أذكره مقدراً .. وأشكره معترفاً لسيادته بالفضل ، وما نسيت ورب الكعبة أيامنا بمصر ، ابان الزيارة الملكية وقد توطدت خلالها أواصر الصداقة والأخوة فيما بيننا ولا تزال تنمو وتزداد مع الأيام والأعوام رغم البعد والنوي .. ولا أنسى أبداً (والد الجميع) طيب الله ثراه .. وهو من أثمن كنوزي في الصور والرسوم المحفوظة .. منذ ذلك الحين وقبله وبعده .. ولدي من ذلك ما أتأسي به واتعزي في كل الذين فقدتهم .. وأصبحت من بعدهم كما قال الشاعر :

اذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم
وغودرت في قرن فأنت غريب

وكذلك رسم أخيه الجليل معي مشتركاً « **نوري بك السعداوي** » .. وفي نفس الرحلة المشار إليها .. هذا وأما الرجع والردغ .. فما جاءت بالعين في العنوان الا (تطبيعاً) .. وكم له من مشكلات لا تحل الا اذا أخذ الكاتب « طبلة المسحراتي » .. ودار بها على كل القراء في الداخل والخارج والشرق والغرب .. وأعلن الخطأ والصواب .. بعد كل مقال أو قصيدة ينشرها في صحيفة ما لأنه كما قيل :

(وداوني بالتي كانت هي الداء)

فرب تصويب .. يحتاج هو الآخر إلي تصويب .. ودون أي تعريب .. وذلك (شر لا بد منه) ، ولا حيلة في دفعه الا بسعة الصدر وان كنت ممن ذاق منه الأمرين .. أما ابدال الجيم ، بالدال في بعض اللهجات فهو أمر معهود .. ولا انكار فيه البتة .

وأني لأوافق (سعادة الأخ) على اختياره التعبير بالقطران على الزفت والأسفلت .. وأتمنى أن لو وجدنا من نصوصنا العربية ما يستغنى به عن الدخيل في المستحدثات الحضارية كلها .. أو جلها .. وأن لا نستصعب استعمال ذلك مؤثرين عليه ما درجت عليه الالسنة .. احياء لتراثنا وحفاظاً عليه .

وأختم هذا التعليق بأزكى التحيات وأطيب التمنيات .. لأخي المفضال صاحب التذكير والذكريات .. جمعنا الله واياه في خير البقاع .. ومتعه بالصحة والعافية .

(١٩٢٠) بين القديم والحديث ظاهرة واضحة

مهما قيل أو صح في عصرنا هذا وما سبقه إلي القرن العاشر الهجري من ثناء على الشعر والشعراء والأدب والأدباء .. فان ظاهرة واضحة .. تبدو لكل متأمل بمقارنة بسيطة بين ما اثر للقدامي من شعر الحكمة أو حكمة الشعر .. وما افتقد في الشعر الحديث المعاصر وخلوه من هذا المذهب الذي يتغلغل في طوايا القلوب ، وخلجات النفوس ، ويسجل ما لا يقبل جدالا ولا إخلالا .. وأني للباحث أن يظفر بمثل هذا البيت الجامع ؟

ولست بمستبق اخاً لا تلمه
على شعث ! أي الرجال المهذب ؟؟

هذا ــ مثل واحد فقط ، وكم له من أشباه وأمثال ، تتبدل الدنيا ولا يتبدل ، وله البرهان القوي الساطع من جوامع الكلم المأثورة عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه : « **الناس كابل مئة ، لا تكاد تجد فيها راحلة** » . فما هي علة الانصراف عن هذا الاتجاه انصرافاً كلياً الا في النادر من شعر المحدثين بعد الالف ؟

وأكاد أجزم أن قليلاً جداً ما يروي للمتأخرين من هذه المعاني الخالدة ، ومن ذلك (مثلاً) ما يؤثر لأمير الشعراء (**أحمد شوقي**) رحمه الله ، كقوله :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان هُمُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وقوله :

وليس بعامر بنيان قوم
اذا أخلاقهم ــ كانت خرابا !!

١٩٢١ الغربلة في المشي !

قال **ابن الرومي** يصف نفسه :

ان لي مشية أغربل فيها
أمنا أن أساقط الأسقاطا

قال أديب العربية وقطبها الأكبر الأستاذ عباس محمود العقاد معلقاً على بيته هذا في كتابه عن (ابن الرومي ــ حياته من شعره) .

« وهذه المشية معروفة تدل عليها حركة الغربلة ، وتكثر فيمن بهم خلل في العصب أو العضل » اهـ .

قلت : ونسمع اخواننا أهل نجد اذا دعوا على أحد ما ، قالوا (الله يغربلك) البعيد .. ولا أدري ان كانت الغربلة هي هذه في دعوتهم .. أم أنها كما في اللغة ؟ ومن ذلك (غربل الشيء ، قطعه وفرقه . وغربل القوم ، قتلهم وطحنهم ، وهي على اختلاف المعاني لا تخلو من أذى أو عاهة .. أو ابتلاء .. وأحسبها ابنة عم (للروماتزم) المفصلي .. أو أخت ما يسمى (بأبي الركب) الا أنها تتميز بالاهتزاز .. ويرحم الله الشاعر اذ يقول :

أنما العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولى

وما على الذين تجاوزوا الستين ، الا الارتياض على الأقدام ولو في طريق جدة .. يومياً .. وإلي الكيلو العاشر أو العشرين .. فليس لهم غير ذلك من شفاء يضمنه التمرين .. ولن يغنيهم التوكؤ على العراجين .

١٩٢٢ بئر « أبو دية » بمكة

أوردت الجملة كما تقال .. دون مراعاة لحكم الاضافة نحواً ، حرصاً على منطوقها المتداول كما هو . وكنت إلي يومنا هذا .. أظن أن البئر ــ التي هي بأعلى مكة ــ في (شعب عامر) على يمين الصاعد إلي المعلى ومعروف مكانها عند أهلها منسوبة إلي رجل هذا لقبه .. أو كنيته .. أو شهرته ! وتبين لي أن الاسم لغوي عريق فان العرب تقول : دلو (يدية) .. و (آدية) .. اذا كانت وفقاً ــ ليست واسعة ولا ضيقة ــ وهنا تأولت النسبة إلي ما كان على البئر من الدلاء ..

يوم كان القوم حريصين على اللغة الفصحى .. ولم

أعثر على اسم رجل بهذا اللقب .. أو الاسم .. أو الوالد أو الولد !! وكل ما في الأمر أنها محذوفة الألف من أولها .. أما الدال فانها مضافة عن (النقطة) .. حتى لا تنتقل بها إلي (أذية) !! فان نقطة واحدة أخطأ فيها الكاتب فوضعها على كلمة (احص) ..!! أدت إلي ما لا يجهله القراء في الأدب العربي القديم أي إلي الاخصاء .. وما أشد التبعة وأقساها على من لا يحسن خطه .. اذا كتب فقد قال الظرفاء : « الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً » .. وما أجل التنقيط اذا كان (أصفاراً) إلي اليمين ، وما أقبحه اذا كان همزاً ، أو لمزاً ، أو غمزاً ، أو لهزاً ..

و « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » .

(١٩٢٣) كل ما تشتهي والبس ما يشتهيه الناس

لا تزال الألسنة تردد هذه الألفاظ منذ قرون عديدة وحتى يومنا هذا وكنا نسمعها ابان الطفولة من الكبار وعجائز البيوت .

وقد رأيت بيتين بمعناهما ، نظمهما شاعر قبل مئات السنين قال :

ان العيون رمتك مذ فاجأتها
وعليك من شهر الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت
واجعل ثيابك ما اشتهاه الناس

قلت : وقد كنت اعتدت على أن أتخذ (عقالاً) أو (شطافة) سميكة .. منذ استبدلنا (الجبة — والعمامة) بهذا الزي العربي الجميل الذي جرى تعميمه بين العامة والخاصة .. وأنكر الناس على أنها (سميكة) ولم تعد مقبولة في أيامنا هذه الا (الخفيفة .. الظريفة) .. فاضطررت إلي استعمال الثانية ونبذ الأولى .. واختلف بها المنظر .. ولم يرق لي استعمالها ، ووجدت من شايعني على ذلك فعدت إلي الأولى .. ولم أجد في ذلك غضاضة .. ما دام الناس اختلفت أذواقهم في ذلك بين الاستحسان والاستهجان .. وما كل ما يستحسنه الكثيرون في زماننا هذا — بقاعدة — تحتذي .. وفي هذه الحالة انما يؤخذ برأي من تقيد بالمعروف .. دون المذكور .. « وإلى الله تصير الأمور » .

(١٩٢٤) البقل — والمبقلة

قال الشاعر القديم قبل ألف سنة :

كل البقل من حيث تؤتي به
ولا تسألـن عن « المبقلـه »
فانك ان رمت عنها السؤا
ل ، وجدت الكراهة والمسأله

قلت : وسمعت من شاعر الشام والمملكة العظيم : الأستاذ **خير الدين الزركلي** قوله :

والناس كالماء ان أرضاك سلسله
فلا تنبش عن المكنون في الماء

وقال **عمر بن الخطاب** لجلسائه يوماً : من الذي يقول :

ولست بمستبق اخاً لا تلمه
على شعث ، أي الرجال المهذب ؟

قالوا : هو النابغة ، قال ذاك أشعر الشعراء ..

قلت : فهذا في الناس .. وفي النبات .. وفي

الماء .. وما حجر المرمر الأبيض في الجماد .. كالأسود من الحرارة .. وسبحان الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

١٩٢٥ مشى حاله

يتحدث أحدهم عن صديق له أو قريب أو صاحب فيقول انه « مشى حاله » .. ويقصد بذلك أنه تيسر أمره .. وتوفر خيره .. وزال فقره ..

ومصادفة قرأت ما أحسبه أولية لهذا التعبير ، منذ قرون طويلة تكاد تبلغ ألف عام .

قال **القفطي** : « لم يكن أبو العلاء من ذوي الأموال في الدنيا ، وانما خلف له وقفاً يشاركه فيه غيره من قومه ، وكانت له نفس تشرف عن تحمل المنن (فمشى حاله) على قدر الموجود .. » اهـ .

قلت : وما أزال أسمعها اذا نال أحد خيراً قال له صاحبه أو صديقه (مشي حالك يا وليد) .

ومع ذلك فان لها مدلولات أخرى ، لا يرضى بها الموصوف اذا قيل عنه أنه (يمشي حاله) .. (ولكل امرئٍ ما نوى) .

١٩٢٦ الايجاز والاعجاز

قال (ابن الدثينة) :

بنفسي من لو مر برد بنانه
على كبدي ، كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كل شيء ، وهبته
فلا هو يعطيني ، ولا أنا سائله

وقال (أبو الدمينة) :

بنفسي وأهلي من اذا عرضوا له
ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب ؟
ولم يعتذر عذر البريء ، ولم يزل
به صعقة ، حتى يقال مريب[1]

قلت : وعلى كثرة ما في الشعر الغزلي من روائع وبدائع .. فما يستهويني منه ويأخذ بمجامع قلبي وربما استدر الشؤون من عيني مثل هذه الأبيات التي جمعت بين الايجاز والاعجاز .. وما أعتقد أن لها مثيلاً في عصرنا هذا .. رحم الله ابن الدثينة وابن الدمينة .. فقد لمسا بشعرهما هذا أعماق كل ذي قلب سليم .

١٩٢٧ تمثيل (الكبر)

قال **ابن مكنسة** — وهو من شعراء (الخريدة) وعاش بمصر في أواخر القرن الخامس ، وأوائل السادس .. يشكو من كبره وضعفه وشيخوخته وقد ارتعش حديثه :

عشت خمسين — بل تز
يد — ترقيعـــاً كما ترى

(١) (المنهل) : حقق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد شعر الشاعر الأموي الغزلي — يزيد بن الطثرية وأتى بما عثر عليه من شعره بعد بحث عميق في زمن مديد .. وقد جاء في ص ٢٨ من طبعة كتابه الأولى بمكة قوله : « فقد رويت قصيدة أولها هذا البيت :

بنفسي وأهلي من اذا عرضوا له
ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

— إلى عبد الله بن الدثينة ، مع أن هذا البيت أحد أبيات قصيدة ليزيد (بن الطثرية) التي يقول فيها :

الا بأبي من قد يرى الجسم حبه
ومن هو مرموق إلي ، حبيب
ومن هو لا يزداد الا تشوقا
وليس يرى الا عليه رقيب

(راجع ص ٢٨ من طبعة الكتاب المذكور) .

أحسب المقـــل بندقـــــاً
وكـــذا الملـــح سكـــراً
وأظـــن الطويــــل من كـ
ـــــــل شيء ، مدوراً
قد كبر بر ببر
ببرت وعـــقلي إلي ورا
عجبـــاً كيـــف كل شيء
أراه ــ تغيـــــــــرا
لا أرى البـــيض صار يؤ
كـــل الا مقشـــرا
واذا دق بالحجـــــــــــ
ـــار زجـــاج تكسرا

قلت : واني لأدعو الله أن يطيل أعمار الشعراء والأدباء وقبلهم الفقهاء والعلماء بدون ارتعاش .. وأن يمنحهم الابداع والانتاج مع الايناس .

(١٩٢٨) دابة المســك (١)

قال الامام العالم أبو **زكريا القزويني** في كتابه « آثار البلاد واخبار العباد » : ... « وقال **ابن الفقيه** : بالصين دابة المسك ، وهي دابة تخرج من الماء في كل سنة في وقت معلوم ، فيصطاد منها شيء كثير ، وهي شديدة الشبه بالظباء ، فتذبح ويؤخذ الدم من سرتها ــ وهو المسك ــ ولا رائحة له هناك حتى يحمل إلي غيرها من الأماكن .. » اهـ .

(١) (المنهل) : **في الرحلات العالمية ، التي قام بها « السائح السعودي » الاستاذ محمد عبد الحميد مرداد** صورة واقعية لهذا **الحيوان أخذها في احدى رحلاته إلى بلاد الصين القصية وسننشرها إن شاء الله في كتاب رحلاته القيم حيث سيقوم المنهل بطبعها ونشرها إن شاء الله .**

قلت : وقديماً قال الشاعر العربي :

(وما أنا الا المسك في أرض غيركم)

وعارضه الآخر فقال :

فان تفق الأنــام وأنت منهم
فان المسك بعض دم الغــزال

ومسَّاكم الله بالمسك !! بعد أن تشبعوا من السمك !!..

(١٩٢٩) ميمات الدواة

قال الشاعر العالم الأديب الفقيه المحدث المعمر الشيخ **عبد المعطي بن حسن بن عبد الله باكثير** المكي ثم الحضرمي المولود بمكة سنة ٩٠٥ هـ والمتوفي سنة ٩٩٨ هـ (بأحمد آباد) بالهند :

و « ميمات الدواة » تعد سبعاً
وسبعـــاً ، عدهــن بلا خطـــاء

(مداد) ثم (محبرة) . (مقص)
و (مرملة) و (مصمغة) الغراء

و (مكشطة) و (مقلمة) (مقط)
و (مصقلة) و (مموهة) لماء

و (محمراك) و (مسطرة) و (مش)
و (ممسحـــــــة) لختم وانتهاء

قُلْتُ : كان حصره هذا لميمات الدواة .. في عصره قبل أربعمائة سنة خلت ! وقد أدركنا كل ذلك بعينه وسنه .. واسمه ورسمه بمكة لدى (الخطاط) قبل ستين عاماً .. وما زال يتواري شيئاً فشيئاً حتى أغني عنه كله .. هذا القلم ذو الحبر الناشف يعلق في الجيب .. وان لم يكن الخط

به كما كان رونقاً واشراقاً وجمالاً ودلالاً .. وقواماً واعتدالاً .. (وواحد كالألف امر عنا)[1] .

(١٩٣٠) ابن قتيبة والشعراء

قال ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » .. « ولا نظرت إلي المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل إلي الفريقين .. وأعطيت كلا حقه ، فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيره .. وما كره إليه معاصره الا أنه قيل في زمانه .. ورأي قائله .. ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة .. على زمن دون زمن .. ولا خص قوماً به دون قوم ، بل جعل ذلك مقسوماً بين عباده .. وجعل كل قديم منهم حديثاً في عصره .. » اهـ .

قلت : وكذلك هو الانصاف والعدل والتجرد من التعصب والتحيز ، ومادام الأمر على أن كلا من الفريقين يعطي حقه .. فلا محل للتنقص .. أو الاضافات وقلما نهج هذا السبيل الا الرواد من ذوي البصيرة .. وطاهري السرية ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ .

(١) (المنهل) : هذا الشطر الثاني من بيت مشهور أوله :

والناس ألف منهم كواحد
وواحد كالألف ان أمر عنا

(١٩٣١) كاف التشبيه وابن مطروح

« كذا » وابن مطروح بها كان كذا
وذلك منه أى ظرن وما « هذى »

« الغزاوي »

تكرم فضيلة الأستاذ الجليل مربي الجيل السيد أحمد العربي فأخبرني بهذه الطرفة الأدبية — ويعزوها إلي أحد كتب المرحوم (كاتب العربية الأكبر) الأستاذ عباس محمود العقاد .. وأظنه « تاريخ الآداب العربية » .. قال :

« يروي أن **الملك الصالح نجم الدين أيوب** كان اذا مدح لا ينظر إلي مادحه فتلطف (ابن مطروح) الشاعر — وعمل قصيدة بني قافيتها على الاشارة .. فكان كلما انتهى إلي قافيته أشار (بيده) بما يدل عليها .. فنظر إليه الملك .. ومن هذه القصيدة قوله :

تعشقت ظبياً وجهه مشرق (كذا)
اذا ماس خلت الغصن من قده (كذا)
له مقلة كحلاء .. نجلاء .. ان رنت
رمت أسهماً في قلب عاشقه (كذا)

ومنها :

أيا نسمات الروض بالله — بلغي
سلامي إلي من صرت من أجله (كذا)
وقولي له : ذاك الغريب أملني
إليك سلاماً من تحيته .. (كذا)
عساه اذا وافت تحية عبده
يسائل عن حالي بأنمله (كذا)

قلت : وقد آثرت مشاركة اخواني القراء ..

في هذه الفكاهة الظريفة . وعلى من أراد أن يكمل هذه (الكذاءات) عملياً .. أن يمارسها بذكائه .. في (يديه) ، وأصابعه .. ورفعها وخفضها وبسطها ــ محاكاة لما هو المقصود منها .. وربما من (فمه أيضاً .. ومن حواجب عينيه .. وبسيماء وجهه .. وما أكثر ما احتوته (الآداب العربية) من طرف وتحف !!

ولهذا المنهج .. أمثال لا تكتب قوافيها .. ويعرفها الراسخون في أدب الشعر .. ومنها : « ولقد قلت للمليحة يوماً .. » الخ .

(١٩٣٢) الشرق والغرب

قال (كبلنغ) شاعر الانكليز .. كلمة ما زالت مأثورة عنه : وهي :

(الشرق شرق ، والغرب غرب ولا يلتقيان)

وبالطبع ــ فانه يقصد بذلك ــ تقدم الغرب في حضارته الراهنة .. وتأخر الشرق .. في أوضاعه الراهنة .. وقبل أكثر من أربعين سنة .. نظمت قصيدة نشرتها صحف الشام والحجاز آنئذ .. كان مطلعها في الرد عليه :

لا الشرق شرق .. اذا ما ثارت الهمم
كلا ــ ولا الغرب ــ غرب حين يصطدم

وفي مطالعة عابرة قرأت في رسالة **ابن زيدون** الجدية .. هذه العبارة :

« وهل علمت أن الشرق والغرب لايجتمعان » ؟

وأن أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه قال : الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب ، كلما ازددت قرباً من احداهما ازددت من الأخرى بعداً .. ؟

وصدق الله العظيم ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ .

وقد ميز الله الشرق (برسالاته) .. وعقائده وأخلاقه .. (بالإسلام) . كما افتتن الغرب ، بملاهيه .. ومباذله وما فيه من اباحة وتحلل وآثام ، وخير ما يوصى به دعاة الاصلاح .. هو المحافظة على ما لنا من التراث الديني والاجتماعي ، والتمسك بشرعنا القويم ، والأخذ بما هو خير وعلم وفن وتقدم ورقي .

وفي كل صناعة محدثة .. لم نحذقها .. يمم بها لنا (الاعداد) لقهر الاخصام ، ودرء العدوان .. ودفع الطغيان .. وسبيلنا إلي ذلك « العلم » الصحيح ، وهو ما سرنا إليه .. والحمد لِلّه بتوفيقه ﴿ **ولِلّه العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ .

(١٩٣٣) (هدى) زهران

كنت أحسب أن (الهـدى) انما هو هذا الذي يقوم على قمة الطود الشامخ (كرى) ــ وهو (هـدى الطائف) وأن الثاني الذي يتلوه ويطلق عليه (هدى الشام) أي الشمال هو هذا الذي من وراء (مر الظهران) أو وادي فاطمة ..

وفي قراءة عابرة لكتاب (بلاد زهران) تأليف الأخ الأديب الأستاذ **محمد سفر حسين الزهراني** ــ أكثر الله من أمثاله ــ عثرت على (الهدى الثالث) أو هدى زهران على الأصح .. وذلك بما أثبته على خارطة طرق المواصلات في سراة زهران .. حيث سماه بذلك ، وهو يقع في أعلى سراة تهامة .. غرباً .. **وموقعه** بين

(غدي ــ وعويدة) .. وكنت أود لو أن المؤلف الكريم توسع في بيان ما تضمنته الخارطة المذكورة من المواقع والقرى .. ببيان عدد السكان .. ولو تقريباً .. واني لأرجو أن يكون ذلك كاملاً في الطبعة القادمة لمؤلفه الثمين إن شاء الله ، وله من سيادة الأمير **إبراهيم بن إبراهيم** أمير منطقة الباحة تحياته وتعضيده .

وهنا ــ أعود فأكرر اقتراحي ورجائي في أن يقوم الشباب المثقفون المهتمون باحياء .. التراث القديم والمجد العظيم في جميع مناطق المملكة جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً .. كل فيما يفطنه ويحسنه .. ويحيط به .. يقوم كل منهم بتأليف عن موطنه يُعرِّف به مواطنيه البعيدين عنه ، بقدر ما تصل اليه معلوماته وامكاناته لا سيما من تخرج العديدون منهم وتأهلوا لذلك حتى اذا اجتمعت هذه البواكير .. ضمت إلى بعضها في سفر جامع محيط . وانهم لفاعلون إن شاء الله (ومن القطر تسيل الأودية) !!

١٩٣٤ الكوع والبوع

ما اكثر ماينبز الناس بعضهم بالجهل .. بأبسط ما يجب العلم به ! كأن يقول احدهم لمن يعيره ، ما تعرف كوعك من بوعك ؟ ! . واني لاجد الكثيرين هنالا يحددونهما من اجسادهم..وهما منهم بين السمع والبصر.. وقال الشاعر في تعريفهما:

وعظم يلي الابهام كوع .. وما يلي
لخنصره ــ الكرسوع.. والرسغ ماوسط
وعظــم يلي ابهام رجــل ملــقب
(ببوع) فخذ بالعلم ، واحذر من الغلط

وكل ذلك من بعض ما تدونه متون الفقه وحواشيها .. وهو ما لا غنى عن العلم به حتى للاطفال .. فاذا ما رمى احدهم بجهله بهما فانما ذلك انه لم يدرس حتى شرائط الوضوء ! وهي سبة لا يمحوها الا التفقه في الدين ومبادئه .. والله اعلم .

١٩٣٥ القصر الأبيض

« روى الطبري في تاريخه ان « القصر الابيض » كان لعبد الله بن أبي بكرة وكان يقع بين الزاوية والمسجد الجامع في (البصرة) .. ويقال ان **عبيد الله** اشترى ارضه من **عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي** .. وانفق في زخرفته بانواع النقوش والرياش مليون درهم .. وهو مبلغ ضخم بالنسبة لانخفاض مستوى المعيشة في هذه الفترة » اهـ .

عن (الحياة الادبية في البصرة)

قلت : وهكذا يتبين أن العالم الجديد .. انما سمى اعظم قصوره في واشنطن ... بهذا الاسم .. وان استبدل بالقصر البيت .. مقلدا لا لملوك العرب وخلفائهم العظام . ولكن لأحد ولاتهم في ناحية صغيرة من (امبراطوريتهم) العظيمة الشاسعة الواسعة .. ولو قدرت اثمان الرياش والاثاث الاولى بمثلها في عصرنا هذا لكان هذا القصر ، اعجوبة في الزخرفة والأبهة والرونق . وما كان ذلك الا من بلوغهم اقصى المدى في التحضر والاتراف ، ولكن بعد كد وكدح ، وكفاح وفتح ، وبطرق مشروعة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وبقي ان يصل الخلف أمجاد السلف .. بما يضم إلى القصر الجمع ! وإلى العلم والأدب والفنون النزرع والضرع ! وان ليس للانسان الا ما سعى .

الفهارس

فهرس الموضوعات

الاجتماعيات

العادات والتقاليد :

الأجناس

الإحصاء

الأدب

البـــــلاغة :

الحكايات والطرائف :

الأطعمة

الاقتراحات

الألعاب والرياضة

الأماكن والبلدان

الآثار :

الأماكن والبلدان :

تاريخ الأماكن والبلدان :

التحقيقات :

الجغرافيا :

الرحلات :

البلديات

التاريخ

التجارة

التراث

التراجم والشخصيات

أعلام الأدب واللغة :

أعلام سدنة الكعبة :

أعلام السياسة والحكم :

أعلام الشعراء :

أعلام الصحافة :

أعلام الفقه :

أعلام الفن :

أعلام النساء :

الشخصيات :

علـم الكائنـات

عـلم المسـاحة

عـلم النفـس

العـلوم العسـكرية

الفـــلك

الفنــون

فـن الأزيـــاء :

فـن الزخرفـة :

فـن الموسيقى والغنـاء :

الكُنى والألقـاب

اللغـــة

الألفـاظ العاميـة (لهجـات) :

الأمثال العامية :

الأمثال الفصيحة :

دراسات في الألفاظ والأساليب :

المعـــادن

المكتبـــات

المؤلفـــات

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

(ب)

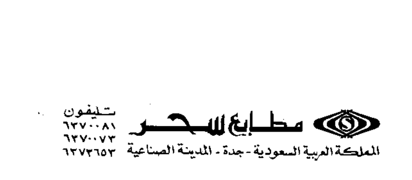
(ت)

(ث)

(ش)

(م)

(ى)


مطابع سحر
المملكة العربية السعودية - جدة - المدينة الصناعية
تليفون
٦٣٧٠٠٨١
٦٣٧٠٠٧٣
٦٣٧٣٦٥٣